المشرق

مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علميّة وأدبيّة وفنيّة

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

السنة الاولى

١٨٩٨

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٨٩٨

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

Sous la direction des Pères de l'Université St Joseph

Paraissant le 1 et le 15 de chaque mois

en un fascicule de 48 pages, grand in-8°

avec illustrations selon les besoins du texte.

PREMIÈRE ANNÉE

1898

Prix de l'abonnement annuel: Beyrouth 12 francs — Union postale 15 francs.

BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1898



المشرق

مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علميّة وأدبيّة وفنيّة

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

السنة الاولى

١٨٩٨

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٨٩٨

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

Sous la direction des Pères de l'Université S[t] Joseph

Paraissant le 1 et le 15 de chaque mois

en un fascicule de 48 pages, grand in-8°

avec illustrations selon les besoins du texte.

PREMIÈRE ANNÉE

1898

Prix de l'abonnement annuel: Beyrouth 12 francs — Union postale 15 francs.

BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1898

المشرق

بسم الله خير الاسماء

المقدّمة

مع اسداء الشكر لأولي الامر

نحمد الله الذي اشرق بضياء نعمتهِ عقول الانام . وقشع بانوار حكمتهِ ظلام الاضاليل والاوهام . فقادهم الى طاعتـهِ باحسن زمام . من الشرائع الخلاصيَّة وسديد الاحكام . الى ان رتعوا في رياض الامن وبحبوحة السلام

امَّا بعد فنقول انَّهُ لا يخفى على احد من القرَّاء الكرام ما صارت اليهِ بلادنا من التقدُّم والنجاح منذ زهاء خمسين سنة حتى انهُ لو نشر الله بقدرتهِ رِمم احد اجدادنا الادنَين فعاد من فورهِ الى بعض مدننا المستحدثة لَما خلناهُ يصدّق العيان ولكاد ينكر انَّ هذه الديار هي هي التي قضى فيها الحياة قبل

نصف قرن . ولا مراءَ انَ يأْخذ منهُ الانذهال كلَّ مأْخذ لما يراهُ من اسباب العمران والتمدُّن . كيف لا وهو يبصر الديار بالامن عامرة . والارجاء بالفنون والصناعات زاخرة . والمدارس بالطلَّاب زاهرة . يرى المطابع حافلةً بالتآليف الفريدة . والجرائد مفعمة بالمباحث المفيدة . يرى العلماء ذوي العقول الثاقبة والاذهان النيّرة السديدة . وجمَّ الطلَبة يعكفون عليهم لتلقّي العلوم والمعارف العديدة . فتحملهُ هذه المشاهد على ان يغبط من أُتيحت لهم هذه الانصبة السعيدة . وينسب هذا التقدم ولا محال الى همَّة اصحاب الامر والنهي وقد قيل : بعدل السلطان . تقوم شؤُون البلدان . واسباب العمران

احقُّ دارٍ بان تُدعى مباركةً دارٌ مباركٌ الملك الذي فيها

هذا ولمَّا اردنا نحن ايضًا ان ننتهز هذه الفرَص الشهيَّة . ونخدم الوطن ببعض الخدمات الوفيَّة . فنعضد نيَّات الحكومة السنيَّة . ونؤَازر مساعيها الخيريَّة . طلبنا منذ عهد قريب بان يُرخَّص لنا بانشاء مجلَّة جديدة تكون لكاثوليك المشرق الراتعين في ظلال الذات الشاهانية كمنهلٍ صافٍ يستقون منهُ المعارف التي يحتاجون اليها في امور دينهم ودنياهم . فلبَّت الحكومة السنيَّة الى دعائنا . ولم تُخِبنا في رجائنا . فلعمري انَّ تلك لمنَّةً نقدّرها حقَّ قدرها . ولا نبرح عن ذكرها . وقد وددنا ان نخلِّد على اوَّل صفحات هذه المجلَّة مراسيم الثناء والشكر ونرفع بلسانها اشعارات التعلُّق والاخلاص الى اريكة صاحب الشوكة والفخر . السلطان ابن السلطان السلطان عبد الحميد خان الثاني داعين لهُ بالعزّ والنصر . ما لاح كوكب واضاءَ بدر

وما كاد ينتشر بين الجمهور انَّ من عزمنا انشاءَ مجلَّة علميَّة موسومة باسم المشرق حتى وردتنا عدَّة رسالات من مصادر شتَّى نخصّ منها بالذكر

بعض تحارير لارباب الدين وايّمة الادباء تفيدنا ما كان لهذا الخبر في القلوب من الوقع الحسن وما يبنيه الجميع على القيام بهذا المهمّ من الآمال الطيّبة لتعزيز الآداب ونشر العلوم

وكان لنا من اقوى اسباب التنشيط على العمل كتابة تفضَّل علينا بها في غرَّة كانون الاول نيافة الكردينال لدكوسكي وكيل البروبغندا ينبئنا عمَّا اثارت هذه البشرى في جنانهِ من الفرح والسرور ويثبت لنا سامي رضى الكرسي الرسوليّ من هذا المشروع . وقد شفع سيادة القاصد الرسولي السيد كرلس دوفال الجزيل الاحترام هذا الرقيم بتحرير من يدهِ يبدي لنا التهاني ويقيم الادعية لنجاح مسعانا

فمن ثمَّ اخذنا مذ ذاك نجهّز كل ما يقتضيهِ المشروع من اللوازم لتحقيق امانيّ القوم فلم ندَّخر شيئًا من الوسع لوضع المقالات التي رأيناها أنسب لفائدة العموم واوقع لديهم مع تهيئة عدَّة فقرات ونُبَذ جامعة لشذور آداب الدنيا والدين ومصنَّفات تاريخيَّة وفنّية ولغويَّة وطبيعيَّة وغير ذلك من المعارف لم نستثنِ منها سوى السياسة ومتعلَّقاتها

وقد اتخذنا لنا شعارًا قولهُ تعالى في رسالة يوحنَّا الاولى (ف ١ : ٥) : « انَّ الله نورٌ وليس فيهِ ظلمةٌ البتَّة » اشارةً الى انهُ عزَّ وجلَّ هو مصدر العلوم والمعارف وانَّ كلَّ علم لا يستمدُّ منهُ ولا يعود اليهِ انَّما هو ضلال بحت

هذا وان اسم مجلَّتنا الجديدة ينطق بنفسهِ عن غايتنا ويقوم مقام لائحة مطوَّلة اذ آثرنا باختيارهِ ان نبيّن لاهل الوطن ان جلَّ مرغوبنا التحرّي لكلّ الابحاث المتعلّقة بالشرق والطوائف الشرقية ونفضّلها على ما سواها لئلَّا يقال انَّ الغريب ادرى بما في البيت من اهلهِ لاسيما ولا نزال نرى كثيرين من

الاجانب يعكفون على تتبُّع اخبار بلادنا واستبطان احوالها وكشف مكنون اسرارها فدُعوا لذلك بالمستشرقين

ومع هذا فاننا لا نبخل على قرَّائنا بما نعثر عليهِ من المآثر الجليلة التي يأتيها الغربيُّون ممَّا يقدمون عليهِ من شريف الاعمال و يبتكرونهُ من الاختراعات والاكتشافات في سائر الفنون ليكون اهل بلادنا على بيِّنة من امورهم وتتوفَّر عندنا على مثالهم اسباب العمران والتقدُّم . واذا اقتضى الامر ذلك شفعنا المقالات برسوم تصويريَّة دفعًا للشبهات وتيسيرًا لادراك المطالب

ثم تعميمًا لفوائد هذه المجلَّة صمَّمنا النيَّة على فتح بابٍ خاصّ تُحلّ بهِ المسائل التي يلقيها علينا الافراد ونشترط على المراسلين الَّا يعرضوا علينا من المباحث غير ما يرونهُ اهلًا بالذكر ذا منفعة للفيف القرَّاء

ولمَّا كانت غايتنا ان نجمع في هذه المجلة بين الامور المفيدة والمبهجة معًا احببنا ان نفرد بعض صفحات لروايات خيالية نتخذها وسيلة لتفكيه المخيّلة وطريقة لتمثيل عوائد الامم المختلفة في احوالها وتواريخها ورسم تخومها ووصف آثارها

وقد اصدرنا مجلّتنا في غرَّة هذه السنة الجديدة متيمّنين بها الخير . وهي تظهر مرَّتين في الشهر في اوَّلهِ ومنتصفهِ ويكون مجموع صفحات كل عدد ٤٨ صفحة تبلغ سنويًّا مجلَّدًا ضخمًا ذا ١١٥٢ صفحة

ثم نختم كلامنا هذا بابداء الرجاء ان مشروعنا يصادف لدى السواد الاعظم قبولًا طيبًا ورضاءً حسنًا يشدّ ازرنا ويخفف ما نتجشَّمهُ من التكاليف في اخلاص خدمتهم ونطلب من مراحمهِ تعالى ان يهدينا الى سُبل الرشاد . ويوفّقنا الى ما فيهِ خيرُ البلاد . وهو حسبنا

الاب لويس شيخو اليسوعيّ
صاحب امتياز مجلّة المشرق

مباحثة علميّة

في اهمّ اكتشافات سنة ١٨٩٧

(للاب موريس كولنجت اليسوعيّ مدرّس الطبيعيّات في المكتب الطبي)

ان حقّ أن العلم مجلبة للسعادة فالعام المنصرم قد توفّرت فيهِ اسباب تلك السعادة للمجتمع الانساني اذ اتّسع نطاق العلوم وزاد زيادة خطيرة كنز المعارف البشريّة. أجل ان عام ١٨٩٧ خطا خطوةً كبرى وحقّق آمالًا عظمى في المسائل النظرية والاشياء العمليّة وسَمَا بطَرْف الافكار البديعة الى عالم الاستنباط وفتح للتجارة ابواب الارباح الطائلة

١ ذهب الفضّة

ففي ١٦ نيسان الفائت لمّا اشترى مكتب الامتحانات في الولايات المتحدة اوّل سبيكة ذهبية خرجت من معمل « جمعية ذهب الفضّة (١ » كان لذلك رنّة في جميع الانحاء. لم يكن اذن ضربًا من الاوهام ما تداولتهُ الالسن بالغوامض من امدٍ وجيز (٢ ? نعم ان علماء الطبيعيات لم ينكروا امكانية تحويل المعادن بعضها الى بعض. بيد انهم كانوا يطلبون على ذلك البراهين الراهنة. فتحليل ذرّات جرمٍ الى حدّ النهاية ثم اتخاذ هذه الاجزاء الاوليّة وجمع شتاتها كما شئنا مع تسليط عاملٍ ما لنصنع منها الذهب او الفضة ذلك ليس الّا توسعًا (زائدًا امّا ممكنًا) في مبدإ المغايرة (٣ والنتوء (٤ . امّا عالَم المالية فحريٌّ بهِ ان يقلق لاكتشافٍ ينتج منهُ تغيير مهمّ في احوال الثروة وسنن المعاملات. فان كان اكتشاف طريقة للالماس الصناعي طارت لهُ شعاعًا انفس المشتغلين بالجوهرات فايٌّ وقع يا ترى في القلوب لعمل الذهب الصناعي

فالدكتور اسطفان أَمِنس منذ شهر نيسان دفع الى ضربخانة نيويورك سبائك أُخر عديدة من ذهب الفضة تزن كثيرًا من الكيلوغرامات وتضاهي قيمتها الوفًا من الفرنكات ولهُ الامل الوطيد انهُ لا يمرّ بهِ سنة الّا يتمكن من اصدار ما معدّلهُ ١٠٥٠ كيلوغرامًا

(١ Argentaurum Syndicate

(٢ بل عالجتهُ قدماء الكيماويين لا سيَّما العرب منذ امدٍ بعيد

(٣ Allotropie ou Isomérie وهي حادثٌ ينجم عنهُ مغايرة في خواصّ الاجرام مع اتفاق اشكالها

(٤ Stéréochimie وهو معرفة تأليف الذرّات ليس فقط على شكل مسطّح بل ايضًا على شكل ناتئ

في الشهر . والريالات المكسيكية هي المادَّة الاولى لمصنوعاته . فيعالجها معالجة آليّة شديدة مع اتخاذه وسائل تحفظ فيها حالة البرودة حتى ان اشدّ الضرب لا يرفع ولا طرفةَ عين درجة حرارة الجرم الذي يدقّهُ . وزد على ذلك عمل محلِّلٍ معلوم ثم مركّباتٍ اوكسيجينية من الازوت . وينتهي بالتصفية . هذا والدكتور ينظر في الامر وجه الربح اولًا وليس ينكر ذلك بل يصرّح انهُ بعمل الذهب لا يتوخَّى غاية علميّة ولم يكن ليبوح بسرّهِ الَّا متى تقرَّرت صوالحه . وهو مع ذلك كيماوي عظيم وعضو في كثير من الجمعيات العلمية قد اشتهر باكتشافات أُخر وشهرتهُ تكسبهُ ثقة من لا يسهل انقيادهم الى اليقين

امَّا اليوم والناس على أمل أن تنجلي الظلمات وتمطر الصناعة ذهبًا فلا تزال عوامل حبّ الاصفر الرنَّان تدفع الوفًا من المعدّنين الى جبال ألاسكا (١ الجليدية . وقد شاءت الطبيعة ان تفتح لهم هناك باب كنوزها وتجود عليهم بطبقات خطيرة من اراضي الذهب لقاء ما يتجشمون من المخاطر وما يعانون من اهوال الجوع والبرد . فنتمنَّى لهم نجاحًا غير ما اصابهُ المعدّنون في الترنسفال وحظًّا اوفر ونتيجة خير فلا تذهب مساعيهم درج الرياح

٢ اشعَّة رُنتجِن

انَّ اشعة رنتجن لم يكن اكتشافها عام ١٨٩٧ بيد انها بلغت شأوًا بعيدًا في الاشهر الاخيرة . فآلاتها زادت تحسنًا وقواعدها رست اركانها . وشاع استعمالها وتعددت نتائجها المحمودة . فالدكتور بوشار نجح نجاحًا تامًّا في استخدامها لتشخيص العلل ليس فقط في العظم الكسير بل ايضًا في بعض ادواء القلب والرئة . والدكتور لورته عميد كلية ليون الطبية والمعروف عند كثيرين من قرَّائنا السوريين الكرام يزاول اعمالًا خطيرة باحثًا عن مفعول هذه الاشعة في معالجة الامراض وتأثيرها في تركيب الاجسام ووظائف الاعضاء

ذلك اذن اكتشاف علميّ جاد الانسانية نصيبًا من الراحة وافرًا . وان شاء الله نعود الى هذا البحث ونستوفي الكلام عن اشعَّة رنتجن . ونبحث كذلك في اشعَّة معدن الاورانيوم وما تركب منهُ وهو اكتشاف للمسيو بِكرِل يُضيف جوهرة جديدة في التاج الذي زان مفرق العام ١٨٩٧

---

١) شبه جزيرة في شمالي اميركا الى الغرب

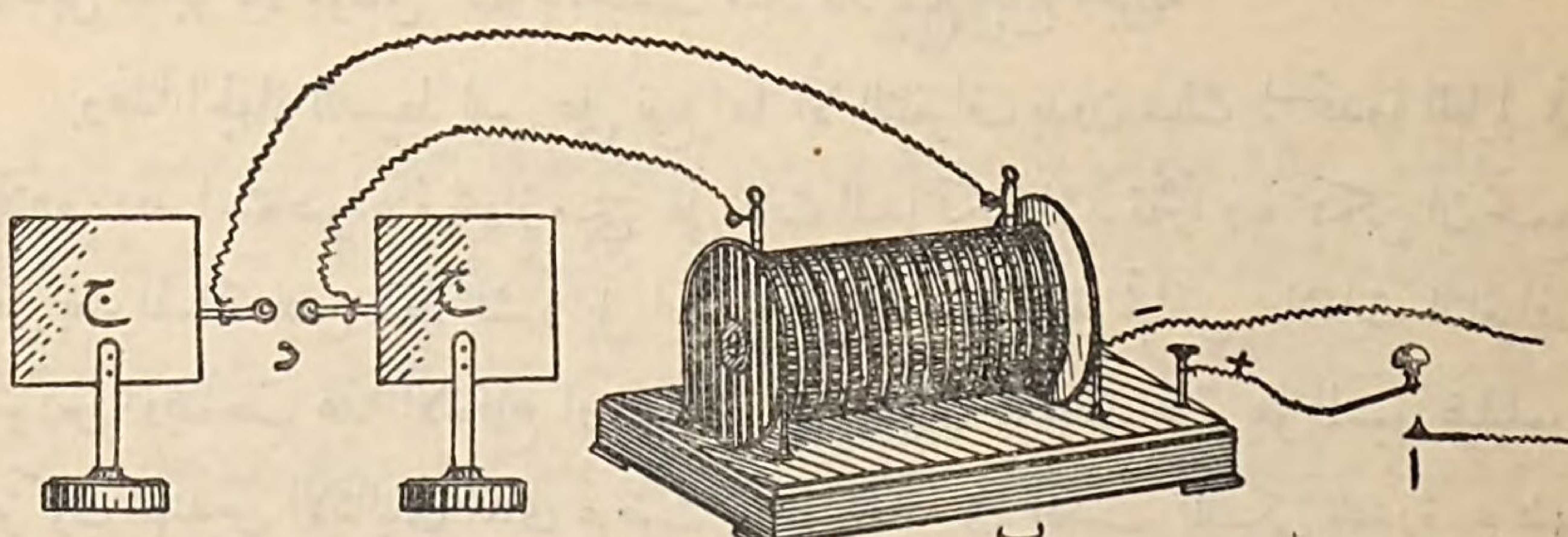
٣ وسائل جديدة للتنوير

سنفرد ايضاً مقالة في عددٍ آتٍ للكلام عن التنوير وهي مسألة عظيمة الاهمية من الوجه الاقتصادي كما من الوجه الصحّي للعيون. فالبترول والغاز والأَسِيتيلان والكهرباء جميعها تبارت لاحراز قصب السبق في خدمة الانسان. ونحن سنجعل ان شاء الله لكل منها نصيبه من البحث

٤ التلغراف بدون سلك

لنبحثنَّ الآن عن مسألة يهمّ علمها وعملها. اريد بذلك التلغراف بدون سلك. انهُ لأَمر واضح امكانية انتشار التموُّجات الكهربائية في المسافة. فحركة الاهتزاز الكهربائي لاتختلف من هذا القبيل عن سائر الحركات التموُّجية المعروفة. انما القضية كانت في جمع شتات هذه الحركات وإِجبار هذه التموُّجات على ان ترتسم بنفسها فتُستخدَم هكذا لمهمّات الانسان وحاجاتهِ الى مخابرة ابناء جنسهِ. فكلامنا عن مساعٍ كهذه اتت بنتيجة حسنة وان لم تكن حلّت القضية حلاً تامًّا

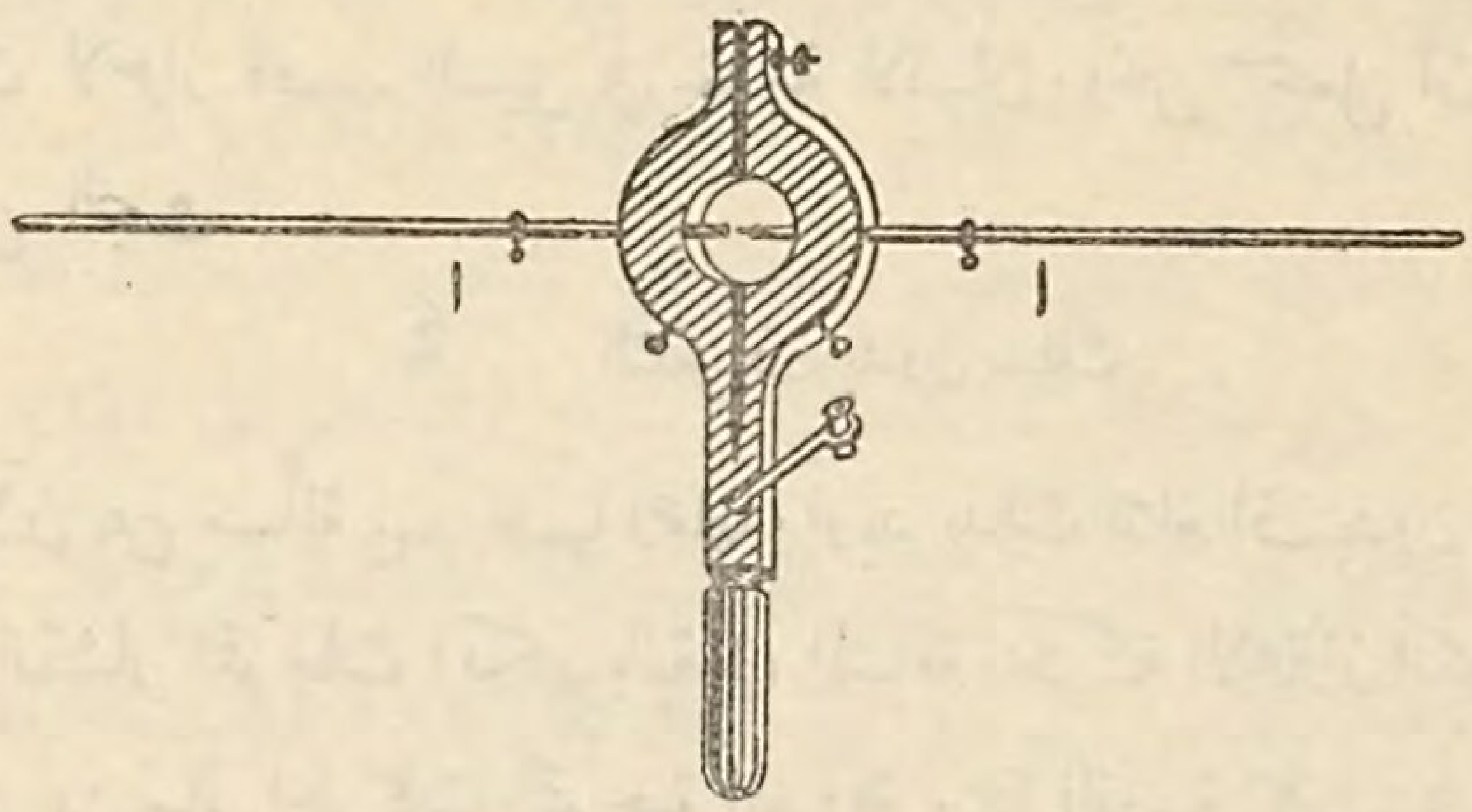
لقد اثبت العلماء منذ اعوام عديدة حقيقة وجود التموُّجات الكهربائية. فامتحانات هرتز الاساسية يسهل اجراؤها بواسطة الآلة المرسومة هنا والتي صنعها الدكتور دوكريته من عهدٍ بعيد



ان مجرى لَفّة رُمكُرف ا ب الثانوي (١ يتصل بصحيفتين من النحاس الاصفر ج ج لكلٍّ منهما قضيب وكُرَة من المعدن نفسه. فشرارة اللفَّة تطلق ما بين الكرتين د

(١) يقال مجرى ثانويّ في علم الكهرباء لمجرى يتولَّد لساعتهِ في دائرة لمجاورتهِ مجرى آخر اوَّلي وذلك عند انقطاع او اتّصال المجرى الاوَّلي

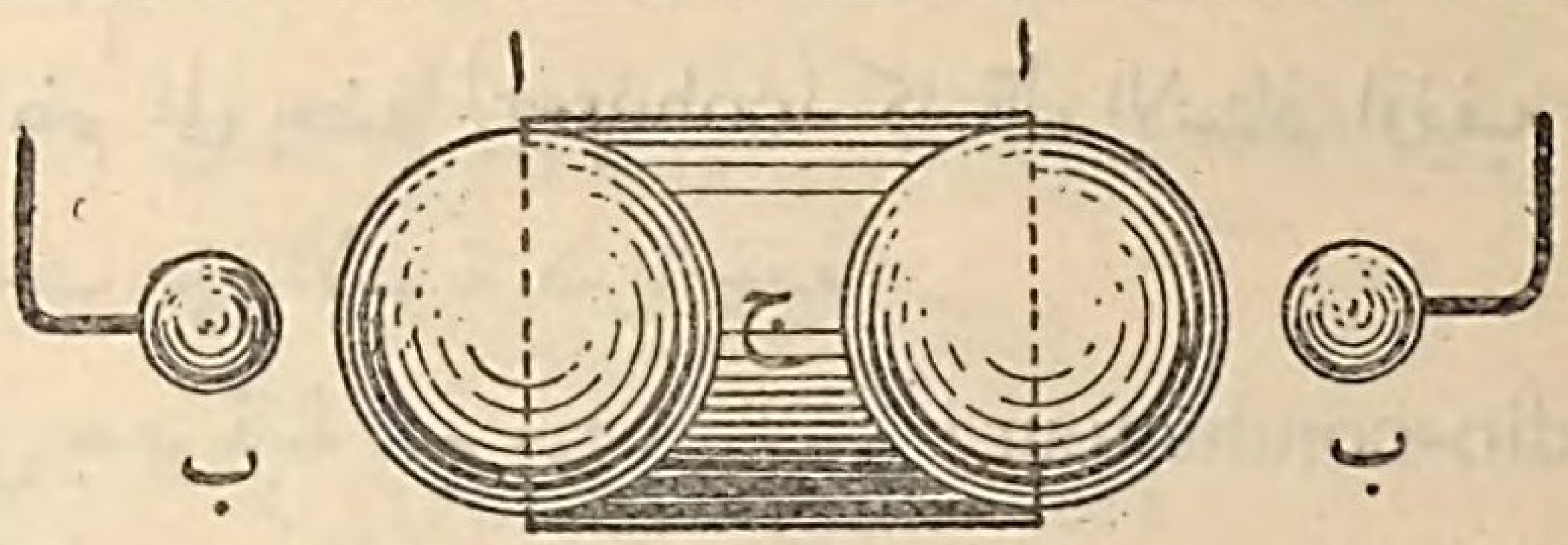
اذا جُعل البعدُ بينهما نحو السنتيمتر (١ . وهذا القسم من الجهاز الآليّ يدعى رقّاص هِرْتز (oscillateur de Hertz) وكل طلقة ينشأُ عنها موجات كهربائية يمكن جمعها بصورة شَرَر بواسطة قابل



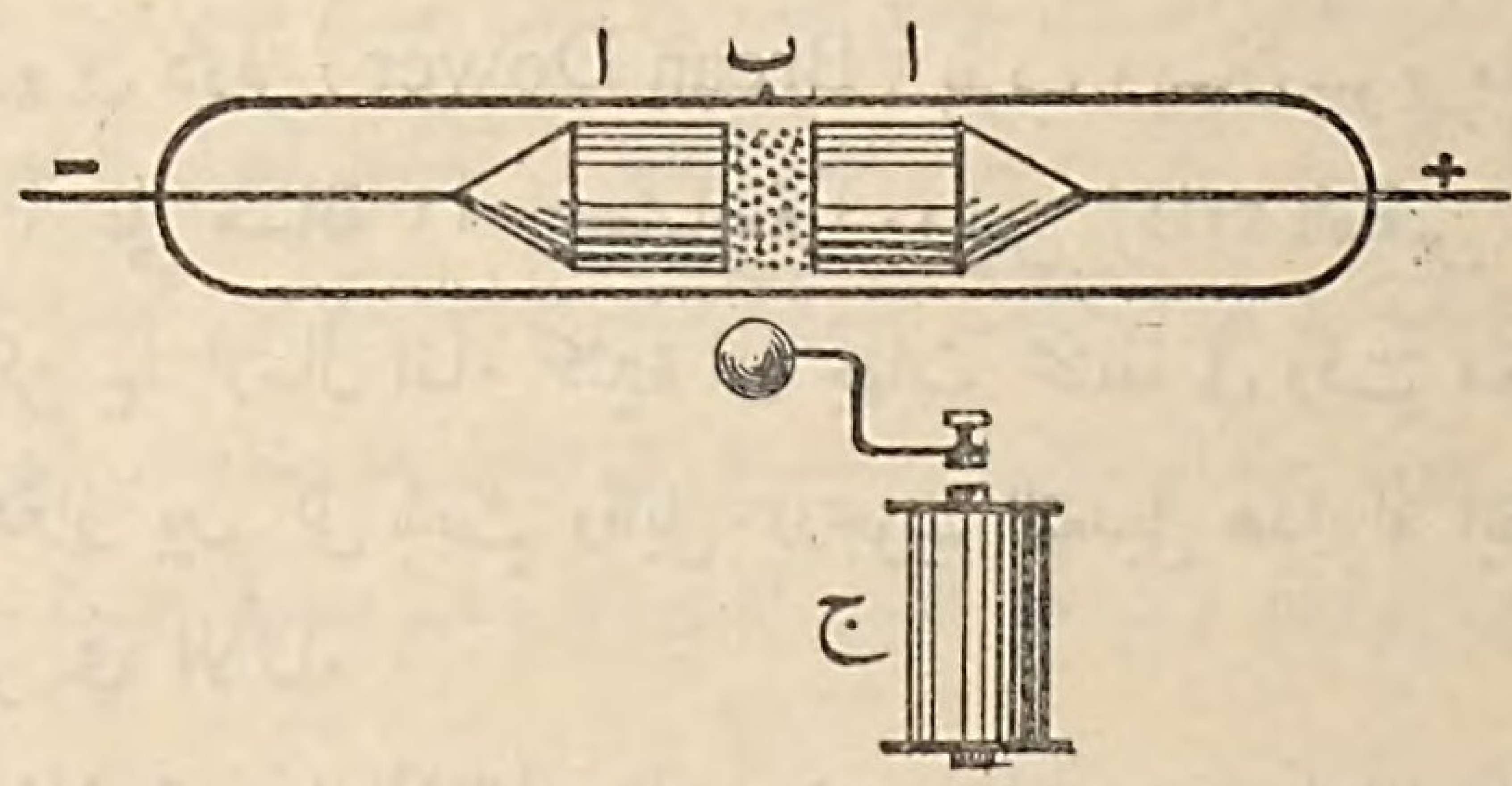
والقابل (récepteur ou résonnateur) آلة تتألف من قضيبين من النحاس الاصفر ا ا مرتكزَين وجهاً لوجهٍ . ويجب ان تكون سعتهما ومقاومتهما وخاصّةُ تولُّد المجرى الانفعاليّ فيهما (self-induction) مناسبة في احوالها لما يوازيها من الرقّاص . ومن استعان بهذه الآلة للبحث في المجال الكهربائيّ لم يصعب عليهِ الوصول الى ممرّ الموجة ومشاهدة انطلاق الشرارة ما بين شعبتي القابل . وليكن معلوماً انهُ اذا حال بين الرقّاص والقابل حاجز غير موصل كلوح الخشب مثلًا فلا يمنع نجاح التجربة

وهذا الجهاز البسيط ليس على نوعٍ ما الّا التلغراف بدون سلك يستخدمهُ العالِم في مختبرِهِ . وقد استعاضوا عنهُ بجهازٍ مبنيّ على ذات المبدإِ لكنهُ اشدّ تأثرًا وبهِ يمكن ان تجمع على بعد المسافة ليس فقط الشرر بل ايضاً علامات حقيقية تجانس علامات التلغراف مُورْس . وصاحب هذا الاختراع او المهتدي الى استعمال تموّجات هرتز هو المسيو غيليلمو مركوني المهندس الايتالياني الذي عُرضت نتيجة ابحاثه في المكتب الملكي بلندرة عرضها في جلسة حزيران الدكتور و . ه . بريس (D[r] Preece)

١) لا يخفى القرّاء الكرام كيف ان البحث في تفريغ الجامع الاعظم يقود الى معرفة تفريغ الرقّاص . ولا يسعنا ان نلمّ في هذه المقالة بالكلام عن ابحاث اللورد كِلْفن وهِرْتز ولُودْج وغيرهم في هذا الموضوع . والّا طال بنا الشرح



انَّ باعث او رقَّاص المسيو مركوني على شكل رقَّاص الاستاذ ريغي (Righi) اعني انهُ يستعاض فيهِ عن صفيحتي النحاس بكرتين ا ا والأُولى ان تكونا مُصْمَتتين. فهاتان الكرتان الكبيرتان تغطسان الى وسطهما في الفازلين المائعة (١ ج وهما مرتكزتان احداهما قرب الثانية على اسطوانة فاصلة. كما يظهر في الشكل. وينقل المجرى الثانويَّ شريطان موصلان ينتهيان بكرتين صغيرتين ب ب. فشرَر اللفَّة ينطلق ما بين الكرات الاربع وتواتر الاهتزاز يبلغ نحو ٢٥٠ مليونًا في الثانية. ويوجد باعث من طرز مورس مدرجًا في الدائرة بين البطارية واللفة بهِ يمكن انشاء مجرى في مُدَد معيَّنة كما في التلغراف



والقابل عبارة عن انبوبة صغيرة ب من الزجاج طولها اربعة سنتيمترات يمرّ فيها اسطوانتان من الفضة ا ا متحاذيتان على بعد نصف ميليمتر فيُملأ الفراغُ بينهما مسحوقًا مؤلفًا من النيكل ٩٦ جزءًا ومن الفضة ٤ اجزاء في المئة مع اثر للزئبق. ويجعل في الانبوبة فراغ لاربعة ميليمترات من الزئبق وتختم الآلة. والقابل مُدرَج في دائرة بين بطارية محليَّة ج ومركز تلغرافي قابل التأثُّر

ففي سنة ١٨٩٠ كان الاستاذ ادوار برَانْلي (Branly) في المكتب الكاثوليكي بباريس اكتشف ان برادة الحديد اذا ادرجت في دائرة نتج منها مقاومة شديدة للمجرى وانها بالعكس تصبح زائدة الايصال اذا هيَّجتها موجة كهربائية خارجية. فحينئذٍ تستقطب

١) الفازلين مادَّة ضاربة الى البياض مركَّبة من كربور الهيدروجين تستعمل جامدة ومائعة

دقائق البرادة وتنضمُّ الى بعضها (cohérer) كما قال الاستاذ اوليفيه لودج . واذا اردنا ابطال المفعول نضرب على الانبوبة ضربًا خفيفًا

والمسيو برانلي يدعو قابلةُ باسم موصل الاشعَّة (radio-conducteur). وهذا الذي اختارهُ المسيو مركوني . فانَّ لهُ مطرقــة يحركها المجرى عينه فتضرب على الانبوبة فيختلّ ترتيب دقائق البرادة وتقرع في الوقت نفسه جرسًا صوته هو الوسيلة الوحيدة لتلاوة الرسالة البرقيــة

وما عدا ذلك فالدائرة تحتوي ايضًا على راقم يجانس راقم مورس فمتى تهيج المجرى في الباعث امتدت الموجة الكهربائية ودارت حول الحواجز متابعة خطوط القوى المهمَّة حتى تصل وتؤثر الانبوبة بواسطة جناحين من المعدن قد سبق تعديلهما تعديلًا كهربائيًا على الباعث كما وصفنا . فيمكن حينئذٍ للمجرى المحلي ان يمضي ويحرّك الجرس والراقم

وقد تمّ مبادلة علامات بواسطة هذا الجهاز فوق قناة بريستول ما بين بنارث (Penarth) وبرين دوفر (Brean Dower) بقرب ويستن سُوبر مارِه (Weston super mare) على مسافة ١٤ كيلومترًا . وليس لرداءة الطقس تأثير على المخابرة بهذه الآلة . ويمكن بها ارسال انباء كثيرة الى جهات مختلفة في وقتٍ معًا . ويكفي لذلك تعديل تواتر الاهتزاز بين كل باعثٍ وقابل . ووجوب التعديل هذا لهُ ايضًا فائدة كبرى وهي حفظ السرّ في الأنباء

تلك هي خلاصة هذا الاختراع الذي يفتح مضمارًا جديدًا لعلم التلغراف وغاية ما نتمنَّى ان يتوفق العلماء في سنتنا الحاضرة الى اتقانهِ وتعميم فوائدهِ . ونســأل الله الذي يكشف لنــا شيئًا فشيئًا عن غوامض الطبيعــة ان يكلّل بالتقدُّم والنجاح عام ١٨٩٨ كسالفهِ . فان العقل البشري بواسطة هذه الاكتشافات يسمو في معارج العلم الالهي وتتوفَّر بها اسباب العلائق بين المجتمع الانساني ولا بُدَّ ان يستفيد الدين من هذه الكمالات . فعلينا في كلّ امورنا ان نرفع قلوبنــا الى من هو ينبوع الخيرات ولا نَنزل بالمواهب العــلوية الى حضيض الهوان لمجرَّد ارضاء الاميال الجسدية ولا نغفل عن اسداء الشكر الجزيل لمن هو « إله العلوم » كما وصف ذاته عزَّ وجلَّ في كتابهِ الكريم (١ ملوك ٢ : ٣)

الاخ (فرا) غريفون وجبل لبنان

في القرن الخامس عشر

(للاب هنري لامنس اليسوعي)

ان اسم الرهبانية الفرنسيسكانية لا ينفصل عن ذكر المساعي المبذولة في النصف الاخير من القرون المتوسطة لاجل احياء الكثلكة في الشرق. يشهد بفضل ابناء القديس فرنسيس آثار همتهم الناهضة وغيرتهم المتقدة وتفانيهم المجيد. ففي القرن الخامس عشر لا تكاد تخلو منهم بلدٌ من بلاد المشرق فكنت تراهم في لبنان وقرمان وطرابزون وارمينيا والعجم وسفح القوقاس وساحل بحر قزوين يبشرون ويعظون ويؤيدون الكاثوليك ويرشدون المنفصلين الى حضن الكنيسة

والغرض من هذه النبذة التاريخية نشر اخبار فردٍ منهم قد تناسى ذكرَهُ غيرُ ابناء رهبانيته مع انهُ كان طائر الصيت خطير القدر في لبنان حيث قضى نيّفًا وخمس وعشرين سنة في اعمال لها كبيرُ شان. وعسى هذه المقالة ان تنشط انصار العلم الى التنقيب في سجلّات هذه الرهبانية او في المكاتب الشرقية فتصرّح الحقيقة عن محضها وتنجلي لنا بصورة الطيّب الذكر غريفون احد المرسلين الفرنسيسيين في لبنان بعد منتصف القرن الخامس عشر وبودّنا لو يحيا بين الموارنة ذكر هذا الرجل الذي كان لهم صديقًا حميمًا

١

هو فرَا غريفون ولم نجد لهُ اسمًا آخر يُعرَف بهِ. ومسقط راسه ولاية الفلمنك في بلجيكا. فالمؤرخون يدعونهُ تارةً بالبلجيكي وتارة بالفلمنكي او الفلندري(١) وروى احد الفرنسيسكان(٢) انهُ من المانيا السفلى(٣) وروايته لا يصعب فهمها اذا اعتبرنا ان اكثر الولايات البلجيكية كانت وقتئذٍ تابعة للدولة الالمانية فلذا سمّيت زمنًا مديدًا بالمانيا السفلى. وقد ألحق الاب ارتوروس في كتابهِ «اخبار القديسين الفرنسيسكان» اسم غريفون بهذه العبارة المستغربة «كان فرنسي الجنس فلمنكي الوطن»(٤) وما التناقض الّا في ظاهر العبارة فان المؤرخ

(١) «de Flandria»　(٢) Nicolas Glassberger

(٣) « Theutonicus ex partibus inferioribus »

(٤) « Gallus natione, patria Flander »

الفرنسيسكاني لا ريب يلمع الى علاقة السيادة التي كانت لم تزل حتى القرن الخامس عشر لملوك فرنسا على امارة الفلمنك (١

لم نجد في اخبار الفرنسيسكان الَّا شيئًا زهيدًا عن حياة هذا الرجل العظيم قبل مجيئهِ مرسلًا الى لبنان · ولذا يتعذر علينا ان نحدّد بالتدقيق سنة مولده · فبعد المقابلة بين روايات المؤرخين رأينا القول انهُ ولد في العشر السنين الاولى للقرن الخامس عشر · ولبس ثوب الرهبان الفرنسيسكان عند الديريّين (Conventuels) (٢ ولا نعلم ايضًا في ايّ سنة · وما بلغ الثانية والعشرين من عمره الَّا حاز في باريس رتبة علَّامة في اللاهوت · وقضى سبعة اعوام يدرّس هذا العلم في الكلية فنال فوزًا عظيمًا راعهُ في اتضاعهِ · فلكي يتخلّص من مدائح البشر هجر كلية باريس ووطنه وزار معابد رومة في ايتاليا واسيز (٣ ثم طلب الدخول في مصاف الاصغرين المحافظين (Mineurs Observantins) ليعيش ما بينهم خامل الذكر بعيدًا من حركة العالم

فهناك وافق كل شيء عواطف اتّضاعه فاخوانه الفرنسيسكان انفسهم قضوا اعوامًا طوالًا لا يدرون بكنز العلم بينهم · فيومًا ما كان الاخ غريفون من جملة المدعوين لحضور مناظرة في اللاهوت علنية في مدينة مَنْتُوا ولما رأى ان المنتصر للحق كاد يلحقهُ الفشل لم يتمالك ان خاض في الكلام ببلاغة خلبت لبّ السامعين وجعلتهم يقدّرون هذا الغريب قدره

امَّا رؤساؤهُ فلمَّا كشفت لهم المناظرة النقاب عن فضلهِ وطول باعهِ طلبوا منهُ ان يضحي امياله الشخصية ويقبل وظيفة مدرّس الكتاب المقدس · فقام مدّةً بهذا الواجب احسن قيام · على انهُ لم يكن ذلك غايته من سفره الى ايطاليا · فابناء القديس فرنسيس ما زالوا يتوقون الى رسالات الاراضي المقدسة ليس فقط لما فيها من الآثار المسيحية العظيمة والذكرى المجيدة بل ايضًا لانها تقتضي تعبًا وكدًّا وتفانيًا ولذا بات غريفون يميل كل الميل الى اخبار فلسطين وتحنّ نفسهُ الى الاشتراك مع اخوته في اتعابهم واكدارهم

وفي ذلك الزمن لم يكن من حديث في جميع انحاء ايطاليا الَّا مسألة اتحاد الشرقيين بالكنيسة الرومانية · ففي ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٤٣٩ قابل البابا اوجانوس الرابع وَفد

---

(١) وقد انقطعت هذه العلاقة في اواخر القرن الخامس عشر

(٢) فرع من رهبانية الفرنسيسكان خففوا شيئًا من قانون مار فرنسيس

(٣) مدينة مار فرنسيس مؤسس الرهبانية

الارمن الذين جازُوا يحلفون يمين الطاعة للكرسي الرسولي وكان قد سبق اتحاد الروم في المجمع الفلورنتيني . فقبل ختام المجمع وصل الاخ يوحنــا رئيس الفرنسيسكان في بيروت وقد اوفدهُ غبطة يوحنا الحاجي بطريرك الموارنة لكي يهدي واجب احترامه لنائب المسيح ويعرض لهُ ان رأس الطائفة المارونية يوقّع سلفــاً على كل قرارات المجمع ولكي يطلب اليهِ منح الدرع المقدس وتثبيتهُ على كرسي بطريركية انطاكية . اما موارنة القدس فارسلوا الاخ ألبر من الرهبانية الفرنسيسكانية لينوب عنهم في المجمع (١

وفي عام ١٤٤٣ ارتدَّ اليعاقبة وللفرنسيسكان اليد الطولى في هدايتهم . وفي الاعوام التالية اعترف برئاسة رومة اسطفان ملك البشناق وكذلك الكلدان . وفي السابع من آب ١٤٤٥ اصدر البابا اوجانوس الرابع منشورًا عامًا فيهِ اسدى الى الله عظيم الشكر على هذه النعم الجليلة (٢ فكانت اذن مسألة ارتداد الكنائس الشرقية حديثًا شاغلًا اكثر منــهُ في ايامنا . ولا يخفى ان الفرنسيسكان نظرًا لرسالتهم في الشرق كانوا اشدّ اهتمامًا بذلك من كل من سواهم . فمــا لبث غريفون ان نال غاية مشتهاه اذ اتاح لهُ الزمان ان يكون من المرسلين فيبتعد عن مدائح العالم وينتقل الى فلسطين ليبذل نفسهُ في خدمة الدين وارشاد المنفصلين

٢

في اواخر ١٤٤٢ او اوائل العام التالي وصل الاخ غريفون الى فلسطين فشرع في زيارة معابدها التي وصفها في كتابهِ « زيارة الاراضي المقدسة (٣ » وبعــد قضاء هذه الفروض جاء اورشليم ليقيم بها في دير جبل صهيون فوجد فيهِ بصفة رئيس دير ومحافظ الاراضي المقدسة الاب غانضولف من صقلية . وما لبث هذا ان قام مكانهُ الاب بلتازار دي سانتا ماريًا دلّا ماركا وبقي في تلك الوظيفة من ١٤٤٦ الى ١٤٥٥

وكان معظم نفقة الدير من الاحسانات الواردة من اسياد الاخ غريفون اعني بهم امراء بورغونديا العظــام المالكين وقتئذٍ على بلجيكا . فهؤلاء الامراء اشتهروا

١) الدويهي تاريخ الموارنة الصفحة ١٣٥ ٢) هذا الامل لم تطل مدته في رومة فمنذ بداءة عهد البابا نقولا الخامس (١٤٤٧ – ١٤٥٧) لم تكن الدائرة البابوية تجهل اميال الروم (Cfr. Pastor; *Geschichte der Päpste* I 447 — 449,)

(٣) Itinerarium Terræ Sanctæ

في كل حين بسخائهم على الاراضي المقدسة وقد بنوا في الرملة نزل الضيافة للزوار ورمَّموا كنيسة بيت لحم

ولم تكن هذه بالآثار الوحيدة التي تذكرهُ بالوطن العزيز فان الزوَّار البلجكيين كانوا يتواردون كلَّ عام افواجاً وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر كان عددهم يربي على غيرهم من سائر الممالك الاوربية حتى جرى في بلجيكا مجرى المثل قولهم « سافر الى يافا » عبارة عن السفر المحفوف بالمصاعب والمتاعب(١) ولطالما بذل غريفون في سبيلهم ما عنده من الغيرة والخبرة بالاراضي المقدسة وكم سار معهم دليلًا في تلك الاماكن ولاسيما الى نواحي الاردن. ولا ريب انهُ كان في اورشليم لمَّا ان جاءها في اواخر الصيف عام ١٤٥٠ الدوق جان دو كلاف الذي كان غادر بروكسل في السابع نيسان من السنة عينها وبمعيتهِ جمٌ غفير من اعيان الفلمنك

وكان الفرنسيسكان ما عدا قيامهم بحسن الضيافة نحو الزوّار يهتمُّون بشؤون رعية قليلة جمعت بين بعض التجار من جنوة والبندقية وعددٍ من الاهالي الثابتين في الدين الكاثوليكي من عهد الدولة اللاتينية بالقدس او المرتدين الى الوحدة الجامعة بمساعي هؤلاء المرسلين ذوي الغيرة والشهامة وقد شهد لهم احد الزوَّار عام ١٤٨٣ بقولهِ « في اورشليم عددٌ قليل من اللاتين امتازوا بحسن سيرتهم حتى اصبحوا انوارًا يقتبس منها وهم خاضعون للكنيسة المقدسة الرومانية اتمّ الخضوع (٢) »

وكان ايضاً في اورشليم كما يتضح ذلك لمن طالع الدويهي جماعة من الموارنة بينهم وبين الفرنسيسكان علاقة شديدة. ويتعذر علينا ان نحكم بوجهٍ قطعيّ جازمين بانهُ كان يقوم بادارة شؤونهم كهنة من نفس طائفتهم او انهُ كان موكولًا امرهم الى ابناء مار فرنسيس على اننا نرجح الرأي الاول. واحد الزوَّار الالمان في ذلك الحين يتكلم عن موارنة مقيمين في كنيسة القيامة(٣ فيُستدلّ من ذلك على وجود كهنة موارنة في اورشليم

وما وصل غريفون الى القدس الَّا راى الاجتماع الذي عقدهُ فيها بطريرك المشاقين الاورشليمي بمعاونة رصيفَيْه الانطاكي والاسكندري. والذي فيهِ حرموا المجمع الفلورنتيني

(١) L. Conrady, *Rheinische Palestina. — Pilgerschriften*, p. 186 — Reland. *Palæstina*, p. 865. (٢) Bernard de Breydenbach.

(٣) Röhricht, p. 92.

ونادوا بخلع متروفانوس البطريرك القسطنطيني لانهُ وافق على الاتحاد بالكنيسة الرومانية. فساءهُ هذا المشهد لكنهُ لم يخمد شيئًا من نار غيرتهِ

ولما كان اوَّل مساعي المرسل ان يتعلم لغة البلاد التي يحلّ فيها تبادر الى ذهن غريفون بادئ بدء ان يدرس العربية وزاد عليها السريانية وهي وقتئذٍ اللغة الطقسية عند اكثر الطوائف الشرقية كالموارنة واليعاقبة والنساطرة والروم الملكيين ايضًا

ويظهر جليًا من درسه اليونانية قبلًا رغبته في ان يتمكن من العناية بشان الاجزاء المختلفة التي تتألف منها الارثوذكسية اليونانية فبعد ان قضى زمنًا طويلًا يدرّس في كلية باريس لم يصرف اقلّ من سبعة اعوام في الاستعداد لتلك المهمَّة. وكان بعد مضيّ هذه المدة ان عدَّهُ روساؤهُ اهلًا لرسالات الشرق

٣

في النصف الاول من القرن الخامس عشر كان الفرنسيسكاني الشهير انطون دي طرويه (١ طاف مرَّةً بعد مرة في المشرق قيامًا بما كلَّفهُ الباباوات من المهمات الخطيرة لدى نصارى الشرق ولا سيما اهالي جبل لبنان

وفي سنة ١٤٤٤ كان قد عاد الى رومة يصحبهُ وفد من الموارنة. فرحَّب بهم الحبر الاعظم وعزم من ثمَّ على توسيع نطاق الرسالات في سورية. وفي السنة نفسها ١٤٤٤ عُيِّن الفرنسيسكاني بطرس دي فرَّارا من دير المخلّص في بيروت وكيلًا رسوليًا لدى الموارنة والسريان (٢ او الروم الملكيين. وبعد ستة اعوام من ذلك التاريخ أُلحق غريفون بالرسالة الفرنسيسكانية في جبل لبنان. فسافر من اورشليم في خلال سنة ١٤٥٠ يصحبهُ الاخ فرنسيس من برشلونة الذي اقام مثلهُ اعوامًا طوالًا في الشرق وتضلَّع في اللغات الشرقية. وكان لهُ رفيقًا لم ينفصل عنهُ حتى الموت. وكانت بيروت في طريقهما وهي مفتاح لبنان ومركز رئيس الرسالة وقتئذٍ. ومن المرجح ان غريفون عند ورودهِ بيروت مكث بها مدةً واكثر من التردّد اليها فيما بعد ولا سيما حينما تقلّد وظيفة نائب الكرسي الرسولي

٤

وفي تلك الايام كانت بيروت مع الاسكندريَّة اهمّ الثغور الشرقية على البحر المتوسط

١) الدويهي (١٣٧) دعاهُ « طوريه » والصواب « طرويه Troia» بلدة في مملكة نابولي
٢) في تواريخ القرون المتوسطة اطلق هذا الاسم على الروم الملكيين في سورية

فخراب عكا وصور وطرابلس(١ وسقوط مملكة قبليقية كانا سبب عمرانها وصيرورتها مركز تجارة كل سورية . وكان مرفاها امينًا في غاية المناسبة والمدينة آهلة بعددٍ من السكان وافر قامت في موقع جميل تحفّ بها المزارع الخصيبة واشتهرت بجودة هوائها فجاءها التجار انتجاعًا للعافية واسباب الربح من دمشق وحلب وطرابلس وصور

وكان فيها لاهل قبرس عدد من الكنائس وخانات فسيحة وحمّامات . وكانت بضائع البندقية بقيت زمنًا لا تتمكن من دخول بيروت الّا تحت علَم آل لوزينيان اسياد قبرس(٢ ثم اخذت سفن البندقية وجنوة وفلورنسا وكتلونيا تردها باوقاتٍ معلومة . وكان لكلٍ من هذه الجمهوريات صاحبة التجارة فندق مع مستودعات ومخازن واصبح من ثمّ لحكومة البندقية قنصل يمثلها(٣

وكان المماليك الشراكسة الخاضعة لهم بيروت يبرهنون عن سداد رأي بتوفير اسباب التجارة وهي ينبوع الخيرات للبلاد السورية . وزادوا على ذلك انهم عينوا راتبًا سنويًا لقناصل اوربا . ولمّا استأذن تجار بيروت اللاتين في ترميم كنيسة المخلص(٤ لم تتردد الحكومة عن اجابة سؤلهم

وكان من مجموع تقادم التجار فريضة جعلت على مراكب الاوربيين الواردة للثغر تُنفق في سبيل الكنيسة ويقوم بخدمتها الفرنسيسكان القاطنون في الدير الملاصق لها(٥ وكان هؤلاء الرهبان يقومون ايضًا بضيافة الزوّار الوافدين بتواتر الى هذه المدينة في ذهابهم الى الاراضي المقدسة وفي ايابهم . والذين منهم يؤمّون دمشق لزيارة آثار مار بولس وصورة العذراء في صيدنايا وليس منهم من يغادر بيروت قبل ان يتفقد المكان الذي فيهِ قتل القديس جرجس التنين قرب النهر(٦

---

١) راجع ابن بطوطه I ١٢٩ و١٣٠ و١٣٧ الخ ; Röhricht 119

٢) تاريخ بيروت fol. 17ᵃ ٣) راجع ابن بطوطه I ١٣٣ و Heyd تاريخ تجارة الشرق (ترجمة فرنسية) II ٣٣٣ و ٤٢٣ و ٤٥٦ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٨٧ الخ

٤) كانت مشيدة على اثار البيت الذي حدثت فيهِ اعجوبة الصليب المعروفة (مروج الاخبار ٩ تشرين الثاني)

٥) في ١٤٧٣ كان في الدير ستة من الرهبان Röhricht 104 — وورد في رواية فلمنكية في القرن الخامس عشر انهُ كان « دير جميل كدير اورشليم » Conrady 163

٦) Conrady 162 etc. ; Röhricht 105, 447, 69, 41,522

وكانت بيروت في تلك الاعوام كما هي في عصرنا قبلة الشعوب الشرقيـة تختال في مينائها السفن العديدة والمراكب الحربية تحت حماية ابراج عظيمة قامت على الرصيف من الحجر الاصمّ (١ وفي اسواقها الضيّقة وطرقها الملتوية تزدحم الاقدام فمن اصحاب العمائم او الكفاف الحريرية ومن لابسي البرانس البيض او المضرّبات ومن مدجَّج بالاسلحة المنزَّل فيها من الذهب والفضة والنحاس اشكال النقوش وكم من تاجر غنيّ وامير خطـير يعثر بحمّالٍ وفقيرٍ. فيها التقت جميع الامم واللغات وتعارضت الالوان والاصوات من زنجيّ السودان الى الشركسي الابيض ومن الروميّ النزق الى البدويّ الذي لا تهزُّهُ ريح. ومن اليهوديّ المتلوّي الى الاسباني المتغطرس وقد اختلط بهم تجار البندقية وجنوة وبيزة. وعلى آثار هؤلاء مشى اهل كاستلونيا وبروفانس انتجاعًا لارباح التجارة في الشرق. ولا يمضي قرن بعد ذلك الّا تعترض مرسيليا في سبيل البندقية لتنازعها سيادة التجارة في البحر المتوسط

امّا غريفون فانهُ ما لبث ان تخلّى لاخوانهِ بدير المخلّص عن امر العناية ليهتمّ بنشر التعاليم المسيحية بين سكان بيروت المختلفي الاجناس وسلك مع رفيقه الاخ فرنسيس البرشلونيّ طريق لبنان (ستأتي البقية)

وزن قديم لمدينة بيروت

للدكتور جول روفيه احد اساتذة مكتبنا الطبّي (٢

قد حصلتُ مؤخرًا على وزن قديم من رصاص وجد في جوار بيروت فاودعتـهُ في جملة ما اقتنيتهُ من الآثار القديمة. فهذا الوزن قد بقي رغمًا عن قدمه على احسن هيئة لم تطمس الأيّام رسمهُ

فشكلهُ مربّع كما يأتي لكل جانبٍ منهُ ٤١ ملمترًا. وثقلهُ ٥٥ غرامًا و٨٠ سنتغرامًا وسمكهُ ٤ ملمترات. وفي وجههِ الاعلى تقوير مربّع ذو اطار جميل على جوانبه

١) ان بناء المرفأ الجديد ذهب ببقيّة آثار الرصيف وحصون بيروت القديمة

٢) قد نُشرت هذه المقالة مؤخرًا في اصلها الفرنسي بمجلّة المصكوكات. فاحببنا ترجمتها للعربية لمنفعة اهل بلادنا (ل ش)



وعلى وجه هذا الاثر ثلاثة اسطر مكتوبة باليونانية يتخلّلها صورة شوكة مثلّثة الاسنّة كما يلي :

L Δ — ΠΡ (سنة ١٨٤)
NIK — ΩΝΟΣ (نيقون)
ΑΓΟ — ΡΑΝΟ (ΜΟΥ). (الاغورانوم)

وبين السطر الاول والثاني على اليمين ترى حرف M دلالةً على انّ هذه المصكوكة من الاوزان وهو اوّل حرف كلمةٍ μέτρον (اي وزن)

فاذا قوبل هذا الوزن مع بعض اثقال تشبهه في المتحف الذي عُنيتُ بجمعهِ لا سيما الاثقال الرصاصية الموسومة باسم ارواد واللاذقيـة تجده قد حُفظ على تمامهِ لم يذهب منهُ سوى حلقةٍ في احد اطرافهِ

فوجود الشوكة المثلّثة الاسنة على هذا الوزن تسمح لنا بنسبتهِ الى بيروت بلا مراء. وهذا الرمز شعار لبيروت كثيرًا ما تجدهُ في نقودها امّا مفردًا واما مصحوبًا بدلفين ملتفّ على نصاب الشوكة المذكورة وذلك في النقود التي ضربتها البلدة وقت استقلالها قبل المسيح كما في المصكوكات التي ضربها بهذه العاصمة ملوك مصر اولًا ثمّ ملوك سورية بعدهم

ولعلّ معترضًا يقول انّ هذا الشعار موجودٌ ايضًا في نقود لاذقية كنعان لكنني قد بيّنت في تأليفٍ اصدرتهُ في السنة السابقة (١ ان بيروت ولاذقية كنعان اسمان لمسمًّى واحد. ويجدر هنا بالذكر انّ وزنًا آخر من اوزان بيروت محفوظًا في متحف المصكوكات في باريز يمثل هذه الشوكة المسننة الآنفة الذكر (٢ وعليها استند العلّامة اليـه دي هوتروش

١) راجع ملخَّصهُ في العدد ١٢٦٩ من البشير الصادر في ١٥ شباط من السنة الماضية

٢) F. Babelon et A. Blanchet; *Catalogue de Bronzes antiques de la Bibliothèque Nationale*, 1895, p. 685 N° 2250.

لمعرفة اول تاريخ بيروت فتحقّق ان بدءهُ في سنة ١٩٧ قبل المسيح

وربّما كان الشعار المنقوش على مثل هذه المصكوكات دليلًا على اصلها وهذا كثيرٌ على اوزان المدُن الفينيقيَّة من ذلك العهـد. مثال ذلك في بعض نقود ارواد الذي في مجموعي الخاص مرتحةٌ (صدر سفينة) مقدّمها مدوَّر ملتوٍ على شكل لولب. وكذلك في بعض نقود اللاذقية رأس خنزير برّي. وفي المصكوكات الكبيرة افادات أُخر كتلميح الى حالة البلدة وتاريخ سنة ضرب هذه النقود وتعيين وزنها واسم من تولّى حراستهـا. كما جاء على نقد اللاذقيّـة المنوَّه بهِ :

ΛΑΟΔΙΚΕ (ΙΑΣ)
ΤΗΣ ΙΕΡΑΣ ΚΑΙ
ΑΥΤΟΝΟΜΟΥ
ΕΤΟΥ
Α (ΠΣ, ٢٨١ سنة ?) ....
ΝΟΜΟΥ...ΟΣ.
ΠΟΛΕΜ-ΝΟΣ
ΗΜΙΜΝΑΙΟΝ.

لكنَّ هذه الاضافات ليس لها اثر على الوزن الذي نحن الآن في صددهِ. ولا حرج لانَّ حجمهُ صغير لا يتجاوز ٤١ ملمترًا كما سبق بخلاف وزن اللاذقيّة الذي يبلغ طولهُ ٧٥ ملمترًا في مثلها عرضًا

امّا تاريخ الوزن L ΔΠΡ اي سنة ١٨٤ فانما يُراد بهِ تاريخ السلوقيين (١ وكان اكثر انتشارًا ممَّا سواه في مدن فينيقيـة فالسنة المذكورة توافق لسنة ١٢٨ ق م وكان وقتئذٍ يملك معًا على انحاء سوريّة دمتريوس الثاني نيقانور وانتيوخس السابع اورغاتيس. وبين عهد هذا التاريخ وتاريخ الوزن البيروتي المحفوظ في باريس المرقوم سنة ١٦١ ثلاث وعشرون سنة فقط. غير انَّ وزننا هذا الجديد ينتج منهُ فائدة تاريخيـة عظيمة وهي ان مدينة بيروت كانت عادت الى عمرانها او الى قسم من حسن حالها القديم بعد ما اخربهـا تريفون سنة ١٤٠ ق م. وذلك عكسًا لما يزعمهُ البعض ان هذه المدينـة درست آثارها وبقيت خرابًا الى عهـد اوغسطوس قيصر. وكانوا يسندون زعمهم الى قول اسطرابون في كتابِ جغرافيتهِ الجزء السادس عشر عد ٢و٩. وقد فندنا سابقًا هذه المزاعم في مقالتنا عن

١) تاريخ السلوقيين هو تاريخ الاسكندر المعروف ايضًا بتاريخ اليونان يبتدئ سنـة ٣١٢ قبل المسيح

لاذقية كنعان. وهاك قد جاء الآن باكتشاف هذا الوزن دليل جديدة يؤيد قولنا ان تريفون لم يخرب البلدة كلها او انها عادت سريعًا الى قديم بهائها

امَّا ما يخصُّ اسم العامل المذكور على الوزن اعني NIKON (نيقون) فهو اسمٌ يونانيّ محض كما ترى. لكنَّ في تلقيبهِ بالاغورانوم NOMOY (ΑΓΟΡΑ) (١ ما يجدر بالملاحظة. وهو انَّ هذه الوظيفة التي احدثها السلوقيون وهمَّ بنشرها انتيوخوس الرابع المعروف بالشهير اخذت تنتشر في مدن فينيقية. وكانت رتبة الاغورانوم هذه تشبه رتبة الاديل (édile) عند الرومان ينظر اصحابها الاسواق ويراقبون معاملات الاهلين في بيعهم وشرائهم دفعًا للمظالم. وفي مجموع الكتابات اليونانية كثيرًا ما يأتي ذكرهم في الصكوك القديمة. وكان اكثر وجودهم في بلاد اليونان بيد اننا نراهم ايضًا في اقاليم اسيا كقبرس وازمير وانطاكية (٢

الوطنيَّة

(ردّ للاب لويس شيخو اليسوعي)

هو عنوان مقالة مسهبة وردت في جريدة حديثة النشأة مصريَّة تدعى تركيا (عد ٢٠) الحقها صاحبها بباب « خطرات افكار » وفيها يبحث عن امور شتى صدّرها توطئةً لغايتهِ بتعريف الوطنيَّة وتعلقها بالدين والعمران. والحقُّ يقال انهُ يستشفُّ من وراء هذه النبذة من لوائح الحبّ الوطني وشارات الاخلاص لدولتنا السنيَّة ما يستوجب كل ثناء طيّب على واشي بُردتها

بيد انَّنا لمحنا من معرض كلامهِ انهُ حفظهُ الله قليل التضلع بالاصول الفلسفية زهيد الخبرة في القياسات المنطقية فاتخذ لمقالتهِ ركنًا واهيًا و بناها على جُرف هارٍ والاولى ان يُقال انَّ مبادئهُ هذه تقوّض دعائم الوطنيَّة ولا نخالهُ فكّر في مثل هذه النتيجة الوخيمة. وعليهِ احببنا ان نبين لهُ ما في مقدَّمات قياسهِ من البطلان

قد قال اناره ُ الله بعد ان حدّ الوطنية حدًّا لا نضايقهُ الآن في اثبات صحتـهِ « ان الامم ترجع الى هذه الفضيلة (يريد الوطنيّة) فتؤثرها على الدين وتحبها اكثر منهُ (كذا) » ثمَّ شفع كلامهُ هذا بقولهِ « انَّ اتفاق المصلحة هي التي تجعل الوطنية بين الامم في اعلى

١) هي كلمة مركَّبة من لفظتين يونانيَّتين معناهما قاضي السُّوق

٢) راجع كتاب السياسة لارسطاطاليس الكتاب السادس الفصل الخامس العدد الثاني

منزلة » وبيانًا لذلك ضرب مثل الشعب الارلندي الذي مع نفورهِ من حكومة الانكليز في بلادهِ ونقمهِ عليها لا يزال يحارب معها وذلك احتفاظًا بمصلحة قومهِ وبلادهِ » فختم هذا البرهان بقولهِ: « فالوطنية . . . لا تزال توجد اينما كانت المصلحة متفقةً وانَّ الدين لا علاقة لهُ بها على الاطلاق بين سائر الامم التي عرفت الحريَّة والنور (كذا) . . . . »

فقبل ان نتصدَّى للردّ على هذين المبدأين الفاسدين اي انَّ الشعوب يؤثرون الوطنية على الدين وانَّ الدين لا علاقة لهُ مع الوطنية ليسمح لنا صاحب المقالة الاديب ان نلقي عليهِ بعض اسئلة نرجو افادة الجواب عنها فنكون لفضلهِ من الشاكرين

اولًا قد قلت في تعريفك للوطنية « هي ان يحبَّ الانسان حكومتهُ وامَّتهُ . . »
ثمَّ اطنبت في مدح وطنيَّة الشعب الارلندي الذي لايزال « ناقمًا على حكومتهِ في بلاده وشكواهُ منها تكاد تبلغ عنان السماء » أفليس في هذه الاقاويل شيء من المناقضة ؟

ثانيًا ان كانت الوطنيَّة كما زعمت قائمة باتفاق المصلحة فما قولك عن امةٍ او امم يتفقون على امرٍ او يتعاضدون في حرب تجرُّ عليهم نفعًا لكنها تأتي على غيرهم بالشرّ الوبيل وذلك ليس للمدافعة عن بعض الحقوق او لرتق بعض الفتوق بل استطالةً على الضعيف او طمعًا في بلادهِ كما يفعل بعض الدول في زماننا أفنعدُّ هذا الاتفاق في المصلحة وطنيّةً او لا تراهُ بالحري ظلمًا محضًا يأتي بالوبال على اصحابهِ ويعود على اوطانهم بالخراب ؟

ثالثًا اذا كانت الوطنية هي كما قدَّمت « مبعث الحريَّة والاستقلال » أفلا تخشى ان تثير بذلك روح الثورة والعصيان فتهدم ركن الوطنية . ما قولك مثلًا في الشعب الارلندي لو حاول حرصًا على « حريّتهِ واستقلالهِ » ان ينشر راية التمرُّد على حكومة الانكليز لاسيَّما ومصلحتهُ الخاصة في بلدهِ (وقد سلَّمت بذلك) تناقض مصلحة الحكومة السائدة عليهِ

هذه اسئلةٌ خطرت على بالنا في وقت مطالعتنا للمقالة السابق ذكرها . ولكنَّ غايتنا من كتابة هذه الاسطر ان نبين لصاحبها ولجميع قرّائهِ ما من الفساد في المبدأين الذين صرَّح بهما وجعلهما كاساسٍ لمقالتهِ

فالمبدأُ الاوَّل « ان الشعوب يؤثرون حبَّ الوطن على دينهم » فكيف يا ترى يُقنع كاتبٌ اديبٌ قرّاءهُ بهذا المبدإِ ؟ أيثبتهُ عقلًا او نقلًا ؟

فان قال انَّ العقل يقضي بذلك اجبنا انَّ العقل يحكم على خلاف زعمهِ بطريقة البرهان الصحيح انَّ للانسان خالقًا هو الباري تعالى عزَّ وجلَّ وانَّ على المخلوق قبل كل

شيء اداء فروض العبادة والخدمة لعلّة وجوده كان لهُ وطن او لم يكن. قال الغزّالي في صدر كتابهِ « ايها الولد »: ان الله خلقك لتسعى في خدمتهِ فتعبدهُ وتمجدهُ وتسجد لهُ في الغدوّ والآصال » وقال لبيد: ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلُ

فالعقل اذًا يشهد بفضل الدين على الوطن. ولا حاجة للاطناب في هذا الموضوع وظهورهُ اضوأ من النور

وان رأى صاحب المقالة انَّ ايثار الشعوب لوطنهم على دينهم انَّما يؤيدهُ النقل فالامل من جنابهِ ان يذكر لنا اسم بعض هؤلاء الشعوب بل حسبنا ذكر أُمَّة واحدة. أفيجهل اصلحهُ الله ان تواريخ الامم على اطلاقها تنقض صريحًا قولهُ وتشهد بفساده. وذلك بين عبدة الاوثان وبين القبائل المتسكعة في ظلام الجاهليَّة والهَمَجيَّة فضلًا عن الشعوب التي زانها التمدُّن. فكلّهم دون استثناء يفضلون دينهم على دنياهم. ولا احد ينكر ان الوطن من امور الدنيا فيؤثرون اذًا دينهم على وطنهم. وان كانوا لا يجهلون ان لقيصر حقوقًا يجب تأديتها فانَّهم يعلمون ايضًا ان لمعبودهم حقوقًا اسمى واشرف ينبغي عليهم تقديمها على ما سواها. قال ابن مسكويه في تهذيب الاخلاق (ص ٦٨): ان كان قد فرض على الرعية باخلاص الدعاء وجميل الشكر وبذل الطاعة للملك الفاضل فكم بالحري ان يكون لملك الملوك الذي يجود علينا في كل طرفة عين بضروب احسانهِ الفائض على اجسامنا ونفوسنا ». فبطل اذًا زعم صاحب المقالة ان الشعوب يؤثرون حب الوطن على دينهم. والصواب انَّ الرتبة العليا هي للدين ومن بعدهِ حبُّ الوطن

فلنأتينَّ الآن الى المبدإ الثاني الذي استند اليهِ صاحب المقالة وهو انهُ لا علاقة بين الدين والوطن فنقول انَّهُ لمن عجيب الامور انَّ هذا المبدأ قد استنتجهُ جنابهُ من مبدئهِ الاوَّل. أفلا يرى انَّ النتيجة غير متضمنة في المقدَّمات. فلو قلتُ مثلًا « انَّ زيدًا يحبُّ اباهُ اكثر من عمهِ » ثم انتجتُ من ذلك فاذن لا علاقة بين ابي زيد وعمهِ » لَاستغربتَ ضحكًا مني. لان الكل يعلمون انهُ لا علاقة بين القضيَّتين. فهكذا لا يسوغ ان اقول ان لا علاقة بين الدين والوطن ولو افترض اني بينت ان الشعوب تؤثر الوطن على الدين

بيد انَّ لهذا المبدإ الثاني فساد خاصّ بهِ. وليس في دحضهِ كبير امرٍ فنقول انَّ الوطنيَّة لا تقوم دون الهيئة الاجتماعية وقوام الهيئة الاجتماعية انما هو بالسلطان ولا سلطان الَّا من الله (رسالة القديس بولس الى اهل رومية ١٣: ١) فالوطنية اذًا لها علاقة كبيرة

مع الدين اذ لولاهُ لانتقضت حبال السلطة وتضعضعت اركان الهيئة الاجتماعية

وزد على ذلك انَّ الوطنية تحكم على المرء (كما اصبت في بيانك ذلك) « ان يبذل مهجتهُ وقواه كلها في هذا الحبّ بحيث ينكر ذاته لاجل وطنهِ مجاهدًا في سبيل اعلائهِ وترقيتهِ » والحالة هذه لا يمكن للمرء ان يبذل نفسهُ دون وطنهِ ويضحّي مصالحهُ الخاصة على مذبح الوطن في سبيل الخير العام الّا اذا كان متشرّبًا من روح الدين. لانَّ الدين وحدهُ مع ما يعرضهُ على الانسان من الثواب عند عمل الخير ومن العقاب عند فعل الشرّ يستطيع ان يبعث همّة الانسان فيحملهُ على ايثار خير وطنهِ على منفعتهِ الشخصية. ولذلك قد قيل انَّ حبَّ الوطن من الايمان لانَّ الدين مصدر حبّ الوطن وهو باعثهُ ومقوّي دعائمهِ

ولم تفت ايضًا هذه العلاقة الحكماء الاقدمين فاوضحوها في تآليفهم ايضاحًا حسنًا وقد اختصر قولهم ابن مسكويه السابق ذكرهُ اذ قال: « انَّ الملك حارس الدين. وقد قال حكيم الفرس وملكهم ازدشير: انَّ الدين والملك توأمان لا يتمُّ احدهما الّا بالآخر. فالدين اسٌّ والملك حارس وما لا اسَّ لهُ فمهدوم وكلُّ ما لا حارس لهُ فضائع »

فلو تأمل صاحب مقالة الوطنية هذه الكلمة الجميلة لأدرك ما ذكر كثير من المؤرخين من الملوك الاقدمين كيف انَّهم لمَّا رأوا انَّ الملك لا قوَّة لهُ دون الديانة اضافوا الى سلطتهم المدنية السلطة الدينية وربَّما تقلَّدوا السلطة الكهنوتيــة بل اجترأُوا في بعض البلاد فاوجبوا على رعيتهم ان يعبدوهم كآلهة متأنسة. ولو لم يرسخ في اذهان الناس ما يوجد من الارتباط بين الملك والدين لما اذعنوا مطلقًا لجموح ملوكهم ورغائبهم السيئة

فيا ليت الامم وذوي الامر لم يختبروا مرارًا بانفسهم ما في التغاضي عن هذا المبدإِ من سوء العقبى. فان الثورات المتواترة التي كدَّرت في ايامنا صفاء عيش الملوك وكادت تدكُّ بناء الهيئة الاجتماعية انْ مصدرها الّا من انفصال الوطنية عن الديانة

وامَّا الشاهد الذي اتى بهِ صاحب المقالة لتأييد زعمهِ وهو انَّ الارلنديّ يحارب شريفًا ويموت بطلًا مشكورًا على وطنيته رغمًا عمَّا يتحمّلهُ من المشقة من حكومة الانكليز فذلك يثبتُ مقالنا وينقض قول الخصم لان الدين يفرض على الوطنيّ ان يجاهد في سبيل بلدهِ ويسفك دمهُ للدفاع عن حقوقهِ وكل مرَّة يتقدم الملك اليهِ بامرٍ فالطاعة على المرؤُوس واجبة والتردُّد ذنب والامتناع اثمٌ اللهمَّ الّا ان يأمر شيئًا منافيًا لارادتهِ تعالى عزَّ وجلّ فالموت حينئذٍ اولى من الطاعة لان الله احقُّ من الناس بان يطاع (اعمال ٥ : ٢٩)

هذا والدلائل التاريخية على اثبات ما سبق اكثر من ان تُعدّ نقتصر بذكر خطب القوّاد في الحروب لجنودهم فانهم لا يجدون باعثًا اقوى لحمل مرؤوسيهم على ان يبلوا البلاء الحسن في حومة القتال من ان يثيروا في قلوبهم ما كمن فيها من احساسات التدين والخضوع لاوامر الله لعلمهم ما بين الدين والوطنية من وثيق العرى والعلائق الغير المنفصمة

وفي الختام نأمل انَّ صاحب المقالة لا يؤاخذنا في تخطئتنا هذه فاننا لم نُرد بقولنا السابق ان نسوءهُ بشيء لا سيما وقد تلطف بالثناء الحسن على مصنفات مطبعتنا في هذا العدد نفسهِ من جريدتهِ لكننا اضطررنا ان نفند بعض اقوالهِ الغير السديدة خشيةَ ان تكون عثرةً للقرّاء . وحسبنا عذرًا ان نقول لهُ ما قالهُ ارسطو لمن استغرب مخالفتهُ لاستاذهِ افلاطون : ان الاستاذ صديقي والحقُّ صديقي ايضًا لكنَّ الحقَّ احبُّ اليَّ من الاستاذ

كتاب الدارات

للاصمعيّ

(سعى بنشرهِ وجمع رواياتهِ الدكتور اوغست هَفْنر)

هذا الكتاب عبارة عن ثلاث صفحات جمع فيها الاصمعيّ ابياتًا لبعض قدماء الشعراء يذكرون بها دارات العرب . وهذه المقالة مع قصرها مفيدة لمعرفة جزيرة العرب لاسيّما وقد فات الجغرافيين الكبار كياقوت والبكري وغيرهما ذكر شيء منها . هذا فضلًا عن انَّ قِدَم المقالة وشهرة مؤلفها من اقوى الدواعي لنشرها لئلا تأخذ يدُ الضياع هذا الاثر الجليل

امَّا النسخة الاصلية التي نُقلت عنها هذه الطرفة فهي مصونة في الكتبخانة الخديوية في مصر استنسخها لنفسهِ العلّامة رودلف غاير (١ ثمَّ نقلها عن هذه النسخة وجمع رواياتها الدكتور اوغست هفنر من علماء فينَّا وهو الآن نزيل مدرستنا في بيروت فتكرّم علينا بها لننشرها بالطبع . وهذه المقالة في جملة عدَّة مقالات ادبية ولغويَّة تجدها في المجموع

١) وهو الذي سعى بنشر كتاب آخر للاصمعي وجدهُ في خزانة كتب فينَّا اعني كتاب الوحوش طُبع سنة ١٨٨٨

١٦٦ من قسم المجاميع في المكتبة الخديوية (راجع القسم السابع من فهرست هذه الكتبخانة الخديويّة الصفحة ٦٥١) . وفي المجموع نفسهِ كتابان آخران للاصمعيّ احدهما هو كتاب الشاء قد طبعهُ الدكتور هفنر الآنف ذكرهُ (١ والثاني كتاب النبات والشجر وسنطبعهُ في هذه المجلّة ان شاءَ الله عمّا قريب

وقد احببنا دفعاً للالتباس ضبط الابيات بالشكل الكامل والاصل خلوٌ منهُ. ثم اضفنا عليهِ بعض تعليقات تعميماً للفائدة ل. ش.

كتاب الدَّارات

عن ابي سعيد عبد الملك بن قُرَيب الاصمعيّ (٢

رواية ابي حاتم سهل بن محمَّد السِّجِستاني (٣

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال ابو حاتم سَهْل بن محمَّد السِّجستانيّ : حدَّثنا ابو سعيد عبد الملك بن قُرَيب الاصمعيّ قال : داراتُ العرب المعروفة في بلدانهم واشعارهم ستّ عشرة دارة (٤ . والدَّارة ما اتَّسع من الارض واحاطت بهِ الجبال غَلُظَ او سهُل يُقال دار ودارة وادوُر

١) وقد عُني الدكتور نفسهُ بنشر كتاب الخيل للاصمعيّ عن نسخة موجودة في الاستانة العلية

٢) ولد الاصمعيّ على الرأي الارجح سنة ١٢٢ ﻫ (٧٤٠ م) وتوفي بالبصرة سنة ٢١٦ ﻫ ٨٣١ م) راجع ترجمتهُ في كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان في باب العين (عبد الملك)

٣) كان من مشاهير اللغويين توفي سنة ٢٥٠ (٨٦٤ م) راجع ترجمتهُ في كتاب ابن خلكان في باب السين (سهل)

٤) قد ذكر ابن دريد اثنتي عشرة دارة لم يزد عليهنَّ . واماَّ ياقوت فقد ذكر في معجم البلدان (٢ : ٥٢٦) نيفاً وستين دارة استخرجها من كتب العلماء واشعار العرب وافواه المشايخ الثقات اوردنا اسماءها في آخر هذه المقالة . قال ياقوت : « لم ارَ احداً من الائمة القدماء زاد على عشرين دارة الَّا ما كان من ابي الحسين بن فارس فانهُ افرد لهُ كتاباً فذكر نحو الاربعين فزدتُ انا عليهِ بحول الله وقوّتهِ » . ولم يذكر ياقوت هذا كتاب الدارات للاصمعيّ لعلَّهُ لم يعرفهُ

ودارات (١ فمن ذلك (دَارَةَ وَشْجَى) (٢ وانشد (طويل) :

وَلَسْتُ بِنَاسٍ مَوْقِفًا اِنْ وَقَفْتُهُ بِدَارَةِ وَشْجَى مَا عَمِرْتُ سَلِيمَا

(ودَارَةَ جُلْجُلٍ) قال امرؤُ القيس (طويل) :

اَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ وَلَا سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ (٣

---

١) جاءَ في معجم البلدان لياقوت الحموي (٢ : ٥٢٦) : الدارة في اصل الكلام هي جَوْبة بين جبال في حَزْن كان ذلك او سهل . قال ابو منصور حكايةً عن الاصمعي : الدارة رملٌ مستدير في وسطهِ فَجْوَة وهي الدَّوْرَة وتُجمع الدارةُ داراتٍ . وجاءَ في معجم ما استعجم للبكري (٣٣٥) : قال ابو حاتم عن الاصمعي : الدارة جوبةٌ تحفُّها الجبالُ والجمع دارات . وقال عنهُ في موضع آخر : الدارة رمل مستدير قَدْر مِيلَين تحفُّـهُ الجبال . (قال) وقال لي جعفر بن سليمان : اذا رأيتُ دارات الحِمى ذكَّرَت الجنَّةَ رمالٌ كافوريَّة . وقال ابو حنيفـة : الدارة لا تـكون الَّا في بطون الرمل المنبتة فان كانت في الرمال فهي الدَّيِّرَة والجمع الدَّيِّر . وروى ياقوت عن ابن الاعرابيّ ان الدَّيِّرَ الداراتُ في الرمل

٢) كذا في الاصل بفتح آخر دارة على انهُ عَلَم مَزْجيّ والأرجح : دارةُ على انهُ علم اضافيّ . ودارة وشجى جاءَ عنها في ياقوت (٢ : ٥٢٤) : دارة وَشجى بفتح الواو وقد تضمُّ . قال مرَّار :

حيِّ المنازلَ هل من اهلها خبرُ بدور وَشجى سَقَى داراتِها المَطَرُ

وقال سماعة او هُذَيل ابنهُ :

لَعمرُكَ اني يوم اسفل عاقلٍ ودارةِ وَشجِيِّ الهَوَى لَتَبُوعُ

(كذا في ياقوت ولعلَّ الصواب : « ودارة وشجَى لِلْهَوى لَتَبُوعُ ») . قال في تاج العروس (٢ : ١١٢) : وَشْجَى على سَكْرَى ركيٌّ معروف . امَّا البكريّ فقـد رواها (ص ٣٢٧ و ٧٦٥ و٨٠٣ و ٨٤٧) : وَشْحَى بالحاء . ورواها ايضًا شَجيً وشَجىً . قال (٣٢٧) : دارة شَجىً هكذا ذكرهُ ابن دُرَيد . وقال كُراع : دارة وَشْحَى بالحاء المهملة . . . (قال) ورأيتُ بخط ابن اسحاق دارة شَجىً . فلستُ ادري أهي هذه ام أُخرى . (قال البكري) : قلتُ المواضع الثلث صِحـاح معروفة : شَجيً ووَشْحَى وشَجىً بالجيم . وقال في محلّ آخر (٧٦٥ و ٨٠٣ و ٧٤٧) : وَشْحَى بالحاء المهملة ركيٌّ معروفة قال الراجز :

صَبَّحْنَ من وَشْحَى قَليبًا سُكَّا يَطْمِي اذا الوردُ عليهِ اْلتَكَّا

امَّا (شَحَى) فقال عنها (٨٠٣) انها ماءَة لبعض العرب

٣) هذا البيت ورد في معلَّقة امرئ القيس . قال التبريزيّ في تفسيره (شرح المعلَّقات ص ٧ ed. Lyall) : قال هشام بن الكلبي . دارة جُلْجُل عند غَمْر كِنْدَةَ . وقال الاصمعيّ وابو عُبَيْدَة : دارة جُلجُل في الحِمَى . وجاء في مُعْجَم البكري (ص ٢٤١) : عند عين كِندة . وفيهِ عن

(ودَارَةُ رَفْرَف) (١ وانشد (طويل) :

فَقُلْتُ عِـدِي قَالَتْ اِذَا ٱللَّيلُ جَنَّنَا فَمَوْعِـدُنَا اَقْوَازُ دَارَةِ رَفْرَفِ

(ودَارَةُ مَكْمَن) (٢ وانشد (طويل) :

سَقَى ٱلْغَيْثُ وَٱنْجَرَّتْ هَيَادِبُ مُزْنِهِ عَلَى مَلْعَبِ ٱللَّذَّاتِ دَارَةِ مَكْمَنِ

(ودَارَةُ قَطْقَطٍ) (٣ وانشد (وافر) :

فَلَوْ رَاتِ ٱلْمَلِيحَةُ وَقْعَ سَيْفِي وَقَدْ حَشَدَتْ زَرَافَاتُ السَّكُونِ (٤

أبي عبيدة : دارة جُلْجُل موضع بديار كندة . وجاء في معجم البلدان (٢ : ٦٢٨) عن ابي دريد : دارة جُلْجُل بين شُعْبى وبين حَسَلات وبين وادي المياه وبين البرَدان . وهي دار الضِّباب ممَّا يواجه نخيل بني فَزَارة . وفي كتاب جزيرة العرب للاصمعيّ : دارة جُلْجُل من منازل حُجْر الكندي بنجد . وفي شرح ديوان امرئ القيس للوزير ابي بكر بن عاصم (طبعة مصر سنة ١٣٠٧ ص ٢٠) : دارة جُلْجُل موضع بالحسي لهُ فيـهِ حديث معروف (اه) . ويوم دارة جُلْجُل من ايَّام العرب المشهورة

١) قال صاحب مُعجَم البلدان (٢ : ٥٢١) : قال ثعلب : رواية ابن الاعرابيّ رُفرُف بالضمّ (اه) . وفي معجم البكريّ (٣٣٧) انما رواية كُرَاع ايضاً وجاء في شعر الراعي :

رأى ما رَاَتهُ (ويروى راَه) يومَ دارة رَفْرَفِ لِتَصْرَعَهُ يوماً هُنَيْدَةُ مَصْرَعَا

قال الزمخشري في كتاب انساب الجبال والمياه (ص ٦٢ ed. Juynboll) : دارة رفرف في ارض بني نُمَير (اه) . وللرَّفْرَف في اللُّغة عدَّة معان . معناها الفُرش والبُسط وقيـل المجالس ورياض الجنَّة والرَّوْشن وكسر الخباء وغير ذلك (راجع معجم ياقوت في المحل المذكور آنفًا)

٢) وروى ياقوت (٢ : ٥٢٤) : مكمِن بكسر الميم الثانية . (قال) دارة مَكْمِن في بلاد قيس. قال الراعي :

عرفتُ بهـا منـازل آل حُبَّى فكم تُمْلِكَ من الطَّرَبِ العيونا (طَرَبٍ عيونا)

بدارة مَكْمَـنٍ ساقت اليهـا رياحُ الصَّيف آرَامًا وعينـا

قال البَكري (ص ٣٣٧) وذكرهُ صاعد : دارةَ مُكْمِن بضمّ اولى الميمين وكسر الثانيـة . وذكرهُ كُرَاع مُكْمَن بضمّ الاولى وفتح الثانيـة . وجاء في مراصد الاطلاع (٣ : ١٢٨ ed. Juynboll) : مَكْمِن ماء غربيّ المغيثة والعَقَبَة على سبعة اميال من اليَحْمُوم واليَحْمُوم على ستَّة اميال من السَنْديَّة وهو ماء عَذْب . ودارة مَكْمِن في بلاد قيس

٣) وفي مُعجَم ما استَعجَم (٣٣٦) : دارة قِطْقِط بقافين مكسورتين . ورواهُ صاعد بضمّ القافين : قُطْقُط . وكذا ورد في لسان العرب (٩ : ٢٥٩) عن كُرَاع . امَّا ياقوت فلم يذكر دارة قَطْقَط

٤) بنو السَّكُون بطن من كندة . وقولهُ « حشدت زرافاتها » اذا اجتمعت وتألَّبت . والزرافات الجُمُوع

بِدَارَةِ قَطْقَطٍ لَرَاتْ ضِرَابًا يُؤَلِّفُ بينَ اَسْبَابِ ٱلْمَنُونِ

(ودارةُ خَنْزَرٍ) (١ وانشد (طويل) :

فَلَوْ اَبْصَرَتْنِي يومَ دَارَةِ خَنْزَرٍ رَاتْ اَنْفُسَ ٱلْاَعْدَاءِ طَوْعَ بَنَانِي

(ودارَةُ الذِّئْبِ) (٢ وانشد (رجز) :

فَلَوْ رَاتْ [ثَمَّ]٣ ٱلسِّقَاءَ ٱلْمَضْبُوبْ بِحَوْمَةِ ٱلْحَرْبِ بِدَارَةِ ٱلذِّيبْ
تَعَجَّبَتْ وَٱلدَّهْرُ ذُو اَعَاجِيبْ

ودَارَةُ الجُمُدِ) (٤ وأنشد (من المنسرح) :

مَا اَنْسَ لَا اَنْسَ ثَمَّ مَوْقِفَنَا يَوْمَ ٱلْتَقَيْنَا بِدَارَةِ ٱلْجُمُدِ

١) قال البكري (٣١٩) : خَنْزَر موضع يُنْسَب اليهِ دارة خَنْزَر. وهو محدَّد في رسم دَمْخ (في النَّجْد) . وقد ذكرها النابغة الجعديّ في شعرهِ قال :

اَلَمَّ خَيَالٌ من أُمَيْمَةَ مَوْهِنًا طَرُوقًا وأصْحابي بِدَارَةِ خَنْزَرِ

وقال الحطيئة :

انَّ الرزيَّة لا آبا لكَ هالكٌ بين الدماخ وبينَ دارةِ خَنْزَر

وروى ياقوت (٢ : ٥٢٩) دارة خِنْزَر بكسر الاوَّل وفتحهِ . . . قال ورواهُ ثَعْلَب : دارة مَنْزِر (كذا) وقال العُجَيْر :

ويوم أدْرَكْنا يوم دارة خَنْزَرٍ وحمَّتْها ضربٌ رحابٌ مَسايِرُهْ

وجاءَ في مراصد الاطلاع عن السُّكَّريّ (١ : ٣٦٩) : خَنْزَر موضع وقيل هَضْبَة في ديار بني كلاب . وقد جمع الزمخشري في كتاب انساب الجبال والمياه (ص ٥٩) بين دارة الخَنْزَرَين ودارة الخَنْزَر فجعلهما اسمين لمسمىً واحد واستشهد بيت الحطيئة . امَّا ياقوت (٢ : ٥٢٩) فقد فرق بينهما ثمَّ قال : دارة الخنزَرَين من مياه حَمَل بن الضباب في الأرطاة . (قال) وربَّمَا قالوا في الشعر : دارة الخنزر ٢) قال ياقوت (٢ : ٥٢٠) : هي بنَجْد في ديار بني كلاب . وكذا ورد في المراصد (١ : ٤٥١) . وذكرها البكريّ (٣٣٨) ولم يعيّن موقعها

٣) قد سقطت (ثمَّ) من الاصل فاثبتناها بين معكَّفَين

٤) ورد في معجم البلدان (٢ : ٥٢٨) : قال الفَرَّاء الجِماد الحجارة واحدها جُمْد . قال عُمارة :

آلا يا ديار الحيّ من دارة الجُمْد سَلِمْتُ (سَلِمْتِ) على ما كان من قِدم العَهْدِ

قال البكري (٣٣٨) : دارةُ الجُمُدُ بضمّ الجيم والميم وهو جبل . . . ورواهُ صاعد بفتح الجيم والميم . وقال في محل آخر : الجُمُد بضمّ اوَّلهِ وثانيهِ هكذا ذكرَهُ سيبويهِ ويخفّف . . . ذُكِر في رسم الثَّمَد وفَيْحان ورواوة وهو جبل تِلقاء اَسْنُمَة قال النُّصَيْب :

(ودَارَةُ الكَوْرِ) (١ وانشد (طويل) :

صَحِبْنَاهُمُ يَوْمًا كَأَنَّ سَمَاءَهُ عَلَى دَارَةِ الْكَوْرِ الْبِسَتْ لَوْنَ عِظَامِ

(ودَارَةُ صُلْصُلٍ) (٢ قال جرير (وافر) :

إِذَا مَا حَلَّ اَهْلُكِ يَا سُلَيْمَى بِدَارَةِ صُلْصُلٍ شَحَطُوا مِرَارَا

(ودَارَةُ الخَرْجِ) (٣ وانشد (طويل) :

وَآخِرُ عَهْدِي بِالظَّعَائِنِ اِنَّمَا عَلَى دَارَةِ الْخَرْجِ اسْتَفَدْنَا التَّلَاقِيَا

وعن شمائلهم أنقاءُ أسْنُمَةٍ وعن يمينهمُ الانقاءُ والجُمُدُ

وقال اميَّة ابن ابي الصَّلْت :

وقَبْلَنَا سَبَّحَ الجُوديُّ والجُمُدُ

١) كذا رواهُ ياقوت (٢ : ٥٢٣) بفتح الكاف واستشهد ببيتَي الراعي :

خُبِّرْتُ أَنَّ الفتى مَرْوانَ يُوعِدُني فأَسْتَبْقِ بعضَ وعيدي أيُّها الرجلُ

وفي تَدُومَ اذا اغبرَّت مناكبُهُ او دارَةِ الكَوْرِ عن مَرْوانَ مُعْتَزَلُ

(قال) رواهُ ابن الاعرابيّ بفتح الكاف وغيرهُ بضمّها. قال البكريّ (٣٢٧) : دارةُ الكُور هكذا رُوي عن ابن حبيب بضمّ الكاف. وأقرأهُ صاعدٌ بفتحها. والكُور والكَوْر موضعان معروفان المضموم اوَّلهُ بناحية ضَرِيَّة والمفتوح اوَّلهُ بناحية نَجْران . . قال سُوَيْد بن كُرَاع :

ودارة الكور كانت من محلّتنا بحيثُ نَاصَى أُنوفُ الأَخْرَمِ الجَرَدَا

وقال صاحب مراصد الاطّلاع (٢ : ٥٢٠) : كَوْر جَبَل بين اليمامة ومكّة لبني عامر ثمَّ لبني سَلُول منهم . والكَوْر ايضًا جبل بنَجْران . وكُور باسم كُور الحدّاد يقال كُور وكُوَيْر وهما جبلان معروفان

٢) قال ياقوت (٢ : ٥٢٢) : دارة صلْصُل لعمرو بن كلاب وهي باعلى دارها . وزاد في المراصد (٢ : ١٦٥) : انها بنجد وهي ماء في جوف هضبة حمراء . وبيت جرير رواهُ ياقوت والبكريّ : شحطوا المَزارا . واستشهدا بابيات اخر ذُكرت بها دارةُ صُلْصل . وصُلْصُل اسم لمواضع اشهرها مكان بنواحي المدينة على سبعة اميال منها

٣) ورد في معجم البلدان (٢ : ٥٢٩) : الخَرْج خلاف الدَّخْل وهو لغة في الخراج . . . قال المخبَّل :

مُحَبَّسةٌ في دارة الخَرْج لم تَذُقْ بلالاً ولم يُسْمَحْ لها بنجيلِ

وفي مُعْجَم البكريّ (٣٠٩) : انَّ الخَرْج قرية من قُرى اليمامة . وفي مراصد الاطلاع (١ : ٣٤٦) : أنهُ وادٍ فيهِ قرًى من ارض اليمامة . قال ياقوت (٢ : ٤١٩) : هو لبني قيس بن ثعلبة في طريق مكّة من البصرة

وَلَوْ أَبْصَرَتْنِي يَوْمَ وَلَّتْ حُمُولُهُمْ وَأَبْقَوْا بِقَلْبِي حَسْرَةً هِيَ مَاهِيَا (١

(ودَارَةُ مأْسَلٍ) (٢ وانشد (كامل) :

فَسَقَى الرَّبِيعُ وكُلُّ جَوْدٍ مُسْبِلٍ دِمَنًا عَفَوْنَ لَهَا بِدَارَةِ مَأْسَلِ

(ودَارَةُ رَهْبَى) (٣ وانشد (طويل) :

فَوَلَّتْ جُمُوعُ الْحَارِثِيِّينَ غُدْوَةً وَهُمْ يَحْسَبُونَ الْوَعْرَ مِنْ خَوْفِنَا سَهْلَا
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي يَوْمَ دَارَتْ رَحَاهُمُ بِدَارَةِ رَهْبَى لَا جَبَانًا وَلَا وَغْلَا

(ودَارَةُ الجَأْبِ) (٤ وانشد (منسرح) :

قُدْنَا لَهُمْ جَحْفَلًا أَسِنَّتُهُ تَلْمَعُ بَيْنَ الصُّفُوفِ كَالشُّهُبِ
بِدَارَةِ الْجَأْبِ وَالْمَنُونُ بِنَا يَدُورُ دَوْرَ الرَّحَا عَلَى الْقُطُبِ

---

١) وجواب الشرط في البيت التالي او مقدَّر. والمعنى لو ابصَرتني يوم الفراق لرأَت ما اصابني من اللَّوعة والحزن

٢) قال ياقوت (٢ : ٥٣٣) : دارة مأسل في ديار بني عُقَيل. ومأسل نخل وماء لعُقَيْل. وقال في محل آخر (٤ : ٣٩٥) : انَّ مأْسل اسم رملة وقيل ماء في ديار بني عُقَيل. . ومأْسل اسم جبل في شعر لبيد. قال البكريّ (٥٠٠) : هو موضع في ديار ضَبَّة تُنْسَب اليهِ دارةُ مأسل. وقال في محلّ آخر (٣٣٦) : وكانت بمأْسل حربٌ لبني ضَبَّة على بني كلاب قُتِل فيهِ شُتَير بن خالد بن نُفَيل الكلابي فهو يوم مأسل . وقد ذكر ابن عبد ربهِ هذا اليوم في جملة ايَّام العرب (٣ : ٨٢) وقال انَّهُ لتميم على قيس قُتِل بهِ شُتَير الكلابيّ قتلهُ ضرار الضبيّ وكان عُتْبة بن شتير قتل لهُ ابنًا يدعى حصينًا فاغار ضرار على بني عمرو بن كلاب فاصاب منهم سبيًا ومالاً وافلت منهُ عُتبة فاسر اباهُ شتَيرًا وقتلهُ بابنهِ. قال عمرو بن لجا يخاطب جريرًا :

لا تَهْجُ ضَبَّةَ يا جريرُ فانَّهم قَتَلُوا من الروساء مَن لم يُقتَلِ
قتلوا شتَيْرًا بابن غولٍ وابنَهُ وابنَيْ هُشَيمٍ يومَ دارَةِ مَأْسَلِ

٣) ذكرها البكري قال (٣٢٨ و٥٢٦) : انَّها موضع في ديار بني تميم. قال عُمارة بن عقيل هي خبراء في اعالي الصمَّان لبني سعد. واستشهد البكري وياقوت بابياتٍ ورد فيها ذكر رَهْبَى ودارة رَهبى وكلاهما واحد

٤) اورد البكري رسمها في ذكر تُوضَح (ص ٢٠٦ و ٢٠٧) قال : انَّها في ديار تيم بين المَغرَة الحمراء وعَقَدة الجبل (راجع ايضًا ياقوت ٢ : ١) : وذكرها جرير في شعره مرارًا قال :

ما حاجةٌ لك في الظُّعنِ التي بكرت من دارةِ الجأب كالنَّخْلِ الموافيرِ

(ودَارَةُ القَلْتَيْنِ) (١ وانشد (كامل) :

كَانَتْ مَشارِقُ مَأْسَلٍ دِمَنًا فتعاقَبَتْـهُ سُيُولُهُ حتى عفا

وَبِدَارَةِ ٱلْقَلْتَينِ مِنها مَلْعَبٌ دَرجتْ عَلَيْهِ ٱلرِّيحُ حَتَّى ما يُرَى

(وَدَارَةُ يَمْعُوز) (٢ وانشد (طويل) :

قَتَلْنَا ٱلسُّوَيْدِيَّ بْنَ جَوْن(٣ وَقَبْلَهَا قَدِيمًا اَتَانَا مِنْ غَنِيٍّ بِجُرْمُوزِ

غُلَامَيْ حُرُوبٍ مِنكُمَا قَدْ تَبَايَعَا بِأَسْيَافِنَا اَيَّامَ دَارَةِ يَمْعُوزِ

تمّ كتاب الدارات والحمد لله اوّلًا وآخرًا . وهو عن ابي سعيد الاصمعيّ رواية ابي حاتم السِجِسْتانيّ

ومن غير كتاب ابي سعيد (دَارَةُ مَوْضُوعٍ) (٤ قال الحُصَيْن بن الحُمام المُرّيّ :

جَزَى ٱللهُ اَفْنَاءَ ٱلْعَشِيرَةِ كُلِّهَا بِدَارَةِ مَوْضُوعٍ عُقُوقًا وَمَأْثَمًا(٥

انتهى والحمد لله

(قلنا) وقد احببنا تتمّةً للفائدة ان نلحق بهذه الطُّرْفة ما ورد في معجم البلدان لياقوت من اسماء الدارات (٢ : ٥٢٦–٥٣٦) ممّا لم يُذكر في مقالة الاصمعي قال : منها (دارة أُجُد) عن ابن السِّكّيت . (ودارة الأَرْآمِ) . (ودارة الأَسْواط) بظهر الأَبرق بالمضجع تُناوحهُ جمّةً وهي برقة بيضاء لبني قيس بن جزء . (ودارة الأَكْوار) في مُلتقى دار ربيعة بن عُقَيل ودار نهيك . (ودارة أَهْوَى) من ارض هجر . (ودارة بَاسِل) قال وما اظنّها الّا

١) كذا الصواب وفي الاصل « قلبين » بالباء وهو تصحيف . ذكر ياقوت القلتَين في باب الدارات وفي باب القاف قال (٤ : ١٥٨) : القلتَيْن قرية من اليمامة لم تدخل في صُلْح خالد بن الوليد يوم قتل مُسَيْلمة الكذّاب وهما نخل لبني يشكر . وفي انساب الزمخشريّ (ص ٥٩) : انّ دارة القلتَيْن في دار نُمَير من وراء ثَهْلان

٢) لم يزد اصحاب آثار البلدان على ذكرها . وقد رواهُ ياقوت (٢ : ٥٢٦) بالنون (يَمْعون) . قال : ويُروى بالزاي وهو جيّد

٣) قد طُمِست في الاصل بعض احرف هذا الاسم . فرويناهُ كما ترى

٤) ذكرها البكريّ وياقوت وغيرهما وذكروا شعرًا وردت بهِ ولم يبيّنوا موقعها

٥) ويُروى : مَأْثَمَا

دارة مأسل . (ودارة بُختر) وسط أجإ احد جبلَي طيء قرب جوّ . (ودارة بَذْوَتَين) لربيعة بن عُقَيل . (ودارة الجُثوم) لبني الاضبط بن كلاب . (ودارة جُهد) . (ودارة جَوْدات) (ودارة الخلاءة) . (ودارة دَاثِر) . (ودارة دَمُّون) . (ودارة الدُّور) (١ . (ودارة ذؤَيب) لبني الاضبط وهما دارتان . (ودارة الرَّدْم) في ارض بني كلاب . (ودارة رُمح) في ديار بني كلاب لبني عمرو بن ربيعة . وعنده البَتيلة ماء لهم باليمامة . ويروى دارة رُمخ بالخاء عن ابي زياد . (ودارة الزِمْزِم) . (ودارة الرُّها) . (ودارة سَعْر) من دارات الحِمَى لبني وقّاص من بني ابي بكر . (ودارة السَّلَم) (٢ . (ودارة شُبَيْث) لبني الاضبط ببطن الجَريب . (ودارة صارَة) من بلاد غَطَفان . (ودارة الصَّفائح) بناحية الصَّمَّان . (ودارة عَسْعَس) لبني جعفر . وعَسْعَس جبل طويل احمر على فرسخ من وراء ضريَّة . (ودارة عَوارِم) من دارات الحِمى . وعَوارم هضب وماء للضباب ولبني جعفر . (ودارة عُوَيج) . (ودارة غُبَيْر)وهو لبني الاضبط ولهم بها ماء يقال لهُ غُبَيْر . (ودارة الغُزَيِّل) لبني الحارث بن ربيعة بن ابي بكر . (ودارة فَرْوَع) في بلاد هُذَيل . (ودارة القَدَّاح) موضع في ديار بني تميم . ويروى : دارة القِداح . (ودارة قُرْح) بوادي القُرَى حيث هلك قومُ عاد . (ودارة كَبِد) لبني ابي بكر بن كلاب وكَبِد هضبة حمراء بالمضجع . (ودارة الكَبَشات) للضباب وبني جعفر . وكبشات اَجبُل في ديار ذؤَيبة . (ودارة مِحْصَر) ويقال مِحْصَن في ديار بني نُمَير في طرف ثَهْلان الاقصى (٣ . (ودارة المَرْدمة) لبني مالك ابن ربيعة . . . والمَرْدَمة جبل لبني مالك وهو اسود عظيم يُناوحهُ سَواج . (ودارة المَرْوَرات) (ودارة مَعْروف) . (ودارة المَكامِن) لبني نُمَير في ديار بني ظالم . (ودارة مَلْحوب) . (ودَارة مَنْزَر)(٤ . (ودارة مواضيع) . (ودارة النِصاب) . (ودارة واسط) . (ودارة وَسْط) من دارات الحِمى . وهو جبل عظيم طويل على اربعة اميال من وراء ضريَّة لبني جعفر ويقال دارة وَسَط بالتحريك . (ودارة هَضْب) . (ودارة اليَعْضيد)

وقد جاء ذكر قسم من هذه الدارات في لسان العرب والتاج في مادَّة دار

---

١) ذكرها البكريّ (ص ٣٣٦) وقال : انها في منازل بني مرَّة

٢) قال البكريّ (٣٣٨) : هي في ديار فَزارة

٣) قال البكري (٣٣٧) : دارة مِحْصَن لبني قُشَير

٤) لعلَّها تصحيف خترز كما مرَّ

كتب

تاريخ بيروت واخبار الامراء البُحْتُريّين من بني الغَرب

لصالح بن يحيى

سعى بنشرهِ وتهذيب عبارتهِ وتعليق حواشيهِ

الاب لويس شيخو اليسوعي

مقدمة ناشر الكتاب

بينما كنَّا نسرّح النظر في خزانة كتب باريس الكلية ونستنسخ بعض فرائد مصنفاتها الخطّية التي تشهد لمؤلفيها بطول الباع في الفنون الكتابية عثرنا على كتاب موسوم بتاريخ بيروت. فبادرنا الى مطالعتهِ فما كان منَّا بعد فحص اوَّل صفحاتهِ الَّا ان هتفنا فرحين هذه الضالَّة التي كنا ننشدها والكريمة التي نقصدها. فاخذنا من ثمَّ بنقلهِ على جناح السرعة. غير انهُ في ابّان شغلنا اضطرَّتنا الحاجة الى ان نبارح العاصمة ونعود الى هذه الديار. فكلّفنا احدَ اصحابنا وهو العالم الدكتور الاب شابو بان يرسم لنا بالفوتغرافية ما لم تسنح لنا الفرصة بنسخه فجاء شغلهُ وافيًا بالمرام

والنسخة الاصلية فريدةٌ في جنسها لم يُعرف لها شبيه في مكتبة غيرها وهي تشتمل على ١٣٥ ورقة من قطع ١٢ وفي كل صفحة خمسة عشر سطرًا مخطوطة بالخط النسخي الدقيق. كتبها المؤلف وزاد عليها عدَّة افادات علّقها عليها في الحواشي

ولهذا الكتاب اهميَّة كبرى من حيث الامور التاريخية المودعة فيه فانَّ صاحبهُ اثابهُ الله جمع فيهِ كلَّ ما امكنهُ من الحوادث الحَرْبيَّة بالذكر عن بيروت وقدمها وآثارها وفتوحاتها ثم انتقل الى صفة الاحوال الطارئة عليها منذ القرن السادس للهجرة الى التاسع. وهناك يسهب الكلام في تواريخ بني بُحتر المعروفين بامراء بني الغرب الذين كانوا يملكون على قسم كبير من غربيّ لبنان وتولّوا زمنًا طويلًا على بيروت وما جاورها من الارباض والقرى باسم

ملوك مصر من دولة الشراكسة. واكثر ما رواهُ في هذا القسم من كتابهِ لايكاد يوجد لهُ اثر عند غيرهِ من الكتّاب فلولاهُ لبقيت هذه الحوادث نسياً منسياً. ومن محاسنهِ انّهُ ذكر اموراً جمّة تختص بامراء الفرنج الصليبيين ومآثرهم في هذه السواحل. ولقد طالما صمّم المستشرقون على نشر هذا التاريخ ولكن حالت دون اتمام غايتهم اغلاط كثيرة لغويّة وبعض الفاظ وتراكيب اشبه باللهجة العامّة منها بانشاء حذّاق الكتّاب وقد اخذنا على نفسنا ان نهذّب لفظهُ وننقّح كلامهُ حيثما لا يمسُّ هذا الاصلاح شيئاً من المعنى

وطريقة المؤلّف في كتابتهِ فهي ساذجة متبادرة الى الفهم لم يتحرَّ بها سوى افادة آلهِ الشرفاء ليبقي لهم اثراً يفتخر بهِ الخلَف بعد السلَف. وجعل لتاريخهِ ابواباً وتقاسيم يتمكن بها القارئ من احراز فوائدهِ الشتى . وكثيراً ما يلخص في اوَّل الفصول ما سبق ذكرهُ تسهيلًا للمطالع

امَّا المؤلف فلم نعلم شيئاً من اخبارهِ سوى ما يُستخلَص من اثناء كتابهِ. وكان من سلالة بني امراء الغرب. عاش في اواسط القرن التاسع للهجرة. وكان حريصاً على جمع آثار اجدادهِ كلِفاً بتاريخ بلدهِ. ويظهر من خلال كلامهِ انَّهُ كان ثقةً لا يروي شيئاً الَّا شفعهُ باسانيدهِ وأيّدهُ بحججهِ وربَّما ذكر ما شاهدهُ بنفسهِ عياناً كما ينبئ على ذلك رسم امور دقيقة لا يأتي عليها الَّا الشاهد العين

وقد احببنا ان نتحف بهذا الكتاب في بدء مجلّتنا قرّاءنا الكرام وسننشرهُ فيها تِباعاً. ولا غرو ان البيروتيين على مختلف اديانهم يقبلون على مطالعتهِ لما يجدون فيهِ من عميم الجدوى

هذا وايثاراً بتحسين الكتاب قد رأينا ان نذيّلهُ بشيء من الشروح والملاحظات التي من شأنها ان تزيدهُ فائدة ومنفعة. وسنشكر كل من ينبّه خاطرنا الى بعض الافادات التي لعلّها تفوتنا سهواً. وعلى الله الاتكال في كل الاحوال

فاتحة الكتاب

(2v*) بسم الله الرحمن الرحيم

ربَّنا آتِنا من لَدُنك رحمةً وهيّئ لنا من امرنا رَشَدا (سورة الكهف)

الحمد لله الأوَّل بلا ابتداء الازليّ الوجود. والآخر بلا انتهاء السرمديّ (١ المعبود. وسع علمهُ كلَّ شيء من معدوم وموجود. وقدَّر الآجال والارزاق للمحروم والمجدود. وفتح لنا من فيض جودهِ كل بابٍ مسدود. وألهمنا الدُّعاء بالرحمة على الآباء والجدود. وصلّى الله على سيّدنا محمَّد وآلهِ وأصحابهِ ذوي السعود. ما اغتمَّ فاقدٌ بمفقود. وسُرَّ والدٌ بمولود. صلاةً دائمةً ابديَّةَ الخلود

وبعد فيقول العبد الفقير الى الله تعالى صالح بن يحيي بن صالح بن الحسين ابن امير الغرب لطف الله بهِ اني اردتُ ان اجمع شيئًا يستفيد بهِ الخَلَف من اخبار السلَف. من ذرّيَّة بُحْتُر بن علي امير الغرب ببيروت فجمعتُ هذه التذكرة معتذرًا الى الواقف عليها من ركّة اللفظ ومواقع الخطإ بعد الاجتهاد على صحَّة النقل وحذف الفضول لاني لا اريد ان اكون مغاليًا في السلَف فأصفهم بازيد ممَّا فيهم او حسودًا فأنعتهم بما ليس فيهم. وقد جعلتُ هذه التذكرة وقفًا على البيت لا تخرج عن الخلف ولا تُعار لغيرهم لأنَّهـا كتاب لا ينتفع بهِ (3r) غير اربابها... (٢ ومن قصد بهِ خيرًا او اصلاح خلل فيهِ صوابٌ فأجرُهُ على الله فانَّ الله لا يُضيع أجر المحسنين. جمعتُ ذلك باوضح برهان واصدق دليل. ولستُ فيهِ كخابط عشواء او حاطب ليل. وقد يضلُّ المتأوّب في الدرب السالك. ويهتدي المُدلِج في الليل الحالك. فضلًا عن انَّ مناقبهم موصوفة ومآثرهم معروفة كما قيل:

---

* هذه الاعداد تدلّ على صفحات الكتاب وجهها (r) وظهرها (v)

١) في الاصل «ازليّ» بدون اداة التعريف «وصَرْمدي» بالصاد الى غير ذلك من الاغلاط الصرفية والنحويَّة البيّنة الخطإ ممَّا ليس في اصلاحها كبير امر فاصلحناها ولم نُشِر اليها وكفى بهذا التنبيه اشارة

٢) هنا في الاصل سطران حُكَّا بِمَبْرَاة

آثارهم تُنبيك عن أخبارهم حتّى كأنّكَ بالعيان تراهُمُ
تاللهِ لا يأتي الزمان بمثلهم ابدًا ولا يحمي الثغورَ سِواهُمُ (١

ولمّا كان المكان متقدّمٌ على المتمكن فوجب التبدّئ بذكر الوطن وان كان الساكن افضل من المسكن

ذكر بيروت واخبارها وقِدَمها وفتوحاتها ومن اشتهر من اهلها الى غير ذلك من أحوالها

بيروت (٢ مدينة قديمة جدًّا (٣ يُستدَلُّ على قِدَمها من عتق سورها (٤ ومع عتقهِ

١) وجاء في هامش الكتاب ما نصُّهُ :

نجــومُ سماءٍ كلّما غابَ كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوي اليهِ كواكِبُهْ
اَضاءَت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتّى نظّم الجزعَ ثاقِبُهْ

وقولهُ:

ما لسماءٍ اَن تُعَــدَّ نجومُهـا اذا عُدَّ آباءٌ لهم وجدودُ
فاسيافُهم تلك العوادي نصولها الى اليوم لم تُعرَف لهنَّ عُهودُ

٢) انَّ (اسم بيروت) قد اختلف فيهِ العلماء فمنهم من قال انَّهُ نسبة الى بَعْل بَرِيت المذكور في سفر القضاة (٩ : ٤) وهو رأيٌ ضعيف رواهُ اسطفان البيزنطي (في مادَّة بيروت) وذهب اليهِ بوشار (Bochart, *Canaan* XVII, p. 859) وكُرُويزرِ (Creuzer, *Symbolik*) من المحدثين لكنَّ متن الكتاب العزيز ينفي هذا الزعم والكلام فيهِ عن بعض معبودات آل شكّيم (نابلس) وفَجَرة بني اسرائيل (قض ٨ : ٣٣) . ومنهم من رأى ان بيروت هو اسم الاهة (Βηρούθ) ذكرها فيلون الجُبَيْليّ (Historicorum Gr. Fragm, II , ed. Didot, III p.136) وقد اوردها في الفقرات الباقية من تاريخ سَنْـكُنْيَتون وهو يجمع في روايتهِ بين اسمها واسم عَشْترُوت بحيث يُستَدَلُّ من قولهِ انهما اسمان لمسمًّى واحد . وعشتروت هذه هي إلاهة الفينيقيين وتعدَّدت اسماؤُها (Seldenus, *de Diis Syris*, 231-260) وهي ايضًا المعروفة عند العرب بالزُّهَرة والرومان يدعونها فَنُوس (Vénus) . وهذا رأي مقبول لا نجزم بصحَّتهِ . ويلحق بهذا الرأي الثاني رأي آخر انَّ بيروت دعيت بهذا الاسم نسبةً الى شجرة السَّرو (بالعبرانية ברוש وباللغات الآرامية ܒܪܘܬܐ) . وكانت هذه الشجرة رمزًا لعشتروت (راجع الفقرة ١١ من فقرات سَنْـكُنْيَتون) . والاب مرتين اليسوعي يرجّح هذا الرأي في كتاب تاريخ لبنان (ص ٢٨٣) . ولهِسْتِياوس المِيلَتي الكاتب القديم رأي يخالف ما تقدَّم وهو انَّ بيروت لفظة فينيقيَّة اصلها «أبيروت» اخذت من لفظة «أبير»

فهو محدَث عليها اتخذهُ الاولون من خرائب كانت متقدمة اقدم منهُ بُمدَد كثيرة لأنَّنا

بمعنى الشجاع فيكون معناها القوَّة لمنعتها وحرازتها. وأبير ايضاً معناها الثور وهو رمزٌ عن القوَّة كُنّي بهِ عن عشتروت السابق ذكرها

هذا وانَّ الرأي الارجح انَّ اسم بيروت اشتقَّ من « بِئْروت » وهو بالعبرانية جمع لبئر وذلك امَّا لما حفر بها اوَّل سكانها من الآبار الباقي آثارها الى يومنا وامَّا لعذوبة مياه هذه الآبار كما زعم اسطفان البيزنطيّ من كتَّاب القرن الخامس للمسيح. وهذه الآبار لا تزال الى يومنا هذا يُنزَل اليها من اماكن معلومة وينفذ بعضها الى بعض على مسافة بعيدة وماؤُها عذبٌ كثير لا ينقطع تجتمع منهُ عيون في انحاء البلد

ويتصل بالبحث عن اصل تسمية بيروت بحثٌ آخر ذهب اليهِ بعض الكتبة وهو انَّ لبيروت اثرًا في الكتاب الكريم ويزعمون ان بِيْروتة او بَيْروتاي المذكورة في سفر الملوك الثاني (٨:٨) وفي نبوة حزقيال (٤٧:١٦) هي بيروتنا الساحلية الفينيقية ولكنَّ بطلان هذا الزعم يتَّضح من وجوه شتَّى. وكفى بنصّ الكتاب شاهداً فانَّهُ يروي في هذا الفصل محاربة داود لهَدَدعازَر ملك صوبة. وكانت مملكتهُ متاخمة لحماة بجوار نهر الفرات (راجع عدد ٣ من الفصل ٨ من سفر الملوك الثاني) ومن ثمَّ بعيدة عن بحر الشام ويزيد هذا البرهان قوَّةً ما ورد في سفر حزقيال (٤٧:١٦) حيث يصف تخوم ارض الميعاد من جهة الشمال فقال: « هذا تُخم الارض من جهة الشمال. من البحر الكبير على طريق حَتْلون وانت آتٍ الى صدَد حماةُ وبيروتَة وسبرائمُ التي بين تُخْم دمشق وتُخْم حَماة » فيظهر صريحاً ممَّا تقدَّم ان بيروتة او بيروتاي هذه لم تكن مدينةً ساحليَّة وانما موقعها في داخل الارض بين حماة ودَمشْق

٣) انَّ بيروت مدينة عريقة في القدم ذلك امرٌ اتَّفق عليهِ جميع اصحاب التاريخ لكنَّما الآراء تتفرَّق في اسم بانيها وزمانهِ فان اَصخنا الى مزاعم الكتَّاب الاوَّلين آنسنا من اقاويلهم ما كان اقرب الى الخرافات منهُ الى اليقين. فمن ذلك قول سَنْكُنيتن في فقرتهِ الثانية انَّ الاله ايل او علّيون هو باني مدينة بيروت. وكان ايل ملكاً على جبَل (جُبَيْل) فاقترن بأمرأة تدعى بيروت فسمَّى بها المدينـة الحديثة التي ابتناها. وايل هذا لهُ عدَّة اسامي على اختلاف الامم المتعبّدة له. فالفونيقيُّون كانوا يدعونهُ ايلًا والآراميُّون بَعْـلًا والعمُّونيون مُولكاً او ملكاً والروم يعرفونهُ بساتُورْن والعرب بزُحَل. وزاد نُنُّوس المؤرخ تصريحاً على قول سنكنيتون في كتاب ديونيس: (Dyonisiaques, XLI, v. 67-91) فقال « انَّ بيروت هي اوَّل مدينـة بناها ايل بنفسهِ. . . وهي وحدها وُجدت قبل جميع الارض وتقدَّمت الشمس التي يستنير القمر بضيائها ». ثمَّ اخذ نُنُّوس بعـد قولهِ هذا يطنب بمديح بيروت فدعاها « جرثومة الحياة وظِئر المُدُن (ρίζαν βίου, πολίων τροφὸν) الى غـير ذلك من الصفات الحسنة المشعرة بسموّ اعتبارهِ لهذه المدينـة. هذا ما اتت بهِ مخيّلة الشعراء وقد يجوز للشاعر من تزيين الباطل وتمويه الحقيقة ما لا يسوغ لغيرهِ. وانما يُستخلص من هذه الترَّهات الباطلة انَّ بيروت من اقدم بلاد الله بناءً وعمرانًا

نجدُ في السور المذكور قواعد من الرخام واعمدة كثيرة من الحجر المانع(١ الذي قد تعب الاولون في عمله ونقلهِ وأنفقوا عليهِ اموالهم . فدلَّ ذلك على انها من خرائب قديمة كانت عظيمة البناء جليلة المقدار فاستهانها الذين جاؤوا بعدهم وجعلوها في السور المذكور مكان الحجارة التي لا قيمة لها لاستغنائهم عنها بكثرة امثالها من الخرائب . ودلَّ ذلك على انَّ العمائر الاولى كانت اعظم من الثانية . ونجد ايضاً من اعمدة هذا الحجر المانع شيئاً كثيرًا قد جعلوهُ تفاريق في البحر لاساس سور يُظنُّ عليهِ انهُ من عهد الخرائب الاولى المذكورة . ويُقال عن السور الذي من جهة البحر انَّهُ عُمّر وخرب ثلاث مرَّات وقد اكل البحرُ هذه الاسوار وفاض الماء الى داخل كلٍّ منها لمرور الازمان وتواتر الدهور فسبحان الدائم على الدوام(٢ . وذكر المسعودي انَّ اعمدة الحجر المانع معدنها باسوان ومنها تجلب الى سائر البلاد

(ستأتي البقيَّة)

امَّا اذا انتقلنا الى ما يُشتَمُّ منهُ رائحة اليقين من منقولات القرون التابعة فنجد انَّ المؤرخين يعزون اهل بيروت الى الكنعانيين ويجعلون مدينتهم من اوَّل مستعمرات جُبَيل احتلَّها الجبيليون بعد الطوفان بزمن قليل . ويدعون بانيها جرجساوس او الجرجسي خامس ابناء كنعان ولذلك دعيت بهِ مدَّةً « جريس» . هذا ما نقلهُ ادريخوميوس في كتاب مجانيهِ (Adrichomius, *Miscellanea*) ووافقهُ عليه غليلموس الصُّوري (في تاريخ الحروب المقدسة الكتاب ١١ الفصل ١٣) . وكانت بيروت احد المراكز لعبادة البعل يتزاحم فيها الاهلون لتأدية فروضات دينهم لهذا الاله في هيكل عظيم شيَّدوه على اسمهِ . وبنوا لهُ هيكلًا آخر فوق مدينتهم على مسافة خمسة اميال منها كانوا يحجُّون اليهِ زرافاتٍ . ولا تزال آثار هذا المقام الى يومنا بجوار قرية بيت مري وهي تُعرف بدير القلعة ٤) هذه اللفظة اثبتناها في الاصل وهي منسوخة فيهِ

١) هو الرُّخام المحبَّب (*granit*) الذي معدنهُ في مصر العليا عند أُسوان نُقل منها الى انحاء سوريَّة

٢) انَّ ما ذكرهُ المؤلف عن اسوار بيروت يصحُّ ايضاً على سائر انحاء البلدة فانك اذا استقريت نواحيها وجدت آثارًا كثيرة تنطق عن قدم هذه المدينة . فمنها قسمٌ عند الحيّ المعروف بحيّ الجميزة عند كنيسة الآباء الفرنسيسكان الحديثة ومنها بقايا عند كنيسة القديس جرجس الكاتدرائية في المحلّ المعروف بالرجال الاربعين وكانت هناك بيعة قديمة على اسم الاربعين شهيدًا . ومنها ايضاً عند باب الدركة وعلى عتبتهِ يقرأُ الى يومنا هذا باليونانية « ايها الداخل في هذا الباب اذكر الرحمة » الى غير ذلك من الآثار كالاعمدة والنواويس والكتابات التي احرز منها نصيباً كبيرًا سُيَّاح الاجانب فنقلوها الى بلادهم . امَّا النقود والمصكوكات القديمة فهي اكثر من ان تُعَدّ وفي متحف مدرستنا الكليَّة نيّف ومائة منها . ولدى العلَّامة الدكتور جول روفيه احد مدرّسي مكتبنا الطبي مجموعٌ وافرٌ منها وكذلك في متحف الكليَّة الاميركانية . وفي بعض اعداد مجلَّتنا سنبحث ان شاء الله في هذا الموضوع لاتّساع مادّتهِ . فاكتفينا هنا باليسير

خريدة لبنان

(للاب هنري لامنس اليسوعيّ)

١

في ذات صباح من ابهى ايام حزيران ظهرت عرَبة يجرّها ثلاثة من الخيل الضوامر على الطريق الممتدَّة من بيروت الى دمشق وكانت الخيل تلهث اعياءً وقد تصبَّبت عرقًا راغيًا وسنابكها تنشب في الارض فتثير الغبار المتلبّد بينما الحوذيّ ينشطها بصوت يشبه الطعطعة والكلاب تنبحها من دكانٍ منفردة او بيت معتزل والقنابر تنفر من بين السنابل وتحلّق في الهواء صافرةً . هذا والشمس عند شروقها ارسلت اشعَّتها الى العربة فرسمت لها من الظلّ صورةً تتابعها طافرةً وراءها بحركات غريبة بين الاشجار العارية والشجيرات الرميّة التي تلوح حينًا بعد حين على شَفا الطريق

مضى على الخيل نحو الاربع ساعات بعد مزايلتها بيروت راقيةً في معارج الجبل تطوي الرُبى بين الخَيزلى (مشية متثاقلة) والهَيذبى (مشية ثقيلة) او تراوح بين الخَبب والتقريب (مشيٌ سريع) لا تقف الَّا لحظة ريثما تتنفَّس الصُّعَداء حتى ادَّاها المسير الى خانٍ منفردٍ شرقيَّ الطريق فاذا بالسائق وهو زنجيٌّ لامع السواد اوقفها وانحدر الى الارض اسرع من البرق وفتح باب العربة قائلًا : وصلنا يا سيدي هذا خان ابو القريّه . فسُمع من الداخل صوتٌ لا تُحدُّ لهجتهُ مكررًا « وصلنا » ثمَّ خرج رجل طويل القامة وفي يسارهِ خريطة حوت لا شكَّ بعض لوازم السفر . فمدّ السائق يده ليحملها عنهُ فامتنع هذا واخذ من جيبهِ قطعة من الذهب ناولهُ اياها . فبرقت عينا الحوذيّ سرورًا واكثر من علائم الشكر وعبارات الامتنان عارضًا نفسهُ لكل خدمة . ولمَّا لم يؤانس من الرجل اقبالًا عليهِ عمد الى خيلهِ يكشط عنها رغوة العرق والغبار المتلبد وهو يدعوها بالطف الاسماء ويخاطبها بارقّ العبارات ريثما عاد اليها الرمق . فبادر الى بئر هناك غربيّ الطريق وجاء بماء صبَّهُ على مشافرها ودفقهُ بين قوائمها كل ذلك في لحظة . ثم استوى على كرسيّهِ وفرقع بسوطهِ ايذانًا بالرحيل والتفت الى المسافر قائلًا « انا راجع سيدي الى بيروت امر خدمة » فكان الجواب « مع السلامة » . فضغط بالعنان على الخيل يَنةً فمالت وزجرها فرسمت نصف دائرة تستقبل بوجهها بيروت وألهبها ضربًا

بالسوط فطارت تنهب الارض منحدرة في الوهاد الى ان توارت وراء اكمة فلم يبقَ منها اثر الّا زوبعة غبار ثارت ثم ركدت ولم يعد يُسمع منها الّا فرقعة السوط وهدير ردَّدها صدى الروابي حينًا وخمد

اما المسافر فمشى نحو دكانٍ هناك تلاصق الخان وكان الدكاني بصر بالعربة وراهُ نازلًا منها فأبدى حركات مختلفة اشارةً الى انهُ يصفّ الاواني ويهيئ ما يلزم وبادر احتفاءً بالقادم الى لقائهِ واكثر من التزلف اليهِ وحمل عنهُ الخريطة وقدَّم لهُ كرسيًا من الخشب قرب طاولة قد اكل الدهر عليها وشرب. وسألهُ ان يأمر بما يرغب وعدَّ لهُ قبل رجع النفس من المأكول والمشروب الوانًا واصنافًا. فطلب الرجل شرابًا مبرّدًا وجلس يتأمل ما حواليه

وكان طويل القامة كما سبق القول يناهز الخمسين عامًا وربما ظنَّ الرائي انهُ جاوز الستين لو لم يدلّ نشاطه وبرق عينيه وابتسام ثغره انَّ قلبه انضرُ شبابًا من وجههِ. على انهُ لعب البياض بلمَّتهِ وشاربهِ الكثيف وتجعَّد جبينهُ ووجنتاهُ وبدت على محيَّاه امارات عياء لا يمكن لها وصف وهي آثار ما قاساه من الاكدار والمشاقّ في صباه منبئة بحلول الشيخوخة قبل اوانها. بيدَ انهُ قويّ البنية راسخ القدم. وقد كان على رأسهِ قبعة بيضاء يلبسها الاوربيون في البلاد الحارَّة وهو غاص في صدرية وسترة من الجوخ الاسمر وبنطلون من الكتان الابيض ورانَينِ (طماقات) من الجلد الرمادي حتى لا يشكّ من رأى زيّهُ انهُ جوّالٌ انكليزي

فجاءهُ الشراب بعد ان اكثر الدكاني وولدان لهُ من الحركة ذهابًا وايابًا وهو يراقب الجميع بانعطاف ولسان حاله يقول: أليس فيكم من يعرفني أليس من يخبرني عنها. ولمّا لم يجد من يدرك معناه سعى في مبادلة الحديث فطلب نارجيلة لها قلب طويل من الخشب المرصع بعرق اللؤلؤ فوقهُ راس من النحاس الاصفر اللامع. فما لبث ان اقبل الدكاني حاملًا نارجيلةً من الزجاج الملوَّن ويلتفّ عليها متلويًا كالافعى ماربيش يروق العين منظره في طرفه حلَمة من الكهرباء. فوضعها على الارض وحلّ الماربيش وثنى طرفه وقدّمهُ بكل احترام للضيف قائلًا « هاك سيدي اركيله لا يوجد مثلها في البلاد ». وكانت تلك الفخر مقتناه التحفة بها احد المسافرين. فسألهُ الغريب : اوَ ليس عندكم نارجيلات من نحاس كالبيضة او من جوزة الهند ؟

— لم نعد نستعملها من عشرين سنة

— عشرين سنة ؟ قال الرجل ذلك متنهدًا ثم اردف : وما حلّ بالنوفرة وبصورة نابوليون التي كانت معلّقة على الجدار ؟

فنظر اليهِ الدكاني باندهاش ثم قال : انت عارف كل شيء كانك قضيت عمرك في هذه الضيعة . لا خفاك ان صاحب المحلّ غيَّر من سنتين وبدَّل اشياء كثيرة ومن الجملة هدم الفسقيَّة والنوفرة وحوَّل الماء الى الجنائن . ولمَّا كلّس الحيطان رفع الصورة لانها صارت قديمة وعلى ظني اصبحت الدكان احسن من قبل . قال هذه العبارة بلهجة افتخار ونظرة معنوية

لكنهُ رأى الغريب هزَّ رأسه للنفي اشارة الى انهُ لا يوافقهُ على عبارتهِ فاردف كلامه بقولهِ : امَّا الصورة فهي لم تزل باقية عندنا مطروحة في الزوايا . فشرقت عندئذٍ اسارير وجه الغريب ودخل معهُ الى حيث اشار ثم عاد يحمل الصورة ويتأملها بلهفة وقد دار بهِ ابنا الدكاني يحدّقان اليهِ بدهشة ويحوّلان عنهُ الى ابيهما نظر مستفهم . ولا ريب انهُ اخذ منهُ الفرح مأخذه اذ كانت تتلى على وجههِ اساطير الحبّ والفوز ويومض من عينيه المغرورقتين بالدموع برق السرور حتى ان الصبيين مالا اليهِ ايُّ ميلٍ . فأخذ يديهما الناعمتين وقال : تستغربان ما بدا مني ولا يتضح لكما سرُّ ما يخامرني من التأثر لمرأى هذه الصورة . فاعلما اني انا ايضاً ربيت هنا صغيرًا وطالما رافقت ابي الى هذا المكان فكم قضيت ساعات أَلعب بالنوفرة وأُمتّع العين بمنظر الماء تتكسَّر عليهِ اشعة الشمس فيتناثر دررًا غوالي في الفسقية وانا ارقص طربًا لهذا المشهد البديع . امَّا الصورة فكنت احبّ التأمل فيها وتقرّ عيني بمنظر هذا البطل العظيم . واليوم امسى الصبيّ رجلًا طاعنًا في السنّ وعلا البياض راسه وزالت نضارة وجههِ . ذاك الصبيّ ابعدتهُ صروف الدهر عن اوطانهِ وطرحتهُ مطارح الاسفار الى مجاهل افريقيا الجنوبية فقضى فيها عشرين سنة ولكنهُ لا يزال يذكر النوفرة والصورة كانهُ لم يمضِ الَّا يومٌ من حين جاء بهِ ابوهُ آخر مرَّة الى هذا المكان . فسأل احد الصبيين : إذن انت من بلدنا ؟

فاجاب الرجل طافحًا بالسرور : نعم من ضيعتكم . لكن هذا التصريح لم يأتِ بالنتيجة المرغوبة فان الصبيين قابلاه بابتسامةٍ لطيفة ليس الَّا ولم يبديا ادنى اندهاش او علامة فرح ممَّا علماهُ من ان الرجل ابن الوطن لا احد الجوَّالين الاوربيين الذين يطوفون ايام الصيف في اصقاع لبنان . ولم يجد لهذا النبأ وقع عظيم في قلب الدكاني ولذا لم يرجُ التعرف اليهِ فسألهُ : اين صاحب الخان ريشا ؟

— انت تعني طانيوس فهذا قد مات من زمان

— وامرأتهُ الصالحة آسين ؟

— ماتت ايضاً

— مات ؟ ماتت ؟ قال الغريب متنهداً : وعبدالله الراعي صاحب الشبَّابة المشهورة الذي كنا نقضي معهُ اياماً ؟

— انت تعرف الكل . لكن لم يبقَ احد وهذا ايضاً مات

٢

فاطرق المسافر وخاض في بحر الافكار المحزنة قائلاً في ذاته . جئت استعلم اخبارها فلا اجسر على السؤال اذ بتُّ اخشى الجواب . لكنهُ عاد الى نفسهِ بعد حين لمَّا رأى احد القرويين اقبل يحمل حزمة من الاشواك والاغصان اليابسة كان جمعها من الاحراش المجاورة فطرحها عند المدخل وجلس يستريح على مصطبة هناك ويمسح باذيال عباءته وجههُ المكلَّل بالعرق . فما تأملهُ الا صرخ بصوت الحبور وبادر اليهِ ومدَّ يده ليصافحهُ . فتفرَّس فيهِ الحطَّاب مستغرباً وكأنهُ لم يكترث لهُ . فصاح المسافر : وانت ايضــاً يا بطرس منصور لا تعرفني ؟ فاعتذر الحطاب وحلف انَّهُ لا يعرف لهُ صورة قبل ذاك اليوم

فسأَلهُ : أَلا تذكر الرجل الذي خاطر بروحهِ لينقذك من بين ارجل حصان جموح ؟ فلم يكن الحطاب ليفهم كلامه

— هل نسيت الشاب الذي كان يدفع دائماً عنك تعدّيات اولاد الضيعة وعلّمك العاباً كثيرة واركبك مراراً على حصانه ؟

— أذكرُ ان المرحوم والدي اخبرني مرَّة اني لمَّا كان عمري خمس سنين كاد يدعسني الحصان لو لم يخلصني حنَّا الطويل . لكن هذا سافر من عشرين سنة الى بلاد بعيدة وراء البحر ومن ذاك الحين لم نعــد نسمع خبرًا عنهُ وما ادرانا . لعلَّ اليوم تــكون عظامه صارت مكاحل . الله يرحم ترابه

فصاح الغريب بفرح اذن تعرفني الآن انا حنَّا الطويل بل حنا غنطوس . ولمَّا رآه لا يبدي ولا يعيد اردف كلامه بقولهِ : أَلا تذكر الصيَّاد الذي اشتهر في هذه الضيعة حتى كان لا يتقدم عليهِ احد كلما هجم ذئب او ضبع فــكان هو وحدهُ يخلّص البلد من شرّ الوحوش ويصيب دائماً لا يخطئ ولا مرَّة . فانا انا الصيَّاد حنا غنطوس (ستأتي البقية)

كتب شرقية جديدة

Kalendarium Manuale utriusque Ecclesiæ Orientalis et Occidentalis, t, II pp. 850, iterum ed. P. N. Nilles S. J.

تقويم الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة للاب نيقولا نيلس اليسوعي
مدرّس الحقّ القانونيّ في كليَّة إنسبروك

لقد قرَّظ البشير في عدده ١١٨٣ الصادر في ٣ اذار من السنة ١٨٩٦ الجزء الاول من هذا الكتاب الجليل الذي أُعيدت طبعتهُ حديثًا وبيَّن هناك بالتفصيل ما جمعهُ فيهِ مؤلفهُ الفاضل من غزارة الموادّ وجمّ الفوائد المتعلّقة بالشرق وطوائفهِ المختلفة وطقوسهِ الكنسية وتقاويمهِ البيعية بخصوص الاعياد الثابتة في مدار السنة في الكنائس الغربية وفي قسم من الكنائس الشرقية وهي الطوائف اليونانية مع فروعها اي الرومانيَّة (rit roumain) والملكية ثم في الكنائس السريانية والمارونية

واليوم قد اتحفنا المؤلف بالجزء الثاني من مصنّفهِ الشريف وهو يشتمل على قسمين يتضمَّن الاول بيان الاعياد المنتقلة في الكنائس الغربيّة والشرقية والثاني يحتوي على ذكر الاعياد الثابتة عند طوائف الشرق غير التي رُويت في الجزء الاول اعني تقاويم الكنائس الارمنية والسريانيَّة المباريَّة والكلدانية والنسطوريَّة والقبطيــة . وفي آخر الكتاب عــدَّة تذييلات مفيدة خُتمت بفهرس مطوَّل تيسيرًا للاستطلاع على فوائد كلا الجزئين

ولغة هذا التأليف هي اللاتينيَّة لكنَّ صاحبهُ اورد قسمًا كبيرًا من التقاويم الكنسية وغيرها في لغاتها الاصلية

هذا وان ملخص ما يحتويه هذا التصنيف من الموادّ الغزيرة يغنينا عن اسهاب الثناء على صاحبهِ . فهو حقًّا من امتع الكتب واجمعها لا يستغني عنــهُ من اراد معرفة تقاويم الكنائس واعيادها وطقوسها وعوائدها او احبَّ المقابلة بينها . وحسبنا ان نقول ان المؤلف استلفت بكتابهِ هذا انظار الكرسيّ الرسولي وجمهور اساقفة الغرب والشرق فاثنوا عليه اطيب ثنــاء لا سيما لما جاء في هذا الكتاب من الشواهد النيرة على وحدة الايمان والعقائد في الكنيسة جمعاء مع اختلاف طقوسها

الاب س . رتزفال

Catalogue de l'Imprimerie des Pères Dominicains
à Mossoul.
Langues Orientales, 1897.

قائمة كتب مطبعة الآباء الدومينيكان في الموصل لسنة ١٨٩٧

اهدت الينا مطبعة حضرة الآباء الدومينيكان في الموصل قائمة مطبوعاتها العمومية الحاوية لكل المؤلفات الشرقية التي سعت بنشرها. وقد تصفحناها فوجدنا ان عدد التآليف التي اصدرتها الى غاية هذه السنة ينيف على المائة مُصنَّف بين كبير وصغير الحجم ومنها ما يشتمل على عدّة مجلّدات في سائر المواضيع الدينية والتاريخية والادبية. وقسم منها باللغات الكلدانية والسريانية والتركية. فنثني على همة حضرة الآباء الدومينيكان الذين مع قيامهم باعمال الرسالة وفلاحتهم لكرم الربّ بغيرة تُشكر لا يزالون يبذلون جهدهم في توسيع نطاق العلوم وانارة الاذهان بمؤلفاتهم النفيسة جزاهم الله خيرًا ووفق حسن مساعيهم

كنز الحفّاظ في كتاب تهذيب الالفاظ

لابي يوسف يعقوب بن اسحاق السكّيت

هذبهُ الشيخ الامام ابو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزيّ

وقف على طبعهِ وضبطهِ وجمع رواياتهِ وتعليق حواشيهِ وفهارسهِ الاب لويس شيخو اليسوعيّ

الجزء الثالث من الصفحة ٥٤٩ الى ٩٤٠

قد تمّ في الاسبوع الماضي القسم الثالث من هذا الكتاب النفيس. ولمّا كان السواد الاعظم من قرّائنا قد اطّلع على قسميْهِ الاوّلين فلا نرى حاجةً للاطناب في وصفهِ لاسيا وقد أطلنا الشرح في مقدمة الكتاب عمّا يختصّ باهميَّتهِ وفوائدهِ الواسعة. وكفانا القول اننا لم ندّخر شيئًا من الوسع في طبعهِ بغاية ما يمكن من الاحكام والاتقان. وهذا القسم الثالث قد الحقناهُ بحواشٍ مطولّة وملاحظات لغوية وتاريخية وادبية على متن كتاب ابن السكّيت استغرقت نحوًا من ١٦٠ صفحةً وختمناهُ بعشرة فهارس واسعة تمكّن القارئ من التقاط فرائدهِ الجمّة. من جملتها فهرس لتاريخ العرب وعوائدهم كما يستخلص من اثناء الكتاب وفهرس آخر لكل الفاظهِ على طريقة حروف المعجم. وهذا انموذج لكليهما

ل. ش

فهرس ثامن

لِما جاءَ من اخبار العرب واحوالهم وخواصّ بلادهم في اثناء الكتاب

* الاعداد السُّود تدلُّ على الاسماء الواردة في الحواشي او في ذيل الكتاب

أَسْئِلَة

ألقى علينا بعض الادباء ثلاثة اسئلة رغب الينا ان نجيب عنها في اول عدد مجلّتنا

١ً لايّ سبب يحتفل الروم الملكيون عيد حبل العذراء البرئ من الخطيّة الاصليَّة في اليوم التاسع من كانون الاول بخلاف بقيّة الطوائف الكاثوليكية

٢ً أيحل لاحد الكاثوليك ان ينشر الكتاب المقدَّس او قسماً منهُ كالاناجيل الاربعة مطبوعًا طبعةً مُحْكَمَةً كاثوليكية سالمة من كل تحريف ولكن دون مراقبة الاساقفة ورُخصتهم

٣ً ما هو اصل العادة الجارية في رأس السنة المعروفة عند العامَّة بالإسْترينة او الصباحيَّة

أَجْوِبَة

نقول اولاً ان عيد الحبل بلا دنس هو اقدم في الكنيسة اليونانية منهُ في سائر الكنائس(١ فكان يحتفل بهِ عند الروم في اواخر القرن السابع للمسيح وذلك في التاسع من كانون الاول وللقديس اندراوس الاكريطشي رتبةٌ خصوصية لهذا الاحتفال كتبها سنة ٧١٢ م . وفي اواسط القرن التاسع اخذت كنائس الغرب تقتدي بالبيع الشرقية وذلك بعد رؤية رآها احد النسَّاك اذ ظهرت لهُ البتول الطاهرة عليها السلام فأمرتهُ ان ينشر هذه العادة الحميدة في الغرب وعيَّنت لهذا الاحتفال اليوم الثامن من كانون الاول فجرت العادة على اقامة هذا العيد في اليوم المذكور . ولعلَّ الغربيين رأوا نسبة بين اليوم الثامن من كانون الاول واليوم الثامن من ايلول وبهِ يقع عيد ميلاد العذراء فتتمّ الاشهر التسعة الفاصلة الحبل بها الطاهر عن ميلادها المقدس . كما انَّهُ بين بشارة العذراء في ٢٥ اذار وميلاد الرب في ٢٥ كانون الاول تسعة اشهر تامَّة (راجع كلندار الاب نيلس الآنف ذكرهُ ومختصر اعمال البوالندوستيّين)

١) يدعو الروم هذا العيد في سنكسارهم عيد حَبَل حنَّة . (Σύλληψις τῆς ἁγίας καὶ Θεοπρομήτρος Αʼννης)

نجيب ثانيًا عمَّا يختصّ بطبع الكتاب المقدَّس انَّ الكرسيّ الرسوليّ كرَّر مرارًا النهي عن نشرهِ تمامًا او جزئيًا في ايّ لغةٍ كانت دون مصادقة الاساقفة عليهِ ولو فُرض انَّ الاسفار الكريمة لم يمسَّها شيء من التحريف . وقد جدَّد في العام المنصرم البابا لاون الثالث عشر المالك سعيدًا هذه الاوامر في براءَتهِ الصادرة في ٧ شباط سنة ١٨٩٧ . وعليهِ لا يجوز للكاثوليكيّ ان يطالع مثل هذه النُسخ او يتَّخذها للتدريس في المكاتب ما لم يرَ توقيع الرؤساء الشرعيين عليها . وفي البند العشرين من المنشور السابق الذكر قد حظَّر الحبر الرومانيّ على الكاثوليك ان يطبعوا دون رخصة السلطة الكنسيَّة ليس فقط الاسفار المقدَّسة لكن ايضًا ايّ كتابٍ كان اذا اشتمل على صلواتٍ تقويَّة او تعاليم اعتقاديَّة او آداب روحية

نقول ثالثًا انَّ البِسْترينة لفظة حديثة دخيلة أُخذت من الافرنسية (étrennes) . مع زيادة باء الجرّ وهي تُعرَف عند كثيرين بالصباحيَّة . اما اصل هذه العادة فقديم جدًّا قيل انَّ اوّل من اتَّخذها ملك السابين تاتيوس في القرن الثامن قبل المسيح كان يأتيه آل رعيَّتهِ باغصانٍ يقطعونها في غابة مكرَّسة لإلاهة القوَّة (سترانوا Strenua) في غرَّة السنة الجديدة . فكان يتحفهم ببعض الهدايا . فانتشرت هذه العادة بين الرومان انتشارًا عظيمًا يصحبها عوائد وثنيّة لا سيما في زمان القياصرة فلما ظهرت النصرانيَّة على عبادة الاصنام ورأى الأحبار الرومانيّون ما في هذه العادة من الافراط حظروها على المؤمنين في كثيرٍ من المجامع الى ان أصاخ الشعوب الى تعاليمهم ولم يحفظوا من هذه العوائد سوى ما كان موافقًا للآداب . اما سبب تسمية البِسْترينة بالصباحيَّة فذلك لأنَّهُ من ابتدر الآخر الى السلام في صباح العام الجديد ودعا لهُ بالخير يحقُّ لهُ بعض المجازاة على صنيعهِ . وعادة تقدمة الهدايا والالطاف في رأس العام الجديد قديمة في الشرق ايضًا ونرى لها اثرًا قديمًا عند الفُرس وهم يدعون ذلك اليوم نيروزًا (بالفارسية نوروز معناهُ العام الجديد) يتناقلون فيهِ الهدايا بينهم ل . ش

المشرق

النيازك ونجم المجوس

(للاب سبستيان رنزڤال اليسوعيّ)

اذا ما صعدت على سطح بيتك في ليلةٍ من ليالي الصيف الرائقة ببيروت وسرّحت النظر في الفضاء رأيت فوقك نجوماً لا عداد لها تلمع في الاعالي وامامك البحر يمتدّ الى الاقاصي والكواكب تنعكس في مياههِ الصافية فتخالها سماء رُصّعت بالنجوم. تتأمل في ذلك المشهد المهيب فيأخذ منك الخشوع وتنصت فلا تسمع ركزًا. بل هي العوالم كلها بصوتٍ واحد تسبّح لله خالقها فتنحني رهبةً واجلالًا وتردّد مع النبيّ داود « السماوات تنطق بمجد الله » (المزمور ١٨ : ١). فاذا بنجمٍ ينفصل عن السماء ويمرّ سريعًا وفي اثرهِ سحابة ناريّة. ثم يغيب في طبقات الجوّ. ولا يلبث ان يعقبهُ نجمٌ ثانٍ ثمّ ثالث ورابع . .

أفتلك نجوم حقيقية تهوي فجأةً من السماء ام كواكب صغيرة تلتهب دفعةً واحدة ثم تنطفئ. ام ظواهر جويّة تكوّنت في اعالي هوائنا ودارت مع الارض حول الشمس ام بروق خاطفة ام ارواح طاهرة تحلّق نحو الديار العلوية كما زعم الشعراء. ام ترى انّها كواكب تائهة ليس لها فلك بل تسري كما شاءت الصدفة. لا تقل يا صاح فهذا النجم الذي استلفت ابصارك يدعوك الى التأمل في عجائب المخلوقات لانهُ يشهد للعناية الالهية كما تشهد لها نواميس العالم البديع. والصدفة لا حقيقة لها. فالارادة الازلية التي دبّرت كل شيء منذ الخليقة لا تزال تدبّر حركة هذا النجم الذي تخالهُ تائهًا في السماوات

انّ هذه النجوم هي المعروفة عند العامة بالنجوم الخرّارة وقد دعاها العرب بالنيازك. ولكن ما النيزك؟ هذا السؤال يمكننا والحمد لله ان نأتي عليهِ بجواب مقنع لم يكن في وسع كتّاب القرن الثامن عشر. فانّ لعلماء العصر ابحاثًا خطيرة في هذه الآثار الجوّية

النيازك هي اجزاء هيوليّة لا يتجاوز وزنها في الغالب بعض غرامات وتتركب خصوصاً من الحديد والكربون . تمرّ في الفضاء اَسراباً وتدور حول الشمس كالنجوم المذنّبة على شكل اهليلجيّ ذي سعة كبيرة فاذا ما تقاطعت هذه الخطوط الاهليلجية مع فلَك الارض مرَّت بنا النيازك ويمكن ان يبدو لنا منها في ليلة واحدة عدد وافر

وقائل يقول كيف لا نراها في النهار ؟ — انما ذلك لأنها ليست نيّرة بذاتها . فضياؤها يصدر عن تحوّل حركتها الى حرارة وسرعتها جقًّا غريبة اذ تبلغ ٤٢٧٥٠ متراً في الثانية امّا ارضنا فتنتقل بسرعة ٢٩٤٦٠ متراً . فاذا قابلتنا النيازك كانت سرعة الصدمة في الثانية الاولى نيفاً و٧٢٠٠٠ متر . واذا جاء النيزك تابعاً لنا تناقصت السرعة الى ١٦٥٠٠ متر فهي اذن بمعدّل ٣٠ الى ٤٠ الف متر اعني خمس او ست مئة مرةً اسرع من قطار البريد . فالاحتكاك الناتج عن هذه الصدمة يفوق كل حرارة يمكن لحصول عليها من اقوى المواقد لانه يتولّد منها حرارة تفوق ٣٠٠٠ درجة سنتيغراد فالجرم لا بدّ ان يحمى ويلتهب . فان لم يذُبْ او يتحول الى بخار بسبب هذه الحرارة الشديدة امكنه ان يخرق جوّنا مارًّا بالطبقات العليا الملطَّفة . ولكنه كثيراً ما يتحوّل الى بخار ويبقى في جونا ويصل بطيئاً الى الحضيض على هيئة راسب . ويقدّر العلماء انه يصلنا من النيازك نحو ١٤٦ ملياراً في السنة وهذا ممّا يزيد شيئاً فشيئاً في جِرم الارض

والنيازك تظهر في كل الازمنة اذ لا تمضي ليلة بلا نيزك لكن في بعض الليالي يظهر منها الوف «كالجراد المنتشر» على قول المثل . وذلك انما يكون فيما يقارب اليوم العاشر من آب ولاسيما الرابع عشر من تشرين الثاني فالنيازك تنقضُّ من السماء مدرارة كالبرَد المتلاحق . وفي عام ١٨٣٣ رصد الفلكيّان الاميركيّان پَلْمِر وأُلْمستِد فعدًّا في مكان واحد بمدة تسع ساعات ٢٤٠,٠٠٠ نيزك . وكان قد جرى المشهد نفسه عام ١٧٩٩ كما تحقَّق ذلك هُمْبُلْد ثم حدث ايضاً في ١٨٦٦ ونحن في انتظاره ان يتكرر عام ١٨٩٩ . فهو اذن يتمّ في ٣٣ سنة . وقد بحث الفلكيون عن السبب واثبتوا ان هذا السِرب يتبع في الفضاء فلَك النجم المذنّب الذي ظهر في ١٨٦٦ . فهذا المذنّب يبتعد عنّا ويسير نحو فَلَك اورانوس الذي مسافتهُ من الارض ٧١٠ ملايين فرسخ ثم يعود الى قرب الشمس مرة في كل ٣٣ سنة . وقد تسقط النيازك بلا انتظار كما جرى عام ١٨٨٢

ويمكن ان نعتبر النيازك كبقايا النجوم المذنّبة وفي الواقع يظهر ان المذنّبة لا

تدوم طويلًا لو قابلناها بغيرها من الاجرام الفلكيّة. فهي تبقى فقط بعض الوف من السنين على حين ان غيرها كالشمس او المشتري مثلًا مضى على وجودها ما لا يحدُّ من الدهر. فالمذنَّبات تذوب رويدًا رويدًا وتستحيل بخارًا وفتاتًا يتألَّف منهُ نيازك تواصل حركتها حول الشمس في نفس الافلاك التي جرت عليها تلك المذنَّبات

ولكن لا يصحّ القول ان كل النيازك هي بقايا نجوم مذنَّبة ولا يخفى انه ما عدا النيازك يوجد ايضًا اجرام تدعى كرات ناريّة او حجارة جويّة وهي موادّ عالميّة اضخم من ان تذوب في الهواء قبل الوصول الينا فتبدو لاعيننا مثل كراتٍ ملتهبة تنفجر في الغالب وتنقسم الى اجزاء عديدة

فهذه الآثار الجوية التي حسبوها بادئ بدء انواعًا مختلفة ودعوها باسماء متنوعة مرجعها كلها الى اصل واحد. فالفضاء يخترقه في كل وجهة هذه الاجزاء العالميّة المتفاوتة الجرم التي تلتقي بها الارض في دورانها. فهي اذن غبرة عوالم تجمعها الارض اذ تجذبها اليها (١

فمجمل القول اذن اِن الجرم اذا بقي في اعالي الهواء فهو النيزك او الشهاب (étoile filante). واذا كان اقرب فهو الكرة النارية (bolide) تفرقع او لم يتفرقع. وان سقط على الحضيض فهو حجر جوّي (aérolithe) والعرب يدعونهُ رُجُمًا

ويمكن احيانًا لارضنا ان تجذب النيزك فنحصل على قطع منه ونمسّها. فهذا الامر حقيقي ثابت وان لم يخطر لمخلوق ببال. منذ اعوام قليلة كاد رجلٌ من الجزائر يقتله نيزك سقط بالقرب منه وقت الظهر. فظن المسكين انه هالك لا محالة. وقد اخبر عن الحادث قال

١) فغبرة العوالم هذه على راي العلماء يمكن صدورها إمّا عن الارض نفسها وامّا عن الشمس او غيرها من النجوم. فلو اطلقنا من الارض مثلًا قذيفة قوَّتها الدافعة تفوق ١١٢٠٠ متر فهذه القذيفة لا تعود تقع ابد الدهر بل تبقى سائرة في الفضاء الى ان تجذبها اليها كرة اخرى. انما اذا كانت قوّة القذيفة الدافعة ما بين ١١٢٠٠ و ٨٠٠٠ فالحساب ينبئنا انها تتبع في الفضاء خطًا اهليلجيًا متطاولاً جدًّا يقضي في اجتيازه الوفًا من السنين. والحالة هذه قد كانت البراكين في طور ارضنا الثالث ذات قوة شديدة وافية بهذه الشروط. ويؤيد ذلك ان بعض الحجارة الجوّية تشبه مادّتها مادّةَ بعض طبقات ارضنا – فالشمس لا تنفكّ عاملة ويمكنها ان ترسل الينا قذائف. ويكفي لذلك ان تتجاوز قوتها الدافعة ٤٣٠٠٠٠ متر. ولما كانت النجوم شموسًا فهي ايضًا تفعل فعل الشمس

« سمعت طلقةً كطلقة مدفع ثم دويًا في الهواء فالتفتُّ الى ما فوق فرايت ما يشبه الغيم القاتم ثم شيئًا اسود ينقضّ على راسي فاذا بجِرم سقط بالقرب مني واثار الغبار . فركضت اليه فوجدته حجرًا كبيرًا غار اكثره في الارض . ولمَّا حاولت اخراجه احترقت يدي لانه كان لم يزل حاميًا » فبادر حينئذٍ كثيرون ولمَّا برد الحجر احتملوه »

فالذي جرى في الجزائر يحدث منذ الوف من السنين فلا تمضي سنة الَّا يُرى حجر قد سقط من العلاء . والمتاحف العلمية في اوربا تحتوي على الربوات منها (١

قد كان زمن انكر فيه الناس سقوط الحجارة من السماء . وعلماء القرن السابق كانوا يسخرون بالمؤرخين الذين اوردوا مثل هذه الحوادث الغريبة مع انها عديدة . وقد ذكروا هم ايضًا الحجر الساقط في اغوس بوتاموس يوم مولد سقراط (٤٧٠ ق . م .) فكان ضِعف حجر الرحى ولم يكن قد تحوّل الى بخار عند سقوطه بل بقي على حالهِ قطعة واحدة (٢

وذكر مؤرخو رومة ايضًا ان السماء امطرت حجارة على جبل البا (Alba) في عهد تولّوس هُستيليوس (٣ . وفي غلاطية بمدينة بسّينونت كانوا يعبدون الالاهة سيبال (Cybèle) تحت شكل حجر نازل من السماء . وفي حمص بسوريا كانوا اتخذوا حجرًا مثله لعبادة الشمس . وحجر الصاعقة المتين واللامع الذي صُنع منه حسام عنتر كان ايضًا نازلاً من السماء كما روى الرواة (٤ . وفي برُوكوب كلام عن سقوط غبار اسود كثيف في نواحي القسطنطينية عام ٤٧٢ . ويزيد الراوي على ذلك ان « السماء ظهرت كأنها تحترق » . والفلكي الشهير غَسَنْدي روى مع التفاصيل انه في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٦٣٦ رأوا حجرًا ملتهبًا سقط على احد جبال بروڤنس يبلغ وزنه بعد ان برد ٢٦

---

١) قد اسهبت جرائد اوربًا القول في الرجم الذي سقط منذ سنتين (١٠ شباط سنة ١٨٩٦) في مدريد في ضُحى النهار وسُمع لهُ دويٌّ عظيم في تلك العاصمة ثمَّ عقبهُ شبهُ سحابٍ محمرّ . امَّا الرجم فتكسر وجُمع منهُ قطع كثيرة اكبرها لدى ملكة اسبانيا

٢) والفيلسوف اناكساغور الذي كان في تلك الايام زعم بعد هذا الحادث ان السماء من حجر .

٣) ثالث ملوك رومية (٦٧١–٦٤١ ق م)

٤) وذكر مؤرخو اليونان انهُ يُرى شيءٌ من هذه الحجارة في جزيرة العرب فاتخذوها في الجاهليَّة للعبادة

كيلوغراماً وقد اصبح صَلداً اسود

وقد توالت مثل هذه الحوادث حتى ان كيماويًا انكليزيًا هَوَرد (Howard) سردها مع ترتيب الازمان في قائمة اتمّها من بعدهِ العالم الطبيعيّ الالماني اخْلادني (Chladni) . وهذه القائمة تبتدئ من ١٤٧٨ قبل المسيح وتنتهي الى ١٧٩٤ بعده ومع ذلك فلم يأنف علماء القرن الثامن عشر في ان يقولوا ان هذه الاخبار كلها حوادث ملفّقة

ولم تنجلِ الحقيقة الّا عام ١٨٠٣ فانه بفضل العالم بيوت (Biot) أدّى البحث الذي امر بهِ مجمع العلماء الفرنسي الى تقرير مسألة سقوط الحجارة تقريرًا لا اعتراض عليه

وان سأل سائل ما كان يدفع علماء القرن الثامن عشر لانكار هذا الحادث فالسبب واضح وهو انّ العلم الفاسد حاول ان ينقض كلام الله . لان نصّ الكتاب المقدس جاء مؤيدًا صحة كل ما قدّمنا من الادلّة قال : « وفيما هم (الاموريّون) منهزمون من وجه اسرائيل وهم في منهبط بيت حُورون رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء الى عَزيقة فهلكوا وكان الذين هلكوا بحجارة البَرَد اكثر من الذين قتلهم بنو اسرائيل بالسيف (يشوع ١٠ : ١١) » . فقضى فلاسفة القرن السابق الموهومون ببطلان هذا القول لكنّ العلم الحديث بيَّن فساد هذه المزاعم الغرّارة اذ من المقرر انّ العلم الحقيقي لا يخالف قط كلامه تعالى بل يطابقه دائمًا

وكأنّي الآن بالقارئ يسألني : يا ترى هل نحن عرضة لأن تسحقنا هذه الرجم يومًا ما . فاقول ليس الامر بمستحيل كما ينتج ممّا تقدم لكن علينا ان نعتبر بان هذه الآثار ليست دائمًا كبيرة الجرم وانها اذا كانت صادرة عن تجزّؤ نجم مذنَّب كما هو في الغالب كثيرًا ما تصير غبارًا ثم تستحيل بخارًا في جوّنا فلا تُلحق بارضنا اذىً . وعلى كلٍّ فجميع هذه الاجرام تعمل بنواميس وضعها لها من قال : لا يهلك شعرة من رؤوسكم الّا بسماح من ابيكم السماوي (لوقا ص ٢١ ع ١٨) . وهذا يعود بنا الى قولنا الاول : لا حقيقة للصدفة ولا يمكن ان يكون لها وجود . فالنجم الذي رايتهُ ينفصل عن السماء ويمرّ سريعًا ويغيب في طبقات الأثير يخضع لامر الخالق منذ الخليقة الى دهر الدهور

تلك هي نتائج احببنا ان نحصّلها ايها القارئ من هذا البحث عن النيازك والكرات الناريّة والحجارة الجوّيّة

لكنك تسألني قائلًا : متى تتكلّم عن النجم الذي ظهر للمجوس وإخالُك تشبهُ

بالنيازك كما يستدلُّ من عنوان هذه المقالة

نعم ايها القارئ اللبيب هلمَّ نبحث عن نجم المجوس وقبل الحكم في حقيقته لنذكر ما جاء عنهُ في الكتاب الكريم. قال القديس متى (٢:٢). «...انَّنا رأينا نجمهُ في المشرق فوافينا لنسجد لهُ... ذهبوا واذا النجم الذي رأوهُ في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق المكان الذي كان فيهِ الصبي». فظهور نجم المجوس انما هو امرٌ لا محالة عجيب يُعدّ من اعظم خوارق الطبيعة ولذلك كان سبق الله وجعلَهُ آيةً لمجيء المسيح (سفر العدد ٢٤: ١٧). ولكن ما يجدر بالملاحظة انَّ وجود مثل هذا الاثر لا يَنفيهِ العلم الصحيح ولا يستغربهُ الفلكيُّون المحدثون اذ تراهم لا يزالون يذكرون سَيْر النجوم ومختلَف حركاتها العجيبة ويسهبون الكلام في الحوادث الجوّيَّة كالآثار النيّرة والشُّهُب اللامعة والنيازك والنجوم المتساقطة

وكان علماء القرن الثامن عشر يقولون من المحال الافتراض بان النجوم في حال بُعدها تدلّ على بلدٍ ومدينةٍ فكم بالاحرى على بيت. فضلًا عن ان النجم لو انحطَّ لغطَّى جرمهُ العظيم ليس فقط بيت لحم بل اليهوديَّة بل الارض كلها. وكانوا يستنتجون من ذلك ان نجم المجوس محض اختلاق

فعلماء ذلك العصر كما سبق القول لم يكونوا يعتقدون بالحجارة الجوّيَّة والاجرام الملتهبة في السماء وكانوا يعلّلون النفس انهم بذلك يغالطون العهد القديم والعهد الجديد. فلو صنع الله معجزةً واقامهم من الموت كي يراجعوا ما كتبوهُ لذابوا خجلًا وارعووا عن آرائهم الفاسدة وتروَّوا مليًّا قبل الاقدام على مغالطة الكتاب المقدَّس

ولقائل ان يقول أتُعدُّ اذًا نجم المجوس نيزكًا؟ نجيب انَّهُ ليس بامرٍ سهل ان نبيّن حقيقة جوهر هذا النجم اذ ليس لدينا وصف مدقَّق لطبيعتهِ العجيبة. وقد اختلفت فيهِ الآراء منذ ابتداء النصرانيّة حتى ايامنا. وللآباء القديسين واللاهوتيين كاغناطيوس الانطاكي واوريجانس ويوحنا فم الذهب وباسيليوس وامبروسيوس وسُوارس وكورنيلوس الحجري وللفلكيين مثل كِپلر الشهير آراءٌ مختلفة مرجعها الى ثلاثة مهمَّة (١: الاول ان نجم المجوس كان اثرًا خصوصيًّا احدثهُ الله يشبه نجمًا اقترب من الارض —

١) نضرب صفحًا عن ذكر العلماء القليلين الذين ارتأوا ان النجم انما كان ملاكًا او الروح القدس الذي ظهر فيما بعد على المسيح بشكل حمامة... الخ وهي آراءٌ ضعيفة لا يقبل بها العقل

والرأي الثاني انهُ كان نجماً مذنَّباً او نيزكاً — والثالث انهُ كان نجماً عادياً . فالرأي الاول انصارهُ كثيرون . امَّا الرأيان الاخيران فيعترضهما مشكل عظيم وهو وقوف النجم ومن المعلوم انَّهُ لا الثوابت ولا السيَّارات ولا المذنَّبات ولا النيازك هي ساكنة مستقرَّة في الاعالي . بيد انَّ النيزك كما سبق هو اثر سريع الالتهاب وشيك المرور فترجَّح الرأي الاوَّل اي انَّ هذا النجم حادث عجيب اظهرهُ الله بخلاف سُنن الطبيعة دلالةً على تأنس ابن الله (١

ولك ايها القارئ اللبيب ان تتبع ما استحسنت من هذه الآراء . انما لا تنسَ امرًا ذا شأن وهو ان نجم المجوس ليس فيهِ ما يناقض العلم . كيف تمَّ الحادث؟ ذلك امرٌ عويص لا نعلمهُ الآن وربَّما لن نعلمهُ ابدًا رغمًا عن تقدُّم العلوم الفلكيَّة . ولكن ما لا يخامرنا فيهِ ريب هو انَّ الجبار صنع ذلك لانهُ هو الواضع لكل الطبيعة ونواميسها والقادر على تحويرها كما يشاء وكما تقتضيهِ حكمتهُ الازلية . وهنا نجاهر باسم العلم الصحيح ضد العلم الفاسد الذي يحاول حصر العمل الالهي ضمن دائرة حرجة بل يُريد نفيهُ من العالم . فكم من ناعقٍ : المعجزة لا وجود لها لان نواميس الطبيعة لا تزول ولا تتغيَّر . كانَّما الشريعة وُجدت قبل المشترع والخليقة قبل الخالق . ألَا فلنُصغِ الى كلام نيُوتن العظيم وبهِ نختتم مقالتنا فانَّهُ يقول في رسالتهِ الى الدكتور بنتلو « انهُ في انتظام حركة السيَّارات واقمارها وفي وجهتها وموضعها ودرجة سرعتها اثرُ حكمةٍ وشاهدُ عامل لا اعمى ولا اتفاقيّ بل عارف حقّ المعرفة بعلم الحيل وجرّ الاثقال (mécanique) والهندسة . فلا يخامرنا اذًا ريبٌ في صحّة هذه القضيّة ومن المُحال الافتراض بان القضاء المُطلَق يدير شؤون العالم . لان القضاء الاعمى هو هو في كلّ مكان ولا يمكنهُ ان يُحدث هذا التنوُّع الذي نشاهدهُ . فعلم الفلك لا يخطو خطوةً الَّا رأى حدًّا للاسباب الطبيعية وبدا لهُ من ثمَّ اثرُ العمل الالهي . فمن المقرَّر اذن ان حركات السيّارات الحاليَّة لا تنتج فقط عن قوَّة الجاذبيّة العامَّة . ولكي تشرع في حركة الدوران حول الشمس لا بُدّ لها من يد الهيَّة تدفعها على خطّ مماس دوائر افلاكها » . تلك هي اقوال مسيحيّ عظيم كان ايضاً فلكيّاً سامياً فتأمَّل

---

١) ومن اراد البراهين على ان نجم المجوس كان باعجوبة فليراجع اعداد البشير الثلاثة من ٢١ تشرين الثاني الى ٤ ك ١ سنة ١٨٨٤

الاخ (فرا) غريفون وجبل لبنان

في القرن الخامس عشر

(للاب هنري لامنس اليسوعي)

(تابع لما سبق)

٥

فقبل ان نتبع الاخ غريفون في تفاصيل رسالتهِ علينا ان نلمّ ايضاحاً لما يأتي بوصف حالة لبنان في اواسط القرن الخامس عشر

لم تكن الطائفة المارونية بلغت في تلك الايام شأوًا بلغتهُ من بعد . فكان معظم ابنائها يسكنون شمالي لبنان من جهات الارز وكانوا في قضاءَيْ جبيل والبترون بين المتاولة (١ والتركمان (٢ وابنيتهم الى الجنوب لا تكاد تتعدَّى نهر ابرهيم (٣ والنازحون منهم قد جعلوا وجهتهم رودس وقبرس حيثما عَمَّروا تحت لواء لوزينيان ثلاثين قرية وقصبةً . بيد انَّ الموارنة كانوا من ذلك الحين يُعَدُّون شعباً كبيرًا في الاقطار السورية . فقد روى غليوم رئيس اساقفة صور انَّ اربعين الفًا من الموارنة دخلوا انطاكية سنة ١١٨٢ (٤ . وفي القرن الرابع عشر وصف لُودُلف دي سُوخم لبنان « بجبل غطَّاه كثير من القرى والقصبات الآهلة كلها بسكانٍ مسيحيين لا يحصى لهم عدد » (٥

وكان يسوس الموارنة في الروحيات بطريركٌ كرسيّهُ وقتئذٍ في قنُّوبين (٦ ولهُ من المعاونين اساقفة كثيرون . ولمَّا وصل غريفون الى لبنان كان الجالس على السدَّة

١) كان المتاولة مقيمين في المُنَيطرة

٢) راجع اخبار الاعيان وجه ٣٤٦

٣) ذكر النيروني انهُ في ايَّامهِ اي في القرن السابع عشر كان الموارنة قد اخذوا يمتدون في كسروان وقد ملأوا فيهِ قصبَة غزير الواسعة (Evoplia Fidei, 91)

٤) Historia belli Sacri l. XXII, c. 8. – وكذلك جاك دي فِتْري يذكرهم كأُمَّةٍ كثيرة العدد

٥) De Itinere Hierosolymitano وهو كتابٌ قديمٌ ونادر في مكتبة روسِيانا بِفينَّا . لا أعداد لصفحاتهِ وليس فيه تاريخ وما ذُكر مكان طبعهِ

٦) منذ ١٤٣٩ : الدويهي وجه ١٣٥

البطريركية يعقوب الحدثي(١ الذي دامت رئاسته نيّفاً واثنتي عشرة سنة. قام بعده بطرس ابن يوسف ابن يعقوب المُلقَّب بابن الحسَّان وهو ايضاً من الحدَث

واماَّ في الامور الزمنية فكان لكلّ قضاء والٍ او امير يُلقَّب بالمقدّم. وهذا المنصب وراثيّ ولكن غير مستقلّ عن امراء الشراكسة والمماليك في مصر. لانهم طالما تعرضوا لشؤون لبنان الداخلية. والقلقشندي الكاتب المصري المتوفَّى سنة ١٤١٨ يذكر في لواحق نيابة طرابلس «ولايات جُبَّة المُنَيطرة (٢ وجُبَّة بُشَرَّيه (٣ وجُبَّة اَنَفَة (٤»

وفي تواريخ الموارنة ذكر لمقدّمي بُشَرَّي والبترون وجبيل والعاقورة الخ. ويظهر ان مقدّم بشرَّي كان لهُ منذ القرن الخامس عشر الاسبقية على الاخرين فيحكم كامير على لبنان(٥. امّا من جهة اللغة فبقيت اللغة السريانية في بعض الاماكن من شمالي لبنان وزاحمتها العربية التي بدأت تمتدّ في كل الجبل. ولكن في الكتابة لم تزل تُستعمل الاحرف السريانية دون سواها حتى في كتابة العربية (٦. ولمّا كان غريفون متضلّعاً في كلتا اللغتين تمكّن من مباشرة العمل دون ابطاء. واول ما استلفت انظارهُ مسألة الطقوس والاحتفالات الكنائسية

٦

وعلى ما روى كاتب فرنسيسكاني (٧ في ذاك العصر وقد استعار عبارات الكردينال

---

١) توفي سنة ١٤٥٨

٢) وفي كتابه منيظرة وهو تصحيف

٣) قال «والجاري على الالسنة بشرّاي»

٤) على شاطي البحر في جنوبي طرابلس – راجع القلقشندي وجه ١١٧٧ و ١٢٣٨ وكتابهُ مخطوط في مكتبة كليتنا

٥) الدويهي ٢٧٩

٦) جاك دي ڤيتري Historia Hierosolymitana I, ch. 77, apud Bongars – وروى بولس لوقاس (١: ٢١٦) ان في كثير من القرى المجاورة للارز كانوا يتكلمون بالسريانية في القرن السابع عشر – والفرنسيسكاني اوجين روجه في كتابهِ «الاراضي المقدسة ٧١» يورد نفس الشيء. ومثلهما دي لاروك في ترجمة حياة المسيو شاستُويْل وجه ٦٠ وروى نيرون (Evoplia, 89) انه في بشرّي وثلاثة قُرى مجاورة كانت السريانية يتكلم بها حتى النساء. ويخبر كثيرون من هؤلاء المؤلفين انَّها كانت سريانية ممزوجة بالعربية

٧) هذا الكاتب اسمهُ م غلاسبرغر لا يَهمل في ما نقله عن جاك دي ڤيتري الَّا تهمة القول

جاك دي ڤتري « ان الموارنة امّة كثيرة العَدد تسكن جبل لبنان في جهات بيبلوس (جبيل) رجالها يتسلّحون بالقسيّ والنبال ولهم خبرة بشؤون الحرب . وهم وحدهم بين الشرقيين يحافظون على عوائد اللاتين ولا سيما في الفُروض ومنح الاسرار ويخضعون لرومية كل الخضوع . ولمّا كان مطارنة المشرق لا يعرفون الخاتم ولا التاج ولا العكاز ويقرعون عوض الاجراس بعصًا او بمطرقة على خشبة ليدعوا المؤمنين الى الصلاة فالموارنة دليلًا على خضوعهم اتخذوا هذه العوائد كلها » (١

فالموارنة كما يتضح ذلك كانوا من قبل المجمع اللبناني المشهور بقرون كثيرة يسعون في التقرب ما امكن من رومية في الطقوس الكنسية . وابتدأ هذا التقرب من زمن الصليبيين

وهاك ما قال في هذا الصدد كاتب ماروني واقف حقّ الوقوف على تاريخ طائفته (٢ « ان ما اتّصف بهِ بطاركة طائفتنا المغبوطين من شدّة الغيرة على ازدياد أُمّتهم في الاتحاد مع الكنيسة الرومانية امّ جميع الكنائس ومعلّمتهنّ كان يحملهم على الابتعاد عن عوائد كثيرة طقسيَّة وان كانت في نفسها مستحسنة رغبةً في التقرب من الكرسي الرسولي . ولا يخفى على من لهُ إلمام بتاريخ عاداتنا القديمة وما نمارسهُ اليوم ان هذا الابتعاد قد ابتدأ عندنا منذ عهد رجوع بطريركنا ارميا العمشيتي من رومية عام ١٢١٥ . فانّ اكليروسنا من ذلك الوقت اخذ يلبس الثياب والحلَل الموافقة لثياب وحلَل اللاتين ويجتهد في التقرُّب من الكنيسة الرومانية في كل شيء »

ورغمًا عن حبّ التقرّب هذا كانت لم تزل الفروق الطقسية كثيرة ولم تبرح الكنيسة المارونية في القرن الخامس عشر محافظة على عوائد شرقية محضة . فكان الكهنة مثلًا يباركون زيت العماد ويدهنون المؤمنين بالميرون بعد عمادهم (٣ . وكذلك يُعطى القربان الطاهر للصغار حالاً بعد الاعتماد . وفي مدة الصوم الكبير كان يقام يوميًا قدّاس

بمشيئة واحدة في المسيح . وَنظنّ ان الاهمال عن تعمّد لانّ غلاسْبرْغر كاد يعاصر لغريفون وامكنه ان يستشير رفقاءَه في رسالتهِ فلم يُجِزْ لنفسهِ ايراد تلك التهمة

١) لودولف دي سوخم الزائر عام ١٣٣٦ كان ابدى هذه الملاحظات نفسها وقال ايضًا انهُ رأى مطارنة لاتين يقومون لسيامة اساقفة الموارنة « Eorum episcopos ab archiepiscopis latinis vidi consecrari »

٢) رشيد افندي شرتوني في مقدمة « منارة الاقداس » ص ٧ ٣) الصفحة ٨

البروجزمانات اي ما سبق تكريسهُ (Προηγιασμένα) كما عند الروم. وما زال الموارنة حتى اواخر القرن السادس عشر يتناولون القربان تحت الشكلين (١

ولمّا كان المرسل الفرنسيسكاني بصيرًا بالامور واسع العقل ايّد ما امكنهُ رأي المحافظة على الطقوس القديمة ودافع لدى الكرسي الرسولي عن هذا المبدإ حتى نال الموارنة ان يحفظوا «كثيرًا من العوائد الخاصّة بالكنيسة الشرقية» (٢

واجتهد غريفون كما روت سجلّات رهبانيته في تشييد كنائس جديدة بلبنان. وكان قد بُني في ايّام الصليبيين عددٌ منها لم يزل بعضها حتى عصرنا. قال المسيو ريّ «ان الموارنة كان لهم النصيب الوافر من تقدّم الفنون بسوريّا في تلك الازمنة. فكنائس حاطون وميفوق وحلتا وشبطين وبجديدة ومعاد وكوره وسمار جبيل وكنيسة مار تقلا في جبيل بُنيت على نسق يجمع بين الهندسة السورية والبزنطيّة. وذلك موضوع بحث مفيد لمن اعتنى بدرس الآثار السوريّة في القرون المتوسطة بلبنان. فكنائس اِدّه وبجديدة وكفر سلمان وناووس تحتوي نقوشًا سوريّة تستلفت الابصار ولم تزل سالمة. ومن درسها يمكن كما قال المسيو رينان الحصول على كمال تاريخ الفنّ البيزنطي» (٣

ولم يكتفِ غريفون بتشييد المعابد بل اصلح الخلل في امور شتّى (٤ ولا يسعنا الآن التعبير بلفظة خلل عمّا وصفهُ الكتّاب الفرنسيسكان. اذ لا يمكن القول بان المراد اضاليل في العقيدة لان الذين ينكرون على الموارنة ثباتهم الدائم في الكثلكة هم انفسهم يقرّون بانهم من بعد المجمع الفلورنتيني كانت تعاليمهم لا عيب فيها. فالمراد اذن الامور التهذيبية

---

١) دَنديني وجه ١٢٧ – وفيلامون يُثبِت الامر نفسهُ – وفي ٦ تموز سنة ١٥٨٧ رأى ارنست ڤون بُوسِكّ رهبان قنّوبين «يناولون القربان الطاهر بملعقة» Röhricht, 157 – وفي المؤلَّف نفسهُ وجه ٥٢ نبذة عن موارنة أَلماغوسة بقبرس

٢) البراءة الاولى من لاون العاشر في ١٥١٥ الى بطريرك الموارنة في مجموعة براآت مطبوعة في القرن السادس عشر ومحفوظة في مكتبة الآباء اليسوعيين بڤينا «Bibliotheca Rossiana». وقد نشرها الدكتور هِفِله (Conciliengeschichte) زاعمًا انّها غير مطبوعة

٣) Les Colonies franques en Syrie 79, E. Rey – الدويهي ١٠٣ و ١١٢ – Renan, Mission de Phénicie, 229, 236, 240, 259.

٤) «errores ablegavit»

التي لا تعلّق لها البتة بالمعتقد او الخلل الذي يمكن وقوعه حتى بين الامم الشديدة الحرص على المبادئ الكاثوليكية

وما عدا ذلك فقد كان في لبنان اماكن يسكنها اليعاقبة . فالادريسي يذكر من هذا القبيل ثغر جونية (١ . والدويهي ينبئنا عن وجود كثيرين من اليعاقبة في بلاد الموارنة يبذلون الوسع في نشر اضاليلهم . وربما عنى بذلك الكتب والتعاليم التي كان يسعون ببثها بين المؤمنين . ومما ساعدهم انَّ اللغة والطقوس واحدة فتوفرت من ثمَّ اسباب الاختلاط التي كثيرًا ما اضرَّت بصحَّة العقيدة كما يشير الى ذلك المؤرخون الموارنة (٢

٧

وعلى كلّ مهما كانت اسباب هذه الشوائب الاعتقاديّة او التهذيبية فان مساعي غريفون في استئصالها تكللت بالنجاح . فتمكن من اعادة الدين الى جمال رونقهِ عند شعبٍ جمع في كل حين بين التقوى واخلاصهِ للكثلكة

ولم تخلُ هذه الاصلاحات من المقاومة . فانَّ بعض الموارنة وهم نزرٌ يسير عدُّوا غيرة المرسل في غير حينها . لكنَّ معارضتهم لم يقم لها قائمة لولا معاضدة احد المقدَّمين الذي لم يذكر الكتَّاب اسمهُ . فلا يمكن القول انه عبد المنعم بن سيفا بن يعقوب (١٤٦٩) ولا ابن اخيه ورزق الله بن جمالَ الدين بن سيفا خلَفه وكلاهما شديد التعلُّق بالدين الكاثوليكي . ولعل المراد هو عبد المنعِم ايوب ابن اخي رزق الله المذكور لانه كان من اعظم انصار اليعاقبة . نعم انهُ لم يتولَّ الامر الاَّ عام ١٤٧٢ بيد انه كان نافذ الكلمة في عهد عمّه ولم يصبر الى حين موته ليجاهر بامياله (٣

وقد روى المؤرخون الفرنسيسكان ظهور معجزة عن يد غريفون نوردها على علاَّتها فكأنها تمَّت لتأييد اعمالهِ . قيل كان هذا المرسل الغيور يعظ المؤمنين في الكنيسة وكانت الشمس قد مالت الى الغروب فاذا بالواعظ يُري الحاضرين الاشعَّةَ داخلةً الى الكنيسة من الشرق . وزاد المؤرخون انَّ الموارنة اخذوا من ثمَّ يحتفلون في مثل ذلك اليوم اي عيد انتقال العذراء او عيد السيّدة بتذكار هذه المعجزة

---

١) فلسطين وسوريا للادريسي . وجه ١٧ من النصّ العربي (ed. Gildemeister)

٢) الدويهي ١٢٩ – دنديني ١٢٧ – السمعاني يورد الاسباب عينها

٣) راجع الدويهي ١٤٠ و ١٤١ و ٤١١

لقد اسعدنا الدهر ان نشهد هذا العيد اعواماً بين الموارنة ولم نسمع مَن يذكر ذلك الامر العجيب. والعلاَّمة الدويهي يقول انه لا صحّة لظهور هذه الاعجوبة بل هي اقاصيص عجائز

ذلك كلامٌ لا يقبل ابهاماً. فضلًا عن انَّ اثبات المعجزات يقتضي الفحص والتدقيق والبراهين الدامغة. وعلى كلٍّ فتلك الرواية تدلّنا على مكانة غريفون ومقامهِ الرفيع في عين معاصريهِ. لان ذكر الغرائب والمعجزات يلحق بالرجال الممتازين كما يتبع الظلُّ الاجرامَ التي انصبَّ عليها نور الشمس

٨

ولم تكن اعمال المرسل الفرنسيسكاني في سبيل الموارنة لتستغرق همتهُ بل كان ايضاً يُعنى بشؤون الروم المستوطنين في شمالي لبنان

فلمَّا وصل الى سوريَّة كان الجالس على كرسي انطاكية للروم دُورُوثاوس فهذا الحبر المتقلّب بعد ان اظهر بواسطة وكيلهِ ايزيدور مطران كياف قبولهُ بالمجمع الفلورنتيني جاهر بمعارضتهِ للاتحاد برومة. ووافق الجميع نشاطاً في عقد المجلس الاورشليمي الذي حرَم المجمع الفلورنتيني. وما اكتفى بهذا بل جاء القسطنطينية عام ١٤٥٠ واتّفق مع زميليْهِ الاورشليمي والاسكندريّ وعقد جلسة في كنيسة اغيا صوفيا جدَّدوا فيها حرم كل ما تقرَّر في فلورنسا وعزلوا غريغوريوس خلف البطريرك متروفانوس الذي اشتبهوا بميلهِ الى الاتحاد. وصاحب مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين المطبوع في بيروت ١٨٨٤ (١ يذكر دوروثاوس في عدد البطاركة الكاثوليك لاسباب نجهلها وكنا احببنا لو اوردها

ومات دوروثاوس سنة ١٤٥٤ فخلفهُ ميخائيل ثمَّ يواكيم ومرقص. وهذا الاخير مات في ١٤٧٦ (٢ وكلهم ابدوا التساهل بل اميالًا كاثوليكية. ولا ريب ان غريفون استفاد من هذه الاميال ويسوغ ان ننسب الى مساعيه ارسال موسى رئيس شمامسة انطاكية (من أسرة جِبلَة الكريمة ذات النسب الفرنجي الشرقي) العالم بآداب اللغتين اليونانية والسريانية (٣

١) وجه ٥١٤ يدعوه دوسيطيانوس ودوروثاوس. وليس الاسم الاوّل من الاسماء اليونانية

٢) وصاحب المختصر يذكر بعد ميخائيل ثاودوروس ويواكيم

٣) يظهر من هذا انَّ الروم الملكيين كانوا في تلك الايام لا يزالون يدرسون السريانية

الذي جاء رومة في اوائل ١٤٦٠ (١ باسم بطاركة اورشليم وانطاكية واسكندرية حاملاً رسائل قبولهم بالمجمع الفلورنتيني. فقابلهُ البابا بيوس الثاني مقابلة سرّية وعلنيـة وفي ٢١ نيسان من السنة عينها اصدر نشرةً في هذا المسعى الجديد نحو الاتحاد (٢. واشتبه المؤرخون في صدق هذا المسعى فضلًا عن انهُ لم يأتِ بثمرة

ولسوء الطالع ان المؤرخين اهتمُّوا برسالتهِ لدى الموارنة ففاتهم ان يوردوا لنا التفاصيل عن رسالتهِ بين الروم الملكيين بسوريا. وعلى الكل انها لم تجـدِ سوى اهتداء افراد لانَّ الحركة العظيمة نحو الاتحاد لم تبتدئ الَّا في القرن السابع عشر كما لا يخفى

الطاولات الدائرة

(ردٌّ على جريدة البنانة للاب لويس شيخو اليسوعي)

انَّهُ لمن العجب العجاب انَّ ما كسدت سوقهُ وبارت سلعتهُ بين عُقال الغربيين تراهُ بعد حين ولَّى عنهم الأدبار فاجتاز البحار ورسا في سواحلنا ونشا في اصقاعنا نشوَّ الادواء المعدية فلا يلبث ان يأخذ بعقول الشرقيين وهم لا يدرون انَّ لفي الدَّسَم سمًّا ومع العسل شَرْيًا

ومثال ذلك «الطاولات الدائرة» التي كثر فيها القال والقيل في الغرب قبل خمسين سنة فلمَّا لم يرَ الاجانب في مزاولتها خيرًا او بالحري آنسوا من مِراسهـا شرًّا نبذوها عنهم غير مأسوفين عليها اللهمَّ الَّا الجهَّال منهم وبئس الجاهل للعاقل إمامًا

ذلك وقد كان في املنا ان يُصبح ذكر الطاولات المتحركة نسيًا منسيًّا اذ سمعنا منذ

أمَّا ما يختصّ بشأن أُسرة جبلَة (Giblet) فراجع ريّ Rey «الأُسرات فيما وراء البحر» ٣١٦ – ٣٣٦. وآخر هذه العائلة التي استقرَّت في قبرس بعد الصليبيّين مات فيها سنة ١٤٨٨. ولم يمكنني ان اتثبَّت ان كان بقي بسوريًا احدٌ من هذه الأُسرة في زمن غريفون

١) وليس في سنة ١٤٦٣ وكان البابا المالك وقتئذٍ بيوس الثاني لا الثالث كما جاء في مختصر تاريخ الروم الملكيين وجه ١٧

٢) الاوراق المتعلقـة بهذه المسألة محفوظة بين سجلَّات الفاتيكان السرّيّة في الخزانة الرابعة

بضعة سنين ان هذه الملاهي الخطرة تسرَّبت في الديار المصرية فاصابت عند البعض حظوةً والحقت بهم نوعاً من الهوَس وربما خاضت الجرائد المحلّية في هذه الابحاث فخبطت فيها وخلطت هداها الله الى سبل الرشاد

ومن هذا القبيل نبذة انشأها احد الكتَّاب فنشرتها جريدة حديثة اسمها البنانة في عددها السادس عشر وعنوان المقالة « الطاولة المتحركة » امضاها محرّرها باوَّل حروف اسمهِ (ي) وقد استهلَّ فيها بما نصُّهُ :

« انَّ من الملاهي المفكهة في الاجتماعات العائليَّة الطاولة التي تدور على نفسها ودورتها هذه من الامور الطبيعيَّة لا من الشعوذة وقد شاهدتها مراراً وامتحنتها بنفسي مع بعض الاصحاب ولا يقتصر في هذه اللهوة على جعل الطاولة تدور وتتحرَّك يميناً وشمالاً حسب الارادة بل هي تتكلَّم ايضاً وتجاوب على ما يُعرض عليها من الاسئلة ومن البديهيّ انَّ جوابها ليس بالنطق بل بحركة احدى قوائمها التي تشير بالضرب بها الى حروف الهجاء . . . »

ثمَّ جعل الكاتب يقصّ على القُرَّاء ما اجراهُ من الامتحان مع بعض اصحابهِ فروى انَّ كليهما مسك قلمهُ وتناوب اخذ الجواب بالكتابة فكان القلم يخطُّ على الورق دون سعي منهما واردف ذلك بقولهِ : « وغدت هذه اللهوة من الملاهي الاعتياديَّة في فرنسا وانكلترا واميركا . . . امَّا السِرُّ في المسألة فلم يدركهُ الى الآن احد وقد ذهب البعض الى انَّ اسبابها طبيعيَّة وقال آخرون انَّها من الامور الغير الاعتياديَّة . وادَّعى قوم انَّ بين البشر والارواح علاقة تظهر بواسطة الطاولة . وكلُّ ما قيل في هذا الشأن لايتجاوز حدَّ التخمين »

واستطرد بعدئذٍ الكاتب في مقالتهِ الى ذكر تاريخ الطاولات المتحرّكة فروى قصَّة جان فوكس الاميركاني اخبر عنهُ انَّهُ سمع في احدى ليالي سنة ١٨٤٨ طَرقاً على سَقف غرفتهِ ودام ذلك عدَّة ايَّام الى ان فهمهُ الطارق ان هذه الضربات اصطلاحيَّةٌ يُستدلُّ بها على معنى . فاخذت من ثمَّ تنتشر لهوة الطاولة المتحرّكة . وختم الكاتب مقالتهُ بقولهِ انَّهُ يوجد الآن كثيرون في اوربَّا واميركا ممَّن بنوا على هذه الحادثة ديناً . . . وانَّهُ قابل قوماً منهم وجدهم شديدي الاعتقاد بهذه الامور ولهم كتب دينيَّة مخصوصة منها شبه انجيل ومنها صلوات الخ

هذا مُجمل المقالة التي احبّت البنانة ان تتحف بها قُرَّاءها تفكيهاً للارواح . والحقُّ

يقال انَّ العجب اخذ منّا مأخذهُ لدى مطالعتنا هذه القطعة في جريدة توسَّمنا الخير في اعدداها الاولى واستغربنا انَّها سمحت (سامحها الله) لبعض مكاتبيها ان يخوض في مسألة ملتبسة مثل هذه فقضى عنها دون تروٍّ وجزم بانَّ الحوادث الظاهرة بواسطة هذه الطاولات انَّما هي امور طبيعيّة بحْتة

على رسلك ايها الكاتب الاديب كيف امكنك ان تُفتي قاضيًا بانَّ دوران هذه الطاولات المتحرّكة من الامور الطبيعيّة ؟

ولا ارضى بمفنّد لزعمك غيرك وقد قلتَ في اثناء مقالتك « انَّ هذا (يريد حركة الطاولة) سرٌّ لم يدركهُ الى الآن احد . . . وانَّ كلَّ ما قيل في هذا الشأن لا يتجاوز حدَّ التخمين ». ألا ترى حفظك الله وهداك الى الصواب انَّ بين قولك هذا والقول الاوَّل بونًا شاسعًا بل تناقضًا ظاهرًا . فان كان الامر سرًّا لم يدركهُ احد فكيف تحكم انت دون تردّد بانهُ طبيعيٌّ ؟

ثمَّ ان كانت مسألة الطاولات المتحرّكة من الحوادث الطبيعيّة كما ارتأيت فكيف اجزت رأيك بان تنسب اصلها الى قصَّة جان فوكس الذي لم يرتشد الى استعمالها بوسيلة طبيعيّة وقد ذكرت انَّهُ سمع في دارهِ طَرقاتٍ متناوبة في ليالٍ متوالية دون ان يكتشف لها سببًا وبقي على ذلك مدَّة الى ان افهمهُ المحرّك المجهول انَّ هذه الضربات اصطلاحيّة يُستدَلّ بها على معانٍ معلومة . افتُعد كلَّ هذه الظروف من الامور الطبيعيَّة ؟

وعلاوةً على ذلك قد قلت « ان كثيرين عقدوا على هذه الحادثة دينًا . . » فلو لم يكن في امر الطاولات المتحرّكة شيء خارق الطبيعة افتظنُّ ان تكون شيعة كبيرة تمكَّنت ان تبني لها دينًا استنادًا الى حادثة طبيعيّة محَضة . هذا وانَّ الاكتشافات الطبيعيّة قد تعدَّدت في زماننا وكلُّها تقضي منَّا العجب أفرَأيت مع ذلك انَّهُ نشأ منهما دين او نحلة جديدة ؟ أتعرف مثلًا قومًا اتَّخذوا اختراعات الكهرباء الغريبة مبدأً لدينهم ؟

وحسبنا حجَّةً لنقض قول الخَصم انَّ ذوق البشر وعقلهم السليم يبيّن لهم صريحًا انَّ جمادًا لا حسَّ لهُ ولا نطق مثل الخشب الذي منهُ تُركَّب الطاولات لا يمكنهُ الحراك من تلقاءِ نفسهِ فضلًا عن النطق . فكيف يتسنَّى للناس كما ترعم ان يلقوا عليهِ اسئلة ويأخذون منهُ جوابًا لو لم يكن وراء ذلك ما يتجاوز حدود الطبيعة ؟

فكأني بكاتب البنانة أُلجىء ان يتصدَّى لي معترضًا بقولهِ : أَلَمْ ترضَ بان امر

الطاولات المتحرّكة طبيعيّ فلا يبقى لك الّا احد امرين او يكون شعوذة او معجزة من المُعْجزات

اقول انَّهُ لما اشتهر في اميركا وأُوربَّا شأن الطاولات الدائرة اخذ كثير من العلماء يُعْنَون بشرح اسباب هذه الحركات الغير الاعتياديّة التي كانت تلوح باديَ بدء عند وضع الايدي عليها. فنسب البعض هذا الدَّوَران الى سيَّال شبيه بالكهرباء ينشأُ من مَسامّ الاجسام الحيَّة وينبعث منها فيفعل في الطاولة ويحرّكها

ولكن ما لبث السواد الاعظم من العلماء ان ردُّوا على هذه المزاعم. أَجَل انَّهم لم ينكروا وجود الكهرباء والقوَّة المغناطيسيَّة في الانسان والحيوان وكثيرًا ما بحثوا في مفاعيلها الطبيعيَّة ولكنهم استنكفوا من نسبة هذه المعلولات الخارقة العادة الى هذين العاملين ولا تراهم في كتبهم العلميّة يبحثون في امر الطاولات وتحريكها بالارادة او استفتائها في الاسئلة وغوامض الامور فانَّهم يجلُّون العلم عن هذه المباحث ونعمًّا يصنعون. لاسيَّما وقد ظهرت حركات هذه الطاولات اطوارًا عديدة دون سبب ظاهر كوضع الايادي وغير ذلك. وهبْ انَّنا سلَّمنا بوجود مثل هذا السيَّال المجهول فانَّ قوَّتهُ الطبيعيّة غاية ما تبلغ اليهِ ان تحرّك الطاولة بعض الحركات. ولكن كيف يمكن لهذا السيَّال بان يتصرَّف بحركاتها كيفما شاء وينال منها الانسان طرَقاتٍ معلومة على مقتضى اسئلتهِ وارادتهِ الحُرَّة ؟

أَفنقول اذن ان امر الطاولات شَعْبذة ؟ لا يُنكَر ان للتلاعب والخزعبلات مجالًا كبيرًا في حركة الطاولات وكثيرًا ما رأينا اناسًا يحكمون الصُّنع فيخلبون عقول الناظرين بحذاقتهم وخفَّة ايديهم. ولكن قد جرى عدَّة امور غريبة شهدها قومٌ من ذوي الخبرة والفطنة فاتّخذوا كلّ الوسائل لصدّ الشعوذة والملاعبات فقضوا انَّهُ حدث في الطاولات من الظواهر والآثار ما لا يمكن نسبتهُ الى اسباب طبيعيَّة او تلاعب يعبث بهِ المشعبذون

أيُعَدُّ اذن في عداد الخوارق ؟

اجبنا انَّ الخوارق على صنفين منها ما يخرق عادةَ الطبيعة البشريَّة ليس الّا وهو الصنف الأَدنى يُطلَق عليهِ اسم الاعجوبة. ومنها ما يفوق طاقةَ كلّ طبيعة مخلوقة وهو الصنف الاعلى يدعى بالمعجزة ويختصّ بهِ تعالى عزَّ وجلّ

فما نراهُ من المفاعيل الغريبة في الطاولات المتحرّكة كالاجوبة على السؤالات لا يمكن نسبتهُ الى الله لانَّهُ تبارك اسمهُ لا يتعدَّى سُنَن الطبيعة الّا اذا وُجد لذلك باعث اهلٌ

بجلالهِ كما هو مجده ُ عزَّ وجلّ او خير اوليائهِ او سبب آخر مناسب لكمالاتهِ تعالى . ومن المحال ان تُعْزَى هذه المعلولات الى الملائكة لانَّ الملاك مطبوع على الامتثال لاوامرهِ عزَّ وجلَّ لا يتعدَّاها في ذرَّةٍ . فلا يبقى الَّا ان ننسب هذه المآثر للارواح الخبيثة ولابي الكذب الشيطان خزاه ُ الله

وان كان الامر كذلك فلا يحلّ للنصرانيّ بل لايّ رجلٍ كان ان يزاول هذه الاختبارات الخَطِرة . لانَّ غاية ما يرومهُ عدوّ البشر (ردَّ الله كيدَهُ في نحرهِ) ان يغوي الانسان فيسومهُ خسفًا . ولهُ خزاه ُ الله في كلّ زمانٍ تسويلات بها يزيّن الشرّ لبني آدم وقصارى مبتغاه ُ ان يصيبهم بضرر في نفسهم او جسدهم او كليهما معًا . وقد ابتكر في هذا العصر وقانا الله من شرّهِ مكيدة الطاولات المتحرّكة ليرتبق الانسان في حبالتهِ . ويشهد تاريخ السنين التي بها فشا هذا الوباء في الغرب انَّهُ تعدَّدت وقتئذٍ الآثام وكثرت الجرائم واستشرى الفساد وزادت الانتحارات زيادةً مهولة بين الذين كانوا يُعانون هذه الملاعب الشيطانيّة

ولذلك ما لبث الاحبار الرومانيون والرؤساء الروحيون الذين اقامهم المسيح لصيانة الايمان والآداب ان حظَّروا على المؤمنين هذه الالعاب وهدَّدوا بالحرم وبقيَّة العقابات الكنسيَّة الذين لا يذعنون لاوامرهم . وجدَّدوا هذه التنبيهات مرارًا فلم يبقَ للشكّ مجال وحقّ الامتثالُ

وعليهِ لم نكُ لنرضى لمكاتب البنانة ان يبعث القُرَّاء على عصيان اوامر البيعة فيضلَّهم عن سواء السبيل . وساء صنعهُ اذ نبَّه الافكار الى هذه الالعاب وجعلها من جملة الملاهي ولم يأنف ان يقصَّ على رأس الملإِ مزاولتهُ لهذه اللهوة مع اصحابهِ كانَّهُ يحبّب بذلك اليهم الصنيع ليقتدوا بمثلهِ وبئس المثل . وهنا يحسن بنا ان نذكر كلمةً قالها احد آباء الكنيسة وهو القديس بطرس الذهبيُّ المقال: انَّ مَن احبَّ ان يلاعب ابليس الرجيم لا نصيب لهُ في افراح ملكوت المسيح

وفي الختام نسأل الله الَّا يفتن الشيطان اهل بلادنا بشُبَهِهِ ويستفزَّهم بغرورهِ فيتهوَّروا في ظُلَم المعاصي ويضلُّوا في بيداءِ البهتان

الانتقاد

(للشاب الاديب نجيب افندي حيقة مدرّس البيان في كليتنا)

الانتقاد باب ولجهُ كثيرون فذهبوا فيه مذاهب شتى . منهم مَن افرطوا في ذمّ الاعمــال واستهجان العوائد حتى نفرت عن اقوالهم القلوب . ومنهم من تعرَّضوا للشخصيَّات وسبُّوا فافحشوا . ومنهم . . ومنهم . . وفريق مدحوا (والمدح داخل في حكم الانتقاد) وتجاوزوا الحدود حتَّى أبرموا القُرّاء فعاد كلامهم عليهم وعلى ممدوحهم ذمًّا وشتيمة . تناهوا وما دروا ان التناهي غلط . وان خير الامور الوسط . والحقّ يقال انَّهُ لم تخلُ بلادنا ممَّن انتقدوا واعتدلوا فاجادوا وجنى الناس ممَّا كتبوا لذَّة وفائدة . لكنَّ امثالهم قليلون فضلًا عن انهم ما بدأوا حتى انتهوا . كالبرق اومض واحتجب . نشروا بعض مقالات ثمَّ امسكوا . كانهم شفوا غليلًا فاكتفوا او بلغوا مرامًا فارتضوا او حالت دون غايتهم موانع فتوقَّفوا

ولمَّا رايت سوق المدح راجت ايَّ رواج حدَّثتني النفس في الانتقاد المفيد غير المبتذل . فلم انكف من ولوج بابهِ على ضيقهِ وسلوك سبيلهِ على وعورتهِ . وقد آليت على نفسي التعريض بالصفات دون الذوات والطعن في العوائد الذميمة لا اخصّ من اصحابها زيدًا ام عمرًا . جامعًا بين الجِدّ والهزل موردًا الامثال كما اقتضى المقــام ذاكرًا على قدر المستطاع « ما ينقصنا » . واوَّل من اتعرَّض لهم ارباب الاقلام لانهم مِلح العالَم في الآداب والعلوم

تلك خطرات افكار ابثها كلّما سنحت وسمح الوقت بل هي سهام ارشقها تِباعًا عن كبد القوس في كل وجهة . فمن طــاش عنهُ السهم طابت نفسهُ ووجد وسيلةً للتفكّه والمزاح . ومن أهدفوا لهُ فليصبروا على مُضَض البلوى من غير شكوى او فليكفّروا في سرّهم عمَّا جرى وليعتبروا . وربما كنت انا منهم وعاد كيدي في نحري فلومي على نفسي . انها كانت امَّارة بالسوء

ما ينقصنا

١ تشعيل السِراج

ما اكثر المطابع في عصرنا زادنا المنَّان منها ووفقّ اصحابها لخدمة الحقّ والفضيلة .

بل قلّ ما اكثر الكتّاب . اعزّ الله المجيدين منهم . فانهُ والحمد لله تفتخر بلادنا بكرام نفضوا عن اللغة غبار الايّام وشيّدوا فيها للعلم بيتاً عالي المنار . فريقٌ تحلّى باقوالهم نحر الجرائد واشرق بانوار معارفهم وجه المجلّات . وفريق اودعوا الكتب كنوزاً لا يعادلها ثمن . فعادت مساعيهم خيراً على ابناء جنسهم . بيد انهم نزرٌ يسير ايّدهم الله وكلّل بالنجاح اعمالهم وحفظنا من شرّ سواهم

وما ادراك مَن سواهم . هم قومٌ نزلوا بشرف الكتابة الى حضيض الهوان . وبذلوا ماء وجه العربية وهو أولى بان يصان . شوّهوا صفحات الجرائد وافسدوا بطون الكتب . قالوا فما افادوا وكتبوا فلم يُفهَم لهم معنًى وجعجعوا فلم يُرَ لهم طِحن . ولم يعرفوا ايّ خطة ينهجون فباتوا في دياجي الظلام يتسكعون . وان فُتح لهم الطريق لم يدروا كيف يسلكون . قد ركبوا في غير صهوتهم وخاضوا مضماراً ليسوا من رجاله طمعاً في احراز قصب السبق ساء ما يتوهّمون . فجنوا على انفسهم واهدفوا للنبال غيرَ مدّرعين وحبّذا خمول الذكر في تلك الحال وحبّذا الخفاء وراء الحجاب . وجنوا على الكتّاب المجيدين فكانوا كالسحاب الخلّب منعوا المستضيئين عن انوار ذوي العلم الصحيح وضنّوا عياء بقطرة تروي الغليل . وجنَوا على القرّاء فاستنزفوا اموالهم واوقاتهم وراحتهم وعوّضوهم منها سأمة ونفورًا حتى قالوا : افٍّ للعربية ما اوفر عباراتها واقلّ فائدتها وتفٍّ لرجالها ما ابعدهم عن الصواب . . .

وهكذا امثال هؤلاء المتطفّلين عرّضوا اللغة الشريفة للصَّغار وساموا اهل الفضل هوانًا . والعربيةُ وارباها منهم براء

وقائلٍ يقول : كيف تتبرَّأ منهم العربية وهم جماعة درسوا اللغة فاحرزوا منها نصيبًا وافرًا ووقفوا على مكنوناتها فلا تخفاهم منها خافية ولهم في كل فنّ علمٌ وخبرة . وليس منهم الّا من لهُ اليد الطولى في نظم القصائد . . . فما ينقصهم ؟

على رسلك ايها المعترض واسمع على سبيل التفكه حكاية لصاحب الامثال فلوريان

القرد والفانوس السحريّ (١

كان لرجلٍ يتعيَّش من الفانوس السحريّ قرد قبيح وكان هذا لا تفوتهُ فرصةٌ

١) لا يخفى ان الفانوس السحري آلةٌ لها ثلاثة اركان : زجاجات عليها رسوم وصوَر . وعدسيّة مكبِّرة . وسِراج يضيء وهو الاهمّ . فيأخذ الرجل الزجاجات ويُمرُّها تباعًا بين العدسيَّة

للاحتذاء بصاحبهِ في حركاته وسكناته . فدعا الحيوانات ذات يومٍ ووعدهم بمشهد جديد بهيج فكان يصيح : هيَّا سادتي . الدخول مجاناً . كلّ ذلك ابذله في سبيل الشرف (والجميع يتفانون في سبيل الشرف !!!) . فتقاطر المدعوّون افواجاً . ولمَّا استقرّ بهم الجلوس واُغلقت النوافذ اخذ يلقي خطاباً كان قد اعدَّه لتلك السهرة واسهب في الكلام حتى تثآب كلّ الحضور ومع ذلك قابلوه بتصدية الايدي ايذاناً بالاستحسان (وكم من خطيب مثله وكم مثلهم مستحسنين) . فسرّ القرد بما نالهُ من الفوز ثمَّ اخذ يعرض الصوَر واحدة فواحدة ويشفع الحركة بشروح وافية : انظروا سادتي الى الشمس واشعَّتها الساطعة . . . هاك القمر يشقّ جلباب الدجى . . . هذا مشهد الخليقة البديع . . . هنا ابو البشر آدم وهناك حوّاء . . . انظروا الى الحيوانات واقرأوا تاريخهم المسطّر . . . انظروا . . . انظروا

هذا والحاضرون في ظلام دامس . يحملقون ولا يبصرون . فقال الهرّ : ليت شعري يسرد لنا عجائب لكنّي لا اجد لها اثرًا . وكذلك قال غيره همساً . وبعضهم هتف : لا يفوتني من هذه المشاهد واحد . لكني لست ادري ما بي فلا اميّز شيئاً (حفظهُ الله وامثالَه)

كلّ ذلك والخطيب يصف ويشرح لا يعتريه ملَل ولا فتور . وما فاتهُ الَّا « تشعيل السراج » . . .

انَّ مَن ذكرتُهم من الكتَّاب يتشبهون بالكرام ولكن لا يفلحون . توفّرت لديهم المَعدات ولكن فاتهم الأهمّ . فاتهم النور . وايّ نور ? ألعقل ? ألذكاء ? كلَّا ثمَّ كلَّا فالسوريّ امتاز دون سواه بالذكاء والنباهة وسعة العقل . فما ينقصهم اذن ? حقُّ المعرفة والعلم الوافي بما فيهِ يبحثون . فلا يغنيهم توفّر الموادّ وعبثاً تتوارد عليهم الافكار والصوَر وتنصاع لهم التعابير الأنيقة . فان لم يكن المرء على بيّنة واضحة من الغاية التي يتحرَّاها وقد جلَت لهُ كلّ الجلاء ابوابها وطرُقها اصبح يخبط خبط عشواء فلا هو يهتدي ولا الناس تدرك لهُ خبرًا او تفهم لهُ معنًى . يُجهد القُرَّاء انفُسَهم فلا يجدون سوى عبارات لا طائل تحتها ولا يلوح من خلالها الَّا ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض . فويحًا لحالة هذا الكاتب المسكين . ضلّ سعيُهُ ولم يجدِ وصفهُ وشرحهُ نفعًا لانهُ فاتهُ « تشعيل السراج »

(ستاتي البقية)

والسراج فيبدو شكلها كبيرًا على ستارٍ من النسيج المبلول . فيبهج بمنظره العين

الجُدَرِيُّ

(مقالةٌ للدكتور هنري نِكْر احد المدرّسين في مكتبنا الطبيّ)

لقد وفدت هذه العلّة الشنعاء من بضعة اسابيع وضربت اطنابها بين ظهرانَيْنا فطارت لها النفوس شَعاعاً. فاقتضت الحال ان نفرد لها مقالة مسهبة نصِف فيها كيفية سرَيان العدوى في الامراض الوبائية. وأوَّل ما يتبادر الى الذهن هذه الاسئلة: ما اصل الجُدَريّ؟ وما هي حقيقتهُ؟ وكيف السبيل الى دفع غوائلهِ؟

١ً اصل الجُدَريّ وخباثتهُ

انَّهُ لقد خفيَ عن الناس معرفة اصل الجُدَريّ ولو وقفوا عليهِ لزادوا في تاريخ الامراض فصلاً مهمّاً. ولكنْ ليس لديهم ما يستندون اليهِ في البحث والاستقصاء عنه. وهو قديم العهد في الصين والعجم والهند امّا الاوربيون فلم يشعروا بهِ في بلادهم الّا في القرن الخامس او السادس. وليس وضعهم لهذا الوباء دقيقاً وافياً وانّما استنتج العلماء ذلك من بعض علامات اشار الكتّاب اليها لا يصحّ نسبتها الّا الى الجدري

والرازي (١ اول من ألَّف في الجدري كتاباً بقي زمناً طويلاً الكتاب الوحيد في هذا الموضوع وفيهِ وصف محكم لهذا الداء

وما كنّا في مقالتنا هذه لنشير المخاوف والاوهام التي تستولي على العقول في زمن العلّة الوافدة بل نجتزئ بذكر ما يهمّ العموم عن الجدري وآفاته

اوَّلاً اذا ما هجم هذا الوباء للمرّة الاولى على بلدٍ فتك في السكان فتكاً ذريعاً (كما حدث في هايتي احدى جزائر الانتيل سنة ١٥١٧ وفي المكسيك سنة ١٥١٨ حيث افنى نصف الاهلين). والحصبة والقرمزيّة هما على هذا النمط ايضاً. ولا غروَ فانَّ السمّ المرَضيّ يسهل انتشاره في المكان الجديد اذ لا يجد فيه ما يقاومهُ ويكسر شوكتهُ. امّا اذا كان متوطّناً فيه من عهدٍ بعيد فهو خفيف الوطأة. والسرّ في ذلك أنه لا يندر ان يكون احد اجداد

---

١) ابو بكر محمّد بن زكرياء الرازي. كانت وفاته سنة ٣٢٠ ه (٩٢٣م). وكتابهُ في الجدريّ والحصبة ألَّفهُ في القرن التاسع للمسيح وقد طُبع سنة ١٨٧٢ بمطبعة الاميركان في بيروت

المجدور قد أُصيب بالجدريّ فتنتقل القوّة العاصمة منـه بالارث الى ذرّيته ولو ضعفت بالتناسل. ذلك رأي يسلّم بهِ العقل وإن لم تكن قرّرته مباحث العلماء

ثانيًا ان الجُدريّ يهجم دفعةً فدفعةً يفصل بينهما عددٌ من السنين . وهاك السبب : من الناس مَن يُصابون بالعلّة الوافدة فيصبحون بعد الشفاء متمتّعين بالقوّة العاصمة . ومنهم مَن يتـلافون امرها ويبادرون الى التطعيم فلا تلبث العلّـة ان يتقلص ظلّهـا ثم تزول

ولكنَّ الايام تمرّ والناس تتعاقب والقوّة العاصمة تضعف مع الزمان ويُهمل الجمهور امرَ التطعيم لتناسيهم اخبار الجدريّ . فاذا وجدت الجراثيم حالاً موافقة لها ثارت عن كثَب وانتشرت وعمّ الوباء

والجدريّ يصيب المرء في كلّ سنٍّ . وكثيرًا ما نرى في زماننا الحمّيات النفاطيّة (كالحصبة والقرمزيّة) تضرّ بالاطفال بينا انّ الجدريّ يُبقي عليهم لان التطعيم بعد مولدهم يدفع عنهم شرّهُ

٢ً في سير الجدري وعلاماته وحقيقته

ليس من يجهل سير الجدريّ عادةً . فاوّل اطواره طور الحضـانة من ١٠ الى ١٢ يومًا . وبعدها يعتري العليل ضنك وإعياء في كل جسمه وصُداع وثقـل في الرأس ووجع شديد في الظهر وغَثيان وقُياء . تلك اعراض اذا انضمّت اليهـا الحمّى لم تُبقِ ريبًا في هجوم العلّة الوافدة . وبعد مضيّ يومين على هذه الحال يبتدئ طور النِفاط ولا يتجاوز في الغالب يومين

وللجدريّ اسماء تختلف باختلاف كثرة النفاط او قلّته . فمنه المتجمّع او المتّصل ومنه المتفرّق او المنفرد . واذا كان سليمًا جدًّا فلا تتجاوز بثورهُ ٥٠ او ١٠٠ سمّي بالحُماق امّا النَزفيّ او الاسود (المعروف عنـد العامّة بالحبشيّ) فهو عبارة عن فسادٍ في الاجهزة عظيمٍ حتى ان الدم يخرج من الاوردة ويصل تحت الجلد. فيمكن القول ان الحُماق يُشفى منه دائمًا . والمتجمّع والمتفرّق غالب الاحيان . والنزفيّ لا شِفاء منه البتّة

ومتى ظهر النفاط سقطت الحمّى . واوّل ظهوره على شكل حُبوب صغيرة يقال للواحدة منها ذُبابة او نملة ثم تصير حُوَيصلة ثم بَثرة وهي مقعَّرة الأ في وجهها . امّا الحمّى التي هجعت فلا تلبث نحو اليوم الثامن ان تعود بسبب تقيّح البثور . لكنها اخفُّ منها

في الاول . فتنفجر البثور ويخرج منها الصديد على الجلد وهذه الحال تورث الانسان منظرًا سيئًا ومخيفًا . ثم يجفّ الصديد فيتكوّن منه الجِبال او القشر وهذا طور التَّقَشْقُش ومعه يبتدئ النَّقَه . وفي الجدريّ يتعافى العليل اسرع منه في الحمّى التيفوسيَّة مثلًا ويعود الى مزاولة اشغاله . ولمّا كانت الجِبال لا تنقلع الاَّ بعد حين بات المجدور ينشر الجراثيم اينما سار وذلك من عظم الاسباب لتفشّي الوباء . فانّ الجِبال تحتوي على كميّة وافرة من جراثيم الوباء واذا ما انقلعت تناثرت كالغبار وحملها الهواء الى جميع الجهات فاذا علقت بجسم قابل للعدوى بطشت به

٣ً كيف السبيل للوقاية من الجُدريّ

من المرجَّح ان البشر اهتمّوا من قديم الزمان بايجاد الدواء لمثل هذا الوباء الهائل . فاذا تأمَّلنا انهُ فتك بالالوف منهم فاسكنهم القبور وانَّ الكثيرين ممَّن عفا عن حياتهم شوَّه خِلقتهم وذهب ببصرهم (١ ادركنا انّ رجال الطبّ جعلوا شُغْلهم الشاغل ايجاد طريقة واقية او شافية

واوّل ما راقبوه ان الجدريّ لا يراجع . والثاني انهُ يوجد منهُ ما عدا النوع الشديد نوع خفيف يورث هو ايضًا القوّة العاصمة للمستقبل . فلم يبقَ لهم مِن ثمَّ غير خطوة للوصول الى قضيّة التلقيح . والصينيّون قد عالجوا زمنًا مديدًا نَقْلَ الجدريّ . فكانوا يجمعون باعتناء جِبال النوع السليم منهُ ويجعلونها مسحوقًا يضعونهُ في أنف من يُريدون تلقيحهُ . فلا يمضي ٨ او ١٠ ايام الاّ ظهر الجدريّ الحقيقي وسار سيرهُ الطبيعي . ولكن لسوء الطالع كان ينتج احيانًا عن لقاح النوع السليم نفاط النوع المتجمّع او النزفيّ . وهكذا كان يفقد الحياة او سلامة الاعضاء مَنْ طَمِع في الحصول على القوَّة العاصمة . ومع ذلك فان التلقيح كانت سوقهُ رائجة . ولا ريب ان الوباء كان شديد الوطأة عليهم حتى كانوا يُقدمون على مثل هذا العمل الخطِر

فبعد ما اكتشف الدكتور جِنّر (Jenner) التطعيم لم يبقَ للتلقيح من اثر . فانّ التطعيم وإن كثر الجدال فيهِ عند ظهوره لم يلبث ان عمَّ استعماله وما كانت نتائجهُ العظيمة في ايّامنا الاّ لتؤيّدهُ وتزيدهُ انتشارًا . ومرجع الفضل الى پاستور وتلاميذهِ في هذه

١) اذا اشتدّ النِفاط ربما نتج عنهُ تقرُّح القرنيَّة المؤدّي الى تلف العين

الاكتشافات الخطيرة واكثرها حديثة . ولا ريبَ أن القرّاء الكِرام يُسرُّون بالوقوف عليها على سبيل الإجمال

من المعلوم ان اكثر الامراض مسبَّبة عن آليَّات نباتيّة (ميكروب) من الطبقة السفلى والميكروبات لا يكاد يخلو منها مكان . فقد عدُّوا منها في قَلاح (وعند العامّة كخة) اسنان بعض اشخاصٍ حائزين على تمـام الصحَّة ما يربو على ١٥ نوعًا من تدرُّنيَّة ودفثيريَّة ورئويَّة الخ . وافواهنا رغمًا عن كل ما نبذلهُ في سبيلِ النظافة اضحت مجتمعًا للميكروب . فكيف اذن لا يُبلى اكثر الناس بذات الرئة او التدرُّن او الدفثيريا او بجميعها معًا ؟ ذلك سؤالٌ صرّح بالجواب عليهِ من بضع سنوات العالِم مِتشنِيكوف الروسي . فبيَّن انهُ اذا التقى الميكروب بكُرَيّات الدم البيضاء (١ احدقت هذه بهِ وابتلعتهُ ثم هضمتهُ على نوعٍ ما . فمتى قامت الكُرَيَّات حقّ القيام بوظيفتها ولم يكثر عليها عدد الميكروب سلِم الرجل او هلك العدوّ تِباعًا عنـد دخوله ولم يلحق بالاجهزة اذًى . ولكن متى قصَّرت الكُرَيَّات او هجم عددٌ وافر من الميكروب فاز بالغلبـة واستقلّ بالمكان وتزايد بسرعةٍ وسبَّب المرض . فابتلاع الكُرَيَّات للميكروب وهضمها لهُ حركةٌ تدعى فاغوسِيتُوز (phagocytose)(٢ . وفي بعض الامراض كالكُزاز او التِّتانوس والدفثيريا مثـلًا يبقى الميكروب موضعيًّا في نقطةٍ لا يتحوّل عنها ولا يختلط بالدم (هذه النقطة هي غشاء الحنجرة الكاذب للدفثيريا وسطح القروح للكزاز) . ومع ذلك نرى المَرَض يظهر بجميع اعراض تسمّم عامّ في كل الاجهزة . والسبب لذلك انّ الميكروب وإن لم يتحوَّل عن مكانه فهو يَفرز موادّ سامّـة جدًّا تسري مع الدم في دورته وتحمل السمّ الى كلّ اطراف الجسم . وهذه الموادّ تسمَّى تُوكسـين (toxine) وهي شديدة الخطر لاسيَّما وانها بقابليّتهـا الزائدة للاختمار تنمو في الاجهزة ايَّ نموٍّ ومفعولها كمفعول الخميرة في العجين . وكفى بالنزر القليل منها ليأتي بالنتائج الوخيمة . نعم انّ مثل هذا التقرير قلّما يسرّنا فكأنَّهُ يُثبت لنا أن كل مَن دخل جسمـه مقدارٌ من هذه الموادّ ولو زهيدًا جدًّا هالكٌ لا محالة . والحمد لله ان ما نمتحنهُ يوميًّا يثبتُ

١) نذكِّر القرّاء ان الدم يتركَّب من مائع (مصل) فيهِ موادّ لطيفة جامدة (كُرَيَّات حمراء وبيضاء) ففي كلّ ملّمتر مربّع من الدم ترى خمسة ملايين من الكُرَيَّات الحمراء بمقابلة خمسة آلاف من البيضاء . وكلامنا هنا على البيضاء

٢) هي كلمة مركَّبة من لفظتين يونانيَّتين معناهما ابتلاع الكرَيَّات (للميكروب)

لنا خلاف ما نتوهَّم. ودونك السبب عن ذلك :

ان الكُريّات لا تكتفي بابتلاع ما تصادفهُ من الميكروب بل انها لكي تدفع اذى المواد السامّة تفرز هي ايضًا ترياقًا يسمَّى أنطِيتُوكسِين (antitoxine) له من القابلية للاختار ما للمواد السامّة وفاعليّته عظيمة لابطال مفعولها وكسر شوكتها . فالحرب عوانٌ بين الفريقين . فمن جهة الكريّات البيضاء وترياق ومن الاخرى الميكروب والمواد السامّة . فكما انهُ يمكن للميكروب ان يتغلّب على الكُريّات كذلك يمكن للمواد السامّة ان تقوى على الترياق اذا سرى منها في الجسم كميّة كافية لأن توقع في الاجهزة خللًا قبل ان يُفرَز الترياق اللازم . وتلك مسألة مبنيّة على السرعة اكثر منها على الكميّة . لانّ الترياق عجيب فقطرة من مصل حيوان مطعَّم ضدّ الكُزاز كافية لِتقي من الكُزاز اكثر من عشرة الاف مليار رجل . ومما ترجحّ عند العلماء ولم يتقرّر بعدُ ان الكميّة القليلة من المواد السامّة تهيّج في الكُريّات البيضاء فعلًا شديدًا لمناقضة السمّ وابطالهِ . وان الكميّة الكثيرة بخلاف ذلك تضعف هذه الكُريّات وتلاشيها على نوعٍ ما (١

ولا بدّ من القول ايضًا ان الاطبَّاء استعملوا لتلطيف قوّة بعض الميكروب والموادّ السامّة وسائلَ عديدة كالكهرباء والحرارة الخ . فتلك الموادّ اذا ما عالجوها بهذه العوامل الطبيعيّة امكن حقن الحيوان بها من غير خطرٍ ولولا التلطيف لهلك لا محالة

فيسهل الآن ادراك الطريقة الى استخراج انواع المصل . فلو اردتَ مثلًا المصل ضدّ الدفثيريا حقنت حصانًا بسمّ الدفثيريا الملطَّف فلا يلبث ان ينتشر هذا السمّ في اجهزة الحيوان ويهيّج فيها إفراز الترياق . ثم تحقنهُ ثانيةً بسمّ اقوى فيقبلهُ جسمهُ لما قد تكوّن فيهِ من الترياق . وهكذا تكرّر الحقن مرارًا بسمٍّ اقوى فاقوى لكنهُ لا يعمل بالجسم لانّ الترياق ايضًا يزداد قوّةً . فينتج حينئذٍ من توالي الحقن ان يكتسب مصل ذلك الحصان خواصّ ترياقيّة تنمو بازاء السمّ الدفثيريّ

فاذا أُصيب طفل بالدفثيريا وخيف على حياته من الهلاك . فما علينا وقتئذٍ سوى حقنهِ بذلك المصل الذي اعددناه فيقاوم الترياقُ السمَّ الدفثيري ويُرجى للطفل الشفاء . ولكن ان سرى السم في الاجهزة قبل الحقن صحّ القول انّ السيف سبق العذل ولات حين رجاء

١) ان الانتيتكسين وانواع الترياقات اذا ما دخلت في الجسم لا تلبث ان تختلط بالبول فتفقد قوّتها العاصمة وتتلاشى

وكلّ ما ذكرناه يكشف لنا الحجاب عن حقيقة القوّة العاصمة في كثيرٍ من الامراض . فالحمّى التيفوسية والحصبة والقِرمزيّة والجُدَريّ لا تراجع بسبب الترياق المقابل لها الذي يتكوّن في الاجهزة . وذلك لانهُ يبقى مدى حياة الانسان في جسمه جزءٌ من الترياق كافٍ لصيانتهِ من الوباء او لأنَّ الكُرَيات البيضاء متى تهيّجت مرةً للافراز لم تنقطع عن العَمل مدى الحياة او لأنّه بعد زوال كل اثر للترياق تبقى في الكُرَيات قابليّةٌ لتفرز بسرعةٍ كميّة منهُ وافية لاوّل هجوم السمّ

وسائلٍ يقول : هل يوجد لكلّ سمّ ترياق خاصّ بهِ يعاكسهُ ؟ لا لعمري . ولنا على ذلك برهان قريب في مطعوم الدكتور جِنّر وعليهِ الآن مدار كلامنا . ومع ذلك فالابحاث في هذه المسألة متواصلة ولم تزل حتى الآن نجهل نتيجتها

انّ كلّ ما ذكرناه كان لا غنى عنه لندرك فعل مطعوم جِنّر حقّ الادراك فهذا المطعوم عبارة عن جرثوم وبائي . وهو يختلف كل الاختلاف عن لقاح الجدري حتى ان مطعوم جِنّر لم يسبّب قطّ الجدريّ . ولقاح الجدريّ لم يورث التطعيم . انّما الامر الذي لا شبهة فيه هو ان مطعوم جِنّر ولقاح الجُدريّ يورثان معًا القوّة العاصمة من الجُدريّ والتطعيم ويقيان منهما . فاقتضى الامر اذن لدفع شرّهما ان يكون كلٌّ منهما افرز ترياقًا مضادًّا لكليهما معًا

لكن يا ترى هل تدوم القوّة العاصمة التي اكتسبناها من الجدري السليم او من التطعيم ؟ نقول وفقًا للقاعدة العامّة ان الجدريّ يورث قوّةً تدوم مدى الحياة . امّا التطعيم فقوّتهُ لا تتجاوز من ١٥ الى ٢٠ سنة بيد اننا لا نقرّر ثبوت فاعليّتها بصورة قطعية . وكثيرًا ما أُصيب بالجدري اولادٌ بعد ٤ او ٦ اعوام وكان تطعيمهم مع ذلك حسنًا لكنّ الجدريّ حينئذٍ سليم جدًّا وهو الحُماق كما مرّ بل انحراف صحّة لا مَرَض

فكلّ ما تقدّم يثبت لنا ان مطعوم جِنّر عاد بالفوائد العظيمة على المجتمع البشري ولذا سعت الامم في تعميم استعماله . فانّ التطعيم واجب في بعض البلاد وفي بعضها اختياري . ولكن لا يباح لاحد ان ينتظم في سلك مناصب الحكومة الّا اذا حمل شهادة ناطقة بتطعيمه . ولا ريب انهُ بانتشار المعارف بين الجموع يقلّ عدد المتهاملين في هذا الامر وتعمّ عادة التطعيم المحمودة

وقد يُخال لاوّل وهلة انّ الشريعة القاضية بوجوب التطعيم هي مجحفة بحرّية

الأفراد . وليس الامر كذلك لانَّ الرجل لا يعيش وحده منفرداً فمن الممكن انّ مرضه يعدي امثاله الموجود بينهم . فيحق اذن للمجمع الانساني ان يتّخذ الوسائل دفعاً لويلات الوباء

فضلاً عن ان التطعيم لا ينتج عنهُ ادنى محذور . نعم لو كان يُنقل المطعوم من ذراعٍ الى آخر لقايل انهُ يخشى انتقال ما في الاول من الامراض الى الثاني بهذه الواسطة ولكن لا سبيل الى العدوى اذا جرى هذا التلقيح على قواعده . بيد ان الحكمة تقضي بنبذ ما كان خطره ممكناً

والطريقة الى دفع كل محذور هي باتخاذ المطعوم البقريّ . فانّهُ قد عمّ استعمالهُ في ايّامنا بل كاد لا يُستعمل غيره . اوّلاً لانَّهُ اذا استُعمل لا بأس من سريان العدوى من شخص الى آخر . ثانياً لسهولة الحصول على الكميّة المطلوبة منهُ في كل آن . امّا التلقيح من ذراع الى آخر فيستحيل اقتناؤه متى اقتضى أن يُعالَج به في العالم الوفّ في وقتٍ معاً

ولا يسعنا في هذا المقام الآن ندفع ما استولى على الجماهير من الوهم ان التطعيم في زمن العلّة الوافرة يعرّض المرء لقبول الجُدَري . ذلك ضلالٌ وخيم العاقبة يقضي ببطلانه كلُّ ما كشفه لنا العلم . وليس لنا الّا ان نستند على ما تقدم من التفاصيل عن فعل جراثيم المرض وتولُّد الترياق فنأتي مِن ثَمَّ بالبرهان ذي الحدّين في حالي التطعيم او عدمهِ فنقول :

اذا وفدت العلّة فالرجل الذي لم يتطعَّم إمَّا يحتوي جسمه على الترياق الواقي من الوباء وإمَّا لا يحتوي . فان كان الاوّل فنِعمَّا . وإن كان الثاني (ولا يدري احدٌ بحقيقة الواقع) فتكت بهِ العلّة

وبخلاف الامر انَّ الذي تطعّم او سرى الترياق في جسمهِ او لا . فان كان الاوّل . لا يفعل فيهِ المطعوم . وان كان الثاني فالتطعيم يولّد فيهِ الترياق المرغوب وهكذا يكسب راحة البال في كلا الامرين

فلا بدَّ اذن من التطعيم كيفما كانت الحال وعند الختام نقول إن الاطبَّاء اوّل من يبادرون الى التطعيم فيلتجئون اليهِ في العلّة الوافدة هم واهل بيتهم . وكفى بمثالهم عبرةً لقومٍ يعقلون

استعمال الفطير والخمير

(للاب انطون صالحاني اليسوعيّ)

نُشرت مؤخراً في هذه البلاد مقالة عن الخمير والفطير ضمَّنها كاتبها آراء غير سديدة فرغب الينا كثيرٌ من قرائنا الكرام ان نبيّن لهم الصحيح من الفاسد والغث من السمين فلبَّينا الى دعائهم وعمدنا الى وضع نبذة وجيزة في هذا المعنى قصدنا فيها انارةً للعقول رفع حجاب الالتباس عن وجه الحقيقة

ويُقتضَى علينا بدء بادئٍ ان نميز الزمن الذي سبق انفصال اليونان عن الكنيسة الغربية (١ والزمن الذي وليَهُ ففي العشرة القرون الاولى من النصرانية لم يكد آباء الكنيسة وعلماؤها ومؤرخوها يذكرون الخمير او الفطير الّا على سبيل العرَض وبوجه يُستدلّ منه انهم لم يكونوا يعلّقون على هذه القضية كبير اهمّيّة. فلم تكن عُرفت اذ ذاك ولا وُجدت مسألة الفطير والخمير. وهذا العلّامة فوتيوس قد ضرب صفحًا عن مسألة الفطير ولم يصوّب سهام الملامة الى الكنيسة اللاتينية على استعمالها لهُ. ففي سكوتهِ دليل على انهُ لم يكن يعتبر المسألة كما اعتبرها بعض خلفائهِ بعده وانه سوّغ تقديس الخمير والفطير بالسواء. فلمَّا تمّ الانفصال نشأت هذه المسألة ثمّ تفاقمت واستفحل امرها فاضحت شغلًا شاغلًا وموضوع مجادلات عنيفة حتى ان بطريرك القسطنطينية ارميا علّم وصرّح بان الخبز اذا لم يكن خميراً لا يتحوّل الى جسد الرب (٢

امَّا اللاتين وان استعملوا الفطير وفضّلوه (٣ فقد علّموا وما زالوا يعلمون مع السواد

١) تسمية الكنيسة بغربية او شرقية لم يكن لها من اثر في القرون الاولى للنصرانية. انما احدثها انقسام المملكة الرومانية الى قسمين هما مملكة الغرب ومملكة الشرق وكان ذلك بعد وفاة ثيودوسيوس الكبير سنة ٣٩٥ ثم انتشرت هذه التسمية وتأصّلت في الكنيسة نفسها بعد ان حدث ما حدث من الاختلافات الدينية والنفور بين كنيسة القسطنطينية والكرسي الرسولي في القرن الحادي عشر

٢) راجع الفصل العاشر من تأديبات الكنيسة الشرقية ولكن ليس الجميع يقولون بهذا التعليم. فانّ كثيراً من اليونان مع ادعائهم بان استعمال الخمير هو اقرب لعادة الكنائس الاولى لا ينكرون كون الفطير يصلح كالخمير لتتميم سرّ الافخارستية

٣) وكذلك يصنع اللوترانيون فانّهم في عشائهم السرّي يستعملون عادةً الفطير. الّا انهُ يجوز

الاعظم من الشرقيين ان الفطير والخمير هما مادَة صحيحة للافخارستية على حدّ سواء لانّ كليهما خبز حقيقي (١ وكان استعمالهما جائزًا في القرون الاولى للنصرانية جريًا على احوال كلّ بلدٍ وما أَلِفَهُ الأَهلون في العوائد كما يتَّضح ذلك مما سنوردهُ

امَّا بعد الانفصال فلمَّا حمي الخصام بين الفريقين ورُشق اللاتين بسهام الملامة على استعمال الفطير (٢ سنَّ الاحبار الرومانيون شريعة أَلزموا بها ان يقدّس او يتقرَّب كلٌّ بحسب طقسهِ (٣ الَّا في بعض ظروف بيَّنوها بالتفصيل (٤. وانمَّا وضعوا تلك الشريعة تلافيًا

عندهم استعمال الخبز فطيرًا كان او خميرًا . وهذا هو ايضًا تعليم تيودور البيزي. امَّا في جنيف فانَّهم فضَّلوا الخمير سنين عديدة الى ان جرت بينهم مباحثات ومخاصمات ادَّت بهم الى إعادة الفطير. واكثر الكلوينيين في ايامنا يعوّلون على الخبز العمومي الاعتيادي اي المختمر

١) زعم البعض ان اللفظة اليونانية αρτος التي عبَّر بها الانجيليون عن الخبز لا تطلق الَّا على المختمر منهُ. لكن هذا الزعم مردود من عدَّة اوجه اخصُّها: (١ ان الكتاب الكريم يطلق ايضًا هذه اللفظة على الفطير. ففي سفر الاحبار (٢: ٤ و ٥) يذكر ان التقدمة تكون فطيرًا وينعتهُ بخبوز αρτους αζυμους ويشير اليهِ القديس متى فيسمّيه خبزًا على الاطلاق τους αρτους της προθεσεως « خبز التقدمة » (متَّى ١٢: ٤). ومعلوم ان خبز التقدمة كان كلهُ فطيرًا كما يشهد بذلك سفر الاحبار (٢: ١١): « جميع التقادم التي تقربونها للرب لا تعمل بخمير ». (٢ لمَّا اتكأَ المسيح مع التلميذين في عمواص (لوقا ٢٤: ٣٠) يخبر الانجيلي انهُ « اخذ خبزًا وبارك وكسر وناولهما » ويعبر عن هذا الخبز باللفظة اليونانية αρτος . وليس من احد ينكر ان هذا الخبز كان فطيرًا لانَّها كانت ايام الفصح عند اليهود . (٣ كل الشعوب قديمة كانت او حديثة اعتبرت الفطير خبزًا حقيقيًّا كالخمير واطلقت عليهِ لفظة خبز. وعرب البادية الذين لا يقتاتون في الغالب الَّا بالفطير يسمونهُ بلا خلاف خبزًا . ويقال عن لوط لما اتاه الملاكان انهُ « صنع لهما مأْدبةً فخبز فطيرًا واكلا » (تكوين ١٩: ٣)

٢) انفذ سنة ١٠٥٣ ميخائيل كرولاريوس بطريرك القسطنطينية ولاون رئيس اساقفة اكريدة في مقدونية رسالةً الى يوحنا اسقف تراني وطلبا اليهِ ان يبلغها الى البابا لاون التاسع والى جميع كنائس الغرب . واقوى شكوى تضمَّنتها هذه الرسالة هي عادة اللاتين ان يقدّسوا الفطير في الذبيحة الالهية . ثم ان كرولاريوس دون ان ينتظر الجواب عمد الى كنائس واديرة اللاتين في القسطنطينية فاقفلها لانَّها لم تخضع لمطالبهِ في تبديل الفطير بالخمير

٣) ان الكنيسة اللاتينية تعظم بهذا المقدار الطقوس الشرقية حتَّى ان البابا يناول الشمامسة اللاتين دون اليونان عند ما يقدم الذبيحة الالهية في بعض الاحتفالات الحبرية ويخدمهُ فيها فضلًا عن جمهور الكرادلة اكليروس من الطقس اليوناني يقرأُون الانجيل بلغتهم . وذلك رغبةً في المحافظة على الطقوس

٤) سمح البابا لاون التاسع للكاهن اللاتيني ان يقدس الخمير اذا وجد في الشرق بين ظهرانَي

للخصومات وبياناً لاعتقاد الكنيسة مصرّحين بذلك ان كلتا العادتين محمودة وكلتا المادّتين مقبولة تصلح لتتميم سرّ الافخارستية

هلمَّ الآن نبحث عن استعمال الكنائس الغربية للفطير وعن بدئهِ واسبابهِ . فنقول انَّ الكنيسة الرومانية تقدس الفطير اقتداء بما عمل السيد المسيح وجريًا على عادةٍ قديمة ترتقي الى عهد الرسل

انهُ لأمرٌ مقرر ان المسيح لم يستعمل في رسم الافخاريستية الَّا الفطير لانهُ رسمهُ عندما اكل الفصح مع تلاميذهِ وكان محتومًا الَّا يوجد اذ ذاك في البيوت سوى الفطير . وقد ورد في سفر الخروج (١٢ : ٢٠) : « لا تاكلوا شيئًا من المختمر بل في جميع مساكنكم تاكلون فطيرًا » . وفيهِ ايضًا : « سبعة ايَّام تاكلون فطيرًا . في اليوم الاوَّل تخلون منازلكم من الخمير . . . في الشهر الاوَّل في اليوم الرابع عشر منهُ بالعشيّ كلوا فطيرًا الى اليوم الحادي والعشرين من الشهر بالعشيّ . سبعة ايَّام لا يوجد خمير في بيوتكم فان كلَّ من اكل خميرًا تنقرض تلك النفس من جماعة اسرائيل » (خروج ١٢ : ١٥ و ١٨ و ١٩) . وجاء في محلٍ آخر (احبار ٢٣ : ٥ و ٦) (١ . « في الشهر الاوَّل في الرابع عشر منهُ بين الغروبَيْن فصح للربّ . وفي اليوم الخامس عشر من هذا الشهر عيد الفطير للربّ سبعة ايَّام تاكلون فطيرًا

ولا ريب ان المسيح اكل الفصح في اليوم الاول من الفطير كما تامر الشريعة . ويتضح ذلك من آيات الانجيل الطاهر في قول (متى ٢٦ : ١٧) : « وفي اول يوم من الفطير دنى

قوم يقدسون الخمير ولم يكن هنالك كنيسة يُستعمل فيها الفطير . وكذلك سمح للكاهن ذي طقس الخمير ان يقدس الفطير اذا وجد في الغرب ولم توجد كنيسة يُقدَّس فيها الخمير (مجموعة رسائله ك ١ ف ٢٩) . وفي هذه السنوات الاخيرة سنَّ قداسة البابا لاون الثالث عشر شريعة تأذن بمغايرة الطقس في ما يختص بالمناولة في بعض الظروف وقد بيَّنا هذه الظروف بالتفصيل مرارًا في جريدتنا البشير . وهذه الشريعة هي بعض استئناف لعوائد كانت تجري الكنيسة بمقتضاها قديمًا

١) معنى الفصح الاجتياز والعبور اشارةً الى ما صنعهُ الرب لما اجتاز بيوت الاسرائيليين في ارض مصر ولم يصب ابكارهم بأذًى : « اذا قال لكم بنوكم ما هذه العبادة لكم فقولوا هي ذبيحة فصح للرب الذي عبر عن بيوت بني اسرائيل بمصر اذ ضرب المصريين وخلَّص بيوتنا » (خروج ١٢ : ٢٦و٢٧) . واما عيد الفطير فقد رُسم تذكارًا لما حدث للاسرائيليين عند خروجهم من مصر على ما اخبر بهِ الكتاب المقدس اذ قال : « حمل الشعب عجينهم قبل ان يختمر . . . فاختبزوا العجين الذي خرجوا بهِ من مصر مليلًا فطيرًا اذ لم يكن قد اختمر لانَّهم طُردوا من مصر ولم يقدروا ان يتلبثوا حتَّى انهم لم يصنعوا لهم زادًا » (خروج ١٢ : ٣٤ و ٣٩)

التلاميذ الى يسوع قائلين اين تريد ان نعدّ لك الفصح لتأكل » وقال مرقس (١٤ : ١٢) باوفر ايضاح : « في اوّل يوم من الفطير اذ كانوا يذبحون الفصح قال لهُ التلاميذ اين تريد ان نمضي ونعدّ لتاكل الفصح » . ومثلهُ لوقا (٢٢ : ٧ , ٨) : « وبلغ يوم الفطير الذي كان ينبغي ان يُذبح فيهِ الفصح فارسل بطرس ويوحنا قائلًا امضيا فاعدًّا لنا الفصح لنأكل » وكفى بهذه الآيات برهانًا لدَحْض آراء من زعموا انّ المسيح لعلمهِ بدنوّ موتهِ سبق فعجَّل اكل الفصح . فانّ الانجيل يذكر انّ اليوم الذي اكل فيهِ المسيح الفصح كان اوَّل يوم من سبعة ايّام الفطير وانّ اليهود كانوا يذبحون فيهِ الفصح . ولا يشير الى قصدٍ خصوصي للمسيح بل الى العادة العمومية والشريعة المحتوم على الجميع تتميمها . ثمَّ ان التلاميذ الذين لم يكونوا ليعلموا او يفهموا امر موت سيدهم هم الذين استلفتوا انظاره الى حفظ الوصية واكلِ الفصح وفقًا للشريعة . ولا مِراء انهم طلبوا اليهِ اتباعها وتتميمها في اليوم المعين في الناموس (مرقس ١٤ : ١٢)

ثمَّ ان المسيح كان ذكَّر الرسل بدنوّ العيد اذ قال لهم : « تعلمون انَّهُ بعد يومين يكون الفصح وابن البشر يسلَّم للصلب » (متى ٢٦ : ٢) « وكان الفصح والفطير بعد يومين » (مرقس ١٤ : ١) . وقرب عيد الفطير المسمى الفصح » (لوقا ٢٢ : ١) . وهذا دليل آخر على ان المخلص كان عزم على اكل الفصح في وقتهِ

ويجدر بالملاحظة ما اوردهُ الانجيليون فقالوا : « ولما كان المساء اتكأ مع تلاميذه (متى ٢٦ : ٢٠ ومرقس ١٤ : ١٧) وزاد لوقا ايضاحًا فقال : « ولما كانت الساعة اتكأ هو والرسل » (لوقا ٢٢ : ١٤) وفي تعيين الانجيليّين لليوم وساعةِ المساء اشارةٌ بينة الى ما امر بهِ الله في سفر الخروج (١٢ : ١٨) : « في الرابع عشر منهُ بالعشي كلوا فطيرًا » وقال ايضًا (خروج ١٢ : ٥—١٠) : « حملٌ صحيح . . . ويكون عندكم محفوظًا الى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر فيذبحهُ كل جمهور جماعة اسرائيل بين الغروبين . . . وياكلون لحمهُ في تلك الليلة شواء نارٍ بفطير . . . ولا تبقوا شيئًا منهُ الى الغداة » . وفي سفر الاحبار (٢٣ : ٥) : « في الرابع عشر منهُ بين الغروبين فصح للرب » . فمن اسلوب الكلام الذي ذكر بهِ الانجيليون اكل المسيح للفصح يُستنتج برهان قاطع على ان المخلص اكلهُ في اليوم المأمور بهِ والساعة المعينة في الشريعة . لأنَّهُ كان يحافظ كلَّ المحافظة على القيام بهذه السُّنَّة . ولو افتُرض انهُ لم يجرِ بحسب الوصية على النوع والوقت اللذين رتبهما الله لما كان

اعداء المسيح سكتوا في جملة الشكاوي التي احتجُّوا بها عليه زورًا عن هذه المخالفة الصريحة

ولا حاجة الى القول بان كثيرًا من الآباء القديسين علّموا بان المسيح تمم الفصح الشرعي كما كان واجبًا . فيكفي ايراد شهادة اثنين منهم . فهذا يوحنا الذهبي الفم (في الميمر ٨٤ وفي بعض النسخ ٨٥ العدد ٢ في تفسير انجيل متى) يقول : « ان المسيح لم يتعدَّ وصيّة وقت الفصح(١ » . وقال القديس ابيفانيوس « ان المسيح انفرد في الجبل بعد ان اكل الفصح ... وقد تمم فصح اليهود مع تلاميذه ولم يغيّر شيئًا فيهِ بل تمَّمهُ بالتدقيق كاليهود لانهُ لم يأتِ لينقض الشريعة بل ليكملها (٢ » . وقال فوتيوس في الفصل ١١٦ من مكتبته الشهيرة . « ان المسيح تمَّم الفصح الشرعي (٣ » . وعليهِ فيكون السيد قد استعمل الفطير كما تأمر الشريعة

هذه هي اخصُّ البراهين التي تثبت ان المسيح اكل الفصح في اليوم المعين في الشريعة وانهُ اكله مع الفطير كما يُؤمر فيها . فبكل صواب اذًا نَستنتج انَّ السيّد لهُ المجد قدَّس الفطير لانهُ لم يكن بين يديهِ اذ ذاك الَّا هذا الخبز

ولكن اذا طالعنا ما كتبهُ يوحنا في انجيلهِ في معرض كلامهِ عن الفصح وعن آلام المسيح تقوم امامنا صعوبات ليست بيسيرة وتعترضنا مشاكل عسرة نبسطها كما هي ونلحقها بما نراه احقّ او اقرب الى الصواب

امَّا الآيات التي وردت في انجيل يوحنا ويظهر منها ان المسيح لم ياكل الفصح مع جمهور اليهود فهي هذه : « قبل عيد الفصح لما كان يسوع يعلم ان ساعته قد اتت ... فحين كان العشاء .. » (١٣ : ١و٢) . وقولهُ : « ولم يدخلوا الى دار الولاية لئلاَّ يتنجسوا فيمتنعوا عن اكل الفصح » (١٨ : ٢٨) . وقولهُ ايضًا : « وكانت تهيئة الفصح وكان نحو الساعة السادسة » (١٩ : ١٤) . وفي الفصل ذاتهِ : « اذ كان يوم التهيئة فلئلَّا تبقى الاجساد على الصليب في السبت لان يوم ذلك السبت كان عظيمًا » (١٩ : ٣١) الى ان قال : « فوضعا يسوع هناك لاجل تهيئة اليهود » (١٩ : ٤٢) . فيظهر من هذه الآيات كلها ان عيد الفصح وقع تلك السنة يوم السبت لا يوم الجمعة وعليهِ كان واجبًا اكل الحمل الفصحي مساء الجمعة

١) « ου γαρ αν ο Χριστος παρεβη τον καιρον του πασχα »

٢) في كتاب الهرطقات الهرطقة ٥١ العدد ٢٧

٣) « ο Χριστος το νομικον επετελει πασχα »

لا مساء الخميس . والحال انّ المسيح اكل الفصح مساء الخميس ولم تكن ايام الفطير قد ابتدأت . فليس اذًا برهان قطعيّ ان المسيح قدَّس الفطير

فنحلّ هذا المشكل نقول انَّ لليهود في حساب الايام طريقتين حساب طبيعيّ وحساب شرعيّ . فالطبيعيّ يتبع اليوم الطبيعيّ من نصف الليل الى نصفهِ . والشرعيّ او العيديّ حدُّه من الغروب الى الغروب . فالانجيليُّون متّى ومرقس ولوقا اذ يتكلمون عن اول يوم من الفطير يراعون اليوم الشرعيّ الذي وقوعهُ يوم الجمعة ١٥ نيسان وبدؤهُ مساء الخميس ١٤ نيسان . وعليهِ فكان بدء الفصح مساء الخميس وفيهِ اكلوا الفطير . امَّا القديس يوحنا الذي كتب انجيله لاجل اليونان خاصَّةً (١ فانهُ يراعي في حساب الأيَّام عادة اليونان والرومانيين الذين كانوا يبدأُون اليوم من نصف الليل . فبقولهِ « قبل عيد الفصح » يعني ليلة العيد . فكانهُ قال: مساء الخميس قبل يوم الجمعة الذي كان فيهِ عيد فصح اليهود . ويؤيد هذا التفسير ما ذكرهُ يوحنا في الموضع نفسهِ . فانهُ اردف كلامه « قبل عيد الفصح » بهذه الآية: « فحين كان العشاء » يريد العشاء المعهود والمشهور . فعبارة يوحنا ترادف قولنا: مساء الخميس الواقع قبل عيد الفصح وقت العشاء الفصحي اتكأ يسوع مع تلاميذهِ ليأكل معهم الفصح . ومن هنا يتَّضح ان القديس يوحنا بقوله « قبل عيد الفصح » لا ينفي وقوع عيد الفصح في يوم الجمعة ١٥ نيسان

ولكن ما الجواب على الاعتراض المبني على قول يوحنا انَّ يوم موت المسيح كان « يوم التهيئة » و « تهيئة الفصح » وان اليهود « لم يدخلوا دار الولاية لئلَّا يتنجَّسوا فيمتنعوا عن اكل الفصح » . فهذه الآيات تدلُّ صريحًا على ان اليهود ضحى نهار الجمعة لم يكونوا بعد قد اكلوا الفصح وانهم كانوا يتهيأُون ليأكلوه مساء ذلك النهار

(ستأتي التتمة في العدد الآتي)

---

١) كتب يوحنا هذه الامور بعد ان مضى عليها ما ينيف على ستين سنة . وفي انجيلهِ ما يدلّ على انهُ يكتب لأمم لم يألفوا عوائد اليهود . ولذلك كثيرًا ما تراه يفسّر لهم احوال العبرانيين وينقل الفاظ لغتهم الى اليونانية ويصف الامكنة الوارد ذكرها الى غير ذلك من الادلَّة التي تبين مراعاتهُ لامور الامم الذين يبشرهم

كتب

تاريخ بيروت واخبار الامراء البُحْتُريّين من بني الغَرب

لصالح بن يحيي

سعى بنشرهِ وتهذيب عبارتهِ وتعليق حواشيهِ

الاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لِما قبل)

وامّا القناة (١ التي كانت تجري اليها فهي من العمائر العجيبة وكانت تجري من مكان يسمّى العَرْعار (٢ من ارض كسروان (٣ قيد اثني عشر ميلًا

١) هذه القناة من عجائب الآثار القديمة وقد بقي منها الى اليوم بقايا ضخمة موقعها في وادي العرعار بين قريتيْ برمانا وبيت مري وهي المعروفة عند البعض بالجسر الروماني والغالب عليها اسم قناطر زبيدة. ويقول العامّة ان زبيدة زوجة الخليفة هرون الرشيد هي التي شيَّدتها لتستجلب بها مياهاً عذبة لبيروت. ونسبها البعض الى زينب ملكة تدمر الشهيرة. والصحيح انّ هذه القناطر قديمة العهد تنبئ هندستها على شغل الرومانيين. وفوقها كانت تجري المياه المجلوبة من نبع نهر بيروت. وقد زعم البعض ان باني هذه القناة هو بطلميوس المعروف بالشهير شيَّدها في اواخر القرن الثالث قبل المسيح. وقد زارها العلّامة الاب ميشال جوليان اليسوعي منذ نحو اربع سنوات ووصفها وصفًا مدقّقاً. وسننقل ان شاء الله وصفهُ في بعض اعداد مجلّتنا المشرق لما فيها من جزيل الفوائد وهو يبيّن في مقالتهِ انّهُ كان ينصبُّ بالقناة في الثانية متر مكعَّب من الماء اي ازيد ممّا تأتينا بهِ الآن آلات جمعية نهر الكلب الانكليزية بنحو خمس عشرة مرَّة. هذا وانّ في قرب الشياح آثارًا لقناة كانت تجري بها المياه الى بيروت فيقال انّ مياه النهر كانت منقسمة الى قسمين فتأتي بيروت شرقًا الى مصنع في محلّ القبيبات وجنوبًا الى مصنع في الشيّاح ومنهما تجري المياه فتعمّ سائر انحاء البلدة

٢) يستدلُّ من هذا ان اسم الوادي الذي فيهِ يجري نهر بيروت هو العرعار. وبهِ سمّى البعض نبعَ هذا النهر نبعَ العرعار. وكان القدماء يدعونهُ نهر ماغوراس

٣) انَّ اسم كسروان لم يحصر في قديم الزمان في المقاطعة المعروفة اليوم بهذا الاسم وانما كانت تمتدّ الى جهة المتن الاسفل

وممّا يُستدَلّ على كبر بيروت وسعتها (١ ما يجدُ الناس في الحدائق بظاهرها من

١) قد احببنا ان نروي هنا نبذة ملخَّصة من تاريخ بيروت القديم الى الزمان الذي ذكرهُ المؤلف لئلّا تفوت هذا الكتاب ما ورد في غيره من الفوائد التاريخية التي يجب اهل بيروت الاطلاع عليها فنقول :

قد سبق انَّ بيروت من اقدم مدن الله عهدًا . بيد انهُ لم يكن في يدنا الّا النزر القليل من اخبارها في القرون السابقة للمسيح حتَّى صرَّح الحق عن محضهِ منذ عشر سنوات لمَّا اكتُشفت في الصعيد تلك الكتابات الجزيلة الأهمية المعروفة برسائل تلّ أمرنا . وهي عبارة عن مجموع رسائل وردت ملكَي مصر امينوفيس الثالث وامينوفيس الرابع من قبل عمَّالهِ في كنعان فضلًا عن مراسلاتها مع ملوك سورية وبين النهرين في القرن الخامس عشر قبل المسيح وهذه الرسائل مكتوبة باللغة الاشورية او البابلية وهي محفوظة في متاحف لندرة وبرلين وبولاق

فيستخلص من هذه المكاتبات ان بيروت كانت في اوَّل امرها كبقيَّة مدن فينيقية خاضعة لملوك اشور ونينوى الاوَّلين . والدليل على ذلك انَّ اهلها وحكَّامها كانوا يتكلَّمون باللغة الاشورية ويكاتبون بها ملوك مصر بعد ان فقد البابليُّون ولايتها . وبقي اللسان الاشوري شائعًا في ظهراني الامة الفينيقية وعنهُ تفرَّعت اللُغة الكنعانيَّة ثمَّ الفينيقيَّة . ولمَّا قويت شوكة الفراعنة تولَّوا على سواحل فينيقية نحو القرن الثامن او التاسع عشر قبل المسيح وكانت بيروت من جملة ما ملكت ايديهم . وجعل ملوك مصر لكل بلدة « خزاني » اي ولاةً كانوا يختارونهم بين الاهلين تحت مراقبة حكَّام مصريين يدعونهم « ريبصي » . ولوالي بيروت في ذلك العهد عدَّة رسالات وُجدت بين كتابات تلّ امرنا يتضح منها جليًا ان بيروت (وهم يدعونها بِيروتا او بِيرُوتُو) كانت على جانب من الحضارة والعمران في القرن الخامس عشر قبل المسيح فيعدُّونها بين المدن المنيعة الحريزة كصور وصيدا وجبيل ويذكرون كثرة سفنها العامرة بالملَّاحة

هذا ولمَّا تضعضعت دولة الفراعنة في القرن التاسع او العاشر قبل المسيح تقلَّبت الاحوال على بيروت فحلَّ بها ما حلَّ بأخواتها من المدن الفينيقية وتملكها تباعًا بعدهم ملوك بابل ثمَّ ملوك فارس وماداي ثمَّ الاسكندر وخلفاؤهُ من السلوقيين . واستقلَّت مرارًا عند استقلال غيرها من مدن فينيقية تشهد بذلك الآثار والنقود التي وجدت بها . وفي سنة ١٤٠ ق م اخربها تريفون لثبات اهلها على طاعتهم للملك انتيوخس السادس . لكنها لم تلبث ان تعود الى ما كانت عليهِ من رفعة المقام (راجع العدد الاول من المشرق ص ١٩) . ودخلها بومبيُّوس القائد الروماني فرمَّم آثارها واعاد لها رونقها . ولم تزل مذ ذاك ترتقي في معارج الفلاح الى ان جعلها اوغسطس قيصر مدينةً اوَّلية فخوَّل اهلها حقوق الرومانيين وافاض عليهم نعمًا عديدة اخصَّهم بها دون سواهم وولَّى امرها القائد مرقس فسبسيانس اغريبا بعد ان زوَّجهُ ابنتهُ جوليا فدعا بيروت باسمها جوليا فيليكس (اي السعيدة) . فاخذ اغريبا يباري قيصر في رفع شان المدينة ساعدهُ على ذلك هيرودس الكبير . ولم يدَّخر كلاهما شيئًا من الوسع ليجعلاها من ابهى مدن الشرق . فشيَّدا فيها الابنية الجليلة الآئلة لمنفعة الجمهور كالهياكل والمشاهد والحمَّامات ومخازن التجارة . فتقاطر الى بيروت كثير من الرومانيين

الرخام واثار العمائر القديمة ما طولهُ قريب من ميلين اولهُ مكان يُسمَّى بُليدة وذو قسية (١ غربيّ البلد الى مكان يسمَّى حقل القشا (٢ مقارب النهر شرقي البلد . فلمَّا عمَّروا السور اختصروهُ على القدر الذي هو عليهِ اليوم

وقد زعم النصارى أنَّ في القدَم خرج في بيروت تنّين عظيم فقرَّر اهل بيروت له

والغرباء فاستوطنوها وزادت بهم حسناً وعمراناً . وسكنها طابوران من الجنود الرومانيين المتقاعدين وبها حكم هيرودس الكبير بالموت على ابنَيهِ اسكندر وارسطابولس فقتلهما ظلماً كما قتل امَّهما مريمنة وهي من سلالة المكابيين . وبقيت بيروت على ذلك مدة الى ان تولَّى امرها بعد المسيح هيرودس اغريبا الاول ثمَّ هيرودس اغريبا الثاني فبلَّغاها من الحسن ما لم يسعهُ قول . فشيَّدا فيها الملاعب والمراسح وزيَّناها بالتماثيل الى غير ذلك . وفي بيروت بويع بالملك لفسباسيانوس بعد وفاة نيرون . وفيها احتفل ابنهُ تيتوس قيصر بانتصارهِ على اليهود يوم مولد ابيهِ بما لا مزيد لهُ من الفخر والأبَّهة

امَّا العلوم فكانت بيروت قد سبقت غيرها من المدن الفينيقية في الانكباب عليها فراجت فيها اسواق الآداب . وفيها كتب كما زعم اوسابيوس القيصري سنكُنْيتُن الكاهن القديم تاريخاً ابقى لنا منهُ فيلون الجبيلي فِقَرات مهمَّة . وفي ايام اوغسطس قيصر اخذ البيروتيون يدرسون الفقه . وتوسع نطاق هذا الفن بينهم حتَّى صارت مدرستها الفقهية في القرن الثالث للمسيح غرَّة في جبهة المشرق يتسابق اليها الدارسون من كل أوب . فدُعيت بيروت لذلك «محطّ العدل وصوان المشترعين» . وقد اشتهر في بيروت عدَّة من العلماء الاقدمين منهم أُوليان الفقيه صاحب كتب الشرائع الذي ازهر في القرن الثالث . ومنهم فالريوس بروبوس اللُّغوي البارع عاش في القرن الرابع

وقد اطنب الكتَّاب الاقدمون في مدح بيروت لامور اختصَّت بها . فمن ذلك نخلها ويظهر من عدَّة كتابات ان تربتها كانت تُعَدّ من اخصب الترب واوفقها للنخل . ومنها خمرها الجيِّدة وصفها بهِ الكاتب بلينيوس الطبيعي وقال انَّها تتَّجر بهِ اتجارًا واسعاً (Pline, l. XIV, c. 7. l. XV, c. 17) . ومن ذلك ايضاً معاملها للانسجة ومصابغها ورد ذكرها مرارًا فجارت بذلك صور وصيدا . وكان فيها معامل للحرير قبل الاسلام (Joannis Strauchi dissertatio de Beryto, *Brunzvigæ*, 1662, p. 6)

ولم تبرح بيروت رائعةً في منازل السَّعد الى ان هوى نجمها وطَمست محاسنُها وذلك في القرن السادس للمسيح فهدمتها زلزلة هائلة خرَّبت قسماً كبيرًا من مدن الشرق . وبقيت على هذه الحالة الى اوائل القرن السابع فاستولى عليها المسلمون دون عائق

---

١) لم نسمع لهذين المكانين ذكرًا ولم يفدنا احدٌ عنهما شيئاً . ولعلَّ هذه الآثار هي التي اكتشفها حديثاً الدكتور جول روفيه وارتأى انَّها بقايا مدينة بيروت الفينيقية وانَّها كانت تدعى لاذقية كنعان وقد وجد فيها نقودًا بهذا الاسم . وقد وقف ايضاً هناك على مدفنها الفينيقيّ كما بشَّرنا قرَّاءنا بهذا العدد

٢) وهذا المحل ايضاً لم يرشدنا اليهِ احدٌ من الاهلين

في كل عام بنتاً يُخرجونها اليهِ اكتفاءً لشرّهِ فوقعت القرعة في سنةٍ من السنين على صاحب بيروت . فاخرج بنتهُ ليلًا الى مكان موعد التنين فتوسّلت بالدعاء الى الله فتصوّر لها مار جرجس القديس . فلمّا جاء التنين خرج عليهِ مار جرجس فقتلهُ فعمّر صاحب بيروت في ذلك المكان كنيسة بالقرب من النهر . والنصارى تصوّر هذه الكائنة في سائر كنائس بلادهم قلّ ما يخلو منها كنيسة . ويزعم النصارى انّ مار جرجس من لدّ قتلهُ ملك عبَدة الاصنام بجوران ولهُ عيد مشهور عندهم في سائر البلاد . واهل بيروت المسلمين والنصارى يخرجون في ذلك العيد الى نهر بيروت ويسمّى عيد النهر وهو من البدَع (١ . (وجاء في حاشية الكتاب : عيد النهر المذكور دائمًا يكون ثالث وعشرين نيسان)

وايضًا يزعم النصارى انّ البربارة كانت قدّيسةً ولها نشبٌ كبيرٌ ببيروت (٢ وعيد البربارة منسوبٌ اليها

ويزعمون ايضًا انهُ كان بكنيسة الفرنج ببيروت قونة خشب فيها صورة مصوَّرة فضربها بعض اليهود بسكين فصارت تنزف دمًا . ونُقلت هذه الصورة الى قسطنطينية فعمّروا عليها كنيسة يعظمها الفرنج (٣ (ستأتي البقية)

---

١) قد روينا هذه القصة كما اثبتها المؤلف الّا اننا لا نقطع بصحّتها . وقد بحث فيها البولندستيون بحثًا مدقّقًا فلم نرَ حاجةً لايراد ما قالوا . واعمال القديس جرجس مضطربةٌ جدًّا تلاعبت فيها ايدي الكتّاب . وما تقرّر انهُ وكان من شهداء القرن الثالث للمسيح وكان جنديًا في عسكر الملك ديوكليسيان . قيل انهُ قتل في نيقوميديا وقيل في لُدّ وقيل في بيروت . وذكرهُ كان منتشرًا في كل انحاء المشرق . واسمُهُ مدوّن في أقدم سجلّ للشهداء الذي نشرهُ بالطبع العلّامة الانكليزي رَيت (Wright) وهو بالسريانية وتاريخهُ سنة ٤١١ للمسيح وُجد في دير الاسقيط بالصعيد

٢) لعلّ المؤلف يريد ان لها اوقافًا حبسها النصارى على كنائسها زهدًا وتعبُّدًا . والقديسة بربارة احدى العذارى الشهيدات التي ماتت في سبيل الايمان المسيحيّ في عهد ديوكليسيان

٣) ورد ذكر هذه المعجزة في جملة كتاباتٍ للقديس اثناسيوس بطريرك الاسكندرية . والصواب انّها لكاتب آخر سميّهِ جاء بعدهُ . وفي اعمال مجمع نيقية الثاني قد ذكر الآباء امر صورة بيروت ولها عيدٌ يحتفل بهِ في كنائس الشرق والغرب . والسنكسار الروماني يذكرها في اليوم التاسع من تشرين الثاني (راجع البولندستيين وكتاب مروج الاخيار)

وهنا يجدر بنا ان نذكر بعض آثار تختص بذكر النصرانية في بيروت قبل الهجرة فات المؤلف ايرادها فنقول :

خريدة لبنان

(للاب هنري لامنس اليسوعيّ)

(تابع لِما قبل)

فاجاب الحطّاب متردّدًا : ربّما يكون . امّا انا بلا مؤاخذة من جنـابك يا سيدي فلا اعرفك . وكيف اعرفك وانت خواجه غني كبير وانا فلّاح مسكين ما طلعت في عمري خارج الضيعة

قال هذا والقى ظهره ليستند الى الحزمة . فكأنهُ اضرَّ بهِ الحرّ والتعب او ظنّ انّ الغريب يسخر بهِ فلم يبالِ بشانهِ ولم يعبأ باقوالهِ . وليست كذلك حالة امثالهِ اذا رأوا في بلدهم غريبًا ولاسيّما اوربيًا فانّهم يرحّبون بهِ ويكرمون مثواهُ

فساء المسافر إعراضُ الحطّاب فلم يزِد ايضاحًا بل عاد فلفّ المار بيش على النارجيلة وهمّ بالانصراف قائلًا بكل هدوّ : لا تخلو الضيعة من اصدقاء لم ينسوني . فانت يا بطرس

ما كادت تلوح شمس النصرانية في العالم حتّى اصابت بيروت من اشعّتها . وقد جاء في تقاليد قديمـة انّ المسيح لهُ المجد دخل بيروت لمّا كان متجولًا لبشارة الانجيل في تخوم صور وصيدا (مرقص ٧ : ٢٦) . ولا غرو ان الرسل اجتازوا بها مرارًا في غضون اسفارهم ونشروا فيها النصرانية لا سيما بطرس الصفا هامة الرسل و بولس رسول الامم

وجاء في كتاب تفاسير القديسين بطرس و بولس (راجع البولندستيين في الجزء ٢٧ ص ٢٧٦) انّ القديس بطرس عند خروجهِ من حبس هيرودس سار الى صور وصيدا ثم الى بيروت ونصب احدَ رفقائهِ عليها اسقفًا . وورد في اعمال القديس كوارتوس انهُ اول اسقف اقيم على بيروت وانهُ كان من عداد التلامذة السبعين يذكرهُ بولس في رسالتـهِ الى الرومانيين (ف ١٦ آية ٢٣)

وقد ورد في كتاب سيرة الرُسل الاثني عشر (كتبهُ هيبوليت التيبي في القرن الثاني عشر) انّ يهوذا الرَّسول استشهد في بيروت وبها دُفن (راجع البولندستيين الجزء ٦٠ ص ٤٤٠) وهكذا ورد في تاريخ متّى بن سليمان . وقيل بل يهوذا احد السبعين تلميذًا

وممّن يحقّ لنصارى بيروت ان يفتخروا بهم الشهيد ايانوس وكان درس الفقه في مدارس بيروت . وفيها ايضًا تلقّن العلوم القديس غريغوريوس العجائبي اسقف قيساريّة . ومن ابناء بيروت القديسان حنّا واركاديوس ولهما قصّة غريبة اشبه بقصة القديس اوستاكيوس القائد الروماني . ومنهم ايضًا القديس رومانوس الشمّاس صاحب التسابيح التي تتغنى بها الكنيسة اليونانية

منصور لا تُلام لانك كنت صغيرًا في تلك الايام . ولا شكّ ان الطحّان نمر بشاره يعرفني لاول وهلةٍ . فكيف شغله ؟

— خربت مطحنته ونبت موضعها الدلب والحور

— والطحّان نمر ماذا جرى لهُ ؟

— اظنّ انه انتقل مع عائلته الى بيروت والله اعلم بحالهِ ولربّما مات ايضًا . والآن أفهم يا خواجه انك تتكلّم عن زمن جدّي لكنك لا تحصـل على جواب الّا من حفّار القبور الساكن في كوخ عند المقبرة فهو يعرف كل شيء . ويعدّ لك على اصابعه كل الحوادث التي جرت من مئة سنة

— لا يخفاني ذلك ولا يبعد ان يوسف روحانا جاوز التسعين

— يوسف روحانا ؟ . . . ما هذا اسم الحفّار . اسمـهُ فارس عبود

فتنفّس الغريب الصعداء وهتف اشكرك اللهمّ لانك ابقيت على احد اترابي

— كأَن فارس صاحبك يا خواجه ؟

— صاحبي ؟ لا . فاننا كنا في خصام دائم . ومرّةً كنا نتصارع فزجيتهُ في الساقيـة الطامية من الامطار فكاد يغرق . ولكن ذلك قديم العهد ولا ريب ان فارسًا يُسرّ بلقاءي . وانا ذاهب اليهِ في الحال

وعندئذٍ اخذ قطعةً من الفضّة واعطاها للدكاني واعدًا بان يتردّد اليهِ ليدخّن عندهُ بالنارجيلة فاجاب هذا : المحلّ محلّكم يا سيدي والكل تحت امركم . واشار الى احد ولديه ان : احمل خرج الخواجه ورُح في خدمتهِ

فشكر الرجلَ قائلًا : ما من داعٍ الى ان تتعبه . ونفح الصبيّ بدرهم واخذ منهُ الخريطة وانحدر في طريق متوعرة شرقيّ الخان وقد خرج الدكاني يشيعهُ مكثرًا من اشارات الاحترام وعبارات الامتنان « شرفتم الله يحفظكم ربنا يطِل عمركم » حتى توارى المسافر عن ابصارهِ فعاد وهو لا يتمالك من الفرح لما نالهُ من الحلوان

٣

فسار المسافر ينوي خميلةً من الصنوبر كان عهدها في صباهُ يروق لهُ منظرها . فما ادركها حتّى تقبّض واخذ منهُ الحزن . لأنّ عينهُ لم تقرّ الّا على اغراسٍ حديثة امّا الاشجار الباسقة التي كان يستظلّ تحتها فوجدها قد عبثت بها ايدي الدهر وتلاعبت بها عواصف

الرياح فكسرتها وقطعت فؤوس الحطَّابين جذورها المتأصّلة في الارض فاصابها ما اصاب السكّان من الخراب والفناء وقد قام مكانها شجيرات لم يألف جنسها ولم تفده خبرًا عن احوال الاهلين

بيد انهُ كان يسمع تغريد الطيور المعشّشة فوق الاغصان فوجدها لم تزل تصدح كمألوف عادتها فتشنِّف الآذان باصواتها المطربة . وكذلك كان يعمل في قلبهِ حفيف الشجر لتلاعب النسيم باغصانها وقد علاها الجُدجد وهو يصرصر لحمارَّة القيظ وكانت الزهور تبعث اليهِ بروائحها الذكيَّة فتلذُّ حاسَّة شمّهِ . ففي كلّ هذه المناظر لم يجد ما غيَّرتهُ الأيام سوى اعمال البشر امَّا الطبيعة فلم تنفكّ تجري على ما وضعتها لها الحكمة الازليّة من النواميس

فمشى في الخميلة حينًا يلوح على محيّاه ما يزدحم في قلبهِ من العواطف فطورًا يغلبهُ الفرح لوصولهِ الى مسقط رأسهِ وتارةً الكدر لوجودهِ نفسهُ غريبًا في وطنهِ . ويبدو في حركاتهِ ما يتنازعهُ من عوامل الخوف والرجاء فحينًا يخشى ان يدوي في اذنهِ الجواب على كل سؤال عن الاحباب « مات . ماتت » فيقدّم رجلًا ويؤخّر اخرى . وحينًا ينعش الامل فؤادهُ فيرجو ان تكون سهام الدهر اخطأت تلك التي وجَّه اليها افكارهُ وعواطفهُ بيد انهُ لا يشكُّ انَّها لو بقيت في قيد الحياة لا تزال بعدُ ثابتة على عهدهِ فيمكنهُ الاستمتاع بلقياها فينسى بقربها ما تجشَّمهُ من الأخطار وقاساهُ من الاهوال فيزيد هذا الفكر في نشاطهِ وسرعة مشيهِ

وما كاد يخرج من الخميلة حتّى لاح لهُ مشهد بديع فرأى رياضًا اريضةً اكتست بحلَّة خضراء وشَّاها بنان الربيع تنساب في ارجائها جداول المياه كأنَّها افاعٍ تتململ او دموع تتسلسل او لجين يسيل او صفحة سيف صقيل . ومنها ما يجري في قنيّ واسعة ثمَّ يهوي من علٍ فيدير المطاحن ويسمع لها دويّ وجعجعة تطنّ لها الآذان . فسار قليلًا واذا ببيوت ابي القُرَيَّة برزت للعيان وهي مبنيّة من الحجر المنحوت الاصمّ منها بيضاء السطوح ومنها ما علاها القرميد الاحمر . وقد امتازت بين هذه المساكن كنيسة الضيعة مكلّلة بقبَّة جرسٍ يزينها صليب ابيض يلمع كالنجم الهادي

هي القرية . هو الوطن . فما كادت شفتاه تنطق بذلك حتى همت على خدَّيهِ دموع الفرح وسقطت من يدهِ الخريطة فمدّ ذراعيهِ كأنَّهُ يحاول الطيران وفي قلبهِ من العواطف ما يعجز عن وصفها القلم . فانهُ جاب البلاد وطاف عواصم الممالك الاوربيّة وتفقّد مصانعها ومعالمها

ولكنَّهُ لم يداخلهُ قطّ يوماً من عجائبها ما داخلهُ لدى نظرهِ لمسقط رأسهِ بعد طول الفراق ومرّ البعاد

وكانت الشمس ساعتئذٍ في كبد السماء فقرع جرس الكنيسة ايذانًا بصلاة الظهر. فخرَّ الرجل جاثيًا على ركبتيهِ ولم يمنعهُ حرُّ الشمس من كشف قبعتهِ واحناء رأسهِ خاشعًا فصلى صلاة حارَّةً ثمَّ وجَّه الحاظهُ نحو السماء فارسلت عينهُ الى ابي المواهب عبارة الشكر الجزيل خارجة من صميم الفوأد. وبعد ذلك اخذ خريطته واسرع في السير وعينهُ شاخصة الى قبة الجرس ولسان حاله يقول:

سقياكِ يا كنيسة الوطن فانكِ انتِ لم تتبدلي ولم تغيّركِ الاعوام ففيكِ نلتُ نعمة العماد وما بين جدرانكِ فزت بنعيم المناولة الاولى فطالما قرَّت بكِ عيني وطابت نفسي بما فيكِ

لقد أتاح لي السعد ان اعود فاراكِ وارى على مذبحكِ تمثال البتول في حلتها السماوية وتاجها الفضي. واشاهد ايليا النبي وفي يدهِ الحسام وأرى جرجس يطعن التنين المريع وكم حلمت بهِ فهالني روءيا التنين في منامي. اعود فاسمع الاناشيد الشجية وطالما انعشتني نغماتها

قال هذا وادّاهُ السير الى جسر فوق ساقية فانبسط قلبهُ ولاحت انوار نفسهِ على وجههِ فتهلّل حبورًا وهتف: الى هذا المقام شيَّعتني أنيسة. هنا ودّعتها وأودعتها فوأادي. وفي ذلك الزمن كانت الرياض زاهرة كما هي الآن والطيور تغرّد كانها تعلّلنا بالاماني

فامسك عن الكلام وعبر الجسر وهو يتنهد ويقول بصوتٍ خافتٍ: لعمري ان تلك الزهور شهود الوداع قد ذبلت وفنيت وتلك الطيور قد ماتت وهاك صغارَ صغارِها تنعش الآن همَّة الشيخ الفاني وقد كادت تفنى ايام الهناء. وانيسة ما حالها؟ ما حلّ بها يا ترى أو هي في قيد الحياة؟ هل بقيت على العهد ثابتة؟ ما ادراني انها لم تتأهل ورزقها الله اولادًا شُغلتْ بهم عن كل شاغل؟ بعدنا عن العين فسلاكم القلب. فاهل الوطن لا يذكرون المنكود الحظ الذي ساقهُ سوء طالعه فابعدهُ عن الديار. قال هذا وبدا على ثغره تبسُّم الهزء والتهكم. لكنهُ ما لبث ان زجر هذه الافكار فقال:

— ويحك ايها القلب الضعيف ثارت فيك الغيرة كانك لم تزل في ربيع الحياة. مضى زمن الصبا فدع الاوهام . . . ما هي حقوق مثلك فجئتَ تطالب بها. أوَ كان على الاحياء ان تنتظر بصبر عودة الغريب من عالَم الاموات . . . ولكن أتراها لا تعرفني أو لا تذكر قديم العهد بيننا . . . الهي ان يكن لي بعض المقام في زوايا قلبها فلا اندم على رجوعي

من بلادٍ سحيقــة ومعاناتي اهوال الاسفار واتزل ناعمَ البال وهدة قبري بين اهلي واخواني ...

وفيما هو على تلك الحال تتناوشهُ الافكار المحزنة دخل القرية فحاول ان يتعرَّف بالبيوت الجديدة. فساءهُ منظر القرميد وشكلهُ الهرمي فوق المنازل وكانَّهُ اعتبر تشييــد البنايات على نسق اوربي إجحافًا بحق لبنان ومجدهِ وكاد يخامرهُ شكٌّ في انهُ ضلَّ طريقهُ ودخل غير قريتهِ. على انهُ ابصر بيتًا صغيرًا عرفهُ فهرول اليه وولجهُ دون تردّد. فتراءى لهُ في داخله امرأة وشيخ احنتْ ظهرهُ الايام وهو ساكن كالصنم وجهــهُ مائل الى الارض وراسهُ مسند الى عصًا توكَّأَ عليها بيد مرتجفة. فما وقعت عينهُ على الشيخ الَّا عرفهُ فدنا منهُ وامسك بيدهِ وصاح بصوت الفرح: تبارك الله الذي ابقاك يا ابا ناصيف. فانت بقيّة فاضلة من الزمن الماضي أفلم تعرفني. ألَا تذكر ذاك الصبي الغرّ الذي كان يطفر من فوق السياج ويأكل مشمشك قبل نضجه ؟

قال الشيخ: «ست وتسعين سنة». غمغم هذا ولم يتحرَّك

— صدقتَ اني اعلم انك طاعن في السن.. انما ناشدتك الله يا ابا ناصيف ان تخبرني عن انيسة ابنة الصباغ هل هي في قيد الحياة ؟

فكرّر الشيخ مجمجمًا: «ست وتسعين سنة»

وكانت المرأة قد ثابت الى نفسها من دهشة عرَتها لدخول هذا الموسر الغريب الى بيتها فقالت لهُ: انهُ اعمى واطرش يا خواجه لا تتعب نفسك فلا يسمعك

— اعمى واطرش ؟ يا لله من صروف الزمان ما اكثر نكباتها في عشرين عامًا ؟ فكأَنّي امشي بين اطلال عصرٍ باليــة

قالت المرأة: سمعتك تستعلم عن انيسة ابنة الصباغ يا سيدي فصبَّاغنا لهُ خمس بنات ولكن لا واحدة منهنَّ اسمها انيسة فالبكر اسمها مريم اقترن بها معلم المدرسة والثانيــة راحيل والثالثة جميلة...

فصاح المسافر بفروغ صبرٍ لا اسألكِ عن هؤلاء بل عن عائلة ايوب البحمدوني

— قالت المرأة: هؤلاء ماتوا كلهم من زمان (ستأتي البقية)

شتّى

مدفن بيروت الفينيقيّ

بشَّرنا الدكتور جول روڤيه انَّهُ اكتشف مدفن بيروت الفينيقي القديم وموقعهُ حيث كان وجد سابقًا آثار مدينة لاذقيَّة كنعان . فجاء هذا الاكتشاف مؤيّدًا لما بيَّنهُ بمقالتهِ عن هذه المدينة فاثبت انها هي بيروت الفينيقية . وقد ارسل الى المجمع العلميّ في باريز ألوكةً يخبرهُ عن هذا الاكتشاف المهمّ

الموارنة في اورشليم في القرن الخامس عشر

كنَّا ابدينا الرجاء في اوَّل نبذتنا التاريخية عن الاخ غريفون وجبل لبنان ان تستنهض مقالتنا همَّة الادباء للبحث والتنقيب عن احوال الشرق . فما خاب رجاؤنا وهاك وردتنا رسالةٌ للمعلم الفاضل رشيد افندي الشرتوني افتتحها باذكى الثناء على مجلَّتنا المشرق وعقَّبها ببعض شواهد على وجود كهنةٍ من الطائفة المارونية في اورشليم في القرن الخامس عشر . والحالّ يقال انَّنا نحن ايضًا رجَّحنا هذا الرأي بل قرَّرناه بشهادة احد الزوَّار الالمان المعاصرين للاخ غريفون فقلنا : « انَّهُ يتكلّم عن موارنة مقيمين في كنيسة القيامة فيُستدلّ من ذلك على وجود كهنة موارنة في اورشليم » (المشرق ع ١ ص ١٤) . فجاءت رسالة جناب المعلّم الموما اليهِ بحجَّتين اخريين تؤيدان قولنا بما لا يبقى بعدهُ ادنى ريب :

فالدليل الاوَّل ما ذكرهُ العلاَّمة الدويهي في الفصل التاسع عشر من كتابهِ المعروف بردّ التُهم ودفع الشُّبَه يقول فيهِ ان الموارنة كانت لهم في القدس كنيسة على اسم القديس جرجس بها رهبان وانَّ الاقباط تملَّكوها بعد ذلك . فوجود كنيسة لهم يستلزم وجود كهنة فيها لخدمتها

والدليل الآخر « انَّ الملكة كونسطانسة زوجة روبرتس ملك صِقِلّية قد سلَّمت الموارنة مغارة الصليب مع اربعة مذابح في اربع كنائس وهي القيامة وقبر مريم والطور

وبيت لحم» (الدويهي ص ٤٦٢ وكتاب الدرّ المنظوم) . وذلك شاهد بيّن عن وجود كهنة يقومون بخدمة الموارنة في الروحيّات

(قلنا) ونشكر المعلّم الاديب رشيد افندي على هذه الافادات ولنا الامل ان يقتدي بهِ غيرهُ من اصحاب الفضل والعلم فيوءازرونا على التنقير والتنقيب في احوال هذه البلاد لنقف على اسرارها وننشر ما دُفن من آثارها ه.ل.

كتب شرقية جديدة

Bibliographie des ouvrages Arabes ou relatifs aux Arabes publiés en Europe de 1810 à 1885, par V. Chauvin. 2e *partie*, Liège. 1897.

قائمة الكتب العربيَّة او المنوطة بالعرب التي نُشِرت بالطبع في اوربَّا من سنة ١٨١٠ الى ١٨٨٥

(للمعلم فيكتور شوفين احد المدرّسين في كليَّة لياج)

ان المعرفة بالكتب من انفع الفنون واهمّها ومن لا يحكم هذا الفنّ في ايّامنا لا يمكنهُ ان يُنظم في سلك العلماء المحقّقين. بيد انَّ الادباء اذا احرزوا هذه الدراية بتصانيف الكتَّاب اقتصدوا لهم وقتًا ثمينًا يغنيهم عن التفتيش المُمِلّ. وعليهِ فيُقتضَى الشكر لمن اقدموا على عمل مثل هذا تيسيرًا لإدراك المطالب. وقد استحقَّ المعلّم الفاضل فيكتور شوفين ثناء العلماء بمبشارتهِ لعمل جليل مثل هذا وقد وصف البشير القسم الأوَّل من هذا الكتاب. اما القسم الثاني فقد صدر منذ زمن قريب احببنا ان نعرّف بهِ قُرّاءنا. وهذا الجزء كلّهُ مخصوص بكتاب كليلة ودمنة جمع فيهِ المؤلف ما امكنهُ من الافادات في هذا الموضوع. فانَّهُ وصف كلَّ طبعاتهِ المختلفة وما كتبهُ عنهُ العلماء من المقالات والمباحث كما انَّهُ عدَّد اللغات التي تُرجم اليها وطُبع بها كالسريانيَّة والروميّة والفارسية والتركيّة والعبرانية والاسبانية والفرنسية الخ. وقد بيّن في غضون كلامهِ عن الطبعات الفرنسية ما نقله الكاتب الشهير صاحب الامثال لافُنتان من كتاب كليلة ودمنة فعرضهُ بالشعر الفرنسيّ. وهو يذكر ايضًا بعكس ذلك نقل المحدثين من العرب لامثال لافنتان . وقد خصَّص المعلّم شوفين فصلًا في آخر هذا الجزء روى فيهِ ما صنَّف بعض المؤلفين معارضةً لكتاب كليلة ودمنة مثل

سلوان المطاع وفاكهة الخلفاء. وقصّة جلعاد وشمّاس الى غير ذلك

فنثني على حضرة المؤلف لنهوضهِ بهذا العمل الجليل ونتمنَّى ان يمتعنا باقرب وقت ببقية اجزائه ه. ل.

Amris et Slibæ de Patriarchis Ecclesiæ Orientalis Commentaria, *pars altera*, ed. P. H. Gismondi, Romæ 1897.

اخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لعمرو بن متَّى . القسم الثاني

قد سبق لنا وصف هذا الكتاب في بعض اعداد البشير من السنة ١٨٩٦ فبيّنّا ما فيهِ من الفوائد التاريخيّة الجزيلة التي لخّصها عمرو بن متَّى عن كتاب تاريخ ماري بن سليمان المعروف بكتاب المجدل وهذا القسم الثاني انّما هو ترجمة لاتينيّة للكتاب السابق ذكره. وهو نقل محكم اصاب بهِ الناقل دون ان يطمس شيئًا من محاسن اصلهِ. وقد ختمهُ بقائمة مطوّلة وافق فيها بين حساب السَنَة اليونانية والسنَة المسيحية ليسهل بذلك الاطّلاع على زمن عيد الفصح. وهذه القائمة نافعة جدًّا لقراءة كتاب تاريخ عمرو بن متّى لأنَّ الكاتب قد بنى حسابهُ على قاعدة تاريخ الاسكندر يبتدئ بهِ من سنة ٣٦٠ يونانية (٤٩ م) الى ايّام المؤلف سنة ١٦٢٩ لليونان (١٣٢٩ م)

الكتابة

مقالة لمؤلفها عيسى اسكندر معلوف (٨٤ صفحة)

قد اهدى صاحب هذا البحث كتابهُ لمجلّة المشرق وان يكن سبق عهد طبعهِ منذ ٤ سنوات فذكرناهُ هنا لفائدتهِ. ولا يمكننا تعريف هذا الكُتَيِّب باحسن ممّا زيّن بهِ صاحبهُ صدر تأليفه فقال هو: «بحث تاريخي ادبيّ يحيط باطراف الموضوع وينشر في طيّهِ فوائد كثيرة مثل ترقي الخطوط وتاريخها وتراجم اشهر الخطّاط وترقي اللغات واقلامها والادوات الكتابيّة وصناعة الكتابة والانشاء عند الامم المشهورة والكاتب وآدابه والرسم والضبط والترجمة والتعريب والاختصارات والاصطلاحات الكتابية والانتقاد والمكاتب والمطابع والمطالعة ومنتخبات من اهمّ افكار بلغاء الكتبة والمترسلين وتراجم مشاهيرهم الى غير ذلك من

الاصطلاحات اللغوية والاكتشافات العصرية مما يندمج في هذا السلك » . (قلنا) ان اتّساع المادّة التي تحرّاها الكاتب لم يسمح لهُ بالتنقيب عن امور عديدة حريّة بالذكر . ولهُ في صفحتَي ٤٥ و ٤٦ في بحثـهِ عن تقسيم اللغات مزاعم شتّى لا يرضى بها العلماء المحقّقون فاكتفينا هنا بالتنبيه ل . ش .

أَسْئِلَة

١ سألنا احد قرّائنا الكرام من صيدا ما قولكم في امر الآبار المعروفة بالارتوازية أيمكن حفرها في اي موضع كان وما هي شروطها

٢ وورد علينا سؤال آخر من غيرهِ : من ايّ جنسٍ كان المجوس الذين سجدوا للربّ

٣ وطلب احد البيروتيين ان نصف لهُ السيماتوغراف وقد رأى رجلًا من الاجانب يتكسّب بهذه الآلة

٤ ووردنا منهُ ايضًا : ما السبب الداعي لاتّخاذ اوّل كانون الثاني لرأس العام الجديد

٥ ورغب الينا بعضهم ان نذكر لهُ ما صنّفهُ الاوربيّون من الكتب عن شمالي سوريّة

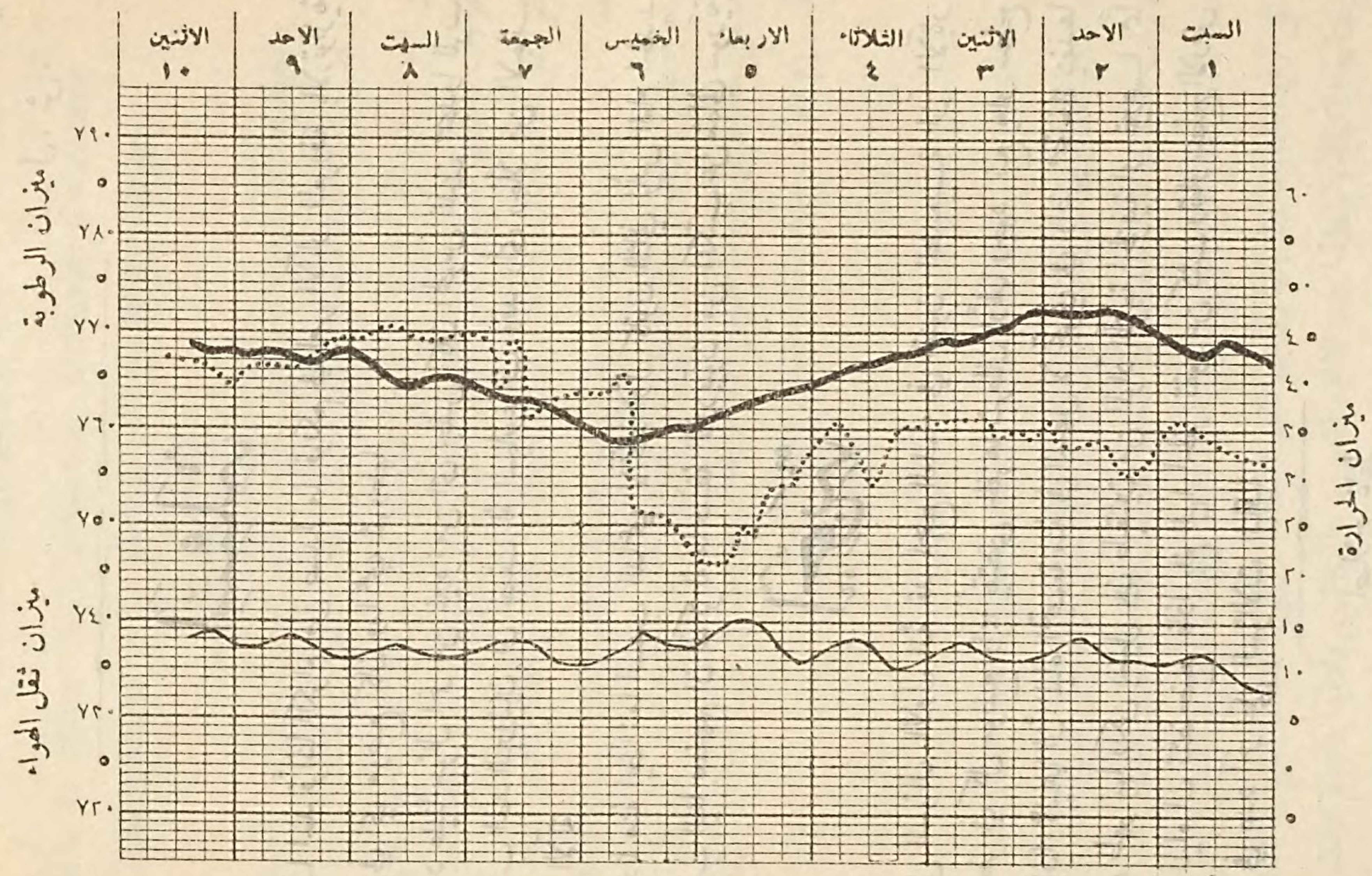
أَجْوِبَة

نجيب على السؤال الاوّل انهُ قد اجمع العلماء في الفنون الطبيعيـة انّ الآبار الارتوازيّة لا تُحفر في كل موضع وانّما يُقتضى لحفرها شرطان اوّلهما وجود نبع يعلو سطح الارض علوًّا كافيًا . ثانيهما انّ المياه المتجمعة منهُ في السهل لا تجري في اراضٍ متخلخلة ينفذها الماء فيضيع في ظهرانيها ولكن يسيل بين طبقتين من الموادّ اللّزجة الخزفية او غيرهـا ممّا يضغطها ويمنع المياه ان تتضعضع فاذا بلغ اليها الحفر تفور عن كثب وتعلو سطح الارض وسنجيب في عدد آخر على السؤالات الباقية

اصلاح غلط

ورد في الصفحة ٦٢ سطر ١١ « ونشا . نشوًّا » والصواب « وفشا . فشوًّا » . وفي الصفحة ٦٤ سطر ٧ « بفنَّد » والصواب « بفنِد »

قائمة للآثار الجوّية من ١ الى ١٠ كانون الثاني ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة

المشرق

الظرّان او الطور الحجريّ في فينيقية[١]

(للاب غدفريد زموفن مدرّس الطبيعيّات والكيميا في كليّة القديس يوسف)

ليس الفينيقيّون اوّل من توطّن فينيقية [٢] وانّما سبقهم في سكنى هذه البلاد قبائل شتّى كانت تعيش من صيدها وتأوي الى المغاور. ولم يكُ لهذه الطوائف الاوّلية خبرة تمكنها من استخدام المعادن لحوائجها وانّما كانت تستخرج الصوّان من جبل لبنان فتجعله مادّةً لبادئ صناعتها. وقد ابقت لنا هذه العشائر آثارًا تختلف عن آثار من اتى بعدها . وليست هذه البقايا نقوشًا ودُمًى او آنية مزينة بالرسوم وتُحَف زجاجيَّة او أساور من الشَّبَه والذهب بل هي قِطَع من الظرّان والصوّان المنحوت او عظام خرشبتها ايدي الصنّاع او خزف لم يُحْكَم اتقانهُ او بقايا ادوات الطبخ او رِمَم موتى تلك الشعوب البائدة

وعليهِ فان لفينيقية التي توغّل تاريخها في القِدَم طورًا حجريًّا كما كان لمصر ولاوربا الوسطى والشماليَّة تشهد بذلك الآثار العديدة التي نعثر عليها في جميع السواحل الفينيقية

ولسوء الطالع قد افنت الأيام كثيرًا من هذه المُستَودَعات السابقة للقرون التاريخية ولم تصل الينا تامَّةً سالمةً. فكم من المغاور التي اتخذها القوم الأُوَل منازل فسكنوها دهرًا طويلًا قد اضحت بعدئذٍ معابد يُحَجُّ اليها او مدافن للاموات لموقعها بجوار المدن الفينيقية فاضمحلّت لذلك رسومها القديمة . وهذا بخلاف ما بَعُد منها عن المدن الساحلية وكانت مواقعها في الوديان فتراها صانت كنوزها المكنونة واذا اكتُشفت اطلعتنا على امور سكّان هذه البلاد الاوّلين وأنبأتنا عن احوالهم وترقّيهم في سُبُل الفنون والصنائع

والحق يقال ان البحث عن طور الظرّان في فينيقية لم يهتمّ بهِ الّا قليل من العلماء.

---

١) وردت هذه المقالة في غاية السنة السابقة في المجلّد السابع من مجلّة الانتروبولوجية

٢) يحدُّ فينيقيةَ عكا جنوبًا وطرطوس شمالًا والبحر المتوسط غربًا وأعالي لبنان شرقًا

فانّ بعض الصوّان المنحوت او العظام المكسَّرة المدفونة في المغاور والمركوزة في رُكَم متحجّرة ما كانت لتستلفت انظار المسافرين . امّا علماء الجيولوجيا فغاية ما كانوا يقصـدونهُ في ابحاثهم عن فينيقية ان يقفوا على آثار اوَّل شعوبها المتمدّنة غير مبالين باعمال القبائل السابقة لهذا العهد مع انها جديرة بالاعتبار

يُقسم طور الظرّان في فينيقية الى زمنين احدهما اقدم عهدًا وهو زمن الحجر المنحوت (paléolithique) والآخر احدث وهو زمن الحجر المصقول (néolithique) . وسنفرد لكليهما مقالةً مخصوصة

طور الظرّان الاقدم

انّنا ننظم في سِلك هذا الطور الاوَّل تلك المحطّات او معامل الحجارة التي وُجد فيها الصوّان المنحوت دون المصقول . ومن سِمات هذا الطور عدم وجود آثار الخزَف فيهِ . فحيثما اكتشفنا هذا الشكل من الصوّان لم نعثر على شيء من القطع الخزفيـة كأنَّ اهل تلك الاعصار البعيدة لم يكونوا ليقفوا على صناعة الفخّارين

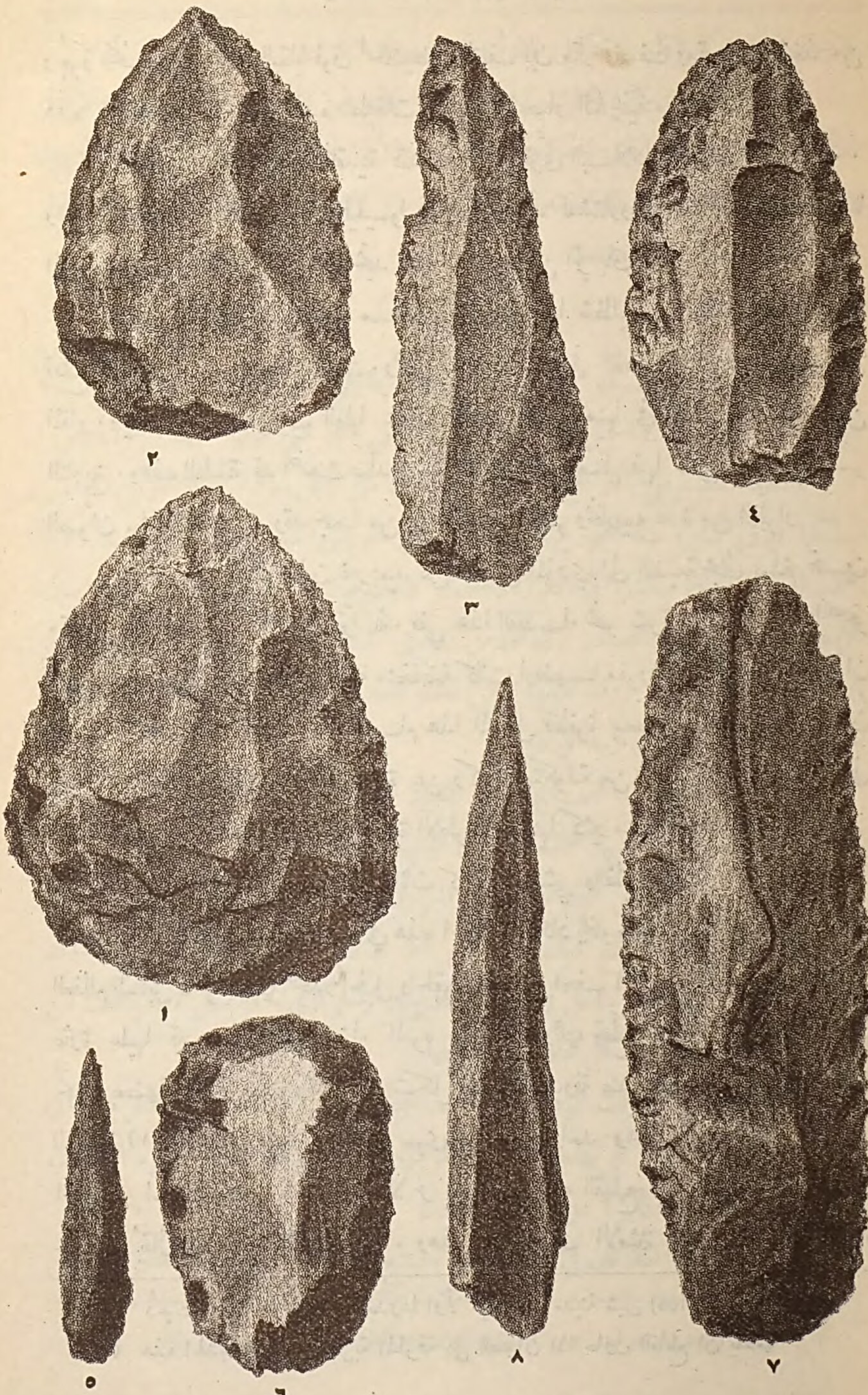
امّا مصانع الصوّان المنحوت المعروفة حتى اليوم فسبعة وهي : عَدْلون . ونهر عقيبَّة . ونهر ابرهيم . ونهر الجوز . وانطلياس . ونهر بيروت . وطرابلس وسنذكرها على ترتيبها

١ محطَّة عدلون

عَدْلون ضيعـة يسكنها قوم من المتاولة موقعها بين صور وصيدا وهي في مُنتَصف الطريق بينهما وهي على منحدر الجبل تبعـد عن البحر نحو ٢٠٠ متر . ففي اسفل القرية مدفن قديم عليه مدار الكلام عند علماء العاديّات وهو موضوع بحثنا هذا

ففي لِحف الجبل تنتصب امامك صخور مرتفعة كجدران يبلغ طولها نحو ١٠٠٠ او ١٢٠٠ متر وعلوُّها بين ١٠ امتار و ٣٠ مترًا وامامها ينبسط السهل من سفحها الى البحر

ففي مُرتقَى هذه الصخور المنحوتة قد حُفرت مدافن عديدة يتخلّلها ثلاث مغاور سكن اثنتين منها البشرُ الاوَّلون . وليس في هذا الامر مِراء كما تشهد عليهِ قِطعٌ كثيرة من ادواتهم بقيت الى يومنا لاصقةً بالجدران كأنّها رُصّعت فيها ترصيعًا محكمًا . فربمّا وجدتَ في الحائط رُكمًا مرصوصةً تتركَّب من شظايا العظام وأسنان الحيوان وفِلَق الصوّان



٢
٣
٤
١
٨
٧
٥
٦

وجُرَز الفحم. وعلوّ هذه البقايا فوق الحضيض يختلف بين متر ونصف ومترين. فيؤخذ من هذه المقادير ما كان اوّلًا لهذه الطبقات السابقة للاعصار التاريخيَّة من السَّمْك

امَّا مُستودَع هذه الآثار القديمة فقد خربهُ من تولَّى البلاد بعد القبائل الاوَّليّة. ولعَلّ الفينيقيّين هم الذين ابادوه ليقيموا في المغاور معابد لعَشتاروت. امَّا نحن فقد سبرنا الموضع مرَّتين وبالغنا في الحفر فلم نجد لهذا المستودَع من اثرٍ باقٍ

وما بين المغارتين الطبيعيّتين مسافة مائتيْ متر فيها شظايا من العظام يلصق بها قطع فحم وصوَّان محكم النَّحْت. وهي كثيرة لاسيَّما في الفضاء الواقع بين مداخل المقابر. ويُصعد الى السراديب العليا بَمراقٍ نُحِتَ الأُولى منها في الطبقة السابقة لزمن التاريخ. وهذه الطبقة قد اضحت صَلْدةً جدًّا لا يكاد يعمل فيها ضربُ الحديد فيتكسَّر الصوَّان بها ولا ينفصل. وقد جمعنا من بين صدوع الصخر ونخاريبهِ عدَّة من الظرّار

وعند مدخل محطّة عدلون غير بعيد عن الطريق المؤدّي الى الضيعة مجالٌ يبلغ خمسين مترًا مربَّعًا احدق بهِ الصخر ساترًا لهُ. ففي هذا الفضاء نحو شرقيّهِ رصيف من الصخر قُطع عموديًّا وفي لحفهِ مغارة وطيئة منخفضة كانت ارضها مفروشةً بقطع من الصوَّان فقدت اشكالها. فحاولنا الحفر أمام هذا المدخل فظفرنا ببعض المرغوب. ووجدنا انَّ الطبقة السابقة للاعصار التاريخيّة عبارة عن ركيزة متكوّنة من ارضٍ كلسية تضربُ الى الحمرة مع حصًى خفيفة الاجرام محدَّدة الاطراف وبينها كثير من شظايا العظام لا يتيسّر معرفتها ومن جملتها اسنان بعض الحيوانات كالبقر الوحشي والظبي والوَعِل

وادوات الصوّان عديدة وافرة في هذه المحطّة لا يكاد يخلو منها مكان فتجدها في رُكْمَة العظام السابق ذكرها وفي منحدر الجبل والحقول الممتدّة بلحف الصخور. وأحسن الأمثلة التي عثرنا عليها قد وجدناها في الفضاء المنوَّه بهِ آنفًا. وهي قِطَع مطرَّقة الرؤُوس مُثَلّثتها نُحت بعضها على الوجهين وكلّها على شكل الامثلة المعروفة عند علماء الجيولوجيا بالأمثلة الشيلية (١ والبعض منها لم يُنحت سوى على وجهٍ واحد وهذا الوجه محدّب كثير الحروف لسبب نحتهِ. امَّا الوجه الآخر المعروف بوجه القَطْع فهو مسطّح مع تقبيب خفيف يُقال لهُ حَدْبَة القَطع (٢ . وهذه من صنف الامثلة المعروفة عند العلماء

١) دُعيت بذلك لانَّ العلماء وجدوها اوّلًا في جوار مدينة شيل (Chelles) بفرنسا

٢) هذه الحدبة ناتجة من ضربة المطرقة على الصوَّان اذا حاول القاطع ان يقطعها

بالموستريّة (١ (انظر الشكل الاوّل في الصفحة ٩٩)

واكثر ما هنالك من الادوات المجارف وهي قِطَع من الصوّان نُحت جانبها الاكبر نحتًا أُحكم تارةً وأُهمِل اخرى احكامهُ. والاطراف الأُخر لم تُمَسّ. امّا المحاكّ فعزيزة الوجود ولا اثر البتَّة للشفرَات الرقيقة المستدقّة. هذا الى بقايا كثيرة من الصوّان المكسّر وهي أولى ان تُعَدّ من نفاية عمل الصناعة

٢ً مصنع عُقبيَّة

عُقبيَّة جدول ينصبّ في البحر المتوسّط في شمالي شرقي عين القَنطرة . وبالقرب منهُ سهل ينعطف من لحف الجبل الى الصخور المشرفة على البحر التي فوقها اخربة برج الخضر

فالطبقة المنبئة على آثار البشر الاوَّلين تتكوَّن من ارض سوداء قليلة اللزوج يتناقص سَمْكها فيرقّ كثيرًا عند صخور الشاطئ. والسهل مفروش بكسر الظرّان المنحوت واكثرها ضخمٌ ثقيل. فتراها منتشرة في الطرق والحقول وخصوصًا في المجاري التي تحتفرها سيول الامطار. فاذا اتى فصل الصيف ترى الارض تتشقّق لشدَّة الحرارة وتتفلّع الى عمق خمسين او ثمانين سنتمترًا فتبدو حروف الصوّان من تلك الصدوع انواعًا. وسِكّة الفلاحة تكشف منها قسمًا فتستخرجها الى وجه الارض

واكثر هذه الظرّان قد اصابها بعض التغيير ويعلوها شبه صدإٍ خفيف ضارب الى الحمرة. ومنها ما التصق عليها نُحاتة الصوّان الذي قُطعت منهُ

وهناك عدّة قطع من الصوّان الصافي المعروف بالكوارتز (quartz) الموشور الشكل بِرِد وجهها الاَّ ان هذه القطع نُقِلَت من محلّ آخر اذ لا اثر للصوّان في هذه المحطّة وقد اقتلعها مقتلعوها من صخور يدخل في تركيبها الطباشير والحوّارى. والبعض منها يتألف من اصداف صغيرة عَدَسيّة الشكل تلاحمت ببعضها

وممّا يُذكَر من الادوات الموجودة في هذه المحطّة بعض اطراف مسنَّنة مرجعها الى المثالين الشِيلِيّ والموستريّ ثمّ بضعة مجارف وشفرات شبيهة بالسكاكين. ووجوهُ الأَدوات تجانس كلَّ المجانسة ما ذكرنا عن ادوات عدلون

ويغلب على ظننا انهُ كان في هذا الموضع مَصْنع للآلات. نرجّح ذلك لخلوّ المحلّ من

١) نسبة الى مدينة بفرنسا تدعى موستيار (Moustier) حيث وُجدت هذه الظِرار اوّل مرّة

السكّان ولما فيهِ من وَفرة الكسر مع وجود امّهات الاحجار وادوات اشغال اخذ بها اصحابها ولم يفرغوا من عملها

٣ً محطَّة نهر ابراهيم

ان مغاور نهر ابراهيم كانت سابقًا من مساكن البشر الاولين في فينيقية. موقعها بجوار مصبّ نهر ابراهيم في البحر على طريق بيروت الى جُبَيل او بيبلوس القديمة. ولا شكّ انّها لم تخفَ على المسافرين لكنني لا اعرف احدًا اورد ذكرها. وهي على سِيف البحر تعلو سطحهُ ثمانية امتار

فالاولى من هذه المغاور تحتوي فدرةً كبيرة من العظام المرصوصة تشبه بتقطيعها المقالع الفينيقيّة. ولا يبعد ان قدماء الجبيليين اتّخذوا كحجارة لبنائهم هذه الفِدَر وهي مركبة كما سبق من شظايا العظام والصوّان المنحوت التصقت فصارت اصلد من الصخور الكلسيَّة الطباشيريَّة

والمغارة الثانية اجدر بالالتفات لانهُ بقي فيها سالمًا قسم من الطبقة السابقة لزمن التاريخ. فطالما سكن القوم الاوّلون هذه المغارة وكان بينها وبين المغارة الثالثة الوارد ذكرها منفذ يجمع بينهما. فلمّا خلت منهم سقط من سقفها قسم كبير ففصل بينهما ولم تزل الطبقة القديمة سالمةً تحت الردم. وهي عبارة عن ارض محمرّة خزفيَّة يدخلها شظايا عظام واسنان مع عدد من الظرّان المنحوتة او المكسَّرة. ومطارق من الحجر البركاني يختلط بها رماد وفحم فتلك آثار الموقد القديم

امَّا الثالثة فهي اشبهُ بالدهليز منها بالمغارة ومدخلاها في طرفيها متَّسعان وطولها ١١ مترًا في ٤ او ٥ امتار عرضًا. وحضيضها يتركّب من شظايا عظامٍ مجبولة مترصّصة لا يُعرف عُمقها. وقد ميّزنا في قرار الارض فِقراتٍ من عظام بعض الحيوانات المجترَّة الكبيرة الاجرام واسنانها وكسر من فكوكها. وفي وسطها شفرات كبيرة من الظرّان

ويرى الداخل عن يسارهِ عددًا وافرًا من الاصداف البحريَّة المكسرة وهي قد التحمت بأصل الجدار. منها انواع من البطليموس وتوتيا البحر ممَّا كان يتنعم البشر الاوّلون باكلهِ

ولا يسعنا تعديد كل اشكال العظام. وانَّما الاسنان والفكوك هي للبقر الوحشي (bison priscus) وللعنز الاصلي (capra primigenia) وللأَيل ما بين النهرين (cervus mesopotamicus) وللخنزير الوحشيّ (sus scrofa)

وكسر الصوّان ارقّ واخفّ من كسر عدلون لكنها اضخم منها في انطلياس . ولم يبقَ هنا اثرٌ للامثلة الشيلية امّا امثلة الصنف الموستري فترى لها بقايا كثيرة (انظر الشكل ٢ ص ٩٩)

وامّا الادوات فهي متوسطة في الطول لا يتجاوز اطولُ الشفرات عشرةَ سنتيمترات ولا يكاد اصغر الاسنّة يبلغ اربعة سنتيمترات وما بين هذين الحدَّين شفرات متفاوتة في الطول. ولهذه الرؤوس المسنَّنة اشكال مختلفة منها مثلّثة ومنها بيضويّة وبعضها على هيئة السكاكين وبعضها تنتهي الى نقطة (انظر الشكل ٣) ولا يندر وجود المجارف بينها . وأمّا المحاكُّ فقليلة . هذا الى عدد لا يحصى من الشفَرَات المحدّدة التي بادت صورتها

٤ً محطّة نهر الجوز

نهر الجوز مسيلُ ماءٍ ينبع في قرية تنّورين ثم يجري في وادٍ عميق ضيّق وينصب في البحر شمالي البترون . ومنزل الانسان القديم هنالك في غور الوادي على الطريق المؤدّية من كفرحي الى كفتين في علوّ ٢٠٠ متر فوق سطح البحر . وليس هذا المنزل مغارةً بل رواقًا من الصخر مفتوح الجوانب بيد انَّهُ لم يقِ الصيّاد الاول من عصف الرياح وتزول الامطار ولا شكّ انّ البشر الاوّلين كانوا يتّقون تقلّبات الهواء بقُترٍ من اغصان الشجر كانوا يشيدونها فيلجأُون اليها كما تفعل قبائل الهنود الهَمِجة في اميركا

ففي الجهة العليا من هذه المحطة في شرقيها يلصق رُكام من حصًى ذات انواع واحجام مختلفة ونظن ان هذا الركام كان ممتدًا على شكل سقف . وقد ارتأى بعض المسافرين انَّهُ بقية حجارة تكوّمت في لِحف سطح من جليد . فانّ صحّ هذا الرأي يلزم منهُ كون الانسان وُجد بعد زمن الجليد لان عهد التحام الصوّان مع العظام والفحم وقع بعد وجود الجليد

والرواق المذكور لا يمتدّ اكثر من مترين او ثلاثة امتار . وبازاء الغَوْر باحةٌ طولها ٢٣ مترًا في ٧ امتار الى ١٠ عرضًا . وقرار الارض هنالك اذا كشفت الارض النباتية انّما هو صُبرة من العظام المرصوصة بعضها

والى اليسار نصبٌ يشبهُ عمودًا متحجرًا من الماء المتحلّب راكزًا في الارض ومتّصلًا بالرواق الموصوف آنفًا . فبين هذا العمود والجدار الداخلي مسافةٌ ضيّقة مملوءة عظامًا متراكمة فوق بعضها غير مدفونة في التراب . فاذا ما شاهدها الداخل ظنّ لاوّل وهلة انَّهُ يسهل عليهِ قلعها واذا ما مسّها وجدها مجبولة ببعضها قد لحمتها المياه الكلسيّة الراشحة من السقف

وان سرتَ بعد الى يسارك بين حجار ذلك المُنحدَر والجدار الداخليّ تجد ارضًا بائرة لم

تمسها بعد يد الباحثين فعثرنا فيها بعد الحفر على بقايا عظام لا تُعدّ كثرةً . والاسنان هي الغالبة بينها . وقد تمكّنتُ في يومٍ واحد بمساعدة فاعلين من جمع نيف وخمسمائة سنّ من الظباء والعنز البرّي . وهاك قائمة الحيوانات التي وجدنا من بقايا هياكلها : الدبّ والبقر الوحشيّ وصنفان من العنز وثلاثة اصناف من الايل والظبي والخنزير البرّي والسُّلحفاة

واكثر ظرّان هذه المحطّة كمدة اللون يعلوها شبه صداٍ ضارب الى البياض وربّما اثّر فيها التغيير الى ثلاثة ميلمترات عمقًا وقد وصل في بعضها الى القلب فاضحى الصوّان لذلك محبّبًا سريع الكسر . ولم اعثر هنا بين هذه القطع على مطارق او فِدَر حجارةٍ خشنة او امّهات وذلك مما يُنبئ ان معمل الصوّان لم يكن في هذه المحطة وانمّا حُملت اليها الظرّان من مصنع آخر

والقطع التامّة الشغل ليست عزيزة الوجود ولكنّ كسر الادوات التي افناها الاستعمال او لعب بها الدهر وافرة العدد

والاطراف المسنّنة كثيرة الاشكال منها مثلّثة او بيضويّة (انظر الشكل ٤ ص) وهي قليلة ومنها قِطع طويلة ليست بعريضة نُحتت في طول استدارتها نحتًا محكمًا . واكثر الاطراف هي الاسنّة القصيرة وقد أُتقن طرفُها الاعلى اتقانًا حسنًا فنُحت رأسها نحتًا ثانيًا ادقّ بخلاف بقيّة اجزائها

٦ً محطّة انطلياس

انّ اهمّ محطّات الحجر المنحوت في فينيقية هي ولا حرج المغارة الكبيرة الواقعة في مدخل وادي انطلياس . اجل ان ما استُودع فيها من الآثار السابقة لطور التاريخ لم يبق على حالهِ تامًا لكنّ القسم الاكبر منهُ سالمٌ . وهذه المغارة هي الموضع الوحيد في فينيقيــة الذي بهِ وجدنا عظامًا بشريّة وادوات من العظم مختلطة ببقايا الصناعة الاوّلية . وفيما تراكم هناك من فَضَلات الاطعمة آثار تفيدنا اكثر مما سواها عن الحيوانات المعاصرة لسكان لبنان الاوّلين

والمغارة واسعة المدخل طولها ٦٠ مترًا نحو جهة الشمال الشرقيّ . ومعدّل عرضها ثمانية امتار في نحو ٦ او ٨ امتار علوًّا

وهذه المحطة اوّل من استلفت اليها ابصارَ العلمــاء هِدِنبرغ عام ١٨٣٣ ثم زارها المسيو فراس سنة ١٨٧٥ ثم داقسن سنة ١٨٨٤

ولمدخلها عَتَبة جميلة مؤلفة من كسر عظام وقطع صوّان منحوت وبقايا اصداف وفحم

ملتحمة تضمُّها مادَّة كلسيَّة محمرَّة صلبة. وقد لُصق بجدرانها الداخليـة قطع من مجموع العظام المتجمّدة

وطبقة الآثار القديمة انَّما هي في صدر المغارة . والارض المتكوّنة من هذه الآثار قد وجدتُها على ما تراءى لي سالمة . وهي تتركب في جميع اقسامها من تراب اسود يميل الى الحمرة يخالطهُ رماد وفحم وفي خلالهِ كثير من العظام المتكسرة والصوّان المنحوت وبينها حجارة كلسيّة محدّدة الرؤوس قد سقطت من السقف

ويتعذّر تقسيم هذه الطبقة الى اطوار مختلفـة سواء اعتبرنا عظامها او ادواتها لانّ العظام مُلقاةٌ في كلّ جهاتها وكل اعماقها. كما وان الادوات القديمة هي هي من حيث شغلها وشكلها في كل اقسامها ...

ويوجد حوالي المغارة الكبيرة مغاور أُخر كثيرة او مآوٍ تحت صخور في بعضها آثار للبشر الاوّلين . وقد وجدت انّ كل قَصب من العظام ذات مُخٍ قد كُسر او شقّ فلم ارَ منها قصبةً سالمة . وكذلك لم اعثر على فكٍ تامّ كامل . واسلمُ العظام عظم العَقِب والكعوب والاسنان

وبعض قِطَع العظام لم يزل فيها اثر للحجر التي بها كُسِرَت . والبعض قد حُكّت حكًا فترى على وجهها خطوطًا تنبئ انَّها جُرِّدت عنها لحومها بآلة من الصوَّان

وكثير من فقرات العنق مشقوقة لكنها بقيت مرتبطة بسلسلتها الطبيعيّة . وكذلك المفاصل بين المعصم والزند لم تزل ملتحمة ببعضها

وهذه بعض الحيوانات التي وقفنا على عظـامها : صنفان من السنَّور والدبّ والنمس والثعلب وابن آوى والارنب وبقر الوحش وصنفان من العنز والظبي والوعل والايل والخنزير البرّي والفرس . ومن الطيور الوزّ والحمامة والحجل والشاهين . ومن الاصداف بعض انواع البطليموس والتوتيا

امَّا عظام الانسان فكثيرة وكانت متفرّقة في المغارة بين عظام حيواناتٍ كُسِرَت للطبخ . وهي مصونةٌ كعظام هذه الحيوانات يعلوها مثلها ترابٌ متحجر . واغلبها مكسَّر وعلى بعضها آثار آلات حادَّة . وما ادرانا ان لم يكن ذلك اثرًا لوجود آكلي لحم البشر ... وقد لاحظنا في الاعضاء عند موصلها بالمرافق تقعيرًا كما في عظام اكثر افراد القبائل العائشين في الهَمَجيّة . هذا وقد جمعنا قسمًا كبيرًا من هيكل جنين عمرهُ بين ٣٦ و ٣٧ اسبوعًا

والنوعان من الحيوان اللذان توفّرت بقاياهمـا دون الغير هما ظبي بلاد ما بين النهرين

وعنزة كبيرة دعاها المسيو فراس موقّتًا العنزة الاصلية (capra primigenia)

امَّا قطع الصوَّان فهي اكثر من ان تحصى . وهي منتشرة في كل الطبقة كومًا . واكثر ما تكون عند الجدران . وادوات الصوَّان متوسطة في الطول وهي سالمة تامَّة . مرجعها الى احد الانواع الآتية : السكاكين (انظر الشكل ٧ ص ٩٩) والاسنَّة والمخارز (الشكل ٥) والمجارف والمحاكّ (الشكل ٦) والمناشير . ونحتُها في الغالب محكمٌ ايّ احكام

ووجود المطارق ونفايات العمل وامَّهات الاحجار المقطوعة كلٌ ذلك يثبت لنا ان هذا المحلّ كان مصنعًا للادوات

وفضلًا عن الصوّان المنحوت قد جمعنا عظامًا مشغولة يغلب عليها شكل المخارز وهي مقطوعة من وسط العظام الضخمة (انظر الشكل ٨) . وبعضها مستدير على شكل اسطوانة قد تنوّعت على طولها الخطوط وآثارُ الحكّ بآلة حادَّة وذلك دليلٌ على ان شغلها وصقلها انما كانا بقِطَع الصوّان ولو حُكَّت لذهب الحكّ بحروفها وخطوطها الناتئة . وقد تُرِك في غيرها طرفها الاسفل خشبيًا بلا نحتٍ . وفي كثيرٍ منها قد رُقّق وحُدّد احد اطرافها فقط ليس الَّا وبقي سائرها على اصله . كما كُسر او شُقَّ

وقد وجدنا ايضًا ما خلا هذه المخارز اداةً تشبه المصقلة او الإزميل صُنعت من شظية قرن أيل . ثم صفيحةً من العظم سمكها ٤ ملّمترات وعرضها ٢٩ ملمترًا في طول ٦٠ احد طرفيها محدَّد كالفأس وهي مستقيمة الزوايا والطرَف الآخر قد كسر منحرفًا . وقد خُرق بالنحت لا بالثقب

٦ً محطَّة نهر بيروت

هذه المحطة هي على ضفّة نهر بيروت اليسرى غير بعيدة عن الجسر الحالي . وليس هناك مغارة ولا ما يدلّ على وجودها فيما مضى فهي محطة مكشوفة تحت القبَّة الزرقاء . وهي عبارة عن صخر مؤلف من قِطع صوّان منحوتة وكِسَر عظم وفحم يجمعها ملاط من الكلس قويّ بعضهُ مائل الى الحمرة وبعضهُ الى الكمدة . . وقد كشطت حوادث الجوّ الملاط عن الصوَّان ولكنهُ يصعب فصل قِطَعِهِ منهُ وكثيرًا ما تتكسَّر ويظهر ان الصخرة تمتد الى ما تحت الطبقة النباتية . ولم اتمكن من الحفر والبحث هناك لان في الموضع بعض اشجار من التوت لا غنًى عن قلعها واصحاب الاملاك يطلبون فيها ثمنًا فاحشًا

وقد توصَّلتُ الى استخراج بقايا اسنان هي اسنان البقر والمعزى التي توفَّرت آثارها في

اغلب محطات الحجر المنحوت بل وفي امكنة الحجر المصقول ايضاً في فينيقية . امَّا باقي العظام فهي محطّمة لا يمكن تحديدها . والنار قد عبثت بكثير منها

ولون الصوّان ما بين الاصهب والرماديّ وقد علاهُ الصدأ وهو كثير في الصخر المشار اليهِ وفي الحقل المجاور على شكل شفرات صغيرة افناها الاستعمال او تثلّمت لعَرَضٍ ما

٧ً محطة طرابلس

قد روى كثير من المسافرين انَّ في جوار طرابلس مقاماً سكنهُ البشر الاوَّلون وان فيهِ آثاراً ولم تسنح لي الفرصة بتفقّدهِ . وسنزوره ان شاء الله (ستأتي البقيّة)

ابيات زهدية

قالها الخوري نيقولا الصائغ وهي لم ترو في ديوانهِ

قد وجدنا هذه الابيات في مجموعٍ حسن جناهُ احد الافاضل من بيت جناب الخواجا باسيل بارد في اوائل هذا العصر . وهي اربعة فقط بيد انها من النوع البديعيّ الذي دعاهُ البعض بالتخيير الكلي وهو ان يأتي الشاعر بقافية يجوز ابدالها بجميع قوافي الابجدية كما ترى في قول الخوري نيقولا وهذه ابياتهُ :

إمَّا تذكَّرتَ الْحِمامَ وهولَهُ عجبًا لِقلبِك كيفَ لَا (يَتهيَّأُ)

(فيسوغ بَدْل القافية « يتهيَّأ » باحدى القوافي الآتية من سائر حروف المعجم) : يَتقلَّبُ . يَتفتَّتُ . يَتحدَّثُ . يَتشنَّجُ . يَتجرَّحُ . يَتملَّخُ . يَتمهَّدُ . يَتفلَّذُ . يَتفطَّرُ . يَتميَّزُ . يَتفرَّسُ . يَتحرَّشُ . يَتنغَّصُ . يَتروَّضُ . يَتفرَّطُ . يَتلفَّظُ . يَتقطَّعُ . يَتفرَّغُ . يَتأسَّفُ . يَتمزَّقُ . يَتحرَّكُ . يَتهوَّلُ . يَتكلَّمُ . يَتحنَّنُ . يَتفوَّهُ . يَذرُ المَلا

وَإذَا تفكَّرتَ الْحِسابَ وَقِسْطَهُ عجبًا لِفكرِكَ كيفَ لَا (يَتأسَّا)

(يجوز بدل آخرهِ بقولك) : يَتحسَّبُ . يَتشتَّتُ . يَتشبَّثُ . يَتموَّجُ . يَتزحزحُ . يَتوبَّخُ . يَتبدَّدُ . يَتعوَّذُ . يَتحيَّرُ . يَتحيَّزُ . يَتعرَّبسُ . يَتشوَّشُ . يَتفحَّصُ . يَتقوَّضُ . يَتخبَّطُ . يَتيقَّظُ . يَترعزعُ . يَتبلَّغُ . يَتحصَّفُ . يَتفرَّقُ . يَتشبَّكُ . يَتخلخلُ . يَتقسَّمُ . يَتبجَّنُ . يَتشدَّدُ . يَبْغي الكَلَا

وَإذَا تَحقَّقتَ الْجَحيمَ وَحرَّهَا عجبًا لِنفسِك كيفَ لَا (تَتلظَّأُ)

(فان شئت قُلْ) : تَتلهَّبُ . تَتلفَّتُ . تَتكرَّثُ . تَتوهَّجُ . تَتفرَّحُ . تَتمسَّخُ . تَتوقَّدُ . تَتجلوَذُ . تَتقطَّرُ . تَترجَّزُ . تَتنفَّسُ . تَستوحِشُ . تَتقمَّصُ . تَتقرَّضُ .

تَتَسَخَّطُ . تَتَلَظْلَظُ . تتوجَّعُ . تتمرَّغُ . تتخوَّفُ . تتحرَّقُ . تستهلكُ . تتسلسلُ . تتضرَّمُ . تتلَيَّنُ . تتأوَّهُ . تخشى ولا . . .

وَإِذَا تأمَّلتَ النَّعيمَ وحُسْنَهُ عجبًا لعقلك كيف لا (يتملأُ)

(لك ان تقول) : يتعجَّبُ . يتقوَّتُ . يستورثُ . يتهيَّجُ . يستوضحُ . يستصرخُ . يتجرَّدُ . يتلذَّذُ . يتحيَّرُ . يتحرَّزُ . يتوسوسُ . يتهشَّشُ . يستفرصُ . يتعوَّضُ . يتنشَّطُ . يتحفَّظُ . يتمتَّعُ . يتسوَّغُ . يتلهَّفُ . يتشوَّقُ . يستدركُ . يتعقَّلُ . يتنعَّمُ . يستحسنُ . يتألَّهُ . يهوى العُلا ل . ش .

استعمال الفطير والخمير

(للاب انطون صالحاني اليسوعيّ)

(تتمَّة هذه المقالة)

لقد اشكل قول يوحنَّا على كثيرين من الآباء والعلماء وحاول المفسّرون حلّهُ وتعددت الآراء فيهِ . فقال بعضهم انَّ اليهود أخّروا تلك السنة اكل الفصح الى يوم السبت . ولكن لم يُسندوا قولهم هذا الى برهان . وقال آخرون : انَّ اليهود بعد ضمّ الجليل الى اليهودية ونموّ عددهم تعذَّر عليهم ذبح الحُملان كلّها في الهيكل ليلة العيد (١ فانقسموا الى قسمين فكان الجليليون يأكلون الفصح مساء الثالث عشر من نيسان وسائر اليهود من سكان اورشليم واليهودية يأكلونهُ مساء الرابع عشر . لكن رواة هذه العادة لم يثبتوها بشهادات بيّنة

ومما قيل في حلّ المشكل انَّ المسيح لعلمهِ بموتهِ يوم الجمعة قدّم اكل الفصح الى مساء الثالث عشر . ولكن هذا الرأي يضادّ قول الانجيليين انّ المسيح اكل الفصح في اوّل يوم من الفطير . وقيل ايضًا انَّ اليهود كانوا يأكلون الفصح في ليلتين متواليتين تُحسبان من يوم واحد . اوّلاً في مساء الثالث عشر حيث كانوا يذبحون الفصح تذكارًا لاجتياز الملاك بيوتهم دون قتل بكورهم . ثانيًا في مساء الرابع عشر تذكارًا لخروجهم من مصر .

---

١) احصى الكهنة في اورشليم على عهد نيرون ملك الرومانيين الذبائح الفصحية فبلغ عددها ٢٥٦٠٠٠ فاذا افترضنا انهُ يجتمع في الاقل عشرة انفس على اكل الحمل الفصحي بلغ عدد اليهود الموجودين في اورشليم ايام العيد ٢,٥٦٠,٠٠٠ ولا نحيد عن الحقيقة اذا قلنا انهُ كان يبلغ ثلاثة ملايين

والقائلون بهذا القول يستشهدون بعادة اليهود في ايَّامنا . فقد اكَّد لنا بعض العارفين باحوالهم والمطَّلعين على امورهم انهم يأكلون الفصح في ليلتين متواليتين لاسيَّما الاتقياء منهم . لكن هذا الرأي يفتقر الى براهين توطّدهُ فضلًا عن انهُ يناقض الكتاب المقدَّس الذي يأمر الاسرائيليين بان ياكلوا الحمَل الفصحي في عشيَّة الرابع عشر وألَّا يُبقوا شيئًا منهُ الى الغداة (خروج ١٢ : ١٠) . امَّا عادة اليهود في ايَّامنا ان ياكلوا الفصح اكثر من مرَّة في ايام العيد فليست بجديثة . وسننظر بايّ معنى يلزم ان نقبلها ونفسّرها

هذه هي اخصّ الآراء المتضاربة في هذه المسألة . ونحن ان سألنا سائل عن رأينا قلنا ان السيّد المسيح اكل الفصح مع جمهور اليهود في اليوم المعيَّن بالناموس مساء الخميس ١٤ نيسان . وجوابنا على الاعتراض المبنيّ على آية يوحنا (١٨ : ٢٨) «لم يدخلوا الى دار الولاية لئلاَّ يتنجَّسوا فيمتنعوا عن اكل الفصح» ان المراد بالفصح هنا لا الحمَل الفصحي بل ذبائح اخرى تسمّى فصحيَّة لانها كانت تُؤكل في نهار عيد الفصح وفي اليوم التابع لهُ كما يُستدلّ من نصوص عديدة للربّيين نخصّ منهم الربّي حِلّل البابلي الذي اشتهر باورشليم في عهد المسيح (١

ويؤيّد ذلك ايضًا الكتاب المقدس فقد ورد في سفر تثنية الاشتراع (١٦ : ٢ و٣) «اذبح الفصح للرب الهك من الغنم والبقر في الموضع الذي يختارهُ الرب ليحلّ فيهِ اسمهُ. لا تأكل عليهِ خميرًا بل سبعة ايَّام تأكل عليهِ فطيرًا» (٢ فالكتاب يسمّي ذبائح البقر فصحًا ويأمر ان يؤكل عليهِ الفطير . ولا ريب في انّ اليهود لم يكونوا ياكلون في عشية الرابع عشر من الشهر اي في ليلة العيد الاّ الحمَل الفصحي لا البقر . فكان اذًا اكل

١) راجع جمارة اورشليم في الفصح ف ٦ ع ١ و ٧ فان الذبائح الدائمة الاضافية وذبائح رؤوس الاهلَّة وايام الاعياد يسميها الربي حِلّل ذبائحَ فصحية . راجع ايضًا جمارة بابل في الذبائح ف ١ ع ١

٢) ذكر الكتاب المقدس (الفصل ٣٥ من سفر اخبار الايام الثاني) في معرض كلامه عن الفصح الذي صنعهُ يوشيا الملك «ولم يكن فصح مثل هذا في اسرائيل منذ ايام صموئيل النبي» انهُ قدّم فيهِ ايضًا بقرًا. فقدّم يوشيا من مالهِ الخاصّ ثلاثة آلاف من البقر . ورؤساء بيت الله ثلاثمائة . ورؤساء اللاويين خمسمائة . ثم قال الكتاب الكريم «وفرزوا المحرقة ليعطوا بني الشعب بحسب اقسام بيوت الآباء حتَّى يقربوا للرب كما كتب في سفر موسى . وهكذا فعلوا بالبقر . وشووا الفصح على النار بحسب الرسم واما الاقداس فطبخوها في القدور والمراجل والطواجن واطافوها بسرعة في كل بني الشعب» (١٢ و١٣) . وهذا يدلك على انهُ ما عدا ذبائح الحملان كانت ايضًا في فصح يوشيا ذبائح اخرى فصحية من البقر اكلوها في ايَّام العيد

الذبائح الفصحية من البقر والغنم في نهار العيد وعشائهِ وفي اليوم الذي يليهِ . هذا هو الفصح الذي كان الفريسيون يريدون اكله يوم صُلب المسيح وخافوا ان يمنعهم عنهُ التنجس المسبب عن دخول دار الولاية . فلم يكن اذًا المقصود في كلام يوحنا اكل الحمل الفصحي فانهم كانوا قد تمَّموه مساء الخميس

ثم ان يوحنا في كلامه عن اليهود لم يمكنهُ لسببٍ آخر ان يعني اكل الحمل الفصحي لانهُ منذ ضحوة النهار الى المساء كان لليهود وقت كافٍ ليتطهَّروا من النجاسة . امَّا اكل سائر الذبائح الفصحية في وسط نهار العيد فكانت النجاسة الشرعية تمنع عنهُ ايضًا ولم يكن يسمح ضيق الوقت ان يتطهّروا منها

وليس باكثر صعوبة الجواب على الاعتراض المستنتج من قول يوحنا ان صلب يسوع كان « يوم التهيئة » ويوم « تهيئة الفصح » . فانَّ اليهود كانوا يدعون ليلة السبت « عرب سبت ערב שבת » وليلة العيد « عرب يوم طوب ערב יום טוב » . ثم توسعوا في الاستعمال فاطلقوا لفظة « عرب سبت » على النهار الذي قبل السبت لانهُ في مسائهِ كانت تهيئة السبت حتى صاروا يعنون بها يوم الجمعة . ولعلَّ هذا الاستعمال اتَّصل من العبرانيين الى السريان والعرب الاقدمين الذين كانوا يسمُّون يوم الجمعة « ܥܪܘܒܬܐ » « عَرُوبة » . وعليهِ فيوحنا الانجيلي بقولهِ « يوم التهيئة » اراد يوم الجمعة ليس الَّا

ويؤيد ذلك ما ورد في انجيل متى (٢٧ : ٦٢) « وفي الغد الذي بعد التهيئة اجتمع رؤساء الكهنة » . فقوله « التهيئة » هنا مرادف ليوم الجمعة فكأنهُ قال « في غد يوم الجمعة » . وكذلك قول يوحنا « يوم التهيئة » مرادفٌ ليوم الجمعة . والنسخة السريانية البسيطة توضح ذلك باوفر جلاء فقد ورد فيها « ܘܥܪܘܒܬܐ ܗܘܬ ܕܦܨܚܐ وكان يوم جمعة الفصح » (يوحنا ١٩ : ١٤) . ومثلهُ في لوقا (٢٣ : ٥٤) « ܘܝܘܡܐ ܥܪܘܒܬܐ ܗܘܐ وكان يوم الجمعة » . أفلا ترى كيف انَّ ما سمَّاه يوحنا « يوم التهيئة » تسمّيه الترجمة السريانية « يوم الجمعة » وما سمَّاهُ « تهيئة الفصح » تسمية الترجمة السريانية « يوم جمعة الفصح »

وقول يوحنا « تهيئة الفصح » لا يريد بهِ ان التهيئة كانت استعدادًا للفصح بل ان تلك التهيئة او بعبارة اخرى ذاك يوم الجمعة كان واقعًا في عيد الفصح كما نقول الآن : اثنين الفصح وثلاثاء الفصح واثنين الصيام واثنين العنصرة وهلمَّ جرًّا . فينحلُّ من ثمَّ المشكل المأخوذ من يوحنا . او بالحري جاءَت آيتهُ بدليل جديد على انَّ العيدَ كان يوم

الجمعة لا يوم السبت وان المسيح اكل الفصح مساء الخميس ليلة العيد كما اكلهُ عامَّة اليهود

اما قول يوحنا انَّ يوم ذاك السبت كان عظيماً فلا صعوبة فيهِ البتَّة لانهُ كان بالحقيقة عظيماً لا لانهُ وقع فيهِ اول يوم عيد الفصح بل لانهُ من جملة ايام العيد ولانهُ احد اليومين اللذين تُؤكل فيهما الذبائح الفصحية غير الحمل الفصحي ولانَّ فيهِ كان شروع المنجل في الزرع (تثنية الاشتراع ١٦: ٩ وسفر الاحبار ٢٣: ١٥) ولاسباب اخرى لا حاجة الى ذكرها جعلتهُ اعظم من سائر سبوت السنة

هذا ولا بدَّ من التوفيق بين يوحنا وسائر الانجيليين. وقد رأينا ان هؤلاء ذكروا بما لامزيد عليهِ من التصريح والبيان انَّ المسيح اكل الفصح في وقتهِ فقالوا «في اول يوم من الفطير اذ كانوا يذبحون الفصح (مرقس ١٤: ١٢ ومتى ٢٦: ١٧ ولوقا ٢٢: ٧و٨) وانَّ يوحنا نفسه ذكر العشاء الفصحي. وبما اننا اثبتنا لكلامهِ تأويلًا صوابيًا وشرحًا مَرضيًا يوفقهُ مع ما قالهُ الانجيليون الآخرون فلو فرض انهُ باقٍ فيهِ شيء من الصعوبة والاشكال فينبغي شرح ما اعتاص منهُ بما سهل في غيره وما اشكل فيهِ بما وضح فيهم. وعليهِ فيجب تفسير آيات يوحنا باقوال سائر الانجيليين. وقد رأينا ان اقوالهم بينة متبادرة الى الفهم لا التباس فيها البتَّة وهي شاهدة لنا بان المسيح اكل الفصح في اول يوم من الفطير. لا بل سمعنا المسيح نفسه يُنبئ تلاميذه عن موته في يوم عيد الفصح «تعلمون انهُ بعد يومين يكون الفصح وابن البشر يسلم للصلب» (متى ٢٦: ٢) افيمكن ايراد برهان اقوى واوضح من هذا. وعليهِ فعيد الفصح كان يوم الجمعة الذي فيهِ صلب المسيح. وكان من ثم اكل الحمل الفصحي مساء الخميس

وهبْ اننا سلمنا بان المسيح لم ياكل الفصح مع عامَّة الشعب اليهودي بل انهُ تقدمهم في اكله إمَّا مع فريق الجليليين او مع تلاميذه فقط. أفنُستنتج من ذلك انهُ لم ياكله على الفطير. لا لعمرُ الحق. لانَّ عدم مراعاة ظروف الوقت ليس فيهِ من الاهمية كما في مخالفة امر الفطير لما في هذه الوصية من المعاني. فهذا موسى لمَّا وصى باكل الفصح في عشي ١٤ لم يفرض قصاصاً على من يتعدّى هذا الامر. لكنهُ حكم بالموت على من يتجاسر ويخالف وصية الفطير «كلُّ من اكل خميرًا تنقرض تلك النفس من جماعة اسرائيل» (خروج ١٢: ١٩). فقد اعتبر اكل الفصح واكل الفطير بمنزلة واحدة من الاهمية. ولم يكن المسيح ليخالف وصية ذات اهمية هكذا عظيمة وليس في تتميمها كبير عناء ولا صعوبة

فمن كل ما تقدم نستنتج بكل صواب وحق انَّ المسيح سواءٌ اكل الفصح في الليلة المعينة بالشريعة او في الليلة السابقة لم ياكلهُ الّا مع الفطير وبالتالي لم يقدّس الّا الفطير في رسم سرّ الافخارستية

قد بيَّنا بالبراهين السديدة انَّ المسيح رسم سرّ الافخاريستية على الفطير فثبت اذن ان الكنيسة الغربيَّة تستعملهُ بكلّ صواب في ذبيحة القداس لانها تقتدي بصنيع المسيح. الّا انَّنا لا نخشى القول بان حلّ المسالة لا يتوقّف على عمل السيّد ولا على الاقتداء بهِ. لانهُ بتقديسهِ الفطير لم يعيّنهُ ولم يحتم بهِ كمادَّة ضرورية. ولذلك جاز للكنيسة ان تبدلهُ وتستعمل الخمير. ولو فُرض انهُ قدس الخمير لساغ ايضاً للكنيسة ان تغيره وتستعمل الفطير لان المسيح لم يوجب احد النوعين ولان كليهما خبز حقيقي والاختيار وعدمه امر عرَضيّ

قد بقي علينا ايراد السبب الثاني الذي حدا بالكنيسة الغربيّة على تقدمة الفطير ومنهُ يتَّضح ايضاً الفرق الموجود بين الكنيستين الغربيّة والشرقيَّة

ما من احد يجهل ان الكهنة في اوائل الكنيسة كانوا يقدّسون قسماً من الخبز الذي كان يأتي بهِ المؤمنون من بيوتهم فيقدمونهُ للذبيحة (١ ويثبت هذا الامر شهادات عديدة لا حاجة لايرادها. ذكر تيودور ابو قرَّة اسقف حرَّان في القرن الثامن ان بعض الجهلة كان يستهزئ باحد المسيحيين ويوبخهُ بقولهِ لهُ « من الطحين الواحد تخبز رغيفين فتأكل احدهما في طعامك اليومي ثمَّ تقسم الثاني وتوزّعهُ على الشعب وتقول انهُ جسد يسوع (٢ ». ويخبر يوحنا الشماس في حياة القديس غريغوريوس البابا (ك ٢ ف ٤١) ان امرأة انكرت الايمان بالقربان الطاهر لانها عرفت في القربانة التي ناولها اياها القديس الخبز الذي كانت عجنتهُ وهيأتهُ. فكان اذاً خبز الذبيحة يؤخذ قديماً من الخبز الاعتيادي الذي يقتات بهِ الشعب. وكان الشعب يقدم للذبيحة خميراً او فطيراً على حسب استعماله في طعامه الخمير او

١) وقد نشاهد في ايامنا ما يشبه ذلك. فانهُ ليس بنادر ان ياخذ الكاهن جزءًا من الخبز الخمير البيتي ليقدسهُ في الذبيحة. ونذكر اننا لما برحنا دمشق في السنة الستين ميمّمين بيروت ونحن في حداثة السنّ اسعدنا الحظ ان نخدم مرارًا لكاهن في تقدمة الذبيحة على طقس الخمير. وكانت تلك الايام ايام ضنك وفقر. ولمّا لم يكن يتيسّر للكاهن المذكور ان يهيئ خبز التقدمة على الطريقة المألوفة التي تطلبها اللياقة واحترام الالهيّات كان يعمد الى الخبز الاعتيادي ويتَّخذ منهُ قربانة يقدّسها في الذبيحة الالهية

٢) في مقالتهِ الثانية والعشرين

الفطير فيقدّس الكاهن قسمًا من هذه التقادم في الذبيحة الالهية ويبقى القسم الآخر ليُوزَّع على المؤمنين كبركة. ومن هنا نشأ الفرق الموجود في الكنائس. وكان المؤمنون اذا جروا على احدى هاتين الطريقتين لا يرضون ابطالها او ابدالها خصوصًا عند ما كفّ الشعب عن تقديم خبز الذبيحة وأخذ الاكليروس يهيئهُ مع شيء من الاحتفال. فلازموا مذ ذاك طريقة واحدة حسب العادة التي كانت قد شاعت عندهم لكن دون ان يأنفوا من مخالفتها في بعض الاحيان ودون ان يحسبوا هذه المخالفة خطأً اذا الجأت اليها الظروف وقدَّرتها الاحوال

ولا يخفى انّ الشريعة الموسوية لم تبطل الّا شيئًا فشيئًا في الكنائس التي كان معظم اعضائها من اليهود مثل كنيسة اورشليم وسائر كنائس الارض المقدسة. فترى المؤمنين يحضرون الصلاة في الهيكل مع اليهود ويباشرون غير ذلك من اعمال الشريعة القديمة (اعمال ٢: ٤٦ و٣: ١و ٥: ٤٢ و٢١: ٢٦ و٢٢: ١٧). وعليه فاستعمال الفطير لم يبطل حالاً بعد إنشاء كنيسة المسيح بل دام زمنًا ليس بيسير وبما انّ الذبيحة الالهية كانت تُقدّم في البيوت كما ذُكر في اعمال الرسل (٢: ٤٦) عن المسيحيين انهم كانوا «يكسرون الخبز في البيوت ويتناولون الطعام بابتهاج وفرح» فلا بِدْع اذا كانوا يقدّمون في ذبيحة القداس من الخبز الذي اعدّوه لطعامهم لانهُ لا يسعنا القول بانهم كانوا يعدّون نوعين من الخبز الواحد للذبيحة والآخر للطعام وانّما كانوا في ايام الفصح يقدسون الفطير وفي بقية السنة يقدسون الخمير الذي اعتادوا اكلهُ. وقس على ذلك سائر الكنائس فانَّ كهنتها كانوا يقدسون ذاك النوع من الخبز الذي كان الشعب تعوَّد استعماله في الطعام وتقدمتهُ في الذبيحة

امَّا الشعب الروماني فيثبت التاريخ انه أَلِف اكل الفطير الى القرن الثالث بعد المسيح (١ فلا غرو اذًا ان الكنيسة اللاتينية ايضًا استعملتهُ في الذبيحة. فان اهل الثروة من الرومانيين المسيحيين كانوا يقدمون الفطير من الخبز بينما كان الفقراء منهم ياتون بالخمير ولما كانت تقادم الاغنياء اوفر والفطير اشدّ نقاوةً وبياضًا واقلّ تفتتًا ومن ثمَّ اليق بالذبيحة عوّلت الكنيسة خاصةً على استعماله. وشاعت هذه العادة في المغرب ولاسيا في ايطالية

١) ذكر شيامبيني في مقالتهِ عن الفطير انَّ الموسرين من الرومانيين في عهد الجمهورية وفي ايَّام دولة الانطونيين كانوا ياكلون الخبز غير المختمر وبهِ كان يقتات الجنود

حتى انهُ لَمّا بطل في القرون التابعة اكل الفطير في البيوت داوم خدَمة الكنيسة على تهيئتهِ ينوون بذلك ان يكرّموا الذبيحة تكريمًا اعظم

امّا في المشرق فلان استعمال الخمير في الطعام كان اعمّ عمّت ايضًا عادة تقدمتهِ واستعمالهِ في الذبيحة ولكن دون النهي عن تقديس الفطير . ولدينا برهان قوي على ما نقول ألا وهو إقرار البطريرك ميخائيل كرولاريوس نفسهِ وهو كما سبق اوَّل من نبَّه الافكار الى مسألة الخمير والفطير واصلى نيران هذا الخصام وحاول تخطئة الكنيسة اللاتينية . فقد قال في رسالة الى بطرس بطريرك انطاكية ما ترجمتهُ حرفيًّا : « اتّصل بنا ان بطريركي الاسكندرية واورشليم لايكتفيان بان يقبلا في شركتهما اولئك الذين يستعملون الفطير بل انهما يستعملان هما ايضًا احيانًا في الذبيحة المقدسة الخبز الفطير » (راجع بارونيوس المجلد ١٧ الصفحة ٩٣ في تاريخ سنة ١٠٥٤)

فاقرار البطريرك كرولاريوس هذا لهُ من الاهميَّة ما لا يُنكر . ومنهُ يتَّضح ان في القرن الحادي عشر كانت بعض الكنائس الشرقية تقدس الخمير او الفطير وتعتبر انهُ يصح ويجوز استعمالها في ذبيحة القداس . ولا شك ان تلك الكنائس قد جرت في عملها وتعليمها بحسب تقليدٍ قديم العهد

واذا تصفحنا كتب آباء الكنيسة الاقدمين وقفنا على بعض شهادات تثبت استعمال الفطير في اوائل الكنيسة . فالقديس يوستينوس الذي عاش في اواسط القرن الثاني للمسيح يقول في محاورتهِ ٤١ ضد تريفون « ان الخبز غير المختمر الذي كانت الشريعة الموسوية الزمت البرص بتقديمه بعد تطهيرهم كان رمزًا الى الافخارستية » فهذه المقابلة تبيّن استعمال الفطير في القداس . وذكر اورجين في شرحه لانجيل القديس متى (١٢ : ٦) انهُ كان يُقدم احيانًا على الهياكل خبز مختمر . فقوله « احيانًا » دليل على انهم في القرن الثالث قلما يكون في مصر كانوا يقدمون عادةً خبزًا غير مختمر

والقديس غريغوريوس المنوّر اسقف ارمينية في اواخر القرن الثالث للميلاد ادخل ما بين الارمن كثيرًا من العوائد التي وجدها في الكنائس الشرقية المتاخمة لبلادهِ . ولا يخفى ان الارمن يقدسون الفطير من عهد قديم فلا ريب انهم اقتبلوا هذه العادة من الروم او السريان المجاورين لهم . وعليهِ يكون الروم او السريان قدسوا قديمًا الفطير قلما يكون في بعض كنائسهم . ولو قال معترض ان الارمن اخذوا هذا الطقس عن الكنيسة الرومانية اذ ذهب

على قول بعض المؤرّخين القديس غريغوريوس الى رومية بصحبة الملك تيريدات المتنصر فنجيب ان هذا الاعتراض لا يضعضع قوّة برهاننا لان اقتداء الارمن بكنيسة رومية دليل على ان استعمال الفطير في الكنيسة الرومانية ليس حديثًا كما عيّرها بذلك بعضهم بل يرتقي الى اوائل النصرانية

واذا اقتربنا من اواخر القرن الثامن وبحثنا عن عادة الكنيسة اللاتينية في ذلك العصر وجدنا ادلّة غير التي ذكرناها تثبت ان استعمال الفطير كان اذ ذاك شائعًا. فالعلّامة الشهير ألكوين الانكليزي الذي استقدمهُ الملك كارلوس الكبير ووكل اليهِ القاء العلوم في فرنسة يقول في رسالة بعث بها سنة ٧٩٠ الى كهنة كنيسة ليون القانويين « ان الخبز الذي نقدسهُ جسدًا يلزم ان يكون غاية في النقاوة بدون خمير ايّ مادةٍ كانت تفسدهُ (١)». وربّان مور رئيس اساقفة ميانس في المانية وأحد تلامذة الكوين يعلّم ايضًا انهُ « في سرّ جسد ودم المسيح يلزم ان نقدّس خبزًا غير مختمر وخمرًا ممزوجةً بماء(٢) » فهذا التصريح يبرهن على استعمال الفطير عمومًا في اواخر القرن الثامن واوائل التاسع قلما يكون في فرنسة والمانية مما يبين ان تقديس الفطير لم ينشأ في الكنيسة اللاتينية بعد انفصال اليونان عنها بل كان متبعًا فيها قبل ميخائيل كرولاريوس وقبل فوتيوس بل كما سبق القول المثبت بالادلة انهُ يرتقي الى اوائل النصرانية وانهُ مطابق لصنيع السيد المسيح

ونختم الكلام بقولنا ان هذا الفرق بين الكنائس في تقديس الخمير او الفطير بما انهُ عرضيّ لا جوهريّ فليس من شأنه ان يبعث فائر الضغائن ويزرع زؤان النفور بينها لاسيما وانه لا يمسّ العقيدة بشيء. بل الأَولى بنا ان نحافظ على الوفاق ونبتهل الى الله ان يجعل الاتحاد كاملًا ويؤلف القلوب ولو اختلفت الطقوس وتباينت العادات تحت لواء ايمان واحد وكنيسة واحدة وراعٍ واحد

(1) Panis qui consecratur in corpus absque fermento ullius alterius infectionis debet esse mundissimus (Epist. 69 ad Fratres Lugdun.)

(2) Ergo panem infermentatum et vinum aquâ mixtum in sacramentum corporis et sanguinis Christi sanctificari oportet » (Lib. 1 Instit. cler. c. 31)

لفظ الجيم عند العرب

أهو حَلْقيّ كما في مصر ام شَجْريّ كما في بلاد الشام

(للاب هنري لامنس اليسوعي)

تلك مسألة خاضت فيها من بضعة اشهر بعض المجلاّت المصريَّة كالبيان والهلال . ولا نخال الاولى منهما اصابت في قولها « لم نجد مَن نبّه على ذلك ولا تكلّم فيهِ » لانّ المسألة ليست بمستحدثة فكثيرون من الاوربيين المستشرقين تعرّضوا لها . ونحن ايضاً ذكرناها في احد اعداد البشير (٢٨ حزيران ١٨٩٤)

وليست غايتنا اليوم ان نعود اليها فنوفّيها حقَّها من البحث . بل جلّ قصدنا ان تزيد بعض ملاحظات نستلفت بها انظار رصفائنا الافاضل الى امورٍ اضربوا عنهـا . ونورد في خلالها اهمّ الادلّة على حقيقة لفظ الجيم

واوّل ما نقول ان لفظها الحلقيّ وهو القديم الاصليّ شائعٌ في عصرنا شيوعًا لم يخطر للناس ببال فهو السائد فضلًا عن مصر في بلاد نجد واليَمَن وعند كثير من قبائل العرب النازلة في ما بين النهرين . ولا تخلو منهُ مرّاكش ففي لغتها عدد من الكلمات تلفظ جيمها حلقيّة (١ . فتلك حجّة قويَّة توهن اعتراض القائل بان اللفظ الشجْريّ هو الشائع الآن بين العرب وكاد يعمهم

ولو فُرض انّهُ عامّ فلا يستنتج من ذلك شيء . لانّ كلمات عديدة في اللغـات الاوربيَّة قد أُبدل اللفظ في بعض حروفها كلّ الإبدال وبعضها لا يزال يتبدَّل حتى الآن . فانّ الراء (r) مثلًا لا يمضي علينـا الاعوام القليلة الّا اصبحنا لا نسمع في فرنسا من ينطق بها على اصلها . اذ يكاد الجميع ولاسيما في المدن يلفظونها كالغين على طريقة باريس . وهذا الحرف قد أُبدل ايضاً لفظه في المانيا وانكلترة

وزد على ذلك انّ حرف g في اللاتينيّة الذي يشبه لفظهُ الجيم المصريّة كما لا يُخفى قد اصبح يُلفظ كالجيم الشاميّة في كثير من البلدان كايطاليا وفرنسا وبلجكا وانكلترة

امّا لفظ الجيم الشجْريّ فانهُ ضيّق النطاق دون ما قدّمنـا . لانّ هذا الحرف ما عدا

(١ Reconnaissance au Maroc par le V[te] de Foucault, p. 2

لفظــهِ الحلقيّ ُيلْفَظ ايضًا كالياء في حَضْرَموت وفي بعض نواحي فلسطين وسوريًا. وكان ُيلفظ ايضًا مثل الكاف والقاف في اليمن(١ .كما ذكر ابن دُريد والمقدسيّ (في الصفحة ٦٦)

ولا يصعب علينا ان نبرهن انّ اللفظ الحلقيّ ليس هو فقط شائعًا في عصرنا بقدر شيوع الشَّجْريّ بل انهُ اقرب ايضًا الى الاصل. فالمؤرّخون والجغرافيّون من اليونان كثيرًا ما كتبوا عن عرب الجاهليّة. والسَّواد الاكبر منهم مثل أَسْترابون وبروكوب وسوزومن وايثاغريوس وماَلَلا وتيوفان وغيرهم اوردوا امورًا جرت في عهدهم. فاذا ما ذكروا اسماء علم عربية ممَّا يدخلها الجيم استعملوا في التعبير عنها الحرف اليوناني γ وهو كالجيم المصرية. مثلًا: جبَّار Γαμβαρος. جبلة الغسَّاني Γαβλα. ُحجر آكل المرار Αγαρος. جَفنة Γνουφας. ضُجعُم Ζογομος او Ζοκομος. هذا واليونان الاقدمون لم يعرفوا قطّ الجيم الشجريَّة والمحــدثون منهم يجدون صعوبة زائدة في حكاية هذا الصوت فيعبرون عنهُ بحرف z (٢

فلنعكس الامر ولننظر في ما نقلهُ العرب عن اليونانية واللاتينية الى لغتهم. والكلمات من هذا القبيــل عديدة. فليس من ينكر ان حرف γ اليونانيّ وحرف g اللاتيني كان لفظهما في كل آنٍ كالجيم المصرية ولم يكن قطّ فيهما مشابهة بالجيم الشامية. فكيف عبّر عنهما عرب الجاهلية؟ لعمري لو كانوا عارفين بلفظ الجيم الشجريّ لاَستعاضوا احيانًا عن هذا الحرف بما يقاربه في المخرج كالشين والزاي. على اننا لم نَرَهم استعملوا غير الجيم والغين وكلاهما حلقيّ. وهاك بعض الكلمات مع بيان اصلها الذي نقلت عنهُ: بُرْج πυργος او burgus (٣. بُرْجُد paragauda. سِجلّ sigillum. مَنْجَنيق μαγγανικόν. طَيْجَن τηγανον. سرجيس Σεργιος (٤ الخ. وفي كلمات أُخرى عبروا بالجيم عن الحرفين اليونانيّين κ المجانس للكاف و χ المجانس للخاء. نحو: نَرجِس ναρκισσος. بَرْجَا (٥ τοπαρχια (٦.

١) وفي اللغة آثار كثيرة لهذا الإبدال مثل مقذاف عوض مجذاف. وقد نبّه على ذلك القلقشندي في كتابهِ صبح الاعشى

٢) ورد في كتابةٍ من القرن الثالث عشر التعبير عن كلمة (jour) الفرنسية بهذه الصورة τζιουρ

٣) burgus ذكرت في كتابةٍ اكتُشفت بحوران

٤) اسم شهيد ورد في ديوان الاخطل صفحة ٣٠٩. وهو في لفظ العامَّة سركيس

٥) تصحيف لاسم ضيعة ما بين جونية وجبيل

٦) Mission de Phénicie, 326,

ولا يخفى ان لا علاقة بين الكاف او الخاء وبين الجيم الشجريّة

هذا فضلًا عن ان الجيم تُبدل في العربيّة نفسها — بالكاف. نحو: درَجات ودرَكات. جِنّ وكِنّ. — او بالقاف. نحو: جَذَفَ وقَذَفَ. جَدَّ وقَدَّ — او بالغين. نحو: جَرجَر وغَرغَر. دَجِرَ الرجلُ ودَغِرَ. دَجَنَ ودَغَنَ الخ

فيستدلّ ممّا تقدَّم على انّ الجيم حلقيّة لوقوع التبادل بينها و بين الاحرف الحلقية وهذا التبادل قديم العهد. ومثله لفظ الجيم كافًا. فابن درَيد يقول ان لفظها هذا كان شائعًا في اليمن وسائدًا في بغداد

وبقيت آثارٌ للفظ الجيم الحلقية حتى في القرون المتوسّطة. فان علماء ذلك العهد اوردوها في كلمات كثيرة نقلوها عن العرب. نحو: asangue المشتقة عن الصَنْج و regulus عن رِجْل. وهما اسمان لنجمين. ومنهم مَن عبروا عن الجيم بحرف c الملفوظ كافًا. نحو: doronic (دَرُونَج). cétérac (شيطَرَج). emblic (أَمْلَج)

هذا وان سهل علينا ان نثبت حقيقة لفظ الجيم فلا يتيسَّر لنا تعيين الزمن الذي فيهِ تبدل هذا الصوت فصار شَجريًا. فليت شعري عمَّن اخذ العرب هذا اللفظ؟ لان المقرّر انّهم لم يأخذوه عن جيرانهم وهم يجهلونهُ فان العبرانيين والسوريين والاشوريين والفينيقيين كاليونان واللاتين ليس في لغتهم غير الجيم الحلقية

وقد طرحت مجلَّة الهلال السوأل نفسه واجابت عليه ان الجيم الشجريّة مأخوذة عن قريش. لكنّ الادلّة على ذلك قليلة فضلًا عن انها لا تُقنع. فان تكن قُرَيش عمَّمت لغتها في كل البلاد التي فتحتها فما بالُ مصر خالفتها بذلك وفيها توطّن من القرشيين اصحاب عمرو ابن العاص؟ وان قيل «انّ لفظ اهل القاهرة عارضٌ من امد غير بعيد» قلنا وهل لفظ الجيم الحلقيّ في ما بين النهرين ونجد ومراكش عارضٌ ايضًا من امد غير بعيد؟

وما اقرب جواب الهلال الى الصواب لو كان هذا اللفظ محصورًا في قسم من القطر المصري. لكننا نجدهُ في اقطار مختلفة تبعد عن مركز اللغة العربية. والافتراض وحدهُ ايًا كان لا يكفي لحلّ هذه المسألة

وقيل ايضًا «ان علماء اللغة في اوائل الاسلام لما ضبطوا لفظ الجيم عيَّنوا مخرجها من الشجر كما يلفظها اهل الشام». فنسأل ما هي هذه موءلفات علماء اللغة في لفظ الحروف العربية واننا نودّ لو وقفنا عليها. وقد بذلنا الجهد في البحث عن الصرفيين والنحاة الاقدمين

الذين اتصلت الينا آراؤهم فلم نجد لاحدهم كتابًا سبق القرن الثاني للهجرة . وفيهِ كان قد انتشر لفظ الجيم الشجريّ كما يستدل من القرائن

ولا نخال الهلال ايضًا مصيبًا في استناده على استعمال الجيم في الالفاظ العربية المنقولة الى الفارسية مثل « جهاد وجامع » . لان اللغة الفارسيَّة مستحدثة وهذه الكلمات انتقلت الى الفرس في زمن كان قد ساد فيهِ اللفظ الشجري

فان رغب الينا سائل وطلب ان نبين تعيين الزمن الذي فيهِ جرى هذا الابدال من الحلقيّ الى الشجريّ اجبنا بكل صراحة اننا نجهل ذلك . امَّا اذا كان لا بدَّ من ابداء رأينا في المسألة قلنا ولكن مع التحفظ وليس قولنا الَّا من باب الافتراض : ان الجيم الشجرية ظهرت بنفوذ العجم في البلاد المجاورة لهم في ما بين النهرين والعراق . ولا يبعد انها كانت لغة اهل البلاط في الدولة العبَّاسية التي قوي فيها النفوذ العجمي منذ القرن الثاني للهجرة . وكأنما الناس حاولوا التشبه باهل البلاط وسكَّان العاصمة . كما ان الجميع في فرنسا يتشبهون بباريس في لفظها ولو سقيمًا

هذا ونحن نكرّر القول ان ما ابديناه ليس الَّا رأيًا نعدل عنهُ متى دلَّنا البرهان على مذهب آخر اقرب الى الصواب . انهُ تعالى ضياء المسترشدين

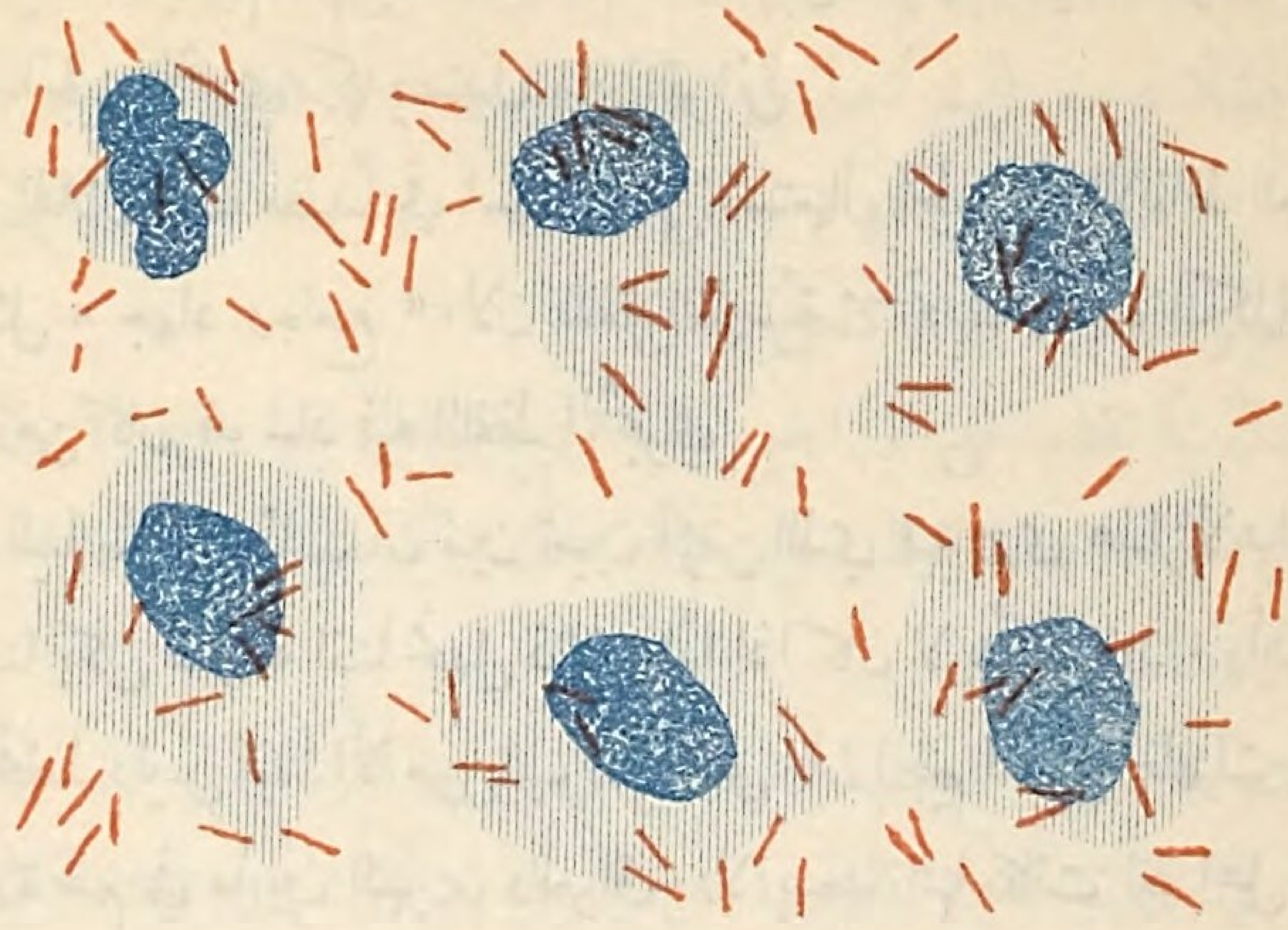
داء السلّ وانتشارهُ في سوريَّا

(الدكتور حبيب افندي الدرعوني)

ولا تقل انَّ الصغير عاجزٌ   هل يجرح الليث سوى ذُبابهِ

وذُباب السلّ الذي يلجُ جسم الانسان اصغر من أن تدركهُ العين المجرَّدة فطالما اختبأ عن الابصار لا يُدرى الَّا بافعالهِ ويبارز الروح فيجذبها بخطاطيف السقم والهزال ويقطف من كل قطرٍ زهرة النساء والرجال

ولمَّا نهض رجال العلم للتنقيب عن ماهيَّة تلك العلّة انفرد فيهم الفرنساوي ڤيلمين بالقول انَّ داء السل مسبَّبٌ من جرثومة آليّة اذا لقحت جسمًا سليمًا صار معتلاً . ثم جاء على إثرهِ الدكتور كوخ فتسنَّى لهُ ان أماط الستر عن تلك الجرثومة فأبصرها بعين المجهر فاذا بها خطًّا دقيقًا سمَّوهُ باشلّس كوخ باسم مكتشفهِ (كما ترى في الصورة بالصفحة ١٢٠) . ينساب في الجسم فيغتذي على نفقة اعضائهِ وغالبًا ما يختار منها ادقَّها وألطفها واهمَّها لقيام الحياة اعني الرئة فينهشها رويدًا حتى ينحل الجسم ويتضعضع من وراء تلك الطّعنات الخفيَّة



باشلّوس او ميكروب السلّ قد لُوّن هنا بالاحمر وكُبّر عن اصلهِ ١٥٠٠ مرّة — امّا انسجة الرئة التي بها يتكوّن الباشلّوس فلُوّنت بالازرق

وليس هذا فقط بل انّ ذلك الباشلّس ينمو ويكثر وينتشر في الهواء ويسطو باجسامٍ جديدة فيُلحقها بالتي توت في القبور . وربّما بقي كميناً صابراً على مرور الايام الى ان تذرّهُ عوامل الانتشار او تنقلهُ الى غير أقطار فيفتك باهلها متأثّراً فرائس لهُ يختارها من الاجسام النحيلة فيعلق بها ولا يتركها حتى تطير منها الانفاس

وهذه بلادنا السورية لقد نشرت عليها تلك العلّة جناحها وتوطّنت فيها من زمانٍ ليس ببعيد اذ انّهُ لدى الاستطلاع ممّن لهم معرفةٌ في البلاد يظهر انّ داء السلّ كان غير معروفٍ في بلادنا الّا انهُ من عهدٍ قريب أخذ يتفشّى فيها سريعاً ويفتك في اهل البلاد فتكاً ذريعاً

وقصدنا من هذه النبذة ان نستقري الاسباب التي هيّأت تفشّي السلّ في اقطارنا كي يتسنّى للاهلين استدراكهُ والتذرّع بذرائع الوقاية منهُ والّا لاستمرّ يسير في ظهرانينا سيراً حثيثاً ويقتل من الناس اكثر مما تفعل الاوبئة العظيمة . فان الكولرا مثلاً اذا انتشرت في بلادٍ استفزّت همّة الحكومات والاهلين فيعزّزون اسباب قانون الصحّة والوقاية ويقيمون في وجهِ الوافدة موانع العدوى فيخفّفون وطأتها ويحصرونها في مكان نشأتها . وليس الامر كذلك في السل فكأنّي بهِ يناوش الناس مناوشة فيفتك بهم واحداً واحداً فتكون جملة

الخسائر كثيرة بثيرة . وهذه ارقام القوائم تشهد بصحّة ذلك . عُدّات ضحيّات الحروب من ابتداء هذا العصر الى اليوم فكانت مليونين في فرنسا . وكانت وفيات الكولرا اربعمائة الف امّا عدد الذين ماتوا بداء السلّ فيربو على التسعة ملايين . . .

وربما كان تفشّي تلك العلّة ناتجاً من جهلِ النــاس لعدوى السل وماهية تلك العدوى وناقلها او الاسباب المهيئة لانتقالها سواءٌ كان في البِنْية او العادات او المعيشة . وتلك امورٌ لا بدَّ ان يعرفها الناس حقَّ المعرفة كي يصدّوا هجمات ذاك المرض فانهُ اذا تملّك في بلادنا ربما وشجت عروقهُ فيعسر في مقتبل الايام قلعها

امّا كون داء السلّ معديًا فذلك امرٌ اصبح مقرّرًا لا يختلف فيهِ اثنان . وليس في هذه الرسالة مقام لاثبات البراهين العلمية وذكر المناظرات التي جرت من عهــد قريب في هذا الشأن عن نوعية السلّ ووحدانية طبيعتهِ ومناظرهِ ولا نشاحن من يقول مع الدكتور برُوسِهْ ان درن السلّ نتيجة الالتهاب . فتلك مباحث نترك التنقيب فيها الى أئمّة علماء هذا الفن . وحسبنا تعريف الاصول العملية التي قرّرتها التجارب لانَّ العمل بموجبها يضمن لنا الوقاية من هجمات السلّ كما يتضح ذلك من هبوط معدل الوفَيَات بهذا الداء في اوربا منذ عُرفت عوامل العدوى وسعت الجماهير في اتقائها . وهذه قائمة نظّمت في بلاد الانكليز تؤيّد ذلك القول : بلغت علّة السلّ اشدّها من سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٨٦٠ فكان معدَّل الوفَيَات ٢٥٦٥ في المليون . امّا من سنة ١٨٨٩ الى سنــة ١٨٩٣ اي بعد ما تقرّرت لدى الخاصّ والعامّ عدوى السلّ ووجوه سيرها واخذت الجماهير ترتب معيشتها بحسب تعاليم فنّ الوقاية لقد سقط اذ ذاك معدل الوفيات الى ١٥١٢ في تلك البرهة اي ٤١ في المئة فتأمَّل

واملنا في نباهة مواطنينا ان يستفيدوا من تجارب غيرهم لانفسهم فيعمدوا الى استعمال الذرائع اللازمة لكسر شوكة هذا الداء الذي اخذ يفشو في بلادنا كما سنبيّن

قلنا انَّ داء السلّ يعتري الرئة في الغالب وجرثومتهُ العاملة في إحداث المرض ونقلهِ انّما هي باشِلُس كوخ الذي يسبح في نفث المصدورين آلافَ آلافٍ فاذا يبست تلك النفثات تطايرت تلك الباشلّسات في جوّ الغرفة او سارت مع الغبار ثم ولجت رئاتٍ سليمة فان صادفت فيها ما نسميهِ قابليّةً للمرض من ضعفٍ في الجسم او نحولٍ حلّتْ هناك وأعطبتها . وان كان الامر كذلك صار لا بُدَّ من إعدام نفث المسلولين وكلّ ما تلوَّث بها

الملابس او على الاقلّ تطهيرها وقد اصبحت هذه الاحتيـاطات ضربة لازبٍ فتتحتَّم على ذوي التعقُّل والفطنة

امَّا دواعي العدوى المختصَّة ببلادنا عادةً فاوَّلها المخالطة ليس فقط تلك التي تضطرها الحاجة بل الاختلاط المأثور في عاداتنا الشرقية

وغير خافٍ ان الناس في بلادنا يعيشون في البيت الواحد مختلطين فينام اعضاء العائلة في غرفةٍ واحدة ويتنشَّقون هواءً واحدًا واذا أكلوا يغمسون الاصابع في قصعـةٍ واحدة وربَّما أزقم الواحد الآخر لقمةً اكل نصفها. فلا غرو من ثمَّ اذا نُقلت العدوى لان الابواب مفتوحة بوجهها . ومن هذا القبيل عادة عيادة المرضى فيجتمع الجيران والمعارف زرافاتٍ ويدخلون على المريض يتحدَّثون ويدخّنون فيضرُّونهُ بازدحامهم ويسيئون الى انفسهم بتعرُّضهم لاكتساب المرض. وقد يمكننا سرد حوادث جمَّة انتشرت فيها العدوى على هذا السبيل نقتصر منها على هذه الحادثة : رجعت منذ عهد قريب امرأة من اميركا وفيها مرض السل اكنَّتهُ في صدرها من تلك البلاد. فلما وصلت ضيعتها نزلت ضيفةً على أُختٍ لهـا تأوي الى بيت واحد وكان لهذه ابنة عمرها اثنتا عشرة سنة. فبعد مرور بضعة شهور تُوفيت الاخت المريضة وفي السنة المقبلة ظهر المرض في الاخت السليمة. ثم ماتت من جرائهِ . امَّا الابنـة الصبيَّة فقد سرى اليها المرض ولا تلبث ان تلاقي حتفها عمَّا قليل. وليس السبب هنا في انتقال العدوى سوى المخالطة

وتلك الامثال اصبحت عديدة منذ حصلت المهاجرة الى القارة الجديدة وذلك لا ريب السبب الاقوى في جلب العلَّة ونشرها. وايُّ طبيب لم يشاهد ان معظم المرضى الراجعين من اميركا مبتلون بالسل الرئوي

ولا غرو بذلك اذا استقصينا كيف تكون مهاجرة السوريين وكيف يعيشون في تلك البلاد الشاسعة فهم يقضون عيشهم في التقتير والتعب و يفنون قواهم بعدم ايفائها حقَّها من التغذية اللازمة والراحة الضرورية فينامون جملةً تحت سقفٍ واحد او ربما قضوا ليلتهم تحت القبة الزرقاء وحمَّلوا اجسامهم فوق طاقتها من الاوقار والاسفار ذلك فضلًا عمَّا يلحق بصحتهم من تأثير البرد والمناخ وعوامل الهم والاهتمام

والهمُّ يخترمُ الجسيم نحـافةً ويشيبُ ناصية الصبيِّ ويُهرمُ

فاذا ضعف مزاجهم وانحطَّت اجسامهم وأصابها ما يُعبر عنهُ الاطبَّاء بالفقر الفيسيولوجي

تهيَّأت تلك الاجسام للامراض واخصّها السلّ . وربما كان منبع العدوى من البيوت التي يسكنها السوريون او من الملابس التي تُخلَع على ذوي الحاجة منهم . واذا ما تمَّ سير العدوى فيهم ويتمكّن المرض من ابدانهم تكفَّلوا من ثمَّ بنقلهِ الى بلادهم ونشر جراثيمه بين مواطنيهم ولذا تواتر السلّ في بلادنا من يوم بدأت المهاجرة وعاد المهاجرون الى اوطانهم

ونحن نخشى ان يستشري الشر ويسير الداء في هذه البلاد سيرًا سريعًا وينتشر فيها لما يلاقيه من سهولة الانتقال في الداخل بسبب المخالطة والفاقة وفي الخارج لعدم تدبير المدينة او القصبة او الضيعة على سنن القوانين الصحيّة العامَّة ولنقُل بالحري لعدم وجود تلك السنن او مراعاتها وهو الامر المعزّز في غير بلادنا فيقيها كثيرًا من تفشّي الداء الذي نحن في صددهِ

ومن اهمّ الاسباب في اجتذاب السلّ انحراف بعض شباننا عن محجَّة الآداب واقتراف المعاصي واستسلامهم الى داعي الاميال والشهوات فتَضنى اعصابهم وتَنفد قواهم وتَهزل اعضاؤهم فتنثلم من ثمَّ اسوارُ الصحة ويتسلّقها ذلك الداء الخبيث . وقد يجدر بنا ايضًا ذكر عادة التقبيل مثل واصلٍ للعدوى ولو كان الامر نادرًا

امَّا ما ليس بنادرٍ شَغَفُ الناس عندنا بالترف والمفاخرة بالزينة والملابس فتراهم يجوزون حدّ الاسراف بتمويه الظواهر ويُذلّون الاعضاء لخواطر الزيّ والمصطلحات فيثبّطون نموّها ويجعلون الخلَل في وظائفها وهم مع ذلك يقصّرون عن إيفاء ابدانهم حقوقها من التغذية فيغذُّونها بقوتٍ ناقصٍ لا يفي بنموّ الجسم وقوام العيش فيكون من ذلك انحراف الصحة وضعف البنية وتغلّب الامراض عليها . فياليت مواطنينا الذين يحدو بهم حادي التشبُّه باهل المغرب يأخذون عنهم العادات الحسنة المفيدة للصحة كتفضيل تغذية الجسم وترويضهِ على تزيينهِ بالملابس والازياء ويطرحون منها ما يخلّ في الآداب وصحَّة البدن معًا (ستأتي البقية)

الاخ (فرا) غريفون وجبل لبنان

في القرن الخامس عشر

(للاب هنري لامنس اليسوعي)

(تابع لِما سبق)

٩

وقد اسعد الدهرُ غريفون بانهُ عاش في عهد باباوات وجَّهوا كلُّهم عنايتهم نحو الشرق

نخص بالذكر منهم اوجانيوس الرابع عاقد المجمع الفلورنتيني ونيقولا الخامس (١ وقبل الجميع كليكستوس الثالث. فان هذا البابا الاسباني كان شغلهُ الشاغل الشرق واصلاح حال المسيحيين الشرقيين. واول اعمالهِ عند ما تبوَّأ العرش مجاهرتهُ بالنذر انهُ يضحّي لهذه الغاية كل كنوز الكنيسة وحياتهُ ان لزم الامر. وكان يقضي الساعات الطوال بمذاكرة الفرنسيسكان الواقفين على شوون الشرق ولم يكن يملّ من العود الى هذه المسألة. والكتابات الحاوية لاعمال مُلك هذا الحبر الجليل مع قِصَر مدّتهِ توَلف ٣٨ مجلَّدًا ضخماً. منها قسمٌ كبير قد كتبهُ في سبيل مساعدة الشرق وكلُّها محفوظة بين سجلَّات الفاتيكان السرّيَّة (٢. والحقُّ يُقال انَّهُ لم يكن يكتفي بالقول حاله. حُكي انهُ رأى مرَّة على مائدته مملحة من ذهب فهتف « خذوها للشرق. فمثلها من الصينيّ تغني عنها »

وفي اوَّل سنة من ملكهِ كتب في ١٤ حزيران ١٤٥٥ الى البطريرك يعقوب الحدثي رسالة سلَّمها الى رسولهِ ابرهيم وبها يشيد في ايمانهِ وغيرتهِ على صالح رعيتهِ الروحيّ (٣. وفي ١٤٥٧ بعث ايضاً برسالة الى مسيحيّي سوريَّا

ولا حاجة الى وصف احتفائهِ بغريفون القادم الى رومة حبًّا بخير الموارنة العزيزين لديهِ. وكأن الطبيعة وفقت بينهما اذ جمعت المرسل الفلمنكي بذلك الحبر الشهم الذي ما برحت في عروقهِ حرارة الدم الاسباني رغمًا عن شيخوختهِ. فكنت تراهما وكلاهما ذو عقل واسع وافكار عظيمة لا همَّ لهما الَّا خلاص الشرق. ولا ريب ان كليكستوس اغتنم ما كان اكتسبهُ غريفون من الخبرة في خلال خمسة عشر عاماً صرفها بسوريَّا. ويعزّ علينا ان التاريخ لم يحفظ لنا شيئًا من تفاصيل هذا السفر. ولا نعلم في اي سنةٍ كانت رحلة الاخ غريفون الى عاصمة الكثلكة الَّا ان مدّة ملك كليكستوس القصير تقضي بانّ ذلك جرى بين ١٤٥٥ و ١٤٥٨

وبعد اعوام قليلة عاد غريفون ثانية الى رومة. فان بطرس الملقب بابن الحسَّان كان خلف على الكرسي البطريركي يعقوب الحدثي فجمع سنة ١٤٦٩ اعيان الاكليرس والطائفة المارونية وقرر ان يبعث الى رومة رسائل حاوية عبارة الخضوع للكرسي الرسولي ويطلب

١) راجع پستور « تاريخ الباباوات طبعة المانية الجزء الاوَّل ص ٤٤٣. وقد اورد هناك براءة من لاون العاشر الى بطرس بطريرك الموارنة جاء في اوَّلها ذكر رسالة من نيقولا الخامس الى الموارنة ٢) پستور الجزء الاوَّل ص ٨١٥ ٣) الدويهي ٤٠٦

تثبيت انتخابه . وقد وقَّع رسالتهُ كلُّ الحضور وتعيَّن لحملها غريفون ومعهُ اثنان من الفرنسيسكان الاخ سمعان والاخ اسكندر (١ . فوصل هذا الوفد الى رومة في النصف الاول من عام ١٤٦٩ (٢

وكان في تلك الاثناء قد خلف بولُسُ الثاني بيّوسَ الثاني وورث عن سلفهِ الكريم غيرتهُ على نصارى الشرق . فاحتفى ايَّ احتفاء بوفد الطائفة المارونية وامر باجراء الفحص عن انتخاب البطريرك بطرس وصحّة عقيدتهِ فشهد غريفون خير شهادة لكلا الامرين . وقد كتب من رومة الى الموارنة الرسالة الآتية (٣:

« يا اخوتي الروحانيين مكتوب في الانجيل الطاهر ان سيدنا يسوع المسيح قال لبطرس : يا بطرس سألت من اجلك ان لا تنقص امانتك . فارجع وثبّت اخوتك . ولاجل هذا سيدنا بولس بابا رومية نائب المسيح وخليفة ماري بطرس بعثني اليكم لاعلمكم امانته البطرسية واخبرهُ عن امانتكم ان كانت متفقة مع امانته ام لا . ان كنتم معتقدين ان امانته مباركة ام لا . فانا اخبرتهُ انكم متفقون معهُ ومعتقدون اعتقادهُ وطائعون لكرسيه . وهذا ظاهر من ثمان شهادات : الشهادة الاولى ان بطرككم مع المطارنة والخوارنة والقسوس والعلمانيين لما سألتهم بنفسي عن ذلك اجابوني الجواب المذكور وفي يقيني انهم لا يتكلمون بلسانين ولا يجعلوني كاذبًا عند بابا رومية . الشهادة الثانية ان في الدنيا فِرَقًا كثيرة من مؤمنين وغير مؤمنين . ونعرف ان الموارنة ليسوا متفقين ومعتقدين مع الغير المؤمنين . ولا مع النساطرة ولا مع اليعاقبة ولا مع الروم . بل يعتقدون ان مذهب هؤلاء ما هو مستقيم وان كانوا يقولون هكذا عن اعتقاد الافرنج فلا يكون رجل عاقل ولا فهيم ولا قديس ولا كتب ولا شهادات صحيحة الَّا عند الموارنة . وهذا محال من قبيل انهم فرع صغير ولكنهم اذا كانوا متفقين مع الافرنج فانهم يكونون متفقين مع جماعة كثيرة نشأ منها في كل حين قديسون وعلماء وملوك الخ . الشهادة الثالثة ان بطريرككم ارميا على معرفة من جميعكم سافر الى رومية ودخل على البابا واتّفق معهُ في المجمع واعتقد اعتقادهُ واخذ منهُ التاج

١) الدويهي ٤١٣

٢) راجع الدويهي الوجه ١٣٩ و ٤١٣

٣) قد كان فيما مضى نسخٌ كثيرة من هذه الرسالة في انحاء لبنان . ووُجد في عهد الدويهي نسخةٌ منها بين سجلّات دير قنّوبين بخطّ المطران جبرائيل القلاعي تلميذ غريفون فرواها في تاريخهِ ص ٤٠٦ ونقلناها نحن عنهُ حرفيًا لأهمّيتها

والخاتم اشارةً دائمة على الاتفاق المذكور معكم دون غيره . الشهادة الرابعة ان جميع النصارى في المعمودية يقولون يُعمَّد فلان وانتم تقولون مع الافرنج : يا فلان انا اعمدك باسم الآب والابن والروح القدس . الشهادة الخامسة ان جميع الموارنة من الزمان القديم يكرزون لبابا رومية الثابت بالله ولم يكرزوا لغيره من اهل المذاهب الاخرى . والقدماء منكم ما كتبوا هذا الّا لانَّهم كانوا متفقين مع بابا رومية ومعتقدين اعتقادهُ . الشهادة السادسة ان البطرك ماري ارميا المذكور ويوسف مطران مار اسيا وتاودورس اسقف كفرفو وكثيرين من الكهنة وشعب الموارنة ووكلاء جميع شعبكم نزلوا الى طرابلس امام قاصد بابا رومية وامام اناس كثيرين وهناك اعترفوا ان في السيد المسيح ارادتين وهما متحدتان ومتفقتان لا مختلطتان وممتزجتان ولا متفرقتان ولا منفصلتان بل متحدتان الخ . الشهادة السابعة ان الموارنة في بلاد الافرنج وردوس وقبرس وطرابلس وبيروت والقدس الشريف من الزمان القديم الى اليوم يدخلون كنائس الافرنج ويقدسون على مذابحهم في حللهم وقرابينهم . ويرفعون الجسد والدم مثلهم . ويرسمون الصليب على وجوههم مثلهم . ويعترفون ويتقربون عندهم ويقبلون هديتهم مثل التاج وغيره الخ . الشهادة الثامنة مذكور في كتاب اقليميس ان السيد المسيح قال لبطرس : يا بطرس اذا رأيت العلم صادرًا من قاعدة رومية فاعلم ان الخلاص قرب من شعبك . ومن قبل اليوم تمّ وكمل هذا الكلام . لانهُ يوجد في بلاد الافرنج تحت طاعة بابا رومية الوف وربوات من المعلمين وكثير من القديسين الذين انفقوا اعمارهم في العمل والمطالعة وامور الدين والاعتقاد الخ . ولاجل هذا البطريرك ارميا وكهنته وشعبه الموارنة من قبل هذا الوقت بمائتين وخمسين سنة اتفقوا واعتقدوا مع الافرنج وبطاركة كثيرون بعدهُ كما في زماننا البطريرك يوحنا الحاجي وبعده الى اليوم السيد البطرك بطرس الساكن في دير قنوبين . ونسأل الله ان تكونوا متفقين ومعتقدين هكذا ويصدق ما قلتهُ فيكم لسيدنا بابا رومية »

فمن هذه العبارات الاخيرة يُستدَلّ انَّ غريفون كان للموارنة نصيرًا عظيمًا في رومة . وبمساعيهِ أُجيز لهم المحافظة على بعض الطقوس الشرقيَّة كما سبق القول (١

١) ورد في رسالة من الاب فرنسيس سوريانو حارس الاراضي المقدَّسة الى البابا لاون العاشر ان الموارنة لا يمتازون عن اللّاتين الّا « ببعض طقوس خاصَّة بكهنة الشرق قد اثبتها الكرسي الرسوليّ جريًا على ما طلب الاخ غريفون »

ولما عاد الى لبنان حمل الى رأس الطائفة المارونية رسالةً من البابا بولس الثاني يقول فيها انهُ وصلهُ كتاب البطريرك المنبئ بغيرتهِ على حفظ الايمان الصحيح بين أبناء رعيتهِ. كما ايّد ذلك كلام المرسل الفرنسيسيّ وقد ضمّن الحبر الاعظم رسالتهُ شروحًا عن بعض مسائل تختصّ بالعقيدة ليس تحتها اليوم كبير امرٍ واختتمها بتثبيت بطرس على الكرسيّ البطريركي وتحريضه على ان يتلقّى التعليمات من غريفون ورفقائه ويعمل بمشورتهم كانها جميعها صادرة منهُ نفسهِ. والرسالة مؤرّخة من رومة في شهر آب سنة ١٤٦٩

وذهب بعض المؤرّخين الى ان البابا لم يكتفِ بما منح غريفون من السلطة بل اقامهُ بطريركًا على الموارنة

هذا ولم يخلُ لنا ثلاث سنوات منذ كنّا نبحث في مكتبة البولّنديستيين ببروكسل عن اخبار الشرق في تواريخ مجموعة هنالك قلّ نظيرها في اوربّا. فما اعظم ما كان اندهالنا اذ عثرنا بين تواريخ الرهبانيّة الفرنسيسيّة بما يفيد تعيين المرسل الفلمنكي بطريركًا على لبنان فرأينا في ذلك الامر من الغرابة ما استدعى نظرنا فيهِ والبحث عن صحّتهِ وكان ذلك اوّل ما حملنا على كتابة هذه المقالة

وممّا يزيد الامر غرابةً ان الموارنة كانوا وقتئذٍ قد انتخبوا لهم بطركًا وغريفون كان هو عينهُ حاملًا البراءة المؤذنة بتثبيت انتخابهِ. ومع ذلك فالمؤرّخون جميعهم الّا ما ندر اوردوا الامر كأنّهُ واقع حقيقةً

ومرجع شهاداتهم كلّها مع كثرتها الى اصل واحد فانّهم نقلوا الخبر عن المؤرّخ الفرنسيسيّ وَدِّينغ

امّا نحن فنردّ على ما رواهُ ودّينغ برواية غلاسبرغر الفرنسيسي المطبوعة حديثًا في ايطاليا (١. فهذا الكاتب الالماني دخل الرهبانيّة سنة ١٤٧٢ فكاد يعاصر غريفون. وروايتهُ بقيت خطّية ملقاةً حتى يومنا في زوايا النسيان فلم يقف عليها وَدّينغ ليستعين بها في تأليفهِ

فنبذتهُ عن غريفون قد حوت على اختصارها امورًا جوهرية وقد اعتمد غلاسبرغر في ايرادها على ما جاء في كتابات الفرنسيسيين المصاحبين لغريفون او اللاحقين بهِ الأذنين. فتراهُ يصف مساعي غريفون المجيدة ويعظّم اعماله لكنهُ لا يروي شيئًا عن تبوّنهِ

١) في المجموعة المسمّاة: Analecta Franciscana

كرسيّ البطريركيّة. فإضرابهُ عن ذكر ذلك دليلٌ واضح على انّ لا صحَّة لهُ

والاولى بنا ان نقول ما قال كوارِسميوس وقد اعترض على رواية ودّينغ فقال بعد ما اشار اليها « ان قول ودّينغ ليس سوى مبالغة لاظهار فضل غريفون في تعليم الموارنة والعناية بامر خلاصهم »

هذا واننا نرتئي انهُ حدث تغيير في حال هذا المرسل الكريم عند عودتهِ من رومية فانهُ رجع الى لبنان حائزًا على وكالة رسميّة وسلطة متَّسعة . وفي رسالة بولس الثاني الى البطريرك اشارة الى ذلك كما سبق القول . ويؤيّد هذا الرأي ان البابا سيكستوس الرابع بعد موت غريفون سنة ١٤٧٥ ارسل الى رئيس الفرنسيسكان العامّ يوصيهِ ان يبعث الى لبنان احد ابناء رهبانيَّته بصفة نائب الكرسي الرسوليّ. وقد قام بهذه المهمَّة الفرنسيسكان دون سواهم حتى اواخر القرن السادس عشر حيث قام غيرهم بهذه الوظيفة لدى الموارنة

فمن المقرّر اذن انّ غريفون كان سبقهم الى هذه الرتبة الساميــة في لبنان. ولسائلٍ يطلب أيا تُرى هل سيم اسقفًا ام لا؟ نقول ان المؤلّفين اجمعوا على الجواب بالايجاب ونحن لا نخالف لهم رأيًا. ولعلّهُ كان اسقفًا يدبّر شؤون اللاتين في هذه البلاد ويقوم لدى الطوائف الشرقية مقام القاصد الرسوليّ في عصرنا. فهو اوّل من قام بأعباء القصادة التي لم يتقرّر انشاؤها بصورةٍ نهائية الَّا في اوائل القرن الحاضر

ولا ريب انّ المؤرّخين الغربيّين نظروا الى ما حازهُ غريفون من السلطة الطائلة فتوهَّموا انهُ سمّي بطريركًا على الموارنة. فهذا رأينا في ما حملهم على ايراد مثل تلك الرواية الغريبة

امَّا الدويهيّ فقد ذهب الى انّ غريفون كان في واقع الحــال بطريركًا على اورشليم لا على الموارنة. لكننا لسنا ندري على ايّ دليل استند هذا المؤرّخ الجليل في روايته هذه. وعلى كلٍّ لو فرضنا ذلك فلا يصحّ ان يكون غريفون بطريركًا على اورشليم الَّا شرفًا لانَّ البطريركيَّة اللاتينيَّة لم تتجدّد في المدينــة المقدّسة الابعد منتصف القرن الحالي . بل لا يمكن مثل هذا الافتراض لانَّهُ في مدّة اقامة غريفون بلبنان كان الكردينال بِسّاريون الشهير (١٤٤٩— ١٤٧٢) هو صاحب لقب البطريرك الاورشليمي وخلَفَهُ فيهِ لويس الاوّل ذو هَرْكور الذي مات سنة ١٤٧٩ (١ (ستأتي التتمَّة في العدد الآتي)

١) راجع في تاريخ البطريركية الاورشليميَّــة على اللّاتين مقالة وردت في مجلَّــة الاراضي المقدسة (Das heilige Land.) سنة ١٨٩١ ص ٢٦

كتاب تاريخ بيروت

(تابع لما قبل)

ويُستدلّ على قِدَم بيروت من قِدَم صيداء وصور لمجاورتهما لهما. ويقال انّ صيداء رابع مدينة عُمِّرت بعد (٤ [7]) الطوفان (١. وذكر ياقوت الحموي في كتاب معجم البلدان (٢ قال: قال هشام عن ابيهِ: انما سمّيت صيداء باسم صيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام ابن نوح (اه). وصيداء وصور مذكورتان في التوراة. وصور بمفردها مذكورة في الانجيل (٣. ووجدت في بعض الكتب انّ سليمان بن داود عليهِ السلام تزوّج بنت صاحب صيداء وانّ بصيداء صيدَ الحوت الذي ابتلع خاتمهُ فسمّيت صيداء (٤. قال الملك المؤيَّد صاحب حماة (٥ في كتاب تقويم البلدان (٦: انّ صور اقدم بلدٍ بالساحل وغاية حكماء اليونان منها (٧. قال صاحب كتاب مناهج الفكر: كان في صيداء هيكل لعُطارِد وفي صور هيكل للمرّيخ وكانت الصابئة تعظمهما. وقد ذكر بعض اصحاب التواريخ القديمة ان ساحل الشام خُرِّب في عهد بخت نصر (٨. وعُمِّر في دولة الفرس. والدليل على ذلك ان خروج بخت نصَّر على الشام في دولة لَهْراسَف احد الاكاسرة بفارس وذلك بعد وفاة موسى عليهِ السلام بتسعمائة وتسعين سنة وقبل مبعث النبي (صلعم) بالفين ومائتين وتسعين سنة فدخل بنو اسرائيل تحت طاعتهِ بغير قتال. وبعد توجُّههِ عنهم غدروا بهِ فرجع

---

١) قد ترجَّح الآن عند علماء التاريخ انّ بيروت اقدم من صيداء (Baron d'Eckstein Journ. Asiat. 1859, II, 419)

٢) في المجلَّد الثالث الصفحة ٤٣٩ (ed. Wustenfeld)

٣) والصواب انَّ كلا المدينتين ذكرًا في التوراة والانجيل معاً (راجع مثلًا مرقس ٧ : ٢٤)

٤) قصة خاتم سليمان من الاقاصيص التي لا يعبأُ بها ذوو الانتقاد والتبصرة. اماً اسم صيداء فالارجح انّهُ أُخذَ من الصيد لانَّها كانت مقامًا للصيَّادين وهي مشهورة بسمكها الى اليوم

٥) هو السلطان ابو الفداء المتوفَّى سنة ٧٣٢ ه (١٣٣١ م)

٦) في الصفحة ٢٤٢ (ed. Reinaud)

٧) ويروى في النسخة المطبوعة: وعامَّة حكماء اليونان منها. وفي هذا الكلام غلوٌّ ظاهر

٨) يريد نبوكدنصَّر الثاني وهو الذي غزا سورية وفلسطين ودمَّر مدنهما. وحاصر صور حتَّى افتتحها عنوةً في آخر القرن السابع قبل المسيح

اليهم وابادهم واخرب القدس (١ . وقصد صور فوجَّه اهلها امتعتهم في البحر فغُرّقت السفن وحاصر صور فاخذها وقتل حيرام صاحبها وخربهـا وخرّب بعض مدن الساحل (؟) وتوجَّه الى مصر وبلاد المغرب . وبقي بيت المقدس خرابًا سبعين سنة الى ان تملك اردشير بهم احد الاكاسرة واسمهُ بالعبرانية كورش (٢ فامر بعمارة القدس ومدن فلسطين وغيرها من مدن السواحل . ثم بعد خروج بخت نصر باربع مائة وخمس وثلاثين سنة (٣ ظهر الاسكندر اليوناني وقهر الاكاسرة وتملك على بلادهم . وكانت صور عامرةً فحاصرها واخذها واجرى اليهـا الماء وبقيت مملكة اليونان مائتين واثنتين وثمانين سنة وكرسيّ ملكهم الاسكندرية (٤ . ثم خرج اغسطس الرومي وهو اوّل من تلقَّب بقيصر وقهر اليونان وتملك وبقيت السواحل بيد الروم الى مبعث النبيّ (صلعم)

فصل في معرفة طول بيروت وعرضها

قال بطلميوس (٥ : بيروت طولها ثمان وستون درجة وخمس واربعون دقيقة وعرضهـا ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة طالعها العوَّاء (٦ بيت حياتها الميزان (٧ . قال صاحب الزيج : طولها تسع وخمسون درجة ونصف وعرضها اربع وثلاثون درجة (٨ وهي من الاقاليم

١) راجع سفر الملوك الرابع الفصل ٢٤ و٢٥ وسفر اخبار الايام الثاني الفصل ٣٦

٢) والصحيح انَّ كورش غير اردشير واسم كورش من الفارسية القديمة قيل انَّ معناه فيها الشمس . وكورش هو الذي اصدر الامر برجوع اليهود الى اورشليم سنة ٥٣٦ ق م وامَّا اردشير وهو المعروف بارتحششتا او ارتكزرسيس الطويل فانهُ كان بعد ذلك بزمان (٤٦٥ — ٤٢٥ ق م) وهو الذي ابرز الحكم في بناء اسوار اورشليم في السنة العشرين من ملكهِ (نحميا ٢ : ١)

٣) والصواب بمائتين وثماني وعشرين سنة

٤) لا يخفى ان مملكة الاسكندر تقسَّمت بعد وفاتهِ اقسامًا منها دولة اليونان البطالسة في مصر واياها اراد المؤلف هنا . ودامت هذه الدولة منذ ملك بطليموس الاول سوتير الى انتصار اغسطوس قيصر ٢٧٦ سنة (٣٠٦ — ٣٠ ق م)

٥) قد نقل المؤلف قول بطلميوس وصاحب الزيج عن كتاب معجم البلدان للحموي (١٠ : ٧٨٥)

٦) العوَّاء هو المنزل الثالث عشر من منازل القمر

٧) الميزان اسم احد البروج الاثني عشر

٨) لا يخفى انَّ الطول هو ابتعاد المكان عن موضع معلوم تمرُّ بهِ دائرة الهاجرة ابتداء . وفي تعيين هذا الموضع اختلاف كبير فالفرنسيُّون اتخذوا باريز والانكليز غرينويش . وكان

الرابع(١ . قال الملك المؤيد في تقويم البلدان : بيروت من الاقاليم الثالث . وقال ايضاً في تقويم البلدان عن طول بيروت ثلاثة اوجه وعن عرضها ثلاثة اوجه وكل وجه بسند :

	الوجه الاول		الوجه الثاني		الوجه الثالث	
الطول	نط	نه	نط	ل	نح	م
	(٥٩°	١٥َ)	(٥٩°	٣٠َ)	(٥٨°	٤٠َ)
العرض	لج	ك	لد	ه	لج	ك
	(٣٣°	٢٠َ)	(٣٤°	٥َ)	(٣٣°	٢٠َ)

(قلتُ) قد حرَّرنا عرض بيروت بآلات الرصد فوجدناهُ ثلاث وثلاثين درجة واثنتين وخمسين دقيقة . واما الطول فقد تعذَّر علينا ادراكهُ

فصل في ذكر فتوح بيروت وهو الفتوح الاوَّل

ذكر النويريَّ باسنادهِ الى ابي الحسن بن الاثير في حوادث سنة ثلاث عشرة (للهجرة ٦٣٥ للمسيح) قال : لمَّا استخلف ابو عبيدة يزيدَ بن ابي سفيان على دمشق سار يزيد الى صيداء وبيروت وجبيل وعِرْقة . وعلى مقدَّمتهِ اخوهُ معاوية ففتحها فتحاً يسيراً وخلَّى كثيراً من اهلها وتولَّى فتحَ عِرْقة معاويةُ بنفسهِ في ولايته . ثمَّ غلب على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عُمَر واوَّل خلافة عثمان رضي الله عنهما ففتحها معاوية . ثمَّ رمَّمها وشحَنها بالمقاتلة . وقد رأيت في كتاب فتوح الشام انَّهُ في سنة ستّ عشرة عند استيلاء المسلمين على السواحل وتقرير الجزية عليهم دخل اهل بيروت في التقرير (٢

القدماء يبتدئون بالطول من ساحل بحر اوقيانوس الغربي . وكان بعضهم يبتدئ بهِ من سَمْت الجزائر الخالدات . ولهذا ربَّما وُجد في الكتب انواع من الطول . وطول بيروت اذا اعتبرنا سمت باريز هو ثلاث وثلاثون درجة وسبع دقائق في شرقيها . واذا ارجعنا طولها الى سمت غرينويش فيكون خمساً وثلاثين درجة وتسعاً وعشرين دقيقة

امَّا عرض بيروت اي بعدها عن خطّ الاستواء نحو الشمال فثلاث وثلاثون درجة واربع وخمسون دقيقة فيكون رَصْد المؤلف هو الاقرب الى الصواب ما بين الاقدمين

١) لمن المعلوم ان الاقدمين كانوا يقسمون الارض الى سبعة اقاليم موقعها ما بين خطّ الاستواء الى القطب الشمالي لكنهم اختلفوا على موقع ابتدائها وانتهائها . ولذا ترى ان البعض حسبوا بيروت من الاقليم الثالث والبعض من الرابع

٢) جاء في حاشية الكتاب : الذي دخل في تقرير الجزية المذكورة من ساحل عسْقَلان وقيسارية وصور وبيروت . وذلك سنة ست عشرة للهجرة على يد الصحابة رضوان الله عليهم

ثمَّ صار المسلمون يتكاثرون فيها والروم يقلُّون منها وقتاً بعد وقت حتى صار اكثر اهلها مسلمين. وقد خرج منها خلق كثير من اهل العلم منهم « الاوزاعيّ » وهو ابو عمرو عبد الرحمن بن عمرو (١ امام اهل الشام وعالمهم قيل انَّهُ اجاب في سبعين الف مسألة وصار يُعْمَل بمذهبهِ في الشام نحو مائتي سنة. وآخر من عمل بمذهبهِ احمد بن سليمان بن جَنْدلم قاضي الشام. وعمل اهل الاندلس بمذهبه اربعين سنة (6¹) ثمَّ تناقص بمذهب الامام مالك على يد عبد الرحمان بن معاوية بن هشام الأُمويّ. وكان الاوزاعيّ عظيم الشأن بالشام وكان امرهُ فيهم اعزّ من امر السلطان. أسند عن جماعة (٢ من التابعين واسند عنهُ من العلماء جمّ غفير. وقد جعلتُ لهُ كتاباً يتضمَّن ترجمتهُ واختصرتُ ذكرهُ هاهنا. وكان مولدهُ ببعلبكّ سنة ٨٨ (٧٠٧م) وقيل ٩٣ (٧١٢م) للهجرة ومنشأهُ بالبقاع ونقلتهُ امّهُ الى بيروت فرابط بها (٣الى ان مات سنة ١٥٧ (٧٧٤م) بكرةَ يوم الاحد لليلتين بقيتا من صَفَر وقيل في شهر ربيع الاوّل. ومنهم « محمَّد ولد الاوزاعيّ » كان عابدًا قانتاً وكانَ يُظَنُّ فيهِ انهُ من الأبدال (٤ عاش بعد ابيهِ عشرين سنةً. ومنهم « عبد الغفَّار بن عثمان » (٥ صهر الاوزاعيّ. ومنهم « الوليد بن مَزْيد العُذريّ » البيرزتيّ كان من اهل العلم والرواية أَسْنَد عن جماعةٍ كثيرة وأَسند عنهُ جمٌّ غفير. مولدهُ سنة ست وعشرين ومائة (٧٤٤م) ومات سنة ثلاث ومائتين (٨١٩م). ومنهم ولدهُ « ابو الفضل العبَّاس بن الوليد البيروتيّ » كان من خيار عباد الله ومن اهل العلم والرواية مولدهُ سنة ١٧٩ (٦ (٧٩٤م) ومات سنة ٢٧٠ (٨٨٤م). ومنهم « امُسهِر (١ البيروتيّ ». ومنهم « عبدالله بن اسمعيل بن زيد بن صخر البيروتيّ ». ومنهم « محمَّد بن عبدالله بن عبد السلام بن ايُّوب البيروتيّ (6⁷) ابو عبد الرحمان المعروف بِمَكحول الحافظ » كان ثقةً مأموناً من اهل العلم والرواية واسند عن جمّ غفير وروى عنهُ خلقٌ كثير وهو الحافظ المشهور بين الناس مات سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين وثلاثمائة (٩٣٢ او ٩٣٣م) (ستاتي البقية)

١) راجع ترجمتهُ في تراجم الاعيان لابن خلكان الجزء الاول الصفحة ٤١٥ من طبعة مصر او ٣٨٥ من طبعة باريس. وقد نقل المؤلف عنهُ معظم هذه الترجمة ٢) قوله « اسند عن جماعة » يريد انهُ روى عنهم واخذ الحديث باسانيده ٣) اراد بالمرابطة انقطاعهُ الى الزهد والعبادة ٤) ارادوا بالابدال قوماً من الاولياء الصالحين قيل لهم ذلك لانهم يتناوبون فلا تخلو الدنيا منهم اذا مات واحد منهم قام بدلَهُ آخر ٥) وسمَّاهُ ياقوت الحموي في معجم البلدان (١ : ٧٨٦). عبد الغفَّار بن عفان ٦) وفي معجم البلدان (١ : ٧٨٦) : سنة ١٦٩

خريدة لبنان

(الاب هنري لامنس اليسوعيّ)

(تابع لما قبل)

٤

فما تمالك الرجل ان اندفع الى خارج الدار كأنَّ بهِ مسًّا وصاح بصوت اليأس : ربَّاه أَوَ ماتت هي ايضًا ؟ انيسة ماتت ؟ ويلي فاني لا اسمع غير هذا الجواب « مات . ماتت » ولستُ اجد في بلادي من يعرفني ولا ترمقني عين صديق

قال هذا واخذ يمشي على غير هدًى يوسع الخُطى ولا يدري اين يؤدّيه المسير. فما كان منهُ الَّا ان وصل بعد هنيهةٍ الى المقبرة بجوار الكنيسة . فنظر مليًا الى منازل الاموات وهو واجم ثم تنهَّد الصُعداء وقال بصوتٍ خافت : هنا عند خروجنا من الكنيسة قامت معي انيسة على قبر امّي وعاهدتني انها تثبت على ودادي وتصبر الى يوم رجوعي . فقبلتْ عربونا مني صليب فضَّةٍ . . . ما انكد حظّكِ ايتها الفتاة . انا سافرتُ الى دار الغربة وانتِ انتقلتِ الى عالم الاموات . فلم يسعدني دهري بان اجتمع بكِ بعد مرّ الفراق . . . وما ادراني اني لستُ قائمًا على قبركِ ادوس ثرى لحدكِ ؟

فما اتمَّ هذا الكلام حتَّى خارت قواهُ فسقط على بلاطة ضريح وقد بلغت روحهُ التراقي . ثم اجال طَرْفًا عليلًا في اكناف المقبرة فساءَهُ حالها اذ رأى كلَّ قبر فيها عبارة عن ركام حجارة . وتمنَّى لو جرت في بلدهِ عادة استحسنها في الاقطار الغربية وهي ان تنصب الامُّ صليبًا على ضريح ولدها رمزًا الى الرجاء ويشيّد الابن فوق تربة والديهِ اثرًا يعلن برَّهُ بهما ويزيّن الصديق لحد صديقهِ بالرياحين والزهور دليلًا على حفظ الوداد . وكان قبل سفرتهِ وهو حدَثٌ يتردَّد الى المقبرة ليزور رمس والديهِ ويقدّم الصلاة لراحة نفسيهما . فلم يعد يهتدي اليوم بعد رجوعه الى قبريهما

وكانت المقبرة ساعتئذٍ قفرة لم يزرها احد عند الهاجرة فخلا لهُ الجوّ لبثّ شكواه وبعث نفثات الصدر وسجم الدموع السخينة . وفيما هو على تلك الحال يفكّر في زوال هذه الدنيا واهوال الموت وغوامض الابدية اذ طرق مسامعهُ وقعُ اقدام . ولم يكن القادم سوى الحفَّار الشيخ قد جاء حاملًا مجرفة ومعولًا وكانت هيئتــهُ الرثَّة تنبئُ على فقرهِ وصروف

الزمان قد حنت صُلبهُ وأشعلت رأسهُ شيبًا وجعَّدت وجههُ الَّا انَّهُ لم يزل بعدُ برق النشاط يلمع في عينيهِ

فما وقعت عين المسافر على هذا الشيخ الأعرف منهُ خصمهُ القديم فارسًا عبودًا وهمَّ ان يطير اليهِ لولم يثبّطهُ عن مرامهِ ما نابهُ من الفشل الى ذاك الحين فلزم مكانهُ ليرى ان كان يعرفهُ فارس

فوقف الحفَّار على بُعد خطوات منهُ. وتأمَّلهُ برهةً ثمَّ اخذ يرسم في الارض شكلًا مربَّعًا مستطيلًا ليحفر هناك قبرًا جديدًا. ولم يكن عملهُ ليشغلهُ عن مُسارقة النظر الى الغريب فما لبث ان لاحت على وجههِ أمارات سرورٍ مُنكَر

فظنَّ المسافر انها بشائر الفرح بلقاء عشير الصبا. فخفق فؤادهُ طربًا وعلّل النفس بان فارسًا يُسرع اليهِ ويناديه باسمه

امَّا الحفَّار فوجَّه اليهِ نظرة الحقد والسخرية ومدّ يده الى ما وراء ظهره تحت عباءته التي شدّ ذيلها الى وسطه واخرج حبلًا اعقد من ذَنَب الضبّ فزاد فيهِ عقدة وقد بدت عليهِ ملامح الفوز حتى ان الغريب نهض ودنا منهُ وسألهُ منذهلًا :

— ماذا تفعل ؟

قال الحفَّار : هذا يعنيني . قد طال انتظاري حتى نفد صبري وهذه العقدة لحسابك

فصاح الغريب بفرح : اذن تعرفني

— ومن أعرَف بك منّي أوَ أنسَ خصمًا رماني يومًا في الساقية . ولولا القليل لغرّقني عن حسد لانَّ انيسة ابنة الصبَّاغ كانت تفضّلني عليهِ . . .

— انت ؟ تفضّلك عليَّ انيسة ؟ لا صحَّة لما تدّعي

— لاشكَّ في قولي . وهل نسيتَ يا حسود انَّها حفظت كل السنة تذكارًا مني جلبتهُ لها من مار الياس فاتيتَ وتزعتهُ من صدرها ؟

فقال الغريب بلهجة من الحزن : فارس دعنا من احاديث الصبا ولا نذكرنَّ ما مضى ولكن صدّقني انَّ قلب انيسة لم يمل قطّ اليك . وان قبلتْ هديّتك فلأنَّها من مزار مار الياس ولئلاَّ يسوءك إباؤها . وانا كنت وقتئذٍ في عنفوان الشباب تلعب الخُيلاء برأسي فلم أُحسن ملاطفتك لها . ولكن هل يليق بنا ان نُثير مكامن الاحقاد بعد عشرين سنة مضت فافنت خلائق برمّتها . انت وحدك عرفتني أفتكون لي عدوًا لَدُودًا . ألا بحياتك هات

يدك فأُصالحها وننسى ما مضى ونقضي ما تبقَّى من العمر في وفاق وإخلاص واعلم انَّ لديَّ وسائل استطيع بها ان أُخفّف عنك مشاقّ الحياة

فنكص الحفَّار بفظاظة وقال بصوت اجشّ : انا انسى ما مضى ؟ . لا انساهُ ابد الابدين . لات حين وفاق فانّك نغّصتَ عيشي . . . ما كان يمضي يوم الاَّ ذكرتُكَ فيه وهيهات ان اذكرك بخير وانت سبب شقائي

فلطم المسافر خدّيه وصاح : الهي الهي الحقد وحدَهُ يعرفني والبغض وحدهُ لا ينسى ولا يموت

فقال الحفَّار ساخرًا : حملتك الاقدارُ الى هنا لكي تجتمع باهلك الذين ماتوا . ليطمئنّ بالك دبّرت لحنَّا الطويل قبرًا نعمًا القبر . فسأدفنهُ ان شاء الله عند حائط الكنيسة بقرب الميزاب حتى يصبّ عليه ماء السطح ويطهّر نفسهُ الاثيمة

فوثب الغريب عند هذا الكلام الذي خرق فؤاده كالسهم وامتقع لونهُ وتطاير من عينيهِ الشرر . بيد انَّهُ لم يكن الَّا اسرع من ارتداد الطرف حتى ثاب اليهِ وقارُهُ وسكن جأشهُ وباحت نار غضبه فقال متنهدًا : انّك تأبى مصافاة اخٍ ردَّهُ الله بعد عشرين عامًا وما كان سلامك عليهِ الّا السخرّية والاهانة . أفارسُ انّ ذا لفعل ذميم . لكنني أُغضي على القذى واصفح عن السيئة . فقل لي اين قبرا والديّ فقد طال بي البحث ولم اهتدِ اليهما

فقال الحفَّار بصوت حاكى هَمْهَمة النَّمر : لا اعرف . فاني منذ عشرين سنة حتى اليوم حفرت اكثر من مرَّة في المكان الواحد وبثرتُ ما في القبور من العظام

فكان لهذا الكلام وقعٌ انكى من الحسام في قلب المسافر فهاجت فيه الافكار وماجت وبقي مدّةً مطرقًا خافتًا . امَّا الحفّار فعاد الى عملهِ ولكن بتراخٍ كانَّهُ اضطرب لسوء صنيعهِ نحو الغريب . والحقّ يقال انَّ فارسًا لم يكُ برجل سوء فما لبث ان عاد الى نفسهِ وراعهُ ما ثار في قلبه من عوامل الانتقام وداخلهُ الندم على ما فرط منــهُ في حقّ انسان كان لهُ عشيرًا في صباه . فزفّ الى خصمه الكئيب نظرةً يستشفُّ منها الحنوّ ثمّ دنا اليهِ بهدوء وامسك بيده وقال لهُ بسكينة : يا صاحبي حنَّا . سامحني فاني اسأتُ اليك . ولكن لو كنتَ تعرف ما قاسيت بسببك

فصافح الغريب يدَه وصرخ : دع يا صاح ذكر ما مضى . فانّ جوارحي تهتز طربًا لمجرَّد تلفظك ايُّها العزيز باسمي انا الغريب . وهاك نسيتُ مذ الآن ما فرط منك من الكلام

وقد عمل في قلبي ما لم تعمله السهام . فقل لي ناشدتك الله اين قبر أنيسة فارويَه بدامعي . ولا بدعَ انها تفرح في العلا اذا رأتنا نتصالح ونتآخى عند مدفنها

— مدفنها ؟ يا ليتها أُدرجت في لحدها فتكون استراحت من الحياة

— فهي إذن حيَّة ؟ انيسة بعدُ في قيد الحياة ؟

— بئس الحياة وقُل بالاحرى موتًا

— كلامك قطَّع كبدي أفدني بربّك ما حلَّ بها ؟

— انّها عمياء

— انيسة عمياء . . . ربي ما هذا المصاب . ولا يعود يشخص اليَّ بصرها

قال ذلك بصوت يفتّت الجلمود وخرّ على الارض متلاشيًا . . . ولمَّا عاد اليهِ بعض الرمق الحّ في السؤال فاجابهُ الحفَّار : انها عميت منذ عشر سنين وهي الآن تدور على ابواب المحسنين تتسوَّل . فكلّما ساعدني الله اعطيتها بعض دريهمات . ولا نخبز خبزةً الّا وأفردنا لها حصّتها

فوثب المسافر وضمّ فارسًا الى صدره وهتف : اشكرك الف شكر . وجازاك الله خيرًا على ما احسنت اليها وسأُكافئكَ ان شاء الله عنها فانا غنيّ من فضل الله ولست انسى معروفك . فأَخبرني رحم الله اجدادك اين هي فأطير اليها وانشلها من وهدة الشقاء

فاشار الحفَّار بيده قائلًا : هناك قرب البيت المغطَّى بالقرميد الاحمر . ذاك البيت الصغير . وفيهِ يسكن سركيس الحائك مع عائلته وانيسة ساكنة معهم

٥

فما سمع المسافر هذه الكلمات الّا اندفع كالسيل مارًّا في وسط بنايات الضيعة حتى وصل الى بيت الحائك . . . وما هذا البيت سوى عبارة عن سافات من الحجر الاصمّ غير المنحوت تكاد لا يتخللها مِلاط قد قامت كالجدران فاستند اليها سقفٌ من جذوع الصنوبر بارزة الاطراف يعلوهُ طبقة من التراب والنحاتة . وفوق الكل اسطوانة يعرفها العامّة بالمحدلة ولا نظنّ سطحًا من مساكن لبنان القديمة يخلو منها وهناك مصطبة قد ضربت فوقها بعض الدوالي قبّة خضراء وقامت الى جوانبها اصناف من البقول والرياحين كثر في خلالها الحبق . وكان بالقرب صبيّ لا يتجاوز السادسة من عمره مع ثلاث بنات اصغر منهُ وكلّهم يلعبون حُفاةً تسترهم بعض أسمال الثياب وهم مكشوفو الرأس غير مبالين بحرّ الشمس

وكانوا اذ ذاك يجعلون في الارض حفرًا يغرسون فيها اغصانًا مقطوعة ويحملون اليها الماء في كِسَر ابريق او جرّة من فخّار

فلما بصرت البنات بالغريب اطرقت كل منهنّ حياء وهي تنظر خلسةً الى هيئته وزيّه امّا الصبي فحدجه ببصر غير هيّاب تدلّ نظراته على بعض الدهشة والفضول

ولم يكن المسافر لتلهيهُ المناظر او يتوقّف في سيره بل زفّ الى الاولاد ابتسامةً وولج المنزل حيثما وجد ربّ البيت جالسًا الى نَولِهِ يحيك وامرأته في زاوية تغزل الحرير وكلاهما لم يزالا في مقتبَل العمر تلوح عليهما لوائح القناعة والرضى بحالهما. وكل ما حولهما يدلّ على انهما امتازا بالنظافة وحسن الترتيب

فلما فاجأهما الغريب عراهما الانذهال لاوّل وهلة فتركا شغلهما وبادرا اليهِ اعتقادًا منهما انهُ ضلّ سبيله فوافاهما يطلب ايضاحًا. فتلطفا بدعوته للجلوس لكنهُ قال لهما بصوتٍ يتلجلج: هنا ساكنة انيسة حسُّون؟

فوقعا في حيرةٍ عند هذا السؤال وتبادلا نظرةً لا تُوصف وقد منعهما فرط الدهشة عن الجواب. ثم عاد الحائك الى نفسه فاجاب: نعم يا سيدي. انيسة ساكنة هنا. لكنها خرجت منذ ساعة. فهل ترغب في مواجهتها؟

فهتف المسافر: ترى اين هي الآن. أليس من سبيل الى ان تحضر في الحال؟

— هذا صعب يا سيدي فانها خرجت مع بنتنا الصغيرة روزا في دورتها الاسبوعية لكنها ترجع بلا ريب بعد ساعة. فانّها ما تأخَّرت ولا مرّة. تفضَّل فاسترح. ربما تكون تعبان

— اسمحا لي بانتظارها هنا

فاسرعت المرأة الى خزانة واخرجت منها مسندًا وسجّادة والحّت على الغريب ان يستريح عليهما. فتأثر هذا ممّا صادف من الحفاوة بهِ وجلس مستأنسًا. فكشف القبعة عن رأسه واخذ يمسح جبينه المكلَّل بالعرق وقد سكن ما جاش في نفسه من الجأش

وكانت المرأة قد اشارت الى بناتها فبادرت احداهنّ الى العين تستقي ماء باردًا واقبلت هي مع الصغيرتين على اضرام النار واعداد النارجيلة والقهوة. امّا الحائك فقام بين يدي ضيفه كأَنَّهُ ينتظر اوامره او يفكّر في عمل كل ما من شأنه ان يشرح صدره ويسرّهُ. ولا يخفى ان اهل لبنان اشبه الناس بالعرب في حسن الضيافة

(ستأتي البقيّة)

كتب شرقية جديدة

Das arabische Strophengedicht von M. Hartmann.

I Das Muaśśaḥ, *Weimar*, 1897, 258 SS.

فنون الشعر العربيّ للدكتور مرتين هرتمان — القسم الاوّل : الموشّحات

كنّا قد بحثنا في الطبعة الاولى من تأليفنا الموسوم بعلم الادب في فنون الشعر العربي المتّصلة بالبحور الستّة عشر او الجارية على ألسنة العامّة. ثم توسّعنا في هذا الموضوع في الطبعة الثانية حتّى بلغ عدد صفحات هذا الفصل عشرين صفحةً وختمنا بقولنا انّ للمغنّين من العامّة والموقّعين على آلات الطرب ضروبًا أُخر كثيرة غير ما ذكرنا لعلّهم اهتدوا اليها بنفسهم او اخذوها عن الشعوب المجاورة لهم لكنّها لم تقيّد حتّى اليوم »

والآن قد اتحفنا العلّامة الفاضل الدكتور هرتمان نزيل بيروت سابقًا بالقسم الاوّل من تأليف مطوّل يبحث فيهِ عن هذه الفنون عينها بحثًا شافيًا. وقد افرد هذا الجزء من كتابه لذكر الموشّحات صنّفهُ باللغة الالمانيّة. وهو في الحقيقة اوسع وادقّ ما كُتب حتّى اليوم في هذا المبحث المفيد. وقد قسمهُ صاحبهُ جازاهُ الله خيرًا الى ثلاثة فصول ذكر في الاوّل منها تاريخ مائة واثنين وثلاثين شاعرًا نظموا في فنّ الموشّحات وقد اورد اسماءهم وتراجمهم على حروف المعجم مستندًا الى كتب كثيرة لم يزل قسمٌ منها مخطوطًا. وفي الفصل الثاني عدّد المؤلف الانواع المختلفة التي ورد عليها نظم الشعراء فوجد ما ينيف على مائتين وثلاثين نوعًا يريد بذلك تصرُّفات الكُتّاب في تغيير الاجزاء والتفاعيل وتفنُّنهم بالأدوار واللوازم . امّا الفصل الاخير فكلّهُ فوائد ومدارهُ على تاريخ الموشّحات وقد بيّن فيهِ المعلّم هرتمان من هو الواضع لهذا الفنّ وكيف تداولتهُ الايدي فانتشر في انحاء المشرق والمغرب واظهر ما بينهُ وبين بعض فنون الشعر الاوربيّ في القرون المتوسطة من العلاقة والتشابه. وكلُّ هذه ابحاث جليلة كنّا نودُّ لو يخوض فيها الشرقيُّون توسيعًا للفائدة بعد ان مهّد لهم طرقها الوعرة الدكتور هرتمان انارنا الله زمنًا طويلًا باضواء علومهِ   ل . ش .

فهرست المسكوكات المحفوظة في المكتبة الخديوية

Catalogue of the Arabic Coins in the Khedvial library,

by S. Lane-Poole, 384 pp.

ان المكتبة الخديوية بالقاهرة فضلًا عن ثروتها في الكتب العربيّة المطبوعة والخطيّة

هي غنيّةٌ ايضاً بمسكوكات ونقود الخلفاء والسلاطين من الدول الاسلامية مع نزرٍ يتعلق بملوك مسيحيين . ويبلغ ما هو محفوظ فيها نحو ثلاثة آلاف قطعة جمع معظمها روجرس بك الانكليزي مدّةً اقامتهِ الطويلة بمصر . واقتنتها بعد وفاته سنة ١٨٨٤ الحكومة المصريّة اجابةً لطلب دولتلو يعقوب ارتين باشا . وقد عُهدت منذ ثلاث سنوات قراءة هذه المسكوكات وترتيب وطبع فهرست لها الى العلاّمة ستانلي لين پول الشهير بهذا الفنّ . فاكبَّ على العمل وجدَّ فيهِ حتى انهاه في السنة الغابرة . وقد اهدى الينا جناب الاستاذ الدكتور موريتس مدير المكتبة الخديوية نسخة من هذا الكتاب الجليل وهو مطبوع بلندن يشتمل على ٣٨٤ صفحة ويبتدئ بوصف المسكوكات الذهبية والفضية والنحاسية المضروبة في دولة الخلفاء الامويّين فالعبّاسيّين فدولة بني الاغلب في افريقية وبني طولون في مصر وسورية وبني الإخشيد في مصر وفلسطين والفاطميّين والايوبيّين والمماليك ودولة سلاطين بني عثمان العظام . وأتبع ذلك بوصف مسكوكات بعض الدول التي تملكت في الاطراف كالامويّين في الاندلس والموحّدين والمرابطين وبني مَرين في افريقية وبني سامان في بلاد فارس والغزنوية في الهند ومَن ملكوا في سورية وما بين النهرين من بني حمدان والقرامطة وبني عُقيل وسلاطين آل سلجوق والاتابكة ثم دولة المغول التي امتدَّت سطوتها من بحر الصين الى البحر الروميّ . ووصف ايضاً مسكوكات بعض الملوك المسيحيّين في صقِلّية والقدس

وذيّل الكتاب بفهرسين مرتّبين على حروف المعجم سرد في الاول منهما اسماء الخلفاء والملوك الذين ورد في الكتاب وصف مسكوكاتهم وفي الثاني اسماء المدن والبلدان التي ضُربت فيها مع ذكر تاريخ السنة

امّا الطريقة التي اتّبعها العلاّمة لين پول فهي انهُ اثبت لكل من المسكوكات الكتابة العربية المرقومة على وجهها وقفاها . اما تاريخ ضربها فذكره بالرقم الهندي واسم المدينة التي ضُرِبت فيها بالحروف الافرنجية واورد بعض ملاحظات باللغة الانكليزية . واشار عند مسيس الحاجة الى المسكوكات الموجودة في المتحف البريطاني بلندن او في المكتبة الوطنية بباريس مع تعيين عددها تسهيلًا للمراجعة . وكل مَن لهُ إلمام بفنّ التاريخ واعترضت في سُبُلهِ الصعوبات لمعرفة سنيّ الحوادث التاريخية يفهم ما لهذا الكتاب من جزيل الفائدة فيقدره قدره ويوفّي حضرة المهتمّ بطبعه حقّه من عميم الشكر وطيب الثناء ا . ص .

أَجْوِبَة

على ما سبق من السوأالات في العدد الثاني

١ً نجيب من سألنا عن اصل ملوك المجوس انّ الآراء في ذلك قد تعدَّدت فقال قوم انَّهم كانوا من الكلدان لعلمهم بامور الفلك وظواهر الجوّ. وقال آخرون انَّهم اتوا من فارس كما يُستَدَلّ على ذلك من تسميتهم بالمجوس. وذهب غيرهم انَّهم اتوا من الحبش. وعندنا انهم كانوا شيوخًا من العرب لهم الحكم في قبائلهم. والبراهين التي تحملنا على ايثار هذا الرأي على سواهُ هي هذه. اوّلاً أنهُ هو الرأيُ الاقدم في الكنيسة واليهِ ذهب الآباء الاوّلون منهم في القرن الثاني للمسيح القديس يوستينوس (في مباحثتهِ مع تريفون). وترتوليان (في كتابه ضد اليهود ف ٩ وضدّ مرقيون ك ٣ ف ١٣). وفي القرن الثالث القديس قبريانوس (في عظتهِ على كوكب المجوس). وفي الرابع القديس ابيفانيوس (شرح دستور الايمان عد ٨) والقديس يوحنا فم الذهب (في العظة الثانية على شرح متّى). وهو الرأي الذي رجَّحهُ بعدهم كثيرون نخصُّ منهم في الاعصار المؤخَّرة الكردينال بارونيوس والاب يتريزي. ثانيًا ويؤخذ من نفس الكتاب انهم كانوا من العرب لانهم يقولون لهيرودس انَّهم رأَوا نجم المسيح في الشرق. والشرق (بالعبرانيَّة קדם) اكثر ما تستعمل هذه اللفظة في الاسفار الكريمة للدلالة على بلاد العرب حتَّى صار العرب يُدعون بالشرقيين (Sarraceni) وجرى هذا الاستعمال في اللغات الاوربية نفسها (Sarrasins). ثالثًا انَّ الهدايا التي اتى بها المجوس تنبئُ على جنسهم العربيّ لاسيَّما اللُّبان والمُرّ وهما اخصُّ ما كان يتَّجر بهِ العرب (راجع سفر التكوين ف ٣٧ ع ٢٥). وقد اتحفت ملكة سبأ سليمان بذهب بلاد العرب واطيابها (اخبار الايام الثاني ف ٩ ع ٩). وكان المسيح قد وُعِد بهذه الهدايا المجلوبة من جزيرة العرب فقال اشعيا (٦٠ : ٦): كلُّهم يأتون من شبأ حاملين ذهبًا ولبانًا. وقال داود النبي (مز ٧١): ويؤدّون اليهِ من ذهب شبإ. رابعًا وفي بلاد العرب كان بلعام تنبأ بظهور كوكب يعقوب (سفر العدد ف ٢٤) فبقي ذلك عندهم كتقليد متواتر الى زمن المسيح. خامسًا والى العرب اشار داود النبي في المزمور ٧١ وكلهُ ينطبق على المسيح فقال: «ملوك شبأ وسبأ يقرّبون لهُ العطايا». وكلا الاسمين يدلُّ على شعوب العرب. هذا وان العرب كان لهم العلم الواسع في معرفة الانواء وحوادث الجوّ وان لم يبلغوا شأو الكلدان في ذلك واماَّ اسم المجوس

فانهُ كان عند العبرانيين مرادفاً للحكماء. ولا احد ينكر على العرب حكمتهم وقد شهد عليها الكتاب مرارًا (ثالث ملوك ٤ : ٣٠ باروك ٣ : ٢٣) . وذكر بُورفير ان فيثاغورس رحل الى جزيرة العرب ليأخذ الحكمة عن اهلها (ك ١٠ لقيرلس الاسكندري ضد يليان) ل . ش .

٢ طُلب الينا ان نصف ماهيَّة الكينيمتوغراف وبما ان هذه الآلة ليست سوى الفانوس السحري الذي اضيفت اليهِ تحسينات مهمّة لزم قبل الكلام عليهِ ايضاح تركيب الفانوس المذكور الذي هو من جملة اختراعات الاب كيرخر اليسوعي الشهير

اعلم ان هذا الفانوس مركَّب من صندوق خشبي وفي مؤخرهِ الداخلي مرآة مقعرة من آنُك (تنك) صقيل لامع وقدَّامها مصباح وامام المصباح عدسيتان من بلّور احد وجهيهما محدَّب والآخر مستوٍ وملتصقتان بنوع ان الوجهين المحدّبين يتجهان الواحد الى الآخر . وبعد العدسيتين محل المرئيّ توضع فيهِ زجاجة عليها صور مرسومة بتصوير الشمس او بالوان مختلفة وبعد الزجاجة عدسيّة بلور محدّبة توضع على بُعد معيَّن من الصورة في اسطوانة ذات ثقب مستدير ولهذه الاسطوانة آلة تمكن من تقريبها او تبعيدها لتكون الصورة في بؤرة العدسية فيكون الرسم الصادر عنها مكبَّرًا واضحًا جليًا . فالصندوق المهيأ كما وصفنا يُقام في قاعة مظلمة على مسافة من نسيج ابيض ممدود وموتَّر ترتسم عليهِ الصور . فاذا اريد استعمال الفانوس السحري يوقد المصباح بنور شديد الضياء كالنور الكهربائي او النور الاوكسيدريك (١ . فالمرآة التي وراء المصباح تعكس نوره على العدسيَّتين المنضمتين فتلمَّان الاشعة وتجمعانها على الصورة التي قدامهما فتضيء بنور ساطع . ثم ان الصورة تنفذ من العدسية المحدّبة فترسم مكبرةً على النسيج الابيض الممدود . فالحاضرون في القاعة المظلمة لا يرون الصندوق ولا نور المصباح الذي ضمنهُ بل الصورة المجهَّرة المرسومة على النسيج فيتخيل لهم ان ذلك فعلٌ من السحر

اما الكينيمتوغراف فهو فانوس سحريّ أُتقن صنعه واكمل لكي تُنظر فيما يرسمهُ ليس فقط صور الاجسام بل حركاتها ايضًا . واسمهُ مركب من لفظتين يونانيتين κινημα وفي الاضافة κινηματος اسمٌ بمعنى الحركة ومن γραφω فعلٌ ومعناهُ رَسَم . فالمراد اذًا بالكينيمتوغراف رسم الحركات . وهذه الآلة تُري الناظرين على النسيج صورة الاجسام مع حركاتها المختلفة . فنشاهد الجنود مثلًا يزحفون فيحركون تارةً الرجل اليمنى وتارةً اليسرى ويهجمون على العدو وينكصون الى الوراء ويستلُّون السيوف ويضربون بها ويردُّونها الى

١) يحصل النور الاوكسيدريك بتوجه مجرى اوكسيجين وغاز النور او ايثر على قطعة من الطباشير

غمدها الى غير ذلك من الحركات فيتخيل للناظر انهُ يحضر القتال في ساحة الحرب · والبلوغ الى هذه الغاية تؤخذ بتصوير الشمس وبالسرعة المطلوبة (١ رسوم الاجسام في حركاتها وتصور على صفيحة شفَّافة طويلة ليّنة من قدد السِلّولويد(٢ · ثم تلفُّ هذه القدد على مطوى وتوضع في الفانوس السحري ويدار المطوى بدولاب فتمرّ قدد السلولويد والصور المرسومة عليها تجاه العدسية المحدبة بسرعة عظيمة لكي تظهر الحركات متواصلة ولكن مع انقطاع واحتجاب سريع ايضًا للغاية بين الصورة والصورة لئلا تختلط صور الحركات بعضها ببعض · فترسم الصور مكبرةً على النسيج وينظر الحاضرون الاشخاص والاجسام مع كل الحركات التي كانت لها عند اخذ رسمها بالتصوير الشمسي فيسرّون ويبتهجون · ولكن قد يحدث ان ينقلب الفرح الى حزن والضحك الى عويل كما حدث في سوق الشفقة بباريس في السنة الماضية · فلا يزال يذكر القرَّاء ان شرارةً طارت من مصباح الكينيمتوغراف فكانت سبب الحريق الهائل الذي التهم تلك البناية باقل من عشرة دقائق وذهب بحياة كثيرين من الاكابر والسيدات الشريفات فبكى العالم كله لهذه الفاجعة ا · ص ·

٣ً اما جوابنا لمن سألنا ما هو الداعي لاتخاذ كانون الثاني لرأس العام الجديد فهو انَّ الرومانيين كانوا يقسّمون قبل يوليوس قيصر سنتهم الى عشرة اشهر ذات ٣٠٤ ايَّام · فلمَّا ملك قيصر زاد عليها شهرين كان اوَّلها كانون الثاني وجعل اوَّل العام في غرَّتهِ وسماه يناير (janvier) باسم بعض آلهة الرومان المسمَّى جانوس (Janus) وكان هذا الاله يُعَدُّ كاله البواكير ويكرَّم في مقدَّمات الامور واسمهُ يدلُّ على ذلك والرومان يدعون اوّل الشيء ومدخله جانُوَا (janua باب) · فارادوا من ثمَّ ان يتخذوا هذا الاله لمفتتح سنتهم · فلمَّا جاءت النصرانيَّة حافظت على عوائد الرومان المدَنيّة ولم تغيّر فيها شيئًا · لا بل وجد النصارى داعيًا خصوصيًا للمحافظة على هذه العادة وهو وقوع عيد ختانة الربّ في ذلك اليوم لان الختانة هي التي نظمت المسيح في سلك شعب اسرائيل ورشَّحتهُ لرتبة المخلّص ل · ش ·

٤ً جوابنا لمن سأل ما هي المؤلَّفات الاوربيّة عن شمالي سوريَّا ان الكتب في هذا الموضوع

١) يمكن ان يؤخذ بتصوير الشمس اكثر من خمسين صورة مختلفة في الثانية · ويلزم لاجل الكينيمتوغراف ان يؤخذ على الاقل ستّ صور في الثانية · مثلًا اذا رفعت في ثانية من الزمان يدي من الفخذ الى علوّ الراس يلزم ان تصوَّر يدي في حركتها هذه ستّ مرات على الاقل في الثانية لانهُ اذا كان ما بين الرسم والرسم اكثر من عُشر الثانية فالحركات في اعادتها عند مرور الصورة في الكينيمتوغراف لا تظهر متواصلةً بل متقطعة فتفقد الفائدة

٢) celluloïd

كثيرة . ولكنَّ اهمّها تأليف ڤيتال كوينه عن تركيّة اسيا الجزء الثاني (ولاية حلب) . وهو صنّف حسن للجغرافيا الوصفية ولمعرفة السالنامة الّا انهُ قليل الفائدة لرسم البلاد . ولا يستغنى لمعرفة رسم شمالي سوريّة عن تآليف الدكتور بلنكنهُرن باللغة الالمانية . ومن المصنَّفات الجليلة من هذا القبيل عدَّة مقالات أُودعت في العشرين مجلّدًا من مجلّة الجمعية الفلسطينية الالمانية. والجغرافية العمومية لأَليزه روكلو (الجزء التاسع وهو مخصَّص باسيًا الغربيّة) — والقاموس الجغرافي المطوَّل الذي انجزهُ المسيو فيفيان دي سان مرتين الخ . فبمساعدة هذه المصنَّفات يتمكن الكاتب ان يعرف بعض المعرفة ما يختصّ بشمالي سوريّة ه . ل .

اسئلة واجوبة

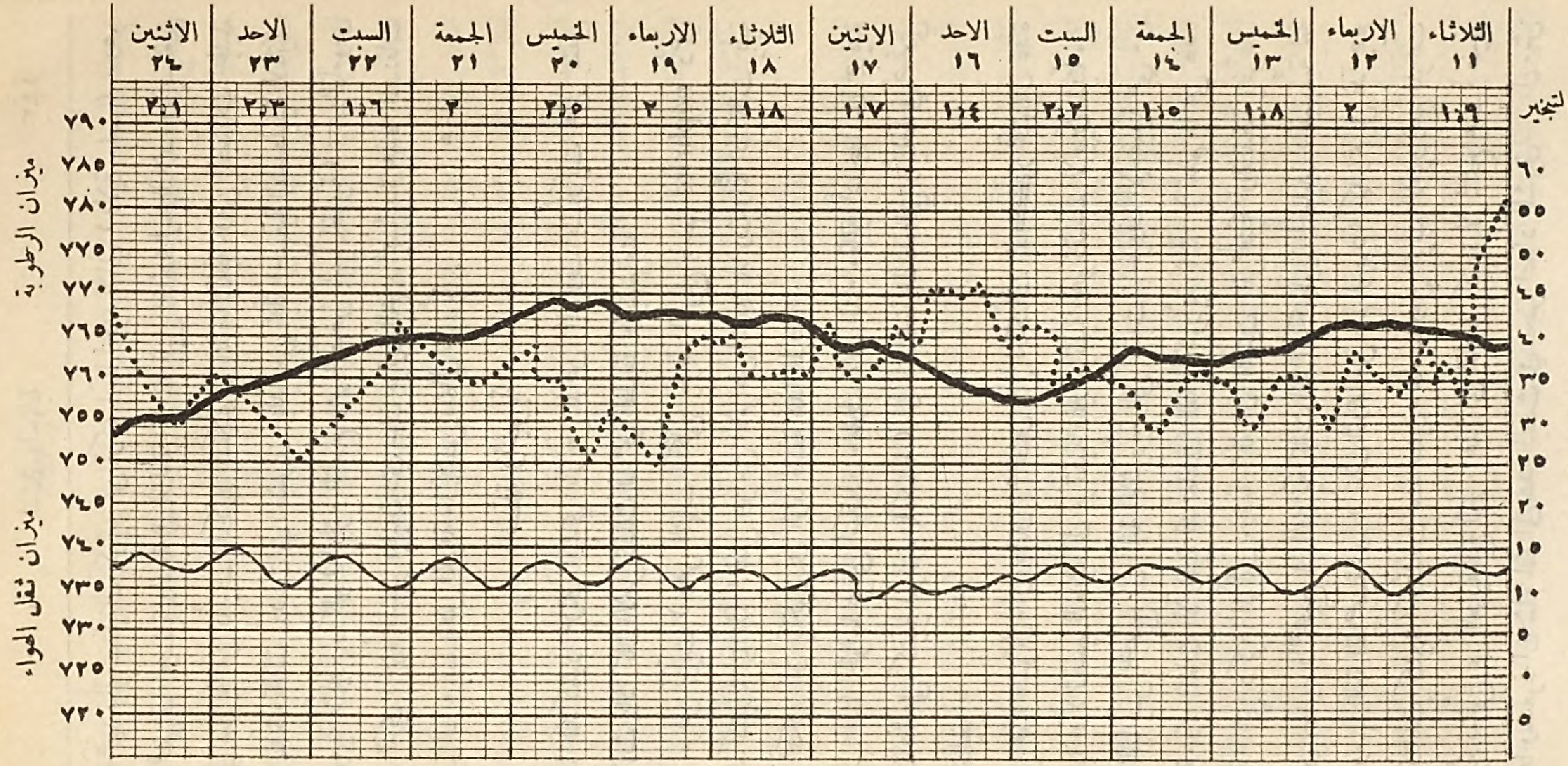
١ً سألنا الدكتور جرجي افندي باز عن المرض المعروف بـبُرَيْت هل ينتقل الى الاولاد بالارث واذا كان الامر كذلك فما هي الطريقة لوقايتهم منهُ

نجيب انَّ مرض بُرَيت (وهو التهاب الكُلى يعرفهُ الفرنج باسم néphrite دُعي كذلك باسم الدكتور Bright) ليس هو من الامراض المنتقلة بالإرث وانمَّا اذا كانت بِنية الابوين ضعيفة فيمكن ان يكون في الولد قابليّة لهذا المرض

٢ً وطلب الينا الخواجا عيسى اسكندر معلوف (في اثناء مقالةٍ أدرجها في جريدة لبنان بنسبة انتقادنا على كتيّبِهِ الموسوم بالكتابة) ان « نتحفهُ بالمآخذ التي رأيناها في صفحتي ٤٥ و٤٦ من تأليفهِ »

جوابنا على هذا السؤَال . انّ هاتين الصفحتين من الكتاب المذكور تحتويان عدَّة امور مردودة منها اوَّلًا تقسيم اللغات الى مُرتقية وغير مرتقية وهو تقسيم لا يبيّن شيئًا من كُنه اللغات . ثانيًا ليس بصحيح ان اللغة الاشوريّة التي كُتبت بالحروف الإسفينيّة هي من اللغات الآراميَّة . وانما اللغات الآرامية قد خلفت اللغة الاشوريَّة . ثالثًا لا نعلم ما هي هذه اللغة « الانباريَّة » التي ذكرها المؤَلِف . رابعًا قولهُ ان اللغتين القرطجنيّة والفينيقية يتفرَّعان من العبرانية ليس بسديد والصحيح ان العبرانيّة كانت لغة الكنعانيين الجبليّين والفينيقيَّة لغة سواحل فينيقية ومنها اللغة القرطجنية . ولم « تُعفَ اثارهما من عالم الوجود » كما زعم بل قد جمع منها المعلّمون كتاباتٍ كثيرة اكتُشفت منذ سنين . خامسًا ومن اغرب الامور زعم المؤَلّف انَّ اللغة الحبشيَّة تتفرَّع عن العربية الخ الخ . هذا الى اقاويل كثيرة لا يسمح هنا ضيق المحلّ ان نعدّدها وسنعود ان شاء الله الى هذا البحث في بعض اعداد المشرق ل . ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ١١ الى ٢٤ كانون الثاني ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (—) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة — وقد عُيّن مقدار الماء المتحوّل بخاراً في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

الاخ (فرا) غريفون وجبل لبنان

في القرن الخامس عشر

للاب هنري لامنس اليسوعي

(تتمَّة هذه المقالة)

١٠

وسنة ١٤٦٠ كانت قد جرت المفاوضة في انشاء بطريركية في المشرق للاتين (١. وعرض البعض ان تُسلَّم مقاليدها للاخ لويس دي بولونية الفرنسيسي الايطلياني. فحضر هذا الى رومة مع وفودٍ من قبل ملك طرابزون داود وشاه العجم وغيرهما من امراء الشرق فألحُوا كثيرًا في طلب تعيين هذا الاخ للبطريركية. فأبى عليهم ذلك بيوس الثاني وقد اتَّضح فيما بعد انهُ اصاب في امتناعهِ عن اجابة سؤلهم فان سيرة الاخ المشار اليهِ في فرنسة وبلجكة والبندقية (٢ وبلاد پولونيــة العجم غدت موضعًا للريب والظنون. قال هِفلِهْ في معرض الكلام عنهُ (٣: «ليس لنا ما يدلّنا على ان هذا الاخ الغريب الطباع كان مُشعوذًا»

فسواء خطر لبولس الثاني ان يهتمّ بما أُهمل في عهد سلفهِ فاقام غريفون بطريركًا ام اكتفى فقط بسيامتهِ اسقفًا ففي كلا الحالتين يمكننا ادراك ما رواهُ المؤرخون الفرنسيسكان عنهُ اعني سيامتهُ للاساقفة (٤

---

١) وليس لجميع الكاثوليك في الشرق كما زعم رُهرْبَكَر Rohrbacher, Histoire de l'Église XXII p. 269

٢) وفي هذه المدينة سعى بان سيم اسقفًا على غير رضًى من البابا (تاريخ البابوات لپاستور)

٣) تاريخ المجامع في الالمانية (Héfélé: *Conciliengeschichte* VIII, 142)

٤) قال ودّينغ: من بعد موت غريفون امر سِكْسْتُوس الرابع بان يرسل من ذاك الحين فصاعدًا الى لبنان راهب فرنسيسيّ لهُ ملءُ التفويض بالاعفاء من التأديبات الكنسيَّــة والنذورات ومنح الرُخصات ولكن غير حائز شرف الدرجة الاسقفيَّــة. فلا ندري ان كان غريفون وحدهُ

وذكر اصحاب ترجمتهِ انهُ رأى بين الموارنة شابَّين استلفتـا ابصارهُ لما امتازا بهِ من الذكاء والفضيلة اسم احدهما يوحنا والآخر جبرائيل القلاعي الحفدي فنظمهما في سلك ابناء القديس فرنسيس. ثمَّ ارسلهما بعد ان ابرزا النذور الرهبانية الى البندقية فرومة لاتقان العلوم الكنسية. ولمَّا عادا فيما بعد الى الشرق بصفة مرسلَين خدما وطنهما خدمًا جليلة فرُقّي الاخ جبرائيل الى الدرجة الاسقفية واقامهُ البطريرك سمعان الحدثي مطرانًا للموارنة على قبرس (الدويهي ١٤٣و٢٨٥ و٣٦٩). امَّا الاخ يوحنا فما لبث بعد عودتهِ الى لبنان ان استأثرت بهِ المنيّة (الدويهي ١٤٣ و٤٠٩)

وقد تمكن في تلك الايام بعض اليعاقبة من الاختلاط بالموارنة وبثّ اضاليلهم بين ظهرانَيهم. لكنَّ الاخ جبرائيل كشف عن مساعيهم القناع ودفع عن المؤمنين شرّهم. فانهُ كان كاتبًا ذا قريحة جوَّادة تنقاد لهُ البلاغة وتنصاع لخدمتهِ المعاني. وروى عنهُ الدويهي انهُ كتب ٤٦٥ مقالة او ميمرًا اكثرها لدحض اضاليل اليعاقبة. ولدينا بعض هذه الميامر محفوظة في مكتبة كليتنا وهي اشبه بالأزجال. ولا ريب ان قسمها الاكبر كان موجودًا في عهد الدويهي. فان هذا الحبر العلاَّمة اورد منها مقاطيع كثيرة في تاريخهِ (١. وممَّا رواهُ نستدلُّ على ما لها من الاهمية لمعرفة تاريخ لبنان وشعب الموارنة قبل القرن الخامس عشر. ولنا الامل الكبير انَّ فضلاء هذه الطائفة يتحفونا عمَّا قليل بما عندهم منها اذ ليس لدينـا عن تلك الازمنة اخبار وافية سواها

وفي سنة ١٤٩٤ كتب الاخ جبرائيل القلاعي الى البطريرك شمعون الحدثي يحرّضهُ على ان يطلب من رومة تثبيت انتخابه كما فعل جميع سلفائهِ من قبلهِ. وقد احببنا ان نذكر في هذا المقام بعضًا من رسالتهِ هذه نظرًا الى أهميتها والى ما فيها من الالمام بتاريخ الموارنة (نقلناها بحرفها عن الدويهي):

« لا يمكن لاحدٍ ان يخاصمني قائلًا ان الذي قلتهُ هو امرٌ محدث ابتدعتهُ من عند نفسي لان اكثر من خمسة عشر كتابًا من كتب الباباوات بختومها ورصاصها تشهد لي وهي

مُنح هذا الشرف نظرًا الى ما ازدان بهِ من الصفات او فاز بهِ غيرهُ. وهنا يجدر بنا ان نذكر ما رواهُ لويس دي سُوخم سنة ١٣٣٦ قال انهُ رأى اساقفة موارنة يسوهم اساقفة لاتين. مع انهُ لم يبقَ في تلك الايَّام اثر للاسقفيَّات اللاَّتينيَّة التي انشأها الصليبيُّون في سورية

١) راجع الصفحات ٣٣٩ و ٣٥٤ و ٣٦٨ و ٣٨١ و ٣٨٩ و ٣٩٧ و ٤١٧ الخ

الآن عندك في ديرك وفيها ايمان القدماء منكم من مائتين واثنتين وثمانين سنة فصاعدًا. حتى ايمانكم انتم موجود بخط ايديكم على يد فرا غريفون وفرا اسكندر وفرا سمعان وهي برومية. ومن قبلهم على يد فرا يوحنا رئيس بيروت وكيل وقاصد بطرككم يوحنا الجاجي الى مجمع فلورنسة. ومن قبلهِ على يد الراهب اوماريكو من قانون الاخوة الواعظين. ومن قبلهِ على يد الكردينال غليلمو رسول بابا رومية الى شعبكم واليهِ اجتمع (١ رؤساء كهنتكم وعلماء أُمّتكم وكان بطرككم يدعى غريغوريوس من حالات وهناك وضعوا خطوط ايديهم كبيرهم وصغيرهم وحلفوا ان يكونوا تحت طاعة بابا رومية وثابتين في ايمانهِ. ومن قبلهِ لمَّا تولَّى الملك غدفرادو على مدينة القدس وارسل رسل البشارة الى رومية الكبرى وصلت مع رُسلهِ اذ ذاك رُسل البطريرك يوسف الجرجسي فرجعوا اليهِ بالتاج والعصا. وفي ايام الملكة قونسطنسة اخذوا يدقون نواقيس نحاس على طريقة الكنيسة. وقبل ذلك ما كانوا يدقون للصلاة الّا الاعواد مثل الروم. ولما اشترت الملكة المذكورة كنائس القدس بثمانين الف دينار وهي القيامة وقبر مريم والطور وبيت لحم اعطت الموارنة مغارة الصليب ومذابح مختصّة في باقي كنائس القدس. واباحت لهم ان يقدّسوا على مذابح الافرنج وفي حللهم وبعثت فاحضرت لهم تثبيت ما انعمت بهِ من قداسة البابا. وفي القدس حلفوا ووضعوا خطوط ايديهم ان يكونوا طائعين وثابتين في امانة رومية والباقي».

وما عدا ذلك فقد ذُكر عن الاخ جبرائيل انَّهُ عرَّب عددًا وافرًا من الكتب المفيدة وألَّف ايضًا التآليف الخطيرة في العربية. ودافع خير الدفاع عن ابناء طائفتهِ. ولذا بات لهُ المنزلة الرفيعة في نفوس الموارنة. ولم تزل تآليفهُ وتاريخ حياته محفوظة في المقام البطريركي(٢

١١

امَّا الاخ غريفون فانهُ بعد ارتقائه الى الدرجة الاسقفية بقي على ما كان عليهِ قبلًا من الزهد والتقشفات مواظبًا على كل واجبات العيشة النسكية لاسيما الفقر الرهباني سائرًا على مثال القديسين «يظلم نفسهُ ويعامل غيرهُ بغاية اللطف والمحبة (٣» ومع ما كان

١) ويروى: وعقد بحضرتهِ مجمعًا

٢) هكذا روى الدويهي. وبودّنا لو يُنشَر هذا التاريخ فنحصل منهُ على فوائد جمَّة عن تاريخ تلك الازمنة ولعلَّهُ لا يخلو من ذكر بعض اخبار غريفون ايضًا. راجع ما ذكر الدويهي عن جبرائيل القلاعي في تاريخهِ من ص ٤١٢ إلى ٤٢٥

٣) هذه العبارة هي للاب ارتُورُس الفرنسيسي

عليهِ من الانقطاع الى الارشادات الخلاصية والتفرُّغ لواجبات مقامهِ لم يكن يغفل عن التأليف فصنَّف كتبًا كثيرة بالسريانية ونقل الى هذه اللغة مؤلفات عديدة · وذهب المؤرخون الغربيُّون الى انهُ اعتنى ايضًا بترجمة بعض اسفار الكتاب المقدس · ولكن لمَّا كان لدى الموارنة من عهد بعيد ترجمة مثل هذه منقولة الى العربية فترجّح انَّ ما اعتنى غريفون بتأليفهِ انما كان تفسيرًا للتوراة لا التوراة عينها كما روى هؤلاء المؤرخون

واسوء الطالع لم يبقَ من تآليف الاخ غريفون الاَّ اسما كتابين اولهما « مدائح مريم » (١ والثاني « وصف الاراضي المقدسة » · وقد اورد وَدّينغ من هذا الثاني اوَّل فاتحتهِ · امَّا الدويهي فينسب الى غريفون تأليف ميمر في فتوح السلطان محمَّد الثاني للقسطنطينية · وحبَّذا لو امكن وجوده · وعسى الدهر ان يسعد بعض العلماء الذين انصبُّوا في عصرنا على درس الكتب السريانية الخطّية فيرشدهم الى اكتشاف هذه الآثر الجليلة والكنوز الدفينة

وقد كان النصف الثاني من القرن الخامس عشر عصر تقدُّم ونجاح لجبل لبنان في الماديَّات والعلميات · فكان السلام سائدًا فيهِ بفضل المقدَّمين وحسن سياستهم · حتى اصبح المسيحيون من كل الطوائف يردون اليهِ من جميع انحاء سوريَّة (٢ · فكنت ترى في قرية حَدشيت وحدها عشرين كاهنًا وفي بشرَّاي مذابح بعدد ايام السنة · امَّا التجارة فكانت اسواقها رائجة في جميع اصقاع لبنان

ولم تكن العلوم باقلّ منها رواجًا ونجاحًا · فقد روى الدويهي انَّ عدد النسَّاخ الذين اتَّصلت اليهِ مؤلفاتهم يبلغون ماية وعشرة عدًّا · وفي ذلك العهد شرع اللبنانيون في ابدال الخط الاسطرنجيلي بالاحرف السريانية المستديرة

وكان غريفون طعن في السنّ ولكن لم تفتر غيرتهُ ولم تضعف همَّتهُ · ولما رأى ما كانت عليهِ الديانة من النموّ والفلاح ثبت لديهِ انهُ لا يتعذَّر على اخوته(٣ القيام بمتابعة الاعمال التي باشرها في لبنان فعزم على السفر الى بلاد العجم · ولسائل ان يسأل فليت شعري ما حملهُ على الرحيل الى تلك الاقطار الشاسعة فيجيبنا مؤرّخوهُ انَّ غيرتهُ على خلاص النفوس هي التي

١) De laudibus Mariæ . لسنا ندري ان كان هذا المؤلَّف كتب باللاتينية او بلغة شرقيَّة

٢) الدويهي ٤١٥ و ٤١٦ ٣) قال الدويهي والمؤرخون الفرنسيسيون انَّهُ ما عدا الاخ فرنسيس البرشلوني كان لغريفون معاونون في اعمالهِ من رهبانيتهِ

بعثتهُ الى هذه الرحلة. ولكن يا ترى أما كان الاولى بهِ لو انتقل الى البلاد المجاورة للبنان فينال بها مبتغاه من أن يُقدم على تجشُّم الاتعاب والاخطار وقد بلغ سنًّا فيهِ يقبل الانسان على انجاز المشروعات التي باشرها ولا يسعى في اعمال جديدة غيرها ؟

فدونك ما رأينا من الاسباب الداعية لهُ بان يؤثر العجم على ما سواها. اخبر المؤرّخون انهُ في اثناء القرن الخامس كانت جرت عدّة مخابرات بين رومة ودولة العجم غايتها نشر الكثلكة في تلك البلاد. وكان الاخ لويس دي بولونيــة الذي سبق ذكرهُ دخل فارس واجتمع بشاه العجم. وهناك التقى بهِ الرحَّالة البندقي امبروسيوس كُنتاريني في سنة ١٤٧٥ فذكر عن هذا الاخ أنَّهُ كان يدَّعي برتبة البطريرك ويزعم أنَّهُ سفير امراء برغندية (١

لقد سبق لنا القول ان لويس دي بولونية لم تكن ترتاح اليهِ النفوس في رومة فلا يبعد انَّ الاحبار الرومانيين عمدوا الى استبداله بآخَر حائز على ملءُ الثقة في هذه المخابرات الخطيرة. ولم يكن احدٌ اولى من غريفون بهذه المهمّة. لانهُ ما كان اكتسبــهُ من الخبرة بشؤون الشرق والمعرفة بعوائد هذه البلاد ولغاتها استوقف عليهِ ابصار الحبر الاعظم

وعلى كلٍّ كيفما كانت المهمّة الموكولة اليهِ سواء عُدَّت مخابرةً سياسيَّة او رسالة دينيَّة فمن الثابت انهُ ركب السفينة (٢ قاصدًا بلاد العجم وبعيتهِ الاخ فرنسيس البرشلوني. فاصابه في سفرته داء عَياء اجبرهُ على النزول الى الماغوسة اهمّ ثغور قبرس وما لبث هناك ان ادركتهُ الوفاة في دير الفرنسيسيّين يحفّ بهِ اخوانه بالرهبانية وذلك في ١٨ تموز سنة ١٤٧٥

اما الاخ فرنسيس البرشلوني فبادر الى رومة ونعى الى سيكستوس الرابع المرسل العظيم فبعث البابا (وكان هو ايضًا من رهبانية مار فرنسيس) الى رئيس الفرنسيسيّين العامّ ان يوفد من رهبانه الى لبنان مَن يعهد فيهِ اللياقة ليكون خلفًا لغريفون في منصبه الخطير. ولكن لم يتمّ هذا الامر عاجلًا كما روى المؤرّخون ولا يسمح لنا موضوعنا ان نتعرَّض لهذه الامور

وحسبنا ان نقول انَّ ذكر غريفون لم يزل محفوظًا بكل اكرام بين ابناء رهبانيته. فقد ورد اسمهُ في « تراجم موتى الفرنسيسيّين » للاب هوبر وفي جملة « اخبار القديسين

١) تاريخ المجامع Héfélé: VIII, 142 — 144

٢) كذا روى المؤرخون. ولا نعلم ما حمل غريفون على ركوب البحر لينتقل من لبنان الى العجم. فهل كان في نيتهِ الشخوص اولًا الى رومة ام النزول في ثغر اسكندرونة والتوجه من هناك الى العجم. وهذه الخطّة لا يزال يجري عليها كثيرون في ايامنا

الفرنسيسيين » للاب ارتوروس وفيهِ يلقبهُ المؤلّف بالطوباوي (١

وماكان الموارنة لينسوه فان البطريرك بطرس سمعان في رسالة بعث بها في ٨ اذار سنة ١٥١٤ الى لاون العاشر يطلب من هذا البابا ان يُرسل اليهِ نوّاباً كغريفون (٢ الذي لا يزال ذكرهُ حيّاً في قلوب الموارنة يمثّل لهم صورة المُرسَل المكمَّل . وهذا الكلام افضل ما يمكن قوله في مدح غريفون . ونحن نقف عنده وكفى بهِ وصفاً لمن كان للدين بطلاً ولمحبّة النفوس شهيداً

داء السلّ وانتشارهُ في سوريّة

للدكتور حبيب افندي الدرعوني

(تابع لما سبق)

اسباب السل العامّة

قد بيّنا في ما سبق الاسباب الخصوصيّة التي من دأبها ان تنشر عدوى السلّ في اصقاعنا السورية . امّا الاسباب العموميّة التي تعمُّ كلّ بلدٍ وكل زمان فمنها ما لا حيلة في استدراكهِ مثل الامراض الحادّة التي اخصُّها الشهقة والنزلة الصدريّة والحصبة وبعض الامراض المزمنة كالبول السكّري وغيرهِ . فان تلك الامراض تهيّئ الاجسام التي تعتريها الى قبول السل كما تفعل كل الاسباب المضعّفة سواء كانت باطنة في الجسم او خارجة عنهُ . وقد يكون للمشروبات الروحية في البدن من هذا القبيل فعل سيّئ اي امّا انها تُضعف الجسم وتُسمّمهُ فتجعله عرضةً للسلّ او انها تستهلك دراهم مُعاقرها في سبيل مشتراها فلم يبق لديهِ ما يلزم لقوام صحّتهِ من التغذية الكافية

اما الإرث فقد كان سابقاً يُعَدّ من اوّل اسباب انتشار السلّ ويعزى اليه كلُّ شرّهِ . وقد افصح اليوم الحقُّ عن محضهِ فصرنا نعتبرهُ مثل عاملٍ مهيّءٍ يجعل الذريّة مستعدّةً لنوال السلّ نظرًا لما يرثهُ الولد عن والديه من ضعف الاعضاء او فسادٍ في الدم غير انّهُ اذا عولج بالخوشانة ومعيشة الفلاة فيمكنهُ التملّص من طوارئ ذاك الداء . ولا ريب عندنا انّ حوادث كثيرة تنسب عادةً للارث لا يكون في غالب الاحيان مُحدثها سوى العدوى .

١) لم اجد ذكرًا لغريفون في الكتب القديمة الشاملة لاخبار القديسين البلجكيين التي راجعتها في مكتبة البولنّديستيين . مع انهم يذكرون ما عدا القديسين والطوباويين كلّ من ماتوا في رائحة القداسة

٢) راجع تاريخ الجامع (Héfélé, VIII, 682) وتاريخ رينلدي سنة ١٥١٤ العدد ٨٧

وتلك العدوى تكون قد استطرقت إمّا من نفس البيت الذي مات فيهِ بالسلّ احد افراد العائلة امّا من الاثاث الذي يتوارثهُ الاقارب وامّا من سكنى بيتٍ استمرّت فيهِ جراثيم العلّة

وغالبًا ما يدخل ميكروب السلّ في اقاصي الجسم متسلّقًا من القناة الهضمية بواسطة الحليب او اللحم وقد يكفي لاعدامهِ ان تُغلى تلك الموادّ على النار. والحليب يكون اكثر من غيرهِ ناقلًا للعدوى ومن ذلك ازدياد موت الاطفال بداء السلّ في فرنسة لانهُ يغلبُ فيها إرضاع الاطفال وتغذيتهم بحليب البقر. وفي هذه المناسبة يجدر بنا ان نذكّر الأمّهات المُصابات بالسلّ ان لا يُرضعن اطفالهنّ لان الرضاعة تكون حالتئذٍ سببًا لانتقال السلّ الى الرضيع

وقد تعوَّد بعضهم في اوربَّة ان يشربوا دم الحيوانات طريًّا في المسالخ بدعوى انَّهُ مقوٍّ للبنية. فبئس تلك العادة لانها تكون واصلًا للعدوى اذا كانت الحيوانات مصابة بالمرض. على انَّ هذه الطريقة لم تسر بعد في بلادنا والحمد لله فلا خوف منها حتى الآن

لقد سردنا بالإيجاز عوامل عدوى السل العامَّة والخاصَّة في عادات بلادنا فبقي علينا اتمامًا للفائدة ان ننظر في العلاج وذرائع الوقاية وهي مسئلةٌ كبيرة الاهمية مذ سطا على الافكار ان داء السل داءٌ عُقام لا دواءَ لهُ ولا شفاءَ منهُ. والحقيقة ان الشفاء مُستصعبٌ غير انَّهُ ممكنٌ وقد شاهدنا مَن برئَ من تلك العلّة او كاد

علاج السل

يُغني المزاجَ عن العلاج هواؤُهُ   باللطفِ عند هُبُوبهِ ورُكودهِ

لعلَّ صفيّ الدين الحلّي لم يدرِ اذ وصف منفعة الهواء بالمجازات الشعريَّة انَّهُ في الحقيقة يُغني عن العلاج وانَّهُ انجع علاج خصوصًا لاتّقاء السل والاستشفاء منهُ. ومن طاف اليوم سائحًا في بلاد سويسرة والنمسة وغيرهما من بلاد اوربا قد يَرى صُروحًا مشيَّدة في قُلل الجبال يأوى اليهـا بعض المُدنَفين بالسلّ يستنشقون هواءها النقي منتظرين من فضل نسيمها ان يَنفخ فيهم نسمة التعافي والحياة

امّا العقاقير المتعدّدة التي استخدمها الاطبَّاء في علاج التدرُّن فنضرب عن سردها صفحًا لانَّ ليس منها ما يفي بالغرض فضلًا عن انَّ بعضها ربما جعل تهيُّجًا في القناة الهضمية فقصَّرها عن وظيفتها وهي وظيفةٌ لا بدّ من صيانتها لقوام الجسم وتغلُّبهِ على المرض. واذا بَدَت في

سَير العلّة أعراضٌ تأذن باستعمال الأدوية فعلى الطبيب انتقاءها. اما العلاج المعوَّل عليهِ اليوم نظرًا لنتائجهِ المحمودة فهي الرياضة بالهواء

هذا وانَّ الاقدمين لم تفتهم منافع الهواء في تمريض المسلولين وقد ذكر بعضهم مثل بلين الطبيعيّ نفع السياحة ان برًّا وان بحرًا. ومنذ نحو مائة سنة قد جاهر ايضاً الطبيب رُولين بوجوب عَرْض المصابين بالتدرُّن للهواء في غرفةٍ تُترَك منافذها مفتوحة. لكنَّ تلك الوصيَّة ما لبثت ان اضحت نسيًا منسيًا ثم توالت الابحاث في حقيقة التدرُّن وعلاجهِ وتعاقبت عليهِ مذاهب كثيرة فرست في آخر الامر على الرياضة بالهواء علاجًا. ولما أيَّدت التجربة منافعهُ الراهنة أخذ الاوربيُّون يشيّدون المستَشفيات على قِمَم الجبال وآزِمها زرافاتٌ من المصابين فلاقوا فيها العافية والشفاء

والامر الذي استفزّ الهمم لمباشرة تلك البنايات انّما كان فضلًا عن حوادثٍ جمَّة شهدت بفائدة العلاج بالهواء واقعة جرت لطبيب انكليزي اسمهُ بَنَّات أُصيب بالتدرّن في مدينة لندرة. فلمَّا استوصف زُملاءهُ وصفوا لهُ الادوية وأشاروا اليهِ بالانكماش في غرفةٍ دافئة والتغذّي بالمَرَق السخن وشرب المناقيع والمُغلَيات الى غير ذلك من وسائل العلاج. اما هو فقد طَرَحها ظهريًّا وهبَّ من عُزلتهِ وأتى مدينة مانتون فصار يصرف نهارهُ مضطجعاً على الحضيض تحت اشعَّة الشمس ياكل ما تسنَّى لهُ من اللحم والزَبد و يشرب الحليب فنال بذلك تمام الصحَّة والشفاء. فاستحثَّ مثلهُ كثيرين لان يختبروا طريقتهُ وتزايد من ثمَّ عدد المستشفيات المختصَّة بالمسلولين في المواضع العالية الصافية الهواء

وطُرق المعالجة في تلك المستشفيات ثلاث : استنشاق الهواء والراحة والتغذّي وهي وان لم تكن دواءً نوعيًا للداء الذي نحن في صددهِ تشدّد الجسم وتجعل فيه قوَّة كافية لصدّ العُدْوَى اعني الباشلّس عن الاحتلال فيهِ او دفعهِ الى الخارج اذا كان توطَّن وتمكَّن من اعضائهِ

وطريقة استنشاق الهواء ان يستلقي المسلول على مقعدٍ او في حُجرةٍ مفتوحةٍ للهواء السائر وحذرًا عليهِ من ان يتبرّد يلفّونهُ بالاغطية. واذا كان نحيلًا يجعلون تحت قدميهِ قنينةً مملوءة من الماء الحار. والمريض المحكوم عليهِ بلزوم مخدعهِ لضعفٍ فيهِ او لسببٍ آخر فقد يفتحون لهُ المنافذ فيتجدّد لهُ الهواء فيتنشَّقهُ مضطجعًا كي لا تتبرَّد اطرافهُ. وشروط التهوئة ان تتوالى ليلًا ونهارًا مُضحىً ومُعشًى فلا تُقفل المنافذ مدَّة الليل بل تُسدل سِجافها

لتمنع الريح وتشعُّع الحرارة. وايًّا كانت حالة المريض فلا تمنعهُ عن التداوي بالهواء ولو بُلي بالحمّى بل ربَّما كان السبب في إزالتها استنشاق الهواء

اما الراحة والتغذّي فهما المساعدان المهمَّان في استكمال نتائج العلاج بالهواء. فالراحة حاصلةٌ طبعًا من لزوم المريض مقعدهُ في النهار وفراشهُ في الليل و إذا أُذِن لبعضهم بطلب النزهة فلا تكون الَّا في حمارَّة النهار واشتداد حرّهِ ولا تدوم الَّا وقتًا قصيرًا. وكذلك التغذّي وان شئت فقل التعلُّف (اذ القصد منهُ تسمين المريض) فهو مضمون بتعيين أوقات الطعام وتحديد كميّتهِ وكيفيَّاتهِ

وإن استفسرت عن فعل الهواء أجبناك ان جسم المسلول حصنٌ فيهِ حاميةٌ تدفع العدوّ وهو الباشلّس الذي احتلَّ فيهِ فاذا وهنت عزائمها صار لا بُدَّ لها من مددٍ يشدُّ أزرها. فالرياضة في الهواء هي ذاك المدَد لانها تُسلّي الاحزان وتطرد الاسقام وتشهّي الطعام فيحصل من ذلك قوَّةٌ للجسم يَدفع بها الباشلّس الى الوراء ريثما يتقدَّم المريض مع عوامل الصحَّة الى الامام. وكيفما كان الامر فان مفاعيل الهواء على المسلولين ظاهرةٌ محسوسة فان القرحات تتعوّض وتلتئم احيانًا بُؤَر الرِئة ويجفّ النفث وتزول منهُ الباشلّسات وتعود القوى ويزيد جسم المريض وزنًا وتطمس عن جبينهِ شارة السلّ. وقد يدوم هذا الشفاء زمنًا طويلًا وربَّما استمرّ دومًا اذا ثابرَ العليل على المعالجة بالهواء وقام بكل شروطها

وما عدا تلك التأثيرات والتكيّفات المادّيَة لا ريب ان من وراء العلاج بالهواء تأثيرات أدبيَة لها بعض النصيب في الشفاء . فان الرياضة في الهواء واعتزال الاشغال والتعرّض للنور يُحدث في النفس ارتياحًا فتعود اليها الآمال وتنفتح في وجهها الاماني وتنقشع عنها غيوم الهواجس وذلك أفضل عاملٍ في الحصول على الشفاء

وكل مريضٍ يمكنهُ السير بحسب ذاك العلاج في مسكنه الَّا أن المستشفيات لها الفضل ما عدا مناخها ودرجة حرارتها وارتفاعها بانها تُقصي المسلول عن شواغل الجوار وهواجس الاشغال وتضطرّهُ بقوانينها ان يرضخ لنسق العلاج لانهُ ربما تراخى او تساهل بهِ لو كان يستسير بحرّيتهِ

والمطلوب من مراكز تلك المستشفيات ان تكون جيّدة الهواء بعيدةً عن هبوب الارياح والغُبار وان تكون مرتفعةً عن سطح البحر من خمسمائة الى الف واربعمائة اوستمائة متر

بسبب ان المحلاَّت العالية تحسّن شهيَّة الطعام وتسهّل وظيفة الرئة وقد تندر فيها اصابات السل

وان سأل القاري عمَّا اذا كانت بلادنا السورية لها مثل هذه المراكز اللائقة بهذه المستشفيات فالجواب ان تلك المواقع ليس فقط موجودة بل قلَّ وجود مثلها في البلاد الغربيَّة من حيث الاعتدال والمنطقة والارتفاع والنضارة والمناظر . فالطبيعة قد جادت فيها بكل ما يروق للصحة ولم يبقَ لتتمَّة العمل سوى ان يجود اصحاب الخير على ابناء جنسهم

وان جاز لنا ان نأتي على ذكر الحوادث التي عالجناها بالهواء ألمعنا بالإيجاز الى الطريقة التي تتبَّعناها في هذه الربوع وإن هي الَّا الجمع بين العلاج بالهواء والعلاج بالعنب مع استعمال بعض العقاقير التي تقتضي بها الحال . وغير خافٍ ان العلاج بأكل العنب كان مأثورًا ولهُ في بلاد النمسة صروح مختصَّةٌ بهِ . وكل هذه الاسباب لقد تسنَّى لنا استجماعها في كروم العنب القائمة في سفوح لبنان بجوار زحلة وما يليها فنرسل المسلول اليها يصرف فيها ثلاثة ام اربعة شهور تحت المظالّ فيمسي ويصبح مستنشقًا هواء جافًا نقيًا خالصًا من شائبة الفساد والغبار . وقد يعيش المريض في تلك الأكمات معيشة النبات بعيدًا عن الهموم والنائبات فيسامر الطبيعة ويبتهج بمناظرها البديعة ويغتذي باكل ما تقطفهُ يده من عناقيد العنب كل ذلك على نسق ينشرح بهِ صدره . وقد اتَّصلنا بهذه الطريقة الى نتائج لم تكن في أملنا وسنفصّل يومًا ان شاء الله ذكر العلاجات التي اخذنا في تعدادها . اما اليوم فحسبنا الاشارة الى النتائج المحمودة التي بلغناها من وراء تلك الطريقة فان الممرَّضين بمقتضاها يعودون من مستشفاهم وقد زادوا ثقلًا وسمنًا وعافيةً وبعضهم قد احرزوا شفاء تامًّا

مجلَّة الهلال والنفس البشريَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي

اتانا العدد التاسع من الهلال لمنشئهِ الاديب الفاضل جرجي افندي زيدان وهو متضمن كمألوف عادته المقالات المفيدة الَّا اننا وجدنا في نورهِ بعض الكلَف وذلك في اثناء كلامهِ على النفس البشرية (ص ٣٤١ ــ ٣٤٤) فاحببنا ان تنجلي عنهُ هذه الشائبة فلا يصيب ضوءهُ محاق

واوَّل ما استغربنا في هذه المقالة مقدَّمة المؤلف الاديب ارشده الله الى كلّ صواب افتتح بها جوابهُ على سؤال ورد اليهِ من حضرة الاب الفاضل الخوري نيقولا غطَّاس يطلب اليهِ ان يميط اللثام عن محيَّا الحقائق المتعلِّقة بالنفس لاسيَّما خلودها فينتصر بذلك للمبادئ الصحيحة المطابقة للعقائد الدينيَّة

فان هذا السؤال كما يظهر من اجلّ المباحث التي يمكن اقتراحها على مجلَّة « علمية ادبيّة » كمجلَّة الهلال الاغرّ . وما اعظم ما كان عجبنا اذ قرأنا في فاتحة الجواب على هذا المطلب الخطير ما تنصَّل بهِ منشئ الهلال مبديًا عذرهُ من عدم استيفائه لهذا الموضوع . وذلك لسببين : (الاوَّل) لانَّهُ لم يجد « في كتب الفلاسفة لا سيَّما فلاسفة اللاهوت » ما يستند اليهِ ويعتصم بهِ في هذا الصدد فتراهم « فئات عديدة بين مناقض ومخالف . . . قد اطلقوا العنان للتصوُّر في هذا الموضوع الى حدٍّ لم يعد ممكنًا معهُ فهم تحديداتهم وشروحهم . . . فيعتمدون في مناظراتهم على الالفاظ والصوَر الوهميَّة اكثر ممَّا على المعاني والحقائق الطبيعيّة . . . يظهر انَّهم ساروا في بحثهم وجدالهم على خطّة غير ما تعوَّدهُ اهل هذا القرن فنحن الآن في عصر النور الطبيعيّ واساس بحثنا الحقائق الطبيعيَة . . . » — والسبب (الثاني) الذي قدَّمهُ صاحب المقالة الاديب مستميحًا العذر في الاجابة على اقتراح السائل هو « ان موضوع الهلال لا يؤذن بالابحاث الدينيَّة او المذهبيَّة »

قد جاء في بعض امثال العامَّة ان ربَّ عذر اقبحُ من ذنب ولعلَّ هذين العذرين من هذا القبيل . نقول ذلك مع الاعتذار الى منشئ الهلال لانَّا لا نريد مطلقًا ان نسوءهُ بشيءٍ ونحن اوَّل من يقرّ بفضلهِ وسعة معارفهِ الَّا ان كثيرين رغبوا الينا ان نبيّن ما في هذه الاقاويل من الغثّ والسمين فلبَّينا الى دعائهم حرصًا على الاعتقاد الحسن والمبادئ القويمة

فنسأل بادئ بدء صاحب المقالة الاديب من هم اولئك الفلاسفة الذين اشار اليهم بقولهِ « ان الفلاسفة في ذلك فئات عديدة بين مناقض ومخالف » أتُراهُ حفظهُ الله اراد بذلك قومًا من الدهريين الذين ظهروا في القرون الخالية بين اليونان او الرومان او العجم كالابيقوريين والمزدكيين واشكالهم او من ادَّعوا باسم الفلاسفة في العصر السابق كمثل ڤُلتير وجَان جاك رُوسو ومن اخذوا إخذَهما . فان كان هؤلاء الذين نواهم بقولهِ وتصفَّح تآليفهم فنسلّم لجنابهِ بكل طيب قلبٍ انّ مزاعمهم نقضٌ واختلاف ليس الَّا « وانّ الذي يقرأ منها مجلدًا ضخمًا في النفس يفرغ من قراءتهِ فيعود كما بدأ ليس في ذهنهِ حقيقة جديدة »

ولا بدع فانّهُ لّما كانت اقاويل هؤلاء آئلةً كلّها الى جحود الخالق ونبذ الحياة المخلّدة ووضع سعادة الانسان في هذه الدنيا تراهم اذا حاولوا الكلام في النفس وخواصّها يهيمون في بيداء الاوهام ويبنون مقالهم على الحجج السفسطيّة وينقضون في صفحة ما أبرموهُ في اخرى فلا يزالون كذلك يتقلّبون بين حلّ وعقد مائلين كما يقول الرسول مع كلّ ريح تعليم (اف ٤ : ١٤)

امّا اذا نوّه الكاتب في قولهِ السابق بمن كانوا للفلسفة الصحيحة أنصارًا واثبتوا الحقائق بالبراهين السديدة والحجج الراهنة التي من شأنها ان تُقنع العقول السليمة فانّنا ننكر كلّ الانكار « انّ هؤلاء فئاتٌ بين مناقض ومخالف » في هذا الموضوع بل كلُّهم لسانٌ واحد يتّفق فيهِ فلاسفة النصارى مع حكماء اليونان المشركين وعقلاء المسلمين واليهود اللّهمَّ الّا في مسائل جزئيّة ثانويّة تعدّدت فيها الآراء كما في كثير من الحقائق العلميّة الطبيعية

وما ساءنا في قول جنابهِ وصفهُ لفلاسفة اللاهوت حيث قال عنهم « انّهم اطلقوا العنان للتصوُّر . . واعتمدوا في مناظراتهم على الالفاظ والصور الوهميّة . . الخ » فلعمر الحقّ انّ هذا يسوم فلاسفة اللّاهوت بخسًا ويختسُّ من قدرهم الرفيع ولا نخال كاتب هذه الاسطر تصفّح مصنّفًا واحدًا من تآليفهم في هذا الموضوع فحكم على غائب وكرّر ما يتناقلهُ بعض جهّال الكتبة في حقّ قومٍ أجلاء لم يعرفوا منهم سوى اسمائهم . فهل فكّر جنابهُ اناره الله ان شكايةً مثل هذه تصيب ائمّة فاقت مداركهم عقول مشاهير الرجال فشرّفوا الانسانية بوجودهم كالقديس اوغسطين والقديس توما اللاهوتي وسواريس وغيرهم كثيرين

ولا يعذر كاتبنا اللبيب قولهُ فيهم « انّهم ساروا في بحثهم وجدالهم على خطّة غير ما تعوّدهُ اهل هذا القرن » . أَفيريد جنابهُ انّ عصرنا هذا احرز كلّ العلوم او انّ ما كتبهُ ذوو القرون السالفة لا طائل تحتهُ لأنّهم لم يسلكوا على طريقة أَلفها كَتَبة عصرنا . وماذا يفهم ارشدهُ الله بقولهِ « نحن في عصر النور الطبيعيّ واساس بحثنا الحقائق الطبيعيّة او ما يُبنى عليها » او ليس البحث في النفس البشريّة وصفاتها ومصدرها ومصيرها من الحقائق الطبيعيّة ؟ او لا يقبل جناب الكاتب الاديب سوى ما يقع تحت الحواسّ ويمسّهُ مِشرَط الجرّاح ؟ فهذا نفس قول المادّيين وقى الله من شرّهم الهيئة الاجتماعية

ولا نرضى بعذرهِ الآخر اذ قال (ص ٣٤٢) « ان موضوع الهلال لا يؤذن بالابحاث الدينيّة او المذهبيّة » . نعم انّ الاديان تبحث ايضًا في امور النفس وتبيّن بالاسانيد المتواترة واقوال

الكتب المنزلة الصريحة ما هو اصل النفس البشرية وصفاتها واحوالها ومصيرها لكنَّ المذاهب الدينيّة تؤيد في ذلك الحقائق الطبيعيّة التي اثبتها الفلاسفة بمجرّد البراهين العقليّة وتجلوها جلاء واضحًا لايبقى بعدهُ ريب

ما هي النفس البشرية

ثمَّ انتقل صاحب الهلال الى بيان كُنه النفس وتعريفها وقد اصاب برضوخه الى قول ارسطو انّ الانسان مؤلف من شيئين نفس وجسد فالنفس هي القوَّة المستقرّة في الجسد وبها نحيا ونحسّ ونزيد ونعقل . فهذا هو قول اعظم الحكماء واليهِ مرجع فلاسفة اللاهوت ويعرفهُ صغار مدارسنا فضلًا عن أيمَّة المذاهب

الَّا انَّنا نأخذ على كاتب هذه الاسطر ما الحقهُ بهذا التعريف اذ اورد اقاويل مباينة لهذه الحقيقة ولم يحكم في صحَّتها او فسادها فانَّ ذكر آراء مثل هذه لَمن شأنها ان تزرع في العقول ريبًا وشكًّا فكان الاحرى ألَّا يوردها او ينقضها بعد ايرادها

وفي القطعة التالية التي بها يبدي رأيهُ صريحًا في هذا الشأن قد جاء بما ينقض شيئًا من قول ارسطو السابق وليس هو كلّهُ بسديد وذلك عندما يقول « ان المشاهد المعقول هو انَّنا نرى فينا شيئين متباينين الجسمُ الحي الذي ينمو بالغذاء . . . وقوّة مدركة عاقلة » . والصواب ما قالهُ ارسطو انَّنا نجد فينا قسمًا ماديًّا هو الجسم وقسمًا غير ماديّ هو النفس وبها ينمو الجسم ويحسّ وبها ايضًا نعقل ونزيد

صفات النفس

انَّ ما كتبهُ صاحب الهلال الاغرّ في هذا الشأن وان كان صحيحًا يوجد فيهِ شيء من الالتباس فكان الاولى لو ميّز بين صفات النفس في ذاتها وبين قواها فبرهن اوَّلًا على بساطتها اي انَّها ليست بجسد ولا بجزء منهُ ثم على روحانيّتها اي انَّ لها اعمالًا تنفرد بها دون الجسم . وثانيًا على وجود قواها الثلاث وهي الذاكرة والعقل والارادة هذا مع بيان بقيَّة قواها المشتركة كالخيال والوهم والحافظة . وكلُّ ذلك قد بحث فيهِ الفلاسفة بحثًا شافيًا جليًا راجع مثلًا كتاب الشفاء لابن سينا وكتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه

مصدر النفس

قد خلط صاحب الهلال في هذا الباب الصحيح بالفاسد فانَّهُ لا صحَّة البتَّة لقولهِ « نعلم ان النفس تولد مع الجسد وتنتقل من الاب الى الابن بالتناسل » لانّ النفس كما سبق

بسيطة روحانيَّة فكيف يا تُرى يمكنها الولادة والولادة كما لا يخفى من صفات الاجسام ؟ او كيف تتناسل من الاب الى الابن أَفيزعم انها قسم من نفس الابوين ونفس الابوين بسيطة لا تتجزَّأ . هذا والعقل يبيّن بنوع صريح انَّها من الله خلقها على صورتهِ في ساعة يكون الجنين في بطن امهِ مهيئًا لقبول هذه الصورة الجوهريَّة

مصير النفس

سرنًا ما قالهُ في هذا الباب صاحب الهلال وقد نفى بالبرهان قول من زعم ان النفس تفنى مع الجسم وهو كفرٌ بَحْت ينقضهُ العقل وتأبى الاديان جميعًا بقبولهِ . الَّا ان استطراد الكاتب الاديب الى ذكر مذهب الوهميين اخرجهُ الى ما كان عنهُ في غنى لاسيما انهُ ذكر عنهم انهم يأتون بادلّة وبراهين تجعل رأيهم موضع نظر وبحث فانَّ اقوالًا كهذه كثيرًا ما ترمي العقول في الريبة فيحكم السُّذَّج انهُ ليس من امر ثابت في العالم وانَّ المزاعم كلها مع ضعفها يمكن تأييدها بالبرهان

وفي خاتمة ملاحظاتنا نقول ان كاتب هذه المقالة لم يسطرها عن روية وتبصرة فعجّل في رقمها وربما كانت مع العجلة الندامة . وما يشفع عندنا في حسن نيَّاتهِ قولهُ في آخر هذه النبذة وهو قول جدير بالثناء (ص ٣٤٤) « والخلاصة انَّ النفس قوة مستقلة عن المادة من صفاتها الوجدان والعقل والضمير والحكم اودعها الخالق في الانسان بكيفية لا ندركها وهي خالدة لا يشوبها نقص ولا يدركها فناء » . فياحبذا لو كان كاتبنا الاديب افتتح كلامهُ بهذا القول وبنى عليهِ مقالته وايَّدها بالبيّنات الساطعة متحاشيًا لكل ما يلقي الشكّ والرَّيب في العقول . وليعلم صانهُ الله انَّ مثل هذه المواضيع الخطيرة تقتضي الجدّ والدقة ولولا ذلك لأضحت اشبه بسيف ذي حدّين يجرح من لم يحسن التصرف بهِ ويجرح معهُ كثيرين

المآثر الجغرافية في سنة ١٨٩٧

للاب هنري لامنس اليسوعي لخَّصها عن مقالةٍ للاخ الكسيس بتصرُّف

انَّ السنة المنصرمة حريَّةٌ بان تُحصى في عداد السنين التي توفَّرت فيها المآثر الجغرافيَّة وليس كلامنا هنا على اكتشاف بلاد جديدة لانَّهُ يصعب وجود اصقاع مجهولة بعد ان طاف

الرحَّالون في جميع انحاء الارض وتوغَّلوا في مجاهل افريقية واوقيانية . نعم اننا نعلم انَّ البعثات العلميَّة قد تعدَّدت في ما سبق من الاعوام وخصوصاً في السنة ١٨٩٧ الى جهات القطب الشمالي . ولكن ليس شأن مثل هذه الرِحَل اكتشافاً جغرافياً بل الوقوف على مآثر علميَّة اخرى كالظواهر الجوّيَّة وما شاكلها

وكذلك لا يدور محور كلامنا على اوربَّا وفيها من النجاح من هذا القبيل ما لا ينكرهُ احد . وكذا قُل عن اميركة ولو بقي فيها قسم كبير لم يُصِب بعد من التقدُّم نصيباً وافياً . الَّا انَّ ما طُبع عليهِ هناك عنصر الاميركيين الابيض من النشاط لا يلبث ان يغيّر هيئة تلك البلاد جمعاء . فبقي علينا ان نبيّن ما ورد من هذه المآثر في افريقية واسيّة واوقيانية

١ افريقية

(السودان) انَّ اهمَّ ما جرى في السودان من الحوادث الجغرافيَّة هو اختطاط سكَّة حديديَّة بين ابي حَمد ووادي حلفا وقد اختطَّهُ المهندسون على خطّ مستقيم لا يلوي مع عَطَفات النيل وتعاريجهِ مصوِّباً الى دُنقلة وشلَّالاتها

وزد على ذلك انَّ خطًّا آخر سيجمع بين بربر وسواكين . وهذه المدينة كما لا يخفى هي مدخل بلاد السودان . امَّا بربر فمسافتها عن سواكين ٤٠٠ كيلو متر بينما انها تبعد عن بحر الشام بطريقة النيل نحو الفي كيلومتر

هذا وقد احتلَّ الجيش المصري كسَّلة بعد خروج الايطاليان منها . وقد تعيَّنت حدود المستعمرة الايطاليَّة في الارتيره من جهة الغرب وبعدها من كسَّلة عشرون كيلومترًا

(الحبش) قد دخلت بلاد الحبش في غضون العام الماضي في طور جديد . فانَّ انتصار النجاشي منليك على الايطاليان حرَّرهُ من ربقة دولة كانت تريد مزاحمتهُ في ملكهِ وجعلهُ اكبر أُمراء شرقي افريقية حتَّى عادت الدول الاوربيَّة نفسها تحاول معاهدتهُ وتلتمس مودَّتهُ . وقد عيَّن منليك لولاية النيل الاعلى الامير هنري دي اورليان والكنت الروسي ليونتياف . وتمتدُّ هذه الولاية الحبشية الجديدة في جنوبي الدرجة السادسة الى مقربة من البحيرات الكبرى اعني على اراضٍ كانت الدولة الانكليزية تعتبرها في منطقة نفوذها

(الدولة الفرنسيَّة الافريقيَّة) هو الاسم الذي يجب مذ الآن اطلاقهُ على مجموع الاملاك الفرنسيّة في افريقية . وامتداد هذه الامارة في الوقت الحاضر من البحر المتوسط الى

نهر الكنغو. ومن السنيغال الى النيل الاعلى وهي تشمل فضلًا عن الجزائر وتونس بلادَ الصحراء والسودان الغربي وغينية بقسمها الاكبر. وذلك عبارة عن بلاد اوسع من اوربَّة تبلغ مساحتها اثني عشر مليون متر مربَّع تراها مكتنفةً بالاملاك الانكليزيَّة والالمانيّة والبورتغيّة الممتدّة على سواحل غينية وتكاد تغمرها بسعتها

ولا تزال فرنسة تتقدَّم من الجزائر الى البلَاد الجنوبية فتتَّخذ لها مراكز جديدة. وقد بعثت البعثات من جهة بلَاد النيجر الاعلى ومن الداهومي لتحتلّ بالقوّة او بابرام المعاهدات كل الاراضي الممتدّة من مصبّ نهر النيجر شمالًا والدرجة العاشرة عرضًا. وعلى هذه الصورة قد تملّكت ولاية (الموسّي) التي لا يقلّ سكّانها عن ثلاثة ملايين نفوس. وقد ضبطت بعثةٌ اخرى سارت من الداهومي بلادَ (بوسّا) المتاخمة لشواطئ النيجر. فقضى هذا الاحتلال العجبَ من الانكليز وكانوا يظنُّون ان تلك البلاد ستنتمي الى املاكهم. فنتج عن ذلك مشاكل دوليَّة يتحرَّى حلّها ذوو الامر في باريس ولندرة

وقد عُقدت عهدة بين فرنسة والمانية غايتها تعيين الحدود الشماليـة لمستعمرة (توغو) الالمانيّة على ساحل الذهب. فبناء عليها قد اصبحت الدرجة الحادية عشرة عرضًا تخمًا لهذه المستعمرة وكان الالمانيُّون يتمنَّون لو جُعِل النيجر حدًّا لها

وبموجب وثيقة اخرى أُبرمت بين انكلترّة والمانية قد اضحت بلاد (سَلَاغا) الواقعة في شمالي ساحل الذهب ومستعمرة توغو الالمانيّة مستقلّة بين الدولتين

(النيجر) ليس هناك من امرٍ جديد حريّ بالذكر الّا انَّهُ في بلاد النيجر الاسفـل قد خضع رؤساء القبائل ومدّت الاسلاك الحديدية بين ولاية لاغوس وأَبيوكوتة

(الكنغو الفرنسيّ) لا يزال في امتداد واتساع وكانَّ غاية الفرنسيس ان يبلّغوا املاكهم الى بحيرة (تشَاد) شمالًا والنيل شرقًا مارّين ببلاد بحر الغزال حيث تعدّدت الآن البعثات الفرنسيّة. ولا نلبث ان نعلم عمَّا قليل ما كانت نتيجة هذه المساعي التي تشغل في الوقت الحاضر افكار الجمهور وتطلق أَلسنة الجرائد

(الكنغو البلجكيّ) قد كانت عُهدت الى الماجور دَانِيس وكالة الحملة الموجَّهة لمحاربة انصار المهديّ في بلاد النيل الاعلى غير انّ جنودهُ جنحوا الى العصيان وكان عددهم الفين وهم مسلَّحون ببواريد من الطرز المحسَّن فقتلوا كثيرين من ضبَّاطهم وفي جملتهم الضابط إنْوِر احد تلامذة مدرستنا الكليَّة الذي عرفهُ كثير من قُرّائنا الكرام. وقد حُسِمت والحمد لله

هذه الفتنة موخرًا فأُصيب كثير من العُصاة بجوار بحيرة أَلبرت وبُدِد شملهم

واذا يمَّمنا بعدُ جهةَ الشمال نجد القمندان شَلْتِين يُواصل فتوحاتِهِ وقد استولى على مدينة رَجَّاف على ضفَّة النيل وهي البلدة التي استفحل امرها بعد سقوط مدينة لادُّو القديمة. وعليهِ قد تولَّى البلجكيُّون على الاملاك التي احتلّها سابقًا امين باشا وذلك بمقتضى معاهدة أُبرمت بين انكلترة وفرنسة وكلاهما يتاخم للكنغو البلجكي

وكان البلجكيّون قد اخذوا منذ سنين بتخطيط سكّة حديدية بين مَتادي الواقعة بجوار مصبّ نهر الكنغو وليوبولڤيل المنويّ اتخاذها عاصمة لبلاد الكنغو. وقد انتهى منها ٣٣٠ كيلومترًا اخذ اصحابها بتسميرها والباقي سيتمّ قبل آخر السنة الجارية. فاذا ما نجز هذا المشروع الخطير سترى الخمسين مركبًا بخاريًّا السائرة في نهر الكنغو الاعلى تواصل المخابرات ونقل البضائع بين اواسط افريقية وسواحلها الى اوربة. ولولا وجود السكة الحديدية لعجزت عن ذلك لانَّ النهر لا يمكن قطعهُ بالمراكب البخاريَّة في كل اقسامه

(افريقية الجنوبيَّة) لا يزال جنوبي افريقية في قلق واضطراب بعد حملة السير جَمْسُون وخيبة آمالهِ. وقد تحالف هناك في بلاد أُورَنْج والترنسڤال جمهوريَّتا البويرُس محالفةً دفعيةً لتتَّقيا بذلك هجمة المعتدين. ورغمًا عن هذه الحالة الحرجة انَّك ترى تلك المستعمرات في خصب وفلاح لاسيَّما جمهورية الترنسڤال. ومدينة جُهَنسبرج المبنيَّة منذ عشر سنين في وسط معادن الذهب تبلغ اليوم نيفًا ومئة الف نفسٍ اكثرهم من رعايا انكلترة

هذا وانَّ السكّة الحديدية الشهيرة المختطّة سابقًا بين مستعمرة رأس الرجاء الى كِمبِرلي مدينة الالماس قد امتدَّت الآن الى بُولوايو عاصمة المَتابيليلَند الانكليزيَّة وستلحق بالزَّمبيز. وزد على ذلك انَّهُ قد بوشر منذ بضعة سنين بمدّ خطّ آخر حديدي يسعى بهِ الانكليز والبرتغاليّون معًا اوَّلهُ في اعالي البلاد الداخلية حيث يبلغ العلوّ الف وستمائة متر ثم ينحدر الى مرفإِ بَيْرَة الواقعة في مستعمرة مزنبيق البورتغالية. وقد اطلقوا اسم (رُوديزية) على كل البلاد التي احتلّها الانكليز في تلك الاصقاع وذلك تذكارًا للسِير سيسيل رُود المدعوّ بُنَبَرْت مستعمرة الرَّاس لما لهُ من الفضل في تدبير تلك الانحاء

امَّا (المُزَنْبيق) فلم يبلغ في معارج الفلاح ما بلغ اليهِ الانكليز والالمان في قسمَيْ الزنجبار الخاصّ بهما. والانكليز يجدُّون في اتمام الخطّ الحديدي الذي اخذوا في مدّهِ بين مُمبازة وبحيرة ڤيكتورية

(مدغسكر) قد صارت هذه الجزيرة الكبيرة مستعمرة افرنسيَّة بعد ان كانت مملكة مستقلَّة . ففي ٢٧ شباط من السنة السابقة جاهر الجنرال غلياني بعزل الملكة راناڤالونا حسمًا للفتن التي كانت تثيرها بين شعبها على الفرنسيس . وبعد ذلك بأيَّام نُقلت على رغم منها الى جزيرة الريونيون وقد عيّن هناك راتب سنوي لا يتجاوز خمسة وعشرين الف فرنك لتلك التي كانت منذ امدٍ قريب تملك على اربعة ملايين من النفوس . سبحان من يبقى ملكهُ على مدى الدهر دون تغيُّر وبلا انتقال . واليوم تسعى فرنسة في فتح باقي جزيرة مدغسكر . ولا يخلو هذا المشروع من مصاعب جمّة لا يغلبها الفرنسيس الّا بعد إنفاق الاموال الطائلة وتحمُّل اجناس الاتعاب

وخلاصة الامر ان انكلترَّة في السنة السابقة لم تفتح الفتوحات الجديدة في افريقية وانَّما سعت في تمكين سلطتها في املاكها القديمة . وقد سبقتها فرنسة في ضبط عدّة بلاد حتى اتَّسعت املاكها الافريقية اتّساعًا لم يخطر على بال . هذا وان افريقية طعمةٌ يحبُّ جميع الدُوَل ان يكون لهم منها النصيب الكبير . ولم تنتهِ بعدُ حوادث تلك البلاد . ونحضُّ قرّاءنا ان يتبصروا في خارطة قارة افريقية لا سيَّما الدرفور والكردفان والنيل الاعلى والحبش وسيطلعنا الزمان على امور لم تكن في الحسبان

٢ آسيَــة

(آسيّة المتوسّطة) قد أُرسلت بَعَثات علميَّة عديدة الى بلاد (قَشْمــير) وسهول (تُبَّت) العليا . فزار اعضاؤها ينابيع النهر الصيني المسمَّى « ينغ تسي كيان » او النهر الازرق وبحيرة كوكونور . لكنهم مثل سَلَفهم لم يتمكّنوا من الولوج في مدينة لاسًا مدينة البُدّيين المقدَّسة

وقد اكتشف رحّالةٌ فرنسيّ في (تركستان الروسيَّة الصينيَّة) على سطوح كبيرة من الجليد وبلغ في سيرهِ الى علوّ ١٧٥٠ متر فزار هناك بحيرة جميلة المنظر تدعى إيسيك كُول والغريب من امر هذه البحيرة انَّها كلَّها مالحة يُحدق بها صخور مرتفعة تشرف عليها . وتأكَّد بعد الفحص ان اصل نهر ايسيك من هذه البحيرة يخرج منها جاريًا بأسراب تحت الارض

(سيبيرّية) قد طاف افرنسيٌّ آخر الوهاد التي في وسطها تجري مياه نهري أُوبي و إرْتيش . وفي سيبيريَّة سهول واسعة تُدعى بُورًا (steppes) فوجد هناك اصنافًا من النبات يمكن استخراج اليود والبروم منها وقد وقف في مواضع كثيرة على طبقاتٍ من الملح فاستدلّ من ذلك على ان البحر غمر تلك البلاد مدَّة طويلة . ولا يزال هناك بحيرات كثيرة مياهها مالحة

وردية اللون لوجود الحديد فيها . وهذا المعدن كثير في سيبيرية . وقد وُجدت ايضاً في هذه البلاد الواسعة لاسيما في البور وفي بطاح نهر ينيسّي وحوالي بحيرة بَيكال وفي واد نهر أَمور مناجم عديدة للفحم يمكن استثمارها اذا ما نفدت يوماً مناجم اوربة الفحمية

وكان اكتشاف هذه المعادن صدفةً لمّا شرع الفَعَلة بالاشغال السابقة لتخطيط السكة الحديدية المجتازة في وسط سيبيرية . وعليهِ فان ما تحتاج اليهِ قطارات سكك الحديد من الفحم في تلك البلاد يكون قريب المنال ومن ثمّ اخذ كثيرون من الفلّاحين الروسيّين يهاجرون الى تلك النواحي . الّا انّ قلّة الماء العذب يجعل السكنى فيها حرجةً . والابار الارتوازيّة نفسها التي حُفرت هناك لم تأتِ بغير الماء المالح

وعلى كل حال انّ اهمّ حادث يجري الآن في سيبيرية انّما هو تخطيط السكّة الحديدية وهي سوف تقطع تلك البلاد في طولها وسيتّصل بها خط آخر يمرّ في اواسط بلاد مندشوري . ولا غرو ان الروس يبنون على اتمام هذا المشروع آمالاً عظيمة . وما ذاك الّا نتيجة السياسة الاوربيّة لمّا تداخلت منذ نحو سنتين في الحرب المنتشبة بين الصين واليابان . فكان لهذا التوسُّط عقبى سيئة بأن أُلقيت مقاليد الامور في آسيّة المتوسطة لروسيّة وحدها تقضي في شمالي الصين وفي شبه جزيرة قورية كما تشاء . وبواسطة هذا الخط الجديد الذي تولّى انجازهُ جماعة روسية صينية يتمكّن الروس من الانتقال باسهل وأقوم طريقة من بحيرة بيكال الى مينا ڤلاديسقستوك الخاصّ بروسيّة على تخوم قورية

(التطواف حول الكرة الارضيّة) قد كثر القال والقيل في اقرب طريقة للتطواف حول الارض . وكان معاصرو الرحّالة مجلّان يقضون منهُ العجب لمّا اتمّ سيره حول الارض بالف ومائة واربعة وعشرين يوماً مجتازاً بجنوبي اميركة فبحر الاوقيانوس فرأس الرجاء عائداً الى اسبانية . نعم ان اكتشاف البخار وحفر قناة سويس قصّرا هذه المسافة تقصيراً كبيراً حتّى ان القصّاص جُول ڤِرْن امكن ان يبني على ذلك رواية علميّة دعاها « تطواف الارض بثمانين يوماً » . وما كان ذاك وقتئذٍ الّا محض اختلاق . امّا اليوم فقد اضحى اختراع جول ڤرن غير وافٍ بصدق الواقع ويمكن الدوران حول القارة الارضيّة بثلاث وستين يوماً . وذلك ان يرحل المسافر من لندرة او باريس الى برنديزي بيومين في سكة الحديد ثم يُبحر الى سويس فعدَن بتسعة ايّام ثم الى كولومبو فسَنغَبور فهُنغ كُنغ بثمانية عشر يوماً ثم الى يوكوهاما في اليابان بعشرة ايّام ثم الى سان فرنسيسكو بثلاثة عشر يوماً ثم يركب سكة الحديد الى

نيويرك باربعة ايَّام ونصف ثم يركب البحر الى ليڤربول بستَّة ايام فيقفل راجعاً الى باريس او لندرة بيوم واحد . والمجموع ٦٣ يوماً ونصف

فهي الطريقة التي يسلكها كثيرون اليوم امَّا لاشغالهم الخاصّة وامَّا على سبيل الراحة والنزهة . واذا ما تمّ الخطّ الحديدي المارّ بسيبيرية ومندشوري الى تخوم قورية فستقصر هذه المسافة كثيرًا لانَّ السَّفر برًّا بالطريق الحديدية من باريس الى فلاديسڤستُوك مجتازًا في موسكو لا يتجاوز اثني عشر يوماً . فاذا زدت اثني عشر يوماً أُخر الى سان فرنسيسكو بحرًا وعشرة ايام للعودة من ثمَّ الى باريس تجد انَّ دوران الارض سوف يتمّ عمَّا قليل باربعة وثلثين يوماً . ولا يبعد ان ستُقرَّب بعد عشرين سنة هذه المسافة فيحصر هذا السفر في مدّة عشرين يوماً ليس الَّا وذلك اذا سار المسافرون من قورية نحو جزيرة (ڤان كوڤير) بدلًا عن سان فرنسيسكو

ويحسن بنا ان نبدي هنا ملاحظة وهي ان قولنا « التَطْواف حول الارض » لا يؤخذ حصرًا في معناهُ الاصلي لانَّ الارض كما لا يخفى على شكل ليمونةٍ يختلف فيها طول الدوائر . فانَّ دائرة خطّ الاستواء اطول من غيرها لانَّ منطقتها اوسع . وتضيق الدوائر باقترابها من القطب الجَنوبي او الشمالي فتنقص هكذا المسافة نقصاً مهماً ربَّا بلغ الى الوف من الاميال . فانّ من يطوف الارض مثلًا في زماننا لا يقطع في دورتهِ هذه سوى ٣٧٠٠٠ كيلومترًا لقصر المسافات بالسير المستقيم وقد قطع مجلَّان قريباً من ضعف هذه المسافة لسيره سيرًا ملتويًا

(جزائر هاواي) كانت عين الاميركيين منذ زمن طويل تطمح الى هذه الجزائر لتتولى امرها . ومن نحو سنتين حدثت هناك ثورة عُزلت باثرها ملكة تلك البلاد واسمها ليليوكالاني فصار الامر للجمهور . والآن يتباحث الاميركيُّون في الاستيلاء على هذه الجزائر وقد اقتُرحت المسئلة على مجلس النواب فصادق عليها ولا يلبث مجلس الشيوخ ان يثبت مطلوب النوّاب كما يلوح من خطاب القاهُ مؤخرًا رئيس الولايات المتحدة السير ماكنلي

(اليابان) ان انضمام جزائر هاواي الى اميركة لَأَمر خطير يمسُّ صوالح اليابان وعليهِ لمَّا سكتت الدُوَل على هذا الصنيع رفعت اليابان صوتها تطلب الى اميركة ان تدع هذه الجزائر وحالها الراهنة لا تختلس منها قديم استقلالها . لكنّ هذا الصوت سيذهب ادراج الرياح لما يعلم الاميركيون في نفسهم من القوة الجابرة

وقد بخست روسيّة ايضاً اليابانيين قدرهم لمَّا زاحمتهم في حقوقهم على قورية بعد انتصارهم على الصين . ولروسية الآن هناك الكعب العالي والقدم الراسخة وغاية مناها ان

تستولي على هذه شبه الجزيرة فتتَّخذ لها فيها مرفأً اولى موقعاً من مرفأ ڤلاديڤستوك يتَّصل به خطّ سكّتها الحديدية السيبيريَّة

(الصين) وكانت دولة المانية لم تنتفع حتى الآن من توسُّطها في الحرب اليابانيّ الصيني . ففي هذه السنة استُغنمت فرصة حسنة وافقت مرامها . وذلك ان مرسلَين كاثوليكيين من رعاياها قتلهما الصينيُّون ظلماً في مدينة يَنْتيبوفو في ولاية شَنْتُنغ (وهي شبه جزيرة في جنوبي خليج بِتْشيلي) . فلم يكتفِ الامبراطور غليوم بغرامةٍ تبلغ عشرين الف ريال ومعاقبة المجرمين بل امر جنوده ان يحتلُّوا مدينة كياوُتشيو مع الخَور اللاحق بها وطلب ان يُمنح لهُ امتياز في مدّ سكة حديدية في تلك الولاية . يقال ان غايتهُ ان يجعل كياوتشيو على الاقلّ مستودعاً محمياً . والظاهر ان الروسية وفرنسة اتفقتا على تداخل المانية في الصين لتعترض هذه الدولة مساعي انكلترة ونفوذها المتزايد

امَّا الحكومة الصينيَّة فقد عزمت ايضاً على ان تمدّ خطّاً حديدياً طولهُ الف ومائتا كيلومتر بين عاصمتها السياسيَّة بكين وعاصمتها التجارية هَان كوف . وهذه المدينة مركزها في وسط بلاد يبلغ عدد سكَّانها ثلاثة ملايين نفوس وموقعها على ضفَّة النهر الازرق . وقد سلَّمت إنجاز هذا العمل الخطير لجمعيَّة بلجكيَّة لعلمها بان البلجكيّين لا يتَّخذون ذلك في المستقبل وسيلةً للاستيلاء على قسم من بلادها

(الهند الصينيّ) قد نال الفرنسيون فيها املاكاً واسعة وبعد معاهدتها المبرمة مع انكلترَّة قد تولَّت على ثلاثة ارباع مملكة سيَّام السابقة ولم يبقَ لهذه الدولة سوى البلاد التي فيها يجري نهر مينام الصغير . وقد فتحت لها ايضاً ابواباً لتجارتها وسككها الحديدية من جهة بلاد اليونَّام وغيرها من ولايات الصين الجنوبية

(الهندستان) ان السنة المنصرمة كانت سنةً مشؤومة لانكلترَّة في هندستان . فقامت الفتن على ساق في ولايات الهندوكوه والشِترال الافغانية فهجمت قبائل الافريدي على مراكز كثيرة انكليزيَّة في الجبال ولا تزال منذ اشهر تنصب لجنودها المكامن وتشنُّ عليهم الغارات وحتى الآن لم تخمد نار الثورة . اجل ان الدولة البريطانية لا تتأخر عن حسم هذا الداء . ولكن قد ظهر من خلال هذه الفتنة ما تكمنهُ القلوب من العصيان وروح التمرد حتى اذا نوت الروسية يوماً ان تحتلّ الهند لا مراء انها ستجد هناك انصاراً بين القبائل التي لا تحمل نير السلطة الانكليزيَّة الَّا على رغم معاطسها . ولا تجهل انكلترة هذا الامر وذلك

هو الباعث لها على الانقياد والاستسلام لرضى الدول اذا ما انتشبت بينها وبينهنَّ الخصامات . فتراها قبل كل شيء تحاول حفظ الهدوء والسلام بين رعاياها في الهند وفي ظلّ حراستها قد زاد عدد السكان ثلاثة اضعاف في مدة قرن واحد وهم لا يقلُّون اليوم عن ٣٠٠ مليون . اعني انهم يكادون يبلغون عدد سكان اوربة كلها

٣ اوقيانية

لم يجر فيها امر جدير بالذكر سوى ما سبق شرحهُ عن جزائر هاواي . امَّا الحرب التي استعرت نيرانها في جزائر الفيلبين وفي أتشين بجزيرة سوماترا فقد اوشكت ان تخمد

وخلاصة ما تقدَّم ان السَّنَة ١٨٩٧ وان تعدَّدت فيها المآثر الجغرافية لم يجر فيها شيء من الاكتشافات الخارقة العادة . فلم يقم فيها رحَّالة كليڤنغستون او مِسْفار كستانلي . وما اتّسمت بهِ هذه السنة ان الدول ارسخت قدمها في مستعمراتها واوسعت نطاق اعمالها في البلاد المجاورة لها مع تقوية نفوذها في الممالك الاجنبية . ولعلَّ الروسيَّة هي التي اصابت في ذلك قصب السبق . وما من احد ينكر انَّ لها في الصين وبلاد الحبش الكلمة الراجحة . ويُستشفّ من وراء الاحوال السياسية انها عمَّا قريب تتولّى على قورية وعلى قسم من بلاد المندشوري الصيني

وفي اوربَّا قد نالت الحكومة العلية بعد انتصارها على اليونان ان تتنازل لها هذه الدولة عن قسم من تخوم تسَّالية . امَّا الدنيمرك فانها تسعى لدى الدول بان تُشهَر كبلاد مُحايدة لا يسوغ لدولة انتهاك حماها . والمظنون ان الدول ستلبي طلبها

في افريقية وحدها قد تغيَّرت رسوم الخارطة وسوف يزيد ايضًا هذا التغيير في تحديد تخومها لانهُ لا قارة غيرها يمكن فيها استملاك بلاد جديدة . ونحن نتوقع للسَّنة الحالية امورًا خطيرة في اواسط افريقية

كتاب تاريخ بيروت

(تابع لِما قبل)

قال ياقوت الحموي في كتاب معجم البلدان : خرج من بيروت بشر كثير من اهل

العلم والرواية . قال المؤيَّد في كتاب تقويم البلدان (١ : بيروت مدينة جليلة . (وقال) قال ابن سعيد : هي فُرضة دمشق . ويقال انّ بيروت دار صناعة دمشق وبها عمَّر معاوية المراكب وجهَّز فيهم الجيش الى قبرس ومعهم امّ حرام واسمها الغُمَيصاء (٢ بنت مِلْحان زوجة عبادة بن الصامت رضي الله عنهما فلمَّا رجعت رابطت ببيروت وماتت بها . ويقال ان في بيروت قبور جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ولكن ما اشتهر بها غير قبر الاوزاعيّ .
وممَّن ذكر بيروت في شعرهِ الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخليفة الامويّ فقال :

اذا شئتُ تصابرتُ ولا اصبرُ ان شئتُ
ولا والله لا يَصْبِرُ في البرِّيَّةِ الحوتُ
ألا يا حبَّذا شخصٌ حمتْ لُقياهُ بيروتُ

وممَّا ذكره المؤرخون انهُ في سنة خمس واربعماية (١٠١٥ م) اقطع الحاكم بامر الله (٣ خليفة مصر صورَ وصيداء وبيروت للفتّح (٤ عوضًا عن حلب ولقَّبهُ مباركَ الدولة وسعدَها وكان ارتفاع (٥ الثلاثة اماكن المذكورة ثلاثمائة الف دينار
وممَّا ذكروه ايضًا انهُ في شهر ذي القعدة سنة ثمان واربعين واربعماية (١٠٥١م) اقطع المستنصر بالله (٦ خليفة مصر عكَّا وبيروت وجبيل لمعزّ الدولة (٧ محمود (٨

١) في الصفحة ٢٤٧ من طبعة باريس

٢) وفي كتاب اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير (٥ : ٥٧٤) انَّ اسمها الرُّمَيصاء . (قال) وقيل الغميصاء ولا يصحّ لها اسم . . . توفّيت سنة ٢٧ ﻫ (٧٤٨ م)

٣) تولى الامر من سنة ٣٨٦ ﻫ الى ٤١١ (٩٩٧ - ١٠٢١ م) وهو صاحب الدروز

٤) كان الفتح هذا دودار قلعة حلب في خدمة صاحبها ابي نصر بن لؤلؤ فجرت وحشة بينهُ وبين استاذهِ فعصيَهُ واستولى على القلعة وكاتب الحاكم بامر الله فارسل الحاكم نوّابهُ فتسلَّموا المدينة من فتح واعطاهُ الخليفة عوضها صور وصيداء وبيروت

٥) نظنُّ ان المؤلف يريد بالارتفاع ما ندعوهُ اليوم بالخراج او الاموال الاميريَّة والجزية

٦) تولَّى المستنصر من سنة ٤٢٧ ﻫ الى ٤٨٧ (١٠٣٥ - ١٠٩٤ م)

٧) هو ابو علوان ثمال بن صالح بن مرداس كان ابوهُ صالح من امراء العرب فلمَّا توفّي سنة ٤٣٣ (١٠٤٤ م) الدزبري صاحب حلب سار ابنهُ ابو علوان اليها وتملَّكها وتلقَّب بمعزّ الدولة . ثمَّ نزل المعزّ للمستنصر سنة ٤٤٨ عن حلب فاقطعهُ عوضها جبيل وعكّا وبيروت

٨) لم يكن اسم معزّ الدولة محمودًا بل ثمالًا كما مرَّ . وانما محمود هذا هو ابن اخي معزّ الدولة . فلمَّا لم يرضَ بان ثمالًا تنزَّل للمستنصر عن حلب جمع قومهُ بني كلاب واسترجع المدينة سنة ٤٥٢ ﻫ (١٠٦٠ م)

صاحب حلب عوضاً عن حلب واخذ حلب منهُ. ثم استرجع اقارب محمود حلب من عمّال المستنصر فاستعاد المستنصر الثلاثة اماكن من محمود. وكان الذي يقوى على دمشق يملك على السواحل حسب ما ذكرهُ المؤرخون. ولولا خوف الاطالة لذكرتُ ذلك

فتوح الفرنج لبيروت

فلم تزل بيروت في ايدي المسلمين من الفتوح الاول المذكور تنتقل من دولة الى دولة والمسلمون بها على احسن حال واسرّ بال حتى نزل بهـا بَغدوين الفرنجي (١ الذي ملك القدس وكثيرًا من مدن الساحل في جموعهِ وحشودهِ وحاصرها حصاراً شديدًا حتى فتحها عنوةً بالسيف في يوم الجمعة الحادي والعشرين شوّال سنة ثلاث وخمسائة (١١١٠م) واستولى عليها قتلًا واسرًا ونهبًا. فالامر لله ما شاء فعل

وينبغي ان نذكر طرفًا من كيفية اخذ الفرنج للبلاد لتقرب قضيّة بيروت الى فهم الواقف على هذه التذكرة

فموجب استيلاء الفرنج على البلاد التي اخذوها من المسلمين (٧) هو انَّهُ لمَّا قويت دولة بني سلجوق (٢ ضعفت حال الخلافة ببغداد. فلمَّا مات ملكشاه السلجوقي (٣ سنة خمس وثمانين وار بعمائة (١٠٩٣ م) وقع الخلف بين ولديهِ محمَّد (٤ وبَركياروق (٥ ودام الحرب بينهما نحو اثنتي عشرة سنة فاضطربت ممـالك الشرق لذلك. ووافق ذلك خلافة الآمر باحكام الله (٦ بمصر وكان صغيرًا. ولمَّا كبر كان مستهترًا بالمملكة فبهـذين

١) هو ثاني ملوك الفرنج في القدس تولى الامر بعد اخيهِ غدفريد وتوفي سنة ١١١٩ م

٢) يريد دولة بني سلجوق المالكين في العجم وتفرَّعت هذه الدولة وملك منها فرعٌ في بلاد الروم وفرع آخر في كرمان

٣) هو معزّ الدين ملك شاه بن الب ارسلان ملك العراق وخراسان وكرمان وخوارزم والارمن والكرج وما بين النهرين الى شمالي سورية. تولى الامر سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م) وتوفي سنة ٤٨٥ (١٠٩٢)

٤) هو غياث الدين محمد ثالث اولاد معزّ الدين ملك شاه توفي سنة ٥١١ هـ (١١١٨م)

٥) هو ركن الدين بركياروق اكبر اولاد ملك شاه حارب اخاهُ محمَّد زمنـاً طويلًا وتوفي سنة ٤٩٨ (١١٠٥ م)

٦) هو الآمر باحكام الله المنصور ولد المستعلي تولى الخلافة سنة ٤٩٥ (١١٠١ م) وقتل سنة ٥٢٤ (١١٣٠ م)

الحالين صار الوقت للفرنج كما يقول المثل : «خلا لكِ البرُّ فبيضي واصفري (١ »
ثم وصلت جموع الفرنج في البرّ الى انطاكية فملكوها في جمادى الاوّل سنة احدى وتسعين واربعمائة (١٠٩٨ م). ثم اخذوا القدس في شَعْبان سنة اثنتين وتسعين واربعمائة (١٠٩٩ م) واستولوا في طريقهم من انطاكية الى القدس على اماكن كثيرة بعد قتال شديد. وقُتل من المسلمين على انطاكية وفي المعرّة وبالقدس ما يزيد على مائتَيْ الف مسلم. ثم بعد ذلك تزايد مَدَد الفرنج من البحر الى السواحل وانضمُّوا الى الفرنج الذين حضروا من البرّ واستولوا على مدينةٍ بعد اخرى حتَّى اتوا على ساحل الشام جميعهِ وعلى غيرهِ من البلاد وفي جملة ما اخذوهُ بيروت كما ذكرنا

قال صاحب كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النوريَّة والصلاحيَّة (٢ : كانت قد قويت شوكة الفرنج في عهد ولاية زنكي والد نور الدين محمود العادل. وخمدت همَّة المسلمين وامتدَّت مملكة الفرنج من ناحية ماردين الى (8^r) عَريش مصر. ولم يتخلَّلهُ من ولاية المسلمين غير حلب وحماة وحمص وبعلبكّ ودمشق. وكانت سراياهم من ديار بكر الى آمد ومن ديار الجزيرة الى نصيبين ورأس عين. وامَّا اهل الرَّقَّة وحرَّان فكانوا معهم في ذلّ وهوان. وكانت الرُّها وسَروج وغيرها من ديار الجزيرة للفرنج وكانوا يأخذون الخراج من مجاوريهم. ومع ذلك قد ذكر كثير من المؤرّخين ما اتَّفق في حصار الفرنج لحلب وحمص ودمشق وما جرى على مصر من الفرنج حتَّى كادوا يستملكونها

وبعد ذكرنا ذلك ينبغي ان نذكر لمعةً مختصرة في موجب قهر الفرنج واخذ البلاد منهم ليكون ذلك قاعدة لمعرفة فتوح بيروت

---

١) والمعروف « خلا لكِ الجوّ » وهو مثل قالهُ طَرفة الشاعر وكان نثر حباً ليصطاد القنابر فلم تقرب اليهِ ما دام الفخّ منصوباً فلماَّ رفعهُ تواردت عليهِ القنابر يلقطنهُ فقال :

يا لكِ من قُنبرةٍ بِمَعْمرِ قد رحل الصيَّادُ عنكِ فابشري
خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري ونقرّي ما شئتِ ان تنقرّي

٢) الّفهُ الشيخ شهاب الدين ابو محمَّد عبد الرحمان المقدسي. امَّا ما استشهد بهِ هنا المؤلف فلم يروهِ بحرفهِ وانما روى معناهُ فقط (راجع الجزء الاول ص ٣٠ من كتاب الروضتين طبعة وادي النيل بالقاهرة سنة ١٢٨٧)

فصل في مجمل اخبار زنكي ونور الدين وصلاح الدين

وكان موجب استنقاذ البـلاد من يد الفرنج ان عماد الدين زنكي بن سَنْقر (١ قد اخذ الرُّها منهم وجرت بينهُ وبينهم حروب كثيرة ثمَّ تولَّى بعدهُ ولدهُ الملك العادل نور الدين محمود (٢ فحاربهم ايضًا. فلمَّا اخذ دمشق من مجير الدين أَبَق (٣ قويت شوكتهُ وتوقَّف حال الفرنج عن الزيادة والنموّ فانحطّوا. واتّفق انّ اسد الدين شِيركوه الكردي (٤ دعا نور الدين ليسير معهُ الى مصر لنصر شاور الوزير (٥ على ضِرْغام فجهَّز نور الدين العساكر وسار الى مصر ونصرَ شاور. ثم غدر شاور واستنجد بالفرنج فسار نور الدين الى محاربتهِ ودفع الفرنجَ عن مصر. ثم قُتِل شاور واستقرّ نور الدين مكانهُ في الوزارة. ولَمَّا توفّي اسد الدين شيركوه خلفهُ في الوزارة ابن اخيهِ صلاح الدين يوسف وتلقَّب بالسلطان الملك النـاصر (٦. وخطب باسم المستضيء بامر الله العبّاسي خليفة بغداد (٧ وترك اسم العاضد (8^r) لدين الله الفاطمي خليفة مصر (٨ واستقلّت مملَكة مصر. ثم توفّي نور الدين وتغلّب صلاح الدين على الشام واستفحل امرهُ وعظم شأنهُ. فلمَّا قدّر الله بنصرتهِ على جموع الفرنج قهرهم بالقرب من قبر شُعَيب (٩ عليهِ السلام في جبل حطّين من عمل صفد وابادهم قتلًا واسرًا. وذلك في نهار السبت لخمس بقينَ من ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (١١٨٧م)

١) هو اوّل الملوك الاتابكة في الموصل تولى الامر من سنة ٥٢١ الى ٥٤١ هـ (١١٢٧ – ١١٤٦م)

٢) تولّى على حلب بعد وفاة ابيهِ زنكي وخلفهُ في الامرة عليها. توفّي سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م)

٣) هو أَبَق بن محمَّد بن بوري من اتابكة دِمَشْق تولى الامر سنة ٥٣٤ هـ (١١٣٩ م) وخلعهُ من ملكهِ نور الدين سنة ٥٤٩ (١١٥٤ م)

٤) كان احد امراء نور الدين وهو عمّ صلاح الدين يوسف ولّاهُ نور الدين حمص والرحبة وقدَّمهُ على جيوشهِ فاستولى على مصر مرارًا وتوفّي سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٩م)

٥) كان وزيرًا للخليفة الفاطميّ العاضد فنازعهُ في الوزارة احد امراء العرب البدو يدعى ضرغامًا وطال بينهما الخصام. واخبار ذلك تجدها مطوَّلة في تاريخ ابي الفداء من سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٢م) الى سنة ٥٦٤ (١١٦٩م)

٦) ملك صلاح الدين من سنة ٥٦٧ (١١٧٤ م) الى سنة ٥٨٩ (١١٩٣م)

٧) تولّى الخلافة في بغداد من سنة ٥٦٦ (١١٧٠ م) الى سنة ٥٧٥ (١١٧٩ م)

٨) تولّى الخلافة الفاطميَّة في مصر من سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠م) الى سنة ٥٦٧ (١١٧١م)

٩) كذا يدعو العرب حما موسى النبي واسمهُ في التوراة يَثرو

فذلّ الفرنج وضعفت قوّتهم. وتوجّه كثير منهم الى صور وتوجّه السلطان الى عكّا فاخذها. وفرّق عسكره في تلك الاماكن والحصون القريبة منها فاخذوها لخلوّها من الفرنج وكانوا ساروا الى حطّين. ثمّ توجّه السلطان الى صور فصعب عليهِ اخذها لاجتماع الفرنج بها. فتركها وتوجّه الى صيداء فاخذها بالأمان ثم توجّه لقصد بيروت (ستاتي البقية)

الانتقاد (تابع لما سبق) — ما ينقصنا

٢ القول الجامع المانع

(للشاب الاديب نجيب افندي حبيقة مدرّس البيان في كلّيتنا)

لقد اتخذتَ لك يا صاح موضوعاً تبحث فيهِ فبادرتَ الى «تشغيل السراج» واطلتَ النظر في ما جمعتَهُ من الموادّ حتى انجلت لك اسراره وغوامضهُ واصبحتَ على بيّنة واضحة من دقائقهِ ووثقتَ من نفسك بالكفاءَة فاخذت اليراع .. على رسلك يا اخي ولا تنقل القدم الى ما يُعقِب الندم. فان تكن توفّرت لديك الموادّ فعليك ان تُفرز غثّها من السمين. فالاعتماد في البلاغة ليس على الكثرة بل على المفيد. وما كان وقوفك على حقيقة الموضوع ودقائقهِ ليغنيَك عن أن تحلّيهُ بالضبط وتحذف منهُ الفضول غير مأسوف عليه

فقل لي ناشدتك الله هل تدبّرتَ موضوعك بعين الناقد البصير ورسمتَ لهُ قالباً تفرغهُ فيهِ فاعتنيتَ بجمع شتاتهِ وتنسيقهِ حتى تلاحمت اجزاؤُهُ وارتبطت معانيه بعضها ببعض من غير حشو فجاءَ كلاماً جامعاً لكل ما يلزم مانعاً لكل ما لا يلزم؟

فان فاتك ذلك ولم تفطن اليهِ فاسمع وفّقك الله شيئاً ممّا اورده الشاعر رَاسين بمعرض الهزل في رواية

المُرافِعين

هجم كلب على ديك مسمّن ففتك بهِ. وكان صاحبهما مولعاً بالدعاوي فعيّن حاجبهُ لمرافعة المجرم وكاتبَ سرّهِ للمدافعة عنهُ. وجلس هو يسمع كلا الفريقين ليقضي في الامر

ولمّا كان الحاجب يجهل كل الجهل أساليب المرافعة تعيّن لهُ ملقّن يلقي في أُذنهِ ما يجب عليهِ قولهُ فاخذ هذا الحاجب وهو المُرافع يتكلم بين تردّد وتقاطع واعتراض بصورة تضحك الثكلى مكرّراً عبارات الملقّن في معنى ما يأتي:

ايها السادة . اذا ما امعنتُ النظر في احوال الزمان وتقلّباتهِ . اذا ما رأيت بين افراد الناس على اختلاف طبائعهم نجوماً سيَّارة ليس بينها كوكب ثابت . اذا ما رأيت الشمس والقمر . اذا ما رأيت مملكة بابل افضت ازمّتها بعد العجم الى اليونان . اذا ما رأت دولة الرومان استبدلت الملكية بالجمهورية ثم عادت الى الامبراطورية . اذا ما رأيت القياصرة ومجدهم . اذا ما رأيت اليابان . . . . . .

فقال متضجّرًا كاتبُ السرّ وهو المُدافع : فمتى ينتهي ممَّا يراه ؟

فاستاء الخطيب من هذه المقاطعة وبعد الجدال حاول ان يعود الى سياق الكلام فلم يهتدِ واخذ يُنصِت الى الملقّن فيسمع صوتًا ولا يفهم معنًى ويحرّك ذراعَيْهِ في الهواء ولا ينطق ببنت شفَة . وممَّا زاد في الطنبور نغمة انهُ تلعثم وتعذّر عليهِ التلفظ بكلمة عويصة فضاق صدره وعيل صبره وصاح :

لا اعلم ما الحاجة الى جميع هذه الاقوال الفارغة . امَّا انا فلست اتخذ مثل هذه التعابير لأُخبر ان الكلب فتك بالديك بل استغني عن كل هذه السفاسف واقول بصريح العبارة (بالقلم العريض) ان هذا الكلب لا يُبقي على شيء . فقد كثرت شرورهُ . واول مرَّة اعثر بهِ اضربهُ الضربة القاضية والسلام (عافاهُ الله . فكم لأمثالهِ مع سذاجتهم من الاقوال والاعمال ما لا يخطر للمتفلسفين ببال)

ثم قام المُدافع وشرع يسرد عبارات لا معنى لها ويورد نصوصاً تاريخية وامثالًا ادبية وآياتٍ حكمية (مع انهُ تضجَّر من اسهاب خصمهِ) ويستند الى اقوال ارسطوطاليس . والقاضي يتململ ويصيح انّ لا دخل لارسطو في المسألة وهو لا يزيد الَّا شرحًا ووصفاً ونقلًا حتى بُحَّ صوتهُ . والقاضي يأمره باختتام خطابه ويتوعدهُ انَّهُ يحكم لخصمه إن لم يعجّل

فبعد اللّتيَّا والتي لم يجد بدًّا من الانصياع لامر القاضي فهتف : أمَّا ولا بدَّ من الايجاز (صانهُ المولى . وكيف الاسهاب) فاقول مختتمًا : قبل ان يخلق الكون . فصاح القاضي : ايها المحامي انتقل الى الطوفان وخلّصنا

فلم يرعوِ الخطيب بل مضى على كلامه فقال : قبلَ ان يخلق الكون كانت الارض والعوالم وسائر الكائنات في العدم . وكانت العناصر الاربعة الماء والهواء والنار والتراب كتلةً لا شكل لها ولا هيئة ولا انتظام . . .

وغير ذلك من الاقوال مستشهدًا بعباراتٍ من لغات مختلفة حتى ضاقت انفاس القاضي

واعياهُ الجهد فنام رغمًا عن ولعهِ بسماع الدعاوي . فاذا بهِ سقط عن كرسيّهِ واستفاق مذعورًا هذا والخطيب لا ينفكّ عن الكلام فاستولى اليأس على القاضي فولّى هاربًا

تلك هي (بالايجاز) حالة المُرافع والمُدافع . فما رأيك ياصاح . اجل انَّ راسين اورد ذلك من باب الهزل . وكم وكم من الكتّاب يبرمون القرَّاء من غير هزل ولا مزاح . وامثالهم كثيرون . ولكني اجتزئ بالاشارة الى البعض منهم . وهم اقوامٌ لا تخفى عن الناس حالهم

انّهُ لا يرزق رجل مولودًا الّا انهالت عليه قصائد التهانئ من كلّ صوب مشحونة مديحًا للاب ووصفًا لما حلَّ في الكون من الافراح بوفود الطفل . فيخال للقارئ ان هذا المولود ابن اعظم العظماء عليهِ عُلقت آمال امّة بل الامم جميعها . لهُ غنَّت البلابل وسطعت الشمس واهتزّت الارض طربًا وترنَّحت الافلاك حبورًا . ولولاه لما كان على الارض سرور و . . . و . . . و . . .

وان نالت رجلًا نعمة فلا تسل عن المهنئين والمقرّظين المتنافسين في وصفه ببلاغة سحبان وكرم حاتم وشجاعة عنتر فينعتونهُ بربّ السيف والقلم (وكثيرًا ما هما براء منهُ) ويجاهرون ان من كفَّيهِ دجلة والفرات والغيث والبحر (يا ربّ نجنا من الطوفان)

واذا مات بشر طفلًا كان او شابًا او شيخًا عظيمًا كان او من عامّة الناس . امطرتنا السماء مراثي كلّ منها اطول من شهر الصوم تذكر تاريخ الامم الغابرة وتعدّد صروف الزمان وما انزل من العبَر في الممالك الدارسة وتصف هول الخطب الذي اندكّت منهُ الجبال وتزلزلت الارض ومادت الافلاك وتزعزعت اركان السماء (فيقضي القارئ دكّات ورعبات كما تقول العامّة) وبكى الحيّ والجماد وتدفقت الدموع انهرًا وبحارًا (يا ربّ نجنا من الطوفان)

اراك يا صاح لا تذرف العبرات من هولِ مصابٍ اهتزّت لهُ الكائنات . كيف لا تتباكى مع الباكين فانت تضحك هازئًا بما تقرأ . واني انك لفي صواب

فما لهؤلاء الكتّاب في كل وادٍ يهيمون . ان كان ذلك قولهم في عامّة الناس فما يقولون في العظماء والملوك . ما لهم يهزّون الارض ويزعزعون اركان السماء لاقلّ حادثٍ يقع . ما لهم يبرمون القراء مجانًا بابيات لا تحصى وليس منها جدوى ومعانٍ لا طائل تحتها يكرّرونها في كل الاحوال واوصاف باطلة ينعتون بها كل فردٍ من البشر

او ليس من الصواب ان يعرضوا عن الكلام الفارغ الى الكلام الجامع المانع فيقولون في كل حادث ما يناسب مقتضى الحال ويصفون الرجل بمزاياه الخاصّة فلا يتعدّون الى

الاقوال العامّة المبتذلة . في الافراح يهنئون الرجل ويصفون فرح ذويهِ . وفي المديح ينعتون الممدوح بكمالاتهِ الشخصية . وفي المراثي يذكرون الفقيد بمآثره ويعزّون آلهُ بما يناسب المقام ممّا يكون بلسماً لجراحهم

امّا اذا بالغوا واشركوا في الافراح والاتراح الخافقَيْن والثقلَيْن وال . . . وال . . . عاد مدحهم ذمّاً وتهانئهم شقشقة لسان ورثاؤهم تهكُّماً

ويا حبذا لو عدلوا عن نظم القصائد فاراحوا انفسهم واراحوا الشعر والناس . فكانوا من القرَّاء لا من الكتَّاب واشتغلوا عن التأليف بمطالعة الابيات الرقيقة والمعاني المبتكرة التي تجود بها قرائح الشعراء الاقدمين والمحدثين فتظهر في حينها وفقاً لمقتضى الحال . فان هؤلاء الكرام يأتون من القول الجامع المانع بما لهُ اعظم وقع في النفوس فان مدحوا رفعوا . وان رثوا ابكوا وان وصفوا فتنوا الالباب . . .

قد ذكرتُ لك ياصاح صِنفَين من امثال المُرافع والمُدافع . وكم وكم بقي من الاصناف . فهيّا بنا نسمع الخطباء في المحافل والمقرّظين في الافراح والولائم والمؤبنين فوق كل ضريح وغيرهم وغيرهم ممَّن قالوا وكتبوا في كل أينٍ وآن فاضرُّوا بانفسهم وباخوانهم الافاضل . .

لكني اراك عيل صبرك ممَّا سمعت وكادت تبلغ منك الروح التراقي . فما عليَّ في ذلك من حرَج لاني بريء من طول الشرح . وما الصفحات مشحونة من كلامي بل من كلامهم حفظهم الله . ولولا ايراد اقوالهم لما تعدّيتُ الصفحة الواحدة

وعلى كلٍّ قد كفى ما قد ذُكر . انَّك رأيت العبرة فاعتبر . فعليك دائماً بالقول الجامع المانع . وايَّاك من الاسهاب المملّ والكلام غير المفيد . والَّا استعاذ الناس من شرّك صارخين : يارب نجنا من الطوفان

تنسيق المُزْدَرَعات *

لجناب الشاب الاديب سليم افندي اصفر

اننا نَفهم بتنسيق المُزدرعات تقسيم الاراضي المستثمرة الى قِطَع (وعند العامّة فِطَم) مساوية لعدد النباتات المزروعة فيها والفرنج يدعون ذلك (assolement)

* هذه اخصُّ التآليف الفرنسيَّة التي طالعناها لكتابة هذه المقالة :

L. Magnien : *Le Livre de la ferme.* — E. Gain : *Précis de Chimie agri-*

وندعو تبديل المُزدرعات اختلاف الزروع في الارض الواحدة على نسق معلوم يراد بذلك استثمار الارض على احسن الوجوه واصلحها. ودَوْر التبديل هو زرعُ النبات الواحد في قطعة الارض نفسها بعد سنين معلومة. وهذا الدَّوْر يكون ذا حولَيْن او ثلاثة احوال او اربعة الخ. على حسب الزمان الذي ينقضي بين الدورين

فلنفرض مثلًا ان بعض الاملاك قُسم الى اربعة اقسام فزُرعت بالتوالي بطاطة ثم شعير ثم حِمّص ثم حنطة فيكون تنسيق المُزدَرع مجموع هذه الزرائع النابتة في كل قسم من اقسام الملك مدة اربع سنين على المثال الآتي :

قطع الارض	السنة الاولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
القطعة الاولى	بطاطة	شعير	حمّص	حنطة
« الثانية	شعير	حمّص	حنطة	بطاطة
« الثالثة	حمّص	حنطة	بطاطة	شعير
« الرابعة	حنطة	بطاطة	شعير	حمّص

وعادة تنسيق المزدرعات بالغة في القِدم. وكان الفلاَّحون من اجدادنا لاحظوا انَّ الارض اذا تناوبت عليها اجناس الزرائع زكا زرعها وزاد ثمرها لكنّهم اختلفوا في سبب ذلك وقد تعدَّدت في ايَّامنا ايضًا الآراء في شرح هذا الامر وبيان لزومهِ. فقال البعض انَّ الارض تحتاج الى هذا التبديل او الى التحوُّل (وهو تركها بلا زرع سنةً) فتأخذ هكذا نصيبًا من الراحة. ومنهم من زعم ان للنبات نفورًا لغيرهِ من النبات او لذات نفسهِ. وتخيَّل غيرهم ان لكل نباتٍ مادَّةً يغتذي منها فاذا نفد في ارض لم تعد تلك الارض تصلح لهُ. وآخر ما ارتآهُ العلماء في ذلك هو قول الاب الخوري روزيار وهو يبني رأيهُ على اختلاف طول جذور النبات فيقول انَّهُ لا بُدّ من تخليف نباتٍ ذي جذر قصير لنبات آخر طويل الجذور سبقهُ. ولا تخلو بعض هذه الآراء من صحَّة لاسيَّما الاخيرة. وقد بيَّنت ذلك بيانًا شافيًا مقنعًا اكتشافات الكيمياء الحديثة مع معرفة فيزيولوجية النبات وخواصّهِ

cole. — L. Bussard et H. Corblin ; L'*Agriculture.* – E. Risler : *Physiologie et Culture du blé* — Degrully : *Cours à l'École d'Agriculture de Montpellier* – Schloesing : – *Chimie agricole.*

امّا الاسباب التي حملت الزرّاعين سابقًا الى تنسيق المزدرعات فرجعها الى ثلاثة : (الاول) عدم المواصلات السريعة بين البلاد . فلمّا كانت كلّ بلدة لا غِنَى لها عن عدّة محصولات لسدّ عوزها اقتضى الامر ان يتّخذ اصحاب الاملاك قطعًا كثيرة يزرعون بها زرائع شتّى لمؤونة سنتهم فكانوا فضلًا عن شجر الزيتون وجَفْن الكرم لاستغلال الزيت والخمر الطيّبة يزرعون ايضًا الحبوب لينالوا بها خبزًا لقوام معاشهم ومأ كلًا لماشيتهم ويُعنَون بزرع البقول كاللوبياء والفول والعدس ومنها غذاؤهم اليوميّ . (والسبب الثاني) قلّة السّماد وكانوا لا يقتنون منهُ حاجتهم . (والسبب الثالث) ما يطرأ على النبات من الطوارئ كامراض الزريعة واشكال الدويبّات وهم لا يدرون بامرها

تلك هي الاسباب التي الجأت قدماء الفلّاحين الى تنسيق المزدرعات وترتيبها . وكثير من هذه المشاكل قد ازالها تقدُّم فنّ الزراعة . ومع هذا النجاح لا يزال حذّاق الزرّاعين يوصون بتنظيم المزدرعات وترتيبها . غير ان هذا التنسيق قد اضحى اليوم مبنيًا على اصول راهنة وقواعد ثابتة ادّى اليها الاختبار الصحيح ولم يُترك كما كان سابقًا لخبرة كل فرد من الافراد ومعرفتهِ الشخصيّة . واليوم ترى اصحاب الاملاك يُراعون لذلك امورًا كثيرة كطبيعة الارض وتركيبها الكيماوي وهيئتها وموقعها الخ

نعم انّنا اذا اعتبرنا الامر نظريًّا وجدنا ان تخصيص الزرائع ببعض الاراضي دون تبديلها ليس بامرٍ محال وهي الغاية التي سوف يسعى وراءها ارباب الزراعة في العصر القادم اذا ما توفّرت وسائل الفلاحة . وذلك انّنا نعلم من مبادئ الكيمياء الحراثيّة انهُ يمكن حفظ التربة الارضيّة في خصبها الاول اذا أَمدَّها الزارع بِمَدَدٍ مناسب من السّماد . ولنا في ذلك مثل السيّدين لَاوِس وجِلبرت وكانا زرعا ارضهما قمحًا مدّة اربعين سنة دون انقطاع في مدينة روتمْستِد من اعمال انكلترة وكان مُعدَّل ما نالاهُ من الغلّة باستعمال السماد الكيماويّ سنويًا ازيد من ثلاثين هكتوليترًا في كلّ هيكتار ارضٍ . وهكذا الزرّاع پرُوتْ في سُوبريج بانكلترة يستثمر الحبوبَ في ارضِهِ سنويًا منذ ٢٧ عامًا وقد سمّدها بسماد كيماوي ومعدَّل غلّة الارض ٣٦ هيكتوليترًا ونصف وزنها ٧٥ كيلوغرامًا مع ٥٠٠٠ كيلوغرامًا من التبن . وهو لم يغيّر الزريعة سوى كل ثماني او عشر سنين او اذا عشّبت الارض وكثر باطل نباتها

ولكن في الواقع لم تثبت بعد فوائد هذا التخصيص وربّما اساء الفلّاح استعمال هذه

الطريقة او لم ينل من اتخاذها فائدة . وطالما بقيت اسعار المواشي ومحصولاتها مرتفعة بمقابلة اسعار الحنطة المتهاودة فلا يرضى الَّا قليلٌ من الزارعين ان يخصّصوا املاكهم لصنف واحد من المزروعات وتثميرها بالموادّ الكيماويّة ما لم تقلّ نفقات الاستغلال وتتوفَّر الوسائل الكيماوية والآليَّة فيحصل بذلك ربحٌ طائل . واذا فُرض ذلك فانّ تخصيص الاراضي على هذا الوجهِ لا يلائم كثيرًا من الزروع . وقد بيَّنت اختبارات السيّدين لَاوِس وجِلْبرت الآنف ذكرهما انَّ التسميد بدمال (زبل) الحيوانات او بالسماد الكيماويّ لا يفي بما تحتاج اليهِ من الغذاء والمادّة بعضُ البقول كالبِرْسيم والرَّطْبَة واللوبياء الخ ولا بدّ من تبديل الزريعة في مثلها . ولذلك اسباب بيّنها الأُستاذ دِهِرين المعلّم في مكتب باريس الزراعيّ ولا طاقة لذكرها هنا . وخلاصة الامر ان تخصيص بعض الاراضي لصنف واحد من الزروع وان كان ممكنًا من جهة الطريقة الكيماوية يستحيل في الغالب من جهة الطريقة الاقتصاديّة كما رواهُ المسيو رِسْلِر

فتنسيق المزدرعات هو اذن بالاجمال ذو فائدة كبرى وفي بعض الاحوال لا يُستغنى عنهُ مطلقًا . فدونك اخصّ الاسباب التي تقضي بالالتجاء اليهِ :

اوَّلًا اشغال الزراعة — ان الارض اذا تُركت على حالها اتت طوعًا بنبات لكنّها لا تغلّ الغلّات المثمرة الَّا بمساعدة الانسان وحيوانات الفلاحة . هذا وانّ كلّ صنف من الزروع يقتضي تهيئةً خاصَّة في التُربة المعدَّة لقبولهِ فاذا انقطع الزارع الى زريعة واحدة تشغل ارضهُ مدَّة شهور عديدة من السنة ربَّما نقصهُ الوقت اللازم لتنقية الارض وتوثيرها . وذلك امر لازب لاسيَّما في الاراضي الخزفيَّة كي لا ترصّ الارض فيضحي الشغل شاقًّا وتمسي الغلّة زهيدة . ومن جهة اخرى ان زرع البذور والقيام على صيانتها لأمران مهمّان يستوجبان دقّة في النظر ولمَّا كان عدد العَمَلة والدوابّ محصورًا فاذا اكتفى الزارع بجنس واحد من الزريعة اضنكهُ وذويهِ الشغل في وقت البَذْر وفي زمن الحصاد وبخلاف ذلك لا يكاد يجد لهم شغلًا في بقيَّة عامهِ . ولا يُنال من العَمَلة والدوابّ ما لديهم من طاقة الشغل الَّا اذا حمّلهم حملًا متوسطًا متداومًا دون تعب مفرط وراحة زائدة وذلك انّما يكون بتنسيق المزدرعات بنوع ان تتلاحق الاشغال طول السنة بنظام يقتضيهِ كلٌّ من انواع النبات

ثانيًا اهلاك الدويبّات المضرَّة واستئصال الاعشاب النافلة — اذا بقيت التربة مدّة سنين متتابعة مزروعة زرعًا واحدًا كثيرًا ما عشّبت وتوفَّرت فيها اشكال النبات المتطفِّل وتعدّدت

الدوّيبات المُفسدة وذلك لأنّها لا تزال تلقى في التربة مقامًا يلائم طبعها ويوافق نموّها . واذا كرّرتَ زرع الحبوب لاسيما القمح في سنين متوالية وجدت ان الغلّة تتناقص سنةً فسنةً . وذلك لان القمح يشغل التربة في قسم كبير من العام في اثناء ذلك تنمو الاعشاب الباطلة التي تنضج حبوبها وتنتشر بسرعة في كنف السنابل وعلى نفقتها . وعليهِ ينبغي ان تترك الاراضي بورًا مدّة سنة او سنتين

لكنَّ في الوقت الحاضر ليس من وراء ذلك منفعة لارتفاع اسعار الاملاك . ولدينا طريقة اخرى تفي بالغاية فتعطي التربة نصيبها من الراحة وهي بَدل الزريعة مع دَمْل الارض بالسّماد على نظام معلوم . والافضل ان تُعقب الزرائع المدعوّة بالمقذّرة وهي التي يكثر فيها العشب النافل بزرائع اخرى كالرَّطْبَة والكِرْسنَّة والحِمص ويدعى هذا النوع من النبات خانقًا لانهُ بامتداد جذورهِ وسُوقهِ فوق سطح الارض لا يكاد يترك فضاء ويخنق الاعشاب الباطلة اذا ادركت شيئًا من النموّ . ويؤثّر على هذا النوع نوع آخر من النبات يدعى بالنبات المُنظّف مثل الذُرة والبطاطة والشَّمَنْدَر والجزر والسَّلجم الخ . وذلك لان هذه النباتات اكثر ما تُزرع صفوفًا ويُعنى بها الزارع عناية خاصّة فيقلب تربتها وينقّيها ويكوّم حولها التراب فتبقى الارض طول مدّة نموّها نقيّةً نظيفة

واذا تعدَّد زَرْع الزريعة الواحدة في الارض نفسها ربّما تواردت عليها الدوّيبات الضارَّة التى تعيث بالنبات الجيّد ولا عيثَ الاعشاب المفسدة . ومن المقرَّر ان كلَّ جنس من النبات لهُ آفتهُ الخاصّة من الدوّيبات او العشب المتطفل فاذا تكرَّر زرع النبات نفسهِ في قطعة من الارض تسلّطت عليهِ هذه الدوّيبات والاعشاب لِمَا تلقى من الاحوال الملائمة لنموّها فالكتّان مثلًا اذا زُرع سنتين متواليتين في ارضٍ ما اصابهُ كشبه الحَرْق . وذُكِر ايضًا ان اغراسًا حديثة من الشمندر فسدت تمامًا بعد زرعها مرّتين في بعض الاراضي . والشواهد على ذلك عديدة لا حاجة لذكرها هنا

ثالثًا اقتناء السّماد — ومن منافع تنسيق المُزدرعات انّ الفلاّح ينال بذلك علفًا لدوابّهِ ولا بُدّ للعَلَف ان يختلف فيزيد على اختلاف الحيوانات وعددها . ولا يخفى ان الدوابّ هي التي بقوّتها تسهّل الاشغال الزراعية ثم تأتي بمحصولاتٍ أُخر كاللحم والصوف واللبن وتُبقي كميّة وافرة من السماد او الزبل . نعم ان اقتناء السماد سهل في غالب الاحوال لكنّ ما ينالهُ الزارع في بيته اولى وارخص

هذا وانَّ للسماد قوة مخصبة تزيد في ثمنهِ الَّا ان هذه القوّة تضعف اذا بقي مكوَّماً مدَّة طويلة . ولا طاقة لنثر السّماد وتفريقهِ في الوقت المناسب الّا اذا تعدّدت قِطَع الملك وزرائعهُ وذلك لانَّ بعض هذه القطع تكون خلوةً من الزريعة في بعض فصول السنة

وزد على ذلك انَّهُ اذا أعقبتَ الزرائع ذات الجذور المنبسطة بزرائع ذات جذور متعمّقة امكنك الانتفاع بكلّ ما لديك من السماد فلا يضيع منهُ شيء (ستأتي البقية)

التنوير

للاب موريس كولنجت اليسوعيّ مدرّس الطبيعيّات في المكتب الطبي

انَّ المرء يقضي نصف عمرهِ وهو يستضيء بنور صناعيّ . فالتنوير اذًا امرٌ ذو شأن سواء كان من حيث الاقتصاد او من حيث صحّة العين اعني انهُ يهمّنا جميعاً ان نعرف ما هي الانوار التي يمكن الحصول عليها بأهود الاسعار مع تساوي ضوئها ثمَّ ما كان منها افضل لباصرة العين وللصحّة عموماً

١ المبادئ التي يُستند اليها في التنوير

وهنا فَلْيُسمح لنا بذكر بعض مبادئ علم الطبيعة يُستنَد اليها في التنوير . انّ النور يحصل من تموُّجات في الأَثير وجوهر الاثير لا ثِقل لهُ وهو يملأُ كل المنافذ المتخلّلة بين ذرّات الاجسام . ومن خواصّ النور ان يصيب بعض حواسّنا وهي العين . والعين عبارة عن خزانة مظلمة في قعرها كحاجز يُدعى شبكيَّة . وتركيب الشبكية من عدّة عناصر في غاية الدقّة والصغر كالعُصَيَّات والمخروطيَّات تتوسَّط بين الاشعَّة المضيئة والعصب البصري . فتنفذ الاشعَّة في ثقب القزحيَّة او الحدقة (المنظورة من وراء القرنيّة الشفَّافة) وبعد انعكاساتٍ متوالية تجري عليها في مرورها بعَدَسة البلُّوريَّة وطبقات العين ترسم على الشبكيّة صورةً صغيرة من المرئيّ . فيتأثر العَصَب البصري من هذه الصورة ويحصل الانسان على معرفة المنظور

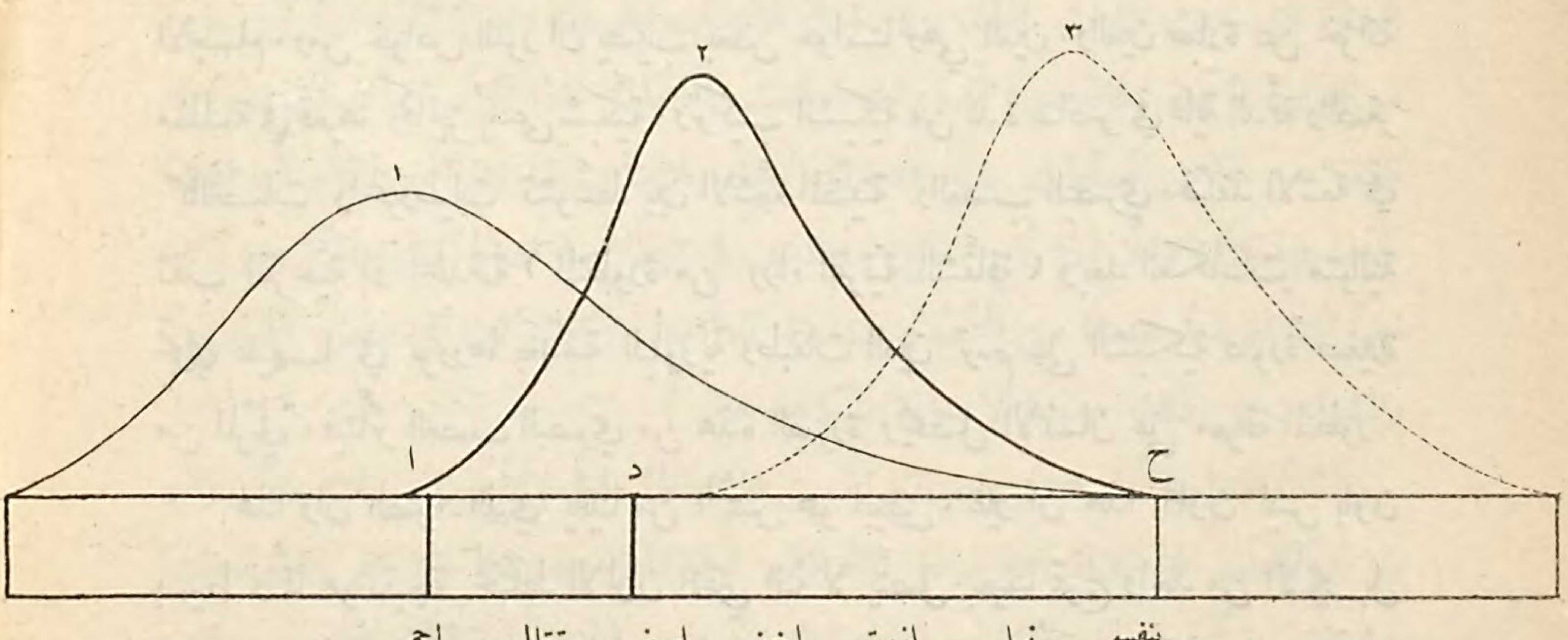
هذا وانّ الضوء الذي يأتينا من الشمس هو ابيض . غير ان هذا اللون ليس بلون بسيط وانَّما هو نتيجة مُختَلَط الالوان اعني انهُ لا يتّصل بعيننا تموّج واحد من الأَثير بل مجموع سبعة تموُّجات مختلفة الطول ومناسبة لسبعة الوان قوس قُزَح . ويمكننا ان نتحقَّق ذلك اذا نظرنا الى شعاع الشمس بموشور بلُّوري يحلّل النور الابيض الى عناصرهِ السبعة . فاذا كان مجموع هذه الالوان السبعة بنسبة معلومة حصل منها النور الابيض . ومن المتبادر انّ كل

لون اذا أُفرد او مُزج مع سواه مزجًا يختلف في الكمّ والكيف يتولّد منهُ الوان جديدة لا يضمُّها احصاء. ثم ان الاختبار اليومي يعلمنا ان النور الواحد بلونهِ الخاصّ تختلف شدّتهُ اختلافًا كبيرًا. وعليهِ يجب في مسألة التنوير ان نلاحظ هذين الامرين اعني لون النور وشدَّة سطوعهِ فيُتَّخذ لذلك قياس مضبوط ويُقابَل بين ضوء وآخر

ولا ننكر ان العين نفسها تحسن في الغالب القضاء في هذه المادَّة. ولكن كم من مزاعم باطلة يبديها كثيرون في حق الالوان. وكم من آراء مختلفة يرتئيها العامّة في هذا الامر ولو ضربنا صفحًا عن بعض الخطإِ المسبَّب من علل العين كالعلَّة الدَّلْتونيَّة مثلًا وهي تجعل البصر يخلط بين اللونين الاحمر والاخضر

وزد على ذلك انَّنا اذا لاحظنا الطيف الشمسي رأينا انَّ في طرفيهِ وراء اللونَيْن الاحمر والبنفسجي يوجد من الاشعَّة ما لا تدركهُ العين ولهذه الاشعَّة عَمَل ذو شأن بيد انها تُتعب العين وترفع درجة الحرارة في المنزل المنوَّر وتؤثّر في بُسط المخادع واستارها الخ

والشكل التالي يمثّل طيف نور الشمس بتمامهِ وهو مقسَّم الى اقسام حارّة ونوريَّة وكيماويَّة. فالخط الملتوي ١ يمثّل قوّة الامواج الحارّة. والخط ٢ يبيّن قوّة الامواج النوريَّة. امَّا الخط ٣ فهو لبيان الامواج الكيماويَّة



(شكل ١) طيف نور الشمس

فما كان وراء اللون الاحمر من الاشعَّة تُطلع عليهِ موازين الحرارة امَّا ما كان منها وراء البنفسجيّ فيُعلن بهِ تصويرُ الشمس لانَّ لهذه الاشعَّة فعلٌ كيماويٌّ عجيب كثير التأثير

في الصفائح التصويريَّة . امَّا بقيَّة الالوان فيفيدنا عن خواصّها علم تحليل الوان الطيف الشمسيّ بالموشور فترى عرض الشِقَق الملوَّنة في الطيف اعني نسبة الالوان تختلف باختلاف لهيب النور

امَّا معرفة شدَّة الضوء وقوّة سطوعهِ فذلك يبحث عنهُ علم خاصّ يُدعى علم ميزان النور

وهذه هي الاصول او المبادئ الطبيعية التي يستند اليها هذا العلم :

اوَّلًا ان لمصدرين منيرَين سطوعًا متساويًا اذا وُضعا على الطريقة ذاتها بالنسبة الى سطح واحد مستوٍ فينيرانهِ بنور متساوٍ . وبعبارة أُخرى اذا اشعرا العين بتأثير واحد من النور

ثانيًا لو عبَّرنا بحرف (س) عن شدَّة سطوع مصدر نوريّ فتكون هذه الشدَّة مضاعفة او مثلَّثة الخ بالنسبة الى مصدر آخر (سَ) اذا نوَّرَ الاولُ (س) سطحًا بنور يساوي ضعفَي المصدر الثاني (سَ) او ثلاثة اضعافهِ الخ لو وُضع هذا الثاني كوضع الاول

ثالثًا اذا اختلفت المسافة بين مصدر النور والسطح المتساوي المنوَّر تختلف كميَّة النور الواقع على هذا السطح حسب عَكس مربَّع المسافة الفاصلة بين النور والسطح المذكورين

مثال ذلك انك اذا وضعت مصباحًا على بُعْد مترين من سطح متساوٍ وقع على هذا السطح اربعة اضعاف اقلّ من النور الواقع عليهِ لو كان بُعد المصبــاح مترًا واحدًا . واذا وضعتهُ على مسافة ثلاثة امتار قلّ النور الى تسعة اضعاف . وهذا امرٌ يقربُ فهمهُ اذا ما اعتبرنا ان المصباح ينير منطقة نصفُ قطرها مضاعف اعني سطحًا مربَّعًا واذا كان نصف القطر اطول بثلاثة اضعاف بلغ السطحُ تسعة اضعاف . فيظهر من ثمَّ ان كميَّة النور الواقعة على كلّ جزء من اجزاء السطح يكون مرّة او ثلاث مرّات اقلّ . ولكن هذا لا يصحّ الّا في الاشعَّة السائرة على خط مستقيم امَّا اذا انحرف النور فتكون كمية التنوير مساوية لسهم الزاوية التي يشكِلها الشعاع مع خطّ السطح العمودي

رابعًا اذا وُجد مصدرا نورٍ (ن و نَ) يبلغان من السطوع درجة ندعوها (س و سَ) فوضعا على بعد من سطح متساوٍ يكون قدر مسافتهِ (م و مَ) وكان لكليهما تنوير واحد فتكون اذ ذاك درجة سطوعهما مناسبة لمربَّع مسافتيهما فتحصل النسبة الآتية :

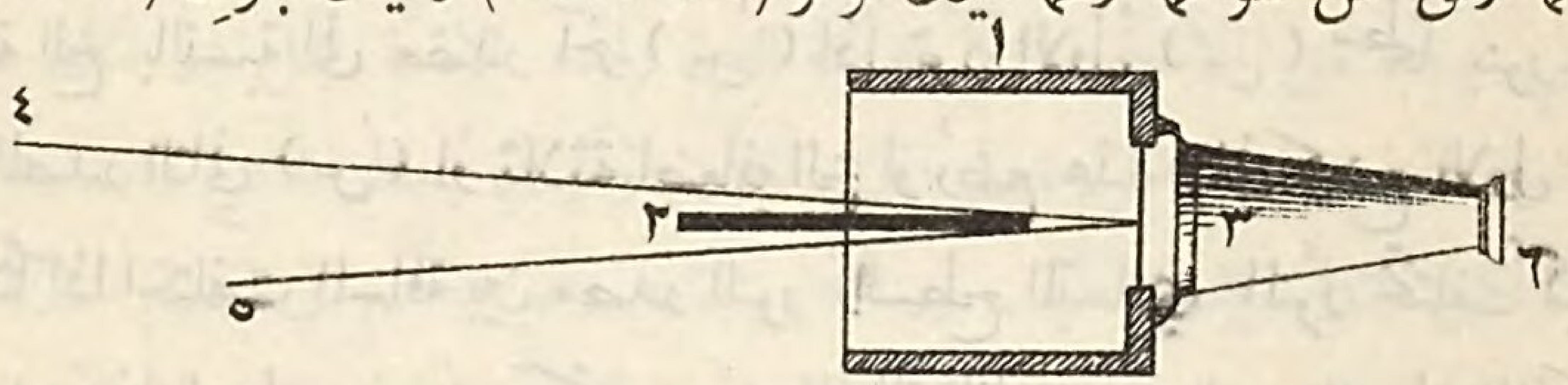
$$\frac{سَ}{س} = \frac{مَ^{٢}}{م^{٢}}$$

وذلك انهُ لمّا كان التنوير الحاصل من المصدر (ن) مناسباً لدرجة سطوعهِ وبِعكس مربَّع بُعدهِ عن السطح فيكون مساوياً لهذه $\frac{\text{س}}{\text{م}^{2}}$. وكذلك ان التنوير الحاصل من المصدر (نَ) يكون $\frac{\text{سَ}}{\text{مَ}^{2}}$ فاذا كان كلاهما متساويين تحصل هذه النسبة :

$$\frac{\text{س}}{\text{م}^{2}} = \frac{\text{سَ}}{\text{مَ}^{2}} \quad \text{او} \quad \frac{\text{س}}{\text{سَ}} = \frac{\text{م}^{2}}{\text{مَ}^{2}}$$

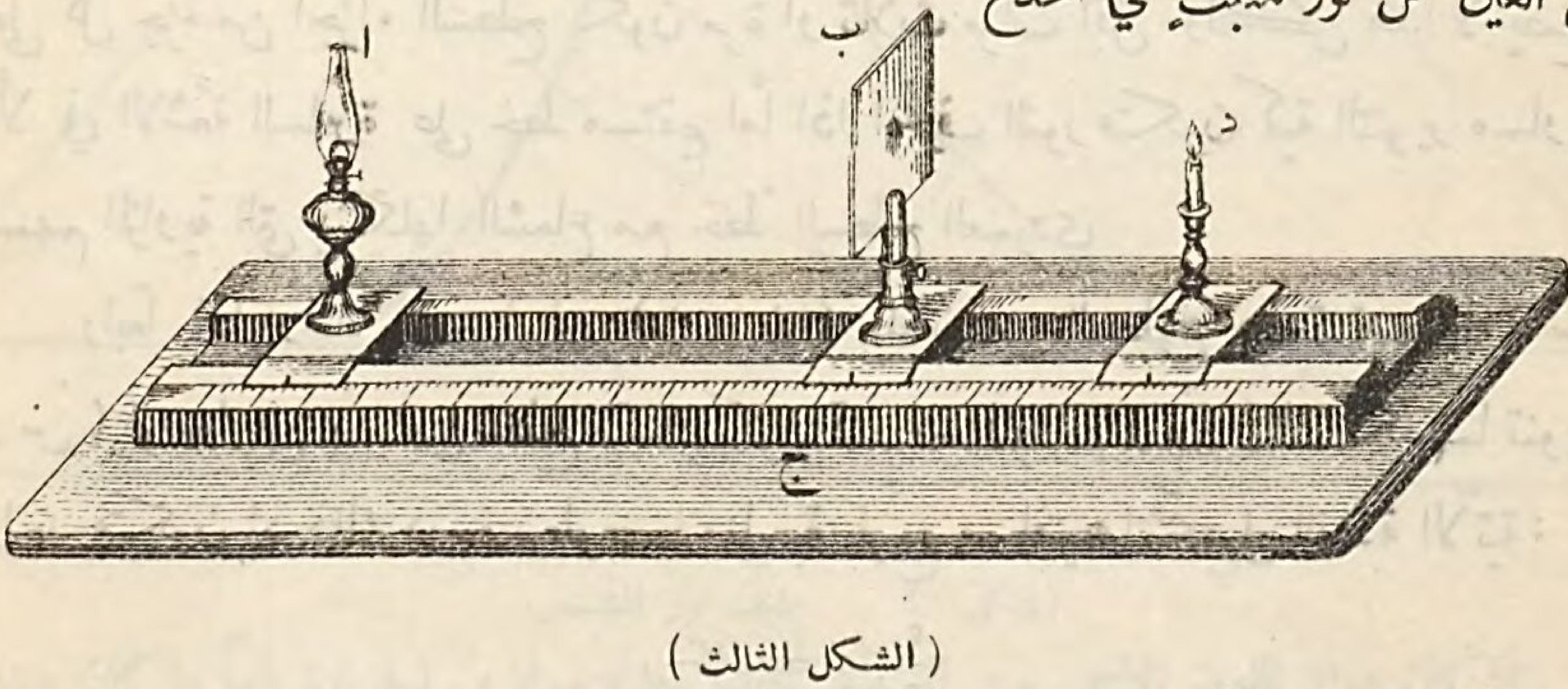
٢ موازين النور

ان آلات ميزان النور كلها مؤسسة على هذه النواميس . فكي تحصل المقابلة المطلوبة بين نورين يجب وضعهما بنوع ان يكون تنويرهما للحاجز متساوياً . فنسبة مربَّع بعدهما من الحاجز تبيّن نسبة شدّة سطوعها . وموازين النور كثيرة لكننا نكتفي بتعريف اثنين منها نراهما اوفق من سواهما . وهما ميزان فُوكو (Foucault) وميزان بُنْزِن (Bunsen)



(الشكل الثاني)

فميزان فوكو (الشكل الثاني) هو عبارة عن صندوقة (١) مفتوح جانبها المقابل للنورَين (٤ و ٥) ومقفل من الجانب الآخر بصفيحة من زجاج يُطلى بمحلول النشا . ويفصل ضوء النورين بحاجز (٢) يقسم الصندوقةَ بحيث لا ينير كلٌّ منهما الّا جانباً من صفيحة الزجاج فيفحص المختبر صفيحة الزجاج من خلفها بأُنبوبة (٦) مُسوَّدة في داخلها تنفي عن العين كل نور منبثٍّ في المخدع



(الشكل الثالث)

امّا في ميزان بُنْزِن (الشكل الثالث) فيُجعل النوران (ا و د) من جهتي الحاجز

(ب) وهو عبارة عن ورقة بيضاء في وسطها بَقع من مادّة دهنيَّة. فهذا البَقع يُرى مظلماً اذا نظر اليهِ الناظر منعكساً وهو نيّر اذا رآه مستشفا. فيختار الباحث للنورين مسافةً بحيث يضمحلُّ البَقع ولا يتم ذلك الّا اذا كان التنوير متساويًا من الجهتين فلم يبقَ الّا الجري على النواميس المذكورة آنفًا

وميزان فوكو يستعملهُ من عُهد اليهم في باريس نظارة غاز التنوير. امَّا ميزان بُنزِن فيستعملهُ كثير من مجهّزيّ آلات التنوير

الّا انّ هذه المقابلة بين سطوع الانوار لا تصحّ الّا اذا تشابهَ الاضواء باللون. ولولا ذلك لقضت دقَّة القياسات ان يحلّل النوران فتُقابل كل شقّة من سبعة الوان الطيف مع الشقَّة المجانسة لها. وقد اثبت العلَّامة كروفا انّ الافادة المطلوبة من هذه المقابلة تُنال على وجه مرضٍ اذا ما فُحص الحاجز المنوَّر من وراء مزيجٍ ملوَّن يتركب من بركلورور الحديد وكلورور النيكل. فهذا المزيج من شأنه ان يوحّد الوان الاضواء فيساوي اشكالها المختلفة ويمكّن من المقابلة ما بينها

هذا ويوجد موازين لقياس سطوع كل نورٍ على حدتهِ. وقد اصطُنع غيرها لتعريف كمّيَة النور الحاصلة في نقطة معلومة من الحجرة المنوَّرة. واغلب هذه الآلات مبنيَّة على ذات مبادئ الميزانين السابق ذكرها. فمن ذلك مقياس المعلّم مسكَرْت وهو مركَّب من صفيحة زجاج مطليّ بمحلول النشا توضع في النقطة التي يريد الباحث ان يعرف نورها في المخدع ومن الجانب الآخر قد رُكِّب في نفس المقياس مصباح مثاليّ. ولا حاجة هنا لتبديل المسافة بل تُبدل كمية النور الى ان تنوّر الصفيحة بنور متساوٍ من الجانبين. وفي المقياس عِداد يوقف الباحث على نتيجة الاختبار

٣ وَحدة قياس التنوير

قد بيَّنَّا في ما سبق اخصّ الآلات التي تمكّن المرء من معرفة الانوار. فاذا ما أُضيف اليها مقياس الحرارة (ثرمومتر) لمعرفة ارتفاع درجة الحرارة عند التنوير وزيد عليها بعض ادوات التحليل الكيماوي المبيّنة فساد الهواء الحاصل من توقيد السراج توفّرت لدينا الوسائل لتعريف اشكال التنوير. ولم يبق علينا سوى ان نذكر وحدة القياس التي يُرجع اليها في التنوير. فكما ان السنتيمتر والغرام هما وحدة القياس في المسافات او الاثقال هكذا كانت المؤتمرات الدولية الى غاية سنة ١٨٨١ قد جعلت الشمعة او المصابيح المثالية كوحدةٍ لقياس

التنوير وكان لكلّ بلدٍ وحدة قياس اليهـا مرجعهُ في تقديرهِ

فكانت فرنسة اتّخذت مصباح كَرْسِل مقياسًا لها وهو لا يزال مستعملًا في بعض ولاياتها حتّى الآن . ومعدَّل هذا المصباح ان يوقد ٤٢ غرامًا من زيت السّلجم المصفَّى في الساعة وكان الكيماويّان الشهيران دُوماس ورِينيُو عيَّنا بكل تدقيق شروطهُ

وكانت وحدة قياس انكلترة والولايات المتَّحـدة الشمعة المركَّبة من شحم الحوت (Standard candle) وثقلها سُدس اللِّيبْرَة الانكليزية

امَّا المانية فكانت وحدة قياسها الشمعة المركبة من مادّة زفتية تُعرف بالپَارَافين (Vereinskerne) ثقلها القسم الثاني عشَر من الكيلوغرام

ولمَّا كانت سنة ١٨٨١ اتَّفق اعضاء المؤتمر الكهربائي على اتخاذ مصباح ڤيول (Violle) كوحدة لقياس التنوير ومن خواصّ هذا المصباح انّ نورَهُ يثبت في سطوع واحد مقرَّر لا تغيّرهُ طوارئ التوقيد كما هو الغالب في ايقاد المواد الآليَّـة . وهذه الوحدة هي النور الصادر من سنتيمتر مربَّع من البلاتين في درجة جمودتهِ (١٧٧٥°) . وهي وحدة مضبوطة القياس الَّا ان استعمالها لا يخلو من الصعوبة وعليهِ قد اوصى اعضاء المؤتمرَيْن المنعقدَين في سنة ١٨٨٩ و ١٨٩٦ ان يضاف على مصباح ڤيول كقياس ثانوي الشمعة العُشريَّة وهي القسم العشرون من وَحدة ڤيُول وعُشر وَحْدة كَرْسِل على التقريب . واذا شئت حسابًا مضبوطًا فقل ان مِقْياس كَرْسِل يُساوي تسع شمعاتٍ عُشريَّة و ٦٢ قسمًا من الشمع العشري و ٨,٩١ من الشمع الانكليزي و ٧,٧٩ من الشمع الالماني

فوحدة التنوير اذًا انَّما تكون الشمعة العشريَّة اي عُشر متر مثاليّ ندعوهُ « نورًا » (Lux) او وحدة قياس كَرْسِل من المِتر . ووحدة كمية نور التنوير اعني ما تبعثهُ الشمعة العُشريَّة من النور في زاوية مساوية للوحدة مدَّة ساعة تدعى « ضوء ساعة » (-Lumen heure) وهذا القياس هو المتَّخذ في المعاملات التجاريّة . والشمعة العشريّة تبعث نورًا متساويًا يوازي اربعة اضواء . ويلزم نحو عشرة انوار ليقرأ القارئ دون تعبٍ في البصر ويُقتضى نحو ثلاثين نورًا في اي نقطةٍ كانت من المخدع ليُعدّ تنوير المخدع حسنًا

ويُنال النور الصناعي بإشعال مادَّة قابلة للالتهاب في اوكسيجين الهواء او باحماء مادَّة يضيء تشعشعها كلهيب النار . وانواع الوَقُود لا تكاد تُحصى ولكن لا يصلح اكثرها للتنوير فنار الحطب مثلًا التي تزفر في مواقدنا وتبهج بضوئها اجتماع الاهلين قلَّما يستعمل نورها

للقراءة او الشغل لان لا سطوع لهُ ولا ثبات. فينبغي لمن اراد ان يستضيء بهذا النور ان يستخرج ما في الحطب من الغاز فيقطرهُ ويصفّيه ثم يجمعهُ في قنديل ويوقدهُ. وهو امرٌ لا يمكن اجراؤهُ الّا في بعض البلاد الغنيّة بالغابات والحطب

هذا وان الدهون والشحوم والصموغ تصلح ايضاً للتنوير الّا انها لقلّة نورها وكثرة دخانها لم تعد تستعمل اللهمَّ الّا في بعض الاحوال لعدم وجود غيرها

ولكي لا نتجاوز الحدود في المقال فاننا سنبحث عن شمع الشحم ثم عن الزيت والپترول ثم الغاز بغلافٍ متأجّج او دونهُ ثم الأسيتيلين ونختم بالكهرباء. وسنذكر اختلاف اسعار ما سبق ذكرهُ بياناً للاقتصاد في التنوير البيتي والتنوير العمومي وسنبيّن بنوع خاصّ ما يحصل من هذه الانوار من المضارّ للبصر. وفي الاجمال انّ التنوير الصناعيّ مخلٌّ فيؤثّر في البصر والرأس وينتج عنهُ عدّة امراض. وقد استلفت الدكتور شاكر الخوري في كتابهِ المفيد عن صحّة العين نظر الجمهور الى هذا الامر المهمّ ويحسن بنا ان نختم كلامنا بقولهِ :

« ان العين خلقت هكذا لاجل استقبال الضوء واذا لم تدرك الضوء فلا نفع بها فاستنتج من ذلك ان حياتها الادبيــة هي الضوء فدائماً تفتش عليهِ وتعمل مجهودات كليَّة لاجل ادراكه فترى الحدقة التي خلقت لاجل تنظيم الضوء تغير اشكالهــا بالضيق والسعة حسب مقدار الضوء فانها تنقبض في الضوء وتتسع في الظلام ... وعلى قدر منفعة الضوء يكون ضرره اذا كثر او قلّ لان الكثير والقليل يسبّب الضرر نفسه فاذا كانت العين سليمة فكثرة الضوء او قلّته تضرّها واذا كانت مريضة فان ادنى شيء منهُ يضرّها جدًّا فيلزم منعها عنهُ بالكلية لانهُ منبهها الطبيعيّ فتتنبّه منهُ اكثر من غيرهِ » (ستأتي البقية)

خريدة لبنان

(للاب هنري لامنس اليسوعيّ)

(تابع لما قبل)

فلم ينتبه الغريب بادئ بدء الى احتفاء اهل البيت بهِ لانّهُ وجّه كلّ افكارهِ وكل عواطفهِ نحو التي قد طار اليها فؤادهُ. وقد سرحت انظاره في زوايا المكان علّهُ ان يصادف

من الموجودات ما يخبره عن انيسة . وفيما هو على تلك الحال ذاهلًا اشعر بيدٍ ناعمة اخذت بانامله فاذا به يرى الصبيّ الذي شاهدهُ يلعب مع البنات . وكان هذا الصغير تخلّف عن امّه واخواته ولحق بالغريب كأنَّ قوّةً تدفعهُ نحوه فوقف بين يديهِ يحدّق بعينين زرقاوين تلمعان انعطافًا ويزفّ عن ثغرٍ كالدرّ ابتسامات تسبي الالباب

فنادتهُ امّهُ قائلة : تعال يا بطرس . ما هذه الجسارة يا بُنيَّ

وكأنَّ الصغير لم يسمع نداء والدته فبقي يداعب الرجل . وقد أُعجب هذا بهِ وحنّت اليهِ جوارحهُ وهو لا يقف على سرّ تبادُل الانعطاف بينهما فقال للولد بصوت الحنوّ : حُيّيت من مَلَكٍ صبوح الوجه وضّاح الجبين فقد خرقت نظراتك فؤادي وانت بكل تحفةٍ جدير يا وجه الخير

واخرج من جيبهِ كيسًا صغيرًا لهُ حلقات فضيّة يتخلّلها بعض اللآلئ فدسّ فيهِ شيئًا من النقود وقدّمهُ للصبيّ فطار هذا فرحًا بالهديّة لكنهُ ما برح قابضًا على يد الغريب يتأمّلهُ كأنّما قرّت بهِ عينهُ

فتقدّمت الامّ وقالت لهُ بصوت التوبيخ : بطرس لا تكن قليل الادب . اشكر فضل الخواجه وقبّل يده . فقبّل الصغير يد المحسن اليهِ وهتف بارقّ النغمات . كثّر الله خيرك يا سيّد حنا الطويل . . .

فما اعظم ما كان انذهال المسافر وتأثره عند ما سمع هذا الصغير يتلفّظ باسمهِ . فاغرورقت عيناه بالدموع واخذهُ بين يديه وحدّق اليهِ وسألهُ قائلًا : ايها الملاك الكريم كيف علمت مَن انا ولم ترَني البتّة فمن انبأك عن اسمي ؟

فاجاب الغلام متبسمًا : انيسة الضريرة

قال الرجل : وكيف عرفتني انني انا هو ولا غيري ؟

— عرفتك يا سيّدي على الفور . فاني لمّا كنت اذهب مع انيسة لندور على الابواب ما كانت تنقطع عن ذكرك . وقد سمعتها مرارًا تقول انك طويل وعيونك سود لامعة . وانّك ستعود حاملًا الينا التحف والهدايا . . ولذا لمّا رأيتك ما خفت منك لان انيسة اوصتني بان احبّك ووعدتني انك تعطيني عند رجوعك حصانًا . .

وكان المسافر يصغي الى كلمات الصبي بمنتهى اللذّة فضمّهُ الى صدره شديدًا والتفت الى الحائك وامرأتهِ فصاح قائلًا : ايها الوالدان انني آخذ على نفسي العناية بشان ولدكما

فأَجعلهُ في المدرسة ليتعلّم ويتثقّف فلا ينقصهُ شيء . فهو اوّل من عرفني واحبّني ولذا فانّني اسعى في ان تكون معرفته لي علّة نعيمهِ على الارض

ولا حاجة الى وصف دهشة ذينك الوالدَين وفرحهما . فقال الاب متلجلجًا : قد غمرتنا بفضلك يا سيدي . . . ولكن نحن كلنا عرفناك . وقد ظنَنا ان العيان يخدعنا لان انيسة لم تخبرنا انك رجل غني خطير

فصاح المسافر : وانتما ايضًا تعرفانني يا وجوه الخير فسقيًا لكما : يا لله اني اراني بين خلّاني عند اهلي في وطنٍ لم اجد فيهِ بادئ بدء الّا الموت والنسيان

فاشارت المرأَة الى صورة العذراء في مشكاة وقالت : هنا كنّا نوقد قنديلًا كل يوم سبت لاجل رجوع حنًّا غنطوس . . . او لراحة نفسه

فرفع المسافر طرفهُ الى السماء كأَنما زال عنهُ حملٌ فادح فصاح : تعالت احكامك يا كريم فانّهُ بفضلك غلب الحبُّ البغضاء . لئن يكن الحفّار اكمن الحقد في اعماق فؤاده فانيسة عاشت بذكري واضرمت كلّ ما حواليها بنار الحبّ فجعلتني حاضرًا مع طول غيبتي وبُعد سفرتي وطبعت القلوب على مودّتي . اشكرك اللهمَّ على عظيم نعمتك

وعقب هذا الكلامَ سكوتٌ طويل . فكان المسافر يحاول ان يتجلّد لما عراه من شديد التأَثُّر وصاحبا البيت مطرقان تهيُّبًا واجلالًا . وقد تظاهر الحائك انهُ عاد الى نوله ولكنه ما برح يسارق النظر الى ضيفهِ ليبادر الى خدمتهِ ان بدا منهُ اشارة

٦

امّا هذا فدخّن بالنارجيلة تباعًا وهو لا يرشُدُ ثمَّ عاد فاخذ بيدي الصبيّ وقال بصوتٍ مستكين : هل مضى على انيسة زمن وهي مقيمة عندكم ؟

فجاءَت المرأَة بمغزلها ودنت من المسافر كانَّها تتهيَّأُ للحديث فجلست واجابت

اني اخبرك يا سيدي كيف انتقلت الينا انيسة . يجب ان تعلم انهُ بعد موت حسّون الشيخ وامرأَتهِ تقاسم اولادهما التركة . ولم تكن انيسة ترضى بان تتزوّج ولا يخفى عليك سبب امتناعها . فتخلّت عن حصّتها لاخيها على شرط انها تقضي عمرها في بيته ثمَّ اخذت تشتغل بالخياطة وكانت تجمع كميّات من الدراهم وافرة توزعها كلها على سبيل الاحسان

وكانت تعود المرضى وتستدعي لهم الطبيب على نفقتها ان كانوا من اهل الفاقة . وكان كلامها العذب يعزّي الحزين ويدها البيضاء تنعش قلب البائس . فيومًا من الايام —

ولم يكُ قد مضى على زواجنا الّا ستة اشهر — عاد زوجي الى البيت يشكو مرضاً عضالًا سبَّب لهُ من ذاك الحين هذا السعال الذي تسمعهُ . ولولا رحمة الله وشهامة انيسة لكان زوجي يوسف في عدد الاموات . آه ياسيدي لو كنت تعلم ما بذات انيسة في سبيلنا مجرَّدًا لوجه الله . فانها جاءتنا بأغطية صوف وكان وقتئذٍ فصل الشتاء ونحن فقراء . واستدعت طبيباً من سوق الغرب ليفحص مرض زوجي واخذت تسهر عليهِ هي بعينها فتخفف آلامهُ وتؤنسني بكلامها الرقيق . فما احنّ قلبها واشرف نفسها . فكنت تراها لا تهتمّ بشأنها بل توجّه اعمالها لخدمة الغير كأنها ما دخلت الدنيا الّا لاجل القريب وما اتعس ما كانت حالتنا لولا هذا الملاك . فهي دفعت عنا ثمن الادوية وكانت تمدّنا بالدراهم

وكانت محبوبة من الجميع وحينما كانت تدخل بيوت الاغنياء تطلب منهم المساعدة لفقرائها لم يكن احد يطاوعه قلبه ان يمنع عنها العطاء . وبقي يوسف مريضاً مدَّة شهر ونصف وانيسة تساعدنا حتى تمكّن زوجي من معاودة اشغالهِ

فقال المسافر متنهدًا : لاشك انَّ حبَّكما عظيم للضريرة

فرفع الحائك رأسهُ وكانت الدموع تتلألاء في عينيه فصاح بلهجة التأثر الشديد : لو كان دمي يُعيد اليها بصرها لتركتهُ يسيل حتى آخر قطرة

فاخذ هذا الكلام من حنا غنطوس كل مأخذ وفعل فيهِ ما لا يوصف وقد فطنت المرأة الى حالته فاومأت الى رجلها ان يلزم السكوت وعادت الى سياق حديثها فقالت :

وبعد ثلاثة اشهر رزقنا الله صبياً . وهو الذي بين يديك . ويوم عمادهِ توسلت الينا انيسة بان نسمّيهُ حنَّا . لكن سلفي طلب ان ندعوه بطرس باسمه وسلفي رجل طيّب القلب لكنه عنيد . فبعد الاخذ والردّ تقرّر ان نسمي ولدنا حنا بطرس . فنحن نناديهِ باسم بطرس اكراماً لسلفي امّا انيسة فلا تدعوه الاّ حنا . وهو مثل الحمل حفظتهُ السيدة . وقد تعوّد على الاسمين . ويعلم انهُ يدعى حنا باسمك انت يا سيدي . . .

فضمّ المسافر الصبي على صدره وقبّلهُ مرارًا ثم اخذ يتأملهُ ولم ينطق ببنت شفة وكان فؤاده يطفح سرورًا . فنسي حينئذٍ الخمس والعشرين سنة التي قضاها في الغربة لا يرى صديقاً ولا نسيباً ولا انيساً . نسي ما قاساه من الاتعاب وما تجشمهُ من الاخطار . فكفاهُ حظًّا انهُ عاد ما بين قوم يعرفونهُ وينظرون اليه نظر الوداد ولسعادة حظهِ قد وجد ان انيسة لم تزل حيَّة . فكان لقلبهِ هذا الفكر اشبه بوابل المطر على الرمال المحرقة يردّدهُ في جنانهِ :

انيسة لم تزل حيّة قريبة منهُ وعما قليل يراها ويضمها بين ذراعَيهِ . . . فضمّ الصبي وقبّله ثانيةً لا يعي . والصغير ينظر اليهِ جذلًا مسرورًا

٧

وكانت الامّ تتأمل في هذا المشهد وقد عرا قلبها اهتزاز طرب لا يوصف . ثم عادت الى حديثها فقالت : وكان اخو انيسة اتّفق مع احد تجار بيروت على مشترى فيالج (شرانق) هذه النواحي كلّها . وكان الناس يزعمون ان هذا الشراء يُغنيهِ كثيرًا . وفي واقع الامر ربح في البداءة ارباحًا طائلة . ولكن لم تمضي عليهِ ايام الّا افلس التاجر وكان اخو انيسة قد كفل كل الغرماء فدفع لهم جميع اموالهِ وباع ما عنده ولم يفِ بذلك نصف ديونهِ . وما لبث ان مات من الغم والقهر . الله يرحمهُ . . . وحينئذٍ عرض فارس عبُّود على انيسة ان تسكن معه في بيت ابيهِ . . . فقطع المسافر كلامها وسأل باغتًا : وما فعلت انيسة ؟

— لم تتردَّد عن الجواب بالرفض . وقد عرفنا فيما بعد سبب رفضها ولمَّا كانت رقيقة القلب تلاطف الجميع كان فارس عبود يسعى في مكالمتها فكانت تجيبه بحشمة وادب وتمرّ في طريقها ومع انها فقيرة خطبها كثيرون من الشبَّان من احسن عيال الضيعة . ولكنها ابت ان تجيب هذا الطلب . ولم يكن التخلّص من مثل هؤلاء الطالبين بامر السهل . وبعضهم ظنوا ان رفضها ناتج عن احتقار لهم فسعوا في اضطهاد هذه البنت القديسة وحاولوا ايضًا ان يلقوا عليها التهم الشنيعة . ولكن خابت مساعيهم اذ لم يكن في الضيعة من يصدق تلك الاشاعات القبيحة في حقها . ولا يظن السوء في انيسة الّا من يشكّ في الفضيلة عينها

ولم تخلُ مع ذلك من مقاساة الاهانات . وما يصعب تصديقهُ ان الذين خلَّصتهم من الموت ونشلتهم من وهدة الفقر هم نفسهم الحقوا بها الاذى . فتلك حالة العالم . ومصائب هذه الابنة الكريمة اغلقت دونها ابواب القلوب عوض ان تستميل اليها الجميع (ستأتي البقية)

كتب شرقية جديدة

الآثار الفكريَّة

لعبدالله فكري باشا ناظر المعارف المصرية سابقًا

هو عنوان كتاب يشتمل على ما تيسّر العثور عليهِ من نظم ونثر لعبد الله فكري باشا ناظر المعارف بمصر سابقًا . وقد جمع هذه الآثار حضرة نجلهِ سعادتلو امين فكري

باشا ناظر الدائرة السنيَّـة فافتتح المجموعة بترجمة والدهِ التي نظم عقدها العلَّامة الشيخ محمد عبده واختتمهـا ببعض ما رثاهُ بهِ افاضل شعراء العصر. وجعل المجموعة تقدمة للحضرة الخديويَّة العبَّاسيَّة. والكتاب مصدَّر برسم صاحب الآثار ويحتوي على ٤٥٤ صفحة وقد طبع في المطبعة الكبرى الاميريَّة ببولاق. وممَّا يدلّ على علوّ منزلة المترجَم ما كتبهُ في شأنهِ ذاك الشهم الخديوي اسمعيل باشا لما عيّنهُ لملاحظة الدروس المشرقيّة بمعية انجالهِ الاماجد فيذكر انهُ عيّنهُ لهذه الوظيفة مع احتياجه لبقائهِ في معيتهِ فآثرهم على نفسه لفرط اعتنائه بتقدّمهم في المعارف ويحثهم على ان يقدروا هذه العناية والرعاية حقّ قدرها. ولنا برهان آخر على سامي مدارك صاحب هذه الآثار انهُ كان الساعي بتوسيع ثروة المكتبة الخديوية التي اصبحت كروضة غناء للالباب تُجتنى منها زهور الآداب فانهُ لما عهد اليهِ النظر في امر الكتب التي كانت للحكومة في ديوان المحافظة وابداء رأيه فيها قدّم تقريرًا مفصَّلًا ضمّنهُ بيان ما رآه في حالها وذكر فيهِ ان بقاءها على حالتها لا يحسن ولا يفي بالغرض من حفظها ولا يمكِن من الانتفاع بها ومن الواجب ان تجعل في حالة يتأتى معها انتفاع الناس بها واوضح ان الاولى احالتها على ديوان المدارس لتودع في المكتبة التي كان يقوم بانشائها سعادة علي باشا مبارك ناظر المعارف اذ ذاك. وقد حصل الامر على وجه ما قرّرهُ. ولفكري باشا الايادي البيض في اصلاح طرق تعليم العربية في المكاتب الاهلية والمدارس الاميرية فرفع منارها واعلى شأنها وجعل اسلوب تعليمها على الطريقة المؤدية الى الغرض من دراستها

فمن النزر الذي اوردناه في شأن الرجل يُعرف قدر الكتاب الذي هو ثمرة افكاره الشهية. ومعلوم ان المنشئ اذا تصدَّى للكتابة بغية نشر تآليفه والانتفاع من ورائها قلّما يخلو انشاؤهُ من التصنُّع فيجري قلمه على القرطاس كمن يجلس على مائدة ولا شهوة لهُ للطعام. او يكون كالنور يخيّم عليهِ الضباب. ولكن اذا ما كانت كتابته ناتجة عن هاجس في الفكر او شوق في القلب ملبّيًا مقتضيات الاحوال ودواعي الظروف جاء انشاؤهُ فطريًّا يعبر عن مكنونات افكاره كما هي فتجنَّب كل تكلف وأتى بالمعاني المبتكرة فكانت الالفاظ طوع المعاني لا المعاني طوع الالفاظ وارتسمت صورة الكاتب في كتابتهِ. هذه هي مزيَّة الآثار الفكرية التي تخوض في فنون عديدة وتجمع بين السلاسة والبلاغة والرقّة والدقّة نخص منها بالذكر مكاتباتهِ المختلفة. الا اننا كنا نودّ لو نُفيت من هذا الكتاب بعض ابيات عشقية تشينهُ اكثر مما تزينهُ ١٠ ص.

اسئلة واجوبة

س سألنا احد فضلاء دمشق س.غ. الى ايّ حجة نسند قولنا في الصفحة ٨٧ من المجلة عن مجيء المسيح الى بيروت

ج نجيب ان هذا تقليد ذُكر في عدَّة كتب. وقد اثبتهُ في القرن الخامس عشر الكاتب الالماني بُرَيتنباخ (Breitenbach) في تاريخ رحلتهِ الى الاراضي المقدَّسة رواية عن غيرهِ من الكتَّاب. وورد ايضاً في مقالة لاتينية عن بيروت ليوحنا ستروخ طبعت في برتزويغ سنة ١٦٦٢ في الصفحة ٣٨ (Joannis Strauchi, dissertatio de Beryto)

س وجاءنا من الفيحاء للاديب الخواجا حبيب افندي الزيات: هل تعلمون لدمشق غير كتاب ابن عساكر تاريخاً شاملًا او خاصاً ببعض حوادثها في اللغات الشرقية او الغربيَّة

ج انَّ الكتب التي ورد فيها قسم من الحوادث المتعلقة بتاريخ دمشق لا تكاد تحصى وفي كلّ كتب جغرافيّ العرب وتواريخهم صفحات مطوَّلة في اخبار دمشق. امَّا المؤلفات المعروفة اليوم التي مدارها على الفيحاء خصوصاً ما عدا تاريخ ابن عساكر فهي هذه(١) تحفة الانام في فضائل دمشق الشام للبصرويّ في خزانة كتب لندن الخطيَّة كُتب في القرن الحادي عشر للهجرة (٢) تاريخ ميخائيل الدمشقيّ النصرانيّ في المكتبة ذاتها يروي بلغة عاميَّة اخبار دمشق من سنة ١١٩٧هـ الى ١٢٥٧ (٣) نزهة الانام في محاسن الشام لأبي البقاء عبد الله بن محمَّد الدمشقيّ من كتب مكتبتنا الشرقية (راجع كشف الظنون للحاج خليفة العدد ١٣٦٧٦) (٤) تاريخ دمشق وتدمر بالانكليزية .Damascus and Palmyra by Ch. Addison, 2 vol. London 1838 (٥) خمس سنوات في دمشق بالانكليزيّة

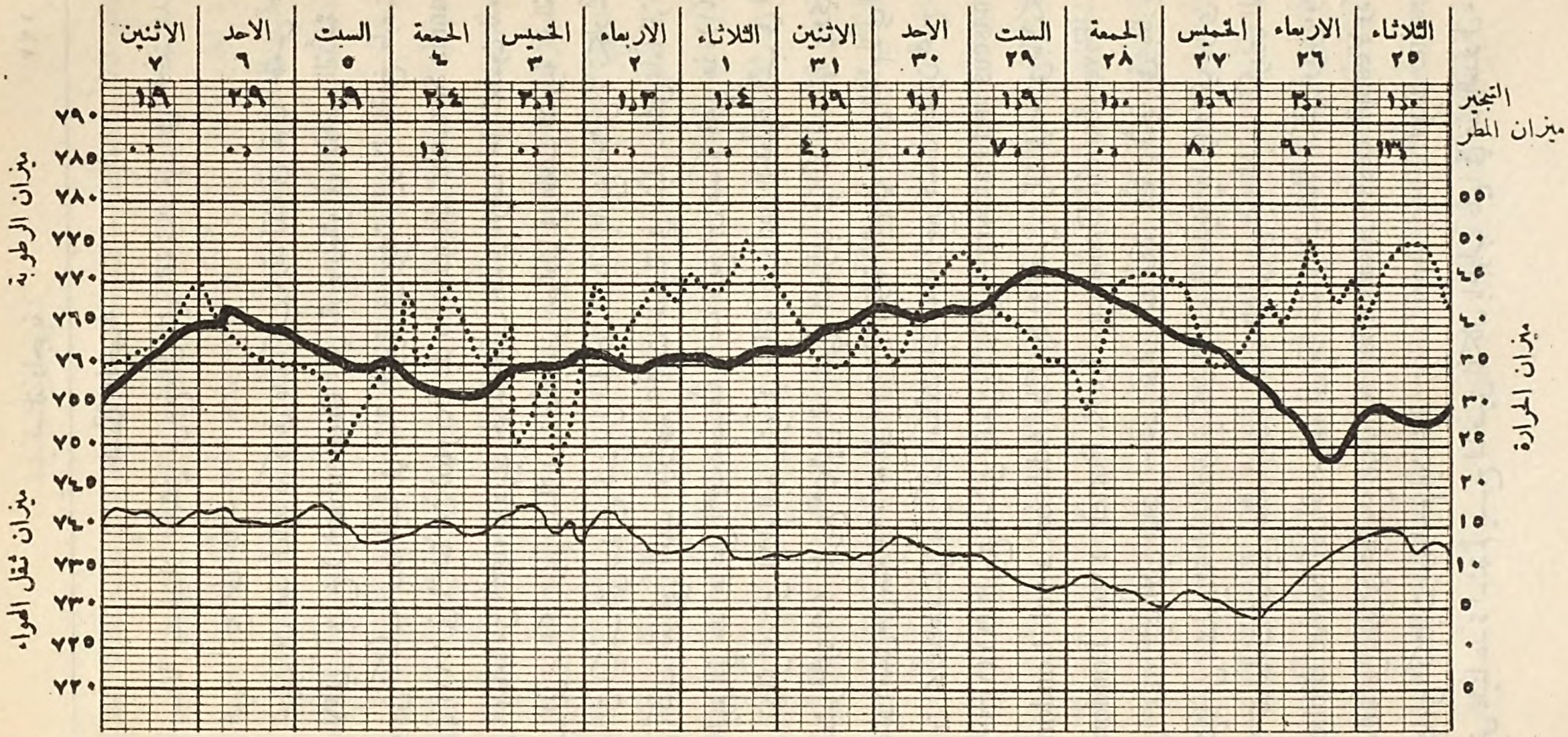
Five years in Damascus, by R. Porter, 2 vol. London 1855

س رغب الينا الاب الفاضل جرجس غراف احد طَلَبة كليَّة دِلِنْجن في بافارية ان نفيدهُ شيئاً عن اخبار بعثة الاباء الدومينيكان العلميَّة في مدينة پترا في وادي موسى

ج قد جاءت تفاصيل هذه الرحلة في العدد الاول من مجلَّة الاباء المذكورين المعروفة باسم Revue Biblique وكان قد سبقهم الى پترا حضرة الاب العالم الدكتور لويس موسيل وكتب مقالةً عن سفرهِ في مجلَّة براغ Vestnik ceské Akademie N°1, 98 وذكر ما وجدهُ فيها من الكتابات. ولتراجع ايضاً مجلَّة Palestine Expl. Fund, April 1897

وعُرض علينا عدَّة اسئلة لم يسمح لنا ضيق المكان بالجواب عليها في هذا العدد ل. ش.

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٥ كانون الثاني الى ٧ شباط



انَّ الخطّ الضخم (▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (—) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة — وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

تنسيق المُزْدَرَعات

لجناب الشاب الاديب سليم افندي اصفر

(تابع لما سبق)

قد بيّنَّا فيما تقدّم اخصّ الاسباب الداعية لتنسيق المُزدرعات فبقي علينا ان نذكر نواميس هذا التنظيم وقواعدهُ

نواميس تنسيق المزدرعات

انَّ لتنسيق المُزدرعات دواعي اقتصاديّة تختلف مع اختلاف الامكنة فنقطع هنا عنها النظر وسنذكر فقط الاصول العموميّة التي يُقتضى مراعاتها في اتّخاذ هذا التنسيق

وغير خافٍ انّ ترتيب المنابت مبنيٌّ على مُختلَف ما يُزرع فيها وينبغي على الزارع في اختيار زرائعهِ ان يعتبر مُقتضيات الهواء والمنبت ثمَّ طريقة اغتذاء النبات واخيرًا إنفاق الصادرات وترويج الاغلال الشتّى

اوّلًا. احوال الهواء والمَنبِت — لا بُدَّ لكلّ نبات من ثلاثة اشياء ينمو بها ويتّصل الى غاية كمالهِ وهي النور والماء والحرارة. فهذه العوامل الثلاثة هي التي تقضي بتقسيم انواع النبات على وجه الارض كافّةً. فيكون زرع بعض النباتات ممكنًا او مستحيلًا على حسب اقاليم البلاد المختلفة. والحرارة لها في ذلك المقام الاوَّل فهي افضل عامل لتزكية الزريعة واغنائها. ومن ثمّ فيكون أولى للزارع ان يكتفي بما يجدهُ في بلدهِ من انواع النبات فيُعنى بتحسينها. او اذا اراد ان يدخل زرعًا جديدًا فعليهِ ان يلاحظ اعظم درجة يبلغها ميزان الحرارة او اقلَّ درجة ينحطّ اليها سنويًا في بلدهِ. هذا الى معرفة درجات الحرارة التي يقتضيها كلُّ صنفٍ من الزروع لينبت مع حساب مجموع كميّة هذه الحرارة لينمو الزرع ويأتي بثمر

ولكن هذه ملاحظات لاينتفع بها الّا من تخرّج بالعلوم الكيماويّة والفيزيولوجية

وهي تقتضي اختبارات متوالية يقوم بها في موقع مناسب من كان جديرًا بعملها . اما العامَّة فمن المحال ان يُطلب منهم مثل هذه الامتحانات . ولكن اذا كان الزارع فهيمًا فانَّ اختبارهُ اليوميّ وتجربتهُ الخاصّة تقوم لهُ مقام هذه الامتحانات العلميَّة فيمكنهُ ان يزرع الزرائع الاجنبية في قسم صغير من ملكهِ ولعلَّهُ اذا انتظر نموّها بصبر ينال مبتغاهُ بعد سنين قليلة

وهذه نتيجة بعض اختبارات وصل اليها علماء فنّ الزراعة . قال مسيو دي كَندول انّ اوّل طلوع الشعير يكون في درجة ٥ من الحرارة والقمح في ٦ والذُّرَة في ١٥ الخ . واللُّوبياء يبدو زهرُها في درجة ٨ وبقلة برجيس (sainfoin) بين درجتي ١١ و ١٢

وقد بحث العلاَّمة بُوسِينغو وغيرهُ في مجموع كميّة ما يقتضيهِ من الحرارة كثير من النبات فعيَّنوا الدرجتين العظمى والسُّفْلى من الحرارة التي تتردَّد بينهما اخصّ الانواع المزروعة . وهذا بيانها :

انواع الزرائع	درجة الحرارة السفلى	درجة الحراة العظمى	أنواع الزرائع	درجة الحرارة السفلى	درجة الحرارة العظمى
حنطة الخريف	١٩٦٠	٢٢٥٠	حنطة الربيع	١٨٧٠	٢٢٧٥
شعير الشتاء	١٧٠٠	٢٠٧٥	شعير الربيع	١٦٠٠	١٩٠٠
القُرْطمان (الشوفان)	١٩٤٠	٢٣١٠	الذُّرَة	٢٣٧٠	٣٠٠٠
الرزّ	٣٥٠٠	٤٥٠٠	الشَمَنْدر	٢٤٠٠	٢٧٠٠
اللّفت	١٤٠٠	١٦٠٠	الملفوف	١٥٥٠	١٨٠٠
البطاطة	١٣٠٠	٣٠٠٠	الكتَّان	١٦٠٠	١٨٥٠
الخشخاش	٢٢٥٠	٢٧٨٠	الحمّص	٢١٠٠	٢٨٠٠
العَدَس	١٥٠٠	١٨٠٠	اللوبياء	٢٤٠٠	٣٠٠٠
الكِرسنَّة	١٧٨٠	١٩٢٠	الجلبَّان	٢١٧٠	٢٨٤٠
الباقلاء	٢١٠٠	٢٣٠٠			

والاختلاف بين درجَتَيْ الحرارة العظمى والسفلى يصدر عن اسباب شتَّى . ومن المعلوم انَّ في البحث عن خواصّ كلّ اقليم لا يكفي ملاحظة الحرارة وحدها بل ينبغي مراعاة امور غيرها . (واوَّل) ذلك النور وهو اقوى عامل في تحليل الحامض الكربونيك الذي

تمتصهُ النباتات من الهواء وفي تبخير المــاء الصادر من اوراق النبات . وقد بيَّنت امتحانات العلماء بُونيار وفلاهو ومَنْجِين انَّ ثقل الكربون الذي يمتصُّهُ النبات يزيد بنسبة ما يجتذبهُ الى نفسهِ من النور فهضم النبات للكربون ينمو مع اشتداد النور الى درجة فُضْلَى . (والسبب الثاني) لاختلاف درجات الحرارة في انواع النبات ينتج عن رطوبة الجوّ . فانَّ نموّ غلَّة الزراعة يتعلّق تعلُّقًا شديدًا بتوفُّر كميَّة الماء المتجوّل في مسامّ النبات . وقد بيَّن المعلّم هَال انّ التبخير في النبات انَّما هو اكبر عامل يمكِّن الجذور انّ تمتص الموادّ من الارض وذلك لانَّ عروق النبات تفرغ بالتبخير فتتصاعد المائيَّة من الجذور الى اقسام النبات فيقوى الجذر على امتصاص الموادّ من الارض . (والسبب الثالث) لاختلاف الحرارة النوعية في النبات انَّما يكون ايضًا من كميَّة المطر النازل سنويًّا . (والسبب الرابع) هي الدرجة العليا او السفلى التي تبلغ اليها حالة الجوّ في السنة . ولكل بلاد او قسم منها حدَّان من الحرارة تتردّد بينهما حالة الجوّ . وكثيرًا ما تنفي معرفة هذه الحدود زراعة بعض انواع النبات

امَّا (الارض) فمن المتبادر انَّ بسبب خواصّها الطبيعيَّة وتركيبها الكيماوي وعمق تربتها يزيد او ينقص ما فيها من الجدارة لتزكية كلّ نوع من النبات

ثانيًا . طريقة اغتذاء النبات — انّ النبات يتركَّب من عناصر محدودة العدد غير انَّها تمتزج على طرائق لا تُحصى . وهذه العناصر منها آليّة ومنها معدنيّة كما ترى :

عناصر النبات الآليّة	عناصر النبات المعدنيّة	
الكربون	الفُسْفور	الكلور
الاكسيجين	البوتاس	المغنيسيا
الهيدروجين	السوديوم	الحديد
الأزوت	الكلسيوم	الالومينيوم
	السيليسيوم	المنغنيس
	الكبريت	

فهذه العناصر ليست منفردةً في النبات بل ممتزجة عل طرائق شتَّى . وانَّما النبات يقتبسها من التُربة والجوّ ويحيلها الى جوهر نسيجهِ . ولكن اذا اراد الزارع ان يغذي زرعهُ فلا يتحتَّم عليهِ اختيار سماد يجمع كلّ هذه العناصر فيردّ للارض ما احتوتهُ منها الغلاَّت وذلك

لانَّ بين هذه الموادّ ما ليس وراءه كبير امرٍ ولأنّ الزروع تمتصُّ ايضًا من الجوّ ما تحتاج اليهِ من الكربون وتنال حاجتها من الاوكسيجين والهيدروجين بتحليل الماء

والموادّ التي يجب على الزارع ان يعتبرها كاصول الغذاء لنباتهِ فيهتمّ باقتنائها ليحفظ للارض خصبها انَّما هي الموادّ التي تدخل فيها تركيبات الازوت والفُسفور ثم البوتاس

فلكي تحفظ التربة ما فيها من الدسَم فتزيد ثروتها وتنمو غلّتها (وهي الغاية التي لا بُدَّ من الحصول عليها بتحسين الارض) ينبغي ان يعرف الزارع ما ينتزعهُ كلُّ نبات من موادّ التربة المخصبة فيردُّها لها. ومواد هذا العياض انَّما يشتمل عليها السواد (الزبل) والسَّماد الكيماوي

وليعلم الزارع انَّ ردّ هذه العناصر الثلاثة المذكورة للارض لا يكون على حدّ سواء فانّ الحامض الفسفوريّ مثلًا لا غنًى للارض عنهُ فلا بُدَّ من ردّهِ اليها على قدر ما فقدت منهُ. وليس الامر كذلك في البوتاس فانَّ فعـلهُ في إنماء الزروع اقلّ نفعًا. وكذا قل عن الازوت لانَّ النبات يستخرج من الهواء قسمًا من الازوت فضلًا عمَّا يجدهُ منهُ في الارض فيمتصُّهُ. وهذا الامر قد ظهر جليًّا بعد اختبارات الأُستاذَيْن بُوسينغو وهِرْفي مَنغون فلاحظا بعد المقـابلة انَّ كميَّة الازوت الذي وُجد في الغلّة بعد دَوْر تبديل النبات تفوق كميّة ما كان موجودًا منهُ في السَّماد في المدَّة ذاتها

وزد على ذلك انَّ للنبات قوَّة جاذبة يقوى بها على ان يأخذ من التربة حاجتهُ من كل عنصر فيحيلهُ الى جوهرهِ مهما كان في الارض من تناسب الموادّ وموازنتها

فيقتضي الامر اذًا ان يقوم الزارع بحاجة الزرع الى الغذاء. ولذلك يجب ان يختار ما تقلُّ عليهِ كلفتهُ ويزيد بهِ ربحهُ. ولا يجد احسن وسيلة الى ذلك غير تنسيق المُزدرعات. فاذا أحسنَ تنظيمَ ارضهِ وتقسيم زرعها لا يتحتَّم عليهِ ان يردّ للارض مقدارًا من الموادّ المخصبة. ولو أغفل هذا التنسيق ذهبت اقسام من هـذه الموادّ سدًى لا يُنتفَع بها اللهمَّ اذا ما اختلفت شروط الحرارة والتربة وغير ذلك من احوال النبات. فالبقول مثلًا لها قوّة تختزن بها عنصر الازوت وذلك لان في جذرها انواعًا من الفُطر تجتذبهُ. وهذه الفُطور هي من العوامل المولّدة للنَّطرون في الارض وبذلك يكون الازوت اقرب منـالًا للنبات. وعليهِ فلا يلزم لهذه البقول الَّا قليل من عنصر الازوت. ويمكن ايضًا اقتصاد الازوت بتعقيب البقول بالحبوب التي تستغني عن الازوت

واخيرًا ربَّما احتوت بعض قطع الارض مقدارًا وافرًا من بعض الموادّ المخصبة التي تلائم

نوعاً من النبات دون غيره فاذا لم تبدل الزريعة بقيت هذه المواد بلا فائدة

ثالثاً . تنفيق المحصولات — ان هذا الامر اول ما يقتضي مراعاتهُ في تنسيق المزدرعات فيختار الزارع ما يرجو بهِ من غلتهِ الربح الطائل لا سيما اذا جاور معامل يروج فيها شيء من هذه الزرائع . فيحسن مثلاً ان يُزرع الشمندر بجوار معامل السكر وفستقُ الارض المعروف بفستق العبيد قرب معاصر الزيت . وكثيرًا ما تقضي سهولة نقل الغلات من بلد الى آخر باتخاذ بعض الزرائع دون غيرها . كما انهُ تستدعي احوال التجارة باختيار انواعٍ منها في بعض الاوقات لرواج سوقها . ولا بُدَّ من اعتبار ما يتكلفهُ الزارع لنقل غلاتهِ فربما زادت هذه الكلف فلم توازن المحصول . الّا انهُ قد توفرت اليوم اسباب نقل الصادرات بتقدم البلاد وسوف تزيد مع الايام

هذا واننا لا نحصي في عداد الزرائع الداخلة في تنسيق المزدرعات الحدائقَ والكروم ومغارس الزيتون والغابات والمروج والبقع المستنقعة

اساليب القدماء والمحدثين لتنسيق المزدرعات

اوّلاً . تبديل المزدرعات كلّ سنتين — هذا اول اساوب جرى عليهِ الاقدمون في تنسيق المزدرعات فكانوا يحولون اراضيهم اي يتركونها بورًا في حَول ثم يزرعون الحبوب في الحول الآخر . وكانت عادة الرومان في بادئ الامر تعقيب البور بالبذور الشتوية . غير انّ هذه الطريقة كانت مُخلّة تدع التربة بلا جدوى مدّة سنةٍ في كلّ عامين فاستبدلوها بطريقة اخرى بان يزرعوا البقول سنةً والحبوب الشتويّة سنةً اخرى

ثانياً . تبديل المزدرعات كل ثلاث سنين — ولم يلبث الرومان ان آثروا اسلوباً مختلفاً فكانوا في السنة الاولى يدعون الارض بائرةً ثم في السنة التالية يزرعونها قمحاً ويعقبونها في السنة الثالثة بزرع القُرطمان (الشوفان) او الشعير . فكان لهذا التنسيق خَلَلان احدهما فَقد منافع الارض سنةً في كل ثلاث سنوات . والآخر تعقيب البذور مدّة سنتين متواليتين في بقعة واحدة فتفتقر الارض الى موادّ ازوتيّة لا يقدر التسميد وحدهُ يعيدها للارض

واصلاح هذين الخللين يكون باتّخاذ تنسيق الثلاث سنوات وهو الاسلوب المعروف بالفَلَمَنكيّ وطريقتهُ حسنة تتوقّف على ان تُزرع الارض في سنةٍ أُولى بالزروع المنظِّفة كالبطاطة والشمندر . (راجع ص ١٧٨) . وفي الثانية تُبذر فيها البذور . وتليها في الثالثة البقول

ثالثاً . تبديل المزدرعات كلّ اربعة احوال — تنسب هذه الطريقة للعالم نُرفُلك وهو كان يبتدئ في العام الاوّل بالزروع المنظِّفة . ثم يشفعها في الثاني بالحنطة او الشعير . وفي الثالث بالبقول . ويعود في الرابع الى الشعير او الحنطة . وهذه الطريقة هي الطريقة المُثلى في تنسيق المزدرعات اوّلًا لان البذور لا تتعاقب في البقعة الواحدة . ثانياً لانّ ما يُلقى على الزروع المنظِّفة والبقول من الدَّمال (الزبل) تستفيد منهُ الحبوب في السنة التالية فتبقى ساقها مائلة لا يصيبها ارتخاء . ثالثاً تصبح البقول نفسها بتوسّطها بين زَرْعَيْ بذورٍ كسماد حسن للارض يقوم لها مقام زيادةٍ في الازوت لان البقول كما بيَّنَّا سابقاً تستخرج الازوت ممّا يحيط بها من فضاء التربة بواسطة فطر ينمو في كعوب جذورها

هذا ويوجد طرق اخرى كثيرة لتنسيق المزدرعات منها الاساليب ذات الاحوال الخمسة وهي على انواع لا حاجة لتعدادها . وقد اكتفينا هنا بذكر أولاها واقربها للاستعمال . والزارع اذا ما احرز المبادئ التي شرحناها سابقاً يمكنهُ ان يختار بنفسهِ طريقة من التنسيق توافق غايتهُ . وعلى كل حال فليتذكَّر انّهُ يصلح للارض ان تُترَك بأرةً بلا زرع اذا كان موقع المزارع بعيداً من المجتمعات المدنيَّة او يصعب نقل غلاَّتها وكانت اسعار الاراضي بخسةً والتربة قويّةً مكتنزة . وفي خلاف هذه الظروف لا يصلح ان تبور الارضُ

تنسيق المزدرعات في سوريَّة

قد اعتاد السُّوريون تنسيق المزارع منذ عهد قديم . ولهم في ذلك اساليب شتَّى منها مُخلّة لا خير فيها . ومنها حسنة من بعض الوجوه لكنَّها باقيةٌ على حالها السابق لا تنتفع بما نال الوطن من التحسينات الاقتصادية . واكثر هذه الاساليب شبيهة بطرائق قدماء الرومانيين التي لا يزال بعض ارباب الفلاحة يستعملونها ايضاً في انحاء من اوربَّة وقد ذكرنا ما فيها من الخلل

اوّلًا . تنسيق المزارع في حوران — يغلب عندهم تنسيق التحوُّل من البور الى البذور . وهذه الطريقة ليست بمستكرهة في البُقع اليابسة التي لا تنبت الكلأ لانّ الزارع يستثمر بها من الارض ما امكن وفي سنة البور ترعى المواشي ما اتت بهِ الارض طوعاً من الاعشاب

ثانياً . تنسيق المزارع في البقاع — عادة الفلاَّحين في البقاع ان يعقبوا ببور سنةٍ زرعَيْن من البذور هما الحنطة والشعير . وهذه طريقة سوء شرحنا ما فيها من الفساد ولعلَّ مضارَّها

تخفُّ لحسن التربة وثروتها بالموادّ المخصبة المغذية ولما يُلقى عليها من السماد . وهناك قطعان عديدة من الماعز ترعى الاراضي في فصل الصيف على اختلاف الادوار فيُغني سوادها الارض ويخصبها

ودونك طرائق اخرى يستعملها البعض فيزرعون في السنة الاولى البقول كالحمّص والكرسنَّة والترمس . وفي الثانية يزرعون الحنطة ويلحقونها في الثالثة بشعير الخريف . وغيرهم يدَعون الارض بائرة في سنةٍ مع عَزقها في فصل الخريف . وربَّما فلحوها ثلاث مرَّات وهي طريقة فُضْلى . وفي السنة الثانية يزرعون الحنطة وفي الثالثة الشعير

وهاتان الطريقتان الاخريان ليستا بمستكرهتين نسبةً الى ما تصيبهُ الارض من السماد الوقتي وذلك ممَّا يخفِّف مضارّ زرعين متواليين من البذور في البقعة الواحدة . ولو ابدل اهل الفلاحة بذر السنة الثالثة بزرعٍ من البقول لأصابوا المرمى وزكت المزارع كما يشاؤون . والله الهادي الى الصواب

عَنْقاءُ مُغْرِب

لحضرة الاخ انستاس ماري دي سنت ايلي الكرمليّ الحافيّ

حدث لي حادث أرويهِ لقُرَّاء المشرق لغايتَيْن : الاولى تفكهةً لهم والثانية ابداء لرأيهم في هذه المسئلة . وهي : في سنة ١٨٩٦ فوَّضني رئيسي بالذهاب الى البصرة قضاء لأمرٍ يتعلَّق بشؤون رسالتنا فيها . وفي ذات يومٍ بينما كنتُ راكبًا زورقًا مع احد ادباء المسلمين البصريّين رأيتُ طائرًا غريبًا انحدر على شاطئ النهر على قربٍ منَّا . فامعنتُ النظر وتفرّستُ فيهِ حتى انطبعت صورتهُ في مخيلتي وهي لا تبرح منها الى اليوم . ثمَّ طار وغطس في النهر وظهر على بُعد ثلاثمائة مترٍ . فلمَّا استغربتهُ قلت لصاحبي : ما هذا الطائر وما اسمهُ قال : هذه عُنْقاء مُغْرِب . وما لفظ الكلمة إلَّا واستُغرِبتُ . فقال لي : وما الذي يضحكك من كلامي ؟ قلت لهُ : قولُك : هذه عنقاء مغرب . أفتظنُّني غِرًّا حتَّى تسرد عليَّ هذه الرطازات وتنفق عليَّ بضائع هذه الخُزَعبلات بينما أعلم انّ جميع العلماء والمؤلّفين متَّفقون على رأيٍ واحدٍ بعدم وجود هذا الطائر أفلستَ من ابناء العرب او لم تسمع ما قال الشاعر :

الغُول والخِلُّ والعنقاء ثالثةٌ   اسماء اشياء لم توجد ولم تكنِ

قال اني لا اجهل الامر ومع ذلك فانّي اوكّد لك انّها العنقاء لا على ما وصفها بعض العرب حتّى اخرجوها مُخْرَج الخرافات ونزعوا في قوس حقيقتها حتى قطعوها بعد ان ضاق بها المِنزَع بل هي الطائر الذي وصفهُ بعض من يروي الامور عن ثقةٍ وخِبرة وعمّا يحقق بنفسهِ لا عمّا يَسْمَع من غيرهِ . وبينما هبَّ يندفع في الكلام ويتدفّق فيهِ كانهُ الوَدْق من الرُكام اخذتُ انصتُ اليهِ واعيًا لِمَا يَسْمِتُ لي وانا عُنُقٌ اليهِ . ثم قال : انما سُمي هذا الطائر باسم العنقاء لطول عنقهِ . وهو مما تفرّد بهِ عن سائر حيوانات الارض وأطيارها نسبةً الى جسمهِ . ووصف بالمُغرب او المُغربة لانّ هذا الطائر اذا حلّق في السماء يبلغ علوًّا شاهقًا حتى يَغْرُب عن الابصار . ولمّا يغوص في الماء يغيب فيهِ زمانًا طويلًا حتى لا يكاد يصدّق عاقل بطول زمان غيابهِ لو لم يرَهُ . قلت لهُ : وهل هذا الطائر كثير المِثل هنا قال لي : كلَّا . بل هو نادر الوجود لا بل وجودهُ اليوم هنا من غريب الاتفاق والصُدفة . قلتُ : وهل يأتي كل سنةٍ . قال : لا لأنَّ هذه البلاد ليست وطنهُ فهو يأتينا من بلادٍ نجهلها لكنهُ يتيهُ في البحر احيانًا فيقع هنا تَعِبًا مَنهوكًا . قلتُ : وكم من مرَّةٍ رأيتهُ في حياتك (وكان عمرهُ نحوًا من ٣٥ سنة) . قال : مرّةً واحدةً . قلت : وكيف لم تَنْسَهُ . قال : وكيف انسى امرًا فعل في نفسي كلَّ الفعل . ثم قال : ولِمَ هذه الاسئلة التي لا فائدة فيها . فها إني آخذك الآن الى مَنزِلي وأُطلعك على كتاب ينطبق وصفهُ لهذا الطائر على ما رأيناهُ لكن اسألك ان تتذكّر بهذه الامور وهي : انهُ حسن الخَلق والخُلق . طويل العُنق . عندما يسبح تقوم على رأسهِ جُمّة كانها جُنَّة . ويُدَلّي من اسفل الحنك بعَرض النون (شفرة السيف) . شيئًا كأنّهُ العُثْنون . وفي ريشه من اختلاف الألوان . ما يُذهل كل انسان . أتحقَّقتَ كل ذلك قلتُ لهُ : نعم وحقَّقتها احسن تحقيق . لكني ارى في كلامك تكلّفًا يحول دون السرعة في التصديق

ثمّ اخذني الى منزلهِ وفتح امامي كتاب حياة الحيوان وقرأ عليَّ ما يأتي نصهُ بحرفهِ الواحد : «قال ابن خلكان ورأيت في تاريخ احمد بن عبدالله بن احمد الفرغاني نزيل مصر ان العَزيز ابن نِزار بن المُعزّ صاحب مصر اجتمع عندهُ من غرائب الحيوان ما لم يجتمع عند غيرهِ فمن ذلك العنقاء وهو طائر جاءهُ من صعيد مصر في طول البَلَشون لكنهُ اعظم جسمًا منهُ لهُ لحية وعلى رأسه وقاية وفيهِ عدَّة ألوان ومُشابَهة من طيورٍ كثيرة» (اه) . فلمَّا قرأ عليّ ذلك لم أُعِدْ أُجيبهُ ببنت شفة . لكني بقيت على فكري حاسبًا كلّ ما رأيتهُ من غريب الاتفاق ليس إلّا

فلما عدت الى بغداد اخذتُ افتّش في كتُب الفرنج عن الطائر الذي رأيتهُ. فاخذني كلّ العجب حينما وقعت اعيني على صورتهِ كانها أُخذت بالتصوير الشمسيّ. وبلغ العجب مني أَوْجَهُ حينما رأيت اسمَهُ يوافق اللفظ العربيّ. فقرأتُ وصفَهُ فاذا هو وصف الطائر الذي كنتُ رأيتهُ في البصرة. ومذ الحين اخذني الشكّ في صحة كلام رفيقي البصريّ وهو الى اليوم فيَّ لا يتجاوز الشكّ إذ قلتُ في نفسي: من المحقَّق ان العرب قد بالغوا في وصف بعض الحيوانات والطيور حتَّى اخرجوها عن التصديق ولعلَّ حظَّ العنقاء من حظّ هذه الحيوانات وحظّ هذه الطيور

امّا ما قرأتهُ في كتُب الفرنج فهو ما يأتي اذكرهُ بحرفهِ المعرَّب إتمامًا للفائدة وايقافًا على حقائق الامور. قال احد كتبَتهم في هذا الموضوع: «العَنقَاء (١ Anhinga Levaillant (Plotus Levaillant) تمتاز بدقَّة عنقهــا وطولهِ الفاحش ورأسُها اسطوانيّ الشكل ومنقارها مستقيم رقيق محدّد وقامتها لا تتجاوز قامة البطَّة كبرًا ولون منقارها اصفر واعلى رأسها وخلف رقبتها احمر آجُريّ وعليهِ حاشيةٌ سوداء تنزل الى الكتفين وجبهتُها وعارضاها وجانبا عُنُقها ابيض ناصع ونَحْرُها ومقــدَّم عنقها اصفر أكمد بلون المُغْرَة وصدرها واسفل جسمها أسود قاتم بَرِيقهُ الى الخُضرة ولونُ ظهرها وريش جَنَاحَيْها الصغير أَصْحَم ووسط كل ريشةٍ أَصدَأُ فاتح وبذنبها اثنتا عشرة ريشة متوتّرة طويلة لا تُناسب تقاطيع جسمها. ولَمّا تغوص في الماء او تتوارى بين حشيش الشواطئ تُلعّب عُنقَها الطويل فيتموّج ويتمعَّج كانهُ حيَّة حتى ان الناظر اليها يأخذهُ الفزع والجزع

«وتسكن العَنقَاء البلاد الحارّة من شَطرَي كُرَة الارض وتأوي تارةً الى المياه العذبة وطورًا الى الفيافي والقفار وطعامها الدود والحيوانات الرخوة وصغار السمك وتنـام على الاشجار وتعشّش على أعلى الأفنان والأغصان وتطير الى علُوّ شاهقٍ وبسرعة غريبة وتسبح بخفَّةٍ عجيبة. وهي كثيرة الحذر اذا سمعت أدنى صوتٍ انغطَّت في الماء ولا تظهر إلَّا على بُعدٍ شاسع لتستنشق الهواء ثم تغرب ثانيةً وصيدها صعب للغاية. ولا تُفاجأ لا على الماء ولا

---

١) ان الافرنج يبدلون العين لعدم وجودها عندهم بحرف الهاء وهو اقرب الاحرف الفرنجية الى الحرف العربي من سائر الحروف كما قالوا (Alhidad, Mahonne) في الماعون والعضادة. ويقع عندهم ابدال اللام بالنون في وسط الكلمة كما قالوا (Gengéli) في جلجلان فضلًا عن انهُ يقع مثل هذا الابدال نفسهُ في اللغة العربية وامثال ذلك كثيرة عند اصحاب اللغتين

على الغبراء اذ تكمن بين القصب والأَباءَة». انتهى تعريبًا عن كتاب (Encyclopédie de l'Enfance, N° 108)

فمن قرأ هذا الوصف وتدبَّر ما نقلناهُ ورأيناهُ يتعجب من المطابقة الموجودة في الكلامين. غير ان ما رأيتهُ ونقلتهُ هنا عن الفرنج لا ينطبق كل الانطباق على ما ذكرهُ الدميري نقلًا عن ابن خلكان: فالعنقاء اعظم جسمًا من البلشون بقليل لكنها ليست بطولهِ والجُمَّة لا تظهر الّا عند السباحة حينما تَزْبَئِرّ والظاهر من كلام ابن خلكان ان الوقاية التي على رأسها تُرى دائمًا. وكذلك القول في العثنون. فهو شيء يكاد لا يُذكر تُدَلّيهِ عند السباحة ايضًا. امَّا ما وصفهُ بهِ الفرنج فينطبق كل الانطباق على ما رأيت بعيني وسمعتُ من البصريّ. وعلى كلٍّ فان الاسم الفرنجي ومسمَّاهُ يصدق كل الصدق في هذه الحالة ولعلّ الفرنج اخذوا هذه التسمية عن عرب هذه النواحي اذ لا معنى لهُ في لغتهم ثم لعلّ العرب المُحدَثين حوَّلوا معنى اللفظ الاصليّ الى مسمًّى آخر يصدق عليهِ بعض هذه التسمية. وهذا عندي اقرب الى الصواب والله اعلم

هذا واختم كلامي راجيًا من اولي النظر والنقد ان يتحفونا بشيء مما يبدو لهم في هذا الصدد تمحيصًا للحق ونورًا للباحثين والسلام على من طلب الهُدى واتَّبعهُ

جواب المشرق

اذا ما قرأنا في تآليف القدماء شيئًا عن امور طبيعيَّة تدهش عقلنا وتظهر انها مباينة لما نعهدهُ الآن او لم يبقَ منها في ايَّامنا اثر يلزم ان نتروَّى في حكمنا ولا نجزم لاوَّل وهلة انَّ الخبر عارٍ عن الصحَّة ما لم يصرِّح الحق بالبراهين البيِّنة كما انهُ لا يجب تصديق الامر اذا لم يقترن بالأدلَّة. فانَّ كثيرًا من الدبَّابات والطيور عاشت في سالف الزمن على وجه ارضنا ولا وجود لها الآن. وقد اكتشف العلماء على آثار حيوانات عظيمة الاجسام دثرت وبادت من عالم الكون ومحفوظة هياكلها او بعض اجزائها في قاعات متاحف الشعوب المتمدّنة. وهي الشاهد على ما كان في ارضنا وجوّنا من الحيوانات الجسيمة مثل المُموث المحفوظ هيكلهُ في متحف بطرسبرج وكان يبلغ علوّه ستة امتار والحرباء المجنَّحة (Pterodactylus) والبليسيوسوروس وكان يبلغ طولهُ عشرة امتار

ولا ريب ان في ما اورده كَتبة العرب عن بعض الطيور سواء كان في تواريخهم او في

الحكايات المصطنعة مبالغةً لكنهُ ليس برمَّتهِ محض اختلاق فاذا ما جرّدناهُ من الغلو المفرط وقفنا على الحقيقة

ورأينا في عنقاء مغرب هو ان هذا اللفظ أُطلق اوّلاً على طائر حقيقي عظيم الجثمان كان يعيش في الجهات الحارّة القريبة من خطّ الاستواء في جزائر البحار التي بين الهند والصين ثم اخذ التجار من العرب المسافرون الى تلك البحار والارضين يخبرون عنهُ عند عودتهم الى اوطانهم فيغالون في عظمه وقوته ويبالغون في وصفه حتى اخرجوهُ عن حدّ التصديق. فكانت نتيجة هذه الاقاصيص ان اسم العنقاء اصبح عند العقلاء كناية عن طائر خرافيّ لا وجود لهُ اصلاً

امَّا العامَّة فكانوا لا يتردّدون في قبول ما يُقال عنهُ من الخُزعبلات مصدّقين ذلك دون رويَّة ولا تثبُّت ولذا ننظر ان المخبرين عن العنقاء والكاتبين في شانهـا في طرَفَيْ نقيض. فهذا الدميري يصفها بما يكاد يخرجها عن باب الممكن فيقول ان « بيضها كالجبال» وان « عند طيرانها يُسمع لاجنحتها دويّ كدويّ الرعد القاصف » الى غير ذلك من الاوصاف التي تضحك الثكلى وتجعل ذوي الذوق السليم يهزُّون الرأس. امَّا المسعودي الذي سافر في بحار الهند وحلّ في جزائرها وكان ذكي العقل سديد الرأي غزير المعرفة فانهُ ينفي وجود العنقاء فيقول « والناس يذكرون عنقاء مغرب ويصوُّرون العنقاء في الحمَّامات وغيرها ولم اجد احدًا في هذه الممالك ممَّن شاهدتُهُ او نمى اليَّ خبرهُ ذكر انهُ رآها ولست ادري كيف ذلك ولعلَّهُ اسم لا مسمًّى لهُ (١) ». وقال ايضاً « وانما ذلك من هوس العامّة واخلاطها كما وقع لهم في خبر عنقاء مغرب . . . ونحن لم نُحِلْ وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك مما اتصل بهذا النوع من الحيوان الغريب النادر في العالم من طريق العقل وان ذلك غير ممتنع في القدرة لكن أَحلْنا ذلك لان الخبر القاطع للعذر لم يرد بوجود ذلك في العالم وهذا باب داخل في حيّز الممكن الجائز خارج عن باب الممتنع والواجب (٢) ». امَّا معظم ما كتبهُ الفرنج قديمًا عن عنقاء مغرب ويسمّونها griffon (٣) فمأخوذ عن اخبار العرب ولا عبرة بهِ

١) في كتابهِ مروج الذهب الصفحة ٢٩ من المجلَّد الثالث. طبعة باريس

٢) المجلَّد الرابع الصفحة ١٥

٣) هذه اللفظة يونانية الاصل (غربس غريبوس γρυψ γρυπος) وتعني طائرًا من الجوارح هو العقاب. ولمَّا اتَّصل بالفرنج وصف العنقاء الخرافية مع جهل اسمها اطلقوا عليها اسم العُقاب griffon

ومن تناقض الآراء في العنقاء واختلاف المؤرخين والعلماء في شأنها نتج ان عامة الناس لدى مشاهدتهم طائرًا نادرًا غريبًا في الشكل والقدر اطلقوا عليه اسم العنقاء وان لم يكن بها . وهكذا هو الامر فيما نرى في الطائر الذي يتكلم عنهُ حضرة المراسل . لانهُ يوجد بون عظيم بين العنقاء وطائر لا يتجاوز جسمهُ كبر البطّة فاذا نفينا ما لا يُصدّق عنها يستنتج من كلام العرب في شأنها انها كانت اكبر بكثير ممّا ننظرهُ الآن

ولعلّهم سمّوا بعض الطيور بالعنقاء لطول عنقها كما ذكر ذلك الدميري حيث قال « وسمّيت العنقاء لطول عنقها »

ولنا برهان على ما ابديناه من الرأي بشأن العنقاء ما كُتب في طير الرخّ والشيء بالشيء يُذكر

فقد وصف ابن بطوطة طير الرخّ بما يبعدهُ عن الواقع ولا يحتمل تصديقهُ . على انّ وصفهُ لا يخلو من الحقيقة ويثبّت على الاقلّ انهُ كان عظيمًا جدًّا بما لا مثيل لهُ الآن . قال عند ذكر رجوعهِ من الصين الى الهند (في الصفحة ٣٠٥ من كتاب رحلته المجلد ٣ طبعة باريس) . « ظهر لنا بعد طلوع الفجر جبل في البحر بيننا وبينهُ نحو عشرين ميلًا والريح تحملنا الى صوبهِ فعجب البحريّة وقالوا لسنا بقرب من البرّ ولا نعهد في هذا البحر جبلًا وان اضطرتنا الريح اليهِ هلكنا » الى ان قال : « وسكنت الريح بعض سكون ثم رأينا ذلك الجبل عند طلوع الشمس قد ارتفع في الهواء وظهر الضوء فيما بينهُ وبين البحر فعجبنا من ذلك ورأيت البحريّة يبكون ويودّع بعضهم بعضًا فقلت : ما شأنكم . فقالوا : ان الذي تخيّلناهُ جبلًا هو الرخّ وان رآنا اهلكنا . وبيننا اذ ذاك وبينهُ اقلّ من عشرة اميال . ثم انّ الله تعالى مَنّ علينا بريح طيبة صرفتنا عن صوبهِ فلم نرهُ ولا عرفنا حقيقة صورته . وبعد شهرين من ذلك اليوم وصلنا الى الجاوة ونزلنا الى سُمَطرة » . فاذا جرّدنا هذا الوصف من المبالغة البينة لا يسعنا انكار وجود هذا الطائر المذكور وعظم جسمهِ

وورد ايضًا في حكايات الف ليلة وليلة في قصّة السندباد البحري في سفرتهِ الثانية انّه رأى في جزيرةٍ قبةً كبيرةً شاهقة ملسة ناعمة لا باب لها فلم يطق الصعود اليها لملاستها . وكانت استدارتها خمسين خطوة وانهُ رأى في الجوّ غيمة كبيرة فتأملها واذا هي طير الرخ الذي يخبر عنهُ البحريّون وتلك القبّة هي بيضتهُ (١ . الى غير ذلك من الوصف

١) وفي ما ورد عن هذا الطائر في كتاب الحيوان للدميري مبالغة تفوق ما حكاهُ السندباد البحري

الذي جعل هذه القصة من جملة الحكايات الخرافية . الّا ان واضع الحكاية اتّخذ وجود طائرٍ كبيرٍ في تلك الجزيرة اساساً بنى عليهِ حكايتهُ فبالغ وغالى واختلق ومخرق

فاذا عرّيناها من المبالغة لا مانع من قبول ما استتر تحت رداءِ الاختلاق اي وجود طائرٍ عظيم الجسم سمُّوه الرخ . خصوصاً اذا اتت اكتشافات العلماء مؤيدة لذلك . فلو ذكرنا في مجلّتنا انهُ يوجد طائر بيضته ستة اضعاف بيض النعام لكذّبنا السواد الاعظم من القرّاء مع ان الامر مقرّرٌ علمياً . فقد اخبر الجغرافيُّ الشهير اليشع رِكلو في كتابهِ الحديث « الجغرافية العمومية » ما يكاد يتوهمهُ القاري زائغاً عن الحقيقة . وركلو هذا هو من عداد الرجال الطبيعيين الماديين الذين لا يذعنون الّا لآراء العقل . فلا يمكنا ان ننسب اليهِ السرعة في تصديق الامور وقبولها عن غير رويّة . قال في معرض كلامهِ عن حيوانات مدغسكار في الصفحة ٨٤ من المجلد ١٤ ما ترجمتهُ حرفياً « قديماً اي منذ نحو مائتين او ثلاثماية سنة كانت هذه الجزيرة تحتوي على طائر عظيم جدًّا من عائلة النعام سماه العلماء epyornis. وقد عرفهُ تجار العرب في القرون المتوسطة ووصفوه لمواطنيهم في اسمارهم فاثاروا فيهم الاندهال والعجب ألَا وهو طير الرخ او العنقاء griffon(١) الذي يخبر عنهُ مرقو پولو انهُ يقبض ببراثنهِ على الفيل وينقله الى قمم الجبال . وقد وُجدت بيضةٌ من بيض هذا الطائر وسعها ثمانية ليترات . وعليهِ فتكون ستة اضعاف بيض النعام . وقد اكتشف ايضاً العلاّمة غرانديديه على عظام هذا الطائر » اه

وكثيرًا ما سمعنا المرسلين في مدغسكار يذكرون انهم رأوا بيض طائر الرخ بوفرة في الجزيرة المذكورة

وعليهِ فوجود طيور عظيمة الاجسام في سالف الزمان بما لا نعهده في القرون المتأخرة لأمرٌ مقرّرٌ علمياً . امّا ما اتى بهِ حضرة المراسل من الوصف للطائر الذي شاهده فلا ينطبق على ما يصحُّ نسبته للعنقاء من الكبر . ونرى ان تسميته بعنقاء مغرب انما هو لطول عنقهِ وغرابته . والله اعلم بالصواب

الاب انطون صالحاني اليسوعي

---

١) لم يفرق الكاتب بين الطائرين لعدم معرفته بالعنقاء

الكُحل

بقلم الدكتور شاكر الخوري مدرّس الاكلينيك العينيّ في المكتب الطبّي في كليَّة القديس يوسف

كأنَّ الانسان لم يكتفِ بالامراض العديدة التي تُحيط بهِ حتَّى اخترع بعض امور تلذُّ لهُ ظواهرها وعاقبتها عذابٌ لهُ واوجاع. والمرءُ يُعذر اذا أُصيب بعلَّةٍ أتتهُ بقضاء ربّهِ من حيث لا يدري لانَّ اسباب الهلاك لا يعدُّها احصاء فمها صنع الانسان لا يمكنهُ التملُّص منها جميعًا. لكنَّ من الامراض انواعًا لا علَّة لها سوى ارادة من ابتُلي بها ومخالفتهِ للقوانين الصحيَّة فاذا اعترت احدًا لم يَستطِع ان يُبدي عذرًا لانهُ جلبها لنفسهِ باطلاقهِ العنان لشهواتهِ مع معرفتهِ بسوء عقباها فتراهُ لا يسمع كلام نذير ولا امر مدير ولا مختبر حتَّى تؤدّي بهِ الى هلاكهِ. فتبًّا لها من شهوات تضيع العقــل وتعدم الراحة والصحَّة. وتضحّي انواع الرفاهية في سبيل الهوى الباطل

وما يزيد في غرابة الامر انَّ بعض هذه الامراض ناتج عن إقدام الانسان على شيءٍ يلتذُّ بهِ غيرهُ وهو لا ينال منهُ الّا الضرر والألم لكنَّــهُ يفعل ذلك ليُنسب اليهِ الجمال ولعلَّهُ هو خلوٌّ منهُ ولا يجهل كَذِب من يصفهُ بهِ

ومن جملة هذه العادات السَّيئَة صبغ الشعر والتغمُّر اي طَلي الوجه بالغُمْرة وانواع الاصباغ ثم كَحل العيون. ولا أتعرَّض هنا للعادتين الأُولَيين فانَّ ما يتولَّد منهما من عاهات البَشرة والجلد يجعلهما خصيصتَين بعلّم الامراض الجلديَّة واما تكحيل العيون فاني اتكفَّل باظهار اضرارهِ وشرح عواقبهِ لمن يستعملهُ طمعًا في استحسان غيرهِ لمنظرهِ. وكفى المتكحّل ذمًّا ما يُقال في حقّه انهُ ذو العين السوداء الكاذبة. واني استميح المعذرة من المتكحّلات اذا ما اتى شيءٌ يسوءهنَّ في اثنــاء مقالتي هذه عن شرح مضارّ الكحل. فانني طبيب رَمَدي وبهذه الصفة اشاهد عددًا وافرًا من السّيدات المُصابات بامراض في عيونهنَّ لا سبب لها غير الكحل. ولا يمكن للطبيب ان يرى عادة يتأتى منها عدّة اضرار ويسكت عنها. فمن ثمّ قد تكلّفنا هنا شرح ما تورثهُ هذه العادة الوخيمة من المرض في العيون ألا وهو الرَّمد الكُحليّ

وقبل الابتداء بشرح اعراض المرض نذكر نبذة تاريخية عن هذه العادة الجارية في العالم من القِدَم ولا نعلم انّ احدًا بحث فيها بحثًا مدققًا لتبيين مضارّها رغمًا عن قدمهــا.

وذلك ناتج عن عدم وجود اطبَّاء مخصَّصين لامراض العـين قبل ايَّامنا هذه في البلاد الشرقية حيث تأصَّلت هذه العادة المضرَّة . واماَّ اطباء الغرب فانهم لم يتكلّموا عنها لانها قليلة عندهم واضرارها نادرة في بلادهم . فاكون انا اوّل مبشّر يُنذر المتكحلات ويظهر لهنَّ اضرار هذه العادة التي ابتدأت منذ ابتداء العالم

تاريخ هذه العادة

قد ذكرنا في كتابنا « صحَّة العين » في فصل زينة العين عن تاريخ هذه العادة التي ابتدأت ولم تزل في الشرق فاحببنا الآن لاجل اتمام الفائدة ان نختصر ما قلناهُ وهو : ان هذه العادة قديمة كالعالم فكلّ من المصريّين والكلدانيين والاسرائليين كان يستعملها . وذكر المؤرّخون دوريس وساموس ونقولا وهيـيريوس عن سردانابال ملك اشور انَّهُ كان يقضي مدّة من الوقت في تكحيل عينيهِ وصبغ حاجبيهِ وتحسين وجههِ . وذكر ايضاً مؤرّخو اليونان واللاتين هذه العادة فمنهم أُوفيد قال ان النساء كنَّ يَخشونَ حواجبهنَّ في المحلّ الخالي من الشعر ولم يكنَّ يخجلنَ من تزيين العين بمسحوق ناعم او بزعفران قيليقية

وذكر پلين الطبيعيّ انهُ لم يكن يمضي يوم واحد على أهداب رجال زمانهِ ونساء عصرهِ من دون ان تُصبغ . وذكر عدّة مؤرخين عن استعمال مزيج من الاثمد والكبريت لتكحيل العين ومن جملتهم پلين المذكور . وفي الجيل الثالث عشر كانوا يعتبرون العيون السود اعتبارًا عظيماً بحيث انّ سواد العين كان يُعدُّ من اقوى الاسباب لاستمالة القلوب في ذلك الوقت فكانت صاحبة العين الزرقاء تجعلها سوداء بوسائط متعدّدة منها وضع عصارة لُحمرة البلاّدونا داخل الجفن لان خواصّ هذه العصارة ان تمدّ الحدقة فتصير العين سوداء فكان ينتج من هذا التمدد المستديم ضرر عظيم بالبصر

امَّا اهل الصين فيستعملون ورق زهر الورد . والتتر يحبُّون اللون الاصفر الضارب الى الحُمرة فيتَّخذون لذلك العُصَيفِرة (الباسمين) . ولا نتعرّض في مقالتنا هذه لبقية الموادّ المستعملة لصبغ الوجه والحواجب وان كان تأثيرها مضرًّا بالعين ايضاً وبالخصوص السبيذاج الذي هو مركب رصاصي . وقد وجدوا في مدافن المصريين والفينيقيين مكاحل ومراود لاجل هذه الغاية ووجدوا ايضاً آلات غيرها للزينة مثل الامشاط والوذائل والمرايا وغير ذلك وكانوا بالاكثر يرسمون على هذه الآلات صورة مسخٍ شنيع المنظر يدعونهُ البسّ

يزعمون انهُ زوج الزهرة إلاهة الجمال . وكانت غايتهم بهذا النقش ان يشيروا الى رجال قبيحي الصوَر

امَّا المرايا فكانت كلُّها مشوّهة برسم هذا المسخ لا تخلو منهُ البتة . وغايتهم في ذلك ان يحسِّنوا النساءَ في وجوههنَّ وذلك ان التي تنظر وجهها في المرآة تجد هيئتها دائمًا جميلة بالنسبة الى صورة المسخ الشنيعة . واحيانًا كانوا يرسمون شخص هذا المسخ قائمًا بنفسهِ وحاملًا مكحلة فيها ميل يقدّمها الى المتكحلات

اعراض المرض

لا يمضي يوم الَّا ويحضر الينا مرضى يشكون حَرْقًا في العين مع تدمُّع غزير . وبعد الفحص المدقّق نجد من الكحل كميّة وافرة في باطن الجفن السفلى وهو المسبّب لهذا الهَيَجان . وعدا عن ذلك نرى حافة الاجفان الملتصق عليها الكحل مُتهيِّجة سميكة والغدَد التي توجد بين انسجتها ملتهبة ايضًا وحافة الجفن محمرَّة مُلتهبة ويصير الشعر سريع الانقصاف والسقوط حتى يتلف تمامًا وينتثر فيصير المنظر كريهًا جدًّا . ويتعسَّر ابطال عادة التكحل لانَّ من اعتادهُ ونُسلت بذلك اهدابهُ يحاول اخفاء هذا التشويه الناتج من استعمال الكحل كما يحصل للذين يزيّنون وجوههم لكي يستروا التجعُّدات المسبَّبة من استعمال الزينة

وقد احصيتُ عدد هؤلاء المرضى فكان في هذه السنة ما ينيف على المائة والخمسين وجميعهم في سنّ الشبوبية . وكان خير علاج لهم ابطال هذه العادة فقط وبعض غَسُولات لنظافة الأهداب من الكحل . ولعلّ جهل مضارّ هذه العادة كان سببًا لانتشارها في بلادنا

ويحتمل ايضًا انّ هذه العادة لم يُجْرَ عليها فقط للزينة بل ايضًا تخفيفًا لاشعَّة الشمس الزايدة عن المقدار اللازم للبصر في البلاد الحارَّة . وكان ذلك كالهام مطابق للطبيعة لان اغلب سكان البلاد الحارّة لهم عيون سود لاجل امتصاص واحتمال اشعَّة الشمس القويَّة

تركيب الكحل الكيماوي

يوجد عند العامَّة نوعان من الكحل : الاصبهاني والحجري . وعند الكيماويين نوعان ايضًا الاول : كبريتور الرصاص والثاني كبريتور الانتيمون الاسود وهذا الثاني اكثر استعمالًا من الاول ويعتني الناس بهِ اعتناءً كبيرًا . فضلًا عن التأثير الموضعي الذي يفعلهُ في الهدب وفي

الجفن كجسم غريب فان فعلهُ الكيماوي اشدّ تأثيرًا خصوصًا على غُدَد ميبوميوس (Mei-bimius) وهي التي تفرز المادَّة الدهنية لاجل نعومة الجلد والشعر فبالاتحادات الكيماوية التي تحصل بين هذه المادّة الدهنية وكبريتور الكحل تتولَّد اجسام اخرى لها خواصّ مخالفة للخواصّ الموجودة في المادّة الدهنية فيفقد الشعر لينَـهُ ويتقصَّف. والغدد المفرزة تلتهب ويقلُّ افرازها فتسمك حافة الجفن. ثم ان البوصيلات الشعريَّة تصاب ايضًا فالشعر النابت فيها يكون ضعيفًا قليلًا ويتصل الالتهاب من حافة الاجفان الى الفتحات الدمعية وقنواتها ويسبِّب انسدادها فيسيل الدمع على الخدود سيلًا مستمرًّا يلزم ان يتعالج من اعتـلَّ بهِ معالجة طويلة المدّة

فهذه هي الاضرار التي اراها يوميًّا من استعمال الكحل فاردتُ ان انشر هذه الرسالة لا طمعًا بان تسمع المتكحلات المزمنات لقولي وينتفعنَ بهِ ولكن لكي انبه اللواتي يتكحلنَ من عهد حديث او اللواتي لم يتعوَّدن الى الآن على الكحل فيرتدعنَ عن اتّخاذهِ. ولعلَّ هذه الرسالة تهيّج عليَّ غضب المتكحلات المزمنات ولكن استمرارهنَّ على استعمال الكحل بعد هذه المقالة يأخذ ثارنا منهنَّ. فالامل منهنّ عند ما ينظرنَ وجوههنَّ بالمرآة ان يتأملنَ في عيونهنَّ ويعرفنَ صدق مقالنا

المعالجة الادبية

ان عادة التكحُّل قد دخلت في هذه السنين الاخيرة عند المتمدنات في بلادنا وعند النساء العاقلات ظنًّا منهنَّ انها لا تضرّ وتزيد الهيئة جمالًا. فعبثًا نحاول ازالة هذه العادة برسالة كهذه لاننا اوَّل من كتب عنها ولا رجاء لنا ان نبطل هذه العادة عند مَن يألفها وإنَّما غايتنا رَدْع من اراد ان يعتادها في المستقبـل وخصوصًا البنات الخارجات من المدارس. وأرى ان المعلمات في المدارس يجب عليهنّ ان يظهرن للتلميذات اضرار هذه العادة ويعطين دروسًا بالاملاء عليها وعلى اضرارها حتى تأنف التلميذات منها. فكما انّ غاية المدارس هي حفظ الآداب والاديان كذلك يقتضي ان يتعلم التلامذة البعد عن اضرار الجسم والعقل والصحة فكما يوصيهم الاستاذ بتحاشي ضرر القريب كذلك يلزم ردعهم عن ضرر ذاتهم. وعلى المعلّمة ان تبيّن للبنات اضرار زينة العين والوجه وليوضع صور في المدرسة للمصابين باضرار الكحل كما يلزم فعل ذلك في مدارس الصبيان لكف من تعوّدوا شرب الدخان والمسكرات فيفهمون اضرارها سواء كان بالعقل او بالصحة او المال. فهذا ضروري جدًّا

وسأُبيّن ان شاء الله في كتابٍ اسمّيه « امراض التمدن » جميع هذه الاضرار الناجمة من الدخان والمسكرات وزينة الوجه والفساد ولعب القمار واضرارها الصحيَّة والعقلية والمالية والأَدبيَّة لان هذه الامراض مضرَّة جدًّا وليس من قانون لمنعها ولا مبشّر بمضارّها لانّ الاباحة سهَّلت لفاعليها الاكثار من استعمالها. وليس لها مانع الّا العقل والعقل لا يقوى على العادة

وربّما رأيت عقلاء يعرفون هذه الاضرار جيدًا كالاطباء مثلًا ومع ذلك تغلب العادة عقلهم وإدراكهم باضرارها فانظر يا صاح كم هي قوية هذه العادات حتى تغلب العقل وتعمي الانسان عن صالحهِ فكم يلزم من الملاحظة من الاهل والمعلّمين والمعلّمات لمنع هذه العادة عند هؤلاء الصغار الذين سلمتهم اياهم اليد الربّانيَّة. ولا يكفي في الابتداء وعظهم بالعقل فقط لانهُ لا عقل لهولاء الاطفال حتى يدركوا الاضرار المستقبلة غير المحسوسة بل يلزم القوة والقصاص لمنعهم واذا كبروا فليعاملوا بالعقل الذي تساعدهُ القوَّة المستعملة قبلًا والتربية الاولى فينبذون هذه العوائد الذميّة ولولا ذلك لما فعل العقل شيئًا ما لم تحلّ نعمة خصوصية قويَّة جدًّا من السماء فتحمل الانسان على ترك عوائدهِ. وقد اقتصرتُ في مقالتي هذه على ذكر الاضرار التي تحصل من كحل العين لأنّني اشاهدها يوميًا راجيًا بان تنتبه السيّدات ويمنع الآباء والامهات بناتهم عنهُ وحتى تعرف الابنة الى اين مصيرها بعد هذه العادة. وارجوها ان تطلب من والدتها المتعوّدة على الكحل ان تريها نفسها عند الصباح بعد قيامها من النوم فترى تلك العيون المسلخة المحمرَّة المدمعة والحكّة (الرعيان) المستمرّة بها والشعر الضعيف الذليل كأنّهُ محروق مقصَّف واذا كان باقيًا اثر للكحلة السابقة ترى حول الشعر موادّ فحميَّة كعيون الوقَّادين في البواخر. واذا حلّ لون الكحل بسبب التدمع على خدَّيها فترى ميازيب موادّ قَذِرَة. ولربما كلّفتكِ ايتها الابنة والدتكِ ان تقتلعي ما يحرق عينها ويسبب لها الحكَّة فتجدين في باطن جفنها السفلى خيوطًا مسودَّة مستقرَّة في هذا الميزاب بين الجفن والعين التي تتهيَّج من احتكاكها ببقايا الكحل كأنهُ رمل او غبار متلبِّد داخل العين وخصوصًا اذا كانت زينة والدتك ليست مقتصرة على العين فقط فترين الوجه والحواجب والاسنان بحالة افضل منها سنّ الثمانين. فتأمّلي ايتها الابنة النضرة الصباء واتّعظي واكتفي بما اعطاك الله من الهيئة الطبيعية والصحة والعقل لان كل عمل غير عملهِ مضرّ بصاحبهِ واطلبي من الله ان يرجع عقل والدتك لها ويريحها من كلّ ذلك وان لا يدخلك في التجارب بل ينجيك من التكحيل

آثار قديمة للنصرانيَّة في غزَّة وضواحيها

للاب الدكتور لويس موصيل

قد رحل الدكتور لويس موصيل تزيل كلّيتنا حالًا الى غزّة وتفقّد مرارًا آثارها وزار ما يجاورها من البنايات والاخربة القديمة فتمكّن بذلك ان يكتشف على عدَّة امكنة ذُكرت في التوراة والتواريخ القديمة وتراجم اولياء الله لم يقف قبلهُ على حقيقة بعضها احدٌ من المستشرقين. فعرض علينا نتيجة ابحاثهِ لننشرها في مجلتنا فلبَّينا بكلّ طيب خاطر الى سؤلهِ بتنسيق مقالتهِ وهي كلّها فوائد ل. ش.

لا يجهل احد ممَّن لهم ادنى إلمام بالتواريخ الكنسيَّة انَّ دين المسيح انتشر في فلسطين منذ بدء النصرانيَّة. وقد جاء في اعمال الرُسل(١ ما يشهد على ذلك شهادة صريحة فترى تلامذة المسيح يتجوَّلون في انحاء تلك البلاد يدعون الناس الى الايمان وانَّ كثيرين اذعنوا الى دعوتهم. الَّا انَّ انتشار النصرانيَّة كان في ضواحي المدن وارباض البلاد اكثر منهُ في نفس المدن لما كان في السكَّان من التعصُّب للوثنية لا سيَّما مدينة غزَّة وفيها كانت سائدة عبادة الاله مَرْناس يحجُّون الى هيكلهِ من الاقطار المجاورة. واورد صاحب كتاب التاريخ الفصحيّ (٢ انَّ فيلمون الذي وجَّه اليهِ بولس الرسول رسالتهُ كان اسقفًا على غزَّة

وذكر اوسابيوس القيصريّ في تاريخهِ (٣ : انَّ سلوانس اسقف ضواحي غزَّة (τῶν ἀμφὶ τὴν Γάζαν ἐκκλησιῶν) استشهد في عهد ديوقلسيان وكان هذا الملك نفاهُ اوَّلًا الى وادي العَرَبة وحكم عليهِ بتعدين معادن النحاس التي كانت هنالك ولم يلبث ان امر بقطع رأسهِ. ووادي العربة يمتدّ من بحيرة لوط الى خليج عقبة. واماَّ موقع معادن النحاس فكان في جوار فَيْنوم (Phœnum) . وهي مدينة اسعدنا الحظّ بان نقف على آثارها (٤ تُعرف اليوم باسم خربة فينان اكتشفنا رسومها في ١٠ ايلول سنة ١٨٩٦ وكنّا اذ ذاك

١) اعال ٨ : ٢٦ ، ٤٠ و ٩ : ٤٢ ، ٤٣

٢) Chronicon Paschale, II, 128

٣) (Euseb., Hist. Eccl. VIII, 22, 25)

٤) راجع **البشير في تاريخ ٢٠ كانون الاول سنة ١٨٩٧**

نازلين في قرية ضانة (١ ولما عدنا ثانيةً في سنة ١٨٩٧ الى تلك الاصقاع ناوين ان نتَّبع طريق الاسرائيليين في البرّية من جبل حلاق (ההר החלק) المذكور في سفر يشوع بالنصّ العبراني (١١ : ١٧ و١٢ : ٧)(٢ وجدنا انّ فينان السابق ذكرها هي فُونَن (פונן) التي وردت في سفر العدد (٣٣ : ٤٢) ولا تبعد عن محلّ آخر ذُكر في السفر ذاتهِ (٢١ : ١١) دعاه الكتاب عَيِي (עיי) ويُعرف اليوم بخربة عَيّ . وسنعود ان شاء الله عمَّا قريب الى هذه الامكنة لنجمع ما امكنَّا من اخبارها ورسومها

وصدق في موت القديس سلوانُس ما كتبهُ ترتُليانوس انّ دم الشهداء يصبح زرعًا لنموّ النصرانيَّة . فاخذت الديانة المسيحيَّة بعدهُ بقليل تتأصَّل في غزّة وكادت الاضطهادات اذ ذاك تمحو آثارها منها . واسم خَلَف سلوانس على كرسيّ غزَّة أَسْكلبياس . حضر هذا الاسقف المجمع النيقاوي ودافع عن الايمان ضدّ اريوس واشياعهِ فنقموا عليهِ ونفوهُ من كرسيّهِ فبقي منفيًّا الى زمن مُجتمع سَرْديس حيث قضى الآباء باعادتهِ الى رعيّتهِ . ومن آثارهِ كنيسةٌ بناها في غزَّة للمؤمنين . ولعلّها اوَّل كنيسةٍ شُيّدت في نفس المدينة وكان المسيحيون قبلها يجتمعون في ربض المدينة خوفًا من المشركين

وقد اشتهر في غزَّة باواخر القرن الرابع وغُرَّة الخامس القديس بُرْفيريوس اسقفها . وفي ايَّامهِ انتصرت النصرانيَّة على عبَدَة الاوثان . فانّ هذا الشهم لم يزل يجدُّ ويسعى حتَّى سمح لهُ اركاديوس الملك ابن تاودوسيوس الكبير بان يخرب هيكل صنم مَرْناس وسبعة معابد أُخر كانت كلُّها عثرةً لاهل البلد ولسكَّان فلسطين يجترح فيها الوثنيُّون اصناف المُنكَر . وشيّد القديس في مَكان هيكل مرناس بيعةً كبيرة تُعدّ من البنايات العجيبة وكانت الملكة اودوكسية انفقت عليها الاموال الطائلة فدُعيت باسمها . ومكانها اليوم الجامع الكبير (٣ . وكانت وفاة برفيريوس سنة ٤١٩ وقيل ٤٢٠ . (٤

ومن مشاهير رجال غزَّة الاسقف مرقيانوس تولَّى رعاية المسيحيين سنة ٥٣٦ . وكان اخوهُ واليًا على البلدة شيَّد فيها البنايات الحسنة من جملتها حمَّامات ومشاهد وحصَّن المدينة

١) وسمّيت سهوًا « Thana » في مجلّة الكتب المقدَّسة (Revue Biblique VII, 113)

٢) وفي ترجمة الآباء اليسوعيين المطبوعة في بيروت ترجم هذا الاسم بالجبل الاملس

٣) Patrol. Græc. LXV, Marci diaconi, Vita S. Porphyrii

٤) Le Quien, *Oriens Christianus*, III, 610

بسورٍ . وعمُّهما هو برُوكوب الغزّي من فصحاء الكتّاب وردت تآليفهُ في مجموع اعمال آباء اليونان (١ . امَّا الاسقف مرقيانوس فانَّهُ جدَّ في تعزيز الدين النصرانيّ في غزّة وبعنايتهِ بُنيت عدَّة كنائس منها واحدة كبيرة على اسم القديس الشهيد اسطفانوس كانت محكمة البناء واسعة الارجاء شيّدها بقرب الاسوار عند الباب الشرقي في موضع مرتفع ويخال لنا انّ هذا المكان انما هو قلّة صغيرة على شمال الداخل في المدينة بازاء الجامع المعروف اليوم بجامع شمشون . وما يؤيد رأينا في موقع هذه الكنيسة ان فُسَيفساء مادباء المكتشفة حديثًا وفيها رسوم بلاد فلسطين تمثّل بناءً جميلًا عند المحلّ المذكور ليس هو سوى هذه الكنيسة . والفسيفساء الآنف ذكرها رُسمت بعد اواسط القرن السادس كما اثبت العلماء (٢ . وممَّا رُسم فيها صورة دير القديس سَرِيدون موقعهُ في غربيّ المدينة وهو مذكور في التاريخ (٣

وفي ايَّام الاسقف مرقيانوس نبغ في غزّة شاعر نصرانيّ اسمهُ إينياس الغزّي لهُ قصائد حسنة في شرح العقائد الدينية وردت في مجموع اعمال الآباء اليونان (٤

واذا خرجنا من غزَّة وسرنا خمسة اميال نحو الجنوب الغربي عثرنا على اخربة قرية يغطّيها الرمل ويدعوها اهل تلك الاحياء خربة أُمّ التوت موقعها عند وادي غزّة على ضفة النهر القبليّة . وليست هذه القرية سوى تَبَتَة القديمة (Θαβαθά) وطن القديس هيلاريون السائح الشهير (٥

واذا اعتبرنا اسم تَبَتَة وجدنا انَّ تركيبها لا يختلف عن لفظ امّ التُوت كثيرًا لان الباء من الاحرف اللّيّنة في اليونانيَّة تكاد تلفظ واوًا . ولنا شاهد على قولنا ما جاء في رسم فسيفساء كنيسة مادباء حيث تسمّى هذه القرية تَوَتة (Θαυαθα) بالواو وفي

(١ Migne, Patrol. Græc. vol. 85 – 87

(٢ P. Lagrange, *Revue biblique*, VI, n° 3

(٣ Patrol. Gr. XCIII, col. 1647

(٤ Patrol. Græc. LXXXV

(٥ راجع سيرة القديس هيلاريون للقديس هيرونيموس (Patr. Lat. XX, 31) وتاريخ الكنيسة لسوزمين (Sozomenus H. E. III, 13) . وقد دعاها بعض الكتّاب الاقدمين (تنَتة Thanatha)

بعض نسخ اعمال القديس هيرونيموس المحفوظة في دير القديس فلوريان كتبت بالواو الساكنة تَوْتَة (Thautha) . وقد ورد اسمها ايضًا في السريانيَّة في اعمال بطرس الايبريّ اسقف مَيُومة (المينة) المكتشفة حديثًا فيدعوها مجدل توتا ܡܓܕܠ ܬܘܬܐ (١

فلا يبقى بعد هذا ادنى ريب في الموافقة بين تَبْتة وامّ التوت الحاليَّة . وفيها كما سبق كان مولد القديس هيلاريون ودرس هذا السائح في الاسكندريَّة ثمَّ رحل الى الصعيد يزور القديس انطونيوس ابي الرهبان ولَّما عاد الى وطنهِ وزَّع اموالهُ على الفقراء وسار الى البرَّية الى مكان قفر يبعد عن مسقط رأسهِ عشرين غلوةً موقعهُ بين البحر والمستنقعات بينهُ وبين ميومة سبعة اميال على شمال طريق مصر البحري(٢ . فانفرد هناك الى الزهد والعبادة الى ان اكتشف عليهِ بعض اللصوص فشاع اسمهُ في تلك الانحاء وعمل المعجزات العديدة فاتاهُ كثير من السكَّان يطلبون اليهِ ان يرشدهم في سبل الخلاص . فابتنى لهم ديرًا كبيرًا وهو اوَّل دير شُيّد في فلسطين . امَّا اسم هذا الدير فما هو على ما نرى سوى دير البَلَح(٣ الذي موقعهُ في مكان يبعد ثلاثة ارباع الساعة من امّ التوت ونحو ساعتين وربع عن ميومة وبينهُ وبين البحر ميل ونصف وبقربهِ مستنقعات واسعة . وهناك آثار كبيرة لأَبنية ضخمة استولى عليها الخراب يُرى بينها اعمدة من الرخام وكتابات اخذنا صورتها . وحول هذه الاخربة ضيعة صغيرة

وكانت الجموع تتقاطر الى دير القديس هيلاريون وكان وليّ الله يرشدهم ويشفي مرضاهم وصبغ بماء المعموديَّة كثيرين من عبَدة الاصنام . ويُخبر عنهُ انهُ اتاهُ رجل من

---

١) Petrus der Iberier, *ed. Raabe* p. 37 – راجع ايضًا كتاب كلرمون غانو Clermont – Ganneau, Archæological Researches in Palestine, p. 436

٢) Hier., l. . c. – Sozomen.. l, c.

٣) قد ظنَّ العلَّامة كلرمون غانو (Glermont-Ganneau l. c., p. 130) ان تَوْتَة مولد القديس هيلاريون هي القرية المعروفة اليوم بتلّ العجول وانَّ ديرهُ هو المكان المسمى شيخ الشوبانيّ . وهذا لا يوافق ما قالهُ الاقدمون انَّ الدير يبعد سبعة اميال من ميومة وليس هناك بريَّة ومستنقعات كما ذكروا – وقد زعم العلَّامة ڤيكتور غيرين ان موقع تبتة هذه في محلّ آخر من جهة الجنوب الشرقي من الوادي يدعى خربة اتغاوي بقربهِ بئر يسمى بئر اتغاوي . هذا وانَّنا لم نقف هناك على مكان بهذا الاسم ولم نجد احدًا يرشدنا اليهِ

ساقة الخيل اسمهُ يليانوس والتمس اليهِ ان يبارك خيلهُ لتفوز بسباقٍ كان دُعي اليهِ في مدينة غزَّة فاجاب القديس الى سولهِ واوصاهُ ان يتَّخذ لهُ شعارًا وقت السباق اسم المسيح ووعده بالفوز والانتصار. ففعل الرجل ونال قصبة السبق. وكان لهذا الامر سُمعة كبيرة في كل النواحي المجاورة وانتشر لذلك الدين المسيحي انتشارًا عجيبًا

ولمَّا ملك يوليانوس الجاحد واخذ يضطهد النصرانية اضطرَّ القديس هيلاريون ان يهجر الى قبرس وتوفي في هذه الجزيرة في السنة الثانين من عمرهِ (٣٨٦ م) ونقل جسمهُ تلميذهُ هيزيكيوس الى ميومة ثمَّ دفنهُ في دير البلح باكرام. وكان قبرهُ مُزارًا يتوارد اليهِ النصارى ليتبرَّكوا بهِ. ولا يزال حتى اليوم اثر لهذا الاكرام فترى اهل القرى المجاورة يعظّمون دير البلح ويزورونهُ. وللروم اسقف يدعى اسقف دير البلح يسكن في القدس

وكان للقديس هيلاريون تلامذة كثيرون نُظمت اسماؤهم في سلك القديسين(١ وقد اشتهر منهم اوريليوس من أنتيــدون . وانتيدون هذه لها بقايا في شمال مَيُومة (المينة) على مسافة ميلٍ منها تدعى اليوم تَبْلَاخيَّة

ومنهم ألافيون من أزالية. ولعلَّ أزالية هي نفس خربة الإثل وهي تبعد ساعتين عن غزَّة. وقد ظنَّ البعض انَّ أزالية هذه هي دير العَسَل لكنَّ دير العسل بعيد جدًّا لا ينطبق عليهِ محلُّها في رسم فسيفساء مادباء المذكورة

ومنهم أَلِكسيون من بيت أجوتا (Βαιθαγουθα). وليست هذه غير خربة العَجْوة على ضفَّة وادي مَرْطبة

ومنهم أُمونيوس من كَفَركُبرا (Χαφαρχοβρα) وهي اليوم كُوفيرة موقعها نحو سبع ساعات في الجنوب عند سيل الشلَّالة

وقد كان في اواسط القرن الخامس صدًى في فلسطين لتعاليم اوطيخا واشياعهِ اليعاقبة فاشتهر من جملتهم بطرس الامير الايــبري والاسقف المونوفيزيتي. وكان يسكن في دير بين ميومة وغزَّة . ويغلب على ظنّنا ان آثارهُ هي الاخربة الشائعــة اليوم باسم الكنيسة . وموقع هذه الرسوم تبعد سبع دقائق عن سور مَيومة الجنوبي وعشر دقائق عن بساتين غزَّة (٢

١) راجع تاريخ سوزومين (Sozomenus, Hist. Eccl. VI, 31, 32)

٢) Petrus der Iberier, *ed. Raabe,* 40, 50, 54; Nicephorus XV, 16

وفي زمان بطرس الايبريّ شاع اسم القديس فيكتور في جوار غزَّة (١ ولا يبعد ان ذخائر هذا الشهيد كانت نُقلت الى موضع يعرف في وقتنا بخربة الناصرة وهو على مسافة عشرين دقيقة من غزّة في جنوبها الغربي . وموقعها الآن موافق لرسم الفسيفساء المكتشفة في مادباء

وفي القرن السادس توفّرت بنموّ النصارى المقاماتُ الاسقفيَّة في ظهرانَيْ غزَّة فنجد ما عدا مَيُومة (المينة) وأنتيدون اعني لَنبلاحيَّة المدعوَّة ايضًا تيدو (٢ كراسيّ أُخر منها مَدَبين المسمّاة ايضًا مَنُويس ونرتأي انها هي خربة ابي مدَّان في وادي غزّة غربيّ جنوبي امّ زرار. ومنها اسقفيَّة سِيكومازون (Συκομαζον)(٣ . وهي غير سيكامينون المذكورة في تاريخ يوسيفوس(٤ كما بيّن ذلك الكاتب رِيلَنْد (٥ . امّا فسيفساء مادباء فعيّنت موقعها الصحيح وهي اليوم الخربة المعروفة بسوق مازن في جهة الشرق بقرب قرية بني سحيلة

وبقيت احوال النصرانيَّة في نمو وازدياد الى ظهور الاسلام. وكان يسكن وقتئذ في جنوبي غزّة قوم من قبائل العرب المتنصِّرين وكان اصابهم من قبل ولاة الروم عَسْف وجور في المعاملات . فالتجأوا الى عساكر المسلمين ودعوهم الى فلسطين فلَبَّوا الى دعوتهم وزحفوا على غزَّة في ٤ شباط من سنة ٦٣٤ وظفروا بجيش الروم وفتحوا المدينة وبعد ايَّام قليلة اتمّوا فتح بقيَّة مدن فلسطين (٦ . فسبحان من يعطي السلطان من يشاء وينزعهُ ممَّن يشاء ولهُ وحدهُ الملك الدائم والبقاء

---

١) Petrus der Iberier, l. c.

٢) Don Gatt, ZDPV, VII, 5 et 6

٣) Tobler, Itin. Hieros. II, 331

٤) Josephus Fl., Antiq. XIII, 29

٥) Relandus, *Palestina*, I, 212

٦) Theophanes, *Chronogr.*, ed. Migne, c. VIII col. 689 – Th. Nöldecke, Die Ghassanischen Fürsten, p. 45. – راجع ايضًا الصفحة ١٠٩ من كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ed. de Goeje,)

فنّ الملاحة في الشرق

للاب ڤكتور دي كوپيه اليسوعي

انّ للملاحة بين جميع الاكتشافات التي وقف عليها البشر مقامًا رفيعًا. فهي تنطق بلسان حالها عن جُرأة المرء وحزمهِ اذ ركب ثَبَج البحور وذلّل تيّار المياه وجعل غمرها طريقةً يسير فيها فينتهي الى اقاصي البلاد بوقت قريب وينال من خيراتها ويتعاطى مع شعوبها

وتاريخ الملاحة واخبار اربابها تقتضي صفحات مطوّلة بل مجلَّدات ضخمة الّا انّنا سنكتفي في هذه النبذة الوجيزة بذكر مبادئ هذا الفنّ الجليل في الاعصار الاولى وترقّيهِ في مدارج التقدم فانّ شرح ما استهلَّ بهِ لمن شأنه ان يبيّن لنا ما فازهُ في عصرنا من التحسين والكمال

لا ريبَ ان الملاحة كبقيّة الصنائع والحرف انّما اصلها من الشرق. ولكن لا يتيسَّر لنا ان نعيّن الزمن الذي بهِ وُجد هذا الفنّ وانتشر بين الشعوب كما انَّنا لا نعلم اسم البلد الذي فيهِ ظهر اوّلًا والملّاحين ذوي الباس والمروءة الذين خاطروا بحياتهم في بادئ الامر فركبوا الاخشاب الاولى الطافئة فوق المياه ولحقوا ببلادٍ كانوا يجهلون اسمها واحوالها

وقد ذهب القدماء في اصل الملاحة مذاهب شتَّى. ورد في الفقرات الباقية من تاريخ سَنْكُنْيَتُون الفينيقي الذي عاش قبل المسيح بزمن طويل انّ اكتشاف فنّ الملاحة كان على سبيل الاتفاق والصدفة وذلك انّ قومًا من الفينيقيين كانوا يقطنون في سواحل سوريّةَ في غابات واسعة الارجاء. فضربت صاعقةٌ رؤُوس اشجارها فاتّقدت وامتدّ لسان اللهيب الى ان التهم كل اشجار الغابة. فلمَّا لم يرَ اهل تلك الضواحي نجاةً من النار قطعوا من اخشاب الغابة المحرقة ما امكنهم فالقوها في البحر واعتلوا متنها فساروا في مجاهل اليمّ وكان قائدهم أُوزُووُس (Osoüs)

قال سَنْكُنيتون ثم سعى الملّاحون بعد ذلك بتحسين هذا القارب الاوّل وكان القائم بهذا العمل كريزور (Chrysor) الذي اشتهر بعدئذٍ باسم الاله ڤُلْكان (Vulcain)

وقيل ان اوّل مكتشف لفنّ الملاحة المصريُّون اتخذوا لهم زوارق من نبات البَرْديّ لينجوا من النيل في ابَّان فَيَضانهِ السنويّ. وهذه صورة قارب من قصب البرديّ رُسمت رسمًا ناتئًا على بعض آثار قدماء المصريين المحفوظة في متحف اللوڤر في باريس



سفينة مصريّة قديمة من نبات البُرْديّ

هذا الى مزاعم اخرى ليس في تعدادها كبير امر. وعلى رأينا انّ هذا الفنّ سبق عهد الطوفان العرمرميّ اكتشفهُ سكّان السواحل وضفّات الانهار. وذلك انهم يكونون شاهدوا بعض الاجسام تطفو على وجه المياه وتتلاعب بها الامواج او يدفعها سير الانهار فنبّه ذلك افكارهم فاتّخذوا الخشب او ما قام مقامهُ كالظروف المنفوخة وضمّوها الى بعضها. ثمَّ جعلوا ينتقلون شيئًا فشيئًا من بلادهم الى بلاد اخرى قريبة الى ان احكموا هذا الفنّ وحسّنوا مراكبهم بالاختبار اليوميّ. وقد جاء في رسوم خُرْساباذ السابقة لعهد المسيح بنحو خمسة عشر قرنًا شكل الأَطواف (الكلكات) التي كانت تسير على نهري الفرات ودجلة فهي لا تكاد تختلف عن الاطواف التي لا يزال يستعملها عَرَب الجزيرة والعراق الى يومنا هذا

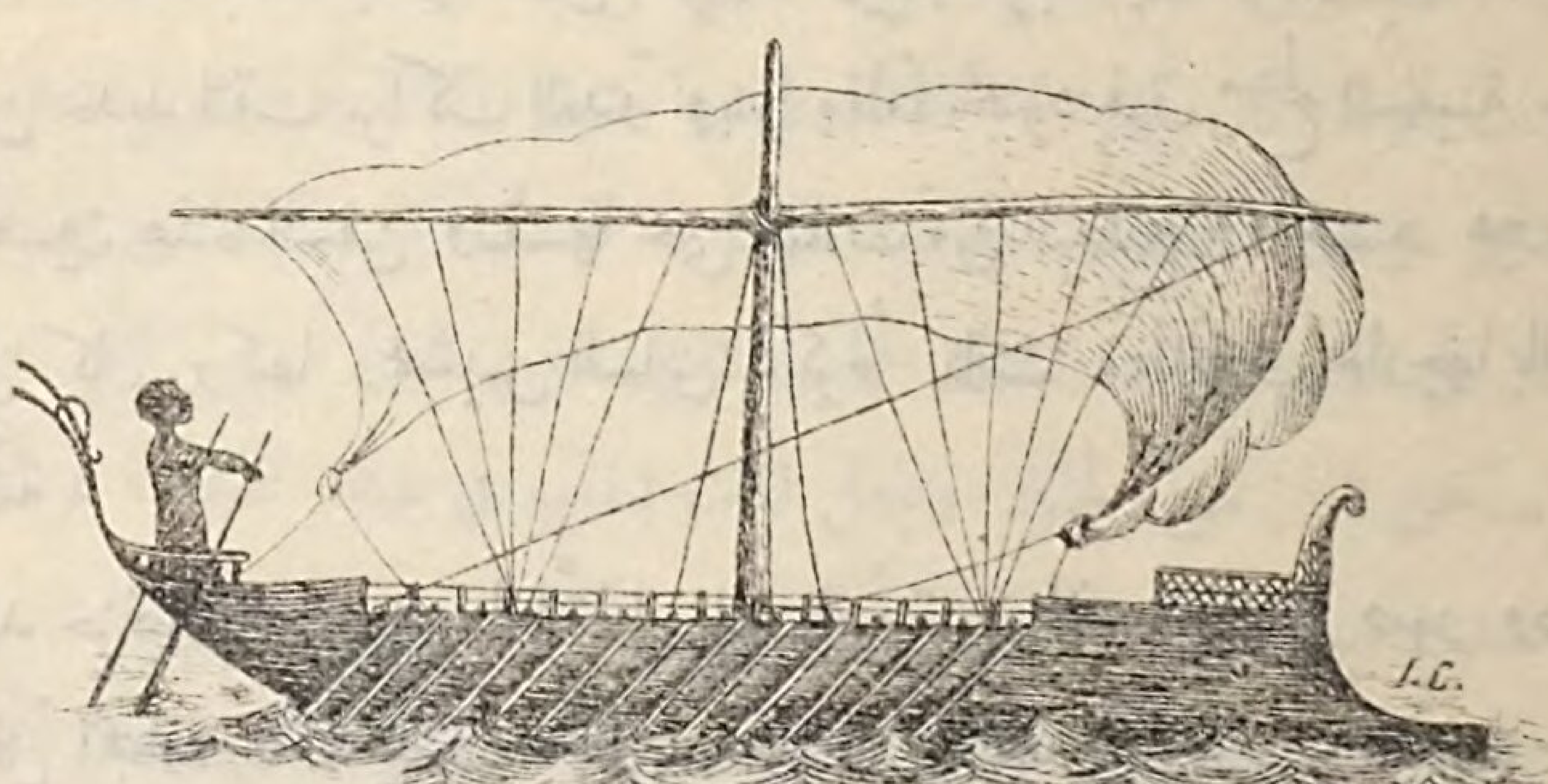
وعلى كل حال ما من احد ينكر انّ سفينة نوح كانت من احكم واتقن ما جاء من هذا القبيل وانّها سبقت كل ما ذكرهُ القدماء عن اكتشاف فنّ الملاحة. ولعلَّ نوحًا نفسهُ انتفع ممَّا شاهدهُ قبلَهُ من المراكب البحريَّة في عمل تابوتهِ لينجو من غمر مياه الطوفان وان كان في صنعهِ قد امتثل تمامًا لاحكام الرب فنظَّم كلَّ اقسامهِ على مقتضى اوامرهِ تعالى ولمَّا خرج نوح واولادهُ من التابوت لم يكونوا لينسوا هذه السفينة فاتّخذوها مثالًا لسفن اخرى ركبوها لقضاء اوطارهم كالصيد والاسفار

ولا غرو انَّ الفينيقيين انكبُّوا على فنّ الملاحة وسَعَوْا في تحسين ادواتهِ. وجهّزوا قواربهم بالسكّان (الدفّة) والمقاذيف والقلوع. وفي نبوَّة يعقوب قبل وفاتهِ ما يصرّح عن ذكر سفن الفينيقيّين ومرافئها (تكوين ٤٩ : ١٣). وجاء في الرسائل المكتشفة في تلّ

امرنة ذكر السفن التي عمَّرها اهل جبيل والبترون وبيروت وصور وصيدا لخدمة فراعنة مصر وذلك قبل المسيح بخمسة عشر قرنًا

امَّا العبرانيُّون فما كادوا يدخلون ارض الميعاد حتى اتَّخذوا لهم سفنًا على مثال الكنعانيين. وقد ورد في سفر القضاة (٥ : ١٧) ذكر سفن قبيلة دان

ولا مراء انَّهُ بتقدُّم الاعصار اصاب ايضًا فنّ الملاحة نصيبهُ من التحسُّن والنجاح. وهاك ما رواهُ هوميرس الشاعر في وصف السفينة التي اتَّخذها عوليس رغبةً في النجاة من مكايد كالپسو قال: «ان عوليس شرع بقطع عشرين من عظام الشجر ثمَّ نشرها بتربيع اطرافها ثمَّ سوَّى سطحها وثقبها بمخرز وضمّ الالواح الى بعضها بروْبٍ ووثاقات. ثمَّ جعل في عرضها اخشابًا وسطحها بالالواح ووضع في اطرافها قوائم مرتفعة تحدق بها وتصون وسطها من الماء»



مركب يوناني قديم

ولا جرم انَّ الفينيقيّين افرغوا الوسع في احكام عمارة السفن وقد نرى مراكبهم قبل عصرنا بثلاثة آلاف سنة تتجوَّل في البحر المتوسط وتسير الى البحر الاسود وتنتهي الى بحر القلزم وبحر الهند وبحر فارس لتستجاب منها العقاقير وتشحن المعادن وكلّ محصولات تلك البلاد السحيقة. وكانوا جعلوا لهم مستعمرات في اقطار شتَّى او على الاقلّ اتخذوا لهم فيها محطَّات يقدمون عليها سنويًا لتجاراتهم

وكانت الدول الكبيرة كالاشوريين والمصريين يستعملون الفينيقيين في سبيل صوالحهم ليخوضوا البحار ويحاربوا من عاداهم من الشعوب الساحليّة. فنرى مثلًا فراعنة

الدولة الثامنــة عشرة كتوتمس الثالث ورَعمسيس الثاني (سيسوستريس) يملكون عمارةً كبيرة يركبها لشؤونهم ملاَّحون فينيقيُّون. وكان في ذلك لصور وصيدا القَــدَم الاعلى. وكانت سفن سليمان تسير مع سفنهم لتجلب لهُ من ترشيش وغيرها من جزائر البحر اصناف المعادن وغرائب المخلوقات كالطواويس والقِرَدة (سفر الملوك الثالث ١٠: ٢٢)

فاتّساع تجارة الفينيقيين واسفارهم البعيدة الى اقاصي المعمور كانت تستلزم سفناً تجمع بين المتانة والاتقان. وكانوا في اوَّل امرهم لا يسيرون الَّا نهاراً قرب السواحل لانهم لم يعرفوا البلاد ولم يدركوا في الليل نواميس الكواكب. وكانوا يجعلون قعر السفينة مسطحاً ليتمكنوا بذلك ان يسحبوها في كلّ مساء الى شاطئ البحر اذا ما خافوا القرصان او ارادوا اصلاحها. فلمَّا أَلِفوا البحار شرعوا يخوضون في معامعها وفي الليل يرقبون النجوم لسيرهم

ثمّ بعد ذلك بمدَّة جعلوا سفن التجارة حربيّة بالحرب بان زادوا في مقدّمها كُلاَّبة او شوكة من حديد لثقب مراكب العدوّ وبنوا مقاماً للجنود فوق سطح السفينة. ولم يزالوا بعدئذٍ في تحسين هذه السفن ونقشها حتى صارت من البدائع. واخــبر هيرودوت انَّ السفينة التي كان يركبها رعمسيس السابق ذكرهُ كانت مطليَّة في خارجها بالذهب وفي داخلها بالفضَّة

ويشهد حزقيال النبي على ما اتَّصل اليه الفينيقيون لاسيا مدينتي صور وصيداء من البراعة في فنّ التجارة فانَّهُ يصف تجارتهم مع كلّ ممالك الارض بكلام بارع يُعدّ من اعلى طبقة الشعر (راجع الفصول ٢٦ و٢٧ و٢٨)

ومن شهادات التاريخ للَّاحي فينيقية ما رواهُ هيرودوت المؤرّخ (ك ٧ عدد ٤٤) عن الملك ارتحشستا (كِسْركسيس) انَّهُ جمع لمحاربة اليونان نيّف و ١٢٠٠ سفينةً من كل سواحل البحر المتوسط واراد اختبار حذاقة بحَّاريها فكانت الغلبة في سباقٍ جرى امامهُ لفينيقيّ صيداء فلم يركب بعدئذٍ الَّا سفنهم

وينسب لليونان اختراع السُّفن ذات الصفّين وذات الصفوف الثلاثة من الجذَّافين (birème, trirème) وزِيدَ في عــدد هذه الصفوف الى العشرة والعشرين صفًّا الى الاربعين

وذكر المؤرّخ أُبولي انَّ ملك صقلّيــة هِيرون تقدَّم الى ارشميد المهندس الشهير بان

يصنع لهُ سفينة لا مثيل لها في الكبر والإتقان فقام ارشميد بامر الملك واستخدم لانجاز العمل مئات من النجّارين مع عَمَلتهم فتمّم هذا المشروع بعد سنة وتأنّق فيهِ الى الغاية. قيل انَّهُ دخل في بناء هذا المركب من الخشب ما كان كافيًا لستّين سفينة. وكان منقسمًا الى ثلاثة اقسام: فكان القسم الاسفل لشحن البضائع وبنى في القسم الاوسط ثلاثين حجرة في كلّ منها اربعة فُرُش. وامّا القسم الاعلى فكان مفروشًا بالفسيفساء يعلوهُ مرقبٌ يحفُّ بهِ شُجيرات متنوّعة وزهور بديعة وفي صدرهِ قاعةٌ للسيّدات مفروشة بالحجارة الكريمة. وكانت الجدران مرصعة بنقوش من العاج والفضّة والاصداف. وكان فيهِ مقام لفِرَقٍ من الجند تحميهم الأدوات الحربيّة كالدبّابات والمنجنيقات. ولكبر مساحتهِ عجزت مرافئ صِقلّية مع سعتها عن احتوائهِ. فاهداهُ ملك صقلّية الى فرعون مصر

وكان لبطليموس المحبّ ابيهِ سفينةٌ تباري مركب هيرون عظمًا وجمالًا. اخبر أُبولي وبلوترخُس انَّ طولها كان يبلغ ٤٢٠ قدمًا وعرضها ستين. وكان لها اربعون صفًّا من المجاذيف تدفعها في البحر. وكانت المقاذيف مذهّبة طولها ٧٢ قدمًا رُكِّب الرصاص في قبضتها تيسيرًا للحركة. وكان في مقدّم السفينة ثلاث حراب لثقب سفن العدوّ. وفي سطح البروج المشيّدة فيها كان يسكن الفان من الجنود. وجعل الملك لنفسهِ في صدر السفينة عرشًا بهيًا تحدق بهِ روضة تصدح فيها غرائب الطيور. امّا الشروع فكانت من الارجوان

هذا وانَّ البوارج الحربية في ايّامنا مع رحبها وسعتها لم تكن لتبلغ الّا نادرًا هذه القياسات

وقد فاقت السفينتين السابق ذكرهما بارجةُ الملكة كلاوبترة في مُعترك أكسيوم لمّا حاربها اوكتاف (اوغسطوس الملك). قيل انَّ مقاذيفها كانت من خشب الارز المنقوش مثبتةً في محاملٍ من الفضّة المصمتة. لكنَّ هذه السفينة مع حسنها تشوّهت بانهزام كلاوبترة وكسرة جنودها فصدق فيها قول سِينِيكا الفيلسوف: «ليست قوّة السفن بالمقاذيف المذهّبة وحِراب من الابريز وانّما النحاس افضل لوقائع الحرب»

وكان النحاس يدخل في كثير من ادوات السفن يجلبهُ الفينيقيون بحرًا من ضواحي اسبانيـة وسواحل بريطانية. ولو كانوا اتخذوا الفولاذ لكان خيرًا لهم الّا انّهم لم يحسنوا وقتئذٍ صُنعهُ. وكان النحاس في اغلب المواقع يفي بحاجتهم وتشقّ صدماتهُ سُفن

العدوّ فتغرقها اللهمَّ الّا اذا كانت ضخمة الاخشاب مصفّحة بصفائح الحديد فكانت لا تعمل فيها حراب النحاس وربّما التوت هذه دون جدوى

والمعتركات البحريّة القديمة لم تشبه المعارك التي جرت عادتها بعدئذٍ فلم يحاولوا الحملة على سفن العدوّ بهجوم الجند عليها بل كانت غايتهم ان يشقُّوا جوانبها فتدخلها المياهُ وتغمرها. ولم يكن في هذه الوقائع محلٌّ للأشرعة لقلّة منافعها ولمّا رأى اوغسطوس قيصر خصمَهُ انطوان في واقعة أكسيوم ناشرًا قلوعهُ فهم انَّهُ يُعدُّ نفسهُ للفرار كما اجرى ذلك فعلًا

الّا ان مشاهير امراء البحر كانوا في بعض الاحوال يستخدمون الشُرُع بمصاحبة المقاذيف تخفيفًا لحركات البوارج كما فعل تِميستوكل الشهير في موقعة سَلَامين فبدَّد شَمْل سفن الفرس وفاز عليهم بانتصار جليل

وافضل السُّفن الحربيَّة كانت مستطيلة الشكل خفيفة الادوات يعلوها بروجٌ مشحونة بالجند والرُّماة. وربّما كانوا يجعلون فيها الأكباش والعرَّادات لقذف العدوّ بالحجارة

ومن المراكب القديمة ما كانوا يتّخذونها للدين واكرام الهتهم او سفر كهنتهم. وقد اشتهر في الشرق من هذه السفن المقدَّسة سفينة للمصريين تُدعى سفينــة بارِي. وكان اكرامهم لها عظيمًا جدًّا حتّى انّهم كانوا يعدُّون كاكبر اهانةٍ لهم الدُّعاء عليها بالغَرَق

امّا اليونان فكانوا اتّخذوا لدينهم سفينةً عجيبة الصُّنع غريبة الإحكام يدعونها ديلي لانَّهم كانوا كلَّ سنةٍ يرسلون عليها التقادم والهدايا النفيسة الى هيكل ابولُّون في جزيرة ديلوس. ولم يحلّ لهم في مدَّة سفرها ان يعدموا المجرمين. ومن جرَّاء ذلك لم ينفــذوا الحكم في سقراط الفيلسوف بعد ان حُكم عليهِ بشرب السمّ الى ان عادت السفينة المقدَّسة الى اثينة

هذه نبذةٌ وجيزة في فنّ الملاحة القديمة. وهي كافية ليرى قرّاؤنا الكرام انَّ للشَّرق ولاسيّما لبلاد فينيقية فضلًا ساميًا في هذه الصناعة الخطيرة. فعسى ان ينبّه ذلك افكار الشرقيين ويحملهم على مجاراة الاجانب في عصرنا فينالوا من الفخر فيها ما احرزهُ آباؤنا الاماجد

كتاب
تاريخ بيروت

(تابع لما قبل)

فصل في ذكر فتوح بيروت ثانياً

وصل السلطان الى ظاهر بيروت نهار الاربعاء حادي عشرين جمادى الأوَّل سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (١١٨٧م) وخيَّم على سَمْتها واحاط عسكرهُ بسائر جهاتها ونصب عليها المجانيق وضايقها وحاصرها ثمانية ايام. ثمَّ سألهُ الفرنج الأمان فأمَّنهم. وكان من عادتهِ اذا سألوهُ الأمان يؤمّنهم. فتوجَّه فرنجُ بيروت بامانةٍ الى صور وتسلَّم بيروت ونصب السنجق السلطاني على قلعتها في نهار الخميس التاسع والعشرين من الشهر المذكور (١. وكان في البلد جماعة من المسلمين (9^r) في ضيق بمساكنة الفرنج فانجلت عنهم الكربة ورأوا الفرَج بعد الشدَّة. وولَّى السلطان على بيروت سيف الدين عليّ بن احمد المشطوب (٢ وكان اميرًا جليل القدر. ثمَّ ولَّى عليها عزّ الدين أُسامة بن منقذ احد ملوك بني منقذ (٣ وكان من المعظمين عند السلطان حتى لم يكن يقدّم عليهِ احدًا في المشورة والرأي.

---

١) ذكر ابو الفداء هذا الفتح في تاريخ سنة ٥٨٣ ﻫ (١١٨٧م) وقال انَّ صلاح الدين تسلَّم بيروت في السابع والعشرين جمادى (Historiens des Croisades, Hist. Orientaux I, 57) . وجاء في رواية اخرى: في التاسع والعشرين كما ذكر هنا ابن صالح

٢) هو الامير ابن مشطوب الهكاري ولّاهُ صلاح الدين بيروت مدَّةً وحارب معهُ الفرنج عند عكَّة. قال ابو الفداء في تاريخ سنة ٥٨٧ (١١٩١م): ولمَّا اشتد حصار الفرنج لعكَّة وعجز السلطان صلاح الدين عن دفع العدو عنهم خرج الامير سيف الدين علي بن احمد المشطوب وطلب الامان من الفرنج على مالٍ واسرى يقومون بهِ للفرنج فاجابوهم الى ذلك (اه). وارسلهُ صلاح الدين الى الفرنج فصالح باسمهِ ملك انكلترَة ريكَرْد ثمَّ اقطعهُ صلاح الدين نابلس وفيها مات سنة ٥٨٨ (١١٩٢ م)

٣) اسامة هذا من مشاهير رجال عصره اسمهُ مؤيد الدولة ابو المظفَّر بن منقذ كان من اكابر بني منقذ اصحاب قلعة شَيْزَر وهو من الكتَّاب المفلقين ولهُ اخبار كثيرة. راجع كتاب خريدة القصر لعماد الكاتب وتراجم ابن خلكان (ص ٩٢ من طبعة باريس). ولهُ كتبٌ جليلة طبع منها المعلم دِرِنْبُرغ قسماً منها كتاب الاعتبار ومنتخبات جزيلة الفائدة. توفي ابن منقذ بدمشق سنة ٥٨٤ (١١٨٩م)

وعزّ الدين اسامة المذكور هو الذي بنى قلعة عجلون . ومن الاتفاق انّ عندي ديوان شعره بخطهِ . فكانت مدّة استيلاء الفرنج على بيروت ثمانين سنة وثمانية ايّام

ثم استكمل السلطان فتوحات البلاد جميعها خلا صور وطرابلس والمرقب(١ وانطاكية امّا صور فصعب اخذها لاجتماع الفرنج لها . وامّا طرابلس فكان قد استولى عليها صاحب انطاكية وكان من جهة السلطان . واما المرقب فلأَنَّهُ كان حصنًا منيعًا لم يتعرّض السلطان اليهِ . ثمّ بعد ذلك حضرت سفن الفرنج في البحر الى صور فتوجهوا الى عكّة فحاصروها . وحضر السلطان قبالتهم فكانوا محاصرين في زيّ محصورين مدّةً طويلة .

وفي غضون ذلك بلغ السلطان مجيء صاحب الالمان (٢ من البرّ في مائة الف فارس فارسل قومًا يخربون سور صيداء وسور جبيل ونقل اهلهما الى بيروت . ونقل الميرة الى هذه المدينة وشحنها بالرجال والسلاح وحصّنها وجعلها قاعدةً (٩٧) لذلك الجانب . فكفى الله المسلمين شرّ صاحب الالمان وسلّط عليهم الفناء فهلك الملك وغالب عسكره . ووصل ولد الملك (٣ الى عكة في دون الف مقاتل (٤ ولم يتعرّض في طريقهِ الى بيروت ولا الى غيرها . ثمّ غلبت الفرنج واخذت عكّة في سابع عشر جمادى الآخر سنة سبع وثمانين وخمسمائة (١١٩١م) وساروا منها الى يافا والسلطان في قبالتهم . وجرى بينهم حروب عظيمة حتى كَلَّ الفريقان . فحصل بينهما هدنة مدّة ثلاث سنين وثلاثة اشهر وثلثة ايام اوّلها مبتدأ ايلول الموافق للحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة (١١٩٢م) على انّ البلاد الجبليّة تكون للمسلمين والساحلية للفرنج . وصيداء وبيروت وجبيل للسلطان

وتوجّه السلطان الى القدس ثمّ الى ما تأخّر في يدهِ من البلاد التي استنقذها من الفرنج ووصل الى بيروت واقام بها ايّامًا . وحضر اليهِ وهو مقيم بها بُيْمُند الفرنجي (٥ صاحب طرابلس وانطاكية . وكان حضور السلطان الى بيروت ثلاث مرّات . الاولى كانت على سبيل الغارة . والثانية لما فتحها . والثالثة هذه المرّة المذكورة ومنها توجه الى دمشق فتوفي

١) المرقب اسم قلعة حصينة مشرفة على ساحل بحر الشام وعلى بُلُنْياس

٢) هو الامبراطور فردريك بربروس مات غرقًا في نهر البَرَدان (Cydnus) قرب طرسوس سنة١١٩٠م وكان نزل فيهِ ليستحمّ

٣) هو فردريك دوق دي صواب

٤) وقيل بقي معهُ ستّة آلاف مقاتل

٥) هو بُوهِيمُنْد الثالث ابن رَيْمُند دي بواتيه وسيّد انطاكية

بها بكرة نهار الاربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة (١١٩٣م).
وحصل بعده خلاف وتفريق كلمة فطمعت الفرنج وحضروا بالسفن الى عكّة وكانت
قد انقضت مدّة الهدنة (15ᴦ) المذكورة فخرجوا من عكة لقصد صيداء و بيروت

فصل في ذكر استيلاء الفرنج على بيروت

كان عزّ الدين أُسامة بن مُنقذ واليًا على بيروت فلمّا بلغهُ استيلاء الفرنج على صيداء
خرج من المدينة بجماعتهِ واهلهِ . فلامهُ الناس على ذلك وعنّفوهُ وهجاهُ بعض الشعراء وذلك
انّ الفرنج كانوا حصروا حصن تِمْنين (١ وسألوا صاحبهُ تسليمهُ بالامان فقال بعض اهل
الحصن لصاحبهِ :

سلّم الحصنَ ما عليك ملامَهْ   لا يُلامُ الذي يروم السلامَهْ
فعطاء الحصون من غير حربٍ   سُنَّةٌ سنّها ببيروتَ أسامَهْ

وتسلّمت الفرنج بيروت في نهار الجمعة عاشر ذي الحجّة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة
(١١٩٧) وكانت مدّة استيلاء المسلمين على بيروت عشر سنين وشهرًا واحدًا واحد
عشر يومًا. ورجع امر الفرنج في بيروت الى ما كانوا عليهِ قبل فتوح السلطان صلاح الدين
المذكور. وكان اهل القرى التي حول بيروت مسلمين فأدّوا الطاعة والخراج للفرنج. وبقيت
الولايةُ الجبليّة لعزّ الدين أُسامة ثمّ سار الى مصر

فصل في فتوحات بيبرس وقلاوون للسواحل

بعد ذكرنا استيلاء الفرنج على بيروت يجب ان نبيّن ملخّصًا امر فتوح السواحل ليكون
ذكر فتوح بيروت الثالث واضحًا في موضعهِ
افتتح الملك الظاهر بِيبَرْس البُنْدُقداريّ (٢ قيساريّة وأرْسوف (٣ وصَفَد وطبريّة

١) كذا في الاصل والصواب تِبْنين وهو حصن على مسافة ١٢ ميلًا من صور في شرقها الجنوبيّ

٢) هو رابع ملوك الدولة التركمانيّة في مصر ملك من سنة ٦٥٨ الى ٦٧٦ (١٢٦٠-١٢٧٧م)

٣) مدينة على ساحل بحر الشام بين يافا وقيساريّة على عشرة اميال من شمال يافا

ويافا والشَّقيف (١ وأنطاكية وبَغراس (٢ (١٥) والقصر (٣ وحصن الأكراد (٤ وحصن عكّار (٥ والقُرَين (٦ وصافيتا (٧ وحَلبا (٨ . وناصف الفرنجَ على المَرْقب (٩ وبُلُنياس (١٠ وبلاد أنطَرطوس (١١ . فلمَّا افضت السلطنة الى الملك المنصور قلاوون الألفي (١٢ افتتح المرقب وطرابلس وما يليها واخرب طرابلس ونقلها الى سفح الجبل . واعطى امانًا لصاحب جبيل وصاحب بيروت . ثمَّ جرى بينهُ وبين فرنج صيداء وعكّة وعَثليث (١٣ اتّفاق على هدنة وعهد

ثمَّ بلغ الملك المنصور انّ الفرنج بعكّة غدروا بالعهد وقتلوا جماعةً من تجّار المسلمين كانوا قد حضروا الى عكّة بمتاجر تمسُّكًا بالهدنة والعهد . ومن جملتهم تجّار حضروا في البحر ومعهم مماليك هديَّة للسلطان . فبرز المنصور قلاوون الى ظهر مصر قاصدًا عكّة

---

١) يوجد موضعان بهذا الاسم اسم احدها شقيف أرنون (تصحيف اسم أرنُلْد Arnauld) ولعلَّهُ هو المراد هنا وكان قلعةً حصينة جدًّا قرب بانياس من ارض دمشق بينها وبين الساحل . والثاني شقيف تيرون اي شقيف صور وكان ايضًا حصنًا وثيقًا بالقرب من صور

٢) مدينة في لحف جبل اللُّكام بين انطاكية والاسكندرونة كان صلاح الدين فتحها ثم استرجعها الفرنج الى ان تغلّب عليها بيبرس

٣) نظن انَّ المؤلف يريد قصر حيفا وهو موضع بين حيفا وقيساريَّة

٤) كان حصنًا منيعًا وموقعهُ في غربيّ حمص على اربعة وعشرين ميلًا منها

٥) كان حصن عكّار من الحصون الحريزة في ايّام الصليبيين يبعد عن طرابلس نحو واحد وعشرين ميلًا في شماليها الشرقيّ

٦) القُرَين كان حصنًا حريزًا على ساحل الشام ليس بعيدًا من صفد كان يسكنهُ رهبان الفرنج المعروفون بالاسبتلار (Hospitaliers)

٧) صافيتا قلعة وثيقة في جبال النصيريَّة

٨) مدينة صغيرة في شمالي شرقيّ عَرْقة على ميلين منها وعلى ١٦ ميلًا من طرابلس

٩) المرقب حصن في جنوبيّ شرقيّ اللاذقيَّة يبعد عنها ٢٦ ميلًا

١٠) بلُنياس بلدةٌ موقعها قرب المرقب على البحر كان القدماء يدعونها أبُولُنْية

١١) انطرطوس مدينة ساحليَّة هي اوَّل أعمال حمص مطلّة على البحر في شرقيّ عرقة بينهما ثمانية فراسخ كان لها بُرْجان حصينان كالقلعتين

١٢) هو السلطان منصور قلاوون الصالحيّ النجميّ تولّى الملك سنة ٦٧٨ وتوفي سنة ٦٨٩ (١٢٨٠–١٢٩١ م) . دُعي بالألفيّ لانهُ بيع في صغرهِ بالف دينار

١٣) عثليث قلعة حريزة على ساحل البحر تبعد ثمانية اميال عن جبل الكرمل جنوبًا

فقضى الله بوفاتهِ. وتَسلطَن ولدهُ الملك الاشرف خليل(١ فاستمرَّ على قصد ابيهِ وحضر الى عكَّة فاخذها بعد قتالٍ شديد وذلك في يوم الجمعة السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة (١٢٩١ م) وقتل اهلها. فالقى الله الرُّعب في قلوب الفرنج فأخلوا صور وصيداء من غير قتال وكذلك حيفا. وتأخرت عثليث وقلعة صيداء التي في البحر. فعيَّن السلطانُ سَنْجَرَ (٢ الحلبيّ وسنجر الشجاعيّ (٣ لفتحها. ثمَّ توجّه السلطان من عكة الى دمشق ففُتحت عثليث وقلعة صيداء

ولمّا فرغ سنجر الشجاعيّ من خراب قلعة (11^r) صيداء توجّه على خيل البريد الى دمشق ولحق بالسلطان عند رحيلهِ منها الى جهة مصر. فوكل اليهِ نيابة الشام ورسم لهُ ان يعود الى بيروت وكانت داخلة في الطاعة الشريفة لانّ صاحبها كان قد ارسل الى السلطان وهو محاصر لعكة يطلب منهُ الامان فاجابهُ الى طلبهِ

فصل في ذكر فتوح بيروت ثالثًا

فلمّا وصل سنجر الشجاعيّ الى بيروت تلقّاهُ صاحبها وخيّالتهُ احسن مُلتقىً. ونزل في القلعة وامرهم ان ينقلوا اولادهم وحريمهم واثقالهم الى القلعة ففعلوا وظنُّوا انَّهُ يفعل ذلك شفقةً عليهم. فلمّا صاروا في القلعة قبض على الرجال وقيّدهم والقاهم في الخندق وذلك في نهار الاحد الثالث والعشرين من رجب سنة تسعين وستمائة (١٢٩١) . ثمَّ جهز سنجرُ عَلَمَ الدين الداووديّ والجاكيّ (٤ الى جبيل فاستولى على اسوارها وقلعتها وابقى على اهلها وكانوا من الجَنَويَّة

١) هو السلطان صلاح الدين خليل بن قلاوون الملقَّب بالملك الاشرف تولَّى السلطنة من سنة ٦٨٩ الى ٦٩٣ ﻫ (١٢٩٠ – ١٢٩٣م)

٢) سنجر الحلبيّ ولقبهُ علم الدين كان نائبًا على دمشق للملك المظفَّر قُطُز. ثم استولى على المدينة فارسل الملك الظاهر بيبرس عسكرًا لقتالهِ فقبضوا عليهِ اسيرًا. ذكرهُ ابو الفداء في تاريخ سنة ٦٥٨ ﻫ (١٢٦٠ م)

٣) هو علم الدين سنجر الشجاعيّ من امراء الملك الاشرف صلاح الدين خليل تسلَّم صيداء وبيروت من يد الفرنج لمَّا اخلوها واستنابهُ السلطان على دمشق ثمَّ عزلهُ. ولمَّا صارت السلطنة الى الملك الناصر اخي الاشرف استوزر سنجرَ الشجاعيّ. ثم صارت وحشة بينهُ وبين الامير زين الدين كتبغا المنصوري نائب السلطنة فحاربهُ كتبغا وغلبهُ وامر بقتلهِ سنة ٦٩٣ﻫ (١٢٩٤ م)

٤) لم نقف على شيء من اخبار هذين الاميرين. ولعلَّ في اسم الجاكي المذكور تصحيفًا

ثمَّ شرع سنجر الشجاعيّ في هدم سور بيروت وقلعتها وكانت محكمة البناء. ثمّ جهز اهلَها الى دمشق وانفذهم منها الى مصر باجمعهم فهلك منهم المشايخ والعجائز والنساء. ولمّا وصلوا الى مصر اطلقهم السلطان وقال: أماني باقٍ عليكم. وخيَّرهم بين العود الى بيروت او التوجُّه الى قبرس باجمعهم. وكانت مدّة استيلاء الفرنج على بيروت في هذه النوبة (١١٢) خمساً وتسعين سنة وسبعة اشهر وثلاثة عشر يوماً

ذكر بعض حوادث جرت في بيروت بعد الفتوح الثالث الى ايَّام المؤلّف

ولنذكرنَّ الآن بعض حوادث جرت في بيروت بعد الفتوح. ولا بأس اذا تكرّر ذكرها في اخبار الامراء من بنى الغرب فتكون هذه الخلاصة تبيانًا لاحوالهم. وسنأتي ان شاء الله بذكر حوادث غيرها عند تفصيل اخبارهم

قال النويريّ: لمّا حضر السلطان الملك الاشرف خليل بن منصور الى الشام سنة احدى وتسعين وستمائة (١٢٩٢) افتتح قلعة الروم (١ كان ذلك في حضورهِ الثاني الى الشام بعد فتوح السواحل

وفي شهر شعبان سنة احدى وتسعين وستمائة توجّه الامير بيدرا (٢ قائد السلطنة بمصر وقصد جبال كسروان وتوجّه بصحبتهِ من الامراء الاكابر شمسُ الدين سُنْقَر الاشقر (٣ والامير قَرا سُنقر المنصوريّ (٤ والامير بدر الدين بكتوت الاتابكي والامير بدر

١) قال ياقوت: قلعة الروم قلعة حصينة في غربيّ الفرات مقابل البيرة بينها وبين سُمَيْساط كان بها مقام بطرك الارمن

٢) بيدرا كان من مماليك الملك المنصور قلاوون استنابهُ الملك الاشرف في دمشق ثم جعلهُ نائبَ السلطنة ولم يلبَث انَّ دسَّ لوليّ نعمتهِ الدسائس فقتلهُ بمشاركة الامراء المماليك وعُهدت اليهِ السلطنة بعد الاشرف وتلقَّب بالملك القاهر الَّا انَّ ملكهُ لم يدم الَّا يوماً واحدًا فقُتل سنة ٦٩٣ (١٢٩٤ م)

٣) شمس الدين سُنْقر الاشقر احد امراء المماليك استوظفهُ الملك الاشرف في دواوين الشام سنة ٦٩٠ﻫ (١٢٩١) ثم اعتقلهُ وامر بشنقهِ سنة ٦٩٢ﻫ (١٢٩٣)

٤) قرا سُنْقر المنصوري كان مملوكًا للملك المنصور قلاوون فلقَّبهُ شمس الدين. شارك الامير بيدرا على قتل الملك الاشرف ورفع الملكُ زينُ الدين كتبغا شأنهُ وقرَّر لهُ الاقطاعات الجليلة سنة ٦٩٣ (١٢٩٣). وجعلهُ حسام الدين لاجين نائبُ السلطنة ثمَّ اعتقلهُ فافرج عنهُ الملك الناصر بعد

الدين بكتوت العلائي (١ وغيرهم. واتاهم من جهات الساحل ركنُ الدين بيبرس طُقصوا (٢ والامير عزّ الدين ايبك الحموي (٣ وغيرهما. والتقوا بالجبل وحضر الى الامير بيدرا مَن ثنى عزمَهُ وكسر حدَّتهُ فحصل الفتور في امرهم حتَّى تمكَّن الكسروانيُّون من بعض العسكر في تلك الاوعار ومضايق الجبال فنالوا منهم. وعاد العسكر شبه المكسور المنهزم وطمع فيهم اهل تلك الجبال حتَّى اضطرّ الامير بيدرا ان يطيّب قلوبهم ويُحسن اليهم وخلع على جماعة من اكابرهم (12r). فاشتَطُّوا في الطلب فاجابهم الى ما التمسوهُ من الإفراج عن جماعة منهم كانوا قد اعتُقلوا بدمشق لذنوب وجرائم صدرت منهم. وحصل للكسروانيين من القتل والنهب والظفر ما لم يكن في حسابهم. وحصل للامراء والعسكر من الألم ما اوجب تسريح بعضهم لسوء تدبير الامير بيدرا. ونسبوهُ الى إهمال امرهم واتهموهُ بالفتور عن قتالهم حتى تمكَّنوا ممَّا تمكنوا منهُ لطمعهِ. واشاعوا انَّهُ تبرطل منهم واخذ رشوةً كبيرة واحتجّ الناس بذلك (٤

ثمّ توجّه الامير بيدرا بالعساكر الى دمشق فتلقَّاهُ السلطان واقبل عليهِ وترجَّل عند ترجُّلهِ للسلام عليهِ. ولمَّا انكر عليهِ سوء اعتمادهِ وتفريطهِ في العسكر عمل كلامُ السلطان فيه حتَّى مرض لذلك وشيَّع الناس انهُ سُقي السمّ. ثم عوفي في العشر الاوَّل من رمضان فتصدّق السلطان بجملةٍ كثيرة من المال شكرًا لله على عافيتهِ واطلقوا جماعةً كثيرة ممَّن كانوا في السجون. وتصدّق الامير ايضًا ونزل عن كثير ممَّا كان اغتصبهُ من املاك الناس. وجمع العلماء والقضاة والقرّاء والمشايخ في العاشر من رمضان بالجامع (الاموي) بدمشق

سنة وشهرين واعطاهُ نيابة السلطنة بحماة ثم بدمشق وحاب ثم اتّصل بالتتر مع اقوش الافرم سنة ٧١٢ (١٣١٢) وخدم خربندا ومات نحو سنة ٧٢٠ (١٣٢٠)

١) بكتوت العلائي وبكتوت الاتابكي كلاهما من امراء الملك الاشرف لم نحصل على شيء من اخبارهما

٢) ركن الدين بيبرس طُقصوا كان اميرًا للاشرف تغيَّر عليهِ سيده مدّةً فاعتقلهُ ثمَّ سرَّحه سبيلهُ ثم قتلهُ سنة ٦٩٢ (١٢٩٣)

٣) عزّ الدين ايبك الحموي احد امراء الملك الاشرف بقي مدَّة بالامارة بعدهُ واعتقلهُ حسام الدين لاجين مع غيرهِ من الامراء سنة ٦٩٧ (١٢٩٨) ثم تولَّى نيابة حمص وتوفي سنة ٧٠٣ (١٣٠٣)

٤) ورد خبر غزوة الامير بيدرا لكسروان في تاريخ المماليك للمقريزي . وتفاصيلها لا تختلف عمَّا ذكرهُ المؤلف هنا

لقراءة خَتْمةٍ (١ واشعل الجامع في هذه الليلة كما يشعل في نصف شعبان. وكان الذي اخبر السلطان انَّ بيدرا ارتشى من الكسروانيين بيبرس طُقْصوا فاسرَّ بيدرا الامر في نفسهِ وتربَّص لهُ. فلمَّا قبض السلطان على لاجين (٢ في عيد الفطر من السنة المذكورة خاطب بيدرا السلطانَ في القبض على بيبرس طُقْصوا فقبُض (١٢٧) عليهِ مع لاجين لانهُ كان قد تزوَّج ابنتهُ (ستاتي البقية)

خريدة لبنان

(للاب هنري لامنس اليسوعيّ)

(تابع لما قبل)

هذا ولم ينفك طلاَّب انيسة عن ملاحقتها. وانَّما توقَّف فارس عبُّود وحدهُ عن الالحاح لَّما رأى ثبات عزمها. لكنهُ عمد الى حيلة تغَّصت عيشها. فانهُ دنا منها ذات يوم وفي يدهِ رسالة حاشيتُها سوداء. وقال لها: قد وصلت اخبار عن حنَّا الطويل

فلما سمعت انيسة ذكرك برقت عيناها وسألت قائلة: ما يكون الخبر؟ فاجاب فارس بمظاهر الحزن الشديد: ما هو خبر سارّ

— اهو مريض؟

— يا ليته... لكن..

— أفمات؟ قل بحياتك قل لي الحقيقة. لا تخفِ عني شيئاً

فلم يكن من فارس الَّا انه نشر تلك الرسالة وقرأ مضمونها. وكانت من احد انسباء حنّا غنطوس المقيم في الاسكندريَّة وهو يقول فيها ان المركب الانكليزي الذي سافر عليه حنَّا

١) قِراءة الخَتْمة هي رتبة دينيَّة عند المسلمين يُقرأُ بها القرآن على تمامهِ

٢) لاجين هو حسام الدين لاجين المنصوري المعروف بالصغير احد امراء الملك الاشرف قبض عليهِ سيّدهُ في دمشق مع الامراء سنقر الاشقر وجرمق وبكتوت وبيبرس طقصوا واعتقلهم مدَّة في مصر وامر بشنقهم الَّا انَّ وتر الامير لاجين قُطع فنجا من الموت ثم اتَّفق مع الامراء على قتل الملك الاشرف. واستولى على السلطنة بعد الملك العادل كتبغا سنة ٦٩٦ (١٢٩٧) وقتل سنة ٦٩٨ هـ (١٢٩٩) قتلهُ المماليك

قد غرق وان كلَّ الركاب هلكوا وان الربّان مع بعض الملاّحين تمكّنوا وحدهم من النجاة

وكان وجه انيسة وقت القراءة قد علاه اصفرار الموت وكل جسمها يرتجف . فقال فارس بكل فظاظة :

لم يعد لكِ اذن من رجاء . فانظري في ما تعتمدين . فان قلبي لم يزل على حاله رغمًا عن رفضكِ في الماضي . فانتِ الآن فقيرة يتيمة لا سَند لكِ ومع ذلك اني اعرض عليك اليوم كمن قبل ان تكوني شريكتي في مالي وبيتي وارزاقي . فهل تقبلين ؟

فلما سمعت انيسة هذا الكلام عادت الى نفسها وكفكفت دمعتها وقالت لهُ بمنتهى العزم :

انت يا فارس اظهرت في كل آن الصدق والمروءة وطالما دفعت عني شرّ المضطهدين . وافضل وسيلةٍ لأُبدي لك شكري هي ان اخاطبك اليوم بصراحة . اعلم يا فارس اني لست مُطلَقة الحرّيَة فقد حلفتُ لحنّا انني انتظر رجوعه . فلا أُخلف وعدي ولو قُضي عليَّ الصبر ثلاثين سنة . والآن اكرّر امامك اليمين اني اثبت على عهده ولو نزلت الى قبري . انما قلبي يحدّثني انَّ حنا لم يمت وانه لا ريب يعود

فلما تأكد فارس ثبات عزمها زيّنت لهُ مروءتهُ ان لا يعود الى ملاحقتها . وقد أُعجب بشهامتها فقال لها بصوت التأثر :

انيسة انك حرّة وليس لي عليك حق . ولكن اذكري دائمًا ان فارسًا عبودًا مخلصٌ لك وانهُ يجود في سبيلك بكل عزيز ليبرهن لك عن ودادهِ

وفي الواقع ان فارسًا لم ينفك من ذلك الحين عن الاحسان اليها

٨

وفي تلك الاثناء كانت انيسة ساكنة عند احد الجيران المسمّى ناصرًا . فاتّفق ان ابنه عاد من مصر مصابًا بمرض العيون وما مضى على رجوعهِ خمسة عشر يومًا الّا بُلي بالعمى . وكانت انيسة ترثي لحاله فتسهر عليه في مرضهِ وتعتني بهِ وتلازمه رحمةً بهِ حتى انتقلت اليها العدوى وفقدت البصر . . . وقد مات ناصر وسافر اولاده . فطلبنا حينئذٍ من انيسة ان تسكن معنا ووعدناها اننا نحبها ونخدمها طول العمر فقبلت طلبنا . فاحلف لك ياخواجا انه مضى عليها في بيتنا اكثر من ستّ سنوات ولم تتكلف علينا شيئًا وليس لنا في ذلك ادنى فضل فهي لطيفة رقيقة قنوعة . وحياتك ياخواجا انها قديسة حقًا ويكفينا ان نلقي اليها النظر حتى نحتمل بصبر كل اكدار المعيشة ونصنع الخير . فاولادنا يحبونها حبًا شديدًا ويكرمونها

كما يُكرَّم عبيد الله وتراهم يتسابقون الى خدمتها ويتنافسون لعمل ما يرضيها . . .

فتنهد المسافر وقال : انيسة تتسوَّل

فتوهمت المرأة انهُ يوجّه اليهم اللَوْم فقالت : نعم انها تتسوَّل ياسيدي . على اننا لسنا المذنبين . فلا يخطر ببالك اننا نسينا فضل انيسة علينا . وكنا نحب ان نقاسي الجوع كلنا ولا تخرج للاستعطاء . ولكن ما الحيلة . فاننا بذلنا جهدنا حتى منعناها التسوُّل فامتنعت مدَّةً حتى كثر عدد اولادنا . فافتكرت انيسة انّ وجودها يُثقل علينا وطلبت ان تسعفنا بطريقة من الطرائق . فلم تجد وسيلة فحزنت جدًا حتى مرضت . فاخذت تبكي وتطلب الينا ان نسمح لها بالتسوُّل . فلم نرَ بدًّا من اجابة طلبها

وعلى كلٍّ ياسيدي ليس ذلك عارًا على ابنة ضريرة . وان نكن فقراء فليس والحمد لله يعوزنا شيء . وغالب الاحيان تجبرنا على ان نقبل منها مما تجمعه . ولا يمكننا ان نبقى معها دائمًا في نزاع . ولكن ما نأخذه بيدٍ نردُّهُ عليها بالأخرى اضعافًا فاننا ولو على غير علم معها نكسوها ثيابًا افضل من ثيابنا ونقدم لها طعامًا احسن من طعامنا وكل يوم نقدم لها شيئًا زائدًا . فالآن مثلًا تزيد على عشائها بيضتين . امَّا ما يبقى معها من صدقات المحسنين فانها تحفظهُ لاولادنا حتى يكبروا كما فهمتُ ذلك من معنى كلامها . حقًا يا خواجا مثل هذه القديسة تستحق اعظم مكافأة على حسناتها ولكن لسوء الحظ نحن عاجزون عن مقابلتها بغير الشكر

هذا والمسافر يصغي كل الاصغاء الى تفاصيل الحديث لا ينطق ببنت شفة ولا يبدي حركة . بيد انهُ كان يدخّن بالنارجيلة وثغره يفترّ ابتسامًا وعينهُ تغرورق بدموع الفرح ويدهُ تلاطف الصبيّ وكلُّ ملامحهِ تدلّ على ما خامرهُ من التأثر وداخَلهُ من الحبور

فصمتت المرأة واقبلت على مغزلها تبرمهُ . فبقي المسافر ساعة وهو غائص في بحر الافكار السارَّة ثم ترك الصبيّ ومشى الى الحائك وقال لهُ : دع عنك شغلك هذا

فلم يفقه الحائك معناهُ ولبث في حيرةٍ من لهجتهِ

فصاح المسافر : دع عنك هذا النول ومدّ يدك لأُصافحها يا صاحب معمل الحرير

فكرَّر الحائك باندهاش : انا صاحب معمل الحرير ؟ انَّك تمزح يا سيدي

— هيَّا واطرح هذا النول فاني اهبك معملًا كامل المعدَّات تُدير دواليبهُ آلةٌ بخاريَّة . وكاني اراك لا تثق بكلامي مع اني لا انطق بغير الحقيقة

قال هذا واخرج من جيبه قبضة دنانير واردف قائلًا :

ليس ما يمنعني من ان اعطيك هذا المال في الحال . ولكنك احبّ اليَّ وارفع في عيني من ان اضع في يدك ذهبًا . فانني اجعلك صاحب معمل عظيم واهتمّ كل الاهتمام بمستقبل اولادك فلا ينقصهم شيء حتى بعد موتي . والفضل في ذلك لأنيسة . فانكم احسنتم الى الضريرة واويتموها واكرمتم مثواها واحببتموها . فانا خطيبها اكافئكم عنها فابرهن بصنيعي هذا على ان الاحسان لا يضيع . لقد اخذتم بناصر انيسة في الضراء فيحق لكم ان تشاركوها في السراء وما كانت انيسة لتهجركم . يا صاحب المعمل لسنا نفترق عنكم مدى الحياة

قال هذا وقبض على يد الحائك يصافحها ويهزّها بشدَّة كما هي عادة الاجانب عند المصافحة . فتبادل الحائك وامرأته نظرةَ التأثّر ولم يقويا على ادراك معناه حقّ الادراك . فحاول المسافر ان يزيدهما ايضاحًا واذا ببطرس الصغير جذبهُ بثوبهِ كأنَّهُ يرغب في ان يقول لهُ كلامًا ذا شأن

فسألهُ الرجل : وما لديك يا حبيبي ؟

فاجاب الغلام : يا سيدي حنًّا قد جاءت الساعة التي فيها تعود انيسة فهل تريد ان اذهب لملاقاتها فابشرها بقدومك

فاخذ الرجل بيد الصغير وسار بهِ نحو الباب قائلًا : هيَّا وسِر امامي نحوها

وهكذا خرج مع الصبيّ واسرع يوسع الخطى في القرية . فلما شاهدهُ اهل القرية على تلك الحال برزوا من البيوت رجالًا ونساء فرأوا بطرس الصغير مرتديًا بثوبه القصير حافيًا حاسر الرأس يطفر الى جانب الغريب قابضًا على يده يكالمهُ ويمازحهُ

فاخذ منهم العجب مأخذه ولم يكونوا يعقلون ما هي العلاقة بين الصبيّ وهذا الخواجا الغني الذي عدوّهُ اقلّما يكون قنصلًا . ومن يصف عظيم اندهاشهم لمّا رأوا الرجل انحنى نحو الصغير وقبَّلهُ

فازدحم الواقفون بالابواب وكثر الحدس والتخمين . وكان للنساء من الحديث النصيب الاوفر . وذهب القوم مذاهب شتى اقربها الى الصواب هو ان هذا الخواجا الغنيّ او القنصل خطر لهُ ان يتبنّى الصبيّ فسار بهِ ليعتني بتربيتهِ . وذلك امرٌ ليس بالنادر . والحقّ يقال ان بطرس ابن الحائك سركيس كان اجمل صبيان الضيعة يستميل اليهِ القلوب بعينيه الزرقاوين ولوائح الذكاء والنجابة البادية على محيَّاه الصبوح . ولكنَّ بعض العقلاء لاحظوا

انَّهُ لمن المستغرب ان يتبنَّى الخواجا الصبيَّ ويسير بهِ حافياً

ولم يمضِ القليل الَّا اصبح اهل الضيعة في الطرق لا يشغلهم شاغل عن الحديث في هذا الامر وبودّهم لو يسألون الغريب ايضاحاً ولكن لم يكن منهم مَن يجسر على السؤال . فكلّهم تهيّبوا ممَّا رأوا من طول قامته وكبر قبعته ولم يخطر لاحدٍ منهم ببال ان الرجل ابن الوطن . . .

٩

وبينما هم في قيل وقال كان الغريب يجري حثيثاً لا يلوي على عنان . وقد خُيل لهُ ان القرية كلها اضاءت بنورٍ سماويّ فتراءت لهُ بمشاهد لم يجد لها مثيلاً في المدن والعواصم التي زارها في اسفاره . وقد لاحت الرياض لعينيه مكتسية بحلّة خضراء بهيجة وزفّ اليهِ النسيم نفحات زكية تنعش القلوب . وبدت لهُ البيوت الحقيرة بمظهر العظمة والجمال . وكأنَّهُ شُغل عن الصبي فمال بكلّيته الى دواعي الفرح والنعيم وقد شخصت عينهُ الى مكانٍ بعيد كأنَّ بصرَهُ يحاول ان يخرق حجاباً كثيفاً من شجر التوت يخفي عنهُ منعطف الطريق . واذا بالغلام يجذبهُ بشدَّة ويهتف قائلاً : هناك . هناك . انيسة مع اختي روزة

واذا بشَبح ابيض ظهر بين خلال التوت ثمَّ تقرَّب فرأى المسافر ابنةً ضريرة لم تَعُد في مقتبل العمر تقودها طفلةٌ في الخامسة من عمرها

فما وقعت على الضريرة عين المسافر الَّا وقف في مكانهِ لا يتحرَّك وتأمل بحزنٍ بتلك المسكينة وهي تمشي الهوينا نحوه . . . أفتلك هي انيسة المحبوبة . . . أفتلك هي الفتاة الجميلة التي لا تزال مطبوعة على صفحات قلبهِ صورتها اللطيفة . بيد انهُ لم يكن الَّا اخفّ من ارتداد الطرْف حتى بادر مسرعاً الى الفتاة ولمَّا دنا منها لم يتمالك ان صاح : انيسة انيسة

فما سمعت الضريرة صوتهُ حتى شعرت في جسمها بهزَّة كادت تسقط بسببها مغشياً عليها ثم تركت يد الابنة الصغيرة ومدَّت ذراعيها الى الامام كأنّها تطلب شيئاً وصاحت : حنَّا . حنَّا . وركضت الى ذاك الذي ناداها وفي يدها صليبٌ من الفضة اخرجتهُ من صدرها واشارت اليهِ بحركة لا توصف ووقعت بين ذراعي حنَّا غنطوس . فحاول هذا ان يعانقها بمزيد الشوق فمانعتهُ بلطفٍ واذ ساءه امتناعها امسكت بيده وقالت :

يا حنّا . لا اقوى على مثل هذا النعيم . . . لكنني عاهدت الله . . . فهيَّا بنا الى المقبرة

فلم يدرك الرجل لها غايةً . غير انّهُ فهم من لهجتها انّ لذلك سبباً خطيرًا فلبى

طائعاً. وسار بها الى المقبرة وهو لا يبالي بالقرويين الذين تواردوا من كل صوب واحدقوا بهما

فمضت بهِ انيسة الى احدى زوايا المقبرة ودنت من بلاطة ضريح قد غار نصفها تحت التراب فاومأت بيدها اليها وقالت : هنا رقدوا. ففهم مغزى كلامها وانحدرت من عينيهِ الدموع

فاردفت انيسة قائلة : اتذكر يا حنا ملتقانا هنا في يوم من ايام الربيع لخمس وعشرين عاماً مضت. لقد كنت في تلك الايام اتمتّع بنور الشمس . . . فكانت الطبيعة حينئذٍ كأنها في جذل والزهور تبسم عن ثغرها الفتّان بين القبور والطيور فوق اشجار المقبرة تغرّد طرباً. ونحن وحدنا كنّا فريسة الاحزان. أَوَتذكر ذلك ؟

— اذكرهُ كأنَّهُ جرى يوم امس

— كنّا نذرف الدموع لانَّك كنت عازماً على السفر الى الاقطار الشاسعة. فاستحلفتني بحق امّك التي احببتُها كامّي . ان انتظر رجوعك فوعدتك بذلك وقبلت منك عربوناً على العهد بيننا هذا الصليب الفضّي. أتذكر يا حنّا

فلم يجرِ الرجل جواباً وكادت تخنقـهُ العبرات. وهو الذي لم يعبأ بالاخطار والاهوال اصبح يبكي ويشهق كالطفل

فقالت انيسة : لم يمض عام الّا جئتُ الى هذا المقام في تاريخ يوم سفرك لأُجدّد العهد. وقد جدّدتهُ اكثر من عشرين مرَّة. ولو طالت غيبتك ايضاً لما أخلفت لك عهداً ولا ظننت بك سوءا . واليوم لا يسعدني الدهر بان امتع بمرآك عينيَّ بيد انني اجدك قريباً منّي واسمع صوتك الشجي كمن ذي قبل. فكفاني نعيماً يا الهي. وما انا باهل لمثلهـا نعمة. فلنشكرنَّ الله يا حنّا على انهُ جاد بجمع شملنا بعد مرّ الفراق. هيّا نجثو ونستمطر غيث الرحمات على من رقدت هنا تحت الثرى وهي ترانا من العلى وتستمدّ لنا البركات

قالت هذا وجثت على ركبتيها ولثمت بلاطة الضريح فاقتدى خطيبُهـا بها. فهتفت قائلةً : صلِّ صلِّ فقد عاهدت الله على ذلك

ثم رفعت يديها نحو السماء وصلّت بصوتٍ منخفض ثم نهضت ونهض حنّا فعانقتهُ وضمّتهُ شديداً الى صدرها فخارت قواها لما عراها من التأثّر ووقعت بين يديهِ. ولولا دموعها المدرارة وتبسّم ثغرها لخيّل للرائي ان روحها فارقت جسدها

وكان بطرس الصغير ينظر بفرح الى هذا المشهد ويصفّق بيديه طرباً ويصيح قائلًا : هذا حنّا الطويل. هذا حنّا الطويل (ستأتي البقيَّة)

كتب شرقية جديدة

Publications de l'École des Langues Orientales vivantes

كتاب زُبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك

لغرس الدين خليل بن شاهين الظاهري

اعتنى بتصحيحه بولس راويس

Imprimerie Nationale, Paris ; éditeur, Ern. Leroux, in-18, 157 pp.

غاية هذا الكتاب شرح احوال المملكة وسياستها ومراتب اربابها وبيان خِدَمها واداراتها. وقد اعتمد المؤلف بذلك على ما شاهدهُ بالعيان في بلاد مصر او تحقَّقهُ من نقل الثقات في زمانهِ باوائل القرن الخامس عشر للمسيح. وكان الظاهريّ صنَّف في ذلك كتابًا واسعًا يشتمل على مجلَّدين ضخمين قسمهما الى اربعين بابًا سمّاهُ كشف الممالك. فلمَّا رأى ذلك التأليف مطوَّلًا اختصرهُ بهذا المجلَّد في عشرة ابواب ضمَّن اوَّلها لمعةً من وصف مصر والشام والحجاز. ثم انتقل وشرح بالتفصيل احوال السلطنة ولوازمها ثم مراتب قاضي القضاة والعلماء وائمَّة الدين ثم وصف الوزارة وما يقتضي لاصحابها من السجايا والخصال الى ان بيَّن ما يختص بالوظائف العسكريَّة والدواوين المختلفة التي تتركَّب منها الدولة والمراكز وغير ذلك من الرُتب والخدم كالاصطبلات والمطابخ والصيد الخ. وختم ذلك بذكر امراء العربان ومشايخهم وامراء التركمان والاكراد ووصف التجاريد. وقد اجاد في هذه التفاصيل ولا غرو لانَّهُ كان هو ايضًا من ارباب الدولة تولَّى الوزارة مدَّةً فقام باعبائها احسن قيام

واذا قابلنا هذا الكتاب مع تأليف القلقشندي الموسوم بصبح الاعشى في صناعة الانشاء رأينا بينهما مشابهة في بعض الفصول وان كان كتاب القلقشندي اوسع منهُ بيانًا واغزر مادّة. ولكن كما سبق آنفًا ليس كتاب الظاهريّ الّا ملخّصًا لكتاب آخر لم يبلغ الينا

فنثني على جمعيَّة اللغات الشرقيَّة التي سعى بعض معلميها بنشر هذا السفر الجليل ونتمنَّى لها التقدّم والفلاح كي لا تزال تتحفنا بما تجدهُ من التآليف المفيدة ل. ش.

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلَّة المشرق

١ نابليون الاول والمقابلة بينهُ وبين اعظم مشـاهير الرجال نقلها جناب الاديب الشيخ سليم خطّار الدحداح عن اصلها الفرنساوي وألحقها بنبذة من قلمهِ في شارل الثاني عشر وبطرس الاوَّل (يباع في مكتبة الخواجا موسى افندي صفير)

٢ جزءَان من المجلَّة الموسومة باسم الكردينال الشرقيّ الشهير بسَّاريون (Bessarione) وتاريخ صدورها الاول في غرة آذار سنة ١٨٩٦ . وهي مجلَّة شهرية كثيرة الفوائد تبحث عن الامور الشرقية تطبع في سِيَنّا ينشئها قومٌ من افاضل الكتَّاب الايطاليين تحت ادارة المنسينيور نيقولا ماريني

٣ (التقويم المصري) لسنة ١٨٩٨ تأليف جرجس روفائيل كحيل يحتوي ١٩٢ صفحة طبع بمطبعة الهلال

وقد وردنا العدد الاوَّل من المجلاَّت المصرية الآتية: تسلية الخواطر . وانيس الجليس . والفكاهة

أسئلة وأجوبة

س سألنا الخواجا شكري حوَّاء عن سبب انقطاع نبع نهر بيروت المعروف من العامَّة بالديشونيَّة فغالب الاحيان ينقطع فجأَةً مدَّة ساعاتٍ وبعض الاوقات مدَّة يومٍ او يومين ثم يرجع الماء لمجراهُ من تلقاء ذاتهِ

ج لم يتسنَّ لنا ان نشاهد النبع المذكور مدَّة كافية لنتمكّن من تحقيق الخبر . فانْ صحَّ قول الكاتب الاديب فيكون نبع بيروت من جملة الينابيع المعروفة بالدوريَّة . وهي التي تجري تارةً وتنقطع تارةً أخرى . ولهذا الانقطاع سببان

السبب الاوَّل ضغط بعض الابخرة او الغازات . وذلك انَّ المياه اذا ما تجمَّعت وتوفَّرت في حوضٍ تحت سطح الارض لهُ منفذ الى الخارج تضغط عليها الغازات المخزونة هناك ضغطاً كافياً لدفعها في المنفذ المذكور . فاذا جرى الماء نقصت كميَّتهُ فيخفُّ ضغط الغاز وينقطع جريان الماء . ويشترط في الفسحة الخالية التي يتجمَّع فيها الغاز فوق حوض الماء ان تكون محكمة السدّ لئلاَّ يتبدَّد الغاز بين شقوق الصخر

والسبب الثاني وهو الاكثر وقوعاً يُفترض فيهِ وجود مجرًى معقَّف يتَّصل من حوض

الماء في باطن الارض الى موضع خارج ينفجر منهُ وأن تربي كمية الماء التي يصرفها على التي تَرِدُ الحوض وتمدّهُ . فاذا ارتفعت المياه في الحوض ترتفع ايضًا بقدر ذلك في المجرى المعقّف بحسب قاعدة مساواة المائعات في الاوعية المتصلة . وعند ما يوازي علوُّ سطحها في الحوض اعلى نقطة من المجرى المعقَّف يتكوّن منهُ ممصٌّ تنحدر فيهِ المياه وتنصرف الى الخارج . وتظلُّ جاريةً الى ان ينخفض سطحها الى فوهة المجرى في الحوض فيبطل الممص وينقطع الماء عن الجري . ويبقى منقطعًا الى ان تتجمَّع من جديد المياه في الحوض وترتفع فيهِ الى مساواة اعلى المعقّف فتعود الى الجري وهلمَّ جرًّا . فيكون الينبوع دوريًّا يجري ماؤهُ مدة وينقطع مدة . ويمكن ان يكون وقت جريان الماء وانقطاعهِ منظَّمًا او على غير نظام حسبما يكون السبب . فاذا كان ورود الماء الى الحوض بقدرٍ معيَّنٍ وفي زمن محدود يكون وقت الجري والانقطاع منظمًا والَّا فلا ا . ص .

س جاءنا من بعض ادباء مصر : قرأنا في الجزء الحادي عشر من الهلال (ص ٤٢١) تحت عنوان (العين والشياطين) جوابًا على سؤالٍ وردهُ في ذلك ونصُّهُ : «لا يعتقد علماء الطبيعة بتأثير العين لأنهم لا يرون فيها ما ينطبق على نواميس الطبيعة ولا يعتقدون بوجود ابليس ولا بغيرهِ من الارواح الشريرة» . فما قول المشرق في افتاء الهلال

ج انَّ جواب الهلال الاغرّ بخصوص تأثير العين صحيح وان صَعُب على الطبيعيين شرح بعض مفاعيلها في مواقع كثيرة . امّا نسبتهُ للطبيعيين انهم لا يعتقدون بوجود ابليس والارواح الشريرة ففيهِ نظر . فان اراد بالطبيعيين الكفرة والماديّين فقد صدق امّا اذا اراد بهم العلماء السديدي الآراء فننكر مزاعمهُ . وذلك لاسباب اوّلها انّ اكبر علماء الفلسفة واساتذة الطبيعيَّات اقرّوا بذلك واثبتوهُ في كتبهم . ثانيها انَّهُ لا يوجد شعب واحد في جميع اقطار المعمور الَّا واعتقد بوجود ارواح شريرة وان اختلفوا في اسمائها . ومن مبادئ الفلاسفة انّ ما يتفق عليهِ كلُّ الامم لا يكون الَّا صادقًا . ثالثها انَّ كتبنا المقدَّسة بل الاديان كلَّها على اختلافها لسان واحد في تقرير هذا الامر لا يجحدهُ الَّا من مَرَق من الدين . ولا نخال صاحب الهلال يذعن لمقالهم . رابعها انَّهُ يوجد في العالم بعض مفاعيل خارقة الطبيعة لا يمكن نسبتها لهُ تعالى ولا للملائكتهِ فلا بُدَّ ان تعزى لارواح شريرة بسماح الله عزّ وجلّ

س كتب لنا الخواجا باسيل جبارة من فضلاء حماة : جاء في الصفحة الاولى من تمهيد العهد الجديد (من طبعة الاباء اليسوعيين) ما يأتي : «قال القديس اوغسطينوس وهو

ممّن تلقّى عن الاباء الذين شافهوا تلاميذ المسيح وعن القديس يوحنّا الحبيب عينه انّ..»
فكيف تلقّى القديس اوغسطينوس عن هؤلاء وقد عاش بعدهم بنيّف ومائتين سنة؟

ج لا يُراد بتلقّي الامر بالمشافهة او العيان وانما المنويّ ان القديس اوغسطينوس اخذ تعاليمهُ من نفس كتب الآباء الرُسليين ومن انجيل القديس يوحنّا الحبيب ورسائلهِ كما يُصرّح بذلك مرارًا في تآليفهِ العديدة. وفي الكنيسة كما لا يخفى صنفان من التعليم الواحد يُحصل عليهِ بالتقاليد الصحيحة المتسلسلة بالاسانيد الى الرُسل. والثاني يكون بالنظر في الكتاب الكريم او في اعمال من عاصروا رُسل المسيح فمن هذا القبيل يصحّ القول انّ القديس اوغسطينوس وكل الآباء واللاهوتيين بعده تلقّوا تعاليمهم من تلامذة المسيح او ممّن عاشوا بعدهُ بقليل

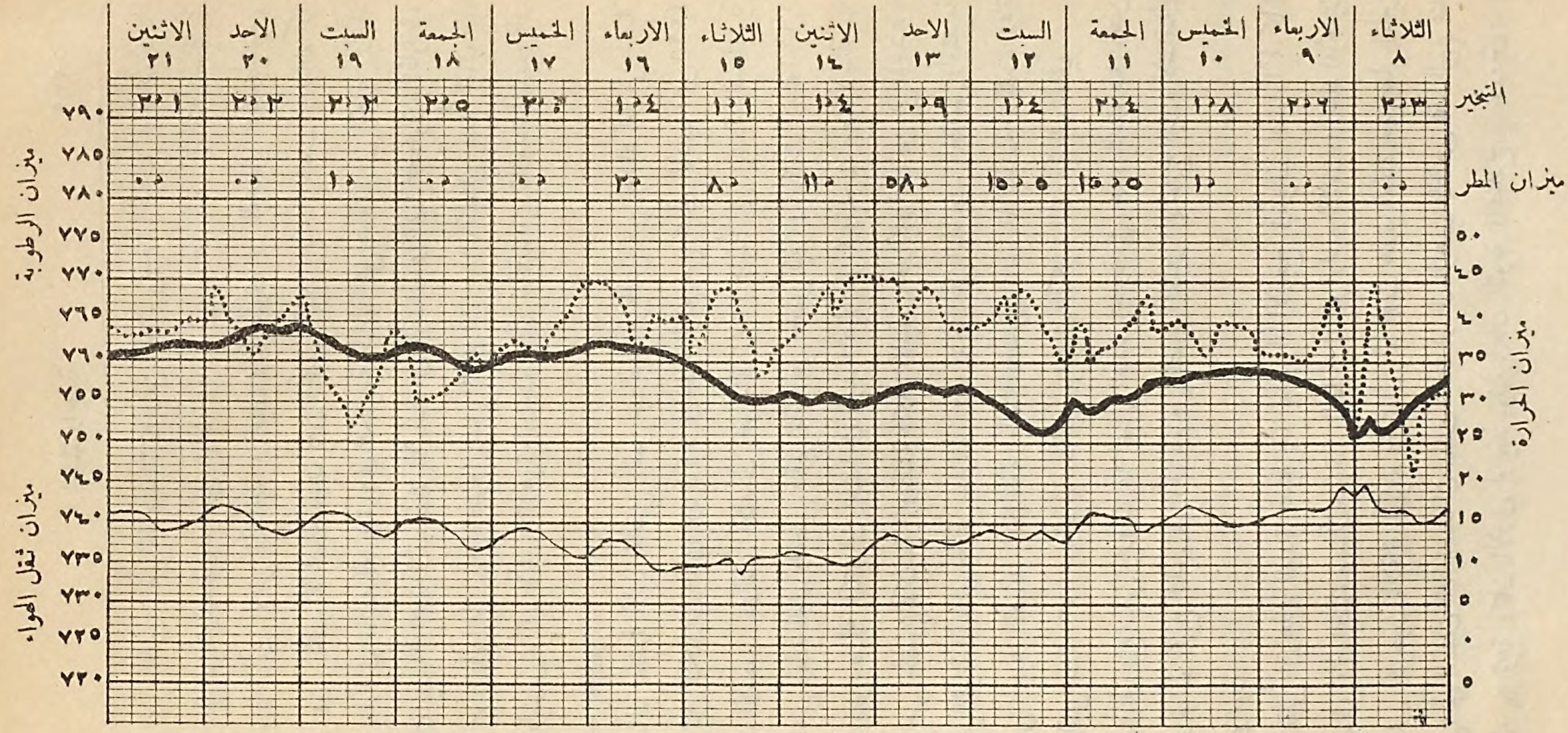
س وسألنا حضرة الاب الفاضل القس جبرائيل قرياقس من بغداد لمعة من اخبار الاسقف جبرائيل الكلداني الذي ورد ذكرهُ في الجزء الرابع من مجاني الادب (ص٢٩٦)

ج وُلد الاسقف جبرائيل الكلداني نحو سنة ١٥٧٠ ونشأ على البدعة النسطوريَّة ثم امتاز بين اهل وطنهِ بالعلم والفضل فاقيم اسقفًا على حصن كيفا. ولمَّا كانت السنة ١٦١٦ جمع ايليّا السادس بطرك الكلدان مجمعًا في آمِد (ديار بكر) وتباحث مع الاساقفة النساطرة في امر الخضوع للكنيسة الرومانيَّة فكان الاسقف جبرائيل اوّل من لبَّى الى دعائهِ ووافقهُ على نبذ الشيعة النسطوريَّة ثمَّ سافر الى رومة ودخل على البابا بولس الخامس وامتدحهُ بقصيدتين من اجود القصائد الكلدانيَّة طُبعتا مفسَّرتين الى اللاتينيَّة. وكانت وفاة الاسقف جبرائيل سنة ١٦٢٠. وقد جاء ذكرهُ مرارًا في المكتبة الشرقيَّة للسمعانيّ

س وسألنا ر. ح. من بيروت ما اصل العادة الجارية في هذه المدينة وفي بعض المحلّات المجاورة ان يخرج الناس في اوَّل يوم من الصوم الكبير الى خارج البلدة لاستقبال الراهب كما يزعمون

ج لا نظنّ ان هذه العادة قديمة وما يظهر لنا الارجح في بيان اصلها انَّهُ كان يحضر راهب في اوَّل الصوم مرسلًا من قبل البطرك لتبليغ اوامرهِ للشعب وارشاد المؤمنين فكان الاهلون يخرجون لملاقاتهِ باكرام واحتفال. ثمَّ جرت هذه العادة حتى صار الناس مداومين عليها في السنين التالية بعد ان بطلت عادة ارسال الراهب واضحى هذا اليوم عند بعض الجهلاء يوم نزهة وكان الاولى لو يقدّسونهُ باعمال التوبة والصلاح ل. ش.

قائمة للآثار الجويّة من ٨ الى ٢١ شباط ١٨٩٨



انّ الخطّ الضخم (▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امّا الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة — وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعشر الملّمترات

المشرق

التنوير

للاب موريس كولنجت اليسوعيّ مدرّس الطبيعيات في المكتب الطبي

(تابع لما سبق)

لقد ذكرنا في عدد سابق المبادئ التي يُستنَد اليها في التنوير ثمَّ موازين النور ووَحدة القياس التي يُرجع اليها في تمييز الأنوار. ومدار بحثنا في هذه المقالة على ما يُستصْبَح بهِ من ادوات التنوير ذوات اللهيب سواءٌ كانت جامدةً كالشموع او مائعة كالزيت والپترول

١ في الشموع

قد أُطلق اسم الشموع على هَنَاتٍ أُسطوانية الشكل مركَّبة من موادّ تصلح للوقود في وسطها كمحورٍ ذُبالة او فتيلة من القطن المجدول يَندلق عليها لسان اللهيب وفيها تسيل كما في قناةٍ الموادّ المهيَّأة للوقود ثم تستحيل بعد اتّقادها الى غازات

وموادُّ الوَقُود في الشموع مختلفة هذه انواعها :

اوّلًا الشمع العَسَليّ — ويكون إمَّا طبيعيًّا وهو صُنع النَّحل وبعض الهوامّ من طائفتها وإمَّا اصطناعيًّا يسعى بعملهِ ارباب الصنائع . ولا يُستعمل الشمع العسليّ للاستضاءة في غير الكنائس اللهمَّ الَّا نادرًا . فمن ثم انَّنا سنضرب عن ذكرهِ صفحًا في هذه المقالة

ثانيًا شمع الشحم — يؤخذ من شحم الغنم والبقر بعد تذويبهِ وتصفيتهِ . وهو بخس الثمن الَّا انَّهُ قليل الضوء كثير التدخين فلا يستحقّ الاعتبار في بحثنا هذا على وسائل التنوير

ثالثًا شحم السمك — يعرفهُ العلماء باسم (spermacétè) . وهو مركّب من مادَّة دهنيَّة يابسة تُستخلَص من عدَّة حيتان لاسيَّما الأوال (cachalot) الذي يدعوه الطبيعيُّون (physetes macrocephalus) . وربَّما وُجد في اوالٍ واحد بين ١٥٠٠ و ٣٠٠٠ كيلو غراماً من هذا الشحم

ولشحم السَّمك تهيئة خاصَة وهو يباع في المتجر على شكل قِطَع بيضاء صَدَفيّة فيها بعض الشَّفَافة. والانكليز يتَّخذون منـهُ كميَّاتٍ وافرة لتركيب شموع الحَفلات في أندية الاغنياء والاشراف. فالاستنارة بها اذًا غالية الثمن بيد انَّ الشمعة المركَّبـة من شحم الحوت المعروفة عندهم باسم (Standard candle) لا تُوازي الَّا شمعـةً عشريَّة وثلاثين قسمًا من المائة اعني انهُ يُقتضَى نور ثماني شمعات من شحم الحوت لمقابلة ضوء مِصباح كَرْسِل القياسيّ الذي سبق وصفهُ (في الصفحة ١٨٤)

رابعًا شمع البارافين — البارافِين مادَّة زفتيَّة تتركَّب من كَرْبور الهيدروجين وتُسْتَخرَج من البترول او من انواع الفحم بالتقطير الناشف. والبارافين اذا استُعْملت وحدها تذوب في درجة دانية من الحرارة ولذلك ترى الشموع المصنوعة منها تلتوي بسهولة وتسيل مادَّتها. وينبغي للفتيلة ان يكون قُطرها صغيرًا لئلاَّ ينبعث منها دُخان. واذا قابلنا شمعةً من البارافين مع الشمعة العشريَّة ذات ضوء ساعة (راجع ص ١٨٤) وجدنا انَّهُ يحترق تسعة غرامات من شمعة البـارافين في كل شمعة عشريّة وثمن ذلك سنتيم واحد و ٣٥٠ جزء من السنتيم اعني انَّ ثمن البارافين اغلى من مصباح كَرْسل بثلاثة اضعاف ومن قنديل البترول بعشرة اضعاف. والشمعة الالمانيّة القياسيّة من البارافين توازي شمعةً عشريّة و٢٦ قسمًا من المائة. وقد اعتاد اليوم عَمَلة البارافين ان يمزجوها بالحامض الستياريك فيُطلق على الشموع المركبة من هذين المزيجين اسم البارافين او الستيارين بحسب القسم الغالب منهما

خامسًا شمع الستيارين — انَّ تركيب الشموع الستيـاريّة مبني على تصبين الدهون بواسطة انواع القلى كالكلس والحامض الكبريتي وغيرهما وذلك ان يُفرز بين ما تحتويهِ الموادُّ الدهنيَّة من الغليسِرين وبين الحوامض الدهنيَّة كالحامض النخليّ والحـامض الزيتي والحامض الستياريك

فبعد ان تُعالَج شحوم الضأن والبقر والخنازير معالجةً كيماويّة يُفرز منها بالكبس الشديد سواء كان في حالة البرودة او التسخين ما تتضمّنهُ من الحامض الزيتيّ المائع. ويُجعل المعجون الابيض الباقي بعد هذا العمل بقالب حول الفتـائل. والفتيلة مركَّبة من القطن المضفور. ولا بدَّ لها من تهيئة خصوصيّة لكي تحترق دون ان يتكوّن منها بقايا فحميَّة ولئلاَّ يضعف ضوءُها

وللاافاة هذا الخلل تُغمَس الفتيلة في مزيج من الحامض البوريك او تُبَلُّ بفُسفات

النوشادر او بملح النوشادر . ويلزم ان يلتوي قليلًا رأس الفتيلة فيميل الى الجانب الاحمى من اللهيب ويفنى بالاحتراق . وينبغي ايضًا لهذه الغاية نفسها ان يكون غِلَظ الفتيلة متوسّطًا لانّهُ اذا زاد ضخمها كَثُر اللهيب وذابت الشمعة سريعًا واذا صغرت قلّ الاتّقاد وامتلأ تجويفها من الموادّ المُذابة وسال على جوانب الشمعة . هذا ولا يخلو تركيب الشمعة من الفعل في الاتّقاد فيُقتضى من ثمَّ انّ يوجد تناسُب بين الشمعة وفتيلتها . وفي الواقع اذا كانت الشمعة من الجنس الدون كالشموع التي لم تكبس بعد تسخين موادّها ترى فيها اجسامًا غريبة بقيت ممتزجة بالحامض الستياريك . وهذه الاجسام تخفّف شدَّة الضوء وتسبّب سَيَـلانًا في الشمعة . ووجود البارافين في الشمعة يجعلها شفَّافةً لكنَّهُ يُذيب الشمع بوفرة فتسيل المادَّة سريعًا . وممَّا يسبّب ايضًا هذا السيـلان بعض العِلَل الخارجة كمجرى الهواء ووجود شمعات اخرى قريبة من بعضها وفساد هواء الحجرة بتصاعد الغازات المتَقدة

امَّا لهيب الشموع المركَّبة من الستيارين فبياضهُ معتـدل وهو اقلّ احمرارًا من ضوء الزيت والبترول . واذا قوبلت شدَّة سطوعهِ مع الشمعة العشريَّة بيَّن الامتحان انّهُ يساوي شمعةً عشريَّة وثلاثة وثلاثين قسمًا منها اعني انَّهُ يلزم سبع شمعات ونصف من شموع الِاتوال (Étoile)[١] لمضاهاة ضوء مصباح كرْسِل

والحرارة التي تحصل من اتّقاد غرامٍ واحد من الحامض الستياريك توازي عشرة اقيسةٍ من الحرارة (calorie)[٢] وفي الساعة يفنى منهُ عشرة غرامات فتكون الحرارة الناتجة في ساعة مئة قياسٍ من الحرارة . وذلك هو عين الحرارة التي تنبعث من جسم رجل بالغ . اي انّ ما ينبعث من الحرارة مدّة ساعة من شمعة الستيارين ومن جسم الانسان على حدٍّ سواء . ويحصل من مصباح كَرْسِل المثاليّ سبعمائة قياس حرارة وهذه الحرارة كافيـة لتسخّن سبعة ليترات ماء فتبلّغها الى الغَلَيان . والحامض الكربونيك الحاصل في هذه المدَّة يبلغ ٣٩ ليترًا امَّا ما يحصل منهُ بتنفُّس الانسان فلا يزيد على ٢٠ ليترًا

ومعدّل سعر التنوير بالحامض الستياريك اذا اعتبرنا موازاة سطوع ضوئهِ وضوء غيرهِ من الوَقُود لايتجاوز سنتيمًا او سنتيمًا وربع سنتيم في الساعة . يعني ان سعرهُ هو ضعف سعر

---

١) هو محلٌّ في باريس قرب حاجزٍ يدعى الاتوال بهِ بُني اول معملٍ لصنع هذه الشموع
٢) قياس الحرارة هو ما يلزم منها لزيادة درجةٍ من الحرارة في كيلوغرام ماء مقطَّر

الزيت وثمانية اضعاف سعر البترول . وزد على ذلك انّ لهيبهُ مُترجرج مضطرب يؤذي البَصَر ولا يصلح للشغل

٢ التنوير بالزيوت الدهنيَّة

انَّ الاستصباح بالمائعات يكون في الغالب امَّا بزيتٍ دهنيّ او بزيتٍ معدنيّ اي البترول

والزيوت الدهنيَّة الاكثر استعمالًا انّما هي زيت السَّلجم المستخرج من نبات السلجم المعروف عند النباتيين باسم (brassica campestris) وزيت الزيتون المستخلص من شجر الزيتون . وهذان الزيتان يُصفَّيان اوَّلًا ثم يوقَدان بفتيلةٍ منغمسةٍ فيهما . وتصاعُد الزيت يكون على طريقتين امَّا بالجاذبيّة الشعريَّة وامّا بالكبس

والمصابيح القديمة كانت كلُّها من الطرز الاوّل يتصاعد فيها الزيت من الاناء الى الفتيلة على مقتضى مبدإِ الجاذبية الشعريَّة امَّا السُّرُج الحديثة ففيها مِدَكّ يتحرَّك كرقّاص الساعات او بواسطة زَنْبَرَك فيضغط المِدَكّ على الزيت فيصعد الزيت . ولهذه المصابيح آلة لتعديل ارتفاع الزيت

واعلم ان السُّرُج ذات الزيوت الدهنيَّة ينحلُّ فيها الزيت بقوَّة الحرارة ولا يحترق في لهيب الفتيلة سوى محصول هذا التحليل . امَّا المصابيح ذات الزيوت المعدنيّة اي البترول فلا تحتاج الى هذا التحليل فانّ البخار الذي يتكوّن عند اللهيب هو الذي يحترق وعليهِ فيحقّ لهذه المصابيح ان تدعى مصابيح بخاريَّة . وضوء المصابيح الزيتيَّة سواء كان زيتها من السلجم او من الزيتون لطيف عَذبٌ مشوب ببعض الحمرة لا ترجرُجَ في لهيبهِ . وتلك اسبابٌ تحمل ارباب الدرس على تفضيلهِ . ومصباح كرْسِل الذي يوازي ضوءُهُ لعشر شَمَعات عُشريَّة يبعث نورًا كافيًا للتنوير البيتيّ ويستطيع الدارس ان يدرس دون كلل في البصر مدَّة ثلث ساعات مستضيئًا بهذا النور على بُعد نصف متر من السراج . وارتفاع الحرارة على هذه المسافة تبلغ فقط درجةً وخُمس الدرجة واذا قيست الحرارة الحاصلة من مصباح كرْسل في الساعة وُجد انّهــا توازي ٤٢٠ قياسًا من الحرارة ويبلغ الحامض الكربونيك المنبعث منــهُ في الوقت ذاتهِ ٥٨ ليترًا وخمس من المائة . امَّا ثمن هذه الزيوت فهو مرتفع . فانّ مصباح كرْسل المثالي ذا ضوء الساعة يساوي اربعة سنتيمات اعني اربعة اعشار السنتيم لكل شمعة عشريّة . وهذا هو السبب الذي يرجّح عند كثيرين البترول على الزيوت الدهنيّة

٣ التنوير بالپترول

الزيت المعدني او الپترول هو سائل يضرب الى السمرة القاتمة ذو بريق الى الخضرة ووجوده في الطبيعة كثير والروسيّة واميركة تتَّجران بهِ مُتجرًا واسعًا لغزارة ينابيعهِ فيهما (١ ويُستحضر الپترول بان يُقطّر بالتدريج فاذا رُفعت درجة الحرارة من ٤٥ درجة الى ٧٠ حصل من ذلك موادّ سريعة التطاير والالتهاب تنفجر بامتزاجها مع الهواء وتُدعى أَثير الپترول. واذا زيد في تسخينهِ من الدرجة ٧٥ الى ١٢٠ يُنال بذلك رُوح الپترول او النفط الذي يُستخدم في المصابيح الصغيرة ذوات الاسفنج. وبتحميتهِ من الدرجة ١٥٠ الى ٢٨٠ يُحصل على زيت الپترول المستعمل في التنوير الاعتيادي ولكن لا بدّ من تصفيتهِ. واذا بلغت اخيرًا هذه الحرارة من ٢٨٠ درجة الى ٤٠٠ يُظفر بذلك على اصناف من الزيت اللَّزج الثقيل المستعمل في تليين الآلات ولاصطناع البارافين الشفَّاف

والشريعة الفرنسية تقسم الموائع من الهيدروكربور التي من جملتها الپترول الى قسمين قسمٌ منها يتّقد تحت الدرجة ٣٥. وقسمٌ يلتهب فوق هذه الدرجة. فهذا الصنف الثاني هو الجائز استعمالهُ ملافاةً للاخطار

هذا وانَّ المصابيح المعمَّرة بالپترول المجهَّزة بالفتائل كلُّها ذات امتصاص مبنيّة على مبدإ الجاذبيّة الشعريَّة وقد ذكرنا سبب ذلك وهو انّ هذه المصابيح تحتاجُ الى مجرى قويّ من الهواء ليكون الاتقاد كاملًا واللهيب ساطعًا. ولا بدّ لها من أُنبوبة زجاجيّة. واذا كانت السُّرج ذات فتائل مستديرة يزيد نورها نحو الثُلث على نور الفتائل المسطَّحة هذا مع اعتبار تساويهما في الاتقاد

وضوء الپترول يضرب الى الحمرة اكثر من ضوء الزيت. واذا حللتَ نور الپترول بالطيف الشمسي وجدت ان الصفرة فيهِ توازي واحدًا والحمرة ثلاثةً وخمسة اقسام في المائة. وسطوع ضوئهِ شديد اذ يكفي منهُ ٣٩ غرامًا لمساواة ضوء مصباح كرسل المثالي

وللپترول المتّقد حرارة بالغة تجعلهُ من اعظم وسائل الاستدفاء. وهو يقوم في بعض الآلات التجاريّة وفي المراكب مقام الفحم. واذا قيست هذه الحرارة في اتقاد مصباح يوازي على التقريب مصباح كرسل وُجد ان ارتفاعها على بعد ٦٠ سنتيمترًا يبلغ

١) انَّ اغزر البلاد بينابيع الپترول الولايات المتحدة ثم الروسيَّة في سنة ١٨٩٦ استخرجت الاولى منهُ عشرة ملايين متر مكعب والروسية ٧ ملايين

درجتين . اماَّ الحامض الكربونيك الذي ينتج من هذا الاشتعال فيبلغ ٤٨ ليترًا في كلّ مصباح مثالي من مصابيح كرسل ذات ضوء الساعة

وفي الاستنارة بزيت البترول مضارّ لا تخلو منها المصابيح غير المتقنة المتهاودة السعر . من ذلك الحرارة العظيمة الناتجة من ايقادهِ ومنها الرائحة السيّئة المنبعثة منهُ . وزد على ذلك ما يتجمَّد إثر الاتّقاد من الابخرة المتكاثفة . الّا انّ كل هذه الاعتبارات لا تقوى على الاسباب الاقتصاديّة لانّ البترول من ارخص وسائل التنوير لا يتجاوز ثمنهُ سنتيماً واحدًا في الساعة اذا قوبل بمصباح كرسل القياسيّ . نعم انّهُ يوجد ذرائع اخرى ابخس ثمنًا من البترول كمصباح أوّر والاسيتيلين والمصباح الكهربائي ذو القوس . ولكن يصعب على كثيرين استعمال هذه الطرائق من الوَقود لما يستلزمهُ وضعها وتركيبها من النفقات الطائلة كما سنبيّن ذلك

فالزيت المعدني هو اذًا في الوقت الحاضر وَقود الجمهور وسيبقى بعدُ على مرتبتهِ زمنًا طويلًا . والتجّار الساعون باستخراجهِ او ببيعهِ يدَّعون انّهُ سيُحرز في المستقبل قصبة السبق رغمًا عن مزاحمة بقيَّة اصناف الوَقود بهِ نستصبح وايَّاهُ نتَّخذ للاستدفاء واليهِ نرجع في تحريك الآلات البخاريَّة

هذا وان قطعنا النظر عن المستقبل لاعتبار الحاضر يحسن بنا ان نبحث في امر استخدام البترول على طريقة تناسب الصحَّة ولا تُلحق بها ضررًا

نقول انهُ لمن الممكن في الغالب الاحتراز من رائحة البترول الكريهة باختيار المصابيح وإحكام تنظيفها . اماَّ ارتفاع درجة حرارتهِ فلا يستحيل ملافاة مضارّها اذا اتُّخذ في التنوير البيتيّ مصباحٌ ذو سطوع كافٍ ليمكن ابعادهُ عن الرأس مع الاستضاءة اللازمة للشغل . وفي التنوير العامّ يُقتضى إحداث مجرًى حسن من الهواء بالمصباح مع رفع الشعلة الى الدرجة اللازمة للاتقاد الكامل ولا توطَّأ الفتيلة حبًا بالاقتصاد . ويحسن ايضًا لذلك استعمال بعض مصابيح يعجّل فيها الاتّقاد بزيادة في تسخين الهواء والبترول المتبخّر يدعوها الفرنج لذلك (Lampes intensives à récupération) . وتُشعل هذه المصابيح بلا فتيلة ولهيبها في الطبقة السُّفلى لا ظلَّ لهُ سوى على السَّقف . وما يوقد في هذه المصابيح من البترول في الساعة يبلغ ليترًا واحدًا الَّا ان ضوءها يوازي ضوء ١٤٠ شمعة (ستأتي البقية)

سلسلة بطاركة الطائفة المارونية

للبطريرك اسطفان الدويهي

عُني بنشرها المعلم رشيد الخوري الشرتوني

ان اول من اهتمَّ بتدوين سلسلة لبطاركة طائفتنا هو الطيب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي (المتوفَّى سنة ١٧٠٤) فقد خلَّف لنا في جملة تركتهِ العلمية رسالة جليلة القدر عُني فيها باثبات اسماء بطاركة الطائفة من عهد ابينا القديس مار يوحنَّا مارون الى أيَّامهِ. ولا اعرف أحدًا قبلهُ من علمائنا اهتمَّ بهذه المسألة كاهتمامهِ بها. وقد وقفتُ على نسختين من هذه الرسالة احداهما محفوظة في المكتبة الشرقيــة في كليَّة القديس يوسف والاخرى اقدم عهدًا ومنقولة عن نسخــة تخصُّ دير اللويزة. وقبل الشروع في ايراد كلام الدويهي لا ارى بدًّا من الاتيان ببعض الايضاحات التمهيدية اتمامًا للفائدة فاقول:

اولًا ان بطاركة طائفتنا المارونيَّة لم يستقرُّوا في مكان واحدٍ بل انَّهم منـذ سنة ٦٨٥ للمسيح الى عهدنا الحاضر جعلوا كراسيَّهم في مواضع متعددة من ابرشيَّات البترون وجُبَيْل وطرابلس. ففي سنة ٦٨٥ للميلاد الالهي كان الكرسي البطريركي في دير مار مارون في قرية كفرحَيّ من أعمال البـترون ثم نُقل بعد البطريرك جبرائيل الاوَّل الى سيدة يانوح في ابرشيَّة جُبَيـل حيث استمرَّ الى سنة ١١٢٠ بعد ان تعاقب عليهِ سبعة عشر بطريركًا. ومنها نُقل لثالث مرَّة الى دير سيدة ميْفوق في وادي إيليج التابع للبترون. ونُقل لرابع مرَّة بعد ثلاثة بطاركة توالوا عليهِ الى دير مار الياس في لِحْفِد من عمل جبيل ثمَّ الى دير سيدة ميفوق ثانيةً في رئاسة البطريرك إرْميا العَمْشيتي سنــة ١٢٠٩ ثمَّ الى دير مار قبريانوس في كَفِيفان. ثم الى دير مار مارون في كفرحيّ ثم الى دير مار جرجس في الكَفْر ثم الى دير سيدة يانوح ثم الى دير سيدة ميفوق ثالثةً ثم الى دير مار سركيس في حَرْضين سنة ١٣٦٧ الى سنة ١٤٠٤. ثمَّ الى دير سيدة قنُّوبين

وعلى ذلك فيكون بطاركة الموارنة قد غيَّروا مواقع كراسيهم حسب مُقتَضيات الزمان اربع عشرة مرَّة. وقد حكم آباء المجمع اللبناني الذي انعقد في دير سيدة اللُّوَيْزة عام ١٧٣٦ ان يكون دير قنُّوبين كرسيًّا ثابتًا للبطاركة لا يُترك ولا يُنقل الى مكان آخر الَّا عن علَّة داعية وفي مجمع اساقفة وبطريرك

على ان بطاركة طائفتنا اذا كانوا قد عدلوا عنهُ واتَّخذوا السكنى في مواضع اخرى لبعض الاحوال التي اقتضت ذلك فما زالت جميع السِّجلَّات الحَبْريَّة التي تُرْسل اليهم تثبيتًا للبطريركية تذكر هذا الكرسي البطريركي في دير قنُّوبين (راجع المجمع اللبناني قسم ٣ راس ٦ صفحة ٣٩٧)

واقول ثانيًا ان المؤلف لم يتيسَّر لهُ ان يحرِّر السنين التي فيها تولى كثيرون من قدماء هؤلاء البطاركة رعاية الشعب الماروني وذلك بسبب تلف الكتب التاريخيَّة من جرَّاء الحروب والاضطرابات غير انَّهُ لما كان قد طاف بنفسه (كما شهد البطريرك سمعان عوَّاد كاتب ترجمتهِ)

كل البلاد التي تقطنها طائفته فقلّب ما كان باقياً من الكتب في كنائسها او في منازل البعض من أفرادها استعان بما قيّدهُ النسَّاخ فيها على إثبات مقصده . لانَّ النسَّاخ الكنائسيين في هذه البلاد كانت لهم عادة مستحسنــة ولم تزل جاريةً الى اليوم وهي انهم يذكرون اسم البطريرك الذي يكون متوليّــاً تدبير الطائفة وقت نجازهم من النسخ ويضيفون اليهِ ايضاً اسم المطران الذي يرأس ابرشيتهم الخصوصيَّة

وفي جملة ما تذرّع بهِ لتحرير اسماء البطاركة القدماء وتواريخ قيامهم ما وجدهُ في بعض الكتب مدوناً بخطوط ايديهم الّا انهُ مع ما بذل في هذا السبيل من التنقيب والبحث لم يتمكَّن من الوصول الى اسماء جميع البطاركة الذين أقاموا في دير سيدة هابيل بين البطريرك يوحنَّا اللحفدي والبطريرك ارميا العمشيتي

وقد قابلتُ كلامهُ مع ما جاء في المجمع اللبناني بشان سلسلة البطاركة فوجدتُ ان آباء المجمع المومأ اليهِ قد سلكوا على آثارهِ واستضاءُوا بانوارهِ . وجلّ ما يختلفون بهِ عنهُ هو انهم حذفوا الادلة التي اتَّخذها الدويهي حجَّةً على تأييد غايتهِ

ثالثاً انهُ لما كان المؤلف قد شرح باسهاب في كتابهِ تاريخ الطائفة المارونية كثيراً من المسائل الواردة في هذه الرسالة اكتفيتُ بردّ المطالع الى المواضع التي ورد فيها بيان المسائل المذكورة من الكتاب الآنف

رابعاً ان السيد يوسف السمعاني صاحب المكتبة الشرقيَّة قد الَّف بالعربية نبــذة في سلسلة بطاركة انطاكية طبعها في رومية بمطبعة مجمع انتشار الايمان المقدس سنة **١٨٨١** حضرة القس يوحنا نطين الراهب الحلبي اللبناني خادم كنيسة الموارنة حالًا في مدينة ليفورنو بايطالية . وقد عارضتهــا بما دوَّنهُ الدويهي هنا فرأيت كلام هذين العلّامتين متوافقاً الّا في الامور الآتية وهي ان الدويهي ذكر بعد البطريرك سمعان الذي هو البطريرك التاسع عشر على الموارنة اربعة بطاركة وهم ارميا ويوحنا وشمعون وشمعون وهؤلاء لم يذكرهم السمعاني

ثم انَّ السمعاني ذكر ثلاثة من البطاركة باسم بطرس اقاموا في دير سيدة هابيل بين يوحنَّا اللحفدي وارميا العمشيتي وقد صرَّح الدويهي كما سترى انهُ لم يهتدِ الى اسمائهم

خامساً وذكر الدويهي بين دانيال الشاماتي الحبيلي الذي هو الثالث والثلاثون من بطاركة الموارنة بطريركاً باسم يوحنَّا وهذا لم يذكره السمعاني فيكون بطــاركة الموارنة كما عدَّهم الدويهي حتى اتخــاذهم دير قنوبين كرسياً لهم اربعين بطريركــاً وكما عدَّهم السمعاني ثمانية وثلاثين . وجملة البطاركة الى اليوم على الرواية الاولى واحد وسبعون وعلى الرواية الثانية تسعة وستون . وأمّا البطاركة الكاثوليكيون الذين خلفهم القديس يوحنَّا مارون على كرسي انطاكية فكانوا اثنين وستين

سادساً انّي اصلحت في عبارة المؤلف ما خالف أُصول الاعراب لا غير وتركت الباقي كما صدر من قلمهِ اطلاعاً للقارئ على حال العربية وتاريخ فصاحتها عند اللبنانيين الذين كانوا حديثيّ عهد في كسبها اثر تركهم للسريانية

اما كلام الدويهي في رسالته المذكورة فهذا نصه بالحرف :

ليس المقصود ههنا الإخبار عن جميع الرؤساء الذين تشرَّفوا بولاية كرسي انطاكية مذ بطرس هامة الرسل الى يومنا هذا بل منذ حدثت الفرقة لا غير فانهُ لمَّا اضطربت احوال الشرق وتضعضع رؤساء انطاكية تغلّب على رئاسة كرسيها ثلاث طوائف مقيمة الى هذا الآن في بلاد الشام اعني الروم والموارنة واليعاقبة

امَّا اليعاقبة فانقادوا الى تعليم ساويروس الذي في سنة ٥١٢ تملّك الكرسي الانطاكي وبما انهُ زاغ عن صحَّة الديانة وأفسد الرأي القويم بتعليمهِ انّ لربنا طبيعةً واحدةً طعنهُ الآباء بالحرم. وفي السنة الثالثة أخلى الكرسي وهرب الى مصر فتسمَّى الذين تبعوا رأيه يعاقبة من يعقوب البرادعي تلميذهِ وجعلوا سكن بطاركتهم في ماردين في دير الزعفران. وامَّا الآباء المهذَّبو الرأي فاقاموا بدل ساويروس بولس البطريرك الارثوذكسي ثمَّ الذين خلفوهُ على الكرسي الانطاكي الى ان تولّاهُ مقاريوس. فضلَّ هو ايضاً عن استقامة الديانة وصار يعلّم ان بربنا مشيئة واحدة. ولاجل ذلك عقد عليهِ الآباء في القسطنطينية المجمع السادس في سنة ستمائة وخمس وثمانين (١. ومات وعقبهُ (٢ على رضى الاكليروس الانطاكي يوحنَّا السرومي ابن اغاتون وقيل انهُ ابن اليديوس ابن اخت كارلو مانيو الشريف الجنس الذي قدم من بلاد فرنسة وحكم انطاكية والبلدان الشرقية فهذا البارّ لصحة ديانتهِ دخل بنفسهِ الى رومية وقبل الامفوريون اعني درع كمال الرئاسة من يد البابا سركيس الانطاكي الاصل وعندما رجع الى كرسيه ردَّ كثيرين من اليعاقبة ومن تلاميذ مقاريوس الى الاقرار بالطبيعتين والمشيئتين(٣. وكان في ذلك العصر جالسًا على تخت

---

١) والصواب انَّ افتتاح المجمع السادس المسكونيّ كان في تشرين الثاني سنة ٦٧٩ وانتهى في ايلول سنة ٦٨١ بهِ حُرم مقاريوس بطرك انطاكية لقولهِ بان في المسيح طبيعة ومشيئة واحدة واختار الآباء بدلهُ تاوفانُس بطركًا على انطاكية (راجع المكتبة الشرقيَّة للسمعاني المجلد ١ ص ٤٩٦)

٢) ذكر المؤلّف في هذه الرسالة ان القديس يوحنَّا مارون ترقَّى الى البطريركيَّة بعد وفاة مقاريوس والصواب ان الذي خلف مقاريوس هو البطريرك تاوفانُس كما مرَّ. ولا شكَّ انَّ الناسخ اسقط هنا ما قد اثبتهُ الدويهي في عرض هذه الرسالة ايضًا كما في بقيَّة تآليفهِ

٣) اعتمد الدويهي في نسب القديس يوحنا مارون على كتاب قديم العهد وجد بخط كرشوني في كنيسة السيدة بدمشق الشام وعلى الاخبار التي أرسلها القس جبرائيل ابن القلاعي الى القس جرجس بن بشارة سنة ١٤٩٥ وطبعها باللاتينيَّة فرنسيس كوارسميوس سنة ١٦٣٤ واخيرًا على ما

مملكة الروم يوستينيانوس الاخرم فاطغاه عدو الخير حتى استمال عقله الى زعم رؤساء الكهنة المتمسكين بمشيئة واحدة فانشأ الاضطهاد على سركيس صاحب الكرسي الروماني(١ ولاجل ذلك اضطرّ البطريرك يوحنّا ان ينتقل من انطاكية الى دير مار مارون الذي في سوريّة

نقلهُ عبدالله بن الطيّب في كتابه عن الرؤساء التابعين لأمانة الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر وعلى كاتب قصة يعقوب البرادعي وغيره من كتبة اليعاقبة

وذكر في كتابهِ « تاريخ الطائفة المارونية » في الفصل الثامن ان الكتاب القديم الذي وجد في دمشق أوقفه عليهِ رجل من اصدقائه اسمهُ القس ميخائيل المطوشي وهو يتضمَّن كثيرًا من اخبار السلف وفي جملة ذلك القصة المحكي عنها وهذه حرفيتها «كان رأس الأمة المارونية رجل اسمهُ يوحنا وكان عالمًا كثير الفضائل والمحامد واصله من جنس شريف واسم ابيهِ اغاتون وامه انوهاميا وجده اليديبس ابن أُخت كارلو مانيو ملك فرنسة . ولما قدم هذا الملك بلاد سوريّة وتملَّكها جعل اليديبس مقامهُ في مدينة انطاكية فرزق ولدًا سمَّاهُ اغاتون ولمَّا شبَّ اغاتون وتزوج ولِد لهُ ولد سمَّاهُ يوحنًّا فتأدب يوحنًّا هذا بالعلوم الروحانية ومهر بالتفاسير الانجيلية وبرع في العلوم السريانية وتمنطق بنطاق النسك والعفاف وأُقيم اخيرًا بطريركًا على الامة المذكورة » . وظنَّ الدويهي ان هذا الكلام هو لابن الطيب

وسواء كان لابن الطيب او لغيره فانهُ مبهم يصعب ايضاحه لأنّ كرلو مانيو توفي سنة ٨١٤ ولم يرد في تاريخ من التواريخ لا عنهُ ولا عن اليديبوس وأغاتون انهم اتوا الى سورية . وقد قال الدويهي نفسهُ بمثل هذا وذهب الى أن القصة يمكن ان تكون منسوبةً الى غير هذا الامير او انها صادقة على احد اقربائه الذين سلفوا قبل ان يضبطوا ملك فرنسة . والله اعلم

واما سفر القديس يوحنا مارون الى رومية بصحبة قاصد البابا سركيس او سرجيس وقبولهُ منهُ درع كمال الرئاسة فقد اثبتهُ الدويهي ايضًا في الفصل المذكور واعتمد في ذلك على القصة القديمة التي سبق ذكرها وعلى شهادة جبرائيل القلاعي الماروني ويوحنًّا شيواريوس من وبرا في الفصل ٢٧ من كتاب سفره الى اورشليم . واما السيد يوسف السمعاني فقد ارتأى عكس ذلك كما يظهر من مراجعة المجلد ٤ راس ٢٠ ص ٤٠٤ من مكتبة الناموس القانوني والمدني والمجلد ١ ص ٥٠٣ من المكتبة الشرقية . امَّا البطريرك يوسف اسطفان فقد ذكر في تأليفه « قداسة يوحنًّا مارون » قصة عن سنكسار للموارنة قديم وبرهن انهُ كان منهُ نسختان بالخط الكرشوني في مكتبة مار بطرس في رومية تحت عدد ٢٧ و ٢٨ وتخبر هذه القصة عن ذهاب يوحنا مارون الى رومية وتكريم البابا سرجيس لهُ وايد ذلك ايضًا بشهادة يوحنا شيواريوس المارّ ذكره وشهادة الاب ايرونيموس دنديني اليسوعي

١) لا يذكر احد من المؤرخين انَّ يوستينيانوس الثاني الاخرم اضطهد البابا سرجيس وغيره من الآباء لقولهم بالمشيئتين بل لاسباب أُخر لا يسعنا ان نذكرها هنا اخصُّها لأن البابا سرجيس لم يرضَ باثبات اعمال المجمع المعروف بكوينيسكِست الذي بُخِسَت فيهِ حقوق الكرسيّ الرسوليّ

على النهر العاصي ومن هناك الى سمار جبيل التي في عمل البترون. واماً جيش الروم فما زال يقتل ويحرق ويسبي في بلاد سوريَّة وفونيقية حتى ان لاون القائد (١ وضع يده على الملك وقطع أنفه وحطهُ عن الملك وارسله الى النفي في شرصونة (بلاد القريم) وكذلك اهالي جبل لبنان وثبوا على جيش الروم فقتلوا قوادهم وشتَّتوا شملهم والذين بقوا هزموهم هزيمةً قبيحة. ومن ذلك العصر حصلت الفرقة بين الملكيَّة الذين تمسَّكوا برأي الملك وبين الموارنة الذين من يوحنا مارون تسمّوا موارنة واستمرّوا على الديانة المهذّبة وفي الاتحاد مع الكنيسة الرومانيّة (٢

وما زال يوحنا مارون يجاهد اشرف المجاهدات في انشاء الكنائس وبنيان الكهنوت وتهذيب الرعايا ونظم الرتب البيعية حتى اكمل سعيهُ بكل قداسة في قرب سنة ٧٠٧ ودفن في دير مار مارون الذي في ارض كفرحي من عمل البترون

ثم خلفهُ ابن اخته كوريوس (٣ الذي بعث كما هو محرّر في قصَّة خاله فطلب التثبيت من صاحب الكرسي الروماني وساس قومه سياسة الابرار الى آخر حياته. ثم عقبهُ في الرئاسة على كرسي انطاكية جبرائيل على ما وجدنا في النسخ القديمة

واماً الملكية فانهم رجعوا بعد موت يوستينيانوس الاخرم الى الإقرار بالطبيعتين والمشيئتين (٤ وفي زمان الملك قسطنطين قوبرونيموس اقاموا لهم بطركاً على كرسي

---

١) هو البطريق لاوُنس (Léonce) كان حاجباً ليوستينيانوس الاخرم وتولّى قيادة الجيش فخافهُ الملك وهمَّ بقتلهِ فسبقهُ لاوُنس وامرهُ ثمَّ قطع انفهُ ونفاهُ الى بلاد شرصونة (القرَيم) سنة ٦٩٥. اماً يوستينيانوس فعقد عهداً مع ملك البلغار واسترجع بمساعدتهِ ملكهُ وقتل لاونس سنة ٧٠٥ وكان آخر ملك يوستينيانوس سنة ٧١١ قتلهُ بردانس الملقَّب فيلبكوس

٢) انَّ كثيرين من الكُتَّاب يرون ان اسم الملكيين لقبٌ عيَّر بهِ اليعاقبة آباء المجمع الخلقيدونيّ وأتباعهم لموافقتهم لقول مَرقيان الذي سعى بجمع هذا المجمع ضدّ اوطيخا. اماً السمعاني فانَّهُ ارتأى انَّ هذا الاسم وُضع للدلالة على غرض مدنيّ (راجع حاشيةً مطولةً في هذا الصدد ذيَّلنا بها تاريخ الطائفة المارونية للدويهي ص ٨٣ – ٨٦)

٣) وجاء في المجمع اللبناني «قورروس» وفي تاريخ الطائفة المارونيَّة «قورش» وليس تحت هذا الاختلاف اللفظي اهمية

٤) انَّ قوماً من الروم تبعوا مقاريوس اسقف انطاكية في ضلالهِ بعد ان حُرم في المجمع السادس. الّا انَّ هؤلاء لم يدعَوا بملكيَّة

انطاكية (١ وجعلوا مقام رؤسائهم في مدينة دمشق الشام الى وقتنا هذا

ومن بعد جبرائيل صُيّر يوحنَّا الذي تكنَّى هو ايضًا باسم (مارون) وترهّب في دير مارون الذي على النهر العاصي وقد كتب عنهُ ابن القلاعي في الميَر عن الجامع قائلًا :

وبعده قام مارون ثاني من الدير الرَّباني معلم شاطر ملفاني يُدعى يوحنَّا البار

وقد جاء ليانوح وبطرك كان وسكنه في جبل لبنان وايمان مارون ما تغير

وعند ما دنا هذا من الموت أخلى الكرسي الى يوحنَّا آخر كان أصلهُ من قرية دماصا من عمل جبيل كما هو مرقوم في الاخبار القديمة عن يوحنَّا الذي تقدّم ذكرهُ انَّهُ لما قارب الموت جمع جميع كهنة جبل لبنان واقام لهم بطركًا بدالهُ يُدعى يوحنا من قرية دملصا

فهولاء البطاركة الخمسة المتقدّم ذكرهم أمرهم واضح انهم كانوا مقيمين في جبل لبنان وانهم تخلفوا بعد تاوفان من الرسالة التي في سنة الف واربعمائة وخمس وتسعين شيَّعها جبرائيل ابن القلاعي الى القس جرجس بن بشارة (٢ في الفصل الحادي عشر ووجدنا ايضًا ذكرهم في كرَّاسة سريانية كانت عند سالفنا المغفور لهُ البطريرك جرجس من قرية بسبعل قد نسخها داود بن ابرهيم في سنة ١٦٢٤ لليونان فتكون أقدم من تحرير ابن القلاعي بمئة وثمانين سنة وفي نُسَخ أُخرى عرضها علينا اخونا المطران جرجس ولد حبقوق وغيره

(ستأتي البقية)

---

١) لم تنقطع سلسلة بطاركة انطاكية للروم بعد مقاريوس . وقد خلفهُ كما مرّ تاوفان ثم اسكندر الثاني ثم توما ثم جرجس الثاني وخلا بعدهُ الكرسيّ مدَّةً لم يسمح خلفاء اميَّة بتعيين خلفهِ الى سنة ٧٤٢ (راجع لوقيان في الشرق المسيحي الجزء الثاني ص٧٤٣ واعمال القديسين للبولندستيين الجزء الرابع من تموز) . امَّا اهل لبنان فلما رأوهُ من صعوبة المخابرات مع خلفاء مقاريوس وهم مقيمون في القسطنطينية طلبوا الى الكرسي الرسوليّ ان يقيم عليهم بطركًا مستقلًا يدافع عن ايمانهم ويحفظهم في الاتحاد مع الكنيسة الرومانية فاتّفقوا على اختيار القديس يوحنًا مارون (راجع الصفحات ٥١ و٦٢ من تاريخ الطائفة المارونية)

٢) كان القس جرجس بن بشارة في اول امره مارونيًا لكنهُ عدل اخيرًا الى البدعة اليعقوبيَّة فنظم لهُ الاسقف جبرائيل ابن القلاعي كتابًا مستقلًا ينقض فيهِ المذهب اليعقوبي وكان ذلك سنة ١٤٩٥ (تاريخ الطائفة المارونيَّة ص ٦٣)

الحُسبة

لحضرة الاب انستاس ماري دي سنت ايلي الكرملي البغداديّ

الحُسْبَةُ بضمّ الاوَّل واسكان الثاني وفتح الثالث ابيضاض الجلد من داء تفسد بهِ شَعَرتُهُ وتصير بيضاء . هذا هو تعريف الحُسْبة على ما نصَّ بهِ المحدثون وهو داء يصيب بعض الناس فيجعَل الجلد ابيض كامنًا تفسد بهِ الشعرة ويتلوّن البوبؤ بلون احمر مشبع والقُزحيَّةُ بالشُكلَة . فتُصبح العين عاجزةً عن تحمُّل ضوء النهار لتخلُّل النور إيَّاها وعليهِ فالحُسب (جمع أحْسَبَ وهو من الحُسْبة) يرون في العَشوة احسن منهم في رائعة النهار . وهذا الشوَهُ يكون غالبًا ولادةً وهو ينجم عن نقصان او عن خلوٍّ تام للمادَّة الملوِّنة في الجلد والشعر المسمَّاة بالخضاب الجلديّ (Pigmentum) . وتنزل هذه الآفة في كل صقعٍ ونادٍ ونجدٍ ووادٍ وليست مخصوصة بجيل من اجيال الناس كما زعمت جماعة . فالحسب هم في افريقية بين السود كما في اوربَّة بين البيض وهي في اسيّة كما في اميركة واوقيانية . وهذا الامر ليس بمنكرٍ اليوم فان من السود من تسمّوا بالسود البيض وفي بلدتنا الزوراء اثنان من الحُسب يسميهم العامة عندنا بِرْبشًا للواحد منهما . وهي على ما اخال تصحيف الابرش لما يرى في المُصاب بهذا الداء من شبه البرش او البرص

اما الحُسبُ الذكور فانهم بوجه العموم عديمو القوَّة التوليديَّة بخلاف النساء . والحسبة تكون جزئيَّة وعامَّة . فاذا جاءت جزئيَّة ربَّما جاء الشعر يضرب الى الشقرة وربما اصابت عضوًا وتركت جارحةً فاصبح الآدميّ كالأَبرص . والحسبة كثيرة الوقوع في العَجْماوات فانك تشاهد ذلك في الكبار منها كما في الصغار فترى من بين ذوات الاثدي في الفيل اله بعض الهند والوثنيين كما في الدَّرص البيضاء وكذلك ترى في كل ما يجيء بينهما من بعيرٍ وبقرةٍ وظبي وارنب وخِنَّوص هندي وخُلد الخ . وقد تحقق وجودها بين الطيور ايضًا فترى في الغراب والعقعق والشُحرور والنُغَر والبط الوحشي والعصفور الخ . وزد على ذلك انهُ قد تحقق وجودها ايضًا في المارماهيج والسرطان وتسمَّى هذه العلة بالفرنسويَّة (Albinisme) والاحسب (Albinos) . وهي ضدّ الشَيم وبالفرنسية (Mélanisme) وهي في العربية مصدر شامَ فلانٌ اي ظهرت بجلدهِ الرقة السوداء على ما قالهُ جمهور اللغويين . الّا ان

معنى الحرف الفرنسي اعمّ من العربيّ غير انهُ لمّا كانت الشامة من فعل (الميلانسم) جاز تسميتها بالعربية شيماً من باب تسمية الكل باسم الجزء وهو قياسي وامثالهُ كثيرة في العربية. وهو في الاصطلاح: تلوُّن غير عادي للجلد يمتاز في الخارج بلون اسود او قاتم في الجلد والشَعرةِ والقزحيّةِ وهو يعرض اثر افراط الخضاب الجلدي وقد تظهر هذه الآفة في بعض العجماوات كالاسد والثعلب والقُنْدُس. واغلب ظهورها في الانسان يكون شامةً ويتغيَّر لونها من الطُلْسة الى الحُلْكَة

وربمّا وُجدت الحسبة في النبات ايضًا لتشابه الاعراض وهو يكون بخلوّ الخَضُوب منهُ (وهي المادّة الملوّنة في النبات وبالفرنسية chlorophylle) وحينئذٍ تسمّى هذه الآفة بالخَضَدِ عند النباتيين وبالفرنسيَّة (Albinisme végétal)

ولا يظنَّنَّ قوم ان الحُسْبة هي كلمة حديثة الوضع عند العرب بل انها معروفة عندهم ومذكورة في كتبهم بهذا المعنى. وقد قالوا بوجودها عند الانسان والحيوان والطير وقد عرفوا انها تعمّ الجسد او تخصُّهُ. واليك بيان ذلك

قال الدميري في كتابهِ حياة الحيوان الكبرى في عرض كلامهِ عن البُوّه (ويُقال بُوه وبُوهَة) ما نصُّهُ: «قال امرؤ القيس:

« ايا هند لا تقربي بُوهةً عليهِ عقيقتهُ أَحْسبا

« الاحسب من الناس الذي في شعرهِ شقرة (وهذا اشارة الى ان الحسبة لا تعمّ الجسد الَّا الشعر) وصفهُ باللؤم والشحّ. يقول كأنَّهُ لم تحلق عقيقتهُ في صغرهِ حتَّى شاخ وقيل انهُ الرجل الضعيف الطائش (وهنا فسّر الاحسب بخاصيتهِ اي انهُ ضعيف طائش وهو صحيح كما هو معهود في الحُسْب) والبوهة ما اطارتهُ الريح.........وقيل الاحسب الذي ابيضَّ جلدهُ من داء ففسدت شعرتهُ فصار احمر وابيض (وهنا بيّن انَّ الحسبة تكون عامةً في الجلد والشعر). ويكون ذلك في الناس والابل (وهذا يُفصح عن ان الحسبة تكون في الناس والحيوان). وقيل الاحسب الابرص (وهذا يُشير الى ان الحسبة ربما اصابت مكانًا من الجسد ولم تصب مكانًا آخر فيصبح صاحبهُ كالابرص. ثمَّ لما قال امرؤ القيس لهند: «لا تقربي بوهة... احسبا». اراد بذلك ان لا تقرب رجلًا ضعيفًا طائشًا كالبوهة الحسباء.

فترى من كل ذلك بانَّ العلة هي واحدة وانما فسّرت بانواع متلوّنة. وبهذا الخصوص

اقول انَّ مثل ذلك في كلام الناطقين بالضاد كثيرٌ . اي انهم يعرّفون الشيء تارةً بوصفهِ الخارجيّ واخرى بوصفهِ الداخلي وطورًا بوصفهِ الادبي وآونةً بخواصّهِ ومرةً بظواهرهِ واحيانًا باعراضهِ ومن لا ينتبه الى هذه الاوجه في الانتقاد يقع في الارتباك والاشتباك . اذ ان من هذه المعرّفات ما هي عامّة في الجنس وليست بمميّزة للفرد كما قد ورد في علم المنطق . والسلام على من اتبع الهدى

موافقة بين آيتين متناقضتين في الانجيل

للاب الفونس ڤان دن هوڤن اليسوعي

لقد ورد في الكتاب المقدّس بعض فقرات مُشكِلة وآيات مُبهَمة اعتاص شرحها على المفسّرين حتَّى اضحت لهم كعراقيل يَلقون في حلّها عَرَق القِرْبة . لانهم يعلمون من جهةٍ حقَّ العلم انّ الكتاب مُنْزَل في كلّ اقسامهِ كما قرّر ذلك المجمع التريدنتيني (١ (الجلسة الرابعة) . ومن جهة اخرى تحول دونهم بعض اقوال الاسفار الالهية فيها شبهُ تناقض كأنّ الروح القدس صاحب الوحي يقرّر في مكانٍ ما ينكرهُ في آخر . فلا يبقى لهم اذ ذاك ليتملّصوا من هذه المشاكل سوى ان ينعموا النظر في نصّ الكتاب ويسبروه بمعيار التروّي والحكمة ثم يحاولوا وجود طريقةٍ توافق بين الآيات الشتّى فيُصرّح الحقُّ عن محضهِ

وربّما سعى المفسّرون في بيان بعض المشاكل العويصة فوجدوا في فكّها عدّة وسائل فلا بأس اذ اذاك إن آثر العقلُ منها ما رآهُ اقوى بُرْهانًا ونبذ ما لم يرضَ بهِ . هذا وللاقدمين كتابات واسعة في شرح هذه المناقضات الظاهرة نخصُّ منهم بالذكر القديس الجليل اوغسطينوس ولهُ تأليف دعاهُ الموافقة بين الانجيليين

وكان هذا الملفان الخطير يُعدّ من اعظم المشاكل آيةً وردت في اناجيل البشراء الثلاثة متّى ولوقا ومرقسٍ وهي قولهُ تعالى لتلاميذهِ

١) لكنّنا نسلّم انّ النسّاخ شوّهوا بعض آيات فسخوها بنَقْلهم ولذلك قد ورد لها روايات مختلفة لا نقطع بصحّة بعضها الا اذا شهدت لها الكنيسة او النُسَخ الاصليّة . على انَّ هذا التحريف الطارئ على بعض الآيات لا يمسّ صحّةَ الاسفار الالهيّة المقرَّرة في المجمع التريدنتينيّ ولا يبخس في تنزيلها لان الله عزَّ وجلَّ انما ضمن حفظ صحّةَ الآيات المتعلّقة بالايمان والآداب ليس الّا

(متّى ١٠ : ٩ , ١٠) لا تقتنوا ذهبًا ولا فضّةً ولا نحاسًا في مناطقكم ولا مزودًا للطريق ولا ثوبين ولا حذاء ولا عصًا

(لوقا ٩ : ٣) لا تحملوا في الطريق شيئًا لا عصًا ولا مزودًا ولا خبزًا ولا فضّةً ولا يكن لكم ثوبان

(مرقس ٦ : ٨ , ٩) واوصاهم ان لا يأخذوا شيئًا للطريق الّا عصًا فقط . لا مزودًا ولا خبزًا ولا نحاسًا في مناطقهم بل يحتذوا بنعالٍ ولا يلبسوا ثوبين

وهذه الترجمة العربيَّة مطابقة للاصل اليوناني حيث جاء (μηδὲ ῥάβδον و εἰ μὴ ῥάβδον μόνον) ومثلهُ الترجمة السريانيَّة البسيطة (ܘܠܐ ܡܕܡ ܐܠܐ ܐܢ ܫܒܛܐ ܒܠܚܘܕ)

فيظهر من كل هذه النُّصوص انّ التناقض بيّن فيها ظاهر اذ ينسب للربّ معًا قولهُ : « لا تقتنوا او لا تحملوا ولا عصًا » وقولهُ : « لا تأخذوا الّا عصًا فقط »

فان تصفَّحنا كتب المفسرين والآباء القديسين وجدنا لهم شروحًا مختلفة لكشف ما غمض من مأخذ هذه الآية . ومنهم من عدل عن رأيهِ الاوَّل في شرح هذا المعضل الى رأي آخر رجَّحهُ بعد الفحص والتروّي كما فعل في زماننا احد ائمَّة المفسرين الاب كنابنباور فانَّهُ ارتأى في كتبهِ الحديثة خلاف ما دافع عنهُ سابقًا

امَّا نحن فاحببنا ان نعرض هنا ملخَّصًا على القُرَّاء ما جاء في هذه الآية من التفاسير المتباينة ثمّ نشفع الشرح الاخير بملاحظاتٍ من شأنها ان ترجّحهُ على الآراء السابقة . وغاية مرامنا ان يجد القارئ بين هذه الاقوال ما يقنعهُ في شرح الآية المذكورة

١ فالرأي الاوَّل وهو اقدم ما ورد في تصانيف الآباء قد سبق اليهِ القديس اوغسطينوس في كتابهِ الثاني من الموافقة بين الانجيليين . ومرجع قول هذا الامام الجليل الى انّ لفظة « العصا » في متّى ولوقا يراد بهـا المعنى الحقيقيّ . وفي مرقس المعنى المجـازيّ يفهم بهِ السلطـة . وعليهِ قد فسَّر القديس الآنف ذكرهُ هذه الآية بقولهِ : على الرسل ان يذهبوا بما خوَّلهم فقط من السلطان لبشارة الانجيل والدعوة الى دين المسيح ولا يبالوا بشيء آخر من امور هذه الدنيا لا بالمال ولا المقتنَيات ولا لبس الثياب حتى ولا اخذ عصًا لانّ الربّ فرض على من يسمعهم بان يقوموا بمعاشهم وحاجاتهم « لانّ الفـاعل يستحقُّ طعامهُ » (متّى ١٠ : ١٠)

وعليهِ فيكون تمام قول الربّ في مجموع الاناجيل الثلاثة لأَنهُ يأمر تلاميـذهُ الّا

يأخذوا شيئًا للطريق مهما كان ولو عصًا (متى ولوقا) بل يكتفوا بعصا السلطة للتعليم والارشاد (مرقس). غير انَّ البشيرَين الاوَّلين يشيران في معرض كلامهما الى هذه السلطة الروحيّة التي خوَّلها الربُّ رسلهُ بينا مرقس يشير الى التجرّد حتى عن عصا الطريق بقولهِ «اوصاهم ان لا يأخذوا شيئًا»

٢ (الرأي الثاني) هو الذي رجّحهُ مُذيّل ترجمة الكتاب المقدَّس المنشورة في مطبعتنا اخذهُ عن عدّة مفسّرين فقال ما نصُّهُ: جاء في انجيل متَّى «ولا عصًا» وفي انجيل مرقس انَّهُ اوصاهم أن لا يأخذوا «الَّا عصًا» فظاهرهُ تناقضٌ صريح الَّا انَّهُ ليس بهِ لانَّ من العصا ما تكون علامة للعلم والسلطة وهي التي حرّمها المسيح هنا ومنها ما يستعملها المسافر وهي التي اوصاهم بحملها في مرقس (اه)

فهذا الرأي كما ترى هو عكس قول القديس اوغسطينوس لانَّهُ يجعل لفظ العصا مجازيًا في متَّى ولوقا. وحقيقيًا في مرقس فيحرّم المسيح على تلاميذهِ استعمال الوسائط البشريَّة في دعوة الشعوب الى الخلاص (متَّى ولوقا) ويأذن لهم فقط باخذ عصاة المسافر (مرقس)

٣ (الرأي الثالث) لكُرنيليوس الحَجَري اليسوعي وهو كما لا يخفى من ائمة مفسّري الكتاب الكريم. وهذا الرأي لا يخلو من الصحّة كما سترى ولهُ علاقة مع الرأي السابق

يقول الشارح انَّ للفظة العصا في اليونانيّة (ῥάβδος) ثلاثة معاني. اوّلها ما يُتوكَّأُ عليهِ. ثانيها الاداة التي بها يدافع الانسان عن نفسهِ او يعاقب المجرمين. وهذان المعنيان يوافقان للَفظة العبرانيّة (משען) (مِشْعَن). امَّا المعنى الثالث فهو الصولجان وقضيب السلطة يطابقهُ في العبرانيّة لفظ (סבת) (سِبِت) فينهى الربُّ تلاميذهُ عن استعمال عصا العِقاب والِمخْصَرة رمز الشرف (متَّى ولوقا) ولا ينهاهم عن اتّخاذ عصًا يعكزون عليها في طريقهم

ولعلّ قائلًا يقول كيف امكن المسيح ان يشير الى عصاة المُعاقبة او قضيب السلطة ورسلهُ قومٌ سُذَّج لم يدركوا هذه الاشارات الخفيّة. نقول ليس الامر بمستبعد كما يُظنّ لانَّ الرُّسل كجميع اليهود كان يرون بينهم رؤساء الرومان وولاتهم يتقدَّمهم جنود حاملين السياط او العصي دلالةً على مناصبهم الرفيعة يُدعَون لذلك حاملي العصيّ (ῥαβδόφοροι او ῥαβδοῦχοι). وكان ايضًا الربّيون بين اليهود كما شهد لِيرانُوس يمسكون بايديهم عصًا تُؤذن بعقامهم. ونرى عند قدماء العرب ما يشبهُ هذه العادة فكان الخطباء في ابّان

كلامهم يمسكون عصاً حتّى صارت عندهم عصا الخطيب رمزًا عن سطوتهِ وقدرتهِ (راجع الصفحة ٣٢ من كتاب العصا لاسامة بن منقذ طبعهُ المعلّم دِرِنْبُرْغ). وجاء في اخبار قسّ بن ساعدة انهُ ربّما استبدل العصاة بسيف كان يقبض عليهِ في خطبهِ (راجع ص ٢١١ من كتاب شعراء النصرانية)

فيظهر ممّا سبق انهُ ليس في معاني العصاة الآنف ذكرها من الغرابة ما كان يفوق ادراك التلاميذ. ولعلّ الرب في اللغة الآرامية التي كان ينطق بها اشار الى هذه المعاني بالفاظ مختلفة تُشعر بغايتهِ

٤ هذا وقد عرض غروسيوس احد علماء البروتستنت الهولنديين شرحًا رابعًا لهذه الآية نوردهُ على علاّتهِ قال: انّها لعادة جرت في الشرق انّ المسافرين يحملون على كتفهم فضلًا عن عصاة الطريق عصاةً أُخرى يعلّقون عليها لوازم سفرهم كزوج نعال او ثوب او طعام. فقول الربّ في انجيلَيْ متّى ولوقا يشير الى هذه العصاة دون الاخرى لانَّهُ لمّا اوصاهم جلّ ذكرهُ بان لا يهتمّوا في طريقهم بامر المال واللبس والاكل لم يَعُد يبقى داعٍ لهذه العصاة. امّا عصاة السفر فلم يَنْهَ عن حملها في الطريق وايّاها اراد الربّ في انجيل مرقس. واستند غروسيوس في قولهِ هذا الى نصّ لوقا اليوناني الاصلي وفيهِ « ῥάβδους عِصِيّ » على لفظ الجمع لا « ῥάβδον عصًا » على الافراد

٥ وقد ذهب الى رأي خامس منذ عامين احد علماء رهبانيتنا الذي قضى بضعة سنين في الشرق. فانّهُ كتب في مجلّة الابحاث الدينيَّة (Études Religieuses, oct. 1895) مقالةً في شرح هذه الآية على نوع مبتكر. ويختلف تفسيرهُ عن التفاسير السابقة بانّهُ لا يعتبر ما للعصاة من المعاني بل يبحث عن معنى حرف النفي في قولهِ تعالى بمتّى ولوقا « ولا عصا » وعن اداة الاستثناء في قولهِ بمرقس « الّا عصاً فقط ». فيقول ان للاداتين كلتيهما معنًى واحدًا

وان اعترض عليهِ احدٌ قائلًا انّ النصّ الاصليّ اليوناني لا يقبل هذا الشرح لما يوجد من المعاني المتباينة بين « εἰ μὴ » النافية وبين « εἰ μὴ μόνον » المستثنية فيجيب انّ لُغة العهد الجديد وان كانت اليونانيّة الّا انّها يدخلها كثير من التراكيب الاعجميّة لانّ الانجيليين كانوا عبرانيين لم يحسنوا التكلم باليونانيَّة ولذلك كثيرًا ما دخل في كتاباتهم من التصاوير والتعابير الاجنبية المأخوذة من اللغة الآرامية التي تعلّموها في حداثتهم. ونعلم انّ

الله في وحيهِ لهم لم يُرد ان يبدل لهجتهم او طريقة انشائهم. فينتج من هذه الملاحظة انَّ عباراتٍ كثيرة في الكتاب الكريم لا يُطَّلع على معناها الحقيقي الَّا بمعرفة اللغات الساميَّة كالعبرانيّة والآراميَّة

فبعد هذه المقدّمات يحاول الشارح الآنف ذكرهُ ان يبيّن انَّ العبارة « εἰ μὴ ῥάβδον μόνον الَّا عصاً فقط » في انجيل مرقس يمكن ترجمتها بقولنا « ولا عصاً فردًا » فيعود من ثمَّ لا خلاف بين مرقس والانجيليين الآخَرين. واخصّ الحجج التي يبني عليها زعمهُ انَّهُ جاء في بعض آيات الكتاب ما يُسوّغ ترجمة (εἰ μὴ) الاستثنائية بحرف نفي فنعرّبها بقولنا « ولا » بدلًا عن « الَّا ». امَّا لفظة « μόνον » المترجمة في العربيـة بفقط فيسوغ ان تعرَّب بالفَرْد. فيصير معنى الآيَة في مرقس « ولا تأخذوا ولا عصًا البتَّة » او « حتى ولا عصاً » وهذا عين قول متَّى ولوقا

نقول ان حَقَّ قولُ صاحب هذا الرأي فقد حُلَّ المشكل تمامًا ولم يبق لخلاف مكان الَّا انَّنا لانزال نشكُّ في صحَّة هذا التفسير. وذلك اوَّلًا لانهُ لا يوافق اقدم ترجمات الكتاب الكريم كالنسخة السريانية البسيطة مثلًا حيث لا سبيل لتعريب ما جاء فيها « ܐܠܐ ܐܢ ܚܘܛܪܐ ܒܠܚܘܕܘܗܝ » بغير معنى الاستثناء. ثانيًا وان سلَّمنا بانَّ حرف « εἰ » يدلُّ على التاكيد اذا كان منفردًا فاننا لم نجد سواء كان في الكتاب الكريم او في تآليف ادباء اليونان شاهدًا واحدًا على اجتماع هذين الحرفين « εἰ μὴ » بمعنًى آخر غير الاستثناء. ثالثًا اذا اعتبرنا اللغة العبرانيّة نفسها وجدنا ان ما يوافق هذين الحرفين فيها يدلُّ بلا ريبٍ على الاستثناء لا على النفي. وزد على ذلك انَّ القديس مرقس قد استعمل هذه العبـارة في غير هذه الآية بمعنى الاستثناء ليس الَّا

٦ بقي رأي سادس ارتآهُ العلَّامة الشهير الاب مَلدُنات اليسوعيّ وهو على ظنّنا الارجح فهاك قولهُ ملخصًا نشفعهُ ببعض ملاحظات من شأنها ان تبيّن صحَّتهُ

قال الاب ملدونات: انَّ غاية المسيح في كلامهِ هذا الى رسلهِ انّما كانت ان يلقّنهم الزُّهد في الدنيا والتجرُّد من كل شيء. فهذا الامر قد ادركهُ الانجيليُّون حقّ الادراك لكنهم قد عبَّروا عنهُ بنوعين ظاهرهما متناقضٌ وحقيقتهما واحدة. وهاك بيان ذلك

ما من احد ينكر انَّ عدم امتلاك عصاةٍ من علامات الفقر كما يستدلُّ على ذلك من قول متَّى ولوقا. لكني اقول انَّ اتّخـاذ عصاة فقط لا يُراد بهِ ايضًا

سوى الدلالة على الزهد والفقر

واوَّل شاهد على ذلك ما جاء في الاسفار الكريمة (التكوين ٣٢ : ١٠) على لسان يعقوب يخاطب الربّ : « انا دون ان استحقّ جميع ما صنعتَ الى عبدك من المراحم والوفاء لاني بعصاي عبرتُ هذا الاردنّ والآن قد صار لي فرقتان . . . » . فترى ماذا يريد يعقوب بقولهِ « بعصايَ عبرتُ هذا الاردنّ » سوى ان يبيّن ما كان عليهِ من الفقر والمسكنة كما يظهر جليًّا من قرينة الكلام . فلِمَ لَمْ يستطع القديس مرقس ان يعبّر عن الامر نفسهِ باتّخاذ العصاة . لاسيَّما انهُ لا يقول كالقديس متى : « لا تقتنوا . . . ولا عصًا » لكن « واوصاهم ان لا يأخذوا . . . الّا عصًا » اذ يمكن استخدام العصا للطريق دون امتلاكها وذلك ممَّا لا يخلُّ بالفقر الكامل ولا ذرَّةً

اقول ثانيًا انَّ اتخاذ العصا عند كثيرٍ من امم الشرق رمزٌ الى الزهد والتنسُّك كما نرى ذلكِ كلَّ يوم في طوائف الدراويش الذين لا يحملون غير عصاة الطريق وقَصْعة الكُدْية فمن رأى ذلك في يدهم لا يشكُّ في فقرهم . فامكن اذن ان يشير القديس مرقس الى هذا التجرُّد بذكر العصا فقط

اقول ثالثًا ان الاوربيين نفسهم ربَّما اعتبروا العصاة كشارةِ الفقر المُدْقع . فمن ذلك انهم كانوا اذا ارادوا الحجّ الى الاراضي المقدَّسة اتّخذوا العصاة وتقلّدوا السبحة وساروا يستعطون في طريقهم . وكان من رآهم يأويهم لوجه الله ويتصدَّق عليهم . وصار كمثل في لغة الفرنج يضرب في الفقر وقد جاء في بعض امثال لافُنْتين الشاعر « gens portant bâton et mendiants » فكنى بحَمَلة العصاة عن الفقراء كما يلوح ذلك بديهًا من القرينة . وقد جاء في عبارة اخرى افرنسية « انَّ فلانًا خرج من وظيفتهِ وبيده العصا او عصاةٌ بيضاء » (Il est sorti de tel emploi un bâton *ou* un bâton blanc à la main) ينوون بذلك انهُ ليس بيدهِ شي وانهُ في غاية العوَز

اقول رابعًا انَّ الدلالة على الفقر كالعري والجوع وما شاكلهما كثيرًا ما يكون بذكر الشيء الزهيد فنقول مثلًا : لا يملك فلانٌ الّا أسمالًا من الثياب وبات فلان على كسرة خبز . يراد بكلّ ذلك اقصى المسكنة لانَّ القليل في ذلك يُعَدّ كلا شيء

فعلى هذا يمكن شرح قول الانجيليَّين على هذه الصورة : اذهبوا ولا تبالوا بشيء من امور الدنيا مهما كانت . وان وُجد في يدكم عصاة فخذوها واقتنعوا بذلك (مرقس)

واذا لم تجدوا فلا تسعوا في اقتناء عصاة لطريقكم (متى ولوقا) . وهكذا يظهر جليًّا ان وجود العصاة لا يزيدهم قنيةً سواءٌ كانت في أيديهم لطريقهم او لم تكن

هيَّا على درس تاريخ بلادنا

صورة تنظيم جمعيّةٍ لدرس التاريخ

للاب هنري لامنس اليسوعي

انّ عصرنا لم يجدّد فقط الدروس العلميّة بل نهج ايضًا منهاجًا جديدًا في درس التاريخ . فان المؤرخين كانوا فيما مضى يتصرَّفون كل التصرُّف في الاخبار وذِكر اعمال الرجال . وكثيرًا ما كانوا يوردون الحوادث لا كما جرت في الواقع بل كما عنَّ لهم وراق في اعينهم . وطالما نسبوا الى مشاهير الرجال اقوالًا وخطبًا بليغة ولكنَّها محض اختلاق

امَّا في عصرنا فقد نُسخت هذه العادة وعلم الناس ان التاريخ ليس مضمارًا تتبارى فيهِ قرائح الشعراء او يؤيّد فيهِ الكتَّاب آراءهم ومبادئهم بل هو صورة الماضي صورةٌ تطابق كلَّ المطابقة للحقيقة ولا يسوغ فيها التبديل والتحريف . ولم يعد المؤرّخ يُقدم على ايراد حادث الَّا بالاستناد على الادلّة الراهنة . ولذا نرى الكتبة الافاضل يذكرون دائمًا ليس فقط المصادر التي اخذوا عنها بل ربَّما عيّنوا الصفحة واحيانًا السطر الذي اوردوه من تلك المصادر وان لم يتوصَّلوا الى معرفة امر اقرّوا بعجزهم عنهُ غير متردّدين . وان لم يتثبّتوه بل بدا لهم مُرَجَّحًا بيّنوا حالتهُ من الارجحية

فمجمل القول انهُ ليس للمؤرخ سوى ان يستخدم الادلّة التاريخية ويستعين بها ويستند اليها ولا يسوغ لهُ البتَّة ان يتصرَّف بها على هواه ولا ان يلحق تغييرًا في الانشاء ما لم ينبّه الى ما فعل . فيظهر من ثمَّ ما في الادلّة التاريخية من الاهمية العظمى

وعلى المؤرخ قبل ان يباشر العمل ان يجمع ما لديه من الادلّة ويدقّق النظر فيها . بيد ان مثل هذا الشغل ليس بالسهل اليسير في الشرق حيث ان القوم معرضون عن درس التاريخ . واذا ولج منهم احد هذا الباب نراهُ يُعنَى بتاريخ البلاد الاجنبية ولم يعبأ بتاريخ بلاده

واين نحن من عصر الطبري وابي الفرج الاصفهاني وابن العبري وابن الاثير وابن

خلدون وغيرهم ممَّن اضحت مؤلفاتهم الشريفة تاجًا يزدان بهِ مفرق التاريخ العربي. نظرًا الى ما امتازوا بهِ من الضبط والدقَّة والصدق في ايراد الاخبار. وبودّنا لو تتصل سلسلة تلك التواريخ العظيمة بعد انقطاعها. فان كان الاوربيون يبذلون الاموال الطائلة والاوقات الثمينة في درس تاريخ الشرق لخطارتهِ ورفيع مكانتهِ أَفليس من العدل التشبُّه بهم ان لم نفق مباراتهم في هذه المساعي الجليلة. او ليس من اعظم دواعي حبّ الوطن ان يقف المرء على مجد بلادهِ القديم. وهل يحيا ذلك المجد الاثيل الّا بدرس التاريخ

ويا حبَّذا لو قام في كل طائفة جمعيّة غايتها درس التاريخ الطائفي. فيكون رئيسها الشرفي بطريرك الملّة وهو يعيّن لها رئيسًا عاملًا احد الاساقفة او رجلًا من اعيان الطائفة لهُ المام بالدروس التاريخية. فتتألف الجمعية من اعضاء مشتركين وعاملين وكلهم يدفعون راتبًا معيّنًا لسدّ نفقاتها. وتطبع في كل سنة نشرةً حاوية خلاصة اعمالها في سبيل غايتها

وهاك رسمًا جمعنا بهِ في عشرة ابواب ما نودُّ ان تُخرجهُ هذه الجمعيَّة الى حيز الفعل

اولًا ان تنشر مع الضبط نصّ الاوراق الرسمية المتعلّقة بالطائفة كالفرمانات مثلًا والمعاملات الصادرة من الباب العالي ممَّا لهُ دخل في تاريخ الطائفة. وكذلك براءات البابَاوات المحفوظة في الڤاتيكان او في سجلَّات البطركيَّات

ثانيًا ان تأخذ عن المؤرخين ورواة الاسفار وسائر الكتبة من النُّبَذا او الفِقَرات ما لهُ علاقة مع تاريخ الطائفة وتنشرها في لغتها الاصلية وتضيف اليها تعريبها متى اقتضت الحال. ولا غنى في ذلك عن مطالعة مؤلفات الرهبانيات التي جرت لها معاملات مع الشرق كالفرنسيسكان والدومينيكان واليسوعيين والكرمليين الخ. فان تواريخهم مطبوعة وهي تتضمَّن فوائد جمَّة عن الطوائف الشرقية في القرون المتوسطة وما تلاها

ثالثًا ان تورد اخبار القديسين والرجال العظام الذين اشتهروا في الطائفة وتنظم لائحة مؤلفاتهم فتطبع منها المهمّ. وما اعظم ما يكون مثلًا فضل من يهتدي الى ايجاد مؤلفات لكثير من الكتَّاب الموارنة قد ذكرهم الدويهي في تاريخهِ

رابعًا ان تسرد في جريدةٍ اسماء الكتب الخطّية المحفوظة في خزانة كتب الدار البطريركيّة واديرة الطائفة او عند بعض الوجهاء

خامسًا ان تبحث في غوامض المسائل المتعلّقة باصل كل طائفة

سادسًا ان تطبع نصّ الطقوس القديمة او مقالات عنها وتبحث في الموسيقى الكنسية

والالحان الطقسية التي اوغل اكثرها في القِدَم . وفي هذا الصدد نذكر كتاب « منارة الاقداس » النفيس الذي عنيَ بطبعه المعلم رشيد افندي الشّرتوني . وكتاب ألحان الكنيسة القبطية للاب بلين اليسوعيّ . وكتاب كلندار الكنيستين الغربية والشرقية للاب نيلس

سابعًا ان تعرّف وتصف كل الكتابات اللاتينية واليونانية والسريانية والعربية الخ التي تكتشفها في البلاد

ثامنًا ان تلقي كلّ سنة مسألة تاريخية على علماء الطائفة وتعيّن جائزة لمن اتى حلّها باحسن مقالة

تاسعًا ان تنشئ مكتبة تجمع فيها المؤلفات التي تبحث في تاريخ الشرق ولاسيّما تاريخ الطائفة

عاشرًا ان تشيّد متحفًا للآثار القديمة وخصوصًا ما عاد منها بالفائدة على تاريخ الطائفة . وتجمع قطَع النقود والمسكوكات والحلل الدينية والملابس المدنية والاسلحة القديمة وكل ما ينبئ عن عوائد السلف . كما هو جارٍ في اوربّة . وتعتني ايضًا بحفظ الصور القديمة في الكنائس التي اشرنا اليها في قصّة الاخ غريفون وتهتم بحفظ هذه الكنائس نفسها

فاذا ما تمّت هذه الاعمال او البعض المهمّ منها تيسّر تأليف تاريخ عام للطائفة

وقائل يقول : أنّى لنا الرجال والاموال اللازمة لهذا المشروع الخطير . فالجواب سهل :

ان بلادنا والحمد لله لاتخلو من عددٍ من الشبان الاذكياء فيهم الكفاءة للدروس التاريخية وعندهم معرفة بكثير من اللغات الاوربية فضلًا عن الشرقية وكذلك في صفوف الاكليروس رجال افاضل امتازوا بمعارفهم في اللاهوت والفلسفة والطقوس . وغاية ما يرغبون استخدام تلك المعارف . فان كثيرين منهم مقيمون في القسطنطينية ورومة وباريس وغيرها من المدن الكبرى اعني انهُ في وسعهم ان يحصلوا على الحجج والادلّة المتعلقة بشان الطوائف الشرقية . فهم بالطبع يكونون الاعضاء المراسلين للجمعية التاريخية في طائفتهم

امّا المال فلا نحسبهُ يتعذّر ايجاده فانّ في كل طائفة جمعيات خيرية زاهرة ترد اليها الحسنات الوفيرة من الوجوه والاعيان . ولا نخال هؤلاء الاعيان يحجمون عن بذل المساعدة بسخاء في تأييد مثل هذا المشروع الخطير العائد بالنفع الجزيل على الطائفة

ويمكن للجمعية ايضًا ان تضيف الى اكتتابات المحسنين ما تحصلهُ من بيع المؤلفات التى تطبعها . وكم من الجمعيات العلمية في اوربّة تمكنت بهذه الوسائل ليس فقط من سدّ

النفقات بل ايضاً من جمع رأس مال مهمّ . فما المانع من مثل هذه الاعمال في الشرق ؟

وعلى كلٍ فهذه خطرات افكار حرّية بان تستلفت الابصار وتحلّ محلّ البحث . وان كان يتعذر المباشرة في جميع الامور المذكورة فلا باس من الشروع في السهل الممكن منها والتدرج شيئاً فشيئاً . والله خير نصير لكلّ مشروع حميد

الادلة المثبتة دوران الارض

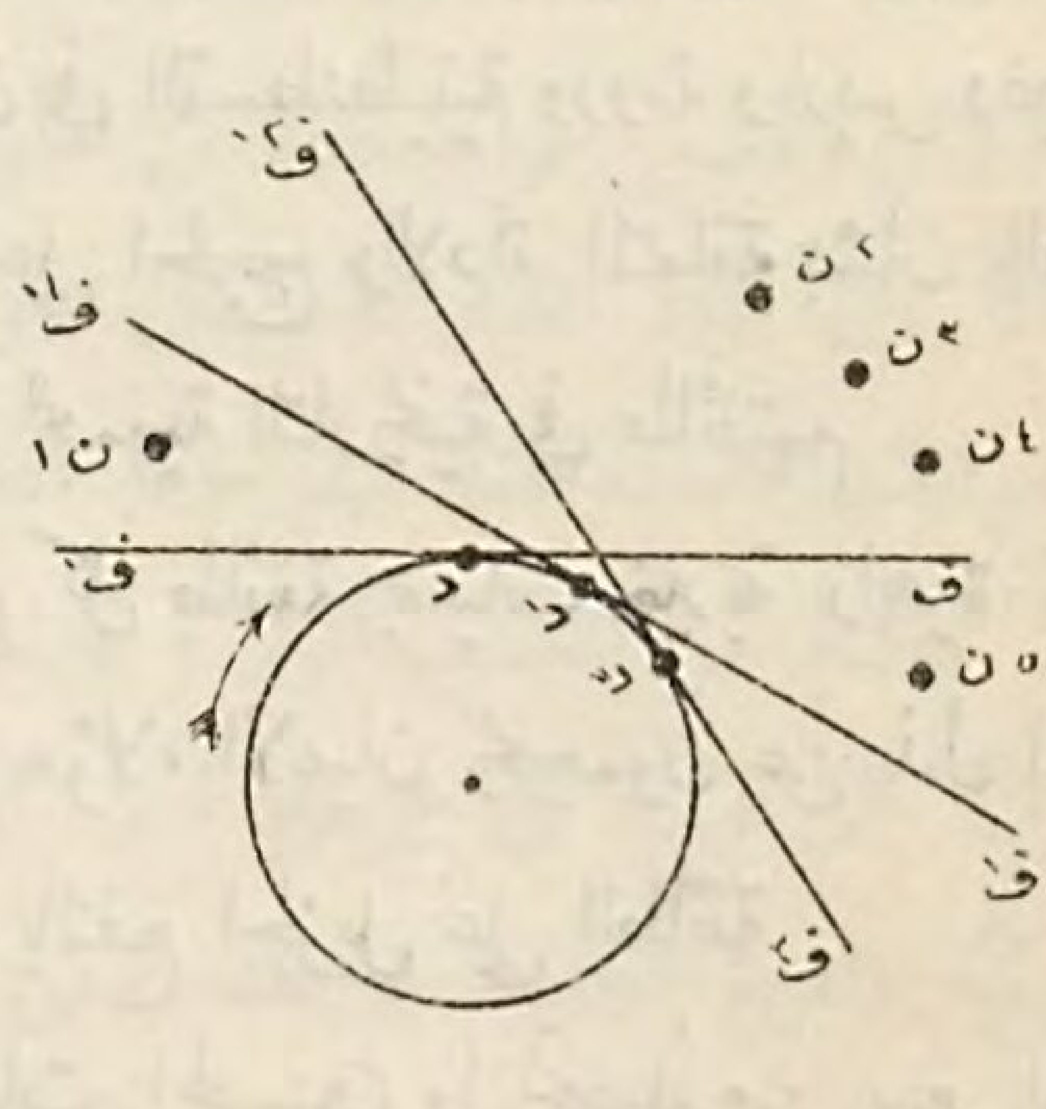
للاب غدفريد زمُوفن مدرّس الطبيعيَّات في كليّة القديس يوسف

(اقترح علينا هذه المقالة جناب الاديب رفعتلو م . ل .)

اما ان تكون الارض ثابتة والكواكب تدور حولها واما ان تكون الكواكب ثابتة والارض تدور على محورها من الغرب الى الشرق . بيد ان علماء الهيأة يذهبون الى صحّة الرأي الثاني دون الاوّل ولهم على ذلك ادلّة كثيرة سننظر فيها بايجاز

ولكن قبل الشروع في الكلام لا مندوحة عن القول بان الظواهر لا تتغيَّر على كلا الرأيين

فاذا كنا نقدّر أن الارض ثابتة نرى بعض النجوم تبدو باديء بدء فوق الأُفق بناحية الشرق وتأخذ بعد ذلك في الارتفاع تدريجاً حتى تبلغ اعلى درجة في الأوج ثمَّ تستأنف مسيرها فتنخفض شيئاً فشيئاً نحو الافق حتى تتوارى من جهة الغرب الى ان تظهر من جديد في الشرق . وهكذا تتراءى الكواكب راسمةً دوائر متوازية ومتفاوتة من حيث طول نصف قطرها في مدّة ٢٤ ساعة فلكيّة



شكل (١)

امّا اذا افترضنا ان الكواكب ثابتة ومستقرَّة في القبَّة الزرقاء وانّ الارض تدور على محورها من الغرب الى الشرق اي من اليسار الى اليمين فانهُ اذا وقف راصد في (د) وكان أُفقهُ عند (ف فَ) يرى كل النجوم التي تعلو المسطح (ف فَ) ولكن أُفق الراصد يتغير على توالي الدقائق بسبب حركة دوران الارض فمتى صار الى (دَ)

يصير أُفقهُ (ف' ف'') فيرى النجم (ن) بينما لا يعود يرى النجم (ن') لانَّ الاول يكون قد أشرق لهُ بينما يكون الثاني قد غَرَب. وعند ما يصير الى (د'') يصير افقه (ف' ف') فيكون النجم (ن) قد صعَد في السماء بينما يُشاهد بعض نجوم اخرى (ن' ن' ن٤) تنخفض نحو الأفق وتقرب الى الزوال. فجملة القول اذًا ان الظواهر تبقى واحدةً على كلا الحالين لاننا في هذا الافتراض كما في تقدير ثبوت الارض نشاهد الكواكب تطلع في الشرق وتصعد حتى تتوارى في الغرب كما هو مُعايَن كل يوم

ألا ترى ان راكب الباخرة التي تسير في الانهار يتوهَّم اذا خلا مسيرُهُ من الاهتزاز والاضطراب انهُ ثابت في مكانه وينسب الحركة الى الشواطئ الثابتة التي تتراءى لعينَيْهِ سائرة الى عكس الجهة التي يسير هو اليها

وهكذا الراصد في كُرَتنا الارضيَّة عند دورانها يتخيَّل انهُ لا يتحرَّك وينسب الحركة الى الكواكب التي هي ثابتة. وبما ان الظواهر لا تتغير على كلا التقديرَيْن لم تكن لتصلح برهانًا لترجيح احد القولَيْن اي دوران الارض او ثبوتها. ومثَل ذلك مثَل المسافر في قطار حديدي فانَّهُ اذا مرَّ على قطار واقف وقريبٍ منهُ يتردَّد في ما اذا كان قطارهُ هو الذي يسير بهِ الى امام او ان القطار الواقف هو الذي يسير الى الجهة المعاكسة. وحتى يتأكد على ان قطاره هو المتحرِّك يجب ان يتَّخذ علَمًا يستعين بهِ على التحقيق كبناء قريب منهُ او الارض المحاوطة لهُ وهذا هو الذي ينقصنا لمعرفة حركة الارض او ثبوتها

ومع ذلك توجد بيّنات عديدة توضح ان دوران الارض هو أرجح جدًّا من تقدير ثبوتها

ان الارض منفردة في الفضاء كما تؤيد ذلك الاسفار التي تمَّت حولها فلا مانع اذًا من دورانها حول محورها. ثم انَّ الارض هي سيَّارة من جملة السيَّارات كما يؤيدهُ كل ما فيها مثل قياساتها وكثافتها وجبالها وبحارها وجوّها ومتجمّداتها القطبية وتسطُّحها في ناحية القطبَيْن. والحال ان السيّارات تدور كالشمس والقمر على محاورها فما من سبب اذًا يوجب اخراج الارض عن هذه القاعدة العموميّة

وما خلا ذلك فان طول دائرة الارض عند خطّ الاستواء يبلغ نحوًا من اربعين الف كيلومتر. فاذا كانت تدور على محورها فان ايَّة نقطة كانت من خطّ الاستواء تقطع اربعين الف كيلومتر في ٢٤ ساعة وتكون سرعتها ٢٨ كيلومترًا في الدقيقة ونحو نصف كيلومتر في الثانية. اما اذا كانت الكواكب هي التي تدور فبما ان بعدها يزيد على ثمانية

تريليونات من الساعات (ويحتمل وجود كواكب يزيد بعدها الف مرّة على هذا البعد)(١ يلزمها ان تقطع في مدّة ٢٤ ساعة محيطاً مسافتهُ ٤٨ الف تريليون ساعة اي اكثر من ٥٥٠ بيليون ساعة في الثانية. ويستحيل تصوُّر مثل هذه السرعة بل هي مغايرة لكلّ ما يُشاهد في العوالم لان أعظم سرعة امكن الوقوف عليها حقيقةً في الاجرام السماويّة لا تتجاوز ٦٤ كيلومترًا في الثانية (٢

وقد اثبت علماء الميكانيكيات ان الجرم لا يقوى على ان يتحرَّك في دائرةٍ حركةً لا تتغير سرعتها ما لم يُجتذَب الى المركز بقوّة مناسبةٍ لحجمهِ ولبعدهِ عنهُ. فاذا ثبت ذلك لزم الكواكب اذا فرض كونها تتحرَّك حول الارض قوّات لا قياس لها لاجل إمساكها في افلاكها. وفضلًا عن ذلك لا يمكن ان نعقل كيف ان أجرامًا عظيمةً للغاية تدور حول جرم صغير جدًّا بالنسبة لها

هذا بشأن ارجحيَّة دوران الارض. والآن نقول ان دوران الارض وثبوت الكواكب ليس هو الارجح فقط بل انهُ أمر مقرَّر بالادلّة والبراهين العديدة

١ الرياح الدائمة او الرياح التجاريَّة. وهي التي تهبّ في مدار السنة الى جهة واحدة بعيدةً عن السواحل بين دائرَتي القَيْظ من جهتي خطّ الاستواء حتى الدرجة الثلاثين من العرض ويكون هبوبها في نصف الكرة الشمالي من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي. اما في نصف الكرَة الجنوبي فمن الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي. وتتسبَّب عن وفرة سخونة الهواء في المنطقة الواقعة بين دائرتي القَيْظ. وبما ان المياه تشغل في هذه المنطقة مسافات شاسعة يحدث فيها تبخُّر قويّ فينتج عن ذلك ان الهواء يكون هناك مشبعًا من البخار فتقلّ كثافتهُ. وهاتان العلّتان تعملان بتنقيصهما ثقل الهواء على صعوده من الطبقات

---

١) يمكن ان ندرك بوجه التقريب المسافة التي تفصل النجوم عن الارض بان نختار سرعة انتشار النور مثل وحدة قياس. فتبعاً لامتحانات فيزو ينتشر النور بسرعة ٧٥ الف ميل في الثانية. وعليهِ فان نور الشمس يلزمهُ ثمان دقائق و ١٤ ثانية حتَّى يصلنا. واقرب نجمة من الثوابت الى الارض وهي «الفا (α) قنطوروس» يلزمها ثلاث سنوات ونصف حتَّى يبلغنا نورها. ونجمة النسر الواقع يلزمها ١٢ سنة وثمانية اعشار السنة. والشعرى اليمانية يلزمها ٢١ سنة و ٣ اعشار. ونجمة القطب ٣٠ سنة و ٦ اعشار. ونجمة العيُّوق ٧٠ سنة و ٥ اعشار. وتبعاً لحساب ستروف يجب للنجوم التي تتجاوز في كبرها الدرجة التاسعة ٣٥٤١ سنة حتى يصل الى ارضنا نورها

٢) Tombeck تمبك في علم الهيئة ص ١٢

الواطئة فيأتي مكانهُ هواء آخر يجري من المنطقتين المعتدلتين . وهكذا يتكوَّن في كل نصف من الارض مجريان من الهواء احدهما حارّ يتَّجه من خطّ الاستواء الى القطبين في طبقات الجوّ العالية والثاني بارد يتجه من القطبين الى خط الاستواء ويكون بسبب وفرة كثافتهِ في الطبقات الواطية . فلو كانت الارض ثابتة لكانت هذه الاهوية تتَّجه على خط الاستقامة اي بموازاة الهواجر من خط الاستواء الى القطبين ومنهما الى خط الاستواء . والحال ان الامر ليس كذلك لان الهواء القطبي يهبّ بادئ بدء من الشمال ثم من الشمال الشرقي ثم من الشرق . فتغيير جهات مجراهُ اذًا متسبِّب عن دوران الارض من الغرب الى الشرق

ولا غرو فانهُ اذا كانت الارض تدور على محورها تعظُم سرعة كل نقطة منها بحسب اقترابها من خطّ الاستواء . وبما ان الهواء يلامس كل نقطة من المعمور تكون سرعتهُ كسرعة تلك النقطة وبالتالي فما يهبّ منهُ في المنطقة المعتدلة يكتسب سرعة دوران تلك المنطقة فاذا جرى نحو خط الاستواء كانت حركة سرعة دورانهِ اقلّ من سرعة المنطقة الحارَّة وهكذا يبطئ ويميل الى الغرب ازيد فأزيد كلما اقترب من خط الاستواء حيث يكون هبوبه من الشرق . اما مجرى الهواء الذي يتجه من خط الاستواء الى القطبين شاغلًا طبقات الجوّ العليا فيصل الى ما فوق المنطقتين المعتدلتين ولهُ من سرعة الدوران ما يزيد على سرعة تينك المنطقتين ويحدث في طبقات الجوّ العليا مجرًى جنوبيًا غربيًا في نصف الكرَة الذي نحن فيهِ . ولك ان تتحقَّق ذلك من مراقبة مسير الغيوم في الطبقات العليا . ومتى وصل بالقرب من الدرجة ٣٥ و٤٠ يكون قد برد فينخفض ويسدّ مسدّ الهواء الذي نقص من هناك . ولا يمكن تعليل مجاري الاهوية هذه الَّا اذا قلنا ان الارض تدور

٢ تسطيح ناحيتي القطبَيْن . للارض شكل اهليلجي مسطح من ناحيتي القطبَيْن . وتبعًا لحساب المسيو فاي يبلغ طول شعاع او نصف قطر الارض عند خط الاستواء ٦،٣٧٨،٣٩٣ مترًا وفي القطبين ٦،٣٥٦،٥٤٩ مترًا فالفرق اذًا نحو من ٢١ كيلومترًا

ويبرهن الجيولوجيون ان الارض كانت في بداءتها مصهورة بالنار الى مسافةٍ ما من عمقها على الاقلّ . فاذا كانت تدور فبفعل القوَّة الدافعة الناشئة عن دورانها تتجمَّع الموادّ المائعة فيها صوبَ خط الاستواء حيث حركة الدوران أعظم وهكذا تحدث في الخط المذكور انتفاخًا او امتدادًا وفي القطبَين تسطيحًا مثل ما يحدث لكل مادّة مائعة اذا طرأت عليها حركة دوريَّة كما تثبت ذلك تجارب المسيو بلاتو فانك اذا اسقطتَ كمِّيَّةً من الزيت في مزيج من الماء

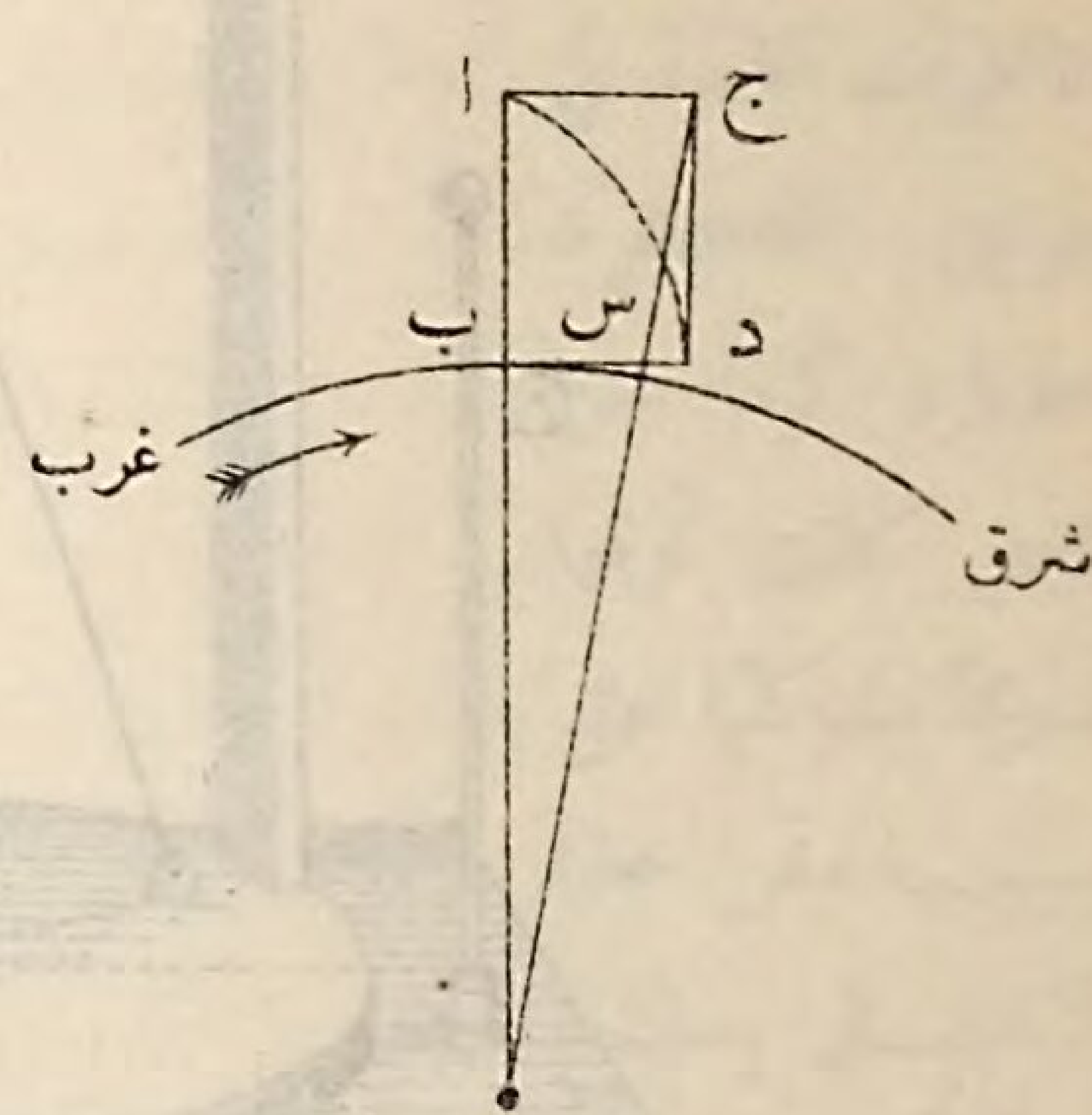
والكحول تأخذ في بادئ الامر هيئة كرة . فاذا جعلتَ هذه الكرة تدور على محور لا تلبث ان تأخذ شكلًا اهليلجيًا مسطَّحًا من القطبين كمثل ما جرى للارض . ثم ان التسطيح يزيد كلما زادت سرعة الدوران . فاذًا وجود هذا التسطيح المقرَّر بالادلة هو برهان جليّ ومستقيم على دوران الارض

ويمكن بيان التسطيح عند القطبين والانتفاخ عند خطّ الاستواء بتجربة اخرى وهي ان تؤخذ أربعة أنصاف دوائر دقيقة لينّة من فولاذ وتوصل من اطرافها حتى تصير على هيأة كرَة وتُعطى حركةً فترى انها تتسطح في القطبين وتتضخَّم عند خط الاستواء بمقدار سرعة دورانها

٣ نقصان الثقل . لقد بيّنت تجارب الرقَّاص ان وزن الجسم هو انقص في خطّ الاستواء منهُ في القطبَين وان مجموع النقصان هو كسر يوازي $\frac{١}{١٩٤}$ من الثقل بنوع ان ثقل الجسم الذي يُنقل من القطب الى خطّ الاستواء ينقص خمسة غرامات في الكيلوغرام . فان الجسم الكائن في الخطّ المذكور يبعد عن مركز الارض ٢١ كيلومترًا اكثر ممّا لو كان في احد القطبين . وعليهِ فالجاذبية في خط الاستواء يجب ان تكون انقص وكذلك الثقل . وقد تبيَّن بالحسابات ان نقص الجاذبيَّة الناشئة عن اختلاف شعاعَي الارض في القطب وفي خط الاستواء يساوي $\frac{١}{٥٩٠}$ فهذا الكسر ليس الّا عبارة عن جزء يسير من مجموع نقصان الثقل . فيجب اذًا البحث عن علَّة اخرى لهذا النقص لانَّ الاولى وحدها غير كافية . فنجدها في دوران الارض . وعلى افتراض هذا الدوران فان سرعة الحركة الحادثة على سطح الارض وغير الموجودة في نقطتي القطبين تتزايد بقدر البعد عنهما الى خط الاستواء حيث هي بالغة معظمها وهي مضادّة على خط مستقيم للثقل فتُنقص اذًا الجاذبيةَ . وقد برهن الحساب ان هذا النقصان يعادل $\frac{١}{٢٨٩}$ فاذا اضفنا الى نقصان الثقل المتسبّب عن التمدد الاستوائي النقصان المتسبب عن القوَّة الدافعة عن المركز الناشئة عن دورة الارض نجد مجموع النقصان $\frac{١}{٥٩٠} + \frac{١}{٢٨٩} = \frac{١}{١٩٤}$ وهو النقصان الذي تحققنا وجوده في خطّ الاستواء . ولولا دورة الارض لما امكننا ان نعلله

٤ سقوط الاجرام . لو كانت الارض ثابتة لكان الجسم اذا أُسقط من علوّ يسقط

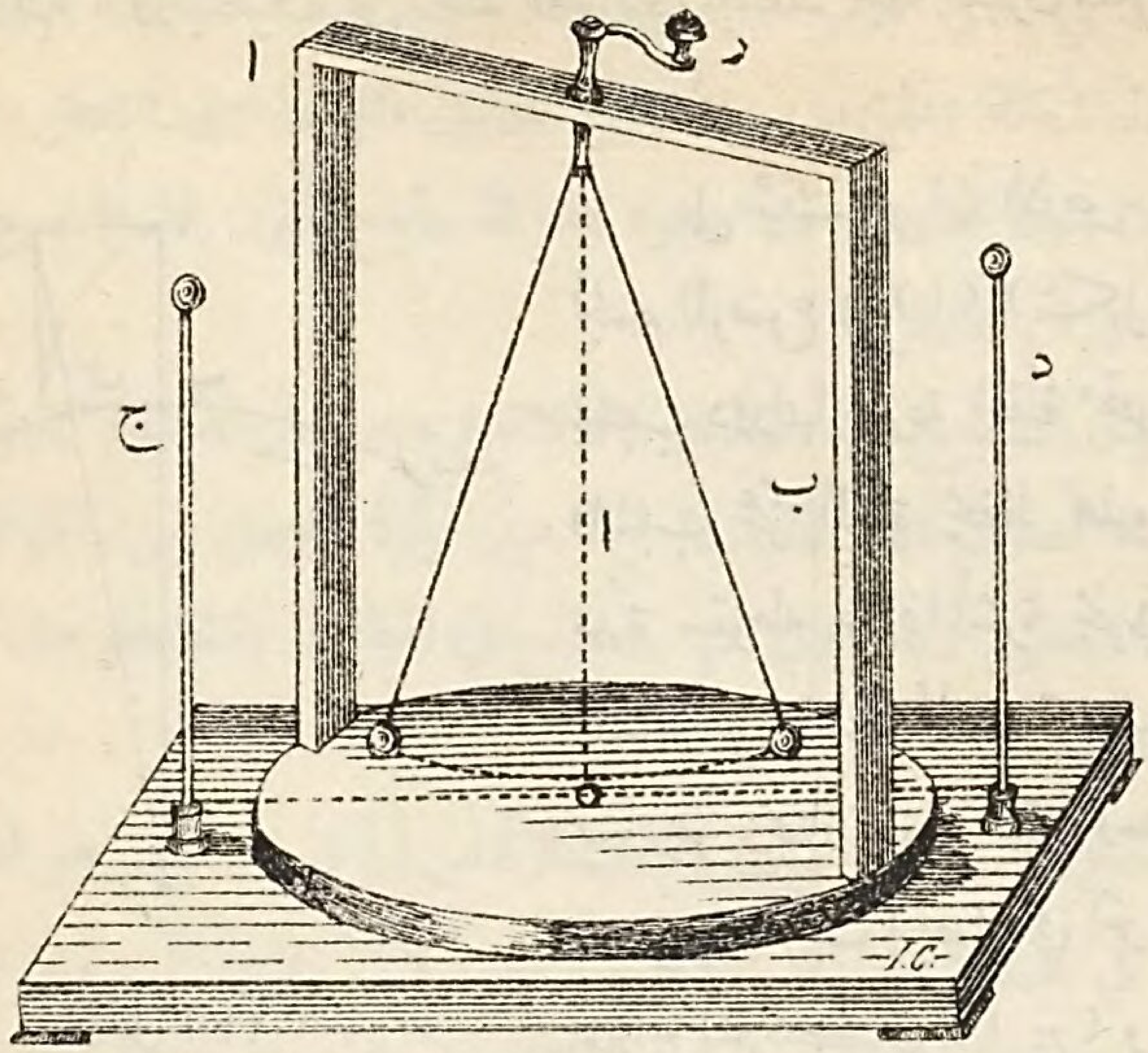
عموديًا ولكن بما انها تدور ينحرف عن الخط العمودي فيسقط لجهة الشرق منهُ واليك ايضاح المسألة



الشكل (٢)

على تقدير ان الارض تدور يكون الجسم الموضوع في (ا) (شكل ٢) مكتسبًا بسبب دورانها سرعة افقيَّة متجهةً الى الشرق ولسبب عَجز المادَّة يحفظ هذه السرعة كل مدَّة سقوطهِ . فاذا أشرنا بحرفي (ا ج) الى المسافة التي يقطعها الجسم بقوة السرعة المذكورة بينما هو يجتاز بقوة الثقل وحدها المسافة العمودية (ا ب) يصل في آخر الوقت بفعل امتزاج الحركتين (ا ج) و (ا ب) الى (د) قمَّة متوازي الاضلع (ا ب د ج) . نعم ان (ب) قاعدة الخط العمودي الممدود من نقطة مبدإِ السقوط الى سطح الارض هي ذات حركة متوازية ومتجهة الى الجهة عينها اي الى الشرق غير ان هذه السرعة هي اقلّ من سرعة الجسم الساقط لانها اقرب الى محور الدوران . فالنقطة (ب) ترسم اذًا قوسًا تساوي بالتقريب (ب س) اي أقصر من (ب د) فتتأخر اذًا النقطة (ب) ويقع الجسم في الموضع (د) شرقي الخط العمودي (ج س) وبناءً على هذا تكررت الامتحانات الوف مرات في مناجم مقاطعة كورنوايل (انكلترة) فدلَّت على ان الجسم الثقيل يسقط دائمًا شرقي الخط العمودي الذي كان للجسم في بدء سقوطه . وقد تبيَّن ايضًا بالحسابات ان الانحراف اذا كان العلوّ ١٥٨ مترًا يلزم ان يكون (٠،٠٢٧٦) اي سنتيمترين وسبعة ميليمترات وستة اعشار المليمتر . وقد برهنت اختبارات المسيو ريش في فريغبرغ في بئر عمقها ١٥٨ مترًا على ان الانحراف كان (٠،٠٢٨٣) وعلى هذا فان نتيجة الحسابات والامتحانات هي مرضيّة وتكاد تكون واحدة وعليهِ فلا بدّ من التسليم بدوران الارض لانهُ هو وحده يكفل تفسير هذا الامر

٥ رقاص فوكو . اذا اردنا ان نحسن فهم هذا البرهان يتعين علينا ان نلاحظ اولًا رقاصًا يخطر في جهة مارة ما بين ساقين ثابتتين (ج د) (شكل ٣) وهو معلّق بخيط معدني في إطار (ا ب) ويمكن إدارة الإطار حول المحور العمودي (ا) فاذا أُدير نرى ان وجهة



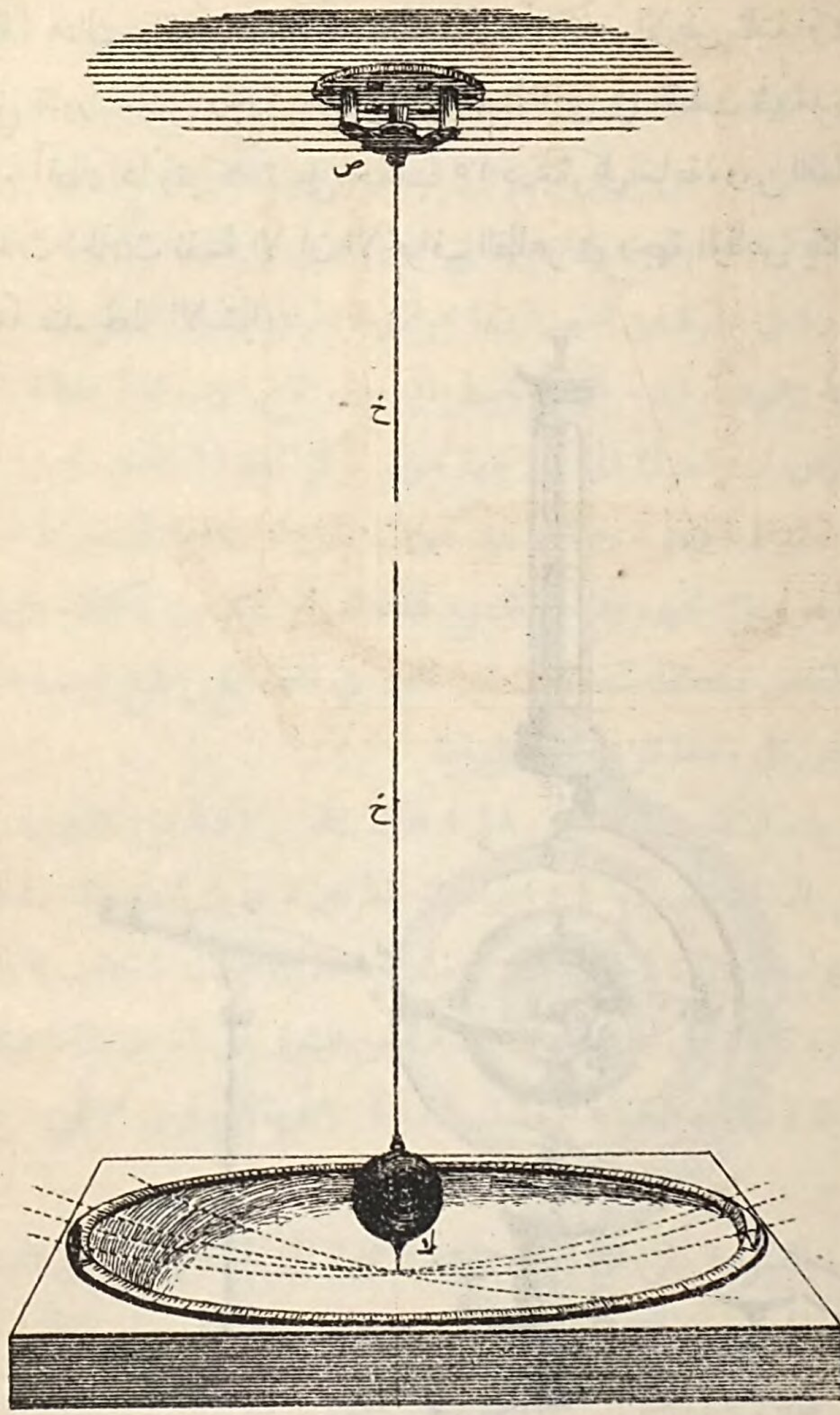
شكل (٣)

الخطران لا تتغير وانهُ يحصل دائمًا ما بين الساقين الثابتتين (ج د) وان بَرْم خيط التعليق الذي يمكن تكثيره او تقليله بواسطة القبضة (ر) لا يُغير النتيجة فان وجهة الخطران تبقى واحدة الامر الذي ينتج عن عجز المادة او خاصّية السكون

واجرى فوكو امتحانهُ في البانتيون بباريس عام ١٨٥١ فاخذ خيطاً من فولاذ (خ خ) (شكل ٤) يزيد طولهُ على ٥٠ مترًا(١ وكان طرفهُ الاعلى مدخلاً في صفيحة معدنية (ص) مثبتة في السقف وفي طرف الخيط الاسفل كرة نحاسية (ك) ثقلها ٢٨ كيلوغراماً منتهية في الاسفل بشوكة محدّدة وكان هذا الرقاص يخطر فوق طاولة عليها رسم دائرة منقسمة الى ٣٦٠ درجة فلاجل تحريكه أُزيغ اولًا عن الخط العمودي وثبت في هذه الحالة موقتاً بواسطة خيط كان محيطاً بالكرَة. فلما أُحرق الخيط اندفع الرقاص يخطر دون حركة بدائية وبسبب طوله كانت تدوم كل خطرة ٨ ثوانٍ ولمَّا اخذ يتحرّك تأكد الحاضرون بواسطة الدائرة المنقسمة الى درجات ان وجهة الخطران بدلًا من ان تبقى هي ذاتها كانت تنحرف ببطء من الشرق الى الغرب(٢

١) يتخذ الخيط اطول ما يمكن حتى يدوم خطران الرقاص مدة كافية للتأكيد على ظواهر اختلاف جهات الخطران

٢) لو انَّ هذا الامتحان نفسه أُجري في نصف الكرة الجنوبي لانعكست الظواهر اي ان وجهة الخطران تظهر انها تنحرف من الغرب الى الشرق

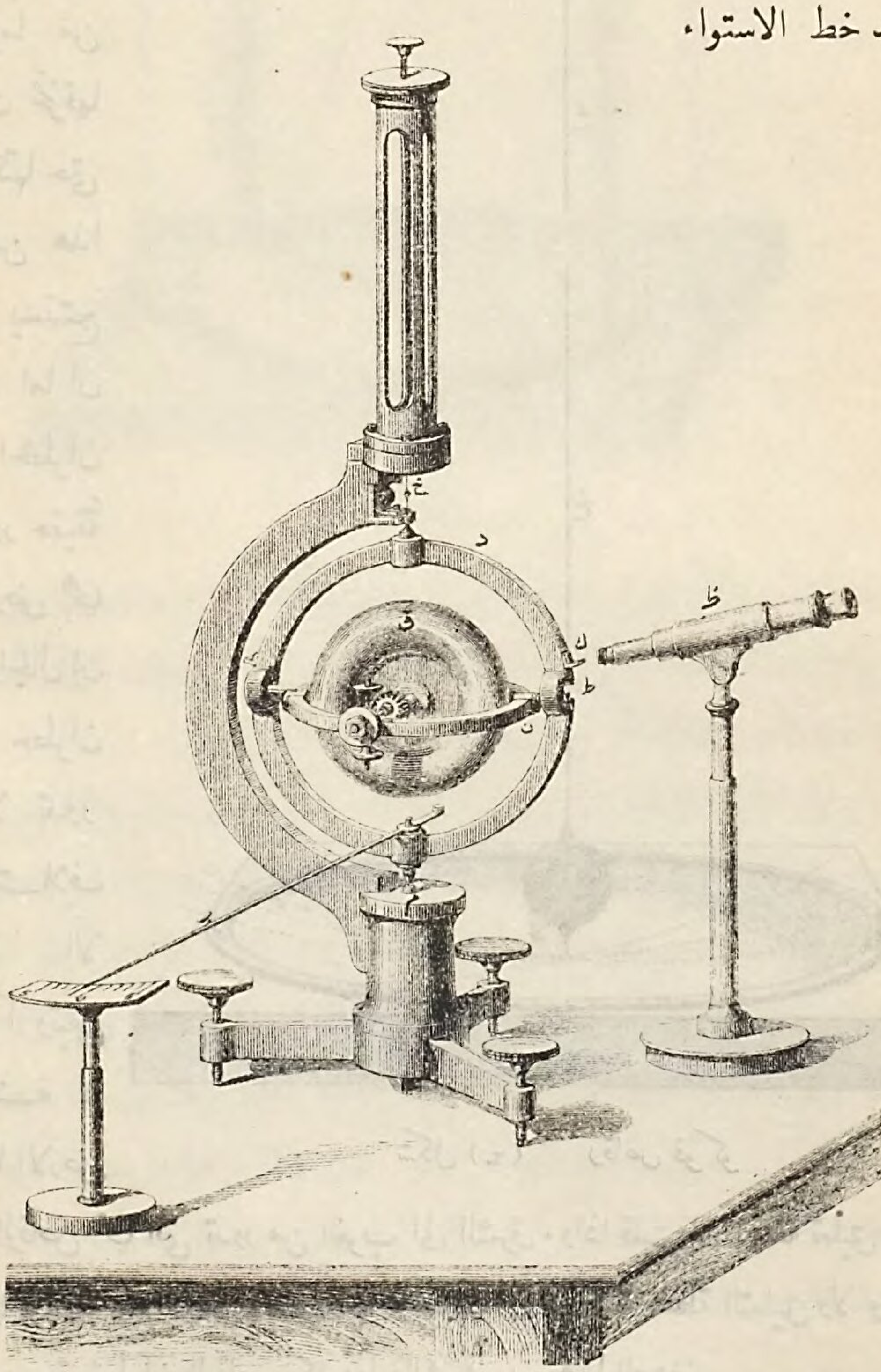


شكل (٤) رقّاص فوكو

ولاجل ايضاح هذا الانحراف اقاموا في طريق الكرة الخاطرة كومًا من الرمل كانت تخرقها تدريجًا بشوكتها حتى سوّتها . فمن هذا الاختبار يستنتج احدُ أمرين اما ان وجهة الخطران تختلف وتدور حقيقةً او انّ الارض هي التي تدور . والحال ان وجهة خطران الرقاص لا تدور وليس اختلاف حركتها الّا أمرًا ظاهرًا وتبقى الوجهة ثابتة لا تتغير . فاذًا الارض التي تحت الرقاص هي التى تدور من الغرب الى الشرق . واذا قلت ان نقطة تعليق الرقاص بالسقف هي مرتبطة مع الارض وتدور معها فاجيبك ان لا حركة نقطة التعليق ولا برم الخيط يؤثران في وجهة خطران الرقاص كما بيّنّا ذلك في بدء هذا البرهان

فلو أُجري هذا الامتحان في القطب لشاهدنا كل الهواجر الارضية بسبب دوران الارض تتفق بالتناوب مع وجهة حركة الرقاص التي هي ثابتة ثم تتباعد منها شيئًا فشيئًا . فاذا

راقبهُ هناك مراقبٌ كان التأثير الظاهر واحدًا كأَنَّ الارض ثابتة وكأَنَّ وجهة الرقاص هي التي تدور بعكس وجهة الارض. ويرسم الرقاص في القطب في مدة ٢٤ ساعة لخطرانهِ لو دام أَقطارَ دائرةٍ كاملة على حساب ١٥ درجة كل ساعة. ومن القطب الى خط الاستواء يحدث الحادث نفسهُ الا ان الانحراف الظاهر في وجهة الرقاص يتناقص تدريجًا حتى يزول تمامًا عند خط الاستواء



شكل (٥) جيروسكوب فوكو

٦ الجيروسكوب وهو آلة لرصد الدوران. قدَّم المسيو فوكو عام ١٨٥٢ الى جمعيـة

العلوم الافرنسية برهانًا آخر طبيعيًا على حركة دوران الارض وهو مبني لا على ثبوت وجهة خطران الرقاص بل على ثبوت وجهة دوران جسم معلق بمركز ثقله ودائر حول محوره. وتتركَّب هذه الآلة (شكل ٥) من قرص ضخم من البرونز او من النحاس (ق) يزن تقريبًا نحو كيلوغرام. والقرص المذكور محكم الصنع ومحمول على محور ينطبق على محور هيأته ومركز ثقلهِ. ويركز طرفا المحور (ر ر) في دائرة من نحاس (ن) موضوعة بطرفي قطرها الافقي (ط ط) في دائرة اخرى خارجية وعموديَّة (د) معلقة بخيط غير مبروم (خ) ومستندة بلطافة الى مركز (م). ويمكن للقرص ان يتحرَّك الى كل جهة حول مركز ثقله (١ الذي يجب ان يكون واقعًا بالتمام على امتداد الخيط. وهكذا نتأكد ان الثقل او جاذبية الارض لا تؤثر لا على حركة دوران القرص على محوره ولا على مجموع هذه الدوائر التي مر الكلام عليها. ومن ثمَّ فجهة دوران القرص تنحفظ بنوع ثابت غير متغير في الجهة التي يوضع فيها بدءًا وهكذا لا يشارك الارض في ما لها من الحركة اليومية

ولاجراء الاختبار بهذه الآلة يُعطى القرص (ق) حركة يتمم بها آلافًا من الدورات في الدقيقة ثم يوضع ضمن الدائرة العمودية (د) بواسطة الطرفين (ط ط) وحينئذٍ نشاهد الانتقال النسبي امَّا بواسطة نظارة (ظ) مكبرة تريك الميكرومتر (ك) بجانب الدائرة العمودية (د) مارَّة درجاته بالتوالي امام مشبَّك النظارة من الشرق الى الغرب. واما بمراقبة حركة وانتقال ابرة طويلة (ب) معلقة بالدائرة نفسها (د) ومتجهة الى قوس سطحي (ح) مقسوم الى درجات

والحال ان الدائرة العمودية تبقى دائمًا غير متغيرة ومتجهة الى نقطة واحدة من السماء وبمقتضى ذلك نستنتج ان الدائرة السموية هي ثابتة وان الارض التى تحمل النظارةَ او الطاولةَ المرسوم عليها قوس الدرجات السطحي هي التي تدور

واحسن ما ننهي بهِ هذه المقالة كلمات الاب سكي اليسوعي الفلكيّ الشهير فقد قال: ان حركة دوران الارض على محورها هي حقيقة ثابتة لا تحتاج في ايامنا الى دليل لانها نتيجة تابعة لكل العلوم الفلكية (في بحثه على خطران الرقاص سنة ١٨٥١)

١) لان القرص يدور ضمن الدائرة النحاسية (ن) وهذه تدور في الدائرة العمودية (د) وهذه الاخيرة المعلقة بالخيط تدور من الشمال الى اليمين وبالعكس. وبهذه الواسطة يصير القرص مع الدائرتين الحاملتين له غير خاضع لحركة دوران الارض

كتاب
تاريخ بيروت
لمحمّد بن صالح

(تابع لما سبق)

ذكر بعض حوادث جرت بعد فتوح بيروت الثالث الى ايّام المؤلّف

قال النويري: في العشر الآخر من شعبان سنة ثمان وتسعين وستماية (١٢٩٩ م) وصل الى بيروت مراكب كثيرة وبُطَس (١ للفرنج فيها جماعة كثيرة من المقاتلين ويقال انّ عددهم كان يبلغ ثلاثين بُطسة في كل بُطسة منها نحو سبعمائة مُقاتل وقصدوا ان يطلعوا من مراكبهم الى البرّ ويشنّوا الغارة على بلاد الساحل. فلمّا قربوا من البرّ ارسل الله عليهم ريحًا شديدة فغرقت بعض هذه السفن وتكسّر بعضها ورجع من سلم منهم على أسوإ حال وكفى الله المسلمين شرّهم. ثم قال النويري: وحُكي عن رئيس بيروت انّهُ قال: والله لي خمسون سنةً أُلازم هذا البحر فما رأيت مثل هذه الريح التي جرت على هذه المراكب وليست هي من الرياح المعروفة عندنا

وممّا نقلناهُ عن النويريّ والصّلاح الكُتُبي في فتوح كسروان ما رويا من جملة حوادث سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥م) وذكرا توجُّه العساكر الشاميّة الى جبال كسروان وإبادة اهلها وتمهيدها وهي النوبة الثانية في ايّام السلطان الملك الناصر محمّد بن المنصور (٢ فقالا: كان اهل كسروان قد كثروا وطغوا واشتدّت شوكتهم وتطاولوا الى أذى العسكر عند انهزامهِ من التتر في سنة تسع وتسعين وستمائة (١٣٠٠ م) واغضى السلطان عنهم وتمادى في عقابهم فزاد طغيانهم واظهروا الخروج عن الطاعة واعتزلوا بجبالهم المنيعة ووثقوا بجموعهم الكثيرة وعلّلوا النفوس بانّهُ لا يمكن الوصول اليهم

فني ذي الحجّة سنة اربع وسبعمائة (١٣٠٤م) جهّز (13^r) جمالُ الدين آقُش

١) البُطسة جمعها البُطَس كلمة اعجميّة يُراد بها المركب الكبير للتجارة او الحرب

٢) هو الملك الناصر محمَّد بن قلاوون من المماليك الترك البحريّة تولّى السلطنة على مصر والبلاد الشاميّة من سنة ٦٩٣ الى ٧٤١ (١٢٩٤–١٣٤٠)

الافرم نائبُ الشام (١ زينَ الدين عدنان (٢ . ثمّ توجّه بعدهُ تقيّ الدين (٣ وقراقوش(٤ وتحدّثا معهم في الرجوع الى الطاعة فأبوا . فامر عند ذلك بتجريد العساكر اليهم من كل جهة ومن كل مملكة من ممالك الشام . وتوجّه آقش الافرم من دمشق بسائر الجيوش في يوم الاثنين الثاني من محرَّم سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥م) وجمع جمعًا كثيرًا من الرجّالة نحو خمسين الفًا وتوجّهوا الى جبـال الكسروانيين والجرديين . وتوجّه سيف الدين أَسَنْدُمر نائب طرابلس (٥ وشمس الدين سُنْقُر جاه المنصوري نائب صفد (٦ . وطلع أسندمر المذكور من جهـة طرابلس وكان قد نُسب الى مُباطنتهم . فجرَّد العزم واراد ان يفعل في هذا الامر ما ينفي عنهُ هذه التهمة اللاحقة بهِ . فطلع الى جبل كسروان من اصعب مسالكهِ واجتمعت على اهلهِ العساكر واحتوت على جبالهم ووطئت ارضًا لم يكن سكانها يظنون انَّ احداً يطأُها . وقُطعت كرومهم وأُخربت بيوتهم وقُتل منهم خلقٌ كثير وتفرَّقوا في البلاد (٧ . واستخدم أَسَندُمر جماعةً منهم في طرابلس بجامكيَّة (٨ وجازاهم من الاموال

١) كان احد امراء الملك الناصر محمَّد بن قلاوون تولَّى المناصب الجليلة في دمشق وصرخد وطرابلس ثم لحق بالتتر مع سنقر ومات في همذان سنة ٧١٦ هـ

٢) لم نحصل على شيء من اخبارهِ

٣) نظنُّ انهُ يريد تقيّ الدين احمد بن تيميَّة الشهير وُلد بحرَّان سنة ٦٦١ وتوفي سنة ٧٢٨ (١٢٦٣ – ١٣٢٨ م)

٤) هو الامير الطواشي بهاء الدين قراقوش الاسديّ كان احد امراء الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين . وتولَّى الاتابكيَّة في ايَّام ابنهِ الملك المنصور ولهُ اخبار كثيرة ونوادر وفكاهات

٥) هو الامير أَسَنْدُمر الكرجيّ ولّاهُ الملك النَّاصر محمَّد بن قلاوون نيابة طرابلس سنة ٧٠٤ (١٣٠٥ م) فبنى لها حصنًا في موضع حصن سنجيل وتولَّى نيابة حماة سنة ٧١٠ (١٣١١م) . لم نقف على سنة وفاتهِ

٦) لم نجد لهُ ذكرًا في غير هذا التاريخ

٧) ذكر ابو الفداء هذه الواقعة في تاريخ سنة ٧٠٥ قال : وفي هذه السنة سار جمال الدين اقوش الأَفرم بعسكر دمشق وغيرهِ من عساكر الشام الى جبال الظّنّيين وكانوا عصاةً مارقين من الدين فاحاطت العساكر الاسلامية بتلك الجبال المنيعة وترجَّلوا عن خيولهم وصعدوا في تلك الجبال من كل الجهات وقتلوا واسروا جميع من بها من النُّصَيْريَّة والظّنّيين وغيرهم من المارقين وطهرت تلك الجبال منهم وهي جبال شاهقة بين دمشق وطرابلس وأَمنت الطريق بعد ذلك . . (اه) . وزاد ابن الوردي في تاريخهِ : وكان الذي افتى بذلك ابن تيميَّة وتوجَّه مع العسكر

٨) الجامكيَّة لفظة اعجميَّة يُراد بها الراتب وجزاء العمل

الديوانية . فاقاموا على ذلك سنين . وأَقطع بعضهم املاكًا من حَلْقة طرابلس . واختفى بعضهم في البلاد واضمحلَّ امرهم وخمل ذكرهم

وعاد نائب الشام الى دمشق بالعساكر في رابع شهر صفَر من (13٠٧) السنة المذكورة . وجعل الناظرَ في بلاد بعلبكّ والجبال الكسروانيَّة بهاء الدين قراقوش فقهر ما كان تأخَّر بجبال كسروان وقتل من اعيانهم جماعةً . ثمَّ أعطوا أمانًا لمن استقرَّ في غير كسروان . ثم أقطعوا علاء الدين بن معبد البعلبكيّ وعزَّ الدين خطَّاب وسيفَ الدين بكر الحسامي وابنَ صُبح (١ اراضيَ في كسروان ثم ابطلوها عنهم واقطعوها التركمان فأَدْركوا موانئَ البحر ودروب البرّ من ظاهر بيروت الى عمل طرابلس واستمرُّوا الى وقتنا هذا وشُهِروا بتركمان كسروان وعُرفوا بهِ

ومن الحوادث انَّهُ في العُشر الآخر من جمادى الاوَّل جاز على بيروت تعميرةٌ (٢ للفرنج ولم يتعرَّضوا لها وتوجهوا الى صيداء واخذوها وقتلوا من اهلها جماعةً واسروا جماعةً ونهبوا منها شيئًا كثيرًا . وكذلك المسلمون فانهم قتلوا من الفرنج جماعة وبعثوا برؤُوسهم الى دمشق فعلّقوها على القلعة وكانت بضعًا وثلثين راسًا . وحضر الى صيداء الامير شهاب الدين بن صُبح نائب صفد وسبق العسكر الشاميَّ ولحق التعميرة على جزيرة صيداء بعد فوات الامر فاشترى الاسرى جميعهم كلَّ نفرٍ بخمسمائة درهم واخذ من ديوان الاسرى ثلاثين الف درهم

وفي يوم الجمعة الثالث عشر من محرّم سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) أُخذت الاسكندرية (٣ وكان الامير الكبير يَلبغا العمريّ (٤ هو المتكلم عن السلطان لحداثة سنِّهِ فرسم للامير

---

١) لم نجد لكل هؤلاء ذكرًا في غير هذا التاريخ . وابن صبح يدعوهُ المؤلف شهاب الدين ويقول انهُ كان نائبًا على صفد

٢) التعميرة هي العمارة من السفن والاسطول

٣) اخذها الفرنج ونهبوها فخرجت العساكر المصرية لمقاتلتهم ففرُّوا وتركوها

٤) هو الامير يَلبُغا الخاصكيّ كان مملوكًا للملك الناصر حسن بن محمَّد بن قلاوون تولى النيابة في ايَّام هذا السلطان وقتلهُ بعد ستّ سنين لملكهِ واقام من بعده ابن اخيهِ السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمَّد سنة ٧٦٢ (١٣٦١ م) ثم خلعهُ بعد سنتينَ واقام بعدهُ الملك الاشرف زين الدين ابا المعالي شعبان سنةَ ٧٦٤ (١٣٦٣م) فبقي تحت حجر يَلبغا الى ان استبدَّ وقتل يَلبُغا سنة ٧٦٨ (١٣٦٧ م)

بيدمُر(١ الخوارزمي (14r) بالتوجُّه الى بيروت ليعمّر من غابتها مراكب كثيرة حمّالاتٍ وشواني(٢ للدخول الى قبرس. فحضر الى بيروت واحضر صنّاعًا كثيرين من سائر الممالك فكانوا جمًّا غفيرًا وقيل انهُ لم يعهد قط عمارةٌ مثلها عظمًا وسرعةً وكثرةَ صنّاعٍ وقوّةَ عزم. وعمَّر بَيدَمُر بظاهر بيروت مسطبةً وعُرفت بهِ الى الآن. وكانت المراكب تُعمَل بها على بُعد من البحر. وحضر عسكر الشام متجرّدًا فانزلوهُ فيما بين البحر والمراكب حذرًا من مراكب صاحب قبرس لئلّا يحضر العدوّ حين غفلةٍ فيحرقوا ما يُعمل من المراكب. وكان نائب الشام في ذلك الوقت أقتمُر عبد الغني(٣. ولما توفي يلبغا العمري في ليلة الاحد العاشر من ربيع الآخر سنة ثمان وستين وسبعمائة (١٣٦٧ م) أُبطلت العمارة المذكورة ولم يتزل من المراكب الى البحر سوى حمّالتين كبيرتين الواحدة باسم سُنْقر والثانية باسم قراجا (٤ وهما اميران من امراء ذلك الوقت. وكان الامير بيدمر قد استعجل القومَ على عمارتهما ليجهزهما فيحضرا صواري وقرايا ومقاذيف لباقي الشواني التي يعمّرونها. ثمَّ بقيتا بعد ذلك في ساحة بيروت حتى تلفتا. وكذلك تلفت بقية الشواني التي لم تنزل الى البحر تحت المسطبة المذكورة. وكان قد صُرف عليها مال كثير فذهب سدًى لم يُستفَد منها سوى الحديد بعد ما اخذت الناس منهُ شيئًا كثيرًا (14v)

ومن الحوادث انَّهُ في العُشر الاوسط من جمادى الآخرة سنة اربع وثمانين وسبعمائة (١٣٨٢م) حضرت تعميرةُ الجنويَّة الى صيدا فاخذتها وجاءت الى بيروت وكانوا سمعوا في دمشق بخبر حضورها الى صيداء. فقال ملك الامراء بيدمر: صيداء ما بقينا نلحقها لكننا نروح لنلحق بيروت. فوافق حضور العساكر الشاميَّة الى بيروت حضورَ التعميرة فلم يتعرَّض اصحابها للنزول الى البرّ وتوجّهت التعميرة الى جهة قبرس والماغوصة (٥

ثمَّ رجع العسكر الى دمشق وتأخر منهُ شرذمةٌ وجماعة من الامراء والمقدَّم عليهم

---

١) هو الامير سيف الدين بيدمُر البدريّ الخوارزميّ تولّى نيابة طرابلس وحلب سنة ٧٤٧ (١٣٤٦م) ثم صار نائب الشام في ايّام الدولة التركمانيَّة البحرية توفي نحو سنة ٧٩٠ (١٣٨٨ م)

٢) الشواني جمع شُونة وهي السفينة الكبيرة المجهّزة للحرب

٣) لم نقف على ذكرهِ في التواريخ التي بين ايدينا

٤) قد تسمَّى كثيرون من الامراء باسم سنقر فلا يظهر ايًّا منهم اراد المؤلف. امَّا قراجا فهو زين الدين قراجا بن دلغدار التركماني من الامراء البحريَّة. لم نقف على سنة وفاتهِ

٥) الماغوصة من مواني قبرس الكبيرة يدعوها الفرنج Famagouste

جمال الدين الهداني (١ وكان مقدَّمَ الفٍ وكان عندهم عُشران(٢ البلاد والبقاع. ثم انَّ التعميرة المذكورة آنِفًا غابت اياماً قلائل وعاد الجنويُّون الى بيروت بعد ان تركوا في الماغوصة بعض مراكب صغار ومراكب نوافذ كسبوها من صيداء وفي طريقهم مع ما كانوا غنموهُ من صيداء. فحضر الى بيروت اثنا عشر غُرابًا كبيرًا ودخلوا الميناء وكان فيهما قرقورتان للبنادقة فاخذوهما وشحنوهما بالرجال وقدّموهما حتَّى تمكّن الرُّماة منهم بالجروخ(٣ والحجارة من صواريها على برج بيروت الصغير البعلبكيّ. ولم يكن في ذلك الوقت بُني البرج الكبير وكان مكانهُ خرائب قديمة. فرمى الفرنج المسلمين بالجروخ والمدافع فتنحّى المسلمون عن قبالة الفرنج واستتروا بالحيطان. فتقدَّمت شواني العدوّ الى البرّ ما بين البرج الصغير والخرائب (15^{r}) التي كانت مكان البرج الكبير ونصبوا صقائلهم من الشواني الى البرّ. ونزل منهم شرذمة كبيرة وعليهم مقدَّم من كبارهم وبيدهِ سَنْجق وصعدوا في الجونة الى جهة الخرائب لينصبوا السنجق على علوةٍ اشارةً منهم انَّهم ملكوا البلد. وشرعوا ينزلون من الشواني شرذمةً بعد أُخرى فهجمت فرقةٌ من المسلمين مع الوالد(٤ على الذين معهم السنجق فقهروهم ورموا السنجق. فلمَّا نظر الفرنج وقوع السنجق وقف عزمهم وقويت قلوب المسلمين فحمل منهم ذوو النخوات فانهزم من كان نزل من الفرنج وازدحموا على الصقائل فانقلب بهم بعضها فغرق منهم جماعة وقُتل جماعة وانكسروا شرَّ كسرة. واستشهد في ذلك اليوم من المسلمين نفرٌ وجُرح جماعة. وكانوا قد كشفوا التعميرة عشيّة يوم وصولها فاشعلوا النار ليلًا اشارةً لوصول الافرنج الى بيروت فوصلت النار بالتدريج في تلك الليلة الى دمشق فحضر بَيدَمُر نائب الشام الى بيروت عشيَّة يوم الواقعة وتبعتهُ عساكر الشام فكان وصولهم بعد فوات الامر ولم يلحقوا القتال ولم يروا غير الشواني في البحر على بُعدٍ وهي راجعة الى بلادهم (ستأتي البقية)

---

١) لم نجد لهُ ذكرًا في غير هذا التاريخ

٢) نظنّ انهُ يريد بالعشران المتطوعين من اهل البلد

٣) هذه لفظة دخيلة لم نتحقَّق صحّتها ووردت في الاصل على ثلاث صور مختلفة جُروخ وخرُوج وحرُوخ ويظهر من القرائن انها من ادوات الرمي ولعلَّ الصواب « جُرُوج » تعريب (feu grégeois) وهي اسهم نارية تلتهب في الماء

٤) يريد المؤلّفُ والدَهُ وسيأتي ذكرهُ

خريدة لبنان[١]

(للاب هنري لامنس اليسوعي)

(تابع لما قبل)

١٠

في ذات صباح من ايَّام تموز — وقد مضى نحو الشهر على ما سبق ذكره — كانت العربة العموميَّة المعروفة بالدليجنس تصعد كالعادة فوق ربى لبنان من بيروت الى دمشق. فوقفت عند خان الشيخ محمود ريثما خرج منها شابَّان في مقتبل العمر عليهما شارات الحظ وملامح السرور وفي يمين كل منهما عصاً ضخمة اعدَّاها ليستعينا بها على السير في الجبل

فوقفا برهةً يسرّحان الطرف في تلك الربوع التي كستها الغزالة عند بزوغها حلَّة الانوار ونظم لها الندى من اللآلئ عقودًا ولبثا ينفثان من صدرهما هواء المدينة ويستنشقان بتنعُّم نسيم الجبال البليل فتنتعش منهما الارواح والابدان

ثمَّ ثنى كلٌّ طرفَيْ بنطلونهِ فوق حذاء متين الصُّنع مهيًّأ للمشي في الوعر وسارا بهمَّة في تلك الطريق التي تراكم فيها التراب. وهما يتداولان الحديث بحماسة ولا يشكّ من يسمعهما انهما من ارباب القلم ورجال الادب

وما زالا يمشيان بنشاط ينعشهما نسيم الصباح ويدفعهما التحمُّس واذا باصغر الشابّين توقف عن السير وصاح برفيقه: ألا أنصت يا هذا

وكان طرق مسامعهُ نغمات الزمَّارات والدفوف صادرة من الوادي يتخلَّلها حينًا بعد حين طلقات البنادق

فقال لهُ رفيقه: وهل من عجب فهولاء القَرَوِيُّون اطاعوا اليوم داعية الافراح. ويحق لهم ان يتناسوا حصَّة اكدار الحياة

فاجاب قائلًا: لا انكر ذلك. على اني اودّ لو اعرف الداعي الى مثل هذه المظاهرات مذ لاح الصباح. فانني راجعتُ البارحة قبل مغادرتنا بيروت تقويم السنة فلم اجد لعيدٍ ذكرًا في هذا الاسبوع وقد مضى نحو العشرة ايَّام على عيد مار الياس. فيا تُرى ماذا جرى. وهنا ادّى السير بالشابّين الى خان ابي القريَّة الذي عرَّفناهُ قبلًا ولم يكونوا يجهلانهِ. فقال اكبرهما:

لقد مشينا نحو الساعتين فبلغ منى العطش مبلغاً . هيّا بنا نروي الغليل في هذا الدكان ونأخذ لنا من الراحة نصيباً ونغتنم الفرصة لنسأل الدكاني عن الخبر اليقين

فما ولجا الدكان الّا قهقها ضحكاً فانهما شاهدا صاحبنا الدكاني يخطر في ملابس العيد فيسحب على الارض ذيل سروال لعب الهواء باثنائه فنفخهُ كالقلوع . وكان لابساً صدريَّة من المخمل الاحمر مزركشة بالحرير وفوقها زنّار عريض كثير الالوان

فقابل ضيفيهِ بابتسام الفوز . ولم يبادر الى خدمتهما بل بقي يتعثّر باذيالهِ . وقد لاحت عليهِ علائم السأمة والكدر فصاح : مَلَكة . ملكة . عجّلي . فاني اسمع صوت الدفّ . يا لله . انّ العيد سيفوتني بسبب هذه المرأة

فبادرت ملكة تحمل سلّة من الزهور . وما كان اجملهــا في خمارها الازرق البسيط وثوبها الورديّ المتّسع ونطاقها الحرير الاسود لا يشين صورتها قبعة كبيرة ولا يخفي ساعدَيها أردان عظيمة منتفخة كالتي تألفها نساء اليوم

فلم يكن كلمح البصر الّا قدّمت مَلَكة للشابّين شراباً مبرّداً ثم مضت لتنظر آخر نظرة في ملبوسها

فعيل صبر الدكاني وصرخ : ملكة . وحياة أبي اذا لم تحضري تركتكِ وسرتُ وحدي

وبينما الشابان يرويان الغليل ويتبسّمان مما يسمعان ويريان اذ لاحت منهما إلتفــاتة فابصرا على الجدار صورة نبوليون عليها من الالوان اصناف وهي اغرب الهيئات

فصاح احدهما بالدكاني سائلاً : ألا بربّك يا هذا ما حداك الى تعليق الصورة في الجدار على تلك الحالة . أوَخطر لك ان تُبقيها ابدَ الدهر

فاجاب الدّكاني وهو يتبسّم ابتسامة معنويّة : نعم نعم . فليضحك من شاء فهي مبدأ ثروتي وبسببها صرتُ اربح سنويّاً ثلاثين ليرة

١١

وعندئذٍ سُمع طلقات بنادق كثيرة دفعة واحدة اوشكت ان تُطير الكأس من ايدي الشابّين فصاح الدكاني بحنَق : يا لله قد دارت افراح العرس . ويل هذه المرأة لا شكّ انها تضيّع عليّ الوقت وتحرمني من العرس

فسألهُ اكبر الشابّين . بربّك يا عمّ الا أخبرتنا باي عيد تحتفلون اليوم وما الداعي لمثل هذه الحركة في ضيعتكم

فاجاب الدّكاني : داعٍ عظيم مهمّ فوق العادة . ولا شكّ ان جرائد بيروت تذكره

— هل زاركم المطران ؟ فانّي اسمع جرس الكنيسة يقرع منذ ساعة

— ما حزَرتَ

— أقدم عليكم القنصل ؟

— بل افضل من القنصل

— فاذن متصرّف لبنان . على انهُ منذ اسبوع يتجوَّل في شمالي لبنان بجهات الارز ولا اخالهُ الّا باقيًا هناك

— انت بعيد

— فلم يبقَ الّا والي سوريّة . لكن بلغنا انهُ اليوم في نواحي طرابلس . ألا بحقّي يا عمّ أفدنا عن الحقيقة وخلّصنا

— الحكاية من اغرب ما يكون . ما سمع احد بمثلها . فلو كنتم تعرفونها انتم الذين تؤلفون الكتب لأغنتكم عن اختلاق القصص . وهذه الصورة لها علاقة شديدة مع قصّة انيسة الضريرة

فقال اصغر الشابّين منذهلًا : انيسة الضريرة ؟

— أنعِم بهذه القصّة مُلحقًا لرواية وردة المغرب

فصاح رفيقه باسمًا : على رسلك ايها الشاعر ولا تستقلّ بالقصَّة وحدك . فالمثل يقول : كونوا اخوة واقسموا قسمة الحقّ

— لا نتخاصمنَّ على القصَّة قبل ان نسمعها . قال ذلك والتفت الى الدكاني وتوسَّل اليهِ قائلًا : بحياتي عنك يا عمّ تروي لنا هذه النادرة ونحن نعدك بان نقدّم لك نسخة منها مطبوعة

فصاح الدكاني : ذلك مستحيل في هذه الساعة . فاني مستعجل . . . وها امرأتي وصلت والحمد لله . تعالا معنا الى الضيعة وانا اخبركما على الطريق بكل ما جرى واذكر لكما هذه الحكاية

وكانت المرأة قد دخلت تخطر في ثوب العيد . فاندفع الدكاني يجري وقد جذب معهُ الشابّين واخذ يروي لهما مع التفاصيل قصة حنًا الطويل وانيسة الضريرة وهما يعيرانهِ اذنًا صاغية وقلبًا واعيًا . والمرأة تتبعهم ولا تغفل ذكر نبذة او ابداء ملاحظة في اثناء الحديث

« فاعلموا ان حنًّا غنطوس بعد موت والديهِ لم يكن لهُ ملجأ فانتقل الى بيروت طلباً للرزق ولمَّا ضاقت عليهِ المذاهب دخل في مركب انكليزيَّة بصفة وقَّاد وهكذا مرَّ في اسفاره بكل موانئ البحر المتوسط وبلاد الانكليز . ففي ذات مساء كانت هذه المركب مارّة بمضيق جبل طارق فاصطدمت بمركب اخرى فانفلقت ولم تلبث ان ابتلعتها اللجج قبل ان تتمكَّن من الوصول اليها المراكب التي بادرت الى نجدتها . ولم ينجُ الَّا بعض البحارة

« وبعد ايّام قلائل انتشر الخبر في كل الاصقاع وطار الى جبال لبنان وعلم اهل ضيعتنا بالمصاب واعتقدوا جميعهم الَّا انيسة بموت حنًّا الطويل غرقاً . وفي الواقع انهُ لم يمت بل كان في عداد من سلم من البحَّارة . وعاد الى اسفاره فقادتهُ الى رأس الرجاء الصالح . وكنتَ لا تسمع في تلك الايام الَّا من يحدث باخبار الترانسفال ومناجم الذهب والالماس فيهِ . فخطر لصاحبنا ان يقصد تلك الوجهة طمعاً في المكسب

ففي بادئ الامر قاسى من الاكدار والاهوال ما لا يوصف لكنَّ الايّام كانت قد حنكتهُ وشدَّدت عزيمتهُ وزادتهُ خبرةً في الحدادة وعلم الحيَل التي يسميها الفرنج ميكانيك كما سمعتها مرارًا من السيَّاح الذين يزورون هذه البلاد . فاشتغل عند قبيلة البويرس وزاول مهنة تصليح الاسلحة وادوات الفلاحة . حتَّى ادَّت بهِ الاحوال الى مدينة اخبرنا عنها وقد فات اسمها عن بالي فعرض خدماتهِ على شركة هناك تشتغل باستخراج الذهب والالماس وهي من اعظم الشركات فقبلتهُ . والعبيد اهل تلك البلاد لا حقَّ لهم على ما يظهر بامتلاك الاراضي ولا يسوغ لهم الَّا الاشتغال في المناجم بصفة فعلة ولا يقبضون اجرتهم ذهباً . وكل وكلاء الاشغال يجب ان يكونوا من البيض ولاسيا الناظرين في المناجم لانَّ العبيد الفعلة يسعون جهدهم في اخفاء شذرات الذهب والالماس

ولمَّا وصل حنًّا الى تلك البلاد كان عدد البيض دون القليل فلذا قبلتهُ الشركة مع الشكر ودفعت لهُ راتباً مهمًّا وعلاوةً على ذلك كانت تعطيه خُمس الالماس المهرّب الذي يكتشف عليهِ . ولما كان قنوعاً في معيشتهِ صادقاً في خدمتهِ مجتهداً في اعمالهِ لم يلبث ان جمع كميَّة من المال وافرة وقد كان حاصلاً على ثقة واعتبار مخدوميهِ وحبّ العبيد المشتغلين تحت امرتهِ . وليس من طبعهم حب البيض

ولمَّا ثار العبيد كان هو من النزر القليل الذين سلموا وبقي بيتهُ سالماً محفوظاً على

حين ان منازل مديري الاشغال والمستخدمين أحرقها الثائرون. ولما هدأت الخواطر وكان عندهُ رأس مالٍ مهمّ عزم على الشغل لحسابه فاشترى قرب المدينة اراضي مهجورة وبعد الكدّ ومعاناة الاتعاب اسعدهُ الحظ بالاكتشاف على معادن ذهبية

ولم تمضِ سنوات قليلة حتى اصبح من ارباب الملايين وكانت نفسهُ لا تزال تحن الى بلاده فترك اشغاله وجمع ما عندهُ من المال وقفل راجعاً الى سوريَّة. وقد مضى عليهِ شهر كامل في ضيعتنا هذه مسقط رأسهِ وفيهـا جمعتهُ الأيَّام بخطيبته انيسة الضريرة التي صبرت على الفراق اكثر من عشرين سنة. امَّا باقي القصة فستعلمانهِ اليوم...»

١٢

كان الدكاني يسرد على الشابّين تلك الاخبار مع التفاصيل وهو يلهث تعباً وما أتى على آخرها حتى أعياه الجهد. لكنّ رفيقيهِ لم يقنعا بما ذكر بل طمحت ابصارهما الى غير ذلك من مُلحقات الحديث. فسألهُ احدهما قائلاً: على انك يا عمّ نسيت ان تخبرنا عن العلاقة بين قصَّتك وصورة نبوليون المتعلقة على جدار دكانك

فاجاب قائلاً: الحق معك. فاعلما ان حنَّا الطويل دفع لي ثمنها كمية من الدنانير ولا يزال كما اخبرتكما يدفع لي ثلاثين ليرة في السنة على شرط اني أُبقيها كما كانت فيما مضى قبل سفره وكما رأيتماها في محلّها. فانهُ تقرّ عينهُ بمرآها وتطيب نفسهُ بذكر الايام السالفة

ولا يخطرنّ ببالكما انهُ اكتفى بما احسن اليَّ بل عمّ فضـله الجميع. وليس حنَّا الطويل اوَّل مسافر عاد الى بلاده. فان كثيرين بعد ان جمعوا المال رجعوا الى ضيعتهم ولكن لم يهتمّوا بغير نفسهم فاشتروا الاراضي وبنوا البيوت الفاخرة امَّا حنَّا فانهُ فعـل ما لا ننساه على طول الزمان. لا شكّ انكما رأيتما اساس بناء عند مدخل الضيعة فهذا مستشفى يبنيه للمرضى ومأوى للشيوخ العجزة. وهو عازم على تشييد مدرسة للصبيان واخرى للبنات

ومع ما هو عليهِ من الغنى الوافر لا تراه يتعجرف او يزدري باحد بل يتكلَّم مع الصغير والفقير بكل لطف ويسلّم على الجميع بكل رقّة. وخلافاً لكل الذين يرجعون من البلاد لم يأخذ عن الاوربيين الا العوائد الحسنة وهو يقوم خير قيام بواجباتهِ الدينية ويحضر الذبيحة الالهية كلّ احد وعيد ويصلّي بحرارة كانَّهُ لم يخرج من ضيعتنا

وبعد ان اهتمّ بكلّ الناس افتكرَ في نفسـهِ فاشترى بيت مصيف كان بناه احد

تجار بيروت وسينتقل اليهِ مع انيسة وعائلة الحائك سركيس التي تبنّى كلّ ابنائها . ولم يغفل عن الحفّار فارس بل اعطاه مالًا كثيرًا

واليوم يُعقَد لهُ الاكليل على انيسة . وهذا عيد عظيم لاهل الضيعة . والبرهان على ذلك انهم سيذبحون عشرة خِراف وفي هذا الصباح سيحضر حنّا قدّاسًا احتفاليًا ليشكر الله على نعمهِ الجزيلة نحوهُ

وفي اثناء هذا الكلام وصل الشابّان الى القرية ولم ينتهِ بعد حديث الدكانيّ غير انهما شُغلا عن سماع الختام بما وقعت عليهِ أعينهما

فكانت القرية قد برزت باجلى مظاهر الزينة وكانت ابواب المنازل والنوافذ كلها مزدانة بالزهور وبالخضرة وعلى البعض منها أشعار رقيقة تتضمَّن الطف التواريخ . وكانت تخفق في كل جهة الاعلام المختلفة الالوان

وعلى باب حنّا الطويل قد كتب بالزهور اسم العروسين على اجمل منوال

امّا عن ازدحام الناس فحدّثْ ولا حرَج . فكانت جماهير القرويّين قد بادرت من جميع الضياع والمزارع المجاورة ليحضروا مثل هذا العيد النادر المثيل بينهم (ستأتي البقية)

شتّى

معنى اسم البرمكيّ

كثيرًا ما بحثتُ عن معنى هذا الاسم في اللغة العربية وفي كتب المؤرخين من العرب فلم اعثر على ما اشفي بهِ الغلّة الى ان وقع بيدي كتاب فارسيّ ذكر فيهِ معنى هذا الاسم فقال ما محصّلهُ : ان نسب جعفر الذي هو ابو خالد البرمكي يتّصل بملوك فارس وكان في اوائل أمرهِ مجوسيًّا يعبد النار في نوبهار بلخ . فلمّا اراد التديُّن بدين الاسلام اخذ معهُ خدمَهُ وحشمهُ وحامّتَهُ (عائلتهُ) وتوجَّه بهم الى دمشق وكانت يومئذٍ دار ملك بني أميّة . وذكر في جامع التواريخ ان وصول جعفر الى دمشق كان في عهد عبد الملك بن مروان وقال جماعة من المؤرخين ان وصولهُ اليها كان في ايام سليمان بن عبد الملك . ولمّا رأينا ان الرواية الثانية للصحّة اقرب لم نعتمد على القول الاول . ولمّا قدم جعفر امام سليمان بن عبد الملك تغيَّر لون الخليفة وامر باخراجهِ من المجلس فتعجَّب الحاضرون من صدور ذلك الحكم فقال لهم

سليمان: ان مع هذا الرجل سُمّاً ولذلك امرتُ باخراجهِ. لانَّ في كتفي خرزتين واذا أُتي في المجلس بسم تحرّك الخرزتان للحال بحسب خاصيتهما. فاستفسر الحاضرون عن كيفية الحال عند جعفر. فقال: ان تحت فصّ خاتمي سمّاً. فقالوا: ولِمَ ذلك. فقال: لاني وقت الشدة (بَرْمَكِمْ) اي أمصّها. ولقّب جعفر من ذلك الحين بهذا اللقب. وبعد ذلك طلب سليمان جعفرًا واحضرَهُ في المجلس وامرهُ بالجلوس واظهر تينك الخرزتين ليرى خاصيتهما الحاضرون باعينهم. فسأل الملك ابا خالد: هل شاهدت في عمرك امرًا غريبًا مثل هذا. قال: نعم اني رأيت في مجلس سلطان تَخْشب شيئًا مثل هذا في الغرابة

اوردنا هذه الرواية ولا نعرف مقامها من الصحة لكن على كل حال تفسّر سبب تسمية البرامكة بهذا الاسم. فان لم يكن في فصّ خاتمِ سمٌّ فلا بدَّ انهُ كان معهُ شيء من السمّ يمصهُ عند اشتداد المحنة. وقد ذكر مثل ذلك عن الزبَّاء ونحوها. وقد بسطتُها لقُرَّاء المشرق حُبًّا بالفائدة واستلفاتًا لانظارهم لهذهِ الرواية وابداء لرايهم فيها الاب انستاس الكرملي

جواب المشرق

وقد ورد في كتب كثير من الادباء تفاصيل في اسم البرامكة الَّا انَّ الآراء متضاربة في شرح اصلهِ

فالرأي الاوَّل ولعلّهُ الصواب انّ اسم برمك عَلَم من اعلام الفارسيّة القديمة او البهلويّة والدليل على ذلك انَّ لاجداد خالد البرمكي اسماء اعجمية من صنفهِ. وكان خالد ابنًا لبرمك وبرمك ابنًا لجاماس وجاماس ابنًا ليوستاشف كما روى في نسبهِ ابن خلّكان في ترجمة جعفر البرمكيّ

والرأي الثاني ذهب اليهِ المسعوديّ وهو من آل التنقيب والبحث. قال في معرض كلامهِ عن البيوت المعظّمة والهياكل المشرّفة (في الباب الثالث والستين من مروج الذهب (١)): «والبيت الرابع هو النوبهار الذي بناهُ منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر وكان من يلي سدانتَهُ تعظِمهُ الملوك... وكان المعظَّم الموكل بسدانتهِ يُدعى البرمك وهذه سمة عامّة لكل من ولي سدانتَهُ ومن ذلك سُمّيت البرامكة لانّ خالد بن برمك كان من وُلد من كان على هذا البيت»

والرأي الثالث رواهُ ياقوت في معجم البلدان (٢) عن عمر بن الازرق الكرمانيّ قال:

---

(١) طبعة باريس الجزء الرابع ص ٤٧ و ٤٨ (ed. Barbier de Meynard) (٢) طبعة

«كانت البرامكة اهل شرف ببلخ قبل ملوك الطوائف وكان دينهم عبادة الاوثان فوُصفت لهم مكّة وحال الكعبة بها . . . فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام ونصبوا حولهُ الاصنام . . . وكان لهُ خُدَّام وقوَّام وسَدَنة . . . وكانوا يسمّون السادن الاكبر برمك لتشبيههم البيت بمكّة يسمّون سادنهُ « ابن مكّة » فكان كلٌّ من ولي منهم السدانة برمكًا »

فينتج من هذا القول انَّ « برمك » صورة اخرى « لابن مكّة » فيكون الاصل من كلمتين سريانيّتين ܒܪ من ܒܪܐ معناها الابن و ܡܟܐ علَم مكّة

امّا ما ذكرهُ آنفًا حضرة الاب الفاضل الاديب عن اصل هذا الاسم فلا نظنّهُ يتجاوز اقاصيص العامّة وحكاياتهم الفكاهيّة ل . ش .

أسئلة وأجوبة

س نرجو ان تفيدونا عن السبب الذي من اجله لا يصوم الشرقيّون في الصيام الكبير يومي السبت والاحد ص . ح .

ج ان الامتناع عن الصوم في السبوت ما عدا سبت النور هو عادة قديمة في الكنيسة . وقد ورد ذكرها في المجموعة المسمّاة قوانين الرسل وفي كتابات القديس ابيفان والقديس يوحنّا الذهبي الفم . فالقانون ٦٦ من قوانين الرسل يحكم على الاكليركي الذي يصوم في يومي الاحد والسبت ان يُعزل من رتبتهِ وعلى العامّي ان يُحرم

وقد علّل القديس ابيفان هذه العادة في كتاب الهرطقات في معرض كلامهِ عن الهرطقة ٤٢ حيث قال : ان المرقيونيين وغيرهم من الهراطقة قرَّروا صوم السبت حتى يتميَّزوا عن اليهود الذين يكرمون هذا اليوم . امّا الكنيسة الشرقيّة فخشية ان تبدو منها موافقة لهؤلاء الهراطقة رسمت الامتناع عن الصوم في السبت

ولما ان بادت تلك الهرطقات شرعت اكثر الكنائس خصوصًا الغربية تصوم السبت كما يتّضح من تحديدات الحق القانوني (الصفحة ٦٢ من المجلّد الاول) واستمرَّت بعض الكنائس خاصةً الشرقية تابعةً للعادة القديمة . ولم تخطّئها الكنيسة الرومانية في ذلك . فقد ورد في مرسوم البابا بندكتوس الرابع عشر المبدوء Etsi pastoralis ما ترجمتهُ : في الايام غير الاربعينية

لبسيك المجلد الرابع ص ٨١٦ (ed. Wüstenfeld)

يُسمح لليونان باكل اللحم في السبت ولكن في بلادهم وما بينهم فقط . اللهمَّ اذا لم ينتج عن ذلك معثرة

امَّا العادة العمومية عند الشرقيين والغربيِّين في الامتناع عن الصوم يوم الاحد فلإكرام يوم الرب الذي هو يوم فرح وابتهاج وللحصول على شيء من الراحة . وقد ذكر هذا السبب الاخير القديس يوحنَّا فم الذهب عند شرحه موجب الامتناع عن الصوم يومي السبت والاحد فقال في ميمره الحادي عشر على سفر التكوين ما ملخصه : ان ايَّام الآحاد والسبوت هي كمنازل يحطّ فيها المسيحي للراحة في مراحل الصوم الشاقّة وكموانئ تلجأ اليها السفن بعد مقاساة اهوال البحر

ولكن اذا اعتبرنا ان يوحنَّا فم الذهب تكلم وقت كان المسيحيون لا ياكلون في الصوم الاربعيني الَّا اكلة واحدة عند الغروب وانهُ في عصرنا قد اضحى الصوم امرًا خفيفًا لا مشقَّة في حفظه تحققنا ان الراحة في يوم السبت لم تعد ضرورية . وعلى كل حال ليتبعنَّ كلٌّ طقسه فلا تثريب عليهِ في ذلك ولا حرج

على ان تحنُّن امّنا الكنيسة من شأنه ان يحدو بابنائها على ان يتمموا باوفر نشاط ما تفرضهُ عليهم من الصيام وتلزمهم بهِ بعد ان رفعت عن عاتقهم ما هو شاقّ في حملهِ

ا ٠ ص ٠

س بعث الينا مشتركو مجلّتنا في المتيَن يسألوننا الافادة عما اذا كانت السنة ١٩٠٠ كبيسية او لا وهل يبقى الفرق بين الغربيّين والشرقيّين ١٢ يومًا ام يصير ١٣ يومًا

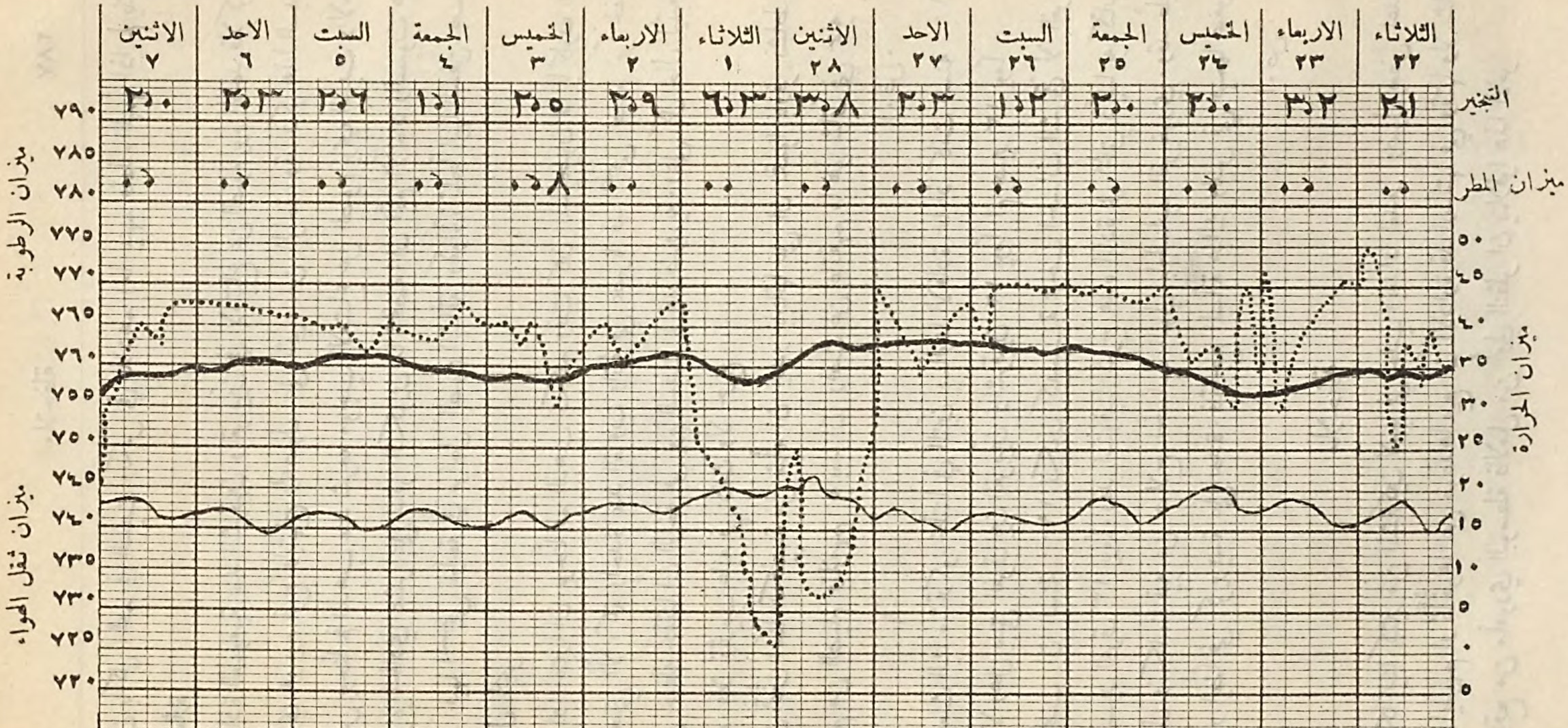
ج فنجيب ان السنة ١٩٠٠ تكون كبيسية بموجب الحساب الشرقيّ لا الغربي وهكذا يصير الفرق ١٣ يومًا . وقد استوفينا شرح هذه المادة في ملحقٍ ذيّلنا بهِ كتاب مختصر الدول وتكلمنا فيهِ عن اصلاح الحساب اليولي بالحساب الغريغوري . وقد طُبع الملحق المذكور ايضاً في كريريسة على حدة . فلتراجع المسألة هناك وليس في فهمها صعوبة

ا ٠ ص

ملاحظة

قد شكا الينا كثير من المشتركين لاسيا في حلب وبغداد لعدم وصول بعض اعداد المشرق الى ايديهم او تأخُّرها عن موعدها مع انَّ الادارة قد ارسلتها في وقتها ولا شكَّ انَّ الخلل واقع من مأموري البوسطة فالامل من أُولي النظر ان يتلافوا هذا الامر

قائمة للآثار الجوّيّة   من ٢٢ شباط الى ٧ اذار   ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة – وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة باللمترات وعُشْر الملمترات

المشرق

غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري *

للاب لويس شيخو اليسوعي

١

بينا كنَّا سائرين في غُدوة اليوم الرابع والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٨٩٦ مُيَمّمين الموصل ونحن على وشك دخولها اذ لاح لنا في البعد على منعطف الجبال الممتدّة من عن عيننا وشرقيّ البلد بناء واسع الارجاء استلفت منّا الابصار واستحثّ الخواطر. فظننّا لاوّل وهلةٍ انَّهُ قصرٌ قديم ابتناه بعض اهل الثروة ليقضي فيهِ فصل الصيف ترويحًا للنفس. وكان في صحبتنا قفلٌ من اهل تلك الاصقاع فسألنا بعضَ رفقتنا عن اسم البناية وقاطنيها. فاجابنا الرجلُ وهو يعقوبيُّ النِحلة: هذا ديرنا الشهير دير مار متّى (١ يسكنهُ رهباننا ونحن نعظِّمهُ ايَّ تعظيم لأنّ فيهِ قبر بعض علمائنا المسمَّى بابن العبريّ

---

* قد استخلصنا هذه المقالة من عدَّة كتب قديمة وحديثة نخصُّ منها بالذكر: اوّلا تاريخ الكنيسة لابن العبري بالسريانيــة وهو ثلاثة اجزاء طبع في لوفان سنة ١٨٧٢ – ١٨٧٧ (ed. Lamy). ثانيًا تاريخهُ المدنيّ بالسريانيــة الموسوم (ܡܟܬܒܢܘܬ ܙܒܢ̈ܐ) طبع في ليبسيك (ed Bedjan). ثالثًا تاريخ الدول لهُ نشرهُ بالطبع في مطبعتنا الاب انطون صالحاني سنة ١٨٩٠. رابعًا المكتبة الشرقيَّــة للسمعاني الجزء الثاني ص ٢٤٤. خامسًا الشرق المسيحي الجزء الثاني ص ١٤٥ (ed. Lequien). سادسًا مجموع ليتورجيات اليعاقبة والنساطرة طبع في باريس سنة ١٧١٦ الجزء الثاني ص ٤٦٩ (ed. Renaudot). سابعًا آداب اللغة السريانية طبع في لندن باللغة الانكليزية سنة ١٨٩٤ (ed. W. Wright). ثامنًا تاريخ الطبّ العربي الجزء الثاني ص ١٤٧ طبع في باريس (ed. L. Leclerc). تاسعًا عدَّة افادات التقطناها في اثناء سفرنا الى بلاد ما بين النهرين سنة ١٨٩٦

١) قال ياقوت في معجم البلدان (الجزء الثاني ص ٦٩٤) دير متّى بشرقي الموصل على جبل

فما طرق مسامعنا هذا الكلام حتّى ثارت فينا رغبـةٌ شديدة الى زيارة هذا الدير الجليل وقد كنَّا قرأنا في تواريخ كثيرٍ من القدماء انّ اصلهُ يرتقي الى اوائل النصرانيَّة. وزادنا بغيةً في مشاهدتهِ ذكر رجلٍ طارت في الشرق سمعتهُ ولم تزل الالسن تنطق حتَّى الآن بمديحهِ. وكنَّا مذ عبرنا الفرات قرب البيرة (بيره‌جك) لم يكد يمرُّ علينا يوم واحد دون ان نسمع لهذا الكاتب الجليل ذكرًا او نرى لهُ اثرًا محمودًا ولكن حال دون مرامنا أنّ الطرق المؤدّية الى الدير المذكور لم تكُ مأمونةً وكان يقطعها وقتئذٍ بعض اهل الدَّعارة يعكّرون كأس الراحة والنظام العموميّ. فانثنينا عن عزمنا مع الأسف على فوات الفرصة

الَّا انّنا ما برحنا منذ ذلك اليوم نجمع ما امكنَّا من مآثر ذلك العلَّامة الفاضل وتفاصيل حياتهِ لعلّنا ننشرها يومًا بالطبع افادةً لجمهور الشرقيين وتحريضًا لارباب القلم كي يتّسموا بسمتهِ ويجارونهُ في اجتهادهِ وغيرتهِ

وقد احببنا اليوم ان نورد لمعةً من اعمال هذا الاسقف الخطير الذي يحقُّ للنصرانية ان تفتخر بذكرهِ لانهُ كساها بعلمهِ الواسع وآدابهِ مزيد هيبة ورونق. وتيسيرًا لبيان هذه الآثار رأيتُ ان اقسم هذه المقالة الى قسمين اذكر في اوَّلهما ترجمة هذا الجهبذ المقدام وفي الآخر ما خلف بعدهُ من التركة العلميَّة والتآليف الحسنة التي رفعت بهِ الى اعلى مراتب الكتَّاب الكنَسيين بل وجعلتهُ في مقامٍ اثير بين ادباء عصرهِ وحكماء زمانهِ

٢

لقد كفانا ابن العبري المؤونة للتنقيب عن اخبارهِ بما اودعهُ في كتبهِ من تفاصيل سيرة حياتهِ الَّا انّ هـذه الآثار متفرّقة في تآليفهِ العديدة يتحتَّم علينا جمع شتاتها في هذه النبذة

وُلد ابن العبري سنة ١٥٣٧ للاسكندر الموافقة لسنة ١٢٢٦ للميلاد في مَلَطية حاضرة ارمينية الصغرى على ضفَّة الفرات. وكان يتولَّى هذه المدينة وقتئذٍ عُمَّال من قبل

شاخ يقال لهُ جبل متَّى من اشترفهُ نظر الى رُستاق نينوى والمرج وهو حسن البناء واكثر بيوتهِ منقورة في الصخر وفيهِ نحو مائة راهب. . . وبينَهُ وبين الموصل سبعة فراسخ (اه). وهذا الدير لا يزال حتَّى اليوم عامرًا بالرهبان وهو احد كراسي الاساقفة اليعقوبيين يُدعى ايضًا دير كُوكَنتا (ܟܘܟܬܐ) عند السريان. ويسمُّون الجبل دير إلفِف (ܐܠܦܦ)

بني سَلْجوق ملوك الروم وهي تُعَدّ من اعظم قواعد تلك الاصقاع رغمًا عمَّا دهمها من نوائب الزمان لانّ غزوات جنكزخان وقومهِ تاتار المغول كانت قد طمست جانبًا من محاسنها. ولم تزل اذ ذاك حافلةً بالنصارى يأتونها من كل فجّ لما يجدون فيها من اسباب المعاش في صحبة بني جلدتهم. وكان قد اشتهر بملطية قبل ابن العبري بزمن يسير رجلان عُرفا بين اليعاقبة بفضلهما وسعة معارفهما اعني ديونيسيوس برصليبي المتوفَّى سنة ١١٧١ وميخائيل الملقَّب بالكبير المتوفَّى سنة ١١٩٩

وكان ابو صاحب الترجمة يُدعى أهرون. وليس في اسمهِ هذا ما يُشعر بكونهِ اسرائيليًا مرتدًا الى النصرانية او منتميًا الى أسرة يهوديّة كما زعم الكاتب رَيت (١ فان كثيرًا من نصارى اليعاقبة يدعون اولادهم بهذا الاسم الى يومنا هذا. ولعلّ في تسمية ولدهِ بابن العبري دليلًا على ذلك لكنّنا بعد البحث المدقّق عن هذه القضيَّة وجدنا في المؤرّخين ما ينقض هذا الرأي فضلًا عمَّا يؤيدهُ. فانَّ العلَّامة رِنُودوت ذكر في مجموع الليتورجيَّات (ص ٤٦٩) انَّهُ وجد في نسخة خطيَّة من اعمال ابن العبري في باريس انهُ كان ابن اخي البطريرك ميخائيل الكبير السابق ذكرهُ وهو من اشهر كتَّاب اليعاقبة لم يكُ اهل ملّتهِ ليرضوا بانتخابهِ بطريركًا وفقًا لقوانين الكنيسة الشرقيَّة لو كان حديث العهد بالنصرانيَّة

وكان لاهرون اولاد كثيرون توفي اربعة منهم قبل ابن العبريّ وهم ميخائيل وموفَّق وقُوفر وساوير وكان طبيبًا. ولابن العبري فيهم مراثٍ ذُكرت في ديوان شعرهِ السرياني (٢ (ص١١٨—١٢٨). وعاش بعدهُ اخٌ لهُ خامس اسمهُ برصوما صافي الذي تمَّم تاريخهُ الكنسيّ بعدهُ

ودعي ابنُ العبري في المعموديّة باسم يوحنَّا يشهد بذلك التاريخ السرياني المحفور على ضريحهِ في دير مار متَّى (٣ واتَّخذ لهُ في الكهنوت اسم غريغوريوس. ولُقّب بابي الفرج تيمُّنًا بهذا الاسم وليس بولدٍ لهُ اسمهُ فَرَج كما ظنَّ بِرْنستين في مقدّمة طبعتهِ لتاريخ الدول السرياني (ص ٣) والعلَّامة پوكوك في مقدمة تاريخ مختصر الدول (ص ١) ونحن نعلم علمًا اكيدًا انّ ابن العبري لم يرتبط قطّ بسُنَّة الزواج لانَّهُ ترهَّب وهو حديث السنّ كما

١) Syriac Literature, p. 265

٢) طبعهُ في رومية الاب اوغسطين الشبابي ١٨٧٧

٣) راجع كتاب العلَّامة بادْجِر عن النساطرة (Nestorians, I, 97)

سيأتي . فضلًا عن انَّ الاساقفة لم يُنتخبوا سوى بين الرهبان لالزامهم نذر العفَّة . وقد روى ذلك ابن العبريّ ذاتهُ في مجموع القوانين الكنسيَّة (الجزء الأوَّل الفصل السابع القسم العاشر) (١

وقد وهم ايضًا يوكوك بظنّهِ انّ ابا الفرج بن العبري هو ابو الفرج المدعوّ بابن الطيّب فخُدع بمشابهة الاسم مع انّ ابن الطيّب كان نسطوريًّا وتوفي قبل ابن العبريّ بنيف ومائتين سنة (١٠٤٣ م) . واعجب من ذلك انهُ خلط بين هذين المذكورين وابي الفرج يعقوب المشهور بابن القفّ المتوفّى سنة ١٢٨٦ وكلّ ذلك خطأ واضح

٣

ولمَّا كان اهرون من وجهاء قومهِ يُحسن الدروس الطبّيَّة (٢ ويتعاطى العلوم الفلسفيَّة جعل يُلقّن ابنهُ يوحنَّا مبادئ المعارف البشريَّة وهو بعدُ حديث السنّ ليتشرَّب منذ نعومة اظفارهِ حبّ العلوم فيهيم بدراستها . وكان الولد ذا قريحة وقَّادة تلوح عليهِ امارُ الفهم والذكاء فما لبث ان احكم هذه الدروس الاوَّليَّة حتَّى اضطرّ والدهُ الى ان يدفعهُ الى ابرع اساتذة بلدهِ . فاقبل الشابّ على حفظ اللُغات الثلاث السريانيّة واليونانيّة والعربيّة وأحرز بزمن قليل دقائقها حتَّى تضلَّع بآدابها وجعل يكتب فيها جميعًا بسهولةٍ غريبة والحقّ يقال انّ تآليفهُ تنطق بلسان حالها عن براعتهِ من هذا القبيل فمن يقرأ كتبهُ بالعربية او السريانية يقضي لهُ بتمام معرفة اصول اللغتين . امَّا اليونانية فاننا نعلم طول باعهِ فيها من تعريبهِ لكتب كثير من فلاسفتها الاقدمين كارسطو وغيره

ثمَّ انكبّ على درس الفلسفة واللاهوت فلم يدع مطلبًا الَّا بحث عنهُ ولا مشكلًا الَّا حاول فكّهُ حتَّى حاز بعد سنين قليلة قصبات السبق على معاصريهِ من الشرقيين وسنرى ما خلَّفهُ بعدهُ من المآثر العلمية في هذين العلمينَ الساميَيْن . وزاد عليهما درس

١) ولا يخفى ان التكنّي بأَبي فُلان كان جاريًا في ذلك العصر يُراد بهِ مجرَّد اللَّقَب ومثال ذلك كثير خصوصًا عند النصارى كابي البركات وابي الطيّب وابي الحليم . ولا تزال هذه العادة الى يومنا في بعض انحاء سوريَّة

٢) كان لاهرون اليد الطولى في فنّ الطبّ حتَّى انَّهُ كان يُعرف بالحكيم فدعي ابنهُ لذلك بابن حكيما

الطبّ مع فروعهِ المختلفة اخذ ذلك الفنّ عن ابيهِ الطبيب النطاسي وعن غيرهِ من العلماء

وبينا كان ابو الفرج منكبًّا على هذه الدروس مرتشفًا لسلافة العلوم الالهيّة والبشريّة اذ دوت في آذانهِ جَلَبة جيوش هولاغو ملك تاتار المغول سنة ١٢٤٢ وكانوا فتحوا بلاد الروم واخذوا عنوةً سيواس وقيساريّة فزحفت منهم فرقةٌ على ملطية يريدون نهبها وحرقها. وقد اخبر ابن العبري في تاريخ الدُّول (ص ٤٤١) ما لحق باهل البلد من الخوف والهلع عند قدومهم وكيف اراد ابوهُ اهرون ان يهرب مع حامّتهِ فعدل عن ذلك واجتمع بالمطران ديونيسيوس والّف قلوب المسلمين والنصارى وكفّ اهل الشرّ عن الفساد. قال: « فنظر الله الى حسن نيّاتهم ودفع العدوّ عنهم ووصلوا بالقرب من ملطية ولم يتعرّضوا لها»

لكنّ المدينة لم تسلم من شرّ التاتار في السنة التالية (١٢٤٣) فشنُّوا الغارة عليها وخرّبوها وعاثوا في رساتيقها. وكان قائدهم يَساوِرنوين مصابًا بداء عرض لهُ فطلب طبيبًا يداويهِ فدلّهُ الملطيُّون على اهرون ابي صاحب الترجمة فاستدعاهُ القائد واخذهُ في خدمتهِ الى خَرتَبِرت فعالجهُ اهرون حتى برأ. قال ابن العبري (تاريخ الدول ص ٤٤٦): «ثم جاء ولم يُطل المقام بملطية ورحل بنا الى انطاكية فسكنَّاها »

وكانت وقتئذٍ انطاكية من أُمَّهات المدن تُعتبر كاحدى قواعد المشرق وعواصم الثغور الشاميّة موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير (١). وهي لم تزل بعدُ في يد الفرنج يتولّاها ملوكهم منذ سنة ١٠٩٨. وكان صاحبها يوم دخلها اهرونُ وابنهُ بُوهِيمُوندَ الخامس وهو يدعى امير انطاكية وطرابلس مَلَكها منذ سنة ١٢٣٣ الى نحو سنة ١٢٥١. وكانت انطاكية من احصن مدن الشام يحميها جبلها ونهرها العاصي وتحفُّ بها عدَّة بروج. قال العيني في كتاب عِقد الجمان يصفها في ذلك العهد (٢: انَّ دَور سور انطاكية اثنا عشر ميلًا وعدد بروجها مائة وثلاثون برجًا يعلوها اربعة وعشرون الف شُرفةٍ (اه). وكانت نصارى جميع الطوائف تقاطرت اليها لحرازتها هربًا من غزوات التاتار وغارات ملوك خوارزم وطلبًا لاسباب المعاش فيرتعون بظلّها في بحبوحة الامن والسلام.

---

١) معجم البلدان لياقوت الجزء الاول ص ٣٨٢

٢) Hist. Orientaux des Croisades I, 1 p. 228

وكانت تجارتها واسعةً يقصدها تجار العراق وما بين النهرين والشام برًّا وترسو في ميناء فُرضتها السُّويديّة المراكب ناقلة اليها بضائع الغرب وأمتعتها الفاخرة . وكان عدد نفوسها ينيف على مائة الفٍ بين فرنج وسوريين وروم وارمن ومسلمين ويهود . وكان في وسط البلد كنيسة كبيرة بُنيت في ايّام يستنيان على اسم الرسولين بطرس وبولس تُعدّ من عجائب الدنيا وهي مقام بطريرك لاتينيّ يجلس فيها على كرسيّ من الرُّخام الابيض البديع الصُّنع كُتبت عليهِ آيات الانجيل بالحرف الكوفيّ وهو اليوم محفوظٌ في البندقيّة

وكان بطاركة اليعاقبة اتخذوا لهم في انطاكية دارًا واسعةً بناها اغناطيوس الثاني سنة ١٢٣٧ بقربها كنيسة طائفتهِ الكاتدرائية على اسم الرسول الحبيب ولهم فيها ما عدا ذلك ثلاث بِيَع الواحدة مشيَّدة على ذكر السيّدة والثانية بيعة الشهيد جرجس والثالثة كنيسة برصوما . وكان للارمن رئيس اساقفة يسكن انطاكية . امّا بطريرك الروم الانطاكي فكان مقامهُ اوّلًا في القسطنطينية يتردّد من وقت الى آخر على رعيّتهِ . ولهُ في انطاكية كنيسة كاتدرائية . ولمّا كانت زلزلة سنة ١١٧٠ خربت الكنيسة وكان من جملة القتلى البطريرك نفسهُ (١ . وفي سنة ١٢٤٠ خضع البطريرك داود للحبر الروماني فسكن انطاكية

٤

فما كاد يصل اهرون واهلهُ الى انطاكية ويستقرُّ بها قرارهم حتّى اخذ ابنهُ يتردّد على علماء البلد ليجني منهم ما امكنـهُ من الآداب والمعارف وعمرهُ اذ ذاك لم يتجاوز ثمانية عشرة سنة . وكانت علومهُ تزيدهُ زهدًا في الدنيا وملذّاتها فاستأذن اباهُ بهجر العالم لينقطع الى النسك والانفراد . فخرج الى جبل بجوار انطاكية واختار لهُ هناك مغارةً تجرَّد فيها لاعمال التقوى والعبادة والشغل بالدرس . الّا انَّ صيتهُ انتشر في تلك الاصقاع وعلم بسكناهُ البطريرك اغناطيوس فاحبّ ان يزورهُ في منسكهِ وينشّطهُ في إتمام قصدهِ . وقد لمَّح ابن العبري الى هذه الزيارة في بعض قصائدهِ السريانيّة

وبقي ابن العبري ملازمًا لطريقة النسّاك سنةً فقط . ثمَّ خرج الى طرابلس الشام قاصدًا يعقوب احد مشاهير النساطرة الذي كان يدرّس فيهـا العلوم الادبيّة والرياضيّة والطبيّة فتتلمذ لهُ عاكفًا على تحصيل ما فاتهُ سابقًا من فوائدها وتعارف هناك باحد وجهاء ملّتهِ

(١ Rey : *Colonies Franques en Syrie* 325-328 te 89

اليعقوبيّة اسمهُ صليبا وَجيه بن يعقوب من اهل الرُّها. وكان كلاهما مشغوفًا بعلوم الاوَّلين يتباريان في اقتباسها كفرسي رهان ويجريان في عنانٍ فاشتغلا مدّةً على المعلم النسطوري المنوّه بذكره حتّى برعا في آدابهِ وبرّزا

فسمِع البطريرك اغناطيوس سابا ما احرزهُ الطالبان من كنوز المعارف فاستقدمهما الى انطاكية ورقّاهما كليهما درجة الاسقفية في يوم عيد الصليب سنة ١٢٤٦ وعهد الى صليبا شؤون كنيسة اليعاقبة في عكّة الّا انّهُ لم يدخلها فنُقل الى كرسي حلب وتسمّى باسيل وسيأتي ذكرهُ آنفًا (١

امّا ابن العبري فوكل اليهِ البطريرك رعاية بني ملّتهِ في جُوباس وهي مدينة صغيرة من اعمال مَلَطية. ولم يكن اذ ذاك عمر ابي الفرج يتجاوز العشرين سنة وذلك بلا ريب من غرائب الامور يناقض سُنَن الاباء الذين لم يرضوا لهذه الدرجة الّا كهولًا في تمام السنّ مزدانين بكلّ الفضائل والصفات الحسنة. الّا انّ النساطرة واليعاقبة كثيرًا ما نبذوا هذه القوانين ظهريًا وتعدّوها. وعلى كلٍّ فانَّ ترقية ابن العبري تُبيّن ما كان يبنيهِ رئيسهُ عليهِ من الآمال لخير شيعتهِ وهو في ريعان شبابهِ. وسنرى كيف حقّق الاسقف الجديد آمال بطريركهِ (ستاتي البقية)

الفيلوكسيرة او دودة الكرم *

لجناب الشاب الاديب سليم افندي اصفر

ان بعض الجرائد المحلّيّة نشرت من زمن قريب بالاستناد الى بلاغٍ اذاعتهُ نظارة الزراعة الجليلة ظهور الفيلوكسيرة في كروم حيفا. وبما ان خبرًا كهذا مشؤومًا لم يؤثر في اهل البلاد شيئًا ولم تزد اهمّيتهُ عندهم على نبإٍ اعتيادي وجب على العارفين بالداء المذكور

١) راجع التاريخ الكنسيّ لابن العبريّ الجزء الثاني ص ٦٦٧ — ٦٧٠ (ed. Lamy)

* راجعنا لكتابة هذه المقالة التآليف الآتية :

G. Foex *Cors de Viticulture* – Pierre Joigneux : *Le Livre de la Ferme* — E. Brocchi ; *Traité de Zoologie Agricole*.

الواقفين على احواله ان يُطلعوا مواطنيهم على عواقبه الوبيلة ونتائجه الوخيمة فانهُ جائحة عظمى تتهدّد الكروم بالخراب والدمار واذا لم يبادر اصحاب الاملاك فيقيموا دونهُ السدود والحواجز أُصيبوا منهُ بنكبة اشدَّ من التي اصابتهم في اواسط هذا القرن لمَّا ان شنّ داء الترْميد (Oidium) غارتهُ على الدوالي. وما ذاك الَّا لأن الوباء في هذه المرة لا يُبقي ولا يذَر ولا تحول دونهُ الوسائل الخفيفة فينبغي الاحتياط للوقاية منهُ بالوسائط الفعَّالة الناجعة. على أنهُ ما كان ليُغير على الكروم فجأةً فقد سبقهُ من الأَمارات ما دلّ على قدومه المخيف حتى تعذَّر على من لهُ اقلّ إلمام بمسائله ان لا يتنبَّه لهجومه. ولقد نشرتُ في جريدة البشير مذ خمس سنوات مقالة حذَّرت بها أصحاب الكروم من غارته واتخاذ الاهبة لدفعه هذا مع تعرّضي لأن أُرمَى بكوني نذير سوء وشرّ

وقبل البحث عن اوفق الوسائل الكافلة بازالة الفيلوكسيرة سنبحث باديء بدء في تاريخها وسرعة انتشارها في سائر الدنيا ومنهُ يُعلم بالتأكيد ان ما ابدينا من المخاوف واقع في محلهِ ونتبع ذلك بالكلام على نواميس تولُّدها وحياتها واشكالها المختلفة

١ تاريخ المرض

ان ولاية نيويرك كلَّفت عام ١٨٥٤ المستر أسا فِتْش بالبحث عن الهوامّ النافعة والضائرة للمزروعات فبينما هو يُجيل النظر في دوالي البلاد رأى غُدَدًا صغيرةً ناتئةً في الوجه السفلي من الاوراق ومنفتحة في الجزء العلوي بفوهة ضيّقة ذات زَغَب وكان في كل غدَّة حشرة صغيرة ذات مِمَصّ منغمس في نسيج الورقة. وفي عام ١٨٥٦ وصف هذه الحشرة مسميًا أياها (Pemphigus Vitifoliæ). وبعد مضيّ زمن قليل أتى بذكرها ايضًا اثنان من علماء الحشرات كلاهما من الاميركان وهما بنيامين وُلْش وشارل رايلي وعدَّاها في جملة الحشرات المضرّة. وفي عام ١٨٦٧ كشفها الدكتور هنري شِيْمِر تحت شكل مجنَّح وسمَّاها (Dactylospera Vitifoliæ) ١)

وفي اثناء ذلك ظهرت هذه الحشرة في اوربَّة ففي عام ١٨٦٣ سطت على بعض كروم بالقرب من لندن. وفي عام ١٨٦٧ الى ١٨٦٨ صالت على انكلترة وإرلاندة صولةً عظيمةً

١) J. E. Planchon : le *Phylloxéra en Europe et en Amérique* (Revue des Deux Mondes, 1er février 1874)

فانتشرت في اكثر ارجائهما. ولم تسلم فرنسة ايضاً من شرّها فظهرت فيها آثارها اوّلاً عام ١٨٦٣ في مقاطعة الغار (Gard) وعام ١٨٦٦ في مقاطعة جيرُوند بالقرب من بوردو. وما مضت مدّة يسيرة حتى كانت قد تكاثرت جدًّا بسرعة غريبة فاتلفت الكروم الواقعة ما بين البحر المتوسط والاوقيانوس

امّا في سائر جهات اوربة فقد ظهرت هذه الحشرة عام ١٨٧٢ في البرتوغال وعام ١٨٧٩ في ايطالية. وكان الداء بايطالية منحصرًا في بادئ الامر في مسافة ٢٤ هكتارًا فقط ولكن بعد مضيّ اثنتي عشرة سنة عمّ من الكروم ما بلغت مسافتهُ ١٣٦,٢٤٢ هكتارًا. واما اوسترية هنغارية والروسية واليونان وسويسرة فما كانت لتنجو من فتكات هذه الآفة التي زحفت كذلك على جزائر الغرب واكثر ارجاء العالم الجديد

وكان هجومها على الممالك الشاهانية عام ١٨٨٥ فاخذت من هذا التاريخ تزيد تقدّمًا وانتشارًا بنسبة ازدياد سرعة المواصلات في داخلية البلاد وحركة الموانى في الثغور البحريَّة وهكذا عمّت الأماكن الواقعة جنوبي الاستانة مع جزيرة ساموس والقرى التي حواليَ غاليبولي وقسم من برّ الاناضول وهكذا اوجبت الحال على هذه النواحي ان تُعنى بتجديد كرومها التالفة. وفي عام ١٨٩٥ عرفنا من الجرائد ان ازمير لم تقوَ على مغالبة هذه الآفة ففتحت ابوابها للعدوّ المنتصر

بيد ان علّة المرض لم تكن لتستقرّ منذ ظهورها في اوربّة فان بعضهم قد عَزَوْها الى فقر التربة واشاروا بتسميدها بسماد قوي وتوهّم آخرون انّ التأثيرات الجوّيَة ذات يد في تلف الدوالي وقال غيرهم غير ذلك. ولكن ما لبث المسيو بلانشون الافرنسي احد اساتذة مدرسة العلوم في مونپليه ان كشف علّة هذا الداء المخيف الذي اجتاح كروم أُوربة مُفقدًا فرنسة وحدها ايرادًا سنويًّا يقدّر بنحو مليار فرنك. وهو اوّل من عيّن طبيعة هذه الحشرة وسماها الفيلوكسرة المُتلِفة (Phylloxera Vastatrix) ووصف خصائصها ودرس اشكالها المختلفة وعرف كيفية تكاثرها وبنى على ذلك وسائط الوقاية منها

وأمّا جزع الملّاكين من اشتداد المرض تألّفت بناءً على طلب جمعية الزرّاع الافرنسيين لجنة التأمت عام ١٨٦٨ في مقاطعة ڤوكاوز وكان في جملة اعضائها بلانشون وليختنستين وهنري مارِس وساهوت وغاستون بازيل وغازاليس وجميعهم من علماء الزراعة المشهورين. فاخذوا في الحال يفحصون الكروم المريضة وكانوا يجدون أُصول الدوالي متعفّنة ولكن

دون أثر فطرٍ او حَشرةٍ فيها بيد أنّ ضربة مِعْول على جرثومة سليمة قريبــة من الدوالي المريضة أدَّتهم الى ان اكتشفوا على أُصولها غبرةً ضاربة الى الصفرة ولم تكن تلك الغبرة سوى الوف الوف من الحشَرات الصفراء التي كانت تراكَبَتْ كثيرًا حتى امكنت مشاهدتها بالعين المجرَّدة(١ . وهكذا وجدوا العدوّ الفتّاك وهو حشرة تكاد تكون غير مرئية كانت تختبي تحت الارض وتتكاثر الوفًا وربوات وتسوق التلف الى أوفر الدوالي نموًّا وغضاضة. ولم يكشف هذا العدوّ في الكروم اليابسة لانهُ لم يكن يجد فيها الشروط اللازمة لعيشتهِ فكان يهاجرها ذاهبًا في شقوق التربة الى حيث يجد قوتًا مُغذيًا ومتوفرًا

ولم يكن المسيو بلانشون قد راقب من الحشرة وقتئذٍ سوى شكلها الارضي كما ان المستر أسا فِتش في اميركة ما كان قد كشف سوى شكل واحد من اشكالها الهوائية عام ١٨٥٤. غير انهُ بالمواظبة على الاهتمام ساقهُ التوفيق الى اكتشــاف الشكل المجنَّح فاطلق عليهِ اسم فيلوكسيرة. والذي حدا بهِ لتسميتها بهذا الاسم هو مشابهتها لفيلوكسيرة السنديان (Phylloxera Quercus) وهي حشرة تعيش على اوراق البلُّوط الابيض (الملُّول) ويُعرف وجودها هناك من الصفرة التي تعلو النقطة المقروضة

ولمَّا وُجدت الحشرة انصرف اهتمام العلمــاء الى ان يعرفوا أهي من نوع الحشرة الاميركيَّة ام لا. فحرّكت النخوة المستر رايلي احد علماء الحشرات في اميركة فاتى اوربّة للغاية المذكورة خاصَّةً وبعد ان فحص الحشرة المكتشفة في العالم القديم وقابل بين اشكالها الارضيّة والهوائيَّة اثبت انها والاميركية من نوع واحد. وممَّا يؤيد قوله ظهور الفيلوكسيرة في الاماكن التي زُرعت دوالي اميركية. وكذا اذا لاحظنا نوعَي الفيلوكسيرة في فرنسة نرى ان الحشرة قد ظهرت في روكمور (في مقاطعــة الغار) وكانت قد اتَّصلت اليها من غراسٍ اميركية جُلبت من تونيل بالقرب من نارَسكونة حيثما كان المرض قد شوهد. وكذلك في مقاطعة جيروند قد ثبت ان غراسًا اميركية كانت السبب في نقل المرض اليها. اما في سويسرة فان الفلوكسيرة ظهرت اولًا بالقرب من جنيف في ارض كان المسيو دي روتشيلد قد غرس فيها دوالي اميركية. ولو شئنا ان نسرد غير هذا من الادلّة لأتينا بالكثير منهــا وكلهُ يثبت ما تقدّم بيانهُ

---

١) راجع كتاب المسيو بلانشون السابق ذكرهُ

٢ صفة الفيلوكسيرة

تختصّ الفيلوكسيرة برتبة الحشرات ذات الجناح النصفيّ المُتساوي المدعوة (Hemiptères Homoptères) (١ وهي ذات اشكال مختلفة منها ارضية ومنها هوائية فالشكل الاول يُدعى (Aptères Agames) اي الخالي من الاجنحة واعضاء التوليد

من شاء ان يرى هذه الحشرة لا يجب ان يطلبها في الدوالى اليابسة بين الآثار الصفراء التي تتركها عليها بعد انتقالها بل يجب ان يحفر بالقرب منها على جرثومة دالية لا تزال بائنة انها سليمة وحينئذٍ يشاهد على أُصولها غبرة صفراء. فاذا أتى بآلة مكبّرة رآها مؤلفة من حشرات كثيرة ذات لون اصفر وهي صغيرة جدًّا لا يزيد طولها على $\frac{٣}{٤}$ المليمتر وعرضها على $\frac{١}{٢}$ ميليمتر وجسمها مستدير من امام ورقيق من وراء ومنقسم الى اقسام ذات غُضون معترضة. فالاقسام الاولى الثلاثة فيها لجهة البطن ثلاثة ازواج من القوائم قصيرة ونحيفة. وفي رأسها عينان تحيط بهما ثلاث نقط حمراء وقرنان يتركّب كل منهما من ثلاثة مفاصل اثنان كثيفان وقصيران والثالث اطول قليلاً. وفي القسم السفلي من رأسها ممصّ تستخدمهُ لتناول غذائها وهو مركب من ثلاث وَبَرات موجودة ضمن غلاف خصوصي فتُدخِل قسماً من خرطومها هذا في قشرة الاصول وتُبقيه فيها جاذبةً اليها ما تضمَّنهُ من مائية. وكل هذه الحشرات إناث لا اجنحة لها تتوالد بلا توسط الذكور. ومتى أنشبت ممصَّها في اصل الدالية القت حولها من ٢٥ الى ٣٠ بيضة كاذبة(٢ ومدَّدت جوفها الى كل ناحية والقت من هذه البيوض رُكماً عديدة صغيرة وبعد ذلك تموت فلا تمضي ثمانية أيام حتى ينقف البيض وتخرج منهُ كائنات مكروسكوبية شبيهة في كل شيء بامّاتها. وبما انها تكون في بدء ولادتها نشيطة وخفيفةً تنتشر على اصول الدوالي وبعد ثلاثة او اربعة ايام تختار لها مقاماً فتغرز فيهِ خراطيمها ولا تتحوّل عنهُ الى ان تمتص كلّ مائيتهِ. وكلما

---

١) الحشرات ذات الجناح النصفي لها مِمَصّ واربعة أَجنحة مع بعض اختلاف في هيآتها. فتارةً يكون الجناحان الاعليان صُلبَين وهذا الجنس هو الذي أُطلق عليهِ اسم الحشرات ذات النصف جناح (Hémiptères او Hétéroptères) وتارة يكونان على شكل جلدة رقيقة (-Homo ptères) امّا الجناحان الاسفلان فهما في كلا الجنسين على هيئة جلدة رقيقة

٢) البيضة الكاذبة ما وضعتهُ الاناث دون الذكور

امتصّت كبرت وضخمت وتصوم دون ان تنتقل من مواضعها ثلاث صومات بين الواحدة والاخرى اربعة او خمسة ايام. وبعد مضيّ عشرين يومًا لنقفها تصير حشرات كاملة فتشرع تبيض وهكذا تتجدّد الامور المتقدم ذكرها مدة طويلة من السنة اي من ١٥ نيسان الى اوّل تشرين الثاني في النواحي الجنوبية



صورة مِمَصّ وقوائم وبطن الفيلوكسيرة



صورة حشرات الفيلوكسيرة لمّا تمتصّ أُصول الكرمة (مكبَّرة بالمُجْهر)

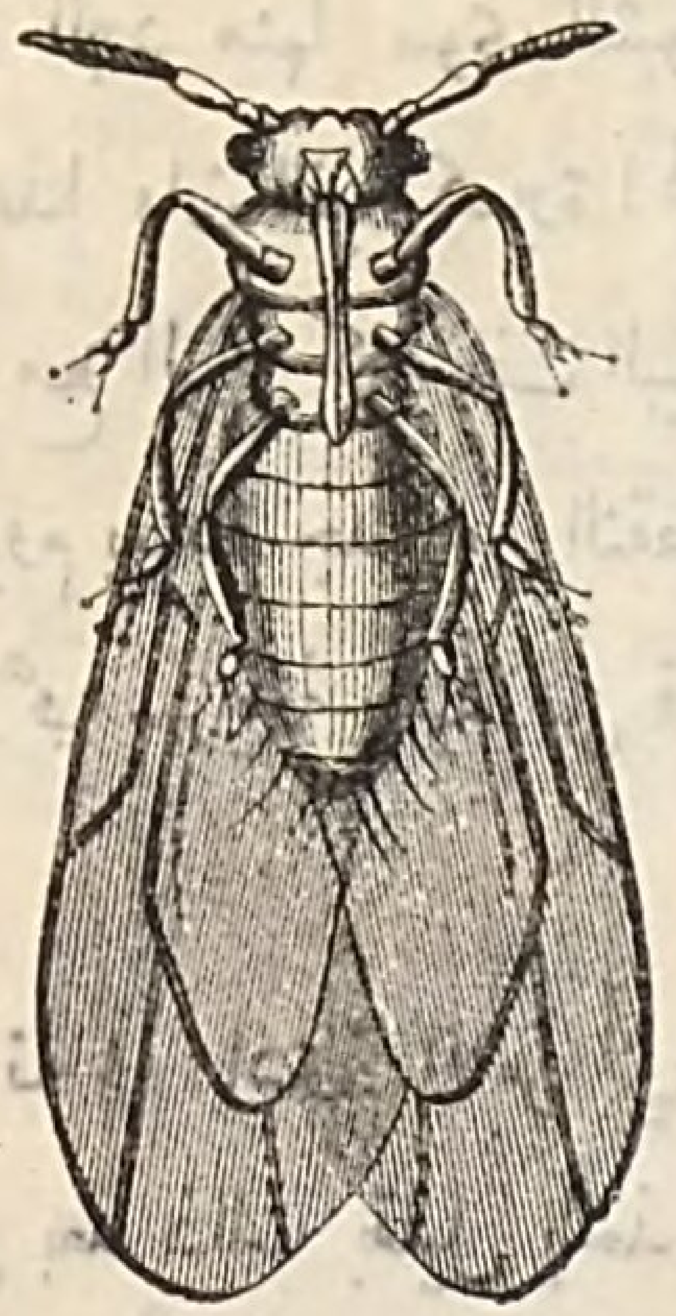
ومما مرّ يُعلم ان تكاثر هذه الحشرات سريع للغاية حتى انهُ تُقدَّر مواليد الفيلوكسيرة الواحدة في السنة بخمسة وعشرين او ثلاثين مليونًا. قال المسيو بارال(١: ان المئة بيضة من الفيلوكسيرة تستطيع في السنة ان تغطي مسافة هكتار من الارض اذا وُضعت طرفًا الى طرف وجنبًا الى جنب ولُزَّت لزًّا بعضها الى بعض

وفي شهر تشرين الثاني تموت الحشرات المتقدم ذكرها او بالحري الأُمّات البائضة. اما الناقفة منها حديثًا فانها تصرف الشتاء متعلقة باصول الدوالي وهي بحالة تخبُّل تامّ وتتخذ

(١ Barral : *Conférences sur le Philloxéra*, Paris, 1882

اذ ذاك لونًا اسمر ويظهر عليها الضعف والهزال . امّا في شهر نيسان فتستيقظ من شَتْوتها وتواصل سلسلة التوليد على ما تقدّم شرحهُ . وقد اكّد بعضهم ان هذا التكاثر يستمرّ لها متواصلًا اربع سنوات على الاقلّ

الشكل الثاني يدعى ذرًّا (Nymphes) . يُلاحظ في مدَّة الصيف من تموز الى ايلول ان بعض الحشرات الناقفة حديثًا والمتولدة عن ذات الجناح لا تصير أُمّات بائضة بل تصوم صومتين بزيادة ثم تتحوَّل الى شكل الذرّ . وهي تفترق عن البائضة بان هيأتها العمومية ارقّ وقرونها أطول وفي وسط جسمها غلافان للاجنحة بشكل زائدتين مائلتين الى السواد . ومن صفاتها النشاط والقوَّة ولا يمضي على نقفها خمسة عشر يومًا حتى تخرج من شقوق الارض ثم تصوم صومة واحدة وتتحوَّل الى حشرة ذات جناح



الفيلوكسيرة المجنَّحة

الشكل المجنَّح — ان الفيلوكسيرة المجنَّحة هي ايضًا اناث ولكنها غير كاملة بل لا يمكنها ان تصل الى درجة الكمال . وتتوالد دون توسط الذكور وجسمها اكبر من جسم الاناث الخالية من الجناح يبلغ طولها ميليمترًا ونصفًا . واجنحتها اربعة وهي غشائيَّة شفَّافة والجناحان العَلَوِيَّان عريضان في اطرافهما استدارة . اما السفليان فأَضيق واقصر وفي فمها ممصّ اقصر من ممص الحشرة غير ذات الجناح وجسمها ضارب الى الصفرة وتطير الى كل ناحية وصوب تارةً الى مسافة قصيرة وتارةً الى مسافة طويلة تبعًا لقوَّة الريح . ومتى وقعت على كرمة تلقي — كما قال بالبياني — على خمَل الورق الغضّ وقشور الدوالي وجذورها ثلاث او ستّ بيضات كاذبة بعضها كبير يبلغ طولهُ ٤٠ في المائة من المليمتر في عرض ٢٠ في المائة منهُ وبعضها اصغر طولهُ ٢٠ في المائة من المليمتر في عرض ١٣ في المائة منهُ . وتكون هذه البيوض مائلة الى الصفرة في بادئ الامر ثم انها لا تلبث ان تصير صفراء بالتمام وعنها يتولَّد شكل جديد يدعى الشكل المُتوالد (Sexuès)

الشكل المتوالد — فمن البيوض المذكورة تخرج ذكور اذا كانت صغيرة واناث اذا كانت كبيرة ولا يكون لهذه الذكور والاناث من ممصَّات فانها لا تأكل واعضاء الهضم

فيها ضئيلة وبعكس ذلك جهازها التوليدي فهو كبير ممتدّ. ويبلغ طولها ٣٨ في المائة من المليمتر وعرضها ١٥ في المائة منهُ ولونها أصفر فاتح. ولا تكاد تولد حتى تتزاوج ثم تموت الذكور بينما الاناث تبيض بيضةً وحيدة وتلقيها تحت قشور الزراجين القديمة بقرب الفروع الحديثة وتسمَّى هذه البيضة بيضة الشتاء وتنقف في الربيع عن حشرات خالية من الجناح بعضها يبحث في الحال عن اصول الدوالي فيتعلَّق بها والبعض الآخر ينساب تحت الورق فيُحدث فيهِ غُدَدًا صغيرة. ومما مرَّ يتضح ان الحشرات البَيُوض يمكن أن تتولَّد إمَّا عن بيضة حقيقية خارجة عن لقاح واماً عن بيضة كاذبة خارجة عن إناث غير مُلقَّحة

ثم ان الفيلوكسيرة ذات الجناح وكذلك الفيلوكسيرة الخالية من المماصّ والاجنحة ذكورًا كانت او اناثًا تتوارى كلها في فصل الشتاء. اماَّ الفيلوكسيرة الارضية فلا يُقاوي صبارَّةَ البرد منها سوى الشوابّ النشيطة

هذا وان الفيلوكسيرة المجنّحة هي اعظم وسيلة لسرَيان المرض وانتشارهِ. وبما انها تنتقل مع الريح كما سلف البيان فكثيرًا ما يحدث في بعض الاحوال ان تحمل العدوى الى كروم بعيدة جدًّا عن النقطة المصابة. وتوجد طريقة اخرى لانتشار المرض شديدة الخطر ايضاً وهي سريانهُ بطيئًا من قريب الى قريب تحت الارض ما بين شقوق التربة

٣ أتلاف الفيلوكسيرة

انهُ في بادئ الامر أي في السنتين الاولين لغارة الفيلوكسيرة لا يُدرى بوجودها ولكن بعد ذلك بقليل يأخذ الدواليَ الاسترخاء وتضعف أغصان الجراثيم التي هي اشدّ من سواها إصابةً وتصفرّ الاوراق وتتناثر قبل الاوان ولا يبلغ العنب تمام النضج ويشاهد على الجراثيم تضخُّم وتعقّد يُتعبان الكرمة ولا يلبث هذا التضخم ان يسوق التلف الى العروق الصغيرة فتتهرَّى واما الجراثيم الكبيرة فتسودّ وتصير اسفنجيَّة الشكل سهلة التفتُّت وهكذا تتلف الدالية من الضعف والضنى

ومَّا تحسن الاشارة اليهِ في هذا المقام الفرق الكائن بين عادة هذه الحشرة في اميركة وعادتها في سائر انحاء الدنيا فانها في العالم الجديد تتولَّد خاصةً في غُدَدٍ على اوراق الدوالي بينما انها في كل محل آخر (في اوربة والشرق وغيرهما) لا تنتشر بالتقريب الَّا على الجراثيم. وسنبين في عددٍ آخر معالجة الفيلوكسيرة ان شاء الله (ستأتي البقية)

الزلازل في سوريَّة

بيان نواميسها وسيرها

للاب هنري لامنس اليسوعي

انَّ بلادنا هذه مع ما خُصَّت بهِ من المحاسن والصفات كثيرًا ما ابتلاها الله بداهية دهياء تنغّص عيش سكّانها ألا وهي الزلازل التي من حين الى آخر تزعزع الارض الى اعماقها وتخلف بعد اجتيازها آثار العيث والخراب. فاذا ما قرأنا في كتب المؤرّخين وصف بعض هذه الزلازل ارتعدت منّا الفرائص وارتعبت القلوب واقشعرَّت الابدان وودِدنا لو نعرف لهذا الداء دواء او على الاقلّ لو نقف على نواميس الزلازل وخطَّة سيرها تلافيًا لبعض مضارّها

هذا ونأسف على انَّ اكثر المؤرخين في اوصافهم المسهبة لم يُراعوا ما يقتضيهِ العلم من التحقيق والبحث المدقّق فاستغنوا عن ذلك بتفصيل ما يقع من الامور الغريبة في ابَّان حدوث الزلازل. ولكن رغمًا عن تقصيرهم من هذا القبيل يسعنا ان نستند الى رواياتهم ونستخلص ممَّا احصوهُ من الزلازل العديدة (ولا ريب انهم ضربوا الصفح عن كثير منها) بعضَ نتائج ونواميس عامَّة تفيدنا بالخصوص ما هي الخُطَّة الَّتي تتَّبعها هذه الزلازل في مسيرها وايُّ مدن الشام هي عرضة لنَكَباتها. وقد آثرنا في اختيار موادّنا نَقْل ما رواهُ الكَتَبة الشرقيّون على غيرهم وهم ادرى ممّا سواهم باخبار بلادهم

١

انَّ قسم الثغور الشاميَّة التي تصيبـهُ الزلازل يمكن تعيينهُ بخطَّين يتوازيان مدَّة ثمَّ يجتمعان عند حلب على شكل زاوية محدَّدة. فمبدأُ الخطّ الاوَّل عند مجرى دجلة السفلي بقرب ديار بكر ثم يمرُّ بالرها (اورفة) (١ ومَنبِج وحلب وانطاكية فاذا وصل اليها مال توًّا الى الجنوب فمرّ بساحل البحر وانتهى الى عسقلان وغزَّة

والى هذا الخطّ المذكور مرجع ما رواهُ اصحاب الآثار عن عدَّة زلازل حدثت في الشرق الادنى وفي البلاد المجاورة للبحر المتوسط في السنين الآتية للمسيح: ١٣١، ٣٦٠

١) راجع تواريخ الصليبين (Hist. Orient. des Croisades I, 295 ; III, 551, 607) – وتاريخ تاوفان (Théophane 860)



Imp. Catol. Beyrouth

٣٣٣, ٣٤٠, ٣٨٧, ٤٥٨, ٤٩٤, ٥٢٩, ٥٤٣, ٥٦٠, ٥٨٠, ٥٨٩, ٧١٣, ٧٧٥, ٨٥٣,
٨٥٩, ١٠١٦, ١٠٣٣, ١٠٦٣, ١٠٦٩, ١١٠٩, ١١٢٩, ١١٥٥, ١٢٠٤, ١٢١٢, ١٣٣٩,
١٤٠٢, ١٥٤٦, ١٦٥٦, ١٧٨٣, ١٧٩٦, ١٨٢٢, ١٨٥٩, ١٨٧٢, ١٨٧٣

وربَّما ظهرت علامات الزلازل في مياه البحر فقد اخبر سترابون الجغرافيّ في اثناء ما ذكرهُ عن المعركة التي جرت في سنة ١٤٣ قبل المسيح بين اهل عكّة والقائد سَرْپيدون انَّهُ لمَّا انتهى الامر وركن جنود سرپيدون الى الفرار جاشت مياهُ البحر بين عكّة وصور وتصاعدت كما يحدث عند المدّ واغرقت من فرَّ هاربًا. ولمَّا جزَرَ البحرُ وُجدت جثثهم على سِيف البحر مختلطةً بالاسماك الميّتة. وذلك دليلٌ على انَّ ساحل فينيقية طرأت عليهِ في تلك السنة طوارئ غريبة مُجْحِفة. ولا شكَّ ان هذا الحادث جرى في سواحلنا غير مرَّة قبل ذاك العهد كما تكرَّر بعدهُ عدَّة دفَعات

ولم يَفُت كتبة الاسفار الالهيَّة ذكر الزلازل بيد انَّ التوراة اشارت اليها وألمعت فقط إلماعًا. ولا نعلم ما كان من الأثر للزلزلة التي وقعت في ساعة موت المسيح (متَّى ٢٧ : ٥١) وهل احسّ بها اهل فينيقية

ومن اشهر الزلازل التي ورد ذكرها في التاريخ وطنّت لها مسامع الاجيال هزَّةُ الارض في ايام يوستينيان الاوَّل في سنة ٥٤٣ وآثارها المرهبة الباقية حتَّى يومنا هذا تنبئنا عن ضرباتها الوبيلة حتى انَّها غيَّرت في بعض الاماكن هيئة الساحل. وذكر المؤرخ تاوفان في حوادث السنة الآنف ذكرها انَّ رأس شكّة الذي موقعهُ بين البترون وطرابلس زُجَّ في البحر وصار في مكانهِ خَوْرٌ واسع ولم تعد الطريق المارَّة في شمالي هذا الرأس مسلوكةً وصار الساحل على هيئة صخور منتصبة عموديًّا تعلو سطح البحر

ولا غرو انَّ حادثًا شبيهًا بالسابق أثَّر في صورة شواطئ فينيقيــة جمعاء فانخسفت الارض في عدَّة امكنة وساخت خصوصًا في قيسارِيَة وصور وصيداء وبيروت وجبيل والبترون. ولعلَّ ذلك هو السبب الذي يحول دون العلماء فيصدُّهم عن تعيين مدقّق لموقع صور وصيداء قديمًا. وقد نالها من صدمات الزلازل ما لم ينلهُ غيرها. وفي كلّ هذه المدن ترى عند ركود البحر مآثر جليلة وبنايا عظيمة قد غطَّتها المياه منذ قرون عديدة. ولك ان تشاهد عند مصبّ نهر الكلب آثار مقالع قديمة تغمرها اليوم مياه البحر

وكانت بدأة الاهتزاز في سنة ٥٤٣ كما في غالب الاوقات من بلاد بين النهرين ووُجهتهُ حلبُ وانطاكية منتقلًا منهما الى ساحل فينيقية حيثُ خربت من جرَّائهِ جُبيل وبيروت وصيداء وصور

وكانت اذا ذاك الدائرة على بيروت اكثر منها على بقيَّة المدن. فبقيت اجيالًا طويلة يسود عليها الخراب الَّا انّها نهضت من حالتها هذه وعادت الى ما كانت عليهِ من العمران بينما لا تزال بعدُ قريناتُها في الذلّ والخمول. وقد زارها انطونين المعروف بالشهيد بضعة سنين عقيب هذا المصاب العظيم فلم يجد فيها غير آثار الخراب والدمار وسمع من فم اسقف بيروت ما نزل بهذه المدينة من النوازل بعد ان كانت «من حواضر البلاد زاهية بالعلوم والآداب» (راجع تاريخ رحلتهِ ص ٣٠١)

وفي سنة ٨٥٣ حلّت بالسواحل الشاميَّة قوارع أُخرى. قال ابو الفرج في تاريخ الدول (ص ٢٤٨): «وفي هذه السنة كانت زلازل هائلة... بالشام وفارس وخراسان وباليمن مع خسف. وتقطَّع الجبل الاقرع وسقط في البحر فمات اهل اللاذقيّة من تلك الهدّة»

وقد اكتفى ابو الفداء بقولهِ عن زلزلة سنة ١٢٠٢ (٦٠٠ هـ). «انها عمَّت مصر والشام والجزيرة... وخربت مدينة صور». وذكر قبلهُ ابن الاثير في تاريخ زلزلة سنة ١٠١٦ (٤٠٧ هـ) انّهُ وقعت القبَّة الكبيرة على الصخرة بالبيت المقدس. وروى في تاريخ سنة ١٠٣٣ (٤٢٣ هـ) انّ زلزلة اخرى حلَّت في بيت المقدس وخربت ثلثًا من مدينة الرملة بين اورشليم والقدس وقتلت جمًّا غفيرًا (١

ومع كثرة ما حدث من الزلازل في هذا الخطّ الاوَّل لم يروِ المؤرّخون عن بوائقها الَّا شيئًا نزرًا

٢

وليس الامر كذلك بخصوص الخطّ الثاني الذي يسوغ بان ندعوهُ خطّ سوريَّة الشرقي ومبدأ هذا الخطّ في شمال سوريَّة عند عَينتاب منحدرًا انحدارًا مستقيمًا نحوَ الجنوب ويقطع عند حلب الخطّ الاوَّل ثم يجتاز في قلب الثغور الشاميَّة سائرًا في وسط وادي العاصي ووهاد بلاد البقاع الى غور الاردن. ومن كان لهُ ادنى إلمام بعلم الجيولوجية

١) وجاء ذكر هذه الزلزلة في كتابة على جامع المدينة لكنَّهُ قيل فيها انَّهُ لم يقتل احد

يلاحظ في طول هذا المسير آثارًا بركانيَّة قديمة كالموادّ التي تقذفها النيران من قلب الارض والحجارة الناريّة وخَبَث المعادن وينابيع المياه الحارَّة الكبريتيّة. واكثر ما يُرى ذلك في وادي الاردنّ وغور بحر لوط حيث التقاليد القديمة تشهد بصوت واحد مع اخبار الكتاب الكريم انَّ ثَمَّةَ حدثت في سالف الازمنة انقلابات هائلة بعثرت اركان الارض وطمست محاسنها. نعم انَّ فوَّهات البراكين قد خمدت الآن ولم تقذف منذ امد طويل بموادّها الملتهبة لكنَّ الزلازل لا تزال حتَّى اليوم تنطق بلسان حالها عمَّا يتضمَّنهُ بطن الارض من النيران المتأجّجة

وفي هذا الخطّ الثاني حلّت زلازل كثيرة نخصّ منها بالذكر التي وقعت في السنين الآتية : ٧٣٨ ,٧٤٦ ,٩٩٢ ,١١١٤ ,١١٣٨ ,١١٥٧ ,١١٧٠ ,١٣٠٢ , ١٣٠٧ , ١٦٥٩ , ١٦٦٦ ,١٧٥٩ ,١٨٣٧ ,١٨٥٤

واوّل زلزال وقفنا على وصفهِ في قدماء المؤرخين حدث في سنة ٧٣٨. قال تاوُفان المؤرخ (ص ٨٥٢): انَّ حلولهُ كان في وادي الاردنّ وفي البرّيّة الواقعة بين القدس وبحر لوط فدُمّرت لذلك اكثر اديرة تلك الانحاء

وفي سنة ١١١٤ حلّت هذه النكبة النكباء في شمالي سوريّة فاصابت مرعش وعَزاز وما جاورها من البلدان واستثنت بخلاف العادة مدينتَيْ حلب وانطاكية (١

وكان لزلزلة سنة ١١٧٠ (٥٦٧ هـ) وقعٌ سيّئ في انحاء المشرق. قال ابن الاثير في تاريخ هذه السنة: لم يرَ الناس مثلها وعمّت اكثر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والعِراق وغيرها من البلاد واشدّها كان بالشام فخرب كثيرٌ من دمشق وبعلبكّ وحمص وحماة وشيزر وبارين(٢ وحلب وغيرها وتهدّمت اسوارها وقلاعها وسقطت الدور على اهلها وهلك منهم ما يخرج عن الحدّ والاحصاء وخلّوها من اهلها. . . فاتى السلطان نور الدين مدينة حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد فانّها كانت قد اتت عليها وبلغ الرعب ممّن نجا كلّ مبلغ فكانوا لا يقدرون يأوون الى مساكنهم خوفًا من الزلزلة (اه) (٣

(ستأتي البقية)

١) راجع مجموع مؤرخي الصليبيين الشرقيّين الجزء الاول ص ٢٩٥ والجزء الثالث ص ٥٥١ و٦٠٧ ٢) ويُروى « بَعْرين » والصواب كما روينا. قال ياقوت في معجم البلدان: والعامَّة تلفظ بَعْرين ٣) راجع ايضاً ما رواهُ ابو الفداء في تاريخ السنة ذاتها

سلسلة بطاركة الطائفة المارونية

للبطريرك اسطفان الدويهي

عُني بنشرها المعلم رشيد الخوري الشرتوني

(تابع لما سبق)

وعلى موجب ما وجدنا حرَّرنا اسماء الذين يأتون بعدُ من غير تحرير السنين التي ارتسموا بها

امَّا الذين جلسوا بعد هؤلاء على كرسي انطاكية في جبل لبنان حتى مجيء الافرنج الى بلاد الشام فما ظفرنا باسم احد منهم لأنهُ بسبب طول المدى تلفت الكتب من الحروب والثلوج والحريق وتشتُّت الناس ورحيلهم من بلاد الى بلاد... ولكن وقع بيدنا كتاب كبير قديم جدًّا يتضمَّن الرتب لخدمة القدَّاس الطاهر وهو لابن عمنا الشدياق انطون أخي المطران بولس ذي الذكر الصالح وفي قرب أواخر الكتاب مكتوبة فيهِ الخدمة التي يقرأها الشمَّاس لكل يوم وفي التذكارات وهي التوبدانيات التي يقرأها الشماس بعد الصوت الوسطاني منها عندما يذكر البطاركة الذين ساسوا خراف المسيح في ولاية الكرسي الانطاكي هكذا يقول:

ܬܘܒ ܕܝܢ ܡܥܗܕܝܢܢ ܠܟܠܗܘܢ ܪܥܘܬܐ ܟܐܢܐ ܘܐܒܗܬܐ ܩܕܝܫܐ ܗܠܝܢ ܕܡܢ ܒܬܪ ܦܛܪܘܣ ܪܝܫܐ ܕܫܠܝܚܐ ܘܩܕܡܝܐ ܕܟܠܗܘܢ ܪܥܘܬܐ ܘܠܐܓܢܛܝܘܣ ܬܠܡܝܕܗ ܘܬܐܘܦܝܠܘܣ ܘܝܫܘܥ ܘܕܘܝܕ ܘܓܪܝܓܘܪܝܘܣ ܘܕܘܡܛܝܘܣ ܘܐܝܣܚܩ ܘܝܘܚܢܢ ܕܫܡܫܘ ܪܝܫܘܬ ܟܗܢܘܬܐ ܒܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܩܬܘܠܝܩܝ ܘܫܠܝܚܝܬܐ ܒܟܘܪܣܝܐ ܩܕܝܫܐ ܘܪܒܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܡܕܝܢܬܐ ܕܐܠܗܐ ܐܝܟܢܐ ܕܒܨܠܘܬܗܘܢ ܩܕܝܫܬܐ ܡܪܝܐ ܢܬܪܚܡ ܥܠܝܢ

وفي التذكار الذي يليهِ وهو اطول من الاول مكتوب هكذا:

ܬܐܘܦܝܠܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܠܐܢܛܝܘܟܝܐ ܟܢܘܫܬܐ ܐܣܛܦܢܘܣ ܡܪܝ ܡܪܩܘܣ ܘܡܪܝ ܦܛܪܝܪܟܐ ܐܘܣܒܝܘܣ ܡܪܩܘܣ ܘܐܣܛܦܢܘܣ ܐܘܣܒܝܘܣ ܡܪܝ ܓܒܪܐ ܐܘܚܕܢܐ ܡܪܝ ܡܪܝܐ ܘܡܚܝܠܝ ܘܡܪܝܡܐ ܕܒܨܠܘܬܗܘܢ ܩܕܝܫܬܐ ܡܪܝܐ ܢܬܪܚܡ ܥܠܝܢ

ومنهُ يفهم انهُ بعد تاوافان الذي كتبهُ الناسخ تاوفيلي ترأس على كرسي انطاكية هؤلاء الآباء اي غريغوريوس واسطفانوس ومرقس واوسابيوس (هنا زاد السمعاني: المدعو حوشب)

---

١) وهذه ترجمتهُ: ثمَّ نذكر ايضاً كلَّ الرُّعاة الابرار والآباء القديسين الذين (ترأَسوا) من (بعد) بطرس هامة الرُّسل واوَّل كلّ الرُّعاة: اغناطيوس تلميذهُ وتاوفيل ويشوع وداود وغريغوريوس ودوميطوس واسحق ويوحنَّا الذين خدموا مقام رئاسة الكهنوت بالكنيسة المقدَّسة الكاثوليكية والرسوليَّة في كرسيّ مدينة الله انطاكية المقدَّس والمعظَّم لكي يرحمنا الله بصلواتهم المقدَّسة

ويوحنا ويشوع وداود (١ وغريغوريوس وثاوفيلقطوس (وزاد السمعاني : وهو حبيب) ويشوع ودوميطوس واسحق ويوحنا وسمعان

وبعد هؤلاء الاربعة عشر يذكر ايضاً اربعةً آخرين وهم ارميا ويوحنا وشمعون وشمعون وهؤلاء الاربعة المذكورون في الآخر هم بلا شك موارنة وقد تولوا الكرسي الانطاكي بعد مجيء الافرنج الى بلاد الشام لان اخبارهم والسجلات البابوية المرسلة اليهم هي الآن مصونة عندنا

واما الاربعة عشر السابق ذكرهم فقد ارتبنا في مسألتهم لسببين الاول ان الرتبة التي عند اليعاقبة تشابه رتبتنا والثاني أن جماعتنا لا يسمّون اولادهم باسم يسوع لاجل احترام الذي خلصنا وحدهُ بدمهِ الكريم. فازالةً لهذا الشكّ اجتهدنا في استجلاب سلسلة البطاركة التي تخص اليعاقبة من كنائسهم في حلب والشام فما وجدنا لهؤلاء الاربعة عشر ذكرًا عندهم فجزمنا انهم بطاركة الملّة المارونية وان لفظة يشوع المحررة باللغة السريانيـة ما هي الّا ترجمة عيسى لان كثيرين من جماعتنا يتلقّبون باسم عيسى وايضاً باسم يشوع

ولّما قدمت جيوش الافرنج الى هذه البلدان وحلّوا في انطاكية وبيت المقدس اقاموا لهم سنة ١١٠٠ كما تخبر التواريخ بطركًا ومَلِكًا على بيت المقدس وارسلوا البشائر الى بابا رومية وملوك النصارى

ويذكر ابن القلاعي في الرسالة التي انفذها الى البطريرك شمعون الحدثي سنة ١٤٥٤ ان البطرك يوسف الجرجسي كان قاطنًا في قرية يانوح وان قصّـاده وصلوا الى رومية مع قصاد الملك جوفرادو وانهُ قبل التاج والعصا من صاحب الكرسي الروماني مع التثبيت (٢

١) قد سقط في الاصل السرياني والعربي اسم «يشوع وداود» غير انني اثبتّهما اولًا طبقًا لما ورد في المجمع اللبناني الذي أخذ آباؤهُ هذه السلسلة بلا شك عن نسخة صحيحة للدويهي وثانيًا لان الديهي يعدّهم بعيد هذا اربعة عشر وعليهِ لم يكن بدٌّ من القول بان الاسمين المذكورين سقطا سهوًا من الناسخ

٢) شهد المؤلف نفسه في مواضع عديدة من تآليفه ان جواب البابا اوربانوس الثاني الى البطريرك يوسف الجرجسي كان في ايّامه محفوظًا في دير سيدة قنوبين كما كان محفوظًا ايضًا جواب البابا زخيا الثالث الى ارميا العمشيتي (Appendix Bullarii S. Congr. de Prop. Fide. I, 1) واوجانوس الرابع الى يوحنا الجاجي وقاليسطوس الثالث الى يعقوب الحدثي ولاون العاشر الى شمعون بن حسان . . الخ

وسنة ١١٢١ كان الجالس على الكرسي البطرك بطرس وكان قاطنًا يومئذٍ في دير سيدة ميفوق كما نراهُ محرّرًا في كتاب البار يعقوب السروجي في آخر الميمر الثامن والستين للصلبوت على يد القس سمعان الذي نسخهُ بخط اسطرنجلي على هذه الصفة:

ܐܢܐ ܡܣܟܝܢܐ ܫܡܥܘܢ ܫܡܐ ܕܝܪܝܐ ܕܟܬܒܬ ܗܠܝܢ ܣܛܪ̈ܐ ܒܟܬܒܐ ܗܢܐ ܠܘܬ ܐܒܘܢ ܛܘܒܢܐ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܝܠܢ ܡܪܝ ܦܛܪܘܣ ܕܡܪܘܢܝܐ ܕܥܡܪ ܒܕܝܪܐ ܕܒܪܝܟܬܐ ܘܡܪܬܢ ܡܪܝܡ ܕܡܝܦܘܩ ܒܢܚܠܐ ܕܐܝܠܝܓ ܒܐܪܥܐ ܕܒܬܪܘܢ ܟܕ ܝܗܒ ܠܝ ܦܘܩܕܢܐ ܕܐܗܘܐ ܪܝܫܐ ܘܡܕܒܪܢܐ ܒܕܝܪܐ ܕܡܪܝ ܝܘܚܢܢ ܕܟܘܙܒܢܕ ܒܓܙܪܬܐ ܕܩܘܦܪܘܣ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܐܪܒܥܡܐܐ ܘܬܪܬܝܢ ܘܬܠܬܝܢ ܕܝܘܢܝ̈ܐ (١

وبعد هذا جلس غريغوريوس من حالات من عمل جبيل وهذا على موجب قول ابن القلاعي في رسالته الى البطرك شمعون سيّر اليهِ البابا زخيا الثاني الذي صُيّر سنة ١١٣٠ الكردينالَ غليلموس. ثم عقبهُ يعقوب من رامات من بلاد البترون على ما كتب بخط يده في كتاب مار يعقوب السروجي المُصَان عندنا في قنّوبين في نصف الميمر الخامس والستين لتقديس الميرون هكذا. «لمَّا كان تاريخ سنة ١٤٥٢ لليونان في شهر تموز المبارك في عشرة ايَّام مضت منهُ حضر اليَّ أنَا بطرس بطرك الموارنة الجالس على الكرسي الانطاكي باسم يعقوب من قرية رامات من عمل البترون الولد الراهب دانيال من رهبان دير مار كفتون وقد اعطيتهُ سلطانًا من الله ومن حقارتي بان يكون رئيسًا ومدبرًا على دير مار يوحنَّا الكوزبَند في جزيرة قبرس المحروسة»

وبعد البطريرك المذكور ملك الكرسي يوحنا اللحفدي من بلد جبيل وهو رجل ذو مكارم وفصاحة كما هو واضح من النافور الذي باسمه (٢. وتخبر عنهُ التواريخ القديمة انهُ اتَّخذ سكناهُ في دير مار الياس بقرية لحفد وسام اربعة مطارنة لانجاده في سياسة الشعب فسكن احدهم في دير مار حوشب والثاني في دير مار سمعان والثالث في دير مار اليشع والرابع في دير السيدة من القرية المذكورة. وانَّهُ لمَّا كان عيد العنصرة حضر اليهِ شعب كثير مع

وقال في كتابه تاريخ الازمنة ان الموارنة في الجبل اخذوا منذ سنة ١١١٢ يدقون نواقيس من نحاس على طريقة الكنيسة الرومانية. وقال ابن القلاعي انهم قبل ذلك ما كانوا يدقون للصلاة الا الاعواد مثل الروم

١) وهذه ترجمتهُ: انا الحقير شمعون الراهب اسمًا كتبت هذه الاسطر في هذا الكتاب عند ابينا الطوباوي بطريركنا مار بطرس المارونيّ الساكن في دير البارَّة السيدة مريم في ميفوق في وادي ايليج في ارض البترون الى ان اعطاني امرًا بان اكون رئيسًا ومدبرًا في دير مار يوحنَّا الكوزبَند في جزيرة قبرس في سنة الف واربعمائة واثنتين وثلاثين لليونان (١١٢٠ م)

٢) وبدء نافوره ܐܠܗܐ ܗܘ ܩܕܝܫܐ ܕܟܠ اي ايها الاله القدوس في الكل

شمامسة وكهنة ورهبان ورؤساء كهنة فانتقل من ديرهِ الى دير السيدة التي فوق هابيل وهو موضع معطاش فما زال يشرب من مياه البواليع حتى بنى فيهِ بئرًا وانشأ ديرًا جليلًا . وتذكر التواريخ القديمة والرسالة التي كتبها ابن القلاعي جبرائيل الى القس جرجس بن بشارة في الفصل الحادي عشر انَّ دير هابيل المذكور استمرَّ كرسيًا لبطاركة بني مارون الى حياة البطريرك ارميا الَّا اننا نحن ما اهتدينا الى معرفة البطاركة الذين اقاموا فيهِ حتى نثبت ههنا اسماءهم

واما البطريرك ارميا فانهُ جلس بعد هؤلاء سنة ١٢٠٩ وكان منشأهُ من قرية عَمْشيت التي في عمل بلاد جبيل وكان رجلًا بارًا ذا غيرة جزيلة فجعل مقامهُ في قرية يانوح ودخل الى رومية بنفسهِ وحضر المجمع الذي انعقد بلاتران في ايام البابا زخيا الثالث . وفي سنة ١٢١٥ رجع الى دير سيدة يانوح ومعهُ كتابة تتضمَّن العفو العام من قداسة البابا الى جماعته عما يخص الروح والجسد (١

وفي سنة ١٢٣٠ انتقل الى رحمة الله في دير سيدة ميفوق فعقبهُ البطريرك دانيال من شامات التابعة بلاد جبيل فسكن اولًا في كفيفان ثم في دير مار قوفريان ثم في كفرحي في دير مارون وكان ذلك سنة ١٥٤١ كما يذكر يوحنَّا بن يعقوب البشراوي . وقد ذكر في الفِنقيط الذي حظينا بهِ في كنيسة مار سابا في قرية بشراي بخط يوحنا المذكور انهُ في سنة ١٥٤٧ لليونان كان قاطنًا في دير مار جرجس الكفر من عمل جبيل

وخلف هذا البطريركُ يوحنَّا على موجب سلسلة البطاركة التي ذكرناها بدءًا انهُ بين ارميا وشمعون توسَّط البطريرك يوحنا . واما شمعون فقد ذكرهُ الياس من معاد في خاتمة الحاش الذي نسخهُ بخط اسطرنجلي في سنة ١٢٤٥ قائلًا « انهُ كان النجاز منهُ في ايَّام

١) اثبت المؤلف نفسهُ نص هذه الرسالة في ص ٣٦١ من كتاب تاريخ الطائفة المارونية . وقد أمر في هذه الرسالة احبار الامة المارونية ان يلبسوا الثياب والحلل الموافقة لثياب وحلل اللاتين وان يجتهدوا في التقرب من الكنيسة الرومانية في كل شيء وقال في الصفحة ٣٧٣ ان قداسة البابا أمر بنقش صورة البطريرك ارميا في هيكل مار بطرس برومية وقد دامت الى زمانهِ اي زمان المؤلف ولما اعتراها التغيير بتمادي الزمان أمر بتجديدها البابا زخيا الثالث عشر سنة ١٦٥٥ على ما كانت اولًا وكانت تلك الصورة ذكرًا لوقوف القربان بين يديهِ بمعجزة بينما كان يقيم القداس بحضرة البابا على هيكل القديس بطرس

ساداتنا البطرك شمعون صاحب الكرسي الممدوح مدينة الله انطاكية. والمطران سمعان بجبل لبنان في سنة ١٥٥٦ لليونان»

وبعد ذلك بعشر سنوات وردهُ الى دير يانوح مكتوب من البابا اسكندر الرابع على شبه ذاك الذي أرسلهُ البابا زخيا الثالث الى البطريرك ارميا ونسختهُ منصانة عندنا الى يومنا هذا في دير قنوبين. وفي القنقيط الصيفي الذي وقع بيدنا في دير مار سابا بشراي محرر فيهِ انهُ في سنة ١٢٧٧ كان بعدُ حيًّا

وبعد هذا التحرير ما وجدنا لهُ خبرًا ولا علمنا بمن خلفهُ الَّا انهُ لما تجدَّد دير سيدة ميفوق سنة ١٢٧٧ هكذا حرّروا في الصخر على حائطهِ الغربي :

ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܚܡܫܡܐܐ ܘܬܡܢܝܢ ܘܬܪܬܝܢ ܕܝܘܢܝܐ ܫܠܡ ܝܥܩܘܒ ܗܢܐ ܗܝܟܠܐ
ܕܝܠܕܬ ܐܠܗܐ ܡܪܝܡ

اي انهُ في سنة الف وخمس مائة وثمان وثمانين لليونان تمم يعقوب هذا هيكل والدة الله مريم. فمن يكون هذا يعقوب الـذي جدَّدهُ وتكنى بهِ لا نستطيع أن نقول الا انهُ كان بطريركاً لانهُ قبل هذا التجديد وبعدهُ كان هذا الدير مأوًى للبطاركة وقيل انهُ اندفن فيهِ سبعة بطاركة

ثم تولَّى البطركية دانيال من قرية حَدْشيت التابعة بشرَّاي. وفي سنة ١٢٨٠ جاءهُ مكتوب التثبيت من البـابا نقولا الثالث مع الامر بان الميرون يصير من زيت الزيتون ومن دهن البلسم لاغير حسبما حرر القس حنًّا الراهب من قرية حجولا في نهاية الكتـاب عن تقديس الميرون هكذا. «وكان النجاز منهُ في سنة ١٥٩٢ لليونان في ايَّام الاب المختار البطرك دانيال من قرية حدشيت» وصورتهُ الى الآن تبين في القرية المذكورة في كنيسة مار رومانوس (١

١) ان ايصاء الاحبار الاعظمين للموارنة بصنع الميرون من الزيت والبلسم فقط يرتقي الى البابا زخيا الثالث في رسالته التي انفذها الى البطريرك ارميا العمشيتي سنة ١٢١٥. وقد فعل مثلهُ ايضاً البابا نقولا الثالث الى البطريرك دانيال الحدشيتي ثم لاون العاشر في رسالتـه الى البطريرك شمعون عام ١٥١٥ ويظهر من رسالة البابا لاون ان البطريرك ارميا كان قد قبل بما أوصاهُ بهِ الكرسي الرسولي ولعلَّهُ تمكن من انفـاذه في زمانه غير ان الموارنة رجعوا بعد ذلك الى عادتهم القديمة كما يتضح من رسالة البابا المشار اليهِ ومن الرسالة التي انفذها الى قداسته قبل ذاك بسنة البطريرك شمعون وفيها يقول بايضاح ان تقديس الميرون ما زال جارياً على العادة القديمـة. وكذلك يشهد البطريرك ميخائيل في المكتوب الذي أرسله سنة ١٥٧٨ الى غريغوريوس الثالث

وسنة ١٢٨٣ سار سيف الدين قلاون في عسكر الاسلام الى افتتاح جبّة بشرّاي فملكها بالسيف واشتغلت قلوب اهلها في الحرب والخسائر فتغلب لوقا من بنهران التي في ذيل الجبة على البطركية بعد دانيال. ثم قام بعدهُ شمعون على ما يذكر الشمّاس سابا بن سليمان ابن الخوري جرجس من قنات في تحرير الانجيل الذي في سنة ١٣٢٢ نسخهُ على رقّ بخط اسطرنجلي وهو الى الآن باقٍ في قرية عينطورين في دير مار ميخائيل شارياً قائلًا: « ان كان نجازه في ايام البطرك شمعون الجالس على كرسي انطاكية وبطرس مطران بشراي سنة ١٦٣٣ لليونان »: وكذلك القس يعقوب رئيس دير مورت مورا باهدن يذكر في آخر الانجيل الذي في كنيسة بجّة في بلاد جبيل انهُ كان الفراغ منهُ سنة ١٣٣٩ في ايام البطرك شمعون وبطرس مطران اهدن

وبعد البطرك شمعون جلس يوحنا حسبما رأيناه محررًا في كتاب كنيسة مار سركيس حدشيت حيث يقال هكذا:

ܫܠܡ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܬܠܬܡܐܐ ܘܚܡܫܝܢ ܘܫܒܥ ܕܡܫܝܚܐ ܒܝܘܡܝ ܝܘܚܢܢ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܕܛܘܪܐ ܕܠܒܢܢ ܘܣܦܪܐ ܕܝܡܐ ܘܝܘܚܢܢ ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܕܩܘܦܪܘܣ

اي كمل سنة الف وثلاثمائة وسبع وخمسين مسيحية في ايام يوحنا بطريرك انطاكية وجبل لبنان والشطوط البحرية ويوحنا اسقف قبرس (ستأتي البقية)

عشر انهُ قدّس الميرون بحسب عادة اهل البلاد. على ان تمنّع البطاركة عن العمل بموجب وصية الاحبار الاعظمين لم يكن منهم توانياً او مخالفة بل لما هناك من الصعوبة في وجود البلسم لتقديسهِ كلّ سنة واذا تسهّل وجوده فما كانوا ليوقدوا العتيق ويلقوا الشكوك بين جماعتهم وسائر الطوائف

والحاصل ان الملّة المارونية ما زالت تعمل بموجب الطقس القديم في صنع الميرون (وكذا في توزيعه على يد الكهنة) حتّى عاد الى لبنان تلاميذ المدرسة الرومانية

امّا الميرون بحسب عادة الكنيسة الشرقية القديمة فانهُ كان يُركّب من اثني عشر صنفاً كما كتب البطرك شمعون الى لاون العاشر قائلًا:

« تأخذ زيتاً بكرًا ستة ارطال. ومسكاً خالصاً اربعة مثاقيل. وطيباً ممسّكاً فاخرًا مثقالين. وزعفراناً شعرياً جنوياً عشرة مثاقيل. وسطرخ (ميعة) ثمانية مثاقيل. وسنبل الطيب خمسة عشر مثقالًا. ودارصيني عشرين مثقالًا. وسليخة ثمانية مثاقيل. ومصطكى خمسة عشر مثقالًا. ولباناً ابيض سبعة عشر مثقالًا. ووردًا مصرياً ثمانية عشر مثقالًا. وعِرْق الكهنة تسعة مثاقيل. ودهن البلسم ٢١ مثقالًا ».

والمراد بهذه الاثني عشر صنفاً الاشارة الى اثمار الروح القدس الاثنتي عشرة بحسب ما ذكرها الرسول لاهل غلاطية. انتهى ملخصاً عن الجزء الرابع من رد الحجج للمؤلف نفسه وقد اتحفني بهِ حضرة الاب الجليل الخوري يوسف العَلَم النائب الاسقفي في بيروت

كيف يَضْمُر السِمان

للدكتور فيليب افندي بركات

قرأ صديق لي سمين حقيقةً طبيّةً زدتهُ بها تأكيدًا وهي : « اكثر السِمان الضخام الاجسام النَهمين في تناول الطعام يموتون فجأةً » فخاف وسألني تعليل ذلك فأجبتهُ مختصرًا انهُ يصيب الجسم ما تُسمّيه الاطبَّاء الحؤول الدهني فيعجز القلب خصوصاً عن وظيفتهِ القائمة بدفع الدم لسائر الجسم فيموت السمين . قال : وكيف اصير ضامرًا . قلتُ : بالعلاج . فعالجتهُ مدَّةً حتى عاد كما اشتهى طاويًا مخصَرًا شاكرًا معافًى

واليك الآن مقالة كتبتها للسمين ليضعف وللضعيف ليسمن متى عرف كلاهما اسباب السِمن والهُزال . وانَّما على الفريقين استشارة الطبيب ما أمكن فحكمتهُ مفضّلة وهي تهدي سواء السبيل

اسباب السِمن

اكثرها ناتج عن امزجة الانسان فمنها المزاج النِقرسي الذي يعيق التغذية الجسميَّة . وهذه علامات صاحبه في حالة الصحة الصلَع العاجل والوجه الاحمر والعرَق الغزير والقابلية الجيّدة للطعام . وفي حالة المرض تعرّضهُ طفلًا للامراض الجلديَّة والرشح والخُناق والالتهابات الشعبيَّة ويُصيبهُ يافعًا الرَّبو والصُداع والرُّعاف وان شبَّ تتَّضح فيهِ الامراض المذكورة ويزيد فيهِ التعرُّض لداء المفاصل والحصى والبول السكَّريّ والبواسير والحِكّة وقبض البطن واذا شاخ اصبح مستعدًّا للموت من امراضٍ عضويّة عضَّالة ناتجة عن تصلُّب الاقنية الدمويّة

ومن اسباب السِمَن الوراثة الابويّة او العائليَّة والنَّهم في تناول الطعام والاعتماد على الدهني والسكَّري منهُ وعسر الهضم وشرب البيرة والكحول وكثرة النوم والقعود وقلَّة المشي والحركة والفقر الدموي والانتقال الفجائي من الشغل المفرط الى البطالة . والنساء يَسْمنَّ بعد الولادة وانقطاع الطمث . وكل الاسباب المذكورة آنفًا تكثّر الدهن وتمنع تأكسُدهُ فيبقى في الجسم ويُخزن في كريّات نسيجهِ واذا لم تُكثّر الدهن فانها تضعِف قوّة التأكسد فينتج عن ذلك اكتناز الدهن وربما اجتمع السببان معًا فيتفاقم الدهن وتميل الانسجة اليهِ وتتحوّل بعض الابنية الى مادَّتهِ كما يحصل في الحؤول الدهني في القلب والشرايين . وهذا

يعرض للامراض المختلفة لان القلب والاوعية الدموية والدماغية خصوصاً تفقد قوتها العضلية وتصبح عرضةً للانفجار وحصول السَّكْتة المخيّة والقلبية وبالتالي الموت الفجائي وقانا الله منهُ

العلاج

يقسم العلاج الى صحّي ودوائي وعلى الاول الاعتماد الاكبر وفيهِ وصايا. منها:

١ً تقليل الطعام الدهني ما امكن وان اوجب الحال لمناولتهِ فيجب تسهيل تأكسُدهِ اي احراقه بالحركة

٢ً تقليل الشرب والمشروبات والمأكولات السائلة كالحُساء (الشوربة) والحليب والشاي الخ

٣ً اخذ المسهلات الخفيفة بعض الاحيان

٤ً كثرة المشي والحركة. انما في هذه الوصيّة وفي تقليل المشروبات نظرٌ يحكم فيهِ الطبيب عند الحاجة ببعض الراحة لمن كان مسنًّا او مصابًا بمرض تصلّب الشريانات

٥ً ان اكل الاثمار المحتوية على الحوامض النباتية كالاجاص والتفّاح والبرتقال ممدوح في تضمير السمين بسبب البوتاس الذي يهيّج حركة فعل الهضم. واكل السَّلاطة وفيها الخلّ والشرب من الخلّ قليلًا مشكور ايضًا للسبب نفسه انما على السمين التروّي في ذلك وعدم الافراط. وعليهِ ايضًا ان يتحمَّم بالماء السخن فانّهُ يعرّقهُ ويقلّل من دهنهِ وبالتالي يذيبهُ والماء البارد في البحر او غيره نافع ايضًا بسبب الحركة المتوجبة فيهِ ونشاط الشهيّة الذي يعقبهُ

٦ً امَّا الطبيب فينظر لوظيفة الكبد الذي منهُ تتصرّف الادهان فيسهّل لهُ طريقها بالمياه المعدنية المالحة المسهلة وينظر لفعل الهضم ويهيجه ليزيد التأكسد في الموادّ الدهنية بواسطة القلويات واملاح البوتاس والسودا. ويصف بعدها الحركة والمشي لمَّا يكون السمين صائمًا ليحرق ما فيهِ من بقايا الدهن. وقد عيّن (بوشار) الفرنسي كمّية الاكل للسمين فاصاب فيها النجاح فانَّهُ يصف للسمين الاكل في اليوم الواحد اقَّة حليب وخمس بيضات فقط وذلك مدَّة ثلاثة اسابيع ولئلا يصيبهُ اعتقال البطن يصف لهُ بعض المُسْهلات الخفيفة او الحقن الملينة وقد وَزَنَ السمين بعد ثلاثة اسابيع من المعالجة المذكورة فوجد انّهُ نقص سبعة كيلوات. امَّا السبب في النقص المذكور فناتج عن اغتذاء السمين من جسمه ولذلك على

الحكيم ان يصف ما ذكرنا للشبان الاقوياء الحديثين في السمن لا للمسنين ذوي اللحم الرخو

العلاج الدوائي

لا ثقة تامة في مفعوله انما قد جرب الاطباء القلويات لانها تهيّج فعل الهضم وبالتالي تحرق الموادّ الدهنية المخزونة في النسيج الخلوي انما كثرة استعمالها تصبح عادةً مضرّة او لا غنى عنها او تصابُ بالكلل في مفعولها . وقد امتحن غيرهم اليودُور ونال بعض النجاح لانَّ من مفعولهِ تحويل القوَّة المُغذية لكنَّ كثيرًا من المرضى لا يطيقون استعمالهُ رغمًا عن منافعهِ وربما اصاب بعضهم الزكام او النزلات الصدرية او البقع الجلدية . وقد استنكف منهُ بعض السِمان لانهُ يوصف ايضًا للمصابين بالداء الزُهري

وقد يوصف منقوع او شراب بعض الحشائش البحريَّة ولا اعلم طبيبًا افاد عن نتائج العلاج بها فنشر تقريرًا يعوَّل عليهِ

امَّا تنقية الجسم بالمسهلات المالحة فواسطة حسنة ذكرناها . انما نوصي بالاعتدال لمن اتَّبعها خوف الكِتام من بعدها وغير اضرار لا يسعنا المقام لذكرها . والجبَّار الهندي نبات نافع لانهُ يعرّق ويدرّ البول فيخفّف من ثقل الجسم لكنَّهُ يضعف القُوَى

وقد اهتمّ الافرنج بعلاج التضمير بالمجاري الكهربائية وأعلنت جرائدهم عن ادوية مجهولة مقاومة للسمن منها دواء روسّل فهو مشهود لهُ بجودة المنفعة من مهرَة الاطبَّاء ومجرّب من كثيرين فلا بأس من تجربته

امَّا المياه المعدنيّة فوسائط نافعة وقوية جدًّا انما لا يرسل الطبيب لتلك المياه مَن كان فيهِ مرَض او خلل في وظائف القلب وانَّا ننصح السمان ذوي اليسار السفر لاوربَّة فتهزل اجسامهم (وان هزلت اكياسهم) ومن المياه المشهورة كارلسباد (Carlsbad) ومارينباد (Marienbad) في النمسة . وفي فرنسة اشتهرت مياه كثيرة منها مياه ڤيشي (Vichy) وشاتيل كويون (Chatel-Guyon) . وفي فلسطين مياه البحر الميت اشهر من ان تذكر وتفعل جميع المياه المذكورة باملاحها او درجة حرارتها او جودة هواء موقعها وفيهـا من الموادّ ما يسهل ويدرّ البول ويعرّق وهذا جلّ المقصود في معالجة السمين

هذا وان شئتَ الآن ايها المضمَّر المخصَّر ان تكون سمينًا فاجرِ بعكس ما اوصينا بهِ السمين فتنال ما انت راغب فيهِ باذن الله . انما في كل ما ذكرنا حكمةُ الطبيب مفضلة واياك والتناهي لانَّ حبُّ التناهي غلطُ خيرُ الامور الوسطُ

نظرٌ في ترقّي العلوم

في الربع الاوّل من السنة الجارية

للاب غدفريد زُموفن اليسوعي مدرّس الطبيعيّات في كليّة القديس يوسف

١ علم الهيئة

١ (خسوف القمر) قد خُسف القمر في عشاء اليوم السابع من كانون الثاني وكان الخسوف جزئيًا ضعيفًا لم يَخف من جرم القمر الّا نحو سُبعِهِ. ولم يجرِ في اثناء ذلك شيء جدير بالذكر

٢ (كسوف الشمس) في ضُحى اليوم ٢٢ من كانون الثاني كُسفت الشمس كسوفًا تامًا في الهند وجزئيًا في الصين وافريقية. وكانت أُرسلت الى الهند بعثةٌ علميَّة لمراقبة هذه الظاهرة الفلكيَّة. وكانت السماء صافية الاديم في اغلب المنازل التي رصد بها العلماء. وقد عادوا الآن الى اوربّة واخذوا في مراجعة اعمالهم وتحقيق أقيستهم ولا يلبثون ان يعرضوها على بعضها للمناظرة والتحرّي ثمَّ يشهرون نتائجها في المجلاَّت العلميَّة. ولا ريب انّ هذه الرصود المتعدّدة تؤدي الى اكتشافات مُهمَّة عمَّا لا يزال غامضًا من امور الشمس وتركيبها العجيب. ومما يُخبر انّ الطيور في ساعة الكسوف اخذت تغرّد في الاغصان كما تفعل عند العشاء مع انّ ظلّ القمر على الارض كان خفيفًا بسبب صفاء الجوّ. ولم يؤثر الكسوف في ميزان الهواء تأثيرًا يُذكر. امَّا ميزان الحرارة فكان صعودهُ أبطأ من جري العادة الى ساعة تمام الكسوف ثم هبط وشيكًا نحو ثلاثة سنتيمترات ولعلَّ هذا الهبوط كان سببهُ الريح لا كسوف الشمس. وكان ميزان آخر قد جُعل في الشمس لقياس حرارة اشعَّتها فتأَثَّر تأَثرًا عظيمًا ولم يزل يتصاعد الى بعد ابتداء الكسوف فاخذ من ثمَّ يهبط بسرعة نامية الى بعد تمامهِ

٣ (سيَّارات جديدة) قد اكتشف العلاَّمة الفلكي شارلوهْ ثلاث سيّارات جديدة من الصغار اثنتان منها بحجم السيَّارات التي تُعدّ من الكبر الثاني عشر امَّا الثالثة فهي من ذوات الكبر الثالث عشر. فيبلغ بذلك عدد السيَّارات الدائرة بين فلكَي المرّيخ والمشتري ٤٣٢ سيَّارة

٤ (بحور المرّيخ) كان يرتئي الفلكيُّون انّ ما يُشاهد بالمُجهر من الكلف في جرم

المرّيخ انمّا هي أَحواض رحبة او بحور. وقد عاكس مؤخَّرًا هذا الرأيَ بعضُ العلماء منهم فيليپس احد معلّمي كلّيَّة أُكسفرد والمعلّمان شياپارلّي وتَيلُور. وسبب مخالفتهم للزعم القديم انَّ بحور المرّيخ لو وُجدت لَعكست نور الشمس الى الارض وتمكّنّا هكذا من رؤيتها كنجم من نجوم الكبر الثالث. ولا يصدُّ اضطراب هذه البحور من نظرها ولو ضَعُف نورها قليلًا. فلمَّا لم نرَ ضوء الشمس معكوسًا اقتضى عدم وجود هذه البحور

٢ علم الآثار الجوّيَّة

١ (إعصار في اميركة) قد اصاب مدينة «فُرْت سميث» من اعمال الأَركنساس اعصار هائل حلَّ بها على فجْأَة في ليلة الحادي عشر الى الثاني عشر من كانون الثاني. فبعد ان خرب الزعزاع قسمًا كبيرًا من المدينة اخذ يسير الى الشرق مُثيرًا في قلوب الاهلين الرُّعب والهلع ومُجتاحًا لكلّ العمائر. وهطلت في اثناء ذلك الامطار مدرارةً على بُرْت سميث فزادت القومَ خوفًا فخرجوا من ديارهم عُراة متسكّعين في الظلام لينجوا من تداعي الجُدران

٢ (الجَذب في اوربَّة) بُليت اوربَّة الغربيَّة لا سيما سويسرة وبلجكة منذ الخريف الى شهر كانون الثاني بجَدْب عظيم لم يُعْهَد لهُ بمثيل. وكانت كمّيَّة المياه الهاطلة اقلّ من السنين السابقة بكثير وقد تناقصت لذلك مجاري الانهار وهبط سطح مياه البُحيرات

٣ (الامطار في روسيّة) وبعكس ذلك قد همَت الامطار في روسيّة وانصبَّت عليها انصبابًا وقد بلغت كمّيَّة المياه في يوم واحد في جهة الجنوب الغربي دِسيمترًا بل انافت على ذلك. وفي بعض الهَمَرات صعد ميزان المطر في الدقيقة الواحدة ملّمترًا و٩ اجزاء الميلّمتر. وذلك من غرائب الوقائع في روسية

٤ (مِنطاد السَّبر) كان الطبيعيُّون قبلًا لرصد الآثار الجوّيّة يركبون المناطيد فيحلّقون في الطبقات العليا من الجوّ ومعهم الآلات اللازمة لذلك. لكنَّ الانسان لا يستطيع ان يتجاوز علوّ ثمانية الى عشرة كيلومترات دون ان يخاطر بحياته لتخلخُل الهواء. امَّا اليوم فقد حول العلماء رصد هذه الطبقات المرتفعة بواسطة مناطيد للسَّبر (ballons-sonds) وهي مناطيد خالية من الركَّاب تُنفخ بغاز الهيدروجين وتُلقى في الجوّ فتتصاعد من نفسها وهي خفيفة ومقاديرها اقلّ من المناطيد العاديَّة بكثير فيمكنها ان ترتفع الى ١٨ او ٢٠ كيلومترًا

وفي اسفل المنطاد تُجعل قفّة من قضبان الصفصاف المتخلّلة تحتوي آلات الرصد الراقمة وهي موازين الثقل والحرارة والتبخير وكلُّها في جهاز واحد من الالومينيوم لا يتجاوز ثقلها ١٢٠٠ غرامًا ومعها حُقّة تنفتح وتغلق من ذاتها وغايتها استجلاب كمّية من الهواء الاعلى لتحليلهِ وهذه الحقّة تسع خمسة او ستة ليترات يُفرّغ منها الهواء بالآلة المفرّغة. فاذا بلغ المنطاد معظم ارتفاعهِ انفتحت الحقّة هُنيهةً ثم تنطبق على ما دخلها من هواء هذه الطبقة. ثمَّ يُلقى هذا المنطاد مع ما فيهِ من الأدوات المحكمة الوَضع المُثبَتة في مراكزها لئلاَّ يصيبها اذى عندما يحط المنطاد على الحضيض وقد جُعل في القفّة كتاب ينبئ على اسم صاحب المنطاد ومحلّهِ مع الاعلامات اللازمة لتبليغ الخبر اليهِ

وكان مُلقي هذا المنطاد لاوّل دفعة المسيو هِرمِيت من باريس في ٥ آب سنة ١٨٩٦ الساعة ١١ صباحًا. فورد عند المساء نبأٌ تلغرافيّ من المانية يُعلم بانّ المركبة الهوائية سقطت في مكان يبعد ٣٠ كيلومترًا عن كولونية. فجدّ مسيو هرميت في طلبهِ فوجدهُ سالمًا وكان المنطاد ارتفع ١٣٧٤٠ مترًا فوق سطح الارض. وكان ميزان الحرارة متساقط الى درجة ٥٠ تحت الصفر

ثم أُلقي المنطاد ثانيةً فبلغ علوّ ١٥٠٠٠ مترًا ونزل في مقاطعة سوم (فرنسة). وكانت درجة ميزان الحرارة ٦٠ تحت الصفر. ولم تزل مذ ذاك تتجدّد الاختبارات من عواصم مختلفة في اوربّة فأدّت الى نتائج حسنة

٣ الطبيعيّات

١ (تلغراف جديد بدون اسلاك) قد كرَّر الطبيعيّ (slaby) سلابي الاختبارات للبحث عن تلغراف جديد بدون سلك غير الذي ذكرناهُ (ص ٧ من المشرق) وذلك في مكتب الدروس العليا في شَرلُتِنبُرغ. فادّت الامتحاناتُ صاحبَها الى هذه النتيجة وهي انَّ المسافة التي يقطعها الصوت تناسب طول سلكٍ يُمدُّ عموديًا في الهواء. فاذا كان الهواء صافيًا كما في ساحل البحر يلزم سلكٌ عموديٌّ طولهُ متر يجري فيهِ المجرى الثاوي لقطع مسافة خمسمائة متر. امَّا اذا كان الهواء غير صافٍ كما في اواسط البرّ فمترٌ من المجرى الثانويّ لا يقطع الّا ٢٥٠ مترًا. وعليهِ اذا اراد احدٌ ان يرسل تلغرافًا من دوڤر الى كالي يقتضي سلكٌ ممدود عموديًا طولهُ ٨٠ مترًا

لكنَّ هذا التلغراف لا يمكن استعمالهُ في زمن الحرب لانَّ العدوّ اذا اتّخذ آلة مُشعِّعة

(radiateur) امكنهُ ان يبلبل المخابرة فلا يُفهم منها شيء . اما البحريُّون فيمكنهم استعمال مناطيد مثبتة تمكّنهم من التباحث في مسافة بعيدة

٢ (التصوير الفوتغرافيّ بلا نور) لاحظ المسيو روسّل انَّ التوتيا والماغنيسيوم والكدميوم والألومينيوم والزئبق اذا وُضع بازائها في الظلمة التامّة صفيحة متهيّئة للتصوير توثّر فيها هذه الاجسام تأثيرًا يخالف تأثير الذهب والحديد والنحاس ولا يتوقّف هذا التأثير على المماسّة لانهم وجدوا ان سطحًا متساويًا من التوتيا ذا صورة محفورة يمثّل بنوعٍ جليّ تلك الصورة في الصفيحة الفوتغرافيَّة دون مماسَّتها وذلك حتّى لو فُصل بينهما بجُلَيدة من الغوتَّابركا . والى الآن لم يكتشف سبب هذا الفعل

٤ علم الجيولوجية

١ (مناجم القار) قد وُجدت في مقاطعة أُوتَه في بلاد المرمون من اعمال الولايات المتَّحدة مناجم من القار ولم يكُ يُعرَف منهُ في تلك الولايات منابع طبيعية . وكان السُّكَّان يلتمسون من جزيرة ترينداد ما يحتاجون اليهِ من هذا المعدن . والقار المكتشف حديثًا كثير الانواع منهُ ما يصلح للرُّصُف ومنهُ نوع آخر صافٍ يليق بحجز الاسلاك الكهربائيَّة ومَزج الالوان وتهيئة اللكّ وانواع الطِلاء

٢ (تركيب جزيرتي مِتلين ولمنوس) تفقّد المسيو دي لُونه جزيرتي مِتلين ولمنوس في الارخبيل وبحث عن تركيبهما الجيولوجي المجهول الى يومنا . فعرض لمجمع العلوم في باريس هيئة حجارة جزيرة متلين وما فيها من مستودع الحيوان والنبات المتحجّر الراقي الى الطور الثالث من تاريخ الارض

٥ علم الجغرافية

١ (اكتشافات في آسية) قد اهدت جمعيَّة العلوم الجغرافيَّة في باريس نَوطًا ذهبيًّا للرحَّالة سڤين هِدين الاسوجي . فانَّهُ طاف مدَّة ثلاث سنوات في البلاد الواسعة الارجاء الممتدَّة من بلاد پامير الى پكين قاعدة الصين واغلبها مجهول . وجمع هذا المسفار في طريقهِ جانبًا كبيرًا من الملاحظات الجزيلة الخطارة للجغرافية الطبيعيَّة وهاك نتيجة سفرهِ

فاوَّل ما وُجد هذا الهُمام انَّ البلاد التي اجتازها ليست كلُّها قفارًا كما زعم الكتبة قبلهُ فانّهُ رأى في طريقهِ قرى صغيرة ومزارع . ثمَّ تحقق وجود جبالٍ لم يكد يذكرها

من سبقهُ من العلماء الى تلك البلاد ألا وهو طَوْد مازْتاغ وقد وجد الرحّالة هِدِين المذكور ان الجبل ينقسم الى قسمين يتوسّط بينهما بحيرة كبيرة

ثم عاد الى شرقيّ تلك البلاد بعد ان قضى فصل الشتاء في سنة ١٨٩٦ في مدينة خاتان. فاكتشف أخربة مدنٍ كثيرة قديمة سحبت عليها الرمال اذيالها فعلتها ورأى فيما رأى نقوشًا غريبة الشكل وكتبًا خطّية وابنيةً بخشب الحور يضمُّ الالواح ملاط صلبٌ جدًّا وفي آخر الامر اثبت موقع مدينة لوْبنار وكان كثر الخصام بين العلماء في حقها

٢ (رحلة الى مجاهل اوسترالية) قد تيسَّر للرحّالة كَرْنجي ان يتوغّل في اواسط اوسترالية. فسافر من كولغَرْدي في ٩ تموز سنة ١٨٩٦ يصحبهُ ثلاثة اشخاص وتسعة جمال تحمل لهُ زادًا لخمسة اشهر فتوصّل الى صحارٍ لم يكد يجد فيها نباتًا فبقي الجمال بلا ماء ١٣ يومًا ونصف. فلقي في رحلتهِ قبائل بادية تقتات من جُرذان وضِباب يحتوشونها من احجارها بحرق دَغَل الاشواك التي تأوي اليها. واذا ما افنوا هذه الدويبَّات في مكان انتقلوا الى غيرهِ. ولا آبار هناك الّا في النادر واكثرها ناشفة. امّا الاهلون فهم شديدو السواد يتغمَّرون بمزيج من الدهن والرماد. وهم قصار القامة قبيحو المنظر لا يستر عُرْيَهم ثوبٌ البتَّة. وليس لهم ديار او قرًى يبيتون فيها وانّما يسكنون في وهاد او مغاور. بيد انهم ليسوا بشرسي الاخلاق وقد اخذ منهم العجب لدى نظرهم الجمال. وادَّت نتيجة هذه الرحلة الى العلم الاكيد بان الصحاري الواقعة بين كِمْبَرْلي وكولغردي لا تصلح للسُّكنى والزراعة

٦ علم الصنائع

١ (البترول في الآلات البخاريّة) اخذ استعمال البترل بدلًا عن الفحم الحجري يتسع نطاقهُ. وقد بلغ ما أُنفق منهُ في سويسرة سنة ١٨٩٤ لهذه الغاية ٦٠١,٨٠٠ طنًّا. وما ذلك الّا لما في هذا المائع من شدَّة الحرارة مع عدم التدخين والسناج. واذا قابلنا حرارة البترول مع حرارة الفحم الانكليزي وجدنا في تساوي الاحوال ان بخار مئة كيلوغرام ناتجًا عن راسب البترول يوازي ما تُنشئهُ منهُ ١٣٩ كيلوغرامًا من الفحم. وقد اتّخذ اصحاب خطّ السكّة الحديدية المعروف باسم (Great Eastern Railway) ٣٧ قطارًا بخاريًّا مجهَّزًا لايقاد الفحم الحجري والبترول معًا

٢ (تجميد البترول) قد جمّد الكيماويّ كوهلِنْدَرْفر البترول على الطريقة الآتية فانهُ أسخن بمعزل عن الهواء او بواسطة بخارٍ بوالغ في حرارتهِ عشرةَ اقسام غِسْل السُّودا

وعشرة اقسام مادَّةٍ دهنيَّة كالشحم او زيت النخل وما شاكل ثمَّ اضاف اليها ثمانين قسمًا من البترول فاغلاها مدَّة ساعة وهي في درجة دون درجة فَوَران البترول. فاذا برد المزيج صار شبيه الشحم الجامد ويمكن الحصول على موادّ يدخلها تسعون قسمًا في المائة من الوَقود فاذا اشتعلت لا يبقى من الرواسب الفاضلة سوى خمسة اقسام في المائة

كتاب
تاريخ بيروت

لمحمَّد بن صالح (تابع لما سبق)

ومن الحوادث ما جرى في سنة ستّ وثمانمائة (١٤٠٤م) فكان متملّك قبرس قصد ان يسترجع الماغوصة من الجنويَّة. فبلغ الجنويَّة ذلك فجهَّزوا عمارةً ليأخذوا منهُ قبرس فاصلح الرَّوادسة (١ بينهُ وبينهم على حكم ان يقوم لهم بمائة وعشرين الف دينار (15 v) في نظير كلفتهم على التعميرة فتوجَّهت التعميرة المذكورة الى العلايا (٢ فلم يقدروا عليها فتوجَّهت منها الى طرابلس وبها الامير دَمَرْدَاش (٣ نائبًا. فنزل الفرنج الى البرّ لكنَّ المسلمين تكاثروا عليهم ومنعوهم الوصول الى المدينة فرجعوا الى مراكبهم مخذولين بالخيبة

ثم حضروا الى بيروت في العشرين من محرَّم سنة ستّ وثمانماية فلمَّا رآهم اهل بيروت همُّوا بترحيل حريمهم واولادهم وامتعتهم فأُخليت بيروت من اهلها ولم يكن بها متولٍّ ولا عسكر مجرَّد للحرب سوى امراء الغرب ومعهم بعض جماعة. وكان قد توحَّش خاطرهم لظنّهم انَّ في التعميرة خيولًا فخافوا من ذلك. فنزل الفرنج من الشواني الى البرّ في مكان يسمَّى الصنبطيَّة غربيّ البلد في الرابعة من النهار وتملكوا البلد ونهبوهُ واحرقوا الدار التي لنا على البحر والسوق القريبة من الميناء. وصار المسلمون يتجمعون شيئًا فشيئًا وجعل اصحاب النخوات يهجمون على من تفرَّد منهم في الازقَّة فقتلوا منهم جماعةً واستشهد من المسلمين

١) يريد بالروادسة فرسان رودس

٢) العَلايا تخفيف العلائيَّة وهي مدينة حديثة على ساحل بحر الروم جنوبي انطاليا (Adalia) بناها علاء الدين احد ملوك السلجوقيين

٣) هو دَمَرْداش المحمودي كان نائبًا على طرابلس من قبل الملوك الشراكسة المصريين ثمَّ ولي نيابة سلطنة حلب سنة ٨٠٧ (١٤٠٥م) وتقلَّب في عدَّة مراتب وتوفي نحو سنة ٨٢٠ (١٤١٧م)

ثلاثة نفر. وحضر المتولّي الامير يوسف التركماني الكسرواني (١ فاقام الفرنج في بيروت الى قرب العصر ثمّ رجعوا الى مراكبهم. وتتبّع المسلمون بقيّتهم

وفي تلك الليلة توجّهوا الى صيداء وتوجهنا قبالتهم في البرّ فلما قربوا من صيداء على مسافة دون (16r) ميلٍ من البلد نزلوا الى البرّ. وكان قد اجتمع على صيداء العُشران (٢ وغيرهم ولم تجسر الفرنج على الدخول الى البلد. وكان ملك الامراء شيخ الخاصكي الملقَّب في سلطنتهِ بالملك المؤيّد (٣ قد خرج من دمشق يدور في البقــاع وبعلبك فبلغهُ نزول الفرنج على طرابلس فتوجَّه اليها فلم يلحق الفرنج فحضر الى بيروت بعد فوات الامر. فلم يتلبَّث ببيروت ووصل الى صيداء بجماعةٍ قلائل والناس يلحقونهُ تباعًا. فادرك الفرنج في البرّ بظاهر صيداء وهجم عليهم ونحن معهُ حتّى كاد يختلط بهم ورموا علينا بالجروج (٤ وانجرح فرس الخاصكي في موضعين وجُرح بعض جماعة من المسلمين فرجعوا عنهم. ثمّ طلع الفرنج الى مراكبهم وتأخرت عن الشطّ الى الجزيرة بميناء صيداء. وبات ملك الامراء والمسلمون قبالتهم ورسم ملك الامراء على امراء الغرب ان يكونوا حرَّاسًا على شاطىء البحر بالقرب منهُ فاصبح المسلمون والفرنج على الجزيرة وملك الامراء يظنّ انهم ينزلون ثانيــًا وتهيَّأ لحربهم واحضر ابوابًا كثيرة تكونُ عوضًا عن الزحَّافات والستائر للزحف عليهم عند نزولهم فلم ينزلوا

ثم بعد ذلك اليوم توجَّهوا راجعين الى جهة بيروت قاصدين نهر الكلب ليملأُوا منهُ ماء. وعيَّن ملكُ الامراء الامير الكبير سودون الظريف (٥ ليتوجّه قبالة التعميرة ومعــهُ امراء الغرب فوجدوا التعميرة متوجّهة الى جهة بلادهم وكانت مؤلّفة من ستة واربعين مركبًا منها شواني كبار وصغار تبلغ سبعة وثلاثين شَوْنَة والبقيّة مراكــب (16v). وقيل انّهُ كان معهم سفن كبار فيها سبعمائة فرس فانفردت السفن المذكورة عنهم في الطريق الى جهة الاسكندريّة. ثمّ رجعوا من قرب الاسكندريّة الى بلادهم ولم ينزلوا الى برٍّ

ومن جملة ما نهبهُ الجنويّة المذكورون من بيروت حواصل بُهار لفرنج البنادقة بقيمة

---

١) لم نطّلع على شيء من اخباره ٢) راجع ص ٢٧٨

٣) هو شيخ المحمودي الظاهري كان من اكبر الامراء في ايّام السلطان فَرَج زين الدين ثم اتّفق مع الخليفة المستعين بالله العباسي على خلعهِ فخُلــع وقُتل ثمّ تآمر شيخ المحمودي على المستعين فخلعهُ وتولّى السلطنة وحدهُ وتلقب بالملك المؤيد. توفي سنة ٨٢٤ هـ (١٤٢١م)

٤) راجع حواشي ص ٢٧٨ ٥) لم نرَ لهُ ذكرًا في غير هذا التاريخ

عشرة آلاف دينار . فبلغ البنادقة ذلك واقتضوا من الجنوية نظيرهـا وازيد . وكان ملك الامراء قد رسم لمتولي بيروت ان يقطع رؤُوس قتلى الفرنج وان يعمّر على ابدانهم مسطبةً على باب بيروت ويكتب عليها اسم ملك الامراء . وجهَّز الرؤُوس الى دمشق ثمَّ الى مصر فحصل في انفس الذين قتلوا الفرنج غيرةٌ لنسبة المسطبة الى غيرهم فهدموها ليلًا واحرقوا ما كان بها من رِمَم الفرنج

فصل في ذكر قواعد بيروت

لمَّا كان الفرنج مستولين على بيروت كانت جماعة المسلمين قليلة ولا جامع لهم فلمَّا قدّر الله بنزعها من يد الفرنج استقرَّت كنيستهم جامعًا وكانت تُعرَف عندهم بكنيسة مار يُحنَّا (١ وكان بها صور فطلاها المسلمون بالطين وبقي الطـين الى ايَّام الجَدّ (٢ فبيَّضهُ وازال عنهُ آثار تلك الصور . وكان المسلمون يجتمعون لصلاة الجمعة فلم يكملوا في بعض الاوقات اربعين شخصًا فيصلّي بهم الخطيب ظُهرًا (٣ وفي بعض الاوقـات كانوا يبلغون الاربعين بمن حضرهم من الضواحي فيصلّي بهم جمعةً . ثمَّ تكاثرت المسلمون بها جعلها اللهُ دار سلام وايمان الى (17^r) يوم الدين

ثمَّ بعد ذلك صارت بعض مراكب الفرنج تتردَّد اليهـا بالمتاجر قليلًا قليلًا . وكانت مراكب البنادقة تحضر الى قبرس وصاحب قبرس يرسل بضائعهم في شونتَيْن كانتا لهُ الى بيروت نـقلةً بعد اخرى . وكان للقَبارسة كنُس ببيروت وجماعة من التجّار يسكنون فيها ولهم خانات وحمَّامات . ثمَّ بطل ذلك وتكاثر حضور مراكب طوائف الفرنج . وكانت ضرائب الواردات والصادرات تؤخذ ببيروت وهي تبلغ جملةً مستكثرة . وكان على باب الميناء دواوين وعامل وناظر ومشارف (٤ وشادّ (٥ يولّيهم نائب دمشق . والمتوفّر عن المرتَّبات يُحمل الى دمشق

١) ولا يزال مكتوبًا عند مدخل الباب الشرقيّ باليونانية : φωνὴ Κυρίου ἐπὶ τῶν ὑδάτων صوت الرب على المياه (سفر المزامير ٢٨ : ٣)

٢) يريد المؤلف جدَّهُ وسيأتي ذكرهُ

٣) في الاصل « ظُهرًا » ونظنّ ان المراد هنا صلاة الظهر

٤) ويقال المُشرف . وكانت رُتبة المُشْرف من مناصب الدولة العليـا في ايَّام السلاطين المماليك . قال النويري في ترجمة السلطان بيبرس : ومُشْرف الممالك مرتبتهُ دون الوزارة

٥) الشادّ ويقال لهُ ايضًا المشِدّ كان يتولَّى الدواوين وغيرها من الوظائف في ايام الملوك

وكانت تُعطى وظائف للعمّال فتحصل جامكيّة (١ المتولّي وجوامك للقاضي والخطيب ولاربعين قرَا غلام (٢ بخيول وعشرين مُشاة وطَبلخانات (٣ وكوسات وانفرة وزُمُر ومناظرية للبحر وزهجيَّة (٤ وحَمام بطاقة (٥ مدرَّج الى دمشق وبريد. وقرَّروا ايضاً اعلاماً ناريَّة تصل الى دمشق في ليلة. فكانوا يشعلونها من ظاهر بيروت فتجاوبها نار في رأس بيروت العتيقة. ومنهُ الى جبل بوارش (٦ ومنهُ الى جبل يبوس (٧ ومنهُ الى جبل الصالحية ومنهُ الى قلعة دمشق فكانت النار للحوادث في الليل وحمام البطاق للحوادث في النهار والبريد للاخبار (17 ٧)

ولمَّا جدَّد الامير بَيْدَمُر نائب الشام سور بيروت على جانب البحر جعل اوَّلهُ من عند الحارة التي لنا على البحر واصلاً الى تحت البرج الصغير العتيق عمارة تَنْكِز (٨ نائب الشام المعروف ببرج البعلبكيّة وجعل بين هذا السور وبين البرج المذكور باباً وركَّب عليهِ سلسلةً تمنع المراكب الصغار من الدخول والخروج فسمّي باب السلسلة (ستأتي البقية)

الجراكسة وكان شادٌّ لقصر السلطان ولحوشهِ وكان شادٌّ الاسواق والسلاح والمراكب وغير ذلك من الوظائف المفردة (راجع زبدة كشف الممالك للظاهري ص ١١٥)

١) مرَّ ان الجامكية هي راتب العُمَّال

٢) يريد السُود من الغلمان و « قرا » بالتركية الاسود

٣) كانت امارة الطبلخاناة من الرتب العسكرية لضرب الآلات. قال خليل الظاهري في كتاب كشف الممالك: وكانت عدَّة الطبلخاناة التي تدقُّ على باب السلطان تتألف من اربعين حملاً من الكُوسات (وهي الطبول الصغار) واربعة طبول دهول (كذا) واربعة زُمور (وهي الزمَّارة) وعشرين نفير (والنفير البوق) وكان عليها مهتارٌ بخدمتهِ مماليك كثيرون

٤) لا نعلم ما كان من امر هذه الرتبة

٥) هو الحمام السيَّار لنقل الاخبار

٦) احد فروع جبل لبنان (راجع ص ٢١٢ من كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان)

٧) قال ياقوت « هو جبل بالشام بوادي التَّيم من دمشق » وسمَّاهُ في كتاب اخبار الاعيان « بيرس »

٨) هو الامير سيف الدين ابو سعيد تنكز احد مماليك الملك الاشرف خليل بن قلاوون ولَّاهُ الملك الناصر نيابة دمشق سنة ٧١٢ (١٣١٢م) ولهُ آثار جليلة وبنايات بدمشق والقدس وصفد. ثمَّ تغيَّر عليهِ السلطان عماد الدين اسماعيل بن الناصر فقبض عليهِ وقتلهُ في الاسكندرية سنة ٧٤٤ (١٣٤٣ م)

خريدة لبنان

(للاب هنري لامنس اليسوعيّ)

(تابع لما قبل)

١٣

وكان الشابّان يتنقلان بين الجموع فيُراقبان حركات الافراح ويسمعان الاغانيّ المطربة ولمّا دنا الموكب القادم من بيت حنّا الطويل بادرا الى أكمة هناك يشرفان منها على الصفوف فلا يفوتهما من المشهد شيء

واوّل ما لاح لاعينهما عشرون ابنة بين السادسة والعاشرة من العمر متّشحات بالحلل البيضاء وعلى رؤُوسهنّ اكاليل الورد وفي ايديهنّ طاقات الزهور وعلى ثغورهنّ ابتسامات الصبا

فاخذ المشهدُ من اصغر الشابّين كلَّ مأخذ وهاج خاطرهُ فهتف قائلًا: لله ما ابدع ما نراهُ فانّ عيني لم تقع على مثل هذا في المدن العظيمة. سقى الله جبال لبنان فكأنما هي مأوى الجمال والصفاء ورونق الحياة ونضارة الشباب والافراح. لعمري ان هذا المنظر اخذ بمجامع لبّي فيا ليتني استصحبتُ آلة التصوير الشمسي لكنت اخذت عن هذا الموكب رسمًا تقرّ بهِ العيون. على انّهُ لا يفوتني ولا بدّ ان انظم فيهِ شعرًا يبهج القلوب

ثم ظهرت صفوف صبايا في مقتبَل الشباب يرفلنَ في الحلل الملوّنة وتتدفّق الحياة من وجوههنّ النضيرة ماء ونورًا ويعلو جبينهنّ الوضّاح من الحياء اكليل زاهر. وبعدهنّ طلعت نساء الضيعة في ثيابٍ تليق بمقامهنّ وفي مقدمتهنّ امرأة الدكاني تختال زهوًا وفي ايديهنّ المزاهر ينثرنَ منها الروائح الزكيّة

ووراء الصفوف حنّا الطويل وانيسة الضريرة تستند الى ذراع خطيبها كانها ناءت بها الافراح بعد ما قاست من اشكال الهوان وانواع الشقاء مدّة خمس وعشرين عامًا. وكانت تفوح من ملابسها وهيأتها ارواح الحشمة. وعلى صدرها الصليب الفضيّ يلمع دليلًا للافراح كما كان في الضرّاء عربون الرجاء

وكان يتبع الخطيبين سركيس الحائك وامرأته واولادهما والجميع في الملابس الفاخرة

وقد بلغ الفرحُ منهم مبلغاً . واصغر الاولاد بطرس يمشي مرحاً وينظر نظر السرور الى كلّ من حواليهِ

وما اعظم ما كانت دهشة الشابين اذ وقعت عينهما بعد ذلك على رهط من الشيوخ هم من بقايا الزمان الماضي بيض الشعور او صُلع الرؤوس قد احنت ظهورهم الايام فاستعانوا على السير بالعصا او دبّوا حتّى خُيّل للرائي انهم قطيع يدفعهم الموت الى هاوية القبر . وكان يتقدّمهم ابو نصيف ذلك الشيخ الاصمّ الاعمى الذي عرفناهُ في اوّل القصة يقودهُ جَدّ معلم المدرسة وكل منهما قد انحنى حتى لثم التراب

وهؤلاء الشيوخ وحدهم قد عرفهم حنّا الطويل قبل سفرتهِ وعرفوهُ وشهدوا اعماله واقرّوا بفضل شجاعته ايام كان في ضيعته ينافس اقرانه في اقتحام الاخطار

فدخلت تلك الجموع الكنيسة وقد ضاقت عنهم فبقي الشابّان في الخارج مع من تبقّى . وما لبثا ان سمعا التراتيل على وقع الصنوج والاجراس وزفّ اليهما النسيم نفحات البخور فعلما ان القدّاس الاحتفالي قد بدأ . وبعد تلاوة الانجيل المقدّس القى الكاهن عظة ملائمة لمقتضى الحال . وكيف لا يغتنم مثل هذه الفرصة السعيدة وهو الذي عرف حنّا الطويل في حداثتهِ وهو الذي ارشدهُ واعدّه للمناولة الاولى وهو الذي زوّده بركته الابوية ساعة رحيلهِ عن الضيعة منذ خمس وعشرين عاماً . فضلًا عن ان شيخوخة هذا الكاهن الجليلة وفضائلهُ كانت تجعل لكلامه وقعاً عظيماً في النفوس . ولم تكُ عبارتهُ منسجمة لكنها صادرة عن قلب مُفعم بشعائر التقى والوداد فاثّرت في قلوب السامعين ايّ تأثير حتى ذرفت اعينهم الدموع ولاسيّما تلك الابنة الضريرة فقد انهملت منها العبرات مدرارة عند سماعها ذكر خطيبها واسفاره وعودته سالمًا بعد مرّ الفراق وتفانيهِ في خدمة الله والقريب

وفي الختام استمطر الواعظ بركات السماء على الرجل الفاضل ذي الايادي البيضاء الذي عمّ صنيعهُ كل اهل ضيعته . ومن يصف مشهد الكنيسة في تلك الساعة المهيبة فكنت ترى الجميع جاثين على الارض يضجّون بالدعاء الحميم قارعين الصدور ومجاهرين بالصلاة لله ان يطيل بقاء هذا الرجل المحسن ويحفظهُ مع عروسه في رغد ونعيم ليهنأ بهما اهل الضيعة اجمعون . وقد اشترك مع الحضور كلّ من قضي عليهم بالقيام خارج الكنيسة

فصاح اكبر الشابّين وقد اخذتهُ هيبة المشهد: ما ابدع هذا المنظر لعمر الحق ان هذا الشيخ الجليل بلغ في كلامه مبلغاً من البلاغة عظيماً وهو لا يدري . فقد صدق الاقدمون

في قولهم « من اراد فصاحة فحسبه ان يكون لهُ قلبٌ شَعُور »

فلم ينتبـه رفيقه الى قوله السديد بل صاح: لا بدّ لي من الوقوف على جليّة هـذه القصة . رضيتَ بذلك ام عذلتني . فقد عقدت النيّة على التعرّف الى حنًا المذكور . فانّ النفس تحدثني بنشر هذه الرواية الرائقة

قال الكبير: ما كنت لاعذلك في ذلك . . . ولكن على رسلك . ها قد فرغ القوم من الصلاة وتراهم خارجين . انظر الحفّار فارس عبُّود والحائك سركيس

١٤

وكانت الجموع قد اصطفّت وعادت الى بيت حنًا من حيث اتت . فدنا الشابّان من الحفّار فارس وسألاهُ ان يقدّم بطاقتهما الى صاحب المنزل فلبّى هذا طلبهما عن طيبة خاطر فأُدخلا الى القاعة الغاصّة بالمدعوّين واقبل عليهما ربّ البيت يصافحهما بوداد . فقال لهما: يظهر يا سيدي من البطاقة التي تكرّمتما بها انكما من رجال الادب وارباب الصحافة ولا ريب انكما ترغبان في مقابلتي حصّة على انفراد

فقال كبيرهما: نحن يا سيدي قد اغتنمنا اوقات العطلة لنضرب في نواحي لبنان وقد ساقتنا التقادير الى هذه القرية واسعدنا الحظ ان نشهد يوم نعيمك فجئنـا نشترك مع دويك في تقديم اخلص التهاني لك . ومع ذلك فاننا نمنّ لك ان تكرمت علينا بزيادة الايضاح على ما عرفناهُ

فتبسّم حنًا وقال: ادركتُ المقصود . فانكما لا تغفلان حتى في زمن العطلة عن اجتناء الاخبار . ونعمّا تفعلان . وان كان لا بدّ من نشر مقالة في ما شهدتما اليوم فاني ارجو من فضلكما امرًا واحدًا

— مُر فأَمرُك مطاع وكلّ حاجةٍ مقضية

قال حنًا: انّ رجائي ان توقظا القُرَّاء من سنـة الغرور وتستلفتا الابصار وتنبّها الخواطر الى ما وراء المطامع من الخيبة والفشل ووراء الاسفـار في طلب المعادن من الاخطار . اجل ان الله وفقني فتمكنت من احراز نصيبٍ من المال وافر . فالناس يغترّون بظاهر ما يرون ويتعامون عمّا تكبدت في سبيل ما جمعتهُ . والله اعلم بما قاسيت من المتاعب والاكدار والاهوال حتى زهقت الروح قبل الحصول على النزر اليسير

هذا وقد خطر على بال حنًا شقاؤه الماضي فصاح: آه ما اتعس مثل هذه الحياة . فانّ

الرجل يقضي عليهِ ان يتجرّد نوعاً ما من حرّيته فيأجر ذاتهُ للغير ويطأطئ رأسهُ ويحني ظهره تحت الاثقال ويقف بالابواب متسوّلًا ويسوم نفسهُ ذلاً فوق ذلّ صابرًا على قرس البرد ولفح الحرّ معرّضاً روحهُ لانواع المخاوف والاخطار. وما كنت لاعود الى مثل تلك الحال ولو أُعطيت مال قارون فاني يشهد الحقّ لولا عون الله ينصرني ونور الامل ينعشني لمتّ كمدًا او قتلت نفسي يأساً. وطالما سألت الله ان يمنّ عليّ بالرجوع الى بلادي ولو كان قوتي الخبز والزيتون فاقضي العمر سعيدًا في فقري واعيش حرًّا على جبال لبنان الجميلة تحت سمائهِ البديعة

ثم أشعل لفافةً من التبغ واردف حديثه بقولهِ: لقد مرّ الآن بخاطري ذكر حادث لا يسعني الَّا ان ارويهُ لكما فتُكرما بالاصغاء

وكان الشابَّان آذانًا تسمع واعينهما شاخصة الى حنًّا ولسان حالهما يرجوه ان لا يبخل عليهما بسرد كل ما لديهِ من الاخبار والتفاصيل فقال: لمَّا كنت في اوائل ايّام دخولي الى بلاد الترانسفال لم يكن لي ادنى خبرة باخلاق اهلها. ففي ذات مساء عدت الى منزلي بعد الفراغ من شغلي وكنت يومئذٍ ناظرًا على احد المناجم. وكنتُ أُمرتُ بالذهاب في الغد الى مدينة الرأس لقضاء مهمَّة كلّفني بهـا مدير المنجم. ولمَّا خلوت في منزلي استولت عليَّ عوامل السرور مما احرزتهُ من المال بجدّي واقتصادي. وقَوِي فيَّ الامل ان افوز بثروةٍ طائلة بها ابلغ المنى. فمرّ ببالي ذكر وطني واهلي وخلَّاني وطابت نفسي بذكري انيسة

فغصتُ في بحر الاوهام والاماني وفكرت في رجوعي الى لبنان العزيز وبيتٍ ابنيه فيهِ وهدايا أُتحف بها انيسة وعيدٍ اقيمهُ لنا يوم اكليلنا. وبقيت على تلك الحال ابني من الآمال قصورًا شاهقة وقد سها عن بالي ان الليـل قد ارخى جلابيبهُ وليس من نور يضيء في ظلمائه سوى نار سيكارتي

فاذا بالباب يطرق. فصحت بالطارق أن ادخُل

فولج زنجيّ ووقف متردّدًا يجيل نظره في اكناف الغرفة كانهُ يخشى رقيباً. ثم همس اليَّ قائلًا: كلمة يا سيدي. لان الوقت ضاق بي. ولكن كلمة تتعلق عليها ثروتك وحياتي. انني احد الفعلة المشتغلين في المنجم الخامس. كنت اليوم عائدًا من شغلي فعثرت في طريقي بقطعة من الالماس لا نظير لها عند الملوك. وجدتهـا بين انقاض منجم مهجور. فهي ملكي ولي حقّ التصرّف بها. ولكن لا سبيل لي الى ان ابيعها في هذه البلاد. لانّ الزنوج الفعلة يتهمونني بانني سرقتها. وكذلك يتعـذّر عليَّ ان افرّ هاربًا اذ لا مال عندي وابواب

النجاة مغلقة دوني. فيشق عليَّ ان تبقى قطعة الالماس عندي من غير جدوى. وقد فضَّلت ان ابيعها وانتفع بثمنها. ولمَّا كنت اسمع انك كريم النفس رؤُوف بالزنوج لا تسيء معاملتهم حملني الامل ان اوافيك واعرض عليك تلك القطعة الفاخرة فتحصل بها على الغنى ولست اسألك لقاءها الَّا ليرةً استرلينية

فما سمعت كلامهُ الَّا اعتراني الذهول وبقيت جامدًا كالصنم. امَّا الزنجيّ فاخذ يقلّب بين يديه قطعة الالماس بحجم الجوزة الصغيرة وهي صافية الماء خالصة على زعمهِ ليس فيها حبة رمل

ثم قال: وحقك يا سيدي لقد وقع تحت يدي اكثر من الف قطعة كبيرة ولكني لم اجد في عمري اصفى منها. فبمثلها تزدان تيجان الملوك. انت يا سيدي من البيض وليس من يتهمك بالسرقة. فان جدتَ عليَّ بالنزر اليسير فزتَ بالمال الكثير حلالاً

١٥

فاغراني امل الربح واعطيت الزنجيّ كل ما كان عليَّ من الدراهم واخذت منهُ الحجر الكريم وفي الغد سرت في رفقة قاصدين مدينة الرأس ودليلنا رجل من الزنوج

وفي ثاني الايام خرج علينا جماعة من الزولوس فصاح الدليل: لا سبيل للمقاومة يا سيدي فان عفا عنا الاعداء وقنعوا بالمال غنيمة نسلّمهم كل ما معنا. فانّ ذلك لزهيد

فصحت: كيف زهيد؟ لا لستُ اسلّم. وفي الحال اطلقت عليهم المسدّس فجرحت منهم واحدًا وانقضَّ علينا الباقون كالكواسر فقتلوا الدليل وكل رفقاءي وقدَّر الله ان بقيتُ حيًّا ولكن مثخنًا بالجراح. فاخذ زعيم الزولوس سلاحي واقتسم رجاله ثيابي وامتعتي ومالي. وقد نزعت امرأةٌ منهم قطعة الالماس وعلّقتها بعنق ولدها ظنًّا منها انها حرز حريز

وما مضى عليَّ في الاسر ايام حتى شفيت من جراحي وعادت اليَّ القوى والنشاط. وقد اختبرتُ بنفسي حينئذٍ ان الصنيع لا يضيع. فانهُ كان بين الزولوس رجل قد اشتغل من ذي قبل مع فعلة المناجم عندنا وكنت احسنت الصنيع اليهِ مرارًا. فهو الذي توسل الى زعيم القوم ليعفو عن حياتي وهو ايضًا الحّ اليهِ بعد شفاءي ان يُطلق سراحي ويردّ عليَّ ثيابي وبعض مالي

فطلبت ايضًا قطعة الالماس ولكن المرأة ابت ان تردَّها عليَّ اعتقادًا منها انها تدفع عن ولدها كل اذًى. فاخفيت ما بي واظهرت الجلد. ولمَّا جنّ الليل خلوت بالولد فسددت

فاه ونزعت الجوهرة منهُ وفررت هاربًا على جناح الريح

وما زلت اصل السيرَ بالسُّرى وعوامل الخوف تتنازعني وانا ابتعد عن الطرق المطروقة ولا اجسر على المعاطاة مع الناس مخافة ان تُسلب مني الجوهرة الثمينة التي كانت في جيبي ويدي عليها دائمًا لا تتخلى عنها. وقد وصلت بعون الله الى مدينة الرأس بعد معاناة المشاقّ والمخاوف. واوَّل ما باشرتُهُ اني بعثت برسالة برقية الى جبـل لبنان بواسطة صديق لنا في بيروت وفحوى الرسالة « ابشري يا انيسة فاني عائد اليكِ بالاموال الطائلة »

ثم سعيت في الوصول الى عميد الجوهريين اسألهُ عمَّا تساوي الجوهرة التي بنيتُ عليها الآمال. وكنت ادخل المخازن لاختار منها تحفًا أُهديها لانيسة واصحابي في لبنان ولم اكن ارضى بغير الاصناف الفاخرة. وطالما تبسَّمتُ استخفافًا عـند ما كنت اسمع التجار يقولون ان الاصناف التي اشير اليها يزيد ثمنها الاضعاف عمَّن سواها

ولم يكن الَّا ايام قلائل حتى شاع اني من اغنى خلق الله وفي الحال تقاطر اليَّ من كل صوب عدد وافر من ابناء وطني وخلَّاني ولم اكُ ادري بوجودهم في تلك الاصقاع قبل ان طارت شهرة غناي. وما اكثر من كان يدعوني حينئذٍ او يعرض عليَّ خدماتهِ

وكثر تحدُّث الناس عن ثروتي قائلين: ما اسعـد هذا السوري فانهُ عاد من مناجم الترانسفال بالقناطير المقنطرة

ولما اتيتُ عميدَ الجوهريين وعرضت عليهِ قطعة الالماس تأملها وبعد الفحص قال: ما اتقن الصناعة فيها. فلو عرضتها على بائع الحليّ الزجاجية اشتراها بعشرة شلينات امَّا انا فلا اشتري الالماس الكذَّاب

ولا حاجة الى وصف ما المَّ بي عنـد ما ثبت لي ان الزنجيَّ خدعني وباعني عوض الالماس زجاجًا. والله ادرى بحالي ساعة هبطت من شاهق القصور . . .

وبعد ان قمت بالمهمَّة التي كلفوني بهـا عدت عاجلًا الى مقرّي الاول في الترانسفال وعاودت اشغال الناظر في المناجم. وكم وكم وجب عليَّ من الكد والسهر وكم وكم تجشَّمت من الاخطار وركبت متون الاهوال حتى احرزت هذا المال الذي لا اجد لهُ قيمة غير اني استخدمهُ لخير وطني وراحة قرينتي

وكان الشابان لا تزال تحدثهما النفس في طلب الاخبار والاستفسار عن التفاصيـل

الكثيرة ولكنهما اطاعا داعي الادب . فامسكا عن السؤال وشكرا لصاحب البيت ما لاقياهُ لديهِ من الحفاوة والاكرام ثم استأذنا في الانصراف فشيعهما بكل لطف راجياً ان لا يبخلا عليهِ بالزيارة لدى عودتهما من السفر

وما خرجا وخلا لهما الجو الَّا بادر اصغرهما وهو من الشعراء المجيدين فالتقط عن الارض عودين صغيرين فادبر عن رفيقهِ ثم اقبل عليهِ وقد برز من كلٍ من يديهِ طرفُ عودٍ . وقال : هيَّا احزر

فقال رفيقه : اراك عجولاً في الامر

— لا بدّ من التعجيل . هيَّا احزر . فنعرف من منَّا يكون صاحب الحق بايراد هذه الرواية

فسحب رفيقـهُ احد العودين . فرمى الشاعر العود الثاني وقال متنهدًا : انا الخاسر وانت الرابح

وهذا السبب ايها القارئ اللبيب في انك قرأت رواية انيسة الضريرة نثرًا لا شعرًا . ويا حبّذا لو ربح الشاعر لكنت تقرأها في قصيدة عامرة الابيات رقيقة المعاني فتقول : انَّ من الشعر لدرًّا

(تمَّت)

شتّى

اكتشاف كتب خطِيَّة في مصر

ورد في جريدة « وسيط البـاحثين » ان العالمين غرنفل وهُنت الانكليزيَّين قد اكتشفا في قرية البهنساء مستودعاً فيهِ مجلاَّت وكتب خطّية قديمة باليونانية قد أُودع منها قسمٌ في متحف الجيزة بمصر وأُرسل القسم الآخر الى لندن . وقد اخذ العلماء يتأَلّبون زرافاتٍ الى مكتبـة البريتيش موزيوم لمطالعة هذه الكتابات الثمينة . وممَّا وجد بينها الى الآن من المآثر الجليلة الفصل الاوَّل من انجيل القديس متَّى كتب في القرن الثالث للمسيح وفصلان من مجموع اقوال الرب (Λόγια) المنسوب للقديس پاپياس احد الاباء الرسوليّين قد كتبا في القرن الثالث عشر . ومن ذلك ايضاً اعمال كثير من خطباء اليونان وشعرائهم كان قسمٌ منها مجهولًا . ولا بُدّ من زمن طويل لقراءة هذه الكتابات لكثرتها . قيل انَّ ما ورد منها عاصمة الانكليز لا يقلّ عن ٢٨٠ صندوقاً

يوم ميلاد المسيح

يسوءُنا اننا نجد بين ابحاث مجلَّة الهلال الاغرّ ما لا يسعنا السكوت عنهُ لانهُ يمس بعض شعائر الطوائف الكاثوليكيَّة. فانَّ محرّرهُ الاديب في معرض جوابهِ على من سألهُ (في العدد ١٢ ص ٤٦٠) لماذا لا يكون ميلاد المسيح بدء السنة المسيحيَّة بل يُعيَّد بهِ في ٢٥ دسمبر مع انَّ السنة المسيحية تبتدئ من تاريخ ولادة المسيح قال: «امَّا يوم ميلاد المسيح فقد اختلفوا في تعيينهِ ففي القرنين الاوَّلين كانوا يحتفلون بهِ في بعض ايَّام يناير او ابريل او مايو ثمَّ اجمعت الكنيسة الشرقيَّة على انَّهُ يوم ٦ يناير امَّا اللاتين فجعلوهُ يوم ٢٥ دسمبر والارمن يحتفلون بعيدي الميلاد والغطاس معًا في يوم ١٨ يناير. امَّا سائر الطوائف فاجمعوا على انهُ يوم ٢٥ دسمبر ولا نعلم مستندهم في ذلك على انَّ قرائن الاحوال تنقضهُ فقد ورد عند ذكر ولادة المسيح في الاناجيل انَّ الرعاة كانوا اذ ذاك يحرسون ماشيتهم ليلًا ما لا يُعقل وقوعهُ في ليالي دسمبر التي هي من اشدّ ايَّام الشتاء بردًا ومطرًا فضلًا عن ادلَّة اخرى لا محلَّ لها هنا». ثمّ ارتأى الكاتب ان سبب اتخاذ عيد الميلاد في هذا النهار انَّما كان لمنع النصارى من حضور بعض اعياد الوثنيين ليشغلوهم عن الاحتفال بها

نقول انَّ في هذا الجواب عدَّة اشياء لم يتحرَّ صاحب الهلال البحث عنها فعرضها دون تروٍ كاف. فقولهُ اوَّلًا «انَّ في القرنين الاوَّلين احتفل النصارى بعيد الميلاد في بعض ايَّام يناير او ابريل او مايو» ليس بصحيح. ونعلم انَّ الكنيسة الرومانية اوَّل من احتفل بعيد ميلاد الرب منفردًا عن عيد الغطاس كما شهد بذلك القديس يوحنَّا فم الذهب في عظةٍ القاها في بدء كهنوتهِ سنة ٣٨٦ وفيها يقول «ان كنيسة رومة عندها في ذلك أصدق الاعلامات». وتشهد على هذا ايضًا اقدم الكلندارات. ثانيًا لا صحَّة لقولهِ انَّ الكنيسة الشرقيَّة اجمعت على ان هذا العيد يوم ٦ يناير. والصواب انَّ الكنائس الشرقيَّة قبل القرن الخامس لم تعيّد عيدًا منفردًا لعيد الميلاد بل كانت تجمع بين عيدَيْ الميلاد والغطاس لان الربَّ ظهر للشعوب يوم عمادهِ ثمَّ اقتدت هذه الكنائس بالكنيسة الرومانية فافردت لعيد الميلاد يومًا خصوصيًا هو يوم ٢٥ دسمبر. وبقيت بعض الكنائس على عادتها القديمة منها كنيسة الارمن فانها تحتفل بالعيدين في ٦ يناير (لا في ١٨ يناير كما قال الهلال ما لم يُشر بذلك الى الحساب اليوليّ القديم)

ولم يصب الهلال بتخطئتهِ عادة الطوائف الكاثوليكيَّة على تعييد ميلاد الربّ في

٢٥ دسمبر فانّ ذلك تقليد يرتقي الى بدء النصرانيّة يشهد لهُ القديس اقود اسقف انطاكية في القرن الاوَّل وكتاب قوانين الرسل في القرن الثاني ويوليوس افريقانوس المؤرّخ في الثالث والقديسون اثناسيوس وايرونيموس واوغسطينوس ويوحنّا فم الذهب في الرابع. ونعلم انّ قليلين من الاباء كاقليمنس الاسكندري ارتأوا غير ذلك لكنّ رايهم لا يرجح على رأي السابقين. رابعًا ونعجب من اعتراض الهلال المأخوذ من رعي الرعاة لقطعانهم في الفلاة في دسمبر مع ان من لهُ ادنى علم بعوائد بلاد اليهوديّة لا يستغرب ذلك. وانّنا نعرف رجلًا من بيت لحم سكنها ١٥ سنة رأى القطعان ترعى ليلًا في الفلاة في هذا الفصل من السنة. وشهد بذلك كثيرون من سيّاح الفرنج مثل برُوخرد وغيرهِ. وكنّا نودّ ان لا يبخل علينا الهلال بالأدلّة الاخرى التي ضرب عنها صفحًا لعلّها أقوى من هذا. خامسًا لا صحّة لقول الهلال ان عيد الميلاد وُضع في ٢٥ دسمبر منعًا للنصارى من احتفال اعياد وثنيّة ونحن نعلم انّ النصارى الاوّلين كانوا يستنكفون لعوائد المشركين ويأنفون منها بيد انّ تواريخ الرومان لا تذكر في ٢٥ دسمبر عيدًا خصوصيًا لآلهتهم ل. ش.

أسئلة وأجوبة

س سُئلنا ما هو اصل تسمية العرب ليسوع المسيح باسم عيسى

ج قال بعض النحويين انّ اسم عيسى ويسوع واحد قلب الاوّل عن الثاني بنقل العين الى اوّل الكلمة. وعندنا ان اسم عيسى تحريف اصلهُ من اليهود ارادوا بذلك ان يلمّحوا باسم عيسو تهكّمًا. كما انهم دعوا رومة بأدوم بغضًا وحقدًا وذلك هو السبب الذي من جرّائهِ دعا كثيرٌ من مؤرخي الغرب الرومانيين باسم بني الاصفر والاصفر ترجمة ادوم. وما يدلّنا على ان اصل كلمة عيسى من عيسو هو ان النصارى لم يستعملوا اسم يسوع على هذه الصورة. امّا انتقال العرب من عيسو الى عيسى فذلك على طريقة التشبُّه باسم موسى. وكثيرًا ما تصير هذه الموافقة بين اسماء الاعلام كقولهم هابيل وقابيل (قايين) وجالوت وطالوت (شاول). ولبدل الواو بالالف سبب آخر مبنيّ على قواعد اللغة العبرانية حيث تبدل الواو بالف ممدودة في آخر الالفاظ نحو שלה بدل שלו ومثلهُ عيسو עשו صارت عيسى [1] ه. ل.

1) Cfr. Kampffmeyer, alte Namen in heut. Palæstina, Z.D.P.V. XV. p. 107

س سأل ص. ح. عن اصل الخداع الجاري عند بعض الفرنج في اوَّل نيسان وهم يسمُّونهُ سَمَكة نيسان (poisson d'avril)

ج لا يُعلَم بنوع صريح اصل هذا الخداع المزحيّ بين الفرنج وبعض الشرقيين جريًا على عوائدهم. فقيل انَّ فيهِ اشارةً لما لحق المسيح في نيسان من الاهانات وقت آلامهِ لَّما ارسل من مجلس حانان الى قيافا ثم الى بيلاطوس ثم الى هيرودس. وقيل انَّ في صيد السمك الواقع في نيسان كثيرًا ما يخيب امل الصيَّادين فلا يصطادون شيئًا. وزعم البعض انَّ اصل ذلك يرتقي الى لويس الثالث عشر ملك فرنسة وكان حبس بعضَ الامراء في مدينة نانسي فنجا الامير من حبسهِ وقطع نهر الموز (Meuse) سابحًا فافلت فارسل اهل الامير للملك سمكةً يريدون بذلك انَّهُ تملَّص من يدهِ كالسمكة

هدايا

أُرسل الى ادارة المشرق العدد الاوَّل من مجلَّة الصنائع الاسلامية وهي تطبع في باريس بالتركيَّة والفرنسيَّة وتصدر مرَّة في الشهر يزينها عدَّة تصاوير من المسكوكات وغيرها

وارسل العدد الاوَّل من مجلَّة الهُدى المطبوعة في فيلادلفيا وتصدر مرَّة في الاسبوع لمحرّرها الخواجه نعوم مكرزل

واهدتنا مطبعتنا الكاثوليكية نسخةً من مقالة حضرة الاب انطون صالحاني في استعمال الفطير والخمير التي حررها في مجلَّة المشرق فطبعت على حدةٍ وتباع في مطبعتنا بقرشٍ واحدٍ

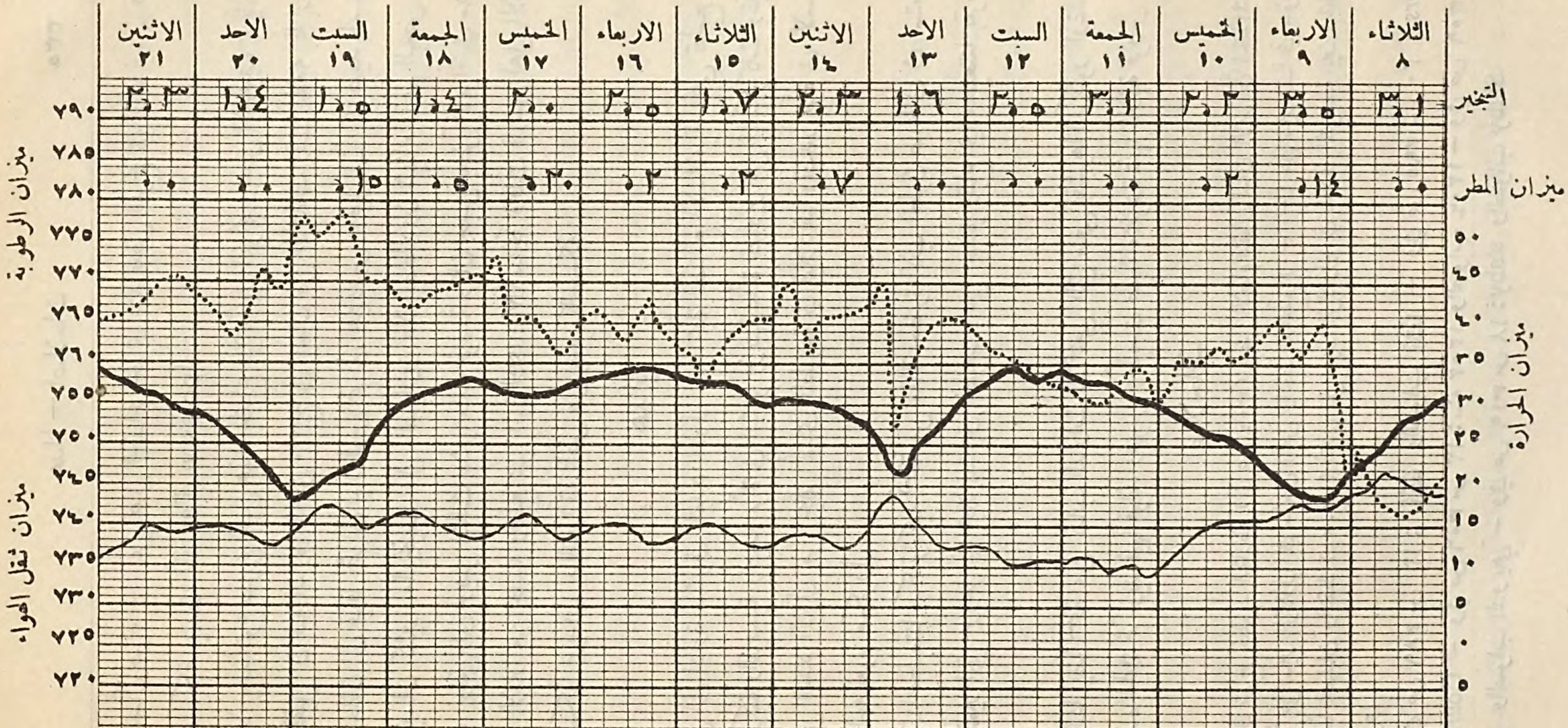
واهدتنا ايضًا نسخةً من كتاب الدارات للاصمعي التي سعى بنشرها الدكتور اوغست هَفنر في هذه المجلة ثمَّ زيد فيها فوائد وفهرس وطُبعت طبعة منفردة ثمنها ثلاثة قروش

اصلاحات

قد جاء في شرح خطوط الخارطة (في ص ٣٠٤) بعض الابهام فنقول لبيان الامر انَّ الخط المنقَّط (....) يدلُّ على سير الزلازل في ساحل البحر والخطّ المتقطّع (-.-.-) على سيرها في سوريَة المتوسّطة. امَّا الصلبان والنقط (.×.×.) فتدل على سير الزلازل في البلاد المتوسطة بين الخطَّين السابق ذكرها

وجاء في ص ٢٨٩ س ١٢ : أَحْتَرَ والصواب أَحْتَلَ — وفي ص ٢٩٥ س ٢٠ : *Cors* والصواب *Cours* — وفي ص ٣٠٦ س ١٢ : سنة ١٢٠٢ والصواب ١٢٠٤ — وفي ص ٣٠٩ س ٢١ : الديهي والصواب الدويهيّ — وفي ص ٣١٩ س ١٨ : slaby والصواب Slaby

قائمة للآثار الجوّيّة من ٨ الى ٢١ اذار ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

الزلازل في سوريَّة

بيان نواميسها وسيرها

للاب هنري لامنس اليسوعي

(تابع لما قبلُ)

وقد أسهب الكَتَبة الشرقيُّون[١] في وصف الزلزلة التي وقعت في تشرين سنة ١١٣٨ (صفر ٥٣٣) وكانت فيها الزلازل عديدةً هائلة بالشام والجزيرة وكثير من البلاد واشدّ ما كانت بالشام لا سيَّما حلب. قال كمال الدين المعروف بابن العديم في كتاب زبدة الحلب في تاريخ حلب[٢]: وفي يوم الخميس ثالث عشر صفر حدثت زازلة شديدة ثمَّ اتَّبعتها اخرى وتواصلت الزلازل فهرب الناس من حلب الى ظاهر البلد وخرجت الاحجار من الحيطان الى الطريق وسمع الناس دويًّا عظيمًا وانقلبت مدينة الاثارب... وهلك اكثر البلاد من شِيح وتلّ عماد وتلّ خالد وزَرْدَنا. وشوهدت الارض تموج والاحجار عليها تضطرب كالحنطة في الغربال وانهدم في حلب دور كثيرة وتشعَّث السور واضطربت جدران القلعة... وتواترت الزلازل الى شوَّال وقيل ان عدَّتها كانت ثمانين زلزلة (اه). وروى السيوطي عن صاحب مرآة الزمان انَّها اهلكت مائتي الفٍ وثلاثين الف انسانٍ. الَّا ان في هذا العدد غلوًّا ظاهرًا

٣

وربَّما يشتدّ لظى النيران الداخليّة حتَّى تظهر مفاعيلهُ في الخطَّين معًا اعني في الخط الساحليّ والخطّ الشرقيّ. فتكون حينئذٍ الزلازل اسوأ عاقبةً كما جرى في زلزلة سنة ٨٥٩

١) راجع الكتبة الشرقيين في حروب الصليبيين الجزء الاوَّل ص ٢٥ و ٤٣٣ والجزء الثالث ص ٥٠٢ و ٦٧٩ و ٦٨٠

٢) الجزء الثالث من الكتاب السابق ص ٤٣٩

(٢٤٥ ﻫ) . قال الطبريّ (١ « كانت في هذه السنة بانطاكية زلزلة ورجفة في شوّال قتلت خلقاً كثيرًا وسقط منها الف وخمسمائة دار . . . وسمعوا اصواتًا هائلة لا يُحسنون وصفها من كُوى المنازل . . . وتقطَّع جبلها الأَقرع وسقط في البحر فهاج . وارتفع منهُ دخان مظلم مُنتن وغار منها نهر على فرسخ لا يُدرى اين ذهب . واصاب حمصَ ودمشق والرها وطرسوس وادنة وسواحل الشام وارجفت اللاذقية فما بقي منها منزل ولا افلت من اهلها الّا اليسير وذهبت جَبَلة باسرها » . وحدث مثل هذه الزلزلة في سنة ١١٥٧ (٥٥٢ ﻫ) خرب فيها بلاد كثيرة منها حماة وحمص وانطاكية واللاذقيَة وطرابلس وبيروت وصيداء وصور وعكّة . امّا قلعة شَيْزر فخربت كلُّها وقتل فيها جميع بني مُنْقِذ لانّ صاحب القلعة كان في ذلك اليوم ختن ولدًا لهُ وعمل دعوةً دعا اليها كلّ بني مُنقذ في دارهِ . وكان لهُ فرس يحبّهُ ولا يكاد يفارقهُ فكان المهر يومئذٍ على باب الدار فجاءَت الزلزلة فقام الناس ليخرجوا من الدار فلمَّا وصلوا محفلين الى الباب رمح الفرسُ رجلًا كان اولهم وامتنع الناس من الخروج فسقطت الدار عليهم كلهم وخربت القلعة لم ينجُ منها الّا الشريد (١

ومما رواهُ المؤرخون عن المدن المصابة بزلزلة سنة١٢٠٢ (٥٩٨ ﻫ) وهي بالخصوص حماة ودِمشق وصور يمكن ان نستنتج ان الخطَّين المشار اليهما قد أُصيبا ايضًا على السَّواء . وقد روى عبد اللطيف البغدادي تفاصيل هذا الحادث في كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة بمصر (طبعة مصر سنة ١٢٨٢ ص ٥٩) فاحببنا نقل كلامهِ ملخصاً لما فيهِ من الفوائد المبيّنة لغرضنا . فانَّهُ بعد وصفهِ لما عاين من امر الزلزلة في مصر اردف قولهُ : « ثم اخذت الاخبار تتواتر بحدوث الزلزلة في النواحي النائية والبلاد النازحة في تلك الساعة بعينها والذي صحَّ عندي انَّها حرَّكت في ساعة واحدة طائفة من الارض من قوص الى دمياط والاسكندريَة ثم بلاد الساحل باسرها والشام طولًا وعرضًا وتعفَّت بلاد كثيرة بحيث لم يبقَ لها أثر . . .

« وسمعنا انَّ الزلزلة وصلت الى اخلاط ونحوها والى جزيرة قبرس وانَّ البحر ارتطم وتموَّج وتشوَّهت مناظرهُ فانفرق في مواضع وصارت فرقهُ كالاطواد وعادت المراكب على الارض وقذف سمكًا كثيرًا على ساحلهِ »

---

١) راجع ابن الاثير في تاريخ سنة ٥٥٢ ﻫ

ثم ذكر عبد اللطيف نسخة كتابين وردا من حماة ودمشق يقال في الاول: «لما كان سحرة يوم الاثنين ٢٦ من شعبان حدثت زلزلة كادت الارض تسير لها سيرًا والجبال تمور مورًا وما ظنَّ احد من الخلق الّا انَّها زلزلة الساعة . واتت دفعتين في ذلك الوقت امَّا الدفعة الاولى فاستمرَّت مقدار ساعة او تزيد عليها واما الثانية فكانت دونها ولكن اشدّ منها. وتأثَّر منها بعض القلاع فاوَّلها قلعة حماة مع اتقانها (١ وعمارتها وبارين مع اكتنازها ولطافتها وبعلبكَ مع قوَّتها ووثاقتها . . . ثمَّ حدث في يوم الثلاثاء (٢٧ منهُ) عند صلاة الظهر زلزلة استوى في علمها اليقظان والنائم وتزعزع لها القاعد والقائم. ثم حدثت في هذا اليوم ايضًا وقت صلاة العصر. ووصل الخبر من دمشق بانّ الزلزلة افسدت فيها منارة الجامع الشرقيَّة واكثر الكلاسة والبيمارستان جميعهُ وعدَّة مساكن تساقطت على اهلها فهلكوا»

وفي الكتاب الآخر بعد تفصيل ما جرى من الخراب بدمشق يقول الكاتب: «وذُكر عن بلاد المسلمين انَّ بانياس سقط بعضها وصفد كذلك ولم يبقَ بها الَّا من هلك سوى ولد صاحبها وكذلك تبنين ونابلس لم يبقَ بها جدار قائم سوى حارة السَّمَرة ويذكر انَّ القدس سالم والحمد لله. وامَّا بيت جنّ فلم يبقَ منهُ ولا اساس الجدران الَّا وقد اتى عليهِ الخسف. وكذلك اكثر بلاد حوران غارت ولم يعرف لبلد منها موضع يقال فيهِ: هذه القرية الفلانية. ويقال انَّ عكَّة سقط اكثرها وصور ثلثها وعَرقة خُسِف بها وكذلك صافيتا. وامَّا جبل لبنان فهو موضع يدخل الناس اليهِ بين جبلين يُجمع منهُ الريباس الاخضر فيقال انَّ الجبلين انطبقا على من بينهما وكانت عدَّتهم تناهز مائتي رجلٍ . . . واقامت بعد ذلك الزلازل اربعة ايَّام تحدث في النهار والليل. ونسأل الله لطفهُ وتدبيرهُ وهو حسبنا ونعم الوكيل»

وممَّا جاء في اخبار المماليك للمقريزي (٢ في تاريخ سنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٧) ما ملخَّصهُ: «انَّ البريد المرسل من حماة اتى مصر بكتاب مسجَّل بتوقيع قاضي المدينة وفيهِ انَّ في منتصف بعض الليالي سمع اهل بارين دويًا هائلًا في الجبلين التي بينهما موقع قريتهم. فلمَّا اسفر الصباح اسرع القوم زرافاتٍ الى محلّ الحادث فاذا باحد الجبلين قد انصدع في

١) وقد ذكر ابو الفداء خراب قلعة حماة في تاريخ هذه السنة ولم يزد على ذلك تفصيلًا

٢) Ed. Quatremère, IV, 261

وسطهِ فانضمَّ قسم منهُ الى الجبل الآخر الموازي لهُ وبقي قسمٌ في موضعهِ وكان طول القسم المنتقل مائة وعشر اذرع والمسافة التي قطعها مائة ذراع ولم يصبهُ في انتقالهِ ادنى تغيير. وبقيت المياه الجارية في الوادي بين الجبلين على حالها. وكان لهذا الامر المستغرب شهرة عظيمة فاتى قاضي حماة بشهود وتحقَّق الامر وسجَّلهُ»

وبارين هذه في وادي العاصي في ممرّ خطّ سوريَّة الشرقيَّة. ولا شكّ ان ما رواهُ المقريزي قد سبَّبتهُ زلزلةٌ وقعت في تلك السنة لم يفدنا عنها شيئًا غيرهُ من المؤرخين

وفي ما ذكر مؤرخو عصرنا عن زلزلة ١٨٣٧ ان الهزَّة الاخيرة التي وقعت في اوَّل كانون الثاني ابتدأت من جهة بحر لوط واجتازت بلاد الشام طولًا وتركت في سيرها آثار الخراب والدمار. فتعفَّت آثار مدينة صفد وتواترت الهزَّات في صور ودامت زمنًا طويلًا. ولمَّا مرَّ بعض السيَّاح في هذه البلدة بعد وقوع الزلازل بقليل اخبرهُ اهلها انَّهم شعروا مدّة بضعة دقائق بهزَّاتٍ قويّة بحيث خُيّل لهم ان الرأس الذي عليهِ مبنيَّةٌ مدينتهم كاد ينفصل عن الساحل فيندحر في غمر البحر. وشهد لهُ الملاَّحون ان سطح البحر تصاعد من الجهة الغربيّة فوق الصخور وذلك دليل بيّن على خَسْف في الارض(١

٤

لقد تغيَّر مركز حركات الزلازل في مختلف اطوارها وانتقل كانتقال شرَر الكهرباء ذهابًا وايابًا في الاسلاك التلغرافية. فمن ثمّ نرى سير الزلازل في بعض الاوقات ينتقل على الخطَّين المتوازيين السابق ذكرهما ثمَّ ينعكس متقهقرًا. ومثال ذلك زلزلة سنة ١١٥٧ م فانَّ السيوطي ذكر ان الهزَّة اتت من الشمال الى الجنوب مارّة بحماة ثمّ حمص ثمّ دمشق وانها عادت ثانية الى الشمال فشُعِر بها في حلب

وكان مبدأ الهزَّات الارضيَّة في سنة ١٧٥٩ واقعًا في ٢٠ نيسان فشعرت بها حلب خفيفةً ثم تفاقمت فابتُلي بها اهل طبريَّة وجوارها في ٣٠ تشرين الاوَّل وفي غرَّة كانون الثاني. ثمَّ تغيَّر مركز قوَّتها فمالت الى الشمال واصابت بعلبك وبلاد البقاع بضربات هائلة دُمّرت بسببها عدّة امكنة وتزعزعت آثار قلعة بعلبكّ الشهيرة فخرب منها جانب كبير وبلغ عدد القتلى عشرين الفًا. وعقيب ذلك بثلاثة ايّام عادت الزلازل الى حلب فكادت تقوّض اركانها وبقي وادي الاردن راتعًا في الراحة والسكينة مدَّة مائة سنة

(١ Jules de Bertou : *Topographie de Tyr*, p. 8

وبعكس الامر اخذت حركات الزلازل تتكرّر مذ ذاك الحين في الخطّ الساحليّ . ففي ١٤ شباط ١٧٦٤ جعلت طرابلس تمور وتهتزّ . وفي السنة التالية كان سيران الزلازل يتردّد بين حلب وطرابس وبقيت كذلك عدّة سنين حتّى انتهت بزلزال مريع شعرت بهِ اللاذقية سنة ١٧٩٤ في ٢٤ نيسان فعاد خطّ الساحل الى هدوءٍ مدّةً

ولم يتّسع نطاق مراكز حركات الزلازل اتّساعًا بالغًا في سنة ١٨٢٢ . فبعد ان سبقت لها علامات معلومةٌ اخذت الهزّات تتناوب حلب في صبيحة ١٣ آب بشدّة غير مألوفة حتّى اخربت معظم تلك البلدة الزاهية العامرة . وفي الايّام التالية انتقلت نقطة الحركات الارضيّة الى انطاكية وانتهت الى اللاذقيّة . ثمّ عاودت الزلازل حلب في ٥ ايلول فدهمتهـا بمصاب جَلَل فهلك من جرّائها عشرون الف نسمة . ولم تزل الهزّات تتوالى الى ايّار في سنة ١٨٢٣ . فمذ ذاك الحين انتقل مركز حركة الزلازل الى الغرب في جهات انطاكية ومذ شهر حزيران من تلك السنة حلّت بها مرّةً بعد اخرى جرّعت اهلها المضَض بينما عاد لحلب قرارها

وآخر اطوار الزلازل المشتهرة في سوريّة انّما كان في سنتيْ ١٨٧٢و١٨٧٣ . وبدء وقوع الزلزلة الاولى في ٣ نيسان سنة ١٨٧٢ اصابت شمالي سوريّة وكانت نقطتها المركزيّة ما بين انطاكية والسويدية . فكان عرضها قليل الاتّساع امّا طولها فامتدَّ من ديار بكر الى بيروت ثمّ سارت الهزّات نحو الشرق وفي ٥ آب تفاقمت وابتلى الله بها البلاد الواقعة بين انطاكية وحلب . وفي غرّة السنـة التالية عادت انطاكية فصارت مركزًا لصدماتها المرهبة وانتهت برجفات شديدة شُعِر بها على مدى ساحل فينيقية من يافا الى بيروت

٥

فممّا تقدّم يظهر للقرّاء انّ البلاد التي استشرى فيها فساد الزلازل اكثر من سواها انما هي الواقعة في ضواحي حلب وانطاكية (١ اعني في جوار السهول الشاميّة التي اليها تنتهي آخر تفرّعات جبال قيليقيـة . ومجمل ما راقبهُ العلماء من الزلازل في سوريّة يبلغ بالعدّ ١٢٣ زلزلة فاثنتان وستون منهـا كان معظم قوّتها في ما توسّط بين هاتين البلدتين . فليت شعري كيف لا يزال بعد هذه النوائب المتواترة اهل حلب مستوطنين بلدتهم . ولا جرم انّ ثباتهم فيها رغمًا عن هذه الاخطار لدليل بيّن على مكانتها في الخطارة

١) راجع تاوفانس في تاريخ سنة ١٣٣ و ٤٠١ و ٤٦٩ وتاريخ الدول لابي الفرج في سنة ١٣٧ و ١٤٥

وحُسن موقعها للتجارة وذلك هو السبب الذي يحمل اهلهـا على تعميرها بعد نكباتها بالزلازل . ويصحُّ قولنا هذا في انطاكية نفسها ولو خمل ذكرها في زماننا

وللاَّذقية بعد حلب وانطاكية المقام الثالث في أَنصبة الزلازل المشؤومة ما لم تُقدَّم عليها صور لانَّ هذه ايضًا منذ عهد قديم اشتهرت بمـا يحلُّ بها من الزلازل كما شهد على ذلك كوينتس كورسيوس (الكتاب ٤ فصل ٤)

واذا أُصيب الخطّ الشرقي المارّ في وادَيِ العاصي والاردنّ اهتزّت ايضًا غالبًا ضواحي دمشق كما جرى الامر في السنين الآتية ١١٣٨ و ١١٥٧ و ١١٧٠ و ١٢٥٩ الخ . ولكن قد يغلب عليها حسن العاقبة فلا تأتي بضرر كبير . ولم تعدّ دمشق الفيحاء نفسها مركزًا للزلازل اللهمَّ الَّا في النادر . فاذا اصيبت يكون ذلك عَرَضًا لوقوعها في جوار خطّ سوريَّة الشرقي المجتاز بطريق البقاع ووادي الاردنّ

وقد قرأنا في مقالة للدكتور شَبلن عن هواء اورشليم (١ انَّ اكثر وقوع الزلازل في وقت الامطار فانَّ رُصّاد الحركات الارضيَّة وجدوا انَّهُ في مدَّة اثنتين وعشرين سنـة قد رُصد اثنتـا عشرة زلزلة فتسعٌ منها حلّت في فصل الامطار . وكان قد سبقهُ الى هذه الملاحظة الجغرافيّ الشهير مَلْت برون (٢ فقال صريحًا : انَّهُ لمن المقرّر بالمراقبة انّ اغلب الزلازل تقع في الشتاء بعد امطار الخريف . وقد زاد على ذلك علماء الجمعيّة الجغرافيَّة في برلين (٣ انّ حلول الزلازل في سوريّة وقت تهبُّ الريح الجنوبية الشرقية فيثقـل الهواء ويعتكر الجوّ من جرّائهِ كما يحدث ذلك عند لفح السَّموم (الشلوق)

وكنَّا نودّ ان نقابل هذه المحوظات مع اقاويل الكتَّاب الاقدمين الَّا انَّ المؤرخين الشرقيين لم يأتوا بهذه التفاصيل المفيدة واستغنوا بالاوصاف العامّة . امَّا الوقائع التي عيَّنوا تاريخ شهرها ويومها فثلاث عشرة تسعٌ منها جرت في الشتاء من غرَّة تشرين الثاني الى غاية نيسان وذلك مؤيّد لقول الدكتور شَبلن السابق ذكرهُ

وفي ختام مقالتنـا نطلب من الله ان يصون بلادنا من شرّ هذا البلاء العظيم ويا ليت الاهلين يأخذون منهُ حذرهم فيكونوا على مقتضى قول الانجيل مستعدّين لملاقاة ربّهم

---

١) Z. D. P. V., XIV, 98 ٢) Géogr. II, 409

٣) اعمال سنة ١٨٤٤ ص ٢٤٣

الفيلوكسيرة او دودة الكرم

لجناب الشاب الاديب سليم افندي اصفر

(تابع لما قبل)

وسائل ابادة الفيلوكسيرة

ان الوسائل التي استنبطها المتشاغلون بوقاية الكروم من آفة الفيلوكسيرة هي عديدة ولكن اكثرها لا يجدي فائدة ونقتصر هنا على المُعالجات المستعملة اليوم قاسمينها الى ثلاثة اقسام تسهيلاً لدرسها. وهي الوسائل الكيموية والطبيعية وغرس الدوالي الاميركية

(الوسائل الكيموية)— هي الوسائل القاتلة للحشرات مثل سولفور الكربون وسولفات كربونات البوتاسا والتبييض بالكلس

١ سولفور الكربون. — يجب استعمالهُ وقت ظهور المرض اذ يكون الأذى غير بالغ من الجراثيم مبلغاً متقدماً. اما بعد ذلك فان مضرَّتهُ اكثر من منفعته لان الجراثيم تكون بحالة من الضعف لا تمكّنها من احتمال الجرعات الضرورية لنَيل المقصود. ولا تحصل نتيجة مَرضيَّة الّا في الاراضي العميقة المعتدلة الصلابة اي التي لا تكون كثيرة الرطوبة ولا كثيرة الجفاف او كثيرة الحصى. فانها اذا كانت كثيرة الرطوبة يبطئ تبخُّر السائل القاتل الحشرة وربَّما اتلف اصول الدوالي. وان كانت كثيرة الجفاف سهَّل ذلك تطايرَ السُّولفور في الجوّ. امَّا الاراضي الكثيرة الحصى فانهُ يصعب فيها استعمال الآلات المتَّخذة لافراغ السائل فيها حقناً

وينبغي إيلاج سولفور الكربون بالمساواة الممكنة في كل الطبقة التي تكون فيها اصول الدوالي. ويحسُن أن تُصنع الثقوب على مسافة ٢٥ الى ٤٠ سنتيمتراً من الجذور. ولك ان تستعمل هذا العلاج في اي وقت شئت من السنة ولكن الافضل استعمالهُ في الشتاء. اما أحسن آلة تُستعمل لادخاله حقناً في الارض فهي آلة غَسْتين (pal Gastine) التي تتركَّب من اسطوانة معدنية قائمة بمقام حوض مملوء من المائع القاتل للحشرة وفي داخلها مِضَخَّة (طلمبة) وفي المضخّة مكبس وانبوب طويل خرَّاق ينفذ التربة ناقلًا اليها سولفور الكربون. امَّا الكميَّة التي يجب استعمالها في الهكتار فبين ١٥٠ و ٢٥٠ كيلوغراماً

٢ سولفات كربونات البوتاسا. — يُستعمل هذا العلاج ممزوجاً بالماء ثم يجري ادخالهُ في التربة. وهو عبارة عن ملح يستخرج من سولفور الكربون ولذلك فهو يترك في الارض كمية من كربونات البوتاسا التي هي سماد جيد وهو اقلّ خطرًا على الدوالي من سولفور الكربون الّا انهُ اوفر كلفةً فضلًا عن ان فاعليتهُ في قتل الحشرة أقل من فاعلية العلاج السالف

٣ التبييض بالكلس. — وهو ان تطلى الجذور بالكلس. واوّل من اشار بهذا العلاج المسيو بالبياني احد الاساتذة في المدرسة الافرنسية (Collège de France) اتلافاً للبيضة الشتوية التي سبق الكلام عليها. ولكن بما انهُ قد ثبت ان الفيلوكسيرة يمكن ان تتولّد دون لقاح الذكر اربع سنوات في الاقلّ كانت هذه المدة من الزمن كافية لاجل اتلاف الكروم

(الوسائل الطبيعية). — هي غرس الكروم في الاراضي الرمليــة وتغريق التربة. ففي الحالة الاولى يعتبر الخلاء الواقع في الرمل غير كافٍ لحركة الحشرات الصغيرة لانها كلما تحركت اوقعت حولها بعض حبوب الرمل وهكذا يلامسها من كل صوب وجهة ولا يبقى بينها وبينهُ سوى فُرَج شعريّة فاذا مرّ في خلالها احاطت بالحشرة وبَيْضها طبقــةٌ رطبة مستمرة تضيّق عليها مجال التنفس وتجرّ اليها الموت. وهذا رأي ڤانوتشيني

امّا التغريق فقد حصلت عنهُ نتائج مرضية جدًّا في كل محل يتيسَّر استعمالهُ وهو يقوم بان تغطَّى كل سنة ارض الكروم بطبقة من الماء ارتفاعها من ٢٠ الى ٢٥ سنتيمترًا مدَّة ٣٠ الى ٤٠ يومًا ولك ان تبتدئ هذه المدَّة مع رجاء النفع عقيب القطاف وتصلُّب الزراجين اي في شهر تشرين الثاني. امّا كميَّة الماء التي يجب استعمالها في هذا العمــل للهكتار الواحد فتختلف بين الف والف وخمسمائة متر وقد ينبغي احياناً ان تكون ثلاثة آلاف متر حسب طبيعة الاراضي

(غرس الدوالي الاميركية). — ان الدوالي الاميركية التي اتت بعدوى الفيلوكسيرة لم تكن تتلف من جرّائها بل كانت تعيش والعدوّ عاجز عن ان يعدمها الحياة. امّا الدوالي الاوربية فما كانت لتقدر على مقاومة الفيلوكسيرة بل تموت متأثرةً من اذاها. ولمّا لاحظ العلماء الافرنسيون المتشاغلون بامور الكرمة هذه الملاحظة رأوا استعمال الدوالي الاميركية احسن وسيلة للشفاء من داء طال أمدهُ. وهذا هو السبب في بعثة المسيو بلانشون الى اميركة فعاد منها مؤيدًا تأييدًا مطلقاً رأي العلماء المذكورين. وبعد مدَّة أُرسلت بعثة أُخرى برئاسة الاستاذ الشهير مدرس تربية الكرم في مدرسة الفلاحة بباريس وقد مكّنت المتشاغلين بهذه المسائل من

وضع اساسٍ لدرس الانواع الاميركيــة من حيث درجة مقاومتها للفيلوكسيرة وموافقتها لاشكال التربة على اختلافها وقابليتها لطعم الانواع الموجودة في البلاد لانَّ اغلبها لمَّا لم يكن ممكنًا الانتفاع منهُ بصفة حامل مباشر للعنب يستخدم فقط مثل حامل للطعم

ولا يحسن السكوت هنا عن المقام الرفيع الذي حصلتهُ مدرسة الزراعة في مونپليه فقد كانت في هذه السنوات الاخيرة اعظم واخص مدرسة في تربية الكرمة لا في فرنسة وحدها بل في العالم ايضًا

ان مقاومة الدوالي الاميركية للفيلوكسيرة متأتية عن الفرق الكائن بين تركيب نسيج اصولها وتركيب نسيج اصول الكرمة الاوربية المدعوة بلغة النباتيين (Vitis Vinifera) فان اصول الاولى هي في حالة من التحطُّب اكمل مما هي عليهِ اصول الثانية كما ان القشرة فيها ارقّ واكثف والاشعَّة الخيَّة هي اضيق واكثر عددًا ومكوَّنة من خلايا أصغر وذات جدران اسمك واقلّ تأثيرًا من التغييرات التي تتسبَّب عن وخزة الحشرة. ولا ينتج من هذا ان جميع الدوالي الاميركية تقاوم الفيلوكسيرة بدرجة واحدة بل ذلك بنسبة اكتمال هذه الخصائص فيها او ضعفها

ثم ان كل الدوالي الاميركية لا تلائم كل انواع التربة والمناخات المختلفة فيترتب على من يريد غرسها ان يعتمــد افادات العلماء الخبيرين لانهم يعرفون اوصاف التربة التي توافقها وقد وضعوا لذلك جدولًا سمَّوهُ « جدول المقاومة » كما انهم وضعوا جدولًا آخر سموهُ جدول لقابلية الفيلوكسيرة لاصناف الدوالي الوطنية

امَّا انواع الدوالي الاميركية التي يشاهد نسيجها اوفر موافقة للالتحام مع طعم الدوالي الوطنية فهي الآتية اسماؤها :

V. Riparia, Jacquez, Vialla, Taylor, Berlandieri, Rupestris

امَّا افضل الوسائل التي عددناها لانقاذ الكرمة من الفيلوكسيرة فهي غرس الدوالي الاميركية مكان الوطنية على شرط ايفاء مقتضياتها. ولكن كيف السبيــل الى استعمالها في ناحية سليمة دون نقل المرض اليها ؟ نجيب ان المسألة خطيرة وتؤيد خطارتها العناية التي اتخذتها الدُّول المختلفــة في استجلاب الدوالي المذكورة. وغاية ما يقال في هذا المقام انهُ لا يسوغ ادخال دوالي اميركية او غيرها صادرة من بلاد موبوءة الى محلّ سليم. اما اذا كان هذا المحل السليم قد تلوَّث لسبب من الاسباب في بعض انحائه ومسَّت الحاجة الى الاستعداد

لمقاتلة الداء. وجب الجري في استجلاب الدوالي الاميركية او الاوربية على القاعدة التابعة يجب ادخالها سُروغًا دون ساقٍ لاسيما بعد ان يكون قد سبق تطهيرها او تكثيرها بطريقة الزرع. وكل طريقة اخرى في استجلابها مضرَّة وممنوعة. وهكذا اذا حلّ الداء لا يهاجمنا ونحن غافلون بل يكون عندنا غراس نستطيع ان نزرعها بدل الاصول المريضة ونكون قد اهتممنا لصالحنا دون ان نضر بصالح البلاد العام

استعمال الكحل

للدكتور كامل سليمان الخوري من حمص

ما اعظم ما كان جذلي وحبوري لدى تلاوتي المقالة التي ادرجها (في المشرق ص ٢٠٧) استاذي النطاسي الفاضل الدكتور شاكر افندي الخوري. فايمُ الحق لقد كان لصدى مقالتهِ رنّة إستحسان عند كلّ طبيب ذي ضميرٍ حرّ نظرًا لما يُقاسي من الأتعاب ويتجشَّم من المصاعب في محاولتهِ إبطال عوائد قد تمكنت من الأهلين ولا تمكُّن الشرايين من الجسم. وقد كان خطر في بالي مرارًا عديدة ان اكتب ملاحظتي عن عادة استعمال الكحل السيئة هذه. ولكني لم اكن لأجسر على ابداء رأيٍ جديد في فنّ الرَّمد خشيةَ من ان يُحسَب ذلك بدعةً مني. فيا حبَّذا لو كان حضرة الاستاذ الموما اليهِ يشرّف حمصنا فيرى ما يذهلهُ لانَّ هذه العادة هي منتشرة عندنا هنا اضعاف ممَّا هي في بيروت وهاتيك الجهات. وتعسًا للطبيب الذي يجسرُ ان يقول لامرأةٍ بان الكحل (المستعمل عندنا بكثرة حتى قلّما يخلو منهُ بيت) مضرٌّ للعيون فيسقط اعتبارهُ في عينيها ليقينها الثابت انهُ « من احسن المقوّيات للجفون وأفعل مُجليات النظر » وكم وكم من سيّداتٍ قد رَغِبنَ عن معالجتي اياهنَّ لكوني انذرتُهنَّ بسوء العُقبى اذا ما داوَمنَ استعمال الكحل المذكور

والعادة عندنا هي استعمال الكحل الحجري (الذي يجلب غالبًا من الحجاز) للطفل المولود جديدًا مدة اشهر متوالية « تقوية لنظرهِ وتشديدًا لجفونهِ ودرءًا لما ربَّما يطرأُ عليهِ من امراض العيون ». وكلما دَمَعَتْ عينا الطفل اكثرت لهُ أُمُّهُ من الكحل وهكذا يصبح السبب مربوطًا بالنتيجة الى ما شاء الله

وممَّا لا يحتاج الى برهان انهُ اذا كانت الامّ غير حاذقة بوضع مِرْوَد (ميل) الكحل

في عين ولدها ينتج عن ذلك ان يتحرّك الطفل ويحصل لهُ اذًى ليس بالقليل. ومن مزاولة استعمال الكحل وبسبب التهيّج المتكرّر يَحصلُ انتفاخ في فوهة القناة الدمعية قد يؤدي الى انسدادها. ومما يُساعدُ على ذلك ايضًا تراكم مادّة الكحل غير القابل الذوبان. وبهذا الصدد اتذكَّرُ حادثتين شاهدتهما أُرجّح حصولها عن استعمال تلك المادّة: الواحدة منهما كَفَى لشفائها الامتناع عن التكحّل وتكرير الغسول كل ساعة بمحلول الحامض البوريكي على النسبة الاعتيادية. وفي الثانية التي لم يكفِ ذلك لبرئها عرضتُ على المصابة وجوب تمديد القناة الدمعيَّة فانكرت عليَّ ذلك وذهبتْ ولم اعلم ماذا جرى لها

ولمَّا كان الشيء بالشيء يُذكر فلا بأس من ذكر ما يجريهِ النساء عندنا (ولا اعلم اذا كان ذلك جاريًا في محلّ آخر) ليلة عيد القديسة بربارة فانهنَّ يتأَلبنَ في البيوت ويمدحنَ مدائح مخصوصة للقديسة المذكورة لا محلّ لايرادها الآن ويُضئنَ شمعةً يضعنَ فوقها وعاء معدنيًا فيهِ ماء الى ان يكون اجتمع مقدار من السِناج (الشحَّار) عليهِ فيحكُكنَ بهِ المِرْوَدَ ويتكحَّلنَ هنَّ واولادهنَّ والغريب النازل في بيتهنَّ ظنًّا منهنَّ بان من تكحّلَ هكذا لا يخشى الرمد في تلك السنة. ولما كانت هذه المسألة دينيَّة (١ لا اتعرّض بابداء رأيٍ ما انما اوردتُ ذكرها تتمَّة للموضوع. هذا واختم عبارتي بإسداء مزيد الشكر لحضرة الاستاذ الفاضل كونهُ اوَّل من قرع باب مسألة استعمال الكحل نظرًا لما ينجم من الفوائد الجمَّة عن نبذها فلا زال نافعًا للانسانية وجزاه الله خير الجزاء وجزاء الخير والسلام

سلسلة بطاركة الطائفة المارونية

للبطريرك اسطفان الدويهي

عُني بنشرها المعلم رشيد الخوري الشرتوني

(تابع لما سبق)

وفي سنة ١٣٦٧ جرى الاضطهاد على رؤساء الكهنة واستُشهد في النار بخارج مدينة طرابلس البطرك جبرائيل من قرية حجُولا. ثم عقبهُ البطرك داود الذي تكنَّى بيوحنَّا واتخذ السكنى في دير مار سركيس القرن كقول الخوري دانيال الباني في تحرير الكتاب الذي

١) قلنا لا تعلُّق لهذا الامر مع الدين وانما الدين بريءٌ من كلّ هذه العوائد السيئة التي يتَّخذها بعض الجهلة في الاعياد او يلحقونها بالامور الدينيَّة

نسخهُ سنة ١٣٩٧ ان «كان النجاز منهُ في سنة ١٧٠٨ يونانية على يد الخوري دانيال ابن الحاج سمعان من قرية بان على زمان البطريرك داود المكنّى يوحنّا القاطن في دير مار سركيس القرن بارض حردين وكان بطرس مطرانًا في دير قنوبين». ومما كتب المطران قوريلوس الجاجي والخوري اليشع الحبيس والشماس موسى الماردني وغيرهم نستدلّ على انهُ بلغ الى سنة ١٤٠٤

وخلفهُ على الكرسي المطران يوحنّا الجاجي من بلاد جبيل وبعث فرا جوان قاصدًا الى البابا اوجانيوس الرابع لحضر عليهِ في مجمع فلورنسة سنة ١٤٣٦ وجاء لهُ من قدسه بمكاتيب البركة ودرع الرئاسة. ولما دخل القاصد طرابلوس الشام انتشرت البشائر بورود التثبيت وصارت بهجة كبيرة في كل البلاد حتى ان نائب المدينة قبض على فرا جوان وحبسهُ وبما ان بعض أناس من اعيان الطائفة ترلوا فكفلوه حتى أفرج عنهُ ثم هرَّبوهُ حنق عليهم النائب وأحرق بعض املاكٍ وقتل اناسًا من رؤساء الطائفة وبعث فكبس دير ميفوق واخذ الرهبان الى طرابلوس وتكلفت الطائفة من جراء ذلك اموالًا كثيرة. ولهذا السبب اضطرَّ البطريرك ان ينتقل من دير ميفوق الى دير سيدة قنوبين تحت حماية اولاد المقدَّم يعقوب (١

١) ان فرا جوان هذا كان رئيسًا على الرهبان الصغار في بيروت فلما انتهت مدة رئاستهِ اتى الى السيد البطريرك يخبره بذلك وبعزمهِ على العودة الى بلاد النصارى فأوفدهُ البطريرك حينئذٍ رسولًا من قبله الى صاحب الكرسي الرسولي فسافر الى فلورنسة وعرض على الحبر الاعظم الكتابات التي كان قد أرسلها البطريرك وسائر رؤساء الطائفة واعيانها ناطقة بطلب التثبيت والخضوع لكل ما يحدّدهُ آباء المجمع. فسرَّ بها الحبر الاعظم وثبتهُ بطريركًا على الكرسي الانطاكي وانعم عليهِ بدرع الرئاسة وقلدهُ جميع الانعامات والامتيازات التي كانت للذين سلفوا قبلهُ. وبعث ايضًا برسالة اخرى الى الموارنة ورؤسائهم في جميع بلاد الشام مع الراهب البرتوس الذي كان سفيرًا لموارنة بيت المقدس الى مجمع فلورنسة. وتجد نصّ الرسالة المذكورة في الصفحة ٣٩٣ من تاريخ الموارنة

وبقيت رسائل البطريرك وروساء الطائفة محفوظةً في رومية الى أيّام الاسقف جبرائيل القلاعي كما شهد في الرسالة التي كتبها سنة ١٤٩٤ الى البطريرك شمعون الحدثي قائلًا «من مائتين واثنتين وثمانين سنة وصاعدًا حتّى ايّامنا هذه يمينكم وخطوط ايديكم موجودة على يد فرا غريفون وفرا اسكندر وفرا سيمون في رومية وقبلهم على يد فرا جوان رئيس بيروت ووكيل وقاصد بطركم يوحنّا الجاجي الى مجمع فلورنسة» (راجع المجلّة ص ١٤٧)

امّا المقدّم يعقوب فتوفي سنة ١٤٤٤ فخلفهُ في المقدمية اولاده المقدم سيفا والمقدَّم قمر والمقدم مزهر

وفي سنة ١٤٤٥ قضى اجلهُ بكل قداسةٍ في دير قنوبين الذي منذ الزمان القديم بناهُ تاودوسيوس الملك الكبير وكانت لهُ الرئاسة على سائر الاديرة بجبل لبنان. وعند ما كتب لهُ الملك الظاهر برقوق على صفيحة من نحاس ان يكون معفىً من كل التكاليف صار مسكنًا للمطارين ثم تحمَّل بكرسي البطريركية (١

وفي اليوم التاسع من دفنة البطريرك يوحنا الجاجي سنة ١٤٤٥ اجتمع رؤساء الكهنة والاديرة واعيان البلاد فصيروا موضعهُ يعقوب بن عيد الحدثي الذي كان قد تربى في محبسة مار سركيس بالقرب من دير مار يوحنا المعروف بدير مار ابون بسبب ان رئيسه كانت لهُ الرئاسة على جميع الحبساء في جبل لبنان فارسل من جاءهُ بالتثبيت من البابا اوجانيوس. ولما تنيَّح وخلفهُ البابا نقولا (الخامس) ارسل اليهِ مكتوبًا يخبرهُ فيهِ عن ارتقائه الى السدة البطرسية ويطلب منهُ الدعاء الصالح ويوصيه بالثبات على المحبة والاتحاد مع الكنيسة الرومانية على شبه سالفه البطرك يوحنا. وبعد ذلك جاءهُ مكتوب آخر من البابا كاليسطوس وكلاهما مصونان عندنا في دير قنوبين (٢ ودامت رئاسة هذا البطريرك اثنتي عشرة سنة

والمقدَّم زين والمقدم بدر. قال صاحب مختصر تاريخ لبنان في أخبار مقدّمي بشراي انهم حكموا حكماً عادلًا واستتبت الراحة في ايامهم كما كانت في ايام والدهم الذي كانت مدة ولايته ٦٢ سنة

ثم ان البطريرك احضر اليهِ الراهب بطرس من فرَّاره من الاخوة الصغار وأرسلهُ في شهر آب سنة ١٤٤٠ الى رومية بعريضة ضمَّنها الشكر لقداسة الحبر الاعظم مع التأكيد بانهُ هو وشعبه يقبلون بكل ما يسنّهُ الاباء في مجمع فلورنسة ولا سيما في ما يتعلق بانبثاق الروح القدس والخضوع لصاحب الكرسي الروماني لان ذلك تسلموه من القديم ولهم عليهِ ادلَّة وشواهد وسألهُ اخيرًا ان يبعث اليهِ أناسًا علماء في شؤون الديانة لاجل الارشاد. فلما وقف البابا على كتابته انفذ اليهِ جوابًا لطيفًا مع فرا بطرس بعد ان ضمَّ اليهِ فرا انطونيوس من طروية وتجد ترجمة الجواب المذكور في الصفحة ٣٩١ من تاريخ الموارنة

١) ذكر المؤلف في كتابهِ المدعو « تاريخ الازمنة » بمعرض كلامه على حوادث سنة ١٣٨٨ ما حرفيّته « لما تدروش الملك الظاهر برقوق قدم على قرية بشراي شرقي طرابلس فاقام الشدياق يعقوب بن ايوب مقدَّمًا وكتب لهُ بذلك صفيحةً من نحاس. ثم نزل في دير قنوبين في ايام رئاسة القس بطرس الذي أحسن استقباله فأعفى الدير المذكور من الاموال الاميرية وجعل لهُ التقدم على جميع ديورة تلك الجهات. ولما عاد الملك الظاهر الى الكرك كان البطريرك داود الذي دعي يوحنا مقيمًا بارض حردين في دير مار سركيس القرن فجعل القس بطرس اسقفًا وأسكنهُ في دير قنوبين المذكور »

٢) راجع ترجمة هاتين الرسالتين في الصفحة ٤٠٣ و٤٠٤ من تاريخ الموارنة

ثم انتقل الى راحة الصالحين نهار الاربعاء لثمان خلت من شهر شباط سنة ١٤٥٨ وهو اول من ارتسم بطريركاً في دير قنوبين

وفي اليوم التاسع لوفاة البطريرك يعقوب خلفهُ بطرس بن يوسف بن يعقوب الشهير بابن حسَّان من قرية الحدث ارسل الاب فرا غريفون من رهبان القدس الى البابا بولس الثاني لتقديم الطاعة وطلب التثبيت فسُرَّ البابا من مكاتيبه وأرسل لهُ مع المذكور درع الرئاسة وعاش في البطريركية اربعاً وثلاثين سنة وقضى نحبهُ في سنة ١٤٩٢ في الثاني عشر من تشرين الاول (١

١) قال الدويهي في غير هذا الموضع (تاريخ الموارنة ص ١٣ؤ) انهُ كان بمعية فرا غريفون فراسيمون وفرا اسكندر وجميعهم من الاخوة الصغار فاجلّ البابا بولس استقبالهم وانفذ لهُ معهم جواباً يثبّتهُ فيهِ على كرسي انطاكية ويحرّضهُ على الثبات في امانة الكنيسة الى غير ذلك وقد ارسل مع درع التثبيت حلَّة كاملة لخدمة الاسرار. وفي سنة ١٤٧١ انتقل الى رحمة الله البابا بولس المشار اليهِ فخلفهُ في رئاسة الكرسي البابا كسوسطوس الرابع الذي كان قد ربي بين رهبان مار فرنسيس. فلما انتهى الامر الى البطريرك بطرس انفذ اليهِ رسائل الطاعة والتهنئة وسألهُ ان لا يتغافل عن الموارنة. فارسل لهُ البابا الجواب مع لودويكوس من ريباري غير ان المذكور مرض في اثناء الطريق فلم يستطع وصولاً الى جبل لبنان. وحينئذٍ كتب قداسة البابا الى الراهب بطرس من نابولي رئيس رهبان مار فرنسيس العام بتاريخ ٥ شباط سنة ١٤٧٥ يأمرهُ ان ينتخب كاهناً من رهبانه بارعاً في العلوم الالهية ويرسلهُ الى الموارنة سكّان جبل لبنان مصحوباً براهب او اثنين من اهل التقوى والكمال لكي يزورهم ويرشدهم اذا دعت الضرورة الى قواعد الايمان الارثوذكسي. وتقريراً لذلك ارسل اليهِ كتابة مآلها انهُ مع جميع الرؤساء الذين يخلفونهُ على تدبير رهبانية مار فرنسيس يجب ان لا ينقطعوا عن زيارة الرعية الانطاكية وان يرسلوا اليها واحداً من رهبانيتهم وانعم على من يرسلونهُ ان يكون صاحب كرامة وسلطة كما لو كان مرسلاً من البابا نفسه فلهُ ان يعرّف التائبين ويحلّهم من الحرم ومن الخطايا المحفوظة لصاحب الكرسي الروماني وان يبدل النذور بافعال اخرى صالحة ويحلّل الوجه الثامن والسابع من وجوه الزواج. ومن حيث ان البابا كان قد منح غفراناً كاملاً لكل من يزور الكنائس المعيَّنة في رومية فوّض اليهِ ايضاً ان يمنح ذلك الغفران للموارنة وان يرتب لهم كنائس معلومة ليزوروها ويحظوا بهِ كما لو زاروا رومية وقد ارسل اليهِ مع هذه المكاتيب مكاتيب أخرى الى البطريرك بطرس يخبرهُ عن جميع هذه الامور ويثني على امانته وعنايته برعاية الخراف الموكولة اليهِ

فيتضح مما مرَّ ان الاحبار الاعظمين اجابةً لالحاحات بطاركة الموارنة وكلوا وقتئذٍ رهبان القديس فرنسيس بقضاء شؤونهم الروحيَّة لكونهم كانوا على مقربة منهم

وفي النهار التاسع صُيِّر بعدهُ ابن اخيهِ شمعون وهو ابن داود بن يوسف بن حسان فارسل القس بطرس مرتين الى رومية (١ وفي سنة ١٥١٥ اتاهُ بالتثبيت ودرع الرئاسة من البابا لاون العاشر واستمر على الكرسي اثنتين وثلاثين سنة وشهراً. وفي السابع والعشرين من تشرين الآخر من شهور سنة ١٥٢٤ رقد بسلام ولهُ من العمر ١٢٠ سنة. وفي اليوم التاسع من شهر كانون الاول صُيِّر موضعهُ موسى بن سعادة من الباردة في بلاد عكَّار ولم يأتهِ بطرشيل الرئاسة الَّا سنة ١٥٦٢ من البابا بيوس الرابع مع الاسقف جرجس القبرسي بسبب انهُ ارسل اولًا انطون مطران الشام فوقع في أيدي لصوص في البحر ثم انهُ ارسل كثيرين الَّا انهم كانوا غرباء وليسوا من اولاد الطائفة ودام في الرئاسة بعد التثبيت خمس سنين فتكون جملة سنيّ رئاستهِ اثنتين واربعين وثلاثة اشهر وعشرة ايام وأخلى الكرسي في ١٩ اذار (٢

ثم انهُ في اليوم التاسع عشر صُيِّر الحبيس ميخائيل بن حنًّا بن الرز من قرية بقوفا التابعة جبَّة بشراي الذي ناب عن المرحوم في الحادي والثلاثين من شهر اذار من شهور سنة ١٥٦٧. وفي سنة ١٥٧٩ أرسل لهُ البابا غريغوريوس الثالث عشر مكاتيب التثبيت ودرع السلطة مع الاب جوان باطيشتا اليان ومع الاب جوان برونا من الشركة اليسوعية

ومما لا يجوز السكوت عنهُ في هذه النبذة هو ان لبنان اشتهر في ايام ولاية المقدمين بالطمأنينة والراحة وكثرت فيهِ المدارس والكنائس وكان في بشراي وحدها مذابح على عدد ايام السنة وقصدهُ الناس من الاماكن البعيدة للسكن فيهِ. وكان في جملة الذين اتوهُ قسوس من اليعاقبة استمالوا بعض الموارنة الى مذهبهم وفي عدادهم المقدم عبد المنعم فبنى لهم هذا كنيسة بقرب داره على اسم برصوما. غير ان الموارنة أبت حميتهم الدينية ان تحتمل وجود هؤلاء بينهم فعملوا على تشتيتهم بعد مدة وجيزة وتجد خبر ذلك مدوناً بالتفصيل في حوادث سنة ١٤٨٧ من تاريخ الازمنة

١) ومن شاء مزيد بيان لتاريخ البطريرك شمعون عليهِ بمراجعة تاريخ الازمنة للمؤلف نفسه في كلامه على حوادث سنة ١٤٩٢ و١٥١٤ و١٥١٥ و١٥٢١

٢) انهُ في أيَّام البطريرك المشار اليهِ خرجت كنيسة مار جرجس التي كانت للموارنة في القدس من ايديهم في خبر يطول شرحه. وقد توجَّه بسببها الى المدينة المقدسة وقرَّ رأيه على مشترى دار كبيرة بدلها ففعل ولكن لا نعلم كيف كان مصير هذه الدار. راجع تاريخ الازمنة في حوادث ١٥٥٩ والفصل التاسع عشر من الجزء الثاني من تاريخ الطائفة المارونية

فخدم الكرسي ١٤ سنة وخمسة اشهر وواحدًا وعشرين يومًا. وفي الحادي والعشرين من شهر ايلول استراح من شقاء هذه الحياة (١

وفي النهار التاسع ملك الكرسي الانطاكي اخوه الحبيس سركيس وفي حال ارتقائه الدرجة المقدسة جهَّز الاب جوان برونا ليؤدي الطاعة باسمه الى صاحب الكرسي الروماني وفي الرابع عشر من اذار سنة ١٥٨٢ قبل التثبيت من البابا غريغوريوس المشار اليهِ ودام في الرئاسة ١٥ سنة واحد عشر شهرًا وستة وعشرين يومًا الى سنة ١٥٩٧ وفيها في ٢٥ آب تنيَّح بالرب (٢

وفي النهار التاسع حمل رؤساء الكهنة وكل الشعب يوسف بن موسى اخا المرحوم سركيس ورفعوهُ الى الكرسي الرسولي وبعد سنتين ارسل لهُ البابا اقليمس درع الرئاسة مع الخوري جرجس بن يونان فاستقرَّ على الكرسي عشر سنين وعشرة اشهر وسبعة وعشرين يومًا (٣ . وفي شهر آب سنة ١٦٠٨ قضى أجله وبعد موته ما زال الكرسي خاليًا

---

١) في ايامهِ سنة ١٥٧٠ خرجت كنيسة الموارنة في مدينة بيروت من ايديهم وجُعل مكانها قيصرية ولم تبقَ لهم الّا كنيسة مار جرجس خارج المدينة فاجتمع بعض مشايخ بيت حبيش مع مشايخ بيت الدهّان واتفقوا على ان تشترك طائفة الملكيَّة وطائفة الموارنة في كنيسة مار جرجس التي للموارنة خارج بيروت وفي كنيسة السيدة التي للملكية داخل المدينة

٢) لم يكن شيء يهمّ بطاركة الموارنة مثل تعليم الاكليروس وتهذيبه بالعلوم ولهذا قرروا تعليم اللغة اللاتينية لكونها حاوية كل العلوم الالهية والطبيعية. فان البطريرك شمعون الحدثي لما انفذ رسوله الى البابا لاون العاشر بطلب التثبيت انفذ معهُ شابّين لتعلُّم اللاتينية غير انهما لم يفوزا بالمرام. ثم ان البطريرك موسى العَكاري الذي خلفهُ كتب الى بولس الثالث سائلًا اياهُ ان يأمر رئيس أديار القدس بان يرسل من رهبانه ستة ليدرّسوا اللاتينية في جبل لبنان غير ان هذا المسعى ذهب ايضًا باطلًا. ولكن ما زال البطاركة يتوسّلون بكل وسيلة حتَّى تم لهم النجاح اخيرًا في ايام البطريرك سركيس الرزي اذ تنازل البابا غريغوريوس الثالث عشر فانشأ لهم في رومية مدرسة خصوصية دام تدبيرها بيد الآباء اليسوعيين الى أن أُلغيت رهبانيتهم سنة ١٧٧٣ومع صغرها لا يجهل احد كم حصل عنها من النفع

وفي ايَّام هذا البطريرك انعقد سنة ١٥٩٦ مجمع طائفي تجد صورتهُ في الصفحة ٢٨٧ من تاريخ الطائفة المارونية

٣) ان البطريرك المذكور عملًا باوامر رومية نادى بالحساب الغريغوري في طائفتهِ سنة ١٦٠٦ التي فيها احتفل بعيد الرسولين بطرس و بولس قبل جميع الطوائف الشرقية بعشرة أيام ولاجل ذلك أُهمل الحساب اليوناني الذي يزيد ٣١٢ سنة وجرى التمسك بالحساب الميلادي. واشدة

مدة تسعة اشهر... ثم انهُ في شهر حزيران وقعت القرعة ورضى الرؤساء والشعب على الاسقف يوحناً بن مخلوف الاهدني فارسل القس جرجس بن مارون يطلب التثبيت وفي العاشر من شهر اذار سنة ١٦١٠ رجع بهِ من قبل البابا بولس الخامس واستمرَّ في الكرسي اربعاً وعشرين سنة وستة اشهر وخمسة عشر يوماً. ثم انهُ في سنة ٣٣ انتقل الى راحة الصالحين في ١٥ كانون الاول (١ (ستأتي البقية)

طور الظرَّان في فينيقية

للاب غدفريد زُموفن مدرّس الطبيعيَّات في كليّة القديس يوسف

(تابع لما سبق)

طور الحجر الصقيل

قد بيَّنا سابقاً (راجع صفحة ٩٧ من المجلّة) ما يختصُّ بطور الظرَّان المنحوت في فينيقية فبقي علينا ان نذكر طور الحجر الصقيل فيها. ولم يكن العلماء قد اتوا بذكر شيءٍ من هذه الآثار بل كانوا يَهِمون ايضاً ان هذا الزمن لم يُخلّف شيئاً منها فيجزمون انهُ لا ينبغي البحث عن متروكاته في فينيقية بيد أن العهد المذكور قد أبقى من آثاره ما يمتنع انكارهُ ويتعذَّر ردُّهُ اعني محطّاتٍ ومصانع يسَّرت لي معلوماتٍ عديدةً ويقينيّة عن صناعة البشر قبل التاريخ

ومن الخصائص التي يمتاز بها هذا الطور في فينيقية كما في كل محلٍ آخر ظهور ادوات من الحجر الصقيل مع آنية من الخزَف بعيدة من الاتقان وفيها بقايا من الزينات التي سعى اليها الانسان في مبادئ اشتغاله بالصناعة

غيرته على ان تريد طائفته اتحاداً بالكنيسة الرومانية حلَّل اكل اللحم لرؤساء الكهنة واكل السمك وشرب الخمر في صوم الاربعين وابطل جمعة نينوى وقصَّر قطاعة الرسل وعيد الميلاد ليجعل اعياد الرسل بطالة ويدخل قبلها صيامات البيرمون. فما حسن ذلك في عيني البابا بولس الخامس وفي سنة ١٦١٠ امر بنقض كل هذه الامور في رسالة بعث بها الى البطريرك يوحناً خلف المذكور ولكن لم يجرِ شيء من ذلك لصعوبة ردّ الناس عمّا جرت بهِ عادتهم ولا سيما في الامور الواسعة (تاريخ الطائفة المارونية ص ١٨٨)

١) اقام هذا البطريرك مدة في قرية مجدل المعوش حيث بنى كنيسة وداراً لم تزالا معروفتين للآن

غير انهُ لم يطرأ في الزمن المذكور تغيير مهمّ على نوعية المعيشة لأن القنائص وانواع الصيد التي كانت أساساً لغــذاء ابن آدم في طور الحجر المنحوت ما زالت القبائل التي عاشت في عصر الحجر الصقيل تتخذها طعاماً على شاكلة الذين سلفوها. امَّا ظباء ما بين النهرين والعُصْم الكبيرة التي بقيت منها بقايا كثيرة في محطَّات الطور المنحوت فانها قلّت كثيرًا في محطات الطور الصقيل وهي ستٌّ: محطة جعيتا وحراجل ورأس الكلب ورأس بيروت ونهر الزهراني والمعاملتين

١ محطة جعيتا او نبع نهر الكلب

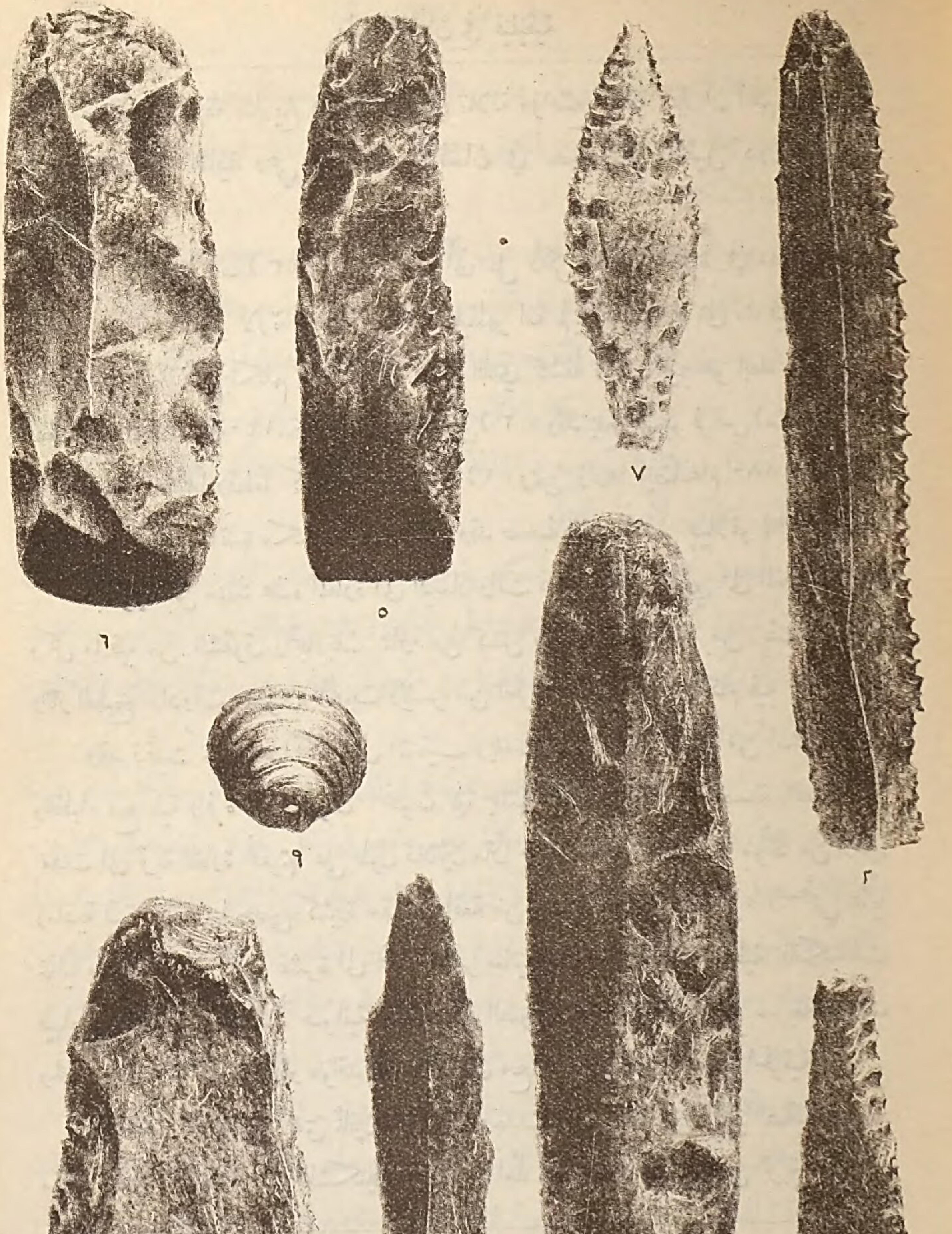
ان مغائر جعيتا واقعة في مضيق عميق ذي مشهد بهيج فمن قصا هذا المضيق يخرج نهر الكلب المعروف عند الاقدمين بنهر ليكوس وعلوُّ منبعهِ عن مساواة البحر سبعون مترًا والمسافة بين مخرجه ومصبّه سبعة كيلومترات

والمغائر المذكورة ثلاثٌ حفرتها يد الطبيعة في مُنحدَر طبقة كاسية من الصنف المعروف بالكينوماني (Cénomanien) والاولى وهي اكثر اتجاهًا الى الشرق عبارة عن غار عظيم تخرج منهُ ولا سيا في ايام الشتاء كمية من الماء وافرة

وعلى مسافة بعض خُطى الى الشرق وثمانية الى عشرة امتار فوق مجرى السيــل تُشاهد المغارة الثانية بموازاة الاولى وهي عبارة عن دهليز يبلغ طولهُ ستة وخمسين مترًا ويختلف عرضهُ بين مترين وخمسة امتار وكذلك ارتفاعهُ بين مترين وتسعة امتار وينقسم الى عدَّة مجازات يتَّصل اكثرها ببحيرة ماء رائق يضربُ الى الخضرة قائمة في قصا الغار الاول

وعلى مسافة ١٥٠ مترًا الى ما فوق تشاهد المغــارة الثالثة التي يمتاز مدخلها بقِطَع كبيرة من الجنادل وتعلوها الادغال والأَجم. وبعد بضعة امتار من مدخلها يتسع تجويفها ويُسمع في الظلمة الحالكة هدير عظيم للماء. والى اليسار دهليز صغير منحوت في الصخر ومنهُ يُنزل الى غرفة ظريفة عالية مزينة بكثير من المتحجرات المائية التي اذا أُنيرت بنور المغنيزيوم شوهد لها منظر بديع. وقد احتفر السيل الى شرقي المغارة حوضًا من الماء البارد الصافي

ولا يخفى انَّ المهندسين الانكليز الذي كُلّفوا بجرّ قسم من مياه نهر الكلب الى بيروت قد سبروا عام ١٨٧٣ هذه المغارة العجيبة الى عمق ١,٢٠٠ متر



٦
٥
٧
٢
٩
٨
١
٣
٤

امّا البقايا السابقة التاريخ فانها تشاهد في ثلاثة مواضع مختلفة غير ان اهمّ مستودع لها هو المغارة الثانية وهي التي آوت الانسان في عصر الحجر الصقيل دون المغارتين الباقيتين

وقد كان بوتا (سنة ١٨٣٣) اوّل من أتى على ذكر العظام المتحجّرة في مدخل هذه المغارة (١. امّا المسيو لارته (سنة ١٨٦٤) فيظهر انهُ لم ينتبه اليها ولا الى ما فيها من بقايا العظام بدليل انهُ لم يتكلم عنها ولكن المحل الذي كشفهُ ونقّب فيهِ هو ابعد واعلى من المغارة المذكورة بمسافة ١٤٠ مترًا في منحدر الجبل (٢. وقد جمع المسيو فراس (سنة ١٨٧٥) من مدخلها عظامًا وقطعًا كثيرة من الصوّان (٣. وممن زارها ايضًا عام ١٨٨٠ الدكتور لورته (٤ كبير اساتذة مكتب ليون الطبّي وقد صحبهُ اليها المسيو پيلاغو (٥

وبالقرب من منفذ هذه المغارة الى اليسار وانت داخل مجازٌ يفضي الى المغارة الاولى وكل ما فيهِ من الشقوق والتجاويف مملوء من كُتَل متلبدة متكوّنة من بقايا عظام وآثار الطبخ وادوات الصوان المنحوت وكِسَر من الخزَف الذي لا إحكام فيهِ

ولقد نقّبتُ في هذه الكُتَل كل التنقيب وجمعت منها أسنانًا كثيرة من اسنان العُصم والظباء مع كمية وافرة من الصَّوان المنحوت في جملتها محاكّ او مقاشط حسنة الصنعة. ثم عمدت الى تربة المغارة فحفرتها على طول ثلاثين مترًا فرأيت الجزء الاعلى منها مؤلفًا من ارض رمادية ليّنة تمتزج بها حصًى كثيرة مقرَّنة واقعة من السقف وشاهدت الجزء السطحي عقيمًا خاليًا من الآثار على عمق عشرة الى خمسة عشر سنتيمترًا. وامّا الطبقة الواطية فانكشفت فيها على غير ترتيب ادواتٌ صوَّانية وقطع من الصوان غير منحوتة وعظام سريعة التفتُّت وفحم ورماد ربما كانا من آثار مواقد القوم الاوَّلين مع كمية وافرة من الكِسَر الخزفية

ففي هذه الطبقة على عمق ثمانين سنتيمترًا وجدتُ اول اداة من الحجر الصقيل مع منشار حسن للغاية (انظر الشكلين ٢ و٣). امّا قعر المغارة فمتكوّن من تربةٍ مائلة الى

١) Botta, *Observations sur le Liban et l'Antiliban*, p. 14

٢) L. Lartet, *Explor. de la Mer Morte*, III, p. 217-219

٣) Fraas, *Aus dem Orient., II*, p. 118

٤) Lortet, *La Syrie d'Aujourd'hui*, p. 655

٥) Pélagaud, *La préhistoire* en *Syrie*, Assoç. franc. 1880, p. 851

السواد ولزجة قليلًا ورطبة وحاوية نوعًا من الزبل المترّب متضمنًا نفس الادوات السابقة التاريخ ومن جملة ما وجدت فيه إزميل مصقول من حجر رملي صواني (grès) دقيق جدًا (انظر الشكل ١)

وعلى بُعد خمسين مترًا الى فوق وفي قاعدة المنحدَر قطع كبيرة متحجرة من شظايا العظام وكسر الصوّان وهي متكونة فقط من بقايا ما اتُّخذ للطبخ ومماثلة كل المماثلة لاشباهها الموجودة في مدخل المغارة ولا تفترق عنها الّا بكونها أشدّ انضمامًا وصلابةً بسبب تعرُّضها للفواعل الجوّية . وقد ازالها عن مكانها الاصلي بعض الفلّاحين الذين كانوا يأملون ان يجدوا في المغارة كنوزًا من الذهب ومع ذلك لا تزال تُشاهد حتى الآن شظايا من المتحجرات العظيمة التي استمرّت لاصقةً بالصخر

وقد فحصتُ هذه المتحجرات الكلسية فوجدت فيها اسنان الوعول والظباء التي كنت قد وجدتُ مثلها في التربة التي احتفرتها من المغارة وكانت العظام من التكسُّر والتفتت في حالةٍ تنكّرتْ معها تمامًا . واغلب ما فيها من الصوّان عبارة عن شظايا وقطع لا هندام لها امّا الادوات المحكمة الصنع فقليلة

ومن يواصل الصعود متتبعًا المنحدر بميلة قليلة الى اليمين يصل الى سطح طولهُ خمسة وعشرون مترًا في عرض اربعة عشر مترًا وهو واقع في محلّ موثق تحتاطهُ الصخور . فالشمالية منها مرتفعة ومقطوعة عموديًا وكانت اشبه بملجإٍ ففي سفحها يوجد المحل السابق التاريخ الذي كشفهُ وفحصهُ الدوق دي لوين والمسيو لارته سنة ١٨٦٤ وهو يتركب من فحم ورماد وعظام متكسرة وفي الغالب مُحرقة متكلّسة وصوّان منحوت وتبلغ ثخانتهُ نحو مترٍ ولم اجد فيهِ من الحجر الصقيل بل فقط بعض كِسر من الخزف

وحتى الآن كانت هذه الآثار السابقة التاريخ تنسب الى طور الحجر المنحوت ولكن الحقيقة بخلاف ذلك اذ لا يظهر ان الانسان أوى الى هذه المغارة في هذا الطور الاقدم وكفى اثباتًا لذلك وجود فاس مصقولة في اساس المستودع السابق التاريخ . . .

واكثر ما يوجد في هذه المغارة من العظام الأسنان والسُلاميات والأرساغ . ويظهر ان هذه البقايا قد كانت تختص بحيوانات فتيّة فان الاسنان لم يعرض لها تلَف يُذكر وما زالت اسنان الحليب تشاهد في الفكوك بل قد يُشاهد فيهـا ايضًا نوعان من الاسنان كأنّ الحيوان قُتل في زمن التسنين الثاني . ولعلّ الصائدَ في الزمن السابق التاريخ كان اسهـل

عليهِ ان يقتل القنائص الفتية من القنائص الكبيرة التي تفرّ منهُ او تقوى اكثر من سواها على احتمال ألم الجراح . امَّا الحيوانات التي وجدنا عظامها فهي التي مرَّ ذكرها في محطَّة نهر الجوز ومعها عظام بعض الطيور واصداف بحريَّة

وكل الادوات التي وجدتها في هذه المحطَّة تنحصر في الانواع الآتيـة اي فؤوس صقيلة وأزاميل منحوتة وصقيلة ومناشير ومثاقب ومقاشط ومخارز مع كثير من الشفار او النصول البعيـدة عن الإحكام . وقد وجدت مع هذه الادوات نوعًا من الصدف (pétoncle) مثقوبًا بثقب للتعليق ولم اعثر ابدًا على عظم مشغول

امَّا كِسَر الفخَّار فكثيرة في هذه المحطَّة ويظهر من أمرها أنها مصنوعة باليد فان آثار الاصابع لم تزل مرتسمةً عليها للآن . وكثير منهـا مطلي من خارج بطلاء جُلّ القصد منهُ منع ترشُّح السـائل اكثر من تزيين الوعاء

ثم ان الفخَّار المذكور غير معجون عجنًا جيدًا فضلًا عن انهُ خشن جدًّا ومخلوط بكثير من الحصباء التي جُمعت من مجرى النهر وكثيرًا ما تضاف اليهِ قطع من أوكسيد الحديد وهو سيئ الشيّ فان سطحهُ الخارجي قد عُرض للنار تحت الفلاء والداخلي تصلَّب فقط من قوَّة الحرارة وعجين الجزء الوسط منهُ قد بقي اسود او ضاربًا الى السمرة

والعرى قليلة وبعضها مستدير نصف استدارة والبعض الآخر مثلَّث الزوايا وكلها مثقوبة الَّا ان فتحتها ضيّقة جدًّا لا يكاد طرف الأنملة يدخل فيها ولبعضها حواش غليظة ولغيرها حواشٍ مستقيمة ورقيقة وكل ما فيها من الزينة عبارةٌ عن خطوط مجرَّدة

٢ محطَّة حراجل

انَّ حراجل مزرعةٌ صغيرة في منتصَف الطريق بين ميروبا وفاريًّا لا تبعد كثيرًا عن نبعَيْ نهر اللبن ونهر العسل المتفجّرَين في لحف جبـل سنّين . وامَّا موقع المغارة فجنوبي شرقيّ المزرعة بقرب ضفَّة نهر الصليب طولها مائة وستُّون مترًا في عرض مترٍ الى ثمانية امتار لم يقف العلماء على وجودها قبل خمسٍ وعشرين سنة

ومدخل المغارة بين دائرة من الصخور تكتنف بفضاء من الارض منخفضٍ مستطيل الشكل كأنهُ حظيرة ولم يكُ سابقًا مزروعًا وفيهِ اليوم غروس من شجر التوت . وكان يحجب هذا المنفذَ ارضٌ كثيفة حاول بعض الفلَّاحين نزعها ليسطحها في حقلهِ فكشف بذلك وجه المغارة . وممَّا وجد في المدخل آنيةٌ وعظامٌ مبثوثة في الارض . فجمع الشيخ داود الخازن

شيئًا من العظام واهداها لمسيو ڤيبر قنصل المانية العام في بيروت فارسلها القنصل الى متحف الجمعيّة الانتروبولوجيّة في برلين وهي الآن محفوظة هناك (١

فمَوْلِج المغارة ضيّق سافل. واذا سرت في داخلها مسافة ثمانية امتار وجدت صخرها ملتويًا على شكل زاوية ففي هذه الزاوية هي طبقة العظام القديمة يعلوها سطحٌ من الطين الاسود ساق بهِ الى المغارة حديثًا جدول ماء يجريهِ الفلّاحون اليها اذا نالوا حاجتهم منهُ للسقاية. وارتفاع هذا السطح الحديث ستُّون سنتيمترًا وتحتهُ الطبقة التي نحن بصددها وهي تتألّف من طين خزفيّ ضارب الى السواد كثير الرطوبة متوحّل. فبين خلال هذا الطين توجد العظام وهي سريعة الانكسار لرطوبة المكان. وكثير منها يحوط بها شيء من كلس الماء المتحلّب من المغارة. وعلى وجه الاجمال لا ترى عظام هذه المغارة كما في غيرها مكسَّرة منعَّمة وان لم تكن تامَّةً كاملة. فاني وجدت معظم رأس خنزير برّي الّا انَّ قسمهُ الاكبر يلصق بهِ طلاء كلس الماء المتحلّب . وفي عمق مترٍ قد اثرتُ من الارض جمجمة بقرة وحشيَّة. ومن غريب امرها نتوء موءخر الراس فيها وقد كسرت اسنانهُ قرب العظم ولم يبقَ للفكّ الاسفل من اثر

وممّا وُجد ايضًا في هذه المغارة من عظام الحيوانات الدبُّ والسنّور والكرْكدَّن والخنزير البرّي والفرس والبقر الوحشي والأيل

وكان مع العظام شقفٌ خزفيَّة لكنَّنا لم نجد بينها صوَّانًا مصنوعًا. وكان بقي علينا ان نتحقَّق لعلّهُ يوجد بعض آثار لأدوات حجريّة أمام المغارة او بمكان مجاورٍ لها. فاسعدني الحظ على وجود مصنعٍ للآلات اكتشفتُ فيهِ رؤوسًا مسنَّنة ومحاكًّا ومطارق وفأسًا حسنةً مهيَّأة للصَّقل. واكبر جانب هذا المصنع يغطّيهِ سطح التراب المار ذكرهُ

امَّا بقايا الخزف فهي اقلّ عددًا من بقايا محطّة جعيتا وليست هي ايضًا مختلفة التركيب. وقسمٌ كبيرٌ منها مصنوعٌ بترابٍ اسود مختلط بحبوب غليظة من الرمل ثمَّ يُبّست في الشمس دون ان تُعرض على النار فهي لذلك سريعة العَطَب والتفتُّت يتشقّق وجهها ويتصدَّع. ويوجد منها ما أُحمي في النار احد جانبيهِ او الجانبان معًا ولبُّها اسود قليل التصلُّب. وفي الوجه الناتئ منها خطوط ذات خُدَد لا شكل لها

(١ *Zeitschrift für Ethnologie*, 1875, p. 25; 1878, p. 157.

٣ محطَّة رأس الكلب

موقع هذه المحطَّة في الرأس المجاور لمصبّ نهر الكلب بقرب ما هناك من الآثر الكتابيّة للاشوريين والمصريين وهي مركّبة من مجاميع رُكَم عظامية متلبّدة منتشرة في مسافة كبيرة. واول من اكتشفها المسيو ترِستْرام(١ سنة ١٨٦٣ ودقّق فيها البحث المسيو دَوْسُن(٢ في عام ١٨٨٤ ولم ينوّه احد منهما بآثار الحجر المصقول

فالمجموع الاول من هذه الرُكَم السابقة التاريخ هو على الطريقة الرومانيّة في قعر بين الصخور. فهذا التجويز شبيه بمغارةٍ قديمة سقط منها سقفها وبقيت جدرانها. ولذلك قد اعدّ العالمان الانكليزيّان المذكوران آنفًا هذه الركم كبقايا طبقة مغارة قديمة. ولعلّهُ اقرب الى الصواب اذا اعتبرنا هذا المقام كمأوًى تحت الصخور

وطول مستودع الظرّان القديم خمسة عشر مترًا في عرض ثمانية الى عشرة امتار. وهو يشتمل على بقايا المآكل ونفاية الصناعة. والعظام مكسَّرة وبعضها قد سوّدتهُ النار. واسنان الحيوانات باقية في حالتها سالمة تخصُّ البقر والآيال والمعز

امَّا ادوات الصوَّان التي نُحِتت اطرافُها نَحْتًا مضاعفًا فنادرة بينما ترى كثيرًا من الشَّفرات والقِطَع المحدّدة. هذا واننا وجدنا بعض كِسر من ادوات تلفت بالاستعمال وكانت جوانبها نُحِتت نحتًا ثانيًا ادقّ

وهذه الركم العظاميّة قد تحجَّرت تمامًا وتصلّبت بحيث تحسبها صخرةً صمَّاء فيها شظايا عظامٍ واسنان ورؤوس مسنّنة من الصوّان. والرومانيُّون قد نحتوا طريقهم في وسط هذه الصخور ولك ان ترى على حافة الطريق فِدَرًا من هذه الحجارة وُضعت لصيانة جوانبهِ. وربما شاهدت على وجه الفِدَر اسنانًا ناتئة لنوع من البقر الجسيم لا تستخرجها الَّا بكسرها. ومن هذه الدلائل يتَّضح انّهُ مرّ قرون كثيرة بين زمن القبائل التي تركت هناك بقايا اطعمتها وزمن الرومانيين الذين وثُّوا هذه السابلة

واذا سرت نحو مائتي مترٍ الى جهة الجنوب بقرب الطريق نفسها وجدت وهدةً ثانية على شبه كوٍ تسترهُ الصخور. ففي داخل هذا الكوّ قطعة كبيرة من هذه البقايا المتحجرة

١) Tristram, *The land of Israel*, p. 10

٢) Dawson, *Notes on prehistoric Man in Egypt and the Libanon*, p. 6.

وقد ذهب قسمٌ منهـا. وهذا الاثر اغنى من السابق وليست صلابتهُ كصلابتهِ. والمادّة الكلسيّة التي تجمع بين اقسامهِ ضاربة الى الحمرة

وطول الآثار القديمـة هناك ثمانية امتار في عرض اربعة امتار الى خمسة والعظام المستطيلة في هذا المستودع قد كُسرت وشُقَّت. وقد استخرجتُ منها اسنان دِبَبٍ وخنازير بَرّيّة وخيل وبقر وحشيّ وظباء وأيائل. والظرّان هنا اوفر منهُ في الامكنة المذكورة آنفًا وهي غير محكمة الصنع. اكثرها شفرات واطراف مسنّنة. وقد اكتشفتُ في وسط هذه البقايا فأسًا منحوتةً من الرمل الغليظ المكلّس اتُّخذت للصقل

وفي مسافة مائة متر الى الجنوب في لحف جدار من الصخور غير مرتفع يوجد قِطعٌ كثيرة من الحجارة المركّبة من هذه البقايا. وقد استخلصتُ منها كسرًا من اسنان الكركدنّ المعروف عند العلماء باسم (Rhinoceros tichorhinus) ومن رَباعيات بعض كواسر السباع لعلَّهُ الضَيْوَن المدعوّ (Felis spelaca) ومن نواجذ بقرة عظيمة الجسم. وبين هذه العظام وجدت قطعة مقطٍ من الصوّان محكم الشغل أُتقن صقلهُ وسَنُّهُ

واذا صعدت الى رأس الكلب ترى سطحًا واسعًا ببعض انحدار غير متساوٍ فيهِ عدد وافر من قِطَع الصخور المحدّدة بينها جالات لزرع القمح. فكل هذا السطح مملوء من اجناس الصوّان المشغول الّا انّها اضحت كِسَرًا ناعمة. وهي بقايا فؤوس مصقولة وخناجر وشفرات. وليس في ما صار اليهِ الظرّان من التكسُّر ما يقضي العجبَ لانّ في هذا البوغاس مرّت كل جنود الشعوب القديمة وملوكهم الذين ترادفوا واستولوا على هذه البلاد ووطئوا بالارجل قديمَ آثارها

والحيوانات التي حصلنا على اسنانها فهي التي وجدناها في محطَّة نهر الجوز امّا العظـام خلاف الاسنان فلا يمكن تعيينها لدقّتها. وبين الاسنان المذكورة تغلب اضراس نوع من جسيم البقر ولا ريب في انّهُ كان كثيرًا في هذه الانحاء لمّا كانت الغابات تظلّل جبل لبنان فبـاد بعد ذلك بزمن طويل. وفي ظنّنا ان هذا البقر هو الرِئم الذي تكرّر ذكرهُ في الكتاب المقدّس. وجاء في الكتابات الاشوريّة لتغلات فلاسّر الاول ملك بابل انّهُ اصطاد الرئم في لحف لبنان واجلب عددًا منهُ من الشام

امّا الكركدنّ الذي سبق ذكرهُ فكان وجد عظامهُ هنا العالمان فراس (١

(١ Fraas, *Aus dem Orient*, II Theil, p. 115

ودَوْسُن(١ وفحصها المسيو دَوْكِنس فحصًا مدقّقًا. وزعم المسيو تِرِسْترام(٢ انهُ وجد في هذا المكان آثارًا لحيوانين آخرين هما الرين (renne) والإيلان (élan) غير انّي بعد البحث والتنقيب لم اجد ما ينبئ على وجود هذين الحيوانين القاطنين عادةً الاقطار الشماليّة

وبين الادوات التي جمعتُها من وجه الارض او استخلصتها من قِدَر العظام المتلبّدة فؤُوس كثيرة اطرافُ بعضها مستدير وبعضها مستقيم (انظر الشكلين ٤ و ٥). وغيرها خشبية لم يُتقن عملها بل نُحت نحتًا غليظًا وليس فيها اثر للصقل الّا انّها لم يتمّ عملُها. ولكنّها جميعها قد صُقل طرفها وباقيها منحوت وربّما وجد بينها فؤُوس مصقولة صغيرة جدًّا وبقرب الفؤُوس رأيت مقاطّ ذات حروف مستديرة محكمة ورُؤوس سهام نُحتت نحتًا مضاعفًا ادقّ لا قبضة لها ولا جوانب. ومنها ايضًا مخارز ومناشير وشفرات وسنن. وتدلّ المقاطع العديدة وامّهات الحجارة والقطع المتكسّرة ان هذه المحطّة كانت مصنعًا للآلات المذكورة وفيها تصقل. ووجدت من بين هذه الادوات اصدافًا ثقبتها ايدي البشر

٤ محطّة رأس بيروت

قد أُطلقَ بهذا العنوان الاسمُ على مجموع من طبقات الظرّان المصنوع التي موقعها في الرمل الممتدّ بجنوبيّ غربيّ مدينة بيروت على ساحل البحر من ذروة رأس بيروت الى طرف الرُّبى الرمليّة التي في جنوب البلدة. والرمل هناك ناعم محمرّ سريع الانتشار يرمي بهِ البحر على الشاطئ فتنسفهُ الرياح الى جهة الشمال الشرقي. وفي عدّة مواضع تحتوي هذه الرمال شقفًا خزفيّة وقطع رخام ابيض مختلطة بنُفاية البلدة او المساكن المجاورة

وتحت هذه الرمال طبقةٌ اخرى اقدم عهدًا تتركّب ايضًا من الرمل الناعم الّا انّ حمرَتهُ مشبعةٌ وهو راصّ ببعضهِ غير متلبّد عمقهُ من متر الى اربعة امتار. وفي هذه الطبقة السُّفلى يوجد عددٌ لا يُحصى من الظرّان فيثير منها الريح قسمًا ويكشفهُ للعيان. وهذا الصوّان تراهُ ممزوجًا بكل اصناف الخزف والزجاج المتكسّر وقطع الرخام المختلف الجنس

(١ DAWSON, *op. cit.*, Appendice, p. 14.

(٢ TRISTRAM, *op. cit.*, p. 11.

واذا اقصيتَ الحفر في هذه الرمال بلغت الى صخور نَخِرة تتألّف من الرمل الحمرّ الملتصق ببعضهِ الشديد الصلابة ومنهُ تؤخذ في بيروت حجارة البنايات

واوّل من دلّ على الظرّان المصنوع في رمال بيروت موسيو شِشْتر ثمَّ تحرّى المسيو دَوْسُن فحصَهُ في سنة ١٨٨٤ . وهذه الآثار منبثّة في مسافة عشرة كيلومترات طولًا في كيلومتر او كيلومترين عرضًا

وليست الظران في طول امتداد هذه المسافة البعيدة لكنها متراكمة في بعض الامكنة وقد تمكّنتُ من احصاء خمسة عشر موضعًا اجتمعت فيها هذه القطع الصوّانية . واظنّها كلّها اقسامًا لمصنعٍ كبيرٍ من طور الصوّان المصقول قد غطّت معظمَهُ الرمالُ الحديثة تُذرّيهِ الرياح وتكشف تارةً قسمًا من هذا المصنع وتارةً تحجبهُ عن العيان . . .

وفي محلّاتٍ شتّى جمعتُ عدّةَ فؤوس مثلثة الزوايا وهي ارقّ واطول منها في محطّة رأس الكلب . وبعضها منحوت وغيرها قد صُقل فقط طرفها وبقي في سائرها آثار حروف منحوتة . وزد على ذلك اني وجدتُ عددًا وافرًا من المطـارق تدلُّ على كثرة استعمال اصحابها لها وامّهات حجارةٍ وسِنَنَ رماحٍ محكمَة العمل قد ثُنّي فيها النحتُ لتحسينها واطرافَ سهامٍ على احكم هندام ومناشير صغيرة ذات اسنان دقيقة ومقـاطّ ومصاقلَ وقطعًا لا يحصى عديدها

وهذه الظرّان تنبئُ على قدم العهد . وهي بيضاء تضربُ الى الشقرة وما كان منها على وجه الارض تراهُ يبرقُ لاحتكاكهِ برمل الساحل . امّا اصلهـا فمن رأس بيروت حيث الصوّان الطبيعيّ كثيرٌ حسنٌ . وقد وجدتُ في جملة هذا الصوّان ضِرْسين من نواجذ بقرة وحشيَّة عظيمة الجسم وصدفةً ثُقبت بيد الانسان لتُعلّق

واذا فحصتَ البقايا الخزفيَّة المختلطة بالظرّان وجدتَ انها من آثار قرونٍ شتّى فمنها ما كان عريقًا بالقدم كالخزف الذي جمعتُهُ في محطّتَي جعيتا وحراجل وهي سيّئة الشيّ بالنار قد احمرّ فقط وجهها امّا طبقتها الوسطى فضاربة الى السُّمرة . وفي معجونها حبوبٌ غليظةٌ تصدر عن حجر اسود مُتبلور ومنها اصنافٌ لا تُحصى معجونُها من مادّة لطيفة وهي حسنة الطبخ وبعضها احمر وبعضها اسود ومنها منقوشة وغيرها مطليّة والبعض منها مبرمة يصحُّ نسبتها الى ازمنةٍ متباينة . وبينها بقايا من خزف ايّامنا في الشام

ويوجد ايضًا كِسَر من الزجاج يرتقي عهدها الى الفينيقيين بين قطع أُخرى حديثـة

العهد . وترى في جملتها حطاماً من رُخام ايطاليا الابيض ومن الرخام الاخضر والاحمر المحبَّب . وهناك وجدتُ سِوارًا من الشَّبَه او النحاس

واني استنتج من اختلاط هذه بقايا القرون المختلفة والشعوب الشتَّى ومن وجود الصوّان في الطبقات السُّفلى انّ الظرّان اقدم عهدًا وانّ اصلهُ يرتقي الى زمان قبائل كانت ادواتها من الصوّان المصقول ثمّ بطول الزمان اختلطت باعمال الصنائع الحديثة . وذلك انّ هذه الادوات الجديدة قد القيت على الرمل فلمّا تثير الرياح هذا الرمل تبقى هذه النفـايات في محلّها ثمّ تمتزج بالصوّان القديم الذي تحتها وكان المسيو دَوْسُن لاحظ ان طبقة الرمال الحمراء التي فيها المستودع السابق التاريخ قد انقلبت وتبعثرت

٥ مصنع نهر الزهرانيّ

موقع هذا المصنع يبعد ساعةً عن صيداء بقرب نهر الزهرانيّ في الحقول الممتدّة من شاطئ البحر الى لحف جبل لبنان . فانّ وجه الارض هناك مغطًّى على طول الف وخمسمائة متر في عرض اربعمائة متر بحطام عددٍ لا يحصى من الظرّان واذا خرجت من هذه المسافة لم تجد لها اثرًا . وترى هناك امّهات الحجارة منها من صوّان الكوارتز الكلسيّ طولها عشرة سنتيمترات الى عشرين سنتيمترًا في مثلهـا عرضاً ومنها من صوّان الايوسين (éocène) المتكون من عدد وافر من الاصداف الناعمة . ومنها ايضاً مقاطع ومواشِير وفؤوس منحوتة صُقلت اطرافها فقط وقد تثلّمت بالاستعمال او عرَضاً . ومنها مقاطّ وسِنن ومحاكّ ومقاشط ومصاقل وقطع كثيرة غليظة لا شكل لها

والادوات متوسّطة في الكبر لها شكل غليظ مُصمت . وقسمٌ منهـا على حالها الاصلي وقسم يعلوهُ حُمرة الصدإ لماسّته طبقـة ارض حمراء . وعلى اكثرها خطوط صَدِئة لعلّها ناتجـة عن سكّة الفلاحة او غيرها من ادوات الزراعة . . . وكان مع الظرّان بعض قطعٍ خزفيّة أُسيء عجنُها وطبخها في وسطها حبوب غليظة من الحجارة الكلسيّة

٦ محطّة المعاملتين

هذه المحطة قرب المعاملتين على الطريق المؤدية من جونية الى جبيل قد ذكرها بعض السيّاح ولم تُفحص بعد فحصاً مدققاً (تمت)

غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري

للاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما سبق)

٥

فما كاد ابن العبريّ يتبوّأ منصبهُ هذا الجديد حتّى جعل يفرغ اقصى ما لديهِ من الهمَّة لاصلاح امور رعيَّتهِ. على انَّهُ لم يستقرّ بجوباس زمنًا طويلًا ليحصد ما زرعهُ في القلوب من البذر الجيّد فلمَّا كانت السنة التالية (١٢٤٧) قدَّم اهرون اسقف لاقابين الاستعفاء من كرسيه وانتقل الى بيت المقدس ليقضي فيهِ باقي حياتهِ في الخلوة واعمال النسك فوجَّه البطريرك اغناطيوس سابا نظرهُ الى ابن العبري ليقيمهُ خلفًا للاسقف المتنازل

فلبَّى ابن العبري الى دعائهِ واستوطن لاقابين وهي بلدة تجاور جوباس وصرف همَّتهُ الى خير هذه الحظيرة الجديدة فادار شؤُونها بغيرة ونشاط مواصلًا السعي فيما يعود على ابناء ابرشيتهِ بالمنافع العميمة. وكانت مدَّة جلوسهِ على كرسي لاقابين خمس سنواتٍ بالغ بالجدّ وراء مصالح رعيَّتهِ

وفي تلك الاثناء مات البطريرك اغناطيوس وليّ نعم ابن العبري (سنة ١٢٥١) فحدث بعد وفاتهِ شغب وشقاق في الملَّة اليعقوبية وانقسم القوم الى حزبين اختار احدهما بصفة بطريرك ديونيسيوس (اهرون عنجور) اسقف ملطية وتعصَّب الآخر المفريان يوحنًا ابن المعدني ولهُ قرَّ الفرنج في انطاكية. وكان ابن العبري منتصرًا لديونيسيوس على ابن المعدني ولم يزل يعضد امرهُ ويؤيد سلطانهُ الى ان قُتل ديونيسيوس في شباط من سنة ١٢٦١ قتلهُ في الكنيسة بعض انصار خصمهِ فصار الامر كلهُ لابن المعدنيّ وعاد السلام للملَّة بعد استنهار الفتق (١

١) راجع تفاصيل هذا الشقاق في تاريخ الكنيسة لابن العبري الجزء الاول (ص ٦٩٥ – ٧٤٨) ويظهر من معرض كلامهِ انَّ ديونيسيوس عنجور كان يطمح بالبصر الى المرتبة البطريركيَّة وانَّ انتخابَهُ لم يكُ مطابقًا للقوانين البيعيَّة. ولا غرو انَّ ابن العبري انحاز اليهِ لانَّهُ كان سابقًا اسقف وطنهِ ملاطية محسنًا اليهِ والى والدهِ اهرون

وكان ديونيسيوس مكافأةً لما اظهرهُ لهُ ابن العبري من الوداد وقدَّمهُ من الخِدَم رقّاهُ الى اسقفيّة حلب. وكان كرسي حلب قد خلا في سنة ١٢٥٣ بارتقاء صاحبهِ باسيل (صليبا) بن يعقوب وجيه الى رتبة مَفريان باسم اغناطيوس. قلّدهُ اياها ابن المعدني فعيَّن لهُ خلفًا في حلب متّى الجوميّ. لكنَّ ديونيسيوس قِرن ابن المعدني ارسل ابن العبريّ ليزاحم متّى المذكور في منصبهِ فصار اسقفان لكرسي واحد

وسمع المفريان اغناطيوس (صليبا بن يعقوب وجيه) بما فعل ديونيسيوس وكان هو متشيّعًا لابن المعدني فقَدِم حلب واخذ يعاكس ابن العبري قرينهُ السابق في الدروس الطبّيَّة والفلسفيّة واعتضد عليهِ بالملك الناصر صاحب حلب فاضطرّ ابو الفرج ان ينقطع عن الامور ويختلي في بيت ابيهِ وكان ابوهُ يسكن حينئذٍ حلب. ثمَّ عاد ابو الفرج الى ملطية ونزل عند البطرك ديونيسيوس في دير برصوما

وبعد هذه الامور بسنة سافر ابن العبري الى السلطان في دمشق يطلب منهُ براءة لديونيسيوس عنجور مع حمايتهِ على المفريان فاكرم الملك الناصر وفادتهُ وسلّط ديونيسيوس على يعاقبة المشرق كما كان عزّ الدين صاحب الروم سلّطهُ قبلًا على المغرب وكتب الى صاحب حلب ليأخذ بساعد ابن العبريّ ففعل وسلّمهُ كنيسة اليعاقبة واستبدّ الاسقف برعاية ملّتهِ فيها. فخرج المفريان اغناطيوس من حلب مغضبًا ومرَّ الى الفرنج وسكن طرابلس متعاطيًا فنّ الطبّ الى وفاتهِ سنة ١٢٥٨. قال ابن العبريّ في حقّهِ «انهُ كان متقنًا للطبّ عارفًا بعلوم القدماء لاسيَّما الفلسفة واحتفل بجنازتهِ قومٌ كثيرٌ من رهبان الفرنج وكهنتهم وكان كتب لكنائسهم واديرتهم بقسم من مالهِ (١)» وبقي كرسيّ المفريانيّة خاليًا بموتهِ ست سنين

ولمّا اجتمع شتات الملّة بعد وفاة ديونيسيوس كما سبق ادّى ابن العبري فروض الطاعة الى يوحنّا بن المعدني وحظي عندهُ حتّى انّهُ فكّر في ترقيتهِ الى منصب المفريان واجهر بذلك فحال الموتُ دون تتميم رغبتهِ. وكانت وفاة ابن المعدني في سنة ١٢٦٣

ولابن المعدنيّ تآليف حسنة بالسريانية والعربية منها كتاب نافور وديوان شعر بالسريانيّة وثماني عشرة خطبة بالعربيَّة وكلُّها محفوظة في خزائن الكتب الشرقيّة باوربّة لاسيّما مكتبة الفاتيكان. ولهُ ايضًا مقالة بالعربيّة في التعزية مصونة في مكتبة اكسفرد.

(١) Barhebræi *Chronicon Eccl.*, III, 427

وكان اصله من معدن وتولّى اسقفيّة ماردين (١

وممّا حدث لابي فرج في مدّة اقامتهِ على كرسي حلب ما اخبر بهِ عن دخول المغول في هذه المدينة سنة ١٢٥٨. وكان هولاغو قائدهم فتح بغداد عنوةً وقتل الخليفة المستعصم بالله وازال الدولة العبّاسيّة ثم تقدّم الى جهات الغرب مع جيوشهِ الظافرة وهو ينهب في طريقهِ ويحرق ويسبي الى ان وصل حلب فخرج ابن العبريّ اليهِ يستعطفهُ لاهل ملّتهِ ولكنّ شفاعتهُ لم تجدِهم نفعًا لانّ الجند كانوا فتحوا البلد وانتشروا في كل انحائهِ واعملوا السيف في السكّان. وجاء في تاريخ الدول (ص ٤٨٧) انّهُ قُتل في حلب اكثر ممّا قُتل في بغداد

٦

واجتمع اساقفة اليعاقبة بعد وفاة ابن المعدني ليختاروا لهم بطريركًا وكان اجتماعهم في دير الجويقات قرب المصّيصة من اعمال قيليقية فاقاموا باتّفاق الاصوات يشوع رئيس دير الجويقات المذكور فساموهُ في سادس كانون الثاني من سنة ١٢٧٤ وتلقّب باسم اغناطيوس الثالث ثمّ اهتمّ البطريرك الجديد مع الاساقفة المنتخبين بنصب مفريانٍ على المشرق يخلف لاغناطيوس بن يعقوب وجيه المار ذكرهُ فوقع الاختيار على ابي الفرج بن العبري وكان مرشّحًا لهذه المرتبة منذ زمن طويل كما سبق

ولم يتولَّ غريغوريوس ابو الفرج منصبهُ الجديد الّا بعد ذلك بايّام وكان البطريرك والاساقفة شخصوا الى سيس لتقدمة مراسيم الخضوع لهَيتوم (حاتم) ملك قيليقية فصار هناك حفلة عظيمة حضرها الملك واولادهُ واعيان دولتهِ مع رؤساء اكليروس الارمن وجمّ غفير من الشعب فقُلِّد ابنُ العبري رتبةَ المفريان بابّهة وشرف لا مثيل لهما في ١٩ كانون الثاني. وتسنّم المفريان المختار منبرَ الخطابة والقى امام جمهور الحضور خطبة نفيسة عن رئاسة الكهنوت افتتحها بقولهِ تعالى في المزامير (١٣٨ : ٥) : « انت يا ربُّ قد احطتَ بي وجعلتَ عليَّ يدك ». وكان ذلك اليوم نهارًا مشهودًا (٢

ولعلَّ القرّاء يفكّرون في ما عسى تكون هذه الرتبة الغير الشائعة في بلادنا فيسألون

١) Wright, *Syirac literature*, 263-265 — Ibid. II, 707-743

٢) راجع تاريخ الكنيسة لابن العبري الجزء الثاني (ص ٧٥٠ — ٧٥٢)

عن معنى كلمة المفريان وعمّا تخوّلهُ هذه المرتبة لصاحبها من السلطة · فاعلم ان المفريان لفظة سريانية اصلها من فعل فرا (ܦܪܐ) اي نما وأتى بثمر · فيكون وزن فعّل منهُ فري (ܦܪܝ) اي أثمر وأولد · واسم الفاعل مَفريانا (ܡܦܪܝܢܐ) وهو المولّد والمثمر · فلمّا انتشرت الشيعة اليعقوبية في أنحاء المشرق وكان بطاركتهم بعد ساويروس اتخذوا كرسيّهم انطاكية رأوا انَّهُ لا بُدَّ للبطاركة من نائبٍ يقوم في بلاد العراق وبابل ونواحي ما بين النهرين الشرقيَّة بامور ملّتهم ويدافع عن حقوقهم في وجه النساطرة عند ملوك العجم فوضعوا رتبة المفريان يريدون بذلك انّ صاحبها يثمر للكنيسة ليس ابناء فقط كسائر الاساقفة بل آباء روحيين ورؤساء · وكان اوّل ما وضعت هذه الرتبة في القرن السادس في ايّام يستنيان الملك وهي لم تزل شائعة عند اليعاقبة الى يومنا ومن جملتم كان في سنة ١٨٢٨ البطريرك انطون سمحيري الطيّب الذكر قبل رجوعهِ الى الكثلكة

وكان الاساقفة ورؤساء الاساقفة تحت رئاسة المفريان لهُ عليهم مثل السلطان كما للبطركِ على اساقفتهِ · وربّما دُعي عند بعض كتبة اليعاقبة والنساطرة باسم الجاثليق اي الاسقف العام فتكون هذه الرتبة بمقام كبير رؤساء الاساقفة (Primat) وكان بين المفريان وبطريركهِ علاقة كبيرة يخضع ذلك لهذا في الامور العمومية الآيلة لخير الملّة جمعاء · وكان البطريرك لا يُختار الّا برضى المفريان ويُختار المفريان برضى البطريرك · امّا مقام المفريان فكان في تكريت على ضفّة دجلة في وسط الطريق بين الموصل وبغداد وكانت هذه المدينة سابقًا عامرةً حافلة بالنصارى وهي اليوم صغيرة لا يتجاوز عدد سكّانها ستة آلاف نسمة وهم مسلمون اجتمعنا بهم في اثناء سفرنا الى بغداد ونحن راكبون الطوف من الموصل فأنبأُونا انّ النصرانيّة كانت شائعةً بينهم قبل قرنين وانّهُ لا تزال آثار الكنائس باقيةً في بلدهم · ولا بدع انّ كنيسة المفارين كانت من اعظمها وأتقنها

وكان اوّل ما سعى بهِ ابن العبري بعد ارتقائهِ الى رتبة المفريان ان يوطّد سلطة البطريرك اغناطيوس الثالث ويمنع الانشقاق في الملّة · وذلك ان بعض اهل الفتن ادّعوا بانّ انتخاب البطريرك والمفريان لم يكن شرعيًّا فغرُّوا بعض الاساقفة وجمعوهم ليختاروا لهم بطريركًا آخر ومفريانًا غير ابن العبري ورحلوا الى مدينة أرزنجان من حواضر الارمن حيث كان حلّ هولاغو قائد المغول · وكان جلّ ما يبتغون ان يستميلوهُ الى عصبتهم وينالوا منهُ كتابًا يقرُّ لهم بالرئاسة · فخاف اغناطيوس انّ يتّسع الخرق ويتفاقم الصدع فسيّر ابنَ العبريّ

الى عظيم المغول ليطلعهُ على حقيقة الامر ويفلّ شباة اعتداء الخصوم ويمهّد لهُ الطريق للدخول على هولاغو. فاسرع السفير لقضاء هذه المهمّة ولم يزل يُوصل السير بالسُّرى حتى بلغ ارزنجان

وكان في غضون سفرهِ يستعين بما عندهُ من المعارف الطبّيَّة ليدخل على الولاة وينال الحظوى لدى عمَّال هولاغو ووصاةً للامتثال بين يديهِ فاتت مساعيهِ بالمرام. فانّ هولاغو استقبلهُ بمزيد الاكرام وابدى لهُ غاية التجلّة وامر عمَّالهُ بان يتلقّوا البطريرك القادم بغاية الحفاوة ويترحّبوا بهِ ويكرموا موردهُ في طريقه. ولمّا وصل البطريرك ادخله المفريان الى هولاغو فسُرَّ بهِ وانالهُ براءةً تثبت حقوقهُ وشفعها بكتاب آخر اثنى بهِ على المفريان واطنب في محامدهِ. وفي السنة التالية توفّي هولاغو وملك عوضهُ ابنهُ أباقا فاحسن المعاملة الى البطريرك اغناطيوس والى ابن العبري جريًا على طريقة ابيهِ

وبعد مواجهة هولاغو بايام قلائل رجع البطريرك الى طور عابدين ثمَّ الى ملطيـة فسكن دير برصوما كاسلافهِ(١. امَّا ابن العبري فانهُ توجه الى تكريت ليستلم كرسيَّهُ فكان لهُ فيها استقبال حسن من اهل ملّتهِ ومن غيرهم احتشدوا لملتقاهُ وسُرُّوا بقدومهِ ايَّ سرور. وما كان ابن العبري ليخيّب آمال رعيّتهِ فيهِ. والحقُّ يقال انَّهُ نهض باعبـاء مقامهِ السامي نيّفًا وعشرين سنة باذلًا ما لا مزيد عليهِ من علوّ الهمَّة والنشاط صارفًا عنايتهُ الى اصلاح شؤُون ملّتهِ المادّيَّة والادبيَّة

٧

وكان اوَّل ما فكَّر فيهِ تفقُّد ابرشيَّتهِ الواسعة فزار اوَّلًا الموصل وكانت الجموع تخفُّ لاستقبالهِ في كل بلدة يجتازها يتقدَّمهم الكهنة والذوات وكلُّهم يتسابقون لاظهار عواطف الولاء والابتهاج بقدومهِ. ولمَّا انتهى الى الموصل تقاطر الشعب لملاقاتهِ وضجَّ عند رؤياهُ باصوات الفرح بينما كانت الكهنة ترنّم بالاناشيد الروحية. وما لبث فيها الَّا ريثما استراح وتلقَّى وفود السلام ثم صعد الى دير مار متّي ليزور رهبانهُ ورقّى فيهِ الى درجة الاسقفيَّة احدهم لكنيسة نُوهَدْرة وهي مدينة حصينة على الفرات

ثم عاد ابن العبري الى الموصل ليهتمّ بشؤُون الرعيَّة فوجد اهل ملّتهِ في اسوإ حال

١) ولبطاركة اليعاقبة مركز آخر في شماليّ شرقيّ ماردين على نحو اربعة اميال منها وهو دير الزعفران وفيهِ دخلنا على البطريرك الحالي عبد المسيح في تشرين من سنة ١٨٩٦

لأنَّهُ لم يكُ يبقى منهم الَّا قومٌ يسير وذلك انّ نصارى الموصل كانوا زايلوا بلدتهم قبل ذلك باربع سنين خوفاً من صاحبها الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ وكان اساء اليهم المعاملة . فخرجوا الى اربل واستوطنوها . وكان اكثرهم من اليعاقبة فبنوا لهم هناك بيعةً . فجاء بعد خروجهم عسكر المغول باغراء شمس الدين بن يونس احد امراء الملك الصالح وفتحوا الموصل ونهبوها وقتلوا فيها مدة ثمانية ايام عالمًا لا يُحصى . وكان الملك الصالح من جملة الاسرى قتلهُ بعد ذلك هولاغو وتولَّى الموصل مكانهُ شمس الدين بن يونس ثم تغير عليهِ المغول وقتلوهُ وقرَّروا بدلهُ حاكمًا زكيّ الاربلي

فصرف ابن العبري في الموصل ايَّامًا ينظر في حاجات رعيّتهِ ويجبر قلوبهم ويوصي بهم ذوي الامر ثمَّ ركب دجلة يقصد بغداد وفيها وقتئذٍ قسمٌ كبير من مرؤوسيهِ

(ستأتي البقية)

كتاب تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

وقرَّر بَيْدَمُر على السور المذكور جامكيَّة من المرتَّب المذكور وبقيت هذه المرتَّبات مستمرةً الى عود السلطان الملك الظاهر برقوق(١ الى السلطنة الثانية ونيابة أَلْطُنْبغا الجوبانيّ(٢ بالشام . فاستَقْطَع مُقبل الشمس(٣ متولّي بيروت المتوفّر في الميناء وبعض المُرَتَّبات بامريَّة الطبلخاناة . واحال بما عليهِ من البدل والديون على الصادر من البهار وامر باخذهِ من دار العشر بدمشق وجعل المتكلّم عليهِ صدقة التريكيّ الترجمان(٤ فاستقرَّ ذلك

١) تولَّى الامر في مصر من سنة ٧٨٤ الى ٨٠١ ﻫ (١٣٨٢ — ١٣٩٨م) . وهو اوَّل دولة المماليك الشراكسة

٢) كان احد مماليك السلطان الملك الظاهر برقوق ولَّاهُ نيابة الشام في اواخر القرن الرابع عشر للمسيح

٣) مراده بالشمس شمسُ الدين مُقْبل ولم نحصل على شيء من اخباره

٤) نظنُّ انهُ يريد الامير صلاح الدين صدقة من امراء الارسلانيين المتوفَّى سنة ٧٨٩ (١٣٨٧م)

عادةً. ثم تَلَقّح على الولايات غيرُ اهلها فاستكثروا ذلك فجعلوا الصادر اثلاثًا لنائب الشام ولكاتب السرّ وناظر الجيش بمصر. وبقي لمعلوم الولاية الواردُ بباب الميناء وصادرٌ قليل وهو الخارج عن البُهار. ثم ساءت حال الولاة فأُعطي ثُلثا الوارد بباب الميناء لمباشِريَ الشام ومصر

وامّا ارباب الايزال(١ فكانت جنود حَلْقة بعلبكّ تتجدّد الى بيروت ابدالًا (18r) يبقى كلُّ بدلٍ شهرًا. وفي سنة ست وسبعمائة (١٣٠٦ م) اقرُّوا التركمانَ بكسروان وتداركوهم بثلثمائة فارس وجعلوا درَكهم (٢ من حدود انطلياس الى مغارة الاسد على حدود معاملة طرابلس (٣ فكانوا يمنعون من يستنكرونهُ ان يتعدّى دَرْبند (٤ نهر الكلب الّا بورقة طريق من المتولّي او من امراء الغرب كما يفعلون بقُطْية (٥ على درب مصر. وجعلوا التركمان المذكورين ثلاثة ابدال كلّ بدل يقيم في الدرك شهرًا. وموجب استقرارهم بكسروان انهُ لّما فُتح كسروان كما ذكرنا اقطعوهُ لاناس لم يكفوه فانزلوا فيهِ التركمان لكثرتهم ولحفظ الموانى والدروب

وكان الملك المظفَّر تقيّ الدين عمر بن شاهنشاه بن ايُّوب (٦ صاحب حماة قد اوقف وقفًا على جماعة خيَّالةٍ ورجَّالة برسم الجهاد في سبيل الله تعالى واشرط عليهم بان يكونوا في اقرب الموانئ الى دمشق. فلمَّا استوطن المسلمون بيروت بعد الفتوح الاخير استقرّ اقامة المجاهدين المذكورين بها لقربها من دمشق. وفي ايَّام السلطان الملك الظاهر برقوق عُمّر

---

١) كذا في الاصل ونظنّ انَّ ذلك تصحيف والصواب « الايزاك » جمع يَزَك وهم الطلائع في مقابلة العدوّ ورؤساء العَسَس

٢) الدَّرك المحطّة يحرسها الجنود والقوم تعهد اليهم الحراسة (Quatrèmere, *Hist. des Mamluks* I, 1. p. 169)

٣) وجاء في كتاب اخبار الاعيان (ص ٢١٢) ان الدرك جُعل من حدود انطلياس الى مغارة الاسد وجسر المعاملتين. (وقال) وكانت سكناهم في برج جونية

٤) الدربند كلمة تركيَّة معناها المَضيق مركَّبة من در (باب) وبند (حاجز)

٥) القطية قرية في طريق مصر في وسط الرمل وهي المجاز بين الشام ومصر (راجع ابن بطوطة الجزء الاول ص ١١٢ (ed. Sanguinetti)

٦) كان ابنَ اخي صلاح الدين ايوب تولى حماة من سنة ٥٧٤ (١١٧٨م) الى سنة ٥٨٧ (١١٩١م)

البرج الكبير ببيروت على قاعدة برج من ابراج القلعة الخربة فقرّروا بهِ المجاهدين المذكورين

ذكر اوَّل امور بني الغرب في بيروت

امَّا امراء بني الغرب فاستمرَّ دركهم على بيروت سنة ثلاث وتسعين وستمائة (١٢٩٤م) وهي ثالث سنة الفتوح [الاخير] وذلك في ايَّام الامير زين الدين صالح بن علي بن بُحتُر وايَّام الامير سعد الدين خضر بن (18 v) محمَّد واخيهِ جمال الدين حجى بن محمَّد واوائل ايَّام ولدهِ الامير ناصر الدين حسين بن خضر الآتي ذكرهم ان شاء الله تعالى. وفي ايَّام ناصر الدين حسين استقرَّ امراء الغرب تسعين فارساً وانقسموا ثلاثة ابدال في كل شهر بدلٌ يقيم منهم ببيروت ثلاثون فارساً وفي انقضاء الشهر يحضر ثلاثون بدلهم وفي ذلك يقول بعض شعراء زمانهم:

ايا ابنَ امير الغرب شرقًا ومغربًا ... ومَن كلُّ عُرْفٍ غيرَ عرفهم نُكرُ
بإحسانك المشهورِ بيروتُ بلدةٌ ... على الساحل المعمور صار لها ذكرُ
تبسَّمَ عُجبـًا ثغرُهـا وترنَّحت ... معاطفُهـا تيهًا وجلَّلهـا البِشرُ
وكان عليها الكفرُ والشركُ دائمـًا ... فمذ حلّهـا مولاي عاد لها الفخرُ
وعاودها أُنسٌ بقربِ ركابكم ... ولولاكمُ ما افترَّ يومًا لها ثغرُ
فعِطفُ غصونِ الدوحِ انَّى حللتمُ ... تميسُ وثغرُ الروض بالنَّور يفترُّ
بكم قرَّ عينًا للغريب وانَّمـا ... حُسين بنُ خضرٍ ظلُّهُ فوقَهُ سترُ
هو الناصر المعروف بالجود والتقى ... لهُ الفضلُ والاحسانُ والعَطفُ والبِرُّ

تقسيم المؤلف لتاريخ امراء بني الغرب

ثمَّ بعد هذا نذكر السَّلَف فاوَّلُهم بُحتُر. ثمَّ ولدُهُ كرامة. ثمَّ حجى بن كرامة. ثمَّ محمَّد بن حجى. ثمَّ نجعلهم طبقاتٍ. في الطبقة الاولى نذكر جمال الدين حجى بن محمَّد ومعاصريهِ. وفي الطبقة الثانية ناصر الدين الحسين بن الخضر ومعاصريهِ. وفي الطبقة الثالثة ولدهُ زين الدين وبنيهِ ومعاصريهم. ثمَّ بعدهم كلٌّ واحد بحسبهِ (19 r)

جدول اوّل

لنسب الامراء التنوخيين من بني الغرب

تنوخ
|
جُهَير
|
عيسى
|
احمد
|
عليّ
|
محمَّد
|
ابراهيم

- الحُسين
  |
  عليّ
  |
  بحتر
  - شرف الدولة عليّ
    (نسبهُ في الجدول الثاني)
  - زهر الدولة كرامة
    |
    جمال الدين حجى
    - شرف الدين عليّ
      |
      زين الدين صالح
      (نسبهُ في الجدول الخامس)
    - نجم الدين محمَّد
      - جمال الدين حجى
        (نسبهُ في الجدول الثالث)
      - سعد الدين خضر
        (نسبهُ في الجدول الرابع)
- عبد الله
  |
  طارق
  |
  طريف
  |
  هرماس
  |
  عبد الله
  |
  ابو المكارم
  |
  معتب
  |
  معن
  |
  علم الدين
  :

ذكر بحتر جدّ امراء بني الغرب ونسبهِ *

هو الامير ناهض الدولة ابو العشائر بُحتر بن شرف الدولة علي بن الحسين بن ابي اسحق ابرهيم بن ابي عبدالله محمَّد بن علي بن احمد بن عيسى بن جُمَيْهر (١ بن تنوخ بن قحطان ابن عوف بن كندة بن جُندب بن مَذحِج بن سعد بن لُحَيّ بن تميم بن نعمان بن المنذر ابن ماء السماء. وماءُ السماء اسم امّهِ لُقّبت بذلك لجمالها واسمها ماوية بنت عمرو فشُهِر المنذر المذكور باسم امّهِ. هذا ما وجدناهُ متــداولًا بين الخلف عن السَّلَف بخطّ ناصر الدين الُحسين بن سعد الدين خضر مسندًا فيهِ على الصحَّة

قلتُ فاردتُ ان اوصل النَّسب الى نهايتهِ معتمدًا فيهِ على ما ذكرهُ اصحاب التواريخ وبذلتُ الجهدَ في المقابلة بين اقوالهم فوجدتُ اصحَّ الاعتقاد في ذلك على احمد بن عبد ربّهِ (٢ وعلى الملك المؤَيد صاحب حماة (٣ وهما قد طابقا كثيرًا من المؤرخين فاخذت عنهما

انَّ المنذر بن ماء السماء المذكور الذي انتهى اثبات النسب اليهِ كما ذكرنا هو المنذر (٤ بن امرئ القيس بن النعمان الاعور بن امرئ القيس المحرّق ابن عمرو بن امرئ القيس الاول (٥ بن عمرو بن عديّ بن ربيعة بن الحارث بن مالك (٦ بن غنم (٧ (١٩[٧]) ابن نُمارة بن لخم. ولخم لقبٌ واسمهُ مالك (٨ بن عديّ بن الحارث بن مرَّة بن أُدَد بن

* راجع الجدول الاوَّل لنسب التنوخيين

١) وجاء في تاريخ الاعيان (ص ١٢٧): جهر
٢) راجع الجزء الثاني من العقد الفريد
٣) راجع تاريخ ابي الفداء الجزء الاوَّل (ص ١٠٦)
٤) وجاء في كتاب الاشتقاق لابن الدريد ان المنذر هذا هو ابن المنذر بن ماء السماء (ص ٢٢٦)
٥) ويسمَّى ايضًا امرء القيس البدء
٦) وفي كتاب الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٢٦) انَّ مالكًا هذا هو ابن السعود (والصواب مسعود) بن الحارث بن عمرو بن ربيعة بن نصر بن عدي
٧) والصواب «مالك بن عَمَم» (راجع كتاب الاشتقاق لابن دريد ص: ٢٢٦)
٨) والصواب ان مالكًا هذا غير لخم وانما هو ابن اخي لخم

زيد(١ بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. وهو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان (٢ بن عابر وهو هود النبيّ عليهِ السلام(٣ وعابَر بن شالَح بن ارفخشيد ابن سام بن نوح عليهِ السلام بن لامك بن متوشالح بن احنوخ (٤ ويقال هرمس وهو ادريس عليهِ السلام. واحنوخ بن يزيد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيت بن آدم عليهِ السلام

نسخة منشور باسم بحتر المذكور

العلامة فوق البسملة الشريفة وهي طغار (٥ حقّ الاتابكيّ الظَّهيري (٦. ومضمونهُ:

رسمَ اعلاهُ الله وامضاهُ كَتْب هذا المثال الشريف للامير الاجلّ ناهض الدولة ابي العشائر بحتر بن علي بن ابرهيم بن ابي عبدالله ادام اللهُ تأييدَهُ وتسديدَهُ وتمهيدَهُ باجرائهِ على رسومهِ المستمرّة وقاعدتهِ المستقرّة من الضياع المنسوبة الى رسمِ المعروفة باسم والدهِ واسمهِ وان يتناول ما يخصّ الخاصّ السعيد منها بحيث يصرفهُ في مصالحهِ ويتقوَّى بهِ على الخدمة ويجري على معهودهِ من الامارة بالغرب من جبل بيروت وهو معروفٌ منعوت لِما

١) ويروى: يزيد

٢) دعاهُ في سفر التكوين (١٠: ٢٥) يُقطان. ودعا ابناءَهُ موداد (مضض) وشالَف وحضرموت ويارح وتسعةً آخرين لم يُذكر بينهم يعربُ. ونظنُّ ان يعرب من سلالة قحطان وانَّ بينهُ وبين قحطان قرونًا كثيرة

٣) هذا زعمٌ للعرب لم يمكنّا اثباتهُ

٤) وفي التوراة (فصل التكوين ٤: ١٨) ان متوشائيل هو ابن محويائيل بن عيراد بن اخنوخ (او احنوخ). وقول المؤلف انَّهُ هو ادريس وهرمس من مزاعم العرب الغير البيّنة

٥) الطغار كلمة اعجميَّة معناها العلامة ويقال لها الطغراء

٦) انتسابًا الى ظَهير الدين اوَّل اتابكة دمشق واسمهُ طغتكين ويدعى سيف الاسلام كان اوَّلًا اتابك لامير دمشق دقاق بن تُتُش بن الب ارسلان السلجوقي ثمَّ تولَّاها بعد موت موتهِ سنة ٤٨٨ﻫ (١٠٩٥ م) وتوفي سنة ٥٢٢ (١١٢٨م) فخلفهُ ابنهُ تاج الملك بوري فمات سنة ٥٢٦ (١١٣٢م). ثم خلفهُ اخوهُ شمس الملك اسمعيل الى سنة ٥٢٩ (١١٣٥م). ثم تولى دمشق اخوها شهاب الدين محمود بعد وفاة اسمعيل سنة ٥٣٣ (١١٣٩م) فقُتل بعد ذلك بقليل فخلفهُ اخوهُ محمَّد جمال الدين فتوفي سنة ٥٣٤ (١١٤٠م) فخلفهُ ابنهُ آبق مجير الدين وكان حديث السنّ فتولى التدبيرَ باسمهِ معين الدين اتر. وبقي الامر في يد مجير الدين آبق الى سنة ٥٤٩ (١١٥٦م) فعزلهُ نور الدين. وفي ايَّامهِ حاصر الفرنج دمشق فلم يقووا عليها لما كان بينهم من الخلاف. ورحل آبق الى بغداد وبنى لهُ بها قصرًا وبها توفي

عُرِف من نهضتهِ وكفايتهِ وحسن سيرتهِ وامانتهِ . والواجب على الرؤساء والفلاَّحين اعزَّهم الله تعالى سماع كلمتهِ والدخول تحت طاعتــهِ فيما (20^r) يلتمسهُ منهم من استخراج الحقوق السلطانية وموافقتهِ على ما يطرأ من الخِدَم الديوانية . وليحذروا من الخلاف فيعود عليهم الحيف والاجحاف . وسبيــلهُ ادام الله تاييدهُ الذبّ عنهم وايصال شكاويهم الى النوَّاب والمتصرفين والاصحاب بحيث يجرون على عادتهم من غير تحديدٍ رسماً ولا حادثٍ لحيفٍ اسماً . والواجب على الوُلاة والنوَّاب المستجدّين والاصحاب اجراء الامير المقدَّم ذكرُهُ على ما رسمنــاهُ . والمعتمد على العلامة الكريمة في اعلاهُ ان شاء الله . كُتب في العشر الاوسط من محرَّم سنة اثنتين واربعين وخمسمائة (١١٤٧ م)

وهذا التاريخ في ايَّام الامير مجير الدين ابي سعيد آبق بن جمال الدين محمَّد بن تاج المُلك بوري بن ظهير الدين طغتكين وهو اتابك الملك دُقاق بن تُتُش (١ وولاية آبق المذكور بعد وفاة والدهِ ثامن شعبان سنــة اربع وثلاثين وخمسمائة (١١٣٩ م) وكانوا اصحاب دمشق . واستمرّ المذكور بها الى ان اخذها منــهُ الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في ثالث صفر سنة تسع واربعين وخمسمائة (١١٥٦ م) وعوَّضهُ عنها حمص ثمّ اخذها منهُ وعوَّضهُ عنها بالس (٢ . ثمّ توجه آبق الى بغداد . ذكرتُ آبق للعلم بتاريخ المنشور وذكرتُ الملك العــادل توطئةً لما يأتي من ذكر مناشير السَّلف ان شاء الله لانّ اصحاب دمشق هم الحكَّام على بيروت (20^v) واعمالها والمدينة كانت بيد الفرنج

(ستاتي البقية)

رواية الشقيقتين

(للاب هنري لامنس اليسوعيّ)

ألا أنعم بالطبيعة والدةً تستدعي في كلّ حال من ابنائها العجب ولكن تراها في بعض الامور الطف صنعاً منها في غيرها فتلوح من وراء أعمالها يد خالقها المنَّان

ومثال ذلك ولادة اختين شقيقتين توأمتين تجمع الطبيعة بينهما في مَوْلِج الحياة فتربط منهما الجنان بعلائق شديدة وثيقة وتزرع في قلوبهما منذ نعومة الاظفار عواطف متبادلةً

١) راجع الحاشية السابقة

٢) هي مدينة صغيرة في الشام بين الرَّقّة وحلب

تنمو وتتمكّن مع تقدُّمهما بالسنّ فتراهما لبعضهما سندًا وفي كل اطوار الحياة عضدًا تتقاسمان الافراح في السَّرَّاء والاتراح في الضَّرَّاء لا ينتر بينهما الوداد الى ساعة المنون وربما جمع بينهما ضريح واحدٌ الى قيام الساعة

١

لو أُتيح لك ايُّها القارئ اللبيب ان ترقى منذ بضعة اعوام احدى قمم لبنان ليس بعيدًا عن السابلة المؤدّية من بيروت الى دمشق الشام لكنت رأيت على منعطف أكمة في مكان يُعدُّ من اتره مواقع الجبل بيتًا انيق الهيئة لطيف البناء شيّدهُ المسيو ب. وهو اذ ذاك قنصل عامّ لاحدى الدول الكبرى في سوريّة فجعلهُ مصيفًا يأوي اليهِ مع عائلتهِ فرارًا من لظى قيظ بيروت. وكان جانب من المنزل تحجبهُ اشجار الأَزدَرَخت (الزنزلخت) والصنوبر يتلاعب في اغصانها نسيم الصبا وتغرّد فوق افنانها طيور الرُّبى

امَّا هندام المسكن فلم يكُ يشبهُ بشيء ما جاورهُ من المعاهد الصيفيَّة وانَّما اراد صاحبهُ ان يجمع فيهِ بين هيئة المصايف السويسريَّة وخواص الدور السوريَّة المحدثة فكان يعلوهُ القرميد الاحمر على شكل مخروط. وفي وسط البنا شُرَف ناتئة مستطيلة (بَلكون) لترويح النفس في طرفي النهار

وكان امام البيت سطح واسع الفناء يُشرَف منهُ على منظر بهيّ. فكنتَ ترى على بُعد ثَبَج البحر الزاخر إذ ترمي عليهِ الشمس اشعَّتها الذهبيَّة او يجيش بامواجهِ فينتظم لهُ على الساحل سلكٌ من دُرَر الزَّبد. فهناك مضجعةٌ بيروت وهي اشبه بملكةٍ حسناء ترتفق الى سفح الجبل وتبسط رجليها في غمر البحار بينما تمنطق اعطافها مناطقُ زبرجدٍ صيغت لها من خضرة بساتينها وغابات صنوبرها. ولو كنتَ سرَّحت النظر في الربى القريبة لآنست من لبنان مشهدًا يروق البصر ويأخذ بمجامع القلب

ففي اليوم الذي بهِ تستهلُّ روايتنا كنت ترى اهل الدار الموصوفة آنفًا يسعون في تهيئة حجرةٍ لاستقبال ضيفٍ شريف على وشك القدوم من بلاد اليونان اسمهُ البارون شرل دي لَينس وهو كهلٌ في قوَّة الشباب عمره خمس وثلاثون سنة من ارباب السياسة يتعاطى في عاصمة اليونان امور دولتهِ بهمَّةٍ علياء. وكان شرل ذا اخلاقٍ راضية وعواطف لينة بيد انهُ شديد التحمُّس في الدين يسير على مقتضى مبادئهِ علانيةً دون حياء

وكان المذكور تيتَّم في حداثة سنهِ فتربَّى في حجر احد اعمامهِ وقد ورث من والديهِ اسمًا

شريفًا وثروة طائلة. وكان مع ريعة شبابهِ ونشاط سنه تائقًا الى الراحة والتخلي من اشغال مهنتهِ المضنكة مستنكفًا من حياة العزلة والتفرُّد. ومن ثمَّ ما كادت تبلغهُ ألوكة القنصل المسيو ب. وهو صديقٌ حميم لوالده المرحوم يدعوهُ بها الى مصيفهِ في لبنان حتى اسرع فطلب عطلة شهرين وسلَّم موقتًا اشغالهُ في السفارة بأثينة الى بعض زملائهِ وركب في الپيره سفينة المسَّاجري مُبحرًا الى بيروت

وكان البارون دي لَينس كَلِفًا بالاسفار البحريَّة الَّا انَّ سفرتهُ هذه في غُرَّة آب كانت احلى لديهِ واوقع في قلبهِ لصفاء الجوّ ولين النسيم ووفرة المناظر البهجة. وكانت حركة السفينة وهي تمخُر في وسط المياه تمثل لهُ حياتَهُ السابقة الكثيرة التنقُّل والتقلُّب مع انهُ لم يكد يبلغ سنَّ الكهولة. فكان يقضي الساعات وهو متوكّئ على إطار السفينة يفكر في ما طرأ عليهِ من كوارث الزمن وصروف الدهر ويقابل بين عيشتهِ الهنيئة الخالية من الهموم في الوقت الحاضر وحالتهِ امس بين الهواجس والشواغل السياسية فيشكر لأفضال المسيو ب. اذ قرَّب اليهِ نوال الفرصة لترويح البال فلا يعود يسمع ثرثرة اليونان يطنبون تارةً في مديح اجدادهم فيرفعونهم فوق السُّهى ويدَّعون أُخرى بالفخر على من سواهم من الشعوب وربَّما طمحوا بالبصر الى التملُّك على بلاد مجاوريهم. فنجا والحمد لله من إبداء رائهِ في حزب تريكوبيس او الانتصار لدالياني ولا يحتاج ان يثني على توقُّد فهم السيّدة ....بولو وحسن زي ابنة السيّد ....يدِس وبموجز الكلام ها قد صار حرًّا

وبينما كان شرل خائضًا في بحر هذه الافكار كانت السفينة اجتازت امام رأس سونيوم مواصلة سيرها الى جهة إزمير مارَّة بين عديد جزائر الارخبيل كديلوس ونَكْسوس التي كانت تظهر في اوّل ساعات الليل كاجرام عظيمة لا صورة لها تلوح على ساحلها من وقت الى آخر ضياء منائرها لتأخذ السفن حذرها من الصخور. فما كان يُسمع في هدوء الليل غير صوت السفينة وهي تشقُّ المياه وتخطر في سيرها السريع وكان تزل اغلب الركاب يأوون الى مراقدهم. امَّا السماء فكانت رائقة تتلألأ بكواكب كالدراريّ والبحر يعكس انوارها فيسحر منظرهما العقول ويحمل القلوب الى خالقها

الَّا ان هذه المناظر وان كانت تدفع النفس الى الهذيذ والتأمّل لم تكُ لتشغل عقل البارون عن افكار مختلفة كانت تتجاذبهُ منذ زمن قليل. أجل انَّ رؤية لبنان الذي هو قاصدهُ لَشهيَّةٌ بديعة والاجتماع بالاصحاب لَمَوْردُ افراحٍ عذبة صافية ولكن تُرى ماذا يحلُّ بهِ بعد ذلك

والى ايّ طيّةٍ يوجّه افكارهُ ليستقرَّ بها قرارهُ ويرتع في ظلّ الأَمن والراحة. أَفيكون سعادة القنصل ب. سبق وتفهَّم نيّتهُ فاستدعاهُ ليعرض عليهِ كما فعل غيرهُ كثيرون الاقتران باحدى ابنتهِ وينزعهُ حرّيتهُ بوضع ربقة الزواج في عنقهِ ؟

وما كاد هذا الفكر يخطر ببال البارون حتى وجم ساكتاً واطرق كاسفاً. ثم قام بعد هنيهة فنزل وهو لا يعي الى المنام وبات ليلتهُ قلقاً يتململ من الهمّ على فراشهِ. ولمّا كان الصباح رقي سطح السفينة فاذا بوجه البحر تجعَّد قليلاً وبانت على قربٍ سواحلُ كرمانية وجبالها الشاهقة كستها اشعَّة الشمس الطالعة بجلباب نورٍ وبهاء الّا انَّ هذه المشاهد الشائقة والمناظر الرائقة لم تعمل في قلبهِ وعادت افكار المساء المنصرم فعكَّرت صباحهُ وبقي في صُلب يومهِ منزعجًا مشوّشًا فجعل يخطو مسرعًا ذهابًا وايابًا فوق سطح السفينة يهجس كما في اليوم السابق مفكرًا في امر مستقبلهِ وهو يردّد هذا القول: ماذا اصنع بعد

ما الجدوى من هذه التربية المتقنة التي نالها في صباهُ ومن هذه الدروس التي زيَّن بها عقلهُ وفي صالح مَن يحْسن بهِ ان يصرف قواهُ او ماذا يفعل بهذه التركة الواسعة التي اورثهُ ايّاها والداهُ ؟

أَفيصير كاهنًا او مرسلاً ؟ نعمَّا الدعوة لولا انّها من الله لا يسوغ للانسان ان يسبق فيها ارادتهُ تعالى

افيقترن بسُنَّة الزواج ؟ تلك طريقة الناس عمومًا ولكن يا بؤسهُ اذا خُدع بالمال او الجمال فوقع بيد امرأةٍ ليس لها من الصفات غير ظاهرها ويكونُ خُبْرُها دون خبَرها تقضي عامة ايّامها في الاباطيل فتضحي لزوجها اثقل من العبء الثقيل

أَو يبقى وحدهُ معتزلاً عن الاشغال عاكفًا على العلوم متفرّغًا لصنيع الخير الى ذوي جنسهِ ؟ فكانت هذه الافكار وأَمثالها كثيرة تهجس في ضمائرهِ معكرة كأس هنائهِ في بقيَّة سفرهِ حتَّى بلغت السفينة بالركاب الى ميناء بيروت فافاقهُ منظرها البهيّ من سكرتهِ

(ستأْتي البقيَّة)

شتّى

الرخّ والعنقاء

قد اطَّلع كثيرٌ من علماء دار السلام. من نصارى وإسلام. على ما ذيّلتم بهِ مقالتي

فكان به إقالتي . بخصوص عنقاء مُغرب . التي حيّرت عقول اهل المشرق والمغرب . فاستحسنوهُ . وراق في أعينهم ما بيّنتموهُ . وشاقهم أسلوبِ تحقيق مجلّتكم البهيّة . وتوسّموا فيها نهضة العلوم الشرقية . ودفاعكم عن حقوق اللغة العربيّة المنجُوسة . و إعادة آثارها المدروسة . ونظركم هذا نبَّهَ في افكار بعض المطّلعين على اللغات الافرنجية . والعارفين بالعلوم الطبيعية . انهُ اذا كان الرُخّ هو الطائر القديم المصطلح عليهِ بلفظة Epyornis عند العلماء فالعنقاء تكون ما اصطلح عليهِ اهل هذا الفنّ بلفظة Dinornis . فقد جاء في احد المعجمات الفرنسية الحديثة ما ترجمتهُ بحرفهِ الواحد : « ان طير العنقاء Dinornis طير هائلة العظم من مجموع الطيور السَفَنِيَّة (نسبةً الى السفينة وسمّيت كذلك لعظمها كالسُفُن) Ratités التي عاشت سابقًا في زيلندة الجديدة وتوجد اليوم عظامها في الاراضي الغِرْيَلِيّة والمغاور . والعنقاء الهائلة D. giganteus رُبّما كانت اكبر طائر وُجد على البسيطة . فانّ طولها كان يُربي على الثلثة امتار علوًا . لانّ ارجلها من بعد ان ركّب أُوِن (Owen) أَوْصالها كانت تبلغ اكثر من مترٍ واحدٍ وخمسين سنتيمترًا — امّا العنقاء الشبيهة بالفيل D. Elephantipes فهي اصغر من السابقة قامةً . وكانت ارجُلها مُصمتة بنوعٍ غريب . — وجنس العنقاء المشتمل على عشرة انواعٍ انقرض ويمتاز من جنس الاوزّ الأَقْطَع (Apterix) جارتها بكون اصابع ارجلها ثلاثًا عوضًا عن اربع اصابع اه

اقول وكلمة Dinornis العلمية منحوتة من δεινός اي غريب او نادر و ὄρνις اي طائر فيكون معناها الطائر الهائل العظم او الطير الغريب او النادر . وكما ان العَرَب يُريدون بالعنقاء طائرًا : « بيضُهُ كالجبال » فالمتبادر الى الذهن ان العنقاء اكبر من الرُخّ فينطبق على ما يقولهُ الافرنج بان الدينورنيس اعظم من الأَبيورنيس وذلك من بعد طرح شيءٍ من مبالغة العرَب . وممّا يقوّي هذا الرأي ويدعمهُ هو انّ العرب يذكرون بان العنقاء « طائر كان يعيش في الجهات الحارّة القريبة من خطّ الاستواء في جزائر البحار التي بين الهند والصين » (المشرق الصفحة ٢٠٣) . ولا يُعرَف اليوم طائر عاش في تلك الاصقاع تنطبق عليهِ هذه الاوصاف اكثر من الدينورنيس اذًا . . واما الرُخّ فكان يعيش في مدغسكر وجُزُر بحر الهند : « وقد عرفهُ تجار العرب في القُرُون المتوسطة ووصفوهُ لمواطنيهم » (المشرق ص ٢٠٥) وهذا يسمّيه العلماء ابيورنيس

وازيد على ذلك بان هذا كلهُ لا يمنع القول بانّ من العرَب من سمّى عنقاء بعض

طيورٍ طويلة العنق. والشاهد على ذلك كتُب متن اللغة وما ذكرهُ ابن خِلّكان في تاريخ احمد بن عبدالله بن احمد الفرغانيّ. والخلاصة من كل ما تقدم هو:

ان العنقاء هي Dinornis على الاصحّ وهو منقرض اليوم. والرخّ هو Epyornis وهو منقرِض ايضًا. وامَّا ما يسمَّى اليوم باسم عنقاء فهو المسمَّى بلسان العلم Anhinga. والله اعلمُ بالصواب

هذا واختم كلامي بالشكر لأصحاب المشرق بما اتحفونا بهِ من بديع مكتشفاتهم وذلك عن لسان كثيرين من ادباء هذه المدينة العظمى مؤملين ان يكون هذا المبدأ هِلالًا ينمو ويزهو لا يعرف الانمحاق ولا الانخساف خيرًا لابناء المشرق   الاب انستاس ماري

دي سنت ايلي الكرمليّ البغداديّ

كتب شرقية جديدة

Pubblicazioni scientifiche del R. Instituto Orientale in Napoli

١ ديوان ابن حمديس الشاعر الصقلي وقف على طبعــهِ وتصحيحهِ ج سِكيا باريللى (ص ٥٠٠)

٢ كتاب فِتْحَتْ نَجَسْت سعى بنشره الدكتور اغناطيوس غويدي (ص ٣٤٠)

Roma, 2 vol.,, Tipographia della casa editrice italiana, 1897

قد اهدتنا ادارة الكتب المشرقي في نابولي هذين الكتابين النفيســين: فالاوَّل هو مجموع اشعار الشيخ عبد الجبَّار بن ابي بكر بن محمَّد بن حمديس الصقلّي الذي ولد في سَرَقوسة سنة ٤٤٦ هـ (١٠٦٥ م) وتوفي ٥٢٧ (١١٣٣ م) وكان من ابلغ شعراء عصره نعتهُ ابن بسَّام في كتاب الخريدة بقولهِ «انَّهُ يُقرْطس اغراض المعاني البديعة ويعبّر عنها بالالفاظ النفيسة الرفيعة ويتصرَّف في التشبيه ويغوص في بحر الكلم على درّ المعنى الغريب». ومما يزيد هذا الديوان فائدةً انَّهُ يشتمل على عدَّة امور تاريخيَّة من شأنها ان تعرّف احوال العرب في صقلية لمَّا كانوا مستولين عليها. وهذا المجموع مع نفاستهِ كان اضحى اعزَّ من بيض الانوق لولا انَّ الحميَّة استفزَّت بالدكتور سِكياباريللي فاحيا هذا الاثر الجليل بعد ان كادت تذهب بهِ يدُ الضياع. واعتمادهُ في طبعتهِ على نسختين احداهما محفوظة في المكتبة الڤاتيكانيّة والاخرى في المتحف الاسيوي في بطرسبرغ فقابل بينهما وزاد عليهما فوائد جمَّة

التقطها من كتب الادباء. ومجموع القصائد او الشذرات التي يحتويها هذا الديوان لا يقلّ عن ٣٦٠ عددًا. وقد طُبع الكتاب طبعًا جميلًا بالحرف القسطنطينيّ الكبير وكلهُ مضبوط بالشكل الكامل يزين كلَّ صفحاتهِ اطار احمر انيق

امّا الكتاب الثاني فهو بالحبشيّة قام بنشرهِ بعد تنقيحهِ العالم العلاّمة الدكتور اغناطيوس غويدي اللغوي الشهير. ويستدلّ على فحوى الكتاب من اسمهِ ومعنى «فِتْحَت نَجَسْت» في الحبشيّة (شرائع الملوك) وهو يتضمَّن في خمسين فصلًا كلّ ما يختصّ بفقه الحبش وشرائعهم الدينيّة والدنيويّة. والكتاب على صورتهِ هذه قد وضع في آخر القرن السادس عشر. امَّا مضمونهُ فيرتقي الى القرون الاولى من تنصُّر الحبش. ومنهُ نسخٌ كثيرة في خزانات كتب اوربَّة استفاد منها جميعًا الدكتور المذكور فجاءت هذه الطبعة تامّة الفوائد وعمًّا قليل سينقلهُ جناب متولّي نشرهِ الى اللغة الايطالية. فنثني على همَّة الدكتور غويدي لقيامه بهذا المشروع الحسن ونطلب الى الله ان يمدّهُ بيد المساعدة لينجزهُ قريبًا

أسئلة وأجوبة

س سألنا ك. ف. احد مستشرقي المانية عن اقدم شهادة جاءت في كتب العرب عن الابرة المغناطيسيَّة (boussole)

ج انَّ اقدم شهادة دوّنت في كتب العرب على ابرة المغناطيس ما ورد في كتابٍ خطّي يدعى كنز التجار في معرفة الاحجار لبَيْلَق القبجاقي الكاتب في سنة ٦٨١ ه (١٢٨٢ م) فقال في الصفحة ٦٨ من نسخة باريس ما نصهُ: «ومن خواصهِ (المغناطيس) انَّ رؤساء بحر الشام اذا اظلم عليهم الجوّ ليلًا ولم يروا من النجوم ما يهتدون بهِ على تحديد الجهات الاربع ياخذون اناء مملوءة ماء ويحترزون عليهِ من الريح بان ينزلوهُ الى بطن السفينة ثم يأخذون ابرةً وينفذونها في سمرة او قشّ حتى تبقى معارضة فيها كالصليب ويلقونها في الماء الذي بالاناء والمعدود لها فتطفو على وجههِ ثم ياخذون حجرًا من المغنطيس كبيرةً ملو الكفّ او صغير ويدنونها من وجه الماء ويحركون ايديهم دورة اليمين فعندها تدور الابرة على صفحة الماء ثم يرفعون ايديهم على غفلة وسرعة فان الابرة تستقبل بجهتيها جهة الجنوب والشمال. رأيتُ هذا الفعل منهم عيانًا في ركوبنا البحر من طرابلس الشام الى

اسكندرية في سنة اربعين وستمائة (١٢٤٢ م) وقيل ان رؤساء مسافري بحر الهند يتعوَّضون عن الابرة والسمرة بشكل سمكة من حديد رقيق مجوَّف مستعد عندهم يمكن انهُ اذا القى في ماء الاناء عام وسامتَ براسه وذنبه الجهتين من الجنوب والشمال (اه)

وعُرِض علينا سؤال آخر بخصوص وِجهة الابرة المغناطيسية الى الشمال نجيب عليهِ في العدد القادم

س وطلب الخواجا انطون افندي مسابكي عن سبب تقديم اللاتين لرتبة عيد القيامة في صباح سبت النور

ج انَّ اللاتين كانوا سابقًا كبقيّة الطوائف الشرقيّة يقضون عامَّة ليلة السبت الى الاحد في الكنائس يحتفلون بحفلات عيد القيامة. فلمَّا رأى الاحبار الرومانيُّون والرؤساء الروحيّن انَّ احياءَ الليل كلّهِ في الصلاة والرتب الدينية يشقُّ على كثير من المؤمنين رخَّصوا في تقديمِ هذه الحفلات في مساء السبت كما يفعل الى الآن الارمن والسريان وغيرهم. ثمَّ بعد توالي الأعقاب لمَّا فتر الايمان وصعب على كثيرين حضور الرُتب مرَّتين في يوم سبت النور جمعت الكنيسة بين هاتين الحفلتين ولذلك ترى الرُتب فيها جانبٌ من الحُزن في اوَّلها ثم تنتهي بالافراح. وعلى كلّ ما سبق دليلٌ في الصلوات التي تُتلى في هذا النهار وهي تُشعر بانَّ الليل ضارب اطنابَهُ على الارض

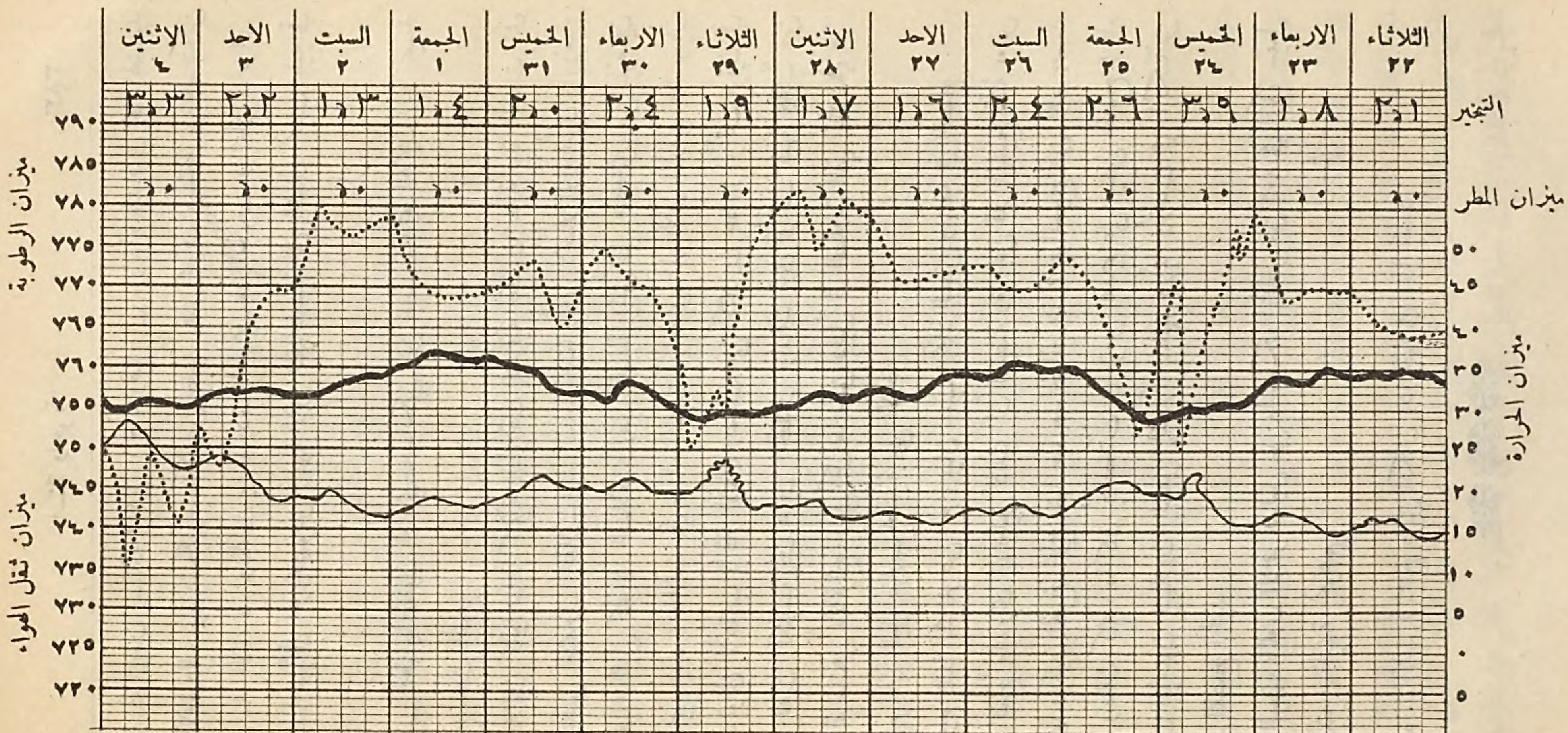
س واقترح علينا الشيخ ص.ح. بيان سبب اتّخاذ البيض وصبغهِ في الفصح

ج انَّ اصحَّ ما نرى في تعليل ذلك انَّ البيضة رمز عن قبر المسيح تمثّلهُ بعض التمثيل بشكلها وبكون الفرخ يخرج منها حيًا بعد خفائهِ كما خرج المسيح من قبرهِ بعد دفنهِ فيهِ مدّةً. ولذلك كثيرًا ما كان يُكتَب في الزمن القديم على بيض الفصح « قام المسيح » وكان المؤمنون يتهادون البيض إشعارًا بايمانهم وربَّما وُزّعت في الكنائس بعد قدّاس احد الفصح المجيد

امَّا صبغ البيضة باللون الاحمر فدليل على ما سفكهُ المخلّص من دمهِ في الزكيّ سبيل البشر وعلى محبّتهِ العظيمة نحوهم ل.ش.

ولدينا عدَّة سؤالات لم يسمح ضيق المكان بادراجها في هذا العدد

قائمة للآثار الجوّيّة   من ٢٢ اذار الى ٤ نيسان   ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر - والخط الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ترمومتر) - امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) - والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

العلاج بالنور

مقالة عرّبها الدكتور فيليب افندي بركات

تذكرني مقالة التنوير للاب موريس كولنجت (المشرق ص ١٧٩ و ٢٤١) بمقالة اخرى طبيّة نُشرت حديثًا في احدى جرائد الفرنسيس عن العلاج بالنور (La Photo - thérapie) فاحببت نقلها لكم عساها تكون ذيلًا مفيدًا للقرّاء لانّ فيها من المنافع الصحيّة ما يستر عنها شطط الناقل في النقل فاقول:

ان المداواة بالنور ليست من الاكتشافات الحديثة لانّ العلم والتقليدات ابانت لنا ان النور كالهواء والطعام من الشروط التي لا بُدَّ منها للحيوة. وقد كتب بلين (Pline) منذ الفي سنة ان الشمس اعظم علاج للانسان والمثل الطلياني يقول: حيث لا تدخلُ الشمس والهواء يدخل الطبيب وكل ما في الطبيعة يحب الشمس من حيوان ونبات وجماد. ألا ترى انّ النبات المسمى دوّار الشمس يتبع الشمس في دورانها فينظر دائمًا لنورها الساطع كانهُ عابد لها. وكلٌّ منا يعرف ان كثيرًا من النبات لا يعيش في الظلّ اللهمَّ الّا شيبة العجوز وقليل من انواع الفطر. واللون الاخضر الذي نراهُ في النبات المسمّى الخضوب (chloro-phylle) هو علامة صحته. ولذلك لا نشاهدهُ فيهِ ان دام في الظلّ

والنبات يذبل وشكله يتغيّر ويفسد حتى وطعمه يبقى تفهًا ان لم تنظر اليهِ الشمس كما يشهد لنا بذلك جميع البستانيين

وهذه الحالة مقرّرة ثابتة في عالم النبات معروفة حقيقتها في عالم الجماد وكلاهما يتأثر لفواعل اسبابُها في قوة النور. انما تتّضح غاية الاتّضاح في عالم الحيوان. وقد شاهد احد العلماء سنة ١٨٧٠ ان بيض الضفدع يتقبَّض في النور وقد رأى غيرهُ ان البيض المذكور لا

يتقوَى في الظلّ لا بل يضعف ويموت اذا حُرم منهُ . ولك ان تختبر بنفسك ما نقول فاملأ إنائين ماء صافيًا وضَعْ احدهما في الشمس والآخر في الظل تجد في الاناء الاول نقاعيَّات وفي الثاني لا ترى للحيونات من أثر

اما اذا نظرنا الى فعل النور بالانسان نرى نتائجه فيهِ حسّيّةً لان الانسان المحروم من منافع النور لا لون لهُ . يكون جلدهُ اقهب واعضاؤُهُ رخوة منتفخة لا قوام لها ولا قوّة وهو معتلّ الخلقة ضعيف البنية

وانظر لاكثر سكّان المدن الكبيرة ومن عاش في الظلّ مثل الفَعَلة الذين يشتغلون تحت الارض والمسجونين والنسَّاك وبعض سُكان الانحاء القطبية ألا تراهم مشوّهين مهزولين لحرمانهم من منافع النور ؟

وقد ثبت عند الاطباء ان اسباب امراض المصابين بالغدَّة العنقيَّة هي معيشتهم في الظل الدائم ضمن اودية تكتنفها جبال شاهقة

ولله درّ ابناء البادية ما احسن صحتهم واقوى ابدانهم واوسع صدورهم واجمل لون اجسامهم وهم الذين يعيشون تحت القبَّة الزرقاء والشمس في كبدها ترميهم بانوارها الساطعة الضياء . وقد لحظ بعض الطبيعيين ذوي النظر المدقق ان الجلد اذا تعرَّض لاشعَّة الشمس يصير سميكًا خشنًا ذا لون اسمر ولذلك نرى في البشر اشكالًا منهم الابيض والاصفر والاسود

وقد بحث علماء هذا العصر بحثًا خصوصيًا في منافع النور فوجدوا فيهِ علاجًا صحيًا مفيدًا ومغيّرًا احوال الحياة . وقد قال احدهم في اوائل هذا القرن ان النور اذا اصاب العيون أثر فعلهُ نوعًا في سائر الجسم . وقد قال غيرهُ ان العين تجمع اشعَّة النور فتكتنزها ثم توزّعها على سائر الجسم تحت شكل اهتزازات متتابعة خصوصية . وقد ينسب للنور بعض العُطاس وهو الذي يهتيج الافراز الدمعي اكثر الاحيان . وانَّ لدينا برهانًا ثانيًا يؤَيد منافع نور الشمس في التغذية الجلدية بواسطة الجهاز العصبي وهو ان التغييرات التي تطرأ على الجلد حين استئصال العينين تشبه التغييرات التي تحصل فيهِ حين يمكث الانسان في محلّ مظلم مدة طويلة

ولم يكتفِ العلماء بهذا بل وضعوا قياسًا لمفاعيل الشمس في الجسم البشري فوجدوا ان في الظلّ ينفق الانسان من الاوكسجين كمّيَة اقل من التي ينفقها في الشمس . وافادوا ان النور يزيد في افراز الحامض الكربوني والظلام ينقص من كميتهِ . وقد علّموا ايضًا ان حرارة

الجسم تهبط من عُشر الى خمسة اعشار الدرجة وان الافراز البولي ينقص في الاولاد المحبوسين في امكنة مظلمة. وقد ابان اخيرًا احد اساتذة الطب ان ألياف العضَلات تهتزّ رأسًا من فعل النور ولتحقيق زعمهِ اخذ احدى العضلات المسمَّات الخيَّاط وربط احد طرفيها بسند ثابت والطرف الآخر في منتصف غشاء رقّ غزال مشدود على قمع صغير في اسفله انبوب كاوتشوك. ووضع العضلة في مجتمع عدسة تنيرها الشمس ووضع لحجز اشعَّة الشمس دولابًا غير شفَّاف فيهِ ثقوب بعيدة عن بعضها ابتعادًا منتظمًا ودوّر الدولاب فانعكست اشعة الشمس متقطّعة ثم وضع أُذنهُ في آخر انبوب الكاوتشوك فسمع صوتًا زاد ارتفاعه كلَّما زاد عدد التقطيع في الاشعّة

واني استميح عفوًا من سادتي القرّاء لاطالتي في شرح ما ذكر من المنافع التي يجود النور علينا بها انما في الاطالة افادة والموضوع مهمّ ولا سبيل لي للوصول للغاية المقصودة الّا في بيان حال النور كما هي. وللنُّور منافع في الامراض الجلديَّة سواء كان في التغذية العامَّة او الجلديَّة او في قتل المكروب خصوصًا المسبّب لاعظم الامراض كما اظهر لنا ذلك الطبُّ الحديث فاقول:

انّ باستور وغيره من علماء العصر علّمونا انّ اكثر المكروبات الموجودة في الهواء غير قابلة للتوليد. والسرّ في ذلك فعل النور لانّا اذا وضعنا في الشمس سوائل محتوية مكروبات نراها تموت اذا عرضناها مدّةً طويلة لفعل الشمس. امَّا السوائل التي تبقى في الظلّ فتعيش مكروباتها طويلًا وتزيد نموًّا

والعالِم أرلوان قرّر ان الطيف الشمسي يُضعف مكروب الجمرة وامَّا نور الغاز فيؤخر توليد البذور المذكورة بعد زرعها لكنهُ لا ينقص في قوتها. وافاد العالِم رُو الفرنسي ان البذور المذكورة تدبُّ فيها حيوة جديدة بالشمس دون الهواء وخصوصًا الباشلس الملوّن للصديد فانهُ يبقى معرّضًا لاشعَّة الشمس اكثر من ٢٤٠ دقيقة ولا تُفقد فيهِ قوّة تلوين الصديد مع كونها خاصّية زائلة ولا يموت في النور المنتشر الّا بعد ثلاثة ايَّام من شهر ايّار وحزيران وان وظيفة النور هذا تبني للعلم اساسًا رأس قاعدتهِ منافع الشمس التي يعرفها كلّ الناس

واذا ما وجّهنا ابحاثنا في تلك المنافع نحو معالجة الانسان وجدنا لهُ فيها ادوية لامراضهِ. فاذا أُصيب بالتهابٍ سطحيّ جلديّ سببتهُ الشمس منعنا الشمس عنهُ وان رأينا فيهِ فقرًا

دمويًا وصفنا لهُ من انجع العلاجات تعرُّضَهُ للشمس وان كان مصابًا بداء سببهُ المكروب نعلّمهُ ان الشمس احسن دواء لقتل المكروب

وما قولك يا صاح لو درسنا فعل النور درسًا خصوصيًا وفصلنا بين منافع اشعَّة الشمس الكيمويَّة واشعتها الحارّة فان احد المبتلين بداء اللوپوس (Lupus) شفي بحرارة الشمس بعد مدّة ايام قليلة وذلك انهُ عُرِضت الاجزاء المصابة بالداء المذكور والصحيحة منها للشمس ولم يعُد يرى اثرًا حتى لباشلّوس الداء الآنف الذكر. اما كيفيَّة العمل بالتفصيل فهي ان تأخذ عدسات قطرها ٢٠ او ٣٠ سنتيمترًا وتجمع الطيف الشمسي على مكان الداء ولئلاَّ يحترق دَع الاشعة الشمسيَّة تمرُّ قبل ذلك في سائل من ازرق الميتيلين (Bleu de méthylène) لان السائل المذكور يحفظ الاشعة الكيمويّة فقط ويمنع احتراق وموت العضو المصوّبة عليهِ الشمس ولا يدع اثرًا عليهِ مطلقًا لان الاشعة الكيميَّة تفعل قليلًا في الجلد الصحيح

والعلاج بالنور يفيد ليس فقط الامراض الجلديّة انما يتناول ايضًا داخل الانسجة خصوصًا الشفَّافة منها فيشفي بعض الامراض الداخلية. لكن وجود الدم في تلك الانسجة لا يجعلها شفافة إلّا إزاء الاشعة الحمراء والاشعة الكيمية لا تتمكَّن من خرقها. ولذلك وجب علينا كي نحصل على نتيجة حسنة اخراج الدم من القسم الذي نطلب معالجتهُ بواسطة جهاز إسمارك (Esmark) وعصب الاطراف بهِ او بالضغط طول وقت العمل على سائر الجسم حتى نطرد الدم ما امكن من الجزء المبلوّ بالداء

وقد وجد احد العلماء ان النور الشمسي يفضَّل على غيره من حيث فعله بالمعالجة لكثرة ما فيهِ من الاشعة الكيميّة. انما في الاختبارات اليومية يصعب على الطبيب استعمال الشمس لانها لا تشرق كل يوم اشراقًا ساطعًا فيُقتضى عليهِ استعمال آلة خاصة وُضعت لذلك ينقلها كل دقيقتين ليتبع حركة الشمس

وقد عدل بعض الاطباء عن استعمال النور الشمسي وعمدوا الى القناديل الكهربائية التي توازي قوّتها ٤ آلاف شمعة. ولمَّا لم يُضاهِ نورها نور الشمس استعملوا مجاري كهربائية دي شو (Dechaux) فكانت ايضًا اقلّ قوة من الفحم بسبب امتصاص العدسات الزجاجية للاشعة التي وراء البنفسجية. ولذلك قصد غيره من العلماء استعمال عدسات من الكوارتز (Quartz) حتى يمتحن بها مجاري كهربائية من معدن الكادميوم لان طيفها

يحتوي كثيرًا من الاشعة الكيمية وعدسات هذا المعدن اصغر من الزجاجية انما لا تمتص الاشعة التي وراء البنفسجية

امّا استعمال الكهربائية بدلًا من الشمس فذلك استنباطٌ اميركي الاصل وقد عوّلوا عليهِ لمنافعه في إحياء المزدرعات ونموها وترى اليوم في فيلادلفية دارًا خصوصيّة لإنارة النبات بالكهربائية بدلًا من الشمس

وقد عالج الاطباء بالنور الكهربائي الامراض العَصَبيّة وداء المفاصل المزمن وقد توصّلوا لمعرفة ذلك لانَّ احدهم كان طبيبًا لاحد المعامل الصناعية فوجد انَّهُ منذ استعمال القوس الكهربائي للَحْم الحديد نقصت الامراض العصبيّة وعِلَل المفاصل في فَعَلة ذاك المعمل

وقد استنبط احد أطباء روسيّة آلة كهربائية لمعالجة مرض المفاصل وعِرْق النَّسَا واوجاع الظهر والوجه ومؤخر الرأس فاصاب في جميعها النجاح

ويعالج طبيب آخر روسي النزيف الدموي الذي يحصل للنساء بوصفهِ لهنَّ الاستحمامات الشمسية

وفي سويسرة وفيلادلفية محلّات للتشميس يصبُّ اصحابها على المرضى اشعّة الشمس كما يُصبّ في بلادنا الماء الحار في الحمَّامات وكما يوجد في باريز وغيرها حمَّامات كهربائية وكبريتية ونخالية ووحلية الخ

والغاية القصوى التي يروم الاطباء الوصول اليها معرفة منافع المداواة بالوان النور لانّا ذكرنا في بدء المقالة ان اشعة الشمس الحارّة نالت نصيبًا من النجاح في علاج اللوپوس. انما الاشعة النيّرة تُفضَّل على الحارَّة منها كما يعرف ذلك الفلاَّح لانهُ يقنعك حسيًّا ان النبات يزدهي في الليالي المقمرة

وقد افاد طبيب جرماني ان الاشعة الزرقا البنفسجية تؤخر ولادة المكروب وتعيق نموّه. وقد امات الطبيب المذكور بواسطتها اقوى الباشلُس بدقيقة واحدة

وانا نرى لفعل لون النور بوظائف الاعضاء حقائق منها ان النور البنفسجي والازرق يسهل نموّ بيض الذباب والاشعة الصفراء تحرّك وظيفة التنفس في الحيوانات. وقد شاهد خبير ان الحيوانات النازلة في آخوراتٍ زجاجُ منافذها بنفسجيٌّ تسمن وتزيد ثقلًا بخلاف الحيوانات التي تعيش في آخورات لنوافذها زجاج ابيض

وقد عالج الاطباء الجُدَري بمنع الطيف الشمسي عن المجدور لانهم وجدوا اشعّة

الشمس الكيمية تهيّج الجلد الصحيح وتضرّ كثيرًا في المريض. وكثيرًا ما كانت الحمّى لا تصيب المجدورين باذًى بل ولا يظهر الصديد في البثور ولذلك يرخون الطنافس على نوافذ مخدع المجدور ويصنعون عوضًا عن الزجاج الابيض زجاجًا احمر او يلصقون على الزجاج الابيض ورقًا احمر . ويشعلون في الليل قنديلًا زجاجهُ احمر او اصفر. فرأوا نتيجة العــلاج حسنة جدًّا بنوع انها لم تدع اثرًا للجدري مطلقًا

ولا بدّ في الختام ان اذكر حادثة جرت سنة ١٨٧٧ وهي انهُ قد اخبر احد اصحاب الجرائد الغربية انهُ يوجد في باريس مُشعوذ يدّعي ان اشعة الشمس التي تمرّ في زجاج ازرق دواءٌ ناجع في كثير من الامراض

وبعد عشرين سنة من ذاك التاريخ قدَّم العلماء (لا المشعوذون) تقريرات للمجامع العلمية الطبية ان دواء بعض الامراض هو النور الشمسي مارًا في انبوب ملوّن بسائل ازرق. فما قولك يا صاح بعد هذا غير تكرار المثل القائل : لا شيء جديد تحت الشمس

سلسلة بطاركة الطائفة المارونية

للبطريرك اسطفان الدويهي

عني بنشرها المعلم رشيد الخوري الشرتوني

(تابع لما سبق)

وفي السابع والعشرين منهُ جلس مكانهُ جرجس بن ميخائيل بن عميرة الاهدني وقبل التثبيت ودرع الرئاسة من طرف البابا اوربانوس الثامن سنة ١٦٣٥ مع الخوري ميخائيل بن سعادة الحصروني ودام على الكرسي عشر سنوات وسبعة اشهر ويومين. ثم انهُ في السنة ٤٤ في ٢٩ تموز خلّف الكرسي الى الاسقف يوسف بن بطرس بن حليب العــاقوري الذي تولّى البطركية في ١٥ آب . وفي السنة التابعة أرسل القس عبد المسيح بن الياس الحدثي يطلب التثبيت وفي الثالثة أتاهُ درع التثبيت من قبل البابا زخيا العاشر فجلس على الكرسي

اربع سنين وشهرين و١٩ يوماً. ثم انهُ في سنة ١٦٤٨ قضى اجلهُ في الثالث من تشرين الثاني ودُفن في قريته

وفي النهار التاسع وقع الاختيار على المطران يوحنَّا من بيت البوَّاب من الصفراء في فتوح جبيل فارسل القس ميخائيل بن صبونة الحصروني الى رومية لاجل تأدية الطاعة الى البابا زخيا. وفي السنة الثانية رجع بمكاتيب التثبيت ودرع الرئاسة. واقام في رئاسة الكرسي الانطاكي ثمان سنوات وشهراً وأحد عشر يوماً وفي ٢٣ من كانون الاول سنة ١٦٥٦ انتقل من الحياة الزائلة الى تلك التي لا زوال لها

وفي النهار التاسع في اول يوم من كانون الثاني سنة ١٦٥٧ عقبهُ البطرك جرجس بن الحاج رزق الله من سبعل في زاوية طرابلس. وفي السنة الثالثة أُرسل لهُ درع الرئاسة من قبل البابا اسكندر الثامن. ودام على الكرسي ثلاث عشرة سنة وثلاثة اشهر واحد عشر يوماً. وفي الثاني عشر من نيسان سنة ١٦٧٠ قضى أجلهُ في دير مار شليطا مقبس في ناحية كسروان وهناك دُفن. وبسبب ان الواغش (الوباء) كان ثقيلاً في تلك السنة ما صار اجتماع الى النهار الاربعين للمرحوم ففيهِ التأم رؤساء الكهنة واعيان الناحية في قنوبين وحكموا باقامة البطرك الجديد فوقع الاختيار على المطران اسطفان بن ميخائيل ابن القس موسى الاهدني من عائلة الدويهية فأرسل القس يوسف الحصروني الى رومية. وفي الثامن من آب سنة ١٦٧٢ تسلّم درع الرئاسة ومكاتيب التثبيت من البابا اقليمنضوس العاشر (١

واقام هذا البطريرك مدرسةً في دير قنوبين لتعليم اولاد الطائفة المارونية كل العلوم مجاناً واستمرت هذه المدرسة في مدة وجوده. وفي زمانه سنة ١٦٩٥ تأسست جمعية رهبان مار انطونيوس اللبنانيين في دير القديسة مورت مورا في ارض اهدن بموجب قوانين اثبتها هو اوَّلًا ثمَّ أيّدها الكرسي الرسولي المقدّس باثباته لها ثانياً سنة ١٧٣٢ ثم رقد بالرب في ٣ ايار سنة ١٧٠٤ (٢

---

١) الى هنا سلسلة البطاركة المارونيين التي وضعها البطريرك الدويهي منهياً ايَّاها بذكر اسمه. امَّا ما يلي فهو مأخوذ عن تواريخ الطيب الأثر البطريرك بولس مسعد

٢) وقد بسطت الكلام على اعماله ومفاخره في مقدّمة تاريخ الطائفة المارونية ص ١٠ — ٢٧ وفي مقدمة منارة الاقداس

وخلفهُ الاسقف جبرائيل البلوزاني وفي السنة المذكورة وردهُ التثبيت من البابا اكليمنضوس الحادي عشر على يد قاصده الاب الياس الكرملي ومات في ٣١ تشرين الاول سنة ١٧٠٥ . وهو الذي أنشأ دير سيدة طاميش جنوبي نهر الكلب سنة ١٦٧٣ واسس رهبانية مار اشعيا للموارنة سنة ١٧٠٠ في دير مار اشعيا الذي كان قد أنشأهُ وهو مطران في ارض برمانا من مزارع كسروان بموجب قوانين اثبتها البطريرك اسطفان السابق ذكره ثم ايدها الكرسي الرسولي باثباته لها ثانيًا سنة ١٧٤٠

وخلفهُ الاسقف يعقوب عوَّاد الحصروني وتثبَّت من البابا اقليمنضوس الحادي عشر على يد قاصده الاب فرديننَدوس الكرملي سنة ١٧٠٦ وقد اوسعه حُسَّاده اضطهادات جمة حتى انزلوهُ ظلمًا وعدوانًا عن بطريركيته سنة ١٧١٠ واقاموا عوضه خلافًا لكل ناموس الاسقف يوسف مبارك الغوسطاوي . ولما عُرضت المسأَلة الى الكرسي الرسولي وفحص الدعوى حكم بتبرير البطريرك يعقوب وارجاعه الى بطريركيته فرجع اليها سنة ١٧١٣ كما يتأَكد ذلك من رسالة البابا اكليمنضوس الحادي عشر الموجهة الى الموارنة في ٣٠ حزيران سنة١٧١٣ بهذا الشأن

وفي زمانه اي سنة ١٧٠٧ انعم البابا اكليمنضوس الحادي عشر على القس جبرائيل حوَّاء الحلبي الماروني (وهو الذي سامهُ البطريرك يعقوب عوَّاد اسقفًا على قبرس سنة ١٧٢٣ ومات في رومية سنة ١٧٥٢) من رهبان دير ماري انطونيوس الموارنة اللبنانيين بانطوش في رومية على اسم القديسين بطرس ومرشلين فصيّروهُ ديرًا ومدرسةً سنة ١٧٢٥ بموجب قوانين اثبتها البابا اكليمنضوس الثاني عشر في ١٤ تموز سنة ١٧٣٢ . ثم بيع سنة ١٧٥٣ بامر البابا بنادكتوس الرابع عشر وشري عوضه محل آخر في رومية حذاء ماري بطرس في السلاسل فجعلوه ديرًا ومدرسةً كالسابق على اسم ماري انطونيوس أبي الرهبان . ثم قضى هذا البطريرك نحبه في ٩ شباط سنة ١٧٣٣

وخلفهُ يوسف ضرغام الخازن الرابع بهذا الاسم وكان مطرانًا على غوسطا وقد ترقى الى البطريركية في ٢٤ شباط سنة ١٧٣٣ وتثبَّت من البابا اكليمنضوس الثاني عشر سنة ١٧٣٤ على يد قاصده القس عبدالله ابن الحاج عون من عجلتون . وفي زمانه التأَم المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ . وفي زمانه ايضًا . . . . . دوَّن الاب فرنسيس رتس الرئيس العام على الرهبان اليسوعيين حجتين احداهما بتاريخ ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤ والاخرى بتاريخ ١٠ تشرين

الثاني سنة ١٧٣٥ بهما يوضح كيفية تسليم الموارنة لرهبانيته تدبير مدرسة عينطورا كسروان ومدرسة زغورتا في زاوية طرابلوس وكيفية ترجيعهما الى الموارنة عند الاقتضاء. وقد كان الرهبان اليسوعية اتخذوا السكنى في عينطورا سنة ١٦٥٢ في المحل الذي اعطاهم اياه الشيخ ابو نوفل نادر الخازن وهو دير مار يوسف (١

وسنة ١٦٥٩ تسلَّم الشيخ ابو نوفل الخازن قنصلية فرنسة في بيروت بواسطة المطران اسحق الشدراوي ومات سنة ١٦٧٩ . ومثله ابنهُ الشيخ ابو قانصوه فيَّاض الذي توفي سنة ١٦٩١ وخلفهُ فيها ابنهُ الشيخ حصن سنة ١٦٩٧ . ومات ١٧٠٨ . وفيها خلفهُ ابنهُ الشيخ نوفل في هذه القنصلية ومات سنة ١٧٥٣

ثم توفي هذا البطريرك في ١٣ ايار سنة ١٧٤٢ ودفن في كنيسة مار الياس في غوسطا

وخلفهُ سمعان عوَّاد الخامس بهذا الاسم مطران دمشق الشام في ١٦ اذار سنة ١٧٤٣ مُقاماً من البابا بنادكتوس الرابع عشر الذي ثبتهُ في ٣ تموز سنة ١٧٤٤ على يد وكيله المنسنيور يوسف سمعان السمعاني. ثم قضى نحبه في دير سيدة مشموشة حيث دُفن في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦

وخلفهُ طوبيا الخازن مطران قبرس في ٢٨ شباط سنة ١٧٥٦ وهو الاول بهذا الاسم وقد ثَبَّتهُ البابا بنادكتوس الرابع عشر في ٢٧ اذار سنة ١٧٥٧ على يد قاصده المطران ارسانيوس عبد الاحد الحلبي مطران بعلبك. وقضى أَجله في ١٩ ايار سنة ١٧٦٦ في عجلتون ودُفن في كنيستها المعروفة بكنيسة السيدة

وخلفهُ يوسف اسطفان مطران بيروت في ٩ حزيران سنة ١٧٦٦ وهو الخامس بهذا الاسم وقد تثبَّت من البابا اكليمنضوس الثالث عشر في ٦ نيسان سنة ١٧٦٧ على يد قاصده الاب عبد الاحد انطونيوس دي لوكا من رهبان مار فرنسيس. وفي زمانه سنة ١٧٧٠ اثبت البابا اكليمنضوس الرابع عشر قسمة الرهبانية اللبنانية الى حلبيَّة وجبليَّة او بلدية بحسب الاتفاق الذي كان جرى بين الفريقين في دير حريصا في كسروان سنة ١٧٦٨

---

١) اثبت الاباء اليسوعيون في مجموعتهم التاريخية (Lettres Édifiantes) المطبوعة في باريس سنة **١٧٠٨** خبر سكناهم في هذا المحل واصفين الشيخ ابا نوفل باحسن الاوصاف من حيث الديانة والهمة والذكاء. وقد دونت ذلك في الصفحة **٢٢٢** من تاريخ الطائفة المارونية فعليك بالمراجعة

بحضور هذا البطريرك وفرا الياس من بسيطا رئيس اديار القدس وحافظ الاراضي المقدسة عن امر الكرسي الرسولي. وارسل هذا البطريرك الخوري انطون القيّالة البيروتي الى باريس لطلب قنصلية فرنسة في بيروت للشيخ غندور سعد الخوري صالح وقد حازها الشيخ غندور بواسطته سنة ١٧٨٧ من الملك لويس السادس عشر . . . ومات الشيخ غندور مقتولًا في عكاء من أحمد باشا الجزار سنة ١٧٩١ . وفي زمانه ايضًا تحوّل دير مار انطونيوس عين ورقة الكائن في كسروان مدرسة عمومية للطائفة المارونية سنة ١٧٨٩ . ثم رقد هذا البطريرك بسلام في ٢٢ نيسـان سنة ١٧٩٣ في الدير المعروف بدير مار يوسف الحصن في غوسطا (الذي شُيّـدت كنيسته من إحسان الملك لويس الخامس عشر سنة ١٧٦٩) وفيهِ دُفن (١

وخلفهُ ميخائيل فاضل مطران بيروت في ١٠ ايلول سنة ١٧٩٣ وهو الثاني بهذا الاسم . وقد ارسل الخوري جرجس غانم البيروتي الى رومية ليستمد لهُ التثبيت فلم يبلغها الّا بعـد وفاة هذا البطريرك التي كانت في ١٧ ايار سنـة ١٧٩٥ في دير مار يوحنّا حراش وهناك دُفن . لكن البابا بيوس السادس أدرجه في عدد بطاركة الموارنة الانطاكيين بقوله في الديوان المنعقـد في ٢٧ حزيران سنة ١٧٩٦ « فاذ لم تسمح لنا حوادث الزمان بان نهبهُ التوطيد والتثبيت وهو حيّ فنهبهُ اياهُ وهو ميت ونريد اذًا أن يعـدّ ويُحصى في سلسلة بطاركة الموارنة ولو اعاقهُ الموت عن قبوله زينة الدرع المقدس »

وخلفهُ فيلبوس الجميّل مطران قبرس في ١٢ حزيران سنة ١٧٩٥ وهو الاول بهذا الاسم وتثبّت من البابا بيوس السادس المذكور في ٢٧ حزيران سنة ١٧٩٦ على يد قاصده القس ارسانيوس القرداحي الراهب الحلبي اللبناني وقبل ان يصله التثبيت عاجلهُ الموت في ١٢ نيسان سنة ١٧٩٦ في دير سيدة بكركي حيث دُفن

وخلفهُ يوسف التيّان مطران دمشق الشام قبلًا والنـائب البطريركي في ٢٨ نيسان سنة ١٧٩٦ وهو السادس بهذا الاسم . وقد تثبت من البابا بيوس السادس المذكور في ٢٤

---

١) كان الشيخ غندور محبًا لتنوير افكار طائفتـه وتهذيب وتعليم خدَمة الدين منها كما يستفاد من كتاب انفذه الى البطريرك يوسف اسطفان يُلحّ فيهِ من اجل تحويل دير عين ورقة مدرسة عمومية لتعليم المترشحين للكهنوت ولولا ضيق المقام في هذه النبذة المختصرة لكنا نثبت الرسالة مع جواب البطريرك وجوابهِ على جواب البطريرك

تموز سنة ١٧٩٧ على يد قاصده القس لويس بليبل الراهب اللبناني (الذي صار فيما بعد مطرانًا على قبرس سنة ١٧٩٨) وتنازل عن البطريركية من تلقاء خاطره حبًا بالعيشة المنفردة وتوفي في دير قنوبين حيث دُفن في ٢٠ شباط سنة ١٨٢٠

ولما قبل الكرسي الرسولي تنازلهُ سنة ١٨٠٩ قام عوضهُ يوحنا الحلو مطران عكاء والنائب البطريركي في ٨ حزيران سنة ١٨٠٩ وهو الثاني عشر بهذا الاسم. وعرض قيامهُ على الكرسي الرسولي ملتمسًا التثبيت على يد وكيلهِ القس ارسانيوس قرداحي المذكور. ولما كان البابا بيوس السابع مبارحًا مدينة رومية بسبب الاضطهاد الذي عرض لهُ وهو ممسك في مدينة ساقونة في بلاد جنوة اثبت انتخابهُ هناك في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٨١٠ مبقيًا الى زمن آخر الاحتفالات المعتادة مع تسليم الدرع المقدَّس وقد أمر رئيس المجمع المقدس ان يُعرّفهُ عن ذلك. ولما آب قداسته الى رومية سنة ١٨١٤ أنفذ اليهِ أعمال التثبيت ودرع الرئاسة في ١٩ كانون الاول من هذه السنة على يد وكيله المرقوم. وفي زمانه تحوَّل دير مار يوحنَّا مارون كفرحي في بلاد البترون الى مدرسة خصوصية لابرشيَّة جبيل والبترون سنة ١٨١٢ ودير مار مارون في كسروان في قرية الرومية مدرسة عمومية للطائفة المارونية سنة ١٨١٧ ثم توفي في ١٢ ايار سنة ١٨٢٣ في دير قنوبين حيث كان قد جعل سكناهُ منذ سنة ١٨١١ ودفن في حائط الكنيسة الشمالي

وخلفهُ يوسف حبيش مطران طرابلس في ٢٥ ايار سنة ١٨٢٣ وهو السابع بهذا الاسم وتثبّت في ٣ ايار سنة ١٨٢٤ من البابا لاون الثاني عشر على يد وكيله القس باسيليوس دوروسون من رهبان الارمن الكريميين التابعين قوانين وفرائض رهبان مار انطونيوس اللبنانيين الموارنة منذ تأسيس رهبانيتهم في اوائل الجيل الثامن عشر الى الآن. وقد سعى في تحويل دير مار عبدا هرهريًا الكائن بين كسروان والفتوح مدرسة عمومية للطائفة المارونية سنة ١٨٣٠ وكذا فعل في دير سركيس وباخوس بقرية ريفون سنة ١٨٣٢. ثم جعل مدرسة الموارنة التي في عينطورا كسروان محلاً للمرسلين اللبنانيين الموارنة سنة ١٨٤٠ وتوفي البطريرك يوسف حبيش في الديمان في ٢٣ أيار سنة ١٨٤٥ . ودُفن في ضريح البطريرك يوحنَّا الحلو في كنيسة دير قنوبين

وخلفهُ يوسف الخازن مطران دمشق في ١٨ آب سنة ١٨٤٥ وهو الثامن بهذا الاسم وتثبت من البابا غريغوريوس السادس عشر في ١٩ كانون الثاني سنة ١٨٤٦ على يد وكيله

المطران نقولا مراد وقضى أجله في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ في الديمان ودُفن في الضريح المذكور

وخلفهُ بولس مسعد مطران طرسوس والنائب البطريركي في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ وهو الاول بهذا الاسم وتثبت من البابا بيوس التاسع في ٢٣ اذار سنة ١٨٥٥ على يد وكيله القس امبروسيوس الدرعوني الحلبي اللبناني

(اقول) وقد استمرّ على الكرسي ستًّا وثلاثين سنة . وكان من البارعين في الرسوم البيعية ولاسيما في الحق القانوني وفي التاريخ وخاصةً فيما يتعلق منهُ بتواريخ الطوائف الشرقية وقد رقد بالرب في ١٨ نيسان سنة ١٨٩٠ ولهُ من العمر ٨٥ سنة

وفي ٢٩ نيسان من السنة نفسها خلفهُ في الكرسي البطريركي غبطة ابينا السيد السند مار يوحنا بطرس الحاج الكلي الشرف . فكان اول ما اهتم بهِ تجديد مدرستنا الرومانية رغبةً منهُ في ان يذخر لنا بعاصمة العالم الكاثوليكي مقامًا يأوي اليهِ شباننا التماسًا للعلوم الصحيحة والتهذيب الراهن . ثم جدد الكرسي البطريركي في بكركي على طرز حسن واشترى الطائفة معهدًا في القدس الشريف واتى غير ذلك من الاعمال الخطيرة . نسأل الله ان يطيل في ايامهِ . ويبلغهُ من كل خير غاية مرامه (١

ارتفاع ساحل البحر في بيروت

للاب غدفريد زُموفن مدرّس الطبيعيَّات في كليّة القديس يوسف

لا يُخفى انّ في باطن الارض مارجًا من النار شديد اللظى يقوى في بعض الاوقات على اديم كرَتنا الارضيَّة فينفجر بغتةً ويرفع بانفجارهِ البركانيّ سطحها . بيد انّ هذه الطوارئ قليلة نادرة الوقوع . ولكن لارضنا حركات اخر خفيفة تصدر فيها تباعًا ببطء وزمن طويل . وانَّما نقف على ذلك بملاحظة ارتفاع الخطّ الساحليّ الحاجز بين البحر والبرّ

١) ان الخوري جرجس عسكر الحلبي الماروني ترجم سلسلة البطاركة هذه التي نظمها البطريرك اسطفان الدويهي الى اللاتيني وطبعت في باريس سنة ١٧٣٣ وقد نقلها لوكيان في كتابهِ الشرق المسيحي في معرض كلامه على بطاركة الموارنة

وليست سواحل سوريَّة بمعزل عن هذه الحركات. فانَّ علماء الجيولوجيَّة يذهبون باتّفاق الاصوات الى ان شواطئ سوريَّة وفلسطين ترتفع مع الزمان ارتفاعاً يُذكَر لكنَّهم اخرجوا من حكم هذه الظواهر بيروت ونواحيها فزعموا انَّها بخلاف الامر تنخسف شيئاً فشيئاً. وغايتنا في هذه النبذة ان نبحث عمَّا في هذا المزعم من الصحَّة فنقول:

انَّ الرأس الذي عليهِ مبنيَّة اليوم مدينة بيروت قد انفصل في قديم الزمان عن الأَسناد التي ينتهي اليها جبل لبنان فساخت الارض وصارت على شكل وادٍ في وسطهِ يجري في هذا العهد نهرُ بيروت. انَّما في طور الارض الرابع قبل وجود الانسان في هذه الامكنة كان هذا الوادي مع ما يجاورهُ من السهل مغموراً بمياه البحر وكان هناك خورٌ كبير يجمع بين خليج مار جرجس شرقيَّ جنوبي البلدة مياه البحر التي يصبُّ عندها وادي شحرور

وبياناً لذلك قد وصف المسيو هولّ الجيولوجيّ الانكليزي رواسب من الحصى المصقول المدوَّر كحصى البحر فاستنتج من ذلك انَّ البحر كان ممتدًّا في سالف الاعصار عليها. وهذه الرواسب البحريَّة قد وجدها سطوحاً مختلفةً في عدَّة مواضع من سفح لبنان الى بيروت. وعند المحلّ المعروف بلوكندة المطران على طريق الشام منها قطعة متَّسعة تعلو فوق سطح البحر عشرة امتار

هذا وانَّ المسيو دينر العلاَّمة النمسوي لم يقنع بقول المسيو هولّ بيد انَّهُ لم يعلّل نكرانهُ بحجَّةٍ فضلًا عن انَّهُ لم يفحص هذه الطبقة من الحصباء الراسبة التي مرَّ ذكرها. وزد على ذلك ان ابحاث المسيو دينر في مراكز مختلفة من الساحل لا تنفي صحَّة مراقبات العالم الانكليزي المنوَّه عنهُ

ولكن لدينا براهين اخرى تؤيّد قول المسيو هولّ بخصوص ارتفاع ساحل بيروت فنقول: اوَّلًا انَّ بجوار ثكنة البلدة فسحةً واسعة تركيبُ تربتها من الرمل ودقيق الحصى والحجارة المستديرة كما هو معهود على ساحل البحر. وما هو جدير بالاعتبار انَّ بين خليط هذه الموادّ جملةً من الاصداف البحريَّة وقد ميَّزتُ منها نوعين تجدهما بوفرةٍ على ساحل البحر قريباً من بيروت وهما التروكوس (Trochus) والكرديوم (Cardium)

ثانياً على منعطَف قُلّة مار دمتري حيث يبلغ ارتفاع الارض من ثلاثين الى خمسة وثلاثين متراً توجد طبقة من التراب تركيبها كتركيب الفسحة السابق ذكرها. بيد أَني لم ار

في وسطها اثرًا للاصداف البحرية. لكنَّ المسيو بلَنكِنهُرن استقصى فحص هذا المكان ولم يتردَّد في نسبة هذه الآثار الى امتداد البحر هناك

فمَّا سبق يظهر جليًا انَّ ساحل بيروت قد ارتفع في عهد الطور الرابع للعالم. ولكن يبقى علينا ان نبحث في حالته بعد هذا الزمان في الطور المعروف بالتاريخي. أتُرى تكون اختلفت حركاتهُ فساخت بهِ الارض او بالحري هل لا يزال يتصاعد كما في سالف الاوان ?

قد ارتأى بعض الكُتَّاب انّ شواطئ بيروت تهبط هبوطًا بطيئًا تحت مياه البحر. وجاء في كتاب أليزه رُوكلو المعنوَن: (الارض والقارات) ما نصُّهُ: « انَّ في بيروت برجًا لا يزال ينخفض مع الايَّام تحت المياه » (١

والى قولهِ استند غيرهُ من علماء الفرنسيس فزعموا انَّ المياه تتصاعد مع الزمان فتغمر قسمًا من ساحل بيروت

والبُرج الذي اشار اليهِ موسيو رُوكلو ليس هو كما ظنّ العلَّامة دِينر قلعة الصليبيّين المبنيَّة على صخور الساحل لكنهُ بناء آخر مربَّع الشكل كان موقعهُ على صخر ناتئ فوق البحر عند الميناء القديمة وقد طُمست آثار كليهما فهدمتها اللغوم عند ابتناء المرفإ الجديد. غير اني قبل خراب البرج المذكور قد تمكَّنتُ مرارًا من زيارتهِ وفحصتهُ فحصًا مدقَّقًا فلم اكتشف اثرًا للانخساف الموهوم فانّ جانبين من جوانب اساسهِ كانا مبنيين على الصخر ويعلوان فوق سطح المياه والجانبان الآخران كانا مساويين لسطح البحر

ولا يسوغ لاحدٍ ان يدَّعي لبيان هذا الانخساف انّ قِطَعًا من العَمَد تُرى الى اليوم غائصةً في مياه البحر اذ لا يجهل احد انَّ هذه الاساطين والاعمدة ليست هي في محلّها الاوَّل وانمَّا أُلقيت في البحر بعد خرابها

ولعلَّ احدًا يعترضني قائلًا انّ صخور الساحل كثيرة الثُلَم والتقطُّع وهذا ممَّا ينبئ انَّ امواج البحر هي التي ابقت عليهِ هذه الآثار

فجوابنا على هذا الاعتراض أنّنا لا ننكر انّ للبحر عملًا في تقطيع هذه الصخور وقرضها ولكن هذا لا يبيّن انّ الصخور المذكورة انخسفت تحت المياه لاسيَّما وانَّ هذا الزعم يخالف لكلّ ما نراهُ في سائر سواحل بحر الشام

(١ Elisée Reclus : *La Terre et les Continents*, p. 758

فان سرتَ مثلًا الى شمال بيروت او الى غربها ترى على مدى الساحل صخورًا قُطعت قطعًا أُفقيًا وهي توازي لسطح البحر وقت ركوده. انّما هذه الصخور المسطَّحة قد قرضها البحر المائج وقت اضطرابهِ فانّهُ على توالي الاعصار تضرب امواجهُ عند النقطة الموازية لسطحهِ فلا يزال يقرضها شيئًا فشيئًا حتَّى يزيل قسم هذه الصخور المرتفع فوق هذا الخطّ

ولنا شاهد حسّي على هذا القول وذلك ما نراهُ في رأس بيروت في المحلّ المعروف بجزائر الحمام فكانت هذه الجزائر اوَّلًا مواصلةً للبرّ فترى الامواج تعمل في لحف هذه الصخور عملَ المنشار فتنشرها كل يوم عند النقطة الموازية لسطح البحر فصار قسمٌ من الصخور المنخفضة مسطّح الشَّكل على مدار هذه الجزائر. ولا شكَّ انّ بعد قرون قليلة ستصبح بتمامها سطحًا متساويًا. فلو كان كما يزعم العلماء دينر وروكاو وغيرهما قد انخفض الساحل لكنت ترى هذه الصخور تحت سطح الماء وهذا مخالف للواقع فينتج انّ قرض الصخور دليل على عمل الامواج لا على انخفاض الساحل

هذا وانَّ جهتَي الساحل في جنوب بيروت وشماليّ شرقيّهـا تنطق بلسان حالها عن ارتفاع ساحل المدينة لا عن هبوطهِ

والدليل على ذلك انّهُ عند رأس نهر الكلب بقرب احدى الكتابات المرتفعة اليوم نحو عشرة امتار فوق سطح البحر قد اكتشف الدكتور روسّيغر في صُلب الصخر ثقوبًا مستديرة حفرَتها ايدي البشر يليها صور أناجر ومراسٍ إشعارًا بانَّ في هذه الثقوب كانت تُربَط السُّفن في الاعصار الماضيـة لمّا كان سطح المياه اعلى يبلغ علوَّ هذه الثقوب. لكنَّ المقالع التي تستخرج منها اليوم الحجارة عند الكتابة اللاتينية الكبيرة قد ذهبت بكلّ هذه الآثار

فيتَّضح ممَّا سلَف انَّ ساحل بيروت لا يُستثنى من القوانين العامّة الجارية في عموم سواحل فينيقية وانَّ البراهين التي استند اليها البعض واهنة لا يُعتمد عليها. والله اعلم

المبارزة

للاب لويس معلوف اليسوعي

قد تعدَّدت في هذه السنين الاخيرة حوادث المبـارزات الاوربيَّة لا سيَّما بين بعض الاشراف ووجوه القوم فكان لوقعها صدًى في شرقنـا العزيز حتَّى طنطنت لها الجرائد

المصريَّة وغيرها بيد انها لم تهتك سِتر هذه العوائد السيّئة التي هي اولى باعصار الهمجيَّة منها بعصر التمدُّن فاحبَّ احد مراسلينا الافاضل ان يكتب في ذلك نبذة لتقليم اظفار هذه الفتنة وإرتاج باب هذه العدوى دون بلادنا فقال :

« ما من بلاء او داهية اشدّ إجحافاً بحسن إدارة شؤون الأُمّة وأقوى تحامُلاً على دكّ دعائم نظام الهيئة الاجتماعيَّة من أن يُخوَّل لكل فرد من افراد القوم أن ينتقم لنفسهِ بنفسهِ ويُدافع بسلطتهِ الشخصيَّة عن حقوقٍ لهُ وشرف يتوهَّم انهُ قد مَسَّهُ عارٌ وهوان »

تلك اقوالٌ قضى بها نور العصر لاون الثالث عشر على جهالةٍ فشا شرُّها في الاقطار الاوربية ودبّ دبيبها في القلوب حتَّى أصبح بعض القوم وهم في سبيلها يعتدُّون اعظم الجرائم وأفحشها فعلاً حسناً ممدوحاً

لذاك حداني حبُّ الاوطان الى ان آتي ببعض القول في هذا المقام قصدَ أن اكشف القِناع عن هذه العادة وشؤُونها فيقدّرها القرّاء الكرام حق قدرها ولا يحكمون فيما يذكر من هذا القبيل في المجالس والجرائد إلَّا بما يستصوبهُ عقلهم السديد النيّر

تعريف المبارزة

المبارزة في عُرف الفلاسفة والمُشترعين هي قتال اثنين لداعٍ شخصيّ بعد التعاهد وباسلحةٍ كافيةٍ لقتل الخصم او جرحهِ جرحاً بليغاً. يتطاول مثلاً زيدٌ على عمرو في المقال ويرشقهُ بكلامٍ موئلم مهين فيهيج في قلب عمرو هائج الأَنفة والغَيْرة على شرفهِ وانتصاراً لهُ يدعو زيداً الى المبارزة ولسان حاله يقول: لا علاقة بيننا من الآن الَّا علاقة مهين بمهان فلا تقع العين منّا على العين الَّا في ساحة الطعان. اخترْ مكاناً ترضاهُ وها الأَسلحة خذ منها ما تهواهُ ولتكن الدِماء الحَكَم الوحيد بيننا. وعليهِ ترى انَّ المبارزة تكون لاغراضٍ شخصيَّة عن قصدٍ واتفاق وتعاهد وبذلك يخرج عن موضوع كلامنا ما لم تجتمع فيهِ هذه الشروط. فان نتج مثلاً تطاعُن واقتتال عن مشاجرةٍ بغير قصدٍ سبق فلا يُحسب ذلك مبارزة في حصر المعنى. وكذا قل عن طِعان الاثنين للانتصار للامّة او لحسم حرب من اقرب الاوجه وحقن دماء الجيوش. وقد اطلعتنا تواريخ الشعوب على شيء من ذلك كما فعل الهوراس والكورياس في حرب الرومان والسابين

اصل المُبارزة وتاريخها

المُبارزة على حدّ ما عرفناها لم يعهد لها اثر بين الاقدمين. بل اوَّلُ ما ظهرت في شمالي

اوربة بين القبائل الجرمانية اوان انقضاضهم على المملكة الرومانية . وكانت تلك القبـائل شأنُها الغارة والكفاح واهراق الدماء فما كانوا يقدّرون شيئًا كتقديرهم للتهالُك والتهافت على كل مهواةٍ . وكان حرصهم على الشرف شديدًا يبذلون في الذبّ عنهُ الأعمار . وبذلك عرفهم الرومانيّون فكانوا يقولون عنهم: انّ البربري (الجرماني) يخـاف العار ولا يخاف المنيّة . وكان من عوائدهم ان كلًّا ينتقم لنفسهِ بنفسهِ وان الخصومات والدعاوي اكثرها لم يكن يفصلها بينهم نص السُّنَن او نظر القضـاة . بل كانوا يُسرعون الى الاسلحة فيجعلونها بينهم حكمًا معتدّين عاقبة الطعان نبأً علويًّا ونُطقًا إلهيًّا يشير الى المُحِقّ والمحقوق ويُظهر الظالم والمظلوم فمن غلَب كان الحقّ لهُ ومن غُلِب كان عليهِ

واضحت عادتهم هذه اصل المبارزة الشرعية وهي عبارة عن خطّةٍ اتّخذها قضاة بعض الامم الاوربية في حسم المشاكل . فكان القاضي يُقيم امامهُ المُدَّعي والمدَّعى عليهِ ويضع في ايديهما سلاحًا ويأمرها بالطعان فمن غلَب حكم لهُ ومن غُلِب حكم عليهِ

وقد انتشرت هذه الخطّة في القرون المتوسّطة واخذ القوم يعملون بها رغمًا عن مقاومة الاكليروس واستقباح المشترعين ولم يقلعوا عنها كل الإقلاع الّا في اواخر القرن السادس عشر وعن هذه المبارزة الشرعيَّة صدرت المبارزة المألوفة عندهم في عصرنا

وذلك انَّ الرجال الذين كان دأبهم إقامة الحقوق بالتضارُب والاقتتال اضحوا على ممرّ الأيّام يرتضون بان تقضي المحاكم الشرعية لهم وعليهم في الدعاوي المالية والخصومات المادّية . لكنهم لم يزالوا يدَّعون لانفسهم حق النظرِ والحكم والانتقام في امور الشرَف زاعمين ان انتقاصهُ واهتضام حقوقهِ ليس من الامور التي يتيسر للمحاكم الشرعية النظر المصيب فيها . وانَّ من هذا القبيل ما لا يمكن عرضهُ على القضاة دون ان يتكبّد كلا الطرفين ثقيـل الضيم ومرّ الاذى . ولبثت الاخصام في هذه القضـايا يتداعون الى الطعان كما عهدوا في المبارزة الشرعية

وفشا هذا الامر في أثناء القرن السادس عشر بين كبار القوم واقبلوا عليهِ ايّ اقبال فكانوا يتطاعنون لأوهى الدواعي وكثيرًا ما كانوا يندفعون في ساحات التبارز على سبيـل الارتياض واللعب ولعمرك انها لم تكن العابًا بل ملحمات يلتحمون فيها التحامًا

على انهم كانوا يجرون في ذلك على قواعد وسنن معلومة يحافظون عليها كلَّ المحافظة وانّ الشهود كانوا باديْ بدءٍ يكتفون بحضور المبارزة ساعين بان تكون السنن مراعاةً

معمولًا بها من كلا الطرفين . غير انهم في النصف الاخير من القرن السادس عشر اخذ ينتصر كلٌّ لصاحبهِ ويناضل عنهُ فغدت المبارزة اشبه منها بمعركة تتفانى فيها ارواح العباد

فهاجت لذلك خواطر القوم وقضى كل العقلاء واصحاب النُهى على هذا الامر الفظيع المنكر . بيد انهم لم يقووا على حسم الشر واستئصال شافتهِ من بين ظهرانيهم

وقد وصلت المبارزة الى آخر درجة من الفظاعة والاحتدام في عهد هنري الثالث وهنري الرابع ولويس الثالث عشر ملوك فرنسة . فكانت المدن بشوارعها يكاد لا يخلو فيها مكان من المتبارزين . ومما كان يزيد في الشرّ انّ المتخاصمين اخذوا في تلك الازمنة يدسُّون لبعضهم الدسائس ويكمنون مكامنهم شأن اللصوص وقطّاع الطرق . بل كانوا في بعض الممالك يستخدمون الرجال ويَعولونهم ويعدُّونهم لتلك الملحمات . ولا يبعد عن مَنال تصورك ما وراء ذلك من الآفات ووخيم العواقب . انهم بالمئات كانوا يُحصون عدد الذين يقضون في هذه المبارزات نحبهم غير مأسوف عليهم ولا بذكر يُحمدون

فلم تعتم اصحاب الامر والنهي ان تقدّر هذه الفواحش قدرَها من الأضرار بالهيئة الاجتماعية والتطاول على حقوق السلطة الشرعية بل حقوق مبدع الحياة ورب الاعمار واخذوا يسنُّون السنن دفعًا لتلك الشرور وحقنًا لدماء العباد

فترى مثلًا في فرنسة شارل التاسع (سنة ١٥٦٩) وهنري الثالث (١٥٧٩) وهنري الرابع (١٦٠٢ و ١٦٠٩) ولويس الثالث عشر (١٦١١ و ١٦١٣) قد اصدروا في هذا الامر أحكامًا وتقريرات صارمة جدًّا لكنها لم تكن الّا للتخويف ولم تُنفذ طبق المراد لما كانت الخواطر عليهِ من شدّة الانقياد لغيّ هذه العادة والتجمُّل بجهالتها . وكان الملك هنري الرابع تخالف افعالُهُ سننَهُ اذ انهُ كان هو نفسهُ لا يأبى احيانًا مبارزة المتبارزين

ولكن لمَّا وصل الامر الى ريشيليو وتقلد منصب الوزارة اعار هذا الامر التفاتًا ساهرًا واقبل على ما كان سُنَّ ضد المبارزة من الشرائع فعمل بها ونفّذها حقّ التنفيذ ولم يتأخر عن اصدار حكم الاعدام على البعض من اكابر القوم لمخالفتهم الاوامر . فقمع جموحهم وردعهم زمنًا عن التبارز

واتى بعد ريشيليو لويس الرابع عشر ولم يكن باقلّ منهُ عناية في هذا الصدد . وقد اصدر ضدّ المبارزة اوامر مشدَّدة في سِني ١٦٤٣ و ١٦٥١ و ١٦٧٠ و ١٦٧٩ و ١٧٠٤

و ١٧١١ . فتناقص عدد المتبارزين تناقصاً يُذكر بيد انَّ اوهام القوم واميالهم الى هذه العادة لم تُستأصل من القلوب عن آخرها . ولم يقضِ لويس الرابع عشر نحبهُ الَّا وعادت المبارزات الى ما كانت عليهِ واخذ يزداد شرّها ويتفاقم الى الثورة الفرنسية التي رغماً عن اراء بعض اعضاء مجلس القوانين الاساسيَّة لم يُسنّ فيها سنن ضد المبارزة . ولا عجب

اما اذا نظرت الى مشترعي عصرنا فتجدهم لم يجاروا القوم على اوهامهم في الانتصار للشرف بالمبارزة بل قد نصُّوا فيهِ شرائع جمَّة وعينوا لقمعهِ العقوبات الرادعة . لكن كل عاقل يأسف على انها لم تأتِ بالمراد وكانها في بعض البلدان قد اصبحت نسياً منسياً

على ان عدد المتبارزين عموماً قد تنـاقص الآن في الاقطار الاوربية . لكنهُ يبقى هناك من فعالهم ما يكفي لرشق عصرنا بمذمَّة يتبرأ منها التمدُّن وتمجُّها الاداب السليمة ويقضي عليها حاكم العقل المصيب

وما المبارزة في نظر العقل الَّا جناية ثقيلة جمعت بين جنايتين جناية من تعمُّد القتل وجناية من تعمُّد الافتخار وما فيهما من اثم وفظاعة فهو الى المبارزة يُنسب نسبةً صادقةً تامَّةً

بيان سوء المبارزة عقلًا ونقلًا

الناموس الطبيعي الذي رقم ربُّك مراسيمهُ على صفحات القلوب ينبئنا إنباء جليًا بيّنًا بامرٍ لا ينكرهُ بشر ولا يتيسّر للعقل مهما اطال البحث وحاول التردد الَّا ان ينقاد ويستسلم لراهن حقيقته . ذلك لان الانسان ليس لهُ ان يتصرَّف في الاعمار كما يهوى ولم يطلق لهُ العنان في ان يتهافت الى المهالك او يجرّ اليها غيرهُ فيضرب لحياتهِ وحياة الناس حدًّا محدودًا لا تتعدَّاهُ ويقضي عليها ان تنتهي كيف ومتى شاء . انَّما الاعمار لمُبدعها والارواح لربّها ومالكها . هو الذي ضرب لكلٍّ اجَلهُ وجعل لكل امدًا معلومًا عنده يسعى الانسان قبل حلوله سعيَهُ ويجدُّ جدَّه في سبيل التحصل على السعادة الكاملة والقيـام بما تفرض عليهِ طبيعتهُ الناطقة من الواجبات لربه ولذاتهِ وللهيئة الاجتماعية اجمالًا وافرادًا

فلم يترك ربّك للعباد ان ينقصوا من آجالهم كما انَّهُ لم يمكنهم ان يزيدوا فيهـا شيئًا . اذًا ليس لهم ان يعرّضوا انفسهم او غيرهم لعوامل المنيَّة قصدًا واختيارًا اللهمَّ ان لم تضطرّهم لذلك فريضة عُليا او يَدْعُهم الى بذل النفوس داعٍ كافٍ يستصوب معهُ ناقدُ العقل تجشُّمَ المخاطر واقتحامها

وما من فريضة او داعٍ راهن كافٍ يدعو المتبارز الى تحامله على الطعان والاقتتال

قلت لان تعريض الانسان نفسه او نفس غيره للممات لا يحقّ في عين كلّ حكيم اعتبرَ ماهيّة الانسان وطبيعته الّا لشروط ثلاثة. اولها ان يكون بذل الحياة حرصاً على خيرٍ افضل منها او على الاقلّ يعادلها قدرًا. ثانيها ان لا يكون لصيانة هذا الخير الموازي للحياة سبيلٌ آخر سوى بذل الحياة او تعريضها للممات اي ان يكون الاقتتال هو الوسيلة الوحيدة لذلك. وثالثها ان لا يكون حق الانسان في هذا الخير وصيانته يناقضهُ حقٌ اعلى فينسخهُ ويزيله

والحال ان في المبارزة التي يعمد اليها الانسان لإزالة العار وصيانة الشرف لا تجتمع وعمرِك هذه الشروط الثلاثة ابدًا

ان اعتبرنا صانك الله ان الشريف هو هو من تنزّه عما يشين العِرْض واتّصف بالصفات الحسنة الكريمة لا من حصل ثناء أسقاط القوم او حسُنت فعله في اعين اصحاب الاهواء والاغراض والاوهام وان ذكَّرتَ فهمك المصيب ان الشرف الصادق يقوم على الفعال لا على الاحاديث والاقوال يرَ عقلك مرأى البصر ان سفك الدماء لأَوهى واسطة واعجز وسيلة تتخذ لتبيان الشرف وإجلاء الوصمة عنهُ وايراد الدليل على بهتان وافتراء مَن تحامل عليهِ ظلمًا وزورًا

ما سفك الدماء إلّا سفك دماء. لا يكشف عن ظلم ولا يُظهر كذبًا ولا يفصل بين صواب وبُهتان ولا يبدي ادنى دليل عمَّن هو الغبيّ وعمَّن هو الفضيل بل عن قوة الذراع ومهارتهِ وطول مِراسهِ للسلاح لا غير. ومتى عُهدت رشاقة الحركات والمهارة في تقليب السيوف والسهام دليلًا مقنعًا على فضل الانسان وشرفهِ في أعين قوم يعقلون ؟ اذًا لكانت اللصوص وقطَّاع الطرق احقّ القوم ادّعاء بالشرف واجدرهم تقرُّبًا من رُتب الفخار ومناصب الشرف

وان اعترض عليَّ معترض بان المبارزة ليس القصد منها الاستدلال على الشرف بل الانتقام لهُ اجبتُ اوَّلًا انَّ الانتقام للحقوق في الهيئة الاجتماعية تختصّ بهِ السلطة العامّة لا الافراد والّا لَطَمت المظالم وتضعضعت اركان العدل وذهب كل أمنٍ وسلم من بين الناس. — واجيب ثانيًا انَّ المبارزة تعاكس كلَّ المعاكسة جوهر الانتصار للحقوق وذلك بيّن يكاد لا يحتاج الى زيادة برهان. لانهُ متى ثبت حقُ انسان على انسان ووجب الانتصاف اقتضى العدل ان يبقى الحِقّ محقًا والمحقوق محقوقًا. أن ينتصر للمُحق من المحقوق.

أن يُعاقَب المحقوق وحده. ان لا يعادل بين المحق والمحقوق في التغريم او العقاب. والمبارزة تعادل بين الطرفين وتساوي بين المحق والمحقوق. تضع في ايديهما سلاحاً واحداً وتعرضهما لخطر واحد وتكون الدائرة لا على من تعدّى وظلم بل على من خانهُ الحظ او فاتتهُ المهارة فغُلب. وهو امر لعمرُك تستغرب بهُ العقول

وهَب انَّ المبارزة واسطة ملائمة ناجعة للتخلُّص من العار ودفع الهوان لكنها ليست الواسطة الوحيدة فيجب اذًا العدول عنها الى ما سواها: أجل لا استنزال المفتري الى ساحة البراز لازمٌ فان هناك طرقًا شتَّى تمكِّن الانسان من تبرئة نفسهِ واظهار فضلهِ على انَّ شرفه اعلى واثبت واتره من ان يحطَّ بهِ تطاول المتطاولين شيئًا عند اولي الالباب السديدة واصحاب الافهام السليمة. وعليهم المعوَّل. — ولا قبول المبارزة متى عُرضت واجبٌ لانَّ رفضها يُعلي مقام الانسان ولا يضع منهُ. يُعلي شأن الانسان ويرفع مقامه ان يستنير بانوار العقل غير منقاد للاهواء والاوهام وألَّا يأتي امرًا يقضي عليهِ الناموس الالهي والناموس الطبيعي بل يكون شديد الحرص على شرائع العدل وما تقتضيهِ صوالح الامة ويحتقر طلب من يدعوهُ الى ارتكاب المحرَّمات وليس في ذلك من امر يدلّ على جبن وضعف جنان. وزد على ذلك انَّ للمرء ظُروفًا جمَّة يستطيع ان يظهر فيها علوَّ همتهِ ومتانة قلبهِ وبسالته واندفاعه الى تكبُّد الاخطار واقتحام الاهوال عند ما يدعو اليها لا وهمٌ من فارغ الاوهام بل داعي الانصاف والعدل والتفاني في سبل الهدى

ويُظهر غيَّ المبارزة ايضًا أنها تختلس حقوقًا سامية حقوق الهيئة الاجتماعية وتجحف بها اجحافًا بينًا وذلك ما نبَّه اليهِ قداسة لاون الثالث عشر في الاقوال التي ذكرتها في بدء الكلام

للهيئة الاجتماعية حق راهن طبيعي واجب الَّا يدخل فيها اسباب فساد ودواعي اختلال واضطراب فتصبح فيها اركان السِلْم هدفًا مستهدفًا وعُرضةً لكلّ الاخطار. وهذا الحق هو لاشكَّ اقوى من حق الافراد على خير لهم زمني ماديّ ايًا كان. والمبارزة في عين كل من اعتبرها عبرةَ متبصِّرٍ هي لا ريب مُخِلّة بهذا الحق مفسدة لهُ. والبرهان الذي لا ردَّ عليهِ في ذلك ان اصحاب الشرع في كل الامم المتمدنة ولاسيا في عصرنا قد صرحوا بذلك تصريحًا بينًا اذ نصُّوا ضدّ المبارزة السنن العديدة حينًا بعد حين كما مرَّ بك. وقد سنَّت بلجكة احكامًا في ذلك سنة ١٨٤١ وقرّرت عقوبات معلومة عليها سنة ١٨٦٧

وكذلك وضعت المانية قانونًا لِعقاب المُبارزة سنة ١٨٧٦ واسبانية سنة ١٨٧٠ ثم ١٨٧٦ وهولاندة سنة ١٨٨١ والبرتوغال سنة ١٨٨٦ وايطالية سنة ١٨٨٩ والروسية والدانمرك سنة ١٨٦٦ والنروج من سنة ١٨٤٢. وللولايات المتحدة واغلب جمهوريات اميركة المتوسطة والجنوبية واليابان شرائع تطلعك ان المبارزة أُدرجت في عداد اعظم الجنايات وعينوا لها العقوبات الشديدة لاضدّ من باشرها فقط بل وضدّ من حضرها شاهدًا ومن عرضها او سبَّبها من اي وجهٍ كان

وها كنيسة الله التي لم تزل ولن تزال ساهرة على الحقائق منتصرة للعدل مدافعة عن حسن الاخلاق وراحة العباد لم تبرح تقرع المتبارزين وتردعهم عن شططهم: فانَّ المجمع التريدنتيني قد حكم حكمًا شديدًا على كلّ من باشر مبارزةً او اشترك في امرها اشتراكًا ما وقضى على المتبارزين بالشَيْن والعار مستقبحًا فعلهم مسترذلًا عادتهم وقرَّر طردهم من حضن الكنيسة اذ أمر بمن قُتل في هذه المطاعنات الَّا يُدفَن في المدافن الكنسية المقدّسة. ثم اتى بندكتوس الرابع عشر على تقرير المجمع المذكور وشرحهُ وعززه. وعقبهُ بيوس التاسع فاعلن ان العقوبات الكنسية التي قُررت سابقًا تطلق لا على المتبارزين فقط بل وعلى الشهود انفسهم. ولطال بنا المقال لو ذكرنا لك كل ذلك مفصلًا فلتكفنا الاشارة

ولنا في تلك النصوص المدنية والكنسية اقوى تقرير وامتن تأييد للادلة العقلية التي اوردناها

ولكلّ حكيم ان يتمنَّى لعصرنا عصر التمدّن والنور الذي يتباهى على الاعصر الغابرة بتهذيب الاخلاق وتدميث الطباع ان يعدل عن خطة توارثها القوم عن امم برابرة ويصبح وهو لا ينظر اليها الَّا كما ينظر الى ما ساءَ من عوائد ومألوفات السلَف بعين الازدراء والاستغراب

كتاب النبات والشجر

للاصمعي

سعى بنشره وتصحيحهِ الدكتور اوغست هَفْنر

قد نشرنا في العدد الاوَّل من المشرق (ص ٢٤ — ٣٢) كتابًا صغيرًا للاصمعيّ

موسوماً بالدارات استنسخهُ الدكتور هفنر تزيل كليّتنا عن بعض كتب مصر الخطّية . وقد ذكرنا وقتئذٍ انَّ المجموع الذي نُقل عنهُ هذا التأليف يشتمل على كتابين آخرين للاصمعي وهما كتاب الشاء وكتاب النبات والشجر . فامَّا كتاب الشاء فقد سبق وطبعهُ الدكتور المذكور. امَّا كتاب النبات والشجر فلم يزل الى الآن مخطوطاً لا يُعرف لهُ غير هذه النسخة الوحيدة . فأحببنا ان نُتحف بهذه اليتيمة ادباء العصر قبل ان تستولي عليها يد الضياع . وقد طبعنا المَتن بحرف كبير تامّ الضبط وزدنا في ذيل الكتاب عدَّة حواشٍ من شأنها ان تبيّن معنى المتن وتزيل ما في الاصل من الالتباس ل . ش .

كتاب النبات والشجر

عن ابي سعيد الاصمعيّ عفا الله عنهُ آمين

رواية ابي حاتم سَهْل بن محمَّد السِجستانيّ عنهُ ، رواية ابي بكر محمَّد بن الحسن بن دُرَيْد الازديّ عنهُ ، رواية ابي القاسم عمر محمد بن سيف عنهُ ، رواية ابي الفضل احمد بن الحسين بن حيرون عنهُ ، رواية ابي منصور محمد بن عبد الملك بن الحسين بن حيرون عنهُ ، رواية ابي الحسين عليّ بن عبد الرحيم بن الحسن (١ السُلَميّ الرَّقّيّ عنهُ ، سماع هبة الله بنِ حامد بن احمد بنُ أيوب بقراءتهِ عليهِ . هكذا وُجد بطرَّة النسخة القديمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرني الشيخ المهذّب ابو الحسين (٢ عليّ بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك ابن ابرهيم السُلَميّ الرَّقّيّ المعروف بابن القصَّار قراءةً عليــهِ بمدينة السلام في شهر ربيع الاوَّل من سنة اربع وخمسين وخمسمائة (١١٥٩ م) قال اخبرنا الشيخ ابو منصور محمَّد ابن عبد الملك بن الحُسين بن حيرون قراءةً عليهِ يوم الجمعة سَلْخ شهر رَمضان من سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة (١١٣٨ م) قال انبأني عمّي الشيخ ابو الفضل احمد بن الحسين (٣

١) وهو الصواب كما سيأتي . وفي الاصل : الحسين

٢) وفي الاصل : ابو الحسن . وهو غلط كما اتى آنفاً

٣) وهو الصواب كما مرَّ . وفي الاصل : الحسن

ابن حيرون قال اخبرنا ابو الحسين محمَّد بن عبد الواحد بن رَزْمة البزّاز بقراءتي عليهِ في جمادى الاولى سنة ثمان وعشرين واربعمائة (١٠٣٧ م) قال اخبرنا ابو القـاسم عُمر بن محمَّد بن سيف قراءتي عليهِ في شهر رمضان من سنة خمس وستّين وثلثمائة (٩٧٦ م) قال اخبرنا ابو بكر محمَّد بن الحسن بن دريد الازديّ قراءةً عليهِ وانا اسمع في ذي الحجّة سنة ستّ وثلثمائة (٩١٩ م) قال اخبرنا ابو حاتم سهل بن محمَّد السجستانيّ عن ابي سعيد عبد الملك بن قُرَيب الاصمعيّ:

[فصل في النبات عمومًا] (١

يُقَالُ: رَاَيتُ اَرضَ بَنِي فُلَانٍ غِبَّ ٱلْمَطَرِ وَاعِدَةً حَسَنَةً اِذَا رُجِيَ خَيْرُهَا وَتَمَامُ نَبْتِهَا فِي اَوَّلِ مَا يَظْهَرُ ٱلنَّبْتُ (٢، وَيُقَالُ: وَشَمَتِ ٱلْاَرْضُ (٣ اِذَا رَاَيتَ فِيهَا شَيْئًا مِنَ ٱلنَّبَاتِ وَاَنْشَدَ:

كَمْ مِنْ كَعَابٍ كَٱلْمَهَاةِ ٱلْمُوشِمِ (٤

(وَيُنْشَدُ: ٱلْمُرْشِمِ. وَاَرْشَمَتِ ٱلْاَرْضُ [كَذٰلِكَ]. وَٱلْمُوشِمُ ٱلَّتِي قَدْ نَبَتَ لَهَا وَشْمٌ مِنَ ٱلنَّبَاتِ اَي شَيْءٌ يُرْعَى فِيهِ)، وَيُقَالُ: اَبْشَرَتِ ٱلْاَرْضُ اِذَا حَسُنَ طُلُوعُ نَبْتِهَا اِبْشَارًا (٥، ويقال: بَذَرَتِ ٱلْاَرْضُ تَبْذُرُ بَذْرًا (٦ اِذَا

---

١) وضعنا بين معكَّفين ما زدناهُ على الاصل ايضاحًا للمعنى

٢) جاءَ في لسان العرب في مادَّة (وعد): قال الاصمعيّ مررتُ بارض بني فـلان غبَّ مطر وقع بها فرأيتُها واعدةً . . .

٣) وفي اللسان: اَوْشَمَتِ الارضُ. وهو الصواب

٤) جاء في اللسان في (رشم): والرَّشَم والرَّوْشَم اوّل ما يظهر من النبت يقال فيهِ رَشَمٌ من النبات وَارْشمت الارض بدا نبتُها. وَارْشمت المَهاة رأت الرَّشَم فرعتهُ. قال ابو الاخزر الحماني: «كَم من كعاب كالمهَاةِ المُرْشِمِ» ويُروى: الموشم بالواو. يعني التي نبت لها وشمٌ من الكلاءِ وهو اوّلهُ يشبَّه بوشم النساء. والمهاة بقرة الوحش

٥) قال في اللسان في المادّة: اَبْشرت الارض اذا اخرجت نباتها. وأُبْشِرَت اذا بُذرت فظهر نباتها حسنًا فيقال عند ذلك ما احسن بَشَرَتها

٦) وفي الاصل: بدرت بدرًا بالدال المهملة وهو تصحيف. وفي اللسان: بذرت الارض بذرًا

ظَهَرَ نَبَاتُهَا مُتَفَرِّقًا ، وَيُقَالُ : وَدَسَتِ ٱلْأَرْضُ [وَدْسًا] وَوَدَّسَتْ تَوْدِيسًا حَسَنًا فِي اَوَّلِ مَا يَظْهَرُ نَبَاتُهَا(١) . قَالَ ٱلْبُغَيْثُ(٢) :

كَأَنَّ قُتُودِي فَوْقَ طَاوٍ خِلَالَهُ بِبَيْنُونَةِ ٱلْقُصْوَى عَدَابٌ مُوَدِّسُ(٣)

(وَٱلْعَدَابُ ٱلْمَكَانُ ٱللَّيِّنُ ٱلسَّهْلُ وَهُوَ مُسْتَدِقُّ ٱلرَّمْلِ حِينَ يَنْقَطِعُ مُعْظَمُهُ(٤) ، وَبَارِضُ ٱلنَّبْتِ اَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنْهُ . وَيُقَالُ اِذَا ظَهَرَ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ : قَدْ بَرَضَتْ تَبْرِيضًا وَتَبَرَّضَتْ ، فَإِذَا ٱرْتَفَعَ بَارِضُ ٱلْبُهْمَى شَيْئًا فَهُوَ جَمِيمٌ(٥) ، فَإِذَا ٱرْتَفَعَتْ وَتَمَّتْ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَتَفَقَّأَ فَهِيَ ٱلصَّمْعَاءُ(٦) . يُقَالُ : هِيَ وَٱللهِ فِي ٱلْبُهْمَةِ ٱلصَّمْعَاءِ ٱلْحَبَشِيَّةِ (وَإِنَّمَا قِيلَ ٱلْحَبَشِيَّةُ لِشِدَّةِ خُضْرَتِهَا(٧)) . قَالَ ٱلشَّاعِرُ(٨) :

وَيَأْكُلْنَ بُهْمَى غَضَّةً حَبَشِيَّةً وَيَشْرَبْنَ بَرْدَ ٱلْمَاءِ فِي ٱلسَّبَرَاتِ

خرج بذرُها . وقال الاصمعيّ : وهو ان يظهر بذرُها متفرّقًا

١) وفي اللسان : وَدَسَتِ الارض وودّست وتودّست تغطّت بالنبات وكثر نباتها وقيل انّما ذلك في اوّل نباتها

٢) كذا في الاصل ونظنّ انّهُ تصحيف « البَعيث » وهو شاعر مشهور من بني تميم

٣) قال في تاج العروس (٩ : ١٥١) ان بينونة القصوى قرية في شقّ بني سعد بين عُمان ويَبرين .

٤) قال في اللسان في المادّة : العَداب من الرمل كالاوعس وقيل هو المستدقّ منهُ حيث يذهب معظمهُ ويبقى شيء من لينهِ قبل ان ينقطع . وفي الاصل : العذاب . وهو تصحيف

٥) جاء في اللسان في مادّة بَرَضَ : قال الاصمعيّ : البُهْمَى اوّلُ ما يَبْدُو منها البارضُ . فاذا تحرّك قليلًا فهو جميم (والجمع اَجِمّاء)

٦) روى في اللسان عن الازهري انّهُ يقال للنبات صمعاء لضموره . (قال) ويقال بقلة صمعاء مُرْتَوية مكتنزة وبُهْمَى صمعاء غَضَّة لم يتشقّق

٧) قال في اللسان : يقال روضة حبشيّة اذا كانت خضراء تضرب الى السواد

٨) البيت لامرئ القيس يصف حُمُر الوحش . ويُروى في ديوانهِ : جعدةً حبشيّةً . والجعدة الندّية

(السَّبْرَةُ الْغَداةُ الْبارِدَةُ) وَقالَ ذُو الرُّمَّةِ :

كَسَا الْأَرْضَ بُهْمَى غَضَّةٌ حَبَشِيَّةٌ وَصَمْعَاءُ حَتَّى آنَفَتْهُ نِصالُها (١

(آنفتهُ جعلتْ تُوجِعُ انفهُ بِسَفاها). وَسَفاها شَوْكُها(٢ مِثْلُ شَوْكِ السُّنْبُلِ يَظْهَرُ إِذا تَفَقَّأَتْ. قالَ الشَّمَّاخُ:

رَعَى بارِضَ الْوَسْمِيِّ حَتَّى كَأَنَّما يَرَى بِسَفَا الْبُهْمَى أَخِلَّةَ مُلْهِجِ (٣

وَالْبُهْمَى الصَّمْعَاءُ(٤ ما لَمْ تَنْشَقَّ غَضَّةً. فَإِذا يَبِسَتِ الْبُهْمَى فَيَبَسُها الْعِرْبُ(٥. قالَ ابْنُ مُقْبِلٍ :

وَصامَ أَوْساطَ السَّفَا مُتَعَلِّقٌ أَرْسَاغُهُ بِحَصادِ عِرْبٍ نَاصِلِ (٦

وَهُوَ الصِّفارُ أَيْضًا. وَقالَ أَبُو دُؤادٍ :

فَبِتْنَا جُلُوسًا لَدَى مُهْرِنَا (٧ نُنْزِعُ مِنْ شَفَتَيْهِ الصِّفَارَا

وَيُقالُ: رَأَيْتُ بِأَرْضِ فُلانٍ نُعاعَةً حَسَنَةً وَبُعاعَةً(٨. وَيُقالُ: وَلُعاعَةً

---

١) رواهُ ابن السكيت في اللسان :

رَأَت بارضَ البُهْمى جَميمًا وُبُسْرَةً وصمعاء حتَّى آنَفَتْها نِصالها

ويروى: حتَّى أَنْصَلَتْها. يصف ابلًا اي صَيَّرت النصالُ هذه الابل الى هذه الحالة تأْنف رَعْيَ ما رَعَتْهُ وتكرههُ. وذلك في آخر الحرّ لمَّا ييبس سفاها. وقال ابن سيده يجوز ان يكون آنفتها جعلتها تشتكي انفها. وقال عُمارة: آنفتها جعلتها تأْنف منها كما يأنف الانسان. ونصال البُهْمَى شوكها

٢) قال ثعلب: السَّفا أطراف البُهْمَى وقيل شوكها والواحدة سفاة

٣) الوسميّ مطر اوَّل الربيع. والبُهمى نبتٌ من احرار البقُول. والسَّفا شوكهُ اذا يبس. والأَخِلَّة جمع الخِلال وهو عود يوضع في فم الفصيل لئلَّا يرضع. والهجَ الراعي فصيلَهُ اذا جعل في فيهِ خلالًا لئلَّا يرضع

٤) وفي الاصل: صمغاء. وهو غلط

٥) وفي الاصل: عُرْب. وهو غلط

٦) يصف بعيرًا شُدَّت قوائمُهُ فبات صائمًا بين يبيس البُهْمى لما يصيبهُ من اذى شوكها. والناصل ذو النصال المُشْوكة. وحَصاد كلّ شجرة ثمرتها او ما تناثر من حبّ البقول

٧) وفي الاصل: مُهْربا. وهو تصحيف

٨) ومنهُ قولهم: اخرجت الارضُ بعاعَها اذا أَنبتت انواع العُشب أيام الربيع

حَسَنَةٌ(١ . وهو بَقلٌ نَاعِمٌ فِي اَوَّلِ مَا يَبْدُو رَقِيقٌ . (وَٱلدُّعَاعُ نَبْتٌ(٢ وَلَمْ يَعْرِفْهُ اَبُو حَاتِمٍ) قَالَ سُوَيْدُ بْنُ كُرَاعٍ :

رَعَى غَيْرَ مَذْعُورٍ بِهِنَّ وَرَاقَهُ لُعَاعٌ تَهَادَاهُ ٱلدَّكَادِكُ وَاعِدُ(٣

(رَاقَهُ اَعْجَبَهُ . وَاعِدٌ يُرْجَى مِنْهُ تَمَامُ نَبَاتٍ)، وَيُقَالُ اَرْضُ بَنِي فُلَانٍ نَاصِيَةٌ اِذَا ٱتَّصَلَ بَعْضُ نَبَاتِهَا بِبَعْضٍ، وَاِذَا غَطَّى ٱلنَّبَاتُ ٱلْاَرْضَ اَوْ كَادَ يُغَطِّيهَا قِيلَ : اَسْتَحْلَسَتِ ٱلْاَرْضُ . وَاَرْضٌ مُسْتَحْلَسَةٌ(٤ . قَالَ ذُو ٱلرُّمَّةِ :

حَتَّى كَسَا كُلَّ مُرْتَادٍ لَهُ خَضِلٌ مُسْتَحْلِسٌ مِثْلُ عَرْضِ ٱللَّيْلِ يَحْمُومُ(٥

(اَيْ خُضْرَتُهُ اِلَى ٱلسَّوَادِ)، وَيُقَالُ لِلاَرْضِ اِذَا طَالَ نَبَاتُهَا وَاَرْتَفَعَ : قَدْ جَارَتْ اَرْضُ بَنِي فُلَانٍ(٦ وَمِنْهُ يُقَالُ :غَيْثٌ جُؤَرٌ وَجُؤْرٌ اِذَا طَالَ نَبْتُهُ وَاَرْتَفَعَ . يَصْلُحُ اَنْ يَكُونَ مِنْ جَارَ ٱلرَّعْدُ اِذَا صَوَّتَ . قَالَ جَنْدَلٌ [بْنُ ٱلْمُثَنَّى]:

---

١) قال صاحب اللسان في مادَّة لعَّ : اللُّعاع اوَّل النَّبْت . وقال اللحيانيُّ : اكثر ما يقال ذلك في البُهْمى . وقيل هو بقل ناعم في اوَّل ما يبدو رقيقٌ ثمَّ يغلظ واحدتهُ لُعاعة . . . ومنهُ قيل في الحديث : انَّما الدنيا لُعاعة . يعني انَّها كالنبات الاخضر القليل البقاء . . وقيل اللُّعاعة والنُّعاعة كلُّ نباتٍ ليّن من احرار البقول فيها ماءٌ كثير لزِج

٢) نقل في اللسان عن ابي حنيفة انَّ الدُّعاع بقلة يخرج فيها حبٌّ يتسطَّح على الارض تسطُّحًا لا تذهبُ صُعُدًا . (وقال) واحدتهُ دُعاعة وهو نبت معروف

٣) الدَّكادك الجبال . يصف حمار وحشٍ يتنقَّل من جبل الى آخر

٤) قال في اللسان : استحلس النبتُ اذا غطَّى الارضَ بكثرتهِ . واستأْسدَ اذا بلغ والتفَّ

٥) الخَضِل الناعم من النبات وغيره . وعَرْض الليل سوادهُ . واليَحموم الاسود من كل شيء . يصف مرعًى اشتدَّ نباتُهُ وارتفع حتَّى غطَّى المواشيَ بطولهِ وشبَّههُ لخضرتهِ الضاربة الى السواد بطائفة من الليل

٦) يقال جَارَ النبتُ اذا طال وارتفع وجارت الارضُ بالنبات كذلك . وفي الصحاح : غيثٌ جُؤَر اي غزير كثير المطر

يا رَبُّ رَبَّ ٱلْمُرْسَلِينَ(١ بِالسُّوَرْ بِحِكَمِ ٱلفُرْقَانِ تُتْلَى وَٱلزُّبُرْ
لا تَسْقِهِ صَيِّبَ عَزَّافٍ جُؤَرْ(٢

وَيُقَالُ لِلأَرْضِ إِذَا حَسُنَ نَبَاتُهَا وَٱمْتَلَاتْ: قَدِ ٱعْتَمَّتْ(٣. وَٱلنَّبْتُ وَقْتَئِذٍ مُكْتَهِلٌ(٤ وَمُعْتَمٌّ. وَيُقَالُ نَبْتٌ عَمِيمٌ وَعَمَمٌ ايضًا. قَالَ ٱلْأَعْشَى:

يُضَاحِكُ ٱلشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ ٱلنَّبْتِ مُكْتَهِلُ(٥

فَإِذَا ٱشْتَدَّ خَصَاصُ ٱلنَّبْتِ وَفُرَجُهُ قِيلَ قَدِ ٱسْتَكَّ ٱسْتِكَاكًا(٦، فَإِذَا خَرَجَ زَهْرُهُ قِيلَ قَدْ جُنَّ جُنُونًا(٧، فَإِذَا طَالَ وَتَمَّ قِيلَ قَدِ ٱسْتَأْسَدَ(٨. وَزَهْرُهُ وَزَهْرَتُهُ وَنَوْرُهُ [وَنَوْرَتُهُ] وَنُوَّارُهُ سَوَاءٌ. وَمِنْ ذٰلِكَ نَبْتٌ مُنَوِّرٌ، وَنَبْتٌ مُزْهٍ. وَيُقَالُ: ازْهَتِ ٱلْأَرْضُ. قَالَ ٱلرَّاجِزُ:

اَلَا ٱرْحَلُوا ٱلدِّعْكِنَةَ ٱلدِّحِنَّهْ(٩ بِمَا ٱرْتَعَى مُزْهِيَةً مُغِنَّهْ

(اَلدِّعْكِنَةُ ٱسْمُ جَمَلٍ. وَٱلدِّحِنَّةُ ٱلْكَثِيرُ ٱللَّحْمِ. وَمُغِنَّةٌ كَثِيرَةُ ٱلنَّبَاتِ)،

(ستأتي البقية)

١) روى في اللسان: المسلمين ٢) يدعو على عدوّ لهُ ان لا تُمطر ارضهُ فتُجدب. والصَيّب المطر الشديد. والعَزَّاف الذي فيهِ عَزْف اي صوتٌ لشدَّة رعدهِ

٣) يقال اعتمَّ النبتُ اذا التفَّ وطال. ونَبْت عميم ومعتَمّ وعَمَم اي كثيف حسن. وهو اكثر من الجميم

٤) يقال اكتهل النبت اذا طال وانتهى مُنتهاهُ. وفي الصحاح: اذا تمَّ طولهُ وظهر نَوْرُهُ

٥) شرحهُ اللسان في مادَّة كَهَلَ. قال: يُضاحك الشمس معناهُ يدورُ معها. ومُضاحكتُهُ ايَّاها حُسن لهُ ونُضْرة. والكوكب مُعظَم النبات. والشرق الرَّيان الممتلئ ماءً. والمُؤَزَّر الذى صار النبات كالإزار لهُ

٦) قال صاحب اللسان: واستكَّ النبتُ اي التفَّ وانسدَّ خَصاصهُ. الاصمعيُّ: استكَّتِ الرياضُ اذا التفَّت

٧) قال في اللسان: يقال. تجنَّنت الارض وجُنَّت جُنونًا. وقيل جُنَّ النبتُ غَلُظَ واكتهل. قال ابو حنيفة: نخلةٌ مجنونة اذا طالت. وَجِنُّ النبتِ زَهرُهُ ونَوْرُهُ

٨) قال ابن منظور: استأسدَ النبتُ طال وعَظُمَ. وقيل هو ان ينتهي في الطول ويبلغ غايتهُ. وقيل هو اذا بلغ والتفَّ وقوي

٩) ويروى: دِعْكِنةً دِحِنَّهْ. جاء في اللسان: الدِعكِنة الناقة الصُلْبة الشديدة وقيل السمينة.

غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري

للاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما سبق)

فلمَّا سمع اهل الزوراء بقدوم ابن العبري اعدُّوا لهُ ما يليق بشأنهِ من الحفاوة والاكرام. وكانت بغداد وقتئذٍ في قبضة المغول لم تَقُم بعدُ ممَّا حلَّ بها من النكبات قبل ذلك العهد بخمس سنوات لمَّا استولى عليها هولاغو وخرَّبها. وكان عليهـا عامل يقضي باسمهِ. امَّا النصارى فكانوا نالوا من الزُّلفى عند المغول ما لم ينلهُ غيرهم لاسيَّما النساطرة لما كان لهم من التداخل مع قبائلهم الشتَّى وعلى يدهم كان تنصَّر جمٌّ غفير منهم. وكانت منذ ايَّام المنصور اضحت بغداد مقاماً لبطاركتهم وهم المعروفون بالجثالقة لهم فيها عدَّة كنائس متسعة بديعة الاحكام

وكان الجاثليق النسطوري لمَّا قدِم ابن العبري بغداد مكيخا اسقف نصيبين سابقًا فارسل وفدًا من قبلهِ لملاقاة المفريان ورحَّب بهِ عند زيارتهِ لهُ في الدار الجاثليقيَّـة. وكان وقتئذٍ زمن الفصح فتألَّب النساطرة في كنيسة اليعاقبة ليحضروا الرُّتب والطقوس السريانية التي كان يترأسها المفريان

الَّا انَّ هذا الوَلاء بين نِحلَتين طالما اشتهرتا بالنزاع والخصام لم يدم زمنًا طويلًا. فانَّ اليعاقبة لمَّا رأوا ما جُبل عليهِ المفريان من الخصال الحميدة وانَّ منزلتـهُ من العلم وغزارة المعارف اعلى من كلّ معاصريهِ اخذوا يُطنبون في محامدهِ ويلقّبونهُ باشرف الالقاب حتَّى خاف النساطرة ان يفقدوا ما كان لهم في بغداد من علوّ المرتبة فاجتمعوا الى بطريركهم وسعوا عندهُ بابن العبري ونسبوهُ الى الطمع برتبة الجاثليق التي خُصَّ بها النساطرة دون سواهم

فاحتدم مكيخا لهذا القول غضبًا وفكَّر في مناقضة ابن العبري لولا انَّ الله كفَّ عنهُ شرَّهُ فقضى البطريرك نحبهُ بعد ايَّام قليلة في العشر الثاني من نيسان من السنة المذكورة. امَّا ابو الفرج فانهُ اقام في بغداد طول الصيف ووضع الايدي على عدَّة شمامسة ثمَّ اختار لبغداد اسقفًا من طائفتهِ سامهُ بيدهِ وقفل راجعًا الى الموصل في الخريف. فسكنها مدَّة ثم اقام بتكريت

٨

وكان من محلّ مركزهِ هذا يصرف نظرهُ الى رعيّتهِ المتّسعة يكاد يلتهب غيرةً عليها واوّل ما وجّه اليهِ افكارهُ ان يرسل الى الكنائس أيمّةً فُضلاء ذوي علم ودين ليعيد لملّتهِ شأنها بين طوائف المشرق فلم يأخذهُ في ذلك لومة لائم ولم يغترّ بما قدّمهُ اليـهِ البعض من المال ليتولّوا امر الكنائس كما كانوا يفعلون مع اسلافهِ بل آثر من رآهم اهلًا لهذه المنزلة الرفيعة ولا يقلّ عددهم عن اثني عشر اسقفًا سامهم بيدهِ لبلاد متباينة

ومن اعمالهِ المحمودة ما شيّدهُ او رممّهُ من الكنائس لم يخم عمّا استدعى ذلك من النفقات الطائلة والمشاكل المُعضلة. ومن جملة ما بناهُ كنيسة بغداد ساعدهُ على اتمام هذا المشروع احد ابناء ملّتهِ ذو ثروة وعلم واسع اسمـهُ صفيّ الدولة سليمان بن جمّال. وصرف عنايتهُ ايضًا الى تشييد بيعة واسعة في مدينة تبريز أحكم إتقانها وجهّزها بكل ما من شأنهِ ان يزيد الشعب اعتبارًا لبيت الله ومن يتولّى شؤونهم الروحيّة. وزاد على ذلك مأوًى للغرباء والزوّار كما فعل سابقًا في حلب

وكان ابن العبري كلفًا بزينة الكنائس وحسن هندستها. ولمّا رأى ان ملكة المغول مريم ابنة ميخائيل باليولوغ زوجة اباقا خان التاتار استقدمت من بلاط ابيها مصوّرَين بارعين في فنهما لنقش كنيسة الروم في تبريز ارسل فطلب منها احدهما وعهد اليهِ زينـة كنيسة دير جديد كان المفريان اتمّ عمارتهُ في مدينة برْتل على اسم الشهيد يوحنّا برنجرا. فلبّى المصوّر دعاءهُ وقام باعباء الامر احسن قيام. ولمّا انتهى من زينة البيعة نقل اليها باحتفال عظيم ذخائر الشهيد وكان قد اكتشفها ابن العبري. واخبر في كتاب التاريخ الكنسيّ انّ الامر أُوحي اليهِ بالحلم بعد ان استحرّ بالصلاة وعكف على الصوم والمبرّات ليرشدهُ الله الى الوقوف على مدفن الشهيد سابقًا

وكان ينبغي لإنجاز هذه الاعمال الشتّى ولتفقّد شؤون الملّـة ان يتجشّم ابن العبري اسفارًا كثيرة ويطوف بلادًا نازحة فلم يثبطهُ عن ذلك خوفُ مشقّة ولا عناء

وكان اعيـان العصر يطرقون مجلس ابن العبري كما انهُ كان يتردّد على السلاطين واصحاب الامر فيعظمون شأنهُ ويحتفون بهِ. ومن ذلك دخولهُ على احمد بن هولاغو ملك المغول لمّا خلَف اخاهُ اباقا سنة ١٢٨٢ م فرحّب بهِ كسلفـهِ ومنحهُ المناشير المنبئة عن اعتبارهِ لهُ واقرارهِ بفضلهِ ورخّص لهُ ببناء الكنائس في العراقَين. وكان هذا السلطان

قد اسلم منذ زمن قليل امّا اخوهُ اباقا فكان نصرانيًّا واخبر عنهُ صاحب الترجمة (تاريخ الدول ص ٥٠٥) في تاريخ سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) انّهُ يوم عيد النصارى الكبير دخل الى البيعة في همذان وعيَّد مع النصارى

وكان بطريرك النساطرة دنحا خلَفُ مكيخا في سنة ١٢٧٧ يجلُّ ابن العبري ويراسلهُ في امور الدين والعلم. فلمَّا الجأتهُ بعض امور المِلّة ان يصعد الى بغداد استقبلهُ بكل ما امكن من شارات العزّ والحفاوة وخطب امام الحُضور مكرّرًا قول الحكيم: طوبى لشعب اصاب كمثل هذا. وقد بقي الى عهدنا شاهدٌ على ما دار بين المفريان والبطريرك من المباحثات. فانّنا لمّا كنّا في الموصل دلّنا حضرة الاب يوسف الكلداني وكيل المدرسة الاكليريكية على رسالة كتبها ابن العبري نظمًا الى دنحا يعرض لهُ بالبراهين العقليّة والتقاليد الراهنة صحّة معتقَد الكنيسة في اقنوم المسيح خلافًا لتعليم النساطرة. وهذه الرسالة لم توجد في ديوان ابي الفرج فارسلها الاب يوسف المذكور الى العلاَّمة الافرنسيّ الاب شابو فنشرها الشهرَ المنصرم من السنة الجارية في المجلّة الاسيويَّة (١ وقد بلغتنا في الاسبوع الماضي

ومن تصفَّح ديوان ابن العبري وطالع كتب تواريخهِ ادرك ما كان لهُ من الهيبة في النفوس ومن نفوذ الكلمة عند الخواصّ وكان كثير من طلبة العلم يستجزلون فوائدهُ فيتألّبون عليهِ من كلّ اوب. وقد ذكر من جملة تلامذتهِ (٢ الطبيبين المشهورين ابا الخير التبريزيّ ويوحنّا المراغيّ وكان مع ذلك لا يضنُّ بعلمهِ فيحلُّ شكوك من اتاهُ بنزاهة وكرم. وقد أخذ في تاريخ الدول (ص ٤٨١) على احد معاصريهِ المدعو يعقوب الدمشقي السامريّ لمشارطتهِ من يقصدهُ من الطلاَّب للاستفادة دراهمَ معلومة. فقال عنهُ «انَّ هذه خساسة مباينة للانفس الفاضلة»

وكان كلَفُهُ بصحبة الحكماء والفلكيين والاطبّاء اعظم منهُ بغيرهم لما كان لهُ في فنون الفلسفة والهيئة والطبّ من البراعة والشهرة. وقد عدَّد في تاريخ الدول والتاريخ الكنسيّ جملة رجال من المشاهير الذين برزوا في زمانهِ بهذه الصنائع وقد اجتمع ببعضهم على اختلاف اديانهم كنصير الدين الطوسي وجمال الدين بن الرحبيّ الدمشقيّ. وقد قال عن هذا في تاريخ الدول (ص ٤٨٠) ما نصُّهُ: «وقد صحبتُهُ أُباشر معهُ المرضى بالبيمارستان النوريّ

١) Journal Asiat., 9e Série, XI, p. 75

٢) التاريخ الكنسيّ الجزء الثاني (ص ٤٦٠ – ٤٦٢)

بدمشق وكان حسن الاخلاق لم ارَ في الجماعات احسن منهُ زيًا وصمتًا ونطقًا ومبسمًا

٩

وما من شأنهِ ان يذهل العقول انّ ابن العبري رغمًا عمَّا احدق بهِ من الشواغل العديدة وما باشرهُ من الاسفار الطويلة لم يزل واقفًا عمرَهُ على التصنيف والتأليف . فكان اذا ما دخل مدينةً اسرع الى قضاء امور طائفتهِ الروحيّة ثم يتفرَّغ الى الكتابة ينشطهُ على ذلك ما يجدهُ في كلّ مدينة من خزائن الكتب الخطّيّة العزيزة الوجود فضلًا عمَّا آتاهُ الله من قوَّة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة . وكان يؤثر مدينة مراغة من اعمال آذربيجان لتصنيف كتبه

وممَّا صنَّفهُ هكذا في غضون تنقُّلهِ في البلاد شرحُ كتاب المساحة لاوقليدس وضعهُ نحو سنة ١٢٧٠ وحلُّ كتاب المجسطي في الهيئة لبطلميوس الشهير كتبهُ سنة ١٢٧٣

ولم يثنهِ انحطاط قواهُ عن الكتابة حتَّى عند اقتراب المنون . وقد اخبر عنهُ اخوهُ برصوما الراهب انَّهُ لمَّا انتهى الى مراغة قبل وفاتهِ باشهر وهو في انتظار ورود المنيَّة اتاهُ بعض وجوه البلدة من العرب فطلبوا اليهِ ان يعرّب لهم تاريخهُ في الدول المكتوب في السريانيّة فاجاب الى سؤْلهم واخذ ينقل الكتاب الى العربيّة وانجزهُ بنحو شهر فقط . وهو التاريخ الذي نُشر بالطبع في مطبعتنا . ومن يقرأ هذا الكتاب يتعجَّب من حسن سبكهِ وفصاحة الفاظهِ وطلاوة كلامهِ . وقد تصرَّف في هذا التعريب بعض التصرُّف لأَنهُ زاد على الاصل السريانيّ عدَّة تفاصيل وضرب صفحًا عن غيرها كما رآهُ انسب لغرضهِ . وكلا التاريخين من التآليف العميمة الفوائد الجديرة بالثناء

وكان ابن العبري قويّ البنية مجدول الخَلق لا يشكُّ من يراهُ انهُ سيُعَمَّر طويلًا الَّا انَّ ما نهض بهِ من المشروعات الجليلة وتحمَّلهُ في مدَّة عمرهِ من المشقَّات كان قد انهك قواهُ ودكَّ صريح بنيتهِ . وكان في سنة ١٢٦٨ اصابهُ داءٌ عُضال كاد يذيقهُ كأس المنيَّة وذلك في ابَّان سفرٍ كان باشرهُ الى نواحي الارمن فبقي طريح الفراش مدَّةً وهو على رَمَق بين حيّ وميت ثم عافاهُ الله ومدَّ في اجلهِ

وما زاد على اوجاع المفريان واتعابهِ ما قاساهُ من ذوي ملّتهِ . وقد بسط في تاريخهِ ما جرى بينهُ وبين البطريرك اغناطيوس خَلَف ابن المعدنيّ من الوحشة لانَّ البطريرك لم يرضَ

بمشورتهِ في امور كانت تمسُّ صالح الطائفة · ثمَّ ترضّاهُ البطريرك وارسل اليهِ ثلاثة من الاساقفة يطيّبون خاطرهُ · فتراضيا

وتوفي البطريرك المذكور في اواخر سنة ١٢٨٢ في دير فقسيماط من اعمال قيليقية وكان قبل وفاتهِ اصابهُ داء الاستسقاء · فلمَّا احسَّ بوشك قضاء نحبهِ ارسل الى المفريان يستدعيهِ ليسلم اليهِ تدبير الكرسيّ البطريركيّ · فلم يتمكّن المفريان من السَّفر لانَّ الحروب في تلك السنة كانت قائمة على ساقٍ والطرق ليست بمأمونة · وفي تلك الاثناء مات البطريرك فاسرع بعض كهنة قلعة الروم اسمهُ يعقوب وجمع ثلاثة اساقفة في دير برصوما وعرض عليهم ان يختاروا لهم بطريركًا ابن اخيهِ نمرود ففعلوا في اوائل سنة ١٢٨٣ واجلسوهُ على الكرسيّ البطريركي وتسمَّى بفيلوكسين ونال لهُ عمهُ منشورًا من ملك المغول · فكان هذا الانتخاب مخالفًا لكل سُنَن البيعة لاسيَّما انَّ مجمع الاساقفة عُقد بمعزل عن المفريان · فما بلغ هذا الخبر ابنَ العبريّ حتّى ناصب البطريرك الجديد بكلّ ما تأتّى لهُ من الوسائل الّا انَّ مساعيهُ ذهبت ادراج الرياح · والحقُّ يقال ان هذه المنازعات كثيرًا ما انتشرت في هذه الطوائف المنفصلة عن كرسيّ هامة الرُّسل فبلبلت نظامها وقوَّضت دعائم قوَّتها · وحسبنا على ذلك دلائل لا تُنكر ما دوَّنهُ ابن العبريّ في تاريخهِ الكنسيّ وهو مشحون بذكر هذه الخصامات والمشاجرات · صان الله كنيستهُ من شرّها

١٠

فكان ما وجدهُ ابن العبريّ من الشَّجب والإعنات في هذه الظروف مؤثّرًا في مزاجهِ ايَّ تأثير · فاعتزل الامور وتخلَّى للدرس الى سنة وفاتهِ · ولمَّا حدث في تلك السنين زلازل كثيرة كادت تُخرب مدينة ملطية وتفسد دير برصوما برُمَّتهِ عزا المفريان ذلك الى عقاب الله وغضبهِ تعالى على اهل ملّتهِ

واخبر اخوهُ برصوما صافي الراهب انَّ شقيقهُ كان يتوقَّع حاول منيَّتهِ في سنة ١٢٨٦ مستندًا في ذلك الى مراقبة النجوم · وفي ديوانهِ قصيدةٌ تُشعر بهذا الاعتقاد الباطل الذي كان كثيرٌ من مُعاصريهِ يُفتون بصحَّتهِ

ولمَّا تكرَّرت في هذه السنة غزوات اهل الشام بجهات الموصل حتَّى خاف الاهلون على ارواحهم انتقل ابن العبريّ من الموصل الى مراغة في آذربيجان · فكان هذا السفر منشطًا لقواهُ وبقي مدةً مشمولاً بحسن العافية مكرّمًا من اهل المدينة على اختلاف

مذاهبهم الى العشر الاخير من شهر تمّوز فابتلاهُ الله بحمّى شديدة في ٢٨ منهُ. فتواردت اليهِ اطباء البلدة واشاروا عليهِ بشرب الدواء فلم يرضَ زاعمًا انَّ ساعة وفاتهِ قد دنت واخذ يفكّر في امور رعيتهِ ويوصي اخاهُ بنيّاتهِ الاخيرة ويعزّي الحاضرين المكتئبين لدنوّ أجلهِ

ولمّا كان اليوم الثالث من مرضهِ استدعى كاتب اسرارهِ فاملى عليهِ قول الكتاب (اشعيا ٤٠: ٦): كلُّ بشرٍ عُشبٌ وكلُّ مجدهِ كزهر الصحراء. ثم حرّض تلامذتهُ على التحابّ والأُلفة مكرّرًا لهم قول الربّ في انجيل يوحنّا: « بهذا اوصيكم ان يُحِبّ بعضكم بعضًا ». فاخذ الحضور يذرفون الدموع السخينة على سيّدهم وكان منهم من يمزّق ثيابهُ وغيرهم يذرُّون التراب على هامتهم بينما كان هو يتلقّى الموت بوجهٍ بشوش. قال اخوهُ « وبقي على هذه الحالة بضعة ساعات حتى انطفأ هذا السراج المضيء او بالحريّ هذا النور الساطع وسقط هذا العَمَد الوطيد لملّة اليعاقبة الصغيرة والضعيفة فانتقل الى رحمة ربّهِ » في ليلة الثلاثاء الواقعة في ٣٠ تمّوز من السنة ١٢٨٦

فكان لمنعاهُ وقعٌ عظيم كأنَّ المدينة أُصيبت بخَطْب جَلَل فاجتمع اليعاقبة والنساطرة والروم والارمن عند جثّتهِ وقضوا نهارهم في الصلاة عليهِ. وكان وقتئذٍ بطرك النساطرة يَهْبالاها خَلَفُ دِنحا منذ سنة ١٢٨١ موجودًا في مراغة فامر كلَّ نصارى ملّتهِ بان يمتنعوا عن الشغل ويلبسوا الحداد ايذانًا بما طرأ على النصرانيّة من الرزيّة العظمى بوفاة هذا العلاّمة الجليل. وبعد ذلك بمدّة نُقلت جثّتهُ الى الموصل فدُفنت باحتفال في دير مار متّى حيث لا يزال قبرهُ مكرّمًا كما سبق (ستأتي البقية)

كتاب تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

ولم اقف الّا على القليل من اخبار بحتر (١. وامّا اخبار من قبلَهُ فجدُّ والد بحتر وهو

١) وقد جاء في كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان (ص ٦٦٥ — ٦٦٧) تفاصيل اخر عن ترجمة الامير بُحتر لا نعلم من اين اخذها الكاتب. وانّما نتعجّب كيف جهلها المؤلف مع تنقيبهِ عن اخبار اجدادهِ. وهاك ملخّص ما ورد في الكتاب المذكور قال: انّ الفرنج في سنة ١١١٠ م

ابو اسحق ابرهيم بن ابي عبد الله كان اميرًا بالبيرة سنة ثماني عشرة واربعمائة . واماً النسبة الى آل عبد الله فليست هي الى عبدالله هذا وانّما هي نسبة قديمة تتقدَّم على سنة ثماني عشرة واربعمائة بسنين كثيرة . ومن الدليل انَّ الآل هي الفروع التي تنتسبُ الى اصل واحد وعبدالله هذا لم يكن لهُ في ذلك الوقت فروع كما انَّ آل سليمان(١ يزعمون ان سليمان من ولد خالد بن الوليد رضي الله عنهُ وهو متقدّم على هذا التاريخ بمئين من السنين وان يكن للسلف شركاء في النسب على بُعد فالسَّلَف اصول بالكبريَّة والامريَّة وما عداهم فروع . والشرفُ في الاصل لا في الفرع

وقد وجدتُ في بعض انساب البلاد انَّ الامراء بعرامون(٢ من الحمّيرا(٣ من البقاع . فان كانت نسبة صحيحة فهم الامراء من بني ابي الجيش المعروفين ببني سعدان بعرامون . وغيرُهم من الامراء بعرامون هم من ولد زين الدين بن عليّ بن بحتر الآتي ذكرهُ ان شاء الله . وقد جعل بعض الحمقى هذه النسبة مَشطًا في الكلام الى انَّ السلف ليس منهم احد من ولد جُمَيهر . فهذا غلط مفرط وحسدٌ أضلَّهُ عن الصواب لانَّ دلالة النسبة واضحة يتوارَثها في البيت اصاغر عن اكابر ويتداولها خلَف عن سلَف ولو لم يكن لهم دليل الّا مناشيرهم لكفاهم ذلك (٤ لانّ (21r) مناشيرهم باقية باسماء السلف من قديم

(٥٠٣ ه) انقسموا الى فريقين احدها في جنوب بيروت والآخر في شمالها فدهموا الغرب وضبطوهُ وقتلوا كثيرًا من الامراء لم ينجُ منهم سوى الامير بحتر بن عضد الدولة عليّ وكانت أخفتهُ أمهُ في عرمون حتَّى انجلت الفرنج . وكان صاحب صيداء الامير مجد الدولة صالح الفرنج على الامان فسار الى الغرب واخذ بترميمهِ واستقلَّ بالامارة ولَّاهُ عليها طغتكين صاحب دمشق سنة ١١٢٦ م . ثم قُتل مجد الدولة فخلفهُ ابو العشائر بحتر بن عضد الدولة فنفذ حكمهُ وعظم امرهُ . وكتب اليهِ سنة ٥٤٢ ه (١١٤٧ م) مجير الدين آبق (كما ذكر ابن صالح) . وفي سنة ٥٤٦ ه (١١٥١م) كانت واقعة رأس التينة عند نهر الغدير بين الامير ابي العشائر والفرنج قُتل فيها كثير من الفرنج وفرَّ الباقي الى بيروت وتحصَّنوا فيها . ومن ثمَّ ترادفت غزواتهُ عليهم حتَّى بلغ الشهرة العظيمة . وكانت وفاتهُ سنة ٥٥٢ ه (١١٥٧ م)

١) يريد حيًّا من احياء المسلمين لم نطَّلع على اخبارهم

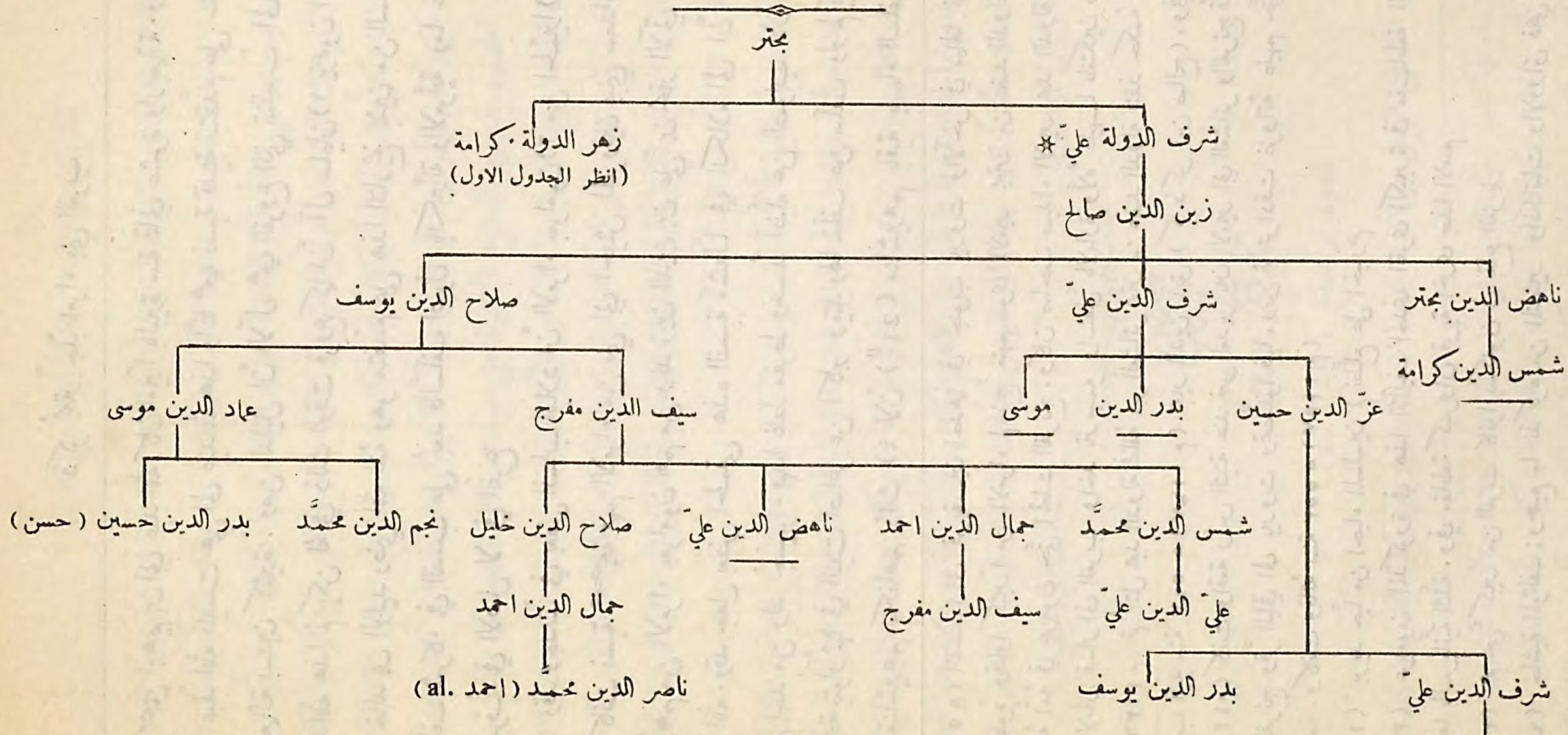
٢) عرامون المذكورة في هذا التأليف احدى القرى الكبيرة في مقاطعة الغرب الاسفل ومعناها بالسريانيَّة التلَّة . وفي مقاطعة كسروان قرية اخرى بهذا الاسم

٣) هم حيٌّ كبيرٌ من العرب كانوا يسكنون في بقاع العزيز

٤) حاشية المؤلف : وجميع ما نذكرهُ من المناشير والمكاتبات والاوراق فهي عندنا محفوظة الى هذا اليوم

جدول ثانٍ

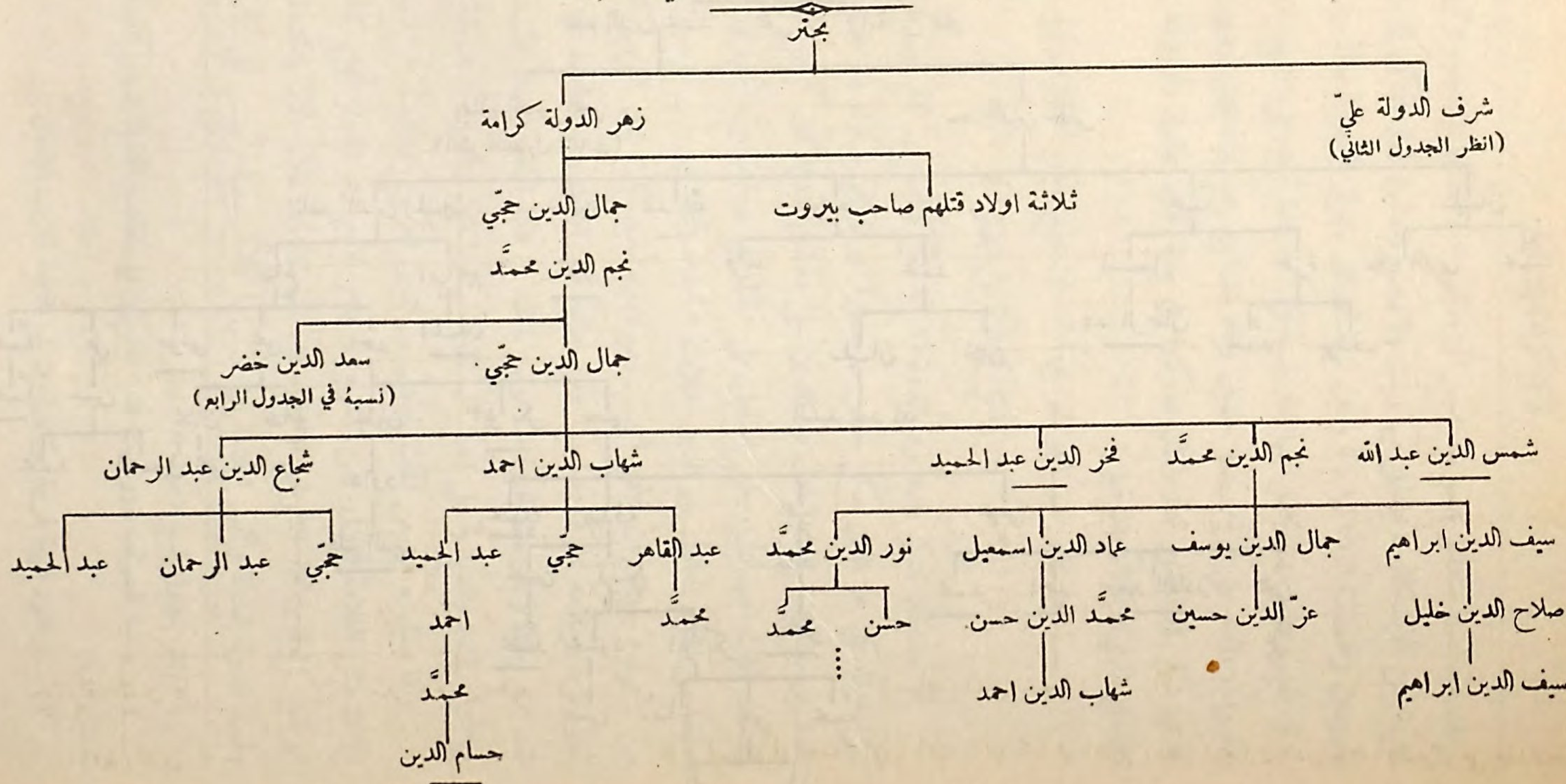
لنسب الامراء التنوخيين من بني الغرب



* قد وقع في الجدول الاوّل (ص ٢٧٢) غلط في ذكرهِ وذكر ابنهِ زين الدين صالح والمعوَّل على هذا الجدول

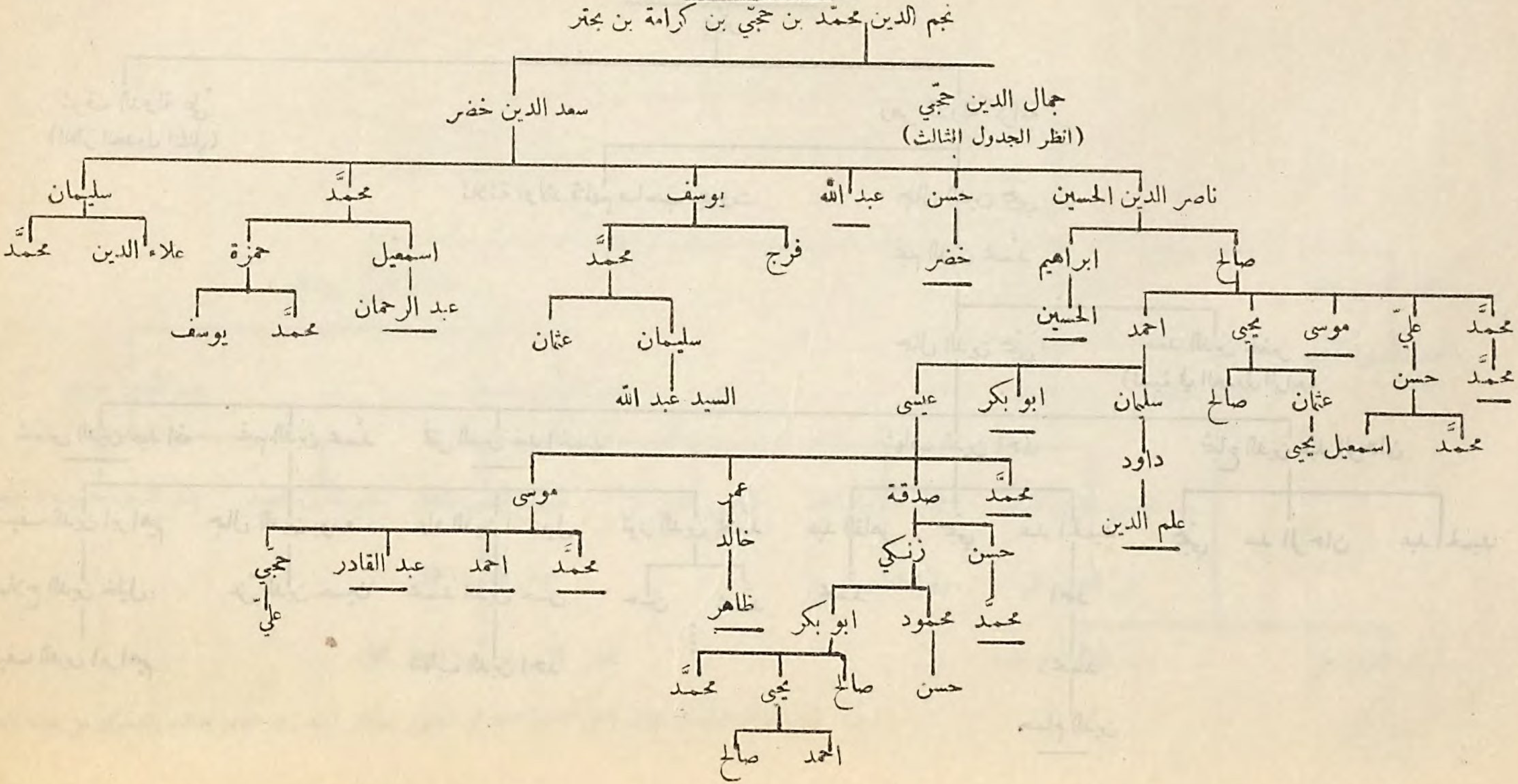
جدول ثالث

لنسب الامراء التنوخيين من بني الغرب



جدول رابع

لنسب الامراء التنوخيين من بني الغرب



الزمان متسلسلة متَّصلةٍ باسمٍ بعد اسمٍ الى منشور بحتر المذكور لم تنقطع وهي واضحة البيان خليَّة من الإشكال لم يدخل فيها ريب ولا وهم. ومنشور بُحتر المذكور تاريخهُ سنة اثنتين واربعين وخمسمائة (١١٤٧ م) وبين سنة ثماني عشرة واربعمائة مائةٌ واربع وعشرون سنة. فليس هذه مدّةٌ يجهل فيها بحتر نسبهُ ولا هي مدّة تبعد على اربع دول اعني ايَّام بحتر وايَّام والدهِ عليّ وايَّام جدّهِ حسين وايَّام جدّ ابيهِ وهو ابو اسحق ابرهيم بن ابي عبدالله الذي ذُكر في منشور بحتر وكان مذكورًا في سنة ثماني عشرة واربعمائة فهذا ردٌّ على الجاهل الذي ذكرناهُ وقد قيل:

ما ضرَّ نهرُ الفراتِ يومًا   ان ولغ بعض الكلاب فيهِ

ذكر كرامة بن بحتر *

ثمَّ بعد بحتر نذكر ولدهُ زهر الدولة(١ ابا العزّ كرامة بن بحتر بن عليّ. قيل ان كرامة المذكور هو الذي سكن حصن سرحمُّور(٢ وربما كان سكناهُ فيهِ عندما قويت شوكة المسلمين باستيلاء الملك العادل نور الدين على دمشق. وربَّما كان كرامة قد اهمل الفرنج وتمسَّك بالملك العادل. ومن الدليل على ذلك اني وجدتُ بين الاوراق القديمة مرسومًا مطلقًا من الملك العادل نور الدين. علامتهُ «الحمدُ لله» في رأس المرسوم فوق البَسْمَلة. من مضمونهِ (21^v): انَّ الامير النجيب زهر الدولة مُفيد الملك امير الغرب كرامة ادام الله تعالى عزَّهُ وسلامهُ مملوكنا وصاحبنا ومَن اطاعهُ فقد اطاعنا ومَن عاونهُ في جهاد الكفَّار فقد عمل برضانا وكان مشكورًا منَّا. ومن خالفهُ في هذا الامر وعصاهُ فقد خالف امرنا واستحقّ المقابلة والسياسة على العصيان. تاريخهُ سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة (١١٥٧ م)

وامَّا منشورهُ فهو من الملك العادل نور الدين المذكور. وعلامتهُ «الحمد لله» فوق البسملة مثل العلامة الاولى. ومن مضمونهِ: لمَّا جاهر الامير زهر الدولة شجاع الملك جمالُ الامر ابو العزّ كرامة بن بحتر التنوخي ادام الله عزَّهُ الى بابنا زِيدَ علاهُ ولاذ بالخدمة وتقرَّب اليها وقصد الدولة العادلة والتمس الخدمة بين يديها تُقبّل سعيهُ وأُجيب الى مُلتمَسِهِ ورُسم لهُ

* انظر جدول نسبهِ (ص ٣٧٣)

١) حاشية للمؤلف: ووجدتُ لقب المذكور في المكاتيب القديمة شمس الدولة كرامة وقيل شمس الدين

٢) سرّحمور قرية قريبة من عرامون في مقاطعة الغرب الاسفل

أنشاء هذا المنشور مُودَعًا ذكر ما تأثَّل لهُ من الإرعاء والاحترام والاعزاز والاكرام يوضح ذكر (١ من ديوان الاستيفاء المحروس حماهُ الله . والعدَّة اربعون فارسًا وما امكنهُ وقت المهمَّات الشريفة . وجهاتُهُ غالب قرى الغرب . ومن غير الغرب القُنَيْطرة (٢ من البقاع ظهر حمار (٣ من وادي التيم ثعلبايا (٤ من البقاع ايضًا بُرجة بعاصر منها المعاصر والفوقا (٥ والدامور (٦ وشارون ومجدلبَعْنا وكفرعَمَّيْه (٧ (22^r) والتاريخ سابع شهر رجب سنة ست وخمسين وخمسمائة

وقيل انّ هذا المنشور بخطّ العماد الاصبهاني الكاتب (٨ وهي كتابة عليها الضعف (٩ والملك العادل زاد في إقطاع كرامة المذكور وهذا ممَّا يدلّ على ميل كرامة اليهِ . وكان الملك العادل محاربًا للفرنج فلا عجبًا من تحصُّن كرامة في حصن سرحمور . وامَّا اخوهُ شرف الدولة عليّ بنُ بحتر فهو والد زين الدين بن عليّ ومن ذُرّيتهِ الامراء بعرامون وسيأتي ذكرهم فيما بعد ان شاء الله)

زين الدين بن عليّ

كان معاصرًا لجمال الدين حجّي واخيهِ سعد الدين خضر ولدي نجم الدين محمَّد بن جمال الدين حجّي بن كرامة المذكور فكان في زمانهما وهو ابن عم جدهما (١٠ (راجع الجداول الثلاثة في الصفحات ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٢) (ستاتي البقية)

١) هكذا ورد في الاصل ولم نتبيَّن مراد الكاتب

٢) هي ضيعة صغيرة من ارض البقاع اهلها من المتاولة

٣) لم نجد لها ذكرًا

٤) وهي قرية صغيرة بقرب تعنايل والشتورة اهلها من العرب

٥) لم نعرف مواقع هذه القرى

٦) الدامور يريد بهِ النهر الواقع في جنوبي بيروت في نصف الطريق بينها وبين صيداء وما جاورهُ من المزدَرعات

٧) شارون ومَجْدَلْبَعْنا وكفرعَمَّيْه ثلاثة قرى معروفة من مقاطعة الجرد

٨) كان كاتبًا لنور الدين ولصلاح الدين الايوبي (راجع ترجمتهُ في وفيات الاعيان لابن خلّكان الجزء الثاني ص ٩٧ في حرف الميم) توفي سنة ٥٩٧ (١٢٠١ م)

٩) لعلَّهُ يريد ان انشاء هذا المنشور ركيك

١٠) وفي هامش الكتاب ما حرفيتهُ : صحيح كان ذلك

رواية الشقيقتين

(للاب هنري لامنس اليسوعي)

٢

لله بيروت ما اجمل موقعها وابهج مرآها لمّا ترسو السفينةُ بالغريب ازاءها لاوّل مرّةٍ فلا جرم انَّ محاسنها تخلب قلبهُ وتسبي مشاهدُها لبَّهُ

وكان البارون دي لَيْنس مع كثرة ما رآهُ من البلاد لا يتمالك من العجب لدى نظره هذه المدينة الفائقة. ذات المناظر الشائقة. تدخل في البحر كانها تقتحم أهوال الدأماء. وتتوسَّد جبالًا تأتزر قممها بالسحاب وتعتمُّ بالثلوج الغراء. دورها محكمة البُنيان. واشجارها باسقة الافنان. وهي تجمع بين مرافق البرّ والبحر والجبل والسهل

غير انَّ افكار البارون لم ترُق بعد كي يلتهيَ بمحاسن بيروت ولما كانت خواطرهُ كلُّها متَّجهةً الى مصيف سعادة القنصل ب. ما لبث ان ركب العربة في غد ذلك اليوم ونزل عند الضحى امام الدار الموصوفة آنفًا. فاسرع لاستقبالهِ اهل البيت وتحفّوا بهِ وبالغوا في اكرامهِ حتَّى نسي بعد هُنَيهة كلَّ عناء السفر

والحقّ يقال انَّ منزل المسيو ب. كان يجمع كلّ اسباب الهناء والراحة واصحابهُ ممَّن يراعون حقوق الضيف وهم علاوةً على ذلك متَّصفون بكل ما يجمّل الناس من الفضائل الاهليّة والآداب الانسانيّة

فما رسخت قدمُ البارون في هذه الدار حتّى انتعشت روحهُ وشعر بعودة قواهُ بين اصحاب لم تَشُب اخلاقهم شائبةٌ ولم يعكّر صفاء مودّتهم كدرٌ. فشتّان بين ما وجدهُ عندهم من الأُنس ورغد العيش وبين ايّامه السابقة في عاصمة اليونان اذ كانت تحدق بهِ هموم رتبتهِ فلا يرى مَناصًا من مُخالطة قومٍ أعماهم الجَخف واستفزّهم حبُّ الذات. فكان يتنسَّم في وسط الجبال الريح الطيّبة وهو يتهنّأ بنسيم الحريّة

ثمّ اخذ يتجوّل بصحبة القنصل في الانحاء المجاورة لمنزلهِ وربّما كانا يتسنَّمان صَهَوات الخيل فتارةً يطويان البيد واخرى يهبطان الى الوديان او يسعيان في الجبال للصيد والقنص. ومُجمل القول ان البارون كان يصرف حياتهُ في الهناء بعيدًا عن ضوضاء العالم وعن مجالس المُسامرات الباطلة التي لا تجدي القلب راحةً

الّا انّ ما زاد البارون بسطاً وانشراحاً انّما كان اجتماعهُ مع لفيف عائلة القنصل . في طرفَي النهار فينبذ عندئذٍ كلّ تكلّف ويطلق لعواطفهِ العنان ويقضي بحديث اهل الدار ساعات يعدُّها من اهنإ زمن حياتهِ

وكان منذ اوّل يوم وصولهِ شعر قلبهُ مائلاً الى ابنتَي القنصل لما وجد فيهما من السجايا الفريدة وهما شُعْبتا اصلٍ واحد نتقتهما أُمومةٌ في اليوم ذاتهِ . واسم الاختين سوسنّة ووردة لم يكد عمرهما يُربي على الثاني عشرة سنة وهما مع ذلك تتشابهان قدًّا وحُسناً

امّا مولد الفتاتين فكان في ارض المغرب لكنّهما نمتا وترعرعتا في الشرق فجمعتا بين خصال الخافقَين . فكنتَ ترى فيهما سذاجة البلاد الشمالية مُدْمَجةً بشيء من تَرَف اهل الشرق ورزانة طباعهم فتمتزج بشخصيهما اوصاف كلا الصقعين امتزاجاً رائقاً

وكانت امُّهما من السيّدات العاقلات المجمّلات باحسن الصفات قد ارضعتهما بلبانها واشربتهما منذ الصِغَر روح التُقَى والحشمة فنشأتا في حَجْرها ومُهِدتا في كَنَفها وسترها ودرجتا من وَكْرها وهما تألفان الدار الوالدية لا ترضيان لها بديلاً وكادتا لا تعرفان من العالم الّا اسمهُ . فكان من يراهما يستدلُّ بصفاء عيونهما على طهارة قلبهما

ومُجمَل القول انّ سوسنّة ووردة كانتا تحقّقان بشخصيهما ما افتتحنا بهِ كلامنا عن ائتلاف الاخوات الشقيقات . والحقُّ يقال ان الاخوّة كانت تأنّست منهما بملاكين ارضيين فاخرجتا الى حيّز الوجود ما تخيَّلهُ القصّاصون في رواياتهم المختلقة ذات الغلوّ البيّن عن امر التوأم وما يوجد بينهم من العلائق الوثيقة

ومن خواصّ الابنتين المذكورتين تشابههما بالخلقة والقدّ والصوت كتشابُهِ الذرَّة بالذرَّة لم تفرز بينهما العين اللهمَّ الّا عين والدتهما امّا باقي اهلهما فاضطُرُّوا الى ان يفرقوا بين النجلتين زمناً طويلاً بعلاماتٍ خاصّة لئلَّا يقع التباسٌ بينهما

وبقينا على هذه الحال الى السنة الثانية من عمرهما حيث بدا في وجههما بعضُ تبايُن وذلك بانّ لون سوسنّة جعلَ يضرب الى البياض وشعرُها الى الشقرة بينما اضحت وردة مزدهرة اللون قانئة الشعر كأنَّ الطبيعة نوت فيهما تطبيق المسمّى على الاسم . وجارت الامَّ الطبيعة بأن كستهما ثياباً تشعر باسميهما وخلقتيهما

ولا غروَ انّ ما سبق لنا من الوصف لخَلق الشقيقتين وخُلقهما وقع في قلب البارون دي لَينس موقعاً اثيراً . وما زاد على ميلهِ نحوهما ما طُبع هو نفسهُ عليهِ من لين العريكة

والهِمَم العالية. وغا اعتبارهُ للاختين لَمّا رآهما تتباريان فضلًا وصلاحًا لا تعكِر بينهما صفاء الوداد شائبةٌ فكان يشبّههما بزنبقتين غتا من فرعٍ واحد تزدهيان حسنًا وتتكاتفان ولاء

وفي واقع الحال كانت سوسنة ووردة مرتبطتين ارتباطًا غير منفصم تتشاطران الافراح والاتراح وتتبادلان الافكارَ والعواطف فتخالهما نفسًا واحدة في جسدين

وكان مع ذلك في طبعهما بعض اختلاف فانَّ سوسنة كانت كثيرة التصوُّن بينما كانت وردة فكهةً طيّبة النفس. فكانت من ثمّ تميل سوسنة الى التخلّي والانفراد وربّما فكّرت ان تلبس الثوب الرهبانيّ في جمعيّة الراهبات اللواتي ربَّينها صغيرةً وهذَّبنها فتاةً وأفشت بسرها لاختها وردة. بيد انَّ هذه استولى عليها الكآبُ وصرَّحت لاختها ان لا سبيل للفراق مطلقًا فلم تَعُد سوسنة الى الكلام بهذا الصدد

امّا البارون دي لينس فمع ما وجدهُ في نفسهِ من الانعطاف الى الاختين كان يشعر قلبهُ مائلًا الى وردة اكثر منهُ الى سوسنة يسرُّهُ منها طلاقة لسانها وتوقُّد ذهنها ودعابة طباعها فضلًا عن سذاجة اخلاقها واستقامة قلبها

فمذ ذاك الحين لم يَعُد يرى مانعًا لأن يتأهَّل لانّهُ كان وجد المرأة الفاضلة التي يصفها السفر الكريم ويؤثرها على قيمة اللآلئ. ولم يلبث اعتبارهُ لخصائل وردة ان يتحوَّل الى مودّة صادقة وحبّ متين. ولمّا انتهى بعد شهرين زمنُ رخصتهِ فآن وقت رجوعهِ الى اثينة صرَّح الى القنصل بنيّتهِ وخطب منهُ ابنتهُ وردة. فبعد فحص الامر وعرضهِ على الفتاة لم يرَ المسيو ب. بُدًّا من الاجابة الى طلبتهِ

٣

وكان خريف تلك السنة غزير الامطار فترطّب من جرّائها هواء السواحل امّا الجبل فكانت اوراق اشجارهِ اخذت بالانتثار وصار بردهُ ناخفًا فاسرع اعيان بيروت وبارحوا ربوعهم الصيفيّة منحدرين الى السهول يتنسمون هواءها المعتدل ويباشرون اشغالهم المألوفة. فعادت المدينة الى ما كانت عليهِ من الحركة قبل فصل الصيف

وكانت عائلة القنصل ب. رجعت الى بيروت فمن رجع فحلّت في دار القنصليّة عند رأس المدينة وهو منزل رَحب كثير الثروة تحدق بهِ حديقة غنّاء ذات زهور واشجار باسقة

وكان هذا البيت عادةً ذا هدوّ يرتاح فيهِ اصحابهُ الى السكينة بيد انّك منذ بضعة

ايَّام كنت ترى فيهِ حركةً غير مألوفة. وما ذاك الَّا لإِعداد رتبة الزيجة المنويّة

ولا غرو انَّ الاختين كانتا اوّل من نشط للعمل وعُني بتجهيز لوازم هذه الحفلة. الَّا انّ وردة كانت اقلّ اهتمامًا في الامر من اختها. فلا تزال على طبعها فكهةً دَعِبة لا يكدّر صفاء قلبها قلقٌ كأَنّ الامر لا يهمُّها بل يعني غيرَها بينما كانت سوسنَّة تزيد رصانةً وتصوُّنًا

هذا ولا يخالجنَّ فكر احد ان خفَّة الطباع كانت غالبةً على وردة تسير الى الزواج وهي لا تدري بما ستتكلَّف فيهِ من العَناء. وبالحري انَّما كانت أعلم ممَّن سواها انّ تحت الزهر شوكًا لا يُقاسي أَلَمَهُ الّا من كان قويّ النفس ذا حزم وجدّ. وعليهِ فكانت الفتاة كثيرًا ما تختلي وحدها في غرفتها لتعدّ ذاتها لهذا الاقتران طالبةً من الله ان يزين قلبها بما يقتضيه سرّ الزواج من الصفات والفضائل ويجعل هذا المشروع ميمون الطالع سعيدًا موافقًا لارادتهِ عزّ وجلّ

وكانت امُّ وردة قد استدلَّت في مدّة الشهرين الاخيرين بمجرّد النظرِ الى ابنتها على ما يخامر قلبها من الافكار الخطيرة فانتهزت هذه الفرصة لتمهّد لها تلك الطريق الوعرة وترشدها في سواء السبيل

امَّا سوسنَّة فكان حدث في نفسها في المدَّة الاخيرة تغيير يُذكَر. وذلك انها كانت في باديْ الامر تلقّت خبر خطبة اختها بفرحٍ عظيم. ولكن لم تمرّ عليها ايام قلائل حتّى غَشي قلبها بعض الحزن لم يمكنها ان تستره عن اعين اختها. فلحظت منها ذلك وردة وجعلت تسعى في ازالة كربها ببشاشة وجهها وفكاهة طباعها. فلم يُجدِها فعلُها نفعًا. ومذ ذاك الحين لم يَعُد هذا القلبان على ما أَلفاهُ من الوداد والمخالصة (ستأتي البقية)

شتّى

آثار بيروت القديمة

قد اخبرنا سابقًا (ص ٩٢) ما اكتشفهُ الدكتور جول روڤيه احد اساتذة مكتبنا الطبّي من الآثار القديمة في جنوبي بيروت بين وادي الشويفات ونهر الغدير. والآن علمنا بمزيد السرور انَّ العلاَّمة المذكور لا يزال مواصلًا لأبحاثهِ الخطيرة والنجاح موفق لمساعيهِ الطيّبة. وقد اكتشف عاديَّات كثيرة يرتقي عهدها الى القرني الخامس والسادس للمسيح لمّا

كانت المدينة في اوج مجدها. وكان لهذه الاكتشافات احسنُ وقعٍ لدى المستشرقين واطنبت في ذكرها المجلاّت الكبرى العلميَّة (١. وذكرت جريدة استانبول انّ سفارة فرنسة في الاستانة طلبت من الحكومة السنيَّة الترخيص للدكتور الموما اليهِ بحفر الاراضي في ضواحي البلدة. ولنا الرجاء ان سينال عمّا قليل الرخصة المطلوبة

الجروج والجروخ

قد كنَّا ذيَّلنا تاريخ بيروت في الصفحة ٢٧٨ بحاشية قلنا فيها: انّ لفظة « جروخ » وردت في الاصل الذي اخذنا عنهُ على ثلاث صور مختلفة فاثبتناها على صورة واحدة. لكنَّنا ارتأينا في ذيل الكتاب انّهُ لا يبعد من الصواب ان يكون المؤلف اراد « الجروج » تعريب ما يدعوهُ الفرنج (feu grégeois) وهي أدوات حربية من النفط يُرمى بها العدوّ

الّا ان حضرة الاب انستاس ماري الكرملي نبَّه فكرنا الى معنى « جروخ » بالفارسيَّة وقولهُ هذا اقرب الى الصواب نذكرهُ للفائدة:

فالجُرُوخ جمع جَرْخٍ معرَّب كلمة « چرخ » الفارسية وقد استعملها الترك ايضًا باللفظ الفارسيّ اي بالجيم الفارسية واخذها العربُ عن الترك وعرّبوها بالجيم العربية في القرون الوسطى وهي كلمة تأتي بمعاني شتّى والاصل فيها: « الدَوْرة والاستدارة والدائرة والدولاب »

١) ومن جملة ما قرأنا في ذلك نبذةً ممضاة باسم حضرة الاب شبلي المارونيّ كتبها في مجلَّة الدروس الكتابيَّة (Revue Biblique, 1er Avril 1898,) يصف فيها هذه الاكتشافات الجليلة. الّا انّهُ ساءنا ما كتبهُ حضرتهُ في ذيل الصفحة ٢٧٤ قائلًا: « Détail piquant : toutes les pierres qui ont servi à la construction de l'Université des PP. Jésuites ont été prises là. Je ne sais comment l'attention des Pères ne fut pas éveillée. »

فاشعر الكاتب بذلك قلَّة اكتراث اليسوعيين بالآثار القديمة

وعليهِ فنقول (اوّلًا) انَّهُ ليس بصواب انَّ كلَّ حجارة كليّتنا أُخذت من المكان المعروف بالقصر بجوار نهر الغدير. وقد أُخذ الجانب الاكبر من حجارة الكليَّة من عدَّة مواقع اخر كالجناح والرَّمل والاوزاعي ومار الياس. يشهد بذلك من تولّى عمارة المدرسة من البنّائين وغيرهم. ثانيًا ولو سلَّمنا ان كلَّ حجارة الكليَّة أُخذت من القصر بين نهر الغدير ووادي الشويفات فمعلوم انّ هذا المحل واسع يمكن قلع حجارتهِ من بعض جوانبهِ دون البعض وليست الآثار القديمة في كلّ انحائهِ فكيف يستغرب حضرة الكاتب انَّنا لم نكتشف هذه العاديَّات قبل جناب الدكتور روڤيه. ثالثًا أيجهل صاحب المقالة انَّ من يبتني دارًا لا يتولّى بذاتهِ قلع حجارتها بل يعهد الامر الى غيرهِ من الوكلاء اصحاب الصنعة. فاين يا تُرى العجب من كون اليسوعيين لم يقفوا على هذه الآثار الجليلة لينبئوا عنها العلماء

او ما كان بمعانيها ثم أُطلِقت اللفظة على كل آلةٍ تتحرك حركةً مستديرةً او بها دولاب ثمَّ تُوَسِّع فيها حتى أُطلِقت على « كل آلةٍ » . وفي القرون الوسطى كانت تُطلق على أداةٍ من أدواتِ الحرب تُرمى عنها السِهام والحجارة يقابلها بالفرنسية لفظة (Pierrier) . ومن معانيها التي استعملت في تلك القرون وبقيت الى يومنا هذا : « نوعٌ من القذائف الناريّة او الحراريق كان يُرمى بها العدوّ وكانت تدور في حركتها قبل وصولها الى مَرْماها وهي التي كانت تُسمَّى يومئذٍ بالفرنسية Roquette, rochette ou raquette, fusée de) guerre, fusée tournante.) فنظنُّ انها بهذا المعنى الاخير قد وردت في كلام ابن صالح

كتب شرقية جديدة

Manuscrits turcs de l'Institut des Langues Orientales. décrits par W. D. Smirnow, professeur de Turc à l'Université de St-Pétersbourg, pp. 216, in-8, Eggers, 1897.

فهرست الكتب التركيَّة الخطيَّة المحفوظة في مكتبة الجمعية الشرقيَّة في بطرسبرغ

قد اهدتنا هذا الكتاب المفيد جمعيّة اللغات الشرقية الروسية وهو المجلّد الثامن من المجموعات التي لا تزال تنشرها منذ سنة ١٨٧٧ . وغاية المؤلف في وضعهِ بيان الكتب الخطِّية التركية الموجودة في مكتبة الجمعيَّة المذكورة وصف منها ثمانية وتسعين كتابًا خطّيًا كُتب ربعها باللغتين الجاغاتيَّة والكشكريَّة . ومواد هذه الكتب في مواضيع شتَّى يغلب عليها التآليف التاريخية والادبية . واقدمها عهدًا لا يرتقي الى ما فوق القرن الخامس عشر وقد نُقل اكثرها من التصانيف العربية والفارسية . الَّا انَّها لا تخلو من عدَّة فوائد لمعرفة آداب اللغة التركية وتواريخ ملوكها . وقد بذل المؤلف في وصفهِ لهذه المخطوطات غاية الجهد لم يدع فائدةً من شأنها ان تبيِّن خواصّها وشفع الكتاب بقائمة اسماء التآليف الموصوفة وبيان اسماء المؤلفين وختمهُ برسوم تمثِّل خمسةً من خطوط الكتب الموما اليها . ولغة الكتاب الفرنسيةُ قدَّمهُ المؤلف لمؤتمر المستشرقين في باريس في السنة المنصرمة   الاب س . رونزفال

La Concélébration Liturgique, *par le R. P. Dom J. Parisot O. S. B.*

تقديس الكهنة معًا

هي مقالة جزيلة الافادة كتبها حضرة الاب باريزو نزيل كلّيتنا في العام الماضي فاهدانا منها نسخة . وغاية هذه الطُرفة المستملَحة ان يبيّن الكاتب الفاضل معنى هذا الطقس وتاريخ هذه العادة الجارية الى عهدنا بين بعض الطوائف الشرقية . فاتى بعدَّة شواهد قد يُستدلُّ بها على قدم هذا الطقس في كلتا الكنيستين الغربية والشرقية . واظهر

انهُ بقي في الغرب الى القرن الرابع عشر . ولم يزل لهُ اثرٌ عند الغربيين الى زماننـا يوم سيامة الاساقفة الجدد ويوم ترقية الشمامسة الى رتبة الكهنوت . امَّا في الشرق فالملكيون والروم واليعاقبة يلازمون بعدُ لهذا الطقس القديم . وقد استثنى منهم سهوًا حضرة الكاتب الموارنة (١٧) لانّنا نراهم الى يومنا يقدّسون معًا على مذبح واحد . فنثني على حضرة الاب باريزو ونتمنى ان مقالتهُ هذه تنشط اكليروس الشرق للبحث في عوائدهم الكنسيَّة ل . ش .

أَسْئِلَة وَأَجْوِبَة


س سألنا بعض فضلاء المنية عن المسافة المقرّرة لبعد الشمس عن الكرة الارضيَّة وقال انهُ وجد اختلافًا بين ما ورد في كتاب مختصر الجغرافية للاب ابوجي اليسوعي (ص ٧) وبين ما ورد في حاشية صفحة ٢٦٦ من المشرق

ج نقول ان مسافة الشمس عن الارض تختلف على اختـلاف فصول السنة لانَّ الشمس اقرب الى الارض في كانون منها في تموز فبعدُها في غرَّة كانون الثاني ١٤٥٧٠٠٠٠٠ كيلومتر بينما تبلغ هذه المسافة في اوّل تموز الى ١٥١٨٠٠٠٠٠ . امَّا الفرق بين ما رواهُ الاب ابوجي وما ذكر في المجلَّة فهو مسبَّب من سوء فهم كلمة « الميل » ولها عدَّة معانٍ توسَّع فيها الكتَّاب . والمراد بها في المجلَّة مسافة نحو اربعة كيلومترات فهي مرادفة للفظة (lieue) لا للفظة (kilomètre) . فاذا رُوعي ذلك لا يكون بين الحسابين فرق يُذكَر

س ومنها ايضًا : سألنا الخواجا واصف قرقار ما السبب لاتّجاه الابرة المغناطيسيّة الى الشمال

ج نقول انّ اوّل من اجاب على هذا السؤال العلاَّمة جِلبرت الطبيب الانكليزي سنة ١٦٠٠ فانّهُ اعتبر الكرة الارضية كمغناطيس عظيم مَوقع قطبَيهِ عند القطبَين الفلكيَّين وجعل خطَّهُ المتوسط المدعو ايضًا خطّ المغناطيس المتساوي مجـاورًا لخطّ الاستواء . وعليهِ فان اخذنا مغناطيسًا ووضعناهُ على محور مع اطلاق الحركة للمغناطيس يتيسَّر لنا ان ندرك كيف مغناطيس الارض يجذب اليهِ هذا المغناطيس الثاني فيتوجّه قطباه الشمالي والجنوبي نحو قطبي الارض . ولما كان عند الطبيعيين كمبداٍ راهن ان قطب المغناطيس الايجابي يجذب اليهِ القطبَ السلبيّ ويجذب السلبيُّ الايجابيَّ ينتج من ذلك انّ قطب المغناطيس الجنوبيّ يتوجَّه الى الشمال وقطبهُ الشماليّ يتوجَّه الى الجنوب . ويمكن اختبار ذلك فعلًا بابرة ممغنطة تدور فوق مغناطيس ثابت فترى القطوب المتباينة تتجاذب والمتلائمة تتنافى غ . زمُّوفن

قائمة للآثار الجوّيّة من ٥ الى ٢٠ نيسان ١٨٩٨



انَّ الخطَّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزفال اليسوعيّ

(وهي نبذة تاريخية اقترحها علينا حضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي)

١

قد وردت في مجلّة الرسائل الكاثوليكية (سنة ١٨٩٤ في ٧ ايلول) طرفة مستملحة للاب جوليان اليسوعي في بعض اخربة جبل لبنان . افتتحها المؤلف الشهير بقوله ان اهل سورية يطلقون اسم جسر زينب على القناة الرومانية التي بقي منها الى اليوم بقايا ضخمة في وادي نهر بيروت . ثم قال « ومن غرائب عادات السوريين انهم اذا فاتهم اصل اثر قديم من المآثر العاديَّة نسبوه الى زينب . اما اذا كان الاثر من الابنية الدينية كالكنائس وغيرها فعزوه الى القديسة هَيلانة امّ الملك قسطنطين الكبير . » والحق يقال ان هاتين الملكتين قد احرزتا لهما صيتاً في بلاد المشرق لاسيَّما سلطانة تدمر التي نحن بصدد ترجمتها . فذكرها طائر في الآفاق . غير ان اخبارها المتداولة بين العامَّة ليست الَّا اقاصيص من حديث خرافة لا تكاد تطابق ما ينبئنا عليها التاريخ الصحيح

وقد اعتنى بجمع تلك الحكايات كوسين دي پرسڤال في كتاب تاريخ عرب الجاهلية (١ فذكر فيهِ كل ما اورده مؤرخو العرب في شأن ملكة تدمر واختلقوهُ في سيرتها من ضروب الخرافات وانواع الترَّهات . وخلاصة قولهم انهُ كان في ايَّام جذيمة الابرش بن مالك اللخمي (واصلهُ من الازد وهو اول من استجمع لهُ الملك بارض العراق من بني نصر) رجل يقال

(١ Caussin de Perceval : *Hist. des Arabes avant l'Islamisme*, II, p. 24 et 190.

لهُ عمرو بن ظرب (ويروى : طرب) وهو من نسل أُذينة بن سميدع من عاملة العماليق . وكان ملكًا على الجزيرة واعمال الفرات ومشارف الشام . وجرى بينهُ وبين جذيمة حروب فانتصر جذيمة عليهِ وقتلهُ وشتَّت شمل قومه وانفلوا . لكنهم لم يلبثوا ان يحشدوا جموعهم وملَّكوا عليهم الزَّباء ابنة عمرو . والزباء على ما يروى لقب تلقَّبت بهِ لطول شعرها (١ . اما اسمها فقد اختلف في اصلهِ كتبة العرب . فمنهم من قال انها سمّيت فارعة (او فارغة) ومنهم من ادَّعى ان اسمها نيلة او نائلة او نائلي (٢ . وذهب بعضهم الى انها تدعى ليلى . وقال آخرون بل كان اسمها ميسون . واذا استنبأتَ الادباء على اصلها ومسقط رأسها قال البعض انها كانت من بلاد الرومان لكنها تعرف العربية . واخبر الميداني في مجمع الامثال انها ولدت في باجرمي . وزعم القزويني وابن قُتيبة انها ابنة ملك العراق وانها تزوجت الملك الذي قتلهُ جذيمة . اما الرأي الاعمّ فهو ان الزباء كانت من نسل اذينة وابوها عمرو كما قيل

وعلى كل حال فقد اجمعوا القول انهُ لم يُرَ في نساء عصرها اجمل منها ولا اقوى حزمًا ولا اكمل عقلًا . قال ابن نباتة انها اعتزلت الرجال فكانت عذراء بتول (٣ وكانت تحبّ الوقائع والحروب وتقود الجيوش كالقائد الشجاع . فلما اجتمع لها امرها واستقرّ لها الملك بذلت كنوزها فجمعت الجموع وقد عزمت على الاخذ بثأر ابيها . الّا انها خافت ان ينتصر عليها الاعداء فلجأت الى الحيلة ونصبت لجذيمة المكايد الى ان دعتهُ الى قصرها . وكان بين اصحاب جذيمة رجل يقال لهُ قصير بن سعد من بني لخم فشاورهُ في الامر فحذَّرهُ قصير وردَّه عنها . فلم يذعن جذيمة لنصيحتهِ واتى الزباء فقبضت عليهِ وامرت برواهشهِ فقُطعت فهلك

وكانت الزباء قد بنت على الفرات حصنين متقابلين وجمعت بينهما بقناة تمرّ تحت النهر

١) قال ابن الكلبيّ : كان لها شعر اذا مشت سحبتهُ وراءها واذا نشرتهُ جلَّلها فسميت الزَّباء والازبّ الكثير الشعر (عن ابن نباتة طبعة بولاق ص ٤٣)

٢) يعلم اصحاب التواريخ القديمة ان هذا الاسم كان اسمًا لاحدى الالاهات التي يعبدها عرب الجاهلية في الكعبة . (راجع Lenormant: *Lettres assyriologiques*, Tome II, 1872.

٣) الزباء هي الملكة التي يضرب بها المثل في العزّ فيقال اعزّ من الزباء . . . . . واسمها ليلى تملكت بعد ابيها لعدم الولد واحسنت السياسة . . . . . وكانت تبغض الرجال . . . . . (راجع شروح مقامات الحريري للرازي وغيره)

ويزعم العرب انها جعلت اختاً لها يدعونها زينب في احد منفذي القناة واتخذت لنفسها المنفذ الآخر. وكانت تسكن في حصنها اكثر زمنها. فاذا جاء الصيف رحلت الى تدمر

وكان عمرو بن عدي خلف جذيمة خاله وقد صمَّم على قتل الزباء. غير انهُ خاف من سطوتها فاستدعى قصيرًا وقال لهُ: «كيف لي بها وهي امنع من عُقاب الجوّ» (فذهب قولهُ مثلًا). قال قصير: أعِنّي وخَلاك ذمّ (فصار مثلًا). ثم جدع انفهُ وأُذَنيه (١ وضرب ظهره فقدم الزباء وشقَّقها على حاله فقال: ان عمرو بن عدي فعل بي ما ترين. فشفقت عليهِ وأنست بهِ حتى اطلعتهُ على سرّها واظهرت لهُ القناة والمنفذين. فلما عرف ذلك رجع سرًّا الى عمرو فاعلمهُ الامر وحرَّضهُ على البطش بالزباء فركب عمرو في النيِّ دارع على الف بعير في الجوالق حتى اذا صاروا الى الزباء تقدَّم قصير يسبق الابل ودخل على الملكة وقد كانت امنتهُ ولم تتَّهمهُ. فادخلت العير في قصرها. فاذا بالرجال خرجوا من الغرائر فثاروا باهل المدينــة واعملوا فيهم السيف. فهربت الزباء ودخلت القناة. فلما وصلت الى المنفذ الثاني استقبلها عمرو بسيفه فقالت: بيدي لا بيد ابن عدي (فأرسلتهُ مثــلًا). ومصّت خاتمها وابتلعت سمًّا كان فيهِ فوقعت على الارض ساهفةً فضربها عمرو وقتلها

تلك هي ايها القارئ اللبيب قصَّة الزباء واختها زينب اختصرتها على غاية الامكان(٢ من تأليف العرب ولكن اين هذه الروايات من الاخبار التاريخية الصحيحة التي تخبرنا بشهرة ملكة تدمر وعظمة تدبيرها وفتوحاتها وحروبها مع الملوك الرومانيين وكسرتها الاخيرة ونَفيها من صحاري وطنها الى رومة ومقامها في مصيف تِيبور وموتها فيهِ الى غير ذلك من تفاصيل حياتها واكثرها اليوم راهن مستفيض

ولقد كنا نظن ان كرور الايام لم يكن ليزيد شيئًا في تلك القصص الملفقة. الّا اننا وقفنا يومًا في هذه المجلة (عدد ٢ ص ٨٣) على قصَّة اخرى. وهي ان السوريين لم يكتفوا بنسبتهم الى زينب القناة القديمة المذكورة آنفًا بل اضافوا الى ذلك حكاية اخرى فقال قوم

---

١) ومن ذلك المثل: لامرٍ ما جدع قصيرٌ انفه

٢) ومن رغب في مطالعة تفصيل هذه الرواية عليهِ بكتاب الاغاني (راجع كتاب رنّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني للاب صالحاني الجزء ٢ ص ٥٤). وقد استخرج العرب من قصَّة الزباء عدة امثال لم نذكر الّا البعض منها خوف الاطالة

منهم ان زُبَيدة زوجة هرون الرشيد هي التي شيَّدتها لاستجلاب مياه نهر بيروت العذبة فاستغربتُ الامر استغرابًا كليًا وفكَّرتُ في نفسي : « اجل ان اهالي سورية يعرفون اخبار ذلك الخليفة المشهور وزوجته المحبوبة لورود ذكرهما مرارًا في كتاب الف ليلة وليلة . على ان نسبة القناة الى زبيدة امر غريب للغاية لان هذا البناء مع استحكام صُنعهِ كان قد مسَّتهُ يد الدهر على عهد الرشيد فثُلَّ قسم كبير منهُ ولم يعُد يجدي نفعًا لاستجلاب المياه . . . ولعلَّ تلك القصَّة من القصص التي ابتكرها الاهلون لقوَّة الخيال عندهم . . . »

فلم ازد التفتيش عن الامر الَّا زاد استغرابي لهُ وبُعْدي عن معرفة علّتهِ . الى ان اطلعني مدير المجلّة على رسالةٍ لحضرة الاب انستاس ماري دي سنت ايلي الكرملي قد سألهُ فيها عن شأن الزباء وابدى لهُ الرجاء ان يبين لقرّائه الكرام الغث من السمين في ترجمة تلك الملكة الشهيرة . فعرض عليَّ حضرة المدير ان اكلّف نفسي بالجواب . فلبَّيتُ الى دعوتهِ وقد اخذتني الرغبة الشديدة في الوقوف على العلاقة التي بين القصتين المومأ اليهما وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه ان شاء الله

٢

قد قدّمنا ان صيت سلطانة تدمر ممتدّ الى الخافقين(١ قال الماركيز دي ڤوكويه (de Vogüé) « لقد فتن ذكر تدمر في كل آونةٍ قلوب الناس . » فكانَ ارضها مورد تسابق اليهِ اصحاب الفنون والمؤرخون والمهندسون والسيَّاح والعلماء ومن كَلِف بالمسكوكات والآثار القديمة . ولكلّ منهم بحث خاصّ يُحيي بهِ ذكر ما اكتسبت تلك المدينة من المجد والقوة في وقتٍ يسيرٍ ويُشعر بهبوطها عن منزلتها الفائقة وذلك ما جعلها عبرةً لامم العالم . ولكن مع كل ما بذل علماء القرون السالفة من السعي والجهد في ايضاح تاريخ تدمر وتصحيحهِ فانهم لم يظفروا من المرغوب الّا بالقليل النزر . امّا عصرنا هذا فقد ظهر فيهِ منذ خمسين سنة عدَّة مستشرقين واصحاب عاديات يتقدمهم العلامتان دي ڤوكويه

١) يعلم قراؤنا الكرام ان تاريخ زينب قد اختاره الاوربيُّون لا سيما الفرنسيُّون موضوعًا للتاثيل والروايات المختلفة . غير ان ذكر هذه التصانيف برح عن بال الادباء اللهمَّ الَّا ذكر رواية قدمها الاب دوبيناك (abbé d'Aubignac) الى الشاعر كورنيل العظيم . ولا يجهل ايضًا القراء ان لابروبار (La Bruyère) الكاتب الشهير قد خصَّص لوصف زينب ومجدها وانكسارها مقالة حسنة يعتبرها ذوو الذوق السليم من ابلغ مقالات عصره

ووادنكتون (Waddington) . وهما اللذان افتتحا الدروس التدمرية واتحفا العلم بما اكتشفا من الآثار العديدة في حاضرة مملكة زينب وقرأا من الخطوط المحفورة على مقابرها واعمدة هياكلها وقواعد دُماها . ثم تبعهما الاسياد مورتمان (Mordtmann) ودِسو (Dessau) وأوتنك (Euting) ولينورمان (Lenormant) وساخو (Sachau) ودي سوسي (de Saulcy) وكلرمون غانو (Clermont. Ganneau) وشرودر (Schröder) وغيرهم ممن يطول بنا ايراد اسمائهم . فلم تمرّ سنة الّا اتسع نطاق تاريخ تدمر فازداد بيانًا ويقينًا باكتشافات جديدة

ولعلّ سائلًا يقول : فماذا تنبئنا التواريخ والرسوم القديمة من امر زينب وما هو نسبها وما هي الانحاء التي تولت تلك الملكة تدبيرها والبلاد التي باشرت فتحها . ولاي سبب كُسفت تلك الشمس البهية فحجب نورَها الساطع بعضُ ملوك رومة المظفرين

أُجيب ان ترجمة زينب على ما مرّ لا يمكن اقتباسها من اخبار العرب وحدهم . وهنا يحسن بنا ذكر ما قالهُ ابن خلدون في مقدمته : « ان الذين ذهبوا بفضل الشهرة والامامة المعتبرة في التاريخ هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الانامل . » فهذا القول اصحّ في تاريخ زينب منهُ في بقية الاخبار . وهذا ابن خلدون الذي نطق بذلك المقال قد نقل في شأن الزَّباء كل ما سبق اليهِ مؤرخو العرب كما رواهُ ايضًا قبلَهُ الطبريّ وهو من جملة المبرزين المعدودين في الانامل الخمس (١

فان كان المؤرخون الشرقيون لا يُرجع الى قولهم في اخبار زينب فاي منهل يا تُرى يجب ان نرده . اقول : اوّلًا ان الكتبة الذين يجب الاستناد اليهم هم المؤلفون القدماء من الرومان واليونان . نخص منهم بالذكر ڤوپيسكوس (Vopiscus) وتربيليوس پوليو (Trebellius Pollio)

ولهما تاريخ في القياصرة . ثم زوزيموس (Zozime) الكاتب اليوناني الذي وضع كتابًا محكم الاجزاء اودعهُ تفاصيل اخبار زينب . وقد جاءت الاكتشافات الحديثة مؤيدةً لمعظم ما اثبتهُ في صددها . ثم المؤرخ زوناراس (Zonaras) وغيرهم ممن سنأتي

(١ راجع Nöldeke : *Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sassa-niden.*, 1879, p. XVII. وقد لاحظ المؤلف مثل هذا المعنى في كتابهِ *Uber die Amalekiter,* p. 34.

بذكرهم في معرض كلامنا. وعلى هؤلاء المؤرخين قد اعتمد كلٌّ من كتب قبل زماننا عن ملكة تدمر (١

ثانيًا ومن المصادر الثابتة التي تؤثر على ما سواها من هذا القبيل الكتابات المكتشفة منذ خمسين سنة كما تقدَّم (٢ . وكان اول من سبق الى نسخها العلاَّمة دي ڤوكويه في مجموع الكتابات السامية (٣

هذا وانَّ التصانيف التي أَتت بوصف تدمر واحوالها وذكر أُمرائها لا يحيط بها احصاء. ولا يكاد يخلو كاتب ممَّن بحثوا عن تاريخ القياصرة والرومان الَّا وتعرَّض للكلام عن زينب وعاصمتها فمنهم من اسهب ومنهم من اقتصر وربَّما ذكروا امرًا خاصًّا من امور المدينة كبناياتها وتجارتها: بيد انَّ الكتب الجامعة المشتملة على تفاصيل اخبار البلدة مفردةٌ قليلةٌ جدًّا. ومنها ما لم نتمكَّن من الحصول عليهِ ففاتتنا لذلك فوائدهُ (٤

ولا بأس من ذلك فانَّ الاب مرتين اليسوعي الطيّب الذكر قد اغنانا عن مطالعة كثير من التآليف بما اردعهُ لنا من اخبار زينب في تاريخ لبنان الذي عُرِّب منهُ قسمٌ ملخَّصًا بقلم المعلّم رشيد افندي الشرتوني. فانَّ المؤلف رحمهُ الله كتب في ملكة تدمر نبذة حسنة دوَّن فيها ما امكنهُ من الفوائد المستخلصة من الكتابات التدمريّة. ومن ثمَّ فلم يبقَ لنا الَّا ان نقتفي آثارهُ وننظّم ما اتى بهِ من التفاصيل الخطيرة مع إضافة بعض تعليقات وافادات عن جُلّ ما اكتُشف منذ وفاتهِ الى يومنا هذا (٥ . ولم نألُ جهدًا كي تكون هذه المقالة

١) ومن جملتهم جمعيَّة من علماء الانكليز الذين وضعوا تاريخًا عامًّا حسنًا يشتمل على عدَّة مجلدات ضخمة طُبع سنة ١٧٤٠

٢) راجع ما قالهُ في خطارة هذه الكتابات العلاَّمة نولديك في المجلَّة الشرقية الالمانية (Z. D. M. G. 1885, p. 338)

٣) عنوان الكتاب Syrie Centrale, Inscriptions Sémitiques, 1868 اشرتُ اليهِ باوَّل حرف اسم موٴلفهِ (V) وكذلك ساشير بحرف (W) الى تأليف السيّد وادنكتون في الكتابات اليونانيَّة واللاتينيَّة في بلاد الشام (Inscriptions grecques et latines de la Syrie, 1870) وامَّا المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة Journal Asiatique, فالدلالة عليها بحرفي J. A.

٤) وكنَّا نودّ لو اطَّلعنا على تأليفين حسنين في هذه المادة استشهد بهما الكتَّاب احدهما بالالمانيَّة Sallet : *Die Palmyrenische Fürsten*, 1866 والآخر بالفرنسيَّة : L. Double *Les Césars de Palmyre* 1877

٥) ونشكر الابوين هنري لامنس ولويس شيخو لعدَّة إفادات تكرَّما علينا بها لتحسين شغلنا

مطابقةً لأُصول التاريخ الصحيح ولذلك اشرنا في ذيل الصفحات الى التآليف التي اخذنا عنها في اثناء كلامنا

ومع ما في هذه النبذة من القصور فأملنا وطيد انها ستكون كافيةً لان تُطلع قرّاءنا على اهمّ اخبار تلك الملكة التي اذعنت مدّةً بلادُنا لسلطانهـا فرُزقت بحُسن تدبيرها خيراتٍ عميمة .

وما لا يسعنا السكوت عنهُ في هذا المقام هو رغبتنا الشديدة في ان يُقبـل ادباء الشرق على تلك الدروس التاريخية التي سبقهم اليها علماء الفرنج فصرفوا بسخاء في مزاولتها ما لديهم من الوسائل الادبية والمادّية فيجري وطنيّونا على مثالهم لئلاً يقال ان الغريب ادرى بما في البيت من اهلهِ(١

٣

ان اسم صاحبة ترجمتنا في اللغة الآرامية בתזבינה (بَتْ زبِينه) معناه فيهـا ابنة التاجر وعلى هذه الصورة ورد في الكتابات التدمريّة . وقد اضافت اليهِ اسماً آخر رومانياً جرياً على عادة الشرقيين الذين كانوا في عصرها تحت حكم الدولة الرومانية فتسمّت بسپتيميا (Septimia) واكثر دلالة مثـلِ هذه الالقاب على عائلة المتكنّي بها(٢ . امّا اسم زينب (Zénobie) فهو على ما ارتأى وادِنْكتون(٣ صورة اسم يوناني قد اعتاد الشرقيون في تدمر وانحاء سوريّة ان يزيدوهُ على اسمائهم الساميّة ولعلّهُ يوجد في اسمهـا إلمام باسم ابيها زِينوبيوس (Zénobius)(٤ . وكان هذا من اعيان تدمر متقلّداً فيها رُتبة قائد جيش سنة ٢٢٩ للمسيح لمّا اجتاز في تدمر الملك اسكندر ساويروس عند سيرهِ الى محاربة الفرس . ثمّ رُقّي بعدئذٍ الى مقام الأغورانوم (ἀγορανόμος) اي مُناظر التجارة

(ستأتي البقيّة)

١) راجع المشرق ص ٣٠ . راجع ايضاً (في العدد ٦) مقالة مفيدةً للاب لامنس عنوانها « هيّا على درس تاريخنا » اودعها صاحبها نصائح جديرة بالاعتبار نودّ ان تخرج الى حيّز الفعل

٢) والرومان يدعون هذا الاسم الزائد gentilicium

٣) W. Nos 2598 et 2611

٤) وممّا يؤيد صحّة هذا الرأي انّ اسم زينوبيوس كثر ورودهُ في التواريخ الشرقيّة الدينيّـة والدنيويّة معاً فتراهُ تارةً على صورة « زبينوس » واخرى على صورة ܙܒܝܢܐ (زبينا) وقد تسمى بها بعض بطاركة واعيان الكنيسة الانطاكيّة (راجع لوكيان المشرق المسيحي الجزء الثاني ص ٧٠٤ والمكتبة الشرقيّة للسمعاني الجزء الاوّل ص ١٥)

نظر في بعض المعرَّبات

للابوين انستاس الكرملي البغدادي ولامنس اليسوعيّ

قد اتانا بهذا العنوان رسالة لحضرة الاب الفاضل انستاس الكرمليّ الذي يعرفهُ قرّاؤنا الكرام بكتاباتهِ المفيدة ودقَّة نظرهِ في المباحث افتتحها بما لفظهُ :

« في هذه الايام احتجت الى طلب معاني بعض الفاظٍ عربية بمعانيها المدققة واول كتابٍ وقع بيدي كتاب الفُرُوق للأب هنري لامنس اليسوعي واول كلمةٍ طلبتُها فيهِ كانت « الإسْفنط » فتعجبت من ان المؤلف لم يذكر انها اعجمية بل وتعجّبت اكثر من ذلك حينما رأيتُ بانهُ ذكر لفظة خندريس كلمةً يونانية بمعنى البُرّ او الحنطة وتكلَّف تكلُّفًا بيّنًا في ذكر كيفيّة بلوغ العرب الى هذا المعنى . فحداني هذا الى أن انظر الى فهرس الكتاب واراجع ذكر بعض الألفاظ المعرّبة مع اعجميَّاتها فوقفت على بعضٍ منها استغربتُها بعض الاستغراب وانا اذكر شيئًا منها هنا على وجه الشكّ لا على وجه اليقين لعلَّ بذلك شفاء العلَّة وارواء الغلَّة فاقول : »

١ُ « ذكر الثعالبي في فصل : ممَّا نَسَبَهُ بعض الائمة الى اللغة الرومية : « الخَنْدِيقُون والرَسَاطون والإسفنط اشربةٌ على صفاتٍ »اه . وعليهِ فالاسفنط اظنها معربة عن اسفنديوس ἀσπένδιος (aspendios *vitis*) وهو ضربٌ من الكرم لا يحلّ تقديم خميرها قرابين عند الوثنيين . ولا يخفى على العاقل بان تسمية الخمر باسم الكرم ممَّا هو مألوف قياسيّ لا يحتاج الى اثباتهِ . امَّا الرساطون فقد ذكر المؤلف اعجميّتها صحيحًا

(نقول) اننا في واقع الامر لم نذكر في كتابنا « الفروق » اصل كلمة الاسفنط وغيرها من الالفاظ وذلك لانّ غايتنا الاولى في هذا التأليف انَّما كانت بيان معاني الالفاظ المترادفة وان كنَّا استطردنا الى ذكرِ اصول بعضها . هذا واننا نوافق حضرة الاب انستاس في اشتقاق الاسفنط من اليونانية لكننا نختلف في اللفظة المأخوذة عنها . فانَّ مكاتبنا الفاضل يرى ان اصل الاسفنط ἀσπένδιος الَّا انّ هذه الكلمة قليلة الاستعمال من الالفاظ الشعريّة « ومن شروط الاخذ كما قال حضرة الاب انستاس في معرض كتابهِ ان تكون الكلمة شائعةً بين اصحابها » متداولةً بين القوم فينقلها الاجنبيّ الى لغتهِ لكثرة انتشارها . وانّني افضّل على الاصل السابق لفظة ἀψίνθιον التي يوافق معناها اكثر موافقة لمعنى الاسفنط الذي شرحهُ ابن السكيت في تهذيب الالفاظ بعصير العِنَب . ونعتهُ ابو سعيد بأعلى الخمر

واصفاهُ . وان قال قائل ان تعريب ἀψίνθιον هو إِفسِنط ليس إِسفِنْطًا . اجبنا انَّ نقل الحروف في الالفـاظ المشتقَّة كثير في كل اللغات فليس في ذلك كبير امر (١ . وقد آثر الاب لويس شيخو لهذه اللفظة اصلًا آخر عرضهُ في شروحهِ على كتاب تهـذيب الالفاظ (ص ٧٦٢) وهو كلمة σπονδή . فالاشتقاق حسن لكنّ معنى σπονδή الشائع وهو تقدمة الخمر لم يُرد بهِ الخمر الّا توسّعًا

ثمَّ اردف حضرة الاب انستاس قولهُ شارحًا لاصل « الخَنْديقون » :

« والخَنديقون معرّب خليدونيوم الروميَّة Χελιδόνιον (Chelidonium *vinum*) ومعناهُ الخمر المطيَّبة بحشيشة الخطاطيف . وهذا التصرُّف بالأَعجميَّات عنـد العرب من ايقاع القَطْع فيهِ والحذف والزيادة والنقصان والتحويل والتبـديل والنقل والقلب وكل ذلك اعتباطًا كثير عندهم يُعَدُّ بالمئات اجتزئ من ايراد شواهد لاثبات مقالي بهذا الخصوص بشاهدين لا اكثر خوفًا من ايراث الملل : الاوَّل معرَّب كلمة τρωγλοδύτης troglo-dytes فقـالوا فيهِ طروغلوذيتس . وقال الرازي وابن البيطار طرغلوذيس . وقال الرازي في الحاوي : انهُ يسمَّى بالافرنجية صغراغون (بغينٍ بعد الصاد وليس لهذه اللفظة وجود في لغةٍ من لغات الافرنج) . ثم قال ابن البيطار : « ديسقوريدوس في الثانيـة هو نوع من الطير يُسمَّى بالافرنجية صفراغون الخ » (بفاء بعد الصاد وليس لها وجود كالاولى) . وذكر الدميريّ هذا الطير باسم طرغلودس وقال : ان اهل الاندلس يُسمُّونهُ الصُّرَيس . وذكرهُ صاحب محيط المحيط نقلًا عن لغويّي العَرَب باسم طرعلودس (بعين مهملة) وطرعلوس (بحذف الدال والذال قبل السين) وطرغلودس . ولم أرَ ذكرًا لهذا الطائر في كُتُب متن اللغة التي بيدي من مثل القاموس وتاج العروس والاوقيانوس ولسان العرب . فانظر ايها القارئ حفظك الله كيف ان اللفظة الواحدة مُسِخَت بهذه الأَطوار الغريبة ومن بعد ان كانت طروغلوذيتس اصبحت بأَلسُن العامّة صُرَيسًا

« والشاهد الثاني طَرَسْتُوج . وهي كلمة فارسيَّة لنوعٍ من السمك يكثر في بحر فارس واسمهُ بلسان العلم طريغلا (Trigla) فذكرها صحيحًا ابن البيطار وقال « يقال سرستوج

١) راجع ما كتبهُ في اشتقاق هذه الكلمة المعلّم فرنكل في كتابهِ الموسوم Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen في الصفحة ١٦٢ و ١١٥ . هذا ولا اجهل ما في قولهِ من المشاكل التي لم تُحلّ بَعد

وهو حوت بحري يُسمَّى باليونانية طريفلا (بفـاء كذا والاصح انها بالغين كما مرَّ بك) وبعجمية الاندلس الملّ» اه (والملّ لا وجود لها بعجمية الاندلس اي اللغة الاسبانيولية) ومكتوب في الهامش: «وبهامش الاصل بدَل سرستوج ترستوج. اه. وذكر الدميريّ هذا السمك باسم الطرسوح. فتأمَّل وتجلَّد ان الله مع الصابرين»

نقول انَّ في هذه الملاحظات فوائد بيد انّ شرح الاب انستاس في اصل الخَيدِيقون لا يقنعنا لما يقتضيهِ من ابدال حرف اللام اليونانية (λ) بالدال العربية وذلك امرٌ يَنفيهِ السَّمْع. وعلى ظنّنا انّ الخيديقون والقِنْديد اشتُقَّا من اصل واحد. وعلى رأي الاصمعيّ انّ القنديد مثل الاسفنط اي عصير العِنَب يُطبَخ ويُطَيَّب بالأفاويه. فمن هذا يظهر انّ اصل الكلمة من اللاتينية (conditum *vinum*) وهو الخمر المطيَّبة (١ فدخلت اللفظة بين العرب لمجاورتهم الروم. واذا سأَل سائل كيف اشتقَّت خَيديقون من قِنديد أجبنا ان ذلك بواسطة اللغـة السريانية ܩܘܢܕܝܩܘܢ وهي بدل ܩܘܢܕܝܛܘܢ ومثلُهُ في العبرانية الآرامية קונדיטון (قونديتون) كما لاحظ ذلك الاب برون في معجمهِ السرياني اللاتيني (ص ٥٨١). وصحَّف العرب «قونديقون» فصارت خيديقون

ومن غريب الامور انّ الالفاظ الثلاثة «الاسفنط والقنـديد والرساطون» جاءَت متتابعة في بعض كتابات الملك ديوكليسان كما ترى: «17 conditum, 18 apsinthi, 18 rosathi» وهذا ممَّا يؤيد شرحنا السابق لاصل كلمة «الإسفِنْط»

ثم زاد مُراسلنا اللغوي ما يلي وقولهُ جديرٌ بالثناء:

٢ً «اما الخندريس فقد ذكر الاب لامنس ان اعجميتها «χόνδρος» اي حبَّة حنطة وعلى ظني ان العرب جهلوا معناهُ او غيَّروهُ بعض التغيير كما ترى فبقي منهُ اثر في حنطـة خندريس وقيل انهُ فارسي. والله اعلم.» انتهى كلام المؤلف. امَّا انا فاظنّ انهُ معرّب عن اليونانية κανθαρίτης οἶνος او الرومية (cantharites vinum) وهي على ما ذكرها بلينيوس: خمرة كريمة كان يؤتى بهـا الى بلادهم من بلادٍ وراء البحر المتوسط. امَّا قولهم حنطة خندريس بمعنى قديمة فهي مأخوذة من κανθαρίς او cantharis, نوعٌ من السوس

١) راجع كتاب الفروق عدد ١٠٥٦ – وللاب لويس شيخو في شرحهِ على ابن السكّيت (ص ٧٦١) رأي آخر في اصل القنديد قال: والقِنْدِيد اصلهُ عسل قَصَب السُّكَّر مثل القَنْد فاستُعير للخمر

يقع في الحنطة كما تقول حنطة مسوَّسة اي قديمة . امَّا اللفظ الذي اخذهُ العرب عن الروم بمعنى الحنطة بل قل الاصحّ الشعير الروميّ فهو خندريس كما ذكر المؤلف لا خندريس»

(نقول) انَّنا كنّا ارتأينا سابقًا انّ اصل الخندريس χόνδρος مستندين الى فرنكل احد اللغويين المشتهرين(١ . لكنَّنا نظنّ ان شرح الاب انستاس اقرب الى الصواب . نعم ان حرف χ يعرَّب عادةً بحرف الخاء ولكن ربَّما عُرّب ايضًا بالكاف نحو كِلْس من χάλξ وكِيلوس من χυλός وكيموس من χυμός وكورة من χώρα الخ

ثمّ قال الاب انستــاس في ايراد اصل لفظة أَذْرِيطوس او بالحري أَذْروطس :

٣ً «وذكر معرّب اذريطوس ἱδρωτας ولم نجدهُ في المعجمات التي بيـدنا بل وجدنا ἱδρωτήριον بمعنى معرّق»

(نقول) ان تعريب ἱδρωτήριον هو أَذْرُطير لا أَذْروطس . امَّا ἱδρωτας فاصلح . وهو مفعول الجمع (accusatif) من المفرد ἱδρως,ῶτος معناهُ العَرَق . وربَّما استعمل اليونان المحدثون لفظ المفعول بهِ بدلًا عن الفاعل . فبقي اثر ذلك في ختام الكلمة بالعربية (وس) فلولا التسليم بقولنا لما بان معنى هذا الختام

وقال حضرتهُ : ٤ً «والمؤلف لم يوافق الجواليقي في ان عمروسًا معرّب عن الرومية بل وأرى من المستحسن ان يُتَّبع في رأيهِ اذ هو معرّب عن ἀμνός امنوس او عمنوس لان ابدال الهمزة بالعين كثير في العربية وبالاخص في المعربات اذ يقولون عوليس في أُوليس وعربونًا في اربون ونحو ذلك كثير عندهم . وابدال النون بالراء كثير ايضًا في العربية كما ذكر المؤلف نفسهُ في كتاب الالفاظ الافرنجية المأخوذة عن العرب في الصفحة XVIII اذ ذكر طنطورًا وطرطورًا واركيلة وانكيرة . اما إِمَّر فهو عمروس بحذف علامة الاعراب الاعجمية وهي (وس) وارجاع العين الى اصلها المهموز . امَّا اذا كانت هاتان اللفظتان موجودتين عند السريان فمأخوذتان عن العرب او عن اليونان انفسهم بالطريقة التي ذكرناها اذ ليس في اللغات السامية شيء في اصول اللفظة يؤيّد معنى الكلمة هذا»

(نقول) انّنا اذا اعتبرنا قلب الحروف في هذا الاشتقــاق لا مانع ان نقول انّ «عمروسًا» من اليونانية ἀμνός . ولكن ليس هذا بكافٍ . فانّ اللغوي اذا اراد بيان اصل

١) راجع الكتاب السابق ذكرهُ ص ١٦٣

كلمات اعجمية فضلًا عن شرح إمكان التعريب ببدل الحروف يقتضيهِ ايضاً عدّة علوم كمعرفة تاريخ الشعب الذي دخلت عندهُ هذه الالفاظ وما دار بينهُ وبين مجاوريهِ من العلائق فانَّ ذلك كثيرًا ما يكشف القناع عن الالفاظ المعرّبة واصلها

فمن ثمَّ ترى كثيرًا من الالفاظ المعرّبة الدالّة على الطبّ والنبات والمعادن والمتاجرات والصنائع لا يمكن فهمها ومعرفة اصلها تامًّا سوى بالاطّلاع على تاريخ الشعوب الذين امتزج بهم العرب فاخذوا عنهم نصيباً من فنونهم كاليونان والفرس. ولكن ليس الامر كذلك في الالفاظ الدالّة على ما أَلِفهُ العرب فلا حاجة للالتجاء الى اليونان. فان مثل هذه المفردات الاصحّ ان يُطلب اصلها في اللغة العربية او في احدى اللغات الساميَّة اخواتها. فالعُمْروس مثلًا الخَرُوف ولا يجهل احد انَّ المواشي وما يختصّ بها عريقة في القِدَم بين العرب. فالاولى اذًا شرحها بلفظة مناسبة في اللغات المجاورة اذ لا يمكن ردّها الى اصل عربيّ.. ونجد في السريانية أمْرَا (ܐܡܪܐ) بمعنى الحَمَل بتغيير الهمزة عيناً وكلاهما من حروف الحلق. والدليل على ذلك انّ ܐܡܪܐ بالسريانية و אמר بالعبرانية معناهما واحد يراد بهما الصوف. وامَّا آخر لفظة العُمْروس فهو ايضاً من السريانية فان السريان يبنون تصغير الكلمة بابدال ألف الاطلاق بحرفيْ (ܘܣܐ) فنقول من ܐܡܪܐ ܐܡܪܘܣܐ اي حرف صغير

ولعلَّ الجواليقي باشتقاقهِ لفظة عُمْروس من اليونانية خُدع بختامها المشابه لاواخر الالفاظ اليونانية

وقال الاب انستاس وفي اشتقاقهِ للفظة البَلَم ما لم يكن الجزم بصحّتهِ:

٥ً «في العدد ٥٣٤ من كتابهِ: البَلَم صغار السمك واحدتها بَلَمة. وذكر في الحاشية: «ومن جهة اصلهِ فانهُ قريب πηλαμύς وهو سمك يُعرف بالتُّن ليس بصغير (thon). وفي قاموسٍ انهُ سمك الكراكي (brochet) وهذا سمك طولهُ بين مترٍ ونصف مترٍ» انتهى. اقول: اذا كانت كلمة بلم قريبة لفظاً من πηλαμύς فهي بعيدة عنهُ معنى بُعدَ الثرى من الثريَّا واظنُّها معربة βέλενος وهو بمعناها»

وقال ايضاً: ٦ً «وذكر بندًا معرّبًا فارسيًا. اقول ويقرب من Band الالمانية زنةً ومعنًى»

(اقول) قد اشتقَّ حضرة الاب انستاس لفظة «بَنَد» من اللغة الالمانية «Band» لكنَّني افضّل الاصل الفارسيّ للسبب المذكور آنفاً. لانَّ العرب عاشوا بجوار الفرس زمناً

طويلًا قبل ظهور الالمان. واللفظة قديمة وردت في شعر الجاهلية. وجاء في تاريخ المؤرخ اليوناني مالالا عن بعض قوّاد الفرس ما نصّهُ ἔχων βανδόν βασιλικόν

ثم قال: ٧ᵒ «وكذلك دِرفس تقرب من drappus بمعنى الجوخ وملاءة الفراش»

(نقول) في هذا الاشتقاق انهُ صحيح اذا لُوحظ مخرجُ الحروف ونقلُها الى العربية. ولكن هذا لا يكفي كما قلنا سابقًا بل ينبغي لبيان صحّتهِ ان يبيّن الكاتب الاديب ان لفظة drappus يُراد بها العَلَم عند الرومان وعلى اي طريقة اتخذها العرب منهم. وفي كلا الامرين نظر

وقال ايضًا ٨ᵒ : «ولم يتعرَّض لذكر كثيرٍ من الالفاظ الاعجمية الغير اليونانية او الغير الرومية من مثل بلخش فهي مقطوعة ومصحَّفة عن بذخشان حيث يكثر هذا الحجر في هذه البلاد الفارسية. وتُبّان فارسية وجمست كذلك. والدَوْشق بمعنى الجَوْسَق معرب كُوسك الفارسية. ومن الفاظ هذه اللغة ايضًا التي لم يتعرَّض لذكر اصلها: السراويل والاترجّ و ... وهما بل ولم يتعرَّض لذكر كثيرٍ من الالفاظ الاعجمية اليونانية او الرومية نفسها من مثل جُند باختلاف معانيها من: جمعٍ مُعَدٍّ للحرب وعسكر واعوان ومدينة وصنف من الخلق فهي معربة كلمة: gens, tis بهذه المعاني كلها»

قد تعجَّب حضرة المراسل الفاضل اني لم اذكر في الفروق الفاظًا كثيرة يونانية او لاتينية الاصل كجُند مثلًا فان اصلها على رأيه من اللاتينية gens, gentis. (فاقول) انَّ كتاب الفروق ليس هو كتابًا شاملًا لاصول كل المفردات العربية كما هو ظاهر. وبخصوص لفظة جُند الأنسب اشتقاقها من السريانية ܓܕܘܕܐ معناها الجمع والجيش بسقوط النون الاصلية وتشديد الدال. وهو الرأي الشائع بين العلماء اللغويين كنُولديك وغيره

ودونك قول الاب المحترم انستاس في اصول الفاظ اُخر. واننا نستحسن قولهُ اللهمَّ الّا ما ذكرهُ عن اللفظة الاولى «زون» فنشكُّ في اصلها المزعوم:

«وزُون بمعنى صنم معرَّب σῶμα بمعنى جسدٍ او انسانٍ او شخصٍ وبعض الاحيان بمعنى جُثةٌ ونقلها الى معنى الصنم واضح. وسَلجَم فاظنها معربة عن salgama الرومية وهو كل ما رُبِّي من الاثمار والفواكه بالملح والماء. وعندنا في بغداد ان ما يُربَّى هذه التربية هو السَّلجم. والبعض يقول عندنا شَلغَمًا وشَلجمًا بمعنى اللفت navet لا بمعنى الفجل اللِفتي الذي يُسمّيهِ البعض عندنا بالفجل الشاميّ rave او الفجل الطويل كما توهّمهُ المؤلف. فان السلجم واللفت

شيء واحد. وقد سمَّى ابن البيطار الفجل الشاميَّ كما نسمّيه نحن وزاد على ذلك اسمًا آخر وهو الفجل المُرَوَّس بمعنى المرؤوس. امَّا كيف نُقل الوصف الى الاسمية فهذا كثير الاشباه عند العرب و بالاخص اسماء الاثمار فالفندق من nux pontica والمقدونس من le persil de Macédoine (Macedonius) والفِرْسق من (malum *persicum*) والفُسْتُق من pistacium ونحو ذلك ممَّا يُعدّ بالمئات وممَّا هو مذكور في كتب علم النبات »

وفي ما كتب الاب انستاس بعدئذٍ فوائد ننقلها هنا بالحرف:

٩ً « ان المؤلف عند ذكرهِ الالفاظ الافرنجية لبعض اسماء الحجارة الكريمة العربية اورد لها ألفاظًا غير المعهودة عندنا واظنّها صحيحة لاني قد تحققت اكثر من مرة بل وثبتَ لديَّ ان اهل بغداد كثيرو الالفاظ الاصطلاحية وهي الفاظ اخذت من ايام الخلفاء وحافظوا عليها. وسوف آتي على ذكر كثيرٍ منها في أعداد المشرق لَحسْر اللثام عن وجه كثير من المبهمات العربية المذكورة في كتب متن اللغة بلفظة جنسيَّة عمومية لا يُمكن الوقوف على مدلولها كقولهم طائر ودويّبة وسمكة ونبات وحيوان ودواء ونحو ذلك ممَّا يبعث النفس الى السآمة والضجر. امَّا ألفاظ الحجارة فقد قابلتها بما كتب الافرنج في هذا الصدد فكانت صحيحة. منها ان صاحب الفروق ذكر لاسم الياقوت corindon, saphir والاحسن ان يفرق بين الالفاظ باوصافها لان الياقوت هو hyacinthe وهو الياقوت البرتقاني عندنا. امَّا مطلقًا فهو corindon والياقوت الازرق saphir والياقوت الاحمر rubis والاصفر topaze والياقوت الاخضر corindon vert او émeraude orien-tale. وقد جاء الياقوت بالعربية بمعنى الحجر الكريم مطلقًا والعقيق هو agate. امَّا amé-thyste فهي الجمست او الجمشت او المعشوق او الاسمانجوني. واا cornaline هو اليَنَع »

ثم بعد هذه النبذة الحسنة في تعريف اصول الحجارة الكريمة اردف حضرة الاب انستاس قولهُ مواصلًا لملاحظاتهِ اللغويّة:

١٠ً « وقال: ان قنداقًا بمعنى كتاب التقديس وقطعة من الصلوة منظومة مشتقة من κοντάκιον. وهو بعيد عن المعنى واني ارى بانهُ مشتق من canticum »

(نقول) ان الالفاظ المعرّبة المأخوذة من اللاتينية بدون لغة اخرى متوسطة لنادرة

جدًّا والغالب فيها وصولها الى العرب على يد السريان . فانّ القنداق مثلًا الذي زعم حضرة المراسل الفاضل انّهُ من اللاتينية أُخذ من السريانية ܩܘܢܛܩܝܢ التي نُقلت من اليونانيـة Κοντάκιον (راجع المعجم السريانيّ اللاتيني للاب برون ص ٥٨١) . هذا وقد وردت اللفظة اليونانية على صورة Κονδάκιον بالدال (١ . وربّما وجدت في الالفاظ المعرّبة عن اللاتينية اليونانية بدل التاء دالًا مثل مِنْدِيل من mantile بُنْدُق pontica الخ . وكذا في السريانية نحو ܣܡܘܢܐ من δάκινθος

وقد نوافق مكاتبنا المحترم بقولهِ : ١١ً « ولفظة قسيس ليست يونانية الاصل من πρεσβύτερος لكنها من كلمة سريانية ܩܫܝܫܐ معناها الشيخ

ثم قال حضرتهُ : ١٢ً « وذكر ان القُسطناس يوناني معرّب κόστον وبالرومية costum فلم نجد هاتين الكلمتين في المعاجم التي بيدنا وعلى كلٍّ فإن وُجدتْ في هوراس الشاعر اللاتيني فلا اظنّ ان العرب اخذوا كلمةً لم تكن معروفةً الَّا من هوراس او من نفرٍ من الروم . فانَّ من شرط الاخذ شيوع الكلمة بين اصحابهـا على الاقلّ لكننا وجدنا κοντός و contus بمعنى العصا الطويلة والمرديّ . فهل بين اللفظين تقارب ذلك نُحكِم بهِ المتولّعين بهذا الفن من علم اللغة »

(نقول) انّ لفظة κόστον ليست من المفردات الغريبة كما ظنّ حضرة مكاتبنا اذ رُويت في المعجمات التي يتداولها تلامـذة المدارس . ولا نجهل انّ في تعيين هذا الاصل لُشكِلًا اذا لا يُبيّن ختام اللفظة العربية بحرفيْ (اس) . اما الكلمة التي فضّلها الاب انستاس فانّنا لا نرى بين معناها ومعنى اللفظ العربيّ موافقة كافيةً

وقال حفظهُ الله : ١٣ً « ولم يذكر انَّ القميص معرّب camisia وهي رومية مولَّدة . ولا القنطرة التي هي معرَّبة عن cantherius او canterius وهي العارضة او القانصة وسبب التسمية ظاهر »

(نقول) انَّنا نسلّم باصل القميص . وقد اجاد ايضًا الكاتب المدقّق بتعيين اصل القنطرة وكان كثيرٌ من العلماء سعوا في تبيان اصلها مع علمهم انَّ اصلها من الرومية

---

١) راجع فرنكل Aram. Fremdwörer, p. 285 – راجع ايضًا كتاب Clugnet : *Dictionniare des noms liturgiques de l'Eglise grecque., p: 86*

اللاتينية فلم يهتدوا الى ذلك تماماً (١ . ولفظة cantherius او canterius تطابق معنى القنطرة يراد بها في الهندسة الخشبية المنحدرة من سقف البيت الى اصل العقد

وقال حضرة الكاتب الاديب في شرح اصلَيْ شُرَط وكردوسة:

١٤ً « وقال ان الكردوسة معرّبة عن cohors . ومن المحتمل ان يكون الشُرَط معربة عنها ايضاً . وفي كل ذلك تمحُّل ظاهر . أفلا يمكن ان يُقال ان الكردوسة منحوتة من الكرّ والدوس . والشُرَط من انّهم اشترطوا على انفسهم اقتحـام الموت . واستعمال النحت والاطلاق معروفان عند العرب »

(نقول) ان الالفاظ العربية المنحوتة من كلمتين عربيتين من النوادر وما ذُكر منها كالمَاوَرْد والماكافور (ورد في كتاب ابن خرداذبه) يُعدّ من الشواذ لا يجوز الالتجاء اليها لشرح اصل الالفاظ الّا اذا بان الامر بياناً جليًا . امّا اشتقـاق « الشُرَط » من الاشتراط فكان سبق اليهِ ابن دريد في كتاب الاشتقاق . ووافقهُ عليهِ غيرهُ بعدهُ . لكنّنا نرى ان الركون الى الاصول العربية في مثل هذه الالفاظ عبثٌ . وللقدماء في ذلك غرائب كما اشتقَّ السيوطي لخَندَريس من « خِدْر العروس » . قال : لانَّ الخمر محجوبة في الدّنّ كالعروس في الخِدْر (راجع تهذيب الالفاظ لابن السكّيت ص ٧٦٠) . وكما اشتقَّ آخر القَصْر تعريب castrum من فعل قَصَرَ وابليس تعريب διάβολος من أَبْلَس الخ

ونمحض الشكر لحضرة الاب انستاس بما زاد قائلًا:

١٥ً « وقال ان الجّ هو حبّ العدس . والاصحّ انّهُ حبّ الماش وهو كحبّ العدس »

١٦ً « وهناك بعض أَلفاظ وقع التصحيف فيهـا كالزُقّ بدل الرقّ وهو ضرب من السلحفاة . والماذن بدل المازن ولم اتعرَّض لذكرها لاني لم اقصد بهذه الاسطر الّا التنبيه عن بعض الالفاظ الاعجمية . والسلام »

(نقول) يمكن القُرَّاء ان يستدلُّوا ممَّا تقدَّم ما في اشتقاق المعرَّبات من الخطارة والاهمية وكم هي الطريقة لذلك وعرةً . ولا بُدَّ من انتظار سنين عديدة قبـل ان يتحفنا العلماء بقاموس يشتمل على جميع الالفاظ المعرّبة مع بيان اصلها . وممَّا يسهل هذا الشغل مساعي بعض الافاضل من ذوي التنقيب والبحث كحضرة الاب انستاس الذي نشكـر لهمَّتهِ في ذلك ونودّ لو واصل ابحاثهُ المفيدة في هذا الصدد وعند الله جزاء المحسنين

غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري

للاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما سبق)

١١

قد أُصيبت بموت ابن العبري العلوم والآداب بين اليعاقبة بضربةٍ قاضية فلا تكاد تجد بعدهُ كاتباً يُذكر فاضحت مذ ذاك هذه الطائفة اشبه بشجرةٍ ذوت اغصانها ونضب ماء حياتها فلم يُجتَنَ منها ثمر طيّب وهي لا تزال الى يومنا في انحطاط وتقهقُر اعاد لها الله محيي الرِمَم نضارتها الاولى برجوع روسائها الى وحدة الايمان

امّا تآليف هذا الملفان الجليل فانّها على الحقيقة عبارةٌ عن معارف البشر جمعاء في القرن الثالث عشر وان سرَّحت الطرف في جدول اسامي كتبهِ فقط يأخذ منك الانذهال ولا تتماسك عن الاقرار بقدر فضلهِ وسعة علمهِ وتفنُّنهِ في كل اصناف الآداب. وان توغَّلتَ في تصفُّح هذه التآليف وفحصها فردًا فردًا زاد منك العجب وقضيت لهُ بالسبق على كلّ معاصريهِ من الشرقيين دون استثناء. امّا اذا قابلت بينهُ وبين العقول السامية التي برَّزت في الغرب في ذلك العصر وجدتَ ابن العبري جاريًا في مضمار الفحول لم يسبقهُ غير رجلين يُعدَّان بسموّ مداركهما كغرَّتي دهرهما اعني المعلِّم الملاكيّ شمس المدارس القديس توما الاكويني والمعلّم السروفيّ القديس بُونَوَنتورة. هذا وانّ ابن العبري قد فاقهما بعدّة علوم لم يصنّفا فيها شيئًا كالطبّ والهيئة والتاريخ واللغة والآداب الدنيويَّة. لابن الفرج الملطيّ في كل ذلك تآليف تستوجب الاعتبار كما سترى

وما يزيد ابن العبري شرفًا انّ تآليفهُ اضحت في الشرق بعدهُ كدستور يُرجَع اليهِ. ومورد يستقي منهُ كلُّ من اراد ان يتخرَّج بعلوم الاقدمين. والدليل على ذلك انّنا رأينا في غضون سفرنا الحديث اغلب تآليفهِ في ايدي الادباء من كلّ طوائف الشرق على اختلاف مللهم يتداولونها ويستنسخونها لاحراز فوائدها. وقد بلغ كلَف سيادة ايليا ميلوس رئيس اساقفة ماردين الجزيل الاحترام بهذه المصنّفات الى ان نقل منها بيده ما ينيف على عشرين مجلدًا ضخمًا يحفظها بمزيد الحرص في خزانة كتب كنيستهِ الغنيَّة بالتآليف الكلدانية القديمة

هذا وتيسيرًا للاطّلاع على اعمال صاحب الترجمة احببنا ان نسرد في ما بقي من مقالتنا جدولًا لتصانيفهِ نقسمهُ الى ابوابٍ على مقتضى المواضيع التي كتب فيها ونلحق كل تصنيف بما نراهُ حريًّا بالاعتبار

١ الكتب الدينيَّة

(تفسير الكتاب المقدّس) لابن العبري في شرح الاسفار الالهية كتاب يُعدّ من انفس ما وُضع في هذه المادّة. الّفهُ صاحبهُ بالسريانية باسم ܐܘܨܪ ܐܪ̈ܙܐ ثمّ عُرّب بعده بقليل فوُسِم باسم كنز الاسرار. ومن كليهما نُسَخ في خزائن كتب اوربة الخطّية. وهذا التأليف انجزهُ ابن العبري قبل وفاتهِ بنحو عشر سنوات اهتمَّ فيهِ اهتمامًا عظيمًا وهو يحتوي على نصّ الاسفار المقدَّسة على حسب الترجمة المعروفة بالبسيطة (ܦܫܝܛܬܐ) مع ذكر ما يوجد بينها وبين النُّسخ القديمة من الروايات المختلفة لاسيَّما الترجمات العبرانية والسامريَّة والسبعينية وترجمَتيْ اكويلا وسيماكوس وروايات اوريجانس. وقد شرح من متن الكتب الالهية ما رآهُ مُغلقًا عويصًا وربَّما استند في شروحهِ على تعاليم الآباء الاوَّلين من اليونان والسريان وشروح من سبقهُ من اهل ملّتهِ كموسى بركيفا وديونيسيوس برصليبي وجرجس اسقف العرب وغيرهم. ولو لم يكن لابن العبري غير هذا الاثر الجليل لكفى لتخليد اسمهِ. وقد طُبع من هذا المجموع الشريف اقسام عديدة تكاد اذا جُمعت تستوفي اكثر من ثلثي الاسفار الالهية فقد نشر بالطبع الدكتور شرُوتر (Schröter) فصولًا من سفر التكوين والخروج وتثنية الاشتراع. وطبع سنة ١٨٩٥ الدكتور كِربر (Kerber) شروح ابي الفرج على كتاب اللاويين. وطبع الدكتور كروس (Kraus) شرح كتابَي يوشع بن نون والقُضاة سنة ١٨٨٤. وطبع قبلهُ الدكتور برنستين (Bernstein) شرح سفر ايُّوب. امَّا شرح اسفار سليمان الحكيم (الامثال والجامعة والحكمة) فقد نشرها سنة ١٨٨٧ الدكتور رالفس (Rahlfs) وطبع شرح راعوت الدكتور هپنر (Heppner) سنة ١٨٨٨. وشرح سفري الملوك الاوَّل والثاني الدكتور مرغنسترن (Morgenstern). ونشر الدكتور شروتر المذكور وغيرهُ قسمًا من شرح المزامير. والدكتور تلبرغ (Tullberg) ابرز شرحهُ على اشعيا النبي. والدكتور فرَيمان (Freimann) على نبوءَة دانيال. وكوران (Koraen) على ارميا. والدكتور كاتس (Kaatz) على سفر ابن سيراخ. امَّا اسفار العهد الجديد فقد طبع منها الدكتور سپانوث (Spanuth) شرح انجيل متى. والدكتور ستينهرت

(Steinhart) شرح انجيل لوقا سنة ١٨٩٦ . والدكتور شوارتز (Schwartz) شرح انجيل يوحنَّا . والدكتور كلامروث (Klamroth) شرح اعمال الرسل والرسائل المعروفة بالكاثوليكية . والدكتور لوهر (Loehr) شرح رسائل الإناء المصطفى . ويا حبَّذا لو جُمعت هذه الطبعات المتفرّدة فنُشرت في كتاب واحد يجتني من فوائدهِ دارسو الكتاب المقدّس . وكان الدكتور لرسوف (Larsow) باشر هذا العمل فلم يتمّمهُ

(الكتب اللاهوتية) قد صنّف ابن العبري في هذا الباب كتابًا خطيرًا بالسريانية اسمهُ ܡܢܪܬ ܩܘܕܫܐ اي منارة الاقداس ترجمهُ الى العربيَّة احد ادباء اليعاقبة المعاصرين لابن العبري اسمهُ دانيال بن الخطَّاب . وعرَّبهُ ايضًا بعدهُ الشمَّاس سركيس بن يوحنَّا الدمشقي الزربابيّ وفي خزانة كتبنا الشرقية منـهُ نسخة نُقلت عن اصلهِ الموجود في دير السريان بالشرفة . وهذا الكتاب جليل في معناهُ قد قسمهُ صاحبهُ جزاهُ الله خيرًا اثني عشر ركنًا هذه اسماؤُها : ١ بيان العلم المطلق ٢ في العالم وتكوينهِ ٣ في الثالوث الاقدس ٤ في التجسُّد ٥ في الملائكة ٦ في رئاسة الكهنوت ٧ في الشياطين ٨ في النفس الناطقة ٩ في الحرّية البشرية والعناية الالهية ١٠ في قيامة الاموات ١١ في الدينونة والعقـاب ١٢ في الفردوس . وكل هذه الاركان تتفرَّع الى فصول عديدة وتنقسم الفصول الى مقاصد . وتتجزَّأ المقاصد الى دلائل وشواهد . اودعها صاحبُها كلّها مباحث جليلة يثبتها عقلًا ونقلًا . وقد طبع الدكتور غوتيل (Gottheil) من هذا التأليف فصلين في النبات وخواصّهِ وفي رسم الارض . وهو من الكتب الممتعة التي تستحق ان تُنشر لفوائدها الجمّة ونأسف على ان ضيق المكان لا يسمح لنا بتفصيل ما تضمّنهُ هذا الكتاب من الابحاث النافعة

ولابي الفرج كتاب آخر لاهوتي يُدعى بالسريانية ܟܬܒܐ ܕܙܠܝܩܐ (كتاب الاشعَّة) يقسم الى عشرة اقسام قد اختصر فيهِ كثيرًا من المطالب النظريَّة التي وردت في التأليف المذكور آنفًا وتصدَّى لمباحث أُخرى قليلة في الاعتقادات الكنسية

ويسوغ لنـا ان نلحق بهذا الباب رسالة سريانية لابن العبري تدعى « دستور الايمان » ضمَّنها مُعتقد اليعاقبة في زمانهِ

وكذلك رسالتهُ الى الجاثليق النسطوري الذي مرَّ ذكرها سابقًا (ص ٤١٥)

(كتب الآداب البيعية) من تصانيف ابن العبري في هذا الباب كتابان جزيلا

المنافع احدهما موسوم بكتاب الهدايات (ܟܬܒܐ ܕܗܘܕܝܐ) وهو مجموع القوانين البيعية والرسوم المدنية التي تستند اليها كنيسة السريان الغربيين مأخوذة من اعمال المجامع البيعيَّة والاحكام الملكية منذ قرون النصرانية الاولى الى زمن المؤلف. وهذا الكتاب لليعاقبة بمثابة كتاب عبد يشوع الصوباوي المدعو مجموع القوانين (ܦܘܢܩܐ ܕܩܢܘܢܐ) للنساطرة. وهو يقسم الى قسمين يُبحث في الاوَّل عمَّا يختصُّ بامور البيعة والثاني مداره على احوال المؤمنين العالميّن. وابواب الكتاب اربعون باباً تتفرّع الى فصول شتَّى. وهذا التأليف قد عرّبهُ في ايام ابي الفرج دانيال بن الخطَّاب المومأ اليهِ. ومنهُ نسخةٌ خطّية في مكتبة آل ميديسيس في رومة العظمى. وقد ترجمهُ الى اللاتينية العلاَّمة المنسنيور يوسف السمعاني الطائر الشهرة فطُبعت ترجمتهُ في عصرنا تولَّى طبعها الكردينال ماي (Mai : *Script. Vet. Nova Collectio*, X)

والكتاب الآخر ليس بانقص شأناً من الاوَّل وهو كتاب الايثيقون (ܟܬܒܐ ܕܐܝܬܝܩܘܢ) اي في الآداب وتهذيب الاخلاق لدينا منهُ نسخة معرَّبة نقلناها عن الاصل المصون في دير السيدة بالشرفة وهو مكتوب سنة ٢٠١٠ للاسكندر (١٦٩٨ م). ولعلّ هذه الترجمة هي لابن الخطَّاب معرِّب كتاب الهدايات ومن تعريبهِ نسخة في المكتبة الفاتيكانية. وفيها للقس يوحنا بن جرير الشامي تعريب آخر كُتب سنة ١٦٤٥. وهذا الكتاب يقسم الى اربع مقالات تحتوي ثلاثة واربعين باباً تشتمل ما ينيف على ثلاثمائة وثلاثين فصلاً اسهب فيها القول عن الفضائل الدينيـة والاخلاق الادبية ممَّا يُقتضى على الانسان لاسيَّما النصرانيّ وخصوصاً الراهب ان يتَّصف بهِ وقد استشهد في معرض كتابهِ بالآباء ومعلمي السيرة الروحية. ومن منافع هذا الكتاب معرفة العوائد التي كان يجري عليها نصارى المشرق في زمن ابن العبري

ولابي الفرج ايضاً في التعاليم الروحية كتاب صغير دعاه (ܟܬܒܐ ܕܝܘܢܐ) اي كتاب الحمامة منهُ نسخة معرّبة في خزانة كتبنا الشرقية. غاية المؤلف بوضعهِ لهُ ان ينهج للنسَّاك طريقاً للحياة الروحية فيستغنوا بمطالعتهِ عن المرشدين. وهو اربعة ابواب الباب الاوّل في التعبُّد البدني. الثاني في العبادة النفسانية. الثالث في الراحة الروحانية التي للكاملين. وكلٌّ من هذه الابواب يقسم الى عشرة فصول. امَّا الباب الاخير فقد اودعهُ ابن العبري مئة نصيحة تفيد الحياة الروحيّة

(كتب الطقوس) يحقُّ ان نذكر من هذا القبيل نافورًا وضعهُ ابن العبري كرُتبة للقداس نقلهُ رِينودوت الشهير الى اللاتينية فطبعهُ في مجموع ليتورجيَّات المشرق (Renaudotii, *Liturgiarum Orient. Collectio*, II, 456)

وفي هذا الباب يدخل تهذيبهُ للنافور المعروف بالكنيسة السريانية بنافور القديس يعقوب الرسول الملقَّب باخي الربّ طبعهُ رينودوت في كتابهِ المذكور (الجزء الثاني ص ١٢٦) وقد هذَّب ايضًا ابن العبري كتاب رتبة المعموديّة لساويرس اوّل بطاركة اليعاقبة

(ستأتي البقية)

التنوير

للاب موريس كولنجت اليسوعيّ مدرّس الطبيعيَّات في المكتب الطبي

(تابع لما سبق)

٤

في غاز الفحم الحجري

سبق لنا القول في أدوات التنوير الجامدة والمائعة (ص ٤٥٠) ومدار كلامنا اليوم على الغاز المُستخلَص من الفحم الحجري (gaz de Houille)

لا يجهلُ الناس منذ زمن قديم ان الفحم المعدنيّ يتصاعد منهُ أبخرة تُدعى غازاتٍ قابلة الالتهاب. وربمَّا كانت هذه الابخرة كثيفة جدًّا في بعض الامكنة حتَّى اذا غُرز في الارض انبوبٌ مثقوبُ الطرفين وأُدني من الطرف الاعلى لهيبُ نار سطع منهُ نورٌ يمكن الاستصباح بهِ والاستدفاء بحرارتهِ

وانَّما اليوم يُستخرج الغاز بتقطير الفحم الحجري على اليُبس. فالفرق بين موادّ الوَقود الموصوفة سابقًا والغاز الحجري الذي نحن في صددهِ أنَّ في الشمع والزيت والبترول يتحلّل الغاز بواسطة الحرارة الناتجة عن اتّقاد جسم جامد او جسم مائع. امَّا الغاز الحجري فكيفية استعمالهِ بأنْ يُجمع ما بَخَرَ منهُ بالتقطير في المعامل الخاصّة ويُصمد في اساطين ضخمة او قِرَع واسعة ثم يوزَّع على الزُّبن والمشترين بهيئة بُخار يجري الى بيوت الخواصّ في انابيب (قساطل) ممدودة تحت الارض

ومعدّل ما يُستخلص من الغاز من مائة كيلوغرام فحم معدني يبلغ نحو ثلاثة وعشرين الى ثلاثة وثلاثين متر مكعّب على اختلاف جودة الفحم وغناهُ بالمواد الملتهبة . ويتركّب هذا الغاز في الغالب من مزيج الهيدروجين مع كربورات الهيدروجين ليس الّا

هذا وانّ بتقطير الفحم المعدني لا يُنال فقط غاز الوَقود المذكور آنفاً بل يُظفر ايضاً على عدّة محصولات ثانويّة . واوّل ذلك مادّة ترسب في قعر الانبيق تدعى كوك (coke) تُعَدّ من افضل اصناف المُوقَدات . ويحصل في الاوعية المختلفة التي يمرُّ بها الغاز ليُصفَّى مياهُ النوشادر وهي تصلح للتسميد في الزراعة . ويتكوَّن فيها القطران . والقطران اذا قُطّر اتى بالغاز الصناعيّ (brai) والبَنزين والحامض الفنيقي والأَنيلين والنَّفطلين والأَنتراسين الى غير ذلك من محصولات القطران المتخذة في الصناعة لتركيب الالوان . فيظهر ممَّا تقدَّم ان تهيئة الغاز كثيرة الارباح لاجل هذه الفوائد الثانويَّة الناتجة عنهُ

والغاز المصفَّى يُخزَن نهاراً في اوعية واسعة على شكل اجراسٍ تغطس في احواضٍ مملوءة من الماء فيوزَّع من ثمَّ على الجمهور بضغطٍ معلوم . واذا ما دخل الغاز في بيوت الخواصّ اجتاز في اداةٍ تُدعى راقماً تُدوّن بالتدقيق كم مرَّ فيها من متر مكعّب واقسام المتر فيُعرف بذلك ما يجب على المشتري دفعه لصاحب الغاز سواء كان اتخاذهُ للاستصباح او للاصطلاء او للطبخ

هذا وانَّ رؤُوس الانابيب التي يُشعل بها الغاز تكون معدنيّة او من الخزف الصينيّ او من الستياتِيت وهو صنف من الطَلق (talk) المعدني المركَّب من الصوَّان والمغنيسيا . ومجاز الغاز هو امَّا ثقبٌ بسيط وامَّا شقّ ويسمَّى لشكلهِ الرأسَ الفَراشي (bec papillon) . وربَّما انتهى المخرج بعدَّة ثُقوب مستديرة على شكل الاكليل في مركزها مجرًى للهواء وهي الرؤُوس المعروفة ببَنْجل (bec Bengel) يكثر استعمالها في الغُرَف ويجهّز لذلك مداخن من الزجاج . وما عدا هذه الرؤُوس الساذجة الشكل يوجد مصابيح أُخر في تركيبها بعض ارتباك لكنَّها ساطعة النور فمن ذلك المصابيح



مصباح قِنْهام

التي سبق وصفها في آخر مقالتنا عن البترول كمصباح سيمنس (Siemens) او مصباح ونهام (Wenham انظر شكلها في الصفحة السابقة) الخ. في هذه القناديل يُسخَّن اوَّلًا الهواء اللازم للاتّقاد في انابيب مجاورة للرأس. واللهيب فيها يسطع من تحت المصباح فاذا عُلّق القنديل لا يبقى لهُ ظلّ. وفي غيرها من المصابيح كمصباح دَنيروس (Denayrouse) مثلًا يُمزج سابقًا الهواء والغاز معًا فينتج من هذا الاختلاط تساوٍ واشتداد في سطوع اللّهب

واعلم انَّ ضوء غاز الفحم المعدنيّ يضرب الى الحُمرة فان حُلَّ بالطيف الشمسيّ وُجدت هذه المناسبة بين احمرارهِ وصفرتهِ:

$$\frac{\text{الاحمر}}{\text{الاصفر}} = \frac{٤}{١}$$

واذا قستَ شدَّة سطوع نور الغاز وجدت انَّ معدَّلها في ما يُوقَد مدَّة ساعة من الغاز البالغ ١٠٥ ليترات يوازي مصباحًا من مصابيح كرسل المثاليَّة (راجع الصفحة ١٨٤). الَّا انَّ هذه الشدَّة تختلف على حسب اختلاف وسعة الثَّقب. فانَّ الرأس الفراشيّ المذكور سابقًا ربَّما بلغت شدَّة سطوعهِ الى ان توازي مصباحًا مثاليًا ونصف مصباحٍ او ثلاثة ارباع المصباح وذلك بايقاد ١٢٧ ليترًا الى ٢٠٠ ليتر. واقلُّ ما يَنبعث ذلك من اقيسة الحرارة ٦٦٠ قياسًا (راجع الصفحة ٢٤٣). امَّا الحامض الكربونيك الناتج عن هذا الاتّقاد فيبلغ ٨٤ ليترًا اي اكثر ممَّا يخرج من رئة اربعة اشخاص بالتنفُّس اليوميّ

واذا اعتبرتَ ثمن الغاز على ما هو الآن من السعر الشائع اعني ثلاثين سنتيمًا في حقّ متر مكعَّب وجدت انَّ ما وازى منهُ مصباح كرسل القياسي في الساعة يساوي اربعة سنتيمات. ثمَّ اعلم انَّ الرأس الفَراشيّ حسنٌ لتنوير العامَّة لكنهُ لا يصلح للدَّرس لترجرج لهيبهِ وأصلح ما يتَّخذ لتنوير الحُجَر مصباح بَنْجل فانَّ ضوءهُ يوازي مصباحًا مثاليًا في ١٠٥ ليترات. واقيسة حرارتهِ ٥٤٦ ينبعث منها ٧١ ليترًا من الحامض الكربونيك وثمنهُ ٣ سنتيمات في مقابلة مصباح مقياسي ذو ضوء الساعة. وقد وُضع لتنوير الجمهور مصابيح ذات رؤوس مختلفة منها الرأس الباريزي (bec Parisien) والكرومارتي (Cromartie) والصناعي (l'Industriel) ولكلّها شدَّة عظيمة في سطوعها تبلغ من خمسة مصابيح الى عشرين مصباحًا مثاليًا مع قلَّة ما يُفنَى بها من الغاز حتَّى لا يتجاوز ٣٥ ليترًا بمقابلة الكرسل ذي ضوء الساعة. فيكون ثمن الغاز في الساعة سنتيمًا او سنتيمًا ونصفًا فقط. وللمصابيح المسخّنة

للهواء الموصوفة آنفاً كمصباح ڤنهام (Wenham) اسعارٌ ارخص ايضاً فانها لا تفني في الساعة اكثر من ٣٠ الى خمسين ليترًا من الغاز مع انَّ سطوع نورها يرتقي من خمسة مصابيح الى ١٢ مصباحاً مقياسيًّا تبلغ اقيسة حرارتها ٢٠٠ قياساً وحامضها الكربونيك ٣٠ ليترًا وثمنها لا يكاد يبلغ سنتيمًا في مقابلة مصباح كرسل ذي ضوء الساعة

ونتيجة ما سبق شرحهُ انَّ غاز الفحم المعدني من احسن ادوات الاستصباح وانسبها مع هوادة اسعاره . فضلًا عن انَّهُ لا يحتاج الى فتيلة ولا الى تعمير يكفي لاستعمالهِ برم مفتاح حنفيَّةٍ فيسطع نورهُ . ومن مضارّهِ ارتفاع درجة الحرارة في معاهد الدروس

هذا ومما يجدر بالملاحظة انَّ امتزاج الغاز بالهواء يحصل منهُ مزيج قابل الانفجار وانَّهُ لَأمرٌ خطر ان توقد ثقاب الكبريت في حجرة لم يُقفل مجرى غازها . ويمكن تلافي هذا الخطر باشتمام رائحة الغاز المنبعث فاذا حسَّ بهِ الداخل في المخدع فليفتح نوافذ الدار لتغيير الهواء قبل ان يشعل الضوء

التَّشَعْشُع بواسطة الغاز

لقد بلغ التنوير بالغاز في هذه السنين الاخيرة غايةً جاوزت آمال العلماء وكلُّ هذه التحسُّنات انَّما اصابها اربابُ الصنائع باستنادهم الى هذا المبدإ الذي مرجعهُ الى ان تُوقد المواد الهيدروجنيَّة الفحميَّة (substances hydrocarburées) الداخلة في تركيب الغاز ايقادًا تامًّا فتتَّخذ الحرارة العظيمة المتأتية من ذلك لإضرام بعض اجرام اوكسيديَّة تُعدّ لهذه الغاية فيحصل منها تشعشعٌ (incandescence) اذا التهبت

وعليهِ قد أكثر بعضُ العلماء كأدِسُون ودرُومُند وكلامُند اختباراتهم لنوال هذه الغاية فكانت نتيجتها ان بلغ الدكتور أوِر فون ڤلسباخ (Auer von Welsbach) الى وضع غِلَافٍ دُعي باسمهِ يُجهَّز برأس انبوب الغاز فيحصل من ذلك نورٌ بهيٌّ ساطع يُقضى من نظرهِ العجب (انظر الصورة في ص ٤٥٨)

وتركيب غلاف الدكتور أوِر من مزيج أوكسيدين اسمهما التُّوريوم (thorium) والسيريوم (cérium) يدخل من الاوَّل تسعة وتسعون قسماً بمقابلة قسمٍ واحدٍ من الثاني وهذان الاوكسيدان هما ركنا تَشَعْشُع النور بيد انهما عزيزا الوجود يُستخلصان في الغالب من ثلاثة معادن التُّوريت والمونازيت والزيرقون

فالتوريت (la thorite) جرمٌ مركَّب من مزيج الصوَّان والهيدروجين والاوكسيجين

والتوريوم (silicate hydraté de thorium) واصل معدنهِ بلاد النروج

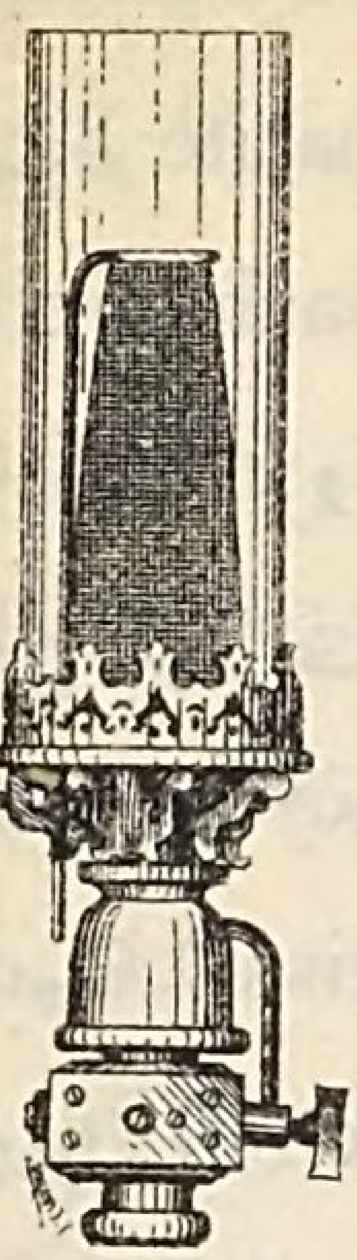
والمونازيت (la monazite) يدخله فُسفات السيريوم اليابس (phosphate anhydre de cérium) مع عنصرين آخرين هما اللانتان (lanthane) والديديم (didyme) وكلُّها ممزوجة بسيليكات التوريوم او فُسفَاتهِ . وقد وُجد مؤخرًا طبقات ضخمة رمليَّة من المونازيت في الولايات المتَّحدة وفي الكندة والبرازيل وبلاد كولومبية وفي الجمهوريَّة الفضية وانكلترَّة واسوج ونروج والروسية وفرنسة في وسط الصخور البركانية الصوَّانية والغنيسية (gneiss)

امَّا الزيرقون (le zircon) فهو سيليكات عنصر الزيرقونيوم وهو جسمٌ كثير الوجود في جزيرة سيلان ونروج وفرنسة والبلاد المتحدة وغيرها فتراه متبلورًا في الصخور الاوَّلية ويوجد منهُ في زيلندة الجديدة ممزوجًا بأوكسيدات مختلفة نادرة الوجود بين طبقاتٍ من الحصى والرمل وربَّما وُجد تحتهُ طبقةٌ من الخزف اللزج الى الزُرقة

هذا واني اضرب صفحًا عن تعدين هذه المعادن وتنقيتها وغسلها وما يطرأ عليها من الهيئات الشتّى في تجهيزها بحيث انَّها تتحوَّل الى مركَّبات من السُلفات والنيترات والاوكسالات وتُذوَّب فتتبلَور وتُحمَّص الى غير ذلك ممَّا يطول شرحهُ . فاذا حصل الاوكسيدان المذكوران آنفًا يُحلَّلا تحليلًا مناسبًا كما ذكرنا ثم يُغمَس فيهما مدَّة ربعٍ من الساعة غلافاتٌ مصنوعة من نسيج القطن الخشِن او الكتَّان وبعد ذلك تُنظَّف هذه الانسجة وتُغسل غسلًا جيدًا كي تزول دهنيَّتها ثم تُعلق الى سلكٍ معدنيّ فتُعرض على مصباح بُنزن كي يحترق نسيج القُطن فتفنى مادَّة غُلفهِ الخَلَويَّة (cellulose) فلا يبقى سوى نسيج مُتقصّف من اوكسيدَي التوريوم والسيريوم لهُ صورة وهيئة النسيج الاصلي . وهذه الانسجة تُطلى بالكولوديوم قبل ان تُحزم فاذا رُكّبت فوق رأس انبوب الغاز يُنزع منها هذا الطلاء . وكلُّ هذه العمليَّات تستوجب دقَّة في الصناعة وحذاقة . وهذه ملاحظة ينبغي السير بموجبها في معالجة مصباح الدكتور أوِر للطفهِ . والغلاف المذكور اذا أُسيئت مُزاولتهُ لا يستقيم ثمانية ايَّام وبعكس الامر اذا عُولج برِفق دام طويلًا حتى انَّ بعض هذه الغلافات انارت فوق الثلاثمائة ساعة

ثمَّ اعلم انَّ رؤُوس انابيب الغاز المهيَّأة لغلاف الدكتور أوِر تختلف عن غيرها من الرؤُوس فانَّ هذه عبارة عن مصابيح تنسب الى بُنزن مكتشفها يُمزج فيها سابقًا الهواء والغاز

قبل ان يوقدا . ولذلك المزج جهازٌ يدخلهُ الهواء على نظام معلوم ليكون الاتّقـاد تامًّا . ولهذه المصابيح مداخن تُصنع من الميكا او من الزُّجاج الابيض المحدَّد عموديًّا


مصباح أُور

ونور مصباح أُور المغلَّف يساوي نور ثلاثة مصابيح كُرسل المثالية بينما يوقد في الساعة خمسة وعشرين ليترًا من الغاز بمقابلة المصباح المقياسي . فهو من ثمَّ كثير الاقتصاد لا يبلغ ثمن الكَرْسِل منهُ سنتيمًا واحدًا فانّ سعره الصحيح سبعة او ثمانيـة اعشار السنتيم فقط . وعليهِ فهو ارخص من المصابيح ذوي الرؤوس الفراشية بثلاثة اضعاف لا بل هو ارخص من البترول اذا لاحظت مساواة نوريهما . ولذلك قد شاع الآن استعمالهُ . وقد اتخذتهُ مدينة باريز لتنوير قسم كبير من ساحاتها وطرقها

وانْ قيل انَّ غلافهُ سريع التقصُّف والانكسار فيقتضي استعمالهُ احتياطًا وتحرُّزًا أجبنا انَّ الاقتصاد المحصول عليه باتخاذهِ يعوّض عن هذه المضارّ تعويضًا كبيرًا . وزد على ذلك ان الغاز لا يُفسد هواء المخادع فسادًا يُذكر لانَّ موادّ الغاز تفنى كلّها بالاتّقاد كما انَّ الحرارة الناتجة عنهُ قليلة

هذا وانَّ لنور هذه المصابيح لونًا ابيض مُدمجًا بزُرقة يبهج النظر وهو ينتج من تشعشع اوكسيد التوريوم مع ما في هذا النور من الرواق والثبات . وعليهِ يصلح الاستصباح بهِ للبصر ويناسب الصحَّة ويحْسُن بنا ان نُثني عليهِ فيُتَّخذَ للتنوير الخاصّ والتنوير العامّ معًا . والله الموفّق الى الصواب (ستأتي البقية)

كتاب النبات والشجر للاصمعيّ

سعى بنشرهِ الدكتور اوغست هَفنر

(تابع لما سبق)

وَيُقَالُ لِلْأَرْضِ إِذَا أَدْرَكَ نَبَاتُهَا قَدْ أَغْنَتْ وَذٰلِكَ أَنْ تَمُرَّ ٱلرِّيحُ

فِيهَا غَيْرَ صَافِيَةِ ٱلصَّوْتِ مِنْ كَثَافَتِهِ وَٱلْتِفَافِهِ، وَبُرْعُمُ ٱلزَّهْرِ[١] اَكْمَامُهُ وَجَمْعُهُ ٱلْبَرَاعِيمُ وَاَكْمَامُهُ غُلُفُهُ، وَيُقَالُ عِنْـدَ ذٰلِكَ : قَدْ اَخَذَ ٱلنَّبْتُ زَخَارِفَهُ وَزُخْرُفَهُ[٢] وَقَدْ اَنْقَى بِبَهْجَتِهِ، وَيُقَالُ اَقْطَرَ وَاُقْطِرَ وَاَقْطَرَّ اَقْطِرَارًا وَاُقْطَارَّ[٣] اَيْضًا اِذَا تَهَيَّأَ [ٱلنَّبْتُ] لِلْيُبْسِ، فَاِذَا يَبِسَ قِيلَ قَدْ تَصَوَّحَ تَصَوُّحًا وَاَنْصَاحَ اَنْصِيَاحًا[٤]، فَاذَا تَمَّ يُبْسُهُ قِيلَ : قَدْ هَاجَتِ ٱلْاَرْضُ تَهِيجُ هِيَاجًا وَهَيْجًا [وَهَيَجَانًا][٥]، فَاِذَا تَمَّ يُبْسُهُ مِنْ اَحْرَارِ ٱلْبُقُولِ وَذُكُورِهَا قِيلَ لَهُ ٱلْيَبْسُ وَٱلْيَبِيسُ، وَهُوَ ٱلْجَفِيفُ وَٱلْجَفُّ، وَٱلْقَفِيفُ وَٱلْقَفُّ[٦]. وَقَالَ ٱلرَّاجِزُ:

صَافَتْ يَبِيسًا وَقَفِيفًا تَلْهَمُهْ وَثَرَّ عَامَيْنِ وَحِبًّا اَسْحَمُهْ[٧]

وَقَالَ ٱلْآخَرُ:

كَاَنَّ صَوْتَ خِلْفِهَا وَٱلْخِلْفِ كَسَحْفِ اَفْعَى فِي يَبِيسٍ قَفِّ[٨]

---

١) جاء في الاصل : البُرْغم وهو تصحيف . والبُرْعم والبُرْعُوم والبُرْعُمة والبُرْعُومة كلُّهُ كُمُّ ثمر الشجر

٢) الزُخرف زينة الارض . ومنهُ قولهُ : اذا اخذت الارض زُخْرُفَها اي زينتهـا بالنبات وقيل تمامها وكمالها

٣) ورد في اللسان : اقطارَّ النبتُ اي انثنى واعوجَّ ثمَّ هاج . وقيل أَقْطَرَ النبتُ واقطارَّ ولَّى واخذ يَجِفُّ

٤) وفي الاصل : تَضَوَّحَ تَضَوُّحًا وانْضَاحَ . وكلُّهُ تصحيف . وقيل تصوَّح البقلُ اذا تمَّ يُبْسُهُ

٥) يقال هاج البقلُ فهو هائج وهَيَّج اذا يبس واصفرَّ . وهاجت الارضُ فهي هائجـة يَبِسَ بقلها

٦) نقل في اللسان عن الاصمعي : قفَّ العشبُ اذا اشتدَّ يُبْسُهُ

٧) وفي اللسـان : تَلْهَمُهْ وهو الصواب . يصف بقرةً وحشيَّة اصابت كلأً ترعاهُ . والمصافاة هنا الملازمة . وقولهُ : (ثَرَّ عامين) اي عشبًا كثيرًا مجموعًا من عامين . والحبُّ الاسحم المسودّ ليُبْسِهِ . وفي الاصل : اسجمهُ بالجيم . وهو غلط

٨) الخِلْف الضَّرع . يصف شاةً يقول انَّ صوت خلفَيْها عند اصطكا كهما كصوت افعى لمَّا تسير في يبيس الكلإ

(وَيُقَالُ سَحَفَتْ تَسْحَفُ اذا حَكَّتْ جِلْدَهَا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ)، فَإِذَا أَصَابَ ٱلْمَطَرُ ٱلْكَلَأَ قِيلَ: كَلَأُ بَنِي فُلَانٍ مَغِيثٌ (يُرَادُ بِهِ مَغْيُوثٌ[١])، فَإِذَا تَكَسَّرَ ٱلْيَبِيسُ[٢] فَهُوَ ٱلْحُطَامُ. وَهُوَ ٱلْهَشِيمُ[٣]. قَالَ ٱبْنُ احْمَرَ:

يَتَبَّعُ اَوْضَاحًا بِسُرَّةِ يَذْبُلٍ وَيَرْعَى هَشِيمًا مِنْ مُلَيْحَةَ بَالِيَا[٤]

(وَٱلْأَوْضَاحُ بَقَايَا ٱلْحَلِيِّ وَٱلصِّلِّيَانِ[٥] لَا تَكُونُ[٦] إِلَّا مِنْ ذٰلِكَ، فَإِذَا كَثُرَ وَرَكِبَ بَعْضُهُ بَعْضًا فَهُوَ ٱلثِّنُّ يُقَالُ فِي أَرْضِ بَنِي فُلَانٍ ثِنٌّ كَثِيرٌ يَكْفِيهِمْ سَنَتَهُمْ. (قال) وَٱلثِّنُّ يَبِيسُ ٱلْحَلِيِّ وَٱلْبُهْمَى. قَالَ ٱلرَّاجِزُ:

إِنْ يَنْعَنِي ٱلنَّاعُونَ لَا تَحِنِّي يَكْفِي ٱللَّبُونَ اَكْلُهُ مِنْ ثِنِّ[٧]

وَقَالَ ٱلْحَنَفِيُّ:

كَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ اَصَابَ غِنًى وَٱحْتَلَّ بَعْدَ ٱلْجَدْبِ فِي ثِنِّ[٨]

---

١) جاء في اللسان: الغيث الكلأ والمطر. وغيثت الارضُ تُغاثُ غيثًا فهي مَغيثة ومَغيوثة اصابها الغيثُ

٢) اي يبيسُ البقل

٣) الهشيم النبتُ اليابس المتكسّر

٤) يتبّع تخفيف يَتَتَبَّع. ومُلَيحة موضع. ورواية اللسان: «تَتَبَّعُ ... وترعى هشيمًا من حُلَيْمَة». (قال) حُلَيْمَة على لفظ التحقير موضع. يصف الشاعر ابلًا يقول انها ترعى في هذه الاماكن. والاوضاح جمع وَضَح هو صغير الكلإ. وسُرَّة يذبُل افضل اماكنه. ويذبل اسم جبل في الحجاز

٥) سيأتي ذكر الحليّ والصلّيان في الفصول التالية. وفي الاصل: الصلبان وهو تصحيف

٦) في الاصل: لا يكونا

٧) اللَّبُون محبُّ اللبن. لعلَّ الراجز يهجو امرأة فيقول لها انَّهُ يستغني بكثرة مَن يحضر مأتمه عند وفاته عن حنينها اي شدَّة بكائها. وقد روى في اللسان عن ثعلب هذه الابيات للباهليّ:

يا ايها الفَصيلُ ذا المُعَنّي انَّك دَرْمانُ فَصَمّتْ عَنّي
تكفي اللقوحَ اَكْلَةٌ من ثِنّ ولم تكن آثرَ عندي منّي
ولم تَقُمْ في المأتمِ المُرِنّ

(قال) يقول اذا شرب الاضيافُ لبنها علفها الثنَّ فعاد لبنُها. وصَمّت اي أصْمُت

٨) ضرب الثنّ مثلًا للخصب وسعة العيش

وَكَذٰلِكَ يُقَالُ : اَرْضٌ مُوشِجَةٌ وَكَلَأٌ وَشِيجٌ بَيِّنُ ٱلوَثَاجَةِ اِذَا كَثُرَ كَلَأُهَا وَحِبَّتُهَا . وَمَا كَانَ مِنَ ٱلنَّبْتِ لَهُ حَبٌّ فَاسْمُ ذٰلِكَ ٱلْحَبِّ ٱلْحِبَّةُ . يُقَالُ : ٱلاِبِلُ فِي حِبَّةٍ مَا شَاءَتْ . قَالَ اَبُو ٱلنَّجْمِ :

فِي حِبَّةٍ جَرْفٍ وَحَمْضٍ هَيْكَلِ (١

(ٱلْجَرْفُ ٱلْكَثِيرُ وَٱلْهَيْكَلُ ٱلضَّخْمُ) ، فَاِذَا اَسْوَدَّ ٱلنَّبْتُ مِنَ ٱلْقِدَمِ فَهُوَ ٱلدِّنْدِنُ (٢ . وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

اَلْمَـالُ يَغْشَى رِجَالًا لَا طَبَاخَ بِهِمْ كَالسَّيْلِ يَغْشَى اُصُولَ ٱلدِّنْدِنِ ٱلْبَالِي (٣

(وَيُرْوَى : لَا خِلَافَ لَهُمْ . وَيُرْوَى : يَرْكَبُ اَصلَ (٤) ، فَاِذَا كَثُرَ ٱلْكَلَأُ وَكَثُفَ قِيلَ : اَصَارَتِ ٱلْاَرْضُ . وَلِاَرْضِ بَنِي فُلَانٍ صَيُّورٌ اِذَا كَثُرَ ٱلْكَلَأُ فِيهَا ، وَكُلُّ حُطَامِ شَجَرٍ وَاَحْرَارٍ مِنْ اَحْرَارِ ٱلْبَقْلِ وَمِنْ ذُكُورِهِ فَهُوَ ٱلدَّرِينُ اِذَا قَدُمَ وَكَثُرَ . قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ :

وَنَحْنُ ٱلْحَابِسُونَ بِذِي ارَاطَى تَسُفُّ ٱلْجِلَّةُ ٱلْخُورُ ٱلدَّرِينَا (٥

(تَسُفُّ ٱلدَّرِينَ لَا تَجِدُ غَيْرَهُ مَرْعًى) ، وَيُقَالُ لِيَبِيسِ ٱلْبَقْلِ

---

١) ورد في اللسان في مادّة حبَّ : قال ابو زياد : اذا تكسَّر اليبيسُ وتُراكم فذلك الحِبَّةُ . رواهُ عنهُ ابو حنيفة (قال) وانشد قول ابي نجم يصف إبلَهُ :

تَبَقَّلَتْ من اوَّل التبقُّـلِ في حِبَّةٍ جَرفٍ وحَمْضٍ هيكلِ

٢) وفي الاصل : الديدن . وهو تصحيف . وروى صاحب اللسان عن الاصمعيّ انَّ الدِنْدن يحتمل ان يكون من الصوت ومن الدَّوران . وهو ما بَلِيَ واَسودَّ من النبات والشجر . وخصَّ بهِ بعضهم حُطامَ البُهمى اذا اسودَّ وقدُم وقيل هي اصول الشجر البالي

٣) البيت لحسَّان بن ثابت . وقولهُ (لا طَبَاخ بهم) اي حمقى لا إدراك لهم

٤) هذه الرواية من غير الكتاب . ويروى : يغشى أُناساً

٥) البيت من معلَّقة ابن كلثوم . ذو أُراطى ويقال ذو أُراط ماء بقربهِ كانت موقعة تُعدُّ من ايَّام العرب . والجِلَّة المسانُّ من النوق . وفي الاصل : الخلَة . وهو تصحيف . والخُور الغزيرة الالبان . يقول حبسنا مواشينا في هذا الموضع وطال مُكثنا فيهِ لاعانة قومنا حتَّى أُحوجت النوق الكثيرة اللبن الى اكل يبيس النبت

وَحُطَامِهِ ٱلسَّفِيرُ لِانَّ ٱلرِّيحَ تَسْفِرُهُ [١] ، وَيُقَالُ لِأُصُولِ ٱلشَّجَرِ ٱلْبَالِي ٱلْجِعْثِنُ وَلَيْسَ مِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلضِّخَامِ [٢] ، وَٱللُّمْعَةُ مِنَ ٱلْأَرْضِ ٱلْكَثِيرَةُ ٱلْكَلَإِ . (قَالَ) وَاكْثَرُ مَا يُقَالُ ٱللُّمْعَةُ فِي ٱلْحَلِيِّ خَاصَّةً ، وَٱلْعُقْدَةُ وَٱللُّمْعَةُ مِنَ ٱلْأَرْضِ ٱلْبُقْعَةُ ٱلْكَثِيرَةُ ٱلشَّجَرِ [٣] . (قَالَ) وَمِمَّا نَحْمِلُ عَلَى مُهَلْهِلٍ [٤] :

خَلَعَ ٱلْمُلُوكَ وَسَارَ تَحْتَ لِوَائِهِ شَجَرُ ٱلْعُرَى وَعُرَاعِرُ ٱلْأَقْوَامِ [٥]

(وَٱلْعُرَاعِرُ ٱلْغَلِيظُ ٱلشَّدِيدُ وَٱللَّفْظُ عَلَى ٱلْوَاحِدِ وَٱلْمَعْنَى عَلَى ٱلْجَمِيعِ) ، وَٱلنُّفَأُ (مَهْمُوزٌ ٱلْوَاحِدُ نُفَأَةٌ) وَهُوَ مِنَ ٱلنَّبْتِ ٱلْقِطَعُ ٱلْمُتَفَرِّقَةُ ، وَٱلثُّجَرُ أَوْسَاطُ ٱلْوَادِي وَمَا فِيهِ مِنْ نَبْتٍ (ٱلْوَاحِدَةُ ثُجْرَةٌ) . قَالَ ٱبْنُ مُقْبِلٍ [تَمِيمٌ]:

وَٱلْعَيْرُ يَنْفَحُ فِي ٱلْمَكْنَانِ قَدْ كَتِنَتْ مِنْهُ جَحَافِلُهُ وَٱلْعِضْرِسِ ٱلثُّجَرِ [٦]

---

١) تَسْفِرُهُ اي تكنسهُ كما تكنس التراب

٢) وفي اللسان : انَّ الجِعْثِن اصل كلّ شجرةٍ الّا شجرة لها خشبة . وعن الازهري انّ كلّ شجرة تبقى أُرومتُها في الشتاء من عظام الشجر وصغارها فلها جِعْثِن فى الارض وبعد ما يُنْزَع فهو جِعْثِن حتّى يُقال لأُصول الشوك جِعْثِن

٣) قال ابن منظور العُقْدة الارض الكثيرة الشجر وهي تكون من الرمث والعَرْفج وانكرها بعضهم في العَرْفج والجمع عُقَد وعِقَاد

٤) جاء في اللسان في مادّة عَرَا انَّ هذا البيت يروى لشُرَحْبيل بن مالك يمدح معدي كرب بن عكب . (قال) وهو الصحيح (راجع شعراء النصرانية ص ١٨٠)

٥) العُرَى جمع عُرْوَة وهو من الشجر ما لا يسقط ورقهُ في الشتاء مثل الاراك والسِّدْر يلتجئ الناس اليهِ لرعي مالهم في السَّنة الجدبة . ضربهُ مثلًا للقوم الذين يُنْتَفَع بهم . والعَرَاعِر جمع عُرَاعِر (وكلاهما يجوز هنا) اراد به سوقة الناس ورعاعَهم

٦) يصف عَيْرًا اي حمارًا ينفح في المكنان اي يضربها بحافره . والمكنان شجرة صغيرة غبراء من نبات الربيع . ويروى : المكتان بالتاء . وهو تصحيف . وقولهُ (كَتِنَت جحافلهُ) اي لصقت بهِ لخضرتهِ وتلبدت . ويروى : كتبت . وهو تصحيف . والجحافل جمع جحفلة وهي شفتهُ . والعِضْرِس ضرب من البقل غضّ رَطب وقيل انهُ شجر الخِطْميّ (راجع اللسان في المادّة)

(هٰكَذا قَالَ: ثُجر بِضمِّ ٱلثَّاء. وَٱلثُّجرُ ٱلَّذي قَدْ تَمَّ. قَالَ: [لَمْ] اَسْمَعهُ الاَّ هَا هُنا وَٱلعِضرِسُ شَجَرٌ اِلَى ٱلسَّوادِ. وَٱلمَكْنَانُ مِنْ خَيرِ ٱلنَّبْتِ. وَكَتِنَتْ لَزِجَتْ وَحَسُنَتْ جَحافِلُهُ حَتَّى اَسْتَبَانَ اَثَرُهُ فِيهَا) (سنأتي البقية)

في الروايات الخياليَّة

للاب اميدي لوريبول اليسوعي

ان دخلت ايها القارئ اللبيب الى مُخدع بعض الخواصّ ممَّن عُرفوا بين القوم بالوجاهة ونفوذ الكلمة لعلَّك تلمح بين اثاث الدار المنبئة على الثروة خزانةً نُضِدت فيهـا عدَّة كتبٍ برسم المطالعة. تلك هي مكتبة العائلة

فان سرَّحت الطَّرف في هذه التآليف او تصفَّحت على الاقلِّ اسماءَها ربَّما لم تعثر على مصنَّفات تاريخية او ادبيَّة او علمية امَّا الروايات الخيالية فقلَّما ترى هذه المكاتب خاليةً منها. ولعلَّها في الغـالب هي وحدها المجموعة فوق رفوفها. او اذا كانت كتب الروايات مختلطة بغيرها من التآليف فترى ما سواها حسن التجليد نظيف الورق كأنَّها لم تمسَّها بعدُ ايدي القُرَّاء. بخلاف الروايات فانك تراها يعلوها الدَّرَن ممزَّقةً مخرَّقة منتثرة الاوراق لتداول الايدي لها ولإقبال المطالعين عليها. فحسبك بذلك دليل على خطارة مسألة الروايات الخيَّاليَّة

ويغلب على ظنّنا ان لهذه المطلب في الشرق اهميَّةً تختصُّ بهِ دون الغرب كما سنبيّن فللروايات عند اهلهِ فعلٌ عجيب اذ تعمل هذه القصص المختلفة في قلوبهم عمل الراقي بسحرهِ فتفتنها وتخلب سويداءها وربَّما اصبحوا اشبه بالفَراش المتهافت على السراج فيحترق بهِ او كالطير الذي يرى الحيَّة فيلقي بنفسهِ في لهواتها

فهذا ما حدانا الى البحث في الروايات الفرنسيَّة ليكون اهل بلادنا على بيّنة من امرهم ويأخذوا من مضارّها حذرهم

في اصل الروايات الخياليَّة وتاريخها

واوَّل ما يجيء هنا عنهُ البحث ما هو اصل الروايات الخيالية وتاريخها. الَّا انَّ في

تفصيل ذلك لمجالًا رحبًا لا يسعنا الخوض فيهِ وانَّما نجتزئ بذكر بعض فوائد تُطلع القرَّاء على خلاصة الامر

انَّ الرواية كما يدلُّ عليهِ اسمها ليست في الاصل سوى واقعةٍ او حادثٍ يرويهِ القوم اي يتناقلونهُ بينهم سواءٌ كان موضوعها صحيحًا صادقًا او مُختلَقًا. وربَّما أُطلق اسم الرواية على الاقاصيص الخرافيَّة التي يبتكرها الكتبة لتفكيه المخيّلة وهو المراد في معرض كلامنا في هذه المقالة

والفرنج يدعون مثل هذه الروايات باسم الرومان (roman) نقلًا عن اللُّغة العامّية القديمة المعروفة باللغة الرومانيَّة (langue romane) لانَّ هذه القصص اكثر ما كانت تُروى في هذه اللهجة العامّية فمنها ما كان تاريخيًّا واقعيًّا كرومان دي بون (roman de Bon) ومنها ما كان اختراعًا بحتًا كعدَّة اقاصيص تُعزى لكارلوس الكبير ملك فرنسة اسمها (romans de la Table-Ronde) ومنها ما كان على صفة رَمْز او مثَل كرواية الوردة (le roman de la Rose) وقد اتى منها بعضها على طرز هجاء كرواية الثعلب (roman du Renard)

ومهما كان من امر اسم الرواية فانَّهُ لا يشكُّ احد في انَّ اصلها قديمٌ جدًّا والاحرى ان نقول انَّ الانسان منذ ظهورهِ على الارض لا يزال يطمح ببصره الى غرائب الاحوال وعجائب الامور فهو مطبوع على ذلك بالفطرة يأنس بمثل هذه الوقائع المبتكَرة ويصرف اليها خيالهُ ويخترعها ليسرَّ بها ابناء جلدتهِ

وأقدم ما بلغ الينا من هذه الروايات تراهُ على هيئةٍ شعريَّة ومقيَّدة بالنظم كما يصدق ذلك في بقيَّة المصنّفات العقلية العريقة في القِدَم فانَّها جميعًا محلاَّة بايقاع النظم لتتشنَّف بها الآذان وتنطبع في الذاكرة. امَّا ما كان مَنثورًا من هذه الروايات فلا يرتقي الى زمن قديم. وقد بيَّن المؤرّخون انَّ الروايات الحماسيَّة القديمة وما شاكلها ممَّا لا يعرف الآن الَّا نثرهُ كان في سالف الازمان مرويًّا بالشعر

وهذا امرٌ يصحُّ تبيانهُ في تاريخَي الغرب والشرق معًا. فانَّ للهنود والصينيّين مجاميع ضخمة من الروايات الحماسية الخيالية وكلها بالشعر يبلغ بعضها ما ينيف على عشرين الف بيت من النظم. وكذا قل عن الفرس الاقدمين وعن العجم كما ترى في كتاب الملوك (شاه نامه) للفِرْدَوْسي. ولا نظنُّ ان العرب شذُّوا عن هذه القاعدة العمومية وفي سجعاتهم

ودواوينهم القديمة شاهدٌ على ذلك كما ترى في قصائد المهلهل وغيرهِ

وكان لليونان كَلَف بالروايات الخيـالية وليست قصائد اوميروس البليغة في أَشيل وعُوليس سوى صنفٍ من الحكايات الفرّية التي تستند الى بعض حوادث تاريخية. وكلّها بالشعر ايضاً. واوّل رواية خيالية وردت عندهم في النثر اذا استثنينا امثال ايزوب (لقمان) اسمها «في غرائب ما وراء تولة» مدارهُ على خبر اسفار عجيبة كاسفار السندباد البحريّ. وفي العصر التالي صنّف أريستيد المِيلَطي الأقاصيص الميلطية وهي حكايات غَزَليّـة منافية للآداب كَلِف بها معاصروهُ. وجاء بعدَهُ غيرهُ من الكتبة فسلكوا مسلكهُ في صقلّيَة وقد ذهب الدهر بكتبهم غير مأسوفٍ عليها الّا ان الكتّاب الرومانيين كپارتينيوس ولوسيان وأكويلة نقلوا عنها في تآليفهم في آخر عهد الجمهورية الرومانية

امّا الرومانيون فلم يبرعوا بتصنيف الحكايات الخيالية ولا يُذكر لهم غير حكاية پسيخي (Psyche) وتآليف يترون وكلّها موسوم بالخلاعة وسوء الآداب تنطق بلسان حالها عمّا جُبل عليهِ اهل ذلك الزمان من القبائح والرذائل. وقد جاء بين كتبة عصرنا من ماثلهم دعارةً وقحّاً وقانا الله من شرهم

هذا ولمّا صارت الدروس اليونانية الى انحطاط وتقهقر نما فيها عدد كتبة الروايات التخيُّليّة. فكتب ألسيفون وأرِستينيت روايات على شكل المراسلات. وبين اعمال دِيُون كاسيوس بعض من هذه التصـانيف لا تخلو من دقّة وحسن تصوُّر. وتوفّرت بعدئذٍ كتُب الروايات حتّى شاعت في كل انحـاء بلاد اليونان ولا حاجة لتعداد كلّ هذه التصانيف التي لا طائل كبير تحتها كروايات رادام وسيمونيس ولوسيب وغيرهم. ثمّ سكنت حركة هذه المؤلّفات مدّة ستة اجيال فتناساها القوم وشُغلوا بشواغل أُخر ثنتْ بالعقول الى ما هو انفع لها وانسب بمقامها (ستاتي البقية)

كتاب
تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

وربّما كان مولد زين الدين بن علي في اواخر ايّام والدهِ علي المذكور حتى طابق

زمانهُ زمانَيْ جمال الدين وسعد الدين المذكورَين على ما سنوردهُ فيما بعد ان شاء الله . وربَّما كان عليّ المذكور اوَّل من سكن منهم بعرامون ١)

ذكر جمال الدين حجّي بن كرامة بن بُحْتر

قيل انَّ حجّي هذا كان اصغر الاربعة الاخوة اولاد كرامة بن بُحتر وانَّ صاحب بيروت هادنهم واستدرجهم الى ان اجتمع الثلاثة الكبار معهُ في الصيد . واماَّ حجّي فكان طفلًا صغيرًا منقطعًا عند امهِ في الحصن وتكرَّر اجتماعهم معهُ في الصيد (22^{v}) وهو يعطيهم ويُحسن اليهم وكان معهُ في المرَّة ولدهُ فدعاهم الى عرسهِ . فلمَّا كان وقت العرس نزل الثلاثة الى بيروت فانزلهم صاحبها في بستان ظاهر البلد واعتذر اليهم لإيوائهم خارج البلد لكثرة ما اجتمع فيهِ من طوائف الفرنج لوليمة العرس وزاد في اكرامهم . ولمَّا دخل الليل سألهم الحضور الى مجلس خاص قد هُيِّئ لهم ولملوك الفرنج فدخل الثلاثة الى القلعة ومعهم نفرٌ قليل فكان آخر العهد بهم . وركب صاحب بيروت بمن عندهُ من جموع الفرنج في صَبيحة تلك الليلة وطلعوا الى الحصن وكان خاليًا من الرجال . فهرب من كان بهِ ومن جملتهم امُّ حجّي وولدُها حجّي فنهبت الفرنجُ الحصنَ وهدموهُ وألقوا حجارتهُ في الوادي ولم يُبقوا لهُ اثرًا واحرقوا القرايا واسروا من تخلَّف عن الهرب وكان الاكثر قد هربوا واستتروا في

١) وفي حاشية الكتاب ما نصُّهُ : « ذكر بيان وايضاح لكيفيَّة مُعاصَرة زين الدين ولد شرف الدولة عليّ المذكور : وجدتُ كتاب مُشترى لحجّي بن كرامة بنصف فدَّان من رمطون ابتاعهُ من بحتر بن علي ابن عمهِ . وتاريخ المكتوب المذكور سنة اثنتين وستمائة فدلَّ على انَّ بحتر البائع كان في هذا التاريخ رجلًا كاملًا يبيع ويشتري . واماَّ زين الدين بن علي اخو البائع فكانت وفاتهُ سنة خمس وتسعين وستمائة . ولعلَّ تاريخ المكتوب المذكور كان قبل مولد زين الدين بن علي فدلَّ ذلك على انَّ زين الدين في اواخر ايَّام ابيهِ شرف الدولة علي وانَّ ايَّام زين الدين تأخرت الى ايَّام جمال الدين حجّي واخيهِ سعد الدين . ونسخة كتاب المشترى المذكور ملصوق تجاه هذه الورقة (كذا في الحاشية ولعلَّ هذه النسخة وقعت من الكتاب فاننا لم نجدها فيهِ)

« الدليل على ان زين الدين بن علي متأخر من ايَّام اخوتهِ وابيهِ انهُ ولي عند جمال الدين بن حجّي واخيهِ سعد الدين ولدي محمَّد بن محمَّد (كذا) بن حجّي بن كرامة وتزوّج اختهما وقيل انها ربّاهُ وهو صغير وعلى هذا فيكون اصغر منهما سنًّا »

الشَّعْراءات والاودية. وقيل انَّ هذه الكائنة وقعت في اواخر دولة الملك العادل نور الدين بن زنكي والملك العادل توفي في الحادي عشر من شوَّال سنة سبع وستين وخمسمائة (١

فلمَّا حضر السلطان الملك الناصر بن ايُّوب لفتح بيروت في الحادي عشر من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة لاقاهُ حجي الى قرية حَلْدا (٢ . فلمَّا فتح السلطان بيروت لمس بيدهِ رأس حجي وقال لهُ: ها قد اخذنا ثارك من الفرنج فطيّب قلبك . وانت مُستمرّ مكان ابيك واخوتك وكتب لهُ منشورًا علامتهُ « الحمد لله وبهِ توفيقي » تحت سطر بعد البَسْمَلة . ومن مضمونهِ بعد الترجمة : « باجراء الامير جمال الدولة (23) حجّي بن كرامة على ما بيدهِ من جبل بيروت من اعمال الدامور لمَّا وصل الى الخدمة السلطانية. وتحقَّقنا ما جرى عليهِ من جانب الكفَّار خذلهم الله وهو ملكهُ وارثهُ عن ابيهِ وجدهِ وهي : سرحمور وعين كسور ورَمْطون والدُّوَيْر (٣ وطردلا وعين درافيل (٤ وفرار وذلك حبسًا منَّا عليهِ واحتسابًا اليهِ بمُناصحتهِ وخدمته ونهضته في العدوّ المشاغر لهُ » . والتاريخ : « كُتِب بارض بيروت في العَشر الآخِر من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة » (١١٩٧ م)

ووجدتُ بين المناشير القديمة منشور لحجي اردتُ ان أُثبت ذكرهُ هاهنا ليتَّضح انَّ حجي المذكور لحق اواخر دولة الملك العادل نور الدين. وهو منشور من الملك العادل المذكور باسم حجي ويخوّلهُ جَبعة فقط وانَّها من أقطاع حجي بن كرامة امير الغرب واقاربهِ وجعلها باسم ثمانية نفر ولعلّهم كانوا جُندهُ . تاريخهُ في آخر رمضان سنة خمس وستين وخمسمائة (١١٧٠ م) . وربَّما كان قد كُتب هذا المنشور في صِغَر حجي زيادةً على ما بايدي اخويهِ . وسمعتُ ممَّن لهُ خبرةٌ باخبار السَّلَف انَّهُ لمَّا غدرت الفرنج باولاد كرامة

١) لا نعلم ما من الصحَّة في خبر هذا الامر الشنيع فانّنا لم نجد لهُ ذكرًا في كتب الغربيين التي لدينا مع كثرة تفاصيلها . وقد رواه ابن سباط

٢) وهي اليوم تعرف بخان حلدا كانت قديمًا بلدة صغيرة

٣) عين كسور من الغرب الاسفل . امَّا الدوير فلعلَّهُ دوير الرمَّان في الجرد

٤) عين درافيل من مقاطعة الشحَّار

كان عُمر حجي بن كرامة سبع سنين فعلى هذا كان عمره في حضور الناصر بن ايُّوب نيّفًا عن عشرين سنة (١

وقد وقفتُ على مكاتبة من السلطان الملك الافضل نور الدين على بن الناصر بن ايُّوب (٢ وهو جواب كتابٍ ارسلهُ حجي المذكور اليهِ. مضمونهُ ترغيب واستعطاف (32v) وحثّ على الجهاد وانّـهُ قد أقطعهُ الغربَ جميعَهُ وأن يخلّف اقاربهُ على الطاعة السلطانية تاريخهُ سادس عشر من رمضان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة (١١٩٧) (٣ وكان الافضل صاحب دمشق وفي ايَّامه ارسل جيشًا للغارة على الفرنج ببيروت

ووقفتُ ايضًا على منشور لحجي المذكور من الملك العزيز عماد الدين عثمان بن الملك العادل (٤ الى بكر بن ايُّوب (٥ العلامة «الحمد لله وبهِ توفيقي» ومن مضمونه بعد الترجمة بإجراء المذكور على ما بيده من جبل بيروت من اعمال الدامور على عادتهِ المستقرَّة في ايَّام الملك الناصر بن ايُّوب. وتاريخ منشور الملك العزيز في الخامس والعشرين من جمادى الاولى سنة تسع عشرة وستمائة (١٢٢٢ م)

ووقفتُ ايضًا على كتاب لحجي من السلطان بالعلامة المذكورة من مضمونهِ المختصر انّهُ جهَّز الى الفرنج بان يُجروا حجي واصحابهُ على عادتهم ورسومهم واطلاقاتهم. وان لا

١) حاشية وردت في آخر الكتاب بقلم كاتبهِ: «في هذا القول نظرٌ ويمكن ان يكون لكرامة ولدان اسم الاوَّل جمال الدين حجّي وكانت لهُ جعبة بمنشور الملك العادل ثم توفّي ورُزق ولدًا ثانيًا سمَّاهُ باسمهِ حجّي فيكون هو الذي لاقى الملك الناصر بن ايُّوب الى حلدا لمَّا قدم بيروت والله اعلم»

٢) الملك الافضل هو ابن صلاح الدين الايُّوبي تولى الامر في دمشق سنة ٥٨٢ (١١٨٦م) الى سنة ٥٩٢ (١١٩٦ م) فانتزعها منهُ الملك العادل عمهُ واعطاهُ بدلها صرخد ثم دخل الديارَ المصرية فولَّاهُ الملك المنصور ابن الملك العزيز رتبة الاتابكيَّة. ولَّما قصد الملك العادل عمُّهُ الديارَ المصريَّة واخذها ولَّى الملكَ الافضل سُميساطَ فمات بها سنة ٦٢٢ ﻫ (١٢٢٥ م)

٣) في هذا التاريخ نظرٌ لانَّ الملك الافضل كان خُلع من سلطنة دمشق قبل ذلك بسنة كما مرَّ في الحاشية السابقة

٤) هو اخو الملك الافضل وابن صلاح الدين تولَّى الديار المصرية عن ابيهِ ثم استقلَّ فيها بعد وفاتهِ سنة ٥٨٩ (١١٩٣م) توفّي الملك العزيز سنة ٥٩٥ (١١٩٨م)

٥) نظنُّهُ احدَ عمَّال الملك العزيز الايُّوبي ولم نطَّلع على شيء من اخباره

يعسروا عليهِ عادةً وإن خالفوا لا يلوموا الَّا انفسهم ويضمن لحجي اذا طيّب قلبهُ وشرح صدرهُ ان لا يعسر عليهِ الفرنج. وهذا يدلُّ على مهادنة الفرنج في ذلك الوقت وانَّ حجي ارسل وتشكَّى منهم

وحجي المذكور جرى لهُ حوادث كثيرة مع الفرنج لانَّ في ايَّامهِ كانت قوَّة شوكتهم وكانوا قد قتلوا اخوتهُ واخربوا حصنهم وربَّما كان خاطرهُ مكدَّرًا عليهم (١ . . .

وقد سمعتُ بعض المتقدّمين يقول لمَّا خُرب حصن سرحمُور سكن حجي واقاربهُ طردلا ثمَّ بعدها اعبَيه واماَّ عليّ بن بُحتر فانفرد الى عرامون ومنهُ الذرّيَّة وسكنوا طردلا ثمَّ بعدها اعبَيه. ومن ولد عليّ المذكور زين الدين وذرّيتهُ الذين سكنوا عرامون وسيأتي ذكرهم ان شاء الله تعالى. وربَّما كانت مدَّة حجي المذكور طويلةً لاننا قلنا عنهُ انَّهُ حضر فتوح بيروت مع الملك الناصر بن ايُّوب وعمرهُ نيّف وعشرون سنة وبقي الى بعد السنة الستمائة سنين كثيرة. ولم أقِف لحجي المذكور ولا لوالدهِ كرامة ولا لعمّهِ علي ولا لجدهِ بحتر على ذكر وفاة ولا مولد. والظاهر لنا انَّ الاقدمين وثقوا بمعرفة اخبار من قبلهم واهملوا الكتابة فنسي من جاء بعدَهم اخبارهم ولهذا عملتُ هذه التذكرة لتدوين ذكر السلف: ولمحمَّد بن عليّ الغزّي شاعر امراء بني الغرب بيتان من مقامةٍ جعلها مديحًا في السلف وذكرًا لانسابهم:

أَبقى حجاهُ كرامةً في بحترٍ وجُمَيهر شَرُفت بهِ قحطانُ
فلكندةٍ ولجُندبٍ ولمَذحجٍ سعدٌ بهِ في طيّهِ نعمانُ(٢

ذكر ولدهِ محمَّد بن حجّي

ثم من بعده نذكر ولدهُ الامير نجم الدين محمَّد بن حجي بن كرامة. كان في مكان والدهِ حجي وعلى إقطاعاتهِ واملاكهِ وقاعدتهِ في مُثاغرة للفرنج (ستاتي البقية)

---

١) قد ورد هنا في الاصل منشور آخر أعطي لحجّي بن محمَّد بن حجّي رواهُ المؤرخ هنا سهوًا وقد نبّه عن غلطهِ في حاشية

٢) راجع لفهم هذين البيتين نسب امراء بني الغرب والجدول الاول ص ٣٧٣

رواية الشقيقتين

للاب هنري لامنس اليسوعيّ

(تابع لما قبلُ)

٤

اذا ما اقبل الخريفُ وضرب في الارض أطنابهُ اصاب المرء بقدومهِ تنعُّماً وراحةً لم يعهد بهما في غير هذا الفصل. ولا شكَّ انَّ في ترطُّب الهواء بعد لَهَب الصيف وفي هبوب النسيم ومنظر الاشجار يعلو اوراقها لون الكمدة والاصفرار مُتعةً وبهجةً يحدوان بهِ الى التفكُّر والاعتبار وذلك في ساعات المساء اكثر منهُ في غيرها من الاوقات لَّما يكوّر اللهُ الليلَ على النهار فيمدُّ على الطبيعة رداء تلوح من خلالهِ كسيّدةٍ مهيبة جليلة فتتّسع الآفاق بأعين البشر وترتفع انفسهم الى الاعالي. فللّه تلك الساعات اللذيذة يقضيها المرء في الفكر وهذيذ القلب ويتقرَّب الى خالقهِ شاكرًا لهُ على ما اولاهُ من النعم السابغة بيد ان هذه الآونة وشيكة الزوال تمرُّ بسرعة البرق

فلمّا كان مُنتصف تشرين الثاني في مساء نهارٍ صفيّ الأَديم بهيّ الانوار عند امتداد الظلام على الارض وطلوع زواهر النجوم في السماء كانت وردة جالسةً بقرب اختها سوسنّة في رواق الدار بازاء الجنينة وفيها الازهارُ تعطّر بعرفها الارجاء والاشجارُ موسوقة باثمارها الشهيَّة لا يُسمع سوى صوت خرير الماء يتحدَّر من فوَّارة على شكل غِلالة في حوض من رخام بُني وسط الدار وعن بعد صوت موج البحر المتكسّر فوق صخور الساحل

فبقيت الاختان هنيهةً تسرّحان النظر في هذه المناظر وكلتاهما صامتة لا تبديان حراكًا كأنَّ الاجتماع اضحى لهما عِبئًا ثقيلًا بعد ان كانتا لا تذوقان بغيره لذَّةً. واذا بمنار رأس بيروت سطع بغتةً فرمى باشعَّتهِ الذهبية على دار الاختين وانار وجهيهما فالتفتت وردة الى شقيقتها فرأَت عينيها مغرورقتين بالدموع. فما كان منها الّا ان صرخت:

ما هذا يا سوسنَّة؟ تُرى ماذا اصابكِ؟ انَّكِ لكاسفة البال يؤلم قلبَكِ البلبال فما لكِ تخفينَ عني سبب حزنكِ؟ أَفتكون سعادتي المأمولة علَّةً لشقائكِ؟

فأَطرقت سوسنة واجمةً ثمَّ القت بنفسها على صدر اختها وهي تبكي ثم قالت:

يا اختاهُ اني سأفقدكِ عمَّا قليل واذا ما تأهَّلتِ لا يعود حبُّكِ لي كما ذي قبل وسوف تبرحين الدار وتصيرين الى ما شاء الله . . . أوردةُ شقيقتي لو امكنكِ ان تشعري بما يحسُّهُ قلبي من الألم فانَّهُ حقيقةً يتلظَّى على جمر القتاد ولا ادري اذا لم يتفطَّر بعد فراقكِ

قالت هذا واذرفت الدموع السخينة وعلا صوتُ بكائها بينما كانت تحاول ان تخفي عن اختها ما في قلبها من الغَيرة والحسَد

امَّا وردة فما لبثت ان تبيَّنت حقيقةَ الامر فكان لاكتشافهِ في قلبها صدًى مؤلمًا رنَّق عيشها وذهب ببهجتهِ فلم يعد يمكنها ان توجّه نظرها الى اختها دون ان تلوم ذاتها على سعادتها

فمرَّ على ذلك بضعة ايَّام وكان كلَّما قرب النهار المعيَّن لحفلة العرس تزيد في قلب سوسنة مضض الاوجاع لم تجد لسترها عن العيون طريقةً فتارةً تُظهر ما اكتنهُ الفؤَاد بجدَّة طبعها وتارةً باختلائها عن اهلها وحينًا بتغلُّب السَّوداء على خُلقها وخَلقها حتَّى شحب لونها وخاف ابواها ان تَضنَى منها القوى وينالها داءٌ عياء

لكنَّ الفتاة أحسَّت بعد حين انَّ العيون شاخصة اليها تستشفُّ ما في جنانها فتجلَّدت وتجمَّلت حتَّى حجبت عن الكل مكنونات ضميرها فعاد التبسُّم الى وجهها وأبدت لمن قاربها انسًا واطفًا كما اعتادت الامرَ في السابق . ثمَّ اخذت تجدُّ وتسعى بنشاط جديد لتهيئة لوازم العيد القريب مع ما ترى في قدومهِ من زوال سعادتها . ومُجمل القول انَّهُ لم يعد احدٌ في البيت يقف على ما يتنازع قلبها من الخواطر والهواجس . بيد انَّ وردة لم تكُ لتنخدع بهذه الظواهر فلبثت مرتابةً في امر اختها

ولَّما حان اليوم المعهود واوقع كلا الخطيبين على الشروط المألوفة في مثل هذه الظروف احتفل المسيو ب . بعقد الخطبة بما امكنهُ من الأبَّهة والاحتفال . فنجز الامر اذًا وقرَّ لوردة ان تُكنَّى باسم بارونة دي كَينس باقترانها مع خطيبها الشريف

٥

فبانت الاختان في هذا العيد مرتبطتين بروابط المودَّة والولاء ما أمكنهما . فقضتا مع آل البيت قسمًا كبيرًا من النهار لاستقبال جماهير الحاضرين لتأدية فروض التهاني الى العائلة . وكانت بطاقات الزيارة والمكاتيب والتلغرافات تَرد من كلّ الانحاء داعية للقرينين

باليُمن والوفاء. ولمَّا كان البارون من ارباب السياسة تواردت عليهِ هذه الأنباء من كلّ عواصم اوربَّة كقينَّة وأثينة وغيرهما تتمنَّى لهُ الخير والسعادة. وكان الجميع يتيمَّنون لهذا القران حُسن العقبى لما يروهُ في العِرْسين من الخواصّ والسجايا التي لم تكد تجتمع في غيرهما كالغِنى والجمال والآداب والدين. وكان الزوَّار يُطنبون في محاسن وردة لا يرون بينها وبين الورد خلافًا سوى انَّها لا شوك فيها

امَّا سوسنة فكان يلوح على محيَّاها بهجةٌ شديدةٌ حتَّى لم يشكَّ احدٌ عن صفاء قلبها واخلاص ودادها الَّا انَّ اختها لحت في بشاشة وجهها تصنُّعًا وتجمُّلًا مع امتقاعٍ في لونها واصفرار في وجنتيها

فلمَّا كان المساء نحو الساعة التاسعة دخل لفيف الاهل والاقارب الى الديوان الكبير يتقدمهم الخطيبان الجديدان وكانت سوسنة رافلةً في ابهى ملابسها تزينها الحلي والمصوغات وهي متمنطقة بنطاق ازرق ناصع اللون مرصَّع بالحجارة الكريمة يبدو حسنهُ فوق ثيابها البيضاء كالثلج

امَّا وردة فكانت بخلاف الامر لابسةَ لبسًا بسيطًا حتَّى لو رآها غريب لظنَّ انَّ اختها صاحبة العيد ليست هي. اما الحليّ فلم ترضَ منها سوى بصليب صغير من الذهب كان يلوح على صدرها وسوارَين من الفضَّة في زنديها وكان شعرها الاشقر مجموعًا فوق رأسها تضمُّهُ عصابة سوداء ذات عقدة واسعة. ولمَّا اشارت اليها امُّها ان تستبدل هذه العصابة بغيرها من اللَّون الارجوانيّ اجابتها ابنتها بلطفٍ:

اني أُوثِر الأَسود. واختلاف الالوان في اللبس اجود. هذا وان احببتِ يا امَّاه ان اغيّر هذه العصابة لفعلتُ وفقًا لرضاكِ

فاجابتها امُّها: إبقي كما شئتِ يا مهجة الفؤَاد. فدونكِ هذه الوردة شكّيها في نطاقكِ وكفى بذلك لهذا المساء لانَّ الوقت قد حان وجماعة المدعوّين في انتظاركِ

فلمَّا دخل الجمهور الى القاعة كانت نوافذها مفتوحة يزفُّ اليها هواء الليل روائح الزهور العطرة الفاغمة في حديقة الدار. وكانت انواع الثريَّات تنعكس في مرايا الجدران والخشب المصقول فتجعل الديوان كانَّهُ شعلة نار هذا مع ما في القاعة من النقوش والصور الحسنة البهيَّة

فانتظم القدم كلٌّ بمكانهِ والمدعوُّون في ثيابهم العيديَّة وارباب الامر منهم في

ملابسهم الرسمية. امَّا السيدات فلم يدعنَ في ذلك اليوم شيئاً من الازياء المستجدَّة ليَخطِرنَ في حللهنَّ ويتبارينَ حسناً وجمالًا

فابتدأ العيد بفرح ومزيد مسرَّة. ولكن لمَّا اراد الخطيبان ان يفتتحا السهرة بالرَّقص المعهود اذا بسوسنة امتقع لونها فوقعت مغشياً عليها في وسط الديوان. فاسرع الناس حولها ونضحوا الماء على وجهها. فأفاقت بعد برهة

فما شعرت بما جرى لها حتَّى علا وجهَها الاحمرار خجلًا فانتصبت مستميحة العذر لكثرة ما أصابها من التعب ذلك النهار ثم جلست مكانها وأبت ان تركن الى الراحة في غرفتها بل احيت ليلها رقصاً مع الراقصين

فلمَّا قرب منتصف الليل والقوم في جلبة وبسط وجَّهت سوسنة النظر الى اختها كانَّها تريد ان تبيِّن لها انَّها تقاسمها فرحاً وتشاطرها سروراً الَّا انَّها لم تبصر بوردة فجعلت تسرِّح الطرف في المجلس قلقةً فلم ترَ لها اثراً. ثم قامت وسألت والديها ثم البارون دي لينس وبقيَّة المدعوِّين اين اختها فلم يُجِر احدٌ جواباً

فهتفت سوسنةً بصوت الكآبة واليأس: شقيقتي وردة شقيقتي تُرى اين ذهبت شقيقتي ؟

قالت هذا وجعلت تسرع في الديوان ذهاباً واياباً كانَّها فقدت رشدها. ثمَّ خرجت من القاعة والاهل في اثرها

فاخذ الجميع في البحث والتفتيش في كلّ حجرةٍ وتفقَّدوا كلّ زاوية من زوايا الدار حتَّى التمسوا من الجيرة عن الخطيبة خبراً الَّا ان طلبهم لها ذهب ادراج الرياح وأنكر الجميع انهم رأوها. فارتاع المدعوون لهذا الامر واستولى الرُّعب على القلوب. امَّا السيّدة ب. فاستُطير لُبها روعاً وغُشي عليها واذا بصوتٍ امرّ من وقع الحسام سُمِع من جهة الغرفة التي كانت تسكنها وردة

فاسرع الجميع الى تلك الناحية يتراكضون وهم في حيرة من امرهم واذا بسوسنةً لا تعي كدراً ولوعةً وفي يدها بطاقة كتبت فيها الأسطر الآتية على عجلَة:

الوداعَ يا ابتِ الوداعَ يا امَّاهُ وايَّاكِ ايضاً اقريتُ الوداعَ يا شقيقتي. لا يطلبنَّي احدٌ منكم فانكم لا تجدونني. وانت ايُّها البارون دي لينس قد حُلَّت وثاقك فانت حرٌّ اطلب سواي وعشْ لسعادة غيري. ودمتم وردة ب.

والحقُّ يقال انَّهُ لو كانت الصاعقة وقعت في وسط الدار بين ظهراني القوم لمَّا اثَّرت في القلوب تأثيرًا اعظم ولا اصابتها بحَيْرةٍ اشدّ. فللحال صمتت الالسن وتبدَّدت اجواق الراقصين وهدأت رنَّات المزاهر والملاهي وطُفِئَت المشاعل والثريَّات وهمَّ المدعوون في الخروج واحدًا بعد آخر. امَّا السيِّدات والصبايا اللواتي لم يأتينَ الى هذه الدعوة سوى لترويح الخواطر وطلبًا للملذَّات والرقص فتبلبلت افكارهنَّ وتولَّى عليهنَّ الدهش واسرعن الى الباب ليركبن العربات ويَعُدْنَ الى بيوتهنَّ لأَنهُ مذ حلَّ الدهر بنكباتهِ في هذه الدار لم يُطقنَ بها السكنى. والعالم كما لا يخفى لا يُحبّ بيوت المناحة ومعاهد الحزن. فتبًّا للدنيا من صديقة مُماذِقة لا خير فيها

هذا وانّ بعض الاصدقاء المُخلصين تخلَّفوا بعد خروج الجمهور ليخففوا بحضورهم أَلم المصابين ولكنهم لم يلبثوا بعد قليلٍ استأْذنوا بالانصراف واستودعوا البارون والقنصل آسفين صامتين. فتلك غاية ما يصنع البشر في مثل هذه البلايا العظيمة وتضميد مثل هذه الجراح البليغة

فلمَّا صار منتصف الليل لم يبقَ في بيت القنصل سوى البارون واهل العائلة. فكنت ترى الديوان الكبير في حالةٍ يُرثى لها واثاث الدار مبعثرًا مقلوبًا وآثار الفرح والبسط ملقاةً لا يُعبأُ بها

وكان البارون جالسًا في زاوية مطرقًا الى الارض واجمًا و بقربهِ المسيو ب. يسعى بان ينهض عزيمتهُ ويقوّي همَّتهُ بينما كان يخفي في قلبهِ ما كان هو عليهِ من الكآبة. وفي قرنة اخرى من الدار كانت السيّدة ب. وابنتها سوسنة تذرفان الدموع مدرارةً. فسُمعت وقتئذٍ طرقاتُ الساعة الاثنتا عشر فكان لها دويٌّ موجع في قلوب اهل الدار. امَّا البارون دي لينس فكان يُعدُّها كدقَّات جرس الحزن في يوم وفاة بعض الاحباب كأَنَّها تُنذر بخيبة آمالهِ ونهاية ما تخيَّلهُ لحياتهِ من العزّ والسعادة (ستأْتي البقية)

كتب شرقية جديدة

Serie Cronologica
DEI REVERENDISSIMI SUPERIORI DI TERRA SANTA,
nuova serie compilata dal P. G. Golubovich, *Gerusalemme*, 1898,
pp. XXXII-272, in-4

لا يجهل الناس عموماً ونصارى الشرق خصوصاً ما لحضرة الآباء الفرنسيسكان من المآثر والمشروعات العظيمة في سائر انحاء المشرق فانهم مذ تقدَّمهم مؤسسهم الجليل الى هذه البلاد فنهج لهم مناهج الغيرة والايثار لم يزل ابناؤهُ يقصُّون آثاره بما امكنهم من النشاط والتفاني. واذا استقريت اصقاع الشرق لا تكاد تجد مدينةً خلوةً من ثمر مساعيهم الطيّبة. هذا وانَّ مركز اعمالهم كان خاصّةً في الاراضي المقدَّسة يحافظون على قبر المسيح ويستقون منهُ كمن مورد الحياة روحاً انعش الايمان والتقى في القلوب بعد فتورها

وعليهِ فانَّ تواريخهم هي في الحقيقة تاريخ النصرانية في الشرق ينبغي على كلّ طالبي الآثار القديمة مطالعتها. والكتاب الذي نحن بصدده هو من انفع ما كتبهُ مُرسَلو الفرنسيسكان من هذا القبيل. فانَّ المؤلف الاب العلاَّمة غولوبوفيش يفتتح كتابهُ بمقدَّمة مطوَّلة يشرح فيها كيف صارت حراسة الارض المقدَّسة الى اخوتهِ الرهبان وبايّ حرص دافعوا عن حقوقها. ثم يسرد بعد ذلك اسماء مائتين واربعة وثلاثين راهباً تناوبوا الرئاسة او حراسة الامكنة المقدَّسة العامَّة منذ القرن الثالث عشر اوَّلهم الفرا ايليا رفيق القديس فرنسيس الاسيزي وآخرهم الفرا اوريليو بريانتي دا بويا الرئيس الحالي الجزيل الاحترام. وقد اورد المؤلف لكلّ من هؤلاء الرؤساء ترجمةً ملخَّصة ضمَّنها اخصّ اعمالهِ مستنداً فيها الى تآليف وكتابات عزيزة الوجود

وقد أُلحق الكتاب بملحقَيْن خطيرين اوَّلها يحتوي اثني عشر منشوراً من سلاطين مصر الى الرهبان الفرنسيسكان متولّي حراسة الامكنة المقدّسة تاريخ اوَّلها مستهلّ صفر سنة ٧٩٠ للهجرة (١١ تموز سنة ١٣٠٩) للملك المظفَّر ركن الدين بيبرس وآخرها الثامن من ذي القعدة سنة ٨٧٦ (١٧ نيسان ١٤٧٢) . وكلُّ هذه المناشير منقولة الى اللغة الايطالية بقلم حضرة الاب لاون پوريار وهي محفوظة في خزانة سجلاَّت

الاباء القدسيّين . امّا الملحق الثاني فانّهُ يتضمّن قائمة كلّ اديرة ومقامات ومآوي الرهبان الفرنسيسكان مع ذكر اخصّ اعمالهم في كلّ منها . وكلفًا بتوفير الفائدة قد رُسمت لذلك خارطة محكمة الصنع ملوّنة . والكتاب طُبع طبعًا متقنًا في مطبعة المرسلين الفرنسيسكان في القدس

VARIÉTÉS SINOLOGIQUES

Allusions littéraires, première série, *fasc.* 8 *et* 13, pp. 561, in-8, 1898

Par le P. Corentin Pétillon, S. J.

المجازات الصينيّة

للاباء اليسوعيين الفرنسيين في شنغاي من اعمال الصين مطبعة كبيرة شائعة في كلّ انحاء تلك المملكة الواسعة فاحرزوا بما نشروهُ من التآليف النفيسة اعتبارَ كلّ ادباء الصينيين . ولمّا توسّل اليهم علماء اوربّة ان يُطلعوا الغرب على اعمال الشرق الاقصى بنشر تآليف صينية لافادة الاوربيين شمّروا مع وفرة اشغالهم عن ساعد الجدّ وانشأُوا سنة ١٨٩٢ مجلّةً ضخمةً وسموها بالطُرَف الصينية (Variétés Sinologiques) تظهر في اوقات غير معلومة يضمّنونها اجلّ مآثر الصين . واكثرُها مُجمَّل بالرسوم والتصاوير الدقيقة منقول الى الفرنسيّة . وعدد المجلّدات التي ظهرت الى اليوم يبلغ الثلاثة عشر آخرها كتاب المجازات الصينية يحتوي معجمًا للالفاظ التي وردت في عدّة معانٍ مجازية فيها اشارات الى احوال وتواريخ قدماء الصينيين كما ترى في كتاب اساس البلاغة وشروح الامثال للميداني والضبّي عند العرب فنشكر فضل اخوتنا المرسلين في الصين ونتمنّى لهم مزيد النجاح في خدمة الله وسبيل العلم

كتاب مجالي الغرر لكتّاب القرن التاسع عشر

جمعهُ يوسف صفير

هو كتاب حسن في بابهِ وصفهُ جامعهُ الاديب بما حرفهُ : « وهو يشتمل على كلّ ما راق من المقالات المفيدة الشائقة . والخطب النفيسة الرائقة . التي يستفيد منها الطالب . ويستعين بها كلُّ كاتب . مدبَّجة بيراع اشهر كتّاب العصر . الذين لهم علينا الفضل ويحق لنا بهم الفخر » . وقد قال ايضًا في مقدّمتهِ انّ غايتهُ في وضع هذا المجموع ان يهدي الى المطالعين

الجاثًا عصريَّة تاريخيَّة ادبيَّة فنيَّة كما اوعى كتاب مجاني الادب مطالبَ قدماء الكتَّاب على اختلافها . والحقُّ يقال انَّ في هذا المجموع عدَّة مقالات جليلة المعاني رشيقة المباني لا يُنكر فضل كتَبتها

الَّا انَّنا مع ثنائنا على همَّة الجامع لا يسعنا ان نسكت عمَّا تتضمَّنهُ بعض المقالات من المبادئ الوخيمة التي لم يفطن اليها الجامع وكنَّا نودّ ان يبقى الكتاب بريئًا منها لئلاَّ تصير عثرة للقرَّاء فمن ذلك نُبذٌ لاديب بك اسحق كمقالتهِ عن التعصُّب والتساهل رشق بها شهداء النصرانية بنبال اللَّوم لانهم ماتوا في سبيل الربّ كأنَّهُ يفضِّل ان يرى هؤلاء الابطال يضحُّون نفوسهم لاصنام رومة وارجاس اليونان . واقوال أُخر كثيرة في هذه اللمعة المستقبحة وغيرها ايضًا لا يسمح لنا ضيق المكان بتعدادها اكتفينا بالاشارة ليأخذ القُرَّاء حذرَهم من مثل هذه الكتابات التي ظاهرها دسمٌ وباطنها سمٌّ . والله الموفّق الى الصواب الاب ل . شيخو

هدايا

١ً اهدتنا مطبعة حضرة الآباء الدومينيكان نسخةً من كتاب احسن الاساليب لانشاء الصكوك والمكاتيب تأليف الخواجا نعوم فتح الله سحَّار (راجع العدد الاخير من البشير عد ١٣٣٢ وفيهِ كلامٌ عنهُ)

٢ً أُرسلت لنا اربعة اعداد من المجلَّة الشرقية الحديثة الموسومة Orientalistische Litteratur-Zeitung لصاحب امتيازها الدكتور ف . پيزر وفيها عدَّة مقالات عن علوم الشرق وكتب الشرقيين

٣ً مقالة افرنسية في المقابلة بين الطقوس (Liturgies comparées) لحضرة الاب ج . پاريزو من رهبانية القديس بنديكتوس

شتَّى

اخربة تلُّو

مدينة تلُّو من اقدم مدن الاشوريين موقعها بين الفرات ودجلة في غربي جنوبي بغداد بها اكتشف منذ سنين قليلة المسيو دي سارزق العلاَّمة الفرنسي عاديَّات كثيرة يرتقي عهدها الى دول السابقة للاشوريين . الَّا انَّهُ كان انقطع عن حفر تلك الاخربة لانقضاء مدَّة

الرخصة. وقد علمنا الآن بمزيد المسرَّة ان الباب العالي اناله الرخصة المطلوبة فاخذ يواصل اكتشافاتهِ المهمّة وقد عثر على عدَّة آثار من جملتها شفرة طولها نحو نصف متر عليها كتابات قديمة وقبضتها حسنة النقش

أسئلة وأجوبة

كتب عن البرامكة

س كتب الينا احد المستشرقين في ليون: هل يعرف اصحاب المشرق الفضلاء كتباً عن احوال البرامكة واعمالهم غير ما ورد في الكتب المنشورة بالطبع كالاتليدي او ما جاء استطراداً في كثير من تآليف المؤرخين

ج انَّ ما جاء من اخبار البرامكة في كتب الادباء والمؤرخين لا يكاد يضمّهُ حصر ومنها منشور بالطبع كالعقد الفريد لابن عبد ربهِ والاغاني ومروج الذهب ومنها ما لم يُطبع الى اليوم كتذكرة ابن حمدون وتواريخ كثيرة خطّية. اماَّ التآليف المنفردة في هذا المعنى فقليلة منها اعلام الناس للاتليدي وهو مشهور ومنها كتاب احسن المسالك لاخبار البرامك ليوسف بن محمَّد المليوي المصون في خزانة كتب باريس (عدد ٢١٠٧) وقد نقلنا قسماً منهُ. ولم نجد في فهارس كتب اوربَّة الخطّية مصنفاً آخر في هذه المادّة. وقد ذكر ابو الفرج بن نديم الورَّاق في الفهرست (ص ١٣٤) كتاباً جليلًا في هذا الموضوع اسمهُ كتاب اخبار البرامكة من ابتداء امرهم الى انتهائهِ مشروحاً في نحو خمسمائة ورقة للمرزباني (المتوفَّى سنة ٣٦٨ هـ). وورد في كشف الظنون للحاج خليفة تاريخ لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفَّى سنة ٥٩٧ هـ) اسمهُ: اخبار البرامكة. ولا نعلم ان بقي لهذه التآليف اثرٌ في بعض مكاتب الخواصّ ل. ش

كرلوس الكبير وهارون الرشيد

س وسأل ايضاً المكاتب السابق ذكرهُ: هل جاء في تآليف العرب ذكر ما كان بين الرشيد وكرلوس الكبير (شرلمانيو) ملك الفرنج من العلاقات الودّية

ج قد ورد في التواريخ الغربيَّة ان كرلوس الكبير ملك فرنسة ارسل على الاقلّ ثلاث مرَّات وفودًا الى هرون الرشيد في السنين ٧٩٧، ٧٩٩، ٨٠٣ وانَّ الخليفة من جهتهِ اوفد الى كرلوس ثلاثة وفود. الاوَّل قبل السنة ٨٠٠ والثاني سنة ٨٠٢ اذ ارسل الرشيد لملك الفرنج فيلًا. اما الوفد الثالث فكان في سنة ٨٠٧ قدم على كرلوس رجلٌ اسمهُ عبد الله واهدى اليهِ باسم الخليفة ساعةً عجيبة الاتقان. هذا وانَّ الكَتَبة الشرقيّين الذين نُشرت الى اليوم اعمالهم لم يذكروا البتَّة شيئًا من هذه العلاقات الوداديَّة. حتَّى انَّهم لم يُوردوا اسم كرلوس اللّهمَّ الَّا المسعودي في مروج الذهب (٣ : ٧١) قال: « ثم ولي بعده (بعد پيپين) ابنهُ قارله وكانت ولايتهُ ستًّا وعشرين سنة وكان في ايَّام الحكم صاحب الاندلس ». ولا يخفى انَّ هذه المخابرات بين ملوك الفرنج والخلفاء العبَّاسيين سبقت عهد الرشيد وكارلوس ولكن فات المؤرخين الاقدمين ان ينبئونا عنها ولعلَّهُ ورد ذكرها في كتب اخذتها اليوم يدُ الضياع كتاريخ اخبار الزمان للمسعودي المدقّق المصيب ه . ل

الفخري


س سألنا حضرة الاب انستاس الكرملي ان نفيدهُ شيئًا عن الكاتب المعروف بالفخري

ج ليس الفخريّ كما ظنَّ حضرتهُ كاتبًا وانَّما هو اسم تاريخ وضعهُ تاج الدين محمَّد ابن عليّ المشهور بابن الطقطقى الرازي. (راجع ترجمتهُ في شروح مجاني الادب ص ١٢) وقد وسم كتابهُ بالفخري لما لقيهُ عند امير الموصل فخر الدين عيسى بن ابرهيم من الحفاوة والاكرام فصنَّف لهُ هذا التاريخ الجزيل الفوائد البديع الانشاء

سؤال لصاحب الهلال

قرأنا في العدد الثالث عشر من الهلال (٥١٠) تحت عنوان « اقدم كتابة في العالم » انَّ اقدم الآثار الكتابية هي كتابة بالقلم الاشوري وجدت في بلاد بين النهرين وكتبت في القرن السبعين قبل الميلاد (كذا). فنطلب من صاحب الهلال ان يفيدنا شيئًا من امر هذه الكتابة ومكتشفها ومحلّها ونحواها فنكون لهُ من الشاكرين. فانَّنا نقرُّ مع علمنا القاصر لا نعرف كتابة تتجاوز القرن السابع والثلاثين قبل الميلاد وجدها الدكتور پيترس الاميركي في شمالي جنوبي بغداد ونشرها في العام الماضي ل . ش

قائمة للآثار الجوّيّة   من ٢١ نيسان الى ٦ ايار   ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

اقدم اثرٍ لبني غسَّان

او اخربة المُشتَّى

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

انَّك اذا ما زايلتَ مادبا القرية الواقعة في متصرّفية الكرَك التي ذاع صيتها مؤخرًا باكتشاف الفسيفساء الممثلة لانحاء فلسطين ثم سرتَ الى جهة الشرق وصلتَ الى سهلٍ رحب الارجاء متَّسع الافناء لا شجر فيهِ تحدُّهُ عن بعدٍ سلسلة جبال جزيرة العرب الضاربة الى الزُّرقة

ولا تلبث بعد ان تقطع بعض الروابي والنَّجوات ان تلتقي بازائك آثارًا عظيمةً شبيهة بآثار حصن منيع او قصر بديع ينتصب بجلالٍ في خلوة البراري. تلك هي أخربة المُشتَّى

فهذه الآثار عبارة عن سور مربَّع الشكل تبلغ جوانبهُ نحو ١٥٠ مترًا وفي زواياه اربعة بروج مستديرة. ولكلّ من جوانبهِ الثلاثة شرقًا وغربًا وشمالًا خمسة بروج ناتئة على هيئة نصف حلقة. امَّا الجهة الجنوبية فلها ستة بروج يشرف اثنان منهما على جهتيْ باب هذا البناء العجيب وهما كثيرا الاضلاع

وان ولجتَ داخل البناء تجدهُ منقسمًا الى ثلاثة مربَّعات مستطيلة اوسعها الاوسط فيهِ كانت الابنية القديمة وهي عبارة عن قصر طولهُ خمسون مترًا في عرض سبعين مترًا. وكان امام هذا البناء عمارة اخرى سعتُها كسعة القصر وبين البنائين ساحة مربَّعة جوانبها خمسة وستُّون مترًا. والظاهر انَّ هذه البنايات لم يُنجز عملُها فاستولى عليها الخراب قبل تمامها

امَّا القصر المذكور فيشتمل على حجرة واسعة تحسبها كنيسة قديمة من طرز الكنائس

المعروفة بالَملكيَّات (بازيليك) يليها اربعة منازل. والابنية كلُّها مشيَّدة بالآجرّ سوى طبقتها السفلى القائم عليها البناء فهي مبنيَّة بالحجارة البيضاء. وجدران الحُجْرة الوسطى كانت مهيَّأَةً في اصل وضعها لتُنقش عليها نقوش حسنة من الرخام او الفسيفساء. وفي ساحة الدار لا تزال حتَّى الآن قِطع ضخمة من الرخام الاخضر لم تُنحت

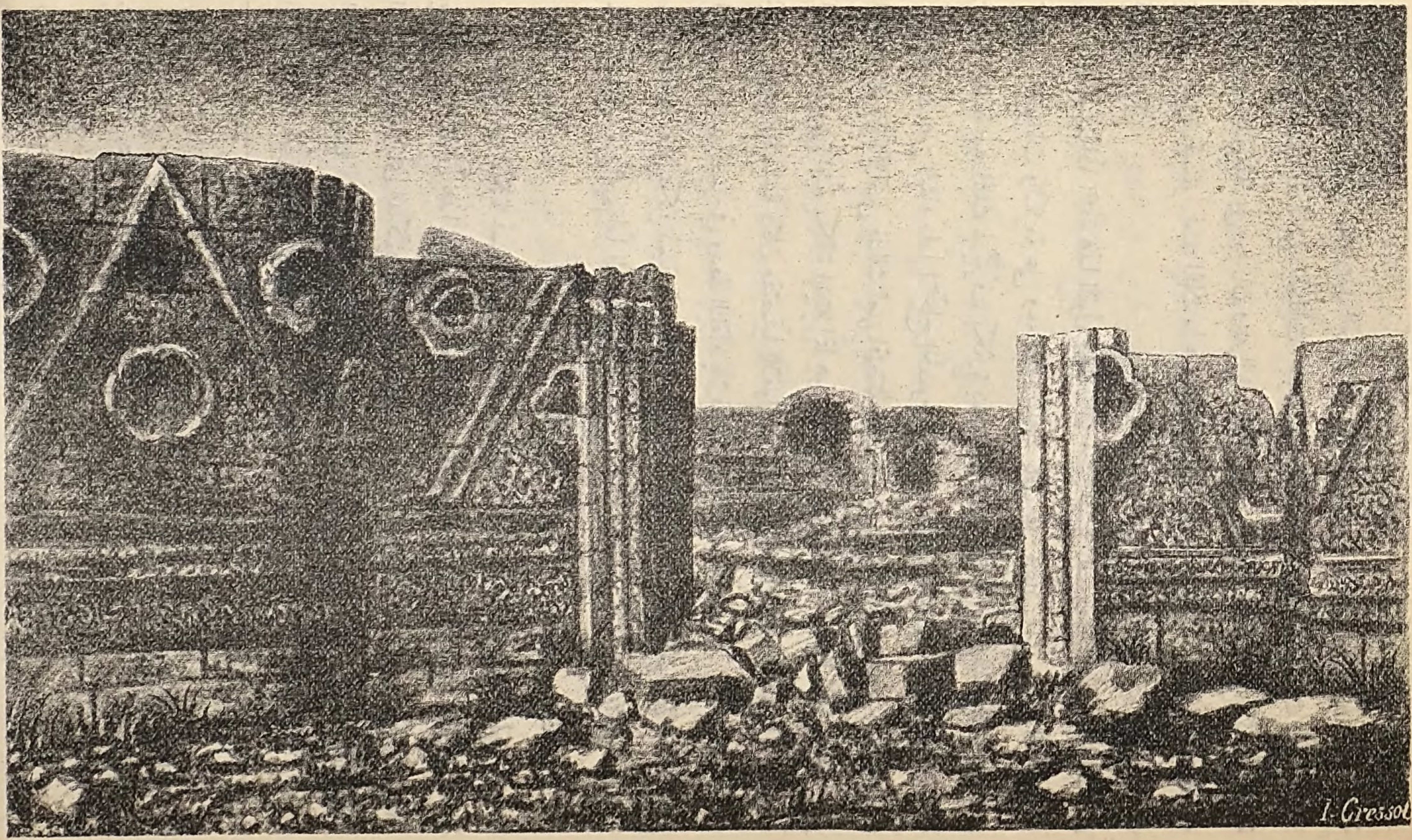
هذا وانَّ من دخل لزيارة هــذه الآثار لا يستطيع ان يضبط نفسهُ عن الاندهال لدى منظره وجه البناء الخارجيّ. وهو كلُّهُ مجمَّل بالنقوش البديعة ترى من جملتها جفنةً محكمة الصورة ذات اغصان وسروغ مشتبكة تمتدُّ على طول البناء في خلالها طيور وحيوانات لا حقيقة لوجودها كالأُسود المجنَّحة والعنقاء وكلُّها على هيئاتٍ غريبة تمرح وتنقر حبوب العنب او تشرب من الكؤُوس (انظر الصورة في الصفحة التالية)

اوَّل ما يخطر في البال عند نظر هذه البقايا الجليلة تُرى ما كانت غاية هذا البناء ولمن يصحُّ ان يُنسب. وقد ذهب العلماء في آرائهم مذاهب فزعم البعض انَّما هذا دير وانَّ الغرفة الوسطى بيعــة قديمة كان يجتمع فيها الرهبان لاقامة الصلاة. غير ان هذا الرأي يدحضهُ عدّة حجج لاسيَّما انَّ القبــلة ليست هي من الشرق الى الغرب كما اعتاد ذلك قدماء النصارى لكن من الشمال الى الجنوب. فالاحرى إذن ان يقال انَّ هذا بلاط يُحدق بهِ سور يمنعهُ من الغزوات وانَّ البيعة الموهومة هي ديوان القصر ونادِيهِ الكبير

ثم انَّ في تركيب قصر المشتى ما يُشعر بهندسة الروم يؤخذ ذلك من هيئة الديوان الشبيه بالبيع الملكيّة (بازيليك) ومن صورة النقوش الناتئة ورؤُوس الاعمدة واكلّتها الى غير دلائل يطول شرحها. ومع ذلك في وسعنا ان نقول انَّ هذا البناء لا يمكن عزاؤُهُ الى اليونان لانَّ هذا القصر خارج عن حيّز المدن الخاضعة لسلطان الروم وهو ينتهي على سَمْت مدُن جَرَش وعمَّان ومادبا. وزد على ذلك انَّ موقع هذه البناية في بادية بيداء لم يكن الروم ليرضوا ان يبنوا فيها قصرًا بديعًا كهذا

وذلك ممَّا يردُّ ايضًا مزاعم من ارتأَوا انَّ البناء من عمل الفرس فضلًا عن انَّ لا اثر في هذا القصر لهندسة الفرس. ولا يكفي ما جاء في خلال النقوش من تصــاوير الطيور والحيوانات فانَّ ذلك شائع عند غير الفرس ايضًا

وقد رجّح البعض أَن اصل البناء من عمل الروم بيد ان للعرب في صناعتهِ يدًا وعليهِ سلّموا بأَنَّ هذا القصر بدء الهندسة العربيَّة. ولكن لمَّا جهل هؤلاء تواريخ قدماء



وجه قصر المُشتّى ومدخلهُ

العرب نسبوا دون تروٍّ بناء هذا القصر الى خلفاء دمشق من بني أُميَّة وآثروا الخليفــة عبد الملك لزعمهم انَّهُ اشتهر بالبنايات الجليلة التي منها المسجد الاقصى في بيت المقدس(١. امَّا الكرمة المنقوشة على جدران وجه البناء فقالوا بغير بيِّنةٍ انَّها دلالة على كَلَف الخليفة بعاقرة الخمرة فنسبوا لعبد الملك ما هو بريءٌ منــهُ على انَّهُ قول مخالف لرواية قدماء المؤرّخين (٢

فلا نسلّم اذًا بصحَّة هذا القول ونظنُّ انَّ قصر المشتّى ليس من اعمال عبد الملك وفي تصاوير الحيوانات والكرمة على وجه البناء شاهد كافٍ على فساد رأْي هولاء الكتبة. ثم انَّ الخليفة عبد الملك لم يُعرَف بكثرة بنائهِ فضلًا عن انَّهُ لم يزل مشغولًا بالحروب لم يمكّنهُ الوقت من البناء. امَّا احتجاج الخصوم بانَّ عبد الملك شيَّد في بيت المقــدس قبَّة الصخرة المعروفة بالاقصى فذلك امرٌ اقتضتهُ الظروف لا يكفي لبيان قصدهم فضلًا عن انَّ المعروف من بني اميَّة بكثرة ابنيتهِ انَّما هو الوليد بن عبد الملك. امَّا عبد الملك فانَّهُ اشتهر بحسن التدبير والسياسة وكان مقتصدًا للاموال(٣ ينفقها في مهمَّات الدولة ليس الَّا فلم يكُ ليبذرقها في بناء قصر في وسط البلقاء بلا فائدة ولا عائدة

هذا وانَّهُ لا يمكن نسبة المشتى لغير عبد الملك من الخلفاء من الامويين لانَّ اكثرهم لم يكن البناء من همّهم امَّا الذين سعوا في تشييد البنايات فانَّهم قلّما افتكروا في البلقاء

٢

ولكن ان انكرنا نسبة المُشتى لبني اميّة أتُرانا ننكر كونهُ للعرب. لا لعمري وانَّما يغلب على ظنّنا انَّ هذا البناء اقدم عهدًا من الخلفاء وانَّهُ من مآثر بني جفنــة ملوك الغسَّانيين كما ارتأى الدكتور برنُوف في ملحق اعمال الجمعية الفلسطينية (٤. وللترجيح هذا الرأي دلائل منها هيئة هندسة القصر وموقعهُ في طرف البرّيّة وتمهيدًا لبيان ذلك قد رأينا ان نذكر هنا لمعةً من احوال بني جفنة وعزّهم

١) راجع المجلّة Echos de N. D. de France, t, IV. p. 216

٢) راجع مقالتنا الفرنسيَّة في الاخطل Chantre des Omiades, *Paris*, *Alb. Schultz*, p. 32, 68, etc.

٣) راجع مروج الذهب للمسعوديّ (٥ : ١١٠) وكتاب الاغاني (١٥ : ١٥٨)

٤) R. Brünnow : *Nachrichten u. Mittheilungen*, 1895, p. 87.

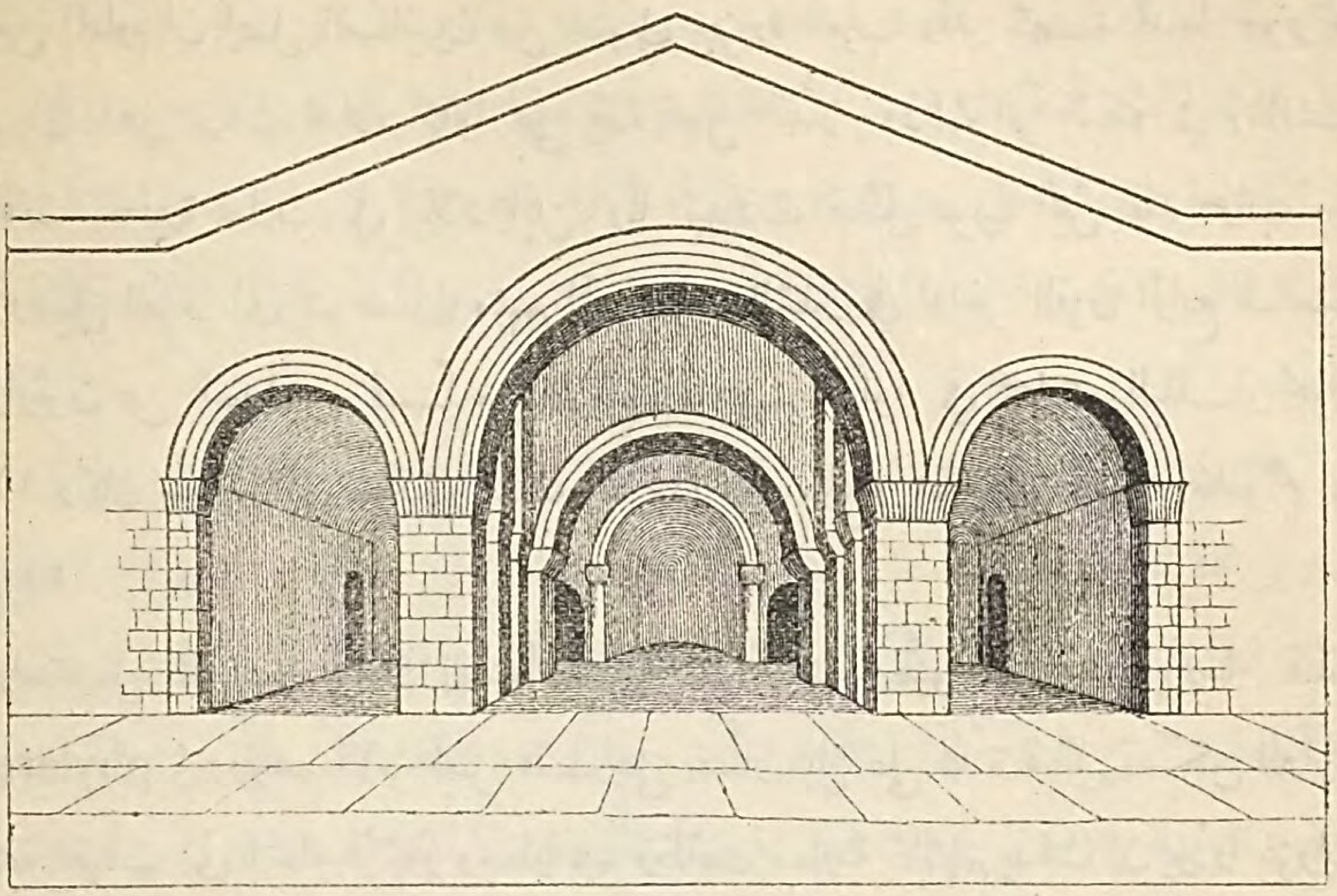
من المعلوم ان اصل الغسّانيين من جنوبي جزيرة العرب وقد شهد قدماء مؤرخي اليونان انَّ اهل تلك البلاد كانوا على قدمٍ من التمدُّن. وذلك امرٌ اثبتهُ في زماننا اكتشافات خطيرة صارت في بلاد اليمن. ولمّا تبدَّدت قبائل عرب اليمن بعد خراب سدّ مأرب وسَيْل العَرِم اتى بنو غسّان منهم الى جهات الشام في اواخر القرن الرابع للمسيح وهم وارثون عن اجدادهم قسماً من صنائعهم وحرفهم فحلُّوا في صحاري البلقاء بجوار مادبا (١ وكان سبقهم الى سكنى تلك الانحاء بنو سليح فظهروا عليهم وخلفوهم في امرتهم (٢

واستعمل القياصرة ملوك القسطنطينيَّة بني جفنة ولقَّبوا امراءهم برؤساء قبائل (phylarque) وولَّوهم الامر ليس فقط على غسّان بل على عدّة قبائل تسكن البراري من ضفة الفرات الى انحاء الحجاز وجعلوا لهم وظائف معلومة غايتهم بذلك ان يردّوا غزوات ملوك الحيرة عمّال الفرس. وكانت كلّ هذه الاحياء من العرب بخضوعها لملوك الروم تتأثَّر فنونهم وعلومهم وتقتدي بصنائعهم. وفي منشور الملك يوستينوس الاوَّل سنة ٥٣٦ ما يُشعر بانَّ رؤساء القبائل المذكورين آنفاً كانوا يحكمون الحكم الشرعيّ على اقاليم العربية اعني الحوران والبلقاء بيد انَّ المدن كان لها تنظيمات مخصوصة يسير سكّانها بموجبها. وقد جاء في شعر حسّان بن ثابت اشارة الى انَّ ملك بني جفنة كان ممتدًّا من الحوران الى بحر القُلزم

وقد تلطَّف ملوك القسطنطينية في اكرام امراء غسّان حتى انعموا عليهم بلقب البطريق وهو من اسماء الشرف التي لم يمنحوها سوى لبعض الخاصّة. وكان هذا اللقب يخوّل من اتّسم بهِ حقوقاً ونعماً سابغة حتى كان الملوك انفسهم يحبوا ان يكنَّوا بهِ كما ترى في مثل كلوفيس ملك الفرنج. وكان القيصر نفسهُ يعظم البطارقة ويدعوهم باسم الاب. وقد روى المؤرخ پروكوپ في تاريخ حرب الفرس (الجزء الاوَّل العدد ١٧) ان الحارث الجفني نال ايضاً برتبة الملك مع السلطان المطلق على كل القبائل المنضوية تحت حكم الرومان

١) قال ابن خلدون (٢ : ٢٧٨) انَّ بني سليم «نزلوا ببلاد موآب من ارض البلقاء». وقد زاد المسعودي بياناً في مروج الذهب (٣ : ٢٢١) فقال ان حاضرتهم كانت «مادب من ارض البلقاء»

٢) راجع تاريخ عرب الجاهليَّة (C. de Perceval II, 202)



صورة داخل قصر المشتّى وهندسته الاصليَّة على رأي الدكتور برنّوف

وبلغت قدرة بني جفنة عند القياصرة الى ان قاوموا في بعض الامور اولياء امرهم واجاؤوهم الى مرامهم كما ظهر ذلك في مسألة المنوفيزيتين القائلين بالطبيعة الواحدة لما ناووا المجمع الخلقيدوني وردُّوا حكمهُ. فكان ملك القسطنطينية يتعقَّب آثارهم ويعاملهم بالعُنف فاعترض الحارث الجفنيّ دون هذه الاوامر ولم يزل يضرب اخماساً لاسداس حتى اضطرَّ القيصر ان يسمح لهُ بسيامة اسقفين من بدعة المنوفيزيتين للبلاد التي يسكنها السريان والعرب معاً وكان يعقوب البرادعيّ احد هذين الاسقفين. فلولا الحرث لحبط مسعى ذوي الطبيعة الواحدة

هذا وان عَظَمة ملوك غسَّان كانت مساوية لقدرتهم حتى ضرب العربُ فيها الامثال. وكانت الشعراء قبل الاسلام تتقاطر الى منازلهم من كلّ أوب فيعودون وهم مُوقرون بألطافهم. وقد ورد في كتاب الاغاني ذكر وليمة فاخرة أولمها جبلة بن الايهم ملك غسَّان تُسفر عمَّا كان عليهِ هؤلاء الملوك من الجاه وَبذخ العيش وقد وصفها حسَّان بن ثابت بما حرفهُ:

«لقد رأيت عشر قِيان خمسٌ روميَّات يغنينَ بالرومية بالبرابط وخمس يغنينَ غناء اهل الحيرة وأهداهنَّ اليهِ اياس بن قبيصة. وكان يفِدُ اليهِ من يُغنّيهِ من العرب من مكة وغيرها. وكان اذا جلس للشرب فُرش تحتهُ الآس والياسمين وأصناف الرياحين وضرب لهُ العنبر

والمسك في صِحاف الفضة والذهب وأُتي بالمسك الصحيح في صحاف الفضّة وأُوقد لهُ العود المندّى ان كان شاتيًا. وان كان صائفًا بطن بالثلج وأُتي هو واصحابهُ بكساء صيفية ينفصل هو واصحابهُ بها في الصيف. وفي الشتاء الفراء الفَنَك وما اشبههُ. ولا والله ما جلست معهُ يومًا قطُّ الّا خلع عليَّ ثيابهُ التي عليهِ في ذلك اليوم وعلى غيري من جلسائهِ. هذا مع حلم عمَّن جهل وضحك وبذل من غير مسألة. مع حسن وجه وحُسن حديث. ما رأيت منهُ خنًى قطّ ولا عربدة. ونحن يومئذٍ على الشِرك »(١

نعم انَّ في هذه الاوصاف مبالغةً لا تُنكر لكنَّها تبيّن ما ابقى في مخيلة العرب من الاثر عزُّ بني غسَّان وترَفهم لاسيَّما ان جبلة بن الايهم لم يَعُد في اوج عظمتهِ بعد ان اباد الفرس سلطان بني جفنة لمَّا غزوا الشام سنة ٦١٣ فنزعوا منهم لقب الملك. وهذا امرٌ مقرَّر (٢ رغمًا عمَّا جاء في موَرّخي العرب بما يشعر بخلاف ذلك. فان كان اذن بعض الخاصَّة بلغ الى هذه الرفعة والجاه فما القول عن بعض الملوك الذين تقدَّموهُ من ذوي الشأن والعزّ كالحارث والمنذر وغيرهما (ستأتي البقية)

لفظ الجيم العربيَّة

للمستشرق الاديب اغاثنجلوس كريمسكي نزيل بيروت

وقفنا على مقالةٍ في العدد الثالث من مجلَّة المشرق الغرّاء لحضرة الاب هنري لامنس المحترم عنوانها « لفظ الجيم أَحلقيٌّ هو ام شجري ؟ ». يظنُّ الكاتب الفاضل ان لفظ الجيم المصري (gue) اقدم عند العرب من لفظ كل جيم غيرها وان اللفظ الشجري مستحدث. وختم بقولهِ كما يأتي :

« فان رغب الينا سائل وطلب ان نبيّن تعيين الزمن الذي فيهِ جرى هذا الابدال من الحلقي الى الشجري اجبنا بكل صراحة اننا نجهل ذلك. امَّا اذا كان لا بدَّ من ابداء رأينا في المسألة قلنا ولكن مع التحفُّظ وليس قولنا الّا من باب الافتراض انَّ الجيم الشجرية ظهرت بنفوذ العجم في البلاد المجاورة لهم في ما بين النهرين والعراق. ولا يبعد انها كانت لغة

---

١) راجع روايات الاغاني للاب صالحاني الجزء الاول ص ٦٣

٢) راجع كتاب نولديك عن ملوك غسَّان Die Ghassânischen Fürsten, p. 42, 43

اهل البلاط في الدولة العبّاسية التي قوي فيها النفوذ العجمي منذ القرن الثاني للهجرة. وكأنّما الناس حاولوا التشبُّه باهل البلاط وسكان العاصمة... ونحن نكرر القول ان ما ابديناه ُ ليس الّا رأيًا نعدل عنهُ متى دلّنا البرهان على مذهب آخر اقرب الى الصواب»

فمع ما في المقالة المذكورة من الافادة واللذّة للمطالع نستميح من حضرة الكاتب ان نبدي اعتراضنا على بعض آرائهِ في لفظ الجيم وخصوصًا على نسبته للنفوذ الفارسي تأثيرًا في لغة العرب كما ذُكر في المقالة

وهاك الاسباب التي تحملنا على ابداء هذا الاعتراض

اوّلًا مع افتراضنا ان العجم كان لهم حقيقةً نفوذ على لفظ العرب نضطرُّ للإقرار ان ليس العجم الذين قدروا على تحويل gue الى j او dj لانك تجد عندهم كلاًّ من هذه الالفاظ الثلاثة gue, j, dj التي كانت موجودة ايضًا قبل الاسلام. ولم يكن يلتبس عليهم امر تمييزها ابدًا بل كانوا يفرقون بينها بكلّ تدقيق. فحيث لا اثر عندهم للالتباس بين dj (او j) و gue كيف قدروا اذن ان يُحدثوا في اللفظ العربيّ تغييرًا كهذا؟

ثانيًا ان في مخالطات العرب والعجم ما كانت اللغة الفارسية مؤثّرة بل متأثّرة لان اهل فارس كانوا يجتهدون ان يقلّدوا العرب في ادقّ الفاظهم وعباراتهم حتى دفع الجهدُ بعضهم الى ترك بلادهم والذهاب الى البادية. وهناك مكثوا بضع سنواتٍ مقيمين بين القبائل لكي يتعلّموا اللفظ العربيّ ويطّلعوا على ادقّ اسرارهِ. هكذا فعل الجوهري مثلًا. امّا العرب فلم يأخذوا عن اللغة الفارسية الّا بعض كلمات. امّا اذا كان حضرة الاب المحترم يظن ان لغة الفرس كان لها تأثير على لغة اهل البلاط فذلك زعم لا دليل عليهِ في التاريخ. بل عندنا ادلّة كافية تاريخية تؤيّد انهُ رغمًا عمّا كان للفرس من النفوذ السياسي في ايّام العبّاسيين الاوّلين لم يكن للغتهم أدنى تأثير على اللغة العربية. وآداب اللغة الفارسية عينها لم تظهر الّا في القرن الثالث من الهجرة (١

ثالثًا لا يمكن ان يكون للنفوذ الفارسي اثر في تحويل gue الى dj او j لان اللفظ الشجري عند العرب تقدّم النفوذ الفارسيّ. وهاك برهانهُ:

---

١) انظر ما كتبتهُ عن تاريخ اللغة الفارسيّة في الجزء الرابع والاربعين من دائرة المعارف المطبوعة في بطرسبرج ومقدمة ترجمتي لشاهنامه للفردوسي المطبوعة في لبزغ

لنذكرنَّ قبل كلّ شيء ان الجيم الشجرية على نوعين dj و j (١ . ولا بدّ من الظنّ ان لفظ j المنتشر في برّ الشام احدث من dj ومشتقّ منهُ . ولنا في بعض الفاظ العامّة ادلّة واضحة على صحّة هذا القول ككلمة « دشَر » التي تأتي من جشر « وتَدَشّا » ودشيشة اللتان تستعملان عند العامّة عوضًا عن جشيشة وتجشّا . وكذلك يوجد عندهم كلمة « داسوس » المشتقّـة من جاسوس ولفظة دسّ عوض جسّ (دسّ في اللغة الفصحى معناها اخفى) وكلمات اخرى غيرها . فبما ان لفظ d يستحيل اشتقاقه من j (كما ومن gue) يلزمنا اذن ان نعتقد ان الجيم في جشر وجشيشة وغيرها كانت تُلفَظ dj وليس j . ثم انَّ كلمــة « دجاجة » لها فائدة مهمّــة في الدلالة على ما تقدَّم اذ انَّ هذه الكلمة تُلفَظ عند الدمشقيين « jâjé » بدون الدال لا djâjé . فمثل هذا التحريف لا يمكنّا ان نجد لهُ تعليلًا سوى هذا وهو ان الدمشقيّين كانوا يلفظون هذه الكلمة قبلًا « djâdjé » عوضًا عن « dadjâdjé » ناسين انَّها مبتدئة بدال . ثم انهم لما ابتدأوا يلفظون الجيم j (عوض عن dj) تحوّلت لفظة djâdjé الى jâjé بدون دال

فترى اذن انهُ لا بدّ من القول بان الدمشقيين كانوا يلفظون j مثل dj كي نعلل عن فقد دال « دجاجة » في لفظهم الحالي

ولندع الآن j ولنبحث عن dj و gue لنرى ايهما اقدم

لمّا انتشر دين العرب بين الفرس انتشرت معهُ ايضًا حروفهم الهجائية . ولكن الفرس اخترعوا بضعة احرف جديدة للتعبير عن اصوات غير موجودة في اللغة العربية فمن هذه الحروف احدثوا اوّلًا ژ (تلفظ j) فإذًا لفظة j لم يكن لهـا وجود في لغة عرب ذلك العهد (وهذا برهان ثانٍ ان اللفظ j الشائع الآن في سوريّة مستحدث) . واخترع الفرس ايضًا حرف (گ) للفظة gue . فاذًا gue (او الجيم الحلقية) لم تكن موجودة عندهم ايضًا (اي عند العرب) اما اللفظ dj فلم يجد الفرس لزومًا لايجـاد حرف جديد يعبّر عن هذا الصوت بل استعملوا الحرف العربيّ « ج » . فيتّضح من هنا ان عرب ذلك العهـد كانوا

---

١) تكتب dj بحرفين (d + j) ولكن لا يسهُ القارئ عن انَّ لفظ dj صوت واحد وليس دْج . فليست الدال ساكنة . والصوت dj هو الذي نسمعهُ مثلًا في لغة بعض الاعراب وفي اللغات الفارسية والتركية والايطالية والانكليزية وفي اللغات السلافية وبعض الفيلولوجيين يؤكدون ان هذا الصوت يجوز ان يكتب هكذا j + d/4

يلفظون الجيم تقريباً dj. قلت «تقريباً» لغايةٍ. لانَّ عندنا دلائل على ان جيم ذلك الزمن مع كونها شجرية اي dj لم تكن مع ذلك شجريَّة مَحْضة

وفحص الكلمات الفارسية المكتوبة بيد العرب يدلُّنا على ان الجيم ما كانت لا شجرية تامّة ولا حلقيّة لانّ كتّاب العرب كانوا يستعملون من جهةٍ حرف الجيم لاجل كتابة الكلمات الفارسية المحتوية على لفظ dj و tch بحروف عربية ومن جهةٍ كانوا يستعملون احياناً حرف الجيم في خطّ بعض الكلمات التي كان العجم يلفظونها gue كقولك جوهر التي يلفظها الفارسيون govher

وممَّا يهمُّنا ايضاً الفحص عنهُ استعمال الجيم في كتابة الاسماء المتداولة في روسيَّة الجنوبية لانَّ ذلك يوصّلنا الى ذات النتيجة التي استخرجناها من الكلمات الفارسية. لا يخفى ان السيَّاح العرب طرقوا روسية الجنوبية مرارًا في القرنين الثالث والرابع من الهجرة وخصُّوا لوصفها قسمًا مهمًّا من مؤلفاتهم. ومن الذين اشتهروا في كتاباتهم عنها ابن فُضلان رسول الخليفة المقتدر بالله (سنة ٩٢٢ للمسيح) وابو دُلَف (٩٤٠) وابن رُستة (٩١٣) والمسعودي (٩٤٤) وابو زيد البلخي (٩٥٠) وابرهيم بن يعقوب الاندلسي (٩٦٠) وغيرهم. فعند ذكرهم مثلًا الاسم Pétchénêgui (وهم قوم سكنوا جنوبي روسيّة) كانوا يكتبون «البجناك» او «البجناكية» او «البجاناكية». فاستعملوا الكاف لكي يعبّروا عن gue والجيم عن tché. امَّا لفظ tché فهو قريب من dj كما هو معلوم. وعندهم ايضًا اسم Esseguel وقد كتبهُ ابن رستة مرَّة «اسغل» بالغين ومرَّة «اسكل» بالكاف لا بالجيم (١ امَّا كلمة oulichtch فهي مكتوبة عند ابن رستة «أُلشج» (ص ٢٩٠) وكلمة joupanetch (لقب الملك عند الصقالبة) كتبها ابن رستة «شوبنج» (ص ٣٢٠ و١٣٨) ومع ذلك نجد عند ابن رستة «جرادست» وهي لا تقرأ الَّا gradistye (ص ٣٢٠ و١٤٢) و«جله» (٢٦٠) تكتب عند مؤرخي الروم Γύλας وتأليف ابرهيم بن يعقوب المتقدّم ذكرهُ يهمنا جدًّا في هذا البحث لان المؤلف كان من الاندلس

١) طبعت جغرافيـة ابي علي احمد بن عمر بن رستة (ويُروى: دُستة) في بطرسبرج سنة ١٨٦٩ (وجدَّد طبعها الدكتور دي غوي (de Goeje) في الجزء السابع من مجموع جغرافيي العرب طُبع في ليدن سنة ١٨٩٢). وكلمة «اسغل» واردة في الصفحة ٢٢ و«اسكل» في الصفحة ٢٥ من الطبعة الاولى

حيث لا اثر للنفوذ الفارسيّ فإذًا يمتنع على كل حال ولو الافتراض ان لغة ابرهيم كانت قابلة لتأثير اللفظ العجمي . وسافر ابن يعقوب من الاندلس الى بلاد الصقالبة . ولمَّا وصل الى بلاد اللونكبارد (Longobards) كتب اسم هذا الشعب « لنوكبرد » (ص ٤٢) بالكاف لا بالجيم(١ وزار ايضاً مدينة البندقية التي كان الافرنج يسمّونها Venedja (يكتب Venegia) او Venetsia (يكتب Venezia) فكتب اسمها « بناجية » بالجيم (ص ٥٣) وكذلك كتب اسم Nêmtchin « نامجين » (ص ٤٠) Kiptchak او Kipdjak « قفجاق » (ص ٤٢) و Pétchénêgui « البجاناكية » (ص ٣٨ و ٤٢ و ٤٤) فيتضح من هنا ان لفظ الجيم المغربي كان في ذلك العصر مشابهاً dj . ومع ذلك كتب ابرهيم اسم Francs « الافرنج » بالجيم ذاتها

فيستنتج ان الجيم في القرون الاولى من الهجرة كان لفظها لا شجريًا تامًا ولا حلقيًا بل متوسطًا اي dj و gue معًا

ولفظ هذا الصوت ليس بالشيء الممتنع اذا لفظنا dj او gue من وسط سقف الحلق . وهو موجود مثلًا في كلمة اوكرائينيَّة vyïjdjiaty (٢ . وفي كثير غيرها يصعب تمييز لفظها بين vyïjdjiaty و vyïjguiaty لانهُ مشترك بين dj و gue

فعلى ما اظن ان تلك الجيم المتوسطة كانت موجودة عند العرب في القرون الاولى من الهجرة . ولمَّا انتشر هولاء وتفرَّقوا في اقطار المعمور تعدّدت لهجاتهم . فاخذ عرب الشرق يلفظون الجيم المتوسطة شجرية محضة ومنهم لفظوها كالياء . امَّا عرب الغرب فجعلوا يلفظونها حلقيَّة تامَّة

غير ان ملاحظاتنا هذه لا تعمّ الَّا القرون الاولى للهجرة او ربَّما بضعة قرونٍ قبلها . واذا

---

١) وصل الينا وصف سياحة ابرهيم في نسخة لرجل اندلسي غيره اسمهُ البكريّ (القرن الحادي عشر) مأخوذة عن ابرهيم . وطبع تاريخ البكري في بطرسبرج سنة ١٨٧٨

٢) اللغة الاوكرائينيَّة اسمها بالفرنسي la langue d'Ukraïne ou petite-russienne اي لغة الروسيين الساكنين في روسيَّة الصغرى . ويسمونها ايضاً اللغة الروسيَّة القديمة او الاصليَّة . ويتكلم اللغة المذكورة تقريباً ثلاثون مليون نفسٍ وكانت مشهورة جدًّا في ابتداء تاريخ روسية . امَّا بقيَّة الروسيين فيتكلَّمون لغة روسيَّة اخرى كان الافرنج يسمّونها قبلًا la langue moscovite ويسمُّونها الآن la langue russe . وقد صارت لغة الدولة . ولكن اللغة الروسيَّة الاصليَّة هي الاوكرائينيَّة

سأَلنا احد هل لفظ الجيم المتوسطة وجد عند العرب دائمًا منذ القدم وهل هو اصليّ فنقول انَّ مقابلة اللغات السامية تدلُّنا على ان الجيم العربية كانت تلفظ كالجيم المصريَّة حلقيةً محضة قبل الهجرة بقرون عديدة اي عند ما كانت تلك اللغات متقاربة جدًّا لا يميزها الَّا فرق يسير . ثم تحوَّلت رويدًا رويدًا الى نصف شجرية او متوسطة . ثم بعد انتشار العرب في كل المسكونة رجع عرب الغرب الى اللفظ الحلقي الذي كان مفقودًا في عصر نبيّ الاسلام . فاذًا لفظ الجيم المشهور الآن في مصر مع كونه شبيهاً باللفظ القديم ليس عريقًا في القدمية بل مستحدثًا شبيهًا بالقديم pseudoarchaïsme . وحاصل القول ان لفظ المصريين ج مثل gue شبيه بالتغييرات الطارئة على بيت كان ابيض ثم لُوّن اصفر فلما زالت صفرتهُ وبدأَت تظهر الوانهُ القديمة عاد فصُبغ ثانيةً ابيض . نعم انهُ رجع الى البياض ولكن هل يمكننا القول ان هذا اللون الابيض الجديد قديم . . . . ؟؟

ملاحظات للمشرق

انّنا نثني على ناسج بردة هذه المقالة المستملحة وفيها من الملاحظات الدقيقة ما يكشف النقاب عن مبهم مسألة طالما تردَّد فيها الكَتَبَةُ وارتابوا متحيّرين . الَّا انَّنا نأخذ على صاحبها الاديب انَّهُ قد انتقل عن موضوع بحثنا شيئًا ما فجاءت براهينهُ مجاريةً لحججنا ليست بمعاكسة

وغاية ما كنَّا تحرَّينـــا في مقالتنا عن الجيم ان نبيّن : اولًا ان العرب قبل الاسلام لم يعرفوا الجيم الشجريَّة . ولنا عاضد في قول الدكتور كَمْبفماير وهو ممَّن بحثوا بحثًا مدقّقًا في لهجة العرب القديمة فورد في جملة قولهِ ما نصُّهُ : « ولسائل ان يسأَل وكيف كان يلفظ العرب حرف الجيم عند ما ظهروا على بلاد فلسطين . فاجيب انَّ الذين اتوا منهم من جهات الجنوب لم يعرفوا غير الجيم الحلقية (gue) . ولا ادري اذا يصحُّ ذلك في القبائل التي أَتت من الشمال »(١) . ثمَّ اردف قولهُ بان الحجج المثبتة بانَّ الجيم كانت شَجريَّة بينهم لا تسبق القرن الثاني العشر حين عمّ صوت الجيم السوريّة

ثانيًا وقد بحثنا عن اصل دخول الجيم الشجريَّة بين العرب فقلنا انَّها لمَّا كانت مجهولةً عندهم لا غرو انَّهم اخذوها من جيرتهم الفُرس وهي عندهم شائعة

ثالثًا لا يمكن ان نسلّم بما قالهُ جناب المسيو كرمسكي انَّ نفوذ الفرس انَّما كان سياسيًّا فقط لانّ نفوذهم الادبيّ لا يُنكر والدليل على ذلك انّ طائفة كُبرى من اللغويين

(١) راجع Kampffmeyer : *Alte Namen in heutigen Palæstina*, p. 18

الاوَّلين كانوا من العجم وربَّما تعصَّبوا لملَّتهم وحاولوا ايثارها على العرب . ولا يسعنا هنا الَّا انَّ نذكّر مكاتبنا الفاضل بما كتبهُ في هذا الامر الدكتور غلدتسير (١ . فلا يُستغرب اذن نفوذ الفرس في اللفظ العربيّ

رابعًا انَّ ملاحظات المسيو كِرمسكي على لفظة « دجاجة » لا تخلو من البراعة والحذق بيد انَّها غير ثابتة اذ يمكن القول ان « جاجة » صورة مختصرة اعتادها العامَّة بدل « دجاجة » كما يقولون « زيرة » بدل « جزيرة » او كما كان يلفظ عرب الاندلس « عامة » بدل « نعامة » (٢

هذا ونكرّر الثناء على المسيو كرمسكي ولا نشكّ انّ القرّاء يتلقّون مقالتــهُ بمزيد الشكر لما اودع فيها من الاعتبارات المبتكرة (٣ ه . ل

زينب (الزبَّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزڤال اليسوعيّ

(تابع لما سبق)

فيظهر من قول وادِنكتون ان زينب كانت كريمة النسب تنتمي الى اشرف عيال تدمر على انَّ ذلك لم يكن ليرضيها . وكاني بها خجلت من ان تُنسب الى ابنة تاجر فحاولت بما امكنها من الوسائل ان تخفي اصلها . وذلك امرٌ شائع بين ملوك المشرق اذا خمل نسبهم ان يدَّعوا لهم اصلًا يرتقون بهِ الى من تقدَّمهم من الملوك

قال المسيو دي ڤوكويه (٤ : انّي اعدُّ سكوت المؤرخين عن صحَّة نسب زينب ضربًا من التملّق . ولمَّا رأى العرب ما بلغت اليهِ من السطوة وعلوّ القدر والخبرة العجيبة في آداب الحرب احبُّوا ان يتوهَّموا لمن دانت لها البلاد اصلًا شريفًا عزوها اليهِ في حياتها . وجاء في تاريخ تريبيليوس پوليو ان زينب كانت تنتسب الى تلك الملكات اللواتي اشتهرنَ في تواريخ

(١ Goldziher : *Muham. Studien* I, 208

(٢ راجع ايضاً كتابنا الموسوم Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe, *Beyrouth*, 1890, p. 157

(٣ لمَّا كان هذا العدد من المجلّة على وشك الطبع وردتنا مقالة أُخرى في لفظ الجيم لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي وان شاء الله سنثبت منها في عدد آخر ما يهمُّ قرَّاءنا معرفتهُ

(٤ V., p. 33

المشرق كسميراميس ملكة اشور ودِيدون صاحبة قرطاجنَّة وكلاوبترة ملكة مصر. وكانت تدَّعي بنوع اخصّ انّ هذه الاخيرة من اجدادها وانها هي حفيدتها. وقد اشعر اتّخاذها لاسم زينب بشدَّة حرصها على السيادة وبما خصَّت بهِ من الصفات الملكية ومعناهُ في اليونانية قوَّة المشتري (Ζηνοβία من Ζηνός وβία ١)

ولمَّا مات سبتيميوس أُذَينة الثاني ملك تدمر ضبطت زوجتهُ زينب عنان الرئاسة واخذت تدبر شؤُون الرعية بالنيابة عن ابنها البكر وَهبلات והבלת (ومعناهُ بالآرامية هبة الإِلاهة. فما كاد ينتشر هذا الخبر في الاقاليم التي دبَّرها اذينة قبل وفاته حتَّى تلقَّتهُ الرعايا بمزيد المسرَّة وكانت هذه الاقاليم ستة السوريّات الثلاث (الاولى والثانية والثالثة) والجزيرة وقيليقية وقسم من آسية الصغرى. ومن اعجب الامور انّ قبل عهد زينب بقليل قامت في الغرب امرأة اخرى تدعى ڤيكتورينة استولت الامر في بلاد غاليَّة لِما رأت في ملوك رومة من الضعف والفشل فلم يقووا على حفظها. ولذلك قال المؤرخون انّ رجال ذلك العصر تأنَّثوا واستفحلت النساء حتَّى نلنَ السيادة على الشعوب

---

١) ولعلَّ سائلًا يسأل عمَّا في دعوة زينب بانتسابها الى كلاوبترة من الصحَّة. فنقول انَّهُ لمقرَّر انَّهُ وُجد بين تدمر ومصر علائق تشهد عليها الآثار القديمة. فكان كثيرٌ من المصريين حلُّوا مدينة تدمر وادخلوا فيها بعضًا من عوائدهم لا سيَّما فيما يختصُّ بدفن الموتى والمآتم واخبر بعض المسافرين انهم وجدوا في تدمر جثثًا محنَّطة على طريقة المصريين (J. A., Sept. 1897, p. 350) وذكر الرحَّالة پوجولا (Poujoulat : *Voyage en Asie Mineure* II, 148) انهُ وقف على عدة نواويس فسأل عنها بعض العرب فاجابوهُ انَّهُ كانت فيها جثث من الموميا الَّا انَّ اهل الوبر قد استخرجوها ظنًّا منهم انها تحتوي نفائس من الذهب والفضَّة (راجع ايضًا كتاب برتون الانكليزي Burton : *Unexplored Syria* وكتاب المسيو دي برنوڤيل (de Bernouville : *Dix jours en Palmyrène* , p. 119)

لكنَّ ذلك ليس بكافٍ لنسب لزينب اصلًا مصريًّا والارجح عندنا انها كانت ارامية الاصل وانتحلت نسب كلاوبترة لشدَّة طمعها في الملك. واقوى دليل على ذلك صورة اسمها السابق ذكرهُ وهو نبطيٌّ آراميٌّ او كاغلب الاسماء الموجودة بين الآثار القديمة. وامَّا قول بعض الكتاب انها كانت عربيَّة الجنس فذلك زعم ذهب اليهِ قومٌ ولا يخلو من بعض الصحَّة الَّا انَّ العلم لم يقرّره حتَّى اليوم تقريرًا كافيًا (راجع V. n° 124 ; Doughty : *Documents épigraphiques, recueillis dans le Nord de l'Arabie*, 1884, *passim* ; Blau, Z. D. M. G. 1871, 550 ; Corpus Inscript. Semit. II, t, 1, *Introd.*)

خارطة لبيان المسالك التجارية في القرن الاول للمسيح

جمعنا تفاصيل هذه الخارطة من عدَّة تصانيف نخصّ منها بالذكر : (Reinaud و : Tab. Peuting.)
Notitia و V : *Architec., Introd.* و W : n^os 2562 et 2633 و *Mésène et Characène:*
Cellarii. *Geogr. t.I c. III.* و Z. D. M. G. 1888. p. 503 و *Dignit.*

ان ڤلوجاسية مدينةٌ بناها ڤلوجاس من ملوك الارشكيين نحو سنة ٦٠م وقد ارتأى فرنل (Fresnel) ان موقعها بقرية صغيرة تسمى كفيل وفيها على زعم اليهود قبر حزقيال النبي . (راجع J. A. 1855², p. 544) امَّا فُرات ميسان (ودعاها ابن خرداذابه دِست ميسان) فموقعها بالقرب من الابلَّة (اي البصرة) . وانما اشرنا الى Zenobia (وهي مدينة السبخة الحالية) لان بناءها منسوب الى زينب كانت تمرّ بها القفول بدلًا من ڤلوجاسية في عهد ملكة تدمر .

(راجع: Cuinet: *Turq. d'As.*, و Reclus, IX, p. 449 II. p. 350.) امَّا مدينة Zeugma فموقعها بالقرب من البيرة (بيره جك) . وقد اثبت العلَّامة Ménant انها كركميش القديمة (او جرابلس) راجع Mém. de l'Acad. t. 32. p. 201. و Reclus, *ibid.* 393. p. ولا حاجة الى ذكر غيرها من الطرق لشيوعها



٤

ان من استقرى اخبار زينب يقضي من امرها العجب لما ابقت ملكة تدمر في تاريخ العالم من المآثر الجليلة ويدهش لسرعة بلوغها الى اوج السلطة والمجد. بيد انَّ ترجمة حياتها تستلزم توطئَةً تُفصح عن احوال تدمر منذ ابتداء امرها ليستدلَّ القارئ على الاسباب التي نهضت بهذه المدينة الى مدارج الفلاح واوسعت نطاق تجارتها وبلغتها الى مقام رفيع لمَّا اتخذتها زينب كعاصمة ملكها

لا يُخفى انَّ لتدمُر اسماً آخر في اللغات الاجنبية وهو بَلميرة (Palmyre) معناها مدينة النَّخل (١. وقد ترجَّح الرأي عند العلماء انَّ سليمان الحكيم هو مشيِّد هذه المدينة مع ما فيها من ابنية الجبابرة. والدليل على ذلك اوَّلًا شهادة الكتاب المقدَّس في سفر اخبار الايام الثاني (٨ : ٣,٤) حيث جاء قولهُ تعالى عزَّ وجلَّ انَّ « سليمان مضى الى حماة صوبة وتغلَّب عليها و بنى تدمر في البرّية وجميع مدن الخَزن التي بناها في حماة » ووافقهُ ما جاء في سفر الملوك الثالث (٩ : ١٨) اذ قال الكتاب عن سليمان : « فبنى سليمان جازر . . . وتدمر في ارض البرّية » . (والدليل الثاني) على انَّ تدمر من اعمال سليمان تقليد اليهود تناقلوهُ ابًا عن جدّ واثبتهُ يوسيفوس المؤرّخ في كتاب العاديَّات اليهودية (ف ٨ : ٦٤) فنسب بناء تدمر لسليمان . وفي شهادة يوسيفوس من القوّة ما لا يجحدهُ جاحد مع ما كان عليهِ من الخبرة بتواريخ اليهود القديمة . (والدليل الثالث) موافقة العرب لاسيما سكَّان البادية على ذلك وهم يزعمون انَّ الجنَّ هي التي بنت تدمر لسليمان وعلى ذلك قول النابغة الذبياني من شعراء الجاهلية :

الَّا سليمان اذ قال الالهُ لهُ ... قم في البرّية فاْحدُدْها عن الفَنَدِ
وخبّر الجنَّ أنّي قد أمرتهمُ ... يبنونَ تدمُرَ بالصفَّاحِ والعَمَدِ

فناهيك بهذه البراهين الثلاثة من شواهد تكفي لإقناع من لا يرضى بالمحاجَّة والخصام

١) ولعلَّ اسمها العبراني תדמר صورة اخرى للفظة תמר (تَمَر) باقحام الدال فيها ومعنى تَمَر النخل وهذا على زعم قومٍ . امَّا المتنبي فقد اشتقّ اسمها من الدمار حيث قال يمدح سيف الدولة وكان اوقع بقبائل العرب عند تدمر :

وليس بغير تَدْمُرَ مستغاثٌ ... وتدمرُ كاسمها لهمُ دمارُ

الَّا انَّ هذا اشتقاقٌ بديعيٌّ ذكرهُ المتنبي على طريقة الجناس ليس الَّا

وتُبطل حُجج بعض المستحدثين الذين انكروا ذلك (١. الّا انّ في مزاعمهم ضروبًا من التباين والشَّطَط ينقضها مَتْن الكتاب الكريم (٢ وفي قرينة الآية المذكورة آنفًا ما يزيل كلَّ التباس وشبهة اذ جاء اسم تدمر مقرونًا بذكر حماة (חמה). ولا يخفى ان دولة سليمان كانت تمتدُّ الى اقاصي سورية الشمالية الى مدينة تفساح الواقعة على ضفَّة الفُرات. فلو لم يقصد الكتاب العزيز الاشارة الى مدينة تدمر التي نحن بصددها لما اورد اسمها في جملة المدن التي عيّنها لحدود مملكة سليمان شمالًا. لاسيّما وان موقع تدمر انسب محلّ امكن سليمان اختيارهُ لبناء مدينةٍ تكون لهُ بمثابة مربط لتجارة رعاياهُ او كما يقول الكتاب كاحدى «مُدن الخَزن». وزد على ذلك انَّ الخطوط التدمريَّة المكتشفة حديثًا أتت مؤيّدةً لذلك فان اسم هذه المدينة قد ورد فيها غالبًا على نفس الصورة المذكورة في التوراة وخصوصًا في الكتابة التجارية التي سنتكلّم عنها (٣

قال السيّد برنوڤيل (٤ : « انَّ مدينة تدمر المذكورة لاوّل مرّة في الكتاب المقدَّس لا تكاد ترى لها ذكرًا مدَّة الف سنة الى ان كشف عن وجودها القناع پلينيوس الطبيعيّ (٢٣—٧٩ب م) فوصفها وصفًا شائقًا يدلُّ على ما نالهُ من النجاح والتقدُّم في توالي الدهور ونعتها بحسن موقعها كمركز اثير الخطارة بين مملكتي الرومان والفرس ». والحقّ يقال ان بعد وفاة سليمان الحكيم أصبح ذكر تدمر نسيًا منسيًا الى عهد قياصرة الرومان. فانّ ابا التاريخ القديم هيرودوت ضرب عن ذكرها صفحًا وكذلك لا تجد لاسم تدمر اثرًا في اخبار فتوحات الاسكندر وپومپيوس وطرايان كما فات سطرابون الجغرافيّ تعريف احوالها مع حسن معرفتهِ بالانحاء الشرقية

وجلُّ ما انبأتنا بهِ الاكتشافات الحديثة انّ نبوكد نصَّر الثاني اجتاز بتدمر في اواخر

---

١) راجع Hitzig : Z. D. M. G. VIII, p. 222 – راجع ايضًا كتاب التاريخ القديم للسيد ماسپرو (Maspero) في طبعتهِ الرابعة

٢) ومن غريب ما قيل في تدمر المذكورة في الاسفار المقدَّسة انها مدينة من اعمال ارمينية او الكوكاس. Haneberg : *Geschichte der biblische Offenbarung*, p. 250.

٣) اطلب مقالة حسنة كتبها في تدمر الدكتور سميث Smith : *A Dictionary of the Bible* (Tadmor)

٤) راجع كتابهُ عن تدمر (ص ٢ و ٣)

القرن السادس قبل المسيح عند مسيرهِ الى محاربة فلسطين ومصر ففتحها عنوةً. وذهب قومٌ الى انَهُ هدم سورها وخرب ابنيتها. وذلك امرٌ فيهِ نظرٌ لانّ الآثار القديمة التي يزورها سيَّاح عصرنا تبيّن صريحًا انّ ذلك الغازي الشهير لم يستأصل ابنيتها جمعاء. امَّا ذو القرنين فلم يتعرّض لتدمر ولمَّا قصد العراق عبر الفرات عند مدينة تفساح المارّ ذكرها

ولا عجب من خمول ذكر تدمر في التاريخ القديم لأنَّها لم تزل الى اوائل النصرانية مدينة تجاريَّة محضة. الى ان اتاح لها الله حياةً سياسيَّة جعلتها من امّهات المدن وذلك ما يحدو بسيَّاح عصرنا ان يشدّوا اليها الرحال ويحطّوا عندها عصا الترحال

٥

قد برّز الشرقيّون في كلّ آنٍ بحذاقتهم في ضروب المتاجرات وانما نال بينهم قصبةَ السبق آلُ فينيقية فانّ تاريخ تجارتهم يرتقي الى ما فوق القرن الثامن عشر قبل الميلاد. وقد مرّ في بعض اعداد المشرق (٢١٩) ما يُعرب عن اتّساع نطاق تجارتهم البحريَّة. فذلّلوا تيَّار المياه وخاضوا معامع البحار حتى فازوا على اقرانهم بالسهم المُعلَّى. ولم يكن نفوذهم التجاريّ برًّا اقلّ شأنًا وخطارةً فانَّهم فضلًا عمَّا كان العرب يأتونهم بهِ من بلادهم كانوا يتردَّدون الى انحاء مصر والفرات لنقل بضائعهم واستجلاب خيرات تلك الاصقاع الى اوطانهم. بيد انّ قوافلهم كانت تعدل عن طريق البراري فلا تقطع المفازات الواقعة بين سوريَّة والعراق خوفًا من غزوات قبائل البادية. وذلك ما حمل سليمان على ان يطلب لتجارتهِ مع العراق طريقًا اقصر فلم يجد مدينة افضل موقعًا من تفساح. ولمَّا لم يرَ بُدًّا من اتخاذ مركزٍ تحلُّهُ التجار قبل البلوغ اليهـا صمَّم النيَّة على بناء تدمر لتكون كمحطَّة لعيراتهِ ومخزنٍ حصينٍ في وجهِ اهل الوبر لخيرات بلاد العراق

فاصاب سليمان المرمى وجاءت تدمر محققةً لآمالهِ وهي المدينة الحريزة البنيان الحَسَنة الاتقان تراها في وسط البراري كريفٍ مُخصب او واشٍ طيّب او زبرجد تحدق بهِ الرمال كقلادةٍ ذهبيَّة (١. فلم تلبث ان تُضحى موردًا يتقاطر اليهِ ارباب التجارة. ولنا دليلٌ صادقٌ

١) وما كان يزيد في رفعة مقام تدمر غزارة مياهها في الزمن القديم. فكان لها ماء غَدَق ويجري فيهـا عدَّة انهار نضب اليوم اكثرها فلم يبق منها سوى جدول او جدولين. واشتهرت بعيونها المعدنية يتوارد اليها اصحاب العاهات للاستحمام فيشفوا من اسقامهم ولذلك دعا الرومان تدمر وار باضها بسورية الشافيَة (Syria salutifera). وقال بَطليموس الفلكيّ الشهير الذي عاش في

على ذلك ألا وهي كتابة قديمة بالنبطية وُجدت حديثًا في تيماء شمالي جزيرة العرب(١ فجاء بها ذكر تدمر وهي تصفها كفندقٍ متّسع الارجاء في بريّة الشام. وتاريخ هذه الكتابة يرتفع الى القرن السادس قبل المسيح

ولمّا صار امر البلاد الشرقية الى السلوقيين وظهر في دولتهم الفشل والانحطاط انتهزت قبائل النبيط الفرصة لتخلع عنها نير هؤلاء الملوك وسلّمت قيادتها الى من يسوسها من ابناء جلدتها. فكثرت الولايات المستقلّة في انحاء الرهاء وحَضَر (Atra) وخارك (Charax) وغيرها من بلاد الجزيرة والعراق (٢. ولمّا كانت كلُّ هذه الطوائف تحترف بمزاولة التجارة جعلت تسيّر قوافلها الى پترة (وادي موسي) وغزّة وتدمر فاصبحت حاضرة زينب منذ ذلك العهد مدينةً خطيرة من عواصم من آسيّة الغربيّة

(ستأتي البقية)

القرن الثاني للنصرانيّة انّهُ كان يسيل في وسط البلدة بقرب الهياكل نهر كبير بعرض البَرَدى ولم يزل السيّاح من العرب وغيرهم الى القرن الثاني عشر يصفون تدمر بعذوبة مياهها المتفجّرة وكثرة حياضها واسرابها وحدائقها (راجع Reclus : *Géogr.* IX, 792) ومقالة للدكتور رِكِندرف (Z. D. M. G, 1888, p. 409) وقال الجنرال تشِسْني Chesney : *Expedit. to the Euphrat.* 1850, t. I p. 526) انّهُ شاهد في تدمر بقايا قناةٍ تمرُّ الآن بين المقابر وبها كانت تجري مياه عين اسمها أفقة كالعين المشهورة بهذا الاسم في لبنان. وكان لقب أفقة يطلق على العيون المختصّة باسم الزُهرة (راجع V. n° 95) وقد لاحظ بعض السيّاح المحدثين في نواحي دمشق وبعلبك آثارًا اخرى لقنيّ وحياض كبيرة بقرب عين الفيجة وعين لبوة وغيرها ينسبها الاهلون الى زينب جريًا على عادتهم كما سبق (Sachau : *Reise in Syrien und Mesopot.*, p. 23,55) وتاريخ الرومان لِمُمْسِن (Mommsen V, 429). وزاد ان زينب قصدت من بناء تلك القنوات استجلاب المياه الى حاضرتها. وهذا زعم لا سند لهُ اذ قد اوضحنا ان مدينة تدمر كانت تستغني بما فيها من الانهار والاسراب الغزيرة عمّا سواها من المياه البعيدة الموقع. ولو صحَّ قول الاهلين في نسبة تلك البقايا الى زينب فجُلُّ ما يجوز الاستنتاج منهُ هو ان سلطانة تدمر قد عزمت على ان تُعمِر البريّة بواسطة اجراء المياه على مفاوزها)

١) راجع Corpus Inscript. Semit. II p.107

٢) R. Duval : *Hist. d'Edesse* J. A. 1891, 2 p. 110

التنوير

للاب موريس كولنجت اليسوعيّ مدرّس الطبيعيات في المكتب الطبي

(تابع لما سبق)

٥

في الاستيلين

ليس الاستيتيلين (l'Acétylène) مادّة حديثة الاكتشاف فانّ الكيماوي الشهير داڤي اطّلع عليها لاوّل مرّة سنة ١٨٣٦ . وتركيبها من عنصرين هما الكربون والهيدروجين ($C^2 H^2$) . وصفة هذا الجسم انّهُ غازٌ غير متلوّن لهُ رائحةٌ شديدة شبيهة برائحة الثوم . واتّقاد هذا الغاز من الخواصّ المعروفة بهِ قديمًا بيد انّ ارباب الصناعة لم يكتشفوا طريقةً لتهيئتهِ على وجهٍ اقتصاديّ فبقي زمنًا طويلًا لا يستعملهُ سوى الكيمويين في اختباراتهم العلميّة

وقد خرج الاستيتيلين منذ عهد قريب من معاهد العلم فصار من معدودات المحاصيل التجاريّة وقد أدّى اكتشاف الموْقِد الكهربائي (انظر صورتهُ ص٥٠٢) الى استخلاص هذا الغاز ونشرهِ الى ان أضحى يُزاحم البترول والغاز الحجريّ ويجاريهما بين وسائل التنوير

امّا كيفية تهيئة الاستيتيلين فبأن تجمع بين الفحم والكلس بواسطة الكهرباء فيحصل بامتزاجها كَرْبور الكَلسيوم ($Ca C^2$) . واذا مسّ الماء هذا الكربور تحلّل الى مادّتين هما الاستيتيلين والكلس

وقد شاع الآن استعمال هذا الوقود الحديث الّا انّهُ لم يُحرز ثقة الجمهور الّا بعد تحسينات كثيرة وكان في اوّل الامر لا يرضى بهِ النـاس لاسبابٍ شتّى منها لون لهيبهِ الضارب الى الزُمْدة ومنها رائحتهُ الكريهة مع خطر التسمّم باشتمامهِ ومنها في آناتٍ انفجار هذا الغاز وحوادث عديدة مفجعة تسبّبت عن ذلك . لكنّهُ مع كلّ هذه المضارّ لم يزل يتّسع نطاق الاستيتيلين لبخس ثمنهِ والصناعيُّون تيسيرًا لرواج سوقهِ ما فتئوا ان يواصلوا البحث في تحسينهِ وإزالة مضارّهِ حتى قرب اليوم حلّ مشكلهِ واضحى من وسائل الوقود المفضّلة

١ (في تهيئة كربور الكلسيوم) قلنا ان الاسيتلين قد شاع استعمالهُ مذ اكتُشفت الموقدة الكهربائية واوّل من مهّد الطريق لذلك العلّامة مواسّان (Moissan) بأبحاثهِ الخطيرة عن الالماس فانّهُ اتّصل ان يركّب قطعًا من الالماس الصنـاعيّ بواسطة قوس

الكهرباء . فاتخذ لذلك موقدة من الكلس وأطلق في وسطها شرر الكهرباء . فكان لهذا الشرر حرارة شديدة تبلورَ من جرّائها الفحمُ فاستحال بتبلورهِ الى الماس صناعي

بيد انّهُ كان ايضاً لهذه الشرر فعل آخر في كلس الموقدة والفحم المتكهرب وذلك انّهُ تركّب منهما كربور الكلسيوم . فدهش الدكتور بوليه (Bullier) من هذا الواقع وكان يساعد مواسّان في اختباراتهِ فاخذ ستة وثلاثين قسماً من الفحم مع ستة وخمسين قسماً من الكلس الحيّ فنال بواسطة قوس الكهرباء مركّب كربور الكلسيوم الصناعيّ الذي منهُ تستخلص الاسيتلين كما سبق . وكان هذا الاكتشاف المهمّ في غرّة سنة ١٨٩٣ فللحال شرع ارباب الصناعة بتشييد معامل لاصطناع كربور الكلسيوم وما لبثت ان غا عددها وهي اليوم كثيرة في جميع البلاد ومنها في فرنسة وحدها فوق العشرين معملًا

فمذ ذاك الحين سقطت اسعار كربور الكلسيوم فصار الطنّ منهُ يباع باقلّ من مئتي فرنك وكان قبلًا يساوي ١٥٠٠ فرنك . وكمّية الاسيتيلين المستخلصة من كيلوغرام الكربور المذكور تبلغ ثلثمائة ليتر

امّا المواقد الكهربائية المتّخذة لإعداد كربور الكلسيوم فانّ لها هيئات شتّى والشكل الذي ترى رسمهُ في الصفحة ٥٠٢ هو احد الأمثلة الشائعة عند كثيرين يُدعى مثالَ پاتين (Patin) . فالآلة المولّدة للكهرباء هي احدى الآلات الدينامية القويّة التي تبلغ شدّتها ١٢٠٠ درجة امپير (ampère)(١ من الكهرباء الى ٢٠٠٠ درجة وتبلغ قوّة امتدادها نحو ٦٠ ڤلتا (volte)(٢ فيصل مجرى الكهرباء الى اسطوانتين من الفحم (١١) فتلتهب الشرارة في وسط مزيج مؤلّف من فحم الكوك والكلس الحيّ . فترتفع الحرارة الى ٣٥٠٠ درجة . ومن حين الى آخر يستخرج العَمَلة ما يتجمّع من الكربور

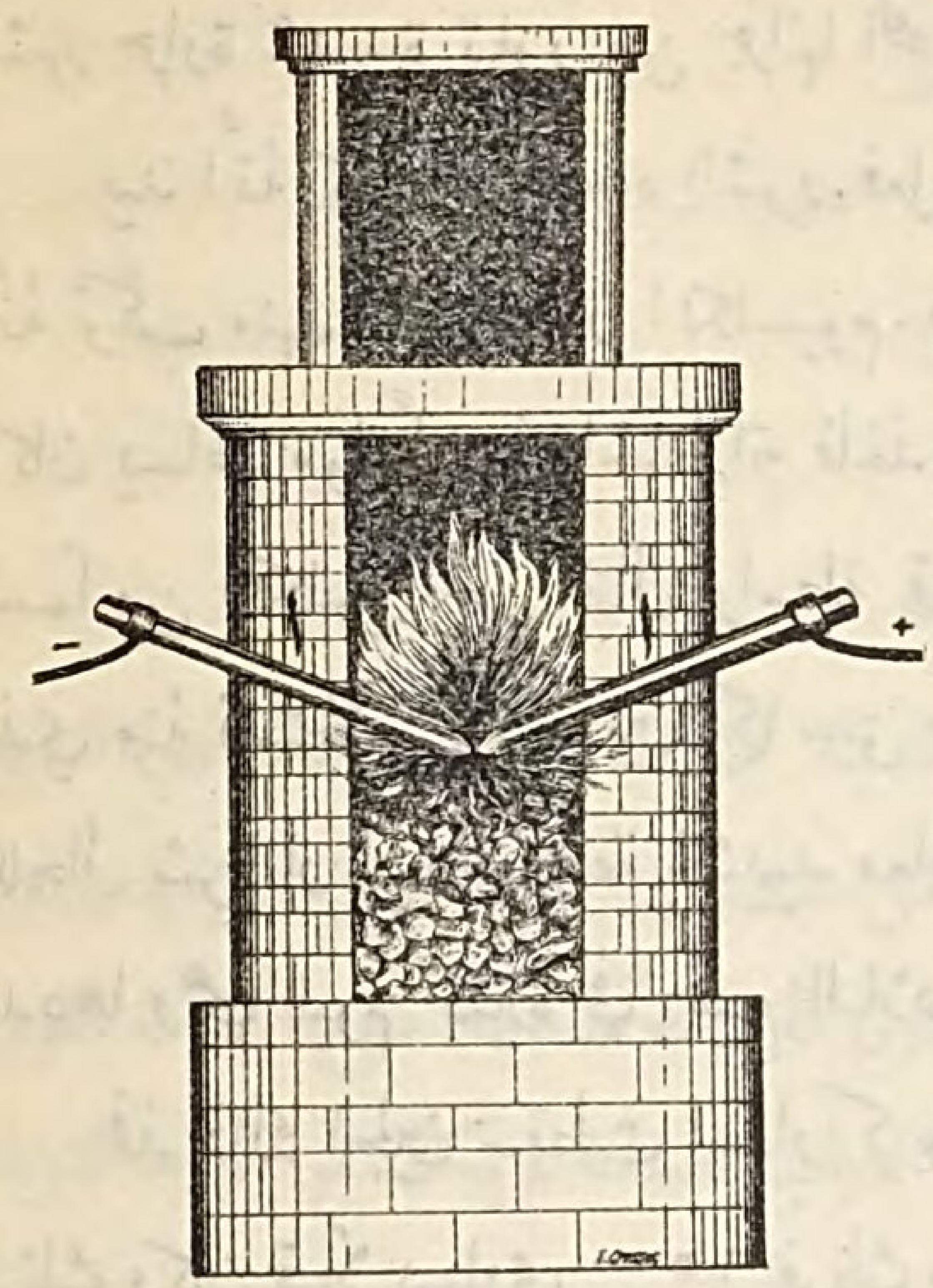
٢ تهيئة الاسيتيلين

ان كربور الكلسيوم المذكور آنفًا يباع عند ارباب الصناعة على شكل قِطَع رماديّة اللون مائلة الى السُمرة . فاذا ما صُبَّ عليها الماء بدأ تحلُّل الموادّ وانبعث الاسيتيلين . وعليهِ فان اردت الاستصباح بهِ كفى ان تأخذ اناء يتضمّن مزيجًا من الماء والكربور فتسدّ فوهتهُ بصمام (فلّينة) مثقوب وتجعل في ثقب الصمامَ انبوبة رفيعة من زجاج فيوقد الغاز المتطاير

١) الامپير هي وحدة القياس لمعرفة شدة الكهرباء

٢) الڤلتا هي وحدة لامتداد فعل الكهرباء

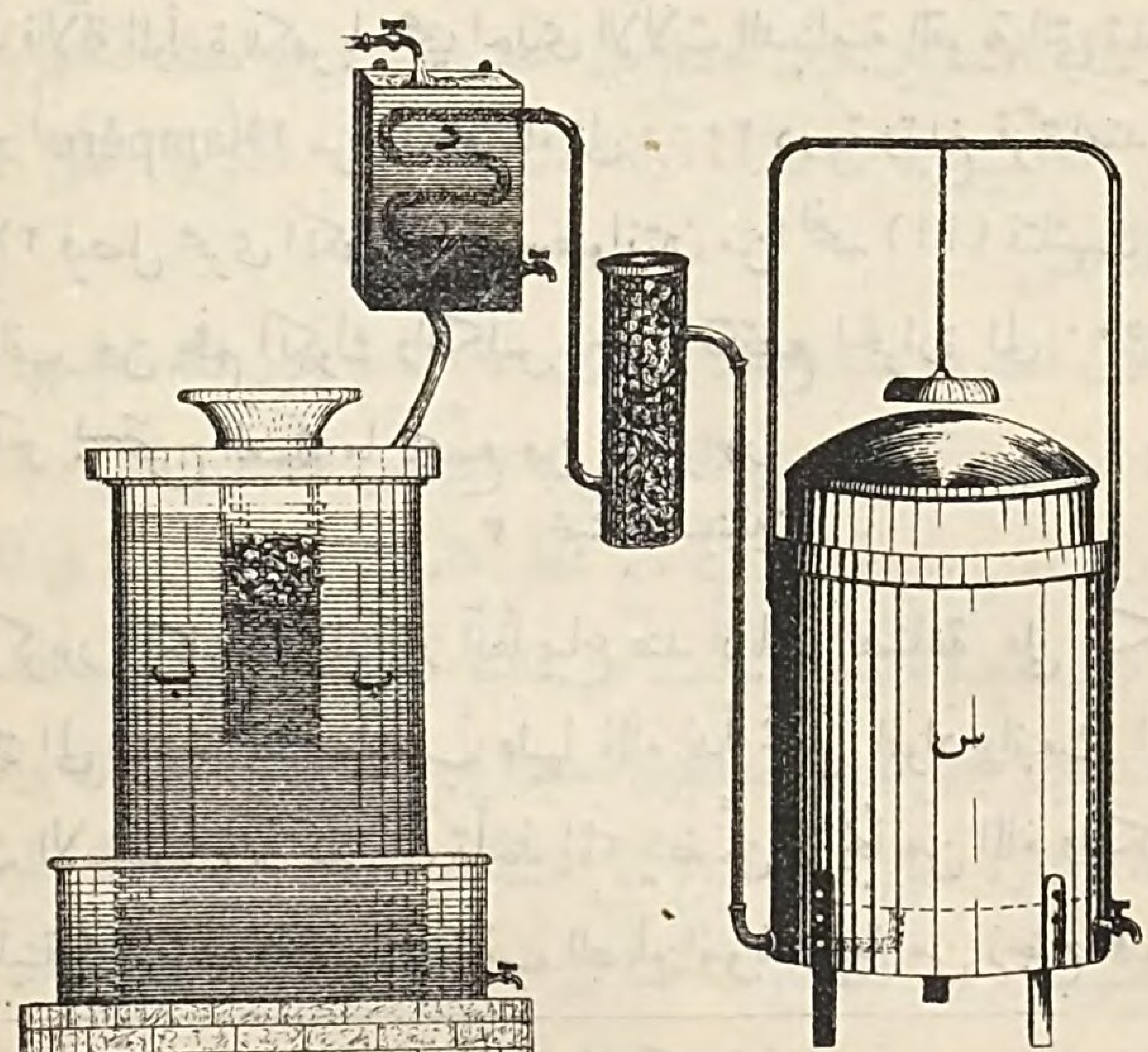
في اعلاها. الَّا انَّ هذا المصباح مع سذاجة تركيبهِ يعرّض صاحبهُ للخطر فضلًا عن انَّهُ ليس بصافٍ وكريه الرائحة



موقد الكهرباء (ص ٥٠١)

وفي واقع الحال قد بيّن الاختبار انَّ الاسيتيلين اذا ضُغط ضغطاً فوق الجَلَدين صار قابلًا للانفجار وربَّما تنفجر لدواعٍ خفيفة كالتهاب في بعض اجزائهِ او لارتفاع درجة الحرارة عند مماسَّة قليل من الماء لقطعة كبيرة من الكربور او اصدمة خفيفة او ايضاً لفكّ الصمام النحاسيّ الذي في اعلى الاناء

فترى ممَّا سبق انَّهُ لا بدَّ من تجهيز مصباح الاسيتيلين او آنيتهِ الخاصَّة بدرايةٍ كي لا يزيد فوقهُ الضغط على ثقل جلدَين. ولتلافي هذه الاخطار لم يعد ارباب الصناعة يحلّلون قطعاً ضخمةً من الكربور بقليل من الماء بل بخلاف ذلك يصبّون ماءً كثيرًا على قطع صغيرة وذلك بالتوالي على حسب اتّقاد الغاز فاذا رُوعي ذلك لم يحصل من استعمال الاسيتيلين خطر يُذكر



آلة لتجهيز الاسيتيلين (ص ٥٠٣)

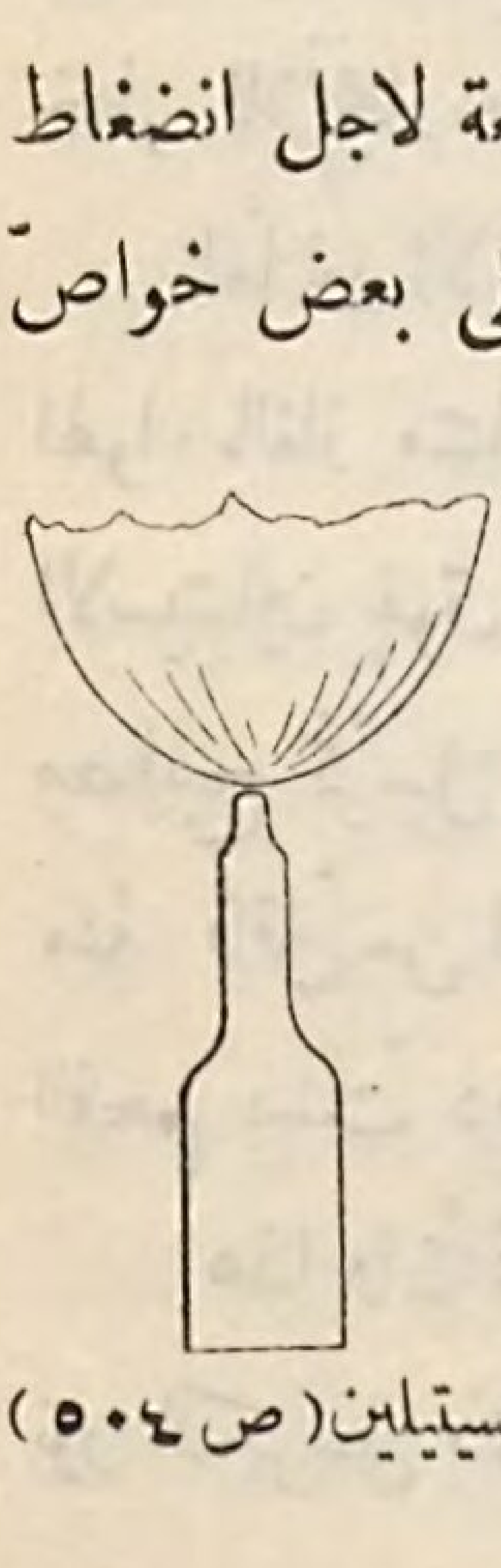
وفي الشكل الذي مثلناهُ (ص ٥٠٢) صورةُ آلة بها يتكوَّن غاز الاسيتيلين . فترى في (١) انبوبةً يُلقى بها الكربور منعَّماً . فاذا وصل الى اناء الماء (ب ب) اجتاز طبقةً من البترول وذلك ليكون سقوطهُ في الماء بهدوّ ونظام . وفي اسفلهِ حوض يمرُّ بهِ الغاز ليبرد . وعند قعرهِ مِصراع يتفرَّغ منهُ الغاز . واذا خرج مرَّ باانابيب الانبيق (د) ليبرد ويتصفَّى . وفي الراووق (ج) يتخلَّص ممَّا يدخلهُ من الموادّ الغريبة كالهيدروجين الفسفوري والهيدروجين الكبريتي والنوشادر ويتطاير من ثمَّ الى خزانة الغـاز . فاذا أُطلق سبيله ليوزَّع بالقساطل على العامّة يُجفَّف قبلًا بمرورهِ في اسطوانة تحتوي قسماً من كربور الكلسيوم . وعنـد نفوذهِ في هذه القساطل يجري في عدَّة انسجة معدنية من شأنهـا ان تحوُل دون لهب المصابيح لئلاَّ ينعكس الى خزانة الغاز فيحدث بذلك انفجار

ويُقتضَى للمصابيح البيتيّة والجهازات الخاصَّـة بعض شروط لتفي بالمرام وتُستدَرك الاخطار . وما يعتبرهُ ارباب الصناعة في تجهيز هذه المصابيح ان يكون الغاز ذاتهُ بضغطهِ وقوَّة امتدادهِ منظّماً لفعـل الماء باعثاً لتوليد غاز جديد . وقد تعدّدت في هذه السنين الاخيرة انواع المصابيح وكلُّها اتت بتحسينات مهمَّة

٣ استعمال غاز الاسيتيلين وخواصُّهُ

قد بيَّنَّا ان الاسيتيلين غازٌ يمكن استخدامهُ كبعض اصناف الوقود التجاريَّة . ولكن يجوز ايضاً تحويلهُ الى هيئة مائع سيَّال فيسهل بذلك نقلهُ من بلد الى آخر . واذا ما اراد صاحبهُ ان يوقدهُ ردَّهُ الى حالتهِ الغازيَّة السابقة

غير انّ دون هذه التحويلات مخاطر كثيرة ربَّما نتج عنها حوادث مفجعة لاجل انضغاط الغاز . وقد وُجد لنقل الاسيتيلين طريقة سهلة لا تعرّض لخطر متوقّفة على بعض خواصّ هذا الغاز . وذلك انّ الاسيتيلين اذا مُزج بالاسيتون (l'Acétone) وهو مائع لا لون لهُ تشبه رائحتهُ روح الغاز مركَّب من الكربون والهيدروجين والاوكسجين (علامتهُ C^3H^6O) تحلَّلت فيهِ سريعاً كمِّياتٌ منهُ . فيكفي لتحليل اربعمائة ليتر من الاسيتيلين وعاء صغير لا يحتوي من الاسيتون فوق ليترين ويمكن ان يبلغ ضغط المائع اثني عشر جلدًا دون ادنى خطر لانفجار الغاز وذلك لقوّة المحلّل على الاسيتيلين ولعلَّ هذا الاكتشاف الخطير يزيل ما وجدهُ الناس من



منقاد الاسيتيلين (ص ٥٠٤)

المشاكل الجمَّة في استعمال الاسيتيلين في بيوت العامّة وفي نقلهِ بين البلاد الشتَّى

امَّا المناقيد المستعملة لايقاد الاسيتيلين فانها تشبه في صورتها الخارجة الرؤوس المستعملة لايقاد غاز الفحم الحجري (انظر الصورة ص ٥٠٣). غير ان ثقب المنقاد او الشقوق التي يجري بها الغاز اضيق من تلك ويجب ان تكون سرعة سيَلان الغاز اشدّ من سرعة الغاز الحجريّ ليكون الاتّقاد تامًّا ولئلاَّ يتَّسخ رأس المنقاد فيلصق بهِ الدرَن

هذا واذا كانت نسبة الهواء مساوية لنسبة الاسيتيلين التهب الغاز بنور محمرّ فاحم. واذا تضاعفت نسبة الهواء لمَّا يمتزج بالاسيتيلين اضحى المزيج سريع الانفجار ولم يزل الخطر زائدًا بقدر كثرة الهواء حتى يصير الخطر في اعلى درجتهِ اذا كانت نسبة الهواء الى الاسيتيلين نسبة اثني عشر جزءًا الى نسبة الواحد. واذا نمتْ هذه النسبة فصارت كنسبة العشرين الى الواحد لم يعد يبقى خطر للانفجار. امَّا في الغاز الحجريّ فان الخطر لازبٌ وشيك اذا كانت نسبة كميّة الهواء اليهِ كنسبة ستَّة الى واحد

وزد على ذلك ما قلنا سابقًا انَّ الاسيتيلين بمعزل عن الهواء اذا زاد الضغط عليهِ اضحى قابلًا للتفجُّر وقد بيَّنَّا ما يُقتضَى اتّخاذهُ من الاحتياطات لاتّقاء الاخطار المتسبّبة عنهُ واذا رُوعي كلامنا صار هذا الغاز سهل الانقياد ولا خطر في استعمالهِ

ثمَّ اعلم ان في استنشاق الاسيتيلين لسُمًّا الَّا انَّ هذا الضرر في الغاز الحجريّ أمسّ. ويُستدلّ على سيلان الاسيتيلين برائحتهِ فاذا شعر احدٌ بانَّ بعض مجاريهِ ينبعث منها الغاز بحيث يتجمَّع بمحلٍّ ما فليفتح للحال منافذ الدار قبل ان يوقد منقاد الغاز فلا يبقى خطر للانفجار ولا للتسمُّم كما ذكرنا عند كلامنا عن الغاز الحجريّ

امَّا نور الاسيتيلين العاديّ فابيض كثير التنوير ويشترط لذلك ان يكون امتزاج الهواء بالغاز متناسبًا. واذا قوبل نورهُ بنور الغاز مع تساوٍ في كميّتهما وجدتَ ان نور الاسيتيلين يفوق نور الغاز الحجري سبع عشرة مرَّةً. ويُقتضى لمنقاد ذي نور موازٍ لخمسة مصابيح كَرْسِل المثالية (ص ١٨٤) خمسة ليترات من الاسيتيلين. امَّا الحرارة المنبعثة منهُ فاقلّ من الغاز الحجريّ بكثير كما انّ كميَّة الحامض الكربونيك اقلّ منها في غاز الفحم بستّ دفعات

هذا وانَّ ثمن الاسيتيلين ارخص انواع الوقود فانَّ سعر ما يوقد منهُ اذا قوبل بسعر نور الكرسل ذي ضوء الساعة لا يتجاوز سنتيما واحدًا. ويمكن تهوين هذا الثمن بالالتجاء

الى التشعشع لانَّ مناقيد الاسيتيلين تقبل الغُلُف المتشعشعة فتُضحي هذه المصابيح من احسن وسائل الوقود وابخسها ثمنًا فينفق منهُ في الساعة ليتران ونصف فقط

فنستطيع اذن ان نختم كلامنا عن الاسيتيلين بقولنا انَّ هذا الغاز سيحرز في المستقبل ثقة كلّ الناس وانهُ لم يعد يستحقّ ما شنّعهُ بهِ الكتبة في السابق وجعل اليوم يتخذهُ الجمهور لتنوير المعامل ومعاهد الادارات والنظارات العمومية والمدارس الكبرى والمدن نفسها. على انَّهُ صار طوع امر من يستخدمهُ مع ما يجريهِ اصحابهُ من التحسين المتواصل بحيث يمكننا ان نتفآل لهُ ملكًا بهيًا عمّا قريب (ستاتي البقية)

غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري

للاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما قبل)

٢ الكتب الفلسفيَّة

انَّ الدروس الفلسفيـــة كانت بلغت في المشرق غاية عزّها في القرني الحادي العشر والثاني عشر للمسيح تشهد على ذلك الوفرُ من المصنَّفات الجليلة لمشاهير الحكماء كبِشر بن متَّى والفارابيّ ويحيى بن عديّ والشيخ الرئيس ابن سيناء وابن رُشد وابن جبرون وموسى ابن ميمون وغيرهم كثيرين الَّا ان غزوات المغول والتـــاتار والحروب المتواترة التي جرت في القرن الثالث العاشر قوَّضت اركان هذه العلوم وحجبت انوارها الساطعة وقتما اخذ المغرب ينبعث من سباتهِ ويعكف على درس قدماء الفلاسفة وترجمة اعمالهم الخطيرة

بيد انّ ابن العبريّ رغمًا عن خمول العرب والسريان في زمانهِ رفع بين اهل ملَّتهِ منار الفلسفة وصار امامًا لكلّ من يأتمُّ بهِ. وتآليفهُ الفلسفية هي حقيقةً حريَّة بكلّ ثناء واعتبار واوَّل ما سعى بمباشرتهِ ان ينقل اعمال ارسطو الى السريانية فجــاءت ترجمتهُ اوفى بالمقصود ممَّن سبقهُ من علماء السريان كسرجيس الراسعيني ويعقوب الرهاوي. وتأليف ابن العبري الكبير في الفلسفة هو الموسوم باسم زبدة الحكمة (ܚܐܘܬ ܚܟܡܬܐ) وقد دعاهُ البعض حكمة الحِكَم (ܚܟܡܬ ܚܟܡܬܐ). وهو يُقسم الى قسمين يتضمَّن الاوَّل كتب

ارسطو المنطقية يتقدّمها كتاب الايساغوجي لبرفيريوس ويليها المقالات العشر ثمّ كتاب التفسير ثم الانالوطيقا الاوّل ثم الانالوطيقا الثاني او الأپوديقطيقا ثم الطوپيقا اي الجدَل ثمّ السوفيسطيقا اي المغالطة ثم الخطابة ثم الشعر . اما القسم الثاني فهو يشتمل على جزئين مضمون الاوّل الطبيعيّات وما يختصّ بها كالعالم والسماء والمعادن والنبات والحيوان والنفس . ومضمون الثاني علوم ما بعد الطبيعة كاصول الفلسفة والعلم بالخالق والادبيّات والسياسة وفي كتبخانات اوربّة عدّة نسخ من هذا المجموع الشريف افضلها في مكتبة ال مِديسيس . وفي خزانة كتب مكتبتنا الشرقية منهُ قسمٌ اتحفنا بهِ السيّد ايلياً ميلوس مطران ماردين الجزيل الاحترام

وقد اختصر ابن العبري هذا المصنَّف الفريد بكتاب آخر دعاهُ تجارة التجارات (ܬܐܓܘܪܬ ܬܐܓܘܪ̈ܬܐ) وهو يجري على اسلوب الكتاب المتقدّم ذكرهُ فيفسّر في القسم الاوَّل مقدّمات الفلسفة اي المنطق وملحقاتهِ وفي الثاني الطبيعيّات

ولهُ كتاب ثالث خصَّصهُ بالمنطقيّات وما يلحق بها كالمقالات والجدل والانالوطيقا يسمَّى كتاب الاحداق (ܟܬܒܐ ܕܒܒ̈ܬܐ) منهُ نسخة في خزانة كتب باريز الخطّية وفي المتحف البريطاني وفي برلين

وبين هذا الكتاب وتأليفٍ رابع لابن العبري اسمهُ كلام الحكمة (ܟܬܒܐ ܕܣܘܕ ܣܘܦܝܐ) علاقة كبيرة ضمَّنهُ صاحبهُ ملخَّص الجدل والطبيعيات واللاهوت وهو شائع في خزائن الكتب الاوربيَّة

ومن تآليف ابي الفرج الفلسفية مقالة حسنة في النفس وخواصّها وقواها كتبها بالعربية في ما ينيف على خمسين فصلاً منها نسخة في مكتبتنا الشرقية منقولة عن نسختين مختلفتين وسننشرها ان شاء الله يوماً بالطبع لفوائدها . ولم نرَ لها ذكرًا في جدول كتب ابن العبريّ

وقد ترجم ابن العبريّ الى اللغة السريانية كتابين من انفع ما وضعهُ العرب في الفلسفة احدهما كتاب الاشارات والتنبيهات لابن سيناء فدعاهُ (ܟܬܒܐ ܕܪ̈ܡܙܐ ܘܡܥܝܪ̈ܢܘܬܐ) وكتاب زبدة الاسرار لاحد معاصريهِ المشتهرين اثير الدين الابهري (المتوفى سنة ١٢٦٢)

هذا وفي ديوان صاحب ترجمتنا عدّة قصائد فلسفيـــة اودعها معاني لطيفة واشارات دقيقة على طريقة الالغاز الحِكَمية

ومن عجيب امر هذه الكتب الفلسفيّة الموصوفة آنفًا انها بقيت حتى يومنا ملقاةً في زوايا المكاتب لم يطبع منها شيء اللهمَّ الّا ما ورد من ذلك في ديوان المؤلّف الآتي ذكرهُ. وهذا ممّا يستدعي العجب والاندهال لانَّ في نشر تلك التآليف الجليلة ما يُفيد المقابلة مع مشاهير فلاسفة القرن الثالث عشر كالبرتوس الكبير واسكندر دي هالس ومناري الكنيسة توما الاكويني وبونوَنتورا (١ فعسى ان يقوم بعض اصحاب النخوة من العلماء ويحيي هذه الرِمَم بنشرها

وممّا اخبر عنهُ اخوهُ صافي انَّ علماء المسلمين كانوا يقصدونهُ ليسمعوا منهُ شرح كتب اليونان الفلسفية. (قال) وسمعنا احد علمائهم في مراغة يقول: لم اسمع ابا الفرج يفسّر مسألةً الّا وتخيَّلتُ ارسطو نفسهُ متكلمًا شارحًا فللهِ درّهُ حكيمًا وفيلسوفًا نطاسيًا

٣ كتب الرياضيَّات وعلم الهيئة

كان لابن العبري ولوع في علمَي الرياضيَّات والهيئة يتعمَّق في مباحثهما العويصة. وقد سبق (ص ٤١٦) انَّهُ في اثناء اقامتهِ بمراغة اخذ في حلّ كتب اقليدوس في المساحة (٢ ولا نعلم اذا بقي لهذا التأليف من اثر فانَّ اخا المؤلف لم يذكرهُ في قائمة مصنّفاتهِ التي سردها في آخر التاريخ الكنسيّ الوارد ذكرهُ. ولعلَّ ابن العبريّ تولى شرحهُ فلقّنهُ تلامذتهُ شفاهيةً ولم يجمع ذلك الشرح في كتاب

امّا الهيئة فقد صنَّف فيها تأليفًا يُعدّ من النفائس يُسمَّى الصعود العقليّ (ܣܘܠܩܐ ܗܘܢܢܝܐ) وجدنا منهُ نُسخًا حسنة في خزانة كتب السيد ايليا مطران ماردين وفي كنيسة اليعاقبة في مديات وفي الموصل. ولا تخلو منهُ مكاتب اوربَّة كباريس واكسفرد والفاتيكان طبع منهُ غوتيل (Gottheil) فصلًا في رسم الارض سنة ١٨٩٠ ونقلهُ الى الانكليزية. وهذا الكتاب يقسم الى قسمين يحتوي اوّلهما ثمانية فصول يفحص فيها اقوال الاقدمين عن هيئة الارض والسماء ثم يبسط القول تباعًا عن الشمس والقمر والسيَّارات وافلاكها الخاصّة ثم يبيّن اعراض السيَّارات وحركاتها وما يختصّ بالنجوم الثوابت. امّا القسم الثاني ففيهِ سبعة

١) راجع مقالةً وردت في المجلّة الاسيويّة للعلّامة اوجين بوره (E. Boré) يبيّن فيها فضل ابن العبري في الفلسفة Journ. Asiat. 1834, XIV, 481-508

٢) Barheb. *Chron.* II, 443

فصول يبحث فيها عن هيئة الارض والاجرام العلوية وتقسيم الارض الى سبعة اقاليم وعن الجزائر والبحار والانهار وعن صورة السماء على اختلاف مقام الراصد ثم صعود الكواكب ثم الظلّ واقسام الزمان وبُعد الكواكب عن الارض وعظم اجرامها بالنسبة الى عالمنا. وكلّ هذه الابحاث تحتوي على ابواب كثيرة. وفي اسماء الفصول شاهد صادق على نفاسة هذا الكتاب الجليل الذي يجعل لابن العبريّ مرتبة عُليا بين قدماء الفلكيين. ومما يزيد الكتاب حسنًا ما جمَّلهُ بهِ صاحبهُ من الرسوم والاشكال الهندسية

وفي هذا التأليف اشارات الى بعض الاكتشافات الحديثة اخذنا العجب لمّا أطلعنا عليها السيّد المطران ايليا المذكور سابقًا

واحرز لهُ ابن العبريّ ذكرًا طيبًا بتفسير كتاب المجسطيّ لبطليموس المدعو باصلهِ اليوناني (ἡ μεγίστη σύνταξις) وهو تصنيف في علم النجوم وحركات الأفلاك بذل العرب في شرحهِ والتعليق عليهِ النفس والنفيس فلم يرضَ ابن العبريّ الّا ان يتتبّع اسرار معانيهِ ويغوص في بحارهِ لالتقاط دراريهِ. فشرحهُ كما سبق في سنة ١٢٧٣ لمّا كان مقيمًا في مراغة (١ ونأسف على فقد هذا التفسير الذي لم نجد لذكرهِ اثرًا في مكاتب الشرق والغرب

ويلحق بهذا الباب كتاب المزيج الكبير (ܟܬܒܐ ܙܝܓܐ ܪܒܐ) اي معرفة حركات الكواكب لاستخلاص التقويم السنويّ وتعيين الاعياد المنتقلة وضعهُ ابن العبري ليخفّف على العامّة مؤونة التفتيش عن هذه الامور المهمّة. وقد بقي من هذا الكتاب نسخة حسنة بين مخطوطات الفاتيكان يبلغ عدد صفحاتهِ نحو الاربعين صفحة

٤ الكتب التاريخيّة

ان كان لابن العبري فضلٌ عظيم بالتصانيف السابقة الذكر فهو في كتبهِ التاريخية افضل منهُ في ما سواها ولولاها لفاتنا خبر حوادث كثيرة وذكر جمٍّ من مشاهير الشرق وكتبتهِ المبرّزين لاسيَّما انَّهُ اخذ عن غيرهِ من المؤرّخين ممَّن ضاعت تآليفهم او عزَّ وجودها. وذلك هو الداعي لإقبال الاوربيين على كتبهِ التاريخية فتسابقوا الى نشرها قبل غيرها

وهذه التواريخ عبارة عن تأليف واسع دعاهُ كتاب تاريخ الازمنة (ܟܬܒܐ ܕܡܟܬܒܢܘܬ ܙܒܢܐ) وقسمهُ الى ثلاثة مجلّدات يحتوي اوّلها كتاب تاريخ الدول يتضمّن اخبار العالم

(١ Chronicon III, 443

ودولِهِ العشر الكبرى منذ الخليقة الى قرب سنة وفاة المؤلف (١٢٨٤). وهذا الكتاب اصلهُ بالسريانية طبعهُ لاوَّل مرَّة برُنس وكِرْش (Bruns et Kirsch) سنة ١٧٨٩ في جزئين ونقلاهُ الى اللاتينيَّة وهي طبعة تشوّهها اغلاط لا تُحصى. وقد جدَّد طبع هذا الكتاب النفيس ووفّاهُ حقَّهُ من الاصلاح والتحسين حضرة الاب العازاريّ الكلدانيّ العلاَّمة بدجان (Bedjan) سنة ١٨٩٠ وهو مطبوع بالحرف الكلداني البديع

وهو القسم التاريخيّ الذي كما قلنا سابقًا عرَّبهُ ابن العبريّ تلبية لطلبة بعض وجهاء المسلمين وقد زاد على هذا الكتاب عدَّة افادات نقلها عن مشاهير مؤرّخي العرب كالطبريّ وابن الاثير ومن مزايا هذه النسخة العربية تراجم الفلاسفة الحكماء والاطباء الذين اشتهروا في كلّ زمان اخذ كثيرًا منها عن كتاب الحكماء لجمال الدين القفطيّ وعنهُ روى ما اثبتهُ في تاريخهِ (ص ١٧٦) عن حرق مكتبة الاسكندرية. ولهذا التعريب طبعتان الاولى سبق اليها المستشرق العلاَّمة پوكوك سنة ١٦٦٣ في اكسفُرْد مع ترجمتها الى اللاتينية ثم نُقلت الى الالمانية بهمَّة المعلّم بَوَر (Bauer) سنة ١٧٨٣ امَّا الطبعة الثانية فقام بنشرها حضرة الاب صالحاني اليسوعيّ وهي تفضل الاولى من وجوهٍ شتَّى من حيث الاتقان والضبط وحسن الحرف مع ما في ذيلها من الحواشي المهمَّة وهي ملحقة بفهرسٍ مطوّل لاعلام الناس والامكنة يليهِ جدول كامل للمقابلة بين التاريخين المشهورين الهجري والمسيحي

امَّا القسم الثاني من تاريخ ابن العبريّ فهو اجلّ من الاوَّل وانفع وكان العلاَّمة السمعانيّ نقل عنهُ صفحاتٍ مطوَّلة في كتابهِ الشهير الموسوم بالمكتبة الشرقية حتَّى اهتمَّ بطبعهِ تامًا وترجمتهِ الى اللاَّتينية السيّدان الفاضلان ابّلوس (M^{gr} Abbeloos) ولامي (M^{gr} Lamy) وهو مشروع جليل قاما بهِ احسن قيام (في لوڤان سنة ١٨٧٢ و١٨٧٣). ولهذا القسم فرعان يتضمَّن الاوّل في مجلّدين ملخَّصَ اخبار قدماء الاحبار من اهرون اخي موسى النبيّ الى حنَّان نقلًا عن الاسفار المقدّسة وتاريخ يوسيفوس ثمَّ اسماء بطاركة انطاكية من بطرس هامة الرسل الى القديس فلاڤيان (المتوفّى سنة ٥١٨) مع ذكر تراجمهم واخبارهم. ثم تاريخ ساويرس اوَّل بطاركة اليعاقبة السريان وخلفائهِ الى نمرود الملقَّب بفيلوكسين وهو الذي مرَّ لنا شرح ترقيتهِ الى الرتبة البطركية. وفي ايَّامهِ مات ابن العبريّ. وقد شفع بعضُ كتبة اليعاقبة هذا الجزء من الكتاب بملخَّص اخبار البطاركة الى البطريرك مسعود

زازي المتقاعد عن رتبتهِ في سنة ١٤٩٥ م. ويلي ذلك جدول لبقيّة اسماء بطاركة السريان اليعاقبة ثمّ من ارتدَّ منهم الى حجرِ الكنيسة الرومانيــة. والفرع الثاني مضمونهُ اخبار من خلف القديس توما الرسول من الاساقفة في العراق منذ زمن القديس ماري مؤسس كرسي المدائن الى غاية الرُّبع الاوَّل من القرن السابع. ثمّ ذكر ابن العبري بعد هؤلاء سيامة ماروتاس المفريان سنة ٦٢٩ م على تكريت وكيف صار هذا الكرسي الى يد مفارين اليعاقبة الذين اورد ابن العبريّ اخبارهم مفصَّلةً الى زمانهِ. وقد الحق اخوهُ برصوما صافي المتولّي رتبة المفريان بعدهُ هذا الجزء من الكتاب بترجمة ابي الفرج اخيهِ. ولهُ مُلحق آخر بقلم بعض كتبة اليعاقبة فيهِ اخبار من حازوا برتبة المفريان من عهد ابن العبري الى اواخر القرن الخامس عشر للمسيح. وقد اتمّ السيد لامي هذه الجداول الى زماننا مع قائمــة بطاركة النساطرة الذين اتوا بعد زمان ابن العبريّ وختمهُ بملخّص تاريخ بطاركة الكلدان المتَّحدين مع الكرسي الرسولي من عهد يوحنَّا سولاقا . وفي آخر الكتاب فهرس عامّ جزيل المنفعة

وهذا التاريخ الكنسيّ لابن العبريّ كلّهُ فوائد لايستغني عنهُ من اراد معرفة احوال الكنائس الشرقية واخبار بطاركتها ومشاهير رجالها واسباب انحطاطهــا جازى الله خيرًا مؤلفهُ ونفعنا بعلم امثالهِ في شرقنا العزيز (ستأتي البقية)

كتاب النبات والشجر للاصمعيّ

سعى بنشرهِ الدكتور اوغست هَفْنر

(تابع لما سبق)

[فَصْلٌ فِي ٱلنَّبْتِ مِنَ ٱلْأَحْرَارِ وَغَيْرِ ٱلْأَحْرَارِ *]

وَأَحْرَارُ ٱلْبَقْلِ مَا رَقَّ وَعَتُقَ (وَمَعْنَى عَتُقَ كَرُمَ . وَٱلْعِتْقُ ٱلرِّقَّةُ[1])،

* في الفصول الآتية رأينا ان نذكر اسماء النبات الذي ادرك العلماء حقيقتهُ فعرَّفوهُ

١) يريد انَّهُ لا يُرَاد بالعتق هنا معنى القِدَم لكن الحُسن والكرم

وَذُكُورُ ٱلْبَقْلِ مَا غَلُظَ مِنْهُ [1] (فَمِنَ ٱلْاَحْرَارِ) ٱلذُّرَقُ وَهُوَ ٱلْحَنْدَقُوقُ [2]، وَٱلْبَقْلُ وَهُوَ قَتُّ ٱلْبَرِّ [3]، وَٱلْحُرْبُثُ [4]، وَٱلْيَنَمَةُ [5]، وَٱلْحَسَارُ [6]، وَٱلسَّعْدَانُ [7]، وَٱلذَّعَالِيقُ [8] (وَٱلْوَاحِدُ ذُعْلُوقٌ)، وَٱلْحَوْذَانُ [9] [وَٱلْوَاحِدُ حَوْذَانَةٌ]،

باسمِهِ الاصطلاحيّ عندهم. وهذه اسماء الكتب التي اخذنا عنها مع الاختصارات للدلالة عليها: B.: Boissier, *Flora Orientalis* ; E.: Euting, *Verhandlungen der Gesellschaft für Erdkunde Berlin* 1886, p. 268 seq. ; L.: Löw, *Aramæische Pflanzennamen* ; Lc.: Leclerc, *Ibn al-Baithar, Traité des Simples, Paris*, 1881 ; P.: Post, *Flora of Syria, Palestina and Sinaï*.

---

١) قال ابو الهَيْثم: احرار البقول ما رقَّ منها ورَطُب وذكورها ما غَلُظَ منها وخَشُنَ

٢) قال في اللسان: الذُّرَق واحدتها ذُرَقة نبات كالفِسْفِسَة تسمّيهِ الحاضرة حَنْدَقُوقَى وحَنْدَقُوقَى وحِنْدَقُوقَى. قال ابو حنيفة: لها نُفَيْحة طيّبة فيها شبهُ الغثّ تطول في السماء كما ينبتُ الغثّ وهو ينبتُ في القيعان ومناقع الماء (Lc., Mélilot)

٣) البقل من النبات ما لا يبقى لهُ ساقٌ على الشتاء بعد ما يُرعى. وقيل كلّ نابتة في اوّل ما تنبت فهو البقل. وقيل ان البقل ما اخضرَّت لهُ الارض (P., Portulaca Linnée). امّا القتّ فهي الفصفصة وهي الرَّطبة من عَلَف الدوابّ (Lc., Luzerne)

٤) وصفهُ في المحكم وغيرهِ بانَّهُ نبات سَهْلي اسود ذو زهرة بيضاء وهو يتسطَّح قضبانًا لهُ ورقٌ طوال يتخلّلها ورقٌ صغار يقال انهُ من اطيب المراعي

٥) اليَنَمة عُشْبة طيّبة من احرار البُقول تنبت في السهل ودكادك الارض لها ورقٌ طوال لِطاف مُحدَّد الاطراف عليهِ وَبَر أَغْبَر كأنَّهُ قِطع الفِراء وزهرتها مثل سنبلة الشعير لليَنَمة حبٌّ صغير كثير يسمن عليهِ الابل (Lc., Hieracium philosella)

٦) الحسَار من نبات القيعان والجلَد ولهُ سُنبل يُشبه الزُّبَّاد الّا انهُ اضخم منهُ ورقًا وهو من اطيب مأكل الماشية

٧) السَّعْدان نبتٌ مشوك لون شوكهِ كالح اذا يبس تُشبَّه بهِ حلَمة الثدى ومنبتهُ السهول وهو من اطيب مراعي الابل اذا كان رطبًا يضرب في طيبهِ المثل L., Neurada procumbens

٨) قيل انهُ نبت يُشبه الكُراث (E., 269)

٩) جاء في اللسان ان الحوذان نبت من نبات السهل يرتفع قدر الذراع لهُ زهرة حمراء في اصلها صفرة وورقتهُ مدورة وانهُ حلوٌ طيب الطعم (P., Nymphea Linnée, cfr E. 296)

وَالْحُرْفُ(١)، وَالْخِطْمِيُّ(٢)، وَكَفُّ الْكَلْبِ(٣)، وَالْحَامَةُ(٤)، وَالْقَفْعَاءُ(٥)، وَالتَّرَبَةُ(٦)، وَالْإِسْحَارُ(٧)، وَالْحُوَّاءُ(٨)، وَالزُّبَّادُ(٩)، وَالْخِنْزَابُ(١٠) وهو جِزَرُ الْبَرِّ (قَالَ جِزَرٌ بِكَسرِ الْجِيمِ)، وَالْحَنْوَةُ(١١)، وَلِحْيَةُ التَّيْسِ(١٢)، وَالْبَسْبَاسُ(١٣)، وَالْإِسْلِيحُ(١٤)،

١) قال الازهري: انّ الحُرْف حبّ كالخردل تسمّيه العامّة حبّ الرشاد

٢) الخَطمي بفتح الخاء وكسرها ضرب من النبات يُغسل بهِ يدعوه الفرنج (Lc., Guimauve)

٣) كفُّ الكلب عُشبة منتشرة تنبت بالقيعان وبلاد نجد تُشبَهُ بكفّ الكلب اذا يبست (Lc., Spartium junceum). قال ابن البيطار (٤: ٧٤) كفُّ الكلب هو البدسكان

٤) قال في اللسان: هو نبات ينبت في السهل (B., Heliotropium Halame)

٥) وفي الاصل الفقعاء وهو تصحيف. قيل انَّ القفعــاء حشيشة ضعيفة خوّارة من احرار البقول لها نور احمر وقال ابو حنيفة: انها شجرة خضراء ما دامت رطبةً وهي قضبان قصار تخرج من اصل واحد لازمة للارض لها ورق صغير (E., 269)

٦) ورد في اللسان: التّربة ويقال التَّرَبة والتَّرْباء نبت سهليّ مفرَّض الورق وقيل هي شجرة شاكّة وثمرها كانّها بُسرة معلَّقة منبتها السهل والحَزْن وتهامة (F., 269)

٧) رُوي عن الازهري عن النضر بن شميل انَّ الاسحارَّة بقلــةٌ حارَّة تنبت على ساق لها ورق صغار وحبّ اسود يسمن عليهِ المال

٨) وصفهُ ابو حنيفة بانهُ بقلة لازقة بالارض ويسمو من وسطها قضيب عليهِ ورق ادقّ من ورق الاصل وفي رأسهِ برعومة طويلة فيها بزرها (E., 269)

٩) وفي الاصل الزناد وهو غلط. قال ابن سيده: الزبَّاد والزُّبَّادى والزُّبَّاد كلّهُ نبتٌ سُهليّ لهُ ورق عراض وسِنفة وقد ينبت في الجلد يأكلهُ الناس وهو طيّب. قال ابو حنيفة: ورقهُ صغير منقبض مثل المَرْزَنجوش

١٠) ويقال خُنْزوب ايضاً ولم يوصف في كتب اللغة

١١) الحَنْوة نبات سهلي طيب الريح. وجاء في اللسان: وقيل هي عشبة وضيئة ذات نَور احمر ولها قُضُب وورق طيّبــة الرّيح الى القِصَر والجعودة ما هي وقيل هي آذريون البرّ. وقال ابو حنيفة: الحَنْوَة الريحانة. ويروى في الاصل: الحنا. وهو غلط

١٢) هو النبات المدعو عند العلماء (Lc., Tragopogon et Ciste, Cistus villosus)

١٣) وفي الاصل البساس وهو تصحيف. والبسباس نبات طيب الريح يشبه طعمهُ طعم الجزر يدعوهُ الفرنج (Lc., Fenouil)

١٤) قيل انّها بقلة تنبت في الشتاء وقيل هي عُشبة تشبه الجرجير تنبت في الرمل وقيل هو نبات سُهليّ ذو ورقة دقيقة لطيفة وسَنِفة محشوّة حبّاً كحب الخشخاش. وجاء في الاصل: الاسليخ بالخاء. وهو غلط

وَٱلْحِنَّاء[١] ، وَٱلْقُرَّاص[٢] ، وَٱلْجِرْجار[٣] ، وَٱلْقُلْقُلان[٤] ، وَٱلْمُلَّاح[٥] ، وَٱلْحَمَصِيص[٦] وَهُوَ بَقْلَةٌ حَامِضَةٌ تُجْعَلُ فِي ٱلْأَقِطِ ، وَٱلْقَصِيص[٧] وَٱلْإِجْرِدّ[٨] وَهُمَا شَجَرَتَا ٱلْكَمْأَةِ ٱللَّتَانِ تُعْرَفُ بِهِمَا وَأَنْشَدَ :

جَنَيْتُهَا مِنْ مُجْتَنًى عَوِيصِ مِنْ مَنْبِتِ ٱلْإِجْرِدِّ وَٱلْقَصِيصِ[٩]

(هٰكَذَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ بِكَسْرِ ٱلرَّاءِ . وَهُوَ ٱلصَّوَابُ . وَيُرْوَى : مِنْ مُجْتَنَى ٱلْإِجْرِدِّ وَٱلْكَرِيصِ[١٠] . وَيُقَالُ : كَرَّصُوا ٱلْأَقِطَ إِذَا طَرَحُوا فِيهِ ٱلْكَرِيصَ) ، وَٱلْحُرْشَاء[١١] وَهِيَ خَرْدَلُ ٱلْبَرِّ وَأَنْشَدَ :

وَأَنْحَتَ مِنْ حَرْشَاءِ فَلْجٍ خَرْدَلَهْ

---

١) الحنّاء شجرة معروفة يدعوها العلماء (L., Lausonia inermis)

٢) هو نبت معروف حامض الطعم زهرهُ اصفر وحبّهُ احمر . وقد قيل انّ القُرّاص البابونج وهو نور الاقحوان اذا يَبس (L., Camomille, Parthenium)

٣) ويقال جِرْجِر وجَرجير . قال ابو حنيفة : الجَرْجار عُشبة لها زهرة صفراء وزاد الازهريّ انهُ نبتٌ طيّب الريح (P. L., Eruca sativa, Nasturtium ; Lc., Roquette)

٤) ويدعى ايضاً قِلْقِلًا وقلاقلًا . وصفهُ في اللسان بما حرفهُ : هو نبت ينبت في الجَلَد وغَلظ السَّهْل ولا يكاد ينبت في الجبال ولهُ سِنْف أُفَيْطِح ينبتُ في حبّات كأنّهنّ العدس فاذا يبس فانفتح وهبّت بهِ الريح سمعتَ تَقَلْقُلهُ كانهُ جرس ولهُ ورق اغبر اطلس كانهُ ورق القصب (Lc., Cassiatora de Forskal ; E. 268)

٥) بقلة غضّة من نوع الحَمْض منبتها القيعان فيها حُمْرة تؤكل مع اللبن ولها حبٌّ يجمع ويُخبَز فيؤكل (Lc., Androsaces de Dioscorides ; P., Reaumuria Linnée) . وفي الاصل : الملاخ . وهو تصحيف

٦) وجاء في الاصل مصحّفاً : حمضيض . وهي بقلة حامضة طيبة الطعم تُجعل في الاقط تأكلها الناس والمواشي . قال الازهري : هي جَعْدة الورق حامضة ولها ثمرة كثمرة الحمّاض وطعمها كطعمهِ (L., Oxalis corniculata ; E., 269)

٧) نبتٌ في اصولهِ تنبت الكمأة وقد يُجعل غِسْلًا للرأس كالخطميّ

٨) الإجردّ ويقال إجرِد بالتخفيف هو ايضاً من النبات الدالّ على الكمأة

٩) ويروى : من مَنْبِت عويص . وفي الاصل : العضيض . وهو غلط

١٠) الكريص هو الاقط وقيل الاقط المجموع المدقوق . وفي الاصل قد صُحّف بالكريض

١١) نبات ينبت في السهل يتسطّح على وجه الارض وفيه خُشنة ويرتفع لهُ من وسطهِ قصبة

وَٱلْبَرْوَقُ(١ وَهُوَ فُلْفُلُ ٱلْبَرِّ، وَٱلرَّقَمَةُ(٢، وَٱلْكَفَنَةُ(٣، وَٱلصَّوَّافُ(٤، وَٱلصُّوفَانُ(٥

(وَمِنَ ٱلنَّبْتِ غَيرِ ٱلْأَحْرَارِ) ٱلسَّخْبَرُ(٦، وَٱلنَّدْغَةُ(٧ (وَٱلْجِمَاعُ ٱلنَّدْغُ) وَهُوَ صَعْتَرُ ٱلْبَرِّ، وَٱلْعِتْرُ(٨ قَالَ اَبُو بَكْرٍ: وَٱلْعِتْرُ ضَرْبٌ مِنَ ٱلشَّجَرِ يَنْبُتُ مُتَفَرِّقًا، وَٱلرَّمْرَامُ(٩، وَٱلْهَلْتَى(١٠، وَٱلنَّجْمَةُ(١١ (قَالَ ٱلْمَازِنِيُّ فِيهِ نِجَمَةٌ) (ستأتي البقية)

طويلة في رأسها حبّةٌ واذا لحس منهُ الانسان ورقةً لزقت بلسانهِ. وقيل انهُ خردل البر (Lc., Moutarde sauvage)

١) البروق شجر ضعيف لهُ خِطَرة دقاق في رؤوسها قماعيل مثل الحمّص فيها حبّ اسود وهو لا يُرعى (L., Asphodelus)

٢) جاء في اللسان: الرقمة نبات يقال انهُ الخُبَّازى وقيل انّها من العُشب العظام تنبت متسطّحة غِصَنَة كبارًا وهي من اوّل العُشب خروجاً تنبت في السهل واوّل ما يخرج منها ترى فيهِ حمرةً كالعِهْن النافض ولا يكاد المال يأكلها الّا من حاجة (E., 268)

٣) وصفها في لسان العرب بكونها شجرة من دقّ الشجر صغيرة جعدة اذا يَبست صَلُبت عيدانها. . . وقيل هي عُشبة منتشرة النّبتة على الارض تنبت بالقيعان و بارض نجد. وفي الاصل: الكَفْتة وهو تصحيف ٤) كذا في الاصل ولعلّها لفظة مصحَّفة

٥) الصوفانة بقلة من احرار البقول وهي زَغْباء قصيرة

٦) السَّخْبرة شجرة اذا طالت تدلّت رؤوسها وقيل انّها من شجر الثُّمام لها قُضب مجتمعة وجرثومة وعيدانهُ كالكُرَّاث في الكثرة

٧) ويجوز نِدْغة بالكسر صُحّفت بالاصل بالبدغة. وهو الصعتر البرّي الذي تعسّل عليهِ النحل لهُ زهر صغير شديد البياض (L., Origanum ; Lc., Sariette sauvage)

٨) العِتر بالكسر (وفتحهُ بالاصل غلط) بقلة وهي شجرة صغيرة شاكة كثيرة اللبن كأنّ ورقها الدراهم تنبت فيها جراء صغار اصغر من جراء القُطن تؤكل اذا كانت غضّةً

٩) قال ابو حنيفة: الرَّمرام عُشبة شاكة العيدان والورق تمنع المسّ ترتفع ذراعاً وورقها طويل ولها عرض وهي شديدة الخُضرة لها زهرة صفراء تحرص عليها المواشي (Lc., Chenopodium murale)

١٠) قال الازهري وغيرهُ: هو كنبات الصِّلّيان الّا انّ لونهُ الى الحمرة. ويزيد حمرةً اذا يَبس ١١) قيل انّها شجرة تنبت ممتدَّة على وجه الارض (Lc., Chiendent). والنجم ايضاً اسم لما لا ساق لهُ من النبات

كتاب
تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

وهذه نسخة مِثال من الملك الصالح أيُّوب ابن الملك الكامل محمَّد سلطان مصر والشام الى نجم الدين محمَّد المذكور. العلامة : ايوب بن محمد بن ابي بكر بن ايوب. هذه العلامة بعد البسملة المعظَّمة. وسطرُ مضمونهِ : ليعلم الاميرُ الاجلّ الاخصّ المقدّم نجمُ الدين زين القبائل عُمدة الملوك والسلاطين اطال الله بقاءَهُ وادام توفيقهُ وحراستهُ وتسديده ورعايتهُ شكرَنا لخدمتهِ ومضاء عزمتهِ ومَحْض ولائهِ وطاعتهِ ليطيبْ قلبهُ ويشرح صدرهُ ويثق منَّا باجرائهِ على مشكور قلعتهِ ومستقرّ قاعدتهِ والاحسان الذي تقرّ بهِ عينـهُ وينبسط أملهُ والزيادة في معلومهِ الشريف لهُ ولمن معهُ فيستجلب كلَّ من يقدر عليهِ للخدمة ويعرّفهم ما لهم منها وفي المحافظة عليها من سابغ النِعَم. ونحن بمشيئة الله واصلون الى البلاد عن قريب فليكن الامير على أُهبة للقائنا هو ومن معهُ ليظهر عليهم اثر الانعام وليُحْرزوا من الاكرام والتقريب اوفر الاقسام ويطالع بمجدداتهِ (١ وكُتب في سادس شهر ذي الحجَّة(٢ . ولم يُذكر اي سنة سكن نجم الدين المذكور طردلا وتزوَّج من الغزنويَّة من المطاوعة (٣ وامَّا وفاتهُ فاني قد وجدتُ بخطوط السلَف مكرَّرًا في عدَّة مواضع وهو انَّ اولاد ابن امير الغرب (25) نجم الدين محمـد واخيهِ شرف الدين عليّ قُتلوا في ثغرة الجوزات (٤ بكسروان في السادس من ربيع الآخر سنة اربعين وستمائة (١٢٤٢م). واسماء اولادهِ جمال الدين حجي وسعد الدين خضر

الطبقة الاولى

ولدهُ جمال الدين حجّى بن نجم الدين محمَّد بن حجّي

ثمَّ من بعدهِ نذكر ولدهُ جمال الدين ويُعرف بجمال الدين الكبير. لهُ منشور من الملك

١) كذا في الاصل والمعنى مبهم ٢) راجع الصفحة ٦٦٨ من كتاب اخبار الاعيان

٣) الاصل مبهمٌ في هذه الالفاظ الاخيرة. والغزنويَّة دولة ملكت في الهند

٤) في الاصل التباس وفيهِ ورد ما حرفهُ : « وهو (كذا) قتلوا اولاد ابن امير الغرب نجم الدين محمَّد واخيهِ شرف الدين عليّ في ثغرة الجوزات »

الناصر(١ يوسف ابن الملك العزيز سلطان دمشق (٢ العلامة : « الحمد لله على نعمائهِ » جهاتهُ : عرامون وعين درافيل وطردلا وعين كسور ورمطون وقدرون ومرتعون والصباحيّة وسرحمور وعيناب وعين عنوب والدوير(٣ تاريخهُ في خامس وعشرين صفر سنة خمسين وستمائة (١٢٥٢ م)

ولهُ ايضاً منشور من الملك الظاهر بيبرس : العلامة « المستعان بالله » وجهاتهُ : عاليه ومجدليًا وشارون وعرامون وعين درافيل وطردلا ودقُّون وعين كسور وقدرون وشِمْلال ومَرْتعون وسرحّمور و بطلون وعيناب والدوير وبتاثر وبَيْصور وكفرعميَّهْ وعيتاث (٤ تاريخهُ في رجب من سنة تسع وخمسين وستمائة (١٢٦١م)

وكان لهُ ولد اسمهُ نجم الدين محمّد سميّ جدّهِ وكان اكبر ولدهِ فعقَّهُ وظهر منهُ ما اوجب طردَهُ عنهُ . ولجمال الدين منشور من الملك المنصور قلاوون من مضمونهِ بان يقيم عوض ولدهِ نجمِ الدين محمدٍ اخاهُ شهابَ الدين احمد وذلك لسوء سيرة نجم الدين وعدم شكر الناس منهُ . وجهاتهُ جهات المنشور الاوَّل تاريخهُ في الحادي والعشرين من ذي الحجّة سنة (٥ (25^{v})

ولَّما حضر هلاوون (٦ ملك التاتار الى مملكة الشام واضطربت دولة الاسلام توجَّه

١) جاءَ في ذيل الكتاب : « حاشية مقدَّمة على منشور الناصر . ومن الناصر هذا توقيع ايضاً لجمال الدين حجّي باجرائهِ على اقطاعهِ وعوائدهِ ووصيَّتــهِ بهِ . تاريخهُ صفر سنة ثمان واربعين وستمائة ويُسند في التوقيع على المنشور الذي بيدهِ من الملك الصالح عماد الدين »

٢) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز محمَّــد بن غازي بن صلاح الدين كان مالكاً على حلب فدعاهُ اهل دمشق لولاية مدينتهم فدخل دمشق سنة ٦٤٨ (١٢٥٠ م) . ولما ظهر التاتار اخذوا منهُ حلب ففرَّ منهم هارباً الى غزَّة ثمَّ شخص الى هولاغو فاكرمهُ اوَّلًا ثم امر بقتلهِ وقتل اخيهِ الملك الظاهر غازي سنة ٦٥٩ (١٢٦١)

٣) اغلب هذه القرى موقعها في مقاطعة الغرب الاسفل . وقد مرَّ ان الدُّوَير من مقاطعة الجرد

٤) عين عنوب وسرحّمور وعرامون وعين كسور من الغرب الاسفـل . وعاليَه وعيتاث وبَيْصور وشِمْلال وعينـاب ومَجدَليَّا من الغرب الاعلى . ودقُّون وعين دارفيل من الشّحار التي قاعدتها اعبَيْه . وكفرعميَّه والدوير وشارون من الجُرْد والقاعدة فيها بتاثر

٥) كذا جاءَ بدون تعريف السنة ، وجاء في ذيل الكتاب : « وقفتُ على تمليك من جمال الدين حجّي المذكور لاولادهِ جميعهم دون محمَّد وجَعْل محمَّــد محروماً . وتاريخ التمليك ثاني ذي القعدة سنة ست وثمانين وستمائة (١٢٨٧ م) وهو مثبوت على القضاة

٦) يريد هولاغو ملك التتار فاتح بغداد المتوفي سنة ٦٦٤ (١٢٦٦ م)

جمال الدين محمد المذكور الى دمشق فلم يلحق الملك الناصر صاحبها ثم استولى كتبغا عليها بالنيابة عن استاذهِ هلاوون. فاجتمع جمال الدين بالمذكور وكتب لهُ منشورًا على طرّتهِ غير العلامة فوق البسملة: «مالك بسيطة الارض هولاكو خان زيدت عظمتهُ». واما العلامة فبعد البسملة الشريفة وسُطّر بعدها بخطٍّ ضعيف «توكلتُ على الله». وأمّا بدء الترجمة: رُسم بالامر العالي المولوي السلطاني الملكيّ السيدي المجيديّ زاد الله في علائهِ وضاعف موادَّ نفــاذهِ ومضائهِ ان يُجرى في اقطاع الامير الاجلّ الاوحد الاعزّ المختار جمـال الدين عمدة الملوك والسلاطين حجّي بن محمد ابن امير الغرب ادام الله تأييدهُ وتمكينهُ وتمهيدهُ ما رُسم لهُ بهِ من الاقطاع كما تضمَّنهُ المنشور الناصري الذي بيدهِ. واماً جهاتهُ فهي المذكورة في المنشور الاوّل اختصرتُ عن ذكرها وعن ذكر بقية شرح المنشور. وتاريخهُ سابع رجب سنة ثماني وخمسين وستمائة (١٢٦٠م)

ومن مضمون جوابٍ من ملك الامراء آقوش (١ النجيبيّ نائب الشــام عن الملك الظاهر بيبرس (٢ لنجم الدين المذكور يشكرهُ على ما اخبرهُ بهِ من امر زواج صاحب قبرس لبنت صاحب بيروت. ويقول في الجواب انهُ لا يسمع عن نجم الدين الّا خيرًا ولا يقال في حقهِ الّا الجيّد وانهُ يطيب قلبهُ ويشرح صدرهُ

[ووقفتُ على مكتوب (٣ من برناط (٤ الفرنجيّ صاحب صيداء انهُ اعطى (24^r) حجّي المذكور شكارة بدار ثلثة اهراء قمح في قرية الدامور ملكًا لهُ ولولدهِ ولمن يقوم مقامهُ وانّ ذلك بواسطة سير برناط (٤ دُمُونيه والكند اسطبل (٥ سير حوان (٦ تاريخهُ نهــار

١) راجع ص ٢٧٥ ٢) راجع الصفحة ٢٢٥ ٣) هذا المكتوب كان المؤلف قدّمهُ سهوًا فذكرهُ في جملة مناشير جمال الدين حجّي بن كرامة ونبّه في حاشية على غلطهِ (راجع ص ٤٦٩)

٤) كذا ورد هذا الاسم بالاصل وفي آخر الكتاب اوردهُ على صورة «برناط» ولعلّهُ في كلا الكتابتين تصحيف ولم نجد في تواريخ الفرنج اسماً لاصحاب صيداء يطابق هذا الاسم غير اسم Renaud de Sagette. الّا انّ هذا توفّي نحو سنة ١٢٠٢م (راجع كتاب Rey: *Les Familles d'outre-mer*, p., 432). امّا في تاريخ المنشور (اعني سنة ١٢٥٥) فكان المتولي على صيداء يُلْيان ابن الامير باليان بن رينلد (ارناط) ٥) الكند اسطبل تعريب اللفظة اللاتينيّة (Comes stabuli) اي امير آخور والفرنج يدعونهُ (Connétable)

٦) كذا في الاصل ونظن ان «حوان» تصحيف جوان يريد جوان دي لاتور (Johann de la Tour) كان متولّيًا رتبة كند اسطبل في صيداء من سنة ١٢٥٣ الى ١٢٦١ (راجع جداول الفرسان الالمانيين Tab. Ord. Theut. 103, 114, 117)

الخميس الموافق لسنة الف وخمسمائة وسبع وستين للاسكندر (١]

ومن كتابٍ من آقوش المذكور ايضاً الى جمال الدين يفيده (26^r) انهُ بلغهُ انهُ قلّ رجالهُ وانّ هذا الوقت يجب فيهِ التيقُّظ وان يقوم بتجهيز الرجال الى جهة صيداء

ومن مضمون مثالٍ من ملك الامراء لاجين (٢ نائب الشام عن الملك المنصور قلاوون الى جمال الدين وزين الدين ابن عليّ انّهُ اذا بلغهما توجُّه المقرّ الشمسيّ سنقر المنصوري(٣ بالعساكر المنصورة الى جهة كسروان والجرد يتوجَّها اليهِ بجموعهما واُسرتيهما وانَّ من سبى امرأةً منهم كانت لهُ جاريةً او صبيًا كان لهُ مملوكًا ومن احضر منهم رأسًا فلهُ دينار وانَّ سنقر توجَّه لاستئصال شأفتهم ونهب اموالهم وسبي ذراريّهم وانفسهم. تاريخهُ سابع جمادى الاولى سنة ست وثمانين وستمائة (١٢٨٧ م)

ومن مضمون مثال آخر من لاجين ايضاً الى جمال الدين بمفردهِ بان يحضر الى دمشق هو واولادهُ طيّبي القلوب منشرحي الصدور ليجدّدوا الأَيمان على نفوسهم للسلطان كما جدّدها الامراء ومقدَّمو الحَلْقة وان لا يناجزوا ولا يسبقهم الى الطاعة الشريفة غيرهم. تاريخهُ في العشرين من ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة. (١٢٩٠ م) وهذا الحَلَف كان للسلطان الملك الاشرف خليل لانَّ والدهُ المنصور قلاوون توفّي في السادس من ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة. وقد برز ظاهرَ مصر لقصد عكَّة وربَّما كان تأخّر سنقر المنصوري عن كسروان بهذا السبب فتأَخر امرهم الى سنة احدى وتسعين وستمائة (١٢٩٢ م) وجرى الامر كما ذكرناهُ في توجُّه العساكر المصريَّة (26^v) الى كسروان وعودهم منهُ شبه المكسورين. ثمَّ كانت ابادة آل كسروان سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥م) في ايَّام الناصر محمد بن قلاوون (٤ (ستاتي البقية)

---

١) ورد في حاشية الكتاب ما نصُّهُ: « نذكر بيان هذا التاريخ مع تاريخنا اليوم وهي سنة اربعين وثمانمائة عربيَّة هجريَّة (١٤٣٦ م) وتوافق سنة الاسكندر الف وسبعمائة وثمانية واربعين فيكون لتاريخ المكتوب المذكور مائةً واحدى وثمانين سنة شمسيَّة سريانيَّة التي عليها التاريخ الرومي. فيكون تاريخها العربي مائة سنة وثمانين سنة ونصف هلاليَّة عربيَّة تقريباً فهذا التاريخ كان في ايَّام جمال الدين حجّي بن محمَّد بن حجّي وذلك في اواخر دولة بني ايُّوب في الشام واوائل دولة الترك بمصر وربَّما كان تاريخ هذا المكتوب سنة اربع وخمسين وستمائة هجرية

٢) راجع الصفحة ٢٣٠ ٣) راجع ص ٢٢٨ والمقرّ من القاب الشرف في عهد المؤلف ويد بالشمسي شمسَ الدين ٤) راجع ص ٢٧٤

رواية الشقيقتين

للاب هنري لامنس اليسوعي

(تابع لما قبل)

٦

لو دخلتَ ايها القارئ اللبيب بعد ثمانية ايَّام مضت على ما سردنا من الاخبار في بعض مخادع دار القنصل ب . لرأيتَ كهلًا جالسًا تلوح على وجههِ أمارات الحزن وملامح الكآبة . وما ذاك سوى البارون دي لِنس بيد انَّ ما جرى لخطيبتهِ أثَّر في مِزاجهِ فتحسبهُ وهو في ريعان شبابهِ كأنَّهُ اربى على الخمسين من عمرهِ

امَّا الحجرة التي يسكنها البارون فهي غرفة خطيبتهِ وردة . فمنافذها المقفلة التي لا يدخلها الَّا نور طفيف جعلتها اشبه بغرفة تُعرض بها الموتى . فهذه الحجرة كانت بقيت على حالتها من النظام والترتيب كما كانت في عشيَّة يوم العرس فكان كلُّ شيء في موضعهِ حيث تركتهُ الفتاة بعد دخولها على المدعوّين وكان فراشها ذاتهُ في حالتهِ من التجعُّد لم تمسَّهُ يدٌ لتهندمهُ وكذا بقيت الوسادة والمصدغة وبقرب الفراش صَوَانةٌ فيها خفَّان وقفافيز ومبذلةٌ ورديَّة اللون

هذا وانَّ القنصل مع كلّ آل بيتهِ من الحشم والخدم كانوا في مدَّة هذا الاسبوع بذلوا الجدَّ والجهد ليقفوا للفتاة الضائعـة على خبر في البلدة او ارباضها فلم يُجدهم ذلك نفعًا . وكان كلُّ من يسمع بهذه القصَّة الغريبة لا يشكُّ في انَّ الابنة التجأَت الى الانتحار وكان الناس يسندون قولهم هذا الى ما كتبتهُ وردة في بطاقة وداعها انَّ من يطلبها لا يجد لها اثرًا ولا خبرًا

وكان في ثاني يوم فَقْد الفتاة قد رست صباحًا في الميناء سفينة روسيَّة متهيّئة لان تُقلع عند الظهر فطلب القنصل من ادارة المراكب الروسية لعلَّهُ تكون الابنة قد ركبت السفينة لكنهم بعد التفتيش اجاب العمَّال ان المطلوبة ليست من عداد الركَّاب

ولم يسعُ اهل الصبية ان يرسلوا الى مدن سوريَّة والاسا كل عدَّة تلغرافات للاستعلام عن الامر فكانت الاجوبة كلُّها بلا فائدة . فكفَّ القنصل عن البحث لئلَّا يطَّلع على سرٍ ما أفظع يجعل حياتهُ وحياة ذويهِ امرَّ من الحنظل . امَّا القوَّاسون والخدم فكانوا

يطلقون لالسنتهم كلَّ عنان فيخترعون قصصاً اغرب من احاديث خرافة

وكان البارون دي لينس طلب ان يُسلّم الى يدهِ مفتاح غرفة خطيبتهِ ليكون هذا المسكن ذكرًا وسلوانًا لهُ في بلائهِ ولذلك كان ابقى كلَّ الاثاث على حالهِ ساعة غابت الفتاة عن نظرهِ فكان كلَّ يوم ينفرد معتزلًا في هذه الغرفة لتقرّ عينهُ بما يراهُ من بقايا ذكرها لعلَّهُ يجد شرحاً لهذا السرّ المكنون. فكان قلبهُ يُلقي السؤال على كلّ هذه الذخائر ليطّلع بها على حقيقة الامر فما كانت تحير سؤالًا كما لم ينل القنصل وزوجتهُ جوابًا عن ابنتهما بعد الاصفاء في السؤال

ولسائل ان يسأل وسوسنَة ماذا كان من امرها وعندها كان نصف الخبر

نقول ان سوسنة بعد ما اصابها من الاضطراب لغيبة اختها بقيت مطرقةً ساكتة الَّا انهُ كان يلوح على وجهها انَّها جُهينة لخبر قادرةٌ على فكّ هذا اللغز بيد انَّهُ لم يجسر احدٌ ان يلقي عليها سؤالًا في هذا الصدد حتَّى أَلحَّت عليها يوماً امّها وناشدتها الله بان تعلمها عن حقيقة الامر ان كانت تعرف منهُ شيئاً. فتنهَّدت الصعداء ثم قالت :

« الويل لي يا اماه قد ماتت شقيقتي فداء عني. . فاني انا سبّبتُ لعائلتنا هذا الحداد الذي اصابنا جميعاً قالت هذا واخذت في العويل ثم القت بنفسها في حضن والدتها واردفت :

« قد استولى على قلبي حبّ البارون دي لينس فكان هذا الهيام في باطني كآكلةٍ كادت تنهك قواي وتذهب بحياتي الى يوم خطبة اختي وردة. فأحسَّت هذه بكنين صدري. ولمَّا غُشي عليَّ في ليلة العرس وتوارد الكلُّ فأحدقوا بي لمساعدتي خطر ببالها فكر مشؤوم حملها على ان تفعل ما فعلت. فخرجت دون ان يشعر بها احد ودخلت في غرفتي فوجدت بين اوراقي الخاصّة رقعة كنت كتبتُ فيها ما يلي :

«لو درَت اختي ما استعر في صدري من اللهيب وانَّها وحدها قادرة على ان تخمد فيَّ هذه النار لتنازلت لي عن حقوقها ولولا ذلك لفاتتني السعادة وصارت شقيقتي الحبيبة علة هلاكي وسبب موتي »

فقرأَت اختي هذه الاسطر وأَلحقتها بما تنظرين. قالت هذا وناولت سوسنة امّها الورقة فاذا بها مكتوب في ذيلها:

« كلاَّ يا سوسنة لا تموتين لأَجلي بل كوني سعيدة في مدى حياتك ولستُ انا بأَهلةٍ ان اعكِر كأس سعادتك مع ما اعرفهُ فيك من السجايا الحميدة والمزايا الفريدة. ولا اشكُّ

انّ البارون خُلق لكِ كما خُلقتِ لهُ فنُوبي عني في الحظوى عنده ُ. فهذه وصيتي او بالاحرى امري اليك. واعلمي انّ اختكِ عند الفراق لا تجد سلوانًا الّا اذا تحقّقت كونكِ سعيدةً وأنكِ صرتِ بارونة دي لينس شقيقتك وردة

فما سمعت امّ سوسنة هذا الكلام حتّى اضطربت حواسّها وخامر قلبها القلق بيد انّها تجلّدت وسألت ابنتها: وما قولك في وردة أترين انّها بعدُ في قيد الحياة ؟

— لا ادري يا اماه الّا انّ في هذا الامر الذي وجّهتْهُ اليّ مع قولها انّها ستسلو بسعادتي ما يشعر بانّ اختي لم تمت . . . ولكن كيف يميل قلب خطيبها اليّ بعد ما طرأ على قلبهِ من الحزن بسببي ؟

٧

بعد هذا الحديث بين الابنة وامّها بقيت الامور على احوالها في الدار القنصليّة مدّة شهر كامل . امّا البارون دي لينس فلم يزل يتردّد الى غرفة وردة يقضي فيها الساعات الطويلة. وكان جعلها كمتحفٍ جمع فيهِ كلّ ما اصابهُ من حوائج خطيبتهِ فنظّمهُ فيها تنظيمًا حسنًا. فكان تارة ينظر الى ما طرّزتهُ يدها من الثياب وحينًا يطالع كتاب صلاتها او يقرأ صفحات من رسائلها الخاصّة فلا يدع شيئًا ممّا يذكّرهُ بتلك التي شاطرها يومًا قلبهُ وكثيرًا ما كان يأخذ هذه الذخائر فيضمّها الى قلبهِ لتقوم عندهُ بمقام شخصها الحبيب

وكانت سوسنة تحاول ان تضمّد جراح قلب البارون الّا ان مساعيها كانت تذهب سدًى. امّا الامّ فبقيت زمنًا طويلًا وهي لم تجسر ان تُعلم احدًا بما اوحت اليها ابنتها . وفي آخر الامر أفشت سرّها لزوجها القنصل آملةً انهُ بدرايتهِ وحذقهِ يدبّر كلّ شيء على احسن طريقة. فما علم القنصل بحقيقة الامر حتى رأى لهذه الحالة الحرجة مناصًا

فلما كان مساء بعض ايّام كانون الثاني انقشعت الغيوم بعد ان همت طويلًا الامطار المدرارة وعاد للسماء صفاء اديمها وركدت مياه البحر فتحلّت بزرقة ناصعة بينما كان جبل السنّين يظهر للعيان عن بُعد مشتملًا ببردةِ ثلوجهِ الغرّاء واشجار اللوز زاهية بانوارها الفاغمة وازدهت رُبى بيروت بزهور الربيع فصارت كانها روض نضير. فانتهز القنصل هذه الفرصة ليعرض على صهرهِ السفَر الى جهات بلاد اليونان. وكانت غايتُهُ بذلك ان يشغل بال البارون بزيارة اصحابهِ ويعيد لابنتهِ سوسنة ما فقدتهُ من الراحة والسكينة. فاجاب البارون الى سؤْلهِ وبعد إعداد لوازم السفَر ركبوا البحر طالبين مرفأ البيره

وفي واقع الامر ما كاد البارون مع عائلة القنصل يطأ ارض اليونان حتى انتعشت قواه وسكن بلباله وهدأ خاطره. وما لبث اصدقاؤه ان يأتوه زرافات ليقرأوا عليه السلام ووافق وصوله اكتشاف عدد وافر من العاديّات والدُمى والرسوم القديمة البديعة العمل فكنت تراه يتردّد الى المتاحف ليطّلع على هذه البقايا الجليلة ويكتب عنها مقالات يرسلها الى المجلاّت العلميَّة

ولمَّا كان البارون لا يجهل شيئًا من احوال اثينة وتاريخها وآثارها القديمة اقام نفسهُ كدليل لحميهِ القنصل ولعائلتهِ فزاروا اوَّلا هيكل الالاهة مينرفة الشهير بالپرتينون ثمَّ سائر ابنية المدينة فردًا فردًا. وكان البارون يصف لهم رسم البلد فيشبّههُ بقرص كبير من الحلوى قُسم الى اربعة اقسام فالخطَّان المعترضان هما سكّتا إيول وهرميس وفي الوسط مركز البلاط الملكيّ الذي بلغت نفقاتهُ ثمانية الاف الفٍ من الدرخمات وهو مع ذلك اشبه بثكنة جنود او بمستشفى المرضى ويحدق بالبلاط بستان ليس سواهُ في البلدة جمعاء ليستظلّ بهِ الاهلون

وكان عند دخول البارون وعائلة القنصل الى اثينة قد حُشدت فيها الجنود فتُعرض يوميًا على مرأى الشعب. وكان الناس يزدحمون في القهاوي فتعلو فيها جلبتهم فيقرأون الجرائد ويصرخون طالبين اشهار الحرب وينسبون رئيس الوزارة تريكوپيس الى الجبن والفشل. فكان القنصل وهو من مشاهير الضبَّاط لا يتماسك عن الضحك لما يراهُ في جنود اليونان من سوء النظام وقلَّة النظافة في الملابس الرسميَّة وما كان يزيدهُ عجبًا كثرة الضبَّاط بالنسبة الى عدد الجنود وكان اكثرهم من الشبَّان خرجوا حديثًا في المكتب العسكري وهم مع ذلك يتباهون بهندامهم وقبعاتهم الواسعة المستطيلة واطواقهم العريضة الصفراء

وكان القنصل يفكّر في ما عسى ان يفعل هؤلاء الضبَّاط المرجّلو الشعر المطيّبون بانواع الطيب كالنساء وكيف تقوم لهم قائمة بازاء اعدائهم وهم يظنُّون انَّ ثرثرة الكلام والبذخ يكفيان للفوز بالانتصار

الَّا ان البارون كان مُعجبًا بفرقة الافزن (efzones) فيثني على ملابسهم الوطنية وهي الفسطان والشملة المزركشة والنعال الحمر المعقَّفة الرأس في طرفها رَعَث ازرق تدعى بالتساروكاس (tsaroukas) وتبلغ قيمة لبس كلّ فرد ثلاثة آلاف فرنك. وهذه الفرقة اختصّها الملك لنفسهِ بصفة حرس شرفٍ

(ستأتي البقية)

شتّى

جبال المغناطيس

اكتشاف حديث سبق ذكرهُ للقدماء

قد روينا في جملة منتخبات جمعناها منذ اعوام لتمرين الطلبة على الترجمة (١ : ٤١) قطعةً عن كتاب عجائب الهند المكتوب في القرن العاشر ذُكر فيها ما يلي: «وبين خانفوا . . . وخمدان (في الصين) نهر . . . وفي مواضع منهُ جبال المغناطيس ولا مسير في ذلك النهر بمركب فيهِ حديد لئلاً تجذبهُ الجبال المذكورة لقوّتها» وما كانت اذ ذاك روايتنا لهذا الامر الغريب الّا على سبيل فكاهة. واليوم قد اتتنا المجلّات العلميّة منبئة بصحّة الخبر عن بعض جبال جزيرة تخصُّ الدانمرك تدعى بُرنهُلم في بحر البلتيك. فمن خواصّ هذه الجبال جذبها للمراكب بحيث تعاكس عمل ربّان السفينة. واكثر ما يظهر تأثيرها في الابرة المُمَغنطة فتميل بها عن وجهتها ميلًا يُذكر ويُشعر بفعل هذه الجبال على بُعد مسافة خمسة عشر كيلومترًا حوالي الجزيرة. وفي الصخور المنتصبة امام الجزيرة قوّة مغناطيسية كما في الجبال فتأمل ه. ل

الجُكَّير او الجُقَّير

وكتب لنا الاب انستاس الكرملي ما حرفهُ: «قرأتُ في الصفحة ٢٣٩ من المشرق عن العادة الجارية في بيروت وفي بعض المحلّات المجاورة ان يخرج الناس في اوّل يوم من الصوم الكبير الى خارج البلدة. فقال المشرق جوابًا عن ذلك: «لا نظن ان هذه العادة قديمة» . قلتُ وهذه العادة جارية عندنا ايضًا وتُسمَّى باسم اثنين الجِكَّير او الجِقَّير (وتلفظ في الحرفين الجكْير اي بالكاف الفارسية) ومن ذلك نرى بانها غير محصورة في بيروت فقط بل في بلادٍ غيرها. لا بل وهي معروفة ايضًا عند الفرنج بما معناهُ نُزهَة احد اللَّحم وثلاثاء اللحم (لَحم هنا مصدر لَحم لَحمًا اي أطعم اللحم) وبالفرنسية Les promenades du Dimanche-Gras et du Mardi-Gras

وقد قال احد كتبتهم في هذا الصدَد ما معناهُ: «في الزمن الذي كان كل امرئ يفتخر بالقيام بسُنَن الكنيسة كان يجتمعُ اهلُ البيتِ الواحدِ ليلةَ صوم طويلٍ لياكلوا

سوية الوجبة الأخيرة مع الخلّان والجيران . ولا شكّ ان هذا القصف كان يجري بادئ بدء بدون افراطٍ . وما عتّم ان داخلهُ بعضُ الافراط لان ذلك القصف بذاته لم يكن موافقًا لروح التقشُّف والنصرانية . اذ لمَّا وَضَعَت الديانةُ الصومَ لم تُؤذن الانهماك في الملاذّ الحسّيـة قبلُ او بعدُ . وهذا الخلل جرَّ وراءهُ خللًا آخر وهو ان الشراهة انسلّت رويدًا رويدًا في هذه الولائم حتى كان من نتيجة التأنُّق بالطعام وكثرتهِ وشرب الخمور خرْقُ حرمة الأدب وما مضى ردحٌ من الدهر حتى انتقل الناس من هذا الطور الى طور الرقص وانواع الخلاعة والتغوُّل . ثمّ انتقلوا الى طور التجوُّل في الطرُق والتطوُّف فيها ومعهم الثور الذين يُريدون ذبحهُ قبل الدخول بالصوم وهم بين ضاحك وساخرٍ ولاعبٍ ومازحٍ حتى شاع ذلك بين القوم . وهذا هو على ظنّنا أصلُ ما يحدث في ايام المرفع » انتهى (١ باختصار . قلنا ولعلّ هذا التطواف والتجوال دعا الرؤساء الى ان يبعثوا داعيًا او راهبًا يدعوهم الى ملازمة حدود الادب وصيانة سننه والكفّ عن انواع التفريط والإفراط . ولعلَّ هذا الرأي اوفق ممَّا ذكرهُ المشرق

امَّا لفظة جِقَّير عندنا فنظنُّها مشتقة من فعل چقا رمق التركي ومعناهُ : أخرَجَ او دَفَعَ الى الخارج كأنَّ في مثل هذا اليوم سببًا يدفعهم الى الخارج للنزهة وللتجوال . والله اعلم

كتب شرقية جديدة

كتاب منارة الاقداس

تأليف السيد مار اسطفان الدويهي البطريرك الانطاكي الماروني

الجزء الثاني عُني بطبعهِ المعلم رشيد افندي الخوري الشرتوني صفحاته ٦٩٥

قد تمّ الجزء الثاني من هذا الكتاب البديع او بالحري الكنز النفيس الذي الفهُ احد جهابذة الطائفة المارونية وخلّفهُ لابنائهِ بل ولكلّ نصارى المشرق كتركة علمية جمعت خُلاصة العلوم الدينية وزبدة الاسرار والطقوس البيعية . وقد كان سبق المؤلفَ كثيرٌ من علماء

(١ انظر مادَّة Carnaval في Bouillet – *Dicit. d'Hist. et de Géogr.*

الشرق كديونيسيوس برصليبي وغريغوريوس ابن العبري الى وضع كتابٍ تُشرح فيهِ الآداب البيعية ورُتبها وصلواتها في التقديس الَّا انَّ تصنيف السيّد الجليل مار اسطفان الدويهي جاء كنور ساطع غلب ضوؤُهُ اسرجةَ من تقدَّمهُ وهو اغزر منها مادَّةً واتمّ فائدة واعذب موردًا واقوى دليلًا وسندًا لا يشوّه حسنهُ شيء من اضاليل السلف. فما كان احرى بهذا النور ان لا يبقى تحت المكيال لكن يوضع على المنارة لينير على كلّ من في بيت الله. هذا ونثني كلَّ الثناء على جناب المعلّم الفاضل رشيد الخوري الشرتوني الذي قام بهذا العمل الخطير لم يثبطهُ عن انجازهِ كدّ ولا جدّ. وكان في ودّنا لولا ضيق المكان ان نذكر بالتفصيل ابواب هذا المجموع الشريف لنعرّف القُرَّاء ما اودعهُ صاحبهُ من المطالب النفيسة والابحاث الجليلة ولنا الأمل انَّهم يفضِّلون النظر في نفس الكتاب على قراءة نبذةٍ قصيرة لا تفي وان طالت بشيء من حقوقهِ. وممَّا يزيد هذه الطبعـة حسنًا فهرسان يقرّبان منال فوائدها اوَّلها للابواب والفصول والثاني لجميع موادّ الجزئين وهو مرتَّب على حروف المعجم

Geschichte der Arabischen Litteratur

تاريخ آداب اللغة العربية

von C. Brockelmann, I B. 1Hf., 240 S. *Weimar*, 1897

لله درّ المستشرقين ما اعظم كَلَفهم باخبـار شرقنا العزيز واشدّ تنقيرهم عن لغاتنا وآدابنا وعلومنا القديمة. فحسبك بهذا الكتاب الجليل برهانًا قاطعًا على ذلك ألا وهو تأليف ينطق بلسان حالهِ عن سعة مطالعة صاحبهِ وسموّ مداركهِ وغزارة علومهِ. والكتاب كلّهُ عبارة عن اربعة اقسام تشتمل تاريخ كلّ آداب اللغة العربية منذ اقصى ايَّام الجاهلية الى زماننا. وما انتهى الينا من هذا الكتاب الخطير انما هو جزء من القسم الاوَّل فيهِ تاريخ المصنّفات العربيّة في كل باب من العلوم منذ اقدم شعراء العرب الى اواسط القرن الثاني للهجرة. وقد قسم المؤلف كتابهُ الى فصول كثيرة كالعلوم الدينية واللغة والطب والتاريخ والجغرافية يذكر في كلّ فصل اسماء المشاهير الذين كتبوا في كلّ عصر مع بيان سنة وفاتهم وما نُشر من تآليفهم بالطبع في الشرق والغرب او ما عُرف منها في خزائن الكتب العمومية او الخصوصية فجاء حقيقةً هذا الكتاب كأبجد العلوم العربية لا يستغني عنهُ من اراد معرفة شيء من آداب اللغة وتاريخها. ونحن نعلم انَّ كتابًا مثل هذا لا يخلو من بعض شوائب

كما انّنا لاحظنا بعض اغلاط لا يسمح المقام بتعدادها ولنا الامل انها ستُصلَح في طبعة ثانية . هذا وانّ المؤلف (في الصفحة ٣٠) لا يرضى بما كتبناهُ في امر شعراء النصرانيـة في زمن الجاهلية وقد ذكر انّ النابغة الذبياني وزهير والاعشى كانوا نصارى . (نقول) انّ لنا في ذلك مقالةً طويلة حال دون طبعها حتّى الآن تراكم الاشغال وسننشرها يوماً

ولا نشكُّ في نصرانية النابغة فانّ الصغاني والزبيدي في تاج العروس (في مادَّة صَلَبَ) يقولان صريحًا : وكان النابغة نصرانيًا . امَّا الاعشى فليقرأ المؤلف ما كتبهُ فيهِ العلاَّمة المستشرق ڤلهوسِن (Wellhausen : *Skizzen und Vorarbeiten*, p. 201) فبعد الفحص المدقّق قال عن الاعشى انّهُ نصرانيّ (al A'scha soll Christ gewesen sein) . ثمَّ قال : (Der Geistesart nach sind Umajja b. Abi l'Calt und...Labid mindestens ebenso Christlich) . ولهُ قول مثلهُ في زُهَير . هذا وعندنا براهين أُخر سنبيّنها ان شاء الله يوماً وفي هذه العجالة كفاية ل . ش

أَسئلة وأجوبة

س سألنا من صور حضرة الاب اغناطيوس خرياطيّ اوَّلًا ما معنى قول الرب للحيَّة في الكتاب المقدّس (تك ٣ : ١٤) وتسلكين على صدرك . فالحيَّة يا ترى ما كانت تسلك على صدرها قبل ان لعنها الباريْ تعالى . ثانيًا في ايّ قرن أُلف التلموذ ومن الَّفهُ وما هي الغاية المقصودة من تأليفهِ والموادّ الجوهريَّة التي يتضمَّنها وهل هو واحد او اكثر

سلوك الحيَّة على صدرها

ج نجيب على الاوَّل انَّ بعض الرَّبانيين من اليهود كيوسيفوس المؤرّخ وغيرهِ زعموا انَّ الحية قبل ان لعنها الله كانت تجري معدلةً منتصبة وزعم غيرهم انَّ الحية كان يمكنها الطيران . وهذه اقوال ضعيفة والاصحّ ان الله جعل سلوك الحية على بطنها اشارة الى لعنتهِ تعالى والى معاقبتهِ لها . وليس في هذا الامر غرابة فانَّ الناس ربَّما اتخذوا اشياء طبيعية كعلامة عن البغض او الصداقة الى آخرهِ وهكذا صنع الله مع نوح لَّما وضع قوس قُزح كعلامة لعهدهِ مع البشر ولا شكَّ انَّ قوس قُزح كان سابقًا لعهد نوح . وكذلك يكون امرٌ طبيعي

من ذاته عقاباً كقول الله لحوَّاء انَّها تكون تحت سلطة رجلها. وقد كانت تحت هذه السلطة قبلًا الَّا انَّ الله جعل ذلك كعقاب بعد ما كان امرًا طبيعيًا وكذلك حكم على الانسان بالموت كعقاب مع انَّ الموت امرٌ طبيعيٌ ولولا نعمة خصوصية من الله لحلَّ في البشر ولو لم يخطئوا

وهكذا جعل الله مسلك الحية على بطنها كعقاب بعد ان كان ذلك فيها امرًا طبيعيًا الاب ا. ڤان دن هوڤن

التلموذ


امَّا جوابنا على السؤَال الثاني فهذا خلاصتهُ: انَّ التلموذ عند اليهود بمنزلة كتاب فقهم ومجموع شرائعهم وآدابهم وما يُقتضى عليهم من الفروض والواجبات استنادًا الى الكتاب المقدَّس وتعاليم الربّيين وتقليد الامة. والتلموذ قسمان المشنة (משנה) والجمارة (גמרה) فالمشنة اي الشريعة الثانية تحتوي على غير ترتيب مجموع فتاوي وتقليدات لقدماء الشيُوخ جمعها الربّي يهوذا نحو سنة ١٩٠ للمسيح

وفصول المشنة ستة هذا تفصيلها: ١ً الزرائع وما يختص بالفلاحة والتقادم للكهنة وسنة اليوبيل الخ ٢ً الاعياد والسبت الفصح والرتب الخ ٣ً النساء — الخطبة والزيجة والطلاق ٤ً المضار وفي هذا الباب الشرائع المدنية والعقابية ٥ً القدسيَّات كالذبائح وآنية التقديس وصفة الكنائس ٦ً التطهير وفيهِ السنن للتطهير من الارجاس وتعريف الطاهر من غيرهِ

امَّا الجمارة اي التتمَّة فغايتها ايضاح المِشنة وتفسيرها الَّفها ربّي أَشي الَّا ان الموت لم يسمح لهُ باتمامها فزاد عليها من أَتى بعدهُ وكان انجاز متها في القرن السابع للمسيح

والجمارة قسمان او تلموذان تلموذ اورشليم وتلموذ بابل الَّف الاوَّل الربّي يوحنان في اواخر القرن الثاني للمسيح لافادة يهود فلسطين وهو اقصر التلموذين واغلقهما. والتلموذ البابلي هو للربّي اشي كما سبق وضعهُ نحو مائة سنة بعد الربّي يوحنان وهو اوسع من الاوَّل مادَّة واوضح معنى الَّا انَّ فيهِ عدَّة حكايات صبيانية لا يرضى بها العقل. هذا وان المحدثين من اليهود يفضلون التلموذ على التوراة فيشبهون التلموذ بالخمر والتوراة بالماء الرائق ويزعمون ان التلموذ موحًى بهِ من الله ه. ل

قائمة للآثار الجويّة من ٧ الى ٢٢ ايّار ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

ترقّي فنّ الحرب البحرية

للاب هنري لامنس اليسوعي

انَّ الحوادث التي تجري في هذه الايَّام بين دولتين عظيمتين كالولايات المتَّحدة واسبانية استلفتت كلَّ الانظار الى صناعة الحرب البحريَّة. فلا غرو انَّ قرَّاءنا الكرام يودُّون لو يقفوا على ما صارت اليهِ احوال هذا الفنّ الخطير وما بلغهُ من التحسينات المتوالية. فمن ثمَّ وضعنا هذه النبذة الوجيزة لنبحث فيها اوَّلًا عن المراكب المدرَّعة ثانيًا عن الطرَّادات ثالثًا عن النسَّافات والغوَّاصات رابعًا عن البطاريَّات البحريَّة

١ الدوارع

لمَّا توفَّر استعمال المدفعيَّات ذوات الاطلاق السريع وكثر الالتجاء الى قذائف الميلينيت تحتَّم ايضًا توسيع نطاق السفن الحربية المدرَّعة. لكنَّ ذلك استدعى ايضًا في الوقت ذاتهِ تخفيض سمك الصفائح حتَّى لم يتجاوز ثقل تدريع بعض الطرَّادات ثُلث مغاص السفينة كلها في الماء. وجلُّ ما يطلبهُ ارباب البحر في تعمير السفن ان يمنعوا انفجار القذائف في وسط السفينة فاذا ما جرى ذلك خربت للحال ادوات المركب الجوهريَّة وتحطَّمت آلاتهُ الحيويَّة وامتنعت مواصلة الاشغال بين اقسامهِ الشتَّى

ولحسن الطالع قد اكتشف هرڤي (Harvey) نوعًا من صفائح الفولاذ أمتن من الفولاذ العادي بنحو الاربعين في المئة. ثمَّ ان الميلينيت تنفجر باوَّل صدمة اذا ما صادفت تصفيحًا خفيفًا لا يتجاوز سمك عشرة سنتيمترات. فهذا ما مكَّن من تخفيض سمك دروع السُّفن ومجموع ثقلها التامّ

امَّا باطن السفينة فجعل الآنَ البحريُّون يعدّدون فيها الآلات المحركة وهي في الغالب

ثلاث لتُقسَّم بذلك الاخطار فاذا اصيب قسمٌ من الطرَّادة بأَذًى سلم القسمان الآخران. واكثر ما يُتَّخذ الآن في داخل السفن الآلاتُ الكهربائية عوضًا عن ادوات النُجار المائية ويُوضع الجهاز الكهربائي في اقصى السفينة حيث يكون بمعزلٍ عن كلّ خطر. وفوقهـا تكون البروج المصفَّحة حيث المدافع الضخمة والفوَّهات ذات الطرز المتوسّط. ودفعًا لمضارّ القذائف تُعزل المدافع عن بعضها ويُغطَّى اعلى البروج بصفائح الفولاذ. امَّا رئيس السفينة فلهُ مركز في اسمى محلّ المركب مصفَّح بصفائح سمكها ثلاثون او اربعون سنتيمترًا ومن مرقبهِ هذا يبلّغ اوامرهُ الى كلّ انحاء السفينة والى جميع الضباط

فترى انّ المبارزة شديدة تقوم على ساقٍ بين المدافع والسفن المصفَّحة. فيا تُرى لمن تكون الغلبة؟ ولا شكَّ ان الفوز للمدافع وذلك لانَّ تقدُّم البطاريَّات وقوَّتهـا في نموّ متزايد لا يكاد يبلغ حدًّا امَّا دفاع السفن المدرّعة فلهُ حدٌّ وذلك من جرّاء ثقل السفينة. فان الدوارع الكبرى لها اثقال ضخمةٌ يصعب تحريكها ولا بُدّ من زيادة هذه الاثقال بقدر ما تتحسَّن صناعة الحرب البحريَّة وكلُّ اكتشاف جديد يقتضي زيادة في ثقل السفينة

ولعلّ ذلك يدعو عمَّا قليل ارباب الصناعة البحريَّة ان يهملوا الدارعة المتسعة الجوانب المرتفعتها وهي التي كانت شائعةً الى عهدنا. واذا ما أُتقن تركيب الميلينيت فقوي على خرق صفائح السفينة وامكنهُ ان ينفجر في باطن السفينة لا بدّ من الالتجاء الى سفنٍ اخرى مختلفة الاغماط. ولا يبعد ان يعودوا الى الطراز القديم المعروف بطراز المونيتور وهذه السفن قليـلة الارتفاع فوق سطح الماء يحدق بها نطاق من الفولاذ الكثير السمك لا يكاد يرتفع منها غير الابراج ومقام ربَّان السفينة. واكثر البحريين يزعمون انَّ هذا الصنف افضل الاصناف وعليهِ سيكون المعوَّل في المستقبل

٢ الطرَّادات

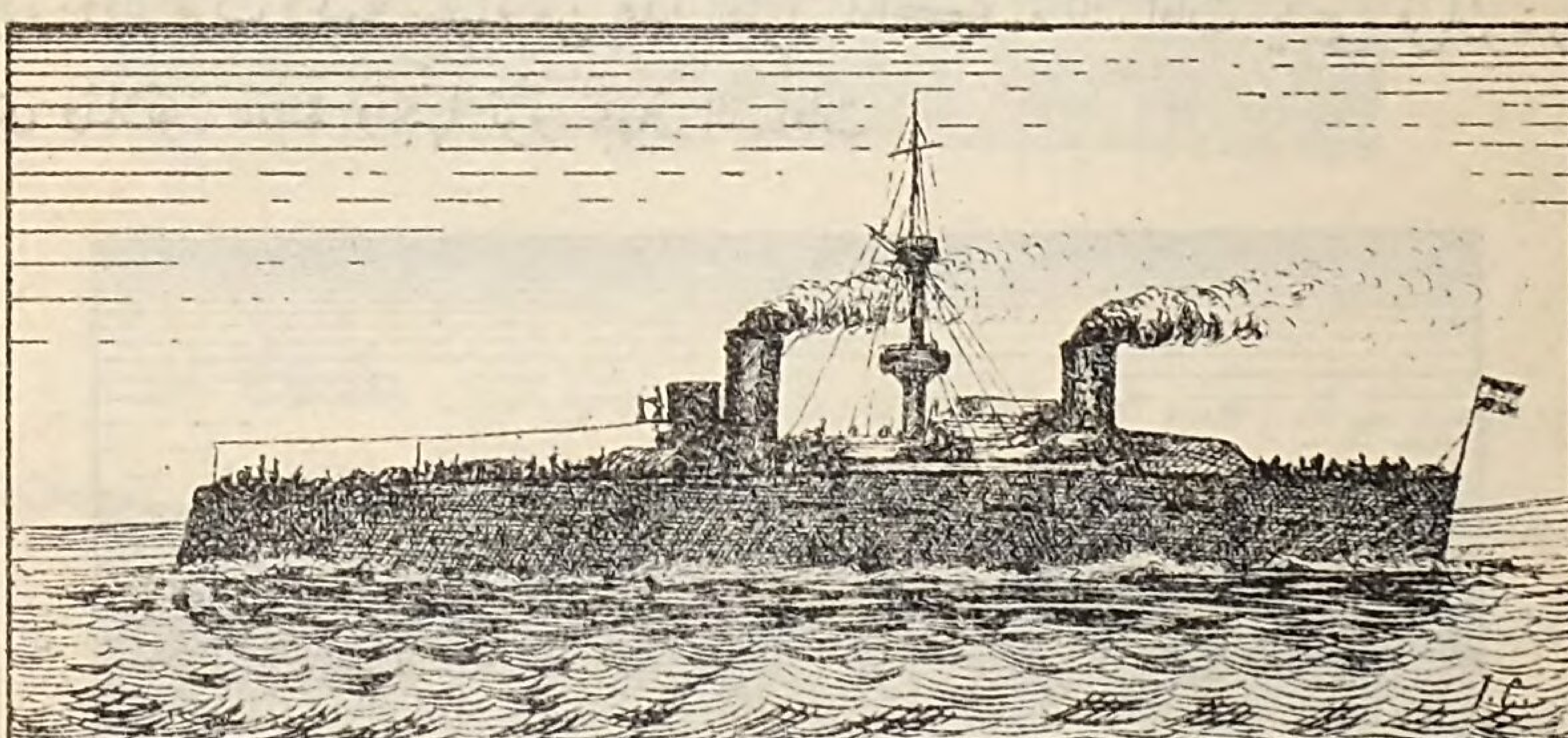
قد كانت الطرّادات منذ عهد قريب مختلفة كلّ الاختلاف في شكلها عن الدوارع واليوم قد كاد يتوارى هذا التباين بينهما. فصار تصفيح كلا الصنفين متساويًا في الضخم والسمك. والبطاريَّة في الدوارع اقوى بقليل منها في الطرّادات. وانَّما الفرق الكبير بينهمـا متوقّف على اختلاف السرعة فالطرّادات اخفُّ حركةً من الدوارع

وللناس ولوع في زماننا بتعمير الطرّادات الخفيفة السير القويَّة الجهاز الحربيّ واكثر الدول لا تزال تسعى في تجهيز سفن جديدة من شكل الطرّادات ودونك جدولًا يفيدك

عن حالة الدول من هذا القبيل وفيهِ ضمَّناً ما لكلّ منهنّ من اصناف السفن البحريَّة في دار صناعتها ممَّا نجز عملهُ او قرب نجازهُ

اصناف السفن البحريَّة	انكلترة	فرنسة	روسيَّة	المانية	ايطالية	النمسة	الولايات المتحدة	اسبانية	اليابان
الدوارع	٥	٣	١	٢	٣	٢		١	٣
الطرَّادات المدرَّعة		٥	٣	١	٢	١		٢	١
الطرَّادات الكشَّافة	١٥	٥	١	٦	٢	٤		٥	٦
المدفعيَّات	١٤	١	١		٧		٤	٣	
النسَّافات	١١	٣١	١٦	٦		٤	١٥		١٤
الغوَّاصات		١	١		١		٣	١	

وقد سُئلت اللجنة الايطالية البحريَّة عن منافع تعمير الدوارع فبعد الفحص رجَّحت الرأي بيدلها فيما بعد بالطرَّادات وذلك لأنها انسب بفنّ الحرب البحرية الجاري في ايَّامنا



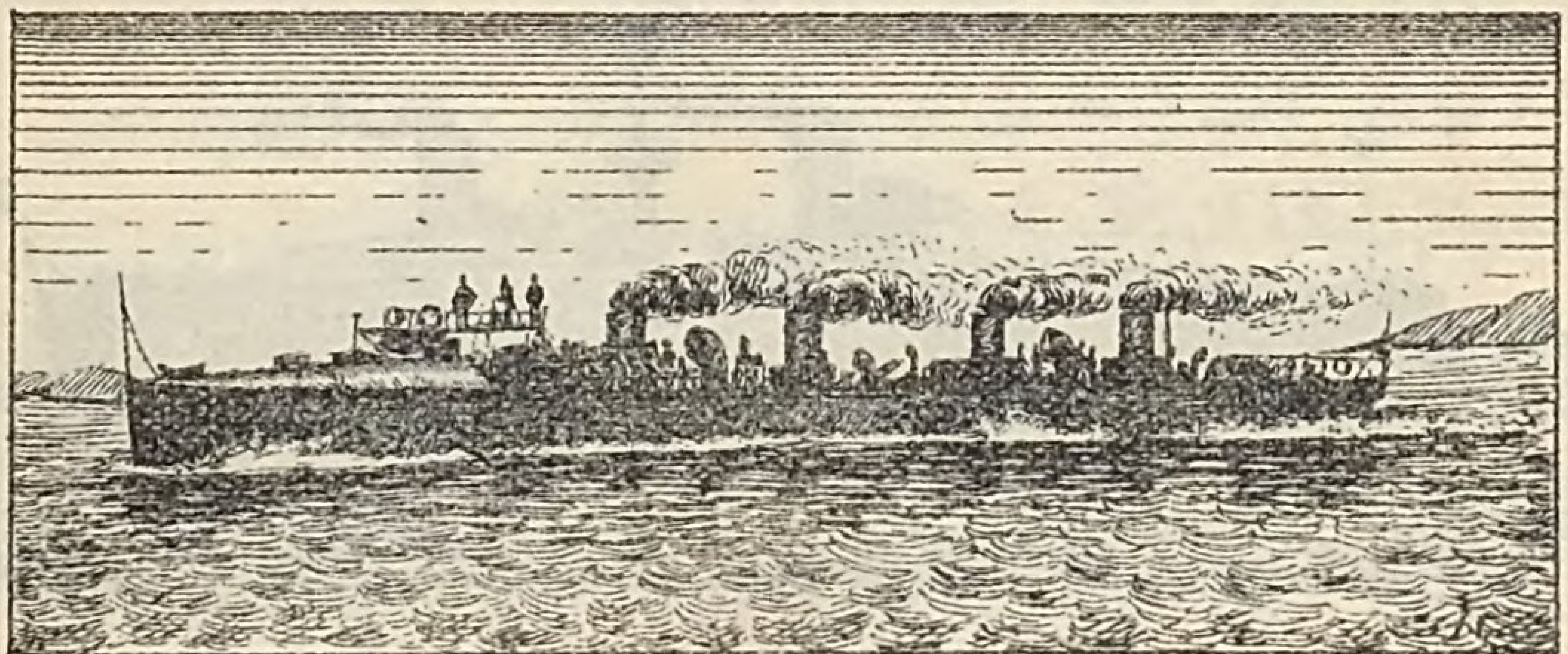
الطرَّاد الاسباني كريستوف كولومب

ويوجد عدد غفير من الطرَّادات التي لم تصفَّح بالفولاذ في خارجها مثل الطراد الانكليزي الشهير «بوَرِفول» البالغ طولهُ ١٥٠ متراً وهو في غاية الخفَّة. وفي هذه البنايات البحريَّة لا يُمكن الَّا مراعاة احد امرين امَّا القوَّة وامَّا الخفَّة فما يُنال من جانب يُفقد من جانب آخر

٣ النسَّافات

قد زادت النسَّافات خطارةً في هذه السنين الاخيرة لما في قذائفها من الفعل العجيب لأنَّها تفتك بطبقات السفن السفلى الغائصة في الماء. وقد كانت انكلترة الى السنين

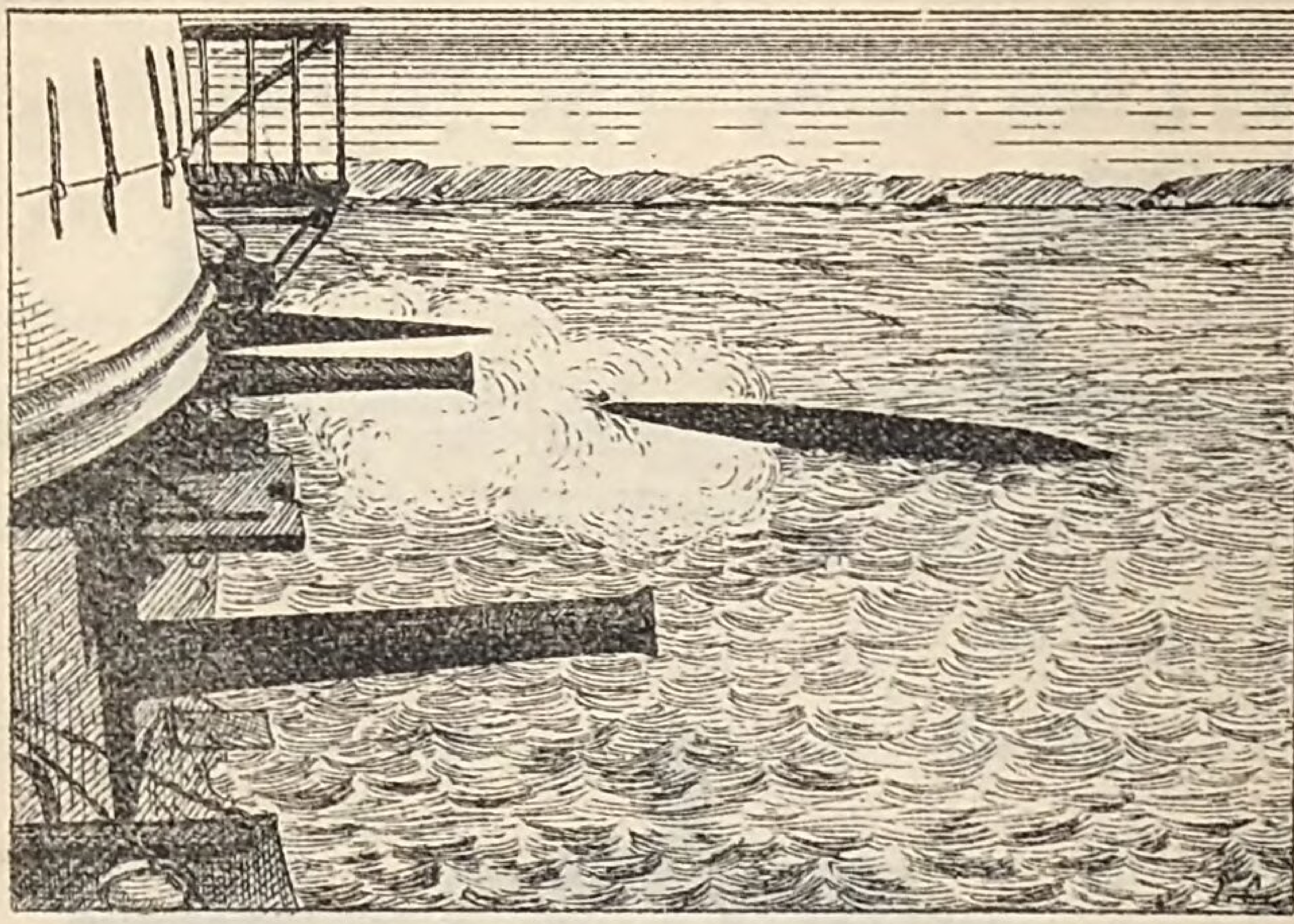
الاخيرة تتظاهر بعدم مبالاتها بتعمير النسَّافات ولذلك ترى عدد نسَّافاتها اقلّ بالنسبة الى بعض الدول . ولكن لمَّا لحظت ما يُداهم دوارعها من الاخطار المسبَّبة من هذه السفن الصغيرة الحجم قرَّرت مبلغ مئة مليون فرنك لتجهيز نحو مئة سفينة لمعاكسة النسَّافات (Contre-torpilleurs) . وليست هذه المراكب الَّا صنفًا آخر من النسَّافات بيد انَّها اكبر حجمًا واسرع سيرًا واقوى سلاحًا يبلغ طولها ستّين مترًا وسرعتها ثلاثين عقدةً بحريَّة. وقد بُوشر في بناء احداها ستبلغ سرعتها ٣٣ عقدةً اعني انَّها تقطع في الساعة مسافة ٦١ كيلومترًا . وبطاريَّة هذه السفن تشتمل على مدفع واحد سريع الطلقات ذي ٧٥ ميليمترًا وخمسة مدافع مثلها ذات ٥٧ ميليمترًا . ولها ما عدا ذلك فوهتان لرمي العدوّ بالقذائف تدوران على محور الى كلّ الجهات ولا شكَّ انَّ هذه السفن ستبطل جانبًا كبيرًا من قوَّة النسَّافات . الَّا انَّ صغر حجمها وخفَّة جوانبها وسرعة عطب ادواتها ستعرّضها الى اخطار كثيرة . وقد عمَّرت فرنسة سفينة من هذا الطرز لمعاكسة النسَّافات يُدعى فُرْبان سرعتهُ احدى وثلاثون عقدة ولكنَّها توثّر تجهيز النسافات



السفينة سيرَوهنك الانكليزية المعاكسة للنسَّافات

وقد اكتُشفت منذ أمد قريب طريقة لزيادة سرعة هذه السفن وهي اتخاذ الآلات البخاريَّة الدولابية المعروفة بالتوربين (turbine) وهي تقوم مقام آلة التحريك بأنَّ تعمل توًّا على العمود الذي فيهِ الآلة الدافعة . وكان يحول دون ذلك موانع في تحريك نسافات لا يتجاوز طولها ثلاثين مترًا . فلمَّا ارادوا ان يديروا الآلة بالماء عثروا على امر غريب لم يلحظوهُ من ذي قبل وهو انّ الماء كان يكثف فيضحي اشبه بجسم لزج كانَّهُ العجين. وما غلبوا هذا المانع الَّا بوضع ثلاث آلات دولابية يمتدّ فيها البخار فيمتنع بذلك تكاثف

الماء وهكذا جعلوا ثلاثة جسور للحركة وعلى كلّ جسر ثلاثة دواليب مرتبطة ببعضها كثلاثة فراريج في سفُّود واحد. فكانت نتيجة هذا الاختراع ان بلغت حركة السفن ثلاث وثلاثين عقدة وهي سرعة غريبة بالنسبة الى صغر النسَّافات



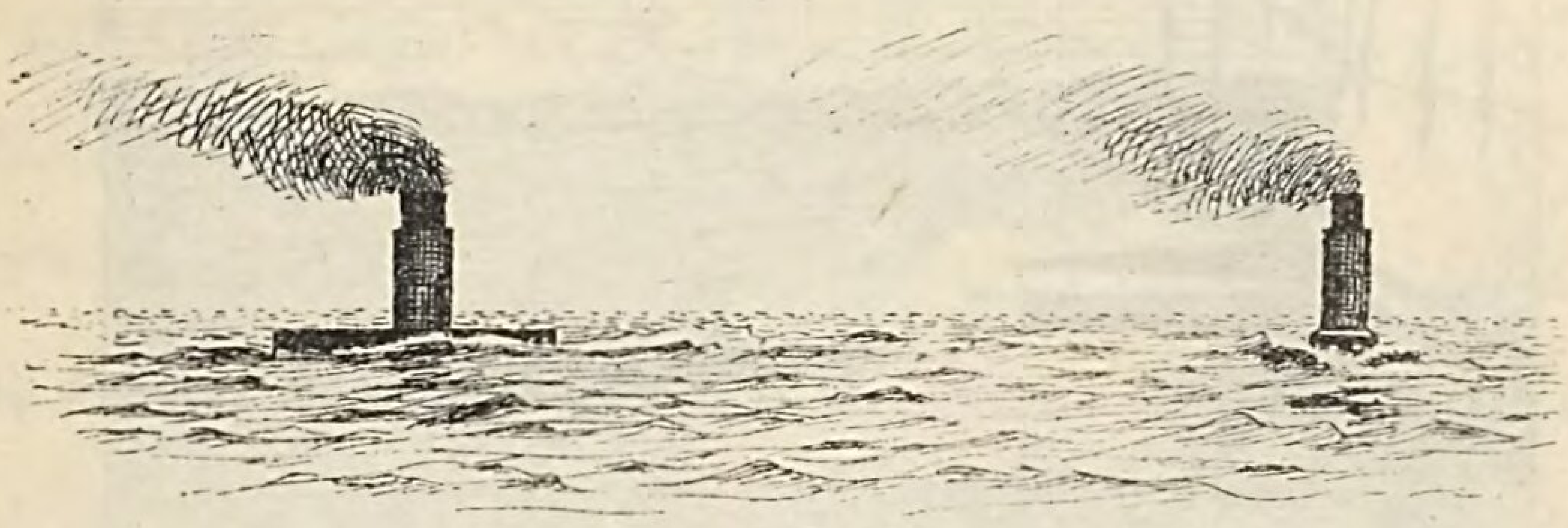
رمي قذائف الطرپيل من النسَّافات

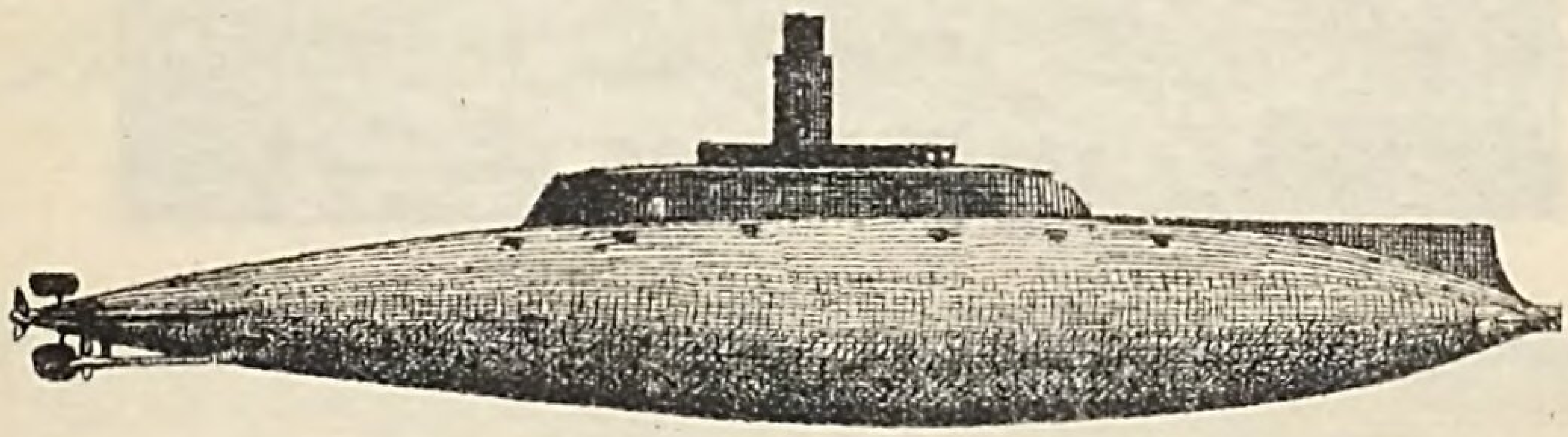
ومن خواصّ هذه الآلة البخاريَّة الدولابية انَّ خفتها نصف خفَّة الآلة الاعتياديَّة فيتوفَّر بذلك المكان في السفينة ويتسنَّى زيادة تعميرها بالقذائف والفحم وهلمَّ جرًّا . وعلاوةً على ذلك انَّ هذه الآلة الدافعة غائصة كلها في الماء فليس عليها خطر من جانب بطاريَّة العدوّ بخلاف غيرها من الآلات العاديَّة

وليس في استعمال هذه الآلة الدافعة سوى نقصٍ واحد وهو انَّ السفينة لا يمكنها ان تُقهقر وانَّما حركتها الى الامام. وقد اخبرت بعض المجلاَّت انَّهُ اكتُشف وسيلة لسدّ هذا الخلل بوضع آلة دولابية رابعة يديرها البخار. فان صحَّ الخبر حُلَّت كلّ المشاكل لتعمير السفن الحربية الصغيرة البالغة السرعة

وقد ذكرنا في جدولٍ (ص ٥٣١) السفن الغوّاصة وعَدَدْنا للولايات المتحدة ثلاثة منها فهاك وصفها هي سفن صغيرة طولها من عشرين الى اربعة وعشرين مترًا في عرض ثلاثة او اربعة امتار على شكل السمكة. وفي اعلاها برج صغير او سطحٌ منهُ ينفذ النور لاهل السفينة اذا لم تغطس باجمعها. امَّا مغاص هذه السفن فبواسطة دفَّةٍ وبأَن يُبدل

ثقل السفينة وذلك ان يُملأ بعض احواضها بكمية من الماء او يفرَّغ على مقتضى الحال. فاذا علت فوق سطح الماء يمكن تحريكها بواسطة آلة من الغاز امَّا اذا غاصت فتحرّكها البطاريَّات الكهربائية. وسرعة حركة هذه السفن فوق الماء تبلغ خمس عشرة عقدة وفي وسط البحر ثماني عقد





الغوَّاص هولَند

وقد انتهى مؤخرًا الروسيون من تعمير مركب غوّاص في غاية الصغر طوله خمسة امتار وثمانون سنتيمترًا فقط وثقله طن اي الف كيلوغرام تحركهُ الكهرباء فيسير بسرعة عشر عُقد في الساعة

٤ البطاريَّة البحريَّة

اهمّ ما أنبأتنا عنهُ المجلاَّت من هذا القبيل تحسُّن البطاريَّات السريعة الطلقات فانَّ المدافع الخفيفة كمدافع الطرز المتوسّط التي تبلغ فوهتُها ستة عشر سنتيمترًا تُسبك اليوم على النمط السريع الطلقات. واشهر المدافع الخفيفة مدفع مَكسيم الذي يقذف بحركتهِ الذاتية ٣٠٠ قذيفة في الدقيقة يبلغ ثقل الواحدة ٥٠٠ غرام

امَّا مدافع الطرز المتوسط فتقذف في الدقيقة خمس قنابل ثقل كل واحدة ٤٥

كيلوغراماً . وقد وسّعت الفوهة الى عشرين واربعة وعشرين سنتيمتراً تطلق ثلاث او اربع طلقات في الدقيقة يُسمع لانفجارها صوت كدويّ الرعد

وكلُّ هذه القذائف تنصبُّ على سُفن العدوّ كأَنها مطر مدرار من الحديد وليس في هذا التشبيه مغالاة . فان اعتبرت مثلاً احدى الدوارع الكبرى وجدت انَّ بطاريَّتها تستطيع ان تطلق بسهولة في الدقيقة قذائف ثقلها اربعة آلاف كيلوغراماً ما عدا المدافع التي يمكن تحويلها على حسب قطب السفينة وتبلغ قذائفها نحوًا من الفين ومئتي كيلوغرام هذا مع قطع النظر عن مدافع العشرة سنتيمترات . فان كانت الدارعة الواحدة تقذف مثل هذه القذائف فما قولك عن دوارع كثيرة واساطيل شتَّى متجرّدة للقتال في وقت واحد فبالحقيقة لا يمكن احدًا ان يتصوَّر مهاول هذه المعارك البحريَّة سوى من شاهدها بالعيان

وينتج ممَّا سبق انَّ ذخائر الحرب تفنى بوقت قليل وانَّ السفن المصابة بهذه القذائف الهائلة تصبح بآخر المعركة حطاماً تعوم بقاياها على وجه المياه باسوإ حال وربَّما غُرّقت تماماً فهبطت بادواتها وركَّابها الى قعر البحر . امَّا ما يبقى منها فيُضحي لما لَحق بهِ من الأذى أُكلةً للعدوّ تجرُّها صغار سفنهِ ونسَّافاتهُ

ولنختم مقالتنا هذه بذكر ما تسعى الدول باكتشافهِ الآن لزيادة قوَّة البطاريَّات . قد قلنا سابقًا ان انفجار الميلينيت سريع جدًّا يكفي للقذائف ان تصدم تصفيحًا من الفولاذ سمكهُ عشرة سنتيمترات كي يتطاير لهبُها في وسط التصفيح وزدنا انّ المسيو هرقي وضع لتلافي اضرار الميلينيت تصفيحًا جديدًا يصدُّها عن خرق السفينة . فاستنهض ذلك همم المكتشفين ليبحثوا عن طرائق أُخرى لبلوغ غايتهم وقد انفقت الدول القناطير المقنطرة لوجود قذائف لا تنفجر الَّا بعد خرق صفائح الدوارع . ويقال انّ بعض العلماء وقف على هذا السرّ المكنون . فانّ صحّ الامر لم تعد تصلح السفن القديمة لمهامّ الحرب ويُقتضى تعمير مراكب جديدة

والاميركيون يسعون في اكتشاف طريقة يريدون بها دكَّ سفينة العدوّ لا خَرْقها وذلك امَّا برمي قذيفة ذات جرم كبير تصدمها صدمةً هائلة فتحطمها او باطلاق كميّة وافرة من الموادّ المتفجّرة . وقد وضع لهم زالنسكي مدفعاً طولهُ خمسة عشر مترًا يمكنهُ قذف قذائف قابلة الانفجار ثقلُها ٢٧٢ كيلوغراماً وذلك بقوَّة الهواء المنضغط . ولكن لهذه المدافع خللٌ وهو انَّ قذائفها لا تبلغ سوى مسافة الفَي متر فتضطرّ ان تقترب كثيرًا من سفن العدوّ

فيتمكّن العدو قبل وصولها اليهِ من ضربها بمدافعهِ ذوات الطلقات السريعة

وقد عُني في انكلترّة مكتشف آخر اميركي الاصل اسمهُ مكسيم بوضع مدفع شبيه بالسابق الّا انَّ قذائفهُ مركَّبة من الحامض البيكريكي (acide picrique) فتبلغ القذيفة مسافة عشرة كيلومترات وثقلها ليس باقلّ من الف كيلوغرام. فترى ما عسى ان يكون مفعول هذه الآلة المرهبة فلا جرم انَّها تحطّم السفن المصابة بها تحطيمًا فتجعلها كالهباءِ. ومن دواهي هذه القذيفة الجديدة انَّها تنفجر في الماء وبانفجارها تصيب السفن ولو على مسافة خمسة وستين مترًا وتلحق بها كلّ الأذى. وهذه القذيفة قد دُعيت بالنسَّافة الهوائية (torpille aérienne) ولا يظهر حتى الآن كيف يكون المناص من بلائها

وينتج ممَّا سبق ان وسائط الدفاع مهما تقدَّمت وتحسَّنت لا تفي بالمرغوب وانَّ ادوات الحرب لا تزال تزيد كمالًا الى ما لا نهاية لهُ. وسيفيدنا المستقبل عمَّا يكون من امرها وهذا جدول جمعنا فيهِ نظرًا عموميًا عن احوال اشهر اساطيل العالم *

جدول لاخصّ اساطيل العالم

اصناف مراكب العمارات	انكلترة	فرنسة	روسية	المانية	ايطالية	النمسة	الولايات المتحدة	اسبانية	اليابان
دوارع	٣١	٢٠	١٣	٦	١٠	٤	٥	١	٢
دوارع لحماية الشواطئ	٢	٩	٣	١٢		٣	٣		٣
طرَادات مدرَّعة	٩	٦	٥		١	١	٣	٥	
مدفعيَّات مدرَّعة		٨	٤			٢			١
طرَّادات كشَّافة	٩٠	٢٩	٢٢	٢٠	٣	٣	٢٥	١٢	١٧
طرَّادات نسَّافة	٩	٧	٨		٢٧	٣	١		٢
معاكسات للنسَّافات	١١١	١٣		١٠	٢	٧		١٦	
نسَّافات	٧٧	١٩٠	٧٣	١٢٦	٩١	٥٧	١٨	١٤	٣٤
غوَّاصات		٢	١	٤	٤		٣	١	
المجموع	٣٢٩	٢٨٤	١٢٩	١٧٨	١٣٨	٨٠	٥٨	٤٩	٥٩

* Gfr. = Revue enéyclopédique Larousse, 7 Mai, 1898 – Carnet de l'officier de marine, 1867 – La Nature, 17 et 21 Mai, 1898

زينب (الزبَّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزڤال اليسوعيّ

(تابع لما قبل)

ولم تزل تدمر على تلك الحال تنمي وتتقدَّم في سبُل العمران حتى صارت في اوائل النصرانيَّة احدى المدينتين اللتين جمعتا معًا بين تجارة اوربَّة وآسية اعني مدينتَي بترة وتدمر (١. وكانت القوافل العظيمة التي تقطع البراري تعبر في احدى هاتين العاصمتين فتَنقل منهما البضائع الى رومة وتزيد في حاضرة الممالك اسباب الترَف ورفه العيش (راجع خارتتنا لبيان المسالك التجاريَّة في تلك الازمنة ص٤٩٥) فمن جزيرة العرب كانوا يستخرجون الذهب والجزع واليشب واللُّبان والصَّمغ والصبر وعود الندّ. ويستجلبون من العراق لآلئ البحرين ومن وادي نهر السند وسواحل كورومندل انواع المنسوجات التي يتاجر بها الى يومنا اهل تلك البلاد. ويستحضرون من اقاصي الهند القرنفل والبهار والحرير الصينيّ والنيل والصّجاج والفولاذ والعاج والآبنوس. وكانت كلُّ هذه اصناف المتاجر تأتيهم على طريق البرّ. امَّا ما كان يردهم من الارفاق على طريق البحر فكان دون ذلك. ولا شكَّ انَّ الرومان صرفوا جهدهم في استمالة اهل تدمر بغيةً منهم ان يقاوموا نفوذ بني ارشك من العجم واستخدموا قوافلها لاعلاء امرهم في تلك الانحاء ثمَّ ضمُّوا هذه المدينة ملكة الصحراء الى اقاليمهم الشرقيَّة واقاموها منذ بدء النصرانية كرابط بين طرفَي العالم العتيق (٢

١) راجع Reinaud : J. A. Mémoires de l'Acad. des Inscript., t. 24, 1864 و 1863^1, ودي ڤوكويه *Syrie Centrale, Architecture*, p. 12. Introd. و J. A. 1883^2,
ولينورمان (التاريخ القديم)

٢) من المعلوم ان الرومان احسنوا وجه استخدام الامم التي اخضعوا لهم رقابها. مثال ذلك انهم اقاموا بين دمشق وتدمر ٥٢ مركزًا عسكريًّا و بنوا عدَّة حصون على الطريقة الممتدة بين بصرى ودمشق (راجع Marquardt : *Römische Staatsverw.* I, p. 414 و Duruy : *Histoire des Romains* VI, 80) امَّا الطريق التي توؤدي من تدمر الى نهر الفرات فلم يغفلوا تحصينها ايضًا (راجع Mommsen : *Römische Geschichte* V, p. 80). وكل ذلك كما لا يخفى من اقوى الاسباب لتأييد التجارة وحمايتها بتلك البلاد التي تجول فيها قبائل متلصِّصة. فلا عجب اذن من ان حركة تجارة رومة كانت تبلغ وحدها الى ما يفوق ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

وفي اوائل القرن الثاني للمسيح شرعت مدينة تدمر ترتقي الى درجة سامية من التقدُّم والعمران. فامتلأت خزائنها باموال طائلة لم تَعهد بمثلها كثرةً اللهمَّ الّا في زمن ملكتها زينب. يشهد على ذلك كتابة رسميَّة ذات لغتين (١ قد اكتشفها الامير الروسي لازارف (Lazarew) فأتحف بها العلماء الاوربيين سنة ١٨٨٢. والكتابة المذكورة من الخطارة بمكان رفيع قد جدَّ في استخراج معانيها المفيدة اساتذة اللغات الشرقية وارباب التواريخ القديمة فبيَّنوا ان هذا الاثر المهمَّ يرتقي الى سنة ١٣٧ للمسيح وانهُ اجلّ ممَّا سواهُ في ايضاح احوال التجارة القديمة اذ يطلعنا ليس فقط على امور تدمر الخصوصية بل ايضًا على عدّة شؤون مختصَّة بتدبير الرومان لاقاليمهم الشرقية

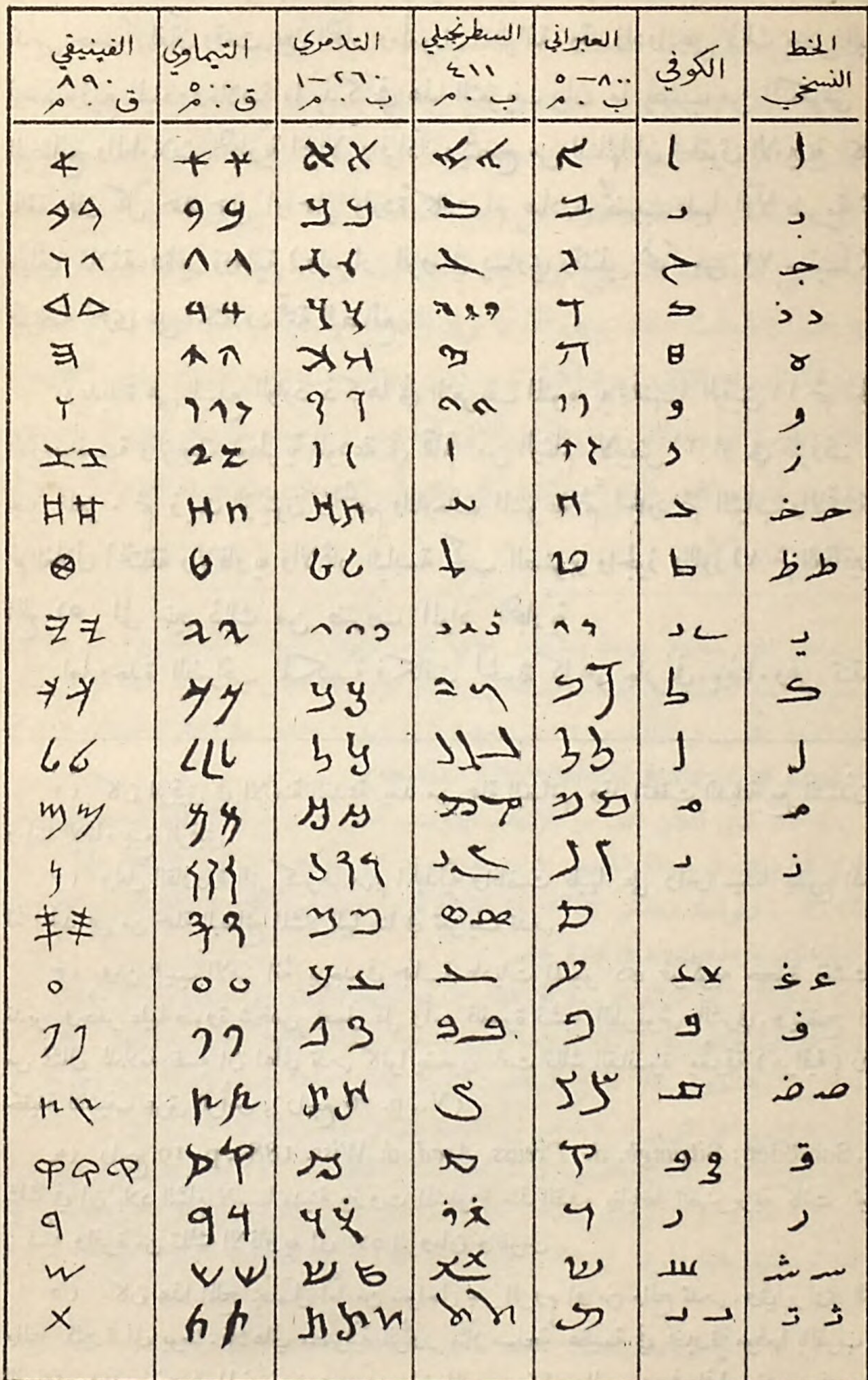
وممَّا يتبيّن من تاريخ هذه الكتابة النفيسة هو انها خُطَّت في السنة الاخيرة من مُلك اذريانس اي السنة الثالثة بعد سفره الى تدمر. وبتلك الاثناء اتَّخذت لها المدينة اسمًا ثانيًا اجلالًا لهذا القيصر فدُعيت بهِ Hadriana او Hadrianopolis (٢

١) اللغتان المذكورتان هما التدمرية واليونانية وهما الغالبتان على الكتابات المكتشفة في عاصمة زينب. ومن المعلوم ان اليونانية كانت بمنزلة اللغة الرسمية في جميع الاقاليم الشرقيَّة المُذعنة لدولة الرومان. امَّا لسان اهل تدمر فهو لهجة آرامية على غاية الشبه بالسريانية. وقد زعم السيد ساخو ان لغة تدمر هي اللغة التي نطق بها المسيح لذكرهِ المجد مدَّة حياته على الارض. (راجع: Z D M G: 1883, p. 564) ولكن لا يخلو هذا القول من بعض المبالغة. فان لهجة تدمر اشبه بلغة اهل الرُّها منها بلغة السيد المسيح وهي الفلسطينيَّة. راجع مقالة مستملحة للعلامة نولدك بهذا الصدد (Z D M G: 1870, p. 108)

اما الخط التدمري فلا نعرف حقَّ المعرفة على اي صورة كان في القرون السابقة للنصرانية لان جميع الكتابات والرسوم المكتشفة في تدمر الى هذه الغاية ينحصر تاريخها بين القرن الاول والقرن الرابع للمسيح ولا يرتفع اقدمها عهدًا الى ما فوق السنة التاسعة قبل النصرانية. بَيدَ انَّهُ من المقرَّر ان الامم الآرامية كافةً قد اقتبست منذ قديم العهد صورة حروفها من الفينيقيين فلم تزل كل واحدة منها تتصرَّف بها وتغيّر اشكالها شيئًا فشيئًا الى ان ظهر في تدمر الخط الذي وُجد منهُ آثار عديدة على بقايا ابنيتها واخربة هياكلها. والخط المذكور قريب الى الخط العبراني المربّع. فكانهُ رابطٌ بينهُ وبين الخط السطرنجيليّ المنتشر في الرها. (راجع جدولنا للخطوط القديمة وجه ٥٣٩)

٢) يعلم القرَّاء ان ذلك الملك صرف وقتًا طويلًا لزيارة اقاليم مملكته فقد سافر الى جميعها وبنى فيها بعض المدن واطلق عليها اسمهُ. فمدينة ادرنه مثلًا وهي من اعمال الروميلي الحالية انما سميت Andrinople اي Hadrianopolis اكرامًا للملك المذكور

جدول
لبعض الخطوط الشرقية
كما وجدت في الكتابات القديمة



امَّا مضمون الكتابة فهو تعريف ديوانيّ (جمركيّ) مطوَّل مسهَب اصدرهُ مجلس شيوخ تدمر حسماً لِفِتَن وقعت بين التجّار ومأموري الخزانة . وقد زادوا على ذلك بعض البنود لرسم توزيع المياه . وخلاصة ما يُذكر في هذا التعريف بيان ما يُضرب من المكوس على البضائع والمعاملات التجاريَّة اجمالًا وافرادًا . ويتَّضح من اثنائها ان الحقوق الاميرية كانت بالغة . فان كلّ حملة جمل او حمارٍ واردةً كانت ام صادرة تُضرب عليها اوَّلًا ضريبةٌ ثابتة مبلغها ثلاثة دنانير رومانية (والدينار الروماني يساوي وقتئذٍ نحوًا من ٧٢ سنتيمًا) ثم فريضة اخرى على اختلاف قيمة البضائع

وعديدة هي السِلَع الوارد ذكرها في التعريف المنوّه بهِ . فمنهـا الرقيق (١ ثم الجزَز الارجوانيـة والزيوت العطرية المودعة في قماقم من الرخام الابيض (٢ او في ظروف من جلد المعز . ثمَّ زيت الزيتون والشحم والملوحات المتنوّعة ثمَّ الجلود ثمّ الثياب والاقمشة (٣ ثم الغلال المختلفة والافاويه والاثمار اليابسة كحب الصنوبر والجوز واللوز (٤ ثم العقاقير ثم الملح (٥ الى غير ذلك من ضروب الموادّ التجاريَّة

امَّا وحدة الضرائب المكسيَّة فكانت الحَملة كما هو جارٍ في يومنا . وهي تنقسم

---

١) كان الرقيق في الازمنة القديمة يُعَدّ من جملة البضائع . وقد اتَّفقت الديانة مع التمدُّن في زماننا لإلغاء بيع الرقيق

٢) ولعلّ القارورة التي كسرتها مريم الجدليَّة وافاضت طيبها على رأس سيدنا يسوع المسيح لهُ المجد هي من جملة البضائع المشار اليها هنا في تعريف تدمر

٣) ومن عجيب الامر انهُ يوجد في جملـة عاديات المسيو دي فوكويه حجرة نُقشت في تدمر وحُفر عليها صورة شخصٍ يحمل على رأسهِ قلنسوة تُشبه الطربوش الشرقي . ويتَّضح ايضاً من تمثالٍ للعلَّامة نفسهِ ان اهالي تدمر كانوا يضعون تحت تلك القَلنسوة مِعْرقةً (عراقية) رقيقة خفيفة لتنشيف عرق الرأس ,(راجع V., p. 76)

٤) راجع Schröder : *Sitzungb. d. Preuss. Acad. d. Wiss.* 1884, p. 19 . ولا شك في ان بلاد الشام لاسيما مدينة بيروت المشهورة منذ القِدَم بغاباتها الصنوبرية كانت تبعث كميَّة وافرة من تلك الافاويه الى بلاد الرومان والفرس

٥) كان هذا الملح يُحْمَل امَّا من سواحل بحر الروم او من ممالح تدمر . وفي براري الشام ممالح كثيرة الى يومنا . فلأهالي متصرفيَّة الزُور مثلًا مملحةٌ عظيمة في بُحَيرةٍ موقعها بالقرب من الفرات . وقد اخبرنا المؤرخون والسيَّاح ان الملح كثير الوجود في انحاء تدمر . ففي وادٍ

الى ثلاثة اقسام حَملة الحمار وحملة الجمل وحملة العَجَلة. وكان ثقل الاولى نحو مئة كيلو. والثانية اثقل منها بثلاثة اضعاف. امَّا الثالثة فيبلغ وزنها نحوًا من ١٠٠٠ كيلو (١

قال المركيز دي ڤوڠويه: «وكانت القوافل التي تحمل الى تدمر خيرات المشرق تستخدم من الدوابّ الابل والحمير (٢ واذا وصل التجَّار الى حاضرة زينب انزلوا عن ظهر الدوابّ الجوالق والاثقال المختلفة وحمَّلوها على العَجلات (κάῤῥος) ليوجّهوها الى جميع انحاء المملكة على السكك والشوارع الرومانية. فاذا بحثتَ عن اسباب تقدُّم تدمر وبلوغها الى ذروة العمران وجدت لذلك سببين الاوَّل مرور البضائع بها واقامتها فيها مدةً ودفع المكوس الى خزانة المدينة والثاني شهرة اهالي تدمر دون سواهم بقيادة العِيرات في مفاوز الصحاري. فلذلك صارت هذه الحاضرة في القرن الثاني للمسيح كرفإٍ عظيم على بحر البراري ترسو عند ساحلها تجارة الامم فتُغني خزائنها كما جرى في الزمن المتوسط لمدينة البندقيّة سلطانة بحر الروم...» (٣

بدعى وادي الملح مملحةٌ واسعة يستخلص اهالي تدمر ملحها ويحملونهُ الى حلب حيث يبادلونهُ بالقمح. (راجع تآليف ابي الفداء وچسنه وبرنوڤيل وغيرهم) وقال قوم ان ذلك الوادي هو المكان الذي انتصر فيهِ الملك داود على جيش السوريين (راجع سفر الملوك الثاني ٨ : ١٣ و Halifax: *Philosophical transact. of London*)

١) ان ضيق المكان يمنعنا من الاسهاب في وصف تجارة تدمر مع ما في هذا البحث من واضح الفائدة. فمن رغب في معرفة تفاصيل الامر عليهِ بما ذكرهُ الكتبة المحدثون لاسيما دي ڤوڠويه J. A. 1883 ونولدك وساخَوْ Z D M G, 1883 وركِنْدْرف Z D M G, 1888. فمن هؤلاء المؤلفين اقتبسنا هذه النبذة في تجارة تدمر

٢) وكانت لقوَّاد القوافل منزلة رفيعة بين مواطنيهم وهم في عيونهم بمثابة قادة الجيوش. ولا غرو لأنَّهُ كان يقتضى على هؤلاء الرؤساء ان يجمعوا مؤونةً كافية لسفر ربما طال اكثر من مدَّة شهرين ويجنّدوا رجالًا شاكي السلاح مستعدّين للقتال. واذا شدّوا الرحال كان ينبغي لهم ان يتوقّوا غزوات اهل الوبر بما لديهم من الخبرة بانواع الحِيَل. او اذا لم يتمكّنوا من ذلك ان يتجنَّبوا مهاجمة تلك القبائل المتلصّصة فيستميلوها ببعض العطايا. او اذا فاجأتهم شرذمة من البدويين أن يردُّوا غارتهم ويشتّتوا شملهم. الى غير ذلك من الامور والحوادث المعروفة عندهم. فلذا كانت وظيفتهم عالية وترى في جملة أخربة تدمر عدَّة آثار مخصَّصة لذكرهم ومجدهم (راجع V., N° 5)

٣) لا شكَّ ان تدمر كانت تحفظ لنفسها قسمًا من دَخْلها السنوي بعد ان تؤدي لرومة الجزية المفروضة عليها

« هذا والكتابة المذكورة جليلة الفائدة في معرفة اخبار تدمر واحوالها الداخلية. ومن قرأها وتأملها فيتخيّــل انّهُ يحضر تلك الحركة العجيبة من الرجال وقوافل الدوابّ والبضائع ويشاهد عياناً ذلك الاختلاط الغريب من التجار والباعة والنخّاســين والبزّازين واصحاب الدواعي والقضاة ويندهش لازدحامهم في رحب شوارع المدينة وساحاتها الواسعة الارجاء وأروقتها الشاهقة الباهرة التي يتواتر سيّاح العصر الى نظر آثارها المذهلة

« امّا وجه التدبير الجاري في ولاية تدمر فلا يظهر باقلّ وضوح من التعريف الذي نحن بصددهِ. فانهُ يبيّن لنا ان مدينة زينب كان لها في ذلك الزمان مجلس وطني (Se-natus) يسنّ السنن ويشرع الشرائع. وهو عبارة عن رئيس وكاتبٍ (١ وعدّة اعضاء. امّا السلطة الاجرائية فكانت مسلّمة الى شيخين (archontes) وديوانٍ متألفٍ من عشرة حكّام (δεκαπρῶτοι). اما السلطة القضائية فتختصّ ببعض الوكلاء (Syndics) وغيرهم من العمّال. وزد على كل ذلك افادات تنبئنا عن شأن الشرائع وطريقة وضعها لان التعريف المذكور يشير الى الرسائل التى وجّهها جرمانيقوس وكوربلون (٢ الى بعض مأموري الخزانة في تعيين الفرائض الديوانية وغيرها من امور التجارة. وفي ذكر هذين الرجلين بيان لتاريخ تدمر وضبط عهدهِ لانها توضح لنا ايضاحاً جلياً ان عاصمة زينب كانت خاضعة للدولة الرومانية منذ ابتداء النصرانية (٣ (ستاتي البقية)

---

١) وممّا يتضح من القرائن ان سلطة هذا المجلس كانت عظيمة. الّا انّ سنّ الشرائع لم يُفوّض اليهِ وحده (راجع ركندرف Z D M G, 1888, p. 390)

٢) يعلم القرّاء ان جرمانيقوس هذا (١٢ ق م – ١٩ ب م) هو الذي تبنّاهُ طيباريوس قيصر فارسلهُ الى الاقاليم الشرقيّة لبعض الشؤون فاقتضت عليهِ الاحوال ان يتداخل في امور سورية لمقاومة سوء تصرّفات پيزون (Pison) الذي كان في ذلك الزمان والياً على بلاد الشام. امّا كوربلون فكان قائداً في عهد قلوديوس ونيرون وُجّهَ الى المشرق لمحاربة الفرس فلما انتهى من امرهم رجع الى رومة فلم يلبث الّا يسيراً من الزمن حتّى قتلهُ نيرون (٦٧ م)

٣) راجع de Vog. : J. A. 1883², p. 180 و R. Duval : J. A. 1883², p. 534

الكُتُبخانات

وهي نبذة ارسلها الينا المستشرق الفاضل مرتين هرتمن

كنشليار قنصل المانية سابقًا في بيروت ومعلّم اللغات الشرقية حالًا في برلين

انّ صناعة الطبع حديثة في بلاد المشرق ولا سيّما في سوريّة ومع ذلك قد اتت في الازمنة الاخيرة بما لا يحصى من بنات الفكر المُظهَرة من عالم الغيب الى عالم الوجود بواسطة تلك الهنات السوداء التي تُسكب حروفًا ثم ترتَّب صفوفًا ثم تُدهَن بالمداد فتزين (ويا ليتها لا تشين) الصَّفحات. ولا يُخفى ما في المطبوعات من الدلائل على ما يشغل ضمير القوم. فترى كلّ من عنَّ لهُ امرٌ او خطرت على بالهِ غاية من اي جنس كانت يقصد «تعميم فائدتها» فيعمد الى نشرها بلسان ذلك الفنّ العجيب. فحقًّا انَّ صناعة الطبع لوسيلةٌ كبرى نبلّغ بها عددًا غفيرًا من البشر ما نوينا اذاعتهُ على رأس الملإ. ولذلك لم تلبث الحكومات نفسها التي في اوَّل الامر توهَّمت في هذا الفنّ خطرًا وخشيت منهُ اضطراب الافكار ان تتخذ الطباعة كواسطة لتنفيذ مآربها. وكيفما كان الامر فلا يخفى على كل ذي بصر ما في هذه الصناعة من الخطارة العظمى

هذا وانَّ في محصولات صناعة الطبع اختلافًا من حيث الحجم والفائدة وليس هذان الامران واحدًا فانك ربَّما قرأتَ تأليفًا مطوَّلًا ذا صفحات عديدة لا تكاد تجتني منهُ ثمرة وليس هو الَّا تكرار ما سبق طبعهُ. وقد ترى بخلاف ذلك الورقة والورقتين فاذا طالعتهما حصلت على ما لا يُنال بقراءة المجلَّدات الضخمة لما تجد في هذه الصفحات الوجيزة من المعاني المبتكرة والخواطر السنيّة التي تشحذ الاذهان وتنير البصائر

وعلى كلّ الاحوال لا بُدَّ من جمع كلّ ما يُطبع في بلدٍ ما فيودع في محلّ معلوم اي في مكتبة بها تُصان كلّ ما يُنشر من المطبوعات على اختلاف حجمها واهميّتها. وكثيرًا ما ظنَّ المعاصرون انَّهُ ليس كبير امر في بعض التآليف فينبذونها واذا اتى رجال العصر القادم لعلّهم يجدون فيها من الاهمية ما لم يَدُر على خلدٍ

وهنا لا يسعنا الَّا الثناء الطيّب على الحكومة المصريَّة التي تنفق لجمع المطبوعات مبالغ وافرة وعيَّنت لادارة مكتبتها الكبرى المعروفة «بالكتبخانة الخديوية» أَيِمَّةً لهم الباع

الطويل في فنّ تدبير المكاتب. وهو فنّ جليل لهُ اعتبار عظيم في بلاد اوربّة ولاربابهِ جرائد ومجلاَّت مخصوصة تفيدهم عن كلّ امور المطبوعات وشؤون المكاتب

وكنَّا نودّ لو نسمع انَّ في الاستانة العلية مكتبةً عمومية مرتبة ترتيبًا علميا تجمع مع المخطوطات القديمة جلَّ ما طُبع في الآداب والفنون لا تقتصر فقط على العلوم الدينية كما ترى عدّة مكاتب خصوصية بالاستانة

ثم انَّ الدول الاوربية لها قاعدة تُذكر فتشكر وهي انَّها لا تكتفي بانشاء مكتبة عمومية في عواصمها بل تعتني باقامة خزانةٍ للكتب في كلّ من ولاياتها. وعليهِ يقتضي ايضاً في الشرق ان تُنشأ مكتبة في كلّ مركز ولاية او لواء مستقلّ واذا تعذَّر ذلك على اهل الامر ينبغي ان يُحَثّ الاهلون على إحداث مكتبةٍ ويُحمَلون على مساعدة هذا المشروع مساعدةً ماليّة. امَّا مكتبة العاصمة فاوَّل ما يتحتَّم عليها ان تستحضر كلَّ ما يعود بالنفع على الجمهور من المطبوعات المفيدة في كلّ فنّ ثم ان تجمع ما يُطبع في الولايات فتكون هذه المكتبة المركزية مرآةً جليَّة للحركة الادبية في البلاد اجمعها

امَّا مكاتب الولايات فلا يطلب منها ان تجمع تآليف شاملة لكلّ الفنون فحسبها الاهم منها بيد انَّهُ ينبغي عليها ان تُحرز في خزائنها كلَّ ما طُبع في انحاء الولاية وما تتعلّق بشؤونها الخاصَّة

ومن المعلوم انَّ جميع مدن اوربَّة تفرض على كلّ صاحب مطبعة ان يقدّم نسختين من كلّ ما ينشرهُ بالطبع لا يُستثنى من هذا الحكم سوى الاوراق الشخصية فترسل احدى النسختين الى مكتبة العاصمة والثانية الى كتبخانة الولاية. ولا شطط في هذا المطلوب وهو امرٌ زهيد لا يبخس حقوق المؤلف او صاحب المطبعة فضلًا عمَّا يكتسب الكتاب بذلك من الشهرة

ونزيد على ما سبق انَّهُ ولو كان الامل الوطيد بان الدولة السنية تقوم بالمشروع الذي نحن بصددهِ فتُنشئ ما لزم انشاؤهُ من الكتبخانات في العاصمة ومراكز الولايات فمع ذلك الأحرى الَّا ينتظر الاهلون عمل الحكومة بل يشمّروا بانفسهم عن ساعد الجدّ ويبرزوا الامر من القوَّة الى الفعل على قدر طاقتهم ولو بقي دون المطلوب مُراعين بذلك المثل القائل: ان لم تقدر على كلّهِ فلا تترك جلَّهُ

وان سألت تُرى من يستطيع القيام بهذا المشروع من الخواصّ اجبتُ ان المرجع

في ذلك الى الجمعيَّات العلمية التي لا بدَّ من تشكيلها في بلادٍ تغصُّ بقوم الفضلاء ذوي الاذهان الجيدة والقرائح الحسنة القابلة لكل عمل شريف. ويكفي ما صرَّح بهِ الاب الفاضل هنري لامنس في نبذته «هيَّا على درس تاريخنا» في العدد السادس من هذه المجلة (ص ٢٦١ الى ٢٦٤) من وجوب اقامة جمعيَّات علمية تبحث عن تاريخ البلاد وعوائدها وآدابها وما يؤُول الى معرفة احوالها دينًا ودنيا. وقد ذكر الاب المومأ اليهِ في المادة التاسعة امر انشاء المكاتب في كلّ جمعيَّة. ونستحسن كلّ ما ذكرهُ بهذا الشأن

الَّا اننا نحبُّ ان نستلفت نظر القرَّاء الى مسألةٍ لها اهميَّة عظيمة في اعيننا وفي اعين من تتبَّع الابحاث التاريخية ولا سيَّما ما تعلّق منها باحوال الامم غير السياسية. وذلك ان تُجمع في المكاتب الاوراق المنثورة والكراريس الصغيرة الحجم التي يغلب عليها رداءة الطبع وسوء جنس الورق واكثرها بلغة العامَّة يدخلها اللحْن والكلام المبتذل. فانَّ في هذه المجاميع لَفائدةً كبيرة ألا ومنها تُعرف حقيقيةً احوال العامَّة وما تكنُّهُ صدورهم من الافكار والاوهام التي كانت اصل تلك الحركات القويَّة المؤدّية الى ما ادهش العالم من الانقلابات السياسية وربَّما غاب عن العقلاء مصدر هذه الحركات ولو فطنوا لوجدوا انَّ سببها ما انتشر بين ايدي القوم وطبقات الشعب السُّفلى من الكلام المنثور او المنظوم فاثار الاهواء وحرَّك الضغائن

ومثل ذلك ما يُطبع من المقاطيع المبيّنة لعوائد البلاد كما ترى ذلك خصوصًا في القطر المصري فانَّهم كثيرًا ما ينظمون الازجال يهجون بها من اعتاد السيئات ويرشقون بها المسرفين في بذل المال في سبيل المنكر وغيرهم بخلاف الامر يثنون على هذه العادات القبيحة ويبالغون في الغزليَّات الى غير ذلك من الاقوال الشائعة بين العامَّة المصوّرة لاحوالهم المبيّنة لصفاتهم. وزد على ذلك ما تحتويهِ هذه المطبوعات الملحونة من الاشارة الى لهجة العامَّة وفي ذلك منافع جمَّة للابحاث اللغويَّة. وسنفرد لهذا المبحث نبذةً فيما بعد ان شاء الله نبيّن فيها ما قرَّرتهُ الدول الاوربية لجمع اللهجات المختلفة في كلّ ولاية وما افضى اليهِ ذلك من النتائج العلمية المهمَّة. ولسوء الحظّ قلَّ من يعرف في الشرق قيمة تلك الاوراق والكراريس الحقيرة الَّا انَّنا لا نشكُّ انَّ هذه الاشارة تكفي لقرَّاء المجلة واللبيب بالاشارة يفهم

البَلَمة او البَلاّمَات

للدكتور نابوليون ماريني عرّبها الاب انستاس الكرملي البغدادي

(لفظها اللغوي) قال القاموس : البَلَمة محرَّكة ورَم الشفَة . وزاد التاج : « وقد أبلَمَت شفتهُ ». اقول والبَلَمة في اصل المعنى غير هذا فراجعها في كتب اصحاب اللغة ولم نَرَ مناسباً ذكرها هنا . وقد أُطلقت على ورم الشفة من باب المشابهة بين الأعراض . واهل بغداد يخصُّون لفظة البَلَمة بآفة تظهر في الصِّماغَين كما سترى . واكثرهم يذكرونها بصيغة الجمع بزيادة الف بعد اللام المشدَّدة فيقولون بَلاَّمات تمييزًا لها من البَلَمات لنوع من الزوارق مستطيلة الشكل معروفة عندهم

(أسبابها) البَلَمة او البلاَّمات داء أُحيَائيّ (١ مُعدٍ وافدٌ فاش بين البالغين فُشوّهُ بين الأطفال . امَّا ذرائع عدواهُ فهي أَدوات الشرب والطعام والتقبيل . وعاملُ العدوى اللُّعاب المحتوي على مَصْليّة تُفرزها الآفة الموضعية . وهذه المصليَّة بما فيها من الأُحَيَاء تنقل المرض الى الغير

وكل الناس عُرْضَةٌ لقبول العدوى غير انَّها لا تتمكَّن الَّا في الذين يُرَى فيهم استعداد

١) الأحيَاء جمع مكسر مصغر للحيّ والمعنى فيهِ ظاهر لكل ذي عينين وهو كلّ صغير الجسم ويُراد بذلك الحُيَيْوينات * التي تسبّب او تنقل العدوى في الامراض المُعْدية وهو معنى اسم المكروب الافرنجي (Microbe) وهي لفظة مركبة من (μίκρος) اي صغير و (βίος) اي حياة ومحصل معناها الحيّ الصغير او الحُيَيّ . ولا يمكننا ان نفهم كيف ان كتبة العربيــة المحدثين ادخلوا هذه اللفظة الاعجمية مع انَّهم في مندوحة عن ذلك . فضلًا عن صعوبة الوقوف على معناها والعربية في غنًى عن مثل هذه الالفاظ ما يوجد مؤدّى معناها فيهـا . ونظنُّ ان سبب تهافتهم على التقاط هذه الكلمة هو اخذهم اياها عن مجلة علمية عربية سبقت سائر المجلّات او الجرائد العلمية العربية في ذكر هذا الاسم . ولمَّا كان النــاس مفطورين على حبّ الجديد والغريب اندفعوا الى اتخاذ هذه اللفظة تظاهرًا بمعرفة العلم الحديث واسراره ومصطلحاته وتمويهًا على الأغرار السُذَّج فالاحسن اذًا على ما أرى ان نستعمل بالعربية ما يؤدي معنى اللفظة الدخيلة ويفسرها تفسيرًا جليًا واضحًا

* (المشرق) : قد تقرَّر اليوم انَّ الباشلوس او المكروب ليست حُيَيْوينات بل جراثيم آليَّة كالفطر

لذلك ومن هؤلاء الناس المَبرُودون (١ والمَساليع (٢ وكل من فقــدت بنيتهُ قوَّة الدماغ العضوي عن الأَدواء إثر النَقه من مَرَضٍ أَضْعَفَ الدم الخ . والمسيو لومِتر (Lemaistre) يسمّي حُيَيَّ هذا المرض السُبَيحيَات (٣ تظهر بهيئة ثُنائية الحبيبـة (٤ او بهيئة سلاسل مستطيـلة . امَّا المسيو ريمون (Raymond) فلا يرتإي رأيه بل يذهب الى انهُ من العنقوديَّات الحبيبة الشمعية البيضاء (٥

(دلائلها) ان معرفة البلمة على ما هي اليوم حدثة . ولم يذكرها الاطباء في كتبهم ولا يُعثَرُ على ما ذكرهُ اطباء الامراض الجلدية الَّا بشقّ النفس . وقد وصفها للمرَّة الاولى المسيو لومِتر المنوَّه بهِ آنفًا سنة ١٨٨٦ فقد لاحظ هذا النطاسي الخبير في مدارس ليموج في ذلك العهد وافدةً حقيقيةً تمتدّ الى ضواحي المدينة المجاورة . أَفهذا يدفعنا الى ان نقول بأن تلك الآفة دخلت فرنسة حديثًا ولم تكن معروفة في تلك البلاد قبل سنة ١٨٨٦ فهذا ما لا يذهب اليهِ المسيو لومِتر لان مُجَبِّرات ارض ليموج كُنَّ يعرفنَ هذه العاهة وكنَّ يُوصين بعض الأَنبتة للشفاء منها . ولم تستلفت أَنظار الأُساة لانها لم تكن من العاهات الفاتكة بالخلائق بل هي محمودة العاقبة وربَّما شُفيَت من ذاتها

ومهما كان من حقيقة امرها فمن المفيـد ان نعرّفها حقّ المعرفة لانها تسبب بعض الاحيان عراقيل في الامراض وايضًا اجتنابًا من خلطها بعاهات اخرى أَسوأ منها مغبَّةً

ولا حاجة للقول باننا اوَّل من تكلم عن هذه العلَّة في لغتنا العربية لاننا لم نعثر على شيء من هذا القبيل في كتب الطب من اصحاب هذه اللغة الشريفة

وتُعرَف البلمة بشقٍ غِشائيّ بَشَريّ ذاهبًا من الصاغين وممتدًّا الى بشرة الخدَّين واسمها بالفرنسية آفة اللَطْع (Perlèche) وسميت كذلك لانها تسبب حرقةً تدفع صاحب العاهة الى ان يلطع شفتيه دائمًا . قال ريمون المذكور آنفًا : « انَّ هذه الآفة تبتدئ بتغير

---

١) المراد بالمبرودين الليمفاويون او البلغميون وقد استعملها العرب بهذا المعنى في كتبهم وقد اكثر من ذكر هذه اللفظة بهذا المعنى ابنُ البيطار

٢) جمع مسلوع وهم الخنازيريُّون

٣) السبيحيـات تصغير سُبْحَة مجموعة (كذا) وهي معنى اسم استرَبتُوكُوكُوس (Streptococcus) وهي ضرب من الذُرَيرات أُخذ اسمها من تجمعها على شكل سبحة

٤) معنى اللفظة الافرنجيَّة (Diplocoques)

٥) معنى الالفاظ الفرنجية (Staphylococcus cereus albus)

في بَشرَة الصامغين(١ فتغدو بيضاء وترتفع ارتفاعاً متفاوتاً بدون ان يكون فيها حُوَيصلات حقيقية فهي ضرب من الغِشاء الرقيق الضارب الى البياض بارز متيّن حاصل من تهرُّؤ البشَرة يُرى في الصمغين. والبشرة في ذلك المكان مُتوَرّمة مقيدة الحركة ناهدة. ثم ان الآفة تنتشر الى ما فوق والى ما تحت الصَّامغَين الى مسافة تتغيّر بين مليمترٍ واحدٍ (اي اعرض من الشعرة بقليلٍ) الى بين نصف سنتيمتر من فوقُ كما من تحتُ كأنّ هذه العلّة التي لا تقبل الإسفاف في نفسها (٢ تهجم على جهتي الصامغين القريبتين منهما. فيسهل سقوط البشرة كأنّها تَنحلُّ عن غراء. واذا سقطت البشرة بانت الأَدَمة مُعرَّاةً. ثم تأخذ الآفة بالتقدّم إن في السطح وان في العمق. ثم يفاجئها شقّ معهده ثِنْيَةُ الصمغتين نفسها. وقد يكون هذا الشقّ وحيداً واغلب الاحيان يكون شقَّين او ثلاثة شقوقٍ فوق الشقّ الاصلي وتحتهُ. وهذه الشقوق تكون حينئذٍ اقلّ غورًا من الشقّ الاصلي ثم تمتدّ الآفة الى حافة الشفتين لكنها لا تتعــدّى ابدًا ثلاثة ارباع السنتيمتر من ثِنية الصماغين وتُفضِل البَلَمة امتدادَها الى جهة الوجه الجلديّة من الشفة على جهة الغشاء المخاطي وربّما أُصيب الغشاء المخاطيّ نفسه بهذه العلّة وفي كثيرين من الوُلد يُرى في الشدق في جهة باطن الصامغين نُتوَّات صغيرة بَشريّة ضاربة الى البياض. ومن المعهود في هذه الآفة ان مجلسها الصماغان وربما كانت في جهةٍ واحدةٍ من ملتقى الشفتين. وعلى كل حالٍ ان اشتدّت وان ضعفت تكون في درجة واحدة في الصامغين من شدّةٍ او ضعفٍ بدون ان تقوى الجهة الواحدة على الجهة الاخرى وهذا في اغلب الاصابات». انتهى كلامه

وهذه الآفة لا تؤلم الّا شذوذًا بل هي متعبة مزعجة تمنع صاحبها من فتح الفم المقيّد الحركة وتبقى الشفتان يابستين مُحرقتين. وهذا ما يدفع المصاب بهــا الى بلّها بدون انقطاع وحينما يكون الشقّ غائرًا يحدث عند فتح الشفتين تريف طفيف وفي الليل يعلو المحلّ المصاب قشور صغيرة محاطة بهالةٍ التهابية ضاربة الى الحمرة ونادرًا يحدث اكتظاظ الغُدد التي تقابلها

---

١) الصامغان او الصِّمْغان او الصَّمْغتان او الصاغان او السامِغان شيء واحد وهما جانبا الفم اي ملتقى الشفتين مما يلي الشدقين (راجع التاج)

٢) يقال أَسَفَّ الجرح دواءً اذا ادخلهُ فيهِ. ويُعرَف الإسفاف عند العامّة بالتطعيم او التلقيح

فهذه هي فُصول البلمة المميّزة العامّة . وقد تَعتاصُ اعراض هذه العلّة بما يشاركها من الامراض فتظهر حينئذٍ بمظهر يختلف عمّا سبق ذكرهُ فقد تجتمع مع النضح (١ والتهاب الشدق (Stomatite) والخناق والداء الزُهَري(٢ وتشتدُّ وطأتها في الخُناق وتظهر حينئذٍ بهيئة طبقات صغيرة تتجمّع على غشاء الخدَّين الخاطي وعلى اللسان او على طريق النطع . واتفاق التهاب الشدق والنّضح مع البلمة ليس نادرًا . وفي اغلب الاحيان يجهل وجودها الاطباء لاختفائها تحت ستر هذا الاتفاق فتتوارى عن ابصارهم

وقد رأيت في بيروت مدَّة إقامتي فيها طلبًا للطبّ في المكتب الفرنسي العامر بعض إصاباتٍ في الاولاد وبالاخصّ في طلبة المدارس . وفي بيروت كما في سائر البلدان لا يكترث بها الاهلون

امّا في بغداد فالبَلَمة فيها مشهورة اكثر من اشتهارها في بيروت واكثر منها انتشارًا وقد رأيتها بالخصوص في البالغين اكثر ممّا رأيتها في الاولاد

ومن الظاهر ان اصحاب الحرَض(٣ ذوو استعداد مناسب لظهور هذه العلّة فيهم . واذا بانت فيهم احبَّت الاقامة عندهم فمن اللازم اذًا على الطبيب ان يفتّش عن الحرَض في البالغين اصحاب البلَمة ليتيسَّر له شفاؤهم بمعالجة حرَضهم اوّلًا لتغيير مباءة الداء ثمّ ينتقل بعد ذلك الى تطبيب العلة

---

١) النَضْح هو اسم عندنا للعلة المعروفة عند الافرنج بالامبتيكو (Impétigo) ومن المعلوم عند اللغويين ان استعمال كلمة عربية عاميَّة اصطلاحيَّة خير من إدخال لفظة اعجمية في العربية لان المولّد من اللغة ليس الّا العاميّ اتفق على اتخاذه ادباء القرن ولغويُّوهُ (طالع المِزْهَر للسيوطي الصفحة ١٤٥ وما يليها من الجزء الاوّل)

٢) واخطأ من قال الزَهْري بفتح الاول وأسكان الثاني

٣) الحَرَض لغةً مصدر حَرِض يحرض قال القاموس . الحَرَض (محرَّكة) الفساد في البَدَن وفي المذهب وفي العقل (اه).والمراد بهِ هنا الفساد في البَدَن تعريبًا للفظة (Arthritisme) وفساد البدن في اغلب الأوقات يكون من فسادٍ في المعدة او من بطوءِ تحويل الغذاء الى جوهر بدن الانسان . قال صاحب التاج في حَرِضَ : وحرِض الرجل فسدت معدتهُ (اه) . ومن لا يعلم بانَّ من فساد المعدة ينشأ ايضًا فساد البدن . ومن فساد البدن قد يفسد في بعض الاحيان المذهب والعقل . اما معنى اللفظة الافرنسية (Arthritisme) فقد قال احد علماء الافرنج ما معناه بحرفيّتِهِ : الحَرَض حالة في البنية ناشئة عن بُطوءِ الاغتذاء يتولّد منها النقرس والحصاة والبُوَال والرَبالة والمَغْصُ الكبديّ والرثية وبعض الامراض الجلدية

ويظهر لي ان في فصول السنة شيئاً من التأثير في اثارة هذه الوافدة فانَّ البلمة تظهر على الأخصّ في الربيع وفي اشتداد الحرّ ولعلّ سبب ذلك ما يفعلهُ الهواء في تفريخ الأحياء مُولّداتِ الامراض. وفي حمارّة الحرّ يغلب على الناس معاودة الشرب فيجرعون من الماء ما طاب وما خَبُثَ وبإناء نظف أو قذر وكنى بذلك عاملاً نقّالاً للعدوى وللأمراض

وقد يتلوّن الماء نفسهُ بالذُرَيرات (المكروكوكُس) المَرَضيَّة. قال المسيو لومِتر في هذا الصدد: «انَّ في المياه الراكدة والينابيع والبئار الآجنة الماء تعيش فيهِ هذه العُضويّات بهيئة ذُرَيرَاتٍ فتُستقى بالدلاء او الجرار وتحمل الى المطابخ فتنمو في هوائها الحارّ وتتشكّل باشكال السلاسل. فهي هناك في أحسن بيئة من النموّ لانَّ هذه الاواني لا تُغسل ابدًا غسلاً حسناً

«امّا الاقداح الخشبية الدائمة التداوة فلا تخلو من ان تكون مثلومة وبها يشرب الضيف وكل اهل البيت فيصبح القَدَح آلة تنقل الى شفتي الطفل او البالغ حُيَيَّ المرض واذا كان الشارب ممّن بهم البلمة فيودع القدحَ أحياءً على أحياء ومنهُ ينتقل الى القَدَس او السطل ومنهُ الى مُستقى الماء.» اه

ونُشوء البلمة سريع ومدّتها من اسبوعين الى ستة اسابيع وحينئذٍ تبتدئ في ان تشفى من ذاتها وتُبقي بعد الشفاء نَدْبَةً بيضاء صقيلة لمّاعة خاصة بها وتبقى كذلك مدّة اشهر والعلّة ليست مُعْضِلةً ما لم يجتمع معها علة أخرى

(تشخيصها) وكيف نميّز البلمة من سائر الامراض التي تشبهها وتهجم على الصامغين؟ فنميزها عن العُقبُول الشفوي (Herpès labialis) بان فصول هذه هي حويصلات ناتئة متجمّعة يخلفها تقرُّح كثير الدوائر. ومن النضح بانَّ علاماتهِ طبقات متقشرة اكثر ما تكون بهيئة شقٍّ. ومن القوباء القشرية النافطة المستديرة(١ بان مدّتها اطول من مدّة البلمة. وامّا التهاب الشدق الشبيه بالخُناق (Stomatite diphtéroïde) الذي مجلسهُ الشفتان والصاماغان فيشخّص بالبحث عنهُ بحثًا مجهريًا وبالاستنبات او الاستفراخ

ومن احسن ما جاء في هذا البـاب ما قالهُ المسيو پلانش (R. Planche) في

---

١) وهي القوَباء ذات النفط المسماة ايضاً بالقُوَباء الحية والقوباء القشرية او الاكزيما

أطروحتهِ الاستفتاحية الغرّاء (١ ويكون التشخيص صعباً بل معتصىً عنـد ما يحاول الطبيب تمييز البلمة من الصفائح المخاطية (Plaques muqueuses) . فاذا ركن الى مبادئ التشخيص التي اتى بها المؤلفون للفصـل بين هاتين العلّتين يُصبح متحيّرًا . فقد قال المسيو كومبي (Comby) : ان الفرق الفاصل الذي يُعتمد عليهِ قائم على تفاوتٍ في اللون اذ لون الصفيحة المخاطية ضارب الى البنفسجية . واما المسيو كيبر (Guibert) فانهُ يميّز البلمة من الصفائح المخاطية الصماغية بمجلسها الضيق وخلوها من الشقوق الغائرة وعمر المصابين بها . فهذه كلها تفاوتات بسيطة لا يُركن اليها اذا اراد الطبيب ان يحسم مسئلةً هذه اهميتها . وعليهِ فيتحتّم علينا ان نَقرّ بانهُ لا يوجد علامة فاصلة تمكّننا من تمييز البلمة من الصفائح المخاطية وهذا ايضاً راي المسيو فورنيه (Fournier)

لكن في بعض الامور والاحوال الطبيّة الشرعية يلتزم الطبيب في إبداء رأيهِ من قبيل طبيعة العلة فعلى ايّ علاماتٍ يستند ? فاعلم هدانا الله واياك ان الصفائح المخـاطية قلّما تكون وحدها . وهي في اغلب الاحيان من آثار الداء الزُهري . ولهذا يكون معها دلائل اخرى لا بدّ من وجودها وتمييزها من البلمة فعلى الطبيب الشرعي ان ينقب عنها . فمنها اثر البثرة الصلبة الاولية (Chancre primitif) وصفائح اخرى مخاطية تُرى في أَرجاء مختلفة والحُميراء الخفيفة والهزال والصداع وداء الثعلب . فاذا لم تكن واحدة من هذه العلامات مع الصفائح المخاطية حُكم بوجود البلمة

(معالجتها) احسن واسطة عندي ان تُمَسد البَلَمة بمَلْمولٍ من الزنجارة (٢ مرة كل يوم الى ان يتمّ الشفـاء . وقد اوصى المسيو بُروق (Brocq) الاغتسال بمحلول مُضادٍ للتعفُّن مهما كان والتضمُّد بأُمّ الأَدهان (٣ مُداف فيها شيء من البَوْرَق

وقبل هذا يجب ان يُعزَل المريض ويُحظر عليهِ دخول المدرسة والاختلاط مع بقية الاولاد ولثم الغير ان كانوا من اهل بيته او من غيرهم وان يُعزل لهُ ما يحتاج اليهِ من الاثاث والادوات وغير ذلك مما هو من بابه

١) الاطروحة المسئلة تطرحها (التاج) ويُراد بها اليوم مسئلة يطرحها اصحاب المدارس على طلبتهم ليعجموا بها عودهم ويستقصوا بها منزلتهم من العلم وهي المسماة عند الافرنج (Thèse)

٢) الزنجارة عندنا هي المسماة عند العرب باسم الزاج الازرق او الزاج القُبرسي والمعروفة عند معاصرينا بكبريتات النحاس

٣) هو اسم ثُفْل مستقطَر النفط الاميركي المعروف بالفازلين وسمي كذلك لان الادهان تتخذ منها

ارتفاع ساحل سوريَّة

للاب غدفريد زُموفن مدرّس الطبيعيَّات في كليّة القديس يوسف

قد بيّنَّا في نبذة سابقة (المشرق ص٣٩٦) انَّ ساحل بيروت لا يزال يرتفع مع الزمان وغايتنا اليوم ان نثبت ذلك عن سواحل سوريَّة جمعاء

قد اجمع الجيولوجيُّون انَّ ساحل سوريَّة اصاب الهيئة التي هو عليها اليوم في الطور الرابع لتركيب الارض. فمنذ بدء ذلك العهد اخذ الساحل يعلو شيئًا فشيئًا على طريقة ثابتة في مدَّة القرون التاريخية. والبراهين على ذلك عديدة اختصرناها كما سترى

١ (يافا) ان العالمَيْن الشهيرَين لَرْتِه (١ وهول (٢ قد فحصا البطحاء الممتدَّة من وراء يافا فاستدلَّا على امتداد البحر الى لُدّ ورملة. وذلك انَّ تركيب هذه السهول من الرمل الحمرّ المختلط بالحصباء واذا اقتربتَ من الرملة وجدت ان الارض المجاورة لها تتكوَّن من الحصى المستدير الشكل وهو متلبّد ذو أحجام مختلفة ومن ثمّ جمع المسيو لَرْتِه انواعًا من الاصداف التي لا تزال الى يومنا تُكتشف في بحر الشام كالاصناف المدعوَّة عند العلماء (Murex و Purpura hemastoma Lam. و Pectunculus violascens Lam. brandaris Lin.) فينتج من هذه الملاحظات انَّ ما احاط يافا من السهول كانت تغمرهُ مياهُ البحر سابقًا فارتفعت هذه الاراضي مع الزمان وانسحبت عنها المياه

وزد على ذلك انَّ التاريخ يذكر ليافا مرفأً حسنًا كانت ترسو فيهِ بأمن سفن تَرْشيش ولا يجهل اليوم احد انّ هذه البلدة في اسوإ حال من هذا القبيل تساورها الرياح من كلّ جانب فلا تستطيع السفن ان تقترب من ساحلها لما يحيط بهِ من الصخور العديدة المرتفعة فوق سطح المياه. هذا وان القعر ليس بعميق كثيرًا ما تمسُّهُ مجاذيف البحريين. فترى ما يكون سبب ذلك أليس ارتفاع الساحل ؟. وقد ارتأى المسيو فراس ان المرفأ القديم كان في شمالي يافا في وسط السهول المكتنفة بالبلدة (٣

١) راجع Lartet : *Exploration de la mer Morte*, III, p. 170

٢) Hull : *Memoir of the Geology and Geography of the Palestine*, p, 65

٣) راجع Fraas : *Aus dem Orient*, p. 45

٢ (صور) كانت صور قاعدة بلاد فينيقية سابقًا مبنيّة في جزيرة مستطيلة قليلة العرض يحجزها عن البرّ مسافة اربع غلوات (٧٢٠ متر) . واليوم نرى البلدة متّصلةً بالبرّ لا يكاد يبقى اثر لمرافئها الشهيرة حيث كانت تقيم عمارة صور في القرون القديمة . وما كان محفورًا من هذه المرافئ القديمة تراهُ الآن مغطًى بالرمال وغيرها . ولا سبيل الى القول انَّ آثار السدّ الذي بناهُ الاسكندر بين الجزيرة والبرّ هي التي طمَّت المرفأ وسدَّتهُ لانَّ الصخور المرتفعة حتى سطح الماء هي المانعة لسير المراكب فيها . وقد تحقَّق الموسيو تيوبَلْد فِيشر انَّ المحلَّ الذي فيهِ اليوم موقع بيوت البلدة كان في القرن الماضي بحرًا وصار الساحل حيث كانت ترسو السفن سابقًا (١

٣ (عقَبيْه) عند عقبيه بين صيداء وبركِ التلّ صخور مرتفعة مشرفة على البحر بسفحها تموج امواجهُ وهي مركَّبة من الموادّ الكلسية المبيضَّة ذات الطبقات يعلوها مجموع من الحصباء المستديرة المتوسّطة الحجم المتكتّلة هذا ومع كوني لم أَلحظ فيها اصدافًا بحريّة لا اشكّ ان البحر كان يغطّيها في سالف الزمان فارتفعت الآن ارتفاعًا يذكر

وكذا قل عن السهل الممتدّ منبسطًا بين نهر الزهراني وصيداء وفيهِ كلُّ ملامح ساحل قديم للبحر

٤ (صيداء القديمة) قد ارتفع ايضًا ساحلها . وقد تبيَّن ذلك المسيو لَرْته بفحص احواض مرفإ صيداء الحديثة فوجد قعره قليل العُمق بحيث لا تستطيع السفن ان ترسو عندهُ كما في السابق

ثمَّ يوجد تجاه صيداء كما يوجد امام صور وطرابلس جزائر صغيرة مركَّبة من الرمل والاصداف المتلبِّدة اللاصقة ببعضها . وقد كانت هذه الجزائر مغمورة بعباب البحر فبارتفاع الساحل اضحت اليوم خافيةً فوق المياه خطرةً للملاَّحين

هذا ونعلم انَّ كثيرًا من المرافئ القديمة كان يطمرها اصحابها بالحجارة منعًا لمرور سفن الاعداء غير انَّ ذلك لا يكفي لبيان قلَّة غور البحر في اماكن كثيرة لولا انَّ الساحل يرتفع ارتفاعًا متتابعًا كما بيَّنَّا

وان قال قائل ان مرافئ الاقدمين لم تُبْنَ كمرافئنا الحديثة وانما كان قعرها قليل العُمق لصغر سفن ذلك الزمان أجبنا انَّ ما كان لمرافئ فينيقية من الشهرة لا يتحقَّق البتَّة في ما

(١ Fischer : *Küstenveranderungen im Mittelmeergebiete*

بقي من آثارها اليوم فلا بُدّ اذًا ان يقال انَّهُ حدث فيها تغيير في نفس تركيبها

٥ (بيروت) انَّ ما ذكرناهُ سابقًا (ص ٣٩٦) عن ساحل بيروت وما جاورها لكافٍ لبيان قضيّتنا. قال روسّيغر (Russeger) احد علماء الجيولوجية: «لا يتردَّد الجيولوجيون في القول بنقص غَوْر مياه البحر في بيروت وهم يرتأون انَّ الاراضي المجاورة لمصبّ نهر الكلب كانت قديمًا مرفأ للسفن. هذا وانَّ آثار امواج البحر في الصخور المرتفعة دليل على ذلك كما ترى ايضًا مرابط للمراكب منقورةً في الصخر المتعالي». وقد زدتُ على هذه البراهين ما اكتشفتهُ من الاصداف البحريَّة اللاصقة في الصخور فعليك بالمراجعة

وهنا لا يسعنا ان نضرب صفحًا عن زعم بعض المحدثين الذين غالوا في بيان قضيَّة ارتفاع الساحل فذكروا انَّ السُّفُن كانت تمخر مياه نهر الكلب في قديم الزمان. وهو قول يخلو من الصحَّة سندوهُ الى بعض اقوال اسطرابون في كتاب جغرافيتهِ (الجزء السادس عشر العدد ١١ و١٦) واسطرابون يتكلّم هناك عن اهل ارواد لمَّا كانوا يقطعون بسفنهم نهرًا آخر موقعهُ وراء لبنان اسمهُ باليونانية لوكوس (Λύκος) وكذا يسمّى فيها نهر الكلب

امَّا ارتفاع الساحل من نهر ابرهيم الى جُبيل فيبين في عدَّة اماكن من سيف البحر حيث ترى فوق سطحهِ في علوّ ستة امتار الى عشرةٍ صخورًا متركبة من الاصداف البحريَّة وهذا دليل صادق على انَّها كانت سابقًا تحت مياه البحر فأخلاها بتوالي الاجيال

٦ (جُبيل) قد بُنيت جبيل فوق طبقة من حصى البحر المتلاصق بعضهِ حتى اضحى صلدًا شبيهًا بالصخور وربَّما اتُّخذت منها حجارة للبناء. وعلى مثل هذه الحجارة بُني البرج الكبير فلا يبقى بعد ذلك محلٌّ للشكّ في انَّ ساحل جبيل ارتفع على طول امتدادهِ. ولا ننكر انَّ ما رسب بعد جريان مياه الأنهار والسهول قد زاد ايضًا في هذا الارتفاع بعض الزيادة

٧ (البترون) امامها سهلٌ نعلّل وجودهُ بذات العلل المذكورة آنفًا اعني ارتفاع الساحل ورواسب مياه نهر الجوز

٨ (الاسكندرونة) قد لاحظ العلماء انَّ ساحلها لا يزال يتَّسع عرضًا فيرتفع قعر البحر وما رسب فيهِ وتنسحب المياه هابطة

وقد زعم العلاَّمة دِينر(١) انَّ في سنة ٤٢ قبل المسيح كان يتَّصل البحر بطرسوس وانَّ

(١) راجع Diener: *Libanon*, p. 100

هذه المدينة لم تَعُد ساحليّةً في ايّام پلين الطبيعي وانّ البحر لم يزل في هبوط والساحل في تصاعد حتى صارت اليوم على نيّف وثلاثة اميال من البحر . واستشهد المسيو دينر لتأييد رأيهِ بقول المؤرّخ پلُوترك اذ قال ان الملكة كلاوپترة ركبت البحر من الاسكندريّة الى طرسوس لتجتمع بانطوان القائد

(قلتُ) اني راجعت النصَّ المستشهَد بهِ في تاريخ پلُوترك فلم اجد في قرينة الكلام داعيًا لتفسيرهِ كما فعل المسيو دينر. فضلًا عن انَّ الكاتب يذكر هناك صريحًا انَّ كلاوپترة ركبت نهر السدنوس صاعدة على فلكٍ وهذا نصُّ المؤرّخ :

ὥστε πλεῖν ἀνὰ τὸν Κύδνον ποταμὸν ἐν πορθμείῳ χρυσοπρύμνῳ .... Τῶν δὲ ἀνθρώπων οἱ μὲν εὐθὺς ἀπὸ τοῦ ποταμοῦ παρωμάρτουν ἑκατέρωθεν, οἱ δὲ ἀπὸ τῆς πόλεως κατέβαινον ἐπὶ τὴν θέαν (Plutarque, *Antoine* ,XXVI)

فينتج ممَّا تقدَّم ان ساحل سوريّة على طول مداهُ قد ارتفع في الازمنة التاريخيّة. وانَّ ذلك يظهر خصوصًا من قرب غَوْر المياه في المرافئ القديمة كيافا وصور وصيداء وطرابلس ومن الرواسب البحريَّة التي نراها الآن مرتفعةً فوق سطح البحر والله اعلم

غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري

للاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما قبل)

٥ كتبهُ الطبيّة

قد مرَّ انّ ابن العبريّ كان راسخ القدم في فنّ الطبّ يعدّهُ معاصروهُ حكيمًا نطاسيًا من احذق اطباء عصرهِ وقد بيَّنَّا ما نالهُ لذلك عند الوجوه والاعيان لاسيَّما ملوك التاتار من الحفاوة والاكرام. بيد انَّهُ لم يكتفِ بمزاولة هذه الصناعة الشريفة التي عليها يتوقَّف اعتدال الامزجة وقوام الابدان بل احبَّ ان يفيد آل عصره بتآليفهِ الطبّية ويورث السلف ميراثًا حسنًا اكتسبهُ بحذقهِ وخبرتهِ

وهذا الارث الجليل عبارة عن شروح وتلخيصات وترجمات وتآليف خاصَّة. فلإبن

العبري شرحان مهمّان الاوَّل شرح فصول (Αφορισμοί) بُقراط. وكان كتاب هذا الحكيم الملقَّب بابي الطبّ يُعدّ في سالف الاعصار كأبجد العلوم الطبّية ومدخلها فعلّق عليهِ كثيرٌ من الاطبّاء شروحاً مطوَّلة. وتفسير ابن العبري كان ادقّ نظرًا واصوب مقالًا ممَّن تقدَّمهُ صنَّفهُ المؤلف بالعربية وهو اليوم اعزُّ من الغُراب الاعصم لم نعثر عليهِ في المكاتب الاوربيّة او الشرقية (١. والشرح الثاني وضعهُ ابن العبريّ في السريانية على كتاب طائر الشهرة بين العرب وهو كتاب حنين بن اسحق المتطبّب النصراني المتوفَّى سنة ٨٧٨ للمسيح. فبلغ ابو الفرج في شرحهِ الى باب الترياق وهو نحو ثلثيهِ فصدَّهُ الموت عن اتمامهِ. وهذا الشرح ايضاً عزيز الوجود لعلَّهُ هو الموصوف في قائمة كتب باريس الخطّية (تحت عدد ٢٨٦٣). وقد نسب ايضًا بعض المحدثين كوسْتِنفلد (٢ وڤنريخ (٣ ورَيت (٤ ولوكلار (٥ شرحًا لابي الفرج على كتابي جالينوس في المِزاج والعناصر وذلك سهوٌ فانَّ هؤلاء الكتبة لم يميّزوا بين ابي الفرج بن العبريّ وابي الفرج بن القفّ وابي الفرج عبدالله بن الطيّب (راجع ص ٢٩٢) فعزوا تآليف الواحد الى الآخر مغترّين بتشابه الاسماء.

ونقل ابن العبري الى السريانية كتابين في الطبّ احدهما كتاب ديوسقوريدس اليوناني في المفردات الطبيَّة (Περὶ ὕλης ἰατρικῆς) وفيهِ صور النباتات وتعريف خواصّها ومنافعها. والآخر كتاب قانون الشيخ الرئيس ابن سيناء في الطبّ الّا انّهُ لم ينجزهُ

وقد لخَّص ايضاً كتاب ديوسقوريدس المذكور فجمع في جلد صغير الحجم جلَّ ما تضمّنهُ. ومن ملخّصاتهِ المفيدة كتاب مختصر الادوية المفردة. واصلهُ تأليف نفيس في ثلاثة مجلدات وضعهُ ابو جعفر احمد بن محمّد الغافقي من اعيان الاندلس (٦ استقصى فيهِ ما ذكرهُ ديوسقوريدس وجالينوس وغيرهما فاخذ ابن العبري زبدتهُ واختصرهُ اختصارًا حسنًا

١) قد انكر العلّامة شتَينْشنيدر (Steinschneider : *d. arab. Uberstez. a. d. Griech.*, p. 388) انّ ابا الفرج بن العبري صنَّف شرحًا على فصول بقراط. والامر لا شكَّ فيهِ كما يؤخذ ذلك من جدول كتب ابن العبري لاخيهِ برصوما صافي (Chronic. III, 479)

٢) Wüstenfeld : *Gesch. d. arab. Aerzte*, n° 240

٣) Wenrich : *de auct. Græc. Versionibus, p.* 242 *et* 270

٤) Wright : *Syriac Literature*, p. 272

٥) Leclerc : *Hist. de la Médecine arabe* II, 149

٦) راجع الجزء الثاني من كتاب طبقات الاطباء لابن ابي أُصَيبعة ص ٥٢

ومن تآليف ابن العبري الخاصّة في الطبّ كتابٌ لهُ عربيّ اللهجة واسع الابواب كثير المنافع جمع فيهِ كلّ آراء الاطباء في الموادّ الطبيّة ذُكِر في جدول اعمالهِ ولم يُعيَّن لهُ اسمٌ خصوصيّ . وقد صنّف ايضاً كتاباً آخر بالعربية في الطبّ شُبّه اسمهُ على السمعاني في المكتبة الشرقية (الجزء الثاني ص ٢٦٨ في الحاشية) فدعاهُ كتاب فائدة المكسب (ܟܬܒܐ ܕܦܘܬܚ ܡܢܘܬܐ) والصواب كما جاء في نسخ حسنة الضبط (١ : كتاب منافع اعضاء الجسد (ܟܬܒܐ ܕܦܘܬܚ ܡܢܘܬܐ ܕܦܓܪܐ) . واغلب هذه الكتب الطبيّة قد استولت عليها يدُ الضياع ففُقدت

٦ الكتب النحويَّة واللغويَّة

انّ ابن العبري لَإمام النحويين السريان بلا منازعة أنسى من تقدَّمهُ بهذا الفنّ كيعقوب الرهاوي (المتوفّى سنة ٥٨٠ م) والياس الطيرهاني (١٠٤٩ م) وساوير بن ساكو التكريتي (١٢٤١ م) ومعاصره يوحنّا بن زُعْبي فصار اليهِ المرجع وعليهِ المعوَّل في هذا العلم دون سواهُ . والحقُّ يقال انهُ لم يدع مطلباً الّا استوعب شرح اصولهِ ومبحثاً الّا استوفى ذكر فصولهِ . وما خُصَّ بهِ ابن العبري في تآليفهِ النحويَّة انَّهُ حذا مثال العرب واستنهج سبيلهم في ما كتبوهُ عن آداب لغتهم وقد انتمَّ خصوصاً بكتاب المفصّل (٢ لجار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٤ م) وكان وقتئذٍ هذا التأليف عمدة العرب في النحو وفيهِ قيل :

مُفصَّلُ جار اللهِ في الُحسن غايةٌ   والفاظهُ فيهِ كدُرٍّ مفصَّلِ
ولولا التُّقى قلتُ المفصَّـل مُعجزٌ   كآيِ طوالٍ من طوالِ المُفصَّلِ

فقسم ابن العبري كتبهُ النحويَّة كالزمخشري الى اربعة اقسام بحث فيها عن الاسماء والافعال والحروف والمشترك من احوال الثلاثة وكان نحاة السريان يقسمونها قبله على طريقة اليونان الى سبعة اقسام . وقد اخذ ايضاً عن العرب كثيرًا من اصطلاحاتهم فجلا الحقيقة عن عدّة امور التبست على مَن تقدَّمهُ من نحاة السريان لقصر باعهم في معرفة آداب العرب مع انَّ بين اللغتين من التشابه ما لا يخفى

---

١) Chronic. III, 470

٢) راجع تاريخ اللغة السريانية للدكتور مركس (A. Merx : *Hist. artis gram. ap. Syros*, p. 229-275)

ولابن العبري في نحو اللغة السريانية كتابان شهيران طالما تداولتهما ايدي الطلبة ولا تكاد تخلو منهما خزانة من مكاتب اوربّة الخطّية. فالاوّل هو كتاب الصمحي اي اللُّمَع (ܟܬܒܐ ܕܨܡܚܐ) ضمَّنهُ ما ينيف على مئتين وعشرة مطالب في كلّ ابواب نحو اللغة السريانية (١ وهذا الكتاب قد عُني بنشرهِ في باريس سنة ١٨٧٢ الخوري مرتين العلاَّمة المستشرق الفرنسي. غير انَّ هذه الطبعة قليلة نضارة الحرف لانها مطبوعة على الحجر. والكتاب الثاني هو كتاب المدخل (ܡܥܠܬܐ) صنّفهُ ابن العبري بالشعر وهو على البحر المعروف بالافرامي ذي الاربع عشرة حركة يقسم كلّ بيت الى شطرَين متوازنَين مصرّعَين كبحر الرجز عند العرب. وقد علّق المؤلف عليهِ شروحاً وتفاسير مستجادة وهذا الكتاب ملخَّص عن كتاب اللُّمَع السابق ذكرهُ ابوابهُ نحوٌ من ستين باباً. قد نشرهُ بالطبع المعلّم مرتين المذكور وهو مضمون الجزء الثاني من اعمال ابن العبري النحوية. وكان سبقهُ الى طبعهِ الدكتور برتو (Bertheau) في غوتا سنة ١٨٤٣ وفسَّرهُ الى اللاتينية وذيَّلهُ بشروح وافادات شتَّى

وصنَّف ابن العبري كتاباً ثالثاً في نحو اللغة السريانية دعاهُ كتاب الشرارة (ܟܬܒܐ ܕܙܠܓܐ) فيهِ خُلاصة قواعد هذه اللغة الّا انَّ الموت عاجلهُ قبل اتمامهِ ولا نعلم أبقي منهُ أثر او لا

وقد نظم ابن العبري قصيدة لغويَّة مطوَّلة تنيف على ستمائة بيت من البحر الافرامي المذكور ضمّنها على طريقة حروف المعجم ما وجدهُ من الالفاظ السريانية المتشابهة اللفظ المتباينة المعنى وألحقها بشروح لبيان هذه المعاني المختلفة. وقد طُبعت ايضاً هذه القصيدة في آخر اعمال ابن العبري النحويَّة الموصوفة آنفاً ومنها نسختان خطيتان في خزانة كتبنا الشرقية

٧ الكتب الادبيَّة

انهُ لأمر عجيب كيف برَّز ابن العبري في كلّ اصناف العلوم وفنون الانشاء التي قلّما تجتمع في رجلٍ واحد لما تقتضيهِ في الكاتب من الصفات الفريدة والسجايا المتنوّعة العديدة. أفلا ترى مثلاً ان كبار الفلاسفة لم يحكموا نظم الاشعار ولم يقصّدوا القصائد لما بين

---

١) وقد اخذ عليهِ السيّد الجليل والحبر العلّامة اقليمس داود رئيس اساقفة دمشق على السريان في مقدَّمة كتابهِ الموسوم باللمعة الشهيَّة في نحو اللغة السريانية (ص ٢٤ و ٢٥) انهُ لم يتبحر في احوال اللسان السريانيّ القديم

الشعر والفلسفة من التباين. وكذا قُل عن النحو والرياضيَّات والعلوم الدينية لا يبرع فيها معاً الَّا من نشأ كابن العبري نسيج وحدهِ وفريد دهرهِ فانهُ كان جامعاً لشتات العلوم يُشار اليهِ بالبنان في كلّ ضروبها. وكتبهُ الادبية اذا عرضتَها للنقد وقستها باجود ما صنَّفهُ السريان وجدتها تضاهيها حُسناً وتباريها انسجاماً. ومن ذلك ديوان شعرهِ السرياني الذي جمع كلّ ما لطف وراق لفظاً ومعنًى. وهذا الديوان قد وقف على ضبطهِ وطبعهِ في رومة العظمى سنة ١٨٧٧ حضرة الاب اوغسطينوس الشبابي الراهب المارونيّ وهو يشتمل على ثمانين قصيدة وفي آخر الكتاب معجم الالفاظ العربية بالسريانية واللاتينية. غير ان هذا المجموع لا يتضمَّن كلّ شعر ابن العبري وقد وجدنا في مكاتب اوربَّة كباريس واكسفرد وبرلين ورومية نسخاً خطيَّـة من ديوانهِ تشتمل ما ينيف على ذلك كثيرًا. وكان الدكتور لَنجرك (Lengercke) اهتمّ في سنة ١٨٣٦ بطبع قسمٍ منها نقلاً عن نسخة باريس وشفعها بترجمة لاتينية وهي طبعة كثيرة الاغلاط

ومواضيع هذه القصائد مختلفة تشهد لابن العبري بجودة القريحة والتفنُّن فمنها مديح ومراث ومنها اوصاف وحكم وتاريخ وزهد وعتاب. ولهُ في اسرار الدين الاقوال الحسنة منها قصيدتهُ في الثالوث الاقدس لم تُروَ في ديوانهِ مطلعُها:

ܡܫܰܒܚ ܒܪܘܽܝܳܐ ܚܰܟܺܝܡ ܒܟܽܠ   ܕܰܒܟܽܠ ܐܺܝܬ ܘܦܰܫܺܝܛ ܗܽܘ ܠܟܽܠ

وهي طويلة. ومن نظمهِ العجيب قصائدهُ الفلسفية في النفس وخواصّها وقواها واتّحادها بالجسد وفي السماء وتكوّنهِ ومحاسنهِ وبروجهِ وافلاكهِ وفي الجسد وحكمة الخالق في تركيبهِ. وقد ورد في جدول كُتُب ابن العبري الذي رواهُ السمعاني في ذيل الصفحة ٢٦٩ من الجزء الثاني في مكتبتهِ الشرقية ذكر قصيدة شينية نظمها ابن العبري في النفس واوصافها على طريقة ارسطو. ولم نجد لها اثرًا في نسخ ديوانهِ بل ولم تُذكر في بقية قوائم تآليفهِ فتأمّل

وقد امتاز ايضاً شاعرنا المُفلق بالقصائد اللاهوتية على طريقة الصوفيين فيتغزّل بالكمالات الالهية كعمر بن الفارض ويصفها تارة بصورة الخمرة الطيّبة واخرى بهيئة فتاة فريدة الخصال بهيَّة المنظر كما في نشيـد الانشاد. ولا يجهل من لهُ المام بالشعر السرياني قصيدتهُ في الحكمة الالهية المستهلّة بقولهِ:

ܦܘܫ ܟܕ ܒܚܟܡܬܐ ܠܚܟܡܬܐ   ܘܡܬܚܘܪ ܒܫܡܝܐ ܐܡܘܬ

وهذه القصيدة الطنَّانة كان العلاَّمة جبرائيل الصهيوني الماروني طبعها لاوّل مرّة في

باريس سنة ١٦٢٦ فجدَّد طبعها القس يوحنَّا نطين اللبناني في رومية سنة ١٨٨٠ وعلَّق عليها شرحًا وجيزًا بالعربية . وقد استحسنها بعض المحدثين فنظمها بالشعر العربيّ وهذا اوَّلها(١ :

بدتْ تجلو بعـالمنا سناهـا فنورُ الشمسِ يخجلُ من ضياها
فتاةٌ راق منظرهـا ورقَّت سهامٌ ارسلتهـا مقلتاها (٢
بتول كاعبٌ امٌّ عجوزٌ صفاتٌ ليس يجمعهـا سواها
ومنها: بها النور انجلى والليـل أدجى واماَّ النـيّران فناظراهـا
وقد غدت العناصرُ والدراري تُساسُ بها وتلمع في سماها
ومنها البرق والصعَقات كانت فواعجبًا لما صنعت يداهـا
ومنها: شُغفتُ بحُسنها فضنيتُ وجدًا بهـا من يوم اُظهر لي بهاها
طويتُ على الطوى صديانَ أرعى سقيمًا نجم ليـلٍ ما تناهى
سلكتُ لاجلها في كلّ شعبٍ فما بقيت بلادٌ لم أطـاها
ولولا انّ بي داءٌ عيـاءٌ لما عفتُ التطوُّفَ في رضاها

وكلُّها معانٍ مبتكرة اخرجها ابن العبري مخرجًا حسنًا بنظم يزري باللآلئ

ومن تآليفهِ الادبية غير المطبوعة كتابهُ الموسوم بدفع الهمّ صنَّفهُ بالعربية منهُ في خزانة مكتبتنا الشرقية نسختان حسنتان . وقد نقلنا عنهُ في مجموعنا الادبي لكليَّات اوربة (Chrestomathia arabica, p. 253) نبذة في منفعة الشكر ومضرَّة الكُفْر . والكتاب مقسوم الى اثني عشر بابًا هاك اسماءها : ١ً في فضيلة الديانة ٢ً في منفعة الشكر ٣ً في مدح العفَّة ٤ً في شرف التواضع ٥ً في حسن الرحمة ٦ً في فائدة التوبة ٧ً في فضيلة العقل ٨ً في منفعة المشورة ٩ً في مدح حُسن الخُلق ١٠ً في شرف الكرم ١١ً في حسن العدل ١٢ً في فائدة الحلم . وطريقة الكاتب في كلّ باب ان يعرف ما اراد وصفهُ ويقابلهُ بضدّهِ لتظهر خواصُّهُ بالمقابلة ويؤيد ذلك بآيات الكتب المنزلة واقاويل الحكماء وامثال الشرفاء وتاريخ الاقدمين

ومنها ايضًا كتاب صنَّفهُ بالسريانية دعاهُ بالقصص المضحكة (ܫܘܬܐ ܕܡܬܠܐ ܡܓܚܟܢܐ)

١) راجع دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني الجزء الاول ص ٥٩٥
٢) كذا في الاصل و بين الشطرين تبايُن ظاهر

وهو مجموع مطوَّل ضمَّنهُ صاحبهُ احاديث مطربة وروايات مبهجة واقاويل فكاهية غايتها ترويح النفس وبسط القلب. وهذا الكتاب قد انجز طبعَهُ في لندن عام ١٨٩٦ المستشرق العلاَّمة الشهير بدجر (Badger) واحكم ضبطهُ وترجمهُ الى الانكليزية وذيَّلهُ بعدَّة حواشٍ تاريخية ولغوية وادبية (ستأتي البقية)

في الروايات الخياليَّة

للاب اميدي لوريول اليسوعي

(تابع لما سبق)

ولَّما صارت حالة اوربَّة الى الهدوء والسكينة في القرون المتوسطة وامتزجت امم الشمال الحديثة العهد بقدماء سادة العالم من الرومان وغيرهم ثارت فيهم روح الحميّة وحملتهم النخوة على تخليد مآثرهم. وكان العرب وقتئذٍ يملكون الاندلس وقسمًا من جنوبي فرنسة فيدخل شعراؤهم على الامراء يشنِّفون آذانهم بمديحهم ويطربون مسامعهم باحاديثهم وفكاهاتهم. فائتسى بهم شعراء الغرب واخذوا عنهم قوافي ازجالهم وجعلوا يطوفون في بلاد اوربَّة فينتابون ملوكهم مجتدين نوالهم باناشيدهم المطربة واقاصيصهم المستطرفة يعدّدون فيها محامد الاشراف ويطنبون على مكارم اجدادهم. وهم المشهورون عندهم باسم البَرْد (barde) والتروبادور (troubadour) والمنيسترل (ménestrel)

فمن ذلك نتجت تلك الروايات الانيقة التركيب السهلة الالفاظ الرقيقة المعاني التي لا تزال الى يومنا تبهج القلوب وتفكه الالباب. ومن خواصّ هذه الروايات انَّهُ يغلب عليها روح الدين وتستنكف الهُجْر والبذيء من الكلام وتأبى الغزَل المستقبح وتصون عِرض النساء. ولا بدعَ فانَّ تلك الاجيال كانت مُشربةً روحَ الدين وتعمل بموجب وصايا الانجيل الشريف حتى لم يأنف بعدئذٍ فينيلون احد مشاهير اساقفة فرنسة ان يكتب روايةً خيالية لتهذيب حفيد لويس الرابع عشر فوضع لهُ قصَّة تليماك وادمجها بكلّ ما رقَ وراق من الشعائر الحماسية والعواطف اللينة والمواعظ الحكمية والتعاليم السياسية. وكتابهُ هذا تحفةٌ من متاحف اللغة الفرنسية يُدرس كما تدرس تآليف اكبر الادباء.

وكانت هذه الروايات تختلف في كلّ دولة على اختلاف اذواق اهلها فكان القصَّاصون من الفرنج والايطاليان يشيدون بمفاخر رولان (Chanson de Rolland) والاسبان يتباهون باعمال رودريغ دي بيقار المشهور بالسيد (le Cid) والالمان يروون مآثر سيغفريد (Siegfried) وآل نيبلونغن (Niebelungen) والانكليز يطنبون بمعاظم الملك ارثور (Arthur)

ولم يتأخر كتبة الشرق في تلك الاثناء عن سرد الروايات الخيالية . وكان العجم سبقوا العرب في كتابة هذه الروايات . فوضعوا كتاب هزار افسانة اي الف خرافة وهو الكتاب الذي اخذهُ عنهم العرب فاتَّسعوا بهِ ونمَّقوهُ ونسجوا على منوالهِ كتاب الف ليلة وليلة ولم يزالوا يتصرَّفون بهِ حتى بلغ في القرن الرابع عشر للمسيح الى هيئتهِ المعهودة في زماننا (١. وللعجم ايضاً تآليف كثيرة اودعوها حكايات خيالية منها كتاب الف يوم ويوم وقد مرَّ ذكر كتاب شاه نامه للفردوسي صنَّفهُ في القرن العاشر وجمع فيهِ جميع اخبار قدماء الفرس وجبابرتهم كرُسْتَم وكيكاوس . وصنَّف العرب في القرن الثالث عشر اخبار عنترة اودعوها قسماً كبيرًا من تواريخ ملوك العراق وغسَّان وقبائل اليمن والحجاز ثم كتبوا اخبار سيف بن ذي يزن وسيرة بني هلال وما شاكلها ممَّا نُشر في ايَّامنا بالطبع بعد ان تناقلتهُ أَلسنة القصَّاصين مدَّة قرون عديدة وتصرَّفت فيهِ كلَّ تصرُّفٍ

وهذا الطور من تاريخ الروايات اكثر ما غلب عليهِ الغلوّ في وصف الامور العجيبة والاحاديث المستغربة والحروب العوانة ممَّا لا يسهل تصديقهُ وتبعد عن العقل حقيقتهُ . وذلك الى اوائل القرن السابع عشر لمَّا ظهر الكاتب الاسباني سرفَنتس فصنَّف كتابهُ المشهور بدون كيشوت (Don Quichotte) فكان هذا التأليف ضربةً لازبة في اوربة على هذه الروايات المبالغة في عمَل الخيال . وذلك لانَّ هذا المؤلف عرض للهزء والسخرِيَّة آل عصره الذين كانوا يهيمون بقراءة كتب خرافية مفعمةً من الاقاصيص المختلَقة والخزعبلات الملفَّقة فكسد مذ ذاك سوقها ولم تعد تنفق بضاعتها

غير انَّهُ ظهر في ذلك القرن كتبَةٌ اخذوا ينهجون في تصنيف القصص الخيالية طريقةً أُخرى فجعلوا يُحيون بكتاباتهم حكايات آلهة اليونان فيكسونها صورة جديدة ليحسّنوها في اعين

١) راجع مقدَّمة الاب صالحاني على طبعة الف ليلة وليلة

القوم . فرشق الشاعر بوالو (Boileau) هذه المصنّفات بنبال شعرهِ المصيب فلم نعُد احد الى كتابة مثلها

ولكن لمّا كان الانسان مجبولًا على حبّ التخيُّل لم يلبث قوم من الكتبة الاوربيين ان يصنّفوا رواياتٍ جعلوها على نمط جديد وتحرّوا فيها وصف الطبيعة والتشبُّه بالواقعيّات ما امكنهم . وممّا كُتب من هذا القبيل فاستحسنهُ ذوو الذوق السليم اخبار روبنصن كروزي واسفار اناكرسيس . وبرع في انكلترة كتبةٌ كريشاردسُنْ (Richardson) وولّينغ (Willing) وسويفت (Swift) وكلهم احسنوا وصف آداب عصرهم على صورة الروايات الخيالية وممَّن برَّز في فرنسة في ذلك برنردان دي سان پيار (Bernardin de S[t] Pierre) ورابلي (Rabelais) بيد انَّ كتبهُ هاتكة لستر الآداب

فما خُتم القرن الثامن عشر ولاحت انوار العصر التالي حتى صار مؤلفو الروايات الخيالية يرتاحون الى كثرة الاوصاف وتعديد احوال البشر في كلّ حالاتهم مع رسم عواطفهم الباطنة وتصرّفاتهم الجمَّة في العائلة وفي كلّ اطوار الهيئة الاجتماعية

وفي عصرنا هذا اضحى فنّ الروايات متَّسع النطاق شائعًا ايَّ شيوع فان ما يطبع منها سنويًا يتجاوز الالوف . وان اردنا سرد اسماء الكتبة الذين يتعاطون هذا المهنة لضاقت على اتساعها صفحات هذه المجلّة

هذا وليس في معرفة هولاء الكتبة من طائل كبير من حيث المعاني ومن حيث التعبير . وكثيرًا ما يكفي للقارئ ان اراد الوقوف على كنه هذه الكتب ان يطالع فهرست الرواية فيكون على بصيرةٍ من حقيقتها ولا يصرف وقتهُ في مطالعتها

ومجمل ما اردنا بيانهُ في هذه اللمعة ان نوضح ما يختصّ بجوهر الروايات المختلقة وانَّها كلّها مبنية على الخيال جلُّ ما تصفهُ العواطف الباطنة واهواء النفس ومن هذه المقدَّمات يمكننا ان نستنتج ما تكنّهُ الروايات من الاخطار اذ تمثّل امورًا خياليةً كانَّها جارية في الواقع وتثير ادقّ ما في الانسان من الاحساسات والعواطف فتحبّب اليهِ امورًا وتبغّض اليهِ اخرى وفي كلا الحالتين مبالغة وقد قيل انَّ احسن الامور اوساطها

(ستأتي البقية)

كتاب تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

وجمال الدين هذا جرى في أيّامهِ حوادث كثيرة منها كذب بني ابي الجيش(١ على اقاربهِ وسجنُهم تلك المدّة الطويلة (٢ مع اعوانهِ بني ثعلب وخروج اقطاعهم واملاكهم عند فتوح طرابلس المتعلّقة بها. وسنذكر ذلك ان شاء الله عند ذكرنا زين الدين بن علي ونستوفي تمام ذكر الاقطاعات عند ذكر ناصر الدين الحسين. ومنها حركة القطب (٣ وغير ذلك. وكان جمال الدين رجلًا طيبًا ديّنًا خيّرًا لم يوجد في زمانهِ مثلهُ وكان يُعَدّ من الاولياء لزم القناعة والزهد في آخر عمرهِ. ولما استرجعوا الاقطاعات والاملاك قنع منها بعد الكثير بالقليل وهي عين درافيل ومزرعة شمشوم ومزرعة مرتعون وشكارة وقرطبة (٤ عطيــة من اقاربهِ بخطوطهم من غير منشور وذلك في سنة اربع وتسعين وستماية. سكن طردلا اوّل عمرهِ. ثمّ اخذ بيت ابرهيم من الطوارقة من بني عبدالله (٥ وعوّض عنهُ ببيتهِ في طردلا وموضعهُ الآن يعرف بدار الامراء فجدّد جمال الدين عمارة البيت الذي اخذهُ بعد سَنَـد القطبُ وسكنهُ بعده ولدهُ شجاع الدين عبد الرحمن وهو المعروف ببيت شجاع الدين الى وقتنا هذا وهو اوّل من سكن اعبَيه من الامراء. ثمّ تشبَّه بهِ اخوهُ سعـد الدين وولدهُ ناصر الدين على ما سنذكرهُ ان شاء الله. وهذا تاريخ مولدهِ نقلًا عن خطّ ناصر الدين

١) راجع ص ٤١٩ . اوّل من تلقَّب بهذا الاسم الامير صالح بن عرف الدولة عليّ الملقَّب أرسلان بن بحتر احرز شهرة كبيرة وتلقَّب بابي الجيش زين الدين. وتزوَّج بجميلة ابنة الامير نجم الدين محمَّد بن حجّي بن كرامة. توفّي سنة ١٢٩٥م ودفن في عرامون

٢) سعَى بنو الجيش بآل تنوخ عند السلطان فسجن منهم ثلاثة امراء بمصر وهم جمال الدين حجّي وسعد الدين خضر وزين الدين محمَّد. ثمَّ اطلق سبيلهم لمَّا عرف برارتهم

٣) يريد قطب الدين السعيديّ وُجد مقتولًا في كفرعمَّيه فوقعت الشبهـة بقتلهِ على امراء الغرب فسارت اليهم عساكر الشام ونهبوا اموالهم واعتقلوا منهم سنة ٦٧٧ (١٢٧٨م)

٤) هذه المزارع معروفة الى يومنا في مقاطعة الغرب. امَّا قرطبة فهي ضيعة كبيرة قرب العاقورة

٥) راجع ص ٤١٩

الحسين (27^r) قال: ميلاد العمّ جمال الدين حجّي بن محمد منقول عن خطّه (تغمّده الله برحمته) في ليلة اسفر صباحها الثلثاء الرابع والعشرين من شهر جمادى الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة (١٢٣٦ م). ووفاته نقلًا عن خطّ ناصر الدين ايضًا العصر من نهار الثلثاء في الثاني عشر من شوّال سنة سبع وتسعين وستمائة (١٢٩٨م)

واسماء اولاده نجم الدين محمّد عقّ اباه فطرده الى عيناب وتزوج بنت كبانس من ميسنون. ومن ذرّيته الامراء بعيناب. وامّه غير امّ اخوته وهو اكبرهم. وسيأتي ان شاءالله ذكره في غير هذا الموضع. ثمّ شهاب الدين احمد وشجاع الدين عبد الرحمن وشمس الدين عبدالله وفخر الدين عبد الحميد

ووقفتُ على كتاب تمليك تاريخه(١ من جمال الدين حجّي لاولاده الاربعة اختصهم به دون نجم الدين محمد اخيهم وهو يجمع اقطاعه وملكه عمله وذلك نكايةً في حقّ نجم الدين محمد وقصدًا للتبرّي منه

ذكر سعد الدين خضر اخي جمال الدين

ثم بعد جمال الدين حجي نذكر اخاهُ الامير سعد الدين خضر بن محمّد بن حجي. كان هذا رجلًا جليل القدر زائد الحشمة حسن الشكل مغرًى بالخيل الملاح والصيد. وقيل انّهُ كان اوّل من لعب بالطيور الجوارح من البيت وانّ صاحب قبرس اهدى اليهِ طيورًا وربّما كان الذي اهداها اليهِ صاحب بيروت وذلك اقرب الى العقل. وكانت غلمانهُ من عبيد الحبش اشتراهم بماله فكان يرسل معهم خيلهُ يُرتعهم في المَتْن وكفرسلوان(٢ وتملّك (27^r) مروجًا لمراعي خيله

وقد وجدتُ باسم سعد الدين منشورًا من الملك المعزّ أيبك التركماني اوّل سلاطين الترك(٣ والعلامة: «حسبي الله» جهاتهُ من الشوف والمعاصر الفوقانيّة (٤ وبَعْذران

---

١) كذا بدون تعيين التاريخ ٢) كفرسلوان من مقاطعة المَتْن الى يومنا

٣) هو اوّل ملوك الاتراك في مصر بعد الدولة الايوبيّة كان مملوكًا لنجم الدين ايوب فاعتقهُ ثم صار اتابكًا للعساكر. ولمّا قُتل الملك المعظّم توران شاه وخلعت زوجتهُ شجرة الدرّ السلطنة تولّى ايبك الامر سنة ٦٢٨ (١٢٥٠) حتّى تآمرت عليهِ شجرة الدرّ فقتلتهُ سنة٦٥٥ (١٢٥٧م)

٤) لعلّهُ يريد معاصر الفخّار من قرى الشوف. ومن هذه المقاطعة بعذران وعين ماطور (راجع اخبار الاعيان في جبل لبنان ص ٣٠). وقد ورد هنا في ذيل الكتاب ما نصّهُ: هذان المنشوران استرجاع

وعين ماطور وبثلون وعين اوزَّيه وكفرنبرخ وابريح وغريفة (١ ومن وادي التيم (٢ تنُّورة وظهر حمار. ومن اقليم الخرُّوب (٣ برجة وبعاصير والشحيم (٤ تاريخهُ في السابع والعشرين ربيع الاول من سنة اربع وخمسين وستمائة (١٢٥٦ م) (قلتُ) هذا المنشور قد حيَّر الفكر لانَّ ايبك المذكور كان سلطان مصر ولم يحكم على الشام لأنَّها كانت للسلطان الناصر يوسف آخر ملوك بني ايُّوب بدمشق وقتلهُ هولاكو بعد اسرهِ لهُ بمدَّةٍ (٥ وقبلهُ قتل المعزّ ايبك بمصر في ربيع الاوَّل سنة خمس وخمسين وستمائة (١٢٥٧ م) قبل اسر الناصر المذكور بثلاث سنين وكان بين أيبك والناصر المذكورين حروب وعداوة شديدة

ووجدتُ ايضًا منشورًا من الملك المنصور قلاوون (٦ جهاتهُ المغيثة وحقّ الطريق والمعار وعالَيه ومجدلبعنا . تاريخهُ الثامن عشر من شوَّال سنة ثماني وسبعين وستمائة (١٢٧٩ م)

ووجدت ايضًا منشورًا من الملك الناصر محمَّد بن قلاوون (٧ جهاتهُ عاليه وعيتات واللبانة والدوير والصباحيَّة وقِطَع ارض من العمروسية ومن درب المغيثة الرُّبع والسدس . وذلك ارتجاع عن الحلقة الطرابلسية تاريخهُ رابع ذي الحجَّة سنة ثلاث وسبعين وستمائة (١٢٧٤ م)

وسكن سعد الدين طردلا اوَّل عمرهِ ثم تشبَّه باخيهِ جمال الدين حجي وطلع (28^r) الى اعبَيه وعمَّر العلِّيَّتين المتلاحقتين الواحدة بالاخرى سكنهما باقي عمرهِ ثمَّ سكنهما بعدهُ ولدهُ صلاح الدين فعُرفتا بهِ . وتزوَّج امرأةً من كفرسلوان كان ابوها من ذوي اليسار وسعة الرزق فاق اهل بلاد بيروت بكثرة الاموال . ثمَّ توفيت فتزوَّج سارة بنت الشيخ العلم من

١) بثلون (وعند العامَّة بتلون) وعين اوزيه (ويقال وزَّيه) وكفرنَبْرَخ وإبريح (وعند العامَّة بريح) ذكرها صاحب اخبار الاعيان (ص٣٠) في جملة قرى مقاطعة العرقوب لا في الشوف. امَّا الغريفة فعدّها من الشوف السويجانيّ . ولا شكَّ انَّ تقسيم المقاطعات قد تغير مع الزمان

٢) وادي التيم مقاطعة لا تدخل في لبنان تُعَدُّ من جبل الشيخ وهي غربيّ دمشق بجهات حاصبيًّا وراشيًّا . ومن قراها عين تنوُّرة . اما ظهر حمار فلم نجد لها ذكرًا

٣) اقليم الخرُّوب من مقاطعات لبنان شرقيّ شمالي صيداء وغربيّ الشوف

٤) برجة قرية مشهورة بزيتها . والشحيم قاعدة اقليم الخرُّوب . وفي قربها بعاصير او المعاصير

٥) راجع ص ٥١٦

٦) راجع ص ٢٢٦ ٧) راجع ص ٢٧٤

كفرفاقود (١ وهو علم الدين علم بن سابور بن حسّان بن طارق من اصول بني عبدالله وامّهُ من البيت. نشأ بطردلا وتزوّج من كفرفاقود ورحل اليها في لفيف قرابته ولزمهُ معضاد بن عبد الدين فصائل (كذا) بن معضاد. وكان معضاد اميرًا ومقدّمًا على الاشراف وكان اقطاعهُ عين حجّة وادفول ونصف قطرة (٢ ثمّ انتقل ذلك الى بني سعدان ومن بني سعدان الى علاء الدين عليّ بن زين الدين. واماّ الشيخ العَلَم فانّهُ رُزق الدين والدنيا والسعة والحرمة الوافرة وكان مشكورًا عند اهل زمانه

ولنرجع الى ذكر سعد الدين خضر. فلمّا كبر في العمر نزل عمّا كان في يده لولده الحسين واستراح في بيتهِ (٣ وكان مولدهُ في رجب سنة تسع وثلاثين وستمائة ووفاتهُ نهار الخميس ثاني عشر ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة. اسماء اولاده ناصر الدين الحسين وامّهُ الكفرسلوانية. ثمّ عزّ الدين الحسن وعلاء الدين عليّ وفتح الدين محمّد وشرف الدين سليمان وصلاح الدين يوسف وزين الدار (٤ وامّهم سارة بنت الشيخ العلم وهي زوجتهُ الثانية

(28ᵛ) ومن الطبقة الاولى جدّ الامراء بعرامون

قد تقدّم الكلام في انّ زين الدين بن عليّ كان معاصرًا لجمال الدين حجّي واخيه سعد الدين خضر ابنَيْ نجم الدين بن محمد حجّي (٥ وانّهُ ابن عم جدّهما فيجب ذكرهُ بعدهما (٦ وذكر ما كان في ايّام هؤلاء الثلاثة من الحوادث المعاصرة لكونهم في زمن واحد (ستأتي البقية)

١) كفرفاقود قرية من مقاطعة المناصف

٢) جاء في الاصل في ذيل الكتاب ما حرفهُ: «اخذوهُ من جمال الدين محمود بن معضاد المذكور» (اه). امّا الضيع المذكورة فهذا موقعها: عين حجّة وادفول (ويقال لها اليوم دفون) من الغرب الاعلى. وقطرة (او كفر قطرة) من المناصف

٣) جاء في حاشية الكتاب: ومن الدليل ان سعد الدين المذكور في آخر عمره لم يتعلّق على اقطاعٍ مرسومٌ وجدتهُ من الناصر محمد بن قلاوون من مضمونهِ انهُ يلازم الخدمة وليس لهُ اقطاع ولهُ سعارى (كذا) مبلغ من درها (كذا) وانّها لا تعارض. وتاريخ المرسوم سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥ م)

٤) راجع الجدول الرابع ص ٤٣٢ امّا زين الدار فهي اختهم

٥) وفي حاشية الكتاب ما نصّهُ: انّ سعد الدين المذكور كان قبل وفاتهِ قد اوصى لولده ناصر الدين الحسين بنصف جميع املاكهِ ولاخوتهِ الخمسة المذكورين بالنصف الثاني فكان ناصر الدين مخصوصًا بالنصف وحدهُ دونهم

٦) راجع جدول نسب زين الدين ص ٤٢٠

رِوَايَةُ ٱلشَّقِيقَتَيْنِ

للاب هنري لامنس اليسوعيّ

(تابع لما قبلُ)

ولما لم يبقَ في العاصمة ما يستلفت انظار سيّاحنا وتصبو لمشاهدتهِ العين شرعوا لترويح النفس بامتطاء الجياد ذهابًا الى الارباض فزاروا مَرَثون واطلال دِلف وأُولمبية. اما شرل فقد عُهد اليهِ القيام بادارة وتنظيم شؤُون هذه الرحلات التي كان بمعارفهِ الواسعة واساليبهِ الفنّية يزيدها رونقًا ولذّةً بحيث تتوفَّر فيها الفائدة والانبساط

بل كان كأَنَّهُ تقمَّص من الحيوة ثوبًا جديدًا في تلك الديار العظيمة بتاريخها. اجل انَّهُ بالوقوف لدى معاهد اليونان واطلالهم تتنبَّه شعائر علماء الآثار القديمة وتزداد فيهم اميال التأمل والاستطلاع. فلا غرو والحالة هذه اذا ما رأينا شرل متغاضيًا عن جميع المشاغل الَّا العلم ولذلك فانَّ شفتيه لم تكونا لتتلفظا باسم وردة الَّا فيما ندر وقد عادت سيماؤُهُ تتدفّق طلاقةً وهشاشةً وملامحُهُ تشير الى الرصانة والثبات وهي الصفات الخليقة باهل السياسة. وليس هذا فقط بل انَّهُ اجاب دعوة الملك جرج والملكة أُولغا الى حضور الحفلات الشائقة التي اقيمت في القصر الملكي فاستقبلهُ الملك والملكة بحفاوةٍ ولُطف لما علماهُ من حوادث اموره المحزنة وهكذا اخذ جرح قلبهِ الصادق في الالتئام والالتحام رويدًا رويدًا دون ان يشعر بالامر

٧

وقد خطر للبارون في آخر جولانهِ في اليونان ان يذهب لمشاهدة « الميتيور » (Mé-téores) وهي اديار قائمة في ابهج واجمل مواقع تسالية. وقد عرض هذا الخاطر على رفقائهِ فوقع لديهم احسن موقع

وبناء على ذلك فانهم نحو منتصف شهر اذار شخصوا الى الپيرة ومنها ركبوا سفينة اقلعت بهم مارَّةً بطريق « فالير » ورأس « سونيوم »

ووقفت لأوَّل مرَّة لدى ارغاستيريه حيث مناجم « لوريوم » الشهيرة. امَّا هذه المدينة فتبدو عليها مظاهر الهمجية والبداوة. وترى مداخن كبيرة منتصبة فوق معاملها. وكان

الدخان المتصاعد منها يجعل سماءها اشبه بسماء البلاد الشمالية المتلبدة فيها غيوم الامطار. على انها لا توافق سماء شرقيـة تبهج الابصار بصفائها الرائق وجمالها الفتان كما هو الغالب على جزائر اليونان

ثم دخلت السفينة الخليج الفاصل بين البلاد اليونانية وجزيرة أوبي وهو الخليج المتسع في اوله المتضايق رويدًا رويدًا حتى مدينة كَلسِيس حيث يتصل الشاطئان بجسر يمكن تدويره. وفي هذا الموضع يبدو لك مشهد غريب من المدّ والجزر وذلك انّ جري المـاء يندفع برهةً من الشمال الى الجنوب ثم يرجع الى الوراء

ثم وصلت السفينة غلوصَ (ڤولو) احد ثغور تسالية البحريَّة وهي مدينة كثيرًا ما ورد ذكرها في اخبار الحرب الاخيرة التي نشبت بين الدولة العثمانية واليونان

ولا بُدَّ من القول ان غلوص انما هي باب تلك الولاية كلها على ان اصحابنا اي البارون ورفاقه لم يطيلوا المكث فيها اذ ما لبثوا ان ساروا في وجهـة لاريسّة على قطار السكة الحديدية فوصلوا ثاني يوم كالاباكا وهي المحطَّة التي ينتهي بها الخطّ الحديدي لدى صخور «ميتيور» قريبًا من حدود البلاد العثمانية

ان الجائل في تلك الربوع الجميـلة يرى وراء كالاباكا على مسافة من المخانق التي يستطرق فيها نهر پينايوس عددًا عديدًا من الصخور العظيمة الهائلة نحتتها الادهار ونقشتها الازمنة والاعصار ورسمت منها المياه المندفعة عليها رسومات متشكّلة متنوعة. وعلى قِنان كثيرٍ من تلك الصخور بناياتٌ عالية الدعائم وهي المعروفة باسم «ميتيور» اي الصوامع المبنيَّة في الهواء. فهذه الاديرة هي اشبه باعشاش النسور قائمة على شواهق الصخور لا يُرتقى اليها بسبيل سابلة

على ان من اراد الذهاب الى تلك الاديرة فعليهِ ان يجلس في قفّةٍ مشدودة الى طرف حبلٍ طويل يأتي الرهبان فيرفعونهُ الى فوق بواسطة بكَرة. ذلك هو «المصعد» القديم الذي ما برح مستعملًا على بساطتهِ في اديرة تسالية «الهوائية» في ايَّامنا هذه

فاخذ اصحابنا في الصعود على الطريقة التي مرَّ بك ذكرها فاحسُّوا بالدوار لان الصخر الذي صعدوا لدى حائطهِ كان مرتفعًا جدًّا يبلغ علوهُ زهاء مائة متر فضلًا عن كون ثقل انسانٍ واحد او اثنين لا يكفي لتركيز الحبـل على خطٍّ عموديّ. فيحدث عن ذلك انَّ الصاعد على هذه الطريقة يرتفع تارة بسرعةٍ كلّية وتارة يميل ذات اليمين او ذات اليسار تبعًا

لصفقات الهواء ثم يصــادم الصخر مباغتةً حتّى اذا بلغ السطح تقدَّم راهب وبيدهِ خشبة طويلة محاولًا جذبهُ اليهِ. ولمَّا كان الراهب يخشى على نفسهِ من السقوط في اللجة فتراهُ يشرع في اجتذاب الصاعد اليهِ بتأنٍ ورويَّة. وربمَّا اعياهُ التعب فيعود الى مقرّهِ ليستريح ويبقى ذلك الصاعد المسكين يتمايل في الفضاء على ما يشاء الهواء منتظرًا قوَّة جديدة تجذبهُ الى الداخل. وقد كان صعود اصحابنا في هذا المصعــد بطيئًا جدًا وكثيرًا ما اوشكوا ان يصادموا الصخر

على انَّهم بلغوا السطح وذلك بعد ان اقبل الى آلة الجذب هذه ثلاثة من الرهبان في سنّ الشيخوخة اجسامهم ضئيلة نحيفة ووجوههم متغضّنة وظهورهم أحنتها الايَّام. فلما رُفع المسافرون الاربعة صافحتهم الرهبان الثلاثة بهمَّة وحرارة قلب الَّا ان تلك الحرارة فترت بعض الفتور عند نظرهم النساء وعند ما لحظ اولئك الرهبان الارثوذكس ان ضيوفهم ليسوا من جماعتهم. وللحال بادر شرل فقدّم لرئيس الرهبان رسائل التوصية من وزير المذاهب ومن مطران اثينة وعندئذ اخذ الرهبان في ابداء الحفاوة والانعطاف مع شواهد المحبَّة والتودّد

وكان شرل مبتهجًا فرحًا متأملًا بذلك المصعد وما احدثهُ من التاثير في نفوس رفاقهِ وشرع يتفقّد معاهد الدير جميعها فتارةً يسأل الرهبـــان مستفهمًا عن الحوادث مستطلعًا طلعهم فيما أشكل عليهِ وتارةً يشاهد بنظَّارتهِ ما حول الدير من المشاهد الرائقة التي لا يمكن استجلاؤها بالعين المجرّدة. وقد استمال اليهِ قلوب الرهبان واستهوى ألبابهم بمعرفتهِ اللغة اليونانية تمام المعرفة وبرقَّة حاساتهِ وسلامة ذوقهِ كما انَّهُ اعرب عن محبتهِ لهم واعتباره مقامهم وقدَّم لهم من لفائف التبغ (السيكارات) حيث كانوا مولعين بتدخينهِ لانَّ التدخين كان اللذَّة العالميـــة الوحيدة التي كانوا متمتعين بها وهم يظهرون التجرّد عمَّا سوى ذلك من الامور الارضية. وكان شرل باثناء تفقدهِ قلاليّ الدير عثر على كتاب يوناني خطيّ قديم فبادر الى سوسنَّة واطلعها على ما فيهِ من الرسوم والنقوش

وعند المساء قدَّم الرهبان لضيوفهم مأدبة العشاء وكان اخصّ ما عليها من الطعام الزيتون والجبن و بعض اثمار يابسة وباثناء الطعام اخذ راهبٌ متقدّمٌ في السنّ يقصُّ على الضيوف اخبار البلاد وحوادثها فسُرّ البارون بذلك منتهى المسرَّة. وقد استرسل هذا الراهب المخبر في الكلام عن « ايتاڤروس » فقال عنهُ انَّهُ غول يقتات باللحوم البشريَّة وانَّهُ في كل شهر كانت

تُقدّم لهُ فريسة يلتهمها الى أن جاءت نوبة اسرة ملك تلك البلاد بتقديم الفريسة . وكان ذلك الملك شيخًا لهُ بنتان شقيقتان توأمتان عمر كلٍّ منهما ١٨ سنة متشابهتان لطفًا وجمالًا اسم احداهما صوفية والاخرى إلپيس . فاحتار الملك فيمن يختار منهما ليقدّمها للغول . وبالقضاء والقدر اصابت القرعة الپيس التي كانت اذ ذاك مخطوبة لامير من امراء ابيروس فأخذ اليأس من إلپيس كلّ مأخذ . ولما نظرت صوفية ما كانت عليهِ شقيقتها من الحزن والقنوط تحرَّك دم النخوة في عروقها وعزمت عزمًا دونهُ شجاعة الابطال . وذلك انَّها ليلة اليوم الذي فيهِ وجب على شقيقتها ان تُقرَّب للغول ايتاڤروس توارت صوفية عن قصر ابيها وانطلقت في سبيل الجبل متجهةً الى المغارة التي كان الغول مختبئًا فيها . ولكن رغمًا عن شجاعتها واقدامها قد اخذ منها الخوف كل مأخذ فاكفهرَّ لونها وارتعدت فرائصها فصارت اشبه بالخيال . . . . فعندما وصل الراهب عند هذا الحدّ من الخبر اصفرَّت الوان البارون وشرع قلبهُ يخفق فلحظ منهُ القنصل ذلك ! وللحال تظاهر انَّهُ منحرف الصحّة فنهض عن المائدة ونهض معهُ الجميع سائرين وراءهُ

ولَّما كان صباح اليوم الثاني باكرًا غلسًا زايل قومنا دير القديس « بَرْلعم » وانطلقوا يزورون ساحة الوغى الشهيرة في فَرْسالة . ولما كان البارون عالمًا بالآثار القديمة على ما مرَّ بك الخبر اخذ يدلّ رفاقهُ على اماكن ومحال الموقعة الشهيرة التي انتهت بها الحرب بين قيصر وپومپه وكان يقصّ عليهم حوادثها وباثناء محادثته عادت اليهِ الطمأنينة وصفاء البال بحيث ظهر للحاضرين ان ما كان حلّ بهِ بالامس من التأثُّر زال تمامًا . ثم عادت الجماعة الى العاصمة (اثينة) بطريق لارسة وغولص (ستأتي البقية)

شذرات

مدينة ينسب بناؤُها الى الفينيقيّين

من ذا الذي لم يسمع ذكر موناقو تلك البُلَيدة المستقلّة الواقعة على شاطئ البحر المتوسط المحاطة بحدائق خضرة ورياض نضرة تظلّلها اشجار شرقنا العزيز كالبرتقال والليمون والخرنوب . لا نظنّ احدًا يجهل وجود هذه المدينة الجميلة . الّا انَّ نسبة بنائها الى الفينيقيين امرٌ تقرَّر حديثًا يحسن بنا ايرادهُ افادةً لمحبي التواريخ القديمة لا سيما لِمن ينتمي من قرائنا

الكرام الى ذلك الشعب الشهير الذي قد احرز قصب السبق على سائر الامم في الاسفار الشاسعة. فنقول على وجه الاختصار :

كان الرومان يسمُّون موناقو « مرفأ هرقليس مونيكوس » (Portus Herculis Monœci) ومن المتبادر ان لفظة Monœcus هي التي اشتقّ منها اسم موناقو الحالي. الَّا ان معنى تلك اللفظة لم يدركهُ علماء الاعصار السالفة ادراكاً شافياً. فانَّهم اعتمدوا فيهِ على حكايات اليونان فقالوا انَّ Monœcus مشتقَّة من كلمة Monoïkos اليونانية التي مفهومها الاله ذو البيت او الهيكل الواحد. وبناء على ذلك ذهبوا الى انَّ باني المدينة التي نحن بصددها قد دشَّنها للجاثي الذي لم يكن لهُ الَّا هيكل واحد وهو هيكل مدينة صور المشهور في الزمن القديم. وقد صرَّح اليوم الحقّ عن محضهِ فتقرَّر ان Monœcus مشتقَّة من كلمة فينيقية « مَنَاوخ » التي معناها « المُعطي الراحة »

هذا ما اثبتهُ مؤخَّرًا المسيو برجه (Berger) فبيَّن ان الفينيقيّين الذين بنوا موناقو شيَّدوا فيها هيكلًا لعبادة الههم المعروف باسم « مَلْكارت مَناوخ » اي الجاثي الواهب للراحة

وممَّا يؤيّد صحة هذه النسبة ما ورد في اخبار اليونان والرومان محجوبًا بستر الاقاصيص الميثولوجيّة فرووا انَّ الفينيقيين الاوَّلين بعد ان اتخذوا على سواحل اسبانية عدَّة مستعمرات لشؤون تجارتهم سافروا الى الشمال واقاموا مواني اخرى متسلسلة بين جبال البيرينة والالب فلمَّا صاروا قُبالة ساحل موناقو ولاحظوا فيها فُرضةً آمنةً وارضًا طيّبة احتلُّوها و بنوا فيها مرفأ جديدًا يكون لهم بمنزلة محطَّة قبل توغُّلهم في داخل البلاد. وقد بقي في بعض الاماكن المجاورة لجبل الالب البحريّ آثار تنبئنا بهذا الولوج وتدلّنا على المسالك التي كانوا ينهجونها من موناقو الى المدن الداخلية فلم تلبث هذه الميناء ان اصبحت محطّة خطيرة يتردَّد اليها اصحاب التجارة بحرًا وبرًّا

امَّا دُوَيلة موناقو الحالية التي لا تتجاوز قوّاتها العسكريَّة المئة والعشرة انفار فانها تحتوي على المرفإِ الذي ذكرناهُ ليس الَّا ولها ثلاثة مدن اخرى صغيرة اي مَنْتون (Menton) ورُكبرون (Roquebrune) ومُنتي كرلو (Monte-Carlo). ومن المعلوم ان في الثغر الاخير مَلعَبًا مشهورًا يتقامر فيهِ بعض الجهلة من ذوي الثروة واصحاب الطمع والدعارة. فكانّي بالفينيقيين الوثنيين ابقوا في هذه الارض اثرًا من ذلك الميل القوي الذي كان

يحركهم الى ركوب ثبج البحور لاستجلاب الذهب والفضة وغيرهما من اسباب رغد العيش والترفُّه

جسر في الصين

اخبر اصحاب الاسفار انَّ في مدينة سَنغانغ من اعمال الصين على بوغازٍ من البحر الاصفر جسرًا بهيًا طولهُ ٨ كيلومترات ونصف . فيقتضي قطع هذه المسافة اكثر من ساعة ونصف للراجل . وبناء ذلك الجسر المذهل من الحجارة المنحوتة وعدد اركانهِ ثلاث مئة . ويقال انَّهُ يرتقي الى القرن الحادي عشر وكلّ من يشاهدهُ من سيَّاح عصرنا يتعجَّب من بقائهِ صحيحًا سليمًا على تصاريف الدهور . والحقّ يقال ان الرومان الذين كان لهم في امر البنيان التبريز على سائر الامم لم يخلّفوا لنا اثرًا مستحكمًا كهذا الجسر الصيني العظيم

بيوت شيَّدها الاميركيُّون

ان اهالي نيويرك وشيكاغو من الممالك المتَّحدة يتسابقون منذ بضعة سنين الى بناء اعلى بيت في العالم . وقد ابتدأت هذه المجاراة البنـائية في اثناء معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ فكان كلُّ من يزور هذه المدينة يندهل لابنيتها العالية التي هي اشبه بالصروح المرتفعة او الجبـال الشاهقة منها بمنازل الانسان ومآوي البشر . ومن جملتها البناء الذي شيَّدتهُ جمعية ماسونية تدعى (Masonic fraternity temple association) ولهُ ٢١طبقة يفوق علوهُ ٨٠ مترًا . الَّا انَّ اهالي نيويرك قد باشروا منذ عهـد حديث ببناء بيوت اعلى يجاوز ارتفاعها حدَّ التخمين . مثالها دارٌ تدعى پَركرو (Park-Row) ولها ٣٠ طبقـة يبلغ علوها ١٠٦ امتار . فهو اعجب بيت ظهر في العالم

ابنية يتفاخر ببنيانها جماعة الماسون

هي بعلبـك وتدمر ومدينة السلام و . . . و . . . وكل مدينة قديمة او حديثة بُنيت بحجر او بغير حجر . . . . . هذا مُجمَل ما ورد في كتاب تاريخ الماسونية لصاحب الهلال تولى الله رُشدهُ . وقد اثبت المؤلف الشهير هذه الأَطاريف في عدد مجلّته الغرَّاء الصادر في ١٥ ايار وايَّدها بالبراهين اللطيفة التي تضحك من قراءتها الثكلى ويستفيق لسمعها الوَسنان

ولعلّ نسبة البناء المرتفع الذي قد وصفناهُ في معرض كلامنا عن بيوت شيكاغو هي التي دعت المؤرّخ الفاضل الى هذا التعميم المفيد الشامل لكل مأثرة جليلة . وعلى كلّ حال ففي مقابلة ابنية الماسون في مدن اميركة الحالية مع الابنية التي شيَّدوها قديمًا في غيرها من اقطار العالَم تَقوِيةٌ عظيمة لمزاعم صاحب الهلال الاديب . وان فاتَتـهُ اناره الله هذه

المقابلة المهمَّة فالمرجو من ذكاء عقلهِ وجودة ذهنـهِ وقوَّة مخيَّلتهِ ان يحسبها برهانًا جديدًا فيضيفها الى ما سبق لهُ من الادلّة الجليـلة والحجج المقنعة فيكون لنا من الشاكرين. ولو احبَّ منّا ايدهُ الله ان نضرب صفحـًا عمّا اوردناهُ آنفًا في شأن موناقو والجسر الصيني فنضيفها الى بعلبك وتدمر وبغداد وغيرها من المدن والابنية المشهورة المنسوبة الى جمعية البنَّائين لفعلنا ذلك عن طيبة خاطر ونحن نرغب ألَّا يبقى في حسن مآثر الماسون مجـالٌ للاستثناء وميدانٌ للاعتراض

هذا واذا تأمَّل صاحب الهلال ما اثبتهُ هو نفسهُ عن قِدَم وجود البنَّائين على وجه المسكونة ثم قابل ذلك باقوال عرب الجاهلية الذين نسبوا بناء تدمر وبعلبك الى الجنّ فلا يخامرهُ شكٌّ في ان بين الجن البنَّائين والماسون قرابةً شريفة فذلك على رأينا الضعيف اقرب الى الصواب ممَّا سواهُ واقوى ما يمكن ايرادهُ في ضبط تاريخ هؤلاء البنَّائين الذين قد افرغ المؤلف العالِم كنانة الجهد في نقل اخبارهم العجيبة ووصف اعمالهم الغريبة

الاب س. رنزڤال

اسئلة واجوبة

سألنا من عين كارم حضرة الاب لاون پورير المحترم: ١ً ما كان الذراع القاسميّ في القرن الرابع عشر وكم كان يساوي من الامتار وقتئذٍ ٢ً وكم كان يوازي في ذلك الزمان الدرهم من الغروش المستعملة في يومنا الحاضر ٣ً ما معنى الأُمويّ (او) الومويّ نسبةً

الدراع القاسمي

١ نجيب اوَّلًا انَّهُ لا اثر للذراع القاسمي في الكتب العربية التي امكنًا مراجعتهـا ولعلَّهُ تصحيف للذراع الهاشمية المشهورة او للذراع التي نقلها محمد بن الفرج القسَّام الى بلاد اندلس وهي نفس الذراع الهاشمية وطولها نحو ٥٤٠٤,٠ على الراي الاعم. (راجع Sauvaire, J. A. 1886², p. 501-4)

الدرهم في القرن الرابع عشر

٢ ان الدراهم المستعملة في القرن الرابع عشر مختلفة الثمن على اختلاف مصادر

ضربها. امَّا الدرهم الاكثر شيوعاً في ذلك العصر لاسيَّما في بلاد مصر والشأم فهو الدرهم المستدير الفضّي الذي وصفهُ المقريزي في كتابه المسمى «النقود الاسلامية» واليك نصّ كلامه (طبعة الجرائد ص ١٥٠) : انَّ الملك الكامل محمد بن العادل ابي بكر محمد ابن ايوب ابطل الدرهم الناصريَّ وامر في ذي القعدة من سنة (٦٢٢ هـ) بضرب دراهم مستديرة وتقدَّم انَّهُ لا يتعامل الناس بالدراهم المصريَّة العتق وهي التي تعرف في مصر والاسكندريَّة بالزيوف وجعل الدرهم الكامل ثلاثة اثلاث ثلثية من فضَّة وثلثة من نحاس. فاستمرّ ذلك بمصر والشام مدَّة ايَّام ملوك بني ايُّوب. فلمَّا انقرضوا وقامت الاتراك من بعدهم ابقوا سائر شعارهم واقتدوا بهم في جميع احوالهم واقروا نقدهم على حاله. (اه) والدرهم المذكور يساوي نحو قرشين و٨ بارات

نسبة الأُمويّ

٣ قال في تاج العروس: الأُموي بضم ففتح على القياس: نسبة الى (بني أُميَّة) وهو مصغَّر أَمَة قبيلة من قريش (اه) وقال ابو الفداء في التواريخ القديمة يصف بني قريش: «وولد لعبد مناف هاشم على عمود النسب وولد لهُ خارجاً عن عمود النسب عبد شمس والمطَّلب ونوفل اولاد عبد مناف فمن عبد شمس أُميَّة ومنهُ بنو أُميَّة (اه). امَّا كلمة الوموي فلا اثر لها في كتب العرب الفصيحة س . ر

س سألنا من الشوير الاديب ا. ز ١ً ما هي اللغة التي كانت جاريةً في مصر في القرن الخامس للمسيح ما خلا اليونانية ٢ً هل كان للملك مرقيان اخ شاركهُ في الملك

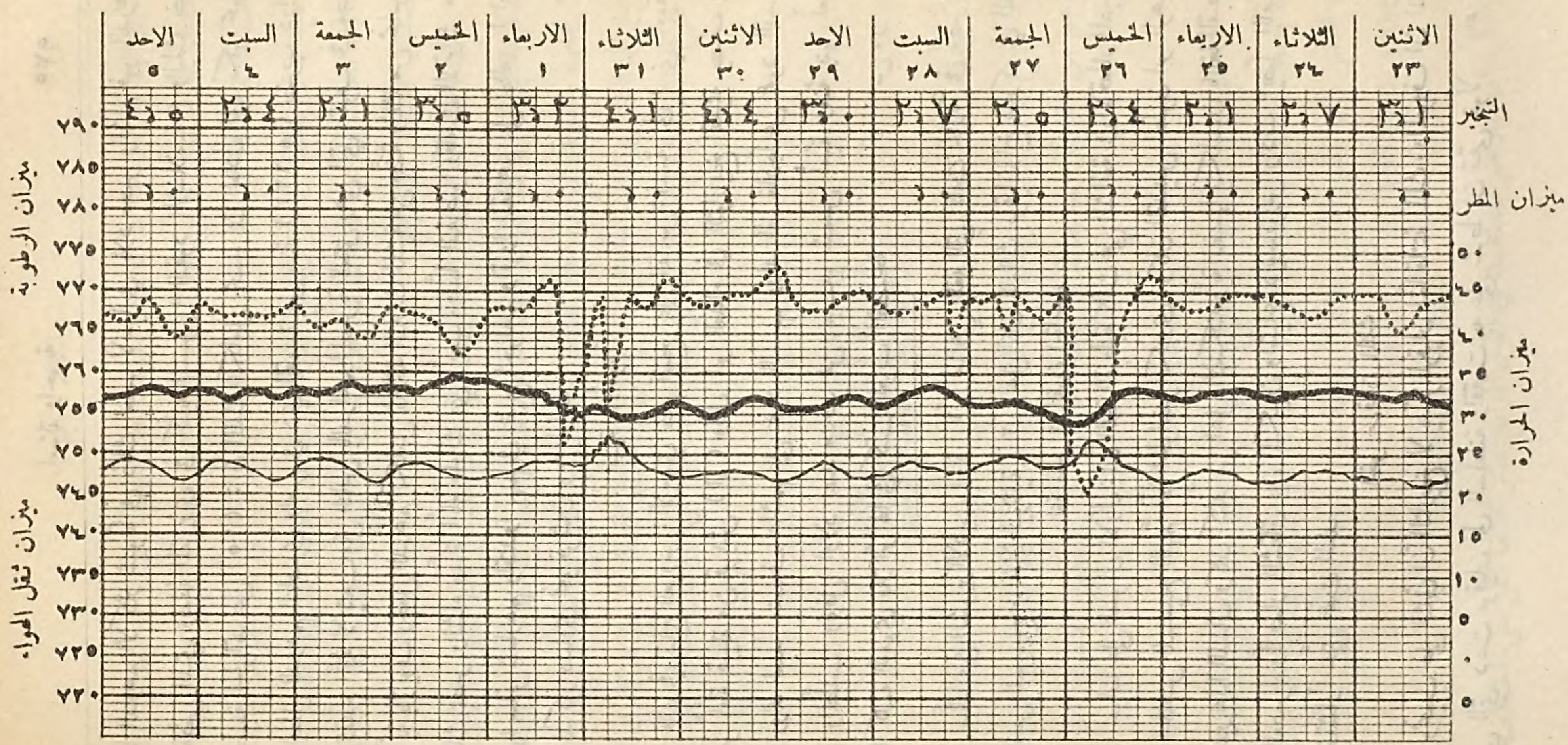
لغة مصر في القرن الخامس

١ جوابنا على السؤَال الاوَّل: انَّ اللغة القبطية كانت هي الشائعة في الاقطار المصريَّة في القرن الخامس للمسيح اللهمَّ الَّا الحواضر الكبرى. وكان القديس انطون ابو الرهبان لا يعرف غير هذا اللسان وكان كثيرٌ من اهل الاسكندريَّة نفسها يتكلمون باللغة القبطية في ذلك العصر. ولمَّا صار الشقاق بين الملكيين واشياع ديوسقورس زادت ايضاً اللغة القبطية انتشاراً حتَّى عمَّت البلد

اخو مرقيان الملك

٢ ونجيب على الثاني انَّ التاريخ لا يذكر لمرقيان اخاً قاسمهُ الملك. والمعروف ان الملكة بولخاريا هي التي دعت مرقيان الى السلطنة واقترنت بهِ على شرط ان تبقى بتولًا هـ. ل

قائمة للآثار الجوّيّة   من ٢٣ ايّار الى ٥ حزيران   ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

الآثار المصريَّة في سنة ١٨٩٨

للاب بولس جوون اليسوعي

يسرُّنا ان نشاهد في عصرنا هذا انَّ العلوم لم تقتصر على الاكتشافات المادّيَّة التي من شأنها ان تزيد الناس رعدًا وتمتُّعًا بل اتَّسع ايضًا نطاقها من قبيل الدروس التاريخيَّة والمعارف العقلية التي تميط الحجاب عن احوال الامم القديمة وتبعث من رممهِ ما رُمس في مدافن النسيان

ففي هذه السنة وحدها كم عاينّا في مصر من السيَّاح الذين طافوا جميع انحائها وزاروا آثارها القديمة المنبثَّة على مدى ضفَّتي النيـل من القاهرة الى اسوان. فانَّ عددهم أربى بكثير على السنين المنصرمة. فكانت الذهبيَّات الشراعية والبواخر الكبرى من جمعيَّات كُوك (Cook) وجاز (Gaze) وسفن الشركة الاميركية (American Line) فضلًا عن مراكب البريد كلُّها تغصُّ بعدد القوم السَّفْر

أجل انَّ مناظر وادي النيل البهية مع ما يكتنف بهِ من سلسلتي الجبال العربيـة والليبية شمالًا وجنوبًا لجديرة بان تجذب عددًا غفيرًا من الرحَّالين والمسافير. لكنَّ اقوى داع لهذه الرِحَل والاسفار انَّما هي المآثر العجيبة كالهياكل ومدافن الفراعنة التي لم يستطع ان يُخني عليها الدهر على تمادي عهـدها فبقيت سالمةً صحيحة يسجّيها ثوبٌ من الرمال دفعًا لمطامع الجهلَة وصَونًا من همجية بعض الغُزاة والعوارض الجوّيَّة

نظر عمومي في الاكتشافات السابقة

كان اوَّل من كشف النقاب عن هذه المآثر الجليلة العلاَّمة ماريت بك الفرنسي وكان الخديويَّان المخلَّدا الذكر سعيد باشا واسمعيل باشا قد عهدا اليهِ بهذه المهمَّة الجليلة فأتت بما لم

يكن في حسبانهما · ومذ ذاك لم تزل الاكتشافات العجيبة تتوالى متعدّدةً سنةً فسنة لا تكاد المجلّات العلمية تني بحق احداها لتصف خواصها ومكانها من الاهمية حتى تعقبها اخرى اعظم منها شأناً وارفع مقاماً

ففي سنة ١٨٨٧ كان المسيو مسپرو مدير العاديّات المصريّة ومنظّم متحف بولاق وقف في مدافن الاقصر (ثيبة القديمة) على مخبإٍ كانت أُودعت فيهِ جثث كثير من ملوك الدول الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين نُقلت الى ثمَّ في ايّام المخاوف لئلّا يُستهان بها ويُبخس حقُّها · وكان في جملة هذه الاجساد موميا ذلك الفرعون الطائر الشهرة رعمسيس الثاني مضطهد بني اسرائيل يُستدلّ من النظر الى اسارير وجههِ على ما كان عليهِ في حياتهِ من العتوّ والغطرسة

وفي سنة ١٨٨٧ وُجدت في مدينةٍ تلّ امرنا كتابات عجيبة اطلعتنا على اسرار تاريخ مصر وغيرها من البلدان في القرني السادس عشر والخامس عشر قبل المسيح · وتلّ امرنا هذه كان اتّخذها امينوفيس الرابع حاضرةً لهُ · وامينوفيس هو احد فراعنة الدولة الثامنة عشرة عاش في اواخر القرن السادس عشر · وكان معروفاً بالاستبداد وضعف الرأي فنجا بنفسهِ مع آل دولتهِ الى تلّ امرنا فرارًا من سلطة كهنة امون · والكتابات المذكورة عبارة عن الواح عديدة رُقمت بالحروف المسماريّة تحتوي قسماً كبيرًا من مراسلات امينوفيس الرابع وكثير من ملوك اسيّة وامرائها المتولّين الامر من سواحل سوريّة الى بابل

ولمّا كانت سنة ١٨٩١ اكتشف المسيو غريبو خَلَفُ المسيو مسپرو على نظارة العاديّات المصريّة مخبأةً اخرى في مدافن الاقصر جُعلت فيها اجسام جمّ من كهنة امون وذلك في عهد الدولة الثانية والعشرين لمّا تغيّر الفراعنة على هؤلاء الكهنة وحاولوا قطع دابرهم ففرّ منهم كثيرون الى الحبشة واقاموا ثمّة دولةً مستقلّةً تُعرف بهم

وما مرَّ على هذا الاكتشاف العظيم الشأن السنتان او الثلاث سنوات (١٨٩٤ و١٨٩٥) حتى اسعد الحظّ المسيو دي مورغان مناظر متحف بولاق بعد المسيو غريبو على وجود آثار نفيسة في الطبقات السُّفلى من اهرام داشور بجوار سكّارة · ألا وهي مجموع حِليّ اميراتٍ مصريّات يرتقي عهدهنَّ الى الدولة الثانية عشرة اعني الى نحو القرن الحادي والعشرين قبل المسيح · وهذه المصاغات يغلب عليها الذهب الابريز وهي دقيقة النقش مُحكمة الصُّنع · ومن غريب الامور انَّ المتلصّصين المتفقّدين لكنوز الاقدمين والمنتهكين

لحرمة القبور لم يطّلعوا على هذه المطالب على طول عهدها في خبايا الارض

اكتشافات السنة الجارية

امّا السنة الحاليَّة فانّها استهلّت على الطائر الميمون وكان لاكتشافاتها في الدوائر العلمية احسن وقع والفضل في ذلك لغيرة المسيو ڤيكتور لُورِهْ معلّم العاديَّات المصريَّة في كليـة ليون سابقًا ومناظر ادارة الانتيكخانة الخديويَّة حالًا . ولا غرو انَّ قرَّاءنا يتلقَّون تفاصيل هذه الاكتشافات بمزيد المسرَّة

١ اكتشافات دندرة

واوَّل ما يحقُّ هنا ذكرهُ ما وُجد في مدينة دِنْدِرة حيثُ أحرز سابقًا ماريت بك فخرًا فاخرًا بازاحة الرمال عن هيكل الالهة هَتُور وكان مغطّى بها منذ اجيال عديدة فأخرجهُ من مكمنهِ شاهق البنيان محكم الهندسة كأنَّهُ شُيّد من عهد قريب . فعاود في هذه السنة الحفر في تلك الجهات المسيو فلِنْدرس پيتري المعروف بكثرة اكتشافاتهِ القديمة منها وجود المدينتين القديمتين (صان) تانيس ونوكراتيس ومنها الآثار التي وجدها في جهات الفيُّوم . وكانت غايتــهُ من هذه الابحاث ان يستخلص من التراب والردم بيعةً قديمة جدًّا بُنيت بقرب هيكل إلهة المصريين هَتُور . وهي البيعة التي شُيّدت على الرأي الراجح لذكر شهداء دندرة المشهورين عند الاقباط . وفي اثناء ذلك قد فحص ايضًا هناك العالم المذكور عن آثار قديمة سابقة لتاريخ مصر المعروف . وكان المسيو دي مورغان وقف على شيء منها في نَقَدات وطُوخ . وهذه الآثار تفرق فرقًا كبيرًا عن الآثار المكتشفة حتى اليوم وهي ليست بانيقة الصنع بيدَ انَّها تنبئُ عن تمدُّن اوَّل سبق عهد الفراعنة

٢ كتابات البهنساء

قد وُجد في البهنساء المعروفة عند القدماء باوكسيرنكوس (Oxyrrhyncus) الواقعة في غربيّ ابي جرجة مع ميلة الى الشمال كمّيَّة وافرة من قطع البردي المخطوط . اكتشفها العالمان الانكليزيَّان غرنفيل وهُنت (راجع ص ٣٣٢) . ولهذه الكتابات خطارة كبرى فضلًا عن عددها البالغ مضمون ٢٨٠ صندوقًا . كيف لا وهي تشتمل على عدَّة صكوك ومناشير وكتابات رسميــة وطرائف لادباء اليونان وشعرائهم والفصل الاوَّل من انجيل القديس متى واقوال الربّ المنقولة بتقليد قدماء النصارى الى غير ذلك من الكنوز الادبية التي لا يمكن بعدُ تقديرها حقّ قدرها

٣ عاديّات اخربة الكَعْب

وقد عُني المسيو سُومرس كلَرْك بحفر اخربة الكَعْب في جنوبي مدينة إسنة على اسلوبٍ علميّ فأتت ابحاثهُ بفوائد جمَّة وقد استخرج الى الآن جملة من العاديَّات المهمَّة كالتماثيل والآنية وغير ذلك من الآثار

وكلُّ هذه الابحاث قد قام بها بعض العلماء على نفقتهم الخاصَّة غير انَّ الحكومة المصريَّة لا تسهو عن مساعدتهم ادبيًّا وماليًّا وهي تخصّص كلّ سنـة في برنامجها دراهم معلومة توزَّع على العلماء والمكتشفين علاوةً على ما تنفقهُ في سبيل متحفها الكبير

٤ اكتشاف قبرَي الملكين تحوتمس الثالث وامينوفيس الثاني

ولكن قد برَّز بين عديد المكتشفين المسيو لورِه السابق ذكرهُ فكانت اوائل نظارتهِ على العاديَّات المصريَّة متوفرة السعد والاقبال. في المحلّ المسمى بِبَان الملوك عند الاقصر في مدفن الفراعنة قد اكتشف قبرين جديدين رُمس فيهما ملكان من الدولة الثالثة عشرة وهما تحوتمس الثالث وامينوفيس الثاني

وكان اكتشافهُ لهذين الاثرين الجليلين على الطريقة الاتية انَّهُ قرأ في قدماء المؤرّخين من اليونان « انَّ سيَّاح عصرهم كانوا يزورون اربعين ناووسًا من نواويس الفراعنة » . فقابل المسيو لوره هذا الكلام مع موقع قبور ملوك الأقصر فرأى انَّ بين قبرَي الملكين رعمسيس الثالث (عدد ١١) وساتي الثاني (عدد ١٥) فضاءً كبيرًا ارتأى انَّهُ محلُّ قبرٍ فيهِ الفراعنة فامر بان يُحفر هناك ولم يزل مواصلًا لشغلهِ مدَّة ثمانية ايَّام حتى اكتشف قبر تحوتمس الثالث (في ١٢ شباط من هذه السنة)

فكان هذا الاكتشاف داعيًا جديدًا للبحث. وفي الحال وُجد بعد قليل درجٌ أفضى بن نزلهُ الى دهليز. ثمَّ الى سبع غُرَف نُقش منها اثنتان نقشًا بديعًا. كان الناووس المتضمن جثَّة الملك خاليًا قد فتحهُ المتلصّصون في الزمن القديم ايَّام الدولة العشرين . وكان موميا الملك نُقل الى مدفن آخر كما سيأتي. امَّا الناووس فهو من الحجر الرملي المحبَّب في غاية الحسن قد صُبغ باللون الاحمر. وبقرب الناووس كان تابوتان يحتوي احدهما جسم الملكة والثاني جثة احدى بناتهـا وقد نُزع عن كليهما حِليُّهما

وقد كان لهذا الاكتشاف اهميَّة كبرى من حيث آداب المصريين ودينهم. فانَّهُ وُجدت في الغرفة الاولى قائمة اسماء الآلهة المصريَّة وهي لا تنقص عن ٧٤١ الهًا وقد صُوّر كلّ

منها بخواصهِ وعلاماتهِ المعرّفة لهُ ورُسم معهُ اسمهُ . وفي القاعة الثانية وُجد كتاب كبير الحجم وهو اقدم نسخة من الكتاب المسمى عند المصريين « وصف ما يلقاهُ الميت في الحدس اي الجحيم » وهو كتاب الموتى يستصحبهُ الميت ليكون على بيّنة ممَّا سيلقاهُ في العالم الآخر

ولم يكتفِ جناب المناظر العلاَّمة بهذه الاكتشافات بل زادهُ ذلك نشاطًا لمواصلة الحفر فأدّى بهِ ذلك الى وجود قبر آخر موقعهُ بين العددين الثاني عشر والثالث عشر المرقومين في خارطة السيَّاح بازاء قبر رعمسيس الثالث المشهور بطولهِ البالغ ١٥٠ مترًا. وكان ذلك في ٩ اذار ١٨٩٨

وقد اخبر المسيو لوره في جلسةٍ عُقدت امام اعضاء الجمعيــة العلمية المصرية كلَّ تفاصيل هذا الاكتشاف الخطير ووصف ما خامر قلبهُ من التأثُّر لدى ولوجهِ في هذه منــازل الموتى التي لم يدخلها احدٌ من البشر منذ مِئين بل الوف من السنين اعني منذ انتهك حماها لصوص الدولة الثــانية والعشرين لمَّا عاثوا فيها كلَّ العيث فبعثروا الاجسام وجدعوا التماثيــل ونزعوا الحليّ وكسَّروا الآنية فبقيت مذ ذاك هذه المدافن على هذه الحالة لم يقع عليها بصر باصرٍ . (قال) « وكان يتقبَّض فؤادي اسفًا اذ كنت اسير في وسط هذه الحِطَم من الخزف والرخام والخشب المنقوش . . . وكان من جملة ما شاهدتُ رأس تمثالٍ صغير بديع الجمال وصورةُ حيَّة كبيرة متثنية ملتفَّة على بعضها تمثّل حرس القبور . وبقرب حائط اليمين وقع بصري على فلكين من فُلك الموتى طولهما متران ونيّف قد نُقشتا بالالوان الناصعة احداهما مُنتصبة والأُخرى مُلقاةٌ على جانبها . وبجوار السفينتين فوق طبقة الردم زهور السدر والبرديّ نُقِشت على الخشب وكانت هذه سابقًا تُمثل مقدَّمة السفينتين وموخَّرها الَّا انَّها قد سقطتا بكرور الدهور

« وكان في يدي شمعةٌ فسرتُ الى الامام واذا انا تجاه مشهد فظيع اقشعرَّت فرائصي لرؤياهُ . وما ادراك ما كان ذلك المنظر ? انمــا كان شبح ميتٍ مضَّجعٍ على قفاهُ اسود اللون قبيح الصورة على وجههِ امارات السخريَّة والهزء وكان شاخصًا اليَّ ورأسُهُ يعلوهُ شعر طويل متشعّث متجعد . وكان ساقاهُ وذراعاهُ ممدودتين كانَّهُ موثق بالحبال وفي جمجمتهِ اثرُ شجَّة واسعة . فعمل فيَّ هذا النظر الشنيع عملًا سيئًا ولم يخطر لبالي انَّما ذاك جسمٌ محنَّط بالموميا كعادة المصريين . ولا اعلم أيكون بقيَّةٌ من ذبيحة بشريَّة او لعلَّهُ بعض المتلصصين قتلَهُ رفقتهُ عند قسمة الغنيمة او ادركهُ الشُرَط في وقت فتحهِ للقبور فجازوهُ بفعلهِ . . . . »

ولحسن حظّ العلماء لم يتمكّن المتلصصون من نَزع كل آثار هذه القبور فتسنّى للمسيو لوره ان يجمع منها شيئاً كثيرًا بعدهم. فمن ذلك درعٌ اشتغلهــا قوم من الساميين وعدَّة تماثيل آلهةٍ مصريَّة وآنيةٌ من الرخام الابيض تسمى كانوپ كانت تُفرَغ فيها احشاء الموتى عند تحنيطها واصناف عديدة من التمائم والأحراز مع شيءٍ كثير من المآكل المعدَّة لارواح الموتى يقتاتون بها على زعمهم بعد موتهم كالاوزّ والبطّ والعجل وكلّها ملفوفة بالقماطات ومودعة في توابيت من الخشب الابيض

لكنَّ خطارة هذا الاكتشاف تتوقَّف على غير ما سبق لنا وصفــهُ وذلك انَّ قدماء المصريين في بعض التقلُّبات السياسية كانوا اتَّخذوا قبر امينوفيس الثاني كمخبأةٍ نقلوا اليها جثثاً محنّطةً لكثير من الفراعنة. فصار هذا الاكتشاف تتمَّةً لاكتشاف المسيو مسپرو في دير البحري سنة ١٨٨١. وعدد جثث الملوك التي عثر عليها المسيو لوره تسعةٌ وكلّها معروفةٌ قد رُقمت اسماء اصحابها على الاكفان. وبينها جثَّة امينوفيس الثالث الشهير اكبر فراعنة الدولة الثامنة عشرة شأناً واعظمهم سلطةً. وجثَّة امينوفيس الرابع الذي كان في عقلهِ مسٌّ وهو باني تل امرنا كما سبق

٥ اكتشاف قبر اوزيريس في ابيدوس

قد بقي علينا ان نصف اكبر اكتشاف جرى في هذه السنة نعني بذلك وجود قبر الاله اوزيريس في ابيدوس. ولا يخفى على مَنْ لهم ادنى المام بتاريخ مصر ما كان يقدّمهُ المصريّون من الاكرام وفروض التعبُّد لهــذا الاله ولزوجتهِ واختهِ معاً الإلهــة ايزيس ولولديهما هُور وسيث. وكان منشأ عبادة اوزيريس اقدم آلهة مصر في مدينة ابيدوس الّا انَّها لم تلبث ان تنتشر في كافَّة انحاء البلاد فعمَّتها جميعاً. وكان اوزيريس يكرَّم خصوصاً كإله الموتى وهو مع ذلك يُعدّ كرَمْز الحياة الباقية رغماً عن التقلُّبات الطارئة عليها فيشبّهونهُ بالشمس التي تبزغ كلَّ صباحٍ بعد ان استولى عليها سلطان الظلمة وبالنبات الذي يُقطع فلا يلبث ان يَذُرَّ ويربو بعد حين فكذلك يعيش اوزيريس في الانسان بعــد موتهِ في العالم الآخر

والمصريّون كانوا يخبرون انَّ اوزيريس وايزيس ملكا في قــديم الزمان على بلدهما فرقّياهُ في معارج الخصب والفلاح. وبقي امرهما كذلك الى ان عقَّهما احد ابنيهما وهو سيث ويدعى ايضاً تيفون يعدُّونهُ كاله الشرّ. فسيث هذا اضمر السوء لابيهِ الصالح ولم يزل يفتل

لهُ في الذروة والغارب حتّى أقنع اباهُ بان يدخل تابوتًا اقفلهُ عليهِ ابنهُ الخدّاع ورماهُ في النيل. فيزعم المصريّون انَّ مياه النهر حملت بالتابوت الى البحر فساقتهُ الامواج الى جُبيل في فينيقية. ولمّا احسَّت ايزيس ما حلَّ بزوجها من النكبات جعلت تطوف الاقطار طلبًا لآثارهِ فوجدتْ جثّتهُ بعد اللتيّا والّتي واخفتها عن العيان بما امكنها من الحرص. بيد انَّ الشقي سيث اطّلع عليها وقطعها اربع عشرة قطعةً رمى بها في مواضع شتّى. فعاودت ايزيس اسفارها واسعدها الحظّ على وجود الأشلاء المقطَّعة وكانت اذا ما عثرت على عضوٍ منها بنت في مكانهِ قبرًا. وكان اعظم هذه القبور شأنًا مدفن ابيدوس يحجُّ اليهِ المصريّون تبرّكًا ويطلبون الدفن بقربهِ تعبُّدًا كما يفعل اليوم اهل الشيعة بكربلاء حيث قُتل الحسين

وقد وُجد في هذه السنين الاخيرة عدَّة أعمدة وصفائح كانت تقام في ابيدوس فوق القبور تعريفًا لاحوال الموتى وهي مختلفةٌ في الحجم والطول وحسن الاتقان على حسب مقام المَيت. امّا قبر اوزيريس نفسهُ فلم يقف لهُ احدٌ على خبر. فانَّ ماريت بك كان يجث عنهُ طويلًا بلا فائدة. فعاد المسيو أميلينو منذ ثلاث سنوات الى مصر واخذ يداوم الحفر في اقدم مدافن ابيدوس فوجد اوّلًا عدَّة قبور من جنس الضرائح السابقة لتاريخ المصريين المعهود. ثمَّ لازم الحفر على طريقة نظاميَّة الى أن خدَّ في الارض اخدودًا بلغهُ قصارى بغيتهِ واطلعهُ على قبر اوزيريس وكان ذلك في اواسط كانون الثاني من هذا العام

وقد قصَّ المسيو اميلينو خبر اكتشافهِ هذا في مجلّة افرنسية تدعى (Le Monde illustré) وصحب روايتهُ بعدَّة تصاوير فوتوغرافية تمثّل نواحي القبر واقسامهُ المختلفة

ومن المعلوم انَّ مثل هذه الاكتشافات تثير في الجمهور شعائر الاندهال الّا ان العلماء لا يرضون بالحدس والمزاعم حتى يتبيّنوا الامر ويتحقّقوهُ. وعليهِ ما كاد المسيو لوره ان يسمع الخبر حتى اسرع ميمّمًا الأقصر ففحص القبر ادقَّ فحصٍ وارسل للجريدة المصريَّة تلغرافًا هذا تعريبهُ: « انَّ وجود قبر اوزيريس في الأقصر لخبرٌ صادقٌ ثابت. والمغارة المبنية بالآجرّ اليابس هي القديمة الاصلية. امّا الناووس الفارغ الذي نُحت ذكرًا للاله فهو من حجر الصوّان وعهدهُ اقرب الى زماننا لعلّهُ لا يرتقي الى ما بعد الدولة التاسعة عشرة في ايّام ساتي الاوّل. هذا وان النّاحت قد حاول ان يمثّل ناووسًا قديمًا لم يبقَ لهُ اثر. والناووس

الجديد الذي اكتشفهُ المسيو أَميلينو هو الذي نُقشت صورتهُ على جانب هيكل ساتي الاوّل في ابيدوس . وقد هِلْنا الترابَ على المكان فطمَّمناهُ عملًا بالفطنة »

فهذه الشهادة لمسيو لوره تزيل كلّ شكٍّ عن صحَّة اكتشاف قبر اوزيريس وقد آثرناها على ما سواها لما نعلم في صاحبها من طول الباع في معرفة الآثار القديمة

ولهذا الاكتشاف شأن كبير ليس فقط من حيث وجود بعض العاديَّات القديمة لكن ايضًا من حيث تاريخ اديان الاقدمين اذ تُبيّن لنا جليًّا كيف اضحى بعض ملوك ابيدوس بحكمتهِ وحسن سياستهِ او ايضًا بفتوحاتهِ محبوبًا لدى شعبهِ فصار قومهُ يكرّمونهُ شيئًا فشيئًا حتى اذا مرَّ عليهِ بعض قرون عظم شرفهُ وانتشر اسمهُ وجعـل الناس يجلُّونهُ ويؤدّون لهُ مراسيم التعبُّد كأنَّهُ الهٌ صحيح

أَجلْ انَّ العلماء كانوا ذهبوا الى انَّ كثيرًا من آلهة المشركين انَّما كانوا في الاصل بعض مشاهير الملوك او المشترعين او النُسَّاك او جهـابذة عصرهم المبرّزين بسموّ مداركهم ممَّن شرَّفوا باعمالهم ابناء جلدتهم . وذلك موافق لطبيعة الانسان الذي جُبل على معرفة الجميل يعظِّم مَنْ بذلوا الوسع في سبيل صلاحهِ مع اليقين التـامّ انَّ مثل هؤلاء الصالحين الابرار لا يزالون بعد حياتهم الفانية يفكّرون في خير رعاياهم يشفعون بهم ويُظلُّونهم بكنف حمايتهم . غير انَّ قول هؤلاء انَّما كان زعمًا لا يتجاوز حدود الظنّ والتخمين فاتى اكتشاف قبر اوزيريس داعمًا لرأيهم مثبتًا لهُ

هذا ولا نجهل انَّ الابالسة خزاهم الله تمكّنوا ايضًا في بلاد كثيرة ان يخدعوا البشر ويجلبوهم الى الشرك بتأدية واجبات السجود للكائنات الدنيّة كالعجماء والجماد بل وللارواح الشرّيرة نفسها

والمسيو لوغرين (Legrain) مفتّش ادارة العاديَّات الذي يجدُّ اليوم في ترميم هيكل امون في كَرْنك بذكاء عجيب مؤملٌ بعد اكتشاف المسيو اميلينو املًا طيّبًا بان يقف هو ايضًا على قـبر إِلٰه الأَقصر المعروف بأَمون سواء كان في قسم هيكل كَرْنك القـديم او في مدفن الأَقصر

ذكر بعض مسائل متعلقة بالآثار المصريَّة

قبل ختام هذه المقالة الوجيزة عن الاكتشافات المصريَّة الحديثة احببنا توفيرًا لفائدة

القرّاء ان نعرض لهم ما يدور من الابحاث الجليلة في هذه السنة بين اعضاء الجمعية العلمية المصريَّة. وانّما نقتصر على بعض المسائل المهمَّة ليس الّا

١ ذكر بني اسرائيل في الكتابات المصرية

لا يخفى كيف شاعت في عهدنا هذا دروس الكتاب المقدَّس. وكان جلُّ ما يرغبهُ الناس بعد ان كشف شمپوليون الحجاب عن مكنون معاني الاحرف الهيروغليفية (١ ان يطالعوا في هذه الكتابات شيئاً من اخبار بني اسرائيل الذين قضوا في مصر مئين من السنين منذ زمن يوسف الحسن بن يعقوب الى ايَّام موسى الكليم. فلم تأتِ الابحاث الى هذه السنين الاخيرة الّا بالنزر القليل

وهاكَ معظم ما انبأتنا عنهُ هذه الكتابات من هذا القبيل. قد وجد في صفيحة رخام ناتئة النقوش على بعض جوانب هيكل امون في كرنك (٢ صوَر عدد كثيرٍ من الأَسرى بينها صورة ملك ذي هيئة سامية رُقم اسمهُ بقربهِ «يهوذا ملك». فالرأي الراجح انَّهُ يراد بهِ احد ملوك اليهود

ثمَّ ذكر في بعض كتابات مخطوطة على البردي انَّ «الإِبْريين» كانوا يدحرجون الحجارة الضخمة في قصر الملك رعمسيس الثاني . والرأي العامّ انَّهُ يراد بالابريين قوم العبريين او العبرانيين. وهذا البابير محفوظ في خزانة عاديَّات ليدن

وفي سنة ١٨٩٦ لمَّا كان المسيو فلندرس پيتري يحفر في مدافن الاقصر بين اخربة هيكلٍ شيِّد ذكرًا لموت مِرنفتاح (ومعناهُ حبيب الاله فتاح) وقع على صفيحة افادهُ اكتشافها مجدًا عظيمًا. وهي عبارة عن رخامة سوداء علوّها ثلاثة امتار وعشرة سنتيمترات وعلى احد وجهيها كتابة مؤرخة في السنة الخامسة للملك مِرنفتاح يذكر فيها خبر غزوة هذا الملك لأُمم

١) تيسَّر لشَمْپوليون ان يقرأ هذه الخطوط بواسطة بعض الكتابات المرقومة بلغتين يونانيَّة فصريَّة. ولمَّا كانت هذه الكتابات تحتوي على كثير من الاعلام اخذ يقابل حروف هذه الاسماء ببعضها الى ان وقف على حقيقة لفظها

٢) هذه الصفيحة لا تزال محفوظةً جليَّة النقوش والاحرف يجدها الزائر في ساحة الهيكل الكبرى عند خروجهِ يميناً من الباب المعروف بباب البوباستيت (Bubastites) فاذا خطا هناك بعض خطوات الى شمالهِ يرى بازائهِ صورة الملك العظمى وتحتها على الحجرة الاولى الشمالية بعلوّ نصف متر من الارض قد نقشت صورة اسيرَيْن حُطّمت هيئتها تليهما صورة اخرى صحيحة سالمة فهي هي صورة ملك يهوذا. والمرجَّح ان هذا الملك هو رحبعام الذي غلبهُ فرعون مصر شيشق او شاشَنْك احد ملوك الدولة الثانية والعشرين (راجع سفر اخبار الايَّام الثاني الفصل ١٢ عدد ٢)

الليبيين . ثم بعَيد ذلك بثلاثة اسطر قد سرد الكاتب اسماء كثير من الامم الذين غلبهم الفرعون وفي جملتهم بنو اسرائيل . وهذه هي المرَّة الاولى وُجد فيها اسم الاسرائيليين على الآثار المصريَّة . وهو مكتوب بجلاء



â sîr à al (اسرائيل)

و بقرب الاسم صُوّرت العصاة وهي عندهم رَمز عن الشعوب الاجنبية . ثم يليها صورة رجل وامرأة وخطوط ثلاثة عموديَّة دلالة على الجمع . هذا وان الرأي الشائع بين مفسّري الكتاب المقدَّس الكاثوليكيّين انَّ خروج العبرانيين من مصر قد جرى في نفس هذه السنة الخامسة المذكورة هنا في الصفيحة فترى كيف امكن لراقم هذه الكتابة ان يذكر الاسرائيليين في عداد الشعوب الخارجة عن ارض مصر ؟

وقد بحث عن هذه المسألة المسيو ويليم غروف (Groff) احد العلماء الاميركيين ذوي الشهرة في العلوم المصريَّة . فبلغ بعد الفحص الى هذه النتيجة وهي انَّ الاسطر الثلثة الاخيرة احدثُ عهدًا من بقيَّة الكتابة واَّيد ذلك بالبراهين الآتية :

اوَّلًا اذا ما فحص احد السطور العليا المرقومة على هذه الصفيحة وقابلها مع السفلى وجد ان المعنى لا يلتحم بينهما التحامًا حسنًا . فان غاية الكاتب كان وصف حرب الملك مِرنفتح مع الليبيين . امَّا الاسطر الاخيرة فيرتإي انَّها زيادةٌ أُلحقها كاتب آخر بعد هذا العهد انتقامًا من الاسرائيليين لخروجهم من مصر

ثانيًا انَّ هيئة الاسطر الاخيرة تختلف من حيث جلائها وإشراقها اختلافًا كبيرًا عن الاسطر الاولى فذلك دليل على انَّها اضيفت بعد ذلك بيد كاتب آخر . وبناءً عليهِ فانَّ رأي الكاثوليكيين مفسّري الكتاب الكريم الزاعمين انَّ خروج بني اسرائيل من مصر جرى في السنة الخامسة للملك مرنفتاح لم يُنقض باكتشاف الصفيحة الجديدة

٢ ابنة فرعون الذي نجَّت موسى من الغرَق

انَّ المسيو ويليم غروف المارّ ذكرهُ يظنُّ ايضًا انَهُ اتَّصل الى تحقيق اسم

بنت فرعون التي خلّصت موسى الطفل من تيّار المياه . وذلك انهُ قرأ على ناووس يملكهُ المسيو غاڤيليو (Gavillot) في القاهرة اسم اميرةٍ تُدعى « بنت انتا » وقبرها عند باب الحريم في مدفن الأقصر وهي مصوَّرة هناك وبين ذراعيها طفل صغير. واسم هذه الاميرة ساميٌّ كما ترى ولعلَّ أُمَّها كانت سوريَّة وكان ابوها رعمسيس الثاني مضطهد العبرانيين شديد الحبّ لها

وقد ورد اسم هذه الفتاة في تُلموذ اليهود الَّا انَّهُ قد صُحّف على صورة « بِتْ يا » فيزعم المسيو غُروف انَّ اليهود غيَّروا اسمها « بنت أَنَت » ومعناهُ « بنت الإلهة أَنَت » باسم « بنت يه » او « بِتْ يا » اي ابنة الله وذلك تعظيمًا لقدرها وشكرًا لها على صنعها مع موسى النبيّ وفرارًا من اسم « أَنَت » وهي إلهة صارت بعد كرور الدهور معبودة الفَجَرة والعاهرات (١

ودعم المسيو غروف رأيهُ هذا ببراهين أُخر مبنية على موافقة تواريخ الازمنة فبيَّن انَّ قول الكتاب المقدَّس لا يصدق سوى على هذه الاميرة وحدها . واصلها السوريّ هو الذي يُعلّل رقَّةَ قلبها وانعطافها نحو بعض اطفال العبرانيّين

٣ النصرانية في مصر في القرن الاوَّل للمسيح

بقي علينا ان نذكر اكتشافًا آخر للعلاَّمة نفسهِ يختصُّ بتاريخ اوائل النصرانية في مصر . ومن المعلوم انَّ كثيرًا من علماء عصرنا الذين يقاومون الدين القويم لا يرضون بتقاليد قدماء النصارى ويزعمون انَّ انتشار هذه الديانة في بلاد كثيرة لم يجرِ الَّا بعد المسيح بزمن طويل . ومن جملة مزاعم هؤلاء الجَحَدة انَّ الاقطار المصريَّة لم تستضئْ بانوار الايمان المسيحيّ في زمن القديس مرقس الانجيلي رغمًا عمَّا كتبهُ اوسابيوس المؤرّخ قبل اواسط القرن الرابع

فالمسيو غروف اصاب في هذه السنة صفيحةً من البُرديّ تاريخها من القرن الاوَّل للمسيح وجد فيها شهادةً تنفي قول المُلحِدين وتثبت قول اوسابيوس المعروف بأبي التاريخ الكنسي وهي مكتوبة باللغة المصريَّة المعروفة بالعاميَّة (démotique)

امَّا مضمون هذا البابير فهي ادعيةٌ لبعض سَحَرة مصر . وفي جملة كلام رقيتهِ دعاء للاصنام ولمشاهير الرجال وللانبياء يستشفع بهم . وقد خصَّ بالذكر الحواريَّيْن بطرس الصفا ويوحنَّا وذكر المسيحَ واستعان « بالاب الذي في السماوات » الى غير ذلك من الدلائل

١) وقد دعاها يوسيفوس المؤرخ في الكتاب الثاني من العاديَّات (ف٥) باسم « ترموتيس »

المشعرة بانَّهُ عاشر المسيحيين الاوَّلين وسمع منهم بعض تعاليمهم وصلواتهم

ومن اغرب ما ورد ذكرهُ في معرض كلام هذا الساحر «بركة الخمر في الكأس» ويزعم انَّها رتبةٌ يحفل بها «فيليبُّس السامريّ» . أفليس في هذا القول اشارة الى ذبيحة القربان الاقدس والى بشارة القديس فيلبُّس احد الشمامسة السبعة في بلاد السامرة كما أُخبر في الفصل الثامن من اعمال الرسل العددَ الخامس ؟ ومهما كان من شرح تفاصيل هذه الرُّقى السحريَّة فانَّهُ لم يبقَ مجال للشكّ بانَّ النصرانية كانت معروفة في مصر منذ القرن الاوَّل للمسيح وانَّ تقليد قدماء النصارى من الامور الراهنة الصادقة

هذا واَّننا نعلم انَّ علماء الكاثوليك لا يوجبون مقالًا الَّا حقَّقوهُ بالحجج الصادقة واسندوه الى الشواهد الصحيحة . الَّا انَّهم لا يزدرون ايضًا بما تأتيهم الا كتشافات الجديدة من البراهين ولو كانت على يد سَفَلة القوم او السحرَة . وربَّما اتت الشهادة من عدوّ فتزيد قوَّةً وبيانًا

زينب (الزبَّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزڤال اليسوعيّ

(تابع لِما قبل)

ان تاريخ خضوع تدمر للدولة الرومانية لا يُعرف حقّ المعرفة لِعَدم الدلائل عليهِ . ومع ذلك فلا شكّ في ان انضمام تدمر الى ممالك الرومان لا يرتقي الى ما فوق السنة السادسة والثلاثين قبل المسيح . فقد ورد في تاريخ ابيانوس الروماني (De bello civili, V 9) ان مرقس انطونيوس القائد الروماني بعد ان حارب في تلك السنة الملوك الارشكيين ودارت عليهِ الدوائر توجَّه الى الشام عائدًا من ثمَّ الى رومة . فلمَّا قرب من تدمر أوفد الى اهلها رسلًا يخبرونهم انَّهُ قاصد مدينتهم ليُريح عندهم جنودهُ ممَّا نالوهُ في الحرب الاخيرة من المشقَّة والعناء . لكنَّ هذا القائد كان يضمر الشرّ لاهل تدمر وكانت نيّتهُ الخفيّة ان يطلق جيشهُ على المدينة فتكون لهم غنيمة باردة يملكون اموالها ونفائسها صفوًا عفوًا

فلم يلبث التدمريّون ان اطّلعوا على حقيقة الامر فاخذوا حذرهم من غارة الرومان وبادروا الى نقل اموالهم وعيالهم وعبروا الفرات مُسرعين . فلمَّا سمع الملك بذلك تعقَّب

آثارهم حتى ادركهم واقتتلوا قتالًا شديدًا كانت الغلبة فيهِ للتدمريين. فولّى الرومان مدبرين وقد لحقهم من الاضرار ما لم يُنلهم قبلُ من الفُرس. وهذا على ما نَرى دليل واضح على ان تدمر لم تذعن للدولة الرومانية الّا في اوائل النصرانية كما مرَّ

امَّا الزمن الذي فيهِ اصابت تدمر حقوق مستعمَرة رومانية فهو امرٌ ذهب فيهِ الكتبة مذاهب مختلفة يطول شرحها بالتفصيل. وما لا شبهة فيهِ ان تدمر كانت مُحرزة لتلك التسمية الشريفة في عهد كراكلاً (٢١١ — ٢١٧) كما يتَّضح من كتاب أُلبيان الفقيه (١. قال وادنكتون (٢: ان القيصر الذي وهبها هذه الرتبة والحقوق المنوطة بها انَّما هو الملك سبتيميوس ساويرس (١٩٣ — ٢١١ م). لكنَّنا نؤثّر رأي دي ڤوكويه (N° 5) ودُوبل ودرُوين ونظنّ انَّ الامر يرتقي الى عهد القيصر ادريانس لِما في الكتابة المكسيَّة الموصوفة آنفًا من الادلّة الواضحة على علوّ مرتبة تدمر بين المستعمرات الشرقية في ذلك الزمان (٣. واذا رُدَّ قولنا فاقلّ ما يجب التسليم بهِ هو انَّ الملك ادريانس الذي قد جلَّت اياديهِ على تدمر منحها منصبًا رفيعًا يُسمَّى عندهم (μητροκωμία) اي رأس الاميريَّة على جميع القرى المجاورة لها في بطون البراري (٤

هذا ولمَّا كان ادريانس صرف همَّتهُ في مصالحة الشعوب المحيطة بالممالك الرومانية

---

١) راجع .Digest. L., 15., 1 حيث قيل ان تدمر كانت من جملة المدن التي اكتسبت الحقوق الايطالية Jus italicum اي حقوق المستعمرات الرومانية العليا. وكانت المستعمرات في عهد القياصرة على ثلاث طبقات الاولى وهي السفلى لم تمنح للمدينة الّا شرفًا دون امتياز. والثانية وهي المتوسطة كانت تخفّف عن المستعمرة وطأة الخراج. امَّا الثالثة وهي العليا فتنيل المدينة عدَّة معافيات وحقوق منها حقّ الامتلاك التام والاعفاء عن الخراج والحريةُ الكاملة في سياسة المدينة وتدبيرها

٢) W. 2585

٣) راجع W. p. 596, col. 1 و N° 2616 حيث يتَّضح ان بعض رجال تدمر من اعيان البلدة وشرفائها اتخذوا اسم ادريانس مع حقوق المدنيَّة الرومانيَّة التامَّة. — راجع ايضًا : Drouin : *La Numismatique Araméenne*, J. A. 1889¹, p. 392 وكتاب المسيو دوبل : Double : *Les Césars de Palmyre*, p. 10 . (وقد تكرَّم احد ادباء بيروت فاطلعنا على هذا التأليف الذي ابدينا الأَسف في اوَّل مقالتنا على عدم تصفحه

٤) راجع Corp. Inscript. græc. 4485, 4496, 4499 و *Notitia Dignit.* I, p. 85 و Procop.: *De Ædif.* II, 11

طفقت مستعمرة تدمر تفلح وتنمي وترتقي الى قمَّة الغِنى والثروة وكانت قفولها العظيمة تقطع دون ملَل المسالك التي اشرنا اليها في خارطتنا وتسعى في رواج تجارة الرومان ومصالح سياستهم. وكذلك كان الامر في ايَّام انطونينوس پيوس خَلَف ادريانس. فان هذا القيصر الذي استوى اكثر من عشرين سنة على عرش رومة بسط على وجه المعمور الصلح والسلام فكانت ايَّامهُ طيّبةً والخيرات فيها دارَّةً والولايات عامرةً. فبذلك تسنَّى لمدينة تدمر ان تشدّد بينها وبين الدولة الرومانية العلائق والروابط الودادّية فازدادت شوكتها وعلا قدرها وشمل العمران كلّ انحائها وكان هذا لكلا الفريقين رِدْءًا عظيمًا لاسيما وقتَ ظهر اردشير بن ساسان فاباد دولة بني ارشك وتبوَّأ تخت السلطنة (سنة ٢٢٦). فلمَّا استفحل امر بني ساسان خاف الرومان من سطوتهم فبادر اسكندر ساويرس الى محاربتهم (٢٢٩) واحبَّ ان يجتاز بتدمر حيث استقبلهُ زينوبيوس ابو زينب وكان وقتئذٍ قائد الجيش التدمري كما سبق (١ وفي تلك الاثناء حصل آل أُذينة بنو السُّميدع على مرتبة الشيوخ (٢

وكانت صنائع اليونان وفنونهم وجميع اسباب العمران الروماني قد ولجت ابواب تدمر منذ زمن قديم ونفذت فيها اي نفوذ (٣ فتقاطر اليها من كل اوب الصنَّاع المهرة

---


١) ولا نعلم كيف اجترأ المسيو رَيْت (Wright) صاحب كتاب Palmyr aand Zenobia, 1895 فقال ان زينب كانت ابنة زبَّاي وهو يسند زعمهُ الى ثلاث كتابات تدمرية من مجموع المركيز دي ڤوڠويه وفيها ورد اسم ملكة تدمر الحقيقي الذي هو بَتْ زبينه اي ابنة التاجر كما قلنا سابقًا. فمسخ الكاتب اسمها (راجع الكتاب المذكور ص: ١٢٧)

٢) ان اوَّل من جاء ذكرهُ من بني السميدع في الكتابات التدمرية هو نصور (נצור) ثم ولده وهبلات ثم خيران (חירן) ابن وهبلات وهو الذي سار بصحبة سپتيميوس ساويرس الى محاربة الارشكيين وفي آخر هذه الحرب تسمَّى باسم سپتيميوس ذكرًا بوليّ نعمهِ V., n^os 21 et seqq.

٣) ولنا في ذلك برهان لا مرد عليهِ وهو كتابةٌ حُفرت في السنة ١٠٣ (ب.م) على قبرٍ محكم البناء بديع الصنع قد نقشتهُ يدُ الصنَّاع اليونانيين. امَّا الهيكل العظيم المختصّ بعبادة الشمس وغيره من الابنية العجيبة البهاء (وهي من الشكل الكورنثي السوري) فالارجح انها تنتمي الى هذا العهد ايضاً. (راجع Chesney : I, p. 526). ومن جملة آثار تدمر معبد صغير يسمَّى هيكل والدة الملك وهو يرتقي الى السنة ١٣٠ وقد كُتِب على احد اركانه اسم ادريانس القيصر. امَّا قول الذين ينسبون هذه الابنية الى زينب فلا سند لهُ بل هو خطأ بيّن لانَّ الهياكل التي بُنيت في عهد

والعَمَلة الحُذَّاق بآداب البنيان فشيَّدوا فيها من الهياكل والمعابد والمنازل والمشاهد والملاعب والقبور ما يخلب الالباب ويستدعي العجب العُجَاب (راجع صورة آثار تدمر في هذه الصفحة) . ومع ذلك فلم تزل مدينة تدمر تحفظ سننها الوطنية وعوائدها الخصوصيّة كسائر الاقاليم الشرقية المذعنة للرومان وبقيت آداب التدمريين ولغتهم آراميةً رغماً عن شيوع اليونانية في المعاملات الرسمية (١

هذا واذا اعتبرتَ ان العهد الذي فيهِ ارتقت حاضرة زينب الى اوج التمدن هو نفس الزمن الذي بهِ تواتر على عرش رومة بعض الملوك الشرقيين كسپتيميوس ساويرس واسكندر ساويرس وفليبوس العربيّ فلا تَتَعجب من كون سپتيميوس أُذينة الاوَّل قد تجاسر على خلع السلطة الرومانية واقامة دولة مستقلةً تحتوي على انحاء البراري وبلاد العرب الشمالية.



منظر عمومي لآثار تدمر على ما كانت في آخر القرن الماضي (راجع وود)

ملكة تدمر كهيكل بعلَبكّ مثلًا يدل شغلها على ان صناعة البنيان قد انحطَّت من سذاجتها الاولى وخلوص اشكالها الى تكاثر النقوش واختلاط الصور. (راجع Wright, *op. c.*, p. 63 و Revue des Deux Mondes, 15 Juillet 1897, p. 380). امَّا العمران الروماني فالمراد بهِ جملة اسباب الرفاهية وسعة العيش من حيث اختيار الاطعمة والالبسة والمساكن وغيرها من امور الزهو ودواعي اللذة التي بها اشتهر الرومان على من سواهم من شعوب المسكونة

١) راجع نولدك: Z D M G, 1885, p. 333

وكان هذا الرجل ابن خيران بن وهبلات بن نصور من بني السميدع كما مرَّ وانتهز الفرصة فادَّعى المُلك. فلبَّى قومُهُ الى دعائهِ وسموهُ ملكًا في نحو السنة (٢٥٠ م) فلمَّا قويت شوكتهُ فطن لامرهِ القيصر الروماني واراد ان يُخمد ضرام فتنتهِ فامر بقتلهِ فقُتل (١

وكان لأُذينة الاوَّل ابنان اكبرهما يدعى سپتيميوس خيران والاصغر سبتيميوس أُذينة فاخذ خيران بعنان رياسة مجلس الشيوخ بعد قتل ابيهِ ولم ينصب المكائد على الدولة الرومانية كما فعل ابوهُ. فلمَّا مات عن ولد صغير يدعى (מעני) معْني وباليونانية (Μανναῖος) خلَفه اخوهُ أُذَينة الثاني وكان قبل ذلك قد استولى على قيادة الجيوش والعيرات وقبائل بادية الشام وفي السنة ٢٥٧ منحهُ وَلِريانس القيصر رتبةً سامية فدعاهُ قنصلًا (vir clarissimus consularis) او سيد البلدة (٢

وكانت تلك الايام ايَّام فِتَن وحروب وقد ذلَّل شابور بن اردشير رقاب الرومان في اقاليمهم الشرقية فعزم وَلِريانس على محاربة الفرس وزحف مسرعًا الى بلادهم (٢٥٩م). الَّا أنَّ مكرينس احد قوَّاد جيشــه خانهُ فاضلَّ الجنود واسقط القيصر في ايدي الاعداء بجوار الرها فاسرهُ سابور واذاقهُ مرَّ الهوان ومثَّل بهِ (في بدء السنة ٢٦٠)

وكان أُذينة رجلًا ذا شجاعة وبأس قوي القلب من ابطال العرب قد نشأ على آداب اهل البادية وكان مغرًى في صحاري الشام يصيد الدباب والفهود والاسود (٣ ومع ذلك فلمَّا انتهى اليهِ خبر القيصر وما لحقهُ من العــار والذل تهيَّب سطوةَ سابور وفكَّر في وجه استعطافهِ فاوفد رسُلًا يحملون اليهِ الهدايا والالطاف مع كتابة يلتمس فيها أُذَينة من ملوك الفرس الصلح والمعاهدة (ستأتي البقية)

---

١) والذي قتلهُ هو على راي وادنكتون (N° 2600) رجل اسمهُ روفينوس قد ارسلهُ القيصر لمناظرة امور سورية

٢) او δπατικός الذي معناهُ المُرسَل القنصلي. قال الاب مرتين اليسوعي: ان هذه الدرجة توازي وظيفة والي سورية وفينيقية. (راجع ايضًا W., N° 2602). وقال بعض المؤرخين ان أُذينة كان في اوَّل امره قد صمَّم على الاخذ بثار ابيهِ وشارك رجلًا اسمهُ كيريادِيس (Cyriadès) لاقامة دولة مستقلَّة في انحاء المشرق. (راجع Double, : *l. c.*, p. 23) الَّا انَّ في الامر نظرًا. والارجح عندنا ان كيريادِيس هذا لو صحَّ وجودهُ قد شارك أُذينة الاول في خروجه على الرومان نحو السنة ٢٥٠ كما قيل. (راجع W., N° 2600) وعلى كل حال فلم يعتمّ أُذينة ان ينتصر للدولة الرومانية فيقاتل جميع اعدائها

٣) (راجع تريبليوس *Trig. Tyr. 14*). اعلم ان الاسود والفهود لم تزل الى يومنا هذا تتردد الى الوديان المجاورة لتدمر

وافدتا الدفتيريا والحصبة في حمص

للدكتور كامل سليمان الخوري

قد كانت هذه العشرة الشهور المنصرمة شديدة الوطأة على الأطفال دهمهم في اثنائها مرضان من امراض الطفولية أدّيا بارواح كثير منهم الى التلف فأحببتُ دَرْج ملاحظاتي بخصوص هاتين الوافدتين فاقول : لا مراء بانّ الدفتيريا والحصبة هما مرضان ساريان وسرايتهما تصير بانتقال الجراثيم من شخصٍ الى آخر. فالخُناق الدفتيري هو خصوصاً كثير الحدوث في الاطفال والاولاد. وهو عِداديّ او أفراديّ في بعض المحلّات واذا ما وفد تكون وفادتهُ خفيفة الوطأة او شديدتها. ولمّا يفتح بلدًا جديدًا تكون حوادثهُ مخيفة جدًّا كما جرى في الوافدة التي حدثت في بسّارابيا سنة ١٨٧٢

وقد ترجّح لا بل ثبتَ ان جرثومة الداء تنتقل غالبًا بواسطة الغبار الذي يحملهُ الهواء. ومن خصائص انبوبية (باشلس) الدفتيريا انَّها شديدة المقاومة للعوامل الطبيعية. وقد شُوهِدَ حوادث أُصيب بها اناس ناموا في أَسرَّةٍ كان اضطجع فيها من زمن مديد اشخاص مصابون بالدفتيريا

ومن المصائب الكبرى انّ الاصابة بهذا الداء لا تورث المناعة وعليهِ فالخناق الغشائي يمكنهُ العودة الى العليل الذي أُصيبَ بهِ سابقًا. وفي بعض الحوادث يكون الخناق الغشائي ثانويًّا اي يعقب بعض امراض كالقرمزيّة والحصبة والحمّى التيفويديّة. وممّا شاهدناهُ في هذه المدّة أنَّ كثيرًا من حوادث الدفتيريا عَقَّبَتْ الحصبة وكانت وخيمة العاقبة بيدَ ان الاعراض التى رافقتها لم تكن شديدة جدًّا بالظاهر

امّا الحصبة (١ وان يكن بامكانها اصابة كلّ الاشخاص على اختلاف سنّهم الّا انها اكثر ما تطرأ بالاطفال وقد شُوهِدَ حوادث حصبة وراثية انتقلت للجنين من الامّ. وهذا المرض هو نادر في السنة الاولى واكثر حدوثهِ في الاولاد من السنة الثالثة الى الخامسة وهو وبائيّ شديد السَّرَيان فقد يكفي وجود ولدٍ مصابٍ بهِ بين جمهور من الاطفال لِيكتَسِب

١) وتدعى عند العامّة حرَسة وفي جبل لبنان تشيشي وفي حماة حُمَيرة او بنت الحمرة

أغلبهم العُدوى منـهُ . وانتقال الحصبة بالعدوى يبتدئ في دور الهجوم ويدوم الى انتهاء دور الاندفاع (اي ظهور النفَّاط الخـاص) وهذا مما يدلُّ ويؤيد بانَّ جرثومة الداء تأتي من الطرق التنفسيَّة (كالافرازات الانفيَّة والحنجريَّة الشعبيَّة) اكثر ممَّا تأتي من الجلد . وقوَّة انتقالها لا تمتدُّ الى بعيد فقد يكفي بُعد بعض امتار لمنع سريان الداء

ومن مميّزات جرثومة الحصبة ان تفقد سريعاً خصائصها المَرَضية . فاذا تَرَكَ ولدٌ أُصيب بالحصبة غرفتهُ يجوز ادخال اولاد غيرهُ الى تلك الغرفة في اليوم الثاني بدون خوف بعكس الدفتيريا كما سبق . والولد المصاب بمرضٍ عمومي عَفَنيّ كحمَّى التيفوس والدفتيريا والقرمزيَّة ليس بمأمنٍ كما ذهب اليهِ البعض من الاصابة بالحصبة . والإصابة الاولى بهذا الداء تُولي غالباً الجسم المناعة لقبولهِ ثانيةً . اما جرثومة الحصبة فلم تُكتشف بعد وما وجدهُ البعض في مفرزات المريض لا يُعمل بهِ الى الآن اذ لم يتَّفق الجمهور على القبول بهِ . والاختبارات التي أُجرِيَت لتلقيح الحصبة لم تأْتِ بنتائج مُرضية الى يومنا هذا والآمال معلّقة بامكان وجود ذلك

واوَّل حادثة خناق غشائي شاهدتُّها في محلّ عيادتي هي في اوَّل شهر ايلول سنة ١٨٩٧ عند ولدٍ عمرهُ نحو ست سنوات . فعالجتهُ على الطريقة الاعتياديَّة لانَّهُ لم يكن بعدُ وردَ الينا مصل فاستعملتُ لهُ المقيّئات والحقن بمحلول الحامض البوريك وبماء الكلس وتنظيف الاغشية الكاذبة ثمَّ مسّها بمحلول « كوشه » واعطاء المقوّيات الخ . وقد حصل الشفاء والحمد لله بهذه المعالجة

ولمَّا ورد الينا المصل المضادّ للدفتيريا طفقنا نعالج هذا الداء خصوصاً بحقن ما حُضّر منهُ في معمل باستور . والحقُّ يُقال بان العلاَّمتين « رُو وبهرين » باكتشافهما هذا العلاج المهمّ قد خدما الانسانية خدمةً لا تُقدَّر فكل حادثة كان يُحقنُ بها العليل مذ الابتداء كانت بنوع ما مؤكدة الشفاء . ولكن اذا وصل المرض الى درجة شديدة وصار التأخر في المعالجة لم تعُدْ تفيد حقنة المصل سيَّما وانَّ الطبيب في حمص لا يكون اتصـل لاقناع اهل العليـل بإجراء ذلك الَّا بعد شقّ النفوس . فاذا عرض ثاني مرَّة الحقن كان يذهب كلامهُ غالباً ادراج الرياح

وفي اغلب الحوادث كان يعقب الحقنةَ ارتفاعٌ قليل في درجة الحرارة يدوم بضع ساعات وفي البعض منها ظهر قليل من الشرى لم يَدُمْ طويلاً . وقد ازدادَ مِقدار الزُلال الموجود في البول قليلاً في مدَّة اليومين التاليين الحقنة على انّي لم ألاحظ في كل الحوادث

التي شاهدتها وتتبَّعتُ مشاهدتها الى النهاية لانَّ عندنا هنا كثيرًا من المرضى يأتون الى الطبيب فيستشيرونهُ ولا يتعالجون. وسبب ذلك العادة التي اعتادها الاطباء ان يفحصوا المرضى بدون اجرة والتشخيص تُحسب اجرتهُ مع ثمن الدواء اذا ما اعتمد العليل او اهل العليل على اخذهِ

ومن خصائص وافدة الدفتيريا هذه انها كادت تزول ثم هبَّت من رقادها ففتكت بالاولاد فتكًا ذريعًا. وقد شاهدتُ خمس حوادث في بيتٍ واحد كان الداء ينتقل من ولدٍ الى آخر لعدم اتباع الوصايا التي كنَّا نجود بها بسخاء على المرضى الى حدّ ان قيل فينا اننا نحبُّ كثرة الكلام. وشاهدتُ في بيتٍ آخر اربع حوادث متتابعة ايضًا

واغلب حوادث هذه الوافدة كانت مقتصرة على الخناق الغشائي (المسمى بالدارج خانوق) ولم يُشاهَد كثير من حوادث الذبحة الغشائية. ففي مشاهداتي الخاصَّة التي تربي على الستين لم أرَ الَّا ثلاث حوادث ذبحة غشائية: الواحدة عند ابنةٍ عمرها نحو اربع سنوات ظهرتْ فيها أعراض الداء فجأةً على قول والدها انَّما كانت فقط مذ يوم واحدٍ منحرفة الصحَّة بَيدَ انها كانت لا تزال تمرح وتلعب. فلمّا شاهدتها اجريتُ لها حقنة قنّينة مصل اي عشرة سنتيمترات مكعَّبة وفي الغد ازدادت معها الاعراض شدةً فحقنتها بعشرة سنتيمترات أخرى لكنّ ذلك لم يجدِ نفعًا. والثانية في ولدٍ عمرهُ ستّ سنوات ظهرت فيهِ اوَّلًا الأغشية الكاذبة على اللوزتين والحلق ثمَّ امتدَّت بسرعةٍ الى الحنجرة ولَّما حقنتهُ بعشرة سنتيمترات مكعبة توقَّف ازدياد المرض قليلًا وبالاهتمام مع عناية الباريءِ تيسَّر لهُ الشفاء. وبُعَيد ذلك كان ابواهُ قد نذرا انهُ اذا شُفيَ ولدهما يحلقان لهُ ولاخيهِ الاصغر في دير مار جرجس فذهبا بهما على اتمّ الانشراح وبعد ايابهما بنحو خمسة عشر يومًا اي بعد تمام شفائهِ بنحو شهر أُصيب بالحصبة. ومن الاقدار التي لا مردَّ لاحكامها انَّ الذبحة الغشائية عاودت الكرَّة عليهِ وذَهَبَتْ بحيوتهِ في مدَّة وجيزة جدًّا بدون ان تمهلنا لنحقنهُ بالمصل. ولسوء الحظّ بعد يومين شنَّت الحصبة غارتها على أخيهِ ولَّما صار دور اندفاع النفَّاط دُعيتُ لمشاهدتهِ فتحقَّقت انَّهُ مصاب بالحصبة وانَّ الذبحة الغشائية قد حلَّت ضيفًا ثقيل الوطأة على حنجرتهِ فحقنتهُ بقنينة مصل لكنَّهُ في ساعة تحريري هذه الاسطر في درجة من الخطر لا يؤمل فيها الشفاء

فليعتبر الاهلون الذين يسخرون منَّا لمَّا ننصحهم بالتحفُّظ وبابعاد الاولاد السليمين ونحن

بنظرهم «لا يقينَ لنا بالله تعالى اذ اننا لا نسلّم الامور على قولهم لعنايتهِ الصمدَية» مع انَّ هذا القول ينطبق عليهم اذ انَّهم لكسلهم وتهاونهم يلقون اتّكالهم على الله ويكتفون بذلك ليوفّروا قليلاً من التعب في اخذ الاحتياطات اللازمة وحاشا للباري تعالى ان يُسَرَّ من اتكالهم هذا الذي هو الجهل بعينهِ.... فكم وكم كنت انصح لأهل هذين الولدين باخذ الاحتياطات اللازمة لمنع انتشار مفرزات المريض الاول فما كنتُ اراهم الَّا مستهزئين بنصائحي بقولهم: «الله المسلّم يا شيخ». فكأنَّ جراثيم الدفتيريا الوخيمة كانت لم تزل موجودةً في الغرفة فلمَّا ظهرت الحصبة بذينك الطفلين أعدَّتْ جسميهما لقبول تلك الجراثيم الوبيلة المنتظرة فرصةً مناسبة فجرى ما جرى ممَّا يذوب لهُ القلب كمدًا

ولا يخفى انَّ الدفتيريا التي ترافق الحصبة تكون شديدة الخطر سريعتهُ تقتل العليل في مدَّة قليلة وان لم تكُ أعراضها الظاهرة شديدة بَيدَ انها أتت بالصورة الخبيثة السامَّة. وكثيرًا ما رافق وافدةَ الدفتيريا هذه ظهورُ حوادث التهاب اللوزتين البسيط والتهابهما الحوَيصلي (الهريسي) والتهاب النكفة فكان ذلك داعيًا لإلقاء الرعب في قلب الاباء والامهات ولتثبيط تشخيص الاطبَّاء. وحوادث وافدة الدفتيريا التي تمكنتُ فيها من اجراء حقن المصل لم يظهر في اثنائها اعراض رديئة بوجه الاجمال سوى في حادثة اعقبها بعد شفاء العليل بمدة بضعة ايام (وغب ان كان زالَ تمامًا الزلال الذي ظهر في البول في آونة المرض) ظهورُ التهاب كليتين حادّ مصحوب بضيق نفس مخيف كاد يذهب بحيوتهِ. وفي حادثة أُخرى قرب انتهاء الخناق الغشائي تقرّحت غُدد العنق الليمفاويَّة من الجهة اليسرى ولدى بطّها خرج منها صديد متماسك ذي رائحةُ كريهة يشبهُ صديد الخُرَاجات الباردة الدرنية. وحصل ايضًا ظهور خُرَاج محلّ حقنة المصل رغمًا عن التذرّع بجميع وسائل مضادَّات العفونة قُبيل اجراء الحقنة التي بقيَ محلّها مدَّة نحو ثمانية ايَّام سليمًا لا اقلّ اثر التهاب فيهِ. ولدى البطّ خرج ايضًا صديد يشبهُ صديد الخراجات الباردة

وفي حادثة أُخرى غبَّ شفائها بنحو شهر ظهر في العليل الفالج الدفتيري في شِرَاع الحلق والبلعوم مع الاعراض المزعجة التي تصاحب ذلك. وقد رافق هذا الشلل التهاب شُعَب كثير الافراز نَتِنهُ أُرجح حصولهُ عند دخول بعض اجزاء صغيرة من الاغذية الى الجهاز التنفسي (ستأتي البقية)

نظر في ترّقي العلوم في الربع الثاني من سنة ١٨٩٨ *

للاب غدفريد زُموفن اليسوعي مدرّس الطبيعيَّات في كليَّة القديس يوسف

١ علم الهيئة

١ (النجوم المذنّبة) ان النجوم المذنّبة المكتشفة منذ ثلاثين سنة (اعني من غرَّة كانون الثاني ١٨٦٨ الى رأس السنة ١٨٩٨) كثيرة جدًّا يبلغ عددها ١٣٥ نجمًا رصدها علماء الهيئة فتمكّنوا من ضبط سيرها في الفضاء. ومن جملتها ٣٧ نجمًا دوريًّا مذنّبًا ظهرت بعد اختفائها مدّةً معلومة وهي قد مرّت بكُرَتنا في ما مضى من الزمان. والسنوات التي كثر فيها ظهور المذنّبات هي ١٨٨١ و ١٨٩٢ و ١٨٩٦

٢ (سيَّارة المشتري) ظهر على سيَّارة المشتري في نصف كرتها الشمالي كُلفتان كبيرتان احداهما ضاربة الى القهبة وهي على شكل اهليلجي. والاخرى كالرَّبابة (الكمنجة) ولونها الحُلكة يشوبها الاحمرار. امَّا مدّة دوران هاتين الكلفتين فغير محقَّقة الى هذه الغاية ولا بُدَّ لذلك من أرصاد فلكية طويلة

٢ الطبيعيات

١ (تلغرافات جديدة بدون سلك) قد ورد في مجلّتنا (ص ٧ و ٣١٩) ذكر بعض تلغرافات بلا اسلاك واليوم نشير الى ثلاث آلات حديثة من هذا القبيل:

اوّلها تلغراف قد نصبتهُ شركة انكليزية تدعى (Wireless Telegraph C°) بين مدينة بُرنْمَوث (Bournemouth) والجزيرة وَيْت (Wight). وبُعد هذين المركزين ٢٣ كيلومترًا ومع طول هذه المسافة لم تنقطع المراسلة بينهما منــذ يوم الاختراع. اليك شرح الامر على وجه الاختصار:

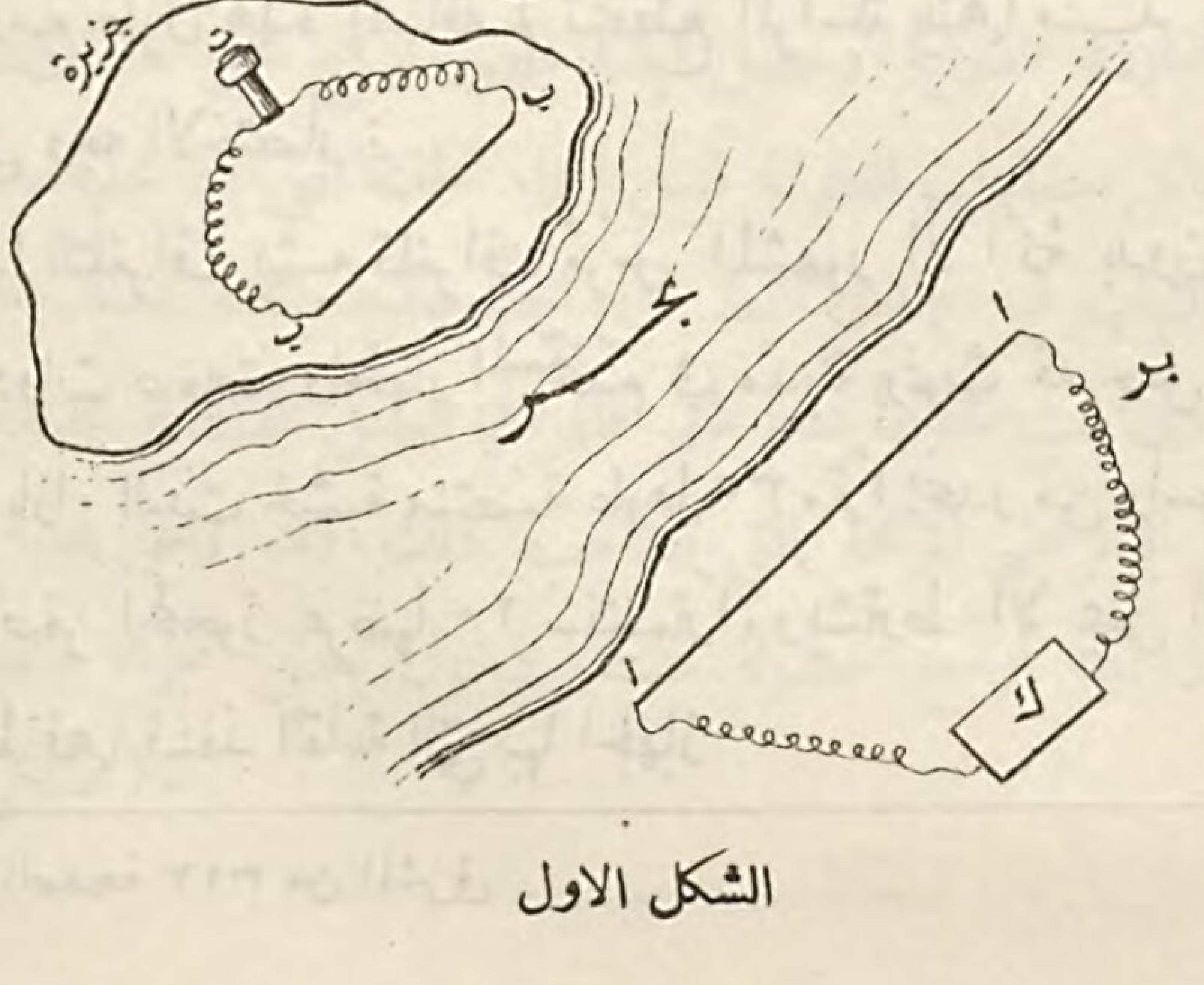
ان هــذا التلغراف يشبه تلغراف مُرْس المشهور الَّا انَّهُ بدون اسلاك يدخل في تركيبه بعض ادوات صغيرة. والجهاز المستخدم في مدينة برنموث قد جُعل في بيتٍ موقعهُ على شاطئ البحر وبازاء البيت خشبة منتصبة علوها ٣٥ مترًا ينحدر من رأسها سلكٌ او شبيكة من النحاس الاصفر المحجوز عرضها ٢٠ سنتيمترًا. ويُشترط الَّا يمسَّ السلكُ او الشبيكة الخشبةَ وامَّا طرفها فينفذ القاعة التي بها الجهاز

* راجع الصفحة ٣١٧ من المشرق

ووجه تنظيم الجهاز على غاية السذاجة . وذلك ان يُجعَل الباعث على طاولة بالقرب من كوّة القاعة وهو يتركّب من لفّـة ثانوية (bobine d'induction) طولها ٢٥ سنتيمترًا ومن مفتاح مُرْس (manipulateur Morse) . ويوضع بالقرب من الطاولة صندوقة معدنية فيها القـابل والمُلصِق (cohéreur) والمَوْقف (relai) والمطرقة والراقم المُرْسيّ المعهود مع بعض الآنية الكهربائية . ومحرّك اللفّة الثانوية هو بطارية صغيرة وبواسطتها تُطاق الشرارة بين كرتين من النحاس على بُعد ٢٥ مليمترًا . واحدى الكرتين متّصـلة بالسلك العمودي وتوضع الأُخرى على الارض . امّا المُلصق فطولهُ ٣٥٧ ملّيمترًا وهو بمنزلة آلة محرّكة للموقف الذي غايتهُ ايصال السيّال الكهربائي (او منعه) بين البطارية وجهاز مرس القابل للرقم

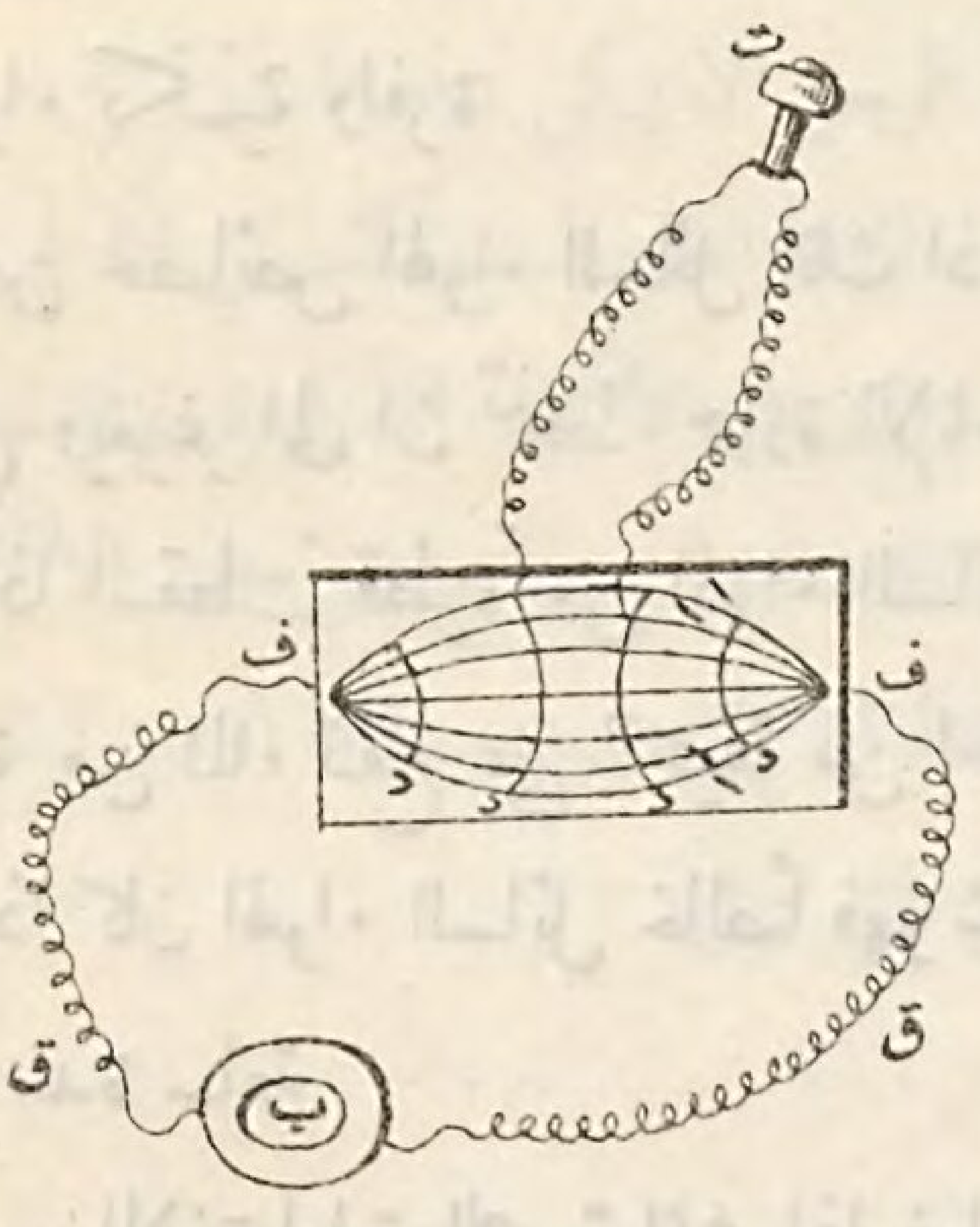
هذا في محطة برنموث . امّا محطّة الجزيرة فتُجهَّز فيها الادوات نفسها والمخابرة بينهما سهلة الّا انّهُ يطرأ عليها بعض التأخّر اذ لا يجاوز عدد الكلمات حدّ ١٢ كلمة في الدقيقة . وليس في ذلك ما يستدعي العجب لان الاختبار حديث فالشركة التي اخترعت هذا التلغراف لم تقصد منهُ في بدء الامر سرعة المراسلة بل سلامتها

واليك تلغرافًا ثانيًا دون سلك وهو بسيط جدًّا . فانك تمـدُّ على شاطئ البحر سلكًا طولهُ كيلومتر . وتوصـل طرفيه بآلة كهربائية قويّة (ك) ثم تجعل في جزيرة موقعها بازاء البرّ سلكًا آخر مُوازيًا للاوّل (ب ب) يكون طرفاهُ مربوطين بآلة تيليفونية (ت) . (راجع الشكل الاوّل) فاذا اجريت سيّالًا كهربائيًا في السلك الاوّل قَبِـل السلك الثاني سيالًا ثانويًّا يعمل في التليفون فيُسمَع الصوت

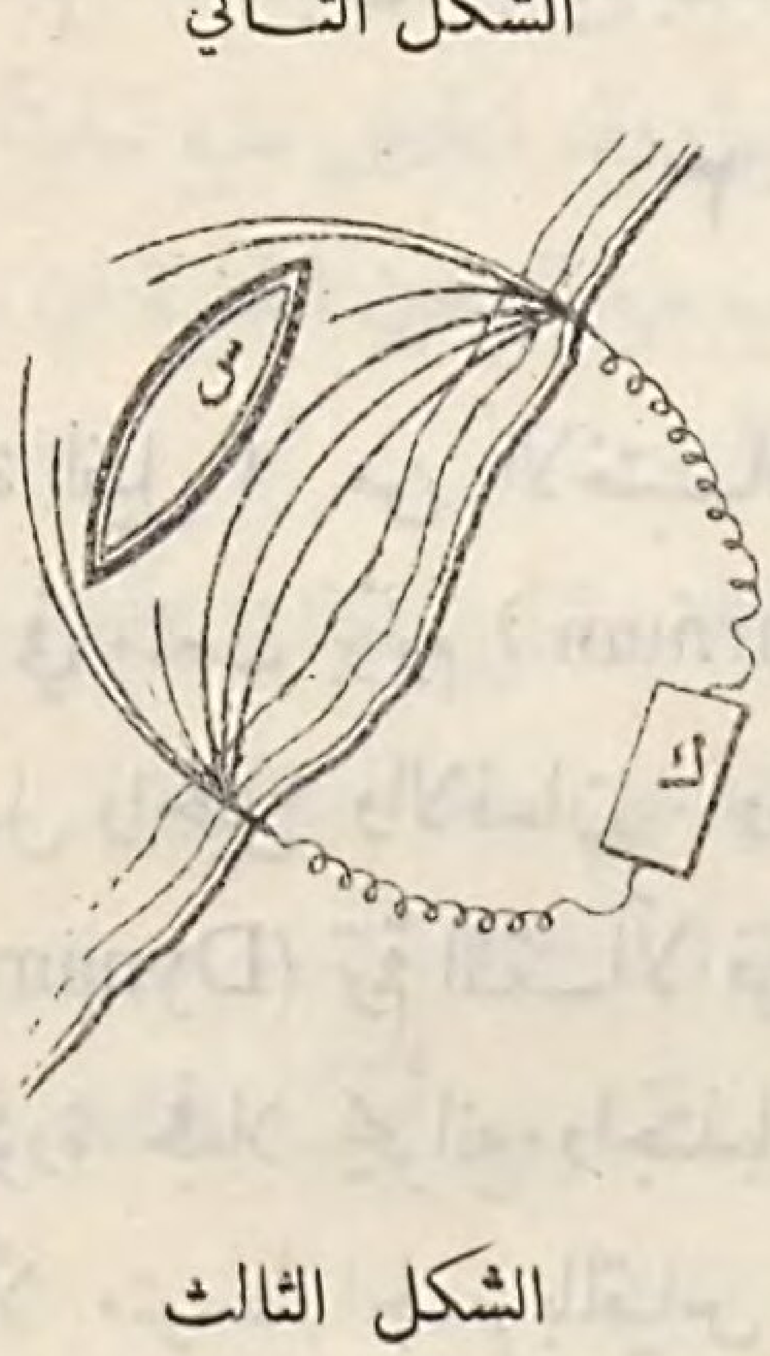


الشكل الاول

ودونك تلغرافًا ثالثًا استخدم السنة الماضية في يُستدام من اعمال المانية . والمبدأ الذي اعتمد عليـه المكتشفون في اختراعه هو انّك اذا وصلتَ قطبَيْ (ق ق) بطاريةٍ (ب) بصفيحـة فِلزّيَّة (ف ف) رأيت حالًا بين القطبين خطوطًا (اااا) تسمى خطوط قوّة (lignes de force) . وشدّة امتداد هذه الخطوط تكون متفاوتةً على تفاوت بُعدها عن القطبَين ثمّ اذا جمعتَ بين النقط المتساوية الشدّة الّفتَ خطوطًا (د د د د) يقال لها خطوط مساواة (lignes de niveau) . فاذا وضعت تليفونًا (ت) على مواضع شتّى من خطّ مساواةٍ واحد فلا تجد بينها من فرق ولا تسمع صوتًا في التليفون . امّا اذا جعلتهُ على خطوط مساواة مختلفة فللحال يتولّد في التليفون مجرى كهربائي ذو صوتٍ (انظر الشكل الثاني)



الشكل الثاني



الشكل الثالث

فبناء على هذا المبدأ اذا غمستَ مثلًا في بحيرة او بحرٍ صفيحتين فِلزّيتين مواصلتـين لقطبَيْ آلة كهربائية قويّة تدعى دينـامو يتولّد في الصفيحتين خطوط قوّة كما قلنا . فاذا انزلت من سفينة او سفينتـين تليفونين بحيث انهمـا يمسّان خطوطَ مساواةٍ مختلفة سمعتَ في التليفونين اصواتًا تقـدر على ضبطها بواسطة آلة الدينامو التي في البرّ . فذلك كما ترى وسيلة جديدة سهلة للمراسلة بين البرّ والبحر (راجع الشكل الثالث)

٢ (طريقة لتسييل الهواء مع بيان خواصّ الهواء المائع) لا يخفى ان الغازات يمكن ان تُجعَل مائعةً اذا ضُغطت ضغطاً لائقاً مع اعمال البرد فيها

امّا الهواء فانّهُ يقتضي تبريدًا جسيمًا يبلغ مائةً واربعين درجة تحت الصفر . وقد اكتشف المعلّم لِندي (Linde) من اهالي مدينة مونيك جهازًا تمكّن بهِ من تسييل الهواء وهو على غاية البساطة . ومبدأُهُ هو ان انفجار كل غازٍ من نافذةٍ ما يسبّب تبريدًا تكون درجتهُ مناسبة لِقدر اقتراب الغاز الى حال سيلانه . وعليهِ فجهاز المسيو لِندي عبارة عن وعاء يُضغط فيهِ الهواء ضغطاً قويًا . ثمّ انبوب (شبيه بانبوب الانبيق) يتبرّد فيهِ الهواء المنبعث من الوعاء المذكور ثم انبوبٍ ثانٍ ينفجر فيهِ الهواء انفجارًا شديدًا فيتميّع . وهذه الآلة البسيطة كان اختراعها منذ سنة ١٨٩٥ . امّا اليوم فقد اكتُشفت آلات أُخرى يُسيّلون فيها الهواء بكمّية وافرة

ومن خصائص الهواء السائل انك اذا صببتَ قليلًا منهُ في إناء من الزجاج او الخزَف تراه يَغلي ويغرغر الى ان تنحطّ حرارة الإناء الى درجة ١٨٠ تحت الصفر

واذا اسقطتَ قطرةً من الهواء السائل على صفيحةٍ تراها تتفلّك وتتحرّك وتدور بسرعةٍ كقطرة من الماء تقع على صحيفة من الحديد المُحمَى

واذا كان الهواء السائل خالصاً فهو شفّاف ولونه ضارب الى الزرقة ولا يتحوَّل الى بُخار الّا بعد مدة ساعة

ومن الاختبارات العجيبة انك اذا غطستَ قطعة حديد في اناء مملوء من الهواء السائل عند تبخيرهِ ثمّ استخرجت الحديد بعد مدة وجيزة تجدهُ قَصِمًا سريع الانكسار

٣ علم الحيوان

(قوّة الفيل) من الاختبارات المفيدة التي اجراها المسيو بَيلي (Bailey) الانكليزي في ملعب بَرْنوم (Cirque Barnum) انّه قابل ما يستطيع جذبَهُ كلٌّ من الفيل والخيل والانسان . وذلك انَّهُ قد نصب في الارض آلةً لقياس القِوى (Dynamomètre) ترفع اثقالًا فوق ٣٠ طنًا . ثم ربط فرسين مضبوري الخلق بلَولب الآلة المذكورة فجعلا يجرّانهِ . واجتذبا اللولَب الى درجة تناسب قوة ١٢٢٠ كيلوغرامًا . ثم ربط فيلًا متوسط الجسم بالمقياس وقرنهُ بحبال مشدودة برأسهِ . فجرّ اللولب الى ما يوازي

٥٥٨٨ كيلو . ثم قرن بالآلة رجالًا اقوياء فلمَّا انتهوا من اجتذابهـا الى الدرجة التي ادركها الفيل اخذ يعدُّهم واذا بهم ٨٣ رجلًا . فتأمل .

٤ علم الزراعة

(اكتشاف شجر قطن عظيم) قد لاحظ المسيو كيـل (Kyle) في بلاد كُنغو بالقرب من محلٍ كان ضرب فيهِ خيامهُ بقيعًا من اشجار القطن الشاهقة يبلغ ارتفاعها ستة امتار . وعلى كل منها عُطبة جسيمة من القُطن . امَّا ساق الشجرة فهو جِذل دون اغصان ولهُ حبٌ في اسفلهِ ينبت في اصل اوراقهِ العريضة . فلما رأى السيد المذكور تلك الاشجار العجيبة وفكَّر انَّ في غرسها لَتوسيعًا معتـبرًا لنطاق الزراعة اقتطف شيئًا من بزرها فاعطاهُ زارعًا اميركيًّا ليبذُرها فيخبرهُ عن نتيجة اختبارهِ . فاخذها الرجل الاميركي وبذرها في تربةٍ مساحتها ستَّة هِكتارات . فلما نمت الاشجار وزكا زرعها واتت باثمارها اعلم المسيو كيـل انَّهُ لم يرَ قط مثل هذا القطن الافريقي العجيب الوافر الدَّخل . وان بين الاشجار المذكورة ونباتات القطن الاميركية المتنوعة فرقًا عظيمًا من كل الاوجه . وخلاصة ما يُستنتج من هذا الاكتشاف الجليل انَّ من استعمل تلك البذور الافريقية يمكنهُ ان يقتصـد مساحة ارضٍ تبلغ ستِّين في المئة وهو يجتني من القطن الكميَّة نفسها كمن ذي قبل

٥ علم الطبّ

(ضرر نُفَاثات المسلولين المجفَّفة) كان العـلامة فريك (Fricke) قد اكَّد ان الهَباء المتصاعد من جُفاف نَفَثات المسلولين لا خطر فيها . وقد اعترض عليهِ حديثًا الدكتور كُرْنت (Cornet) من برلين فاثبت بما لا مردَّ عليهِ من البراهين الحسّية ان زعم المسيو فريك غير مطابق لحقيقة الحال . واليك نص كلامه قال :

« قد بسطتُ في غرفة من غُرَف الدائرة الصحية الامبراطورية فراشًا نظيفًا ونثرت عليهِ نفاثات مسلولٍ خلطتها بالتراب . ثم اقفلت القاعة وتركتها على حالها مدة يومين

ثم ادخلت فيها ٤٨ خنزيرًا من الخنازير الهندية (Cobaye) وجعلت بعضها على رفوف متفاوتة العلو من مترٍ الى ٧ امتار . وتركت البـاقية على متخَت القاعة . ثم كنَّست البساط بمكنسة غليظة حتى امتلأت القاعة من هبوة الغبار

« فلمّا مضت مدّة من الزمان رجعت الى القاعة فوجدت ٤٦ خنزيرًا قد أُصيب بداء السلّ . ولم اقدر على صيانة نفسي منهُ مع ما اتّخذت من وسائل الحذر . فاني كنت قد لبستُ دُرّاعةً كبيرة تحجب جسمي كلّهُ . ووضعت على رأسي كمّة وعلى وجهي لثامًا كثيفًا فيهِ ثُقبان للعُوينات . ورغمًا عن كل ذلك فتولّج المكروب الى انفي . وانما تحققتُ ذلك بتلقيح احد الخنازير الصحيحة بمخاطي فلم يلبث الّا يسيرًا حتى اصابهُ المرض كسائر الخنازير »

والحقّ يقال ان في هذا الاختبار برهانًا مقنعًا على ما في انبثاث الغبار الساطع من نُفاثات المسلولين من الخطر العظيم

٦ علم الجغرافية

يعلم القرّاء انّ المسيو اندري (Andrée) السويدي قد باشر رحلةً علميّة الى القطب الشمالي فجهّز لذلك منطادًا خصوصيًا سماهُ أُرنين (Ornen) فركبهُ هو واصحابهُ بمدينة ڤيرغو (Virgo) من اعمال سپيتزبرغ في ١١ تموز من السنة المنصرمة

ولا يُعرف حتى الآن اين وصلوا . انمّا الخبر الوحيد الذي ورد من سفرهم كتابةٌ وجيزة حملتها حمامة من سُعاة الحمام بتاريخ ١٣ تموز ١٨٩٧ وكانوا وقتئذٍ قد ادركوا الدرجة ٨٢ ودقيقتين من العرض الشمالي والدرجة ١٥ و٥ دقائق من الطول الشرقي وهاك نصّ رسالتهم : « سفرُنا الى الشمال سعيد وحال الراكبين جيّد . وهذه البطاقة هي ثالثة الانباء التي ارسلناها بواسطة الحمام »

فيُستدل من هذه الكتابة على ان المسافرين قد ساعدهم الجوّ اذ قطعوا في مدة ثلاثة ايّام نحو ٣٠٠ كيلومتر فهل تغيّرت حالة الجوّ بعد التاريخ المذكور او طرأ عليهم حادث من الحوادث او هلكوا من الزمهرير في تلك الانحاء القارسة . فلا سبيل الى الجواب على هذه الاسئلة . ولذلك عزمت الشركة الانثروپولوجية السويدية على ارسال الدكتور سترادلنغ (Stradling) الى القطب الشمالي ليفتّش عن امر هولاء المساكين فمنذ بضعة ايّام غادر المذكور مدينة ستوكلم ولا يرجع الّا في شهر كانون الثاني من السنة الآتية . والله المسؤول ان يمدّهم بعونهِ فيخلصوا جميعهم من الهلكة

هذا ما يختصّ بالاسفار الى القطب الشمالي اما القطب الجنوبي فقد عمدت الى زيارتهِ شركة بلجكية رئيسها المسيو دي جرلاش (de Gerlache) فركبوا البحر على سفينة

بلجكا (Belgica) في مرفأ پنتاس اريناس من بلاد شيلي واخذوا معهم حمامتين . وعند وصولهم الى اوشوايا (Ushuaia) وهي فرضة صغيرة من اقاصي ارض النار ارسَوْا مدَّةً لاتخاذ الفحم . فلما انتهوا من ذلك وابتعدوا عن شاطئ الجزيرة وقطعوا رأس هُرْن ارسل المسيو دي جرلاش الحمامتين فلم يرجع الى پنتاس ارينـاس سوى احداهما . امَّا مضمون الكتابة التي اتى بها الطير هو ان حال السفينة والمسافرين حسنة وانهم يتوجهون توًّا الى القطب الجنوبي

واجمع العلماء القول بانَّ بعثة البلجكيين ستُكلَّل بالنجاح وان النتائج العلمية التي تفوز بها ستكون على غاية الفائدة لجغرافية الانحاء الجنوبية

٧ فنون البنيان

١ (دولاب باريس العظيم) ان الدولاب العظيم الذي سيدور في معرض باريس سنة ١٩٠٠ سيكون على مثال دولابٍ شُوهد في معرض شيكاغو الاخير . وقـد تمَّ تجهيز اجزائه وبوشر باقامته في ساحة سوفرين (Suffren) والغرض منهُ ترقية الزُّوَّار دون ادنى ارتجاج الى علوّ ١٠٠ متر لمشاهدة عجائب المعرض

ومادَّة الدولاب الفولاذ وقطر دائرتها ١١٠ امتار وثقلهُ ٨٠٠ طنّ . امَّا محرّكهُ فآلة بخاريَّة شديدة تديرهُ بواسطة حبلين معترضين عليهِ . ومدَّة كل الدوران ستكون ٢٠ دقيقة

٢ (السكة الحديدية في سيبرية) أُخبر من مدينة تُمسك ان اوَّل قطار بلغها رأساً من بطرسبرغ قد غادر عاصمة روسية صباح ١ نيسان الساعة ٩ فانتهى الى تمسك اليوم السابع من الشهر المذكور الساعة ٥ بعد الظهر . ومن عجائب هذا المشروع البهيّ انَّهُ ليس في المسكونة سكة حديدية سواها يسير عليها القطار ستة ايَّام وستّ ليالٍ دون انقطـاع والعَجَلات كلها محكمة البناء لا يشعر المسافر بحركتها ولا يسمع دويّ دواليبها . والتنوير فيها بالكهرباء وفي وسط العجلات مخدع للمطعم وآخر للمكتبة وغيرهُ للآلات الموسيقية وللآلات الرياضية

والحكومة الامبراطورية ساعيةٌ في اتمام هذا المشروع باقرب وقت . الَّا انّ شدّة البرد تحول دون السرعة في العمل فتنقطع الاشغال سبعة اشهر في السنة

٨ المناطيد الحربية

لا خفاء ان للمناطيد الحربية فوائد عظيمة اذا ما احسن العساكر وجه استخدامها في الجوّ . فلذلك كلّما ازدادت الاكتشافات المؤدية الى تدبير حركة المناطيد ازدادت من جهة اخرى الاختبارات المؤدية الى منعها والحذر من شرّها . مثال ذلك الاختبارات التي جرت حديثًا في ميدان انتربوك (Interbogk) بالقرب من برلين كانت خلاصة نتائجها ان رصاص البندقيَّات المُرسَل الى علوّ ١٠٠٠ متر لم يؤثر في المناطيد شيئًا لانَّ ضغط الجوّ يسدّ للحال كلَّ الاثقاب التي تعملها القذائف فيمنع انفجار الغاز الموجود في المنطاد . امَّا المدافع فانَّها تستطيع ان تسقط المناطيد عن علوّ ٤٠٠٠ متر لان القذائف تسبّب في لفائفها خروقًا واسعة لا طاقة لضغط الهواء على اصلاحها

٩ الصنائع والتجارة

١ (مقدار نفاد القهوة) قد بلغ استعمال القهوة في الولايات المتحدة حدًّا لا نظير لهُ في سائر اقطار العالم . فان اهالي هذه البلاد قد انفدوا ٣١٨,١٧٠ طنًّا من القهوة اي اكثر ممَّا استنفدهُ جميع سكان اوربَّة الذين لا ينفقون منها سوى ٣٠٥,١٥٠ طنًّا

امَّا البلاد الاوربية التي احرزت قصب السبق في هذا الميدان بعد الولايات المتحدة فهي اوَّلًا المانية (١٣٦,٣٩٠ ط) ثم فرنسة (٧٧,٣١٠) ثم ايطاليــة (١٢,٥٠٠ ط) ثم انكلترة (١٢,٤٢٠ ط)

٢ (الالماس) نشرت مجلَّة (The Mineral Industrie) الانكليزية جدولًا لبيان كمّيَّة تعدين الالماس في افريقية الجنوبية سنة ١٨٩٧ فاليك بعض ما ورد في الجدول المذكور :

ان مستعمرة الرأس قد استخلصت الماسًا يبلغ قيمتهُ ١٠٠ مليون فرنك . ودولة أُرانج المستقلَّة ١٠ ملايين . امَّا مبلغ كل ما استُخرج في العالم من الالماس فصيغ للحليّ سنة ١٨٩٧ فانَّهُ يرتقي الى جملة ٥٣٧,٥٠٠,٠٠٠ فرنك

ويستفاد من هذه الاعداد ان الالماس الموجود في غير افريقية الجنوبية قليل جدًّا وبلاد برازيل التي كانت لها اليد الطولى في معامل الالماس لا ترسل اليــوم سوى الماس اسود يُستخدم في الصنائع

٣ (مبارزة بين الدرع والمدفع) من المعلوم ان الدروع وصفائح السفن الحديدية لم تكن وافية بشروط الدفاع قبل اكتشافات المسيو هرڤي (Harvey) (راجع المشرق عدد ١٢ ص ٥٢٩) امّا الدروع التي اخترعها العلّامة المذكور فهي متألفة من النيكل والفولاذ المختلطين على مقادير معلومة بحيث ان وجه الدروع يكون متصلباً غير قابل لنفوذ قذيفة من القذائف . الّا ان مادة صفائح هرڤي قَصِمة يصيبها خلَل فالكرات تشقّ وجهها لا سيما قنابل هُلتزر (Holtzer) القوية

والآن اخبرتنا المجلات الاوربية ان مهندسي معمل كروپ المشهور قد اخترعوا صفائح نيكلية جديدة يُحصل عليها بواسطة الغاز وهي على ما يقال امتن من دروع هرڤي واصلب منها حتى انها لا تقبل ادنى تأثير من اقوى القذائف واضرّها

غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري

للاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما قبل)

٨ كتب شتّى

يبقى لنا لتعريف اعمال ابن العبري ان نذكر لهُ بعض تآليف لم تدخل في الابواب السابقة لعدم علاقتها بموادّها فأفردنا لها باباً خاصّاً

واوّل هذه التصانيف كتاب لابي الفرج في تفسير الاحلام (ܟܬܒܐ ܕܦܘܫܩ ܚܠܡܐ) وضعهُ وهو في ريعان شبابهِ بناهُ على مراقبة الكواكب ورَصْد البروج كما فعل ابن سيرين عند العرب . ولا يخفى ما في هذا الامر من الشعوذة والخرافات اذ لا يجوز تصديق الأحلام ما لم يأتنا الله بدليلٍ صادقٍ على ارادتهِ عزَّ وجلَ كما فعل مع يوسف الحُسن او دانيال النبي

والكتاب الثاني الذي لم يمكنّا ادراجهُ فيما سبق هو كتاب تفسير إيروتاوس (ܟܬܒܐ ܕܦܘܫܩܐ ܕܐܝܪܘܬܐܘܣ) وكتاب ايروتاوس من تآليف اسطفان بَرصُدَيلي في اوائل القرن الخامس للمسيح كان هذا من زنادقة عصرهِ يذهب الى مذهب الطبيعيين والملاحدة يقول

بتألّه الكائنات وينكر خلود عذاب الجحيم فنفث سمّ تعاليمهِ في كتابٍ نسبهُ لايروتاوس تلميذ بولس الرسول على زعمـهِ واوّل اساقفة اثينة قبل القديس ديونيسيوس الاريوباغي. فسرى هذا التأليف بين هراطقة السريان يتناقلونهُ سرًّا. ولمّا جلس على كرسي انطاكية تاودوسيوس البطريرك اليعقوبي (٨٨٧—٨٩٦ م) وضع شرحًا مطوّلًا على كتاب ايروتاوس. فجاء بعدهُ ابن العبري وهذّب هذا التفسير ورتّبهُ (١ وكان هو عنـهُ في غنًى سامحهُ الله. وفي مكتبتنا الشرقية نسخةٌ قديمة من هذا الكتاب السرّي وجدناها في مدينـة آزخ ينقصها بعض صفحات في اوّلها وآخرها وهي تختلف عن نسخة باريس (Fonds syriaque, Ms. 227, n° 4) ولعلّها اصل كتاب بَرْصُدَيْلي فانّها توافق ما كتبهُ فرُتِنْغام (٢ عن أقسام هذا الكتاب وهو سبع مقالات او ميـامر وكلّ مقالة تحتوي عدّة فصول

وقد ورد ايضًا لابن العبري في بعض كتب باريس الخطّية (عدد ١٤٩ ص ١٦١) خطبةٌ في التوبة مكتوبة بالكرشوني تُقرأ عند اليعاقبة كرثاة على الجنازة

فهذه هي الكتب او قل بالاحرى الدرر الثمينة التي خلّفها ابن العبري لنصارى الشرق وهم يتوارثونها ككنزٍ يفتخرون بهِ ونبراس يستضيئون باشعّتهِ طالما لاح كوكب في السماء وغرّدت فوق الأيك ورقاء

١٢

قد انجزنا في ما سبق لنـا من الكلام بوعدنا ان نستقري اعمال ابن العبري ونستوفي بذكر ما انتجتهُ قريحتهُ الوقّادة من التآليف النفيسة. بيد انّنا لا نودّ ان نختم مقالتنا هذه دون ان نكشف القناع عن بعض ما فرط لابن العبري من الاغلاط ليأخذ القرّاء منها حذرهم عند مطالعة كتبهِ العديدة والمثل يقول انّ غلطة العالِم يضلّ لها عالَم. وقيل ايضًا: زلّة العالِم يُضرَب بها الطبل وزلّة الجاهل يُخفيها الجهل

واوّل ما نأخذ على ابن العبري انتصارهُ لشيعة المنوفيزيتين اي القـائلين بطبيعة واحدة في المسيح. ومن المعلوم انّ هذه البدعة ناصبت المجمع الرابع المنعقد بخلقيدونيـة (سنـة ٤٥١ م) حيث أبسل الآباء اوطاخيَ وديوسقورس وبرصوما وندّدوا باضاليلهم

---

١) راجع Frothingam : *Stephen Bar Sudaili and the book of Hierotheos*, p. 8

٢) *Ibid.*, 91 - 111

فدحضوها. الّا انَّ اشياع هؤلاء المبتدعين لم يزالوا يتلوَّنون كابي براقش ليتملّصوا من حكم الكنيسة وكثيرًا ما تضاربت اقوالهم في طبيعتي المسيح. فكانوا في بادئ الامر لا يسلّمون الّا بوجود طبيعة واحدة. فلمَّا بيَّن لهم الآباء صريحًا ببراهين عقليــة ونقليّة ان في قولهم لشططاً كبيرًا اخذوا يقولون بالطبيعتين الّا انَّ بعضهم زعموا انَّ تينك الطبيعتين امتزجتا امتزاج الخمر بالماء فنتج عن اختلاطهما طبيعة اخرى جديدة. ومنهم من ذكر هذا الامتزاج غير انَّهم ارتأوا انهُ حصل باتحاد الطبيعتين طبيعة مركّبة (ܟܝܢܐ ܚܕ ܡܪܟܒܐ) او طبيعة مضاعفة (ܟܝܢܐ ܚܕ ܥܦܝܦܐ) وهذا القول الاخير هو هو الذي شاع عند اليعاقبة. وفي كتُب ابن العبري ما يُشعر بهذا الضلال لا سيَّما في الدستور الذي وضعهُ للايمان وفي كتابهِ منارة الاقداس (راجع ص ٥٥١)

وممَّا قالهُ في قانون الايمــان: « انَّنا نؤمن... انَّ في سيدنا يسوع المسيح طبيعتين هما اللاهوت والناسوت. وانَّ اتحاد لاهوتهِ مع ناسوتهِ اتحادٌ عجيب يفوق كلّ وصف صار بلا اختلاط ولا تبلبــل ولا تغيُّر ولا تحوُّل ولا امتزاج. وقد سَلِم الفرق بين الطبيعتين القــائمتين في ابنٍ واحدٍ ومسيح واحد واقنوم واحدٍ ». وهو لعمري قول جدير بأَن يُرقم بماء الذهب الّا انَّ صاحبهُ افسدهُ او قُل بالاحرى انَّهُ ناقضهُ بما اردف: « والمسيح جوهر واحد ومشيئة واحدة وقوَّة واحدة وعمل واحد ». فقولهُ جوهر واحد (ܚܕ ܐܘܣܝܐ) يبيِّن ان ابن العبري جهــل او تجاهل في معنى الجوهر. والجوهر كما لا يخفى هو الطبيعة المنفردة فترى كيف يكون المسيح طبيعتان ولا يكون لهُ جوهران ؟

واماَّ قول ابن العبري انَّ « المسيح مشيئة واحدة وقوَّة واحدة وعمل واحد » فقــد زاد بهِ على ضلالهِ ضلالًا وتمذهب بمذهب المنوتليتيين القــائلين بالمشيئة الواحدة. أفنسي سامحهُ الله صلاة المسيح في البستان حيث يقول لابيهِ (متّى ٢٦: ٣٩): ليس كمشيئَتي بل كمشيئتك ؟ ولا ريب في انَّ الربّ يقابل هنا بين المشيئَة البشريَّة والمشيئة الالهية. او كيف استطاع ابو الفرج ان يقول بعمل واحد في المسيح ؟ أَلعلَّهُ يقول انَّ الاكل والشرب والنوم والموت من اعمال الطبيعة الالهية ؟ او يزعم انَّ إحياء الموتى وطرد الشياطين وفعل المعجزات من اعمال الانسان ؟. فبالحقيقة لا نفهم كيف فات ذلك ابنَ العبريّ مع سموّ مداركهِ وغزارة فهمهِ. فسحقًا للضَّلال فانَّهُ يعمي البصيرة ويُتيه صاحبهُ في بيداء الوهم والتُّرَّهات

هذا وانَّ اليعاقبة في زماننا لا يتجاسرون على ان يفرطوا في مقالهم عن طبيعتي المسيح ومشيئتيهِ وكثيرًا ما يضربون الصفح عن هذه المباحث الخطيرة لئلَّا يدحض الكاثوليكيون حججهم الباطلة وقد بلغ الامر في ذلك الى انَّهم لم يأتوا بذكر الطبيعتين في كتاب تعليمهم المسيحي المطبوع في دير الزعفران سنة ٢٢٠١ لليونان (١٨٨٩ م). ومنهم من يذهب الى انَّ هذه المسائل من عرَضيَّات الايمان ليس تحتها كبير امرٍ فيسوغ القول بها او العدول عنها على سواء دون ان يلحق بجوهر الايمان ضرر. وهكذا ارتأى ابن العبري نفسهُ في آخر مقالتهِ عن الهرطقات في كتاب منارة الاقداس

ومن عجيب الامور انَّك لا تكاد ترى في دساتير الايمان التي كتبها بطاركة اليعاقبة في هذا العصر من هذا القبيل ما تنبذهُ الكنيسة الكاثوليكية. ودونك ما ورد في دستور الايمـان للبطريرك جرجس الرابع سنة ٢١٣٢ لليونان (١٨٢٠). واصل هذه الكتابة بالكرشوني محفوظ في خزانة مكتبتنا الشرقية تيسَّر لنا الحصول عليهِ في ماردين منذ ثلاث سنوات (١ قال :

« .... سادسًا ونؤمن ونعترف انَّ الجسد الذي اتحد بهِ الكلمة لم ينزل معهُ من السماء وليس هو خيالًا بل جسدًا حقيقيًا ابن طبعنا ذا نفسٍ عاقلة ناطقة. وأنَّ الطبيعـة الغير المائتة والغير القابلة الآلام والاعراض الجسدانية سرتْ واتَّحدت بالجسد ذي الطبيعة المائتة والقابلة الآلام والاعراض وصار منهمـا مسيحٌ واحدٌ وابنٌ واحدٌ وشخصٌ واحدٌ فاعلٌ للآيات والعجائب (٢ وقابلٌ للاعراض كالتَّعب والنَّصب والآلام (٣ وطُعن بالحربة فجرى من جنبهِ دمٌ وماءٌ ومن عاين شهد وشهادتهُ حقٌّ. وذلك بالتدبير السرّي الذي هو يعلمهُ وقد شاءَ بهِ اذ ليس الناسوت فعل بهِ وحدهُ هذا الفعل كأنَّ اللاهوت مفترقٌ منهُ او بعيدٌ عنهُ. حاشا. بل باتحاد اللاهوت بهِ لانهما متَّحدان بوحدانيَّة غير مفترقة في كلّ شيءٍ من التدبير... لا في القوَّات اللائقة بالله ولا في الآلام اللائقة بالانسان بل الطبيعتـان ثابتتان بوحدانيةٍ لا تضمحلّ ولا تفترق. والطبيعتان غير مختلطتين لئلَّا يضمحـلَّا بذَوْق الموت بل الظافرةُ بالموت واعراضهِ متَّحدة بلا اختلاط مع التي ظفر بها الموتُ.... وهكذا

١) وفي خزانة كتابات بطاركة السريان الكاثوليك في ماردين عدَّة دساتير ايمان خطَّتها البطاركة اليعاقبة تشبه هذه قد اطلعنا عليها سيادة المطران حنَّا معار باشي الجزيل الاحترام

٢) اعني من حيث هو اله ٣) يريد من حيث الناسوت

شهد القديس مار افرام (في ميمره الذي وضعهُ على الامانة) حيث يقول: « لو لم يكن انساناً كيف كان يحملهُ سمعان الشيخ على ذراعيهِ ولو لم يكن الهاً كيف كان يطلب منهُ الانطلاق بالسلام الخ ». وقال القديس يعقوب النصيبيني في كتاب الغفران... « خرج من بطن البتول بجال يفوق الطبيعة بما انهُ اله والتفَّ بالقماطات بما انهُ انسان. سبَّحتهُ الملائكة بما انهُ إلٰه ونظرهُ الرعاة بالمغارة بما انهُ انسان الخ ». فلأجل هذا نقول ان كل ما يليق بالناسوت فهو لهذا المسيح الواحد... الذي احتمل الآلام بجسدهِ واقام الاموات بلاهوتهِ فاذاً ليس هو اثنين بل واحداً مات بالجسد كانسان وظفر بالموت كاله... »

١٣

ومن اغلاط ابن العبري التي بها شرد عن الصراط المستقيم قولهُ في كتاب منارة الاقداس بانبثاق الروح القدس من الآب دون الابن. وهذا زعم غريب لم نعهد بمثلهِ عند اهل ملّتهِ اللهمَّ الّا في اعمال فيلوكسين المنبجي. واقوى برهان يفنّد هذا القولَ الشهاداتُ العديدة الواردة في كتب السريان والكلدان عن انبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً. ونكتفي هنا بذكر صورة الايمان التي وضعها آباء مجمع المدائن (كتيزيفون) في سنة ٤١٠ للمسيح قبل ابن العبري بنحو تسعمائة سنة فجاء في معرض عقيدتهم ما نصُّهُ: « ونعترف بالروح القدُس الحيّ البارقليط المنبثق من الآب والابن ». واتى ايضاً في ميامر يعقوب السروجي من مشاهير كتَبة القرن الخامس: « ونؤمن ونعترف بان الروح القدس ينبثق من الآب والابن ». وكتب البطريرك ديونيسوس الثالث في القرن العاشر الى مِنَّاس بطريرك الاسكندريَّة: « نعترف ان الآب ليس وجودهُ من احدٍ اذ هو موجود غير مولود وانَّ الابن مولود من الآب منذ الأبد وانَّ الروح القدس فائضٌ من الآب والابن »

ومن الشهادات التي تدخل في هذا الباب وتدحض مزعم ابن العبري دحضاً تامًّا ما اتى في كتب السريان الليتورجيَّة. فمثال ذلك ما يُقرأ في نافور القديس كسوسطوس (١: قدّس يا رب هذه التقادم بان يحلّ عليها روحك القدّوس الذي ينبثق منك ازليًّا ويستمدّ من ابنك استمداداً جوهريًّا »

وقد ورد في نافور ماروثاس والبطريرك اغناطيوس مثل هذه الاقوال التي تشير

---

١) راجع Renaudotii *Liturg. Orient. Collectio.*, II, 136

الى آية الانجيـل في يوحنا (١٦ : ١٤ — ١٥) : « متى جاء روح الحق . . . هو يمجدني لأنهُ يأخذ مما لي ويخبركم . جميع ما للآب فهو لي من اجل هذا قلتُ لكم انهُ يأخذ مما لي ويخبركم » . ففي قول الربّ هذا برهان جليّ على انبثاق الروح القـدس من الابن اتّفق عليهِ اكثر مفسّري الكتاب المقدَّس من آباء الكنيسة الغربية والشرقية

ولا نظنّ ان اعتقـاد اليعاقبة في يومنا هذا يختلف عن ايمان اجدادهم . فانَّ البطرك جرجس الرابع الذي سبق ذكرهُ يقول في دستور ايمانهِ ما نصُّهُ : « ليس هو (الروح القدس) آبٌ ولا هو ابن بل روح قدس وخاصَّتهُ الانبثاق لانهُ منبثق من الاب ومستمـدّ من الابن . قال القديس كسوسطوس بابا رومية في كتاب رتبة القدَّاس في دعوَة الروح القدس : المنبثق منك ازليًّا والمستمدّ من ابنك جوهريًّا الخ » . وورد في التعليم المسيحي المطبوع في دير الزعفران (ص ٦٤) برهان آخر على اعتقاد اليعاقبة حالًا بانبثاق الروح القدس من الابن فانَّ كاتب هذا التعليم يبيّن هناك انَّ الروح القدس هو روح يسوع ومن ثمَّ منبثق منهُ ويسند قولهُ الى آية سفر اعمال الرسل (١٥ : ٦) كما وردت في الترجمة السريانية

١٤

ولابن العبري ايضًا اضاليل أُخر وردت في كتبهِ منها زعمهُ في منارة الاقداس وكان سبقهُ الى هذا القول ديونيسيوس بَرْصليبي († ١١٧١) انَّ جوهري الخبز والخمر لا يستحيلان الى جسد ودم المسيح في القربان بل يتَّحد بهما لاهوت المسيح مع بقائهما خبزًا وخمرًا . وهذا غلطٌ واضح ينفيهِ تعليم الكنيسة اليعقوبية فضلًا عن الكنيسة الكاثوليكية . وهاك ما ورد في الصفحة ١٨٠ من تعليم اليعاقبة :

س هل يبقى الخبز خبزًا والخمر خمرًا بعد التقديس

ج لا بل بعد التقديس يصير الخبز جسدًا والخمر دمًا

وفي الاسئلة والاجوبة التالية يبيّن كيف انَّ عوارض الخبز والخمر باقية مع استحالة جوهريهما . وايمان اليعاقبة في هذا الامر لم يطرأ عليهِ ادنى اختلاف

وجاء ايضًا لابن العبريّ في كتاب المنارة قولٌ لا يرضى بهِ الايمان الكاثوليكيّ نقلهُ عن موسى بَرْكيفا احد مشاهير شيعتهِ ويزعم كلاهما انَّ نفوس الابرار لا تدخل السماء بعد الوفاة بل تبقى في الفردوس الارضيّ الى يوم الدينونة فتجتمع باجسادها حينئذٍ وترث الحياة الابدية . وزاد ابن العبريّ على ذلك انَّ هذا الفردوس سيكون بعد القيامة مسكنًا

لانفس قسم من البشر ليسوا من الابرار ولا من الصالحين . وكلا هذين القولين فاسد . امَّا الاوّل فيبطلهُ اعتقاد معظم الكنائس الشرقية والغربية وهي كلُّها تكرّم اولياء الله وتلتجئ الى شفاعتهم وتنعتهم بمشاهدته تعالى عيانًا وذلك ممَّا لا يصحُّ القول بهِ لو لم تحظَ هذه النفوس برؤيا الله عزَّ وجلَّ قبل القيامة . وامَّا الثاني فهو قول لا يُعبأ بهِ والنصارى جميعًا لسان واحد في رفضهِ فانَّهم على اختلاف مذاهبهم يقرّون بانَّ بعد الدينونة حالتين فقط فيحظى البشر بالنعيم او يُلقَوْن في الجحيم وكلاهما ابديٌّ لا ينتهي (راجع متّى ٢٥ : ٤٦ الخ)

وقد استثنوا من هذا الحكم الاطفال المائتين قبل العماد فانَّهم يُحرَمون معاينة الله لكنَّهُ لا يمسّهم عذاب الحسّ . امَّا سكناهم فقد تضاربت الآراء في تعيينها . فقال قوم انَّها الينبوس وقال آخرون انَّهم يسكنون الفردوس الارضي وقيل انَّهم يقطنون الارض

١٥

هذا وانَّ ابن العبريّ قد اتَّبع في بعض مزاعمهِ آراء ضعيفة (١ لقدماء اللاهوتيين والفلاسفة والطبيعيين لا يسعنا هنا تعدادها ودحضها فعلى من يعثر عليها في كتبهِ ان يعرضها على معيار الحكمة ويقابل بينها وبين ما تقرّر الآن عند علماء عصرنا فينكبَّ عن جادَّة الضّلال

ومع ما ذكرنا لابن العبريّ من الاغلاط لا ننكر ما لهُ من عميم الفضل وطول الباع في جميع علوم الاقدمين وقد قيل ليس جوادٌ الَّا ويعثر ولا كامل الَّا الله عزَّ وجلَّ ولنا نحن الكاثوليكيين اسبابٌ خاصَّة تبعثنا على إطراء هذا الرجل العظيم والثناء عليهِ لانَّهُ مع كونهِ من شيعة انفصلت عن الكنيسة الرومانية منذ القرن الخامس قد اتى بشواهد جمَّةٍ تُفصح عن صحَّة عقائدنا واستقامة ايماننا فان استقريت مصنّفاتهِ لا تكاد تجد تعليمًا واحدًا من تعاليم الكاثوليكيين ممَّا نكرهُ عليهم أخصامهم الَّا وتجد في تآليف ابن العبريّ عليهِ شهاداتٍ لا يشيبها ريب . ولو سردنا اقوالهُ عن كلّ هذه المعتقدات بابًا بابًا لا تَّسع بنا المجال وطال المقال وحسبنا ان نذكر هنا بعض اقوالهِ في رئاسة القديس بطرس والاحبار الرومانيّين

فممَّا ورد لهُ في هذا الشأن ذِكْرُهُ لهامة الرسل في سجلّ عظماء الاحبار كخليفةٍ لقيافا وحانان آخِرَيْ احبار العهد العتيق فقال في تاريخهِ الكنسيّ (١ : ٣١) « وانتهت (بقيافا وحنان)

١) وفي الصفحة ٥٠ من تاريخ الدول قول لابن العبري في سفر الجامعة دحضهُ الاب صالحاني

رئاسة الكهنوت القديمة وابتدأت رئاسة الكهنوت الحديثة التي ثبَّتها مخلّصنا لمَّا جعل بطرس هامة الرسل وسلَّمهُ مفاتيح ملكوت السماوات. فقام اذن بعد رؤساء كهنة العهد العتيق بطرس رئيس كهنة العهد الجديد ». فلعمر الحقّ انّ هذا القول لخالٍ من المعنى لو لم يفهم ابن العبريّ انّ لبطرسِ الصفا الرئاسة التامّة على الرسل اخوتهِ والكنيسة جمعاء وانّ لخلفائهِ ليس فقط حقوق التقدُّم والشرف على سائر الكنائس بل ايضًا حقوق الامر والسلطان كما كانت لعظماء احبار العهد العتيق. وفي شرح ابي الفرج على قول الربّ في انجيل متّى (١٦ : ١٨) وفي انجيل يوحنًا (٢١ : ١٥—١٧) ما يُشبه قوله السابق لا حاجة لاثباتهِ

وقد ذكر ايضًا ابن العبريّ مرارًا عديدة في كتبهِ كرسيّ رومية او بعضَ احبارها الأجلّاء وهو لا يسهو عن ان يُشعر باعترافهِ لهم بالرئاسة الكاملة فيدعو كنسة رومية امّ جميع الكنائس ورأسها ويدعو احبارها رؤساء البيعة الجامعة واصحاب الكرسيّ الاوّل. بل اثبت ايضًا في كتاب الهداية قانون المجمع النيقاوي الوارد في هذا الصدد وهو قول الآباء: « ولتكن الكراسيّ البطريركية اربعةً بعدد اربعة انحاء المعمور. امَّا الرئاسة العظمى على هذه الكراسيّ فهي لرومية ». ولابن العبري ملاحظات وتفاسير على قوانين المجامع لاسيَّما انَّهُ اذا بطل بعض القوانين ينبّه على ذلك ولا تراهُ هنا فاه ببنت شفة وسكوتهُ شاهد على انَّهُ يقرّ بقوّة هذا القانون القديم ويسلّم بصحّتهِ. وهذا برضٌ من عدّ التقطناهُ من اعمال ابن العبريّ وفيه كفاية لمن طلب الهدى

ونختم هذه المقالة طالبين من مراحمهِ تعالى ان يزيل من بين الشعوب المسيحية كلّ خلاف وخصام ليرعوا المراعي الخصبة في حظيرة واحدة تحت رئاسة راعٍ واحد. فانَّهُ السميع المجيب (انتهى)

كتاب
تاريخ بيروت
لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

ذكر الامير زين الدين صالح بن عليّ بن بحتر بن عليّ امير الغرب

كان زين الدين من اشجع اهل زمانهِ واشدّهم بأسًا ذا كرم وافر ومروءة زائدة (١

---

١) ورد في ذيل كتاب المؤلف ما نصُّهُ: وموجب معاصرتهِ لجمال الدين وسعد الدين انَّهُ

وهو الذي شيَّد مجد البيت مع ناصر الدين الحسين ولو لم يكن الَّا عمائرهما لكان لهما بها المجد الوافر

وقد وجدت بخطّ بعض السلف: حضر ابن ودود (كذا) وابن حاتم (١ الى الغرب وصحبتهما العساكر وجمعا عليهِ العشران من ولاية بعلبك والبقاعين فكسرهم اولاد امير الغرب ونهبوهم ثمّ امَّنوهم وخلَّوا سبيلهم وذلك بقرية عيتات اليوم الثاني من شهر ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمائة (١٢٥٩ م). وسمعتُ ممَّن لهم دُربة باخبار الناس انَّ زين الدين المذكور كان سبب كسرتهم ولهُ في هذه الكائنة شهرة كبيرة

(قلتُ) وهذه الكائنة حدثت في ايَّام الناصر يوسف سلطان الشام والمُعزّ ايبك التركماني سلطان مصر (٢ كان بينهما خلف وحرب وكانت الفرنج بالسواحل (٣ والمظنون عليهِ انَّ الشاميين كانوا قد نسبوا امراء الغرب الى المصريين فعملوا معهم ذلك. ومن الدليل (29^r) على ذلك وجود المنشور الذي من المعزّ ايبك باسم سعد الدين خضر المقدَّم ذكرهُ في ترجمة سعد الدين المذكور وقلنا انَّ الفكر يتحيَّر فيهِ لكون بيروت من الشام والمنشور مصريّ. وكان الناصر يروم اخذ مصر والمعزّ يروم قهر الناصر وبقي الامر بينهما على المنازعة حتى مشى بينهما نجم الدين الباذرّاي (٤ فاصلح بينهما واتَّفقا على ان الشام الى العريش (٥ تكون للناصر والديار المصرية للمعزّ وذلك في سنة ثلاث وخمسين وستمائة (١٢٥٥ م). وقد تقدَّم ذكر قَتْل المعزّ بمصر وقتل هولاكو للناصر. ثمَّ استقرَّ بعد المعزّ في مملكة مصر قطز (٦ ثمَّ خرج قطز بالعساكر المصرية لقتال التتار

كان مولدهُ في اواخر ايَّام ابيهِ وكان لهُ اخٌ يسمَّى بحترًا سميّ جدّهِ وكان اكبر من زين الدين المذكور بسنين كثيرة لانهُ كان رجلًا يتصرَّف لنفسهِ في سنة اثنتين وستمائة (حسب ما تقدم ذكر المكتوب) بنصف فدَّان من رمطون والله اعلم. فزين الدين بن عليّ المذكور قد شُهر عنهُ انَّهُ وُلّي يتيمًا صغيرًا عند جمال الدين حجي وسعد الدين خضر ولدي محمَّد بن محمَّد فكان عندهما وتزوَّج اختها صادقة وسكن عرامون. وقد سبق ذكرهُ وبيَّنَّا عنهُ انهُ كان اصغر سنًّا من جمال الدين وسعد الدين والله اعلم

١) لم نطَّلع على شيء من اخبارها ٢) راجع ص ٥١٦ و ٥٦٥

٣) قال المؤلف في ذيل كتابهِ: «ولم اطَّلع على موجب ذلك»

٤) لم نجد لهُ ذكرًا في التاريخ

٥) العريش مدينة من اعمال مصر بقرب حدود الشام

٦) هو ثالث ملوك الترك في الديار المصرية. كان من مماليك المعزّ ايبك ورقي في دولتهِ

وسمعتُ ممّن لهُ دُرْبةٌ باخبار الاوائل بانّ زين الدين بن عليّ كان قد توجّه الى التتار لمّا استولوا على دمشق وكان كَتبغا فويز (١ نائبًا عن هولاكو. فخاف زين الدين منهم وتوجّه اليهم اكتفاءً من شرّهم. وكان جمال الدين حجي بن محمّد بن حجي قد تقدمهُ اليهم كما ذكرنا. فلمّا بلغهما خبر قدوم قُطُز بالعساكر المصريَّة تشاوروا وحصل بينهما اتّفاق على ان يتوجَّه زين الدين الى العسكر المصري ويقيم جمال الدين عند التتار بدمشق حتَّى اذا انتصر احد الفريقين سدَّ المُنتصِر خلّة رفيقهِ وخلّة البلاد قصدهما بذلك اصلاح الحال. فحضر زين الدين القتال الذي صار في عين الجالوت (٢ بين عسكر مصر والتتار يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثماني وخمسين وستمائة (١٢٦٠ هـ). فانهزم التتار وتحصَّن منهم شرذمة (29ᵛ) في ذروة الجبل. فكان زين الدين المذكور مع مماليك السلطان في حصار التتار وكان يرمي عن قوس قويّ فاعجب مماليكَ السلطان رميهُ وصاروا يقدّمون لهُ النشّاب من تراكيشهم (٣ ثمّ حضر قدّام السلطان وكان اشتهر مجيئُهُ الى التتار فشهد لهُ مماليكُ السلطان رفقتُهُ في حَصر التتار في ذروة الجبل بما فعلهُ فعفا عنهُ. وكانوا قد قدّموا بين يدي السلطان الملك المسعود صاحب الصُّبَيبة (٤ من ملوك بني ايُّوب وكان غير مشكور السيرة لموافقتهِ للتتار على الفساد فضُربت رقبتهُ

وذُكر عن زين الدين المذكور انَّهُ قال: واللهِ ما خفتُ في يومٍ اكثر منهُ. وذكروا عنهُ انَّهُ قال كان يوم الوقعة يوم عظيم وكان مع العسكر ثلاثمائة حمل طباخانات لم يُسمع لدقّها صوت البتَّة لعظم صوت الضرب بالسلاح على القراقل (٥ والخُوَذ وصراخ الرجال.

ثمَّ صار اتابك العساكر في ايَّام الملك المنصور عليّ ابن المعزّ فلمَّا خُلع المنصور تسلطن قُطُز سنة ٦٥٧ (١٢٥٩ م) وتسمَّى بالملك المظفَّر وحارب التتار فغلبهم عند عين جالوت وفي بيسان. وقُتل بعد انتصارهِ بقليل قتلهُ الامير ركن الدين ظاهر بيبرس بموافقة الامراء بعد سنة لملكهِ

١) كتبغا هذا كان احد امراء هولاغو ملك التتار استنابهُ على البلاد الشاميَّة ثمَّ قُتل سنة ٦٥٨ (١٢٦٠ م) في عين جالوت لمَّا ظفر المسلمون بالتتار. ويقال لهُ في كتب التواريخ كتبوغا فويز بك (راجع تاريخ ابن اياس الجزء الاوَّل ص ٩٨)

٢) هي مدينة صغيرة بين بيسان ونابلس من اعمال فلسطين

٣) التَرْكَش فارسيَّة هي الجعبة

٤) نظن انَّهُ يريد الملك السعيد ابن الملك العزيز عثمان الأيوبي صاحب الصُّبَيْبة وهي قلعة في شمالي شرقيّ باناياس على ميلٍ منها

٥) لعلَّهُ يريد بالقراقل الدروع. والقَرْقَل في الاصل قميص بلا اكمام

وكان للمذكور فرسٌ اهداهُ لهُ التتار حسن المنظر هائل الخبر ضخم القدّ قيل انَّ دَوْر حافرهِ كان يبلغ ثلثة اشبار وانَّهُ سبق خيولًا كثيرة

وعند عود الملك المظفَّر قُطز الى مصر قُتل وتسلطن بعدهُ الملك الظاهر بيبرس وذلك في السابع عشر من ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة (١٢٦٠ م) وبقي في السلطنة سبع عشرة سنة وشهرين وعشرة ايَّام واستناب جمال الدين آقوش النجيبيّ الصالحيّ (١ على الشام سنة ستين وستمائة (١٢٦٢ م) واستمرَّ في النيابة الى شهر ربيع الاوَّل سنة سبعين وستمائة (١٢٧٢ م) ثمَّ عزلهُ بعلاء الدين ايدكين الفخريّ الاستادار (٢ (30r)

وفي ايَّام الظاهر بيبرس سُجن زين الدين بن عليّ المذكور وجمال الدين حجي بن محمَّد واخوهُ سعد الدين خضر بن محمَّد

رواية الشقيقتين

للاب هنري لامنس اليسوعيّ

(تابع لما قبلُ)

٩

ولَّما بلغوا اثينة وجد البارون غلافًا وردهُ بالبريد ففضَّهُ واذا فيهِ محرَّرات من وزارة الخارجية ولَّما قرأَهُ بُهت منذهلًا اذ علم ان دولتهُ ناوية ان تنصبهُ سفيرًا مرخَّصًا لدى حكومة بخارست

على انَّهُ لم يتردَّد في امرهِ بل بادر للحال للاستقالة من هذا المنصب فرفع لحكومتهِ مفترَض الشكر والمنَّة لما لها من الثقة بهِ وصرَّح لها بما عزم عليهِ من الانقطاع عن الخطَّة السياسيَّة ومناصبها. اجل انَّهُ عزم من الآن فصاعدًا على الانضمام الى اسرة ب . الكريمة مشاطرًا ايَّاها حظَّها من الحياة وذلك لانَّ هذه الاسرة قد فتحت لهُ صدرها شأن الامّ نحو ولدها بل عاملتهُ معاملة ابنٍ لها بالذات. ولذلك عقد النيَّة على الرجوع الى مدينة

١) هو الامير آقوش المار ذكرهُ (ص ٢٧٥)

٢) كان احد الامراء الكبار في مصر على عهد بني ايوب ولمَّا تولى الملك نجم الدين ايُّوب قبض عليهِ واحتاط على موجودهِ. ثم اعتقهُ الظاهر بيبرس وولَّاه نيابة الشام وكان الظاهر من جملة ماليكهِ سابقًا. لا نعلم سنة وفاتهِ

بيروت قصد ان يقضي فيها حياة منفردة مردّدًا في ذهنهِ ما تُخطِرهُ تلك المدينة على بالهِ من التذكُّرات

ولمّا علمت اسرة ب. ما كان طرأ على شرل من الهواجس وما شغل قلبهُ من الشواغل التي جعلتهُ ان يأبى المناصب الجليلة لينضمّ اليها مدى الحياة تأثرت لحسن ودادهِ هذا وزاد انعطافها اليهِ فصارت منزلتهُ عندها منزلة الروح من الجسد

وقد علمتَ ممّا مرَّ بك ذكرهُ ان هذه الأُسرة كانت قد احبَّت شرل محبَّة الآباء لابنائهم لِما كان متَّصفًا بهِ من المحامد الفريدة. امَّا الآن فقد تعززت هذه المحبَّة بما يمازجها من الرجاء بمصاهرتهِ بل اصبح القنصل وزوجته يعلِّقان على هذه المصاهرة خير اسرتهما ورغدهما وحسن حالهما في مستقبل الحين

امَّا سوسنَّة فان حبها لشرل كان يزداد وينمو يومًا فيومًا بل امتزج الحبّ بنوعٍ من التجلَّة والتكرمة لذاك الشاب البالغ في نظرها مبلغًا ساميًا من الكمال. بل كانت تشعر انها هي ذاتها ترقى معارج الصلاح والكمال بمماسَّة نفسها نفسَ شرل تلك النفس الكريمة الشريفة الغنية بالفضائل السامية فنشأ في قلب سوسَنة من جرَّاء ذلك مطمع جديد ألَا وهو ان لا تكون دونهُ فضلًا وكمالًا

امَّا البارون فكان يستغرق اوقاتهُ مهتمًّا في الآثار القديمة وما يتعلَّق بها من المباحث. على انَّهُ لمَّا كان يرى ملازمة سوسنة لهُ بلطافة ووداعة وتأدّب اخذ رويدًا رويدًا يعتاد النظر اليها كنظرهِ الى ملاك يقطر من يديهِ ندى التعزية والرجاء. بل اتَّصل بهِ الامر الى ان يرى فيها صورةً حيَّة لخطيبتهِ وردة التي كان شحوب لونها يوافق تمام الموافقة ما في نفسهِ من حاسَّات الكآبة والحزن. فكان من ثمَّ ينظر اليها عن رضًى ويصغي بارتياحٍ جملة ساعات الى كلامها بحيث انَّهُ عند ما كان يتردَّد البارون عن قبول ما تعرضهُ الاسرة والاصدقاء من حضور حفلة انشراح او الذهاب الى النزهة كانت تتوسَّط سوسنة بالامر وكان النجاح دائمًا نتيجة وساطتها. لان شرل لم يكن ليأبى عليها اجابة طلب

ومجمل القول ان ذلك الاب الشَّهم بعد ان قضى مع أُسرتهِ زهاء اربعة اشهر في عاصمة البلاد اليونانية ترويحًا للنفس عوَّل على الاياب وكان قد نزل في قلبهِ وقلب زوجتهِ شيء من التعزية والسلوّ بل قد لمعت في عينهِ بارقة الآمال اذ رأى شرل وسوسنَّة متكاتفين لدى ركوبهما السفينة الماخرة عباب البحر ذهابًا الى بيروت

١٠

وكان سفرهم شهر حزيران على الباخرة «الزُّهَرة» التي تأخر موعد وصولها الى بيروت نحو نصف نهار شأن جميع سفن شركة اللويد النمساوية. على ان البحر لم يكن هائجًا ثائرًا لا تكاد ترى على بساطه الازرق غير جعوداتٍ يعقدها النسيم. لكنَّ ضباط سفن شركة اللويد النمسوية يُضرب المثل بحكمتهم وتحذرهم من الاخطار ولذلك كانت السفينة «الزهرة» تسير الهوينا مجتازة جزائر الارخبيل في اليونان قاطعةً على رِسْلها الرؤوس والخلجان الواقعة عند سواحل ازمير وقرمانية وسوريَّة. ولمَّا انتهت الى بيروت دخلت مرفأها بعظمة ومهابة. وكان في ساريها الكبير راية تخفق مشيرةً الى ان في الباخرة قنصلًا او احد منصَّبي السياسة

وقد بلغت الباخرة بيروت عند الهاجرة وكان القيظ مستعرًا والهواء حارًّا ساكنًا على انَّهُ كان يتخلّل ذلك السكون نفحات تهبُّ من مخانق لبنان ولكنها ما كانت لتصل بيروت الَّا والحرارة الشديدة قد دبَّت فيها بحيث كان يخيّل للناس انَّهم يستنشقون لهيبًا لا هواء. وكانت السماء صافية يمازج زرقتها هبوات القيظ حتى كأن الجوّ يستعر استعارًا ويشعُّ نارًا

وكان ميزان الحرارة قد بلغ الدرجة السادسة والثلاثين في الظلّ وكان منذ الصباح آخذًا في الارتفاع دالاًّ على كون ذلك النهار ذا حرارة نادرة المثل من شأنها ان تقتل الانسان اختناقًا

وكان ماء البحر سخنًا جامدًا كأنَّهُ صفيحة مرآةٍ من الفولاذ الصقيل تنعكس فيهِ اشعَّة الشمس المحرقة كأنَّها سهام من نار اذا نفذت في العين ادركها العمى. اجل ان بيروت بقعة سورية الخضراء كانت في ذلك النهار فريسة للقيظ الشديد الذي اشتدّت وطأتهُ عليها حتى لم يبق لها الَّا أن ترتمي هزيلة جعيفة على الرمل المحرق المحيط بها

وكان القوَّاسون قد اقبلوا على الشاطئ منذ شروق الشمس بملابسهم الرسمية المزركشة بالذهب يتقدَّمون مأموري القنصلية وعددًا كبيرًا من الاصدقاء وجميعهم ينتظرون بذاهب الصبر قدوم المسيو ب.

امَّا السفينة «الزُّهرة» فانها القت مرساتها على مهلٍ وبعد ان جرت المعاملات الرسميَّة اللازمة دنت القوارب من السفينة وتعلقت بها. وعندئذٍ تصافح الاحباب والاصدقاء وتبادلت التهانئ بينهم. وكان وجه القنصل العام يتدفّق بشرًا ويقطر لطفًا وهشاشةً والبارون

نفسهُ مع ما يتنازع قلبهُ من الهواجس لم يتمالك عن الابتسام والبشاشة. وبعد هنيهةٍ من الزمن انطلقوا جميعهم قاصدين دار القنصلية

وكانت الامّ لما آتاها الله من بُعدة الرأي وحسن التدبير سبقت الجميع الى الدار لاتخاذ التحوّطات اللازمة التي اتُفِق على اجرائها تحويلًا للمشاهد التي من شأنها اثارة الشجن. وكان اوّل ما طلب البارون عند صعودهِ درج الدار القنصلية ان يزور غرفة وردة وكان ابقى مفتاحها معهُ. فاجابهُ الجميع الى طلبهِ برقّة ولطفٍ واقبل عليهِ المسيو ب. وخاصرهُ بحنان ابويّ مرافقًا اياهُ في هذه الزيارة المحزنة

ولَّما رأى شرل الباب مقفلًا شكر لمضيفهِ انصياعهُ الى ما كان قد رغب فيهِ. وقال في ذاتهِ: «انَّ مقدسي لم يدنّسهُ احدٌ أثناء غيابي وبناءً على ذلك سأجد فيهِ البقايا المكرّمة والآثار المحبوبة لديَّ على ما تركتُها من الحال لدى تأمُّلي اياها المرّة الاخيرة»

وبينا كان يتكلَّم هكذا اختلجت شفتاهُ وامتقعتا وابتسم ابتسامًا خالطهُ الحزن والكآبة ثمّ اندفقت الدموع من عينيهِ فكانت لهما حجابًا شفَّافًا. ثم فُتح الباب فما كاد البارون يرمي الى الغرفة بالنظر حتى ارتدّ الى الوراء مبهوتًا مذعورًا لانهُ لم يرَ ما كان تركهُ في تلك الغرفة من عدم الترتيب وقلّة الانتظام كما كان يوم توارت وردة

فلدى هذا المشهد تنهَّد البارون شديدًا وأنَّ أنينًا بيد انَّ رفيقهُ أسمعهُ من عذب الكلام ما سكَّن منهُ جأشهُ وانشأَ في نفسه شيئًا من الانتعاش

ثم شرع نظر البارون يجول في الغرفة متفقدًا آثارها فوجد كلّ شيء على ما يُرام من الانتظام والانتساق فدلَّهُ ذلك الترتيب على ان يد امرأةٍ حسنة الذوق بارعة اللطف قد تداخلت في الامر فألبست تلك الغرفة من الرونق ثوبا بهيًا بحيث ان كلّ ما فيها اضحى نظيفًا رائقًا يلمع بضوء شعاع الشمس

فجعل البارون يبحث عبثًا عن الخفَّين الحمراوين والقفَّازات (الكفوف) المتجعدة. ولكنَّهُ لَّما لم يجد هذه الاشياء استولى على قلبهِ الحزنُ واليأس فرمى بنفسهِ وقد أعياهُ التأثر والكآبة على مقعدٍ في تلك الغرفة وهو منقبض الصدر تخنقهُ الحسرات... واذا بهِ للحال سمع من قصاء الغرفة حفيفًا خفيفًا ثم ارتفعت السجوف بلطافة وبدت سوسنَّة منجلية متوشّحة بملابس شقيقتها الزهراء وفي قدميها خفَّاها الاحمران. فكانت على تلك الحال اشبه بشقيقتها من الماء بالماء حتى خُيّل للبارون انهُ يرى خطيبتهُ عينها... فصاح متلهفًا: وردة... ثم تقدّم

مسرعًا اليها بلذةٍ والتى بنفسهِ فاقد الرشد بين ذراعي سوسنة وهو لا يستطيع ان ينطق ببنت شفة بعد تلفظهِ باسم وردة

وللحال بادر اليهِ مضيفوهُ يحسنون القيام عليهِ بانعطاف يمازجهُ الخوف وقد بذلوا كلَّ ما في الوسع لتسكين جأشهِ وارجاعهِ الى نفسهِ

١١

لَّما كان مساء بعض ايَّام الخريف كنتَ ترى الشمس عند أُفولها ترمي باشعَّتها الاخيرة على بيروت وتكسو قمم لبنان بحلل بهيَّة تخالها من لون الورد والارجوان. وكان في المرفأ عدَّة سفن من كبار البواخر تهتزُّ اعطافها لحركة مياه البحر تثيرها الريح الشمالية. فمن كان يسرّح نظرهُ في تلك مشاهد الطبيعة وجد نفسهُ تائقةً الى التخلّي من هموم الحياة مجذوبةً الى الهذيذ في الخالق واعتبار المخلوقات

وكان على باب المسيو ب. عربتان ركب احداهما القنصل الجنرال وزوجتهُ المتردّية بملابس الحداد مع خادم وجارية. امَّا الاخرى فاصعدوا فيها رجلًا كهلًا فاقد الرشد ممسوس العقل جلس على جانبيهِ لمناظرتهِ طبيبٌ وفتاةٌ يحجبُ اصفرارَها برقعٌ اسود. والمصاب ببصيرتهِ كان البارون دي لينس نفسهُ وامَّا الفتاة فكانت سوسنة ابنة القنصل ب.

وذلك انَّ شرل كان لدى نظرهِ لسوسنة وهي متَّشحةٌ بثياب خطيبتهِ وردة أُصيب بدهش وحيرة عملا في عقلهِ فخُبل. ولمَّا بقيت كل الوسائط المتَّخذة في بيروت لعلاجهِ غير ناجعةٍ مدَّة شهرين وطّد القنصل عزمهُ على نقلهِ الى ڤينة ليعالجهُ هناك بعض نطاسيّ الاطبَّاء النمسويين (ستأتي البقية)

شَذَرَات

كيف تمنع الماء والرطوبة ان ينفذا الاحذية

يؤخذ لذلك الجلدُ في حالة يبوستهِ فيُحمى قليلًا ثم يُطلى بمزيج يتركَّب من ٥٠ قسماً من شحم الغنم و٤٩ قسماً من زيت الكتَّان ومن قسم واحدٍ من التربنطين بعد تذويب المزيج

طلاء لتجفيف الجدران الرطبة

ان اردت تجفيف الحيطان الرطبــة فاطلِها بمزيج يدخل فيهِ ليتر واحد من الكلس المنخول المُطفأ حديثًا مع ليتر آخر من الملح العاديّ واربعة من الماء فيُغلى المزيج وتنزع عنهُ رغوتهُ ثمّ يزاد فوق كلّ ليتر من المزيج المغليّ عشرين غرامًا من الشبّ وعشرة من سلفات الحديد المنعَّم وخمسة عشر من البوتاس ومائتين سنتيتر مكعَّب من الرمل الناعم او من رماد العظام ثمَّ يحرّك المزيج بهدوء ويُطلى بهِ

قائمة

لطول السكك الحديديَّة في العالم كلّهِ في آخر سنة ١٨٩٧

		كيلومترات	المجموع
اميركة	الولايات المتحدة	٢٩٤,٠٨٨	٣٧٤,٧٤٢
	باقي اميركة	٨٠,٦٥٤	
اوربة	المانية	٤٧,٣٤٨	٢٥٧,٢٠٣
	فرنسة	٤١,١٧٣	
	روسية	٣٨,٦٤٢	
	انكلترّة	٣٤,٢٢١	
	النمسة	٣٢,١٨٠	
	باقي الدول	٥٣,٦٤٠	
آسية		٤٥,٨٨٣	٤٥.٨٨٣
اوسترالية		٢٢,٣٧٢	٢٢,٣٧٢
افريقية		١٤,٧٩٨	١٤,٧٩٨
		مجموع الكلّ	٧١٤,٩٩٨

لغز رياضي وُجد على قبر ديوفَنت

كان ديوفنت هذا من مشاهير الرياضيين في الاسكندرية واشتهر في القرن الثاني للميلاد قيل انَّهُ هو الذي وضع علم الجبر. فوجد على قبرهِ ما نصُّهُ.

« اعلم ايها القارئ انَّ تحت هذه الصفيحة جثَّة ديوفَنت وان احببتَ ان تعرف كم سنةٍ صرف في الحياة فاعلم انَّ صباءهُ سُدسُ هذه السنين وشبابهُ يوازي القسم الثاني عشر منها وقد اقترن بالزواج في سابع قسم عمرهِ فولد لهُ ابنٌ بعد ذلك بخمس سنوات لكنَّهُ

قضى نحبهُ لمَّا بلغ نصف عمر والدهِ فاثَّر ذلك في قلب ابيهِ تأثيرًا بليغًا أدَّى بهِ بعد اربع سنين الى لحدهِ. فمِمَّا تقدَّم يمكنك الوقوف على سني حياتهِ »

وسنأتي بفكّ هذا اللغز الرياضيّ في عدد قادم. وان احبَّ بعض القرَّاء ان يحِلَّهُ ذكرنا اسم مَن سبق الى حلّهِ

كتب شرقية جديدة

كتاب سبيل الصلاح

للسيِّد الجليل جرمانوس معقَّد مطران اللاذقيَّة

طبع في بيروت في مطبعة الاباء اليسوعيين سنة ١٨٩٨ عدد صفحاتهِ ٢٥٨

لا تبرح سنة واحدة دون ان تنبئنا المجلاَّت الدينيَّة الاوربية عن تصانيف عديدة في كلّ ابواب المواعظ والخطابات الدينية. وليس الامر كذلك في بلادنا فانَّ مجاميع العظات الروحية قليلةٌ في اللغة العربية لا تكاد اذا عُدَّت تتجاوز عدد الانامل. ولا يخفى ما يترتَّب على قراءة مثل هذه التآليف من المنافع الجمَّة ليس فقط للمؤمنين لمعرفة دينهم بل ايضاً لطلبة الخطابة الدينية ليقوموا بهذه المهنة الجليلة حقّ القيام من حيث توسيع المعاني وعبارة الانشاء فيأخذوا هذه الصناعة الشريفة ممَّن اتقنها في بلادهم ولغتهم. والحقّ يقال انَّ الكتاب الذي وضعهُ سيادة المطران الجليل جرمانوس معقَّد يسدّ شيئاً من هذا الخلل فضلاً عن انَّهُ نهج للمؤمنين بما يتضمَّنهُ من الخطب الجليلة ما توعَّر من « سبيل الصلاح »

امَّا المواضيع التي آثرها سيادتهُ لغذاء نفوس المؤمنين وارشادها فيشتمل عليها عشرون خطاباً القاها هذا الراعي الغيور في اثناء الصوم المبارك مدّة السنتين ١٨٩٦ و١٨٩٧ في كنيسة دمشق الكاتدرئيَّة للروم الكاثوليك. وقد بحث سيادتهُ في السنة الاولى عن شرف الانسان والتجارب وعبادة الله والموت وتأخير التوبة والفردوس. ثمّ تابع في السنة الثانية كلامهُ « عن احوال الجنس البشري الادبية منذ سقطة آدم حتى الطوفان ومنهُ حتَّى مجيء الفادي ثم افاض في شرح سرّ التجسُّد الالهي وبيان اهم تعاليم الربّ المتجسّد على منوال تستفيد منهُ النفوس رسوخاً في الديانة واقبالاً على الفضيلة » (ص ١١٤). وآخر هذه الخطب تأبين جزيل المعاني طافحٌ بالعواطف الودّيَّة البنويَّة فاه بهِ المؤلف المصقع في

حفلة جنّاز الطيّب الذكر غريغوريوس بطريرك الروم عدّد فيهِ اعمال هذا الحبر الجليل فجعل مآثرهُ تنطق هي بمدحهِ

اما طريقة سيادة المطران جرمانوس الخطابية فيجوز ان ننعتها بما نعت هو في رثائهِ الفقيد المثلّث الرحمة حيث قال «وكان في براهينهِ من السداد وقوّة الاقناع ممّا يشير الى كونهِ فيلسوفًا كبيرًا ثاقب الذهن» (ص ٢٥٢) ونزيد انهُ ايضًا لاهوتيٌّ ضليع كثير الاطّلاع على الكتاب الكريم واعمال الآباء التي يحسن الاستشهاد بها وهو مع ذلك سهل اللهجة سلس العبارة كثير التفنن في اساليب الكلام. فنشكر سيادة مطران اللاذقية عن هذا العمل الخطير ونتمنى ان يعضدهُ الربّ في حسن مشروعهِ هذا كي يواصل هذه العظات سنين عديدة لمجد الله وخير النفوس ه. ل

METODO E SISTEMA SCIENTIFICO

DEL VEN. GIOVANNI DUNS SCOTO.

بحث في اسلوب اللاهوتيّ الخطير دُنْس سكوت وطريقتهِ العلميَّة

Studi del P. L. da Motta di Livenza O. M.

طُبعت هذه المقالة المفيدة باللغة الايطالية في مطبعة حضرة الاباء الفرنسيسيّين في القدس الشريف. غايتها ايضاح طريقة احد أَئمة الرهبانية الفرنسيسية في تآليفهِ اللاهوتية ولا يخفى انَّ جمًّا غفيرًا من مشاهير علماء هذه الرهبانية كاسكندر دي هالس والقديس بوناونتورا وروجار باكون برَّزوا في مصافّ اللاهوتيين فاحرزا لهم بتآليفهم ذكرًا مخلّدًا الّا انَّ دُنس سكوت المذكور بدقَّة مباحثهِ وبُعْد غور افكارهِ السامية لم يحظَ بعد بما استحقَّهُ من المرتبة العليا بين ارباب اللاهوتيّين مع انَّهُ زمام الطريقة اللاهوتية المعروفة بالطريقة الفرنسيسية. وهذا ما حمل حضرة الاب موتّا على وضع هذا الكتاب لتعريف ذاك الرجل العظيم. وقد زعم المؤلف (ص ٩) ان ما يختصّ بهذه الطريقة الفرنسيسية انَّما هو اتباعها لتعاليم افلاطون. ولعلّ في ذلك بعض المبالغة لا يرضى بها كلّ ابناء القديس فرنسيس نفسهم. وعلى كلّ حال انَّنا نتمنَّى ان تنشّط هذه المقالة في قلوب كثيرين درس تآليف دُنس سكوت الجليلة مع ابداء رجائنا ان تُعاد طبعة كتبهِ وهي الآن في غاية الندورة

وقد خُتم هذا الكتاب بعدّة قصائد في اللغتين الايطاليـة والفرنسية في مديح دُنس سكوت من نظم بعض الاباء القُدْسيين ل. ش

أسئلة وأجوبة

س سألنا من المنصورة الخواجا قيصر شلفون من هم اصحاب كتب اللغة (المعجمات) في السريانيَّة متقدّمين كانوا او متأخرين ومن اي زمان جمعوا كتبهم وكيف وعمَّن اخذوا اللغة . وهل طبعت كتبهم ام لم تطبع بعد ومن هو الاكثر ثقة منهم واوسع رويَّة

المعجمات السريانية

ج اقدم ما ذُكر للسريان من المعجمات كتابٌ لحنين بن اسحق المتوفَّى سنة ٨٧٣ م وكتابهُ قد فُقد . ثمّ اتى بعدهُ عيسى المروزيّ († ٩٤٠) فصنّف معجماً آخر اخذتهُ ايضاً يد الضياع . ثم عقبهما بعد قليل عيسى بر علي فكتب معجمهُ الذي طبع منهُ نصفهُ المعلّم هوفمان في ليبسيك . وقد اشتهر بعدهُ في اواخر القرن العاشر الاسقف حنَّان يشوع بر سروشوي . الَّا انّ المبرّز في هذا الفنّ كان ابا الحسن عيسى بر بهلول وهو معاصر لِبَرْ سروشوي واخذ عن كلّ من سبقهُ فجمع كتاباً مطوَّلًا قام بطبعهِ المعلّم روبنس دوڤال الشهير في باريس وهو على وشك نجازهِ . وقد كتب جرجس الكرمسداني في القرن الثامن عشر معجماً ضخماً لم يطبع حتى الآن . امَّا المعجمات السريانية التي نشرها الاوربيون بالطبع فهي اكثر من ان تحصى نخصّ منها بالذكر معجم كستلي وقاموس پين سميث وهو ادقّ واكمل ما وُضع من هذا القبيل لم ينقص لتمامهِ سوى حرفهِ الاخير . ومنذ سنتين قد أُنجز قاموسان سريانيَّان لاتينيَّان احدهما في مطبعتنا لحضرة الاب يوسف برون اليسوعي وهو معجم مدرسيّ شامل والآخر للدكتور بروكلمان الالمانيّ طبع في برلين

س سألنا من المنيا جناب الخواجه واصف قركار — ١ً هل يوجد شجرة مرسوم في زهرها رسم آلام المسيح — ٢ً هل تزيد قامة الانسان في الليل وتقصر في النهار

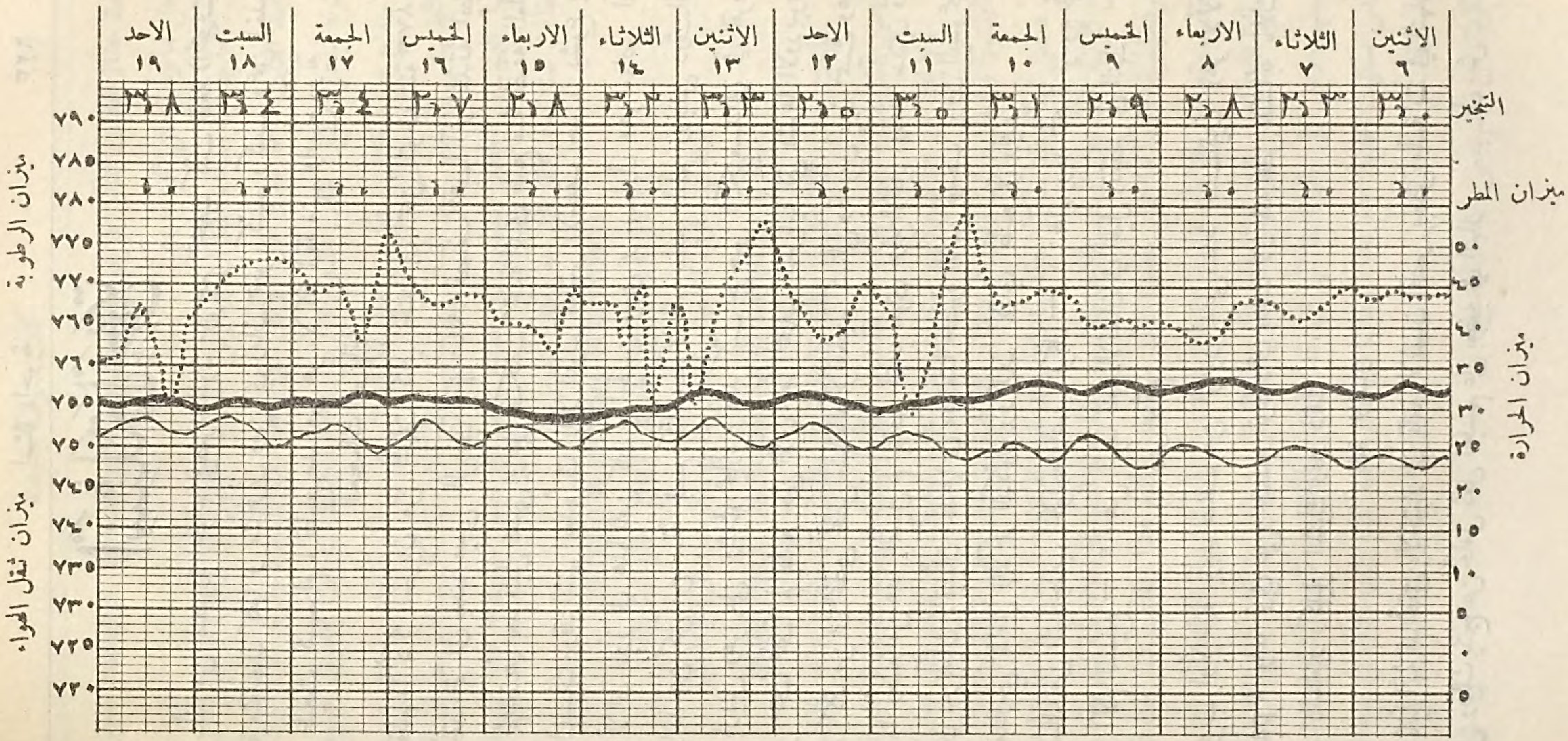
زهر الآلام

ج نجيب اوَّلًا انَّهُ يوجد صنف من الزهور يُدعى عند النباتيين زهر الآلام (passiflore) انواعهُ تربي على الخمسين نوعًا دعي بذلك لانَّ فيهِ بعض التشابُه بآلات آلام المسيح كالمسامير واكليل الشوك وغير ذلك

قامة الانسان

نجيب ثانيًا انَّهُ قد تحقق بالاختبار انَّ قامة الانسان اقصر ببعض مليمترات في النهار منها في الليل وذلك ينتج عن تحامل ثقل الجسم على بعضهِ في النهار ل . ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٦ الى ١٩ حزيران ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

رحلة حديثة الى بلاد البادية

للدكتور لويس موسيل

كتب لنا من دمشق حضرة الدكتور لويس موسيل نزيل كلّيتنا في هذا العام كتابًا تاريخهُ ١٧ حزيران سنة ١٨٩٨ استخلصنا منهُ ما يأتي :

«. . . ها قد وصلتُ والحمد لله الى دمشق قافلًا من السياحة التي كنتُ باشرتها الى البادية لاستكشاف الاماكن التي ورد ذكرها في الاسفار المقدّسة. فقيامًا بوعدي بادرت الى تسطير هذه الألوكة جعلتُها كعُجالة تفيدكم شيئًا من احوالي في رحلتي الاخيرة

كان سفري من غزَّة في ٢٨ اذار ونحن رهط قليلون يصحبنا الاب سليم سارينا احد كهنة طائفة اللاتين رخَّص لهُ غبطة السيد البطريرك الاورشليمي بان يرافقني ثمَّ سليمان السيَّاح احد بني الحسنات وجمَّالان من قبيلة الترابيين

فكان نزولنا في مساء اليوم الاوَّل في ديار بني الحسنات عند دليلنا سليمان المذكور. وهذه القبيلة تنتسب مع العرب الوحيدات الى الحُسينية إلّا انَّهم يشتغلون بالفلاحة لا يتنقّلون في البادية كغيرهم من العرب. وموقع منازلهم في جنوبيّ غزَّة يغلبُ على بلادهم الآثار القديمة والاخربة العظيمة وكنَّا ضربنا خيامنا بقرب امّ الجرار (Gerara) بيد انَّنا لم نعثر هناك على بقايا جِرار خزَفية كما زعم البعض. وامّ جرار هذه مدينة قديمة خطيرة سكنها الملوك لم يبقَ اليوم من آثارها سوى خمس عشرة مطمورة او منطرة كما يدعوها اهلها. وبجوار هذه المدينة يصبُّ وادي شلالة في وادي الشريعة. وللنهر ضفّتان مرتفعتان كانهما نُحتتا نحتًا عموديًا. وقد هار منهما جرفٌ في بعض المواضع فظهر بانخساف الارض أثر كبير من الفسيفساء.

وان سرت من ثمَّ نحو عشرين دقيقةً الى جهة الغرب وجدت على ضفَّة وادي غزَّة الشمالية مشهدًا (وليًّا) يدعونهُ شيخ نَبهان فيهِ كثيرٌ من العَمَد والسواري وهناك بئرٌ طمَّهُ التَّرابين منذ اربعين سنة . ونظنّ انَّ هذه الاخربة آثار دير ام الجرار الذي ورد ذكرهُ في كتب المؤرّخين

وعند الضفَّة الشمالية يبتدئ اقليم داروم القديم وهي بلاد وصفها الاقدمون بالثروة وخصب التربة فمررنا بها غربًا حتى ادَّى بنا السير الى دير البلَح احد حصون الصَّليبيين . وقد بيَّنَّا في مقالةٍ ادرجناها في مجلّتكم (ص ٢١٤) ان هذا الدير هو اوَّل ما شيّدهُ القديس هيلاريون من الاديرة لمن تتلمذ لهُ من الرهبان . وقد وجدت بين آثار هذا البناء القديم ثلاث كتابات يونانية فضلًا عن كتابة رابعة نُقشت بالخطّ الكوفيّ

وفي ما وراء دير البلَح بقرب ساحل البحر تمتدُّ مفازة واسعة كلّها رمل فتركناها على يميننا وملنا الى جهة الجنوب الشرقيّ فجعلنا نصعد شيئًا فشيئًا على روابٍ قليلة الارتفاع لا يكاد علوّها يتجاوز ثمانين مترًا . فهناك منازل قبيلة العرب المعروفين بالحناجرة يذكّرنا اسمهم بجبل حنجر (Mons Angaris) الوارد ذكرهُ في رسوم پلين الطبيعيّ . وفي ظهر تلك الروابي اخربةٌ من الرخام ونحيت الحجارة تعرف اليوم بسُوق مازن . ولا ريب انَّ هذه بقايا مدينة سيكو مازون (Sycomazon) القديمة وكانت في سابق العهد من المدن الاسقفية

وفي غاية شهر اذار امتطيتُ الجواد لزيارة مدنٍ قديمة اتى ذكرها في اسفار العهد القديم او في التاريخ الكنسيّ في جملة المراكز الاسقفية . فيمَّمت البلاد الواقعة في شرقيّ خان يونس وتلّ رَفَح . وبقرب هذا التلّ بئرٌ بقربها عمودان من حجر الصوَّان بينهما ثلاثة امتار يدلَّان على الحدود الفاصلة الديار المصريَّة عن بلاد الشام . وترى على العمود المجاور لمصر الذي يرتقي عهدهُ الى أيَّام الفراعنة كتابةٌ لم يتمّ حفرها يؤخذ منها انَّ سموّ الخديويّ الحالي وصل الى هذا المكان واقام عندهُ نحو نصف الساعة

ولمَّا بارحنا تلّ رَفَح قدم علينا شيخ من الترابين كان ناويًا ان يرافقنا في كلّ مدَّة سفرنا غير انَّهُ تركنا لمَّا بلغنا العريش

وذلك انَّهُ لمَّا حللنا الرحال في العريش تواردت علينا الاخبار تنبئنا انَّهُ لا سبيل الى السفر لسببين احدهما قلَّة امطار الربيع في تلك السنة فصارت الارض بلقعًا مجدبًا لا يمكن الماشية رعايتها فاقتضى على اهل البادية ان يرحلوا الى جهات الشمال طلبًا للمراعي . والثاني

انّ القبائل المتعادية ركنت الى الحرب والغزو. فطلب الينا الشيخ ان نرخّص لهُ في الانصراف وابى على مثالهِ الجمَّالان ان يقودانا الى حيثُ قصدنا فرجعا معهُ

بيد انَّ هذه الظروف المشؤومة لم تكُ لتثني عزمنا وبعد الجهد الجهيد اتَّفقنا مع جمَّالين آخرين رضيا بان يباشرا معنا هذا السفر الخطر. فلمَّا سرنا من العريش في ٢ نيسان جعلنا سيرنا في واديهِ المتَّسع الارجاء مع قرب غورهِ وهذا الوادي تزكو فيهِ المزدرعات وكان وقت مسيرنا قد ادرك فيهِ الشعير. وعقيب ثلاث ساعات تنتهي المزارع وتبتدئ الفلاة القفرة

فما سرنا في البادية زمنًا حتى اشتدَّ علينا الحرّ وتلظَّى القيظ. وبقينا على ذلك ايَّامًا ولمَّا كان الاحد الواقع في ٣ نيسان وصلنا الى آكام من الرمل كانت خيلنا تغوص فيها الى لبانها. وكان العطش قد برَّح بنا فطلبنا الماء ولم ندركهُ الَّا بعد ستّ ساعات في جوف غورٍ فاذا بهِ ماء راكد يتجمَّع من سيل الامطار. وكان لساعد الحظّ قد هطل المطر هناك منذ خمسة عشر يومًا وهي المطرة الوحيدة التي نزلت في طول هذا الشتاء. فتكوَّنت المياه في هذا الموضع فصارت كحوضٍ والعرب يدعون هذه الاحواض خَبرةً

فبادرنا الى حطّ الرحال واخذنا نصيبًا من الراحة. غير انَّ الحرّ بلغ ٤٢ درجةً في ميزان السنتيغراد ولفحنا الهواء الحارّ حتى اقتضى نصب الخيام لنتقي من الرمل وكانت الريح تُثير بهِ علينا حتى كاد يغمرنا بتراكمهِ

ومن هذا المكان تنحدر مياه الامطار هابطةً الى جهة الغرب. وعندهُ ينتهي الرمل فتصلب الارض ويغلب عليها الحصى الصغير الاسود ويبتدئ الجبل

ثم سافرنا من عين المُوَيلح طالبين عين قُدَيس وكانت تلك المرَّة الثالثة لدخولي هذه الاصقاع وخرجت منها سائرًا في طريق لم اسلكها في سفري السابق حتَّى وصلنا الى عَبدَة. فوجدنا هناك آثارًا قديمة منها قبور ونواويس كما في وادي موسى منقوشةً بالنقوش البديعة الَّا ان الدهر قد اخنى عليها بكلكلهِ فطمس محاسنها. وحجرُها كلسيّ ليس عليهِ من الكتابات الَّا النزر القليل باليونانية ممَّا ليس تحتهُ كبير امر. ولمَّا كنَّا في عبدة وقع يوم جمعة الآلام فشكرت الله الذي يسَّر لي ان اقيم صلاة ذلك اليوم العظيم داخل كنيستَين قديمتين وقفتُ هناك على بقاياهما الجليلة ولم يدخلهما كاهن نصرانيّ منذ اجيال كثيرة. ولم يحسن عرب

عبدة المعاملة الينا في مدَّة اقامتنا عندهم وكان القُدَيرات والسراحين منهم يرصدون لنا الشرّ

ففي غد ذلك اليوم وهو سبت النور اتى قوم من السراحين فاحاطوا بنا وامسكونا كاسرى . ولمَّا جنَّنا الليل تمكنَّا من الفرار من ايديهم فلم نزل نطوي البيد واصلين السير بالسُرَى حتى ادركنا بلاد الصعيديين وكان السراحين يتعقَّبون آثارنا فنجَّانا الله من كيدهم

ولمَّا صرنا على مأمن من السراحين في ضُحى عيد الفصح وجَّهنا سيرنا الى الجنوب الشرقيّ تاركين على مسافة يوم ونصف غرباً الطريق المطروقة المؤدية الى العقَبة وتوغَّلنا في وسط الجبال صاعدين الى قممها حتى بلغنا علوَّ الفٍ وستة امتار . وكان ميزان الترمومتر في صباح ثاني عيد الفصح نزل الى الصفر والبرد يقرس الَّا انَّهُ اخذ بعد قليل في الارتفاع فبلغ بعد الهاجرة الدرجة ٣٥ . وكانت القبائل المعادية تقطع تلك الانحاء ذهاباً واياباً فاضطرّنا الامر بان نأخذ حذرنا ونمشي الهوينا لئلَّا يشعر بنا احد فكنَّا تارةً نسير في الوهاد واخرى نستتر وراء الاعشاب وحيناً ندبُّ على ايدينا وكانت النظَّارة تُطلعني على تقارب العدوّ فنميل الى اليمين او الشمال كما تقتضيهِ الحال ونحن مع ذلك نخفي آثارنا وآثار دوابّنا

فسرنا على هذا الاسلوب الى ١٤ نيسان وفيهِ وصلنا الى العقَبة . والعقبة هذه قرية ليس فيها شيء يذكر وهي مركز يسكنها محافظ من الدولة العلية تحت امر والي الحجاز . والحمَّى تفتك باهلها فتكاً ذريعاً وقد تحمَّلنا في هذه البلدة مشقَّاتٍ يطول شرحها رغماً عمَّا اظهر لنا من اللطف والانس ناظم افندي احد ضباط العسكر الهمايوني

فرحلنا من العقَبة وسرنا في وادي الاثم واذا نحن بآثار الطريق القديمة التي ابتناها الرومان وكنت رأيتُ في رحلتي السابقة منذ سنتين رأس هذه الطريق لمَّا سافرتُ من الكرك الى وادي موسى فتحقَّقت هذه المرَّة الاخيرة الامر تماماً ولا يبقى في حقيقة هذا الاكتشاف ادنى ريب . فهذه هي الطريق التي مرَّ بها طرايانس قيصر . يدلُّ عليها ايضاً كتابات وجدناها هناك فضلًا عن حجارةٍ كانت تُنصب في الطريق وتُرقم عليها المسافات

ولمَّا وصلنا الى منازل قبيلة العلاويين اكرم شيخهم ابو حسين محمَّد بن جاد مثوانا واطاق لنا كلّ حرّيَّة للبحث عن الآثار جزاه الله خيراً

ثم قطعنا جبل الشراة في علوّ ١٦٥٤ متراً وبلغنا في ١٨ نيسان مدينة مَعان ولم أَلبث

ان اتفقّد البلاد الواقعة شرقيّ درب الحجّ . وفي اليوم ٢١ نيسان يمَّمنا الانحاء الواقعة في الجنوب الغربي لتشخيص آثار عديدة موقعها في جبل الشراة حوالي الطريق الرومانية المذكورة آنفًا . وفي انحاء وادي موسى قرًى كثيرة كان يسكنها الناس منذ مئة سنة وهي اليوم قفرة ليس فيها ديَّار

واقمنا في وادي موسى اسبوعًا كاملًا صرفت ثمَّت مُعظم هذا الزمان في نسخ الكتابات الموجودة . وهذه الآثار الكتابية قليلة في نفس البلدة وفي المدافن المجاورة لها الَّا انَّ منها عددًا وافرًا اذا سرتَ الى الاغوار والوديان المُحيطة بالمدينة

ومع ما كابدتُهُ من العناء والمشقَّات لقد اسعدني الحظّ على جمع كمّية وافرة من هذه الآثار الكتابية . ومن جملة ما تيسَّر لي اكتشافهُ خطوط نبطيَّة نُقشت على منعطف وادي العَرَبة في غربيهِ . وكان سيرنا من ثمَّ الى فَينان ثم الى الكرك ناهجين الطريق التي سلكها العبرانيون على الرأي الشائع . وكان رفيقي الاب سليم سبقني مع الاثقال فادركتهُ في الكرك في ٢ ايَّار . وفي غد ذلك النهار صرَّح لي حضرتهُ انَّهُ لا يستطيع ان يرافقني في بقية سفري

وفي نفس مدينة الكرك تسنَّى لي بأيدهِ تعالى ان اجمع تسع كتابات يونانية . ثم سحتُ متفقّدًا البلاد الواقعة في جنوبيّ شرقيّ بحر لوط لأطَّلع على مواقع المدن المذكورة في الاسفار المنزلة واتبيَّن الطريق الرومانية السائرة من ثمَّ الى مدينة حبرون (الخليل) . فلاحظت ان البحر الميّت لا يزال يمتدُّ كلّ سنة فيغمر بمائهِ قسمًا من السواحل . اما تربة تلك الاصقاع فهي مَريعة خصْبة وارضها عذيَّة لا اظنّ انَّهُ يوجد مثلها خصبًا في كافَّة فلسطين

وبعد ان عاينت بلاد ادوم ومواب شخصتُ راحلًا الى مادباء فبلغتها وقضيت فيها عيد العنصرة

ثمَّ امتطيت الهجين بعد يومين مع رجلين من بني صخر وسرنا فشرَّقنا ثم طفنا في بلاد كثيرة الآثار لا يكاد يعرفها السيَّاح لما يكتنف المسافرين فيها من الاخطار العديدة . وتهيَّأ لي ان اكتشف ثمَّت بقايا مدنٍ وقصور جمَّة . تشبه ثلاثة منها آثار قصر المشتّى (راجع المشرق ص ٤٨٣ و ٦٣٠) وقد اخذت صورها بالفوتغرافيــة (راجع ص ٦٣٢) . وفي كثير منها نقوش تنبئ على انَّها كانت لقدماء النصارى

وكانت هذه السنة سنــة جدبٍ وقحط في هذه المقاطعة كما في جنوب الشوبك لم

يهطل فيها الربيع وهي ديار لعشائر معادية لقبائل نجد والحرّ فيها شديد تبلغ درجة ميزان السنتيغراد الى الخمسين. وعليه فانَّ تفقُّد هذه البادية لمن معضلات الامور لا يُدرك بعض مرامهِ الَّا من احبَّ التهوُّر في الاخطار والتقحُّم في التهالك. والحقُّ يُقال انَّ هذه المخاطر احدقت بنا من كلّ جهة لا يسمح لي البريد بتعدادها

وكانت اقامتنا في هذه الصحارى الى اليوم العاشر من حزيران وعيشتنا كعيشة اهل البادية نقتات بالجراد ونشرب بدلًا عن صافي المياه لبانَ النوق. ولمَّا لم نرَ فائدة في مواصلة السفر في تلك البلاد انثنينا راجعين الى ارمامين ثم الى الحصن ثم الى المزيريب وركبنا منها السكَّة الحديدية فوصلنا الى الفيحاء فاسرعت الى رقم هذه السطور ضمَّنتها لمعةً يسيرة من اخبار سفرنا مع الرجاء الطيّب ان نفصّل لكم هذه الاخبار عند وصولنا الى طرفكم ودمتم

اقدم اثرٍ لبني غسَّان او اخربة المُشتَّى

للاب هنري لامنس اليسوعي

(تابع لما قبل)

٣

قد بقي علينا ان نثبت بادلَّة راهنة وجود بني غسَّان في البلقاء ونبيّن انَّ تلك الانحاء ليس فقط كانت تدين لهم خاضعةً بل انَّها كانت ايضًا مركزًا حلُّوا بهِ زمنًا فتركوا من بعدهم آثارًا لسكناهم. وتلك قضيَّةٌ لا تخلو من بعض الصعوبة لانَّ امراء غسَّان جمعوا بين حياة البادية والحضر وهم مع ذلك لا يكفُّون عن الغزو وشنّ الغارات

(نقول) يؤخذ من دواوين الشعراء الذين قصَّدوا القصائد في مديح بني جفنة وانقطعوا الى خدمة ملوكهم لا سيَّما النابغة وحسَّان بن ثابت ان سكنى الغسَّانيين كانت في الغالب انحاء جَوْلان لوقوع هذه البلاد بجوار دمشق وكانت الفيحاء وقتئذٍ دارَ ولايةٍ يسكنها عمَّال ملوك الروم يبلّغون امراء البادية نيَّات سادتهم. وكان الغسَّانيُّون يجدون ايضًا في سكنى جَوْلان سببًا آخر حملهم على اختيارها دون سواها وهو انَّ جولان كانت في وسط مملكة غسَّان الممتدَّة كما قلنا سابقًا من جهة الجنوب الى بحر القلزم ومن جهة الشمال الى ضفَّة الفرات. وكانت

تدمر وضواحيها من جملة البلاد الشمالية المذعنـة لاوامرهم . كما انَّ اقطار وادي اليرموك ووادي الاردنّ كانت تحت سلطانهم جنوبًا (١ . فهذه الدلائل تؤدي بنا الى حدود البلقاء الشماليّة

وقد زاد النويريّ المؤرّخ الشهير ايضاحًا فدعا بعض ملوك بني جفنة باسم ملك البلقاء وورد ايضًا في كتاب ترجمة بطرس الايبريّ (٢ انَّ مقاطعة مادباء كانت انضوت تحت لواء شيعة المنوفيزيتيين القائلين بطبيعة واحدة في المسيح ولعلَّ ذلك جرى بايعاز الغسّانيين الذين كانوا من اقوى انصار هذه البدعة حتّى انَّ اسم الغسانيين كان مرادفًا للمنوفيزيتيين

هذا وانَّ سلطة بني غسّان كانت في البلقاء انفذ منها في سواها من البلاد المجـاورة لدمشق كحوران وجَوْلان وسبب ذلك انَّ هذه المقاطعة كانت قليلة المدن فلم يرضَ ملوك القسطنطينية ان يعيّنوا لهم في قراها عمّالًا من الروم فكان لذلك معظم الحلّ والعقد في يد امراء غسان يتردّدون الى نواحيها للنظر في شؤونها

ولنا ما عدا هذه الدلائل العمومية بيّنـاتٌ اخصّ واوضح وردت في تاريخ حمزة الاصبهانيّ وهو احد كتبة العرب الذين تثبّتوا الامور التي رووها في تآليفهم . وقد شهد له في حسن تنقيرهِ العلاّمة نولدك

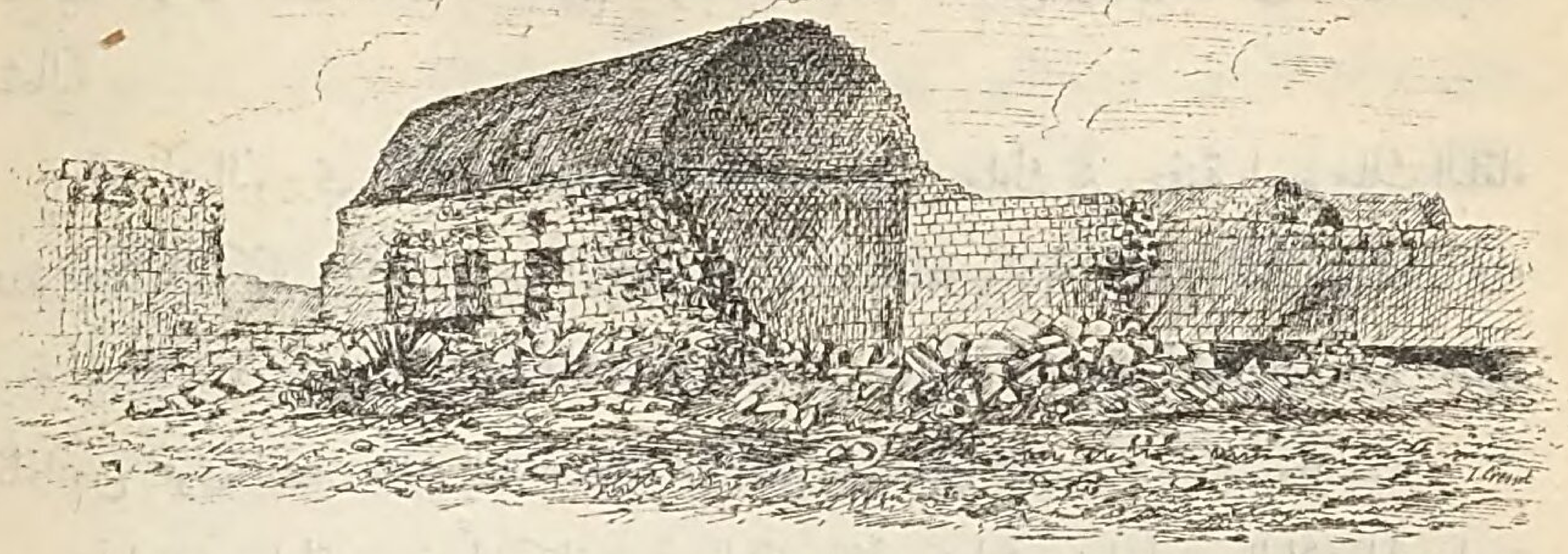
فذكر حمزة في تاريخهِ عدَّة بنايات لبني جفنة ووصف سوادَهم الاعظم بالكلَف في تشييد الابنية الجليلة . واذا مرَّ عليهِ اسم بعض ملوكهم ممّن لم يخلفوا بعدهم شيئًا من ذلك فلا يسهو الكاتب عن ان ينبّه الافكار على الامر كانَّهُ يستغربهُ فيقول : « ولم يبنِ شيئًا » او « ولم يحدث شيئًا » . وغاية ما دوّنهُ في تاريخهِ عن بني غسان تعداد القصور والاديرة والقنيّ وغير ذلك من المآثر التي شيَّدوا اركانها

وان قال قائل انَّ في رواية حمزة لغلوًّا ظاهرًا وانَّ كثيرًا من هذه الابنية لم يُعرف لها اثر اجبنا انَّهُ ولو سُلّم بذلك لا بُدَّ من قبول شهـادة حمزة كتقليد متواتر بين العرب يعزون بناء القصور وغيرها لبني غسّان فنقل هذا المؤرّخ تلك الرواية ودوّنها في كتابهِ في القرن العاشر للمسيح (٣

١) راجع مروج الذهب للمسعودي (٣ : ٢٢١) ومعجم البلدان لياقوت (٢ : ٩٢٤)

٢) راجع Raabe : *Petrus der Iberier*, 81-82

٣) ومن احبّ ان يطّلع في ذلك على بعض تفاصيل فعليهِ بمقالة كتبها الدكتور نولدك في



قصر طوبة (نقلاً عن صورة فوتغرافيّة للدكتور ل. موسيل)



قصر عمرة (عنهُ)

فقال حمزة في معرض كلامهِ عن ثعلبة بن عمرو بن جفنة (ص ١١٧) : « وبنى عقَّة وصرّح الغدير في اطراف حوران ممَّا يلي البلقاء » فيؤخذ من هذا الكلام انَّ لبني غسَّان آثارًا في جوار البلقاء وانَّنا لا نشطُّ شططًا اذا ما بحثنا عن ابنيةٍ من اعمالهم في نفس هذه المقاطعة . ثمَّ اردف حمزة قولهُ فكتب عن ثالث خلفاء ثعلبة وهو جبلة بن الحارث : « وبنى في ملكهِ القناطر وادرح والقسطل » فموقع « ادرح » المذكورة في قضاء معان بميلةٍ الى شمال هذه المدينة (١ ولا تزال الى يومنا هذا اخربة قلعةٍ تشبه هندستها قصر المشتّى فلهـا كالمشتّى سورها وبروجها المستديرة على هيئة نصف حلقة . ويليها كنيسة وجهتها نحو الشرق كبقية الكنائس الشرقيّة الّا انها خارجة عن السور وقد عاينها مؤخرًا الدكتور لويس موسيل تريل كليّتنا فوصفها لنا وصفًا مدقَّقًا

ونظنُّ ان القناطر التي ورد ذكرها في تاريخ حمزة انَّما يُراد بها القُنَيطرة وذلك هو رأي الدكتور موسيل الذي رآها في سفرهِ الاخير . والقنيطرة هذه قلعة صغيرة في جنوبيّ المشتّى على مسافة نحو سبعة كيلومترات منهُ لم يبقَ من آثارها سوى اساس جدرانها . وقد زعم البعض انَّ القناطر المذكورة في قول حمزة هي القناة الضخمة المدعوّة اليوم بقناطر او قناة فرعون كانت في قديم الزمان تسيل فيها المياه الى مدينـة اذرعات في حوران (٢ ولكن ترى ماذا يكون حمل ملوك البادية وامراء غسَّان على بناء هذه القناة مع ما كانت عليهِ حوران في زمانهم من التمدُّن والفلاح وهي عنهم في غنًى للقيام بمثل هذا المشروع (٣ . وهذه القناطر لا يراد بها قناطر مدينة الرَّصافة (Sergiopolis) حيث استشهد القديس سرجيوس وبها كانت ذخائرهُ وكان بنو غسَّان يكرّمون هذا الشهيد اكرامًا جزيلًا فحملتهم عبادتهم الى ترميم قناطر هذه المدينة كما سلّم بذلك الدكتور نولدك

المجلّة الشرقية الالمانية ZDMG, XXIX, 419-444 عنوانها *Zur Topographie u. Geschichte...der Haurângegend*

١) راجع المقدسي ص ١٧٨ وياقوت الحموي (١ : ١٧٤) والهمذانيّ (ص ١٢٩) الخ

٢) قيل ان هذه القناة كانت تنتهي الى مُكَيْس المسمَّاة عند الاقدمين غدارة في ناحيـة عجلون . الّا انَّنا نرتأي مع الدكتور شوماخر انَّ هذا رأي غير راجح (راجع Das südliche Basan, 1897, p. 127, 184)

٣) راجع نولدك Die Ghassânischen Fürsten, p. 50

امّا القسطل فموقعهُ في وسط البلاد التي نحن بصددها لا تبعد عن المشتّى الّا بمسافة بضعة كيلومترات في شماليّهِ الغربي. واسمهُ الاعجميّ (Castellum, Καςτέλλιον) يدلُّ على انَّهُ كان مركزًا قديمًا لجنود الرومان ويرجّح انَّ الغسّانيين نزلوهُ بعدهم وسعوا بترميمهِ

وقال ايضًا حمزة يذكر الحارث بن جبلَة ما حرفهُ: «وكان مسكنهُ بالبلقاء وبنى بها الحفير ومصنعهُ بين دَعْجان وقصر أُبَيْر ومعان». فحفير هذه مذكورة في تاريخ المسعودي (٣ : ٣٨٩) كمنزلٍ حلَّ بهِ بنو غسان لم نجد لها ذكرًا في غيرها من المؤرّخين. والمرجَّح انَّ موقعها كان على ضفَّة نهر الحفير «وهو نهر بالاردنّ بالشام من منازل بني القَيْن بن جَسْر (١)». فمن المقرّر انّ بني القَين او بَلْقين كانوا يسكنون في جنوبيّ بلاد غسَّان اعني بلاد موآب وادوم القديمة. يتعيَّن ذلك من اسماء البلدان المذكورة في حدود بلادهم

ودَعْجان السابق ذكرها في حمزة على مسافة اربع ساعات من معان في شمالي شرقيها وفيها اليوم آثار ابنية شبيهة بالمشتى. وقال ياقوت (١ : ١٠٩): «انَّ قصر ابير في بلاد بني القين». ولعلّ هذا القصر هو الذي يدعى اليوم بقصر باير على مسافة يومين من معان من جهة الشرق. وقد اجتاز الدكتور موسيل بقرب هذه الأخربة فرآها من الطريق واخبرنا انَّها تشبه اخربة المشتّى الّا انَّها اصغر منها

فلنرجع الآن الى المشتّى فنقول لا شكَّ في انَّ بني جفنة سكنوا البلقاء وبيَّنَّا في ما سبق انَّ كثيرًا من الابنية التي عزاها لهم حمزة الاصفهاني في القرن العاشر لا يزال منها آثار الى اليوم. أفليس يحقّ لنا ان ننسب اليهم بناء المشتَّى

أجل انَّ كَتَبَة العرب لم يذكروا المشتى بين ابنية الغسّانيين بل ولم يعرفوا اسم هذا البناء وهو اسمٌ حديث ولكن ليس سكوتهم هذا بحجَّةٍ كافية فانَّهُ قد فاتهم ايضًا ذكر ابنية كثيرة شبيهة ببناء المشتى على مسافات مختلفة من هذا القصر وقف عليها الدكتور موسيل في سياحتهِ الاخيرة (راجع كتابهُ في صدر هذا العدد والصورتين في الصفحة ٦٣٢) وممَّا وجدهُ من هذا القبيل «قصر طوبة» وهو بناء عجيب على مرحلة يوم ونصف من القطرانة في شرقيّها موقعهُ في وادي الغَدَف عند مصبّ وادي مُحَوَّر. وهذا الاثر القديم اشبهُ شيء

---

١) ياقوت (٢ : ٢٩٦)

بالمشتى فترى لهُ سورًا خارجيًا وابراجًا على شكل نصف حلقةٍ وحجرًا مقبَّبةً ونقوشًا جميلةً. الَّا انَّ سورهُ قد تهدّم لانَّ الآجر الذي اتُّخذ لبنائهِ من صنفٍ دون آجرّ المشتى (ص٦٣٢)

ومن ذلك ايضًا «قُصَير عمرة» في شرقيّ المشتى بميلةٍ الى الشمال على مسافة يومٍ ونصف منهُ. وبناؤهُ كبناء المشتى بيد انَّهُ لا سور لهُ وهو مبنيٌّ بنحيت الحجارة

٤

فترى ممَّا سبق انَّ هندسة كلّ هذه الابنية متشابهة كأنَّها بُنيت على مقتضى رسمٍ واحد انَّما اختلافها في كبرها وموادّ بنائها. فينتج من ذلك انَّها من آثار شعب واحد ودولة واحدة

ولعلّ معترضًا يعترض علينا بقولهِ انَّ في هذه الابنية رسومًا من شكل الهندسة البيزنطيّة

فنجيب انَّ هذا الاعتراض لا يدحض مقالنا لانّ عرب الشام لم يكن لهم هندسة خاصَّة بهم فلمَّا ارادوا بناء قصورهم دعوا لرسمها وتشييدها مهندسين من الروم لما كان بينهم و بين ملوك القسطنطينية من العلائق الوديّة وهم ولاتهم في بادية الشام. وقد بُنيت هذه القصور في بلاد خالية خاوية لا تصلح للروم وللفرس ولكنَّها تليق بملوك غسّان. كيف لا وعندها الارياف التي كانوا يرعون فيها مواشيهم ونؤيّد هذه القضيَّة بالملاحظة الآتية التي من شأنها ان تزيدها ترجيحًا وان لم تبتّ الامر بتًّا تامًّا

قال الدكتور برونوف الذي عنهُ نقلنا الاسطر السابقة: «انَّ النقوش الغريبة المرسومة على وجه قصر المشتى التي نسبها البعض الى العجم قد وجدناها على حُبٍّ كبير (زير) نقشها عليهِ اهل الجولان في قرية خصفين. ولا يضرّ ان يكون الحُبّ حديث الصُّنع فانَّ رسم مثل هذا النقش يدلُّ على انَّ سكَّان تلك البلاد قد اعتادوا هذه الاشكال تناقلوها بينهم عن اجدادهم في ارضٍ طالما سكنها بنو غسَّان. وبين هذا النقش ونقش آخر ورد في علوّ بعض ابنية السويداء شبهٌ ظاهر (١

وقال ايضًا الدكتور المذكور: «وقد وجدنا ايضًا في قلعة عمَّان حنيَّةً ومدخل متّجه الى

---

١) السويداء قرية من اعمال حوران (راجع ياقوت ٣: ١٩٧) ومراصد الاطلاع ٢: ٧٠) فيها بقايا ابنية للغسَّانيين على ما روى حمزة وابو الفداء وابن خلدون

الجنوب فهذه الحنيَّـة كثيرة الشبه بحنيَّة المشتى(١ ». قلنا وعمّان من المحالّ التي يُروى عن بني جفنة انّهم سكنوها

وزاد ايضًا الدكتور برونوف شهادة ثالثة على ما سبق ألا وهو التشابهُ الموجود بين بناء المشتى واثر آخر استولى عليهِ الخراب يدعى الخربة البيضاء موقعهُ عند واحات رُحْبة في دائرة التلول في جنوبي شرقي دمشق. ولهذا البناء كما للمشتى سور مربَّع وابراج مستديرة الشكل ونقوش تمثّل قضبان الكرمة وحيوانات شتّى وانَّما صناعتها من حيث الاتقـان والدقَّة دون نقوش المشتى. قال دي ڤوكويه (٢ : « وكلّ هذه النقوش مع ما فيهـا من الدلائل على الهندسة الروميَّة لا تخلو من خواصّ انفرد بها اهل الشرق » هذا ولا يُنكر ان رُحْبة المذكورة كانت في دائرة ملك بني غسَّان وليست هي بعيدةً عن موضع يُعرف بالبرج فيهِ الى اليوم كتابة يونانية امر بنقشها (٣ « البطريقُ الشريف والامير المُنـذِر (Αλαμούνδαρος) » وكانت سابقًا فوق عمارة بناها هذا الملك. فلم يشكّ المسيو دي ڤوكويه ان ينسب بناء خربة البيضاء الى احدى القبـائل التي قدمت من جنوبيّ جزيرة العرب ولعلّهُ لاحد ملوك غسان الذين تولوا الامر في هذه الجهات

ولقائل ان يقول ولِمَ لا تنسب الى الرومان المشتى والبنايات الشبيهة بها؟ أُجيب ان للرومان في البلقاء آثارًا عديدة من قلاع ومحالّ حصينة لجنودهم ولا نرى بين هندسة هذه الآثار وهندسة البنايات التي وصفناها من شبهٍ فانَّ اسوار المآثر الرومانية مرتفعة نحو ضعف ارتفاع هذه الاخيرة وترى ابراجهـا مربَّعة الشكل لا مستديرة كالمشتى كانَّ غاية الرومان في تشييدها المدافعة كما يليق بالقلاع الحريزة بخلاف الابنية. التي نحن بصـددها فانَّها جامعة بين هندسة القصور والقلاع معًا

وعلاوة على ذلك انَّ مواقع هذه الآثار الرومانية كلّها على احد جانبي درب الحجّ لصيانة الثغور من غزوات البدوان فلا سبب اذًا للرومان ان يبنوا ابنية في وسط البادية على مسافة نيّف ويومين من الحدود كما يظهر ذلك من بنايتَي قصر طوبة وقُصَير عمرة. فاذا لم

(١ راجع *Mittheilungen u. Nachr. des D. P. V.*, 1895, p. 87.

(٢ راجع كتابهُ المعنْوَن *Syrie Centrale, Architecture civile et religieuse*, p. 70.

(٣ راجع Waddington, n° 2562

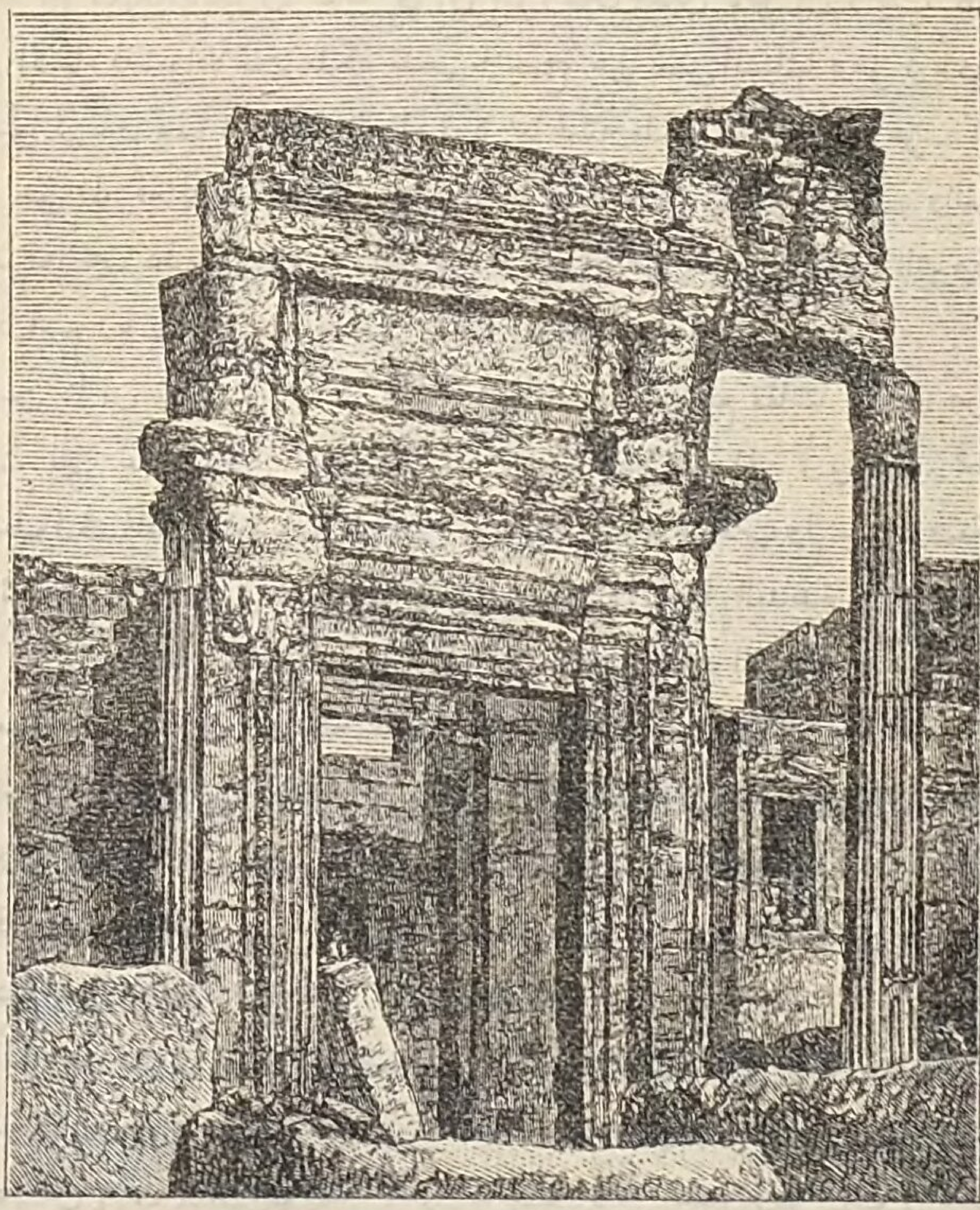
تصحّ نسبة هذين القصرين للرومان فلا سبيل الى القول بان المشتّى من عملهم لما بينهما وبينهُ من شبه الهندسة . فهذه هي الاسباب التي حملتنا على عَزْو المشتى لبني غسّان بناهُ بامرهم مهندسون روميّون كبقيَّة عمائر البلقاء . هذا رأينا والله اعلم

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزفال اليسوعيّ

(تابع لما سبق)

فلم يجاوب شابور على طلبة أُذينة بل تجبَّر وتكبَّر وامر بخرق الرسالة ورمى الهدايا في الفرات



مدخل قصر أُذينة وزينب (عن صورة شمسيَّة)

فلمَّا رجع رُسُل أُذينة الى تدمر واعلموهُ ما كان من امرهم فار فائرهُ وتلظَّى غيظًا ثمَّ صمَّم على الانتقام من شابور وتأهَّب لمحاربة الفرس وانتدب لذلك قبائل العرب فلبّوا

الى دعائهِ وطاروا اليهِ زرافات فجمعهم بظاهر تدمر وولّى رئاستهم ابنهُ هروديس (وامهُ غير زينب). وضمّ اليهم فِرْسان تدمر وقوّاسيها وجعلهم تحت امر زَبْدا كبيرِ قوّادهِ وزبَّاي زعيم فرسانهِ (١ وحشد معهم الكتائب الرومانية التي كانت وقتئذٍ في الاقاليم الشرقية وألحق بهم بعض الجند الذين افلتوا من هزيمة ولريانس وتوجه توًّا الى المدائن

وكان شابور بعد ان دوّخ عساكر القيصر قد اخذ يغزو الانحاء الشمالية واوقع في

---

١) وكان زبدا (זבדא) وزبّاي (זבי) من آل سپتيمية اي من قرابة أُذينة . (راجع V. 28 و Schröder p. 20 ولا شكّ في انَّ المؤرخين الذين قالوا ان زينب كانت اختًا للزباء شُبّهت عليهم الاسماء فنسبوا لاخت ملكة تدمر ما يصحّ عن بعض انسبائها وهو زبّاي القائد المذكور كما انّهم نسبوا لزبّاي هذا (بصورة الزباء) كل ما فعلتهُ ملكة تدمر وكان عرب الجاهلية يعرفون زبّاي القائد حق المعرفة لكثرة ما كان بينهم وبينهُ من العلائق في امور الحرب والغزو. فاتى خَلفهم بعدهم ولم يفرقوا بين هذه الاسماء. وذلك على الرأي الأعمّ مصدر الاغلاط التي وقعت في تآليف العرب بصدد اسم زينب وجنسيتها واخبار اختها الموهومة وقوّادها

وهنا يحسن بنا ان نعود الى ذكر القناة الرومانية (راجع مقالتنا الاولى ص ٤٣٥) المبنيَّة بجوار بيروت التي ينسبها بعض السوريين الى زينب وغيرهم الى زُبَيدة. فخلطوا ايضاً بين الاسمين وشطّوا في المقال. نعم اننا لا نجهل انَّ لزينب ملكة تدمر ولزبيدة زوجة هرون الرشيد السُّمعةَ الطائرة في انحاء الشرق اشتهرت كلتاها بجمالها وآثارها العديدة الّا انَّ بينهما ايضاً تباينًا عظيماً. فان قيل ان اهل سوريّة نسبوا الى زُبَيْدة بناء هذه القناة لانّها بنت قناةً اخرى لاستجلاب مياه بعض العيون الى مكّة فخلطوا بين القناتين أجبنا انَّ في هذا الامر لنظرًا لانَّ اهل سواحل الشام يجهلون مثل هذه الاخبار التي لم يروها الّا بعض افراد المؤرّخين وان قيل ان السوريين لاسيما النصارى منهم يتناقلون بينهم اخبارًا عجيبة في شأن زُبيدة (راجع المكتبة الشرقية للسمعاني ٣ : ١٦١) قلنا ليس ذلك بسبب كاف لأن ينسبوا اليها بناءً لم تشيدهُ بل لم تعرف وجودهُ في وادٍ من اودية جبل لبنان

وان سألنا احدٌ عن رأينا أجبنا معتمدين على رأي العلّامة دي فوكويه (n° 84) ان الاهلين ارادوا بزبيدة لا زوجة هرون الرشيد بل ملكة تدمر. لكنهم خلطوا بين اسمها الصحيح بَت زَبينة (راجع ص ٤٣٩) وبين اسم آخر يشبههُ غاية الشبه وهو بَتْ زَبَيْدَة بيدل النون دالًا. وهذا التصحيف قد سَهُل انتشارهُ بين العامَّة لانَّ اسماء كثيرة تدمرية وردت على هذه الصورة الاخيرة. ثمَّ شاع بعدئذ اسم زينب على هيئتِهِ الاخرى اليونانية (راجع ص ٤٣٩). فلمّا سمع الخَلَف هذين الاسمين ظنّوا انَّ المراد بزبيدة زوجة هرون الرشيد وكانت اذ ذاك أَلسنة الجميع تنطق باعمالها وتترطّب بالثناء عليها مع ما ورد من ذكرها في حكاية الف ليلة وليلة

قلوب الاهالي الرُّعب والهلع . فانتهز هذه الفرصة وزحف الى انطاكية (١ وفتحها عنوة واباد سكانها قتلًا واسرًا . ثم استأنف المسير الى بلاد قپادوقية وليقاونية و قيليقية وتوغَّل فيها حتى انتهى الى مدينة پمپيوپوليس الساحلية فشرع بمحاصرتها . وبينما هو على ذلك اذ فجئهُ قائد روماني مستقلّ اسمهُ كاليستوس (ويروى باليستا) وشتَّت شمل جموعهِ فاجفل الفرس مسرعين الى بلادهم (٢

فلمَّا علم أُذينة وهو على طريق المدائن ما لحق بالاعداء من سوء المنقلب انثنى راجعًا وسار الى ملاقاة الفرس باسرع مدّة وادركهم قبل عبورهم الفرات . ثم نهض اليهم وقاتلهم اشدّ قتال فدارت الدوائر على الفرس ثانية وعبر كسرى النهر مهزومًا مدبرًا . فغنم أُذينة اموالهُ واسر حرَمَهُ وكاد ينقذ وَلِريانس القيصر من ايدي العدوّ . وممَّا ورد في التواريخ القديمة ان زينب كانت بصحبة زوجها وان هروديس وقبائل العرب ابلوا في هذه الوقعة احسن بلاء (٣

فلمَّا انقضت الحرب بعث ملك تدمر الى غاليانس بن ولريانس رسلًا يخبرونهُ بكسرة الفرس ويضمنون لهُ بخلوص نيَّة أُذينة وصدق خدمة التدمريين للدولة الرومانية . فوقع هذا الخبر في قلب غاليناس احسن موقع ورفع منزلة أُذينة ودعاهُ قائدًا عامًّا على جميع عساكر المشرق وحثَّهُ حثًّا قويًّا على مواصلة حرب الفرس لينقذ ولريانس اباهُ من ايدي شابور

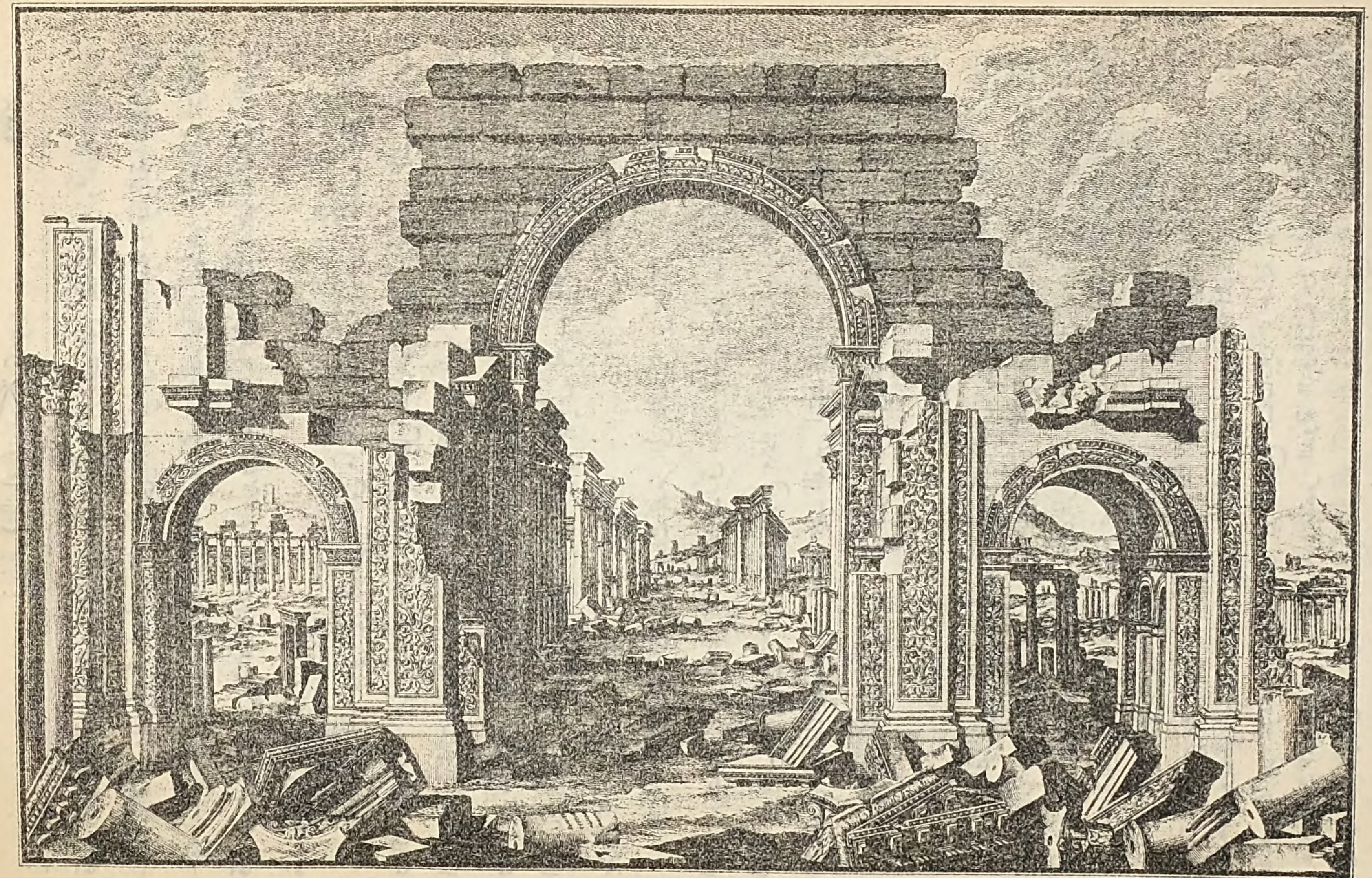
ولم يلبث أُذينة الَّا يسيرًا حتى ركب ثانيةً في عسكره فاطلقهم على بلاد الجزيرة

---

١) والمؤرخون الذين يجعلون خروج كيريادس (راجع ص ٥٩٢) بعد هزيمة ولريانس يخبرون ان هذا الخائن هو الذي ارشد شابور الى انطاكية ويزيدون على ذلك ان كسرى رقاه الى الدرجة الامبراطوريَّة احتقارًا لشأن الرومان . الَّا ان كيريادس لم يلبث على العرش سوى شهر او شهرين فخرج عليهِ القوم واحرقوهُ حيًّا . (راجع - Miller : *Hist. Græc. Frag.* t. IV. p. 191 وزوناراس ٢١ : ٢٣ ولينورمان *La Monnaie dans l'antiq.* II, 386)

٢) راجع زوزيموس ١ و ٢٢ و Petr. Patric. *Excerpt.* p. 25, 29

٣) ومُعظم المؤرخين يقولون ان أُذينة لم يقصد من هذه الحرب الَّا الانتقام من سوء تصرف شابور نحوه . (راجع الطبريّ في تاريخ الساسانيين ترجمة نولديك ص ٣٢ : ٤) وهذا اقرب الى الصواب لان أُذينة لم ينتصر للدولة الرومانيــة ولم يخلص لها الخدمة الَّا بعد ان رفعــهُ غاليانس الى مرتبة امير عامّ على العساكر الشرقية . (راجع ما سبق في هذه المجلَّة الصفحة ٥٩٢)



صورة قوس الانتصار في تدمر (كما كان في اواسط القرن الثامن عشر)

وفتح نصيبين وحرَّان وضمّهما الى اقاليمهِ واخذ منهما بعض الجنود فبادر الى محاصرة المدائن. فخاف شابور على حاضرة ملكهِ وندم على ما فرط منهُ في حقّ أُذينة اذ ردّ رسلهُ ورفض معاهدتهُ ولكن فات حين ندم. فلم يبقَ لملك الفرس الّا ان يتلافى الامر فيمنع التدمريين من غزو ممالكهِ. فندب لذلك جميع مرازبتهِ وارسل المجوس الى اقاصي فارس ليحرّضوا اهل دولتهِ على قتال أُذينة والرومان فجمعوا لهُ عسكرًا كثيفًا واستعدّوا للقتال. وما كاد أُذينة يصل الى جوار المدائن حتى التقى الجمعان واشتدّ القتال وحمي الوطيس وكانت الغلبة للتدمريين فولّى شابور هاربًا الى عاصمتهِ تاركًا نساءهُ وحشمهُ (٢٦١ م). فتبعهُ أُذينة وتقدّم بحصر تلك المدينة المشهورة التي كانت تُعدّ وقتئذٍ من اجمل مدن الشرق واحصنها(١ فحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وآلات الحرب فاشتدّ الامر على كسرى وذويهِ حتى كاد يلتمس منهم الأَمان

الّا انّهُ قد اتت لأُذينة اخبار كدّرت نفسهُ واقتضت انقطاعهُ عن محاصرة المدائن. فان مكريانس ذلك القائد المحتال الذي خان ولريانس كان قد صمّم على اغتصاب منصّة القياصرة. وقد شجّعهُ على عزمه الشنيع كاليستوس القائد الذي ردّ شابور عن قيليقية. فسماهُ مكريانس واليَ الجندية (Préfet du prétoire) اي نائبهُ الاعلى في سياسة الامور المدنية والعسكرية واتّفقا معًا على استمالة العساكر الرومانية فبويع لمكريانس في بلاد آسية الصغرى ومصر ولاسيَّما في الاسكندرية حيث ضرب هذا المغتصب نقودًا عديدة تشهد الى يومنا بقحتهِ وسوء تصرّفهِ

وكانت في تلك الايام مملكة الرومان في اضطراب عظيم وقلق جسيم لم يُرَ مثلهُ في ما مضى من الزمان. فكان پُستوموس قد خرج على غاليانس (٢٦١ م) وقتل ابنهُ

١) راجع زوزيموس ١ وتريبيليوس *Trig. Tyr.* 14, *Gall.* 3 وقد اكثر العرب من وصف المدائن واسترسلوا في ذكر ايوان كسرى وبنائهِ العجيب قال البحتريّ (راجع ديوانهُ ص ١٠٨)

وكأنّ الايوان من عَجَب الصَنْعَة جَوْبٌ في جنبِ اَرْعَنَ جَلْسِ
مُشْمَخِرٌّ تَعْلُو لهُ شُرُفاتٌ رُفِعَت في رؤُوس رَضْوَى وقُدسِ
ليس يُدْرَى أَصُنعُ إِنسٍ لِجنٍّ سَكَنُوهُ ام صُنعُ جِنٍّ لإِنسِ

فللجنّ كما ترى اليد الطولى في امور البنيان عند فحول شعراء العرب نسبوا اليهم ايوان كسرى كما نسبوا ابنية تدمر وبعلبكّ وغيرها من اعمال الجبابرة

سالونينوس واختطف الاقاليم الغربية واما مكريانس الخائن فكان بعد اغتصابهِ الاقاليم الشرقية ارسل پيزون احد قوَّادهِ الى محاربة والِنس والي اخائيَّة من بلاد اليونان. فلمَّا علم والنس انَّ پيزون زاحفٌ اليهِ ناويًا مبارزتهُ ادَّعى الملك لنفسهِ وبايعتهُ العساكر التي كانت تحت امره. فتخوَّف پيزون من تقصير يقع بهِ اذا تعرَّض لهُ ودخل ولايتهُ فوقف في بلاد تسالية واستمال اليهِ جنودهُ ولم يزل يستعطفهم حتَّى اختاروهُ لهم ملكًا وخوَّلوهُ رتبة القيصر. وكذا فعل قائد آخر يسمَّى أُريولوس بنواحي إلّيرية وحذا مثالهم قائد رابع اسمهُ اميليانس بالاقطار المصرية

وبينما كان هؤلاء الخوارج يكدّرون صفاء كاس الدولة ظهر القوط وغاروا على ولايات ثراقية واخائية وسواحل آسية الصغرى فنهبوا البلاد وفتكوا بسكَّانها وقوَّضوا الابنية ومن جملة الآثار التي خربوها هيكل مشهور في مدينة افسس مختصّ بعبادة الإلهة «ديانة» وكان هيكلًا بديع الصنع يُعدُّ من عجائب العالم السبع. وفي تلك الاثناء برز قوم اخر من البرابرة يقال لهم الهيرول (Hérules) واخذوا يغزون جزائر الارخبيل وشواطىء بلاد اليونان. وزد على ذلك زلازل عديدة طرأت على انحاء المملكة فانهدمت من جرَّائها عدَّة مدن مع ما سرى من انواع العاهات والعُدوى التي ارتعدت لها فرائص الامم (١. ولسوء الحظّ لم يكن على عرش رومة من يقوى على مقاومة الخوارج واصلاح الفساد الذي استشرى في المملكة. وكان ولريانس معتقلًا لم يزل في ايدي شابور مع ما بذل أُذينة من الجهد في استنقاذهِ من العبودية والهوان (٢ اماَّ غاليانس فانهُ لم ينهض باعباء السياسة نهوضًا لائقًا (٣ رغمًا عمَّا وصفهُ بهِ بعض المؤرّخين من الحزم والقوَّة بل بقي متردّدًا في امرهِ لا يدري كيف يسدُّ الخلل ويضمُّ متفرّق النَّشر وعليهِ فكنتَ ترى الممالك يتفاقم فيها الفساد فتستقلّ اقليماً بعد آخر حتى انَّ المؤرّخين سموا هذا الزمان عهد الثلاثين ظالمًا (٤ (ستأتي البقية)

١) وفي ذلك الوقت ظهر الوباء المسمَّى الطاعون الشرقي فانتشر في الاقاليم الشرقية لا سيما في بلاد مصر فاصاب هذا الداء الهائل جمًّا غفيرًا من اهلها اغتالتهم المنية بعد ان اذاقتهم مرّ النكال

٢) قيل ان ولريانس مات حتف انفه في نحو السنة ٢٦٢ الَّا ان شابور لم يزل ينكّل بهِ حتَّى الممات. فلماَّ قضى نحبهُ دبغ جلدهُ وصبغهُ بلون احمر وعلَّقهُ في معبدٍ من معابد فارس استصغارًا لشأن الرومان (راجع Petrus Patric. *Excerpta*, p. 26 و Lactant. *De morte persec.* 5)

٣) راجع تريبيليوس *Gall. duo* 16, 17, 21 ٤) اطلق الكتبة هذه التسمية على ذلك العهد معرّضين بالثلاثين مغتصباً الذين ظهروا في اثينة لكنَّ ذلك لا يطابق واقع

كتاب النبات والشجر للاصمعيّ

سعى بنشرهِ الدكتور اوغست هَفنر

(تابع لما سبق)

[فَصْلٌ في اَسْمَاءِ اَلذُّكُورِ]

(وَمِنْ اَسْمَاءِ اَلذُّكُورِ) اَلْقُرَّاصُ[١]، وَالْخُزَامَى[٢]، وَالْاُقْحُوَانُ[٣]، وَالْحَرْشَاءُ[٤] وَهُوَ خَرْدَلُ اَلْبَرِّ، وَالنَّهَقُ[٥]، وَالْكَحْلَاءُ[٦]، وَالْيَعْضِيدُ[٧]،

الحال لانَّ عدد هؤلاء البغاة لم يبلغ الثلاثين وانما كانوا تسعة عشر او عشرين فضلًا عن ان المؤرّخين لم يصيبوا بنسبتهم الى هؤلاء الرجال البغي والظلم فان بعضهم كانوا قوّادًا معتبرين دافعوا عن حدود المملكة الرومانية بما اخذوا من الوسائل المانعة ضد البرابرة

١) وفي الاصل قُرّاض وهو تصحيف هو نبتٌ يطول ويسمو كالجِرجير لهُ زهرةٌ صفراء وهو حارٌّ حامض يقرص اللسان وحبُّهُ صغار حُمر تحبُّهُ السوَّام. وقد قيل انَّ القرّاص البابونج. وهو نَوْر الأُقحوان اذا يَبِس (Lc., Camomille, Parthenium)

٢) قال ابو حنيفة: الخُزامى عُشبةٌ طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح لها نَوْر كنور البنفسج (L., B., Lc., Lavande spica [Giroflée sauvage])

٣) جاء في لسان العرب: الأقحوان من نبات الربيع مُفرَّض الورق دقيق العيدان لهُ نَوْر ابيض قال الازهريّ: هو القُرَّاص عند العرب. وهو البابونج عند الفُرس (Lc., Matricaria parthenium [Matricaire])

٤) وصفها في اللسان بقولهِ: انّها ضربٌ من نبات السهل فيهِ خشنة ينبت متسطّحًا على وجه الارض ولا افنانَ لهُ يلزم ورقُهُ الارضَ ولا يمتدُّ حبالًا غير انَّهُ يرتفع لهُ في وسطهِ قصبة طويلة في رأسها حبّتُها. قال الازهريّ: الحَرْشاء خردل البرّ (Lc., Moutarde sauvage)

٥) النَّهْق والنَّهَق نبات شبه الجِرْجير من احرار البقول وقيل انَّهُ الجرجير بعينهِ او الجرجير البرّي في مذاقهِ حَمْزة يلذع اللسان (Lc., Roquette sauvage)

٦) قال ابو حنيفة: هي عُشبة سُهْلية تنبت على ساقٍ ولها افنان قليلة ليّنة وورق كورق الريحان اللطاف خضر ووردة ناضرة لا يرعاها شيء ولكنّها حسنة المنظر. وفي اللسان: هي عشبة سوداء اللون ذات ورق وقضب ولها بطون حُمْر وعِرْق احمر (B., Anchusa hispida Forsk. *cfr.* E. 270 ; Lc., Bourrache)

٧) صحّف الاصل بالبقصيد. قال ابن سيده: اليعضيد بقلةٌ زهرها اشدّ صفرةً من الوَرْس وقيل انّها من الشجر وقيل بقلةٌ من بقول الربيع فيها مرارة (Lc., Chondrille, Chondrilla juncea, Chond. ramosissima)

وَٱلشَّقَّارَى (١ لَهَا نَوْرٌ أَحْمَرُ، وَٱلْخِمْخِمُ (٢، وَٱلسَّكَبُ (٣ وَٱلْغَرَّاءُ (٤ وَلَهَا ثَمَرَةٌ بَيْضَاءُ، وَٱلْمُرَارُ (٥، وَٱلْهَرَاسُ (٦، وَٱلذَّنَبَانُ (٧، وَٱلْقُطْبُ (٨، وَهُوَ مُرٌّ خَبِيثٌ أَشَدُّ مِنَ ٱلْحَسَكِ، وَٱلذَّفِرَةُ (٩، وَٱلْكَرِشُ (١٠، وَٱلْخُبَّازَى (١١، وَٱلْعِشْرِقُ (١٢،

---

١) وفي الاصل السَّقاري وهو غلط. ورد وصفهُ في اللسان قال هو نبتة ذات زُهيرةٍ ورقها لطيف اغبر وهي تُحمد على المرعى. وعن ابي حنيفة: انها نبت في الرمل ولها ريحٌ ذَفرة. وقيل ان لها نورًا فيهِ حمرة ليست بناصعة وحبُّها يُقال لهُ الخِمْخِم (cfr. E. 269)

٢) في الاصل الخَمْجة وهو تصحيف. والخِمْخِم على ما قيل نبتٌ مُشْوِك شوكهُ دقيق لصَّاق بكلّ ما يتعلَّق بهِ

٣) قال صاحب اللسان: وهو شجر طيّب الريح كانَّ ريحهُ ريحُ الخَلُوق ينبت مستقلًّا على عِرقٍ واحد لهُ زَغَب وورق مثل ورق الصَّعْتر الَّا انَّهُ اشدُّ خضرةً ينبت في القيعان والأَودية وييبسهُ لا ينفع احدًا ولهُ جنًى يؤكل ويصنعهُ اهل الحجاز نبيذًا. وقال ابو حنيفة انَّهُ عُشْب يرتفع قدر ذراعٍ ولهُ ورقٌ اغبر شبيه بورق الهندباء ولهُ نورٌ شديد البياض

٤) الغرَّاء من نبت السهول يحبُّ المالُ اكلهُ ولهُ ورقٌ تافهٌ يشبه عودهُ عود القصب ولهُ زهرة شديدة البياض طيبة الرائحة

٥) واحدها والمرارة بقلة مرَّة قيل انهُ الحُمْض تقلص عن اكلهِ مشافر الابل. ومنهُ لُقِّب بنو آكل المُرار

٦) الهَرَاس شجر وقيل نبت كثير الشوك يُعَدُّ من احرار البقول

٧) الذَّنَبان هو النبت الذي يدعوهُ العامة ذنب الثعلب

٨) قال في اللسان: القُطْب والقُطبة ضربان من النبات وقيل هي عُشْبَة لها ثمرة وحبّ مثل حبّ الهراس. قال اللحياني: هو ضربٌ من الشوك يتشعَّب منهُ ثلاث شوكات كانَّها حسك. وقال ابو حنيفة: القُطب يذهب حبالًا على الارض طولًا ولهُ زهرة صفراء وشوكة مدحرجة كانَّها حصاة

٩) قيل انَّها نبتةٌ تنبت وسَط العُشب لها ثمرة صفراء تشاكل الجعدة في ريحها (P., Cleome arabica L; B., Iphionia juniperifolia; Lc., Rue sauvage)

١٠) قال ابن سيده: الكَرِش والكَرِشة من عُشب الربيع وهي نبتةٌ لاصقة بالارض بُطَيْحاء الورق معرَّضة غبيراء ولا تكاد تنبت الَّا في السهل وتنبت في الديار وقال ابو حنيفة: انَّها شجرة تنبت في أَروم وترتفع نحو ذراع ولها ورقة مدوَّرة حرشاء شديدة الخضرة

١١) الخُبَّاز والخُبَّازى نبتةٌ معروفة (P., L. Malva L; Lc., Mauve Μαλάχη)

١٢) العِشْرق شجر وقيل نبت ينفرش على الارض وهو عريض الورق لا شوك لهُ. وجاء

وَٱلْحُمَّاضُ(١ ، وَٱلْكُرَّاثُ(٢ ، وَٱلْعُنْصُلُ(٣ ، وَٱلْجَعْدَةُ(٤ ، وَٱلْحَزَاءُ(٥ ،
وَٱلْأَيْهُقَانُ(٦ وَهُوَ ٱلْجِرْجِيرُ ، وَٱلْكَثَاةُ(٧ ، وَبَقَلَةُ ٱلصَّابِ(٨ ،

عن بعض اعراب ربيعة انَّ العشرقة ترتفع على ساقٍ قصيرة ثم تنتشر شعباً كثيرة وتثمر ثمرًا كثيرًا ثمرها سِنْفٌ فيهِ سطران من الحبّ وحبُّها يؤكل رطباً ويُطبَخ يابساً (L., Origanum Maru ; Lc., Circée de Dioscorides)

١) الحُمَّاض نبتٌ جبليٌّ ذو ورقٍ عظام ضُخْم وهو شديد الحَمْض ياكلهُ الناس. لهُ زهرة حمراء تبيضُّ اذا دنا يبسهُ وثمرهُ مثل حبّ الرمَّان ياكلهُ الناس قليلًا (P., Oxalis L ; Lc., Patience, Oseille)

٢) الكرَّاث بفتح اوَّلهِ وضمّهِ ضربٌ من النبات ممتدّ اهدب اذا تُرِك خرج من وسطهِ طاقةٌ فطارت. وتطول قصبتهُ الوسطى حتَّى تكون اطول من الرجل وقيل انَّهُ لها خِطرةٌ ناعمة ليّنة اذا فُدِغت سال منها لبنٌ. امَّا الكَرَاث بفتح الكاف والراء المخفَّفة فبقلةٌ أُخرى (L., Allium porrum L ; Lc., Πράσον, Porreau ; *cfr. E.* 269)

٣) العُنْصل البَصَل البرّي وقيل الكرَّاث البري يُعمل منهُ خلٌّ شديد الحموضة يقال لهُ الخلّ العَنصلانيّ. قال الازهري: اصلهُ شبه البصل وورقهُ كورق الكرَّاث واعرض منهُ ونَورهُ اصفر (L., Scilla maritima L ; Lc., Scille)

٤) الجَعْدة حشيشة برية فيها تجعُّد تنبت في القيعان وفي شعاب الجبال بنجد قيل انَّ لها رعثةً كرعثة الديك. قال النضر بن شمل: هي شجرة طيبة الريح خضراء ولها قُضب في اطرافها ثمر ابيض تحشى بها الوسائد لطيب ريحها ويصلح عليها المال (B., Teucrium Sinaicum Boiss. ; L., Polium montanum ; L., Lc., Teucrium polium)

٥) الحَزَاء والحَزَا نبتٌ يشبه الكَرَفس لريحهِ خمطة وهو من احرار البقول. والعرَب يتعوَّذون بهِ فيعلّقونهُ على صبيانهم. ومن الحزاء نوعٌ آخر وهو شجرة ترتفع على ساقٍ مقدار ذراعين او اقلّ ولها ورقة طويلة مُدْمَجة دقيقة الاطراف وهي شديدة الخُضرَة وتزداد على المَحْل خضرة لا يرعاها المال (Lc., Anethum segetum)

٦) وفي الصحاح انَّ الايهقان الجرجير البرّي. وقيل هو نبت يُشبه الجرجير وليس بهِ قال ابو حنيفة: هي عشْبة تطول فى السماء طولًا شديدًا ولها وردة حمراء وورقة عريضة والناس يأكلونهُ (L., Eruca ; Lc. Roquette)

٧) ورد في الاصل كثة وهو غلط الكَثَاة والكَثَا شجرٌ يشبه الغبيراء الَّا انهُ لا ريح لهُ وثمرتهُ مثل صغار ثمر الغبيراء قبل ان يحمرّ. امَّا الكَثاءة ممدودة مؤنثة فهي جرجير البرّ

٨) الصاب (وصحّف في الاصل بالصبّ) شجر شديد مرٌّ يضرب بمرارتهِ المثل. وقيل الصاب هو عصارة هذا الشجر تُشبهُ اللبن وربَّما نزت منهُ نزيَّة

وَٱلْكَلِبَةُ[١]، وَفَمُ ٱلْغَزَالِ[٢] وَٱلْعِهنَةُ[٣]، وَٱلتَّرْعَةُ[٤] شَجَرَةٌ، وَٱلْعُشَرُ[٥]، وَٱلتَّنُّومُ[٦] وَهُوَ شَهْدَانِجُ ٱلْبَرِّ[٧]، وَٱلْإِذْخِرُ[٨]، وَٱلسَّلَعُ[٩] وَهِيَ بَقْلَةٌ خَبِيثَةُ ٱلطَّعْمِ ،

(ستأتي البقية)

١) الكَلْبَة والكَلِبَة ايضاً شجرة شاكَّة من العضاه وهي من صغار شجر الشوك لها جراءٌ وكلُّ ذلك تشبيه بالكلب ولعلَّهُ هو المعروف بكفّ الكلب (Lc., Spartium junceum)

٢) ويروى دم الغزال . قال في لسان العرب : هو نبات شبيه بنبات البقلة التي تسمَّى الطرخون يؤكل ولهُ حروفة وهو اخضر ولهُ عرق احمر مثل عِرْق الارطاة

٣) قال الازهريّ : ورأيت في البادية شجرة لها وردة حمراء يسمُّونها العِهِنَـة . وهي من ذكور البقل

٤) قال اللسان : التّرعة شجرة صغيرة تنبت مع البقل وتَيْبَس معهُ وهي احبُّ الشجر الى الحمير

٥) قيل انَّ العُشَر من كبار شجر العضاه ذو صمغ حلو وحرّاق مثل القطن يُقتدَح بهِ وهو عريض الورق يخرج من شُعَبهِ ومواضع زهره سكَّر فيهِ شيء من المرارة يقال لهُ سكَّر العُشَر . ويخرج لهُ نفَّاح كشقاشق الجمال ولهُ نَوْرٌ كالدِفْلى مُشرق حسن النظر ولهُ ثمر (L., Asclepias gigantea Forsk., Calotropis procera ; Lc., Asclépiade)

٦) وصف ابن سيده التنوم بقولهِ : هو شجر لهُ حَمْل صغار كمثل حبّ الخِرْوَع يتفلَّق عن حبّ يأكلهُ اهل البادية وكيفما زالت الشمس تبعها بإعراض الورق اه . وحبَّهُ يُدَقّ ويُعتصر منهُ دهن ازرق تدَّهن بهِ نساء العرب . ولون ورقهِ يضرب الى السواد (L., Cannabis sativa L)

٧) الشَهْدَانج هو نبات القنَّب (L., Cannabis ; Lc., Chanvre)

٨) الاذخِر قيل انَّهُ نبات طيب الريح لهُ اصل مُنْدفِن دقيق وهو اطول من الثيل يشبه اسل الكولان الَّا انهُ اعرض واصغر كعوباً ولهُ ثمرة كانَّها مكاسح القصب تُطحن فتدخل في الطب (B., Andropogon laniger L., Andropogon Schoenanthus ; Lc., Schoenanthe Σχοῖνος)

٩) السَّلَع نبات وقيل شجر مرّ وقيل انَّهُ سمّ لهُ ورقة صغيرة شاكَّة كانَّ شوكها زغب وهو بقلة تنفرش كانَّها راحة الكلب

وافدتا الدفتيريا والحصبة في حمص

للدكتور كامل سليمان الخوري

(تابع لما قبلُ)

ولمَّا أوشكت ان تتناهى حوادث الدفتيريا (وآخر حادثة شاهدتها هي في ٢٠ من شهر نيسان المنصرم ما عدا حادثتي الذبحة الغشائية الاخيرتين اللتين مرَّ ذكرهما) ظهرتْ وافدة الحصبة وكانت حوادثها الاولى سليمة العاقبة فكان المرض ينتهي في مدَّة تختلف من عشرة ايَّام الى خمسة عشر يومًا دون ان يعقبهُ اختلاطات ولكن من نحو ١٠ أيَّار ابتدأت الحوادث تظهر رديئةً واهمّ الاختلاطات التي أثقلت كاهلَ الاطفال هي الاختلاطات الصدريَّة التي ظهرت غالبًا في هذه الوافدة قرب انتهاء المرض وفتكت بكثيرٍ منهم فتكًا ذريعًا. ثمَّ يليها في الاهمية الاختلاطات المعويَّة وخصوصًا الديسانتيريا (السحج) التي كثيرًا ما اتعبتْ الأطفال وعذَّبتهم غير انَّها كانت لا تطول مدَّة طويلة

وفي بعض الحوادث ايضًا ظهرت تقرّحات متعدّدة في الفم مصحوبة برائحة كريهة ولولا القليل لأحدثت غنغرينا الفم (Noma) وفي بعضها عَقب الحصبةَ سعالٌ ديكيٌّ كل نوبة منهُ تتهدّد حيوة العليل المسكين بالخنق. هذا فضلًا عن كثير من الاختلاطات البسيطة كالتهاب العين والتهاب الاذن الوسطى الخ

ووافدة الحصبة هذه لم تزل شديدة الوطأة الى الآن واعتقاد العامَّة هنا ان لا علاج للمصاب بها. فاغلب الوالدات لمَّا تشخص لهنَّ بانَّ الولد مصابٌ بالحصبة وانَّهُ يلزم لهُ علاج يستغربنَ ذلك غاية الاستغراب وهنَّ لا يعولنَ الَّا على سَقْي الولد الدبس العنبي بصفة انَّهُ حامٍ يدفع بالمرض الى الخارج فيخفّف من اعراضهِ. فنعمًا القصد وبئست الواسطة لانهنَّ باعتمادهنَّ على الدبس العنبي يتركنَ كل رأي طبيب جانبًا فيضحي الدبس العنبي مضرًّا بنتائجهِ وان يكُ لا يخلو من بعض الفائدة بحدّ ذاتهِ

هذا ولا يخفى على ساداتنا القرَّاء بان هذه الملاحظات هي التي شاهدتها انا فقد يمكن ان يكون غيري من رصفائي الأطبَّاء شاهدوا أعراضًا أُخرى وعدم ثبات أهل العليل في المعالجة عند طبيب واحد تجعل تتبُّع الحوادث متعذّرًا جدًّا ولذا فارجو المعذرة لكون

ملاحظاتي هذه هي عمومية اذ ليس القصد مني افادة الأَطبَّاء انما أُريد ابداء بعض نصائح للاهل لمعرفة اتخاذ وسائل الوقاية اثناء الوباء . ويغلب على ظنّي استنادًا على اقوال بعض اهل المرضى بان هاتين الوافدتين اتلفتا الى الآن اكثر من الف ولد . واغلب هذه المصائب ناشئة عن جهل الأَهلين وعدم إِركانهم الى ما يشير بهِ عليهم الآسي . وجلّ قصدي من كتابة هذه الاسطر هو تنبيه افكار العامَّة وخصوصاً الآباء الذين يُطالعون الجرائد الى اتخاذ بعض احتياطات لو اتبعوها (واتباعها ليس بالامر العسير) لاجتنبوا مصائب تكدرُ صفاء عيشهم وتجعلهُ مغموسًا بمرارة العلقم وتذكرهم باولادهم الذين كانوا قبل وفاتهم بمدّة يسيرة يجلون عن قلوبهم صدأ اتعاب النهار اذ كانوا يمرحون امامهم رافلين باثواب العافية النضرة راتعين في بحبوحة الهناء والسرور

وهذه هي احدى فوائد المجلاَّت والجرائد العلمية فيكفي ان يستفيد المرء منها افادةً فتعوّض عليهِ اضعاف ما يكلّفهُ الاشتراك فيها سنويًا . فمن يشكُّ بانَّ الاب الذي عندهُ كفاءة لان يدرّب امرأتهُ وآل بيتـهِ لمعرفة اجتناب عدوى الامراض السارية كالدائين اللذين عليهما مدار كلامنا الآن لا يوفرُ على نفسهِ مقدارًا من النقود اكثر باضعاف ممَّا كلّفهُ الاشتراك بجريدة يستقي من معين مائها الصافي تلك الفائدة الكلّية الجداء

سبق لنا القول في صدر مقالتنا هذه بانَّ هذين المرَضين هما ساريان وسرايتهما أَضحت مؤكدة في هذه الايَّام الاخيرة كالشمس في رابعة النهار . وعلى معرفة السَّريان هذا تتوقف معرفة اجتناب الداء وها نحن نسردُ بأَبسط عبارة قواعد الاحتياطات اللازم اتخاذها اثناء وجود المرض فنقول :

اوَّلًا : يجب على كل والدةٍ يهمُّها حفظ صحة ولدها الإِقلال من الزيارات والعيادات والتهانئ والتعازي وبالاجمـال الامتناع بقدر الامكان عن دخول البيوت لانها لاتدري عند ما تريد الذهاب لزيارة جاراتها او صديقاتها أَتكون جرثومة الداء موجودةً في ذلك البيت الذي ذهبت لزيارة سكانهِ ام لا

ثانيًا : اننا ننصح للآباء والامهات البسطاء بان يُقلعن عن تلك العادة السيئة التي اصل أَسبابهـا هو الشحّ . وما ادراك ما هي تلك العادة هي ان تأخذ الام ولدها الى « الرقَّاع او الرقَّاعة » لترقع لهُ لانَّهُ « موقع » . فعندنا في هذه الجهات حالما تتغيَّر صحَّة الولد يخطر ببال والدتهِ ان ابنها مصاب بمرض في لوزتيهِ فتأخذهُ الى الرقَّاع او غالبًا الى الرقَّاعة

لانها اطول باعًا بفنّ هذه الاضرار. فحالما تراهُ هذه بدون أن تسأل والدتهُ عن الاعراض الحاصلة لهُ تمدّ يدها الى حلقهِ لرفع اللوزتين واظافرها كمخالب كواسر الطيور. وقد يمكن ان تكون من قبل بساعة مدّت إصبعها لفم ولد مصاب بالدفتيريا (وهناك الطامّة الكبرى والبليّة العظمى) فتورث المرض هذا الولد المسكين الذي لا يعرف الحوّ من اللوّ والذي رمتهُ الاقدار بين يدي والدتهِ الجاهلة وتحت انظار هذه الظالمة فيرجع الى البيت وقد سرت جراثيم الداء الوبيل اليهِ فيذهب ضحيةً على مذبح الجهل. ومَنْ علم بان عددًا ليس بالقليل من الأطفال يُقادُ يوميًا الى الرفاعة (وعدد الرفاعات والرفاعين يربي على العشرين في البلد) يستنتج كم وكم من الاطفال تُتلف الواحدة منهنّ اثناء وافدة داء خبيث كالدفتيريا او الحصبة. فمتى عرف ربُّ البيت بانّ اخذ ولدهِ الى الرفاعة قد ياتي باضرار لا تُعوَّض يحتمُ على امرأتهِ وآل بيتهِ بابطال هذه العادة الذميمة

ثالثًا: نحظُر على الوالدات المرضعات بعدم ارضاع طفل غير طفلهنَّ. فانَّ هنا كثيرًا من السيّدات لمَّا تأتي لزيارتهنَّ امرأة ومعها ولد فكأنهنَّ حفظهنَّ الله لا يستنسبنَ بان يُعزَى اليهنَّ البخل فيأخذنَ الولد من حجر أمّهِ ويُرضِعْنَهُ قيامًا بواجب الضيافة للضيف الصغير. وامُّ هذا الولد مكافأةً لمعروف المُضيفة تأخذ ولدها وترضعهُ بدورها. فهذه الضيافة مُضرَّة من وجهين: فاذا كان ولدها مصابًا بمرض قابل السريان يُخشى على ولد الضيف من اكتساب ذلك الداء الوبيل. وبالعكس فاذا كان ضيفها الصغير مصابًا بالمرض فلما ترضعُ ولدها فيما بعد تنقل لهُ مرضًا كان في غنًى عنهُ وهذا الامر واضح لا يحتاج الى برهان. ولا يظنَّنَ أحدٌ في كلامنا المغالاة فكثيرًا ما يبقى الولد في حال صحة ظاهرة لا يُغيِّر شيئًا من عوائدهِ وسمّ الداء سارٍ في جسمهِ الى ان تظهر الاعراض الشديدة فجأةً فتفتكُ فيهِ في بعض ساعات معدودة وقد اتَّفق انَّنا شاهدنا حوادث عديدة من هذا القبيل

رابعًا: على الامهات اذا حدث مرض عندهنَّ بان يعتنين اشدّ الاعتناء بألّا يلوّثنَ حوائج كثيرة وان يحترسنَ كلّ الاحتراس من أن يدعنَ البصاق ونُفاية القيء تنتثر في الدار على اجزاء اثاث البيت وخصوصًا ما يتعذَّر منها تطهيره وتنظيفه كالموادّ الصوفية والسجادات الخ. ويجب عليهنَّ ان يُخصّصنَ للمصاب بالداء الساري اوعيةً مخصوصة لهُ للأكل والشرب كي لا يُعدي احدًا من اخوتهِ الموجودين في ذلك المنزل كما انَّهُ يجب على الوالدة او الممرضة ان تنظف يديها تمام النظافة بمحاليل مضادَّة للعفونة كلّما تلوّثت بنفث

ومُفرزات العليل خشيةً من ان تنقل لبقية الاولاد او لنفسها الداء الوخيم. وعقيب انتهاء المرض سواء بالشفاء او بالموت يجب عليها ان تغلي الحوائج التي استُعْمِلَت للمصاب غلياً كافياً اذا كانت ذات قيمة والاوفق حرقها وملاشاتها اذا كانت مما يمكن الاستغناء عنهُ ويتحتّم عليها غسل ارض الغرفة بمحلول مضادّ العفونة للاشاة الجراثيم الباقية وطرش جدران المحل اقلُّهُ بالكلس الرائب فانهُ قريب التناول قليل الكلفة على الاشخاص المعوزين الذين نحن موجّهون اليهم بنوع خاص نصائحنا. واما اذا تلوّثت بعض حوائج صوفية كالسجادات والبسط التي يتعذّر غليها او غسلها بمحلول مضادّ للفساد فالاوفق تعريضها مدّة من الزمان لنور الشمس اذ انّهُ قد ثَبَتَ بان لهُ فعلًا مميتًا للجراثيم الوبيلة

خامسًا: على الامهات ان يَمْتَنِعنَ عن لثم شفاه الأولاد لانّهُ يُخشى من ذلك ان ينقلن جراثيم المرض لأولادهنّ كما سبق شرح ذلك في مسألة الترضيع

سادسًا: على الامّ ان لم يكن حُبًّا بولدها فايفاء لذمّتها حالما ترى انحرافًا ولو مهما كان طفيفًا في صحّة ولدها ان تُحضر لهُ طبيبًا حاذقًا قانونيًا او ان تأتي اليهِ بالمريض ليرى اللازم لهُ: فان لم يكن ثمّ ما يوجب المعالجة تكون أراحت ضميرها من القلق واكتسبت منهُ فوائد أثمن من القيمة التي تدفعها لهُ أجرة عيادتهِ وان كان الولد مصابًا بمرضٍ ما تكون ملافاتهُ من الأوّل هي امنيّة الطبيب وغاية مرام الوالدة المحبّة. واذا لا سمح الله بعد ذلك لم تحصل نتيجةٌ تكون الامّ قد عملت ما ينبغي لها وتظهر امام منبر الديّان الرهيب مرتاحة الضمير ولسان حالها يقول:

اذا لم يكن في اجل الانسان تأخيرُ حاز الطبيب وخانتهُ العقاقيرُ

ولا يخفى على اللبيب بانَّ الامّ التي تعرّض بحيوة طفلها ملبيةً بذلك دواعي الشحّ تكون كانّها ذبحتهُ بيدها. فيكفيها ندمها وتقريع ضميرها لها فانّها لا تجد ولن تجد تعزيةً بفقدها ولدها وفلذة كبدها وهي التي ساعدت على تلفهِ

ولكن أنّى للامّ المسكينة وللاب البسيط الإهتداء الى الطريق القويم وهما محاطان بجمهورٍ من العجائز اللائي كل واحدةٍ منهنّ قد اتلفت الى هذا الوقت عددًا من الاطفال بمشوراتها السيئة فمن قائلةٍ للوالدين: لا بأس عليكما فمن كم يوم حصل لولدنا نحن هكذا فحالما ذهبنا بهِ الى « الرفاعة » لم يبقَ بهِ شيء. ومن صارخةٍ لا لزوم لاستدعاء الطبيب فانّ الطبيب هو الله وحدهُ. والأُخرى تنادي باعلى صوتها: أمس أُصيب ابن

بنتي بهذا المرض فلم نسقهِ الَّا دبساً عنبياً والحمد لله برئ تمام البرء . وهاتيك الشائبة تزجر الامّ التعيسة وبسلطة تامَّة تشير عليها باخذ ولدها الى الشيخ الفلاني الذي حالما يقرأ له شيئاً على رأسهِ يتعافى ان شاء الله . وهكذا يغرق الوالدان البائسان في تيَّارٍ من النصائح التعيسة فعب ان يُجرّبا هذه الوصفة وتلك التجربة يكون المرض قد تأصلَ في جسم المريض الصغير وانتشر سمّهُ في دمهِ فحينئذٍ يعتمدان على استدعاء الطبيب ولكنَّ الوقت قد فات والندم لا يورثُ إلَّا الحسرات

سابعًا : نرجو من كثيرٍ من الاطبَّاء اتباع شرائط مضادَّة العفونة إبَّان سريان مرض وافدٍ بان يغسلوا أيديهم كلّما فحصوا مريضاً ولما تكون الحادثة من الدفتيريا يجب عليهم غسل ايديهم بمحلول بيكلورور الزئبق وتغطيس آلة كَبْس اللسان بنفس المحلول او في الماء الغالي مدَّة من الزمان حتى اذا ما فحصوا بعد ذلك احد الأطفال ولم يكن مصاباً بالدفتيريا يكون بمأمنٍ من انتقال الداء اليهِ لأنَّهُ يرافق غالبًا وافدةَ الدفتيريا (كما جرى ذلك ابَّان هذه الوافدة) نوعٌ من التهاب اللوزتين البسيط او التهابهما الحويصلي (الهريسي) الذي كثيرًا ما يلقي الرعب في قلب الأهل ويغرُّ الطبيب اذ هو لم يدقّق الفحص

ومن هذا القبيل اذكر حادثةً جرت لي اسردها هنا تنبيهاً للاطباء : اتتني امرأة نهار الاحد الظهر الذي وقع فيهِ عيد الفصح عند الروم تستدعيني بتلهُّفٍ لحفيدها . فلمَّا لم تجدني في البيت فتَّشتْ عنّي في عدَّة محلاَّت فلم تستفد شيئاً . اخيرًا فيما هي تفتش عنّي وجدتني في الطريق فاشارت اليَّ ان اتبعني . ولما كنتُ استفهم منها عمَّا تريد مني لم اكن اسمع منها الَّا : «ولدي مصاب بالخناق . . مشرف على الهلاك . . أسْرِعْ » . تقول ذلك وهي تلهث . فلمَّا ذهبتُ الى البيت استفهمت عن الامر فقيلَ لي : اننا اخذنا هذا الولد لتريَهُ لاحد الاطبَّاء فقال لنا انهُ مصاب بالخناق الغشائي وان لم يُحقن بالمصل لا شكَّ هو هالك . فلمَّا فحصتُ حلق الولد لم ارَ اثرًا مطلقًا للدفتيريا . ولَّما سألوني رأيي في ذلك فحرصاً على شرف الطبّ والاطبَّاء لم اندّد بالطبيب ولا بيَّنت سوء تشخيصهِ بل قلت لهم : اليوم اعطيـهِ علاجاً وغدًا نرى اللازم . فلمَّا شرب المقيّء وتقيَّأ عدَّة مرار انتعش الولد وطلب اكلاً وتركَتْهُ الحمّى . ولَّما عدتُهُ في الغد وجدتهُ يلعب في عرصة الدار معافى سليم الصحَّة . ذكرتُ هذه الحـادثة كنصيحةٍ للاطبَّاء كيلا يسرعوا ويحتموا بوجود شيء ان لم يتحقَّقوا المسألة تماماً لانَّ اخبارًا مكدرة كهذه قد تؤثر احياناً شديد التأثير في قلوب الاهل

ثامنًا: على كل طبيب يريد القيام تمامًا بعبء وظيفتهِ ألَّا يفتأ عن تقديم النصائح اللازمة ابَّان وجود مرض سارٍ في بيتٍ ما. فلا يجوز لهُ ان يكتفي بالقول بل يجب التكرار وتخويف الاهل من سوء العقبى اذا لم يبعدوا الأولاد السليمين عن المصاب بالدفتيريا. وعندي انَّ الطبيب المعالج اذا لم يبذل جهدهُ في تنفيذ اوامرهِ الطبيَّة يكون هو المسؤول ذمةً لانَّهُ عارف بشرّ الداء وبشدَّة سرايته اكثر من اهل العليل الذين يدوّخهم الرعب. فمن منَّا يا ترى لو رأى امًّا تترك ولدها بقرب محلّ الخطر لا يمسك الولد ويأخذهُ الى محلٍ امين ويجود بالنصائح المفيدة لتلك الامّ الجاهلة معنّفًا ايَّاها تعنيفًا مرًّا اذا لزم الامر. فالنصائح والارشادات وقت الامراض السارية قد تأتي بفوائد جليلة تنقذ اولادًا كثيرين من الموت

وبالختام نستميح العذر من حضرة القرَّاء عمَّا يكون اصابهم من الملل لمطالعة مقالتنا هذه. الَّا انّنا لبَّينا دواعي الضمير ضنًّا بارواح الاطفال من ان تذهب قربانًا على مذبح الجهل فان اصبنا المرمى فرَمْيَة من غير رامٍ والَّا فنرجو المعذرة وغضّ النظر والسلام على من اتبع الهدى

وفي وقت آخر سأنشر ان شاء الله فصلًا في طرائق اماتة وملاشاة جراثيم الامراض بالتفصيل مع ذكر اهمّ العقاقير المستعملة لهذا القصد ومقاديرها وكيفية استعمالها الى غير ذلك ممَّا ييسّر لي البارئ ذكرهُ خدمة للانسانية وتقليلًا للويلات. والله وليّ امري وهو نعم مسؤول واليهِ ترجع كل الامور

في الروايات الخياليَّة

للاب اميدي لوريول اليسوعي

(تابع لما سبق)

في خصائص هذه الروايات

سبق الكلام ان مرادنا بالروايات الخياليَّة هي القصص الافكيَّة التي يستنبطها الكتبَة لتفكيه المخيّلة وقد تكلَّمنا عن اصلها وتاريخها ونتكلَّم الآن على خصائصها فنقول :

ان الروايات الخيالية من شأنها ان تعجب القارئ وتحسن موقعًا لديهِ فتجتذبهُ اليها. وهذه حقيقة لسوء الحظ ثابتة وامر عمومي يتناول الجميع وسبب ذلك ان الطبيعة تسترسل الى تخطّي الحدود الممنوعة وتميل الى استكشاف الاسرار المغلقة. وقد طالما استخدم البعض هذا الميل الفطري لاجل تحويل الناس الى ما يرومون بهم. فان القدماء من اليونان كانوا يحوطون الهياكل الوثنيَّة بالغابات وكثيرًا ما يجعلون فيها بعض غرف سرّيَّة استجلابًا للزوَّار فكانوا يُقبلون عليها بكثرة ويزدحمون عندها جموعًا وافرةً. وهكذا الروايات الخيالية فانَّها تكتنفها غابات مشتبكة الاغصان او بالحري اسرار ذات براقع ممَّا شأنهُ ان يزيد الاذهان ولوعًا بها ويكثر سواد المقبلين عليها

ثم ان هناك اسبابًا أُخرى كثيرة توضح ما اختصّت بهِ الروايات الخياليـة من استمالة الاذهان اليها ولا يخلو سردها من فائدة:

انَّ الروايات تبهج المخيّلة لأنها من استنباطاتها فهي ثمرتها وغذاؤها ولا نكير ان الاحاديث الخرافية تبهج دماغ الصغير والتخيُّلات تفتن عقـل الشاب والشابَّة حتى انَّهُ لا ينجو من تأثيرها لا المكتمل في الرجولية ولا الشيخ لا سيَّما وان الكاتب يصوّر احوالًا خارقة العادة ويأتي باوصافٍ كاسية بالزينة او ذات غلو ومبـالغة حتى يتصوَّر القارئ انهُ في ارض مسحورة لكثرة ما يرى من المشاهد الفتَّانة ولا يخفى ان أمرًا كهذا يُغوي المخيّلة ويحملها على ان تعلّل نفسها بالباطل وتستسلم بارتخاء الى الجاذب الذي يستميلها فتسكر وترقد بلذَّة

ومن خصائص الروايات الخياليـة انَّها تسرُّ اللبّ وتبهجهُ وذلك انَّهُ من المقرَّر ان هذه الروايات قريبة المنال على كل الافهام ولا يستلزم ادراكها شيئًا من المعارف الرياضية والطبيعية والكيماوية كما لا يستدعي ايضًا شيئًا من سلامة الذوق واستقامة الضمير. وعلى ذلك فهي دانية المرام لكل احد ويمكنها ان تلج كل المنازل على اختلاف انواعها فترقى الى قصور الملوك والكبراء كما تنزل الى اكواخ الزرَّاعين والعملة. وقصارى القول ان مطالعتها لا تفتقر الى غير أعين ومعرفة بكيفية القراءة وتوديع الفضيـلة. وليس في شيء من هذا كله ادنى صعوبة

ثم انَّ كل احد يعلم ان الفضول صفة خاصَّة بالطبع الانساني فقد خلقنا لطلب الحقيقة ولم تكن نفسنا لتشبع من المعارف. ولهذا ترى المجهولات والاسرار تجتذبنا وراءها لاجل استكشاف ما تتضمنهُ من حقيقة جديدة. وعلى ذلك فليس من شيء يحرّك الفضول

مثل الروايات الخيالية حتى انها ولو كانت سخيفة ركيكة الانشاء تحملنا على مواصلة مطالعتها لمعرفة نهاية حوادثها. نعم ان الروايات ليست بامور تشخيصية فليس هناك لا ممثلون ولا ملابس ولا مراسح الَّا انَّنا نشاهد فيها كيفية نصب الحيل والمكايد وعُقدة الحوادث وتفاصيلها ثمّ انحلال العقدة في خاتمة المقال فهي اذًا فكاهة للمخيلة وقلّما طالع قارئ بعض سطورها حتى يشتبك بها ويعلق بين دواليبها فتجرّهُ في تيّارها

على أن أخصَّ الدواعي الباعثة على مطالعة الروايات هو ما تتضمنهُ من اسباب اللذة التي تعرضها على القلب عرضها على أضعف محلّ واشدّهِ تأثرًا وأسهلهِ جرحًا. وليس من الضروري ان تتوغَّل الرواية في أعماق القلب حتى تجد فيهِ استعدادًا للذَّة الحسّ التي تتنبَّه لاقلّ جرسٍ ولا تكاد تخمد حتى تشتعل كنار تحت الرماد تلتهب بادنى نسيم. فبميَل قلبنا اذًا تجدنا مستعدّين كلّ الاستعداد لا لتبرير الرذيلة فقط بل لمحبتها ايضًا. ولو ان الكذب الخارجي لا يلاقي فينا ميلًا اليهِ لمَّا كان يؤثّر بنا ويهيّج فينا لذَّة رديئة بل اقبح لذة معروفة يعرق لها جبين الادب خجلًا. ولذلك نرى النفس الطاهرة تنفر من مثل هذه التآليف نفورًا طبيعيًا بينما ان القلب الفاسد ينغمس فيها ولا انغماس العُقاب في الجيفة. فمحبة وكراهية الروايات الخيالية اذًا هما اصدق وسيلتين للحكم على منزلة الشاب او الشابَّة

وفي هذا المقام نستأذن القارئ اللبيب فنزيد على هذه الاسباب العمومية اسبابًا اخرى هي أخصّ ببلاد الشرق فنقول:

ان الشرق هو بلاد الشمس والنور واهاليهِ ميَّالون الى اللهو وانبساط النفس اكثر من ميلهم الى الاشغال المتعبة. ولا خفاء ان هذه الاحوال تبعث على التعلُّق بالتصاوير التي يخترعها اصحاب الروايات وتسهّل الفُرَص لاجل مطالعتها. فان من يتمدّد متنعمًا على المقاعد الوَثِرة يتلذَّذ طويلًا بما يقرأ من الاوصاف الخالبة للبّ والمنبّهة لشهوات الحسّ. وهكذا يرى الزمان يذهب بلذَّةٍ وتمرّ الساعات سراعًا بين الاوهام والتمثيلات المبهجة وما بين المشاريب المرطبة التي تقطع القراءة وأبخرة الدخان المُخدِّرة التي من شأنها الاسعاف على الانقياد وراء الأوهام ومطالب المخيلة

ثم ان بلادنا يسهل فيها جدًّا اقتناء الروايات الخيالية لان الكتب الجليلة القدر يندر وجودها فيها كما انَّها غالية الاثمان. امَّا كتب الروايات فانَّها كثيرة متوفّرة واثمانها رخيصة جدًّا يسهل على الاغنياء والفقراء اقتناؤها دون صعوبة. ولا يخفى ان التآليف التي قلَّت

رغبة الاوربيين فيها ترسل الى هذه البلاد باسعار دون الطفيفة واذا اقتناها مقتنٍ فاعجبتهُ يهديها الى صديقهِ وهذا الى معارفهِ وهكذا تنتقل من يد قارئ الى آخر دون ان تُبذل في سبيلها بارة واحدة

ومن جملة بواعث الميل الى الروايات الخيالية ايضًا هو انَّهُ يوجد منها ما يوافق كلّ الاذواق ويلائم جميع المشارب بين كبيرة ومتوسطة وصغيرة وحمراء الغلاف وخضراء وزرقاء وصفراء ووردية وغير ذلك من الالوان التي تستدعي التفات العين. هذا فضلًا عن ان عناوينها قد تُرسم بحروف جميلة على هيئات بديعة وكثيرًا ما تغلف بغلُف تروق المنظر ايضًا ممَّا يكون بداءة الافتتان بها

ثمرة الروايات الخيالية

لقد ظهر ممَّا سلف ان الروايات الخيالية هي ثمرة الفساد وعلّته فانَّها تصدر عن معين متسمّم وتوصل أذى السمّ الى شاربها والمتعلّق بها. وان قيل هل كل هذه الروايات الخيالية رديئة وهل يجب الحكم برداءتها جميعًا دون استثناء. اجبنا على ذلك انَّهُ من الخطإ القول بكون الرواية الخياليَّة من طبيعتها إفساد الآداب وتسميمها لانهُ يوجد منها ما لا يتوجّه اليهِ انتقاد ولا يُزنّ بنقص بل ان منها ايضًا ما هو مفيد غاية الإفادة ويأتي بثمار حسنة. كالروايات التي من تأليف دِيڤوال ولَاموت وكرواية وقائع روبنصن كروزي(١ التي كثيرًا ما يكرّر طلبة العلم قراءتها وهم واجدون في كل مرّة لذَّة جديدة ومنفعة قشيبة ومن يا ترى يتجرأ على التنديد برواية فابيولا التي اتَّفق الجميع على انَّها حائزة بين الروايات مقامًا رفيعًا ومنزلة سامية. واي كتاب اوفر انطباقًا على قواعد الادب والطف عبارةً من تلماك. وكم يوجد ايضًا من الروايات الخيالية التي تكثّر سواد المقبلين على المجلّات والصحف المستقيمة المبادئ فتصاغ في الاخير كتبًا تهدى في رأس السنة او تعطى جوائز للطلبة (٢

١) الّا انَّ مترجم هذا الكتاب الى العربية قد زاد على الاصل قطعتين يطعن فيهما بالكنيسة ويطنب في المذهب البروستاني

٢) وهذا ما حملنا على اتخاذ بعض صفحات في اعداد المشرق لنشر روايات ادبية تفكيهًا للقراء وملافاةً لاضرار الروايات الفاسدة جريًا على مِثال مجلّات معتبرة كمجلّة التمدُّن الكاثوليكيّ واقتداء ببعض مشاهير رجال الدين كالاسقف فينيلون والكردينال وَيسمان وغيرها

لكن اذا كان بين الروايات الخيالية هذا العدد اليسير الذي يُؤمَن على قارئهِ من الخطر فان العدد الاكبر لسوء الحظ خَطِر جدًّا كما سنبيّن ذلك بالادلَّة الآتية فنقول :

ان الروايات الخيالية تبلبل المخيّلة وتفسدها . وبيانهُ ان المخيلة هي قوَّة تسري على هواها فتحتاج الى من ينير طريقها ويقوّم خطأها . امَّا نورها فهو الذهن الذي يدلُّها على قواعد الذوق والادب والخير . وامَّا قائدها فهو الارادة التي يجب عليها ان تكبح جماح هذه القوَّة الشاردة مخضعةً اياها لما عرضهُ العقل من القواعد وتخرج اوامر العقل الى حيّز الفعل

الَّا ان الرواية الخياليّة لا تعبأ بهذه الضوابط ولا تكترث لما يشير اليهِ العقل الصائب والذوق السليم كما انَّها تمجّ وصايا الادب وحسن النظام . فاين يا ترى تلك صفات الانشاء التي يرتاح اليها الذهن في مطالعة الكتب والادبية ؟ اين الطبعيَّة والسذاجة ؟ اين المعاني اللينة الفطرية ؟ فانَّك بالاحرى لا تجد الَّا حوادث وترّهاتٍ مستحيلة نتجت عن مخيلة الكاتب بلا تروٍّ ولا نظام . وربَّما رأيت اجزاء الرواية لا تلتحم ببعضها ولا نسبة بين مقام الاشخاص ولا مراعاة لمقتضى الاحوال الى غير ذلك من المقابح التي تشوّه فنّ الكتابة

وان كانت هذه نتيجة اكثر الروايات الخيالية في العقل فما قولك في الارادة فانَّ هذه القوَّة تضعف وتفشل اذا تقوَّت عليها المخيَّلة فتصير المخيلة اشبه بعبدةٍ تستولي الامرَ على سيّدتها فتجرّعها ألوان الذلّ والهوان . وعلى هذا النمط ترى قارئ هذه الروايات بعد قليل يطلق العنان لشهواتهِ ويستسلم لاهواء قلبـهِ وينقاد للذَّة البهيميَّة حتَّى تعمى بصيرتهُ ويصبح ضحية هذا الداء العَقام

ولا يتنصّل قرَّاء هذه الحكايات المختلقة بقولهم انَّهم بمطالعتها يصرفون فقط بعض اوقاتهم ببهجة وهناء . فنقول انَّهُ لمن المستحيل ان لا يبقى لهذه القراءة اثر سيئ في نفس قارئها . فكم من التصاوير القبيحة وكم من الاوصاف الخارقة لستر الآداب تنطبع على صفحات القلب فتتأثَّر صاحبهـا في كل حين وتثير فيهِ نار الغرام ولظى الفساد . وربما رافقتهُ في منامهِ لا تدع لهُ راحةً حتى انَّها تضايقهُ في صلاتهِ . وقد ادَّت هذه الحالة كثيرًا من الشبَّان والشابَّات الى خلع كل عذار بل الى شبهٍ من الجنون واختلال في العقل وبلغ الامرُ منهم في بعض الاحيان الى الانتحار

ومن اثمار هذه الروايات الخلاعية انَّها تزرع في العقل مبادئ قلَّة الدّين والكفر .

وذلك لانَّ اصحاب هذه الروايات يغلب عليهم روح الزندقة والالحاد فيضمّنون رواياتهم تعاليم سيئة يمزجونها باخبارهم الفكاهية كالسمّ في الدسم فيتشرَّبها عقل القارئ من حيث لا يدري. واذا افترضنا ان موَلّف هذه الاقاصيص لا يريد التعرُّض للدين فكم تراهُ على جهل وقلّة ادراكٍ يحكم في عدَّة امور فلسفية وادبية وسياسية ويعضدها بحجج اوهن من نسيج العنكبوت الَّا انَّ القارئ لا يسلم من شرّها بعد ان اصطادت قلبهُ تفاصيل الرواية. ومن ثمَّ لا تكاد ترى بين من شُغف بمطالعة هذه الروايات رجلًا ديّنًا متمّمًا لواجبات دينهِ لما استقاهُ في هذه الموارد العكرة من المبادئ الوخيمة

ولعمر الحقّ انَّى يمكن للشاب الصالح والفتاة الورعة ان يتردّدا مع عدَّة اشخاص وهميَّة يغلب على اخلاقهم البغض والحسد والغَيْرة والتغطرس وطلب الانتقام والوقاحة واصناف الخلاعة دون ان يكتسبا شيئًا من هذه الطباع الفاسدة ويتخلّقا بهذه الاخلاق وقد قيل ان كلَّ اناء ينضحُ بما فيهِ. وقال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهِ فانَّ القرين بالمقارن يقتدي

فعلى هذا المنوال ترى بزمن قريب مَن كان مولعًا بهذه القراءات يفقد كلّ شعائر الدين بل يتجرَّد من كلّ الصفات المدنية وحبّ الوطن والعائلة الى ان يتعرَّى من عواطف الانسانية ويتدهور في كلّ الفظائع

فما قولنا الآن عن تلك العيال المسيحية التي لا تبالي بادخال هذه الكتب الخيالية الدنسة في صدر بيوتها وتعرضها على ابصار اولادها دون احتراس ولا تروٍّ أفليس الاب والامّ هما المسؤُولان عن فساد قلب بنيهما وهلاكهم اذا وقعت هذه الكتب بين ايديهم وشربوا سمّها الزعاف. أوَلا يحقُّ ان نردّد قول الربّ انهُ اولى لهما ان يعلّق في عنقهما حجر رحًى ويلقيا في البحر لانهما خاطرا بانفس اولادهما ولم يبعدا عنهم اسباب الخطإِ والهلاك. صانهم الله عن هذا الخطر الفظيع

وبالختام نطلب من ارباب المدارس ومن الوالدين المسيحيين ان يتلافوا هذا الشرّ العظيم بان يطبعوا في قلوب الاحداث بغض هذه الروايات الخلاعية وينكبوا بهم عنها طاقتهم ويحبّبوا اليهم مطالعة الكتب الادبية الصالحة وتآليف العلوم الراهنة والاسفار والتواريخ الصادقة التي تنشِّط الهمم وتبعث القرائح الى معالي الامور وشريف الاعمال وتمكّن الشبّان في الفضائل والصلاح ليُضحوا زينًا لاوطانهم ومثلًا لاقرانهم

كتاب تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

خبر اعتقال الملك الظاهر بيبرس لامراء بني الغرب

(قلتُ) ويجب ان نذكر توطئةً يُستدَلّ بها على كيفيّة سجن الثلثة المذكورين. وذلك انّ الملك الظاهر كانت تعلّقت آمالهُ بفتوح السواحل وصار يتوقّع اسماع اخبار الفرنج والاطلاع على احوالهم وكشف طبقاتهم

(قلتُ) وفي ايّام سلطنتهِ كُتب منشور جمال الدّين حجي المؤرّخ ثامن رجب سنة تسع وخمسين وستمائة (١٢٦١) بحُكم ملازمتهِ للخدمة الشريفة مع بدر الدين بن رحّال (١ وقد تقدَّم ذكر هذا المنشور (٢ . (قلتُ) وربّما كان بدر الدين هذا جعلوهُ في قُبالة فرنج صيداء وبيروت مثاغرًا لهم

ثمَّ نذكر المكاتبتين اللتين ارسلهما جمال الدين آقوش النجيبي نائب الشام الى زين الدين المذكور والى جمال الدين حجي ولم يُذكَر لهما تاريخ سوى ايّام الشهر الذي كُتبتا فيهِ ولم تُذكر السنة. وكذا كانت المراسيم في ذلك الوقت فيقال: «كُتب في كذا وكذا من الشهر الفلانيّ المبارك». ولم تُذكَر السنة وانّما كانوا يذكرون السنين في المناشير والتواقيع

ومضمون احدى المكاتبتين: «وصلت مكاتبة الاميرين الاعزّين الاخصّين جمال الدين وزين الدين عمادَي الملوك (30v) والسلاطين ادام الله تأييدهما وعلمنا ما ذكراهُ وشكرنا همّتهما. واماّ مثاغرتهما وقيامُهما بما ينبغي من الخدمة فنحن نعلم ذلك منهما ونحرّضهما على القيام بما هما بصددهِ ومطالعتنا على اخبار العدوّ المخذول في كلّ وقتٍ بحسبهِ. واماّ الامير حُسام الدين نوار (٣ فقد كتبنا اليهِ بأنّهُ متى وقع صوتٌ يُسرع مع جماعتهِ الى جهتكما

١) لم نطّلع على شيء من اخباره ٢) راجع ص ٥١٦

٣) يظهر من قرينة الكلام انهُ كان احد عمّال ملوك الاتراك المصريين في ساحل الشام

فتتفق كلمتهُ وكلمتكما. والكتاب عطفها (١ فتوصلانهِ اليهِ. واما قضية صاحب بيروت وتزوج ابنتهِ بملك قبرس (٢ فقد علمناهُ ولنا علم ايضاً في حديث الهُدْنة ومخالفتها. ونِعم ما فعلاهُ باطلاعنا على هذا فلا يقطعا اخبارهما مؤيَّدَين (اه)

ومضمون الكتابة الاخرى: «وردت مكاتبة الاميرين الاجلَّين الاعزَّين الأخصَّين المحترمين المجاهدين الغازيين جمال الدين وزين الدين بهاءي الاسلام مجدَي الامراء عدَّتي الملوك والسلاطين أنجح الله قدرهما وأسعد جدَّهما وكبَتَ ضدَّهما ووُقف عليها وعُلم مضمونها وعُرف ما هما عليهِ من الاجتهاد والمناصحة وهو المعهود منهما والمشهور عنهما. فليُطيّب الاميران ايَّدهما الله قلبيهما وليشرحا صدريهما فهما على ما يشتهيان ويؤثران وما بلغنا عنهما الَّا الخير ولا قيل عنهما الَّا الجميل. وليس ثَمَّ ما يضيقُ بهِ صدرهما ولم نسمع في حقهما الَّا كلاماً طيّباً فليستمرّا على ما هما عليهِ من المناصحة والاجتهاد والمطالعة بالاخبار ومساعدة العسكر المنصور والغُزاة (31^r) بتلك الجهة. وليجريا على ما عُهد منهما من المناصحة ومن سلفهما في الأيَّام السالفة عند الدُّوَل المتقدّمة فانهما يجنيان ثمرة ذلك والله يؤيّدهما بالتوفيق»

وفيهِ ملحقٌ: «قد بلغنا ان جموعكما قد تفرقت وانتما تعلمان انَّ في هذا الوقت تظهر مناصحة الدين والدولة القاهرة. فليتقدَّم الاميران ايَّدهما الله بردّ الرجال الى جهة صيداء وليجتهدا في المساعدة على حفظ هذا الثغر مؤيَّدَين ان شاء الله تعالى»

ورأيتُ مرسوم الملك الظاهر بيبرس الى زين الدين المذكور وجمال الدين حجي يدلُّ على انهُ ارسلهُ اليهما من مصر مضمونهُ: «هذه المكاتبة الى الاميرين المختارَين المحترمَين الاخصَّين المجاهدين جمال الدين وزين الدين فخرَي القبائل والعشائر مجدَي الامراء اختياري الدولة عميدي الملوك والسلاطين ادام الله رفعتهما وجدَّد مسرَّتهما. تتضمَّن سلامنا عليهما واهداء تحيتنا اليهما ونعلمهما بانَّا وقفنا على مكاتبتهما الواصلة الى نوَّابنا بدمشق يذكران فيها استمرارهما على الخدمة والنصح لدولتنا القاهرة. ووصل الينا كتاب نوَّابنا بدمشق المحروسة يذكرون ما عليهِ الاميران من الخدمة والاجتهاد في المناصحة وفرحنا بذلك ووقع عندنا اهتمام الاميرين في الخدمة احسن موقع فليستمرَّا على ذلك وليهتمَّا بهِ وليطيّبا قلبهما

١) يريد انهُ أودع في ضمن هذه المكاتبة رسالةً ليبلّغاها الى حسام الدين المذكور

٢) راجع ص ٥١٧

وليشرحا صدرهما فسوف يجنيان واخاهما ثمرة (31v) خدمتهما ومحبتهما وايطالعانا بالاخبار والتحذّرات والله يوفقهما (انتهى)

(قلتُ) وهذا ممّا يدلّ على انَّ الملك الظاهر كان قد صرف ذهنهُ الى جهة الفرنج وانَّهُ كان محاربًا لهم وانَّ خاطرهُ كان قد مال الى جهتي زين الدين وجمال الدين المذكورين ليتجسّسا لهُ اخبار الفرنج ويطالعاهُ بها وان يكونا مثاغرين على صيداء وبيروت مع من كان من جهة السلطان. ولهذا وقع عندهُ الكذب في حقهما بوقع اوجب سجنهما

وذلك انَّهُ اشتهرت على ما اخبرَنا السلف مُعاداة بني ابي الجيش لبني الغرب بالبغضة والحسد فتوجَّه احدهم بكتابٍ مزوَّر عن زين الدين وجمال الدين واخيهِ سعد الدين الى الإبرِنْش (١ صاحب طرابلس مضمونهُ ما يوافق غرض الإبرنش ويُغضب الملك الظاهر. فكتب الإبرنش جواب الكتاب بما يوجب وقوع الدرك على المذكورين عند وقوف السلطان عليهِ. فتحيَّل ابن ابي الجيش المذكور حتى بلّغ الجواب المذكور الى الملك الظاهر يقصد بهِ اذيَّة امراء بني الغرب ليشفي خاطرهُ منهم

فعند ذلك طلب السلطان الثلاثة وهم زين الدين وجمال الدين حجي واخوهُ سعد الدين خضر وسجنهم مدَّةً طويلة لم اعلم كم هي. فمن قلّل يقول سبع سنين ومن اكثر يقول تسع سنين. وكانوا قد فرقوا بينهم فجعلوا زين الدين بن عليّ في سجن مصر وجمال الدين حجي في الكرك واخاهُ سعد الدين خضر بقلعة عجلون

ووقفتُ على كتاب مُرْسَل من عجلون يدلُّ على انَّ سعد الدين المذكور كان مسجونًا (32r) بعجلون ثمَّ احضروا جمال الدين من الكرك وسعد الدين من عجلون وجمعوا الثلاثة في سجن مصر. وحكي انَّهُ لمَّا قصدوا نقل سعد الدين من عجلون الى مصر استبشر بذلك فقالوا لهُ: انت ذاهب الى النحس من عجلون فلأيّ شيء تفرح. قال: افرح باجتماعي باعزّ الناس عليَّ واحبّهم اليَّ اخي وابن اخي (ستاتي البقية)

---

١) الابرنش معرّبة عن اللفظة الافرنسيَّة (prince) بمعنى الامير. وكان البرنس المتولي في ذلك الزمان على طرابلس يدعى بوهيمند السادس وكان اميرًا على انطاكية وطرابلس معًا. وفي ايَّامهِ فتح الملك الظاهر بيبرس مدينة انطاكية سنة ١٢٦٧ م فبقيت لهُ طرابلس وحدها. وتوفي بوهيمند سنة ١٢٧٥ وفتحت طرابلس بعد ذلك بمدَّةٍ سنة (١٢٨٨م) فتحها الملك المنصور قلاوون

رِوَايَةُ الشَّقِيقَتَيْنِ

للاب هنري لامنس اليسوعي

فاقلعت السفينة في مساء ذلك النهار وتمَّ السفر على غاية ما يرام من موافقة الرياح وهدوّ البحر ووصلت اسرة القنصل ب· الى ڤينَّة في اواخر تشرين الثاني

١٢

وكان بقرب العاصمة في ضاحية هِيتْسِنغ (Hietsing) على مقربة من حديقة الصيد الامبراطورية ومن الطريق المؤدية الى مزار «ماريا برون» الشهير جادَّة قصرٍ على جانبيها صفَّانِ من شجر البلُّوط القديم وفي آخرها بقعة من الخضرة يظهر وراءها قصر جميل ابيض اللون يترآى رسمهُ منعكساً في بحرة يتراوح ماؤها بفعل نفحات النسيم· وكان حول البحرة اشجارٌ كبيرة هائلة تمتدُّ تحتها ووراءها من كل الجهات حقول واسعة قائمة فيها بيوت صغيرة حمراء ومنازل للاصطياف معتدلة الحال منتصبة في وسط الخضرة· وكانت شمس تشرين الثاني مكفهرَّة ترسل اشعَّتها الذهبية بين اغصان الاشجار التي كان باقياً عليها شيءٌ من الاوراق المصفرَّة جعدتها الريح الشمالية

فني هذا القصر الذي كان في سابق العهد منزلًا لاجدادهِ نزل شرل دي لينس وهو في حالة يُرثى لها فكنت تراهُ صُلْبَ نهارهِ راقدًا على مقعد في غرفتهِ وهو ممتقع اللون واهن القوَّة تغيَّرت بهجتهُ وتنكَّرت بشاشتهُ وخمد نورهُ وذهب بهاؤُهُ حتى اصبح لا يعرفهُ مَن كان قد اعتاد النظر الى ما كان عليهِ من الزُّهرة اللامعة والنضارة الرائقة

وبينا كان نُطُس الاطباء يبذلون ما في وسع العلم لاصلاح الاختلال الذي طرأ على عقل البارون التمس والدا سوسنَّة مساعدة جمعية من الراهبات الزاهدات اللواتي كان لهنَّ في ڤينة شهرة طائرة باعمال الرحمة· وكان من جملة اعمالهنَّ المبرورة ومساعيهنَّ المشكورة الذهاب الى منازل المرضى للقيام عليهم اثناء المرض· فاجابت رئيسة الراهبات هذا الطلب بمحبة ولمَّا لم يكن لديها اذ ذاك لمثل هذه الخدمة الشريفة سوى راهبة واحدة امرتها ان تذهب للقيام على ذلك البارون المنكود الطالع وبذل الاعتناء بهِ

وكانت تلك الراهبة صبيَّة اسمها اغنس قد مرَّت عليها منذ عهد قريب السنة المسماة

بسنة الابتداء في عُرف الرهبانية. وكانت تلك الراهبة في زهاء العشرين من عمرها بيد ان الناظر اليها كان يخال لهُ انَّها في نحو الثلاثين على الاقلّ وذلك لما اصابها من الهموم الباطنة والمشاغل العقلية والمتاعب الجسدية فضلاً عمَّا قاستهُ في سبيل دعوتها الرهبانية الجليلة تلك الدعوة التي لاتليق الَّا بمن كانت في نفسهِ شهامة الابطال. اجل ان تلك المتاعب والهموم كانت لعبت بصحة الراهبة المتقدَّم ذكرها فذهبت بجمالها وغيَّرت منظرها البهيج وازالت من ملامحها تلك النضارة السنية والرونق الطريّ الخاصّ ببعض الأُسرات الحسيبة

ولمَّا مثلتْ هذه الراهبة لاوَّل مرَّة بحضرة القنصل ب. وزوجتهِ اهتزَّت جوارحها وارتجفت فرائصها واختلجت اعضاؤها وباقلّ من لح البصر اندفع الدم من قلبها المضطرب فلوّن خدَّيها العجيفين المتقعين بحمرةٍ وردية. على انَّ الاب والام الموما اليهما لم يكونا ليلحظا ما طرأ على تلك الراهبة من الاضطراب والتأثر السريعين وذلك لان الحزن كان شديد الوطأة عليهما لا يعيان شيئًا ولا يدركان امرًا

وكانت الراهبة الفتية تقوم بواجبات مُهمَّتها باخلاص لا عائلهُ في التناهي الَّا تقواها الحميمة التي كانت تستطرق الى النفوس المحيطة بها كالشمس تنفذ اشعتها في الاجسام الشفَّافة. وفضلاً عن ذلك فان حركاتها وسكناتها كانت تشير الى كرامة اصلها وطيب عنصرها. وكانت كأنَّ الديانة قد تجسَّدت فيها بصورةٍ حيَّة بل كأنَّها الرحمة قد تقمَّصت بها ثوبًا قشيبًا. ولذلك فان تلك الراهبة استهوت النفوس بدون ان تشعر بالامر واستلفتت الانظار اليها استلفاتًا

وكانت السيدة تُسرّ خاصَّةً بمحادثتها ومكالمتها وتشعر على اثر كل محادثة بابتهاج داخليّ يخامر نفسها بل كثيرًا ما كان صوت تلك الراهبة غير المعروفة منها يخترق اعماق احشائها وتهتزّ منهُ جوارحها دون ان تدرك لذلك سببًا. وحاولت مرارًا عديدة ان تستنطقها عن امر بلادها واهلها ولكنها كلما تأتي بمثل تلك المفاتحات كانت الراهبة اغنس تحوّل المكالمة الى موضوع آخر ولذلك عمدت السيدة ب. الى الاقلاع عن تلك المخاطبة لئلا تحزنها محترمةً بذلك رصانتها وتحفُّظها. بيد انها ادركت رغمًا عن ذلك ان والدَي الراهبة ما برحا في قيد الحيوة وانها غير مولودة في بلاد النمسة. ومما يُذكر انَّ الراهبة كان يبدو على محيَّاها سيماء الارتعاج عندما كانت تجتمع بسوسنَّة بل كانت تبذل

جهدها لكي لا تقابلها على انفراد بل ان سوسنة لحظت جملة مرَّات ان الراهبة كانت تحوّل عنها نظرها لتكفكف دمعة تندفع من عينها فورًا

وفي احد الايَّام ورد بريد سوريَّة وفيهِ للقنصل ب. مكاتيب ورسائل متعدّدة فأخذ يقرأها وشرع اهل البيت يتحدّثون بالاخبار الواردة من بيروت ولبنان. وكانت الراهبة اغنس في تلك الفرصة مهتمَّة شديد الاهتمام بتحضير دواء للبارون على انَّها لمَّا سمعت كلمة بيروت التفتت الى القوم بالرغم عنها ولم تتمالك ان ابدت حركة دلَّت على اهتمامها ورغبتها في الاستجلاء والاستطلاع لكنَّها انتبهت حالًا لامرها ورجعت عن تلك الحركة الفارطة منها ذَهلًا. بيد ان زوجة القنصل لحظت منها ذلك فقالت لها مستفهمةً: «يظهر لي ان حوادث سوريَّة تهمُّكِ يا حضرة الاخت»

فاجابت الراهبة بقولها:

«صدقتِ ايتها السيدة الفاضلة انني كنتُ دائمًا اغبط سكَّان تلك البلاد الجميلة. أوَ ليست تلك البلاد وطن المخلّص؟ او ليس قد تمَّت فيها اسرار ديانتنا المقدّسة المتناهية في تأثيرها بالنفوس؟ اجل انني في صباح هذا اليوم نفسهِ بينما كنتُ اتلو فرضي القانوني اذ وقفتُ على وصفٍ جميل عن لبنان وعن عظمة الارز القائم على رؤوسهِ... وفضلًا عن ذلك ان الهواء في تلك الربوع لطيف مُنعش نقيٌّ صافٍ ليس فيهِ ما نراهُ هنا من الكدورة والغيوم المتلبّدة والمطر الرذاذ المنهمل عندنا منذ اسبوع...»

ثم انقطعت الى موضوع آخر فقالت ملتفتةً الى المريض بعين الشفقة: «لهفي على البارون فانَّهُ منذ جملة ايَّام لم يستطع الذهاب لاستنشاق الهواء النقي». وقد اجتهدت ان تمزج بكلامها هذا السذاجةَ الفطريَّة بلهجة الانعطاف الخالص والصداقة المجرّدة. وهي اللهجة التي عُرِفت بها طائفة الراهبات حتى انَّ زوجة القنصل لم يخطر لها اذ ذاك انَّ في الامر سرًّا. على انها بعد خروج الراهبة من الغرفة اخذت تحادث زوجها بمحامد الراهبة اغنس مكرّرة ذكر سجاياها فوافقها على ذلك القنصل وسوسنة كل الموافقة بحيث ان العائلة كلها فُتنت بجمال تلك الفضيلة اللامعة بالوداعة والاخلاص والحشمة والاعتدال

١٣

ان العلَّة التي كان شرل دي لينس مصابًا بها كانت في ابتداء اقامتهِ في ڤينة قد تمكّنت منهُ ايَّما تمكين حتى غادرتهُ هزيلًا نهيكًا بل اتَّصلت بهِ الحال الى درجةٍ لم يكن

ليقبل معها تناول الطعام الَّا من يد الراهبة القائمة بخدمتهِ في مرضهِ . وكانت نوب السويداء تتعاقب عليهِ بكثرة فتثور فيهِ ثائرةُ الغضب واذ ذاك عنـد ما كان يعجز الرجال الاقوياء عن إخماد ثورة حنقـهِ كانت تُقبل عليهِ تلك الراهبة الفاضلة فتتمكَّن بكلمةٍ واحدة لطيفة من تسكين جأشهِ المضطرب وتخميد نبضهِ النابض . وعليهِ فانَّها كانت تقضي شطرًا كبيرًا من الليل لدى فراشهِ . بل انَّها لم تكن لتلتمس لنفسها الراحة الَّا زهاء ساعتين او ثلاث ساعات بل كثيرًا ما تستيقظ اثناء تلك المدَّة على صراخ واستدعاء البارون الذي لم يكن ليرضى بان تفارقهُ دقيقة

ولمَّا كان الهواء نقيًّا والجوّ صافيًا كان يذهب البارون دي لينس المنكود الحظّ الى التماس النزهة في حديقة « شُنْبرون » الجميلة التي كانت مكارم الامبراطور سمحت لاهالي ڤينَّة ان يروّحوا النفس فيها . وكان يذهب الى تلك الحديقة راكبًا عربة تحفُّ بهِ كلٌّ من سوسنة والراهبة اللتين كانتا متناظرتين في اخلاص الخدمة لهُ والعناية بهِ كانهما لهُ ملاكان حارسان وكان وجه البارون المتقع الكاسف يوجب الخيفة من ان يصبح داؤهُ عضالًا عُقامًا لا دواء لهُ . وكان يتبادر للذهن لدى مشاهدة عناية الصبيّة سوسنة والراهبة اغنس بهِ ان نفسيهما الكريمتين متَّحدتان بعاطفة واحدة من النزاهة والاخلاص

وقد حدث ان البارون ورفيقاهُ الراهبة وسوسنة ذهبوا مساءً يومًا ما في التماس النزهة المحكي عنها فبقيت السيدة ب . وحدها في البيت فتمكَّنت بانفراد عن سوسنة من اطلاق العنان لعاطفة احزانها فجلست في غرفة البارون وشرعت تبكي سرًّا

وهناك مرَّت بخاطرها ذكر حوادث السنتين المنقضيتين فذكرت وصول البارون مصيفها في لبنان ثم تبادر لذهنها كيف انها شهدت ذلك الانعطاف القوي الذي اجتذب قلب البارون الى نفس ابنتها وردة بقوَّةٍ غالبة وكيف انها هي ذاتها حسبت نفسها سعيدة بتعزيز الانعطاف في فؤاد ذلك الشاب الشريف اللامع كالشهاب . ثم اخذت تهذُّ في تلك الاماني الحلوة العذبة الشهيَّة التي كانت هي وزوجها يعقدان الآمال على تحقيقها في مستقبل الحين . تلك الآمال التي كانا يعلّقان عليها سعادة بنتهما العزيزة باتحادها برباط الزيجة مع اكرم رجل . تلك الآمال التي كانت تريهما انَّهما لدى بلوغهما في الشيخوخة سيلاقيان شرل دي لينس سندًا قويًا لضعفهما ودعامة معزّزة لوهنهما . . . .

ولدى مرور هذه التذكرات ببال زوجة القنصل كانت تبتسم ابتساماً يمرُّ بين دموعها كالسهم اللامع ينشبُ في الظلام الحالك

ولكن على اثر تلك الصور البهجة التي كانت ترسمها المخيلة قامت التذكرات المحزنة السوداء . اجل انها ذكرت حفلة الخطبة الراقصة ثم الحادثة الفاجعة التي جرت اثناء رجوعهم من اثينة وهكذا كانت التصوُّرات الاولى لديها كالحلم الجميل والتذكرات السوداء التي عقبتها كالحقيقة المحزنة تنجلي للنائم لدى استيقاظهِ من الرقاد

فقضت تلك الوالدة المسكينة حيناً في هذه الهواجس وهي تشعر بآلام مبرّحة بانفرادها في تلك الغرفة ثم قامت بعزم وخرَّت ساجدة على المصلَّى الذي كانت الراهبة اغنس تقضي عليهِ نصف لياليها وقد شعرت من نفسها بحاجةٍ ماسَّة الى الصلوة

ولما كانت حالتها تضطرّها ان تخفي في قلبها الهموم والاحزان التي كانت تتأكلها فاصبح من اللوازم الضروريَّة لها ان تبيح بامرها لله تعالى اله الرحمة ومهبط التعزية الحقيقية .

وكان على المركع الذي سجدت عليهِ كتاب صلوات وهو نفس الكتاب الذي كانت الراهبة تستعملهُ مصلّيةً ففتحتهُ بلا انتباه رجاء ان تجد فيهِ صلوة تناسب حالتها . ولكن حالما وقع بصرها على الصفحة الاولى استثبتت ان اسماً كان مكتوباً عليها وان ذلك الاسم كانت مُحيت كتابتهُ باعتناء فلم يبقَ منهُ الَّا الحرف الاوَّل وهو « الواو » مرسومة بالخطّ الثلُث . فوقع الكتاب بغتةً من يديها المرتجفتين ولم يبقَ لها من استطاعة الى الصلوة بل ثار ثائرها ونبض نابضها واضطرب بالها وشرعت تقلّب اوراق الكتاب اشكالاً والواناً طمعاً بان تبدو لها دلائل جديدة . على انَّ مسعاها كان باطلاً فان فحصها المدقَّق لم يُجدِ تلك الوالدة التعيسة نفعاً . فاضحى ذلك الحرف حرف (و) سبباً لانشغال بالها وباباً للحذر والتخمين

وبناء على ذلك اخذت الافتراضات الغريبة تتعاقب على ذهنها فخطر لها ان الراهبة اغنس ربَّما كانت بنتها « وردة » (ستاتي البقية)

شذرات

مستشفيات وسفن مبرَّدة

جاء في المجلّات الاوربية الاخيرة خبر يُسَرُّ لهُ كل من يقطن في البلاد الحارَّة . وهو

ان المسيو غرَفين احد مهندسي فرنسة قد اخترع جهازًا لتجميد الماء بقدر وافر وثابت. واذا أُدخلت هذه الآلة في قاعةٍ ما تنحطّ درجة حرارتها انحطاطًا كبيرًا ويتجفّف هواؤها. فلمَّا كان هذا الاكتشاف على غاية الفائدة لتمريض المرضى رحل المهندس المذكور الى بلاد كوشنشين لإقامة آلات التبريد في المستشفيات الفرنسية

هذا وقد افادتنا الاخبار ان شركة بحريَّة عظيمة عزمت على اقامة مثل هذه الآلات في مراكبها فكلَّفت لجنةً علميةً من مهندسيها باختراع أجهزة تناسب بنية السفن واحوال الركاب معًا. والله المسؤول ان يكلّل سعيهم بالنجاح

مبتلعو السيوف

قال الطبيب رينيو في مجلّة الطبيعة ما تعريبهُ: كنتُ يومًا مجتازًا ببعض شوارع باريس واذا برجل قوي البنية ارتقى الى ملعب وبيدهِ سيف من سيوف الحِراب قد اشتراهُ من الجند وعرض شفرتهِ ثلاثة سنتيمترات. وبعد ان عرضهُ على جميع الحاضرين ليتأكدوا انهُ سيف حقيقي نكَّس الرجل رأسه على ظهره الى انَّ مسَّ قفاؤهُ سلسلة الفقار. ثم ادخل السيف في فمهِ كما يُدخَل فيهِ انبوب من الكاوتشو لتغسيل المعدة. فضغطهُ بيدهِ وابتلعهُ دون ادنى صعوبة. وقد دخل السيف في بلعوم الرجل الى عمق اربعين سنتيمترًا الى ان مسَّ منفذ المعدة. فلمَّا انتهى من ابتلاع السيف ترك مقبضهُ ووقف على تلك الحال نحو ثُلث من الدقيقة وهو لا يتكلّم ولا يتنفَّس. ثم كرَّر ذلك مرارًا ملتويًا على صدرهِ او راقدًا على ظهرهِ

فلمَّا انقضى التمثيل استحضرتُ الرجل وسألتهُ عن امرهِ. فقال لي: ان عمرهُ اربعون سنة وانَّهُ مُزاول لهذه الصناعة منذ ٢٥ سنة دون ان يشعر في مزاجه باضطراب ولا في جسمهِ بمرض. وانهُ قادر ان يبتلع السيف مئة مرَّة في اليوم. ثم استأنف فقال: «انَّ الامر غير سهل بادئ البدء وقد قضيتُ لاجرائهِ اكثر من سنة. ولا يجوز في الابتداء ابتلاع السيوف لضيق البلعوم بل يجب استخدام آلات اصغر كالملاعق. ثم اذا اعتاد البلعوم نفوذ هذه الآلات يُجرِّب السيف. وهذا كما قلتُ صعب جدًّا في السنة الاولى»

فوا للعجب من حِرفة كهذه وكثيرًا ما نسمع الناس يقولون ان الامر من الشعوذات المحضة

حلّ اللُّغز الرياضي المدرج في الصفحة ٦٢٠

لحلِّ هذا اللغز طريقتان جبريَّة وحسابية وقد اصاب في حلهِ اوَّلًا احد المعلّمين في

مدرسة القديس لويس للاباء اليسوعيين في صيداء ثمَّ الشماس اكاكيوس مخُّول احد طلبة الرياضيَّات في مدرسة دير الصابغ . وهاك الجواب كما عرضهُ الشماس المذكور :

الطريقة الجبريَّة

عمر ديوفنت كلّهُ صبي شابّ متروّج دون اولاد لهُ اولاد ثاكل

$$\text{ك} = \frac{\text{ك}}{٦} + \frac{\text{ك}}{١٢} + \frac{\text{ك}}{٧} + ٥ + \frac{\text{ك}}{٢} + ٤$$

بالجبر $٨٤\text{ك} = ١٤\text{ك} + ٧\text{ك} + ١٢\text{ك} + ٤٢٠ + ٤٢\text{ك} + ٣٣٦$

بالجمع والمقابلة $٩\text{ك} = ٧٥٦$ ثم $\text{ك} = ٨٤$ الجواب

الطريقة الحسابيَّة

عمر ديوفنت كلّهُ صبيٌّ شابّ متروّج دون اولاد لهُ اولاد ثاكل

$$١ = \frac{١}{٦} + \frac{١}{١٢} + \frac{١}{٧} + ٥ + \frac{١}{٢} + ٤$$

بالجمع $١ = \frac{٧٥}{٨٤} + ٩$ ثمَّ $\frac{٧٥}{٨٤}$ من $\frac{٨٤}{٨٤} = \frac{٩}{٨٤} = ٩$ سنة و $\frac{١}{٨٤} = ١$ سنة و $\frac{٨٤}{٨٤}$ و ٨٤ سنة الجواب

فكان اذن عمر ديوفنت ٨٤ سنةً

كتب شرقية جديدة

PUBLICATIONS DE L'ÉCOLE DES LANGUES OR. VIVANTES.

I. ʻOumara du Yémen, sa vie et son œuvre, *par H Derenbourg*, I, *Paris*, 1897, pp. XVI-406

كتاب النُّكَت العصرية في اخبار الوزراء المصرية لعارة اليمني يليهِ قصائد من ديوانهِ

II. Documents arabes relatifs à l'Histoire du Soudan, *texte arabe édité par O. Houdas et E. Benoist Paris*, 1898, pp. 326

تاريخ السودان للشيخ عبد الرحمن بن عبدالله السعدي

III. Description des Iles de l'Archipel, *par G. Buondelmonti texte et traduction française par E. Legrand*, I, *Paris*, 1897, pp. XL-260.

لا تزال المدرسة الباريسية لتدريس الالسنة الشرقية ساعيةً في نشر التآليف الجليلة التي من شأنها ان تعرِّف احوال الشرق وتحيي ما درس من آثار الشرقيين . وهذه الكتب الثلاثة قد صدرت حديثًا من دار طباعتها

١ فالكتاب الاوّل يتضمَّن شيئًا من اعمال بعض أئمَّة ادباء العرب وهو الفقيه نجم الدّين ابو محمَّد المعروف بعمارة اليمنيّ اشتهر هذا الكاتب في القرن السادس للهجرة ودخل مصر ومدح صلاح الدين الايوبي بقصائد غرَّاء ثم دسَّ لهذا السلطان الدسائس مع جماعة من المصريين فأحسَّ بهم صلاح الدين وشنقهم بالقاهرة سنة ٥٦٩ (١١٧٤ م) . ولعمارة المذكور تآليف كثيرة اخصّها الكتابان اللذان قام بنشرهما المعلّم هرتفيك دِرنبُرغ اعني كتاب النُّكَت العصريَّة وديوان شعرهِ . فالاوَّل يشتمـل على اخبار المؤلف ونسبهِ واسفارهِ ودخولهِ مصر ومكاتباتهِ نثرًا ونظمًا مع اعيان العصر ولا سيَّما الوزراء المصريين وهو كتاب من انفس كتب الادب وضعهُ صاحبهُ على طريقة حسنة اللهجة كثيرة التفنُّن جمَّة الفوائد . امَّا فحوى الثاني فنخبة من ديوان عمارة تبلغ ٢٥٠ صفحة اختارها حضرة الواقف على طبعهِ وترك ما لم يجد في نشره كبير امرٍ . وكنَّا وددنا لو نشرهُ بتمامهِ وذلك بلا شك اولى وانفع . وعلى كلّ حال نثني على همَّة العلاَّمة درنبُرغ الذي يتحفنا بمثل هذه الطرائف . وقد طُبع الكتاب بحرفنا الاسلامبوليّ وأُتقن طبعهُ

٢ وموضوع الكتاب الثاني اخبار السودان التي لم يبلغنا منها الَّا النزر القليل وقد اسعد الحظُّ المستشرقَين هوداس وبِنوَا على وجود ثلاث نسخ من تاريخ السودان للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله ابن عمران بن عامر السعديّ . والمؤلف من ادباء القرن الحادي عشر للهجرة كان لهُ خـبرة في احوال السودان والدول التي تعاقبت في الملك عليهم منذ القرن التاسع الى زمانهِ فوصفهم وصفًا مدقَّقًا وذكر كثيرًا من العلماء والافاضـل الذين اشتهروا في تلك البلاد . ولهذا التأليف شأنٌ كبير لمعرفة تلك الاصقاع التي كاد الاوربيون يجهلونهـا في اوائل هذا العصر . وفي معرض الكتاب الفاظ واسماء تُشعر بلغات قبائل افريقية . وقد فُصِل هذا التاريخ الى عدَّة فصول توفيرًا للفائدة الَّا انَّهُ تشوّهُ الطبعةَ اغلاط كثيرة لم تُصلح

٣ امَّا مضمون الكتاب الثالث فهو وصف جزائر الارخبيل كتبهُ باللاتينيـة في اوائل القرن الخامس عشر للمسيح كريستوفور بُوندِلمونتي الفيرنسيّ وطُبع مرارًا لكثرة فوائدهِ . الَّا انَّ هذه الطَّبعات كانت سرت اليها عدَّة تصحيفات مسخت المعنى لفقـد اصل الكتاب فوجد المستشرق لِغران احد مدرّسي اللغات الشرقية في مكتب باريس نسخة قديمة خطّيَّة باليونانية نقلت عن نسخة مصونة في الاستانة العلية فعُني بطبعها وترجمها الى

الفرنسية وزاد عليها مقاطيع من الاصل اللاتيني لم تُعرَف بعد . ومن الصفات المحسّنة لهذه الطبعة اثنتان وخمسون خارطة تمثّل اعظم جزائر الارخپيل رسمها عن نسخة لاتينية قديمة موجودة في خزانة الكتب الخطّية في باريس

LES ÈRES DE TRIPOLIS DE PHÉNICIE

par le Dr J. Rouvier, Paris, 1898, pp. 32.

تواريخ مسكوكات طرابلس

قد اهدانا البارع الهمام الدكتور جول روڤيه احد المدرّسين في مكتبنا الطبّي مقالة نشرها في المجلّة الاسيوية ثمّ طبعها على حدة يبحث فيها على ما جاء لمدينة طرابلس الشام من التواريخ في المسكوكات التي ضربتها قديمًا . وقد بيّن فيها امرًا جهلهُ ارباب العاديّات ممّن عُني قبلهُ بوصف نقود طرابلس وهو انّ هذه المدينة لمّا استقلّت بالحكم كصور وصيداء وتحرَّرت من ربق الملوك السلوقيين في سنة ١١١ قبل المسيح جعل اهلها يضربون لهم نقودًا مستقلة مؤرخة بتاريخ الاسكندر . ثمّ اتخذوا لهم تاريخًا وطنيًا مختلفًا عن تاريخ اليونان بدؤه في سنة ١٠٥ ق م . وقد وجد الدكتور روڤيه اربعة اصناف من النقود المضروبة بهذا التاريخ منها فضيّة ومنها نحاسية فوصفها وصفًا دقيقًا يعرب عن كثرة علمه بهذه العاديّات . ثمّ اثبت انّ هذا التاريخ لم يزل مستعملًا الى سنة ٧٤ ق م ويعلّل انقطاع المدينة عن ضرب نقود مستقلّة بتولّي بعض البُغاة المدعو ديونيس الذي قتلهُ القائد الروماني پومپيوس سنة ٦٣ . هذا وقد بيّن ايضًا انّهُ قد نُقش عليها تاريخ اكسيوم من سنة ٣١ ق م الى سنة ١٣ ب م فضلًا عن المسكوكات التي ضربت في طرابلس إجلالًا لمرقس انطونيوس وكلاوپترة وعليها رسمها مع تاريخ ملك كلاوپترة ل . ش

أسئلة وأجوبة

س سألنا سعادة قنصل ايطالية في بيروت من هم السُكمان الذين ورد ذكرهم مرارًا في تاريخ اعيان لبنان

السُكمان

ج السُكمان ويقال لهم السُكبان (ويلفظ سَيمان) احد اقسام الينكشريّة الاربع . فكان القسم الاول يدعى جماعات يشتمل على مئـة أورطة . وكان القسم الثاني يعرف

بالبولوق اي الجند يتركّب من احدى وستين اورطة. ويسمّى القسم الثالث سُكبان ومعناها الصيادون مجموعهُ اربع وثلاثون اورطة . امَّا الرابع فلم يتضمَّن سوى اربع اورطات وكان اسمهُ سولاك اي نشَّابين (راجع Hist. de l'Empire Ottoman, *par Hammer*, XV, 216)

س اقترح علينا احد السادة الاجلاء الجواب على الاسئلة الآتية: «١ً هل كان القديس يوحنَّا الدمشقي يتكلَّم العربية وهل لهُ فيها كتابات وماذا كانت لغة دمشق في عصرهِ. ٢ً ما هي تآليف يوسيفوس بن كريون وما اسم كتابهِ المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٢ ومن هو مترجمهُ وهل الترجمة صحيحة ولاسيَّما ترجمة ما كتبهُ عن المسيح. ٣ً هل كانت مريم العذراء تعرف انَّ ابنها اله قبل موتهِ وقيامتهِ. وان كانت تعرف ذلك فكيف اضطربت لفقدهِ وعادت الى اورشليم متوجِّعة ولمَّا وجدتهُ قالت لهُ «لِمَ صنعتَ هكذا الخ» ولمَّا اجابها «انهُ ينبغي لي ان اكون فيما هو لابي... لم يفهما الكلام الذي قالهُ لهما»

القديس يوحنَّا الدمشقي ولُغَتهُ

ج نجيب على الاوَّل انَّ لغة القديس يوحنَّا الدمشقي كانت كلغة اهل دمشق في عصرهِ اليونانية وكانت هي اللغة الشائعة في بلاد الشام اللهمَّ الَّا القرى والجبال فان سكَّانها كانوا يتكلَّمون بالسريانية. اما العربية فكان يتكلَّم بها العرب المستولون على البلاد وعمَّالهم. والقديس يوحنَّا الدمشقي لم يكُ جاهلًا لهذه اللغة يؤخذ ذلك اوَّلًا من مقام اجدادهِ بني المنصور عند الخلفاء (راجع ترجمة القديس يوحنا الدمشقي التي طبعناها سنة ١٨٩٥ ص ١٨) ثمَّ ثانيًا من رتبتهِ الخاصَّة التي كانت تقتضي منهُ معرفة هذه اللغة فانَّهُ كان على الرأي الارجح متولّي الجباية المفروضة على الرعيَّة من النصارى. والكتبة اليونان يصفونهُ بمستشار اوَّل (πρωτοσύμβουλος) فكان لذلك يتوسَّط بين بني جلدتهِ والعرب. وجاء في ديوان الاخطل (ص ٣٤٦) ما يؤيّد ذلك. امَّا تآليف القديس يوحنَّا الدمشقي فكلُّها باليونانية لانهُ كتبها لافادة نصارى بلادهِ المتكلمين في ذلك العهد باليونانية

يوسيفوس وتآليفهُ وشهادتهُ على المسيح

٢ نجيب ثانيًا: انَّ ليوسيفوس المؤرّخ اليهودي في اليونانية كتبًا جليلة تفيدنا الافادات الجمَّة عن اليهود واخبارهم وتواريخهم اوَّلها كتاب العاديَّات اليهودية في عشرين

كتاباً ثم كتاب الحرب اليهودية في سبعة كتب . وله كتابان يردُّ بهما على ابيون مدافعاً عن قدم تاريخ اليهود مع مقالة على المكابيين وترجمة حياتهِ . هذا وعنوان كتابهِ المطبوع في بيروت « تاريخ يوسيفوس » وهو ملخص صغير عن كتابَيهِ العاديَّات والحرب اليهودية المارّ ذكرهما . اما الشهادة التي وردت في الصفحة ٢١٤ منهُ وفيها ذكرُ المسيح ومعجزاتهِ وظهورهُ لتلاميذهِ بعد صلبهِ فهي موافقة للاصل اليوناني مثبَتة في اقدم النسخ الخطّية التي بلغتْنا من اعمال يوسيفوس . وقد حاول البعض انكارها فلم يقووا على ذلك (راجع طبعة F. Didot الجزء الاول ص ٢٢٧)

كيف امكن للعذراء مريم ان تتوجَّع على فقد المسيح مع علمها بلاهوتهِ

انَّ معرفة العذراء للاهوت ابنها المسيح منذ حلولهِ في احشائها الطاهرة امرٌ لا يرتاب فيهِ الّا من شرد عن صراط دين النصرانية والدليل على ذلك ما سمعتْهُ من الملاك لمّا خاطبها قائلًا : « وابن العليّ يُدعى » . وما فاهت بهِ البتول نفسها في تسبحتها : « لتعظّم نفسي الربّ . . . لانّ القدير صنع فيَّ عظائم » . امَّا توجُّع البتول عند فقد يسوع في الثانية عشرة من عمرهِ فذلك امرٌ لا يخلُّ بمعتقد البتول بلاهوت المسيح وقد شرح هذا اوريجانس في ردّهِ على سِلْس الوثنيّ وغيرهُ من الآباء فقالوا : انّما تطلَّب يسوع ابواهُ خشيةً منهما ان يكون انفصل عنهما لنقصٍ فرط منهما في حقّهِ . او يكون منذ تلك الساعة بارحهما لمهمّاتهِ . او اصابهُ اذى من اعدائهِ وهما يعلمان ما تنبّأ عنهُ الانبياء من الاوجاع والآلام . أفليس ذلك كافياً ليقلق قلب والدةٍ شديدة الحبّ لابنها كمريم العذراء

امَّا قول الكتاب « فلم يفهما الكلام الذي قالهُ لهما » فليس معناهُ انَّهما لم يعلما بكونهِ المسيح ابن الله ولكن لم يعرفا متى واين وعلى اي طريقة كان يريد ان يتمم مشيئة ابيهِ السماوي وكيف كان يريد تعليم البشر وارشادهم الى الخلاص ففهما ذلك بعدُ تدريجاً

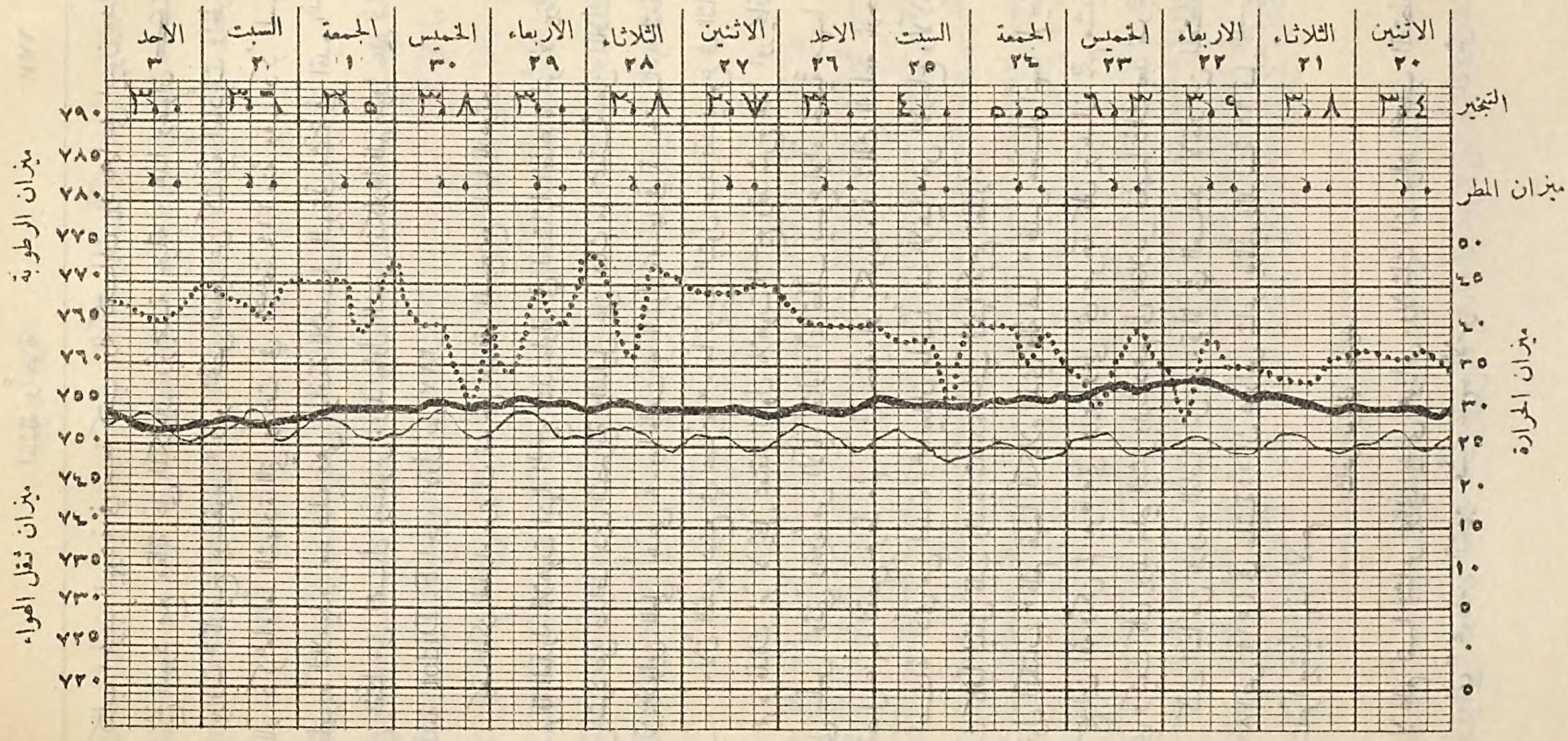
س كتب الينا من بيروت الفاضل س . ر : قرأنا في العدد الاخير من المقتطف (يوليو ١٨٩٨ ص ٥١٤) في حاشية : « ان هوراس شاعر يوناني ولد سنة ٦٤ قبل المسيح » أفتعرفون شاعرًا يونانيًا بهذا الاسم

شاعر يونانيّ جديد

ج لا علم لنا بشاعر يوناني يدعى هوراس . ولا شكّ ان مراد اصحاب المقتطف الشاعر « الروماني » هوراس الشهير فشُبّه عليهم الامر

ل . ش

قائمة للآثار الجوّية من ٢٠ حزيران الى ٣ تموز ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (—) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

الصُلَيب

لحضرة الاب انستاس ماري دي سنت ايلي الكرملي البغداديّ

(١ً تمهيد). انَّ نُدور هذا البحث وقلَّة المتكلّمين عنهُ وتَزْر كلامهم فيهِ حملني الى ان اتسنَّم غارب القلَم لأَزْلج قليلًا في مَيْدَان هذا البحث وان لم اكُن من فرسانهِ لعلّي بذلك أستنهض هِمَم العارفين باحوال هذا الجيل من الناس فيندفعون الى ان يدوّنوها في بطون الاوراق قبل الاندراس. ويُنيروا عقولنا بها قبل ان تفاجئنا الأَدْلاس. او لعلّي استلفت بهذه الاسطر انظار الواقفين على هذا الموضوع في ما كتبهُ الافرنج فيدرجون لنا في المشرق احوال جيل معروف بالمشرق وحدهُ وما نصُّوا من الآراء فيهم واتّصلوا اليهِ من معارفهم وما ذهبوا اليهِ في شأن اصلهم فتتضاعف الفوائد وتكثر العوائد ويطلع الانسان على حقيقة ما حولهُ من الموجودات لكي لا يُرمى بجهالة امورٍ هي لهُ ضرب من الضروريات. فاقول وبالله استعين:

(٢ً تعريفهم). الصُلَيب بضمّ الاول وفتح الثاني واسكان الياء كقُفَيل (والصليب انفسهم يسكنون الصاد فيقولون الصْلَيب) جيل من الناس بين الحَضَر واهل المَدَر منتشرون في الشاميَّة او برّ الشام ويتردّدون بين الموصل وبغداد والدير ونواحيها ومنقسمون الى عشائر من ١٥ الى ٢٥ خيمة تنتقل من مكان الى مكان للاتّجار بالحمير والملح وغير ذلك

(٣ً اصلهم). قد ذهب العلماء مذاهب شتَّى في اصلهم. فمنهم من قالوا انهم من بقايا الصليبيين الذين تفرَّقوا شذر مذر من بعد ان اقاموا في بلاد سوريَّة مدّة فنُكّل بهم تنكيلًا فاق ما اصاب سائر فرَق النصارى لما رآهُ اعداؤهم في اسمهم ما يستنزل عليهم

غضبهم واستشهدوا على دلك باسمهم فان الفرق بين لفظي صَليبيّ وصُلَيْبِيّ طفيف جدًّا يكاد لا يُذكر. ولذلك عندهم دليل آخر فان البدو لا يتعرّضون ابدًا لهؤلاء الاقوام ويعتبرون من يتعدّى عليهم انهُ ارتكب اعظم المنكرات وحقَّ لهُ انكى العذابات فينظرون اليهم نظرهم الى شيء مقدَّس موسوم بالصليب ولا يوقعون بهم أذى او أدنى مكروه وعليهِ فلا مخالطة بينهم وبين البدو. ولهم ايضًا دليل ثالث يُعزّز هذا القول وهو ان البعض منهم من يقول هذا القول اي انهم من الصليبيين لكن لمَّا أخنى عليهم الدهر آل بهم الامر الى ما انتهوا اليهِ اليوم ولسان حالهم يقول:

يعاندني دهري كاني عدوُّهُ وفي كلّ يومٍ بالكريهة يلقاني
وان رُمتُ خيرًا جاء دهري بضدّهِ وإن يَصْفُ لي يومًا تكدَّر في الثاني

وقالت جماعة يُستدلّ على اصلهم من اسمهم فالصُّلَيْبُ مشتقّ من الصُلْب بمعنى الشديد يقال: صُلْبٌ في دينهِ اي شديد فيهِ متمسك بهِ وهم عصابة من النصارى قذفتهم ايدي الدهر الى البراريّ فبقوا محافظين على دينهم باديَ بدء ثم تراخت بهم الاحوال فاصبحوا ما هم عليهِ اليوم. او اسمهم مشتقّ من صَلُبَ اي ضدّ لَانَ وهم من نصارى العرب في عيشهم شظف وخشونة لا تلين لها الطباع

وسمعتُ اناسًا يقولون ان اصلهم يرتقي الى الرومان او اليونان فان اسمهم مشتقّ من صُلَيب او صُلَيْف (Sulèves) وهي آلهة بريَّة كانت تقام ثُلَاثَ على رُخامٍ قديمٍ وهُنَّ قاعدات وبأيديهنَّ اثمار وسنابل. ولما كثر اختلاط عبدة هذه الالهة بالنصارى والاسلام تركوا اعتقادهم وتعلّقوا باعتقادٍ ليس هو باعتقاد النصارى ولا باعتقاد الاسلام فصارت حكايتهم اشبه بحكاية الغراب الذي قيل فيهِ:

إنَّ الغراب وكان يمشي مِشيَةً فيما مضى من سالف الاجيالِ
حسد القطاةَ ورام يمشي مَشيها فاصابهُ ضربٌ من العُقَّالِ
فأضلَّ مشيتهُ وأخطأَ مَشيها فلذاك سمَّوهُ أبا المِرْقالِ

وقال آخرون إنَّ اصلهم من صُليب او صُلَيب وهي قرية قريبة من دُنقلة من بلاد سَقْي النيل. فسمُّوا باسم مدينتهم

امَّا الصُلَيْب انفسهم فلا يعرفون شيئًا من اصلهم او يعرفون شيئًا تخيَّلوهُ في مُخيَّلتهم او يخترعون من عقلهم اشياء ويقولون بقدميَّة اصلهم. ويخطر ببالي اني سألتُ قبل ١٥ سنة

واحدًا من الصليب الذين كانوا قد جاءُوا بغداد في تلك السنة وكتبت كلامهُ بوقتهِ وكنتُ قلت لهُ : ما اصلكم ؟ قال : اني لا اعرف من اين يأتي اكلي . فكيف اعرف من اين يأتي اصلي . وسألت آخر من المقدّمين فيهم ذلك السؤَال فتنحنح ثم تنحّح ففكّر ثم تذكّر وقال : اسمع يا ابن الحلال . اننا نحن من خَيْرة الناس وصفوتهم . ومن عِلْيَة العرب وزُبدتهم . كان جدّنا عربيًا صليبًا (اي خالص النسب) اسمهُ ضَبْعَان . غير ان طوائح الزمان . طوَّحت بهِ على ما يأتي من البيان . كان الله تعالى سبحانهُ عزَّ وجلّ خالق جدَّ جدّنا ضبعان . في أثره مكان . في بلادٍ قريبة من بلاد العرَب . ينبت فيها انواع الغَرَب . ثم لمَّا كثر الناس واختلفت الاجناس . صمَّم جدّنا ضبعان على الرحيل من بلادٍ ضاق بها المكان . فاراد تعالى عندئذ ان يوزّع خيراته على خلقهِ ومبروءاته . فكان لجدّنا القِدح المعلَّى . والحال فرح فطلَّى . فسوّدهُ الله على سائر الناس . غير انَّهُ ما عتَّم ان ارتكب عملًا عُدَّ دنسًا من الادناس . وذلك ان القُيوم ربّ الكائنات . لمَّا بلغ الى تعيين ارزاق الحيوانات . جعل نصيب الكلب قرصة خبز فرمى بها اليهِ . واذا بضبعان جدنا تلقّفها قبل ان تقع بين يديهِ . والحال اغتاظ الله على طمعهِ وجشعهِ . واحرمهُ من رتبتهِ الاولى الشريفة . وانزلهُ الى درجة خسيفة . وكلَّمهُ بكلام تدكدكت لهُ الجبال . وتضعضعت لها قوّات السماء مع ما فيها من آيات الكمال والجمال . وقال : ولِّ عني مدبرًا ايها النذل اللئيم . الخالي من صفات الكريم . اني كنت عظمتك بين سائر الناس . لا بل سوّدتك عليهم على اختلاف الاجناس . وها انك تشاطر الكلب في رزقهِ . وتخاصمهُ في حقهِ . ولِّ عني فانك منذ هذا اليوم . تكون ارذل القوم . وتَخيط الى الأَطناب (اي تمرّ بها لتكدي) . وتنبحك الكلاب . وكريمات القبائل يعطينك . ولئيمات الاحياء يطردنك . تأخذ بمخلاتك . وتكدّي من خالاتك . ولا تزال تفعل ذلك . وانت على هذه احوالك . الى ان تكفّر عن طمعك . وتوفي الله عن جشعك . الى ان يشاء . فينشلك من هذا الشقاء

وسألت آخر فقال تقريبًا قول السابق الَّا انَّهُ ابدل لفظة الكلب بلفظة الغزال

وسألت رابعًا فقال ما يقرب معنًى من كلام السابقين واليكهُ : انَّ ملك الشعوب وسلطانهم الأعظم لما رفع قبّة السماء . على عواميد من الهواء . واوقف الارض على ظهر الماء . شتَّت الناس في انحاء شتَّى من المعمورة . وعيَّن لكل جماعة حصصًا من الارزاق عندهُ تعالى مذكورة . فكان نصيب الفلاَّحين الفلاحة . ونصيب الملاَّحين الملاحة . وحظّ المدَنين

التجارة . وقسمة البدو ركوب الخيل المُطَهَّمة السيَّارة . وتقلُّد السيف والرمح ببسالة غريبة . واقتحام غمرات الموت بشجاعة عجيبة . وكانت حصَّة الافرنج التفنُّن والبراعة . والمهارة في الصناعة . امَّا جدّنا صليب وشرار جدّ الشرارات . وحازم جدّ الحوازم المعروف بالغارات . فهؤلاء ثلاثتهم كانوا تغرَّبوا فلمَّا اتوا الى اوطانهم . ادَّعوا باسهامهم . فغضب عليهم الملك الكريم . واستعذروا فكان عذرهم اقبح من ذنب عظيم . فقال صليب : اني كنت اطارد ظبياً . فقال لهُ الربُّ الجليل : سقياً لك ورعياً . فان كنت قد ولعت بصيد الغزال والكدية . فاذهب مع الصبية . الطُنب يطيّحك . والكلب ينبحك »

هذا ومن امعن النظر في ما تقدَّم يتحقق شيئاً وهو ان ما يزعمهُ العلماء لا ينطبق على ما يقولهُ الصليب وبين القولين بونٌ عظيم . غير انَّهُ ممَّا يمكن ان يؤكدهُ كل عاقل هو ان الصليب ليسوا من العرب ابدًا . ولنا على ذلك ادلَّة قاطعة وبراهين نيّرة ساطعة . منها : ان ملامح وتقاطيع الصُلَيْب غير ملامح وتقاطيع البدو . فان الصليب يمتازون غالبًا بصغر الرأس وعلوّ الجبهة وسعتها وشهَل العينين او صفرتها وزَجج الحاجبين وبلجهما وشَمم الانف وبياض اللون وبيضية الوجه ورقَّة الشفتين وشقرة الشعر ونعومة الجلد ودقَّة الخصر ورشاقة القدّ ونصاعة بياض الاسنان وصحَّة الابدان الى غير ذلك ممَّا لا ينطبق الَّا البعض القليل على مميّزات البدو او العرب . وممَّا اشتهر بهِ الصليب خاصَّة نحافة الجسم بنوع فاحش حتى عُرفوا بها وضُرب بهم المثل . فيقال : « انحف من الصلَيْبي » او « هو نحيف كالصليبي » او « كأنهُ صُلَيْبي »

ومن تلك الادلَّة ايضاً لغتهم فهي ليست بالعربية الفصيحة ولا بعربية البادية بل هي لغة بين الاثنتين ولهم رُطَيْنَى يتكلَّمون بها بينهم خاصَّةً . غير ان البعض منهم يتكلّمون بعربية البلاد الموجودون فيها وربَّما تعلَّم البعض منهم ولا سيَّما المقدّمون بينهم مقاطيع مسجّعة كما مرّ بك

ومن ذلك ايضاً عوائدهم فهي كما رأيت ليست بعوائد اهل البادية او نحوهم

ومنها ايضاً ان العرب والاعراب يعتبرون الصليب قبيلة غير عربية ومستقلَّة عنهم ويجلّونها ويعظّمون قدرها ويعتبرون المعتدي عليها اعتبار جانٍ من اعظم الجناة

(٤ً ديانتهم) . ليس للصليب ديانة خصوصيَّة . وقد سألناهم بهذا الموضوع فقالوا : انَّنا نعبد خالق الغزال والذي سخَّرهُ لنا غير اننا بسبب مخالطتنا للاسلام ولاهل البادية وجهلنا

لامور ديانة اجدادنا اخذنا عنهم ما دخل بيننا رغمًا عنّا فهم اذًا لا يعرفون لا الصوم ولا الصلاة ولا شعائر الديانة ولا . . ولا . . ولا . . غير ان الختان معروف عندهم

(٥ً طعامهم ولباسهم) . ان طعامهم لحم الغزال وهو كثير في بريّة الشام التي يسكنونها وهم من احذق خلق الله في التحيُّل على صيدهِ فلا يزالون يطاردونهُ حتى اذا أعيا ووقف كالمتفكّر الغائب عن رشدهِ اطلقوا عليهِ النار وهجموا عليهِ . ويطاردون الغزال تارةً ركضًا وتارةً ركبًا على الحمار الابيض فاذا قربوا منهُ كلّموا حمارهم همسًا فيفهم الاشارة ويبرك كالبعير ثم يطلقون النار من وراء الزامة متخذينها بمنزلة القُترة فيصطادونهُ . — ومن طعامهم ايضًا الشعير والذُّرة بانواعهما واللبن وشرابهم الماء القراح وإن لم يحصلوا عليهِ في مثل فصلَي الصيف والخريف شربوا اللبن او اللبن الحليب بدلًا منهُ . واذا دخلوا مدينة تزوَّدوا لهم الطحين وانواع الاطعمة اليابسة لبقائها زمنًا طويلًا بدون فساد

ولباسهم كلُّه من جلد الغزال ايضًا ويتخذون لهم منهُ القفّاز والمسماة (١ . ولباس الرجل لا يمتاز عن لباس المرأة الّا بشيءٍ واحدٍ وهو انَّ المرأة تتعصَّب بعصابة حمراء بلون الحنَّاء وتدلّي طرفيها على القفا كانهما تَتْوَا التاج . اما الرجل فيجعل هذهِ العصابة الحمراء ملفوفة على نفسها ليس لها طرف نائس متذبذب . وللرجل جدائل شعر كما للمرأة . والغالب في الرجل الثَّطَط وهو خفَّة شعر العارضين ولهذا فقلَّما يتميز الرجل عن المرأة من بعيد وبالاخصّ اذا كان الرجل شابًا لم يَبقَل بعد وجههُ . ولهم منطقة يتَّخذونها من جلد الحمل او نحوهِ فيُدهن او يُدبغ بالقَرَظ او بالآء ويُجدل على ثلث قُوًى جدلًا عريضًا ويعلّق بها هنات من العظام يثقبونها لهذه الغاية وتُلبس المنطقة بهذهِ الهيئة ويسمّونها السَبْتَة (بفتح وسكون) . واظنُّ ان اللفظة عربية محضة كانها قطعة من السِبْت (بكسر وسكون) ومعناها كل جلدٍ مدبوغ

(٦ً اسلحتهم) . ان الاسلحة المعروفة عندهم هي المِقْيار والبعض يلفظ القاف جيمًا شجريًا او جيمًا حلقيًّا فيقولون المِجْيار او المِكْيار وهو عبارة عن عصا جُعل في رأسها كتلة مستديرة من القار تصلب اذا يبست فتكون كالحجارة . وتفَنكة الشِّشخان وهي نوع من البندقية او البارودة متوسطة بين القربينة والبارودة الاعتيادية وهي مستطيلة الانبوب بنوع

١) المسماة شيء كالجورب يغطَّى بها اسفل الساق وظاهر القدم لكي لا تجرح الارجل بالشوك او بما اشبه

فاحش وداخلها ستُّ طرائق او زوايا ومنها اسمها بالفارسية ومعنى شش ستَّة وخان او خانة بيت او منزل او طريقة. وقد كان دخول هذه البندقيَّة ايَّام السردار عمر باشا المشهور. والقُرْطة وهي كالمقيار الَّا انَّها كلها من حديد ووجهها محفور او منقوش باشكال غريبة يُؤْتى بها من الحساء والقطيف من بلاد العرب

(٧ً عوائدهم واخلاقهم). من عوائدهم انَّهم يكرهون كلَّ الكراهيــة السرقة والغشّ والخداع والمكر والمداجاة والمراءاة والغبن في البيع والتجارة. وليس من شيءٍ معظَّم عندهم مثل الدَّين. والكذب غير معروف عندهم. ومن طبعهم الكدية وهم مشهورون بها فانَّك لا تزال تراهم يتطفَّلون على موائد الغير من اي ملَّة او نحلةٍ كانوا وبدون ان يُدعَوا الى الطعام وهم لا يستنكفون من نوعٍ من الطعام ولا يحرّمون شيئًا منهُ واذا سمعوا باحضار طعام في محلّ تراكضوا اليهِ متسارعين كانَّهم من اهل ذلك المحلّ

ومن اخلاقهم العفَّة والطهارة فهم لا يعرفون الزنى ولا الفجور الَّا ما ندر والنــادر لا يُعتدّ بهِ. والمرأة عندهم على جانب عظيم من الحياء والخفر واذا شخصت المرأة مع زوجها الى المدينة تمسَّكت باهداب ثوبه وتعلَّقت بهِ وهي على هذه الصورة اينما سار وسرى كانَّها الطفلة الصغيرة بجانب ابيها

(٨ً سكناهم). ان الصليب يسكنون في خيمٍ يتَّخــذونها من جلد الغزال او من الشعر وهم يرتادون منازل الغيث في الربيع والشتاء وجوار المــدن والقرى في الصيف والخريف وتبلغ خيامهم ما ينيف على الـ ٧٠٠ خيمة

(٩ً صنائعهم). ليس لهم صناعة يمتازون بها سوى تربية الحمير البيض. فحميرهم من هذا القبيل مرغوبة لحسنها وقوَّتها وتمكُّنها من السير المتواصل بدون ان تتعب وشيكًا. ولهذا ترى كثيرين من التجَّار يعقدون صلاتٍ معهم لهذه الغاية. وربما بلغ قيمة الحمار المبتاع منهم بسعر ٣٠٠ فرنك او اكثر. ومن أعمالهم ايضًا تربية المواشي بانواعها والغنم عندهم في سِنِي الخصب تَلِد مرَّتين في السنة

(١٠ً حفلة الزواج عندهم). اذا اراد الواحد ان يتأهَّل خرج بشير من بيت الرجل وهو قابض على ذيل حمــار ابيض يُوجِفُهُ مارًّا ببيوت الربوع فيكون ذلك علامة للدعوة الى العرس. وهذا يشبه بشير العرب الذي كان يجيء مبشّرًا للحيّ بخصبٍ او حال تسرّهم

فاذا جاء حرَّك ثوبهُ او سيفه واشار بهِ من البعد ليفرحوا ويستبشروا قال الهذَليّ:

اَرِقتُ لهُ مثل لمع البشيرِ يقلّب بالكفّ فرضاً قليلا

فترى حينئذٍ كل ما اتى البشير بيتاً خرجت نساؤهُ يُهَلهلنَ (١ فيشمّر اصحاب كل بيت في تهيئة طعامٍ يبعثون بهِ الى بيت العروس (الرجل) فيحتشد المدعوُّون على طبقاتهم ويأكل كل فريق من طعام فريقهِ الآخر. واذا انتهوا من الوليمة انفصلت الرجال والنساء كلّ على حدةٍ وبدأوا بالرقص والزفن. ورقصهم في منتهى البساطة فلا ترى ابداً فيهِ حركاتٍ تخلّ بالآداب او أمارات تبعث النفس الى سوء الظن او الشكّ فهو عبارة عن وَثب وطَفرٍ. وعندهم نوع من الرقص يسمَّى بالدَّسْتَبَند يأخذ بهِ بعضهم يد بعض ويدورون. ومن عوائدهم في مثل تلك الايام عادة اسمها عندهم بالْهَجَلة وهي عبارة عن ان المُعرِس يمتطي حماراً محضاراً محتاطاً بعجاهِنةٍ (٢ ويمرّ بصدر البيوت فتُقبِلُ النسوة لرميهِ عن الحمار فيمنعهنّ العجاهنة. ولا يزالون يفعلون هذا الفعل حتى اذا جاء بيتهُ اولم وليمةً يسمونها وليمة الشباب. امَّا اذا وُفّقت النساء الى قلب المعرس عن ظهر حمارهِ رغماً عن مقاومة العجاهنة لهنّ فللنساء حقّ بالوليمة لهنَّ فقط ويعود الشبَّان بخُفَّي حُنَين

امَّا طريقة الزواج فتكون على هذه الصورة: يتقدّم الخاطب ويمسك بيد أب المخطوبة واخيها او وصيّها او القيّم بامرها ويأتي ثالث ويخاطب وكيل الابنة او اباها قائلًا: أتُزوّج فلانة ابنة فلان فلاناً ابن فلان؟ فيقول ابو الابنة: نعم اني ازوج فلاناً ابن فلان ابنتي هذه. فيصرفهم الثالث بعد ان اقام لدى العرسين مقام الشاهد العدل ثم يقول: سيرا بحفظ الرحمن والله شاهد عليكما وعلى اعمالكما وهو الحيّ القيوم

(١١ الطلاق). لكل من الرجل والمرأة حقّ في ان يطلّق صاحبهُ اذا خان الواحد الآخر اي اذا ثبت عليهِ بانهُ احبّ شخصاً آخر. واذا ارادت المرأة الطلاق خرجت قائلة صارخة: اشهدوا عليَّ باني طلّقت فلاناً زوجي لانهُ عشق او خطب غيري (إذ لا يمكن لاحد الزوجين ان يتزوّج الّا برضى الآخر). فاذا انتشر الخبر وتحقّق صدقهُ كلُّ الناس لا تعود المرأة ترجع الى بعلها ولو استرضاها بمال قارون او دولة هارون او سحَرَها سِحرُ هاروت

---

١) يقال هلهل الرجل اذا رجّع صوتهُ والهَلاهل هي ما يسمّيها اهل سورية بالزلاغيط

٢) جمع عجاهِنٍ وهو صديق الرجل المعرس والبعض من العامة تسمي العجاهنة بالفداوية والاشابينة والسَّرادجة جمع سردوج

وماروت . امّا اذا كان الخبر كاذبًا جاءت المرأة الى زوجها بالمرجَل (بالدست او القــدر) واستحلفتهُ عليهِ ثلاثًا ليثبت صدق الخبر فيقلب الرجل القدر ظهرًا ويحلف عليها ويقول ثلاثًا : وحياة القدر وما قُدِّر فيها (١ اني لا عشقت ولا خطبت غيركِ لا ظاهرًا ولا باطنًا لا سرًّا ولا جهرًا . فاذا حلف هذا القسم المغلّظ رجعت اليه . واذا طلّق الرجل امرأته ووُجدت حاملًا بعد طلاقها امتنعت عن الزواج ثانيةً الى ان تُرزق فاذا رزقت انثى جاز لها عقد الزواج وان ذكرًا بقيت على ما هي عليهِ ثلث سنوات الى ان يفطم الطفل

(١٢ التطبيب) . لا يعرفون من الطبّ الّا المعالجة بالكي ومخّ عظام البعير . فالمخّ يُستعمل بمنزلة دهانٍ او مَرُوخٍ او مَرْهم لأنواع الامراض الخارجية او الأَدْوَاء الباطنيّــة ذات الاثر الخارجيّ كداء المفاصل والرِّئَة والنِقْرِس والخُضار ونحوها . وكل ما لا يُعالج بالمخّ يُداوى بالكي . وطريقة الكي عندهم ان تؤخذ قطعة صغيرة من ثوب ازرق صُبِغَ بالنيل (ولا يؤخذ من ثوب صبغ بصبغ غير النيل) . ثم تُلفُّ هذه القطعة على نفسهــا لفَّاتٍ متعدّدة حتى تغدو كالانبوبة دقيقة الرأس ثم يشعل هذا الرأس ويكوى المريض بالخرقة انحاء شتَّى من جسمهِ معلومة عندهم بموجب نوعية المرض وموطنهِ

فللداء الفلاني مثلًا يكوى المريض من كتفهِ وذراعهِ وظهرهِ وللداء الآخر من ساقهِ وظاهر قدمهِ ومقدّم صدرهِ الى غير ذلك بموجب قواعد يعرفهــا الكاوي . وربّما كان هذا الكيّ في فسحةٍ معلومة من الجسم فيقوم هذا الكيّ مقام حرَّاقة او لزقة او لبيخة او نحو ذلك من مُصطلحات الطبّ الحديث . فيحدث اثر هذا الحرق حُوَيصلات ممتلئة ماء فاذا نضجت وسال ما بها شفي المريض . وقد تُبدَلُ الخرقةُ النيليّة بحـديدة حارَّة فيتصرَّف بها الكاوي تصرّفهُ بالخرقة الزرقاء وقد تُبدَلُ الحديدة بالصوفان ايضًا . ومن نظر الى شــكل الحديدة او الخرقة او الصوفان علم بان آثار الكي تكون مختلفة الشكل والهيئَة والقدر فمنها مستديرة ومنها مستطيلة ومنها مستعرضة الى غير ذلك

(١٣ دفن الموتى) . اذا مات الواحد عندهم اسرع اصحابهُ الى غسلهِ وتكفينهِ وايداعهِ الرَمْس وبعد ليلتين من موتهِ تُدعى الاقارب والجيران والاصدقاء الى ان يشتركوا معهم لتأدية الواجبات في مقاسمتهم الوخيمة التي تقــام على قبر الميت . ويشاطر هؤلاء المدعوّين جميع الفقراء والمحتاجين وبعد ان يأكلوا ويشربوا يأخذون معهم ما بقي من

١) اي ما طبخ بها من الطعام

الطعام و ينصرفون والسنتهم لاهجة بذكر محاسن الفقيد وفضائلهِ مستدرّين صيب رحمة الله عليهِ . واذا كان اصحاب البيت من الاغنياء او ممَّن تمكّنهم حالهم من تضحية ضحيَّة عمدوا الى اخذ جمَل وجعلوا عليهِ ثوبًا وعباءة ونحو ذلك وكلّ ما يتعلّق بلباس الرجل حتى الاحذية واخذوا معهم طحينًا وسمنًا وماء وغير ذلك ثم يكلّمون ميتهم قائلين لهُ : خذ ضحيَّتك هبةً لك ليوم في هذه الدنيا وليوم في الآخرة . ثم ينحرون الجَزور و يأخذون معهم الاكل والامتعة التي كانت وُضِعَتْ على الجمل المضحَّى وينصرفون حامدين شاكرين .

اصل كلمة زنديق

للاب سبستيان رنزفال اليسوعي

كَثُر ما قرأتُ عن اسم الزنادقة ووصف زندقتهم في تآليف الشرقيين ولا اذكر اني عثرت مرَّةً على هذا الاسم دون ان اراجع كتابًا او قاموسًا لاستخراج معناهُ الصحيح املًا بان اظفر بما يرتاح اليهِ لُبّي ويقنع بهِ تمامًا عقلي . فطاش سهمي مع ما واصلتُ من السعي وتحمَّلتُ من الكلف والجهد

واوَّل ما طالعتُ كتاب الفهرست لابن اسحق الورّاق لانّ هذا المؤلف الشهير احسن في وصف اخبار ماني الزنديق ونَعت شيعتهِ المرذولة فكتب في ذلك مقالةً متّسعة جليلة الفائدة عليها المعوّل في ترجمة هذا المبتدع . غير اني لم اعثر فيها على المطلوب

ثمَّ سرَّحتُ النظر في كتب المؤرّخين من العرب كالطبريّ واليعقوبي والمسعودي وغيرهم ممن حصلوا على الشهرة الطائرة في العلوم التاريخيــة والاسانيد الصحيحة فلم أنل منهم المرغوب . وكذلك لم اجد في تصانيف اللغويين ما بهِ اشفي غليلي . فدونك بعض اقوالهم لترى ما اتى فيها من الاخبار المتباينة والآراء المتضاربة

قال صاحب تاج العروس : « (الزنديق بالكسر من الثنوية (١) كما في الصحاح (او) هو (القائل بالنور والظلمة) كما في العباب (او من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبيَّة) وفي التهذيب : ووحدانية الخالق (او من يبطن الكفر ويظهر الايمان) . قال شيخنا : والفرق بينهُ وبين المنافق مشكل جدًّا . كما في حواشي الملا عبد الحكيم على تفسير البيضاوي (او

١) يعلم القراء انَّ ما اتى في تاج العروس بين قوسين هو للجوهري صاحب الصحاح والباقي هو شرح لصاحب التاج

هو معرب « زن دين » اي دين المرأة) نقلهُ الصاغاني هكذا . وقال الخفاجي في شفاء الغليل : بل الصواب انهُ معرب « زنده » . وفي اللسان الزنديق القائل ببقاء الدهر فارسي معرَّب وهو بالفارسية زندهُ الذي يقول بدوام بقاء الدهر . قلتُ : والصواب ان الزنديق نسبة الى الزند وهو كتاب ماني المجوسي الذي كان في زمن بهرام بن هرمز بن سابور ويدَّعي متابعة المسيح عليهِ السلام واراد الصيت فوضع هذا الكتاب وخبأهُ في شجرة ثم استخرجهُ . والزند بلُغتهم التفسير يعني هذا تفسير لكتاب زرادشت الفارسي واعتقد فيهِ الالهين النور والظلمة . . . الخ » . اه

وجاء في شفاء الغليل « ليس (الزنديق) من كلام العرب . انما تقول العرب رجل زنديق وزنديقي اي شديد البخل . واذا ارادوا ما تقول العامَّة ملحدًا قالوا « دَهْري » . واذا ارادوا المسنّ قالوا « دُهري » بالضم للفرق بينهما »

وروى المسعودي قال : « وقد ذُكِر انّ بهرام (ابن هرمز) اتاهُ ماني بن يزيد (وهذا غلط والصواب ابن فتق) تلميذ قاردون فعرض عليهِ مذهب الثنوية فاجابهُ احتيالًا منهُ عليهِ الى ان احضر دعاتهُ المتفرّقين في البلاد الذين يدعون الناس الى مذهب الثنوية فقتلهُ وقتل الرؤساء من اصحابهِ . وفي ايَّام ماني هذا ظهر اسم الزنادقة الذي اليهِ اضيفت الزندقة . وذلك ان الفرس حين اتاهم زرادشت بن اسبان على حسب ما قدمناهُ من نسبهِ فيما سلف من هذا الكتاب بكتابهم المعروف بالبستاه باللغة الاولى من الفارسية عمل لهُ التفسير وهو الزند . وعمل لهذا التفسير شرحًا سماهُ البازند على حسب ما قدّمناهُ وكان الزند بيانًا لتأويل المتقدّم المنزل وكان من أورد في شريعتهم شيئًا يخالف المُنزل الذي هو البستاه وعدل الى التأويل الذي هو الزند قالوا « هذا زندي » اضافةً لهُ الى التأويل وانَّهُ منحرف عن الظواهر من المنزل الى تأويلٍ هو بخلاف التنزيل . فلمَّا ان جاءت العرب اخذت هذا المعنى من الفرس فقالوا زنديق واعربوهُ . والثنوية هم الزنادقة ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القِدَم وابى حدوث العالم »

وقال ابو عبد الله الخوارزمي الكاتب في مفاتيح العلوم : « الزنادقة هم المانوية وكانت المَزدَكيّة يسمون بذلك ومزدك هو الذي ظهر في ايَّام قباذ . وكان مَوْبذان موبذ اي قاضي القضاة للمجوس . وزعم ان الاموال والحرم مشتركة واظهر كتابًا سمَّاهُ زند . وزعم ان فيهِ تأويل الأبستا وهو كتاب المجوس الذي جاء بهِ زرادشت الذي يزعمون انهُ نبيّهم فنسب

اصحاب مَزدك الى زند. فقيل زندي واعربت الكلمة فقيل للواحد زنديق وللجماعة زنادقة » . اه (١

وقال آخر . . . وآخر . . . وآخر . . . ومرجع كلهم الى ما اقتطفناهُ من كلام المؤلفين المذكورين . فلا حاجة الى ايراد ما لا يزيد القرّاء علمًا فضلًا عن انهُ يزيدهم مللًا وسآمةً

واذا تأمّلتَ كل ذلك مليًا يا ايها القارئ الاديب فما عسى ان تستنتج منهُ في شأن الزندقة ؟ كأني بك تجيبني . اوّلًا : لمن المقرّر ان لفظة زنديق غير عربية بل فارسية . وهذا استنتاج صحيح لا مردَّ عليهِ اذ تحقَّق ورود تلك الكلمة في كتب الفرس القديمة قبل الاسلام . ثانيًا : انهُ من المقرّر ايضًا ان الأَبِستا كتابٌ من اقدم كتب الفرس والزَند تفسيرٌ للأَبِستا . وذلك ايضًا صحيح لا نزاع فيهِ (٢ وزد عليهِ ان هذين الكتابين كانا بمنزلة واحدة من التكريم والتعظيم عند الفرس القدماء .

ولكن هل نزعم ان اصل الزنديق من الزَند كما يقول معظم كتبة العرب لاسيما متقدّمهم في ذلك اعني بهِ المسعودي ؟ لا نظنّ . فان الزنديق والزند لا علاقة بينهما اللهمَّ الَّا موافقة بعض الاحرف في صوتٍ واحدٍ . وهذا امر اثبتهُ السيّد جمس دَرْمستتر (J. Darmsteter في المجلّة الاسيوية 1884, I. p. 562) فأيّده ببراهين مقنعةٍ . لان الزنادقة قد ورد ذكرهم قبل تأليف الزند اي في الأَبستا عينهِ حيث قيل : « اننا جعلنا الصلاة . . . لكي تحارب الزَنده والساحر وتحرّ بهما جميعًا . » امَّا الزنده في الفارسية الاولى فالمراد بها شريعة الساحر او بعبارة اخرى السحر كما يتضح من القرائن . امَّا صورة هذه اللفظة من حيث الاحرف فغير صورة الزند الذي معناهُ التفسير (٣ . فالزندي اذن في التاريخ القديم ساحر قبيح المذهب سيّئ المعتقد والصنع . فكفى بذلك برهانًا

وقد اتخذ هذه الكلمة الفرس المحدثون فتلفّظوا بها على صورة « زنديك » ومنها اشتقت

---

١) هكذا ورد ايضًا في تآليف بعض المؤرخين من الارمن (راجع Tabari Nöldeke p. 40)

٢) ان اول من لاحظ موافقة قول العرب في معنى الزَند مع الدلائل الموجودة في كتب الفرس الاقدمين هو الموسيو شپيغل (Spiegel) (راجع .Z D M G, VII, p. 103) . الَّا انهُ لم يعدل عن راي المسعودي في شأن الزنديق

٣) والفرق بين الكلمتين بيّن فانَّ الزند بمعنى التفسير مشتقّ من زنتي (Zanti) . اما الزنده فهو بالفارسية (Zanda) ومعناهُ السحر لا غير

(بتصحيف الحرف الاخير) لفظة زنديق الشائعة عند العرب وهم ابتكروا لها ضروبًا من الاشتقاقات وتخيّلوا لها انواعًا من الخرافات

وخلاصة القول ان الزنديق لفظة فارسية عريقة في القِدَم معناها الاصلي رجل السِحْر لا رجل التأويل كما زعم العرب ومن ذهب مذهبهم

البيطرة عند الأَعراب

نبذةٌ لحبيب افندي شيحا البغدادي عرَّبها حضرة الاب انستاس الكرملي

إنّ من نظر الى انتشار العلم وفُشوّه بين المدُن والقُرى لا يتمالك من ان يقول انّهُ بعد قليل من الزمن لا يبقى للأَحوال الحاضرة اثر بعد عين. وحينئذٍ يسأل نفسهُ قائلًا: وما عسى كان يفعل اولئك الناس الذين كانوا يعيشون في البوادي. وما كانت معرفتهم من الطبّ والبيطرة ومعالجة الأَدواء ونحو ذلك. فيا حبَّذا لو كانوا دوَّنوا أعمالهم في كُتُبٍ لنطَّلع عليها. فإجابةً لهذا الهاجس قد كتب المسيو حبيب شيحا كتابًا فرنسيَّ العبارة في هذا المعنى واودعهُ انواع الفوائد والغرائب فجاء فريدًا في بابهِ وذلك لانَّ ما ذكرهُ في كتابهِ هو من المحقَّق المثبت اذ عرف اهل البادية معرفةً تامَّة لانهُ عاش مع انواع قبائلهم وعشائرهم في اصقاع مختلفة مكَّنتهُ من الوقوف على احوالهم وعوائدهم مدّة سنين عديدة. وها اني اعرّب عن كتابهِ ما جاء في باب البيطرة

١ً امراض الراس في الخيل

يُصيبُ الخيلَ في رأسهِ مرضان: فمن علامات (الاول) سيلان مادَّة من الفم والعينين وفقد شهوة الطعام. والدواء الناجع لهذا الداء ان يؤخذ شيءٌ من زيت الأَنيسون فيهِ قليل من الملح يُفرّغ الكلّ في حلق الدَّابَّة. ولهذا الداء دواء آخر وهو ان يُحقن الحيوان بشحم الديك والخمر. ولهُ علاج ثالث وهو ان يُعمل لهُ المشرُوب الآتي:

٦ غرامات نشادر — ٦ غرامات زعفران — ٢٤ غرامًا من ماء الورد

يُمزج الكلّ معًا ويُصبُّ منهُ قطرات في الفم. اما مرض الخيل (الثاني) فيمتاز بتيبُّس الحلق وعدم القوَّة على الشرب. فيعالج كما يأتي:

٥ غرامات نشادر — ٥ غرامات زعفران — ٨ غرامات سكَّر

يُمزج الكلّ ويتخذ منهُ عجين ويُقسم اربعة أقسام يُعطى لهُ منهُ كل يوم قسم. ولهُ علاج آخر افعل من الذي تقدّم وصفهُ وهو هذا:

٦ غرامات موميا — ٥ ملح عجمي

يُسحقُ الكلّ سحقاً ناعماً ويدخل في انف الدابة بنفخهِ ايّاهُ بواسطة قصبةٍ ويمسك انف الفرس الى ان تسيل الدموع من عينيهِ ثم يُربط رأسه بنوعٍ يجعلهُ متّجهاً الى الاسفل لتنصبّ منهُ المواد بسهولةٍ. ولا يُطعم ذلك اليوم ولا يُشرب. وفي اليوم الثاني يُشرب فقط ثم يؤخذ مُحّان من البيض (اصفرا البيض) ويجعلان في نصف ليترٍ من السيرج. وبعد ذلك يُدلك بهذا المزيج رأسهُ. ويجعل منهُ قليل في فمهِ ويوضع منهُ ايضاً في مِخلاتهِ عند إطعامهِ الشعير حتى يدخل هذا الدواء كلّ جسدهِ. فيتلو ذلك تزول الموادّ فيتمّ الشفاء.

واذا كان الداء في النخاع نتيجة بردٍ فعلاماتهُ ما يأتي: يهزّ الحصان برأسهِ وتظلم عيناهُ فيكون هذا نوعٌ من الفالج يُصيب الحيوانات ويعالج كما يأتي:

٥٠ غراماً من الشاي — ١٥ غراماً من الكركم — ٦ غرامات من راس القرنفل (كبش القرنفل) — ١٥ غراماً من السكّر

تُسحق جميعاً سحقاً ناعماً وتُمزج في ٥ لترات من الماء الزلال ثم تُغلى سويّةً الى ان يبقى منها ثلثها. ثم يقسم هذا الماء المغلي ثلاثة اقسام ويُحقن كل يوم بجزءٍ واحدٍ منها. واذا كان برد الرأس نتيجة نَزْلةٍ حدثت اثر عرقٍ مفرطٍ فيؤخذ اذ ذاك:

٥ كيلوغرامات من اللبن الحليب — ٥٠٠ غرام من الثوم — ٥٠٠ غرام من السكّر الاحمر وبقدرهِ من السكّر الابيض

يُمزج الكلّ معاً ويُعطى منهُ الفرس

٢ً في جنون الخيل

يقال جُنّ الفرس اذا بدأ يرفس ويرمح ولا يدع احداً يدنو منهُ ويأكل كثيراً بدون ان يفيدهُ الطعام شيئاً. ويعالج هذا الداء باربعة انواع مختلفة وهي:

١ً يُفصَد من جانبي الشفتين ويُحقَن بخمرٍ ويُقلَّل عَلَفُهُ الى ان يهزل الفرس

٢ً تؤخذ مرارة البومة او مُخيخها ومرارة العنزة والغزال وتُمزج معاً ويقطر منها في انف الحصان

٣ً يُغلى تمرٌ عتيق في الماء ثم يصفّى ويُحقَن بهِ. ثم بعد ذلك يؤخذ جزء من شحم

العنزة وجزء من مـاء الورد وجزء من الكافور وجزء من روث الحمير تُمزج سوية ويدخل منها في انفهِ

٤ً يُذاب على النار من شحم الخروف ويُسحق فيهِ لبّ الجوز ثم يُطعم الفرس هذا المزيج

٣ً في حُمّى الخيل

هذا الداء يصيب الخيل على ثلثة انواعٍ : النوع الاوّل يُعرَف بحرارةٍ دائمـةٍ تظهر بالعلامات الآتية : يطأطئ الفرس راسهُ واذا مشى لا توافق ايديه ارجلهُ ويهزل يومًا فيومًا ويرفع ارجلهُ بصعوبةٍ

ويُشخَّصُ النوع الثاني بضعف بصر الفرس وبغشاوةٍ على عينيهِ وبانحدار الدموع

ويُعرف النوع الثالث من الحمّى بانفتاح المنخرين انفتـاحًا فاحشًا وبتنفُّس حارّ وبمفاجأة حرارة شديدة تليها برودة . وتُعالج الحمّى كما يأتي :

٤ كيلوغرامات من الزبيب الاسود — ٣٠ غرامًا من الملح — ٣ او ٤ خيارات — قليل من الشاهترج والجبن

يُخلط الكلّ في لترين من الماء ويُغلى معًا الى ان يبقى منهُ النصف ثم يُصفّى وتُشرَب منهُ الدابّة (ستأتي البقية)

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزڤال اليسوعيّ

(تابع لما سبق)

وكان أُذينة يؤثر خير الدولة الرومانية على خيرهِ وصالحهِ الخاصّ غير انهُ اخذهُ الارتياب وداهمتهُ الحيرة فكان لا يعلم أيواصل محاصرة المدائن ام يتركها مبادرًا الى مقـاومة الخوارج . فبعد التروّي جزم على المباشرة بما رآهُ انسب لحفظ سلامة المملكة . فلم يعتم ان غادر المدائن ورجع الى تدمر حيث اتّخذ اسم الملك ثم اسرع المسير الى ملاقاة مكريانس . ألّا ان هذا الباغي الشرير كان قد ترك الشام فصار الى مقاتلة غاليانس القيصر (١ بعد ان خلّف في الاقاليم الشمالية كياتوس احد ابنَيهِ ليقوم فيها مقامهُ وجعل معهُ كاليستوس (او باليستا) نائبهُ المذكور

وبينما كان ملك تدمر زاحفًا الى مدينة حمص اذ ورد خبر كسرة مكريانس وقتلهِ في

---

١) راجع تريبيليوس *Trig. Tyr.* 11

بلاد الّيرية او ثراقية (١ فتغيَّر السوريُّون عمَّا كانوا عليهِ من طاعة كياتوس بن مكريانس وخلعوهُ والقوا بزمام امرهم الى أُذينة. فالتجأ كياتوس مع كاليستوس الى حمص وتحصَّنا فيها مدَّة وجيزة. فما لبثا ان داهمتهما فرسان تدمر وأحاطوا باسوار المدينة. فلمَّا اخذوا بمحاصرتها علم كاليستوس أنْ لا سبيل لهُ الى النجاة فخان كياتوس سيِّدهُ وضربهُ بالسيف وشدخ رأسهُ ورماهُ من فوق الاسوار عند قدمي أُذينة ثمَّ فتح لهُ ابواب المدينة والتمس منهُ الامان. فمنحهُ أُذينة العفو ودخل البلد بعسكرهِ فاستقبلهُ الاهلون استقبالًا بهيًا شائقًا (٢٦٢ م) (٢

وبعد ان اراح أُذينة جنودهُ بضعة ايام خرج من حمص يريد حرب بقيَّة الخوارج. فبينا هو على ذلك اذ تمرَّد عليهِ كاليستوس فانتدب اشياعهُ واطلقهم على المدينة فثاروا باهلها وضربوهم بالسيف (٣ ثم الجأهم الباغي الى ان يبايعوهُ ففعلوا وبدأ هذا الظالم يجول في البلاد مدَّعيًا الملك لنفسهِ. فلمَّا ورد على أُذينة خبر خروجهِ وسوء تصرُّفاته ارسل عليهِ بعض المقانب ففجأوهُ في خيمتهِ واحتزَّ رأسهُ احد الفرسان (٤

امَّا أُذينة فتمَّم فتوحاتهِ وشنَّ الغارة على نواحي الجزيرة واعمال فارس (٥ فمنحهُ الله اكتاف بعض مرازبة شابور وارسلهم الى غاليانس يُعلمهُ ان الاقاليم رجعت الى السكينة والسلم

وكان القيصر في تلك الاثناء قد ذلَّل رقاب البرابرة من الالمان والفرنج وقهر خوارج إلّيرية وغالية. فلما انتهى اليهِ خبر أُذينة سُرَّ بهِ سرورًا شديدًا ووافق ورود هذا النبأ خبر تغلُّب ثيودوت قائدهِ على اميليانس في بلاد مصر وانتصار قائد آخر على القوط. فلما كانت سنتهُ تلك السنة العاشرة لملكهِ تقدَّم بان يقام عيد فاخر تذكارًا لنُصرته على جميع اعداء

١) راجع تريبيليوس *Trig. Tyr.* 2 وزوناراس ١٢ : ٢٣ وقد ورد في تاريخ اوسابيوس (٧ : ٢٣) ان النصارى فرحوا لهذا الخبر فرحًا عظيمًا لان مكريانس لم يزل يضطهدهم مدة ولايتهِ في الاقاليم السورية ومنذ ذاك العهد امر غاليانس بكفّ اضطهاد المسيحيين في جميع انحاء المشرق كما فعل قُبَيل ذلك في الاقطار الغربية

٢) راجع زوناراس ١٢ : ٢٤ وتريبيليوس *Trig.* Tyr. 11-13

٣) راجع تريبيليوس *Gall.* 3

٤) راجع تريبيليوس *Trig. Tyr.* 17 وزوناراس ١٢ : ٢٤

٥) وقد تشكَّى كثيرًا من مؤرخو اليهود لمَّا نالهم من الاذى عند محاربة أُذينة لشابور لاسيما في مدينتهم المسماة ناهدره من اعمال الجزيرة. وهي مدينة مشهورة عند اليهود بعدة مدارس يتعلَّم فيها الربانيون علوم ديانتهم وفنون تقاليدهم (راجع Groeg: *Hist. des Juifs* IV, 432

الدولة الرومانية. فاحتُفل بالعيد في العاصمة بأُبَّهة عظيمة استرسل في وصفها المؤرّخ تريبيلليوس پوليو

الّا ان غاليانس رغمًا عن اخماد كل الفِتن لم يكن ليستوثق من استقرار الملك لهُ وفكَّر في وجه تأييد اركان الدولة وتوطيد قواعدها. ففتَّش عن رجلٍ صالح امين نهوضٍ يشاركه في المُلك ولم يجد في جملة قوّادهِ وعُمّالهِ الّا أُذينة ملك تدمر وامير قبائل البادية. فاقرَّ لهُ بحقّ الرئاسة ودعاهُ امبراطورًا (١ على جميع انحاء المشرق اي على الشأم والجزيرة وآسية الصغرى سوى بيتينية وبضعة نواحٍ شمالية (٢٦٤ م) (٢. ثم أمر بضَرْب نقودٍ باسم أُذينة فضرِبت ونُقشت عليها صورة هذا الصنديد ووراءهُ بعض الاسرى من الفرس. وكان لهذا الخبر رنَّة عظيمة عند مجمع الشيوخ الاعلى وفي الممالك الرومانية قاطبةً

وتلقَّب أُذينة مذ ذاك الحين باسم آخر يُناسب سموّ مقامهِ في عيون الشرقيين فدُعي «ملك الملوك» (٣ على منوال الاكاسرة واشرك ابنهُ هروديس في سياسة ممالكهِ الواسعة ونهض باعباء التدبير نهوضًا حسنًا لتثقيف أوَد تلك الاقاليم الشرقية التي قد طالما توالى عليها الفتق وتفاقم فيها الصَدْع (٤

٩

واوَّل ما سعى أُذينة وراءهُ ازالة اضطهاد النصارى في بعض المدن كانطاكية وحمص ودمشق وقيصرية. فاطلق لكلّ طائفة من الطوائف الحرّيَّة الكاملة في امور الدين واوعز الى الوثنيين ان لا يتعرَّضوا للمسيحيين في قضاء فروض عبادتهم. ومنحهم علاوة على ذلك الرُخصة في بناء الكنائس حيث شاؤوا

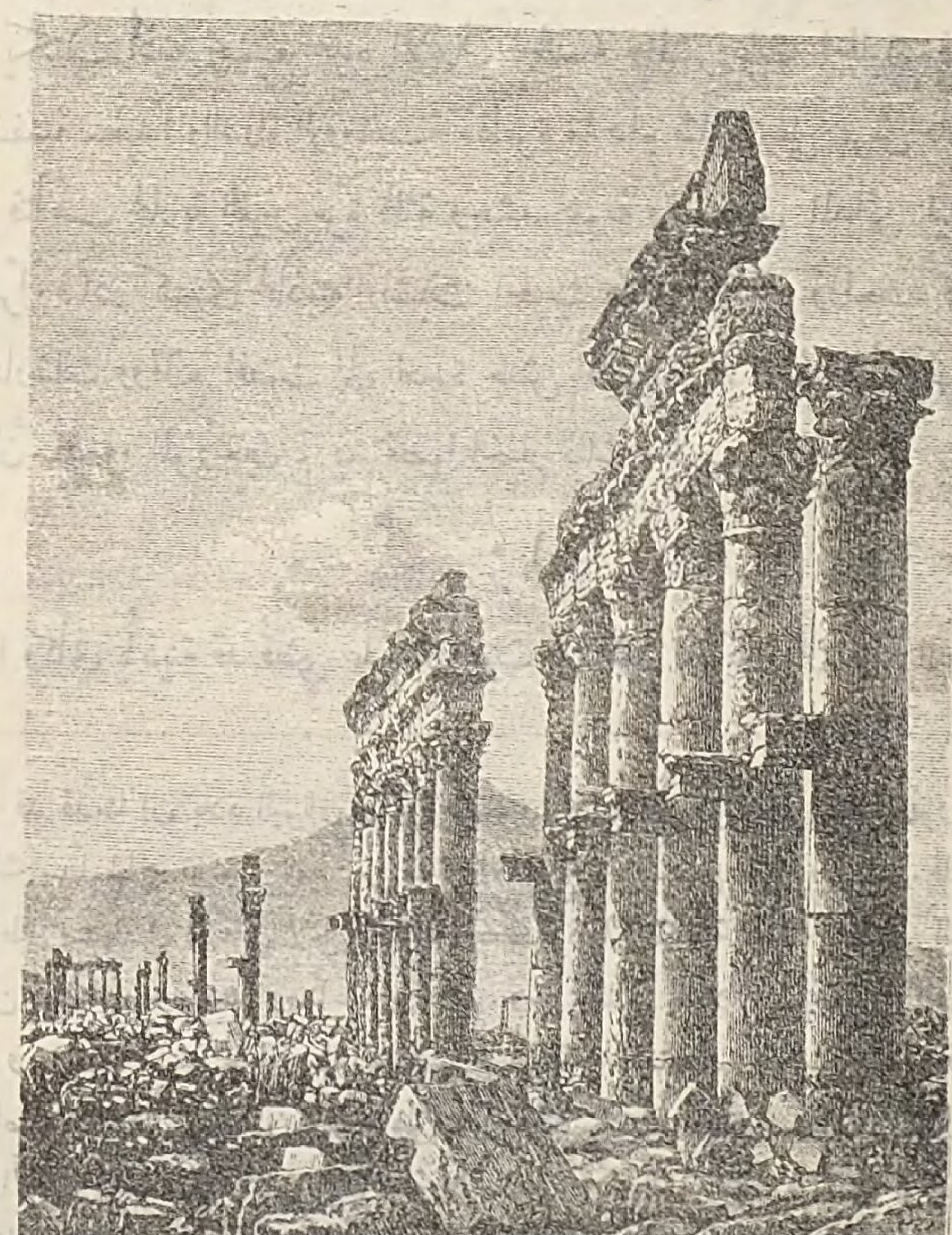
١) و باللغة اللاتينية : Imperator totius Orientis و باليونانية αὐτοκράτωρ

٢) راجع تريبيليوس *Gall.* 10-12

٣) راجع W. p. 601. c. 2 وتريبيليوس *Gall.* 10 وهنا مسئلة هل اتخذ أُذينة اسم اوغست (Augustus) كالقياصرة الرومانيين . نجيب ان الامر ليس بمستحيل لكن لم يثبتهُ العلماء (راجع Mommsen : V. p. 433, 2. و F. Lenormant *La monnaie dans l'antiquité* II. p. 379, 382) هذا على انَّ اسم ملك الملوك يوازي تسمية اوغست (Augustus او Σεβαστός) الّا ان أُذينة لم يتلقب بهِ رسميًا في عاصمتهِ وانما دُعي بذلك في النواحي لا سيما بلاد الجزيرة و بلاد العرب وليس بمستبعَد انَّ وهبلات بن أُذينة يكون حذا حذو ابيهِ الى ان شمَّرت الحرب عن ساقها بين زينب واوريليانس قيصر في اواخر ملك سلطانة تدمر. فبتلك الاثناء اتخذت هي ايضًا تسميته Σεβαστή

٤) راجع تريبيليوس *Trig. Tyr.* 14

ثمَّ اصلح فساداً آخر كان قد استشرى في الشأم منذ سنين. فان بعض الجنود من الرومان وغيرهم ممَّن قد تمَّت مدَّة خدمتهم العسكرية او هربوا منها كانوا يجتمعون فيئات فيجولون في البلاد وهم يشنّون الغارة على الاهالي ويستلبون اموالهم ويخربون منازلهم ويتلفون غلّاتهم. وكان كاليستوس الذي قُتل في حمص قد استمال في حياته خلقاً كثيراً من هؤلاء المَرَدَة. فلما مُثّل باميرهم تخوَّفوا العقاب فهربوا الى آسية الصغرى وتحصّنوا في جبال ايزورية وسكنوها مدَّة الى ان قويت شوكتهم فولّوا عليهم رجلاً يُدعى تريبيليانس(١ وقصدوا مقاتلة القيصر الجديد. فلم يلبث أُذينة ان وجَّه اليهم احد قوَّادهِ اسمهُ كوسيسوليوس وهو مصري الاصل فالتحم القتال في النواحي الشمالية وقُتل فيهِ الطاغي. فرجع السِلم في جميع ممالك أُذينة



صورة بعض العُمُد من جهتها الداخلية

١) اعلم ان تريبيليوس پوليو المؤرّخ جعل هذا الباغي في جملة الثلاثين ظالماً. (راجع *Trig. Tyr.*) وكانت بلغت بهِ جسارتهُ الى ان ضرب نقوداً باسمهِ

الّا انهُ قد بقي على قيصر تدمر ان يجبر بعض الوهْنَ ويحسم بعض الداء . وهو ان الانحاء المجاورة للفرات كانت قد اصبحت على اسوإ حال من الفقر المدقع بسبب غزوات الفرس . فهجر الناس مساكنهم واراضيهم وجَلوا عن البلاد ينتظرون عود السلام . فبشَّرهم أذينة أنْ قد حان ميقات الصلح والسكينة فارجعوا الى اوطانكم ولا تخافوا على حياتكم واموالكم . فعادوا افواجاً من كل اوب مع عدَّة مهاجرين من بلاد اليونان وآسية الصغرى (١ وتفرَّقوا في اقاليم الجزيرة وانتشروا على ضفَّة الفرات واساهم الله على مصائبهم ونضَّر املاكهم فاضحت المدن التي قطنوا فيها من اعمر المدن واسعاها على قدم النجاح . وكانت مدينتا نصيبين وحرَّان قائمتين في وجه العدوّ تردَّان غارات الفرس والبرابرة

ولم يكتفِ أذينة بجميع هذه الاعمال الحسنة والمشروعات الجليلة . فانَّهُ لم يكن ليحسب نفسهُ سعيداً والدولة الرومانيــة مظفَّرة ما دام شابور على عرش فارس وقومهُ غير مذلَّلين . فتأهَّب لمحاربة الفرس مرَّة ثالثة وحشد جموعهُ وتوجَّه الى المدائن لِيُبيد رعايا شابور قتلاً واسرًا . فبادر كسرى لمجاذبته ونشبت الحرب بظاهر المدائن وزاحف كلُّ فريق عدوَّهُ وجرت مناوشات ووقائع افضت الى نصرة جيش أذينــة . الَّا انَّهُ لا يُعرَف أفتح المدائن ام لا لانَّ قدماء المؤرّخين لم يستقصوا اخبار تلك الحرب (٢

١٠

هذا وكأني بأُذينة قد قُضي عليهِ ان يموت في غير المعركة . فان هذا البطل الذي احيا

١) قد قدَّمنا ان بلاد اليونان وآسية الصغرى كانت في قلق عظيم حين ظهور الثلاثين ظالماً . وكان ذلك سبباً لمهاجرة جمّ غفير من تلك الاصقاع لاسيما من بلاد اليونان . فلمَّا كانت مدينة تدمر قد طار صيتها في الآفاق لاجل ابنيتها وكنوزها وطمأنينة حالها تقاطر اليها قوم غفير من اليونان من فصحائهم وتجَّارهم وصنَّاعهم وعملتهم . ومن جملتهم العلَّامة لونجينوس الذي سيأتي الكلام عليهِ وقد وجَّه الى أُذينة خطبةً عنوانها « مدح أُذينة » فاستعطف بها ملك تدمر قبل ان يقدم على دخول عاصمته . والحقُّ يقال ان ولوج هؤلاء الاجانب في تدمر كان سبباً لارتقائها الى اعلى مراتب التمدُّن . الَّا ان ذلك نفسه كان ايضاً علةً لانحطاط حميَّة التدمريين وحبّهم لوطنهم . فتغلَّب عليهم روح اليونان وتكاثر بينهم اصحاب الدعارة وتداخل في امور السياسة جماعة من المتملّقين ولعلَّهم هم الذين اطرأُوا زينب حتَّى طمعت فيما كانت عاقبتهُ هلاك ملكها وبوار سلطنتها

٢) انَّ جيورجيوس لِسِنْسال المؤرّخ القسطنطيني وحدهُ اخبر انَّ أُذينة تمكَّن من فتح المدائن . والله اعلم

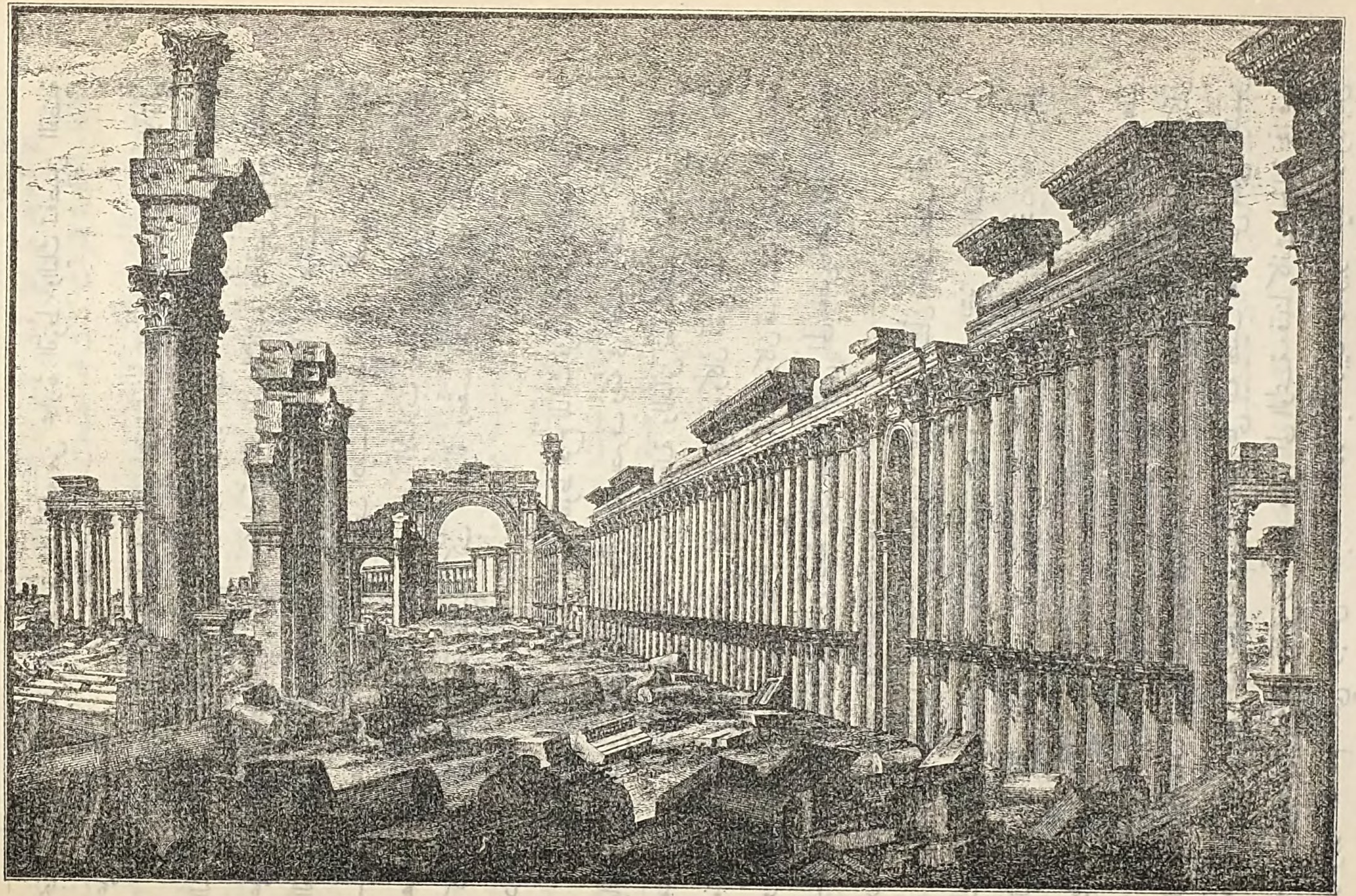
مجد الرومان الاوَّلين قُتل قتلًا شنيعًا عند إِيابهِ من محاربة القوط . واليك تفصيل القضية على وجه الاختصار :

بينما كان أُذينة يحارب شابور بالمدائن انتهز القوط هذه الفرصة ليقتحموا على الاقاليم الشمالية . فلمَّا علم ملك تدمر انَّهم رسوا بمرفأ هرقلية على شاطىء البحر الاسود ثمَّ زحفوا على بتينية وفريجية وغلاطية حتى كپادوقية بادر الى ملاقاتهم وانقضَّ عليهم كالنسر القشعم . الَّا انَّ البرابرة افلتوا من مخالبه فولَّوا مدبرين وعادوا الى هرقليـــة حيث كانت سفنهم فركبوها وابحروا الى بلادهم . فتأَسَّف أُذينـــة شديد الاسف لتملّصهم من يدهِ لانَّ هؤلاء البرابرة كانوا قد خربوا عدَّة مدن وسلبوا الاسلاب وسبوا الذراريّ . بيد ان غاليانس كان وقتئذٍ في انحاء القسطنطينية فركب اسطولهُ وتعقَّب البرابرة الى ان ادركهم وقطع دابرهم

فلمَّا انتهى الى أُذينـــة نبأ كَسْرة القوط فرح لذلك فرحًا شديدًا وتقدَّم الى جيشهِ بالرجوع الى المدائن . وكان أُذينة اذا طال السفر يصرف وقتهُ في الصيد والقنص كمألوف عادة ملوك المشرق في ذلك العهد . فلما كان بين هرقلية والمدائن بعدٌ شاسعٌ اخذ يروّح النفس متصيّدًا بصحبة هروديس ابنهِ ومَعَنّيْ ابن اخيهِ خيران . وكان مَعَنّيْ هذا يبغض أُذينة وابنهُ ويُضمِرُ لهما الشرّ مدَّعيًا انَّهما تطاولا على حقوق رئاستهِ . وكان قد استمال بعض اهل الفتن فجمعهم زمرة . واتَّفق ذات يوم ان أُذينة كان يسدّد المَرْمَى الى بعض الطريدة واذا بمعني رماها قبلهُ وكرَّر ذلك ثلاث مرَّات متعمّدًا

ولمَّا كان هذا الفعل يُعَدّ من اقبح الاهانات التي تجس بشأن الملوك غضب أُذينة غضبًا شديدًا فعزم على معاقبة المجرم واخذ منهُ حصانهُ فكاد معني يتميَّز من الغيظ ولم يكن ليكظم حنقهُ واقبل يدمدم على عمهِ ويقذفهُ بهُجر الكلام ويتهدَّدهُ . فامر أُذينة بان يكبَّل بالقيود

ثمَّ لمَّا وصلوا الى حمص حلوا بها بضعة ايَّام لإراحة الجند والخيل . فانتهز أُذينـــة هذه الفرصة واعدَّ مأدبة فاخرة تذكارًا ليوم ميلادهِ واستدعى اليها قوَّادهُ وامراء دولتهِ . وكان هروديس يحبّ معني محبَّة صادقة ولم يتَّهمهُ فاقبل على ابيهِ يطيّب نفسهُ عن معني ويلتمس منهُ العفو . وأَبى أُذَينة الى طلبتهِ واستحضر معني الى الوليمـــة . فبينا كانت الجماعة في فرح وسرور اذ قام معني وبعض عصبتـــه فثاروا بالمأدوبين وضربوا أُذينة وهروديس



صورة قوس الانتصار والعُمُد من جهة الغرب (كما كانت في اواسط القرن الثامن عشر)

فقتلوها (١ ثم صاحوا فاجتمع اليهم اشياعهم وبايعوا معني

وقد زعم قومٌ انَّ زينب كانت تبغض هروديس لكونه ليس بولدها فشجَّعت معني على هذه الفتنة الفظيعة رجاء أن يصير الامر الى ابنها وهبلات . الَّا انَّ في هذا نظرًا . فكيف يمكن يا ترى مثل هذا الزعم مع ان زينب لم تجهل ان معني قاصد قتل زوجها وهروديس معًا ليستولي هو نفسهُ على رئاسة تدمر ؟ فهذا ما لا يقبلهُ عقل سليم كما لا يرضى بتُهَم أُخرى سيأتي عنها الكلام

وخلف أُذينة معني على عرش الممالك الشرقية . الَّا ان اهالي حمص لم يكونوا ليحتملوا هذا الظالم فخرجوا عليهِ بعد ايَّام قلائل وقتلوهُ (٢٦٦ — ٢٦٧) (١ (ستأتي البقية)

حاشية

قد قدمنا اكثر من مرة ان اسم زينب الاصلي انما هو بت زَبِينَه معتمدين في ذلك على الكتابة التدمرية التي ادرجها المركيز دي ڤوكويه في مجموعهِ المعروف (n° 29) والآن نبَّهنا حضرة الاب غانم اليسوعي المحترم على ان في الكتابة المذكورة تصحيفًا استدركهُ المؤلف الشهير وأصلحهُ في الصفحة ١٥٣ من كتابهِ فعوضًا عن : בת זבינה ידתא وترجمتهُ بنت زبينه التقية (او المشهورة) قرأ בת זבי נהירתא بيدل الدال راء . ومعنى ذلك بنت زبَّاي المجيدة (راجع Inscript. Sémitiques 1868 – 1877)

(قلنا) اننا نشكر لحضرة الاب غانم على هذه الملاحظة المهمَّة التي لم يتهيأ لنا ان نَقِفَ عليها عند تسطير ما سبق من مقالتنا لان المجموع الذي استخدمناه لا يتضمَّن الصفحات القلائل التي اضافها المركيز دي ڤوكويه الى تأليفهِ من السنة ١٨٦٨ الى السنة ١٨٧٧ . وقد بيَّن فيها ان المسيو مرتدمان (Mordtmann) الذي رحل الى تدمر بعده ليراجع قراءة الكتابات التدمريَّة هو الذي اكَّد ان القراءة الصحيحة في اسم زينب الاصلي انما هي بت زبَّاي لا غير

فينتج من اصلاح هذا الغلط : ١ً ان ما قلنا في زعم المسيو رَيت (راجع ص ٥٩٠) لا فائدة منهُ . ٢ ان العرب حفظوا اسم زينب على صورته الاصلية اي الزباء مع حذف الكلمة الاولى بت او بنت . ٣ً ان ابا زينب لم يكن زينويوس كما مرَّ (راجع ص ٤٣٩ و ٥٩٠) بل זבי زبَّاي وصورة هذا الاسم نفس الصورة التي ورد عليها اسم قائد الفرسان التدمريين الاعلى . ٤ً ان في تسمية زينب بِنْتَ زباي دلالةً صادقة ليس فقط على انها عربية الجنس بل ايضًا على انَّها من آل أُذينة اي من بني السميدع كما يقول معظم مؤرخي العرب . ٥ً ان العرب الذين قالوا انَّ زينب كانت اختًا للزبَّاء قد حفظوا في الحقيقة اسمَيْ ملكة تدمر . الَّا انهم ظنُّوا غلطًا ان زينب والزبَّاء اسمان لشخصين مختلفين (ستأتي البقيَّة)

١) وعلى ذلك قول الاعشى : ازال أُذينة عن ملكهِ واخرج عن اهلهِ ذا يزن

٢) راجع زوناراس ١٢ : ٢٤ وتريبليوس *Trig. Tyr.* 14-16 وزوزيموس ١ وغيرهم

التنوير

للاب موريس كولنجت اليسوعيّ مدرّس الطبيعيات في المكتب الطبي

(تابع لما سبق)

٦

التنوير بالكهرباء

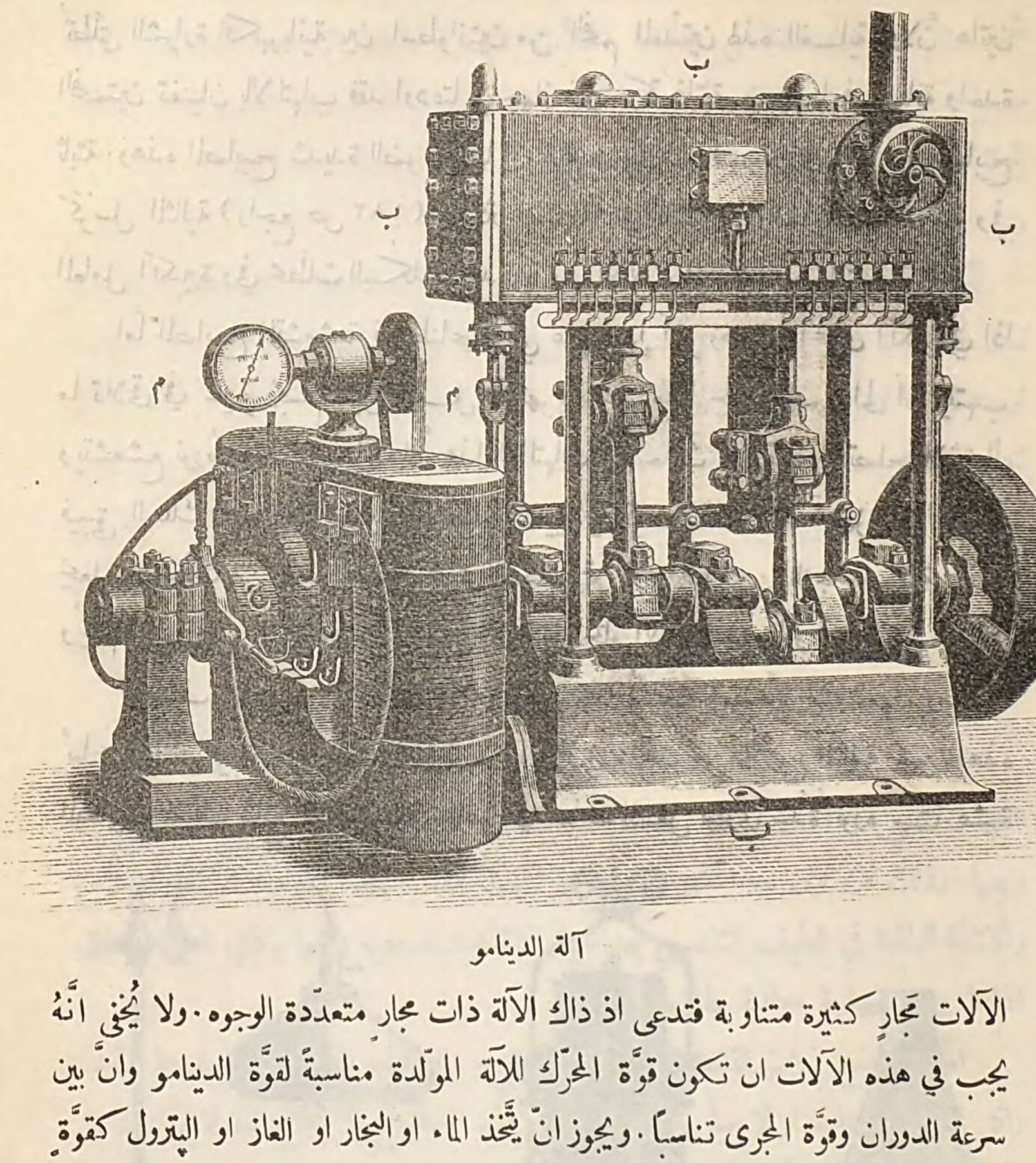
قد بقي علينا لتتمة مقالتنا في الطرق المختلفة للتنوير ان نبسط الكلام في اقوى ادوات الاستصباح واهمّها نعني بذلك الكهرباء. واوّل ما وُجد النور الكهربائي في اوائل هذا القرن يوم اتّخذ العلاّمة الكيموي السير هُمفري داڤي اسطوانتين من فحم الخشب اوصلهما بقُطْبي بطاريّة قوية ذات ألفي عُنصر فسطع نورٌ باهر بين رأسيهما لكنّ هذا الاكتشاف لم يمكن الانتفاع بهِ في الصناعة لتنوير العامّة الّا منذ وقوف الدكتور فارادي على مجاري الكهرباء الثانوية ووضع الادوات لتوليد هذه المجاري المعروفة بالدينامو

ومبدأ المجرى الثانوي في الكهرباء فانّ مرجعهُ الى هذا المعنى: اذا ادرت في ساحة ممغنطة موصلًا ذا دائرة مغلقة صار الموصل المذكور مركزًا لمجرًى آخر من الكهرباء يُدعى مجرًى ثانويًا. امّا الآلات الكهربائية فهي ادوات تحوّل بها القوّة الميكانيكية الى قوّة كهربائية وذلك بان تُدار بسرعة في نطاق ممغنط عدّة ادوات قابلة تتّصل باسلاك مغلقة الدائرة

١ الالات المولدة للكهرباء او الدينامو

انّ الذي يجعلُ في آلات الدينامو ساحةً ما ممغنطة ليس هو من المغناطيسات الثابتة بل المغناطيسات (مم) المكهربة (électro-aimants) التي منها يتركّب المُولّد (inducteur) وهي تتقبل المجرى الكهربائي الذي تحتاج اليهِ امّا من الآلة نفسها وامّا من آلة مختلفة يقال لها منبّهة. وبين هاتين الملفّتين تدور بقوّة آلة محركة (ب—ب) ملفّتان (ل ل) قابلتان للمجرى الثانوي. وقد يضمّ هذه المجاري آلةٌ جامعةٌ (ج) تدور معهما ثم تتصمّد هذه المجاري بواسطة مقشّتَين (ك ك) ثابتتين تمسّان الآلة الجامعة ومنهما تبتدئ الاسلاك (راجع الشكل الاوّل)

وهذه الآلات تختلف صورها وتراكيبها اختلافًا كبيرًا. وما وصفنا منها آنفًا يُولّد مجرى الكهرباء بتواصل اي بدون تغيُّر في وجهتهِ. ويوجد منها اصناف أُخر مجهَّزة لتغيير المجرى بحيث يمكن في كلّ لمحة عين ان يحوّل مجرى الكهرباء ويعكس. وربّما وُجدت في بعض



آلة الدينامو

الآلات مجارٍ كثيرة متناوبة فتدعى اذ ذاك الآلة ذات مجارٍ متعدّدة الوجوه. ولا يُخفى انَّهُ يجب في هذه الآلات ان تكون قوَّة المحرّك للآلة المولّدة مناسبةً لقوَّة الدينامو وانَّ بين سرعة الدوران وقوَّة المجرى تناسباً. ويجوز انّ يتّخذ الماء او البخار او الغاز او البترول كقوَّةٍ محرّكة بشرط ان يكون عملها مضبوطاً منظماً

والمجرى الكهربائي الناتج من الدينامو يتجمَّع في جهاز يُدعى جهاز التوزيع فهناك يُقاس بواسطة ادوات التعريف ثمَّ يوجَّه حيث تقتضي الحاجة. واذا اردتَ ان تُبطل حركة الدينامو في الليل يمكنك ان تختزن المجرى الكهربائي في آلات خازنة او بطاريّات ثانوية تكون كاحواضٍ تخزن فيها الكهرباء فتُستخدم عند الحاجة

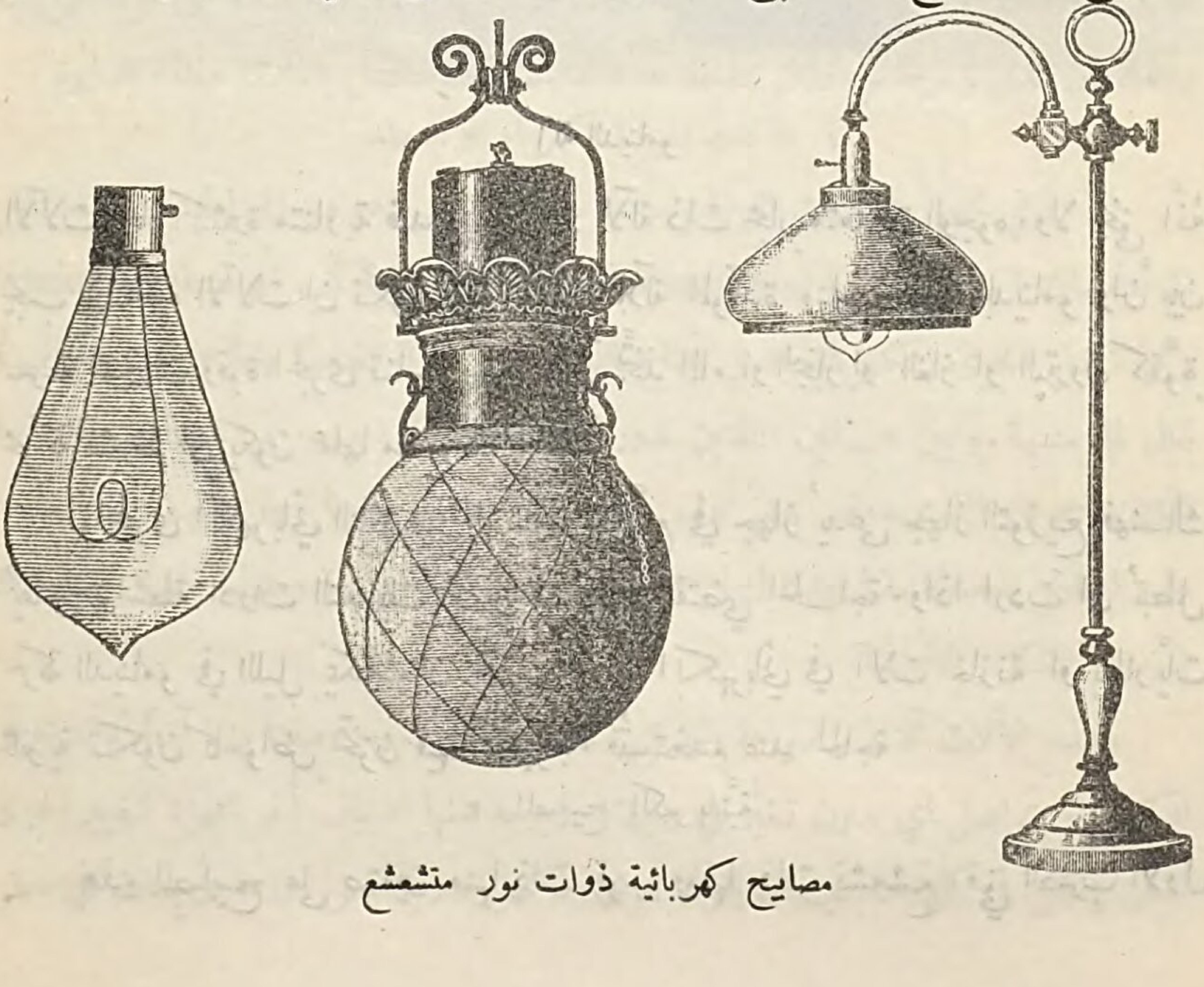
٢ المصابيح الكهربائيَّة

هذه المصابيح على صنفين منها ذات قوس ومنها ذات تشعشع. ففي الضرب الاوَّل

تُطلَق الشرارة الكهربائية بين اسطوانتين من الفحم المعدّتين لهذه الغاية. ولانَّ هاتين الفحمتين تفنيان بالالتهاب فقد اودعتا في جهاز ذي حركة ذاتية يضبطهما في مسافة واحدة ثابتة. وهذه المصابيح شديدة الضوء يمكنها ان تبلغ درجةً من النور توازي الوفًا من مصابيح كرسل المثالية (راجع ص ١٨٢). واكثر استعمالها في الشوارع والساحات العمومية وفي المعامل الكبيرة وفي محطّات السكك الحديدية وفي الآلات المرسلة النور والمنارات الخ

امَّا المصابيح المتشعشعة فاصطناعها مبني على مبدإٍ آخر وهو انَّ المجرى الكهربائي اذا ما تلاقى في سيرهِ بجسم قليل النَّقل للكهرباء اعني مانعًا لجريها يحمى الى ان يلتهب ويتشعشع نورهُ. وزد على ذلك انَّ هذا الالتهاب ربَّما حدث في نقطة لا تصلح للاشتعال فيبقى السلك المنوّر زمنًا طويلًا لا يصيبهُ تغيير يُذكر. ولذلك تتخذ اَجهزة من الزجاج يجعل فيها سِلك من الفحم متَّصل بمجرى الدينامو ثمَّ ينزع الهواء من الزجاجة بالآلة المفرّغة ويُختم رأسها فيبقى الفحم منورًا لا يفنى بالاحتراق لخلوّ الانبوبة من الاوكسيجين

واصناف المصابيح المتشعشعة كثيرة وهي مختلفةٌ ايضًا في شدَّة تشعشعها. ومنها ما يُباع في المتجر فيبلغ من حيث شدّة نورهِ ما يوازي مئَاتٍ من الشموع المثاليَّة. وبين هذه المصابيح صنف شائع للاستصباح الخاصّ في معاهد الشغل توازي شدَّة نورهِ ست عشرة



مصابيح كهربائية ذوات نور متشعشع

شمعة مثاليّة. وقد استفدنا من مطالعة المجلاَّت العلمية الاخيرة انهُ قد اكتُشف حديثاً مصباح كهربائي بلا سلك ولهُ ضياء ساطع شبيه بالضياء الصادر عن انابيب غسلر وذلك بقوة المجاري ذات السرعة الفائقة التي سبق لنا الكلام عليها في هذه المجلة

٣ اسعار المصابيح الكهربائية

لكي يقف قرّاؤنا على ما ينفق من الاثمان في اتّخاذ المصابيح الكهربائية احببنا ان نبيّن لهم ذلك بمثل المصباح ذي النور الكهربائي الموازي لستّ عشرة شمعة. فان افترضنا ان جمعية ما اعدَّت كلَّ اللوازم لتحضير النور الكهربائي وانها بلغت نحو ٤٥٠٠٠ فرنك لتنوير ٢٠٠ مصباح وذلك لقاء كلفة ثلاث آلات بخاريَّة وثلاث آلات دينامو وتركيب الجهاز والموصل الكبير وغير ذلك. فتكون كلفة المصباح المثالي في كل ساعة نحو خمسة سنتيمات واذا قابلت سعر التنوير بالكهرباء مع سعر التنوير بالغاز تجد انّ اسعار النور الكهربائي ارخص في المعاهد التي يُحتاج فيها الى النور مدَّة ساعات طويلة وهو اغلى في ما سوى ذلك

٤ منافع النور الكهربائي

قد سبق انَّ النور الكهربائي من حيث شدَّة ضوئهِ يبلغ غايةً بعيدةً. بيد انّ صحّة العين تقتضي اذا اتُّخذ النور المقوَّس أَلَّا يصيبَ هذا النور حدقة العين بل يُحجَر بينهُ وبينها. وذلك لانَّ لون نور الكهربائي يضرب الى الزُرقة ويدخلهُ كثير من الاشعَّة البنفسجية والاشعَّة الواقعة في الطيف الشمسيّ بعد خطّ الاشعَّة البنفسجية وكلها يؤذي العين فيخفف اذاها بوضع زجاجة مطلية بطلاء ابيض

امَّا المصابيح ذوات التشعشع فليس فيها شيء من هذه المضارّ فانّ نورها لطيف رائق ليس فيهِ حرارة او لا يعبأ بحرارتهِ لقلَّتها. وهذه المصابيح لا تحتاج لاصلاح او تعمير ولا ينتج عنها الَّا نادرًا خطر الحريق

ومن خواصّ هذه المصابيح انَّهُ لا يُفسد بها الهواء ولا يتصاعد من نورها الحامض الكربونيك لانها كما سبق القول مقفلةٌ باحكام وضوءها يسطع دون مسّ الهواء. وذلك هو الداعي لاستعمال النور الكهربائي في بلاد كثيرة وكذا المراكب والملاعب والعمارات الحربية. والمعامل التي تُجهَّز فيها الموادّ القابلة الانفجار تُفضّل اتّخاذ الكهرباء استدراكاً للاخطار

هذا ويحسن بالبلاد السورية استعمال الكهرباء في التنوير لانّ تجهيز آلاتها سَهل جدًّا

وذلك بالانتفاع من الشلاَّلات الطبيعية كشلاَّل جزين الذي يبلغ علوُّهُ تقريباً مئة متر وكشلاَّل بتدين المعروف بالشالوف او بتهيئة شلاَّلات اصطناعية في نهر الكلب ونهر بيروت ونهر بَرَدى وهلمَّ جرًّا. فانَّها اذا احكم إعدادها يمكنها ان تحرّك الآلات المولّدة للكهرباء. واليوم ترى في اوربَّة حتى القرى الصغيرة منوَّرة بالنور الكهربائي وربَّما استعمل القوم قوَّة الكهرباء لتحريك ادوات الصناعة والدواليب وتدفئة البيوت وطبخ الاطعمة الخ

الختام

وهنا نختم مقالتنا المطوّلة في وسائل التنوير. الَّا انَّها مع طولها ليست الَّا بحثٌ ملخَّص عن كتب ضخمة أُسهب فيها القول عن هذا الموضوع المهمّ وعلى كلّ حال انَّها لكافية ليكون للشرقيين بعض الالمام بهذه المادّة الخطيرة. وهاك جملة ما نستلخصهُ هنا عمَّا سبق فنقول

انَّ البلاد التي ليس بقربها مياه وانهار منحدرة من علو او التي يقلُّ مهندسوها لتجهيز الآلات فالاولى ان تستنير بالپترول وهو ارخص لها ممَّا سواهُ. امَّا المدن فيُفضَّل فيها اتّخاذ الغاز لاسيَّما مصباح اوّر ان وُجد فيها معمل لتوزيع الغاز. واذا كان هذا المعمل يُجهّز الكهرباء والغاز معاً كما يجرى ذلك في مدن مختلفة فرارًا من المزاحمة فالاولى ان تختار الكهرباء نظرًا لمنافعها الصحّيَّة ولكن كما قلنا سابقًا اذا قلَّت ساعات الاستنارة بها اضحت الكهرباء اغلى من الغاز

امَّا بيوت الخاصَّة فان احبَّ اهلها اتخاذ الكهرباء للتنوير فذلك امر نافع جدًّا الَّا انَّ النفقة لذلك طائلة باهظة

واذا كان لمعامل الصناعة آلات محركة سواء كان في المدينة او خارجًا عنها فان صاحبها يقتضي استعمال الكهرباء للتنوير. وكذا قُل عن البنايات العمومية التي تحتاج الى عدد وافر من الانوار

هذا ومهما كانت الطريقة المتخذة للتنوير فالواجب ان يتذكَّر قرَّاؤنا انهُ يتحتَّم عليهم اتخاذ بعض الوسائل الصحيَّة ليصونوا عيونهم ورؤُوسهم من أذى الضوء. وهذا الامر اكثر ضرورةً في المدارس حيث يُقتضى الدرس في ساعات الليل. وقد اتت الاكتشافات الحديثة وسائط لاستدراك هذه المضارّ التي قلَّما تصيب من اشتغل بضوء النيّر الكبير الذي اشعله الله تعالى في كبد السماء ليُضيء الارض

درس العربيّة

خطبة القاها الاب لويس شيخو اليسوعي في حفلة توزيع الجوائز في كلّيّة القديس يوسف

هي اللغاتُ ترى في سيرها غيرًا تبدو فتذكو لحين ثمَّ تنكسفُ
كالنبت يبدو ضئيــلًا ثمَّ يعقبهُ زهرٌ وطيبُ ثمــارٍ ثمَّ ينقصفُ

ايها السادة الكرام

هذا ما نعت بهِ بعض شعراء العصر لفيف اللُّغــات التي شاعت بين الملأ في ممرّ الاجيال. وايمُ الحقّ انَّ من اعتبر تاريخ أَلسنة البشر واستقصى ما طرأَ عليها من التقلُّبات يراها في اطوارها اشبهُ باطوار حياة كل حيّ على الارض اعني انها تولد كالطفل الرضيع ثمَّ تتحرَّر من قُمُطها فتنشأُ وتترعرع كالحدث اليافع ثمَّ تزدهر فتبلغ عِزَّ قوَّتها كالكهل التامّ الشباب الى ان يتقلَّص ظلُّهــا وتتضعضع قواها كالشيخ الهَرِم فتموت وتضحي نِسيًا مَنْسيًّا في بطن المكاتب او زوايا المدارس كالميت المحنَّط المُدرَج في ضريح قبرهِ

بيد انَّ الله عزَّ وجلَّ قد استثنى من حكمهِ هذا بعض اللغات فخصَّها بحياةٍ اطول ممَّا سواها فتخالها كالنَّسر لا تزال تجدّد شبابهــا وتعمّر العمر الطويل الذي هو أَحرى بان يدعى صَنفًا من الخلود

ولغتنا العربيَّة أَيُّها السادة الاجلَّاء قد اصابت من هذا القبيــل بالسَّهم الفائز والقِدْح المعلّى فانَّ من يتتبَّع آثارها ويتحفى في درس تاريخها مدى القرون الغابرة يراها في كلّ آنٍ مزدانةً بخواص اللغات الكاملة من حيثُ مفرداتها وتراكيبها وعباراتهــا واساليبها كأنَّها ظهرت باديْ بدءٍ تامَّة العدَّة كاملة الأُهبة. واذا قابلنا بين اللغة الشائعة في يومنا مع لُغة اقدم الشعراء كامرئ القيس والنابغة لا نكاد نرى بين اللغتين اختلافًا يُذكر اللهمَّ الَّا في استعمال بعض الفاظ لغويَّة شعريَة كما جرى ذلك في نثر ونظم كلّ اللغات القديمــة او في اتخاذ بعض التعابير الجديدة دلالةً على المعاني المستحدثة كما هو دأب اللغات الحيّة.

فكاني اذن بالعربية عذراء فائقة الجمال تامّة الشباب لم تأْنس بضعف الطفوليّـة ولم تعرف غضون الهَرَم

ومن عجيب امر لغتنا العزيزة انَّهُ مرَّت عليها صروف الدهر وكوارثهُ دون ان تمسَّها الأيَّام بأذًى فترى الشعوب تتوالى بضَبط عِنان الامر وتجلس الدول واحدةً بعد أُخرى على مَنَصَّة الملك وتخت السلطنة والعربيّة باقيـة كما هي لا يُصيبها تغير جوهريٌّ ولا يستولي عليها فساد

وقد كان سرى اليهـا في غرّة هذا العصر بعض الخمود والفتور حتى اننا كنَّا نسمع منذ خمسين سنةً من يتنبأ للغة العرب. بسوء العُقْبى وشرّ المنقلَب. فيقولون لا يمرّ على اللسان العربي العشرون سنة دون ان يُدرج في الاكفان. فيصير الى خبر كان

قد كذبت والحمد لله اراجيف انبياء السوء وها انكم أيُّها الجُلوس الكرام ترون العربيَّة في ايَّامنا اعزَّ شأناً وابهى مقاماً منها في الاجيال السالفة وكيف تموت وقد عُدَّ المتكلّمون بها فاذا بعَدَدهم يُربي على المئة ألف الفٍ ? او كيف تموت وقد خلَّفت لنا امُمها السابقة كنوزًا ادبيّة وتَرِكةً علميّة تُزري بقلائد العقيان ودراري المَرْجان ? او كيف تموت ويحييها كلَّ يوم رَبَوات من الكتَبة البارعين والشعراء المفلقين ?

لا وحياة الحقّ انَّ العربية لم تمت ولن تموت ولست ارضى بشاهدٍ على هذا القول سوى ما رأيناهُ رأي العيان منذ خمسين سنة اذ نشطت النفوس وقام قائم الهمم في احياء آثارها الدائرة فبلغت الآداب العربية بعد برهة من الزمان ما لم يكن في الحُسبان

وما من شأنهِ ان يُذهل العقول ويُدهش الالباب انَّ الاجانب كانوا اول من شمّر عن ساعد الجدّ للقيام بهذا الامر لا يَثنيهم عن اتمامهِ سعيٌ ولا كدّ. فانَّهم لمَّا أمعنوا النظر فيما أُودِعتهُ مكاتبهم الاوربية من المصنّفات العربية وشاموا برق فوائدها الجمَّة اقبلوا على دراستها ولا اقبال الابل الصديان الى ينابيع المياه فنشروا منها قسماً كبيرًا بالطبع وانشأوا المجلَّات العلميَّة للبحث في خواصّها وعوائدها واجتنـاء فرائدها وفوائدها بل لم يدعوا مدرسة من مدارسهم الكلية الَّا وفرضوا فيها درس اللغات الشرقية وعلى الاخصّ لغتنا العربية بفروعها. ولو حاولتُ ان اسرد اسماء من برَّز عندهم في هذا المجال لاسيَّا بين مستشرقي فرنسة كدي ساسي ورِينو ودي پِرسڤال وبين مشاهير المانية كفريتاغ وفلوغل لطال بي المقال وادَّى بي الى الخروج عن حدود الايجاز المفروض في مثل هذه الحفـلات. وحسبي ان اقول انَّ

المطبوعات العربية وحدها التي تصدر في انحاء اوربة فضلًا عن بقية اللغات السامية تنيف كلَّ عام على الالف والثلاثمائة بين التآليف الصغيرة الحجم والكبيرة ذات المواضيع المتوسطة والخطيرة . وذلك بلا مراء اقوى دليل على ما في علماء الغرب من الكَلَف بنشر كتبنا العربية

هذا وانَّ شرقنا العزيز لم يك ليعاين هذه المساعي المشكورة بعين جامدة بل استفزَّتهُ الاريحية فنزل في الميدان ليجاول السباق مع المغرب كأنَّهما فرسا رهان . فلم يلبث الَّا الزمن القليل حتى جاءت همَّتهُ القعساء بثمار شهية ارتاح اليها سواد العلماء فزهت معامل الطباعة في القاهرة وتباهت الاستانة العلية بمطبوعاتهـا واستلفتت اقاصي الهند نظر الادباء بما اصدرت من المصنَّفات الجليلة

وكاني بكم أيُّها الحضور الكرام . توجّهون اليَّ سهـام الملام . فتقولون وكيف ذهلتَ عن بلادنا السوريَّة مع ما احرزتهُ من هذا القبيل من المجد الاثير . واصابتهُ من المقـام الرفيع الخطير

نعمًا القول سادتي وما سكتُّ عن مفاخر بلاد الشام الَّا لأُفردها بالذكر . وأخصَّهـا بجميم الشكر . والحقُّ يُقال انَّها قامت بهذا المشروع قبل سواها من الاقطار الشرقيّة . فلها على اقرانها سابق الفضل وشرف الاوَّلية . فانَّ اسماء مدارس عين ورقة والشرفة ومار عبدا وريفون وعينطورة وعين تراز ودير المخلّص وغزير وغيرها اصحت اشهر من نار على علم

أجل لقد مرَّ على سوريَّة نيّف وخمسون سنة منذ اخذ الشبَّان يشدُّون اليها الرحال . ويتقاطرون اليهـا من كل أوب ليستقوا من موارد آدابها الماء الزلال . وهم يبنون على تهذيب مدارسها اطيب الآمال . الَّا انَّ بيروت لم تلبث ان تجتذب اليها كالمغناطيس كل القلوب بحسن موقعها واعتدال هوائها وتوسّطها بين البلاد مع ما خُصَّ بهِ اهلها من الانس ولطف الطباع . وذلك فضلًا عمَّن قام وقتئذٍ فيها من مشاهير الرجال ممَّن أُشير اليهم بالبنان ألا وهم قوم من الأئمة جمعوا من الفضل أتمَّهُ . ومن العلم والآداب ثِمَّهُ ورِمَّة . فاستوجبوا كلَّ ثناء على مساعيهم المبرورة . واعمالهم المشكورة . فباغرائهم هبَّت بيروت من سِنتهـا . ونهضت من رقدتها . وعادت بالفكر الى ما سلف من الاجيال فتذكَّرت سابق شهرتها . اذ كانت فيها المدارس زاهرة . والبنايات عامرة . والخيرات وافرة . فقـال لسان حالها : « لات وقت خمولٍ وفَشَل . وحانت ساعة عمل »

فما كان اسرع من ردّ الطَّرف حتى انتعشت في بيروت الحميَّة فجعلت ترتقي مراقي

النجاح. وتصعّد في معارج التقدّم والفلاح. فانتشرت فيها المطابع وتشيّدت المدارس وتوفّرت فيها نوادي العلوم كالمدرسة البطريركية ومدرسة الحكمة حتى صارت محطّ عصا الترحال. ومورد مطامع الآمال. وكنت ترى للعربية. في هذه النهضة المرتبة العليّة لا يكاد يمرُّ يومٌ دون ان يتحفنا ادباء بيروت بالمقالات الرائعة. والتصانيف البارعة. فضلاً عن عدد وافر من الجرائد والمجلاَّت العلميَّة فصارت في أعين اوربة مطبوعات بيروت كناية عن مصنَّفات تامَّة المحاسن جامعة بين حسن السبك وجودة المعاني. فللّه بيروت فانَّها حقيقةً اضحت كروضةٍ غنَّاء تستظلُّ بوارف ظلّها جماعة طيور السماء

وان سُمح لي ايُّها السادة ان اتخلّص من مدح بيروت ومدارسها الزاهرة الى ذكر كلّيتنا هذه العامرة التي شرَّفتموها بحضوركم في هذا المساء قلتُ انَّ احدى الغايات الاولى من تشييد هذه الكلّية انّما هو تلقين تلامذتها لغتهم العربية. وما ضرَّ انَّ كثيرًا من الرهبان المتولّين ادارتها ليسوا من ابناء الوطن لأنَّهم لمّا انتفوا بملء رضاهم من اوطانهم وانفصلوا عن اهلهم وخلاَّنهم اتَّخذوا لهم محلّ سكناهم كوطنٍ فاتّسموا بسماهُ واستشعروا آدابهُ فجعلوا لسانهُ كلسانهم. كما انَّهم يُعِزُّون سلطانَهُ كسلطانهم

وعلاوة على ذلك انَّ بين قوانين الرهبانية اليسوعية بندًا يفرض على ابنائها اذا ما دخلوا بلدًا ان يتفرَّغوا لدرس لغتهِ ما لم تَحُلِ الظروفُ دون مرامهم. يشهد بذلك مئات بل الوف من الكتب وضعوها في كلّ لغات المشرق كالصينية واليابانية والهندية والفارسية. وعليهِ فما كادت ترسخ قدمهم في الاصقاع السوريَّة حتَّى انكبُّوا ايَّ انكباب على درس العربية. ولا حاجة لي ان اعدّد هنا من خلَّف منهم لسلَفهم إرثًا علميًا لا يزال يستثمرهُ آل عصرنا. وقد انتسى بامثالهم من اتى بعدهم. واليومَ لا نكاد نرى بابًا من العلوم الَّا ولجوهُ ولا فنًّا من فنون العربية الَّا وضعوا فيهِ عدَّة مؤلفات. فانَّ الكتب التي صدرت من مطبعتهم بقلم مؤلفيهم قد جاوزت الثلاثمائة عدًّا. هذا ما خلا جريدتهم الاسبوعية. ومجلَّة جديدة اخذت تبحث في كلّ مواد المعارف البشريَّة

ولكن اذا كان اليسوعيون لم يألوا جهدًا في درس العربية ما أمكن ليست همَّتهم بتدريسها اقلّ شأنًا. ولا اعتبارهم لها بين بقيّة الدروس اوضع مكانًا. نعم اننا نريد ان يُتقن تلامذتنا اللُّغات الاجنبية لما في إحكام اصولها من الفوائد لتثقيف العقل وتحسين الذوق فضلاً عن انَّها تُدني اليهم الاقتباس من انوار اوربَّة وعلوم اهلها وآدابهم

واكتشافاتهم. الّا انّنا نودّ ايضًا ان يتمكّن الطلبة الواردون الى مدارسنا من معرفة لغة اجدادهم فيبذلوا اقصى ما تبلغ مَقْدَرتُهم من الجدّ لاحراز فوائدها. وذلك امر لازب لانّ الغاية التي نتوخّاها في مدارسنا ان نُعدّ للاهلين اولادًا يكونون لهم يومًا في اشغالهم سندًا. وفي خدمة وطنهم عونًا وعضدًا. فان جهل هؤلاء الاحداث لغة آبائهم فترى ايّ خدمةٍ يؤدُّون. وايّ نَفع يُجدون

فذلك ما حمل في كلّ آن رؤساء هذه المدرسة الكليّة. ان يعزّزوا بين طلبتهم الدروس العربية. ويَفُوها حقّها من الاعتبار والاهميّة. وكان اوّل ما استلفت ابصارَهم ان يجهّزوا للتدريس الكتب المُقتضاة لهذه المُهِمّة وهي كانت قبلهم اعزّ من الغراب الاعصم لا يقتنيها الطَّلَبة الّا بعد الجهد الجهيد وصرف النَّفقات الطائلة وكان اكثرها مشحونًا بالمقاطيع البذيّة. والقصائد الغزَلية. والاقاويل المخلّة بالآداب والطاعنة بالمعتقدات الدينية. فها اليوم قد توفّرت والحمد لله بهمّة رؤساء هذه الرسالة الكتب المدرسية لكلّ طبقات التدريس. فما شاعت بين الناس حتّى جنحوا اليها واقبلوا عليها وجعلها البلغاء دستورًا للتعليم في المدارس الشرقية والغربية

ومن الوسائط التي اتّخذوها لإعلاء منار العربية ما اقاموهُ في هذه المدرسة من المحافل الادبية وهي مجالس يجمعون فيها نُخبة التلامذة ليبسطوا لهم القول في مسائل ادبية ومباحث لغوية ومشاكل تاريخية. لا يمكنهم الخوضُ فيها في المدارس العاديّة. ثم تُقترَح على هؤلاء التلامذة النجاث في بعض المطالب شحذًا لقرائحهم وقدحًا لزَند فكرتهم فاذا انتهوا من التصنيف جُمعت اشغالهم ونُقحت ثمّ تُعْرَض بعدئذٍ على مسامع الجمهور في جلساتٍ تُعقَد امام اعيان البلد. وهذه عَناوين بعض الموادّ التي دار عليها البحث تنبئكم على خطارتها: مفاخر بيروت. وتنصُّر النعمان. والقديس يوحنا فم الذهب. وشهداء نجران. والآداب العربية. ونكبة البرامكة. والقديس يوحنا الدمشقي. والمأمون وعصره. الى غير ذلك ممّا يشهد بفضل اعضاء هذه المحافل

ورُبّما لُقن طلبةُ المدارس العُليا فنّ التمثيل وحسن الأداء في مدارسهم ثمّ اذا سنحت الفرصة يدعون اعيان البلد لتشخيص روايات مفجعة يُحيون بها بعض المآثر الجليلة والحوادث الخطيرة. فمن جملة ما مثّلوا الى اليوم: رواية صدقيا. وآخر دولة المكابيين. وداود ويوناتان. واستشهاد القديس جرجس. وشهيد الوفاء. ومنها ما صنّفهُ طلبة مدرسة البيان

والخطابة كرواية ابن السموءل ورواية المهلهل

وممّا توسّل بهِ اصحاب هذه المدرسة من الوسائل لتنشيط الدروس العربية انشاء مكتبةٍ عمومية لجميع التلامذة تجمع الى الآن نيّفًا وثلاثمائة كتاب عربي يمكن الطلبة النظر فيها في ساعات العطلة وآنات الفراغ من الدروس . فسرّنا ما لقينا في الكثيرين من الاقبال على مطالعة هذه الكتب يدرسون فيها اساليب الكتابة ويوسّعون نطاق معارفهم

هذا الى وسائل أُخر عديدة يقضي عليَّ قصر الوقت بضرب الصفح عنها الَّا انَّ في ما تقدَّم دليلًا بيّنًا على ما يصرفهُ آباء هذه المدرسة من العناية في تدريس العربية

وفي الختام لا يبقى لي ايُّها السادة الكرام الَّا ان اطلب من لطفكم ان تقرنوا مساعيكم بمساعينا ومجهودكم بمجهودنا لتحببوا الى اولادكم درس لغةٍ نمّتهم منذ صباهم وغُذوا بلبانها في عنفوان شبابهم فاضحت قسمًا من وجودهم

وانتم ايُّها الطلبة الاعزَّاء اليكم اوجّه خطابي محرّضًا لكم بل سائلًا بمزيد الالحاح . ان تداوموا على درس لغتكم الشريفة لا يثني عزمكم في تعدين كنوزها عناءٌ ولا مَلَل لاسيَّما في ايَّام العطلة السنويَّة فانكم بدرسها تجتنون الفوائد الجمَّـة وتدَّخرون المنافع العظمى كيف لا وفيها تجدون مهمازًا لقريحتكم ونشاطًا لعقلكم وتحسينًا لذوقكم مع ما في كثير من تآليف اربابها من لطيف المعاني ورقّة الالفاظ وحسن سبك العبارة وقلَّة التكلُّف وكثرة التفنُّن

ثمَّ اعلموا انَّهُ دون التبحُّر في لسانكم لا يمكنكم التصدُّر في نوادي الادباء . ومجالسة من في اوطانكم من الوجوه والشرفاء . فانكم وان احكمتم اللغات الاجنبية لا تنجون من تقريع بني وطنكم لانتسابكم الى غير أنسابكم . وذهولكم عن عوائدكم وآدابكم وكفاكم بذلك خزيًا وعارًا

بل دعوني بالاحرى ان اقدّم التهـانئ لمن اصابوا قصبة السباق في ميدان الدروس العربية واتمنّى لجميعكم ان تتعقَّبوا آثار من سبقكم من الطلبة في هذه الكلّية الذين بدرس لغتهم فتحوا لهم بابًا واسعًا وطريقًا مَهيعًا ادَّى بهم الى ما التمسوهُ من الامور الشريفة والمراتب المنيفة . فليحملكم مثلهم على التأسي بهم لتنالوا جزاء اجتهادكم ونشاطكم . هذا ما اطلبهُ منهُ تعالى وهو سميع الدعاء . ومحقق الرجاء . امين

كتاب
تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

وكان بعض الامراء بمصر قد رقّ خاطرهُ على المذكورين فكلّم السلطان في امرهم فلم يسمع السلطان كلامهُ وقال: هؤلاء لا أُفرج عنهم ولا أُوذيهم حتى افتح طرابلس وصيداء و بيروت. وقيل انَّ الامير الذي تكلّم فيهم بدرُ الدين بيليك (١ الخزندار وكان قد صار نائبًا عن السلطان المذكور فاستمرَّ المذكورون في السجن الى بعد وفاة السلطان ولم يُخرج عنهم اقطاعًا ولا ملكًا

(قلتُ) وربما كان في مدَّة سجنهم بمصر طغيان نجم الدين محمَّد بن جمال الدين حجي بن محمَّد (٢ وتسليطهُ على اولاد علم الدين معن بن معتب (٣ وعلى غيرهم وتجرّؤُهُ على قتل قُطب الدين السعديّ (٤ في كفرعمَّيهْ (ان كان هو قاتلهُ) لغيبة المذكورين عنهُ

وسمعتُ ممن نقل الاخبار عن الاوائل انَّهُ لمَّا جرى على الغرب ما جرى لاجل قتل قطب الدين كما سنذكر ان شاء الله (٥ فيما بعد و بلغ الخبر زين الدين بن عليّ وهو بسجن مصر تلهَّف على ما جرى وقال: آه لو كنتُ حاضرًا. فقال لهُ الموكَّلون عليهِ: ما عساك كنت تفعل يا مولانا ? فردَّ عنهُ الجواب جمالُ الدين بعقلهِ وقال: لكان أُصلح القضيَّة. وهذا يدلُّ على انَّ الافراج عنهم كان عقيب هذه الحركة بمدَّة قليلة. وذلك بيّن ظاهر لمن ينظر في هذه التذكرة

١) هو احد ماليك الملك الظاهر اشتراهُ صغيرًا وهو امير فلمَّا تسلطن استقرَّ بهِ الظاهر نائب السلطنة وفوَّض اليهِ جميع احوال المملكة. ثمَّ صار الامر بعد الظاهر الى ولدهِ الملك السعيد ابي المعالي بن بيبرس فاقرّه في ولايته الَّا انهُ مات بعد قليل سنة ٦٧٦ (١٢٧٨ م)

٢) هو الولد الذي عقَّ اباهُ جمال الدين فحرمهُ الميراث (راجع ص٥٦٥)

٣) هو معن بن معتب بن ابي المكارم الذي ورد ذكرهُ في شجرة التنوخيين (راجع ص ٣٧٣) ٤) راجع ص ٥٦٤ ٥) راجع ص ٧٠٧

ونحن نذكر بيان كلّ الحركة (32v) كما سمعنـــا الامر نقلًا عن القدماء ونطابقهُ مع الاوراق الموجودة عندنا مؤرّخةً بذكر هذه الحركة ثم نعرض ذلك على ما ذُكر في كتُب المؤرّخين الذين كانت ايَّامهم مطابقة لايَّام الحركة المذكورة. وجلُّ القَصْد بذلك وضع الامور على المطابقة بقرائن يقبلها العقل ويصوغها الفكر وقد اجتهدتُ على صحة ذلك وما توفيقي الَّا بالله

(اقول) لمَّا قدَّر الله بوفاة السلطان الملك الظاهر بدمشق في السابع والعشرين محرَّم سنة ست وسبعين وستمائة (١٢٧٧ م) اخفى بدر الدين بيليك موتهُ وتوجَّه بالعسكر الى مصر ومعهم محفَّة يظهر ان السلطان فيها ضعيف فلمَّا وصل اظهر مَوْتهُ واجلس ولدهُ الملك السعيد بَرَكَة(١ على عرش السلطنة في اوائل ربيع الاول سنـــة ست وسبعين وسبعمائة وجعلوا عزَّ الدين أيدمر(٢ نائبًا على الشام ثمَّ افرجوا عن زين الدين وجمال الدين واخيهِ سعد الدين المذكورين

ثمَّ بعد ذلك كانت وفاة بدر الدين بيليك نائب السلطنة واستقرَّ عوضهُ شمس الدين الفارقانيّ (٣

ووقفتُ على كتاب من زين الدين بن علي الى جمال الدين حجي واخيهِ سعد الدين وسائر كبار الغرب كلّ واحد باسمهِ وعند البسملة الشريفة الظاهري (٤ . ملخص مضمونهُ « انَّ كلّ ما جرى عليـــهِ هو من تزوير بني ابي الجيش. وانَّهُ لمَّا أَمسكوهُ طلبهما بنو ابي الجيش في العسكر فما لحقوهما وانَّهُ حمد الله على ذلك. وانَّهُ ما اساء اليهم قطّ وانَّهُ ان جرى عليهِ امرٌ فهو منهم فليأخذا بثارهِ ويكونا من الرجـــال. وانَّهُ ان يخلص يكافئهما. وانهُ تحقق انَّ الذي جرى عليهِ صادر من بني ابي الجيش. وأَنَّهم بعد ذلك ارسلوا كتبًا على

١) هو بركة خان الملك السعيد ابو المعـــالي ابن الملك الظاهر تولى السلطنة سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٨ م) ومات بعد سنتين تقنطر بهِ الفرَس في ميدان الكرك فانكسر ضلعهُ ومات من يومهِ

٢) هو ايدمر الخطيري كان احد الامراء الكبار تولى مدَّةً نيابة الشام في ايَّام الملك السعيد ثمَّ جُعل استادار العاليـــة في ايَّام محمَّد بن قلاوون. ومن آثارهِ جامع ابتناهُ في بولاق. كانت وفاتهُ نحو سنة ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م)

٣) هو الامير آق سنقر الفارقاني استقرَّ نائب السلطنة بعد الامير بيليك فاقام على ذلك مدَّةً يسيرة ثم قبض عليهِ الملك السعيد وسجنهُ بثغر الاسكندريَّة ثم ارسل بخنقهِ فخُنق سنة ٦٧٦ (١٢٧٨م)

٤) كذا في الاصل ولا نفهم ما المراد بقولهِ: « عند البسملة الشريفة الظاهريّ »

يد ابي الغيث بن ابراهيم (١ من عرامون الى شهاب الدين بن نحر (٢ يقدّمها ويتحدَّث عليهـا (٣ . وأنَّ الكُتب شكاوى عليه ويسألها امساك ابي الغيث (33) المذكور ومقابلتهُ » . وهذا يدلُّ على انهم امسكوهُ في عسكر وانَّ جمال الدين واخاهُ كانا في البلاد. وربَّما كان هذا العسكر في غير هذه البلاد فتوجَّه زين الدين اليهِ فمُسك فيه

واما قولهُ في الكتاب انَّهم طلبوهما في العسكر فما لحقوهما فيدلّ على انَّ زين الدين سُجن قبلهما فيكون العسكر تطلَّب جمال الدين وسعد الدين بعد ذلك وامسكوهما وسجنوهما بعجلون والكرك. والدليـل على ذلك انَّ سجنهما كان في ايَّام الظاهر بيبرس والكتاب المذكور كُتب في ايَّام الظاهر لا خلاف فيهِ

ورايتُ مَحضَرًا (٤ كُتب بعد هذه الواقعة تاريخـهُ ثامن وعشرون من صفر سنة اثنتين وثمانين وستمائة (١٢٨٣ م) فاردتُ اثباتهُ عند ذكر ما جرى عـلى المذكورين من الكذب والزور. ومن مضمونهِ: « انَّ شهودهُ يعلمون انَّ تقيَّ الدين نجا بن ابي الجيش بن مفرح (٥ يُعرَف بالزور والافتراء والكذب فينسب زورًا للامراء زين الدين صالح بن علي وجمال الدين حجّي واخيهِ لِأبويهِ سعد الدين خضر المكاتبات الى الفرنج المخذولين وغيرهم. وذلك لانَّهُ معاند لهم وساعٍ في اذيَّتهم وفيما يضرُّهم بكل طريق. وانَّ تقيَّ الدين المذكور توجَّه الى صيداء وعكة في سلخ شهر محرم سنة اثنتين وثمانين وستمائة (١٢٨٣م) بكتب مزَّورة بخطهِ عن المذكورين ولم يكن عندهم من ذلك علم ولا يعلم شهودهُ انَّ المذكورين يُنسبَون الى شيء من ذلك » . وفيهِ شهود الميادنة (٦ من بلد صيداء ولهم شهود بالتركيَّة

---

١) لا نعرف لهُ خبرًا ٢) كذا في الاصل بلا ضبط

٣) لعلَّهُ يريد بقولهِ « يقدّمها ويتحدَّث عليها » انهُ حصل على نسخ من هذه الكتب فيقدمها زينُ الدين الى جمال الدين واخيهِ ويتحدَّث عنها في كتابهِ لها

٤) المَحضَر كالسجل والصكّ

٥) جاء في حاشية من اصل الكتاب ما حرفهُ: « ومفرح جدّ تقيّ الدين نجا كان افضل من ذرّيتهِ معتبرًا بين الناس. ومن الدليل على ذلك اني وجدتُ بين الاوراق القديمة مشترًى باسم نجم الدين محمَّد بن حجّي بن كرامة وهو بخطّ مفرح هذا وهو مفرح بن ابي الجيش بن مفرح وهو خطّ مليح يدلّ على ذكاء كاتبه . وتاريخهُ شهر ربيع الاوَّل من سنة ثمان وثلاثين وستمائة . وجرت العادة ان يُعتبَر الذي يكتب كرجل فاضل وبليغ عارف بامر الكتابة »

٦) لعلَّهُ يريد قومًا من الصيداويين يسكنون الميدان وهي قرية من اقليم جزّين

من قوم تحت شهاداتهم (^{v}33) بخطّ قاضٍ. وهذا المحضر كُتب في ايّام المنصور قلاوون فقدمتُ ذكرهُ ليكون تِلقاء الكتاب المذكور ليعلم الواقف على هذه التذكرة عداوة بني ابي الجيش لهذا البيت. وكان يجب تأخيرهُ الى ايّام المنصور قلاوون لأنّهُ كُتب عن حادثةٍ وقعت في ايّام غير الحادثة التي ذُكرت في ايّام الملك الظاهر بيبرس

[ووقعتُ على محضَر ثانٍ كُتب لزين الدين بن عليّ ولولدَيهِ عليّ وبحتر ولجمال الدين حجي ولولدهِ محمّد ولاخيهِ سعد الدين خضر. ومن مضمونهِ: انهم مناصحون الدولة المنصوريّة مجتهدون في قمع المفسدين واخماد الفتن وانّهُ ليس منهم احد يحبّ الفرنج او يميل اليهم او يناصحهم وانّ جميع ما نُسبوا اليهِ من الاجتماع بالفرنج عند نزول العساكر المنصورة بساحل مدينة صيداء (بسم الله فتحها في شهور سبع وثمانين وستمائة (١٢٨٨ م) كان تشنيعًا من اعدائهم ومبغضيهم ليس لهُ اصل ولا حقيقة. والتاريخ في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة. وهذا في ايّام الملك المنصور قلاوون ايضًا. فيكون من ثمّ قد وهم بالغيب من زعم انّ الثلاثة المذكورين سُجنوا مرّتين وان النسخة الثانية في ايّام قلاوون وافرج عنهم بيدرا. والله اعلم(١]

ولنرجع الآن الى ترتيب الحوادث في اوقاتها تتلو بعضها بعض على دول الملوك وايّامهم. ومن الحوادث في ايّام زين الدين وجمال الدين وسعد الدين انّهُ حضر الى الغرب في نهار الخميس في العشر الآخر من شهر صفر سنة سبع وسبعين وستمائة (١٢٧٨م) عساكر وعشران من ولاية بعلبكّ والبقاعين وصيداء وبيروت لقضيّة قتل قطب الدين السعدي. وهذا كان قد استقطع كفرعميه من امراء الغرب فقُتل فيها وذكروا انّ الذي قتلهُ هو نجم الدين محمد العاقّ لابيهِ جمال الدين وقد تقدّم ذكرهُ وطَرْدُ ابيهِ لهُ (٢. فاقامت العساكر والعشران في الغرب سبعة ايّام في نهب وأسر وحريق وهدم وخراب. وكان نجم الدين محمد المذكور وشرف الدين علي بن زين الدين بن علي قد هربا مع رفقةٍ لهما الى شقيف كفرغوص (٣ فتحصّنوا بهِ. فحضر اليهم بعض العساكر فانزلوهم واعتقلوهم وساروا بهم وهم يتبعون المنهزمين من الغرب حتى وصلوا الى كفرفاقود ففرجوا عن

١) ما وضعناهُ هنا بين معكفين [ ] قد ورد في ذيل الكتاب الّا انّهُ من الاصل زادهُ المؤلف ونبّهَ عليهِ

٢) راجع ص ٥٦٤ و ٥٦٥ ٣) نظنها من اقليم الشحّار

المذكورين في كفرفاقود . وذكروا ان الشيخ العلَم (34²) لمّا وصل الهاربون من الغرب الى كفر فاقود جهز المِعْزى لتـدوس الطريق وتخفي آثار الهاربين على من يتبعهم من العسكر . ولم نسمع انَّهُ جرى على الغرب النحس من هذه الحادثة . ثمَّ صار الامر الى يدي الملك السعيد بركة بن الظاهر ونائبهُ بالشام عزّ الدين ايدمر (ستأتي البقية)

روايةُ الشَّقيقتين

للاب هنري لامنس اليسوعيّ

(تابع لما قبل)

ولم يكن هذا الافتراض بانَّ الراهبة اغنس هي ابنتها وردة امرًا مُحالًا لانَّ صوتها ووجهها لم يكونا بالشيء غير المعروف لديها بل كانت كلما نظرت اليهـا او سمعت صوتها تشعر باضطراب داخليّ لم تكن لتدرك سببـهُ بل كانت منذ نظرت الى الراهبة المرَّة الاولى أحسَّت بانعطافٍ شديد ومحبَّـة عظيمة لها . . . وكانت تقول في نفسها انَّ للقلب ادلَّةً وحُججًا لا يفقهها العقل احيانًا فعـلامَ لا نتبع الهامات القلب . . . . ثم كانت تعود الى رشدها فتقول كلاَّ انَّ هذه اوهام بل اضغاث احلام فانَّ وردة قد ماتت دون اشكال وعلى فرض انها ما برحت حيَّـة فانَّها تكون أصغر سنًّا من الراهبة أغنس بزهاء عشر سنين على الاقلّ »

وبينا كانت متردّدة في الامر على ما مرَّ بك الكلام تصدّق مرَّة انَّ الراهبـة اغنس هي بنتها وردة وتنكر مرَّةً الامر على نفسها عزمت ان تستجلي الغامض وتستطلع الحقيقة باسرع ما يمكن لها . وهي لهذه الغاية باحت لقرينها بما كان يخامرها من الظنون فعزم الزوجان ان يكاشفا الراهبـة بما يتردَّد على بالهما رجاء ان يحملاها على الاباحة بسرها وانهما اذا لزم الامر يكاشفان الرئيسة ويستطلعانها طلع الراهبة وبالجملة انَّ الزَّوجين تواعدا ان يتَّخـذا جميع الوسائل لازالة الخفاء وكشف الغطاء

على انَّ عربة البارون تأخرت ذلك المساء عن الاياب في الوقت المعيَّن خلافًا للعادة وكانت الحالة الجوّية قد تغيَّرت في ذلك المساء بغتةً كما يحدث غالبًا في مثـل هذا

الفصل من السنة فتلبَّدت الغيوم في كبد السماء وانهمل الغيث مدرارًا يندفع على زجاج النوافذ وكانت الرياح السوافي تهبُّ من وقتٍ الى آخر وتسمع انينًا مزعجًا اشبه بالنعيق وبالجملة كانت مظاهر الطبيعة تنبّه في النفس عواطف الحزن والشجن

وكان المسيو ب. وزوجتهُ قلقين بما لا مزيد عليهِ بل استولى عليهما الرعب والخوف بشدَّة شديدة من جراءِ تأخر الجماعة عن القدوم. وبينا كانا على تلك الحال سمعا وقع حوافر الخيل ثم اقبلت عربة ووقفت لدى باب البيت فنزلت منها سوسنة وشرل وحدهما متخاصرين امَّا الراهبة فلم تكن معهما. بل اخبرت سوسنة ان الراهبة اغنس احسَّت بضعفٍ على بغتة بينما كانوا قادمين من النزهة ولحسن الطالع لم يكن الدير بعيدًا فنقلوها اليهِ حالًا ثم استدعي الطبيب بسرعة كليّة وبعد ان فحص امرها بتدقيق صرَّح بان حالها تنذر بالخطر نظرًا الى ما كانت عليهِ المريضة من الضعف الشديد والهزال

١٣

نحن الآن (والساعة التاسعة من الليـــل) في حجرة حقيرة من حجر دير الراهبات خادمات المرضى في مدينة ڤينَّة. وفي تلك الحجرة راهبـــة تصارع الموت ويصارعها وتنازلهُ وينازلها. وحول مرقد هذه الراهبة التي صارت على مقربة من هوَّة الابدية جملة من الراهبات الزاهدات راكعات يصلّين سرًّا . . . . وكان الكاهن الذي أودعتهُ تلك الراهبة المنازعة آخر ما في نفسها من الاسرار يعظها في ساعتها الاخيرة المهيبة قائلًا:

« تشجَّعي ايتها الاخت العزيزة فانَّ الاكليل المعدّ للنفوس الكريمة انما ينتظركِ فوق في السماءِ . . . ان الله قد قبل الضحيَّة التي قدمتها لهُ بمروءة وشهامة وشجاعة وسيقبل ايضًا صلواتكِ وتقدمة حياتكِ فدى الاشخاص الاعزَّاء لديكِ »

وعندئذٍ ظهر على وجه الراهبة سيماء الموت القريب بصورةٍ ادركها الحاضرون فسجد الكاهن على ركبتيهِ ليصلّي الصلوة التي بها يُستودَع الله نفس المحتضرة فقال وقد خشعت نفوس الحضور :

« اخرجي من هذا العالم ايتها النفس المسيحية باسم الآب القدير على كل شيءٍ الذي خلقكِ وباسم يسوع المسيح ابن الله الحيّ الذي تألَّم من اجلكِ وباسم الروح القدس الذي حلَّ فيـــكِ وباسم الملائكة ورؤساء الملائكة وباسم الآباء والانبياء وباسم الرسل

والانجيليين. . . . وباسم القديسات العذارى وسائرِ اولياء الله وقديساتهِ. وليكن اليوم مقرّكِ في السلام ومسكنك في صهيون المقدّسة

«استودعك الله القدير على كلّ شيءٍ ايتها الاخت العزيزة واسلمك الى من انتِ خليقتــهُ حتى اذا ما وفيتِ بالموتِ دين البشريَّة تعودين الى مبدعكِ الذي انشأكِ من تراب الارض. ولتلقَ نفسك الخارجة من الجسد مواكبَ الملائكة النيّرين ومحافـل الشهداء المنتصرين وصفوف العذارى المجيدات ولتقبلْ قبلةَ السلام قبلةَ الراحة الدائمة في احضان الاباء. ولتظهر لكِ صورة يسوع المسيح منشأ الحلاوة ومغرس الرجاء . ولينهزم من امامكِ ابليس الرجيم واعوانهُ حتى اذا ما رأوكِ في صحبة الملائكة ترتعد فرائصهم ويولُّوا مدبرين مندحرين الى دركات الجحيم حيث الظلمات الدائمة. . .»

وعندها امسك الكاهن عن الكلام ثم نهض ومنح المحتضرة البركة الاخيرة وانطلق من الغرفة حاملًا بيدهِ الزيت المقدَّس

ولم يعد يُسمَع في الغرفة الّا لهجة الراهبات الراكعات يصلّينَ بصوتٍ منخفض ثم تنفس بل حشجرجة الراهبة المحتضرة. . . على انّ هذه الراهبة نهضت بصعوبة كليـة بغتةً وابدت حركةً اشارت بها الى انَّها تريد ان تتكلّم. فللحال وقفت الرئيسة عند رأس الراهبة اغنس ودفنت حزنها في اعماق صدرها محاولةً بذلك ان تنتزع من مخـالب الموت تلك النفس الكريمة المعززة بالشجاعة والشهـامة. تلك النفس التي أُعجبت منذ زهاء سنة بفضيلتها السامية القائمة على اقوى الدعائم فانحنت الى المحتضرة منعطفة وأصغت اليها . . . فاخذت اغنس تودع في اذن الرئيسة كلامًا سرّيًا ويظهر ان ذلك الكلام كان ذا تاثير في نفس الرئيسة حتى انَّها رفعت جملة مرَّاتٍ منديلها الى عينيها ومسحت الدموع المنهمـلة كالغيث المدرار وفي آخر الامر التفتت الرئيسة الى المحتضرة وقالت لها ما يأتي من الكلام:

«كوني باطمئنان وسلامٍ ايتها الاخت العزيزة فانني سأُتمّم مقتضى ارادتكِ بمنتهى التدقيق. ايتها الفتاة عنوان الشجاعة والشهامة ليتني اتمكّن من ان افديكِ بحيوتي. . .»

فعند ما حقَّقت الرئيسة للراهبة اغنس انها تقوم بما اسرَّتهُ اليهـا ابتسمت اشارةً الى الشكر والاحساس بالجميل ثم القت رأسها الى المخدَّة التماس الراحة. فرآها الحضور تحرّك شفتيها وترفع عينيها الى السماء بحميّة ففهموا انّ صلوةً حارَّة كانت تصعد الى العلاء من تلك النفس الكريمة مغرس البرارة والطهارة

وعند ذلك أُتيَ بناءً على امر الرئيسة بمنضدة (طاولة) فجعلت على مقربةٍ من سرير المحتضرة وكان على تلك المنضدة جملة اشياء موضوعة بدون انتظام وهي اسفاط وسبحتان وكتاب الاقتداء بالمسيح وكتاب قوانين الرهبانية ومكاتيب وبعض رسوم شمسية (صور فوتغرافية) قليلة العدد وصليب صغير وسوار من ذهب

فشرعت الراهبة اغنس تتأمل هذه الاشياء بابتسام . وكان بعض التصورات القديمة تتمثَّل لدى عينيها التي كاد ظلام الموت يحجب ضياءها

اجل ان تلك الاشياء كانت كانَّها ألسنة ناطقة تخبرها بحوادث حياتها المنقضية وتنبه في ذهنها التذكّرات المتعلقة بتلك الحوادث . . بل كأنّ كلّ قطعة منها لدى تقليبها اياها بين اصابعها العجيفة التي استطرقت اليها برودة الموت تقول لها : أتذكرين هذا الامر . . . وكيف لا تتذكَّر جميع هـذه الامور وهي من اجل ذلك تتبسَّم بلطافة لدى تفكّرها بالحوادث الماضية ولدى تذكرها بموتهـا القريب . . . لا ريب ان صورة الوطن كانت في تلك الساعة تتراءى لها ولا إشكال إن رسم العائلة كان تتمثَّل لدى نظرها . . . وهي لذلك قد تأثرت في تلك الساعة فاندفع شيء من دم قلبها الضئيل فصعد الى خدَّيها وصبغهما بحمرة عقبت اثر الاصفرار ثم انهملت من عينيهـا دمعتان كالدرتين فوق تينك الوجنتين البهيتين . وبعد ان تأملت تلك الاشياء العزيزة لديها شكرت للرئيسة شكرًا اخيرًا شكر الوداع قائلةً لها بصوتٍ منخفض :

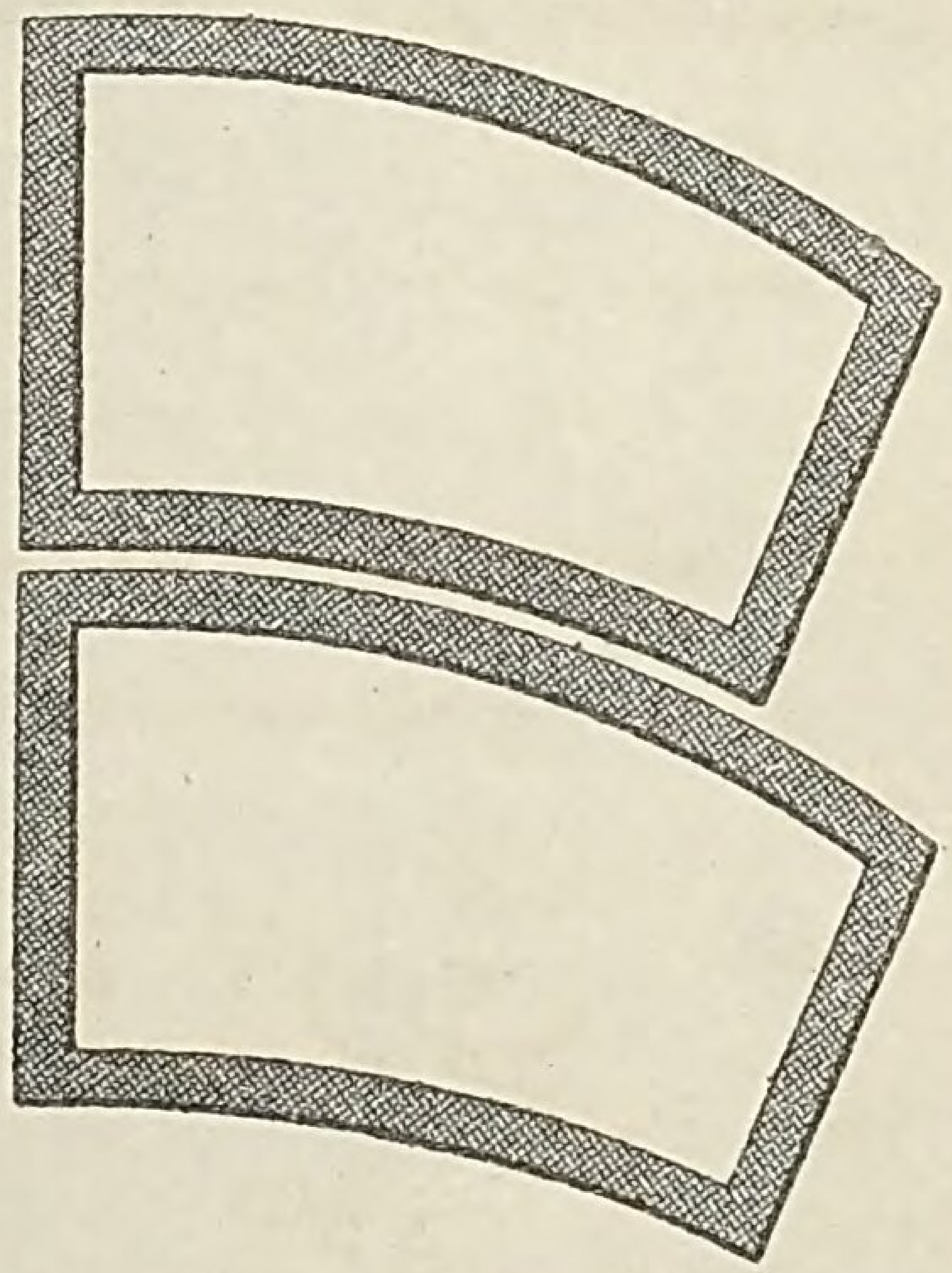
اسألكِ ان تصلي من اجلي قليلًا

اجابت الرئيسة : بل كثيرًا جدًا

فقالت الراهبة المحتضرة :

أَجل أجل صلي من اجلي كثيرًا والآن اني مشعرة بان كلّ شيءٍ قد انقضى . . لقد انقضى كل شيء . . . انني اشكرك يا ربُّ شكرًا حميًا . . . ثم التفت الى الرئيسة قائلةً : اماهُ هل تأملتِ مرّةً ما تلك الجمـلة التي قالها بولس الرسول وهي « انني تائق الى الموت » . . . فانا . . . انا هائمة الآن بالموت . . . ولكن ربما كان اثمًا عليَّ ان اتمنّى الوفاة . . . قالت ثم القت رأسها الى الوسادة . ثم اخذت تتكلّم برهةً بصوتٍ عالٍ قائلةً :

لقد احتملتُ من اجلهِ الآلام . . . وانا اقدّم حياتي من اجلهِ . . . فاقبـل يا الهي ضحيتي . . . السماح . . . السماح يا ابوي المحبوبين . . . السماح يا شقيقتي الحبيبـة . . . اه



الشقيقتان (راجع ص ٧١٢)

انتِ ههنا . . انتِ على مقربةٍ مني . . . وانتم ههنا ايضاً يا ملائكة النزاع السريين . . . .
ارحمني يا الهي . . . ارحمني

ولما كانت اصابعها تنقبض بحركة عصبية على غطاء الفراش اقتربت الرئيسة منها واخذت يدها بلطفٍ وعندئذٍ فتحت الراهبة عينيها ولم تعد تتلفَّظ ببنت شفة . بل شخص بصرها الى العلاء وكانت كانها تسمع اصواتاً حلوة تقول لها

تعالي ايَّتها الاخت الحبيبة . . . تعالي . . . فان المسيح يستدعيكِ الى سمائهِ ان آلامك قد انتهت واوجاعكِ قد انقضت . وانَّ اجنحتها ترف حواليكِ وتنبسط لتحملكِ الى اقصى مكان . . . الى اعلى السماوات

وعندئذٍ نهض جسد الراهبة المحتضرة بارتعاج كأنهُ يريد ان يتبع اشخاصاً غير منظورين

ثم تنهَّدت تنهدًا خفيفاً هيهات ان يدرك فخرجت من صدرها نسمة لطيفة هيهات ان يُشعر بها

وفي تلك الدقيقة انقطعت آلامها وانتهت اوجاعها بالموت . . . (ستاتي البقية)

شَذَرَاتٌ

– الشقيقتان –

سرّح طرفك يا ايها القارئ الاديب في هاتين الصورتين ودقّق النظر فيهما مليًا

— ها قد فعلتُ

— فماذا ترى ؟

— ارى صورتين متشابهتين من حيث الشكل مختلفتين من حيث الكِبَر

— بخٍ بخٍ وانت ايضاً في ضلال عظيم كسائر الذين رموا بالنظر اليهما

— كيف تقول هذا فان الاعمى نفسه يحسّ ان الصورة الثانية اكبر من الاولى ؟

— كلاَّ ثمَّ كلاَّ واكرّر لك القول انك في ضلال مبين

— ولكن . . . .

— ان كنت لا تثق بقولي فقِس الصورتين

— سمعًا وطاعة . . . . . يا للعجب العُجاب . . . . . فانَّهما متساويتان . . . . .

— أَقنعتَ الآن ؟

— نعم

— أفتيقنتَ انك كنتَ في ضلال ؟

— نعم . . . . نعم . . . . ولكن كيف يمكن مثل هذا الاغترار المدهش وقد رزقنا الله قوى سليمة لادراك المحسوسات

— هذا يا صاح ممَّا يُدعى عند الطبيعيين غرور العين (illusion d'optique) ومن امثالهِ ما لا يحصى عدده ُ ولا يُؤتى بعللهِ في اكثر الاحيان . فالله اعلم باسرار الطبيعة . والسلام

عساكر المسكونة برًّا وبحرًا

قد ورد في مجلَّة (Scientific American) جدول لبيان قوَّات الدول العسكرية في اوربة هذا تفصيله :

اسماء البلدان	عدد الجنود في زمن الحرب	في زمن السِلْم
دنمرك	٠٦٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠
سربية	٢١٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠
هولندة	—	٢٢,٠٠٠
برتغال	—	٣٦,٠٠٠
رومانية	١٦٠,٠٠٠	٤٧,٠٠٠
بلجكة	١٦٧,٠٠٠	٥٢,٠٠٠
اسوج	٤٣٠,٠٠٠	٥٧,٠٠٠
اسبانية	١٩٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠
سويسرة	—	١٢٥,٠٠٠
تركية	٧٠٠,٠٠٠	١٨٠,٠٠٠
انكلترة	٦٦٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠
ايطالية	٣,٠٠٠,٠٠٠	٢٤٠,٠٠٠
النمسة	٢,٠٠٠,٠٠٠	٣٦٠,٠٠٠
فرنسة	٤,٣٨٠,٠٠٠	٥٧٠,٠٠٠
المانية	٤,٥٠٠,٠٠٠	٥٨٠,٠٠٠
روسية	٥,٠٠٠,٠٠٠	٨٩٦,٠٠٠

وهذه العساكر الاروبية تستخدم ٥٥٠,٠٠٠ من الخيل وقت الصلح

امَّا بلاد اسية فجملة العساكر الموجودة فيها هي ٨٠٠,٠٠٠ نفر منها ٢٧٠,٠٠٠ للصين و ٢٠٠,٠٠٠ للهند و ١٠٠,٠٠٠ لليابان و ٢٥,٠٠٠ لفارس

وعدد الجنود الاميريكيين لايجاوز وقت السلم جملة ١٦٠,٠٠٠ رجل واعظم عساكر هذه الاقطار عسكر المكسيك (٤٠,٠٠٠) والولايات المتحدة (٣٠,٠٠٠)

وجملة الجنود الموجودين تحت الاسلحة في العالم كله يبلغ (زمن الصلح) ٤,٦٠٠,٠٠٠ نفر وعدد الخيول العسكرية على وجه المسكونة نحو ٧٠٠,٠٠٠

وقد حسبوا النفقات اللازمة لمعاش تلك القوَّات كلها فوجدوا ان مبلغها يفوق ٢٥ مليارًا في السنة. فتأمَّل

– وسيلة جديدة لمعالجة الهُدَام –

اخبر الدكتور رَوْلِنس الانكليزي انهُ اخترع طريقة حسنة لمنع الهُدَام (mal de mer) وقد اثبت الاختبار الصادق حقيقة الامر. فلمَّا كان ذلك الداء العرضي يصيب خلقًا كثيرًا من المسافرين ويذيقهم مرّ الوجع في بعض الاوقات احببنا ان نورد لقرّائنا الكرام هذا الدواء الجديد فنقول:

ان معالجة الهدام على غاية السهولة فلا تقتضي شرب دواء من الادوية ولا ابتلاع حبٍّ من الحبوب. وجلَّ ما يُطلب من المصاب ان يرفع ذراعيهِ ورجليهِ معًا على قدر الامكان فيبقى على هذه الحال الى ان يشعر بانحطاط مَقَسهِ. ثم ان يعاود ذلك مرَّات متوالية الى زوال كل تحرُّك الى القيء. وممَّا يزيد هذه المعالجة نفعًا وضع مغلاة او قطعةً من الفلانلة المسخنة على الصدر. فاختبر وأخبر

لغز رياضيّ

مرّ رجل شريف ببعض الفقراء فطلب منهُ المسكين صدقةً فتقدَّم الى ابنهِ ان يعطيهُ ستة فرنكات فرضي الولد بشرط ان يضاعف لهُ ابوهُ الدراهم التي في كيسهِ. ثم تقدَّما قليلًا واذا بفقير آخر يستعطي فامر الاب ابنهُ ثانية ان يعطيهُ ستة فرنكات أُخرى فلم يرضَ الولد الَّا بعد ان ضاعف لهُ ابوهُ ما فضل في كيسهِ من الدراهم. وكذلك فعل بفقير ثالث امدَّهُ الولد بستة فرنكات بعد مضاعفة الدراهم الباقية في كيسهِ. فرجع الولد

الى البيت وكيسهُ صفرٌ من الدراهم . فيُطلب ماذا كان يوجد في كيسهِ من الدراهم لمَّا صادف الفقيرَ الاوَّل

حلّ هذا اللغز في العدد القادم

كتب شرقية جديدة

STUDIA THEOLOGICA AUCTORE H. GOUSSEN

Fasciculus I, Lipsiæ, pp. 70

Apocalypsis S. Johannis Apostoli, Versio Sahidica

نسخة جديدة من رؤيا مار يوحنّا باللغة القبطيَّة

لا يخفى انَّ الاسفار المقدَّسة نُقلت في اوائل النصرانية من اللغة اليونانية عن الترجمة السبعينيَّة الى عدَّة لغات . ولمَّا كانت البلاد المصريَّة سبقت غيرها الى التنصُّر لا شكَّ ايضاً انَّ الاقباط اسرعوا الى نقل الكتاب الكريم الى لغتهم . بيد انَّ اللسان القبطيَّ على ثلاث لَهجات اللهجة المِنفيّة او البَحيريَّة كانت شائعة في مصر السُّفلى واللهجة الصعيدَية او الثيبية انتشرت في مصر العليا اي الصعيد واللهجة البَشموريَّة كان يتكلَّم بها بعض العامَة في واحات مصر . وقد تُرجم الكتاب المقدَّس الى هذه اللهجات او اللغات الثلاث . واشهرها الترجمةَ المِنفيَّة ثمَّ الصعيديَّة يرتقي عهدها الى اوائل القرن الثالث او اواخر الثاني للمسيح يُستدلُّ على ذلك من شواهد عديدة . وهاتان الترجمتان مستقلّتان لم يُطبع منهما الّا شيء قليل وما نُشر بالطبع أُخذ اكثرهُ عن نسخ لا يتجاوز عهدها القرن العاشر . وقد ساعد الحظّ بعض اصحاب الآثار ان يجد منهما قطعاً مهمَّة منذ عشر سنين حصلت عليها دولة المانية ودولة انكلترة . فبادر الدكتور هـ . غوسّن احد معلّمي كليّة ستراسبرغ الى استنساخ كتاب رؤيا يوحنّا باللغة الصعيديّة فنشرهُ بالطبع الحجريّ وضبطهُ على نسختين كُتبتا على رقّ الغزال . فلا مراء انَّ الشرقيين لا سيَّما الاقباط يتلقّون هذا الخبر بمزيد المسرَّة ويثنون على همَّة الدكتور المذكور . وقد ذيّل هذا الكتاب ببعض مقاطيع صغيرة في السريانية وجدت في كتب قديمة وهي مأخوذة عن كتاب الدياطسَّارون وسنعود الى ذكرها ان شاء الله

MARTYRIUS-SAHDONA'S LEBEN U. WERKE,

von Dr H. Goussen, Leipzig, 1897, SS. XX-34.

ترجمة سُهدون واعمالهُ

كان سهدون هذا من مشاهير كَتبة السريان درس العلوم في مدرسة نصيبين

في اواخر القرن السادس ثم ترهَّب في بعض اديرة النساطرة ولم يلبث ان اشتهر بفضلهِ فاقامهُ اهل شيعتهِ اسقفًا لمدينة باجرمي في نواحي الموصل واكرمهُ سيرويهِ ملك العجم فارسلهُ مع يشوعياب الجذلي سفيرًا الى هرقل الملك فالتقى مدَّة سفرهِ بعدَّة اساقفة كاثوليكيين باحثوهُ في امر شيعتهِ واجتذبوهُ الى الرأي المستقيم. ولسهدون هذا تآليف دينيَّة وخطب وجد منها الدكتور غوسن المذكور آنفًا قسمًا فنشرهُ بالطبع وترجمهُ الى الالمانية وعلَّق عليهِ حواشي وصدَّر الكتاب بتعريف سهدون المذكور واثبات رجوعهِ الى الكثلكة وكان بعض العلماء المستشرقين كرَيْت وبُدج أنكروا ذلك على السمعاني (راجع المكتبة الشرقية الجزء الثالث ص٤٥٣) وزعموا انهُ تشيَّع للبدعة اليعقوبية ولم يَدِن بالكثلكة فبيَّن الدكتور غوسن ان اكتشاف نسختهِ الجديدة لم تترك للامر ريبًا ل. ش

BIBLIOGRAPHIE DES OUVRAGES ARABES OU RELATIFS AUX ARABES

publiés en Europe de 1810 à 1885

par V. Chauvin, 3e *partie, Liège*, 1898, *pp*. 152

قائمة الكتب العربية او المنوطة بالعرب التي نُشرت بالطبع في اوربة من سنة

١٨١٠ الى ١٨٨٥

قد وصفنا في العدد الثاني من مجلتنا (ص٩٣) القسم الثاني من هذا الكتاب المفيد. فما لبث مؤلفهُ جازاهُ الله ان يتحفنا بالقسم الثالث وهو جزءان يشتمل الاوَّل على امثال لقمان وما دخل في حلّها والثاني على قصَّة عنترة وما شاكلها. وقد صدَّر في الجزء الاوَّل البحاثةُ (ص١—٢٥) بذكر كلّ المطبوعات التي نُشرت بخصوص امثال لقمان الحكيم وترجمها الى لغاتٍ شتَّى. ثم فصَّل (ص٢٦—٣٨) اسماء المصادر التي أُخذ عنها كلُّ مَثَل من امثال لقمان السابق ذكرها. وهو شغل دقيق يبيّن اصل هذه الامثال وما طرأ عليها من التقلُّبات وكيف انتسى بها الكتبة فنقلوها الى اللغات المختلفة وهذا الباب جليل المنفعة لا غنًى عنهُ لمن اراد البحث في تاريخ امثال لقمان الشهير

ثم انتقل المؤلف العلاَّمة الى ذكر الامثال الواردة في قصَّة حيقار الحكيم (٣٨—٤٢) التي سعى حضرة الاب صالحاني بطبعها طبعةً مضبوطة. ثمَّ ذكر ما عُرّب من امثال ايزوب اليوناني (٤٢—٨٣). ثم عَقب ذلك ببيان اسماء الكتب التى مدارها على قصَّة

بَرْلعام ويوشافط مع ما جاء فيها من الامثال الحكميَّة (٨٣—١١٢) . وفي هذا الفصل عدَّة افادات عن هذا الكتاب الذي طالما نسبهُ الكتبة الى القديس يوحنَّا الدمشقي وهو في الحقيقة اقدم منهُ عهدًا واصلهُ من الهند

امَّا الجزء الثاني (١١٣—١٤٠) فمضمونهُ اوَّلًا حكاية عنترة بن شدّاد وتعداد طبعاتها المختلفة . ثم يليها ذكر الحكايات المجانسة لها الشائعة عند العرب كقصّة ابي مُسلم وابي زيد والعجيب الغريب وفيروز شاه وسيف التيجان وسيف بن ذي يزن والزير وبني هلال الخ . وختم ذلك بقائمة الكتب التي ورد فيها ذكر مسألتين خطيرتين (ص١٤٠—١٤٣) تضاربت فيهما الآراء اعني اصل جماعات الفرسان وما لكتب العرب من الحصَّة والتأثير في الحكايات التي شاعت في اوربة في القرون المتوسطة

فمن تعداد هذه الفصول يتسنَّى لقرَّائنا ان يفهموا عظم شأن هذا القسم الثالث وما اقتضى جمعهُ من الشغل الشاغل . فنكرّر شكرنا للعلاَّمة شوفين الذي يسهّل لنا بواسطة تأليفهِ الاطّلاع على كلّ ما نُشر بالطبع في سائر انحاء اوربَّة من كلّ فنون العرب ويقرّب لغيرهِ من العلماء الوسائل لنشر تاريخ واسع للآداب العربية ه . ل

أَسْئِلَة وَأَجْوِبَة

س سألنا حضرة الاب انستاس الكرملي من بغداد: ١ً ان نفيدهُ عن اسماء السُفن المتَّخذة في العراق المذكورة في المسعودي ٢ً ان نذكر لهُ ما يوجد من الصحَّة في ما كتبهُ العرب عن سدّ الاسكندر ذي القرنين في بلاد جوج وماجوج

١ سفن العراق القديمة

ج نجيب على الاول ان المسعودي ذكر هذه السفن في اثناء اخبارهِ عن الخليفة المتَّقي لله بكتابهِ الموسوم بمروج الذهب (٨ : ٣٤٥) . قال: «واشتدَّ امر البريديين بالبصرة ومنعوا السُّفن ان تصعد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم وصار لهم جيش في الماء في الشذوات والطيَّارات والسميريَّات والزبازب . وهذه انواع من المراكب يقاتَل فيها صغارٌ وكبار» . وفي الطبعة المصريَّة (٢ : ٣٧٦) : قد رُوي « السماريات والديارب » . وورد في نسخ اخرى خطيَّة : « السمارايات والدبارب » . ولعلَّ الصواب هي الرواية الاولى فانَّ السميريات قد

ذُكرت في تاريخ الكامل لابن الاثير. امَّا الزبازب فجاء شرحُها في القاموس التركي بانَّها سفن مستطيلة متَّسعة الجوانب

٢ سد جوج وماجوج

نجيب على الثاني انَّ كتبة العرب متَّفقون باجمعهم على ذكر هذا السدّ وذلك انَّهم يزعمون انَّ الاسكندر لمَّا وصل في غزواتهِ الى بلاد جوج وماجوج من الاقليم الخامس اتاهُ قوم من صعاليك تلك البلاد المتاخمة لهؤلاء الشعوب الهَمِجة فرقَّ لهم وابتنى لهم سدًّا ضخمًا لم يمكنهم تعدّيهِ. وقد بحث قومٌ من العلماء عن صحَّة هذه الرواية فتضاربت الآراء في اقوالهم فمنهم من قال انَّ هذا السدّ من بعض بنايات الاسكندر المجهولة. ومنهم من ارتأى انَّ موقعهُ في جبال القوقاز. ومنهم من قال انَّ هذا السدّ هو الحائط المقام في بلاد الصين ولعلَّ هذا الرأي هو الارجح (راجع ايضًا تاريخ الدول لابن العبري ص ٩٧ ومقدّمة المعلّم رينو على جغرافية ابي الفداء ٣١٤ والدكتور دي گويه (de Goeje) مقالة طويلة في ذلك ليست هي في يدنا)

س كتب لنا من المنيا الخواجا واصف قركار ما حرفهُ: ١ً حدَّثني احد اصدقائي انَّهُ حاول تغيير لون الورد الطبيعيّ الاحمر بلون آخر بنفسجيّ وذلك انهُ وضع وقت زرع الورد الاحمر في الارض قطعة تَفتَه بنفسجيّ. فان صدقت هذه الرواية نرجوكم ان تفيدونا كيف يكون ذلك ٢ً ألا يمكن تقدير كم سنة للدنيا من الخليقة الى الآن على وجه التقريب

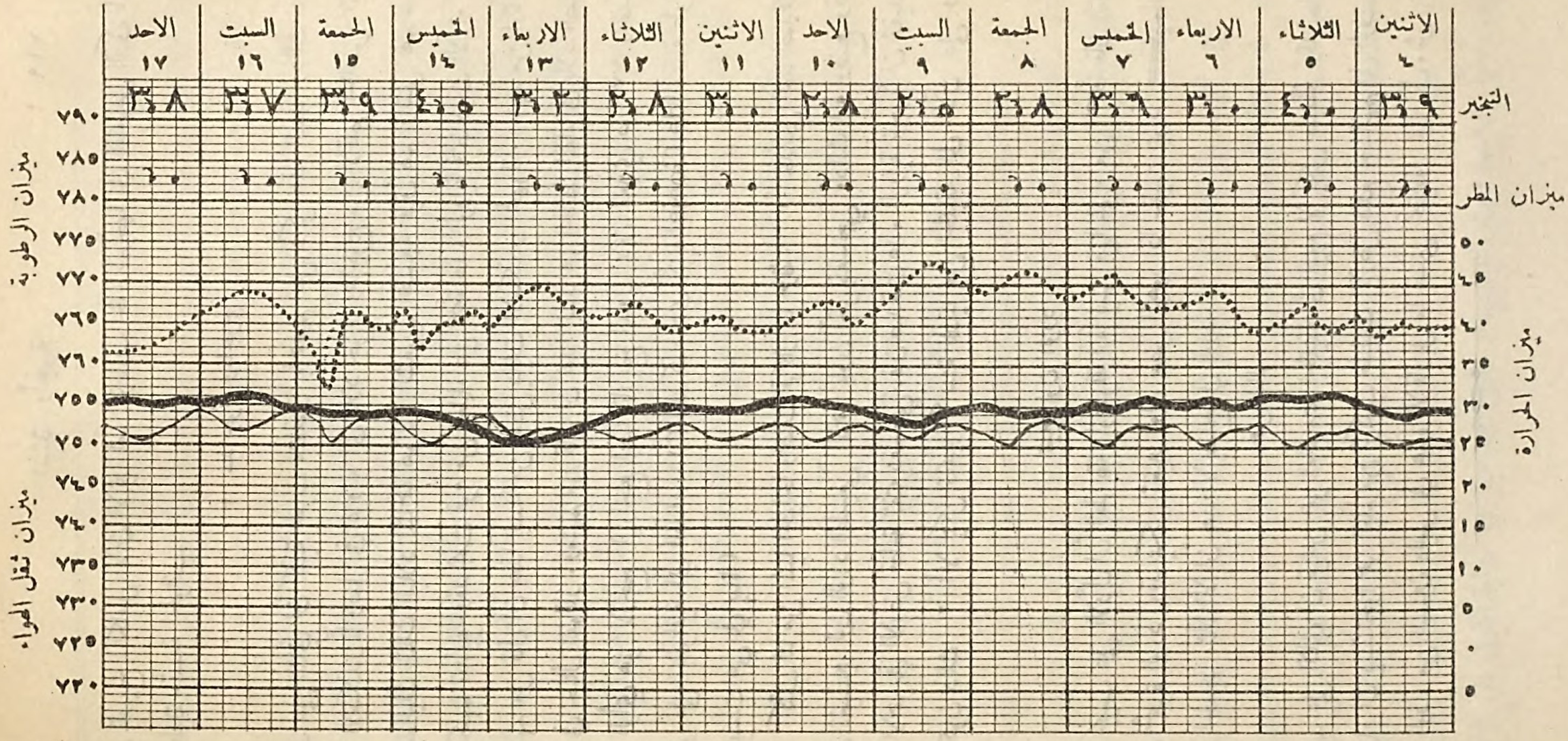
تغيير لون الورد

ج نجيب على الاوَّل انَّ الطريقة الموصوفة آنفًا ليس فيها شيء من الصحَّة فان التفته لا تؤثّر في شجرة الورد. وقد يمكن تغيير الوان بعض الزهور اذا سُقيت بموادّ كيماوية كسلفات الحديد مثلًا الَّا انَّ هذا لا يصلح في الورد

عمر العالم

نجيب على الثاني ان قياس عمر العالم منذ الخليقة الى اليوم لا يمكن ضبطهُ وقد حاول بعض العلماء ان يستنتجوا عمر العالم من تركيب طبقات الارض فبلغ حسابهم الى الوف بل الى الوف الوف من السنين وليس في هذه الاقاويل ما يتسنَّى تحقيقهُ ل. ش

قائمة للآثار الجوّيّة   من ٤ الى ١٧ تموز   ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

جبال الألب ولبنان

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

لقد امكنتني الفرصة في بحر السنتين ١٨٩٥ و ١٨٩٦ ان اجتاز مرارًا في انحاء سويسرة فتسنَّى لي في بُهرة مسيري ان اسرّح الطَّرْف في هذه المناظر البديعة واقضي العجب من رؤية مشاهد الالپ الشائقة ومعاينة بُحَيراته الرائقة. وكنت اصادف مئين بل الوفًا من السيَّاح والمرضى يتقاطرون الى سويسرة من اقاصي العالم فضلًا عن كلّ اصقاع اوربة رجاءَ ان يلقوا في هذه الجبال ترويحًا لنفوسهم او دواءً لادوائهم

أجل اننا لا نجهل في سوريَّة كم هو متَّسع نطاق الصناعة في بلاد سويسرة وربَّما وردت سواحلنا محصولات تجارتها. لكنَّ تجارة سويسرة الكبرى هي توارُد السيَّاح الى ارجائها فانَّ معظم سكَّانها يرتزقون من اموال الجموع الغفيرة من الزوَّار الذين يتقاطرون اليها في كلّ عام فيصيب السويسريُّون بسببهم ثروة طائلة تغنيهم عن سائر المتاجر

هذا وانني عند مشاهدة تلك الجبال الشامخة كنت افكّر في امر جبال أُخرى ألَا وهي جبال لبنان التي لقَّبها كثيرٌ من الجوَّالة الاوربيين «ألپ سوريَّة» (١ لما وجدوا بين الجبلين من التشابُه. بيد انني بعد ان تأمَّلتُ مليًّا ما في هذا القول من الصحّة وجدتُ بمزيد الأسف انَّ فيهِ لغلوًّا ظاهرًا لا يكاد يطابق حقيقة الواقع

١) هكذا نعتها الدكتور كِپر في كتابهِ الموسوم Wanderfahrten im Orient ص ٤٢٨. وقال رينان في كتاب رسالة فينيقية (ص ٢٢٠): «جبال لبنان كجبال الالپ الّا انّها ابهج منظرًا واعطر روائح من الالپ»

وان نسب اهل سورية كلامي الى التعصُّب سألتهم تُرى ماذا يجعل جبال الالپ في سويسرة شهيَّة في اعين السيَّاح حتى يهجروا اوطانهم واشغالهم ويقـدمون عليها زرافاتٍ ليقضوا كلَّ سنةٍ بعض اسابيع او شهور فوق قممها

فالجواب لا محالة انَّ بهجة مناظر جبال الالپ هي الباعث الاوَل لمجيء الزوَّار. والحقُّ يقال انَّ لجبال الالپ محاسن جمَّة لا يضاهيهـا غيرها. فانَّ الثلوج الغرَّاء تتوج رؤُوسها الناطحة للسحب واذا ما ارسلت عليها الشمسُ اشعَّتها الذهبية خلبت مشاهدُها العقول حسنًا وجمالًا. ومن خواصّ الالپ اكتناز الجليد في ودیانهِ فتضحي تلك الوهاد كبحار جامدة يبلغ سطحها عشرين كيلومترًا طولًا. ومع ما في زيارتها من المخاطر العديدة التي كثيرًا ما ذهبت بالارواح ترى اقوامًا من السيَّاح تتوقَّلون في مصاعد تلك الجبال ليتزّهوا طَرْفهم في مباهج طبيعتها

وفي نطاق الجبل الواقع تحت هذه المثـالج والبحيرات المتجلدة غاباتٌ كثيفة من انواع الشجر كالشربين والسنديان والعرعر تكسو تلك الرُّبى بحللٍ سندسيَّة. وربما انتشرت على معاطف تلك الجبال القرى والمزارع والمنازل الصيفيَّة تحدق بها الرياض الغنَّاء. وهنالك ايضًا الآثار القديمة كالقصور والبنايات تنبيء عن اخبـار من فات من الشعوب. امَّا في سفح الجبال فتنصبُّ سيول المياه المزبدة الناتجـة عن ذوبان الجليد وتطفر فوق الصخور بدويٍّ عظيم على شكل شلَّالات رائقة المنظر

ومن ابدع ما يلقاهُ المسافر في تلك الربوع البحيرات الصافية المياه المتشعشعة في الشمس تعكس في مرآتها المائعة صورَ الجبال الشاهقة والاشجار الباسقة المكتنفة بها بينما تقطعها ذهابًا وايابًا اصنافُ الفُلك والمراكب الشراعية وصغار السفن البخاريَّة. فللّه درُّ بحيرة زوريخ وبحيرة جنيڤة يعلو وراءها الجبل الابيض بل سقيًا وريعًا لبحيرة المقاطعـات الاربع (Quatre-Cantons) التي موقعها في وسط سويسرة وهي كدرَّتها الثمينة ويتيمتها الكريمة

هذه بعض خواصّ جبال الالپ في سويسرة وهي كافيةٌ لأن تجعلها من اطيب بلاد الله وفردوسًا للناظرين. الَّا انّ الاهلين لم يرضوا بهذه المحاسن الفريدة التي خصَّت بها الطبيعة جبالهم فأَحبُّوا ان يضيفوا الى هذه المناظر الطبيعية عدّة تحسينات صناعية من شأنها ان تستلفت ابصار السائحين

واوَّل ما يصرفون اليهِ همّتهم العناية بالغابات فانَّهم لا يستنكفون فقط عن قطعها بل

يفرغون كنانة المجهود في تحسينها وتنظيمها وتمديد افنانها وتوسيع نطاق اظلالها الوارفة

ومما شغل افكار السويسريين ان يجمعوا حيثما توارد السيّاح كلّ اسباب الرفاهية ورغد العيش رجاء ان يتوفّر في كلّ سنة عددهم. فشيّدوا في المواقع الحسنة المنظر فنادق للزوّار وجهّزوها ما امكنهم بكلّ اسباب التنعُّم والراحة ومدّوا اسلاك السكك الحديدية فوق متن تلك الجبال لم تأخذهم في إجراء ذلك لومة لائم. ومنها اخذ مهندسو سكّتنا الحديدية بين بيروت ودمشق الاسلاكَ المسنَّنة والادوات التجارية المناسبة لها. هذا ولا ترى وسيلةً الَّا توسَّلوا بها ولا اختراعًا جديدًا الَّا استخدموهُ لادراك مرغوبهم حتى صارت سويسرة مثالًا يقتدي بهِ غيرها من البلاد

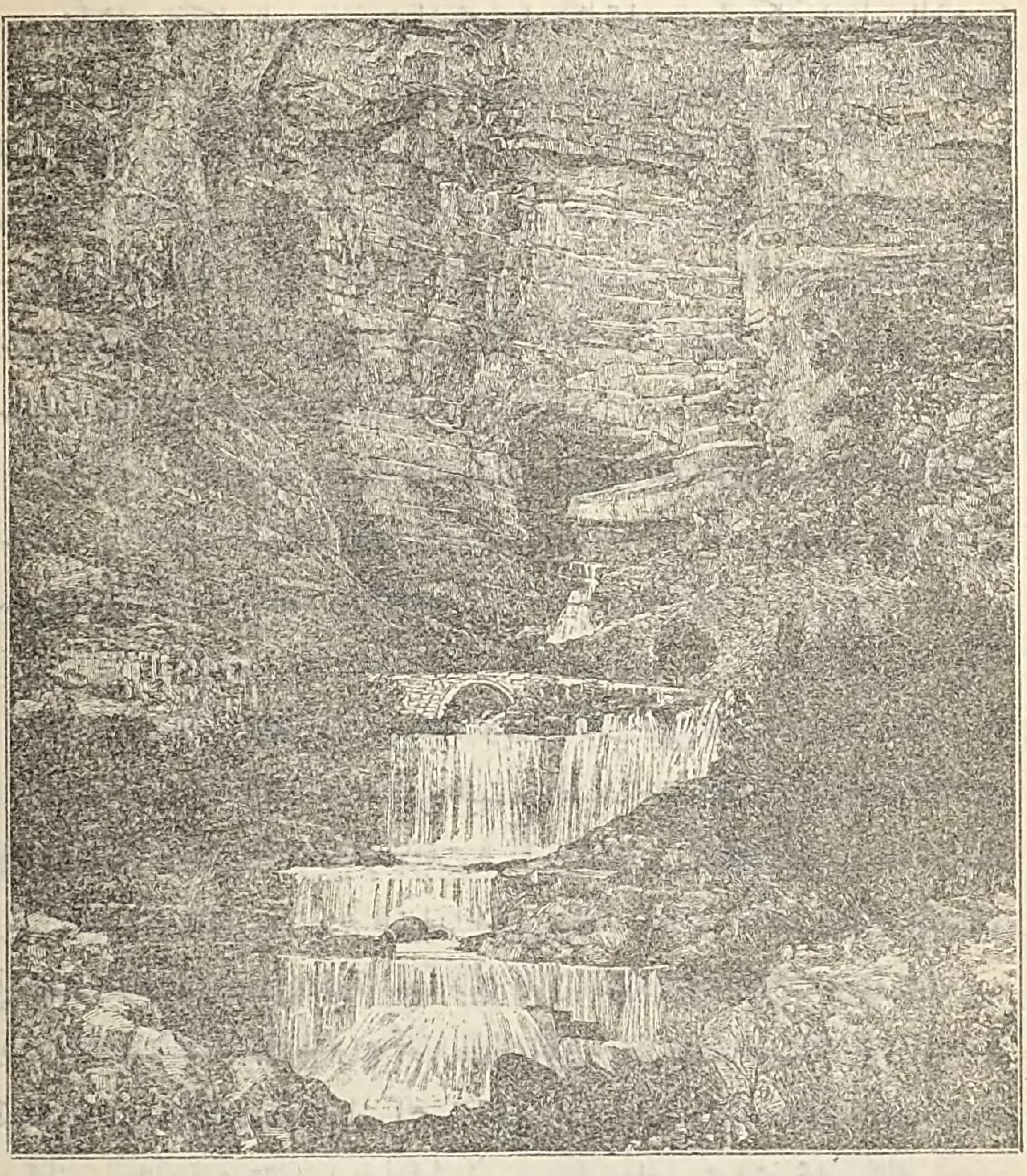
وكلُّ هذه المشروعات الجليلة لا يلبث السيَّاح ان يفوا بالربى نفقاتها الباهظة عما يدفعوهُ من الاموال للشركات القائمة بها. ومُجمل ما يقال انَّهُ ما من بلدٍ قد جمع مثل سويسرة بين الاسباب النافعة والمبهجة معًا

٢

وان عدلنا الآن بالنظر عن سويسرة وجبال الالپ كي نعتبر لبنان وما خصَّهُ الله بهِ من المناظر وجدنا انَّ لهُ قسمًا صالحًا من البدائع الطبيعية التي اهَّلتهُ بان يُشبَّه بالالپ. واذا تصفَّحنا المصاحف الكريمة او كتابات السيَّاح المحدثين وجدناهم يُطرئون محامد لبنان ويثنون على جمالهِ الفائق. ولا حرجَ فان لهذا الجبل منظرًا جليلًا سواء عاينتَ عُرْفَهُ المستطيل في الصيف وهو ضارب الى الزرقة حينًا والى اللون المتورّد اخرى او شاهدتهُ في الربيع والشتاء لمَّا تعتمُّ قمّهُ بالثلوج وتتوشح اعطافهُ باللُجَيْن. واذا تصاعدت الابخرة الى الجوّ تُستشفُّ من ورائها مشاهد لبنان العجيبة فتتبيّن استدارات آكامهِ وانحدارات سفوحهِ ومعاطف وديانهِ حيث تتسلسل الجداول فيُسمع لخريرها صوت يأخذ بمجامع القلب

وبين هذه المناظر ما يُشبه الالپ بغرابة صورتهِ وعلوّ صخورهِ. قال الدكتور لُرتِه: اذا اعتبرت وادي نهر ابرهيم مثلًا لم تجد انَّهُ دون مناظر الالپ حُسنًا فترى شمالًا صخورًا ضخمة مسنَّنة الاطراف ويمينًا طود الصنّين ينطح بعرينهِ السحاب. وفي مضيق الجبل طريقًا حرجة تجتاز بين ركام الصخور المتحدّرة من علٍ في وسط غابة من الصنوبر. وهذا المشهد الجميل يزيد حسنًا على قدر توغُّلك في الجبل. فاذا صرتَ بقرب المنيطرة رأيتَ حَنيَّة متّسعة الافناء لا تفوقها في شيء اجملُ مواقع جبال الالپ والپيرينه تظلّلها اشجار

السنديان والصنوبر النابتة في وسط صخور تُشرف على الهاوية

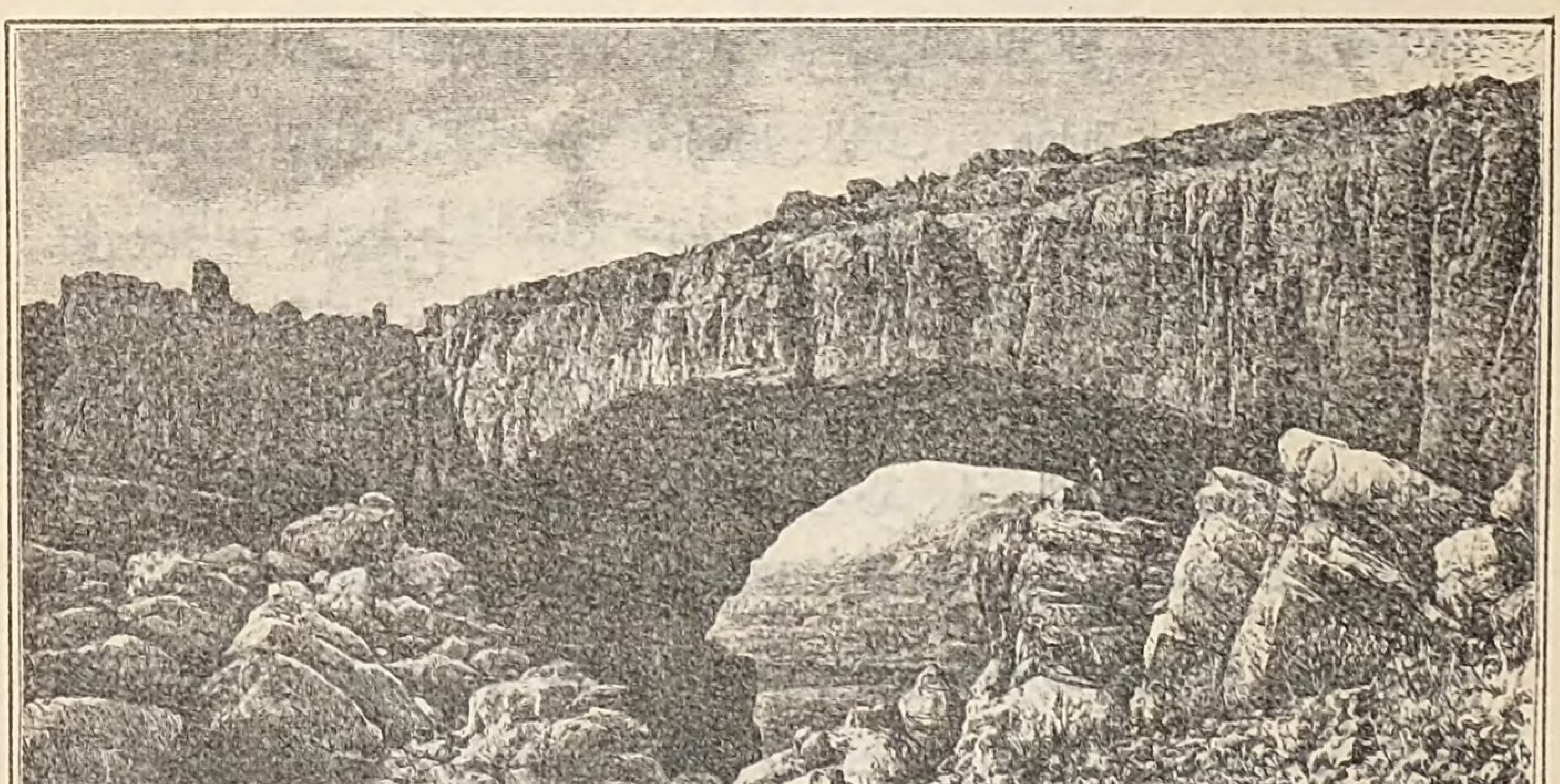


صورة افقا

وليس ما تقدَّم وصفـهُ سوى مدخلٍ لهذا الموقع الفريد الذي قابلهُ السيَّاح بوادي ڤوكلوز في فرنسة. واذا صعدت نحو ستمائة او سبعمائة متر بين صخور طباشيرية منحوتة نحتاً اسطوانياً يُشرف بعضها على بعض على شبه الدرَج بلغتَ الى مغارة موقعها في جهـة الشرق لها فوهة متسعة الجوانب مربَّعة الشكل لها نحو ستين متراً طولًا في مثلها عرضاً. ومن وسطها تتفجَّر سيول المياه الصافية كالبلّور وتصطدم بالصخور المعترضة لسيرها ثمَّ تنهمر

منحدرةً فوق رَصَف الحجارة وهي تُزبد الى ان تبلغ الى جسر قديم ذي قنطرة واحدة تجتاز فوقهُ طريق السابلة وتحت الجسر المذكور ثلاث شلّالات أُخر بديعة المنظر وهي متناسبة القياس حتى زعم البعض سهوًا انّها نُحتت بيد البشر. وفي بعض فصول السنة كما في حزيران يسبي منظرها القلوب لحسنها

وكلّ هذه الجهات غريبة جديرةٌ بان تكون مقصدًا للزوّار وفيها مشاهد طبيعية نادرة. ومثال ذلك جسر طبيعيّ بقرب العاقورة يتركّب من صخرة واحدة الّا انّهُ لا يُشبه في غرابته جسرًا آخر طبيعيًا تمرّ تحتهُ مياه نبع اللبن يبعد عن ميروبا نحو ساعة ونصف. وهو حقيقة من النوادر فانّ مدخلهُ يبلغ خمسين مترًا وعلوّهُ عشرين مترًا لهُ قنطرة محكمة الصنع يرتاب من يراها في امرها فيقضي انَّها من شغل المهندسين



صورة الجسر الطبيعي

فكلُّ هذه المحاسن الطبيعية المتجمّعة بجوار جبل صنّين وجبل موسى وجبل المُنيطرة نقطةُ مركزها عند نبع افقا وبحيرة اليمّونة وهي تؤمّل لبنان بان يفاخر جبالَ الالپ ويباهي جهات اميركة الشمالية التي دعاها اهلها هناك الروض الوطنيّ. امّا نحن سكّان سوريّة فانّ روضنا الوطني انّما هو لبنان ومناظرهُ الشائقة

ذلك ويمكننا ان نضيف الى هذه المواقع البهيجة عدَّة امكنةٍ تستلفت اليها انظار المسافرين كانحاء الكمل والارز ومقاطعة وادي قاديشا الَّا اننا اكتفينا بما سبق فذكرناهُ على سبيل المثل

ومع ما تقدَّم وصفهُ أنَّنا نقرُّ انَّ لبنان هو دون الالپ من حيث ارتفاع قممهِ وتقاطيعهِ المتواترة فلا ترى فيهِ المثالج وسطوح الجليد والحروف المنتصبة كما في الجبل الابيض في سويسرة فانَّ سلسلة لبنان متساوية الخطوط وهي اشبه بسور عظيم اقامتهُ الطبيعة في وجه البحار . الَّا انَّ هذا التناسب لا يمنع اختلاف المناظر وتواتر الوديان بحيث يمكنَّا ان نعدَّ لبنان جامعًا لشروط الجمال

٣

والجبال الالپ السَّبَق على لبنان في امر آخر نعني البحيرات التي تجعل سويسرة كما قلنا محطًّا لجموع الزوَّار . امَّا لبنان فليس لهُ ليعارض الالپ من هذا القبيل سوى بركة اليمّونة على منعطف جبل المنيطرة الشرقيّ جنوبيّ قرية عيناتا . الَّا ان هذه البحيرة تنضب مياهها في الصيف ولا تتصاعد فيها المياه الَّا عند هبوط امطار الخريف . وفيها يصبُّ نهر صغير يتفجَّر في مغارة بقربها . فترى بعد قليل غور البحيرة يمتلئُ ماء فيضحي بحيرةً طولها من ثلثة الى اربعة كيلومترات وعرضها نحو الف وثمانمائة متر . وليس لهذه البحيرة مجرًى تسيل منهُ المياه سوى منفذ في وسطها يُدعى البالوع تجتاز بهِ المياهُ فتمرّ في سربٍ خفي تحت جبل المنيطرة فتخرج ثانيةً عند الغرب ومنها يتكوَّن نهر ابرهيم . وقد يوجد بحيرة أُخرى بقرب بركة اليمّونة وهي اصغر منها بكثير . فهذا غاية ما يحتوي عليهِ لبنان من البحيرات وذلك قليل جدًّا بالنسبة الى جبال الالپ . غير انّ لبنان يكشف على البحر وذلك ما يقوم مقام البُحَيرات السويسريّة بل يفوق عليها لانَّ المسافر يجد في سعة بحر الشام وتقلُّبات احوالهِ ما لا يجدهُ في بحيرات الالپ

وكأَني هنا بالمنتصر للالپ على لبنان يُلقمني الحجر وهو يقول : مالكَ تُطرئُ لبنان ولا تكاد ترى فيهِ غابةً تظلّلهُ فشتَّان بين لبنان والالپ وشتَّان بين خمر وخلّ

والحقّ يقال أنَّهُ يستولي علينا الاسف لمَّا نرى لبنان كالرملة الصلعاء لا سيَّما بعد ان كان مزيَّنًا بغاباتهِ . كفانا بالاسفار الكريمة شاهدًا على ذلك فكم شادت بذكر لبنان وارزهِ المشهور . وما بقي منها الى اليوم ينبئنا عن جمال لبنان القديم لمَّا كانت كلّ قممهِ مفيَّأةً باغصان الارز الفنواء

امَّا اليوم فغاية ما نراهُ من هذه الاشجار الجميلة موقعهُ في بُقعة بقرب بشرَّاي في شرقيّها وهي عبارة عن بضعة مئات من الاشجار منها عشرة قديمة العهد عاديّة الجذور يزورها السيَّاح. وحول هذه الغابة سور يصونها الَّا انَّ مدخلهُ مفتوح فتنفذهُ قطعان الغنم والمعزى وتتلف الاغراس الحدثة فلا يمكنها ان تنمو وتتأصَّل في التربة. مع ان الامر سهل فيكفي ان يوصد المدخل ويقفل بباب فيحرسهُ بعض النواطير. وعلى هذا الناطور ان يُلقَّن مبادئ الزراعة ليقوم بمهنته قياماً حسناً ويناظر المنابت الجديدة ويقوّم جذورها ويعضد فروعها. وليس في معاشهِ كبير امرٍ فانَّهُ يمكنهُ ان يرتزق بما يجنيهِ من بقايا الارز فيبيع ما تكسَّر من اخشابهِ او سقط من فروعهِ او ما جمع من حبوبهِ. وكلُّ ذلك ذو قيمة فضلًا عن انَّ الزوَّار يتَّخذون قِطَع الارز كذكرٍ طيّب من تجوُّلهم في انحاء لبنان

هذا وانَّ لخشب الارز خواصَّ تفضّلهُ على ما سواهُ من الاخشاب فانّهُ صلبٌ صقيل ذو صفرةٍ ناصعة مع خطوط محمرَّة وهو طيّب الرائحة يصبر على الزمان دون ان يفسد. وكان الاقدمون يتطلَّبونهُ لبناياتهم ويرغبون فيهِ ايَّ رغبة (راجع كتاب الملوك الثاني ٧ : ٧ وكتاب اخبار الايَّام الاوَّل ١٧ : ٦ ونبوَّة اشعيا ٩ : ١٠ وارميا ٢٢ : ١٤). وقد ذكر پلين الطبيعيّ (ك ١٣ ف ١١ وك ١٦ ف ٧٦) انَّ الفساد لا يطرأ على خشب الارز وايَّد ذلك بمثل هيكل الالهة ديانا في افسوس وكان سقفهُ من الارز ودام هذا المعبد اربعمائة سنة وتلف بالحريق. وكان القدماء اذا ارادوا وصف شيء بالخلود ضربوا لهُ الارز مثلًا (راجع شعر هوراس Ep. ad Pisones, 392 وشعر پِرس Sat. I, 41). ومن الادلّة الواضحة على بقاء الارز ما وُجد منهُ في اخربة قصر ملوك اشور وذلك بعد الفين وسبعمائة سنة لوضعهِ فكانت اخشاب الارز على احسن حالة من البقاء فأُخذ منها قِطَع وصُقِلَت ثانيةً فكانت كانَّها جديدة. وأُلقي بعض قِطَع في النار فانبعثت منها رائحة الارز الطيّبة المُثنى عليها في كتب الاقدمين (راجع شعر ڤرجيل Enéide VII, 13)

فان كان للارز كمثل هذه الخصائص فما بالنا لا نُعنى بتوفير زرعهِ ليس فقط في المكان الذي بقي منهُ بقايا لكن ايضاً في كلّ انحاء لبنان حيثما تشبه التربةُ والهواء موقعَ الارز في ايَّامنا. فلو خرج هذا الامل الى حيّز الفعل لتغيَّرت احوال لبنان وصار حقيقةً هذا الجبل من متاحف الدنيا. ولكن لا يتحقَّق هذا الرجاء الَّا بشرط ان تُعزل القطعان عن منابتهِ فانَّ الحيوانات لاسيَّما المعزى هي آفة الاشجار

٤

لقد استرسلنا في الكلام عن الارز لأنَّهُ يُعَدّ من مفاخر لبنان الخاصَّة ولكن لا نستثني بذلك ما سواهُ من الشجر . بل بالاحرى نودّ لو كثرت اصنــاف الاشجار فوق رُباهُ . وقد اطنب مؤرّخو العرب كالمقدسيّ (ص ١٦٩ و ١٨٨) وابن الفقيه (ص ١١٢ و ١١٧) وياقوت الروميّ (ص ٢ : ١١٠ و ٤ : ٣٤) والدمشقي (ص ١٩٩) وابن بطوطة (١ : ١٨٤) في وصف لبنان وما يعلوهُ من الاشجار المتنوعة . وذلك ممَّا يدلّ على انَّ لبنان لم يفقد غاباتهِ الى القرن الرابع عشر



صورة الجبل الواقع في طريق العاقورة والمنيطرة

قد جاء في كتابات قديمة وُجدت في بلاد جُبيل شاهدٌ على عناية الحكومة الرومانية بالغابات في سالف الزمان فترى على بعض الحجارة هذه الاحرف اللاتينية (A G IV C P)

وهي ملخص نصّ آخر هذا حرفهُ (Arborum genera quatuor cætera privata) معناها انَّ هنـالك اربعة اصناف من الشجر يجوز قطعها واماَّ الباقي فهي تحت نظارة الحكومة لا يُسْمَح لاحدٍ ان يمسّها. فهذا دليل ظاهر على انَّ تلك الانحاء كانت مزدانة بالاشجار. وكانت الحكومة الوطنيَّة تحتكر اربعة اشكال من الشجر تستثمرها لنفسها وهي السرو والصنوبر والعرعر والشربين ولا يزال منها الى اليوم شيء في لبنان (١

فما لاهل لبنان لا يأتسون في زماننا بهذه الامثال الحسَنة ولا حَرَج فانَّ بوسعنا ان نكرّر ما صنعهُ اجدادنا فنكسو لبنان بحللهِ السندسية كما في سالف الاوان. ولعلَّ قائلًا ان يقول قد تغيَّرت الآن احوال الهواء والتربة في لبنان فنجيب ليس الامر كما يزعم البعض فانَّ جبالنا لا تزال قابلةً للتحسُّن. نعم اننـا نسلّم انَّ التربة كانت سابقًا اخصب واعمق وكانت مياه الامطار تستقرّ فيها زمنًا اطول ولكن اذا زُرع لبنان ثانيةً لا تلبث ان تتحسَّن بذلك الارض وتغزر مياه الينابيع بشرط ان تشترط حكومة لبنان على الاهلين ما اشترطهُ الرومان من النظارة على بعض اصناف الشجر لئلاَّ تعبث بها يدُ الحاطبين

وقد ادرك دولة متصرّف لبنان نعوم باشا ما تحت هذا الامر من الفوائد الجمَّة وعليهِ فلم يزل منذ تقلّد منصبهُ السامي ان ينشِّط الزراعة وتراهُ اليوم يفكّر في ردّ الغابات القديمة للبنان وقد اختار لذلك احد ادباء بيروت ذا الباع الطولى في هذه المعارف اعني الشابّ الذكي سليم افندي اصفر الذي درس في احدى مدارس فرنسة الشهيرة فنّ الزراعة بفروعها ونال فيها قصبة السباق. وعلى ظنّنا انَّهُ سيحقق باقرب وقت آمال اللبنانيين ويبرز الى حيز الوجود صالح نيَّات دولة المتصرّف

فاذا نجز هذا المشروع الجليل وتردَّى لبنان برداء خضرتهِ القديمة جاز لهُ ان يفاخر جبال الالپ فان هذه هي النقطة المهمَّة التي تجعلهُ دون الالپ مقـامًا امَّا باقي الصفات التي تتَّسم بها جبال سويسرة فلا نتأسف على فقدها. وزد على ذلك انَّ هـذه المحاسن لا

١) راجع ايضًا Végèce, IV, 4. وقد ذكر المؤرّخ تاسيت (Hist. V, 6) غابات لبنان المتكاثفة. ومثلهُ القديس هيرونيموس في شرحهِ على نبوَّتَي هوشع وزكريَّا. والقديس كيرلُّلس في تفسير اشعيا. وقال فوكاس احد كتبة القرن الثاني عشر «انَّ لبنان تظلّلهُ غابات الصنوبر والارز والعرعر وغيرها من الاشجار المثمرة»

يُمكن الانتفاع بها في سويسرة الَّا في بعض اسابيع السنة لانتشار الغيوم وامتداد الضباب على اكثر انحاء تلك البلاد فتضحي سويسرة حتى في ايَّام الصيف كسيفة الوجه مكفهرَّة الارجاء لا يستطيع السيَّاح ان يبارحوا منازلهم ساعةً لاستنشاق الهواء والتشمُّس وكثيرًا ما تخامرهم الكآبة وتخيب آمالهم في سويسرة فيقفلون عنها راجعين

وليس الامر كذلك في لبنان فانَّ مناظرهُ لا يشوبُها كدر فتراهُ منذ اوائل اذار الى اواسط تشرين الثاني في حالة من البهجة والابهة تخيّل للناظر ان الطبيعة في موسم دائمٍ من الفرح بهِ تنتعش القلوب وتتفتح الصدور بخلاف البلاد الشمالية التي لا ينفذ هواؤُها الرئة الَّا نديًا مضنكًا

وهنا فليُسْمَح لنا بان نختم هذه النبذة بملاحظةٍ ذات شأن. وذلك ان اهل سويسرة قد شيَّدوا في مراكز مختلفة من جبالهم لاسيَّما في داڤوس منازل للمرضى ليستنشق بها اهل العاهات ريح الجبال. فجاء الاختبار محقّقًا لآمالهم وقد شُفي عدد غفير من المرضى بسكناهم في هذه المستشفيات لا يتعالجون بدواء سوى تنسُّم الريح الطيّبة. فترى ماذا يمنعنا ان نقيم مثل هذه المقامات لمرضى بلادنا فنغنيهم عن تجشُّم الاسفار الى الاقطار البعيدة لمعالجة ادوائهم بينما يجدون في جوارهم ما هم اليهِ في حاجة ماسَّة. وماذا يمنع اصحاب الامر عن مباشرة مثل هذه المشروعات او تنشيط بعض الجمعيات على مباشرتها؟ او لِمَ لا تُنظَّم لجنةٌ من العلماء لفحص مياه لبنان وتعيين خواصّها الشافية ولا يخلو لبنان من مياه معدنيَّة لعلَّها تُشبه بمنافعها مياه ڤيشي (Wichy) وماريَنباد (Marienbad). وكذلك يمكن ان يُرسم لكلّ بلديّة فيها مقامات للاصطياف رسمٌ يجرون بموجبهِ لتحسين تلك المقامات وغرس الشجر فيها وتوثير الطرق الى آخرهِ...

ولكن قد حان لي ان اكفَّ عن الكلام فانني اخشى ان اكون تجاوزتُ حدود الفطنة كانني سدَّدتُ بسهام الملام الى اصحاب الامر وليس ذلك من قصدي وانَّما اردتُ فقط ان لا يبقى لبناننا العزيز في درجة من الانحطاط والذلّ وهو اهل ليكون مجلبةً للابصار ونزهة يقصدها الناس من كلّ الاقطار

زينب (الزبَّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزڤال اليسوعي

(تابع لما سبق)

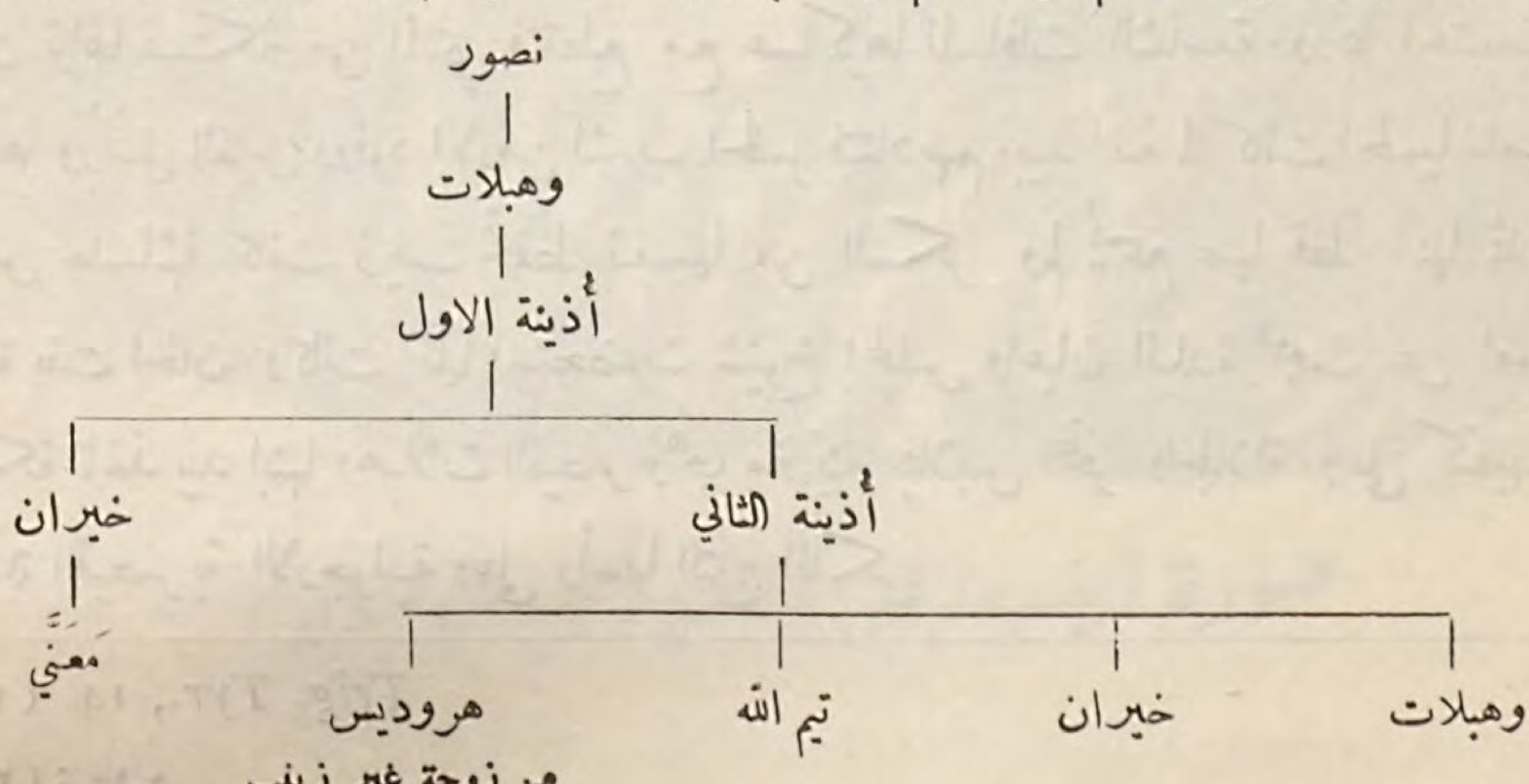
انّ ترجمة زينب كانت تستلزم تمهيدًا يعرّفنا شيئًا من احوال تدمر في زمانها و يوقفنا على اخبار سلفها لا سيَّما أُذينة زوجها . فيسوغ لنا الآن العود الى ذكر هذه الملكة واتمام سيرتها . ولعلّ القارئ يؤاخذنا على بسط الكلام في هذه المقدّمات مع اننا اكتفينا فيها من الكثير باليسير ومن العِدّ بالنزْر . فنرجو منهُ غضّ النظر عن ملل اعتراهُ لما في التفاصيل التي سبقت من واضح الفائدة لادراك اخبار زينب العجيبة

قد مرّ ان زينب كانت زوجة أُذينة الثاني فولدت لهُ ثلاثة اولاد اكبرهم وَهبلات ثمّ خَيْران ثم تيم الله . فلمَّا قُتل أُذينة اخذت زوجتهُ بعنان الرئاسة بالنيابة عن وهبلات بكرها(١ . وما لا ريب فيهِ انّ ملكة تدمر كانت اجدر بان تسوس الدولة الرومانية من كلّ قياصرة عهدها . وهذا قول اجمع عليهِ معظم المؤرّخين حتى الذين سعوا في تنقيص شأنها وبخس حقوقها . والحقّ يقال انّ الله قد منح زينب من الصفات الملكية والمزايا السلطانية ما جعلها فريدة دهرها ويتيمة عصرها

وكنَّا قدّمنا ان زينب احبّت ان تنتسب الى سميراميس وديدون وكلاوبترة تلك

---

١) ومن كلّ ما تقدَّم من الكلام في نسب أُذينة نستخلص الجدول الآتي (V. : p. 35)



الملكات الشرقيَّات اللواتي اشتهرنَ بجمالهنَّ الفائق الَّا انَّها غلبتهنَّ بصفـةٍ اخرى تُعَدُّ من افضل صفات النساء ألا وانَّها اتَّصفت بالعفاف والحصـانة ومارست هذه الفضيلة الحسناء ممارسة عجيبة حتى انَّ المؤرخّين لم يتردّدوا في القول بانها بلغت في ذلك ما لا تبلغهُ النساء عادةً. وعلى ذلك اعتمد عرب الجاهلية فاوردوا في عفاف الزباء الاقوال التى ذكرناها في اوّل مقالتنا

وامَّا قولهم بانها كانت اجمل نساء عصرها فامر مقرّر اثبتهُ كَتَبَة اليونان والرومان. قال تريبيليوس (١ : « انّ جمال ملكة تدمر يفوق كل وصف. فترى لون وجهها ضاربًا الى السمرة وحدقة عينيها حَلِكة كحدقة النسر ويلوح على شخصها من سمات القدرة ودلائل الحزم وأمارات الأُنس واللطف ما تندهش بهِ العقول وتروق لهُ الابصار. وامَّا لون اسنانها فابيض يَقَق كانَّها درر. وصوتها جهور كانهُ صوت رجلٍ »

واذا استثنيتَ جمال المرأة وعفَّة الوالدة فلا تكاد تعثر في ترجمة زينب على ما ينبئك بجنسيتها فيحقُّ فيها قول الشاعر :

ولو كان النساء كمثل هذه لفُضّلت النساء على الرجالِ

وقال زوزيموس (٢ : « ان سيرة ملكة تدمر سيرة بطلٍ لا سيرة امرأة ». ولا غرو فقد قلنا مرارًا في معرض مقالتنا ان زينب لم تزل منذ اقترنت بأُذينة تصحبهُ في ساحة الحرب ومجال الصيد كانها احد قوّادهِ. فلمَّا قُتِل زوجها وتبوَّأت تخت السلطنة لم تنقطع عن مثل هذه الامور بل اضافت اليها ما رأتهُ جديرًا بالملك العظيم وحريًا بالقائد الشجاع الهمام

وكانت زينب اذا ارادت السفر امتطت فرسًا فلم ترضَ بان تركب الهوادج الَّا نادرًا وكنتَ تراها تستكثر من المشي فتقطع مع عساكرها المسافات الشاسعة. وربَّما اجتمعت بقوَّادها ورُسُل الفرس ووفود الارمن لشرب الخمر فتنادمهم. بيد انَّهُ لمَّا كانت الحميَّا تلعب برؤُوس جلسائها كانت زينب تحفظ نفسها من السكر ولم يُسمع عنها قطّ انَّها ثملت بمعاقرة بنت الحان. وكانت كلَّما استحضرت شيوخ المجلس واعيان البلدة للبحث عن امور المملكة تاخذ بيد ابنها وهبلات القيصر وهي متزيّنة بملابس الفخر والجلالة. وعلى كتفيهـا المِشمَلة القيصرية الارجوانية وعلى رأسها التاج الملكي

(١ *Trig. Tyr.*, 14

(٢ : ٤١٤



صورة زينب (عن تمثال وُجد في تدمر)

والزمت كلَّ مَن مثــل بين يديها ان يخرَّ ساجدًا ويحنو وجههُ طاعةً لها. جريًا على عاده اكاسرة الفرس. وكانت مثلهم قد جمعت في ايوانها بعض الشيوخ من الخِصيــان فوكلت اليهم تدبير الامور الداخلية. واذا جالت في ساحات عاصمتهــا او دارت في ذلك الرواق المدهش الذي يفوق طولهُ كيلومترًا ونصفًا (راجع الصور السابقة ص ٦٣٧, ٦٤٩, ٦٨٩) كانت تصحبها فيئة من الفَتَيات الكريمات النسب وهي تتقدمهنَّ وتزري بجمالهنَّ كما يزري السرو ببهاء الاشجار المجاورة لهُ في حدائق الملوك. الّا ان سلطانة تدمر كانت في اغلب الاوقات تظهر نفسها لعيون جندها وتستعرضهم في ميادين حاضرتهــا وتمرّ امام صفوفهم الكثيفة وهي ممتطية لجوادها لابسةٌ لباس الحرب وعلى رأسها البيضة الرومانية تزينها الدرر الثمينة والجواهر النفيسة. وعلى غِلالتها اليونانية اهداب منسوجة بأسحال ارجوانية وقد جرَّدت احدى ذراعيها على دأب اليونان الاقدمين. وكان كلما رآها الاهلون على تلك الحال تحرّض الجند وتشجعهم كالقائد العظيم الخبير بآداب الحرب ظنّوها إحدى إلاهاتهم فعدُّوها كمينرفة او كالالٰه المريخ الذائع ذكرهما في حكايات الميثولوجية القديمة (١

بيد ان زينب لم تكتفِ بتلك الأُبَّهة الظاهرة والجلالة الخارجية التي من شأنها ان تؤثر في مخيلة رعاياها بل زادت على ذلك اعمالًا حسنة ومآثر جايلة تدلُّ صريحًا على طول باعها في سياسة المملكة ودربتهــا الشائقة في ضبط شؤون الدولة. وقد اتفق على هذا الوصف مؤرّخو المغرب والمشرق معًا فقالوا بصوت واحد ان قوَّة السياسة عند سلطانة تدمر عظيمة فلم تعترضها هضيمة وان للحلم في نفسها مقرًّا فلم يكن مع ذلك للمجرم مفرٌّ لانَّ صرامة الملكة كانت عند اللزوم شديدة يهتال منها الفهود ويخضع لها الاسود. واما الكرم فكان لهُ في نفسها حُرمة كبرى كما في الملوك الذين ضُربت بهم الامثال. فلم تزل مع ذلك تقتصد الاموال الطائلة اقتصاد الرجل الحكيم البصير. وتجمع الكنوز النفيسة جمع الفطن المستدرك

هذا ولم تُشغَل ملكة تدمر بهذه المهمَّات السياسية عن تهذيب اولادها على الآداب السلطانية. واول ما اعتنت بهِ تعليمهم اللاتينية كما يليق بمن يترشَّح للجلوس على سرير الملك الروماني. فكانت هذه النيّة ثابتة في قلب زينب والامــل في الفوز بالمرمى مستقرًّا في

---

١) تريبيليوس Trig. Tyr., 29

نفسها حتى انها اعدّت عجلةً بهيّةً من ذهب وفضّة وجواهر ثمينة وقد صمّمت ان تركّبها اولادها ليدخلوا فوقها عاصمة الرومان . ذلك ما ورد في تآليف الاقدمين (١ وهو برهان واضح على ما اضمرت ملكة تدمر من الطمع الشديد في الاستيلاء على الممالك القيصرية قاطبةً . فكأني بها لم تكن لترضى باقاليمها الشرقية مع سعتها ورحبها (٢ اذ كانت تفوق مساحتها على بلاد الفرس (راجع ما قلنا سابقاً عن امتداد اقاليم أُذينة الثاني) . فلذلك طفق الاكاسرة يتقرَّبون الى سلطانة تدمر وهم لم ينسوا ما اظهر لهم أُذينة من البسالة واذاقهم من كؤوس الهوان والهزيمة فلم يتعرّض شابور ولا ابنهُ هرمز لمحاربة زينب بل عقدا معها الصلح والمعاهدة

واذا اعتبرتَ شهرة مدينة تدمر في تلك الازمنة فلا تشكُّ ان حاضرة زينب اصبحت مورداً يتقاطر اليهِ كلّ امم ذلك العصر على اختلاف اجناسهم والسنتهم ومذاهبهم وصنائعهم . فكانت تدمر في عهد مُلكها بمثابة برج بابل ثانٍ من حيث اختلاط اللغات والشعوب . امّا سكّانها الاصليون فكان قسم كبير منهم ينتمي الى الامّة الآرامية الاصلية في تلك الاقطار والقسم الآخر كان يتركّب من عدَّة اجانب نخصّ منهم بالذكر العرب والنبطيين والسوريين واليونان والارمن واليهود والفرس وغيرهم من شعوب اقاصي آسية الشرقية . الّا ان عدد العرب والنبطيين كان اوفر ممَّن سواهم لقرب بلادهم من عاصمة زينب ومشابهة لهجتهم وعوائدهم بلسان التدمريين وآدابهم الخاصَّة . والدليل الاصدق على قِدَم ولوج العرب والنبطيين بينهم بعض كلماتٍ قديمة اكتشفت في كتابات تدمر مثالها لفظة نَخذ ورُخَام وأَمْجَد وزُبَيْد وأُذينة وهجَر وما شاكلها ثمَّ اسماء الاعلام كخير وسَعْد وسَعِيد وكُهَيل وكهيلة وجميل وجميلة ومعن وأَنعم وما اشبه ذلك . وزد على ذلك صورة اسماء قبائل التدمريين كبني حنني وبني حِلَة وبني هَلَه وبني حمدان (٣ وغيرهم من اسرات تدمر الشريفة كبني مَيْثاء ومتبول وقد ورد اسمهم على اقدم كتابة وجدها السيّاح في تدمر وهي كما مرّ قد نُقشت في السنة التاسعة قبل المسيح . وفي جميع تلك الاسماء دلائل واضحة على لهجة العرب ونفوذهم في حاضرة زينب

١) فوپيسكوس *Aurel.* ,33
٢) راجع زوزيموس ١ و أُروزيوس ٧ : ٢٣
٣) وهي قبيلة قديمة تكرّر ذكرها في تواريخ المشرق

وامَّا الشعوب المجاورة لتدمر فمن المتبادر ان اخصَّهم قبائل العرب التائهة في بادية الشأم والجزيرة وشمالي بلاد العرب. اولهم بنو السميدع المشهورون في تواريخ تدمر وهم الاقدمون في بلاد العراق وبراري الشأم والحوران واليهم ينتمي آل أُذينة الثاني زوج زينب الذي كان زعيم هذه القبيلة وقت احرز اخوهُ خيران وظيفة الشيخ الاعلى في وطنهِ. والمعلوم ان الرومان عند ما فتحوا بلاد الشام عثروا على هؤلاء العرب فاستمالوهم ووكلوا اليهم المدافعة عن حدود الاقاليم الشرقية فدعوا امراءهم «فيلارك» اي زعماء قبائل

(ستأتي البقية)

الاسبان والاميركان

نظر في اخلاق الشعبين واخصّ علائقهما

للشاب الاديب جول كتسفليس احد تلامذة كليَّة القديس يوسف

(وهي مقالة اقتُرحت على طلبة الفلسفة والبيان فنال صاحبها جائزة الشرف اختصرنا منها هذه النبذة لفوائدها)

لم تكن امركة الجنوبية في غرَّة هذا العصر الَّا مستعمرةً رحبة الارجاء تحت حكم اسبانية تتصرَّف فيها كما تشاء. وكان يحقُّ وقتئذٍ لابنائها ان يردّدوا قول ملكهم العظيم كرلس الخامس وهو يفتخر بهذا الارث الجليل الذي خلَّفهُ لهُ كُرتيس وپيزار: «انَّ الشمس في سيرها لا تغرب عن ممالك الاسبان». امَّا الآن فقد دالت دُوَل الايَّام وتغيَّرت احوال الزمان مذ خيَّمت الثورة على تلك المستعمرات فخلع سكَّانها نيرَ العبوديَّة وآثروا الاستقلالَ على الطاعة والحرّيةَ على الانقياد ولم يجنحوا الى السلم حتى بلغوا ما يبتغون

وبينما كانت دولة اسبانية تأسف على فقد املاكها في الخارج وتتلهَّف على خؤُور قواها في الداخل كنتَ ترى دولة أُخرى حديثة النشأة تنمو شيئًا فشيئًا حتى انَّهُ لم يمرّ عليها مئة سنة الَّا واشتدَّت شوكتها واستفحل امرها فبلغ ملكها من الشمال الى الجنوب وامتدَّ من اوقيانوس الى آخر. على انَّها طمست معالم الفِتَن وقلَّمت اظفار الحرب الاهلية وهي اليوم متسربلة من المجد بالفخر وشاح ترتقي في معارج التقدّم والنجاح وعيناها شاخصة الى نجم

السعد وكوكب الفلاح. ألا وهي الولايات المتحدة التي في ميعة شبابها عارضت قرينتها اسبانية وبينهما من التباين ما لا يخفى على ذي بصر

والحقّ يقال انَّ ذكر الاسبان والاميركان يُخطر في البال حوادثَ ذات شأن طالما شغلت الافكار لا يمكن السكوت عنها لاسيَّما في الوقت الحاضر اذ جمعت نُوَب الزمان بين هاتين الدولتين في مقام حَرِج ومجال ضنكٍ لا تخرج منهُ احداهما الَّا مقهورة بعد ان دارت عليها رحى حرب عوان

وعليهِ فقد استصوبتُ ونحن شهودٌ لهذه المبارزة الخطرة منتظرون لعقباها المشؤومة ان اسرّح النظر في مسارح التاريخ للاطّلاع على احوال الامّتين في ما سبق من الزمان وأستقصي بطون الصحائف لمعرفة ما جُبلت عليهِ كلتاهما من الطباع وما دارت بينهما من العلائق. وفي هذه المعارضة نظر للمفكّرين وعبرةٌ للمعتبرين فاقول:

١

انَّ الاسباني يُعرف باربع صفاتٍ طُبع عليها دون من سواهُ وهي تحمُّسهُ لدينهِ ثم عزّة نفسهِ وثباتُهُ مع حبّ شديد لوطنهِ

هي الدولة الاسبانية دولة عريقة في القدم يملأها شرفُها الماضي زهوًا وافتخارًا فكأنَّها اليوم تحيا من ذكر ما احرزتهُ في سالف الاعصار من المجد الاثير فتأبى ان تُغتي بانحطاط امرها عمَّا كانت عليهِ من رفعة الشأن في عهد كرلس الخامس وايَّام فردينان

لمَّا فتح كريستوف كولمب اميركة جعل الاسبان يتهافتون الى هذا العالم الجديد ليجنوا من كنوزهِ الواسعة القناطير المقنطرة فيعودون الى اوطانهم ومناكبهم تنوء دون عبء الاموال التي جمعوها فلا يلبثون ان يصرفوها في بذخ العيش ويبذرقونها في اصناف الملاهي

بيد انَّ هذا الذهب الذي اشرأَبت اليهِ اعناق الاسبان طامعةً كان اوَّل سببٍ لتقهقر بلادهم فافسد اخلاقهم وبرَّد همَّتهم وكان الضربة القاضية على تجارتهم وصناعتهم. وقد كانت تربة اسبانية خصبة كثيرة الغلَّات وهي مع ذلك غنيَّة بالمعادن كالحديد والزئبق والرصاص والزرنيخ. ولكن الاسبانيّ لم يكترث بهذه الكنوز الوطنية ليستفيد مال الپيرو بلا عناء ويكتسب ذهبَهُ الابريز كغنيمة باردة. واليوم اذ أُقفلت في وجههِ ابواب العالم الجديد تراهُ فقير الحال واهي العزم لا طاقة لهُ ان يعود الى ما كان عليهِ سابقًا من الجدّ والنشاط في تعدين المعادن واستثمار الغلَّات. ولذلك انحطَّت الصناعة الاسبانية عن

مقامها الاوَّل ايّ انحطاط. فاين مثلاً تلك انسجة الحرير المزركشة بالذهب والفضة؟ اين معامل الاسلحة والمرايا وضروب الجلود التي اشتهرت بها مدن قشتالة؟ فلم يبقَ منها سوى ذكرها اللهمَّ الّا في قليل منها

فلا غرو بعد ذلك ان نرى اسبانية غريبةً عن اكثر الاختراعات الحديثة لم يأتِ اهلُها بشيءٍ يُذكر من مكتشفات هذا العصر العجيبة. وبينما كانت تفتخر فرنسة وانكلترة والمانية وايطالية وبقية الدول المتمدّنة بمشاهير الرجال الذين غيَّروا بسموّ مداركهم هيئة المعمورة فذلَّلوا قوى البخار واستخدموهُ في سبيل الصنائع وتوصَّلوا الى كشف القناع عن غوامض الكهرباء ومفاعيلها العجيبة كان الاسبان في خمول وفتور لم يجاروا تلك الدول كأنَّ شمسهم آلت الى الأُفول لم يسطع منها سوى اشعَّة ضعيفة هيهات ان تضاهي الانوار اللامعة المنبعثة من غيرها

ولكن وان سلَّمنا بتضعضع قوَّة اسبانية وبرود همَّتها فلا يسعنا الَّا ان نثني على ما اتَّصف بهِ الاسبان من المزايا الجميلة والشمائل الحسنة فاذا اعتبرناهم وجدنا انَّ الدم الشريف الذي ورثوهُ عن اجدادهم لم يتغيَّر في عروقهم وان شجاعتهم لم تنقص وثباتهم لم يقلّ ولاسيَّما انَّك تراهم محافظين على دين آبائهم ناهجين طريقتهُ المثلى ومعتصمين بعروتهِ الوثقى

ولنا في ذلك البرهان الجليّ والدليل السنيّ في تاريخهم في اوائل هذا العصر اذ قام هذا الشعب وحدهُ في وجه نابوليون الاوَّل وقاوم كلّ قوَّاتهِ وردّ الأَمل الى قلوب اهل اوربَّة بما اظهرهُ من البسالة في سبيل دينهِ والمدافعة عن تخوم بلادهِ. وكان الوطن اذ ذاك في مقام حرج وطئت ارضهُ اقدام الاعداء وجلُّ قصدهم ان يستولوا على مملكة اسبانية القديمة ويلبسوها ثوب العار والذلّ فانتبه الشعب لساعتهِ من سِنتهِ وهبَّ من رقدتهِ وآلى على نفسهِ إلّا ان يسفك حتى آخر نقطةٍ من دمهِ لوجه الله وفي سبيل الوطن. وقد شهد المعاصرون بانَّهُ قام الاسبانيّ بوعدهِ بثباتهِ وبسالتهِ فكاد يزعزع قوَّة نابوليون وخلَّف لهُ على صفحات التاريخ ذكرًا طيبًا لا تزيل بهاءهُ الايَّام

وعلاوةً على هذه الخلال الحسنة تجد في الاسباني مزايا اخرى تُكسبهُ وفرة حُرْمة ومزيد اعتبار فانَّهُ قنوع مِضياف حرٌّ كريم الطباع صدوق مُخلص في معاملاتهِ وبوجه الاختصار انَّهُ متَّسم باخلاق الامم المعروفة باللاتينية بيد انَّهُ فيهِ ايضًا نقائصها. كما اننا لو

صرفنا النظر واعتبرنا اخلاق الاميركان وجدنا فيهم كلّ خصال الامم المعروفة بالسكسونيَّة وعيو بهم في درجة عُليا

هذا ومن اراد ان يعرف حقّ المعرفة طباع الاميركان يُقتضى عليهِ ان يميّز في تاريخهم طورَيْن مختلفين . فالطور الاوَّل يمتدّ من سنة ١٧٧٩ الى منتصف عصرنا والثاني منذ ١٨٤٠ الى ايَّامنا . وكانت اميركة في الطور الاوَّل متَّصفةً بروح مُنشئها وَشِنكتون وما ذاك الروح سوى روح الشيعة البروتستانية المعروفة بالصُّفاة (Puritains) ولاصحاب هذه الشيعة غلوٌّ في التعبُّد وتعصُّب في الدين يُفضي بهم الى الافراط في الشدَّة والصرامة . فكانت شرائع الاميركان وسننهم متشرّبة هذا الروح فكانوا لذلك يتجاوزون الحدود في مقاصَّة الحَلَف والشتم والتجديف فضلًا عن الجرائم الكبيرة . وكانوا يشدّدون المراقبة على الجرائد وينهون عن حضور الملاعب وينبذون كلّ اصناف الملاهي . ولم تزل آثار من هذا الروح باقيةً في بعض انحاء اميركة الشمالية

وقد تغير هذا الروح منذ سنة ١٨٤٠ وعقبهُ في الولايات المتَّحدة روح آخر امتدّ بين وجوه الشعب واعيان الامَّة وأدّى بهم الى الالحاد والزندقة . ودخلت بينهم بمساعدة الجمعيَّات السرّية مبادئ الحرّية والثورة فلم يلبث الجمهوريُّون وفي مقدَّمتهم جِفِرسون ان ينشروا راية الاستبداد التامّ وينادوا برئاسة الشعب في كلّ الولايات . وقد سلك موديسون ومُنروي وغيرهما مسلك جِفِرسون وانجزوا عملهُ

وللاميركان في يومنا خواصّ تفرزهم عمَّن سواهم فترى طباعهم مجبولة من صفات خاصَّة محمودة وخصال عمومية مستقبحة . لهم المشروعات الجليلة في سبيل الخير بينما يباشرون اعمالًا اخرى تنبئ بانحطاطٍ عظيم في آدابهم . وما يمتاز بهِ خصوصًا اهل اميركة انَّما هو حبّهم المفرط للحرّيَّة فانَّ أرغَب شيء لدى الافراد الاستبداد الشخصي واستقلال الجمهور فترى الواحد منهم يبغض كلّ ما من شأنهِ ان يضايقهُ في تصرُّفهِ كائنًا ما كان ويبلغ بهِ الامر الى ان يبغض السلطة الشرعيَّة وكلّ ما يمثّلها في عينه

ومن خواصّ الاميركيّ كلَفهُ بالمال وطمعهُ في المكسب فلا يُقدم على امرٍ او مشروع ما لم ينظر اوَّلًا ما ينتج لهُ عنهُ من الفوائد المادّيَّة

امَّا حبُّ الوطن فتراهُ واهيًا ضعيفًا في قلب الاميركي فيتعصَّب كلٌّ لولايتهِ الخصوصية يشغلهُ حبُّهُ لها عن الالتفات الى خير العموم وصوالح التحالُف الوطني . وإنَّ ذلك الَّا نتيجة

اختلاط العناصر الشتَّى التي منها تكونت اميركة. فاكثر سكان شمالي اميركة الانكليز ذوو الطباع الابيّة والاخلاق الجافية والارلنديون الكثيرو النشاط القليلو الثبات في العمل وهم ألدُّ اعداء الانكليز. وفي الجنوب وعند تخوم كندة تجد الفرنسيين مع ذكائهم المعروف وحدّة طباعهم. اما جهات الجنوب الشرقيّ فيسكنها الاسبان مع ما ذكرنا فيهم من الصفات. وزد على هذه العناصر الاربعة كثيرين من الالمان وقبائل الهنود المستهانة والمولّدين الخلاسيّين وهم معروفون بسوء آدابهم وذلّة اخلاقهم. فيحصل من اختلاط هذه الامم المتباينة احقاد وضغائن اضرمت مرارًا بين الاهلين نار الفتن وقد كادت الحرب الاهلية تفصم منذ بضعة سنين حبال الوحدة الاميركية

وكان صاحب استقلال اميركة لمَّا اراد الاعتزال عن الاشغال السياسيّة جمع رصفاءه والقى عليهم خطاب الوداع وختم كلامهُ بهذه الوصيّة الاخيرة: «والحذر كلَّ الحذر من روح التغيير والابتداع». بيد انَّ الاميركيين لم يجروا على مقتضى هذا القول فانَّهم اليوم يدَّعون الرئاسة لأنفسهم ويحاولون قيادة شعوب اوربَّة وراءهم. وعليهِ فقد انكبُّوا على درس العلوم الآليَّة وبرَّزوا في المعارف الصناعية والرياضيَّات التي من شأنها الفائدة المادّيَّة والمعاملات التجاريَّة. ولم يحبط مسعاهم فان كثيرًا من الاختراعات والاكتشافات الحديثة قد وقف عليها الاميركان او حسَّنوها تحسينًا مهمًّا. وحسبنا القول ان اوَّل من جهَّز السُّفن بالبخار وسيَّرها في عُباب البحر كان رجلًا اميركيّ الاصل اسمهُ روبرت فُلتون. ولم تلبث اميركة حتى استهلَّت بالبخار فنّ البحريَّة الحربية سنة ١٨١٤. امَّا الآن فلا يكاد يمرُّ يوم واحد دون ان تطلعنا الجرائد على بعض مبتدعات الاميركيين. والحقُّ يقال انَّ لهذا الشعب نشاطًا غريبًا وهمَّة عليَاء. وقد اضحت اليوم اميركة في حالة من الخصب والتقدّم حتى صارت تزاحم اوربَّة بتجارتها وتنقل بضاعتها الى كلّ انحاء العالم وهي مع ذلك تستغني عن محصولات اوربَّة لا حاجة لها فيها

ومجمل القول ان اميركة تامَّة العُدَّة كاملة الأُهبة لولا انَّهُ ينقصها رجلٌ ذكيُّ الفؤاد سامي المدارك كغرسيا مورينو يُحسن صيانة حقوق الشعب والمدافعة عن حرّيّتهِ بينما هو يعلّمهُ ان يُخلص خدمة ربّ العالمين ويرشد خطواتهِ في سبيل التمدّن الحقيقي. امَّا اسبانية فان لها حاجةً ماسَّة الى رجل ذي همَّة واقدام يبدّد اوهامها السابقة واغترارها بالماضي فينعش فيها روح الجهاد ويلمّ شعثها لاستدراك الفساد في المستقبل

٢

قد بيَّنَّا في ما سبق شيئًا ممَّا طُبع عليهِ كلا الشعبين الاسبانيّ والاميركيّ من الاخلاق والسجايا فبقي علينا ان نشير الى اخصّ العلاقات السياسية والتجاريَّة التي دارت بينهما منذ نشأت الولايات المتحدة الى الحوادث الاخيرة

انَّ البندقيَّين حنَّا وسبستيان كابُوت (Cabot) هما اوَّل من تفقَّد الولايات المتحدة في اواخر القرن الخامس عشر (١٤٩٧) ثم توارد اليها الفرنسيُّون والاسبان والهولنديُّون فاستوطنوا بعض نواحيها. الَّا انَّ الانكليز اصابوا بعدئذٍ القِدح المعلَّى في تلك الاصقاع فبلغ عدد مستعمراتهم في اواخر القرن الثامن عشر ثلاث عشرة مستعمرةً يقسمونها الى ثلاثة اقسام انكلترة الجديدة والفرجيني ونيويُرك. وكان بين سكَّان تلك البلاد تباُين واختلاف من حيث العوائد والطباع يتعاطى اهل الشمال منهم الصناعات والفنون امَّا اهل الجنوب فكانوا يؤثرون الفلاحة ويرتزقون بالزراعة. وكان لا يجمع بينهم رابط سوى حبّ الاستقلال وروح الاستبداد

وعليهِ لمَّا اراد الانكليز ان يبهظوا عاتقهم بثقل المكوس وضربوا عليهم الضرائب الفادحة تناست تلك الشعوب ما بينها من الاختلاف ولبَّت دعاء وَشنكتون فصارت يدًا واحدة على العدوّ وجاهرت بالحرب فلم تزل تخوض عبابها سنين متوالية وهي تسفك دماءها عن طيب خاطر في سبيل المدافعة عن حقوقها الى ان فازت بالمرام فاستلفتت انظار اوربَّة ومدَّت اليها فرنسة يد المساعدة. وحالفت دولة اسبانية الفرنسيين في ذلك وضمَّت سفنَها الى سفنهم املًا منها ان ترغم معاطس انكلترة قرينتها في اميركة وتسترجع ما استلبهُ الانكليز من جبل طارق وجزائر منورقة

وكانت نتيجة هذه الحرب العوان استقلال الاميركيين وكَبح سلطة الانكليز. امَّا الاسبان فنالوا في معاهدة فرسايل جزاء عن بلائهم الحَسَن ملكَ جزائر منورقة وبلاد الفلوريد. وكانت هذه المرَّة الاوَّلى جرت فيها بين الاسبان والاميركان العلائق الوديّة. فجادت اسبانية بنفسها لصوالح الولايات المتحدة ولم تكُ وقتئذٍ لتفتكر ان تلك الدولة الحديثة ستزاحمها يومًا في املاكها وتنتزع منها آخر بقعة من الارض تبقى للاسبان في العالم الجديد...

وما كادت الولايات المتحدة تفوز بالاستقلال حتى اخذت في النموّ وزاد عدد سكَّانها

زيادة غريبة الى ان بلغ المهاجرون اليها سنوياً سبع مائة وخمسين الف نفسٍ . وكذلك نما على راياتها عدد النجوم المنبئة عن الولايات المنضمَّة الى تحالفها فارتفع من ثلاث عشرة ولاية الى ما فوق الاربعين . وكنت ترى بعكس الامر ظلّ اسبانية يتقلّص على قدر نموّ اميركة ورسوخ قدمها في سبُل التقدّم ولعلّ الاميركيين لم يكونوا بُراء من انتقاض حبل هذه المملكة بما دسُّوا لخصومهم من الدسائس

هذا وقد اصبح قول مُنرُوي « اميركة للاميركيين » كشعار اعلنوا بهِ الحرب لكل الاجانب وسدَّدوهُ خصوصاً كسهمٍ في قلب الاسبان ليستولوا على املاكهم الواسعة في اميركة ويتطاولوا على مستعمراتهم الزاهرة

وممَّا سهَّل لاميركة تحقيق امانيها ما وجدتهُ في الاسبان من سوء التصرُّف مع اهل مستعمراتها فاتخذت ذلك بلاغًا الى مبتغاها . وكان كثير من الولاة والعمَّال الاسبانيين يأتون هذه المستعمرات وهم يحسبونها طعمةً لمطامعهم لا يفكِرون في صالح رعاياهم . فثارت الفِتن لذلك على الاسبان وطمح بصر الاهلين الى الاستبداد بينما كانت اميركة تعضد سرًّا مساعيَهم وهي تدبُّ لقرينتها الضَّرَاء وتمشي لها الخَمَر

وكان اوَّل ما انتزعتهُ اميركة من حكم الاسبان املاكها الواقعة في جوار الولايات المتَّحدة لاسيَّما الفلوريد التي كانت اسبانية استردَّتها كما سبق القول من الانكليز . فتربَّص الاميركان حتى اذا وجدوا مساغًا الى بغيتهم في سنة ١٨١٢ زحفوا الى اللويزيان على ضفَّة نهر الميسيسيپيّ الغربيّة ثم اجتازوا الى العِبْر الشرقيّ فاستملكوهُ وزاحموا الفلوريد حتى اضطُرَّ الاسبان الى بيعها وكانت اسبانية في ذلك العهد في حالة حرجة تشغلها الفتَن الداخلية عن صيان املاكها الخارجية

وكان بقي لاسبانية في اميركة بلدٌ واسع ذو ثروة عظيمة نعني بقولنا بلاد المكسيك . بيد انَّ اهلها لمَّا احسُّوا بما نالت الولايات المتحدة من الاستقلال لعبت في رؤُوسهم سَوْرة الحرّيَّة فنادوا بالحرب وخاضوا معامعها تحت قيادة زعيمهم هيدَلغو فكانت الدوْلة على الاسبان . ثمَّ استُؤْنفت الحرب ولم تخمد نيرانُها حتى افتتح المكسيكيون مدينتيْ ڤيراكروز ومار يوحنَّا دي أُلوَا سنة ١٨٢٤ فلم يعد للاسبان في اميركة الشمالية موطأُ قدَم

٣

هذا وانّ انتزاع الفلوريد والمكسيك من الاسبان لم يكُ ليرضي اميركة تمام الرِضى

طالما لاحت لها بارقةُ طمعٍ . ونقول بالحري انَّ فتح هذين البلدين كان كخطوةٍ خطت بها اميركة لضبط املاكٍ اخرى تخصُّ الاسبان وهي جزيرة كوبا

وكانت هذه الجزيرة منذ امدٍ مديد تهيّج مطامع الاميركان وهم يفغرون افواههم ليلتهموها مع علمهم بغزارة مياهها ونضارة جنَّاتها وسعة ثروتها ووفرة محصولاتها . الَّا انَّ حادي الطمع ساقهم اوَّلًا نحو الغرب حتى بلغوا الاوقيانس الاتلَنْتيكي وليس لهم في تعدّي حدوده من سبيل . ثمَّ اشرأَبُّوا الى الجنوب فبلغوا تخوم المكسيك . ثمَّ طمح طَرْفهم الى الشمال فابتاعوا من الدولة الروسية بلاد الأَلَسْكة . فلمَّا ضاقت بهم اليابسة حاولوا الاستيلاء على جزيرةٍ وجدوها في وجههم من جهة الجنوب الشرقي تدعى كوبا لقّبت لكثرة خيراتها « دُرَّة الأَنتيل »

ولا يجهل الاميركان ما لهم من الصوالح العديدة والمنافع الجمَّة في جزيرة كوبا . كيف لا وكانت تجارتها تزاحم تجارتهم ايَّ مزاحمة ومحصولاتها اجود شأنًا وابخس ثمنًا من محصولات الولايات المتحدة . فضلًا عن انَّهم يعلمون حق العلم انَّهم اذا استملكوا كوبا احتكروا البنّ واستغلُّوا التبغ وصارت معامل السكَّر في يدهم دون سواهم

فانَّ فتح كوبا هو الداعي الصحيح الذي جعل الاميركان يبذلون النفس والنفيس للفوز بمطلوبهم ولم يسعهم كتم نيَّتهم هذه . فانهم في سنة ١٨٤٥ بعد ان حلُّوا سرًّا عقال الفتنة بين اهل كوبا عرضوا على اسبانية مشترى الجزيرة وضمَّها الى ولاياتهم المتحدة . فلم يُجب الاسبان الى مُلتمسهم وردّوهم خائبين . فعمدت اذ ذاك اميركة الى وسيلة اخرى فارسلت بعض القرصان يرأسهم قائد اميركيّ ليستولوا على الجزيرة بمساعدة بعض الاهلين من اصحاب الدسائس . فلمَّا لم تأتِ هذه البعثة بنتيجة حسنة انكروا انَّ لهم بها علمًا . ولم يرعووا مع ذلك عن سوء تصرّفهم لأَنَّ الاميركيّ لا يعرف القنوط فجعلوا يتقرَّبون الى حاكم الجزيرة محاولين رشوتهُ فأبوا بخفَّي حنين . ثمَّ سكنت حركةُ القوم مدَّة يتربَّصون الفرصة لنوال غايتهم . وكانوا في اثناء ذلك يوسّعون نطاق تجارتهم في كوبا حتى اضحت اكثر الاعمال بين ايديهم . غير انَّ هذه الوسيلة لم تَكفِهم لسدّ مطامعهم فاضرموا اليوم نار الحرب ولا نظنّ ان سيخمد لظاها قبل ان تفقد اسبانية ابدع مستعمراتها . والله يهبُ الملك من يشاء . وليس لغيرهِ دوام البقاء

ذكر كرلس الكبير ملك فرنسة في الف ليلة وليلة

نبذة للاب هنري لامنس اليسوعي

قد ورد في كتاب الف ليلة وليلة قصَّة تعرف بحكاية نور الدين عليّ مع مريم الزنَّارية . ولهذه الرواية خطارة من حيث الامور التاريخية التي يشار اليها في معرضها . فقد جعل القصَّاص مريم هذه ابنةً لملك افرنجة متخرّجة بسائر الآداب كالفصاحة والكتابة والحساب والفروسية والشجاعة مُحكِمة لصناعة الزِنارة ومنها تلقَّبت بمريم الزنَّارية . ثم يروي عنها انَّها أُسِرَت في البحر وبيعت في الاسكندرية لتاجر يدعى نور الدين وان سيّدها تزوَّج بها . الَّا انَّ الملك اباها لمَّا علم بخبرها ارسل فاستقدمها من مصر فتبعها زوجها نور الدين واتَّفق معها ان يركن كلاهما الى الفرار . الَّا انَّ اخاها برطوط (ونظنُّهُ تصحيف بِرْتُلد) ادركهما فنازعتهُ اختهُ مريم وقتلتهُ . فما علم ملك افرنجة بهذا الامر حتى ارسل وفدًا الى هارون الرشيد يطلب الى الخليفة ان يتعقَّب آثار الفتاة الهاربة

هذه بعض ظروف اقتطفناها من هذه الحكاية الطويلة التي يمكن المطالعة عليها في كتاب الف ليلة وليلة (طبعة الاب صالحاني الجزء الرابع ص ٣٨٦) وقد اكتفينا بما سبق توطئة لما سيأتي فنقول :

انَّ هذه الحكاية مبنيَّة على امر تاريخيّ قريب المنال سهل المأخذ اي بعض اخبار كرلس الكبير ملك فرنجة الذي كان معاصرًا لهرون الرشيد . ولا يجهل القرَّاء انَّهُ كان يملك على فرنسة والمانية معًا . وهذا ما حمل صاحب النسخة المطبوعة في بِرسْلو (ج ١٠ : ص ٢٠٤ — ٢٤١) ان يذكر على لسان كرُلس انَّهُ اذا أُرجعت اليهِ ابنتهُ يعطي هارون الرشيد « نصف مدينة نمسة » . ورُوي في نُسخ أُخرى : « مدينة رومة الكبرى »

امَّا قصَّة نور الدين فالراجح انَّها مأخوذة من قصة خيالية رواها البعض عن إمَّا (Emma) ابنة كرلس الكبير التي خطفها إغِنْهَرْت فترى بين القصَّتين تشابهًا كبيرًا من حيث الاخلاق والاحوال . فنور الدين فَسْل جبان كإغِنْهرت وكلاهما في الخبرين لا يكاد يبدي حراكًا في وقت النزاع المرويّ عن مريم وعن « امَّا »

وجاء في كتاب الف ليلة وليلة انَّ الملك ابا مريم كان يحبُّ ابنتهُ حبًّا شديدًا ولم

يرضَ بتزويجها. وكذا قرّع البعض كرُلس الكبير بافراط حبّهِ لابنتهِ «امّا» وقصرها في بيتهِ. وكذلك لا شيء انسب بابنة ملك عظيم ككرلس الكبير محيي العلوم من ان تكون هي ايضًا متخرّجة بالآداب

ولسائل ان يسأل وكيف سمع القصّاص العربي بهذه الاخبار ليدخلها في جملة حكاياتهِ. نقول ان الامر مبهمٌ ولعلَّ ذلك اتّصل بالراوية العربي في عهد الصليبيين كما بلغتهُ ايضًا في ذلك العهد تفاصيل حكاية اخرى تدعى «حكاية الشيخ وزوجتهِ الفرنجية». ولذلك ترى راوي حكاية نور الدين لا يزال مكرّرًا انهُ مطّلع على احوال نصارى الفرنج. وفي كلامهِ إلمام بجماعة الفرسان. ويذكر «السيّدة مريم العذراء امّ النور كما يقولون ذلك بعُرفهم». ثم يدعو اخاميم الزّنارية باسم «برطوط» ونراهُ تعريب الاسم الجرمانيّ «برتُلد». وليست هذه الظروف صدفة محضة بل عن عمد وقصد

وهذه الرواية الواردة في كتاب الف ليلة وليلة مع نصّ المسعودي الذي ذكرناهُ في المشرق (ص ٤٧٩) هي جملة ما اتى عن ذكر كرلس الكبير في كتب العرب. وذلك قليل اذا اعتبرنا ما كان لهذا الملك في زمانهِ من كبير الشأن وعظيم السلطان. ونكرر هنا ما لدينا من الآمال ان تأتينا اكتشافات جديدة فتوقفنا على السفارات التي اوفدها هرون الرشيد وكرلس الكبير الى بعضها. وفي ما قدّمنا إلمام بهذه الامور الخطيرة (راجع ZDMG, XXXIV, 610)

النفس البشرية

مقالة مختصرة صنّفها الاب العارف بالله ابو الفرج غريغوريوس بن العبري

قد كنّا ذكرنا في معرض كلامنا عن اعمال ابن العبري ومصنّفاتهِ مقالةً موجزة كتبها هذا العالم النبيل في تعريف النفس وخواصّها (راجع العدد ١١ من المشرق ص ٥٠٦). وقلنا هناك ان هذه النبذة لم يرد ذكرها في جداول تآليف العلاّمة المذكور ووعدنا بنشرها لِما فيها من الفوائد المختصّة عن العقائد الدينيّة فضلًا عن انها تحتوي على اصدق ما قالهُ الفلاسفة الاقدمون في النفس وخواصّها

وقد نقلنا هذه الطُرفة عن نسخة خطّية مصونة في خزانة كتبنا الشرقية . وقد قابلناها مع نسخة اخرى اسعدنا الحظّ على اكتشافها . فوجدنا بين النسختين بعض اختلاف سوف ننبّه عليهِ اذا اقتضى الامرُ ذلك

الاب لويس شيخو اليسوعي

فاتحة القول للمؤلف رحمهُ الله

الحمد لله الذي ابدع الوجود بعد العدم . ونفى بذلك عمّا سواهُ الأزليّة والقِدَم . وبعدُ فانّ هذا مختصرٌ في علم النفس الانسانية . لم نذكر فيهِ الّا المهمّ من دواعي المطلوب من أماراتها وخواصّها السنيَّة . والغرض من ذلك الجمع بين الآراء الفلسفية والشرائع الالهية . لأنَّ القوم المؤَيَّدين بشدَّة الصغا (١ يشرقُ على صفحات قلوبهم الذكية ما يوافق البراهين العقلية . ونطلبُ في ذلك المعونة والتوفيق من المبدع الاوَّل . الذي اليهِ الرُّجعى وعليهِ المعوَّل . ونسألهُ الالهام والتأييد . وتسديد ابهام الظنّ والتقليد . بمَنِّهِ ولطفهِ آمين

الفصل الاوَّل

في يان النفس قبل الاشتراك

نقول انَّ اسم النفس يقع باشتراكٍ على معانٍ كثيرة مثل الباري تعالى (٢ وجملة الانسان (٣ وجسد الانسان وحدهُ (٤ ودم الحيوان (٥ والقوَّة الحسَّاسة التي في الحيوان والقوَّة المربّية للاجسام النباتية والنفس الناطقة التي تدبّر جسم الانسان وتقبل العلوم والاوامر الالهية وتميّز الحقّ عن الباطل والحَسَن عن القبيح ولها القدرة على استخراج الصناعات

١) الصغا في اللغة المَيْل ولعلَّ المؤلف اراد بها التعلُّق بالدين او يكون في الاصل تصحيف

٢) ومنهُ يقال النفس الالهية اي الذات الالهيَّة

٣) كما جاءَ في الكتاب (تك ١٧ : ١٤) : « تُقْطَع تلك النفس من شعبها » اي ذلك الانسان

٤) وفي التكوين (٩ : ٥) في الاصل العبراني : امّا دماء انفسكم فأطلبها من يد كل وحش ... ومنهُ قول اشعيا (٥٣ . ١٢) : « افاض للموت نفسهُ »

٥) يقول العرب : دَفَق فلان نفسهُ اي دَمَهُ

واستنباط الامور الخفية بالقياسات النقلية. ونحن غرَضنا (١ في هذا المختصر الكلام في هذه النفس المذكورة فقط (٢ دون غيرها

الفصل الثاني

في اقامة البرهان على وجود نفس الانسان

نقول انَّ وجود النفس الانسانية امر فِطْريٌّ لا يحتاج الى دليل وانَّما دليلها واضحٌ عن اسم النفس فانَّ الاسم دالّ على مسمَّاه كما قال الحكيم ارسطاطاليس — وايضاً نقول انَّ الانسان يعقل ويَعلم ويُدرك ويفهم ويفعل الاشياء التي تعجز باقي الحيوانات عن فعلها واذا فارقتهُ النفس عَدِم تلك الافعال باسرها. فظهر ان تلك الافعال كانت بنفسه المذكورة

الفصل الثالث

في تخالف الاراء على جوهر النفس

من القدماء من زعم ان النفس نارٌ. ومنهم من قال انَّها هواء. وقال آخر انَّها ماء (٣.

١) وفي احدى النسختين: عزمُنا ٢) اي النفس المراد بها القوة الناطقة

٣) يحسن بنا في هذا المقام ان نعرّب نبذةً لهرمياس الفيلسوف النصرانيّ الذي عاش في القرن الثاني للمسيح وفيها يعدّد اقوال فلاسفة اليونان في حقيقة النفس وجوهرها ومصيرها و يسخر بآرائهم المتباينة المتضاربة في ذلك قبل ان يؤيد صحَّة معتقد النصارى في هذه الامور

(قال هرمياس): «سل الفلاسفة عن جوهر النفس فيجيبك ديموقريت انَّها نار و يزعم الرواقيون انَّها هواء لطيفٌ. وغيرهم انَّها عَقْل. امَّا هِرَقليت فيذهب الى انَّها الحركة. فيرد عليهِ غيرهُ بقولهِ انَّها ريحٌ او شعاعٌ من الكواكب. يدَّعي فيثاغوراس بانَّها عددٌ محرّك وهِيُّون بانَّها نُطْفة ودينارك يدعوها مزيجاً مؤتلفاً. البعض يجعلونها دماً وغيرهم ملاكاً. فيا لله من هذه الاراء المتناقضة او بالحري بؤساً لاضغاث احلام ليس فيها شيء من الصواب

«وهب انَّ الفلاسفة لا يتَّفقون على معرفة جوهر النفس أتراهم اصدق في بيان خواصّها فتسمع هذا يقول انَّها خُلقت للملذَّات وذاك ان غايتها الشر و يزعم الغير انَّها تأبى الخير والشرّ معاً. ومنهم من يقرُّ بخلودها وغيرهم يرون انَّها قابلة للموت. ويرتأي البعض انَّها تعيش مدَّة بعد الجسد ثمّ تفنى والبعض انَّها تتقمَّص في جسد الحيوانات امَّا لتبقى فيها وامَّا لتتحوَّل الى هيئات شتَّى. وذهب آخرون الى انَّها تبقى الوفاً من السنين. فلله درّهم من علماء يعدون النفوس بربْوات من السنين وهم لا يستطيعون ان يُطيلوا حياتهم الى المئة سنة

وآخر انَّها مجتمعة من امتزاج الاخلاط (١ وقومٌ آخرون قالوا انَّها دُرَرٌ مجتمعة وآخرون ظنُّوا انَّها من مَزْج البدن (٢ ونحن نزذل (٣ جميع هذه الظنون الفاسدة والآراء المتضادّة عند اثباتنا انَّ النفس ليست بجسم ولا بجسمانيّة (٤ ولا تفتقر الى محلٍ تحلُّ فيهِ

الفصل الرابع

في الردّ على هؤلاء جميعهم (٥

انَّ البعض اعتقدوا انَّ الانسان يشبهُ اباهُ بجسميَّتهِ وافعالهِ فلذلك (٦ تكون نفسهُ جسماً. (قلنا) هذا باطل لانهُ قد تعيَّن عند العلماء انَّ المشابهة هي من باب الكيف وهو عَرَضٌ (٧ والنفس ليست بعرضٍ (٧ فالنفس ليست بجسم ولا عَرَض (٧ كما سنبينهُ فيما بعد — (واماَّ) الاعتقاد انَّ النفس جسم إمَّا مركَّب او بسيطٌ فهو باطل لانَّ الجسم محسوس والنفس غير محسوسة — والجسم ايضاً مركَّب من الهيولي والصورة والنفس بسيطة على ما يظهر بيانهُ فيما بعد

الفصل الخامس

في بيان انَّ النفس هي جوهر

انَّ جميع العلماء حكموا بانَّ الجوهر هو القابل للأضداد. مثالهُ انَّ الجسم الواحد يقبل تارةً الحرارة وتارةً البرودة فهو جوهر يقبل الاضداد المحسوسة. وقد نرى النفس تقبل العلم

« فعلى زعم هؤلاء ماذا يكون من امري. فهذا يجعلني مخلَّدًا فيا لسعادتي وذاك فانياً فياالحسرتي. هذا يقسّمني الى ذرَّات متناهية في الصغر فأصير تارةً ماء وتارةً هواء وحيناً نارًا وآنات سبعاً ضارياً او سمكةً. فان اعتبرتُ ذاتي استولى عليَّ الرعب فلا اعلم بايّ اسمٍ انعتُ نفسي هل انا انسان او كلب او ذئب او ثور او حيَّة او تنّين لا ادري لكثرة ما يتقوَّل عليَّ هؤلاء الفلاسفة فلم يدعوا صنفاً من المجماء الَّا وكنّوني بهِ فانا من سباع الصحراء او دواجن الحيوان او اسماك البحر او جوارح الطير ادبُّ واسبح واطير واسرح في وقت واحد. وانمَّا الطامّة الكبرى في قول اميردوكل الذي يزعم اني شكل من النبات. . . »

١) يريد الاخلاط الاربعة التي في الجسم وهي الدم والبلغم والمِرة اي السوداء والصفراء

٢) وفي احدى النسختين: من فرغ البدن

٣) ويروى: تزيّف ٤) ويروى: متجسّمة

٥) ويروى: باسرهم ٦) ويروى: وفي ذلك

٧) ويروى: عَرَضي

والجهل والفضائل والرذائل والخطأ والصواب . وهذه وامثالها أعراضٌ اذ لا وجود لها الّا بموضوعها والنفس هي الموضوع لها . فالنفسُ إذن جوهر

الفصل السادس

في اقامة البرهان على انَّ النفس ليست بجسم

نقول انَّ الجسم لهُ طول وعرضٌ وعمقٌ ولا شيء في النفس كذلك . والجسم محسوس والنفس غير محسوسة . والجسم يقبل الاعراض المحسوسة فهو محسوس . والنفس تقبل الاعراض المعقولة كعلم المنطق والهندسة وعلم الطبيعة الالهيَّة وعلم الرياضيات . وهذه كلها معقولة ومحلُّها معقول وهي النفس . فظهر انَّ النفس ليست بجسم

الفصل السابع (١

في بيان انَّ النفس بسيطة

قد سبق انَّ النفس ليست مركَّبة وليست بجسم وكلُّ ما ليس كذلك فهو بسيط فاذًا النفس بسيطة

الفصل الثامن

في حدّ النفس

قال ارسطاطاليس (٢ : انَّ النفس هي كمالٌ اوَّل لجسم طبيعيّ ذي حياةٍ وفكر وعقل بالقوَّة . وتفسير ذلك انَّ النفس جوهر حيٌّ غيرُ جسمٍ عالمٌ نيّرٌ لطيفٌ متحرّك بذاته خُلق من بارئه ليرتبط بالجسم ويكمل بهِ ويكمّلهُ (ستأتي البقية)

١) في احدى النسختين جاء الفصل السادس والسابع في بابٍ واحد

٢) قد حدّ ارسطاطاليس النفس في مقالتهِ عن النفس (الكتاب الثاني الفصل الاوَّل) بما نصُّهُ :

Ψυχή ἐστιν ἐντελέχεια ἡ πρώτη σώματος φυσικοῦ δυνάμει ζωὴν ἔχοντος

اي « انَّ النفس فعلٌ اوَّل لجسد طبيعيّ ذي حياةٍ بالقوَّة » فقولهُ « فعلٌ اوَّل » يريد ان النفس صورة الجسد الجوهرية . وقولهُ « لجسد طبيعيّ » يريد انَّ النفس هي التي تعطي الجسد صفاتهِ وخواصَّهُ . وقولهُ « لجسد ذي حياةٍ بالقوَّة » يريد ان الجسد المرشَّح للحياة يقبل حياتهُ من النفس

وقد جاء لارسطاطاليس تحديد آخر اوردهُ في الفصل الثاني من كتاب النفس المذكور وهو اوضح ما سبق وفيهِ يقول :

ἡ Ψυχὴ δὲ τοῦτο ᾧ ζῶμεν καὶ αἰσθανομεθα καὶ διανοούμεθα πρώτως

اي « انَّ النفس هي ما بِهِ نحيا ونحسّ وندرك اوَّلًا » . وقد جمع ابن العبريّ في هذا الفصل بين التحديدين

كتاب النبات والشجر للاصمعيّ

سعى بنشرهِ الدكتور اوغست هَفنر

(تابع لما سبق)

[فَصْلٌ فِي أَسْمَاءِ ٱلنَّبْتِ غَيْرِ ٱلذُّكُورِ]

ومِنَ ٱلنَّبْتِ غَيْرِ ٱلذُّكُورِ ٱلْهَيْشَرُ (١ . قَالَ ذُو ٱلرُّمَّةِ :

كَأَنَّ اعْنَاقَهَا كُرَّاثُ سَائِفَةٍ طَارَتْ لَفَائِفُهُ أَوْ هَيْشَرٌ سُلُبُ (٢

(ٱلسُّلُوبُ ٱلَّتِي سَقَطَ لَبَنُهَا) . وَٱلإِسْنَامَةُ (٣ ثَمَرُ ٱلْحَلِيِّ ، وَٱلعَرَاجِينُ (٤ نَبْتٌ صِغَارٌ وَاحِدُهَا عُرْجُونٌ ، وَمِنَ ٱلنَّبْتِ ٱلْحَبَقُ (٥ وَهُوَ ٱلْفُوذَنجُ ، وَمَا كَانَ مِنْ اَحْرَارِ ٱلْبَقْلِ وَذُكُورِهِ وَعَرْفَجِهِ (٦ سِوَى كُلِّ شَيْءٍ مِنَ ٱلْخُلَّةِ

١) وصفهُ في اللسان قال : الهَيْشَر والهَيْشور شجر وقيل نبات رخو فيهِ طول على رأسهِ بُرعومة كأنهُ عُنق الرأل وقال في مادَّة (ساف) : الهَيْشَرة شجرة لها ساق وفي رأسها كُعبرة شهباء . وروى وصفَها لابي حنيفة : من العُشب الهَيْشَر ولهُ ورقةٌ شاكةٌ فيها شَوك ضخم وهو يُسمَّق وزهرتهُ صفراء وتطول لهُ قصبة من وسطهِ حتى تكون اطول من الرجل (Lc., Cynara)

٢) يصف الشاعر فراخ النعام فشبَّه اعناقها بنبت الكُرَّاث النابت في السائفة وهي الرملة الرقيقة . ولفائف الكُرَّاث ما يحيط بهِ من الهَدَب . والسُّلُب من الشجر ما لا وَرَق عليهِ وهو جمع سَليب فعيل بمعنى مفعول . ويروى : سَلِبٌ اي طويل

٣) قال ابن منظور : الإِسْنَام ثَمرُ الحليّ حكاها السيرافيّ

٤) العراجين جمع العُرجون . جاء في اللسان : هو نبتٌ ابيضُ وهو ايضاً ضربٌ من الكَمْأة قدرُ شبرٍ او دُوَين ذلك وهو طيّب ما دام غضاً . قال ثعلب : العرجون كالفطر ييبس وهو مستدير

٥) قال ابو حنيفة : الحَبَق نبات طيّب الريح مربَّع السوق وورقهُ نحو ورق الخلاف منهُ سُهليّ ومنهُ جبليّ وليس بمرعى (B., Zizyphis, Spina Christi ; Lc., Menthe Pouliot) وقيل انهُ الفوذنج (Lc., Γλήχων, Marrubium, Pouliot, Calamus ; L., Mentha pulegium)

٦) قيل ان العَرفج شجر سهليّ . وقيل انهُ القتاد . قال الازهريّ : العَرفج من الجَنْبَة ولهُ خوصةٌ يقال : رعينا رِقَةَ العرفج وهو ورقهُ في الشتاء (cfr. E., 268)

فَهُوَ حَمْضٌ (١ الَّا ٱلشَّجَرَ ٱلعِظَامَ فَانَّهُ لا يَدْخُلُ في ٱلْخُلَّةِ ولَا ٱلْحَمْضِ وَلَا ٱلْجَنْبَةِ . وَٱلْجَنْبَةُ (٢ مَا كَانَ مِنَ ٱلْعُشْبِ وَٱلشَّجَرِ وَٱلنَّبْتِ . وَٱلْخُلَّةُ (٣ مِن ٱلْعُشْبِ عِنْدَ ٱلْابِلِ بِمَنْزِلَةِ ٱلْخُبْزِ . وَٱلْحَمْضُ بِمَنْزِلَةِ ٱللَّحْمِ انَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْادَمِ مَعَ ٱلْخُلَّةِ . (قَالَ) وَاذَا اكَلَتِ ٱلْابِلُ ٱلْخُلَّةَ صَلُبَ لَحْمُهَا وَٱشْتَدَّ طِرْقُهَا . وَاذَا اكَلَتِ ٱلْحُمُوضَ ٱنْدَلَقَتْ بُطُونُهَا وَكَبُرَتْ ادْبَارُهَا فَاَسْرَعَتِ ٱلْانْهِشَامَ اي ٱلسُّقُوطَ وَٱلْجَزَعَ ولَا تَصْبِرُ صَبْرَ ٱلْخَلِيَّةِ . وَٱلْحَمْضُ مَا كَانَ مَالِحًا . وَٱلْخُلَّةُ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مُلُوحَةٌ . فَاِذَا رَعَتِ ٱلْابِلُ ٱلْخُلَّةَ فَهِيَ مُخِلَّةٌ وَاَصْحَابُهَا مُخِلُّونَ . وَانْشَدَ :

جَاؤُوا مُخِلِّينَ فَلَاقَوْا حَمْضَا (٤

فَاِذَا رَعَتِ ٱلْابِلُ ٱلْحَمْضَ فَهِيَ حَامِضَةٌ وَاَصْحَابُهَا مُحْمِضُونَ . قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَكَلْبًا وَلَخْمًا لَمْ تَزَلْ مُنْذُ اَحْمَضَتْ ... يُحَمِّضُنَا اَهْلَ ٱلْجِنَابِ وَخَيْبَرَا (٥

(اي لَمْ يَزَالُوا مُنْتَحِينَ)

---

١) جاء في كتاب المفردات لابن البيطار عن الاصمعيّ : الحمضُ كلُّ ما مَلُحَ من الشجر وكانت ورقتهُ وحبَّهُ اذا غمستها نفعتا

٢) قال صاحب اللسان : الجَنْبَة رَطْب الصِلّيَان من النبات . وقيل هو ما فوق البَقْل ودون الشجر . وقيل هو كلُّ نبتٍ يورق في الصيف من غير مطر

٣) قال ابن سيده : الخُلَّة من النبات ما كانت فيهِ حلاوة من المرعى . وقيل المرعى كلُّهُ حَمْض وخُلَّة . فالحَمْض ما كانت فيهِ ملوحة والخُلَّة ما سوى ذلك . قال ابو عُبَيْد : ليس شيء من الشجر العظام بحمض ولا خلَّة . وقال اللحيانيّ : الخُلَّة تكون من الشجر وغيرهِ

٤) اي طلبوا الخُلَّة وهو النبت الحلو فوجدوا بدلًا منهُ النبت الحامض . وشرحهُ في اللسان بقولهِ : اي جاؤُوا يشتهون الشرّ فوجدوا مَن شفاهم ممَّا بهم . (قال) وحَمضتِ الابلُ حَمْضًا وحموضًا اكلت الحَمْض فهي حامضة

٥) البيت للجعديّ . يقال : حمَّض الابلَ اي رعاها الحمضَ . وقد شرح البيت في اللسان

(وَمِنْ اَسْمَاءِ اَلْحَمْضِ) اَلرِّمْثُ[١]، وَاَلْقِضَةُ[٢]، وَاَلدَّغَلُ[٣]، وَاَلْقُلَّامُ[٤]، وَاَلْهَرْمُ[٥]. وَاَنْشَدَ لِلْحَارِثِ بْنِ وَعْلَةَ[٦]:

وَوَطِئْتَنَا وَطْأً عَلَى حَنَقٍ   وَطْءَ اَلْمُقَيَّدِ نَابِتَ اَلْهَرْمِ[٧]

وَاَلضُّمْرَانُ[٨]، وَاَلنَّجِيلُ[٩]، وَاَلْخِذْرَافُ[١٠]، وَاَلْعُنْظُوَانُ[١١]. يُقَالُ بَعِيرٌ عَنِظٌ اِذَا اَشْتَكَى بَطْنَهُ فَسَلَحَ عَنْ رَعْيِهِ، وَاَلْغَوْلَانُ[١٢]،

فقال: اي طردناهم ونفيناهم عن منازلهم الى الجناب وخيبر. وفي الاصل: «وكانا ولحماً. . احمصت» وكل ذلك غلط

١) هو شجرة من الحمض. وفي المحكم لابن سيده: هو شجر يُشبهُ الغضى لا يطول ولكنَّهُ ينبسط ورقهُ وهو شبيه بالأُشنان. وعن ابي حنيفة: انَّهُ لهُ هَدَب طوال دقاق وهو شديد الحلاوة ترعاهُ الابل ولهُ خشب (Lc., Caroxylum articulatum; *cfr.* E., 268)

٢) القِضَة شجرة من اشجار الحَمْض. جمعُها قِضُون وقِضِين

٣) الدَّغَل الشجر الكثير الملتفُّ لاسيَّما شجر الحمض (L., 192)

٤) القُلَّام ضرب من الحَمْض وقيل انهُ القاقُلَّى. وروى ابو حنيفة عن شُبَيْل بن عَزْرة انهُ مثل الأُشنان الَّا انَّ القُلَّام اعظم

٥) قال صاحب اللسان: الهَرْم ضربٌ من الحَمْض فيهِ ملوحة وهو أذلُّهُ واشدُّهُ انبساطاً على الارض واستبطاحاً. وروى عن كراع ان الهَرْمة هي البقلة الحمقاء

٦) وقد روى البيت في اللسان وفي التاج لزهير الَّا انَّنا لم نجدهُ في ديوان زهير

٧) ويروى: يابس الهَرْم

٨) هو من الحَمْض. قال ابو حنيفة: الضُّمْران مثل الرِمْث الَّا انَّهُ اصغر ولهُ خشب قليل يُحتطَبُ بهِ. وعن ابي منصور انَّ لهُ هَدَباً كهدب الأَرْطى (Lc., Menthe; *cfr.* E., 268)

٩) النجيل ضربٌ من الحمض قيل انَّهُ هو الهرم او ورقهُ (4., Panicium Dactylon L., Digitaria Dactylon [Cynodon Dactylon]; Lc., Chiendent (Agrostis)

١٠) وفي الاصل: الخِذْراف ضربٌ من الحمض ييبس في الصيف الواحدة خذرافة. قال ابو حنيفة: لهُ وُرَيْقة صغيرة ترتفع قدر الذراع

١١) جاء في اللسان: انَّ العُنْظوان ضربٌ من الحَمْض يشبه الرمث غير انَّ الرِمْث ابسط منهُ ورقاً وانجع في النَّعَم. وقيل انَّهُ نبت اغبر ضخم ربما استظلَّ الانسان في ظلِّهِ واذا اكثر منهُ البعير وَجِع بطنُهُ

١٢) قال ابو حنيفة: الغَوْلان حَمْض كالأُشْنان شبيه بالعنظوان الَّا انَّهُ ادقّ منهُ وهو مرعًى

وَٱلشَّعْرَانُ[١]، وَٱلدُّعَاعُ[٢] وهو شَبِيهٌ بِٱلْهَرْمِ، وَٱلاِخْرِيطُ[٣]، وَٱلْحُرُضُ[٤]، وَهُوَ ٱلأُشْنَانُ، وَٱلْعَرَادُ[٥]، وَٱلطَّحْمَاءُ[٦] (ستأتي البقية)

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ووقفتُ على نسخة مرسومٍ لم يُذكَر اسم كاتبهِ لكنهُ للملك السعيد بركة المذكور كتبهُ الى عزّ الدين[٧]. ومن مضمون هذه النسخة بعد اختصار التمجيد وبعض الفاظٍ ضربتُ عن ذكرها ما نصُّهُ: «انّ الامراء الاجلاء المقدَّمين الأعزاز زين الدين وجمال الدين وسعد الدين اولاد امير الغرب ايَّدهم الله واحاط بهم علمهُ المبارك صدقاتُنا شمَلَتْهم بالاحسان

١) الشَّعْران على ما في اللسان: ضربٌ من الرمث اخضر وقيل ضربٌ من الحمض اخضر اغبر

٢) صُحّف في الاصل بالرعاع. قال ابو حنيفة: الدُّعاع بقلةٌ يخرج فيها حبٌّ يتسطَّح على الارض تسطُّحًا لا تذهَبُ صُعُدًا فاذا يَبست جمع الناس يابسها ثمَّ دقُّوهُ ثمَّ ذرُّوهُ ثمَّ استخرجوا منهُ حبًّا اسود يملأُون منهُ الغرائر

٣) جاء في لسان العرب: الاخريط نبات ينبت في الجَدَد لهُ قرون كقرون اللوبياء وورقهُ اصغر من ورق الرَّيحان وهو ضربٌ من الحَمْض. وقال ابو حنيفة: هو اصفر اللون دقيق العيدان ضخم لهُ اصول وخشب

٤) قال في اللسان: الحُرُض والحُرْض من نجيل السباخ وقيل هو من الحمض. وقيل هو الاشنان تُغسَل بهِ الايدي على اثر الطعام

٥) العراد حشيش طيّب الريح وقيل حمضٌ تأكلهُ الابل ومنابتهُ الرمل وسهول الرمل. وقيل هو من نجيل العَذاة

٦) الطَّحماء والطَّحْمة واحد: وقال ابو حنيفة: الطحمة من الحمض وهي عريضة الورق كثيرة الماء. والطحماء نبتة سُهْليَّة حَمْضيَّة. (قال) والطحماء ايضاً النجيل وهو خير الحَمْض كلّهِ وليس لهُ حطب ولا خشب انَّما ينبتُ نباتاً تاكلهُ الابل

٧) عزّ الدين ايدمر نائب الشام السابق ذكره

اليهم صدقة مولانا الشهيد رضي الله عنهُ ورحمةٌ من ابوابنا العالية (١ وهم الآن ملازمون الباب العزيز. وكانوا يقالون من المفسدين في بلادهم ولو انَّهم اولادهم من اجل ما شملتهم من الصدقات واعترافهم بذلك (٢ . والآن أَنهوا الى بين ايدينا الامر الذي جرى عند تجريد العسكر الى بلاد الغرب بعد موت قطب الدين السعدي لمَّا توجه المجلس السامي الامير سيف الدين الزينيّ (٣ فسُبِيَت نساء الفلاَّحين وجُعلنَ جواري واُخذت اطفالهم فصاروا مماليك . وبلغنا ان بعض الفلاَّحين استردُّوا حريمهم واولادهم بعد دفع ثمنهم ونُهبت خيولهم واغنامهم وابقارهم وقماشهم . فلمَّا بلغنا هذا الإنهاء لم يعجبنا (34ᵛ) ذلك ولا وافق غرضنا وأَباهُ عدلُنا . وما كان القصد من هذا التجريد سوى تتبُّع المفسدين الذين اعتمدوا الفساد في البلاد وضبط من وافقهم على ذلك . وقد سأَل اولئك الفلاَّحون الاميرَ الأَجلّ الاخصّ جمال الدين حجّي ان يتوجَّه الى خدمة المجلس العالي ليلتمس من صدقات هذه الدولة ورحمتها ان يتقدَّم المجلس العالي بطلب حريم الفلاَّحين واولادهم في ايّ جهةٍ كانوا وان يُعادوا الى اهلهم وكذلك مَنْ بيع منهم وقُبِض ثمنهُ فانَّنا نأمر بان يعتمد المجلس العالي طلب ذلك الشخص الذي حاول هذه الامور ويَستعيد منهُ الثمن . وان تُطلَب خيلهم واغنامهم وابقارهم وقُماشهم وتُعاد اليهم ولو كان ذلك عند امير او جنديّ او مقرّ او تركمانيّ او عند ايّ كائن كان لانا قد انكرنا كون نساء المسلمين يُسبَيْنَ وتُسترَقّ اولادهم . وقد سأَلوا ان يُطَّلع على اولادهم فمن كان منهم من اهل الفساد وهو مدرك إدراك الرجال يبقى في اعتقال السلطنة خلَّد اللهُ بقاءها وتحت رحمتنا . ومن كان خلاف ذلك وهو دون البلوغ او لم يَبدُ منهُ فساد فقد طلبوا من صدقاتنا الانعام عليهم بحضور

---

١) في هذا الكلام بعض التباس . ولا نعلم من المُراد بهذا المولى الشهيد أَهو عليّ او الحسين او الحاكم بامر الله

٢) كذا في الاصل ولا يخفى ما في هذا الكلام من الابهام والتعقيد . ولعل المراد انَّ التهمة وقعت عليهم زورا وهم ممن شملتهم نِعَمُنا يعترفون بافضالنا وانَّما المذنبون اولادهم . وجاء في حاشية بلحف الكتاب ما نصُّهُ : « اقوال الناس الشائعة انَّ نجم الدين محمد المذكور هو الذي قتل القُطب . وقيل ان القطب حضر الى كفرعمَّيه فوُجد عند الصباح مقتولًا وأخفى قاتلُهُ نفسَهُ ولم يتحقَّق الناس الامرَ فاتَّهموا بهِ نجم الدين المذكور . وزعم البعض انهُ قُتل بايعاز زين الدين عليّ ولكنَّ الخبر الاوَّل اشهر واكثر رواةً واوضح لانَّ زين الدين بن عليّ كان معتقلًا . وقال البعض انَّ غلام القطب حمل جثَّة سيّدهِ ورماهُ في دار السعادة والله اعلم »

٣) لم نطلع على شيء من اخبارهِ

الجميع الى الباب الشريف ويُفسَح للامير جمال الدين حجي في العود الى الديار المصرية ولمن يحضر معهُ من اهلهِ واصحابهِ . وقد اجبنا سؤالهم ذلك لأنَّهم ملازمون الباب الشريف وصدقاتُنا تجري عليهم وهم في إحساننا »

وتاريخ هذا المرسوم (٣٥ر) ثاني جُمادى الاولى سنة سبع وسبعين وستمائة (١٢٧٨م) وهو يدلُّ على انَّهم كانوا قد افرجوا عن الثلاثة اي زين الدين وجمال الدين وسعد الدين وقولهُ « صدقاتُنا شملتهم بالاحسان اليهم صدقة مولانا الشهيد » فهو دليل على انَّ السلطان بَرَكة هو الذي افرج عنهم من سجن ابيهِ . (قلتُ) فيكون الافراج عنهم فيما بين تاريخ المرسوم السابق ذكرهُ وجلوس بركة في السلطنة وهو قريبٌ من سنة وشهرين . وقد ذكرنا انَّ خبر حركة القطب بلغتهم وهم مقيمون في السجن (١

ومن الممكن انَّ الافراج عنهم كان عند سماعهم للخبر اتّفاقًا قدّرهُ الله . ولفظ المرسوم يدلُّ على ذلك . وان قلنا انَّهم كانوا قد حضروا من مصر الى بلاد الغرب ولمَّا جرت حركة القُطب عادوا الى مصر من سببها فاني لم اجد دليلًا على ذلك فضلًا عن انهُ لم يكن اتّفق عود الثلاثة الى مصر بجملتهم بل كان توجه واحد او اثنان . والمرسوم المذكور يُذكَر فيهِ ان الثلاثة كانوا مقيمين في مصر . وبين حركة القُطب وتاريخ المرسوم المذكور قريب من شهرين ونصف

وبعد تاريخ هذا المرسوم خرج السلطان بَركة الى الشام وغار عسكرهُ على بلاد سيس وانقلبت الامراء عليهِ فاسرع العود الى مصر فتولَّى مكانهُ اخوهُ سلامش في شهر ربيع الاوَّل سنة ثمان وسبعين وستمائة (١٢٧٨ م) . ثمَّ خُلع وتسلطن الملك المنصور قلاوون في ثاني وعشرين من رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة (١٢٧٩م) واستناب حسام الدين لاجين بالشام

وذكر ابن ابي الهيجاء في تاريخهِ قال في سنة سبع وثمانين وستمائة (١٢٨٨م) طلب

---

١) ورد في حاشية الكتاب ما نصُّهُ : « ومن الناس من قال انَّ القطب قُتل باشارة زين الدين بن عليّ المذكور فان كان هذا صحيح يكون نجم الدين محمَّد ابن جمال الدين بريئًا من قتلهِ . وقيل انَّ الثلاثة المسجونين قد حضروا الى بلاد الغرب ثم عادوا الى مصر من جهة حركة القطب واخذوا المرسوم المذكور وارسلوهُ الى دمشق على يد جمال الدين وبقي زين الدين وسعد الدين بمصر والله اعلم »

الملك المنصور امراء الجبـال واخذ املاكهم واقطاعاتهم. ولم يحضر اولاد امير الغرب (35v) فاخرج امـلاكهم واقطاعاتهم. وقال غيرهُ: كان بنو تغلب من مشغرة قد هيَّجوا الاهوية في البقاع واثاروا الفتن فمسكهم لاجين نائب الشام وسجنهم بالقلعة وقرَّر عليهم مائة الف درهم تأديبًا. ثم لمَّا حضر الملك المنصور لفتح طرابلس اتَّصل بنو تغلب بعَلَم الدين سنجر الشجاعيّ شادّ الصحبة السلطانية ونقلوا لهُ عن الجبلية بصيداء وبيروت انَّ بايديهم املاكًا واقطاعات بغير استحقاق. فاخرجوها جميعًا خلا ابن المُعين وكان سنجر المذكور قد ضربهُ واخذ خطَّهُ بخمسين الف درهم فاعتذر الى سنجر عن خروج اقطاعهِ بما عليـهِ للخزانة فلم ينزعوا عنهُ اقطاعهُ (١. وممَّا كانوا اخرجوهُ املاك اولاد امير الغرب واقطاعاتهم. وكانت أملاكهم بمكاتيب مثبتة بالشرع الشريف فجعلوه للخلعة بطرابلس لمَّا فُتِحت وكان فتوح طرابلس في اوّل ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة (١٢٨٩م)

فلمَّا تُوفي الملك المنصور قلاوون تسلطن ولدهُ الملك الاشرف خليل بن قلاوون (٢ في سابع ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة (١٢٩٠ م) وقبض على لاجين (٣ نائب الشام وجعل مكانهُ علم الدين سنجر الشجاعي (٤. وفي ايَّام الملك الاشرف خليل بعد فتوحهِ لصيداء وبيروت استرجع اولاد امير الغرب إقطاعهم عن الحلقة الطرابلسية وجعلوها على درك بيروت. وما كان تأخر من اقطاعهم بلا استرجاع استرجعوهُ في ايَّام اخي الملك (36r) الاشرف (٥ وهو الملك الناصر (٦ بن محمَّد بن قلاوون في اوَّل سلطنتهِ الاولى. وكانت سلطنة الملك الناصر المذكور بعد قتل اخيهِ الملك الاشرف خليل في العشر الاوسط من محرَّم سنة ثلاث وتسعين وستمائة (١٢٩٢ م) وهي سلطنتهُ الاولى. وسنذكر ان شاء

١) جاء في حاشية للمؤلف ما نصُّهُ: « من الاصل: وفي ايَّام سنجر المذكور قد مُسك زين الدين بن عليّ وضيَّق السجاعيّ عليهِ وآذاهُ. ومن الدليل على ذلك قصَّة بخطّ بُحتُر ولد زين الدين المذكور الذي كان يأمر الطبلخاناة. وهي تتضمَّن انَّ والدهُ زين الدين قُبِض عليهِ وصُودِر. وقد كتبتُ بصحَّة هذه القصَّة ولصقتها تجاه هذه الورقة ويجب ان تكون في اصل هذه الترجمة عند ذكرنا فعلة علم الدين السجاعيّ في الجبليَّة بصيداء وبيروت. وهذه القصَّة المذكورة وجدتُها بعد كتابة هذه الاوراق ولو وجدتها قبل ذلك لكتبتها في الاصل » كذا ورد في الاصل ولم نجد هذه الورقة المشار اليها لعلَّها سقطت من الاصل

٢) راجع ص ٢٢٦ و ٢٢٧ ٣) راجع ص ٢٣٠ ٤) راجع ص ٢٢٧

٥) قلتُ ولمَّا استرجعوا الاملاك والاقطاعات بقي الجميع في ديوان الجيش فنزل وتحرروا عليهِ غيرهُ من الجند (كذا) وصار الملك اقطاعًا ٦) راجع ص ٢٧٦

الله تتمة الكلام في الاقطاعات عند ذكرنا للدول وما كان في ايّام ناصر الدين الحسين ابن خضر من الحوادث . وقد رأيت بخطّ بعض السلف انهُ عقيب فتوح بيروت في ولاية شهاب الدين بن برق (١ حضر الى بيروت ستّ شواني وواقعوا المسلمين وقعةً لم يعهدوا مثلها . وذكروا انّ صاحب بيروت كان في الشواني المذكورة (ستأتي البقية)

رِوَايَةُ ٱلشَّقِيقَتَيْنِ

للاب هنري لامنس اليسوعيّ

(تابع لما قبل)

ما فاضت نفسُ الراهبة التقيّة حتّى سُمِعت ساعة برج القديس اسطفانوس تدقُّ نصف الليل . وانفتحت وقتئذٍ ابواب ملاعب العاصمة النمسوية فانبعثت منها الانوار والاصوات الموسيقية . وكان النمسويون يخرجون منها زرافاتٍ . حتى امتلأَت الشوارع بشرًا منهم يركبون العربات الناهبة بهم الارض نهبًا فيسمع لها اعظم دويّ ومنهم يسيرون مشاةً فرقًا فرقًا يتحدّثون بتلك اللهجة الحميمة التي عُرف بها سكّان ڤينة . على انّهُ لم يمضِ المديد من الزمن حتى عاد السكوت والسكون الى تلك الشوارع التي اصبحت كالقفر خلوة من بني آدم

بيد ان الجرس الذي في قبّة دير «الراهبات الممرّضات» كان اذ ذاك يرنُّ رنّة الحزن وكان صوت الجرس الشبيه بانين الباكي او تلهُّف الشاكي يعلنُ للمارّة القليلين المتأخرين في الاياب الى منازلهم ان نفسًا من النفوس اجتازت من هذه الدنيا الى ما وراء ابواب الابدية

١٤

وكانت الحيوة قد اصبحت علقمًا مرًّا على المسيو ب . وزوجتهِ بعد ان رحلت عنهما الراهبة اغنس وسمعا بانحراف مزاجها . اجل ان وجود تلك الراهبة عندهما كان من شأنهِ ان

١) يظهر من قرينة الكلام انّ شهاب الدين بن برد كان واليًا على بيروت من قبل ملوك مصر الشراكسة في ايّام الاشرف خليل بن قلاوون

ينشئ من وقتٍ الى آخر اشعَّة من شمس الرجاء في قلب تلك الاسرة التي جار عليها الزمان واتخذتها المصائب مقعدًا ومركبًا بل كانوا يحسبونها لهم روحًا مُحييًا بل كانوا اذا ما رأوها في البيت تخطر ذهابًا وايابًا حسبوها من جملة الملائكة المحكيّ عنها في اساطير الاقدمين انها تأتي لتهزّ مهد الطفل النائم وتحرسهُ

وكان اهل البيت طلبوا مرارًا بالحاحٍ الى تلك الراهبة الفاضلة ان تخفِّف العناء والتعب عن نفسها لئلاَّ تقصر ايَّامها قبل الاوان. امَّا هي فكانت تجاوبهم قائلة والابتسام يبدو على ثغرها بلطفٍ عجيب: ان الحياة ليست بالامر المهمّ لدينا فان الواجب المفروض علينا نحن انما هو ان نُخلص الخدمة بنزاهة ونشاط بل ان نموت في سبيل خدمة القريب ان لزم الامر. ولهذا فاني ان متُّ انا فان واحدةً من رفيقاتي الراهبات تقوم مقامي في الخدمة. امَّا هو (وقد اشارت بقولها الى البارون) فمن الواجب ان يحيا بل وقد تحدّثني نفسي انهُ سيحيا بل سيشفى تمامًا

وكانت قائمة على ذلك المريض في مرضهِ تخدمهُ باخلاص ونزاهة وترقب حركاتهِ وسكناتهِ اناء الليل واطراف النهار وباثناء ذلك لحظت ان ذلك العليل الفاقد الصواب كان يتخلّل هذيانَهُ فتراتٌ يبدو فيها على احسن حال التعقُّل والرشد وذلك ما كان يدلُّها على انهُ سائر في طريق الشفاء

وكانت في بعض الليالي عندما يستولي عليها العناء من كثرة السهر تنطبق جفونها من شدَّة النعاس ومن الحمَّى التي كانت اخذت في ان تضنيها وتتأكل لحمانها رويدًا رويدًا على انَّها ما كانت تلبث ان تستيقظ مذعورةً لظنّها انها اهملت الواجب المفروض عليها. واذ لم تكن تسمع اذ ذاك تنفُّس البارون كانت ترتعد فرائصها ولكنها عندَ ما تنظر انهُ يتنفَّس كان يسكن جأشها ويعود اليها الاطمئنان. وكثيرًا ما كان يحدث ان البارون بعد عود التنفس اليهِ كان ينام هادئًا بضعة دقائق يعقبها نوب جديدة هائلة

وكان البارون يكثر من الهذيان نهارًا على ان هذيانهُ كان يخفّ ليلًا عند وجود الراهبة اغنس لديهِ. وكان في بعض الاحيان يبسط ذراعيهِ الى الامام كمن يرى شبحًا محبوبًا لا ينظرهُ سواهُ واذ ذاك كانت شفتاهُ الرقيقتان تتلفَّظان مناديةً «يا وردة؟»

وقد دامت هذه الحال اسابيع كثيرةً بدون ان تقبل الراهبة اغنس التماس شيء من الراحة حتى كادت سبحتها تتلف لكثرة ما مرَّت حبَّاتها بين اصابعها النحيفة. — ولما رآها

يوماً الدكتور ڤون . . . على هذه الحالة (وهو طبيب شيخ من اساتذة مكتب ڤينة الطبي) قال لها وقد هزَّ اصبعهُ توعُّداً: «احذري لنفسك ايتها الاخت والَّا شكوتُ الامر لحضرة رئيستك لانكِ بخدمتكِ وعنائكِ تسيرين على حافة الهاوية فتقعين وتموتين»

امَّا هي فاجابتهُ وكانت لهجتها تُشير الى التوسُّل والاستعطاف والاسترحام: اسألكَ يا سيدي ان لا تفعل هذا اصبر عليَّ بضعة ايّام لان لي تمام الثقة انَّ البارون سيشفى . . . اجلْ من الواجب ان يشفى

وكانت هذه الكلمات التي لفظتها الراهبة بتاكيدٍ ووثوق لم يكونا معهودين بها قد حرَّكت المسيوب . تحريكاً عظيماً . . . على انهُ لم تمضِ بضعة ايام حتى مرضت الراهبة المسكينة مرضاً عضالاً كما سبق فرقدت على السرير تتقلَّب على قتاد الاوجاع وكان ذاك مرضها الاخير اذ انها رقدت ولم تقم . — وعندما اخبرتها الرئيسة المرّة الاولى بالخطر المحدق بها وباهمية مرضها استمعت الراهبة انيسة هذا الخبر بفرحٍ وتهلّلٍ وعانقت الرئيسة هاتفةً: الشكر لك يا ربَّاه اني اضرعُ اليك ان تستدعيني من هذه الحياة لانَّ بموتي خلاص البارون

١٥

وبأثناء ذلك ازداد مرض شرل كأنَّ تلك العلَّة قصدت ان تكذّب رأي تلك الفتاة القديسة تكذيباً موقَّتاً فتكاثرت النُّوب عليهِ واصبحت تعاقبها المرَّة اثر المرَّة سريعاً وخُشي عليهِ من الموت العاجل اذ انهُ غاب عن الرشد تماماً حتى انهُ لم يكن ليعرف احداً واصبح حضور سوسنة لديهِ من ابغض ما يكون عليهِ . ولهذا فان تلك الفتاة المسكينة اي سوسنة كانت تقضي نهارها باكيةً منتحبةً ناسبةً الى نفسها موت شقيقتها والبارون معاً

وباثناء ذلك اخبروا المدام ب . بوفاة الراهبة اغنس وسلّموها بالوقت ذاتهِ دسيجة تتضمّن تذكاراً من الفقيدة فاقتبلتها تلك الوالدة المسكينة كذخيرة مقدّسة . ولكن ما فتحتها حتى صرخت صرخة عظيمة ووقعت مغشيًّا عليها بين ذراعي سوسنة

امَّا الدسيجة فكان في ضمنها جملة صوَر فوتغرافية وصليب صغير من ذهب وسواران رسم عليهما حرفان مشتبكان وهما «و» و «ل» (وردة دي لينس) وهما السواران اللذان اهداهما البارون الى خطيبتهِ واللذان لبستهما وردة في سهرة الخطبة وكان مع الدسيجة مكتوب هذه صورتهُ:

اي والدتي الحبيبة

« عندما ستقرأين هذه السطور تكون ابنتكِ ماتت . — كنت اودّ ان اعانقك واعانق والدي وسوسنة ولكني اردتُ ان ابعد عنكم جميعًا مقابلةَ الحزن هذه بل اردتُ ايضًا ان أُضيف هذه التضحية الى تضحية حياتي . اني قدَّمتُ لله هاتين التضحيتين من اجل شفاء شرل واني على ثقة بان الله قبل ضحيّتي فما احلى هذه الثقة لديَّ . . . انني اموت راضية فرحة مسرورة . . . لأن الواجب المفروض عليَّ في هذه الدنيا قد كمل وتمّ واني لانتظرنكم في السماء حيث يكون اجتماعنا دائمًا ابديًا

« يجب على سوسنة ان تقترن بشرل ذلك اشتهاء شقيقتها المائتة بل ذلك امرها الواجب اتباعهُ . . . .

« كفكفوا دموعكم يا اقاربي الاحياء . . . انني واثقة بان الدموع التي تذرفونها الآن انما هي آخر بكاء تبكونهُ . . . لم يكن ليخطر لي مطلقًا ان في التضحية وفي الموت حلاوةً مثل التي اشعر بها ? . . .

« اغفروا لي وسامحوا ما سببتهُ لكم من العناء . . ولمَّا كانت الحال تقضي بان اموت انا او ان تموت شقيقتي افتكرتُ انهُ لم يبقَ مجال للتردّد فجعلتُ نفسي فدًى عن تلك التي أُحبها اكثر من حياتي . . . انكم بموتي تفقدون ابنةً ولكن الابنة الباقية لكم هي خير مني . . . الوداع يا والدي الوداع يا والدتي ويا شقيقتي الحبيبة . . . بل اودعكم على امل اللقاء وردة ب . . . »

امَّا البارون فانهُ عندما نظر حليَّ خطيبتهِ الكريمة ظهر عليهِ كانهُ خرج من سُبات عميق وتنفَّس الصعداء متعافيًا وآب اليهِ رشدهُ ثمَّ اخذ تلك الآثار العزيزة لديهِ وقبَّلها بتأثرٍ وهيام وكانت الدموع تنهمل من عينيهِ كالغيث المدرار . . . اجل ان التقدمة التي قدّمتها وردة قد قُبلت لدى الله وبناء على ذلك قد نال خطيبها الشفاء من الدَّاء

١٦

اليوم الذي نروي حوادثهُ الآن انَّما هو يوم احد الشعانين . اكرم بهِ يومًا صفا هناؤُهُ وتوفَّرت بهجتهُ وكان اهالي ڤينة قد ارتدوا بملابس العيد وذهبوا الى الكنائس والمعابد يقضون فروضهم الدينية وكنتَ تراهم بعد انقضاء صلواتهم يخرجون من الكنائس زرافاتٍ يحمل كلٌّ منهم في يدهِ غصنًا من البقس وكان يمتزج بالهواء عرفُ البخور الطيّب وكانت اجراس

الكنائس تصدح كالبلبل الصيَّاح وتشدو كالهزار في جميع ارجاء تلك العاصمة الفيحاء. وكان الهواء نقيًّا والجوّ صافيًا والسماء رافلة بحلّة زرقاء بهيَّة ترتاح اليها الابصار. وكانت شمس نيسان البهية قد بدَّدت منذ زمانٍ مديد الضباب اللطيف المتصعّد من وادي الدانوب. وكانت الاشجار المنتصبة صفوفًا منظَّمة في رياض ڤينة ومُنتزّهاتها قد ظهرت عليها البراعم زاهرةً والاوراق مخضرّةً وكانت الطيور تأتي على اغصانها مغرّدةً صادحةً بنغماتها الطيّبة المطربة كأنَّها بذلك تحيّي الربيع المقبل وتستقبل الطبيعة المنتعشة

في تلك الضحى وعلى تلك الحال التي وصفنا كانت جثَّة الراهبة اغنس راقدةً في ردهةٍ من دير «راهبات المرضى» في ظلّ صليبٍ مرتكز لدى رأسها.. وكانت تلك الفتاة القديسة كأنَّها نائمةً بهدوّ النوم الاخير. وكأنَّ الموت ذاتهُ قد وقَّر واستهاب فريستهُ الكريمة اذ توقَّف عن اتلاف تلك الجثَّة الطاهرة فلم يعترها فساد. بل كانت وهي جثة مبتسمة ذلك الابتسام العطوف اللطيف الذي كان اثناء حياتها يبدو دائمًا على شفتيها

وكانت الردهة التي فيها جسد الفقيدة مظلمة بعض الشيء لما على نوافذها من السجوف المسدولة وكان حول الجنازة صفّ من الشموع تحدثُ انوارها مشهدًا مهيبًا ينشئ في النفس حاسَّات لا يستطاع التعبير عنها. وكانت الراهبات رفيقات الفقيدة متنقبات بنُقبهنَّ البيضاء يتناوبن الركوع حول مرقدها ويسكبن من عيونهنَّ الدموع ومن افواههنَّ الصلوات

وقد اقبل ايضًا على الردهة التي كان فيها جسدُ الفقيدة عددٌ كبيرٌ من الغرباء تباعًا مدفوعين الى الامر بتلك الجاذبية غير المعروفة التي بها تجتذبُ القداسةُ النفوسَ وتستهوي الالباب

ثم انفتح باب الغرفة ودخل منهُ اربعة اشخاص بملابس السواد ووشاحات الحداد الكامل وهم رجلٌ وامرأة عليهما سيماء الوقار ثم صبيَّة يستند الى ساعدها شابٌّ عليهِ آثار المرض وكنتَ اذا امعنت النظر الى ما كان عليهِ ذاك الشاب من الهزال واصفرار اللون صعب عليك ان تعرف انهُ البارون دي لينس خطيب وردة الذي كان ممتلئًا صحَّةً وقوَّةً ونشاطًا والذي كانت عناصر الحياة والبهجة تبدو على حركاتهِ وسكناتهِ. فتقدّم الاربعة الى مرقد الفقيدة وركعوا حولهُ واستمرّوا مدّة راكعين خاشعين متأملين يصلُّون و يبكون سرًّا.. اجل انَّهم كانوا يجدون لدموعهم رغمًا عن مرارتها مجرًى عذبًا وشهيًا لديهم فانهم

ببكائهم على الابنة المحبوبة والشقيقة العزيزة والخطيبة المأسوف عليها كانوا يعتقدون انها في السماء بين مصافّ القديسات ويلتمسون صلواتها وهي القديسة شهيدة الاخلاص . — امّا الراهبات فانهنّ خرجنَ من الغرفة اجلالًا للزائرين المتقدّم ذكرهم وتلطُّفًا بهم في حال حزنهم

وكان البارون لا يستطيع ان يحوّل نظرهُ عن جثّة الفقيدة التي كان يظهر وجهُها متغيّر الهيئة كأنَّهُ قد اشرقت عليهِ شعاعٌ من المجد السماوي الذي اصبحت نفسها تتمتّع بهِ منذ الآن فصاعدًا . ثمّ هتف شرل دي لينس : « ايتها الخطيبة الكريمة القديسة انني لم اكن اهلًا للاقتران بكِ مع اني قضيتُ ثلاثين سنةً بالكدّ والعمل لكي استحقَّ امتلاك مثل هذا الكنز الثمين . انّ الله قد سمح ان أَلحظ فضائلكِ برهةً . . فليكن اسمهُ مباركًا . . على انني انحني خاضعًا لاوامرهِ واحكامهِ التي لا يدرك اسرارَها بشر »

وربَّما كان البارون استطرق الى المزيد في تبيان حزنهِ واظهار تلهّفهِ بيد ان المسيو ب . نهض بمظهر المهابة وبساطةٍ ابويَّة قبض على يد سوسنَّة وجعلها في يد شرل قائلًا : « ليحبّ كلٌّ منكما الآخر يا ولديَّ وابقيا متَّحدين زمنًا مديدًا تلك امنيَّة فقيدتنا العزيزة وهي من اعالي السماء تبارككما كما اني اباركُكما انا ايضًا »

وبينما كان المسيو ب . يتفوَّه بهذه الكلمات خنقتهُ التأَثُّرات فانقطع عن الكلام ثم نهض جميعهم ولثموا يد وردة وعانقوا ذلك المصلوب الذي كان فوق رأسها ومنهُ التمست الفقيدة المحبوبة الشجاعة بالنظر اليهِ أثناء النزاع الذي انتهى بتضحية حياتها

ثمّ ان هذه الاسرة التي اشتدَّت عليها التجارب والامتحانات نظر كلٌّ من اعضائها الآخر بمحبة وبمظاهر الشعور بالسعادة ثم تعانقوا على التعاقب وكانت هذه المرّة الاولى التي شعروا بها بالانبساط منذ سنتين . وكانت الدموع التي سكبوها عندئذٍ آخر دموع ذرفتها عيونهم في حيوتهم حسبما تنبأَت وردة قبلًا

***

هذا ولم تطل المدّة حتى برح القنصل العام وذووهُ مدينة ڤينة عائدين الى سورية . ولم يأتِ اوّل الصيف حتى اقترن شرل دي لينس بسوسنَّة

وما زالت هذه الاسرة السعيدة عائشة الآن بالرغد والصفاء في منزلها القديم

تقضي عيش السلام والطمأنينة وتحفظ على صفحات الصدور ذكر الراهبة اغنس مع حاسَّات الشكر وعواطف المحبة والتكريم

امَّا غرفة التذكارات فما برحت في الدار على حالها قد جُعل شرل ناظرًا عليها يدبّر شؤونها. وقد اضافوا الى ما كان شرل قد جمعهُ فيها جميع الآثار التي كانت سببًا لتعزية وردة في حال نزعها واحتضارها. وكانت الاسرة كلّ سنة تأْتي « يوم احد الشعانين » تلك الغرفة المعتبرة عندهم كمتحف بل كمقدس للنقاوة والتُّقى وكانوا اذ ذاك يركعون امام المصلوب ويتذكَّرون جميع الحوادث الماضية بالنظر الى الآثار الموجودة لديهم. وكانوا ينظرون خصوصاً الى ذلك المصلوب الذي اودعتهُ وردة قُبلتَها الاخيرة وكانوا يلتمسون دائمًا حماية مَنْ كانت بحياتها كما انَّها بقيت بعد مماتها ملاكاً قائمًا على حراسة تلك الاسرة الفاضلة

وبعد مُضي سنة على الحوادث التي مرَّ بك ذكرها كنت ترى سوسنَّة تضمُّ الى صدرها وبين ذراعيها بحنو وانعطاف بنتًا رزقها الله اياها وكان اهلها عندما نصَّروها سموها « اغنس دى لينس » ليعيش بينهم اسم خالتها عنوان الشجاعة والشهامة ولئن كان ذكرها منطبعًا على صفحات الصدور لا يمحوهُ الدهر ولو مرَّ. ولا الزمان ولو كرَّ (انتهت)

شَذَرَاتٌ

فوائد زراعيَّة

١ عناقيد عنب ملوَّنة

انَّ احبَّ الكرَّام ان يحصل على كرمةٍ ذات عناقيد ملوَّنة فليعمد الى قضيبين من قضبان الكرم يأْتي احدها بعنب ابيض والآخر باسود وليسحق رأسها ويعصبها عصبًا لطيفًا ويغرسها في الارض. فاذا نبتا اتت الكرمة بصنفين من العنب ابيض واسود. وربَّما كان في العنقود الواحد حبوب ملوّنة سود فبيض. وهذا من غرائب الامور الظاهرة بالاختبار

٢ الزراعة في الصخور

انَّهُ لامر سهل ان تُزرع اشجارُ التُّفَّاح والجوز بين الصخور. وهاك الطريقة للحصول على ذلك. يجب اوَّلًا ان يُعيَّن محلّ كلّ شجرة فتُحفر في الصخرة حفرةٌ عمقها نحو متر فتُحشى بالبارود في اوَّل الشتاء وتُفجر كما يُفعل بالألغام. ثمَّ تُنحَّى قِطَع الحجارة الكبيرة. امَّا

القطع الصغيرة وما وُجد من التربة الحسنة فتُجمع في طرف الحُفَر وتبقى الامور على حالها طول الشتاء فاذا هطلت الامطار وحصل الجليد تدقّقت تلك الاحجار الكلسيَّة وتنعَّمت وصفَّاها الجوّ ممَّا فيها من الموادّ الضارَّة

واذا قدم فصل الشتاء في السنة التالية تزرع الاشجار في الحُفَر المذكورة ويشترط ان تُحاط جذورها بتربة حسنة ثمَّ تُطَمّ في وسط تلك القطع المرَضَّضة واخيرًا تحاط بحجارة ضخمة. فلا تلبث جذور التفَّاح والجوز ان تمتدَّ في وسط هذه الصخور وتجتذب ما تحتاج اليهِ من الغذاء والمائية. ويُقتضى ان تُغرس هذه الاشجار صفوفًا كرقعة الشطرنج وتُجعل ساقيةٌ لكلّ شجرةٍ لتسقيها مياه الامطار

وهذه الطريقة يجري عليها كثيرون من ارباب الزراعة في جنوبيّ فرنسة وفي مقاطعات كثيرة فينالون بها ارباحًا واسعة. ونظنُّ انَّ اهل لبنان اذا جرَّبوها أتتهم بنتائج حسنة في جبالهم حيث الصخور متوفّرة. وكلّ ما تقتضي كلّ شجرة من النفقات لايتجاوز مبلغ فرنكين

امرأة تحيا بلا معدة

قد اجرى بعض الدكاترة في باريس اختبارًا عجيبًا كان داعيًا الى ابحاث خطيرة. وهو انَّهم شقُّوا بطن سنّور وقطعوا معدتهُ واخرجوهُ ثمَّ خاطوا بلعومهُ بامعائهِ فالتأمت الاجزاء بعضها وتركوهُ على حالهِ. فعاش الحيوان مدّة شهرين او ثلاثة وهو يأكل ويشرب على عادتهِ. ثمّ مات

في اواخر السنة الماضية أُحضرت امرأة عمرها ٥٦ سنة في مستشفى زوريخ من اعمال سويسرة وهي مصابة بداء السرطان في المعدة. فلمَّا لم يبقَ للمسكينة من املٍ رضيت بان تُقتَلع معدتها. فباشر الدكتور سلاتر بهذه العمليَّة الدقيقة الخطِرة وقطع المعدة وخاط البلعوم بطرف المصير كما فعلوا بالسنور المذكور. فنجحت العملية اتمّ النجاح. ثم بعد يومين او ثلاثة قُدّم للمرأة قليلٌ من الحليب فشربتهُ ثم حُساء فشربتهُ ايضًا ثم بعد شهر اكلت لحمًا مُهرَّمًا. وقد اتت على يوم الاختبار شهور والمرأة لا تزال تعيش وتأكل وتشرب

اكتشاف معادن جديدة في الهواء

اوَّل من حلّل اجزاء الهواء العلاَّمة الفرنسيّ لاڤوازيار في آخر القرن السابق. فوجد فيهِ نحو ٢١ قسمًا من الاكسجين و ٧٩ قسمًا من الازوت وقليلًا من الحامض الكربونيك

الّا انَّ العلماء في هذه السنين الاخيرة قد وقفوا على عناصر جديدة في الهواء لم يعرفوها سابقًا . ففي سنة ١٨٩٤ وجد اللورد رَيلي (Rayleigh) عنصرًا آخر مهمًّا دعاهُ الارغون (Argon) وتمكَّن من افرازهِ عن الازوت والاكسيجين . فلم يمرّ على هذا الاكتشاف اربع سنوات حتى وقف كيمويّان آخران اسمهما رَمسي (Ramsay) وتراڤار (Travers) على جسم آخر استخرجاهُ من الهواء ودعواهُ كرپتون (Krypton) اي الجسم الخفيّ وقد حصلا على ذلك بتقطير الهواء السيَّال (راجع المشرق ص ٦٠٠) . فبعد غليان المائع تطاير اوَّلًا الازوت ثمَّ الاكسيجين فبقي الارغون سائلًا . وكان في قعر الزجاجة راسبٌ مختلف عن الارغون ففحصاهُ بالطيف الشمسيّ فوجدا لهُ خواصّ جديدة منها نور شبيه بنور الشَّفَق الشمالي . فكان ذلك علّة لوجود الكرپتون

ثمَّ تابع العالمان المذكوران اختباراتهما بتقطير الارغون فافردا عنهُ الكرپتون المذكور فوجدا جسمين آخرين احدهما بخاريّ غازيّ الطبع سمَّياهُ نيون (Néon) اي جديدًا . والثاني جامد لهُ بعض خواصّ الارغون لهُ نور في غاية البهاء اذا عُرض على الطيف الشمسي فلقَّباهُ بالميتارغون (Métargon) لما بينهُ وبين الارغون من الشَّبَه

وهذه الاكتشافات تؤيد ما يرويهِ اليوم العلماء في اصل تركيب الارض والجوّ المحيط بها . فكانت كلّ اصناف الغازات والبخارات منتشرة في الهواء حتى اذا جمدت قشرة الارض صَلِب قسمٌ من هذه الموادّ وحصلت اختلاطات كيمويَّة صفَّت الهواء من الاجسام التي لا تصلح للاستنشاق

صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت

افادنا المعلّم الفاضل الدكتور مرتين هرتمان انهُ اتَّصل الى معرفة نسب صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت الذي سعينا بنشر تأليفهِ تباعًا في المشرق . فوجد في بعض المقاطيع التاريخية التي استنسخها انَّ اسمهُ زين الدين صالح بن شرف الدين يحيى بن سيف الدين ابي البكر التنوخيّ وكان عمرهُ في سنة ٩٢٦ هـ (١٤٢٠ م) خمس سنوات . ووعد بنشر نبذة تاريخية عن هذه القضية

(نقول) انـنا نشكر للدكتور هرتمان عن هذه الافادة بيد انَّنا لا نظنّ انَّ زين الدين صالح المذكور آنفًا هو صاحب تاريخنا والبرهان على ذلك اوَّلًا انَّ اسمهُ في مقدّمة كتابهِ (راجع المشرق ص ٣٥) لا يوافق الاسم الذي ذكرهُ الدكتور هرتمان وقد دعا نفسهُ

في فاتحة تاريخهِ «صالح بن يحيي بن صالح بن الحسين». ثانيًا انَّهُ لو كان عاش الى اواسط القرن العاشر للهجرة كما زعم الدكتور هرتمان لكان ذكر الحوادث التي حدثت في ايَّامهِ ولا نراهُ في تاريخهِ يجاوز حدود القرن التاسع

ونظنّ ان صاحب تاريخ بيروت هو الذي ذكرهُ ابن سباط في تاريخ نسب يحيي خامس اولاد زين الدين صالح. قال وولد الامير يحيي وهو الخامس من اولاد الامير زين الدين صالح بن الحسين... الاميرَ الكبيرَ العالم المشهور بعلمهِ وفراستهِ صاحب العزم والحزم صالح بن يحيي بن صالح بن الحسين وهو الذي فاق زمانهُ وفاق اقرانهُ وقد جمع العلوم في معرفة الكواكب والنجوم والاسطرلاب ونظم الشعر وترتيب التواريخ وقد كتب تاريخ بيت التنوخ وهو صاحب الغزوات وقد حضر فتح قبرس»

حلّ اللغز الرياضي الوارد في العدد السابق

ورد لنا حلّ هذا اللغز من كثيرين اوَّلهم ا. ش. احد تلامذة مدرستنا ثم الخواجا ادمون بسُّول ثم السيدة ادما باحوط ثمَّ نجم الخوري زياده ثمَّ شكري عبد الله ابي صعب. والجواب ان الولد كان مالكًا في كيسهِ خمسة فرنكات و٢٥ سنتيمًا

٥,٢٥ × ٢ = ١٠,٥٠ − ٦ يبقى ٤,٥٠

٤,٥٠ × ٢ = ٩ − ٦ يبقى ٣

٣ × ٢ = ٦ − ٦ يبقى ٠

وقد حلَّهُ ايضًا حضرة الخوري جبرائيل رزق مرهج بطريقة الجبر كما يأتي:
اذا سمَّينا كمّية الدراهم (ك) فلنَا هذه المعادلة من الدرجة الاولى:

٢ [٢ (٢ ك − ٦) − ٦] − ٦ = ٠

واذا حللنا هذه المعادلة البسيطة يكون لنا ك = ٥,٢٥

قبر اوزيريس كبير آلهة المصريين

كان المسيو اميلينو بشَّر العلماء انَّهُ اكتشف قبر الاله اوزيريس فصادق بعض العلماء على اكتشافهِ (راجع المشرق ص ٥٨٢). وقد تصدَّى المسيو مسپرو الشهير بمعرفة العاديَّات المصريَّة لهذا الزعم وردَّ عليهِ في مجلَّة الكتابات والادبيَّات (Acad. des Inscriptions et Belles-Lettres, *Mars*, 1898, p. 278) والصواب انَّ القبر هو قبر بعض الفراعنة سيكشف المسيو غروف اسمهُ عمَّا قليل. انَّما رُسم عليهِ تمثال الاله اوزيريس ليس الَّا

أسئلة وأجوبة

سلفور الحديد

س سألنا الخواجا شكري حوّاء ان نفيده عن قطعة معدن اصفر برّاق كالذهب ارسل لنا منهُ مثالاً وطلب ان ندلّهُ على اسمهِ وثمنهِ

ج انّ هذه القطعة المعدنية هي متركّبة من سولفور الحديد وثمنها من الجنس الاثمان

صور البروج السماويّة

س وسألنا الخواجا فضول البستاني عن صور البروج السماويّة التي يرسمها الفلكيّون على اشكال هندسيّة كبرج الاكليل مثلاً او اشكالٍ حيوانيــة كالحمامة والاسد الخ فطلب هل رُكّبت هذه البروج من اصلها بيد الخالق على هذه الاشكال ولماذا تختلف هذه الصور المرسومة عمّا تبصر بهِ العــين في الفلك ألعلّهُ يوجد نجوم اخرى صغيرة تتمّم هذه الاشكال لا تُنظر الّا بالمراصد ؟


ج انّ تقسيم نجوم السماء الى بروج وتصاوير مختلفة يرتقي عهدهُ الى الوف من السنين . وترى هذه العادة جارية عند جميع الشعوب كالهنود والصينيين والاشوريين . وامّا سبب ذلك فلتعريف اجزاء السماء والاستدلال على الكواكب كما تظهر للعيان لا كما وُضعت في الافلاك . ولمّا رأوا في بعض هذه البروج شيئاً من الشبه بالاشكال الهندسية او بالحيوان او النبات او الآلات فدعوها بهذه الاسماء وربّما تصوّرت الشعوب البرج الواحد على صور مختلفة فدعاهُ البعض باسم وغيرهم باسم آخر كبرج بنات نعش مثلاً قد دعاهُ الفرنج الدبّ الكبير ويدعوهُ غيرهم العجلة . فاذا رُسمت هذه البروج ترى كلّ شعبٍ يرسمها كما تصوّرها فمرجع هذه التصاوير اذًا الى مخيّلة الامم والفلكيــين لا لكون البارئ تعالى صوّرها على هذه الاشكال . هذا ولا نعرف من امرها الّا النزر القليل لبعدها عنّا

تنبيه

قد ورد لادارة المشرق عدّة كتابات واسئلة لتدرج في المجلّة الّا انّها لم توقع بامضاء اصحابها خلافاً لما جاء في الملاحظات المدرجة في غلاف كلّ الاعداد وعليهِ فلم نعبأ بها

ل . ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ١٨ تموز الى ٢ آب ١٨٩٨



انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (—) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امّا الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

آثار حمص القديمة

نبذة للاب بولس جوون اليسوعيّ

كانت حمص منذ بضعة اعوام خارجةً عن دائرة سياحة السيّاح لا يقصدها من الجوّالة الّا الافراد . امّا جمهور الزوّار فكانوا يحجّون الى الاراضي المقدّسة ليتبرّكوا باستلام قبر المسيح واكرام آثار الفادي لذكرهِ المجد في انحاء فلسطين . وربّما هرع منهم بعض الفِرَق الى جهات الشام لمعاينة مدنها القديمة او يمّموا بعلبكّ للبحث عن ابنيتها العاديّة او توقّلوا لبنان لتسريح العيون في مناظرهِ الشائقة والاستظلال تحت اغصان ارزهِ الباسقة وكانت حمص في اثناء ذلك راتعةً في بطحائها الفيحاء مطوّقةً بقلادة جنّاتها الغنّاء . لا يقلق سكينتها رحّالةٌ اللهمّ الّا نادرًا

امّا الآن فقد اضحى السفَر الى حمص من اسهل الامور . فتركب عند بُلجة الصبح العَجَلةَ (الديليجنس) من طرابلس وتبلغ حمص بُعَيد العصر فيكون مجموع ما قطعتهُ من المسافة اربعًا وتسعين كيلومترًا . وليس في طول هذه الطريق من القرى المهمّة غير تلّ كَلَخ . اما الطريق فتجاور شاطئ البحر مدّة ساعتين ثم تدور وراء جبل عكّار المتّصل شمالًا بلبنان وهو يشبههُ بعلوّ قممهِ الشاهقة المكلّلة بالثلوج الغراء . ثم تميل نحو الشرق وتنساب في وديان ليست بعميقة الغور الى ان تقطع النهر الكبير المدعو في كتب الاقدمين بنهر أُلُوثاروس . وتمرّ في وسط سهل البُقَيعة وهي البطحاء الفاصلة بين سلسلة لبنان جنوبًا وجبل النصيرية شمالًا . ولا يلبث المسافر ان يُشرف على بقعة العاصي وعلى بُحيرة حمص ومياهها الصافية الزرقاء الضاربة الى الخضرة . وبعد قليل تقطع العربةُ نهر العاصي في موضع تزخر فيه المياه وتندفع بشدّة ثم ينتهي المسافر الى حدائق رائعة كرياض دمشق تفضي بهِ الى حمص

واوَّل ما يستجلب النظر في حمص قلعتها وهي الآن عبارة عن اكمة واقعة في طرف البلدة تطلّ عليها. فاسرعنا قبل غروب الشمس ان نرقى هذه الربوة لنشمل بلمحة عين جميع انحاء المدينة فنكون على بصيرة من وضعها وخواصّها. وليست حمص كحماة وانطاكية على ضفَّة العاصي بل تبعد عنهُ نحو ميلٍ. والسبب الارجح لذلك لتكون المدينة على مقربةٍ من القلعة. فلمَّا رأى الاقدمون انَّ السهل متَّسع لا يصعب فتح مدينتهم ما لم تكن في حراسة حصن حصين عمدوا الى ربوة كثيرة الصخور في شرقي النهر على مسافةٍ نصف الساعة منهُ فجهَّزوها بنقل المواد اليها وجعلوها قلعةً في وجه العدوّ

ولم تُبنَ المدينة حوالي القلعة كما ترى في حلب فانَّ قلعة الشهباء صناعيَّة ايضًا وهي في ظهرانَي البلد تُحدق بهِ مساكن الاهلين. امَّا حمص فموقعها في شمالي قلعتها وكانت هذه القلعة من الحصون المنيعة الحريزة التي لا يطمع في فتحها الَّا الابطال وهي على صورة مخروط قُطع رأسُهُ ودَوْرها نحو تسعمائة متر وعلوّها فوق المدينة نحو ثلاثين مترًا وجانبها المواجه للمدينة ذو عَطْفةٍ سريعة المهبط. امَّا الجانب الآخر فهو مصفَّح بالحجر البركاني تصفيحًا محكمًا. لم يبقَ اليوم من هذه القلعة سوى آثار من البناء المستحدَث. ومن استقرى جهتها الشرقيّة وجد عَمَدًا وبقايا ابنية نُقلت كما نظنّ من هيكل الشمس القديم ذي الشهرة الطائرة في حمص. وكان خراب القلعة على يد ابرهيم باشا قوَّضها لانتقاض اهلها عليه

وكانت لنا هذه الاكمَة بمثابة مرقبٍ سرَّحنا منهُ العين في انحاء الأُفق لمشاهدة المناظر الجليلة المحدقة بحمص. فكنَّا نرى غربًا جبل النصيريَّة الذي يضاهي لبنان في محاسنهِ بيد انَّهُ اخصب تربةً وهو يمتدُّ من الجنوب الى الشمال موازيًا للبحر وينتهي عند انطاكية. وكنَّا نحاول ان نرى من جهة شمالنا مدينة حماة المشهورة المسمَّاة في كتب اليونان ايبفانية الَّا انَّهُ كان يحول دون نظرها نَجَواتٌ واقعة بينها وبين حمص وبُعد حماة عن حمص نحو ثلاثين كيلومترًا وموقعها على ضفّة العاصي. امَّا من جهة الشرق فما كانت ابصارنا تكشف سوى الصحراء المتَّسعة الارجاء المنبسطة الى تدمر ثمَّ الى الفرات. بخلاف الجنوب فانَّ مناظرَهُ فتَّانة. فكنَّا نُعاين عن بُعد قمم جبل الشيخ الذي وراءهُ عاصمة الشام وحاضرة الخلفاء ثمَّ وادي العاصي وبُحيرة حمص المعروفة ايضًا ببحيرة قادش لوقوعها بجوار مدينة قادش الشهيرة. وكنَّا نرى ايضًا بازائنا ما اشرف على العاصي من سلسلة جبل عكَّار. هذا فضلًا عن ابنية حمص ومساكنها القائمة الواقعة تحت اقدامنا. وهي تحتوي على نيف

وخمسين الف نفسٍ . ولا تجد في ابنيتها الحديثة ما يستحقّ الذكر فان اكثر بيوتها مربَّعة الشكل لا طوابق لها يعلوها سطحٌ من تراب مدكوك

هذا وان حَلِيت مناظر حمص الحديثة في عيننا الّا انّنا وجدنا في آثارها القديمة ما هو احرى بالاعتبار والذكرى فاحببنا ان نلخّص شيئًا من هذه المفاخر التي شرَّفت مدينة حمص منذ سالف الزمان

اعلم انَّ حمص من اقدم بلاد الشام وقد زعم البعض انّها من بناء اليونان . لكنّها قد سبقت عهدهم بزمنٍ طويل وجاء وصف شعبها في مراسلات تلّ العمارنة المكتشفة منذ عهد قريب تُطرئ هذه الآثار جَلَد الحمصيين وثباتهم وبسالتهم في الحروب وذلك في القرن الخامس عشر قبل المسيح (١

وكانت حمص في القرن السابق لزمان المسيح مملكة مستقلَّةً تولَّى امرها دولةٌ وطنيَّة . وقد ذكر اسطرابون الجغرافي (ك ١٦ ف ٢) اسم ملكها سَمْسِغراموس او سَمْپسيكراموس المالك عليها في اواسط القرن الاوَّل قبل المسيح . وجاء في كتاب العاديَّات اليهوديَّة ليوسيفوس المؤرّخ (ك ١٩ ف ٨) ذكر ملكٍ آخر يدعى ايضًا سمسغراموس عاش مئة سنة بعد الاوَّل . وقد خلفهُ في المُلك ولداهُ عزيز وصُوَيم ولم تلبث المدينة حتى استولى عليها الرومان نحو سنة ٨٠ بعد المسيح تشهد بذلك مسكوكات دوميطيانوس قيصر

وفي اسم سمسغراموس المذكور نظرٌ فانّهُ مركَّب من «سَمْس» او «شمس» وهي إلهة تلك البلاد . ولا يجهل القُرَّاء انَّ بعلبك (وهي في جنوبيّ حمص على ثلاث مراحل منها) كانت مركزًا لعَبَدة الشمس كما يدلُّ على ذلك اسمها اليوناني هيليوپوليس اي مدينة الشمس فانتشرت عبادة الشمس في الولايات المجاورة لها

وكان لحمص هيكل عظيم باسم الشمس قد رسم وجههُ الملكُ الروماني كركلّا على النقود المضروبة باسمهِ . وكان هِلْيوغابال احد ملوك رومة عظيم سَدَنة هذا الهيكل وكان عمرهُ لم يتجاوز الاربع عشرة سنة حين جلس على منصَّة الملك في سنة ٢١٨ . بيد انَّ ما اجترحهُ في مدّة ملكهِ من الآثام الفظيعة وما فرط منهُ من افعال التخنُّث والتهتُّك يشهد لنا على سوء آداب عبدة الاصنام واحبارهم في حمص

وفي جوار حمص دارت الدوائر على زينب ملكة تدمر اذ احاقت بها قوَّات الرومان

(١ Conder: *Tell Amarna Tablets*, p. 18

فخارت دون مقاومتها ونبدَّد جيشها وتمكَّنت هي من الفرار الَّا انَّها بعد قليل وقعت في ايدي العدوّ وجرى لها ما جرى. وكان اذينة زوجها قُتل غيلةً قبلها في حمص (راجع ص ٦٩١ من المشرق)

وفي حمص دُفن خالد بن الوليد الملقَّب بسيف الله. ولا يزال قبرهُ مكرَّمًا الى يومنا قد بُني فوقهُ مسجدٌ يقصدهُ المسلمون. وليس في البناء ما يستحقّ الذكر سوى انهُ يعلوهُ قباب مبيَّضة بالكلس. واخبرني الشيخ القائم على حراسة المسجد انَّ المسجد قديم البناء وقد رمَّمهُ السلطان الملك الظاهر بيبرس لكنَّني لم اجد لهُ كتابة ولا شعارًا كما نرى في الجوامع التي شيَّدها هذا السلطان في مصر والشام وعليها شعارهُ وهو صورة اسدَين متواجهين

هذا وقد قرأنا في كتاب معجم البلدان لياقوت (٢ : ٣٣٦) ما نصُّهُ: «وبها (حمص) دار خالد بن الوليد وقبرهُ فيما نقال وبعضهم يقول انَّهُ مات بالمدينة ودُفن بها وهو الاصحّ .. وقيل ان خالد بن الوليد مات بقريةٍ على نحو ميل من حمص وانّ هذا الذي يُزار بحمص انَّما هو قبر خالد بن يزيد بن معاوية» (اه) والله اعلم

وفي سنة ١٠٩٩ فتح الصليبيُّون مدينة حمص ودخلوها بالامان الَّا انَّهم لم يُبقوا فيها لملكهم اثرًا . امَّا ما شادوهُ من الابنية في كلّ المقاطعة التي بين حمص وطرابلس وعلى شاطئ البحر وفي جبال النصيريَّة فانَّهُ لا يكاد يُحصى ولم تزل الى يومنا منهُ بقايا جليلة قد وصفها وصفًا حسنًا العلَّامة رِهْ (Rey) سابقًا والمسيو دوسو (Dussaud) منذ سنتين

وفي سنة ١٢٦٠ زحفت الى الشام عساكر المغول فوصل طرفٌ منهم الى المعرَّة فخربوها وتسلَّموا حمص وحماة بالامان. غير ان قُطز التركماني سلطان مصر لمَّا علم ان هولاغو كبير المغول رجع الى المشرق ولم يترك في الشام سوى عشرة آلاف فارس بامرة كتبغا نائبهِ استضعف امرهم وجمع عسكرًا دهمًا لمحاربتهم والتقى بالمغول عند حمص وكسرهم كسرةً قبيحة وقتل كتبغا. بيد ان المغول عادوا بعد سنين قليلة وانتقموا لانفسهم وفرَّقوا ايدي سبا العساكر المصريَّة التي كان الملك الناصر سيَّرها لمقاتلتهم (سنة ١٢٩٩). وكان آخر اثر لمرور المصريين في حمص سنة ١٨٣٢ لمَّا فتحها ابرهيم باشا بعد واقعة نصيبين واخرب قلعتها

ومن غريب الامور انَّ في حمص وجوارها آثارًا كثيرة مصريَّة ترتقي الى عهد الفراعنة.

وقد وُجد منها عدد وافر كاصنـام آلهة مصر وتماثيل وتمائم وحليٍّ وادواتٍ شتَّى وقد زعم البعض انَّ هذه الآثار من شغل المصريين اتوا بها الى الشام عند تولّيهم عليها. وقيل بل هي شغل السوريين وضعوها لخدمة المصريين. وعلى كلّ حال فانَّها تشهد بلسان حالها بنفوذ المصريين واتّساع شوكتهم في البلاد الشامية. ودام ملكهم في سوريَّة اجيالًا طويلة في عهد الدول المصريَّة الثلاث الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين فاخذ السوريون شيئًا كثيرًا من عوائد آل مصر وتديَّنوا بدين سكَّان وادي النيل وربَّما خلطوا بين اديان مصر والشـام فوحَّد اهلُ جُبَيل الاله اوزيريس والههم ادونيس فعبدوهما معًا. وقد وقف المسيو دوسو في حَلَة على مسافة تسع ساعات في غربيّ حمص على كتابة يونانية تدلُّ على تعبُّد السوريين للاله اوزيريس وفيها مكتوب « عبد اوزيريس الذي باركهُ بعل » (١

وحمص مع قدمها لم يكُ لها في زمن الفراعنة شهرة كبيرة وانَّما كان الامر والعظمة لمدينة اخرى خطيرة الشأن تدعى قادش وكان موقعها عند بحيرة حمص المدعوَّة لذلك ببحيرة قادش. وبعقربة من هذه المدينة فاز رعمسيس الثاني ملك مصر «برَعاع الحثّيين» بعـد اخطار كثيرة دهمتهُ من قبل العدو. ونجا منها «بمعونة ابيهِ الاله أَمُون را». وقد وصف انتصارهُ هذا على الحثيين في كتابة رتاج هيكل الأَقصر وعدَّد في هذه الصفيحة فتوحاتهِ ومفاخرهُ الملكية. وقد رجَّح المسيو غوتيار (Gautier) بعد البحث الطويل ان موقع مدينة قادش كان عند التلّ المعروف اليوم بتلّ بني مندو

ولكن قد حان لنا الآن بعد النظر في ذكر حمص القديمة ان ندخل البلدة ونتجوَّل في شوارعها لنلتقط شيئًا من اخبارها وآثارها. ولسائل ان يسأل ماذا بقي من ذلك الهيـكل المعدود من عجائب الهندسة اي معبد الشمس في حمص. نجيب انَّ بقايا هذا الهيكل عزيزة جدًّا انَّما نظنّ انَّ الحجارة الضخمة البيضاء الضاربة الى الصفرة الباقية الى يومنا في ساحة المدينة بقرب السوق كانت اساسًا لهذا الهيكل. ومن هذه الحجارة قِطعٌ اخرى كـبيرة اتخذها البنَّاؤون لبناية الثكنة. وما خلا هذه الحجارة لا نجد في حمص سوى الحجر البركانيّ المسودّ الذي يكسو البلدة بهيئة قاتمة كَمِدة. ولمَّا اراد الحمصيُّون بناء هيكل الشمس لم

(١ Mr Dussaud : *Revue Archéologique*, 1896, p.

يرضوا لالهتهم البهية النور بما فيهِ لمحةٌ من الظلمة فطلبوا لها حجارةً بيضاء جلبوها من مسافة بعيدة وشيَّدوا بها هيكلهم

امَّا موقع هذا المعبد الشهير فليس تعيينهُ بامر سهل والمرجَّح انَّهُ كان في مقام المسجد الجامع الذي يُعرف اليوم بمسجد النور. وما يؤيد هذا التخمين بقايا اساطين وعَمد من حجر الصوَّان الباقية الى اليوم في ساحة المسجد. ومنها عمود ضخمٌ كلسيّ داخلٌ في جدار الجامع منصوب على ركنٍ قديم وفي وجه الركن كتابة يونانية. فمن يرى هذا العمود لا يشكُّ انَّهُ لم يُزحزَح عن موضعهِ القديم وانَّهُ كان من جملة بناية جليلة الشأن اخنى عليها الزمان. ولعلَّهُ في اسم الجامع « مسجد النور» دلالة على موقع هيكل الشمس سابقًا والله اعلم

ومن مآثر حمص الحَريَّة بالذكر بناء مرتفع في غربيّ البلدة قريبًا من المقبرة يدعوهُ الحمصيُّون الصومعة. ولا يخفى انَّ الصومعة عند العرب تدلُّ على بناء عالٍ مدقَّق الرأس وربَّما دلَّ على مقام الرهبان. ولهذه البناية اسمٌ آخر عند اهل حمص يدعونها القبر و بعضهم يسمّيها قبر قيصر. وهي في الحقيقة تشبهُ القبر بعض الشبه وفيها لمحة من هندسة الحصون. ومن تأمَّلها وجدها كبرج عالٍ مربَّع تبلغ جوانبـهُ خمسة عشر مترًا وهو مبنيٌّ بالآجرّ المرصوص الحسن الشيّ بالنار المطليّ بالملاط. وكان خارجهُ مصفَّح بنحيت الحجارة لم يبقَ منهُ اثرٌ الَّا في جهتهِ الشماليَّة وهو على شكل شبكة تتنـاوب فيها الحجار السود والبيض. وفيهِ نقوش هندسيَّة بسيطةٌ تفصل كلَّ طبقة عن اختها وهي على شكل خطوط ناتئة واكاليل وكلُّها من الحجر الاسود البركانيّ. ولم يطلعنا احد على غاية هذا البناء ولا يُستدَلُّ من النظر في اجزائهِ على خواصهِ لما اصابهُ من الخراب. والظاهر من نقوشهِ انَّ صانعهُ كان من اهل البلد وامَّا تركيب ملاطهِ فهو اشبه بشغـل الرومان. وقيل لي انَّهُ وُجدت فيهِ قديمًا كتابة يونانية يؤخذ منها ان البنيان قبر ملوك حمص السابق ذكرهم. ولعلَّ هذا البناء هو الذي ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٣٦) ودعاهُ « القصر » وزعم انَّ بانيَهُ هو خالد بن يزيد بن معاوية قال: « وآثار هذا القصر في غربيّ الطريق باقيـةٌ »

وممَّا اكتُشف حديثًا في حمص سربٌ وجدهُ الخواجا سليم زكُّور في مُلكٍ لهُ في حيّ باب السباع. وهو مدفن واسع يُنزَل اليهِ بدرج يُفضي بالزائر الى سطح مربَّع وعلى جانبيهِ يمينًا وشمالًا اربع غُرف وكلّ غرفةٍ مهيَّأة لعدّة جثث. وهذا المدفن مُحكم الصنع لا

يدخل في بنائهِ حجرٌ وكلُّهُ مبنيّ بالآجرّ يبلغ طول الآجرّة ٢٨ سنتيمترًا في ٢٠ س عرضًا وثلاثة سمكًا ويضمُّ الآجرّ بين بعضها ملاطٌ من الكلس ونفاية القرميد والحصى. والحنايا مقوَّسةٌ تتساند الى بعضها. وفي الجدار الداخلي مَشَاكٍ اُعِدَّت لوضع الواحٍ غايتها دَعْم الآجرّ لئلاَّ يهبط كما يصنع المهندسون في ايَّامنا بمصر والشام. وكان السطح المربَّع تعلوهُ سابقًا قبَّة وبقربهِ اليوم بئرٌ وبقايا مساكن قديمة. والارجح انَّ هذا البنيان من آثار الرومان وصفناهُ هنا لانَّ مثلهُ قليلٌ في الشام

وترى في كلّ شوارع المدينة بقايا عَمَد واساطين ورؤُوس اعمدة وعَتَبات كُسرت فاتُّخذت اقسامُها للبناء الحديث. والكتابات اليونانية في حمص كثيرة منها وثنيّة ومنها نصرانيّة قد نشر بعضها بالطبع العلاَّمة وَدِنغتُن(١. وفي السنة الماضية قد وجد غيرَها الدكتور لويس موسيل تريل مدرستنا الكلّية في بيروت. ولا يزال منها شيء كثير داخل بيوت الخاصّة يصعب الوصول اليها

وقد دخلت النصرانية في حمص بعد المسيح بقليل لكنَّ آثار الدين المسيحي قليلة واخصُّها الكنيسة الكبرى المشيَّدة على اسم القديس يوحنَّا المعمدان. وكان موقعها في محلّ هيكل الشمس. واخبر ياقوت الروميّ (٢: ٣٣٥) « انَّ أبا عُبيدة لمَّا فرغ من امر دمشق قدم حمص على طريق بعلبكّ ونزل بباب الرَّستَن فصالحهُ اهل حمص على ان امَّنهم على انفسهم واموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم واستثنى عليهم رُبع كنيسة يوحنَّا للمسجد ». وفي هذه الكنيسة بقيت مدّةً هامةُ القديس يوحنَّا الصابغ كما ذُكر في السنكسار الروماني في ٢٩ آب وفي السنكسار اليوناني في ٢٤ شباط (٢ وقد درست آثار هذه الكنيسة الجليلة

وقد اشتهر في حمص بعض القديسين واشهرهم الطبيب جُليـان يدعوهُ نصارى حمص باسم إليان وهو من شهداء القرن الرابع امر بقتلهِ مكسيمينوس غاليريوس في سنة ٣١٢ م وقبرهُ لا يزال مكرَّمًا الى يومنا في كنيسة الروم بحمص وهو مصفَّح بالرخام الابيض لا يزينهُ شيء سوى صلبان نُقشت فيهِ. وفي حمص استشهد على عهد دِقيوس الشهيدان

١) راجع Wadington: *Inscriptions grecques et latines de la Syrie,* p p. 589-591

٢) راجع كتاب الاب نيلس Kalend. utriusque Ecclesiæ I, 111

غَلَقْتيون وزوجتهُ ايبستيمة (١. وفي هذه المدينة ايضاً وُلد في اواسط القرن الخامس القديس رومانوس الشمَّاس الذي اشتهر بعدئذٍ في بيروت وكتب التسابيح الكنسيَّة (٢ اماَّ مشاهير الادباء والكتبة الذين يفتخر بهم اهل حمص فكثيرون نكتفي بذكر لنجينوس (Longin) الفيلسوف الشهير الذي اختصَّتهُ زينب ملكة تدمر بخدمتها (٣. ومنهم في زماننا الشاعر النصراني المشهور بطرس كرامة الحمصيّ

هذا ما امكننا جمعهُ من مآثر حمص القديمة اماَّ حمص الحديثة فلا نتعرَّض لوصفها. والأولى انَّ احد ابنائها يقوم بهذا المشروع فينعتها بما هي اهل لهُ والسلام

اشتراك الكهنة بالتقديس

لحضرة الاب جان پاريزو من رهبانيَّة القديس مبارك

١

(كنَّا اثنينا في بعض اعداد المشرق (ص ٤٣٠) على هذه المقالة واشرنا الى ما تتضمَّنهُ من الابحاث المهمَّة لمعرفة اصول الطقوس الشرقيَّة. فسألنا بعض ارباب الدين ان نعرِّبها لهم ليقفوا على فوائدها وينسجوا على منوالها فلبَّينا الى طلبتهم بعد نوال الرخصة من صاحبها)

لا يخفى انَّ اوَّل من تَعهدُ اليهِ الكنيسة القيامَ برُتَبها المقدَّسة انَّما هو الاسقف ثمَّ فرضت على الكهَنة الذين تحت سلطتهِ ان يصحبوا الحَبر في تتميم هذه الطقوس الجليلة فينجزوها بمعيَّتهِ (٤

ولمَّا كانت هذه الرتب في اوائل الكنيسة تتمُّ على نظام خصوصي ترى المجامع المقدَّسة تكرّر في قوانينها الامر للكهنة بان لا يقوموا بشيء من الخِدَم الدينيَّة بمعزلٍ عن الاسقف. ولا يباشروا رتبةً ما بحضورهِ ولاسيَّما تنهاهم عن تقريب القربان امامهُ. قال القديس اغناطيوس الشهيد في رسالتهِ الى اهل ازمير (٥: « فليحظر الكهنة ان يتولَّوا بنفسهم دون الاسقف شيئاً من الخدَم الكنسيَّة. وليعلموا انَّ القربان ليس بشرعيّ ثابت (βεβαία)

---

١) Ib., I, 293 ٢) Ib., I, 316

٣) راجع ترجمة لنجينوس التي كتبها سويداس (Suidas)

٤) راجع مقدَّمة تكريس الكهنة حسب رتبة الطقس الروماني (Pontifical romain)

٥) راجع مكتبة الآباء الكنسيَّة اليونانية (Migne, V, 713)

الّا اذا قرّبهُ الاسقف او الكهنة الذين فوّض اليهم ذلك اسقفُهم. فبدون الاسقف لا يسوغ للكاهن ان يُنصِّر احدا او يعقد حفلة القربان»

وكانت الرسوم القديمة تنهى عن نصب مذابح كثيرة في كنيسة واحدة وتأمر بتقدمة ذبيحة واحدة في النهار على المذبح الوحيد المنصوب فيها. وكما انّ الكنيسة حتمت على المؤمنين بحضور هذا القدّاس الحافل في ايّام الاعياد وبتقدمة ما سمحت بهِ انفسهم من التقادم وباقتبال سرّ القربان هكذا افترضت ايضًا على خدَمة الدين ان يحضروا في تلك الايّام لتتميم واجبات مراتبهم كلٌّ على حسب درجتهِ. فكان الشمّاس الرسائليّ ينجز الرُّتب السفلى والشمّاس الانجيليّ يخدم الكهنة في المذبح امّا الكاهن فكان يشترك بالذبيحة اشتراكًا تامًّا ليس فقط بالتقرُّب كبقيَّة المؤمنين لكن ايضًا بانجاز الذبيحة بصحبة الاسقف

فهذه كانت العادة الجارية في غرّة النصرانية. وجاء في كتاب الرسوم الرسولية (١ : «انّهُ يُقتضَى عن الكهنة ان يقفوا على يمين الاسقف وشمالهِ في وقت اقامة التقديس كما كان التلاميذ محدقين بالربّ في العشاء السرّي. واذا صلَّى الحبرُ بخفوت الصوت عليهم ان يقتدوا بمثالهِ». فيتَّضح من هذا القول انّ الكهنة كانوا يحضرون الذبيحة اذا قدّمها الاسقف ويشاركونهُ في العمل

وفي قوانين مجمع قِنصَار (Néocésarée) المنعقد قبل المجمع النيقويّ (سنة ٣١٥) كلام صريح عن تقدمة الكهنة للذبيحة مع الاسقف. فانّ الآباء يحظرون على الكهنة الغرباء ان يقاسموا اسقف البلدة وكهنتها في الذبيحة اذا اتوا مدينة غير مدينتهم وقد استثنوا من هذا الحكم من كانت لهُ رُتبة الخوريفِسقُوفوس فيُسمح لهُ « ان يشارك في الذبيحة العمومية» من يتولَّى تقدمتها وذلك اجلالًا لشأنهِ (٢

ولنا شاهد آخر لا ريب فيهِ على هذه العادة في ما اثبتهُ باسيانوس اسقف افسوس في المجمع الخلقيدوني بخصوص احد كهنتهِ المدعو اسطفانوس قال (٣ : « وكان اسطفانوس احد كهنتي قدّم معي الذبيحة مدَّة اربع سنوات وتقرَّب معي وتناول من

---

١) راجع Pitra : *Juris Eccl. Græc. Historia*, p. 399, Constit. Apost. VIII ,12
٢) راجع الكتاب نفسهُ ص ٤٥٣ و ٤٥٤
٣) راجع مجموع قوانين المجامع (Labbe, IV, c, 695

ندي انا اسقفهُ » وشهد ايضًا ان اساقفة زمانهِ اذا وُجدوا سواء قدموا الذبيحة معًا (λειτουργήσαντες πάντες ὁμοῦ)

وقد ورد في ردّ القديس اثناسيوس على اشياع آريوس انَّ ايسخيراس احد كهنتهم « لم يشارك قطّ الاسقف في التقديس مع غيرهِ من الكهنة » (١

وممَّا يُخبر عن القديس سمعان العمودي انَّ اسقف انطاكية دُمْنوس اتاهُ ليزورهُ فقدَّس كلاهما في وقت واحد وقدَّما جسد المسيح الطاهر ثم اقتبلا القربان الاقدس من يد بعضهما بالمناوبة (٢

وقد بقي شيء من هذا الطقس الى عهدنا اليوم في المشرق كما سنبيّن. امَّا المغرب فقد جرى على هذه العادة الى غاية القرن الثالث عشر والادلَّة على ذلك كثيرة في كتب المؤلفين الكنسيين فان استقرينا شواهدهم ادركنا حقيقة هذه الرتبة عندهم

ذكر التاريخ عن القديس پولينوس النوليّ انَّهُ استقدم الاساقفة عند وفاتهِ (سنة ٤٢٦) وطلب اليهم ان يقدّموا جميعًا الذبيحة القُدْسيّة امامهُ لكي يشترك معهم بتقدمتها وينال بحسن دعائهم رحمةً من الله عند تُفارق روحهُ جسدَهُ. ثمَّ رخَّص للذين نفاهم عن مشاركة الاسرار ان يعودوا اليها في تلك الساعة ليمنحهم قُبلة السلام (٣

ومن رسوم مجمع طليطلة (سنة ٤٠٠) ان يحضر الكهنةُ والشمامسة كلّ يوم الذبيحةَ الالهيّة (٤. وحتم كذلك مجمع طرَّاغونة (سنة ٥١٦) على كلّ الاكليريكيين ان يجتمعوا ويستعدّوا منذ مساء السبت لرتبة يوم الاحد فيحضروا حفلتها جميعًا (٥. وقد بيَّن مجمع اقليم ارڤرنية (سنة ٥٨٥) معنى هذا المرسوم فقال (٦ : « ويُفرَض على كهنة المعابد وكنائس القرى في ايَّام الاعياد الاحتفالية كعيد الميلاد والفصح والعنصرة ان يجتمعوا في المدينة عند اسقفهم ولا يجوز في مثل هذه الايام ان تُقام الذبيحة الَّا في البيعة الاسقفية ». وهذه القوانين تُشعر بانَّ الكهنة كانوا يشتركون مع الاسقف في تقدمة القدَّاس ولولا

---

١) راجع اعمال الاباء اليونان (Migne, XXV, 296)

٢) راجع التاريخ الكنسي لايڤَغْريوس ك ١ ف ١٣

٣) راجع اعمال الاباء اللاتينيين (Migne, LIII, 860-861)

٤) راجع مجموع قوانين الجامع (Labbe, II, 1224)

٥) Idem, IV, 1564 ٦) Ib., IV 1806

ذلك لوجب القول انَّ الكهنة لم يقدّسوا في الاعياد الاحتفالية وهذا امرٌ غريب لم يمكن التسليم بهِ

وكذا يُخبَر عن القديس غريغوريوس البابا انَّهُ لمَّا قدم عليهِ وَفد بطريرك القسطنطينية قرياقوس أَذِن لهم بان يشتركوا معهُ في تقديس الذبيحة (١ . وبخلاف ذلك نرى رُسُل البابا يوحنَّا الثامن يأبون ان يقيموا القداس مع بطريرك القسطنطينية لان الحبر الروماني لم يسمح لهم بذلك (٢ .

وشهد أمالار في كتابهِ عن الرتب الكنسيَّة (٣ على عادة كنيسة رومية بهذا الشأن قال: « وفي رومية العظمى يُساعد الكهنةُ الاسقفَ في اثناء الذبيحة ويوافقون الحَبر بصوتهِ وحركاتهِ ». وفي هذا القول دليل على انَّ المشتركين في التقديس كانوا يتلون الصلوات التي يجاهر بها الاسقف ويرسمون على مثالهِ العلامات الطقسية. وقد نقل كثيرون في الكتب الليتورجية ما اوردهُ امالار المذكور . .

وكانت كنائس فرنسة تجري هي ايضاً على هذه العادة فيتَّفق الكهنة مع الاسقف للتقديس. يتقدَّمون معهُ الى الهيكل ويقبلون منهُ قُبلَة السلام ويجلسون اذا جلس ويقدّمون تقادمهم في اثرهِ ويشاركونهُ في تقديس جسد الربّ (٤. ولعلَّ الاساقفة كانوا يتناولون القربان من ايدي بعضهم بعضاً كما مرَّ عن القديس سمعان العمودي (٥

وذُكر في كتابٍ أمضاهُ اكليروس مدينة رِمس انَّ رئيس اساقفتهم إِبون لمَّا عاد الى كنيستهِ (في سنة ٨٤١) دخل البيعة وبصحبتهِ خمسة اساقفة وبعض كهنة فرافقوهُ الى كرسيهِ وجلسوا معهُ يباشرون كلَّ رُتَب القدَّاس الالهي (٦

وكان للبيعة الرومانية بعض عوائد خصوصيَّة لم تعمّ غيرها من كنائس الغرب. في

---

١) راجع مكاتيب القديس غريغوريوس في مجموع اعمال الآباء اللاتينيين (Migne, LXXVII, 892)

٢) في مجموع اعمال المجامع (Labbe IX, 142)

٣) في الكتاب الاوَّل الفصل الثاني عشر (Migne, CV, 1016)

٤) راجع كتاب امالار في شرح القداس (Migne, *l. c.*, 1244, 1317, 1321)

٥) يؤخذ ذلك من قول امالار في الكتاب المذكور (Migne, *l. c.*, 1328):
« Solent aliqui episcoporum quando invicem communicant tres portiones facere de oblatâ »

٦) راجع كتاب (Gallia Christiana, X, *Suppl*. p. 6)

الاربعة الاعياد الآتية وهي الفصح والعنصرة وعيد القديس بطرس هامة الرسل وعيد ميلاد الرب كان يجتمع الكرادلة من رتبة الكَهَنة للتقديس فيُعطى كلُّ واحد منديلًا يضعهُ على يديهِ ثمَّ يقدّم لهم كبير الشمامسة ثلاث خبزاتٍ. فاذا ما رقي الحبر الى المذبح قام الكهنةُ حولهُ على يمين الهيكل وشمالهِ في باحة الكنيسة فيتلون كلام التقديس معهُ على الخبزات التي في ايديهم. الَّا ان الاسقف وحدهُ كان يرسم اشارة الصليب على الكأس يمينًا وعلى الخبز شمالًا. وسبب هذا الاختلاف في كنيسة رومية وفرة الكرادلة المشاركين للحبر الروماني في التقديس. فكانوا لو احاطوا بهِ عند المذبح وقدَّسوا الاسرار بقربهِ لم يتهيَّأ للمؤمنين ان يروا الاسقف ويسمعوا صوتَهُ فلذلك تحتَّم إبعادهم عن الهيكل وتقديسهم على تقادم خصوصية كانت في ايديهم فتشغلهم عن الحركات الطقسية (١

وكان الكرادلة في غير هذه الاعياد الاربعة يحضرون فقط القدَّاس الحبريّ ويتقرَّبون الى قبول الاسرار من يد البابا. وكانوا اذا حان وقت الكلام الجوهري سجدوا وراءهُ صفوفًا مع الشمامسة الانجيليين والرسائليين ولا يتلو كلام التقديس غير الحبر الروماني (٢

وبقيت هذه الرتب الى القرن الثالث عشر كما يشهد على ذلك البابا اينوكنْت الثالث في كتابهِ عن الذبيحة (٣ قال: « ويقوم الكرادلة الكهنة وراء الحبر ويشاركونهُ في التقديس حتى اذا انتهت الذبيحة تناولوا الاسرار من يدهِ اشارةً الى حضور الرُسل حول المسيح في العشاء السرّي لمَّا قبلوا من يدهِ القربان الاقدس. امَّا اشتراك الكرادلة بالتقديس مع الحبر فذلك يبيّن لهم كيف تعلّم الرسلُ من الربّ رتبة التقديس ليس الَّا»

وآخر شاهد على هذه العادة القديمة انَّما هو جاك دي ڤِتري (المتوفى في سنة ١٢٤٠ وقيل ١٢٤٤) قال: « وقد جرت العادة ان يساعد الكرادلةُ الحبرَ الاعظم في تقدمة القداس ويشاركوهُ فيهِ » (٤. بيد انَّ هذين القولين الاخيرين لم يُذكَر فيهما شيء

---

١) راجع كتاب الطقس الروماني في مجموع اعمال الاباء ك ١ ف ٨ (Migne, LXXVII, 995)

٢) راجع الكتاب نفسهُ Ibid., 945, 974, 981

٣) في الكتاب الرابع ف ٢٥ (Ib., CCXVII, 874)

٤) كتاب تاريخ الغَرْب ف ٣٨

عن مشاركة الكرادلة للبابا في تلاوة الكلام الجوهري معهُ

واماً ما ذكرهُ العلاَّمة مابيليون (١ عن كُراد اسقف اوستيا وغيليوم اسقف رِمس انهما قدَّسا على مذبحين مجاورين في وقت واحد يومَ دُفن الملك فيليب أُوغست وانَّ الاكليروس كان يجاوب لكليهما معاً فذلك يخرج عن موضوع كلامنا لانَّهُ يدلّ على تقدمة قداسين في وقت واحد لا على اشتراك اسقفين في ذبيحة واحدة

٢

وبطلت هذه العادة في رومية كما يظهر في اواخر القرن الثالث عشر . فانَّ دُوران دي سان پُرسيان (المتوفى سنة ١٣٣٣) كتب في شروحهِ على تأليف بطرس لُمبَرْد : « انَّ عادة القدَّاس الاشتراكي قد انتسخت وانّنا لم نشاهد مطلقاً في طول مدَّة اقامتنا في جوار الحبر الرومانيّ احداً يشارك البابا بالتقديس (٢ »

اماَّ الاسباب لإبطال هذه العادة فمختلفة ولعلّ اوّلها انَّ الاحبار الرومانيين سكنوا في ذلك الوقت مدينة اڤنيون فلم يسمح ضيق كنيستها بمباشرة هذه الرتب الحافلة التي كانت تقتضي فسحةً كبيرة كما ترى في كنائس رومية . ولماَّ عاد البابوات الى ايطالية شغلتهم الشواغل وصدَّتهم فتَن الايطاليين التي اضعفت قوَّة النصرانية في ذلك العصر عن تجديد هذه الرتب الجليلة

وزد على ذلك انَّ الرهبانيَّات كانت توفَّرت في تلك الاثناء فاعتاد الرهبان ان يقدّموا الذبيحة مراراً في الاسبوع وذلك تنشيطاً لعبادتهم الخاصَّة او وفاء بما فُرض عليهم من القدَّاسات لراحة الموتى ولقبولهم حسنات الاوقاف . وعلى مثالهم اخذ الكهنة العالميُّون يقدّسون على انفراد

وجعل اللاهوتيون في ذلك الوقت يبحثون عن صحَّة التقديس الاشتراكيّ وتعدَّدت

---

١) كتاب Vetera analecta, p. 384

٢) Comment. in l. IV Sentent., dist. XIII, 9, 3 . وكتب بطرس اميليوس (سنة ١٣٧٠) في كتاب الرتب ما نصُّهُ : « وفي القداس الثاني يوم عيد ميلاد الرب يناول البابا الاسرار لكل من ليسوا من رتبة الاساقفة لان الاساقفة قد حُتم عليهم ان يقدّموا الذبيحة على حدة » (Migne, LXXVIII, 1184)

الابحاث في ذلك وتضاربت الاراء حتى جزم كثيرون بعدم جواز الامر وسندوا قولهم الى حججٍ لا حاجة في تعدادها هنا (١

وعلى كلّ حال فانَّهُ لم يبقَ اليوم في كنائس الغرب أثر لهذه العادة القديمة الَّا في موقعين فقط اعني في يوم تسقيف الاساقفة ويوم رسم الكهنة

وتكريس الاسقف على حسب العادة المألوفة اليوم يتمُّ قبل قراءة الانجيل. فاذا آن وقت التقدمة قام الاسقف الجديد على شمال المذبح وامامهُ كتاب القدّاس يتلوهُ مع الاسقف الذي سقَّفهُ ويصنع معهُ كلّ الاشارات الطقسيَّة ولا يتَّخذ الاسقفان الَّا قربانًا واحدًا وكأسًا واحدة ويتلوان صلوات التقديس على صورة لفظ الجمع (٢

وبعد ان يقتبل الاسقف القائم بالحفلة سرّ القربان تحت شكلي الخبز والخمر يقدّم للاسقف الجديد قسمًا من البرشانة المقدّسة ونصف مضمون الكأس فيتناولهما وهو واقفٌ في مكانهِ

واذا كان عدد الاساقفة المكرَّسين كثيرًا وقفوا في وقت التقديس على شمال الهيكل ولا سبب لذلك سوى حاجة الاسقف المتولّي الحفلة الى كتاب التقديس من عن يمينهِ وهناك يقف الكاهن المساعد لهُ. واذا نُقل كتاب التقديس الى شمال الهيكل انتقلت الاساقفة الجدد الى اليمين

وكانت قديمًا كتب الرتب تفرض على رئيس الرهبان بعد انتخابهِ ان يقبل القربان كالاسقف يوم تكريسه تحت شكلٍ واحد (٣. امَّا العادة الجارية اليوم في انتخاب هؤلاء الرؤساء فهي مختلفة فانَّهم يحضرون فقط القداس ولا يشاركون المحتفل في التقديس وانَّما نتقرَّبون الى الاسرار وهم جاثون

امَّا المقام الثاني الذي يشارك فيهِ الكهنة الاسقف في التقديس فهو يوم ارتقائهم الى منصب الكهنوت فانَّهم يجثون وراء الاسقف او على احد جانبي الهيكل فيتلون معهُ كل صلوات القدَّاس ويشاركونَهُ في كلّ اقسام الذبيحة تالين معهُ ايضًا الكلام الجوهري

---

١) راجع Suarez : disp. LXI, sect. IV, 5 و De Lugo : *de Eucharistia* disp. XI, S. VIII

٢) راجع كتاب الطقوس الحبريَّة الرومانية

٣) راجع كتاب طقوس الكنيسة القديمة (Martène, II, p. 67)

ويتناولون القربان من يدهِ تحت شكل واحد. وكانوا في سابق الزمان يقفون حول الهيكل ويتلون مع الاسقف كلَّ صلوات القداس ويصنعون معهُ الاشارات الطقسيـة كأنَّهم يقدّمون الذبيحة ثم تناولون من الشكلين (١. والعادة الجارية اليوم يرتقي اوَّل استعمالها الى سنة ١٤٨٥

وليست رتبة الاشتراك في التقديس يومَ نَصْب الاساقفة ورسم الكهنة الجدد من آثار عادةٍ قديمة. فانَّنا لا نجد لها ذكرًا في كتب الطقس السابقة للقرن الثاني عشر. وقد ورد ذكرها في احد تآليف القديس توما الأكويني كعادة جارية في بعض الكنائس وذلك ليتَّخذ المترشحون للاسقفيَّة وللكهنوت مثالًا يقتدون بهِ عند تقدمتهم الذبيحة على حدةٍ. وعمَّت هذه العادة كنائس المغرب بعد انعقاد المجمع التريدنتيني وتوحيد كتب الطقس على مقتضى اوامر الاحبار الرومانيين

امَّا في الاجيال المتوسّطة فكانت العادة الشائعة ان يحتفل الاساقفة وحدهم يوم تسقيفهم بقداس احتفالي وترى في كتب الطقس القديمة صورًا شتَّى لرتبة قداس الاساقفة الجدد بل وللكهنة المرسومين حديثًا (٢ وكلُّ ذلك دليل على التقديس الشخصي الذي لم يشترك فيهِ احد مع المباشر للطقس

وقد يوجد عند الغربيين صنف آخر من اشتراك جمهور الكهنـة في الاسرار ما خلا التقديس وذلك يوم خميس الاسرار عند تكريس الميرون فانَّ الاسقف يقوم بهذه الرتبة بمساعدة اثني عشر كاهنًا لم يحضروا فقط اجلالاً للاسقف لكنهم يشاركونهُ ايضًا في تجهيز الميرون فتراهم ينفخون على الاناء المحتوي لهُ ويعزّمون عليهِ ويصلّبون الى غير ذلك من الطقوس التي يسبقهم اليها الاسقف فيضعونها بعدهُ . . .

وفي الكتب الطقسيّة التي كانت مستعملة في كثير من كنائس فرنسة آثارٌ باقيةٌ الى يومنا تنبئُ بالعادة القديمـة التي نحن في صددها. فهذه الليتورجيَّات تعيّن عددًا معلومًا من الكهنة اللابسين الغفَّارة ليقوموا بجوار الاسقف او بقرب الهيكل ويتبعوا صلوات التقديس . . .

---

١) راجع الكتاب السابق (Ibid., l. c.)

٢) راجع ؛ Muratori : *Liturgia Romana Vetus*, *Venise*, 1748, p. 427-431 ; Ménard : *Sacramentarium Romanum*, III, 227

٣

بقي علينـــا ان نذكر شيئًا من عوائد الشرقيين في الوقت الحاضر بخصوص القداس الاشتراكي . فالكنيسة اليونانيّة لا تزال الى يومنا هذا محافظة كلَّ المحافظة على هذه العادة القديمة . فانَّ الروم ومن يجري على طقسهم لا يقدّسون في النهـــار الَّا قدَّاسًا واحدًا على مذبح واحد . فاذا وُجد كهنةٌ كثيرون في بعض الكنائس اجتمعوا معًا لحفـــلة القداس العموميّ

وهاكَ بالتلخيص ما ورد في كتاب الليتورجية المطبوع حديثًا (سنة ١٨٩٦) باليونانية في الاستانة بامر سينودوس الروم الارثوذكسي (ص ١٤٥ الى ١٥٠):

في ايَّام الاعياد الاحتفالية المدعوَّة بطقس القداس الاشتراكى ἱερατικὸν συλλειτουργόν انَّها لعادة جارية بيننا ان يشترك كهنة كثيرون في التقديس . فاذا تَمّت تلاوة الصلوات المفروضة وآنت ساعة الذبيحة يقوم الكاهن المعيَّن في كلّ اسبوع لمباشرة الرتب فيعدّ اللوازم للذبيحة . امَّا بقيّة الكهنة فلا يقومون اليهِ الَّا بعد اقامة صلوات أُخر يتناوبون في تلاوتها في الخورس فيمنح الواحد البركة ويتلو الآخر صلاة التريزاغيون ثم يعود الاوَّل فيقول «لانَّ لك المجد» والآخر «ارحم يا ربّ» الخ . فبعد ذلك يدخلون جميعًا قُدْس الاقداس وبعد لبس البدلات الكهنوتية ينتصبون امام المذبح فيقوم في الوسط الكاهن المتولّي الذبيحة وعلى يمينهِ الشماس . امَّا بقيَّة الكهنة فعلى جانبي المذبح

« ثمَّ يتقاسمون تلاوة الصلوات بصوت جهور على نظامٍ معيَّن . غير انَّهُ اذا كُرّرت الصلاة مرارًا ينبغي ان يعيدها الكاهن نفسهُ . امَّا صورة كلام الرب « خذوا وكلوا » او « خذوا واشربوا منهُ جميعًا » فيتلوها الكاهن الاوَّل بالرتبة وحدهُ . وكذلك يتناوب الشمامسة في تلاوة او ترتيل الصلوات المعيّنة اذا كثر عددهم »

ومن غريب الامور انهُ ربَّمـــا وجد كهنة وشمامسة يتَّبعون الطقس اليوناني ولكن يباشرونهُ بلغات مختلفة كاليونانيـــة والعربية والسلافية فتُتلى حينئذٍ الصلوات بكل هذه اللغات في القداس الواحد

واذا صار الطواف المعروف بالدخول العظيم يطوف الجميع فيحمل الكاهنُ المترئس الحفلة الكأس ويحمل الشماس الصينية وكلّ واحد من الكهنة شيئًا من ادوات التقديس

كالملعقة والحربة وغير ذلك . وعند قبلة السلام يأتي الجميع ويقبّلون الهيكل . وقبل تلاوة الكلام الجوهري ينزع الكهنة المشتركون في الذبيحة الغطاء الذي هو فوق التقادم فينفضونهُ معًا ويطوونهُ ويضعونهُ على الهيكل

وبعد ان يتناول الكاهن الاوَّل القربانَ ينصرف عن الهيكل فيقترب كلٌّ من الكهنة بنوبتهِ الى المذبح ويتناول من الشكلين . ثم يُعطى للشمامسة شيء من القربانة توضع في يدهم فيتناولونها بجانب الهيكل . ثم يعود الكلّ الى المذبح بعد قبولهم خمر البركة ويختمون القداس بالصلوات الاخيرة

وعند الملكيين بعض اختلاف في اتمام هذه الرتبة . فان الكهنة المشتركين في التقديس يتلون بصوت متخافت كلَّ الصلوات التي يرتّلها واحد منهم ويصنعون جميعًا كلَّ الاشارات والبركات الطقسيَّة كما انَّهم يتلون معًا كلام الربّ الجوهري على الخبز وعلى الخمر مشيرين اليهما وهذه الاشارة لم يَعُد لها ذكر في الكتب اليونانية الطقسية المطبوعة حديثًا في الاستانة

وقد جرت العادة في بعض كنائس الملكيين ان يخلع الكهنة الثياب الكهنوتية بعد المناولة فيتركوا الكاهن الاوَّل يتمّم الفرض وحدهُ . بيد ان كثيرين لم يرضوا بهذه العادة ويعدُّونها خرقًا في الطقوس . امَّا تلاوة الكهنة جميعًا للكلام الجوهريّ فقد اعتاد الامرَ كهنةُ الملكيين رغبةً في التقرُّب الى الكنيسة الغربية في الاجيال الاخيرة . وانَّما الغالب على ظنّنا انَّ العادة القديمة شرقًا وغربًا لم تختلف عمَّا تثبتهُ اليوم الكنيسة اليونانية في كتبها الطقسية فانَّ اشتراك الكهنة بالتقديس كان في الزمن الماضي واسع المجال فيشترك الكهنة جميعًا بالنيَّة ويقتسمون بينهم اقسام الصلوات واتمام الرتب المختلفة ويتّبعون اعمال الذبيحة ويتقرَّبون الى الاسرار المكرَّسة وقت الذبيحة تحت الشكلين

قال العلاَّمة جيورجي (١ في هذا الصدد : نقلًا عن بنديكتوس الرابع عشر « انَّ حقيقة هذه الرتبة ليست بمتوقّفة على كون الكهنة جميعًا يتلون كلَّ صلوات الذبيحة معًا . وهذا رأي مورين في كتاب الرتب المقدّسة اذ يقول : وكان الحبر الاعظم في بدء النصرانية يتلو الكلام الجوهري وحدهُ مع مشاركة الكهنة لهُ في التقديس . ثم بعد توالي الاجيال

١) راجع Giorgi: *De Liturgia Rom.*, *Roma* 1744 p. 13 و Morini: *De sacris ordinationibus*, III, Exerc. VIII, c. 1

جعل الكرادلة من رتبة الكهنة يوافقونهُ ايضاً في تلاوة هذا القسم الجوهريّ » وقد شهد الكتبة على دخول هذه العادة في كنيسة رومية . امّا خارجاً عنها فلم نجد في كتب القدماء شيئاً يؤيد رأي من يحتم على الكهنة عند اشتراكهم بالذبيحة ان يتلوا جميعهم الكلام الجوهري . ولا يُبطل قولنا عادةُ الاساقفة والكهنة الجدد في تلاوتهم كلّ صلوات القداس دون استثناء لأَنَّنا بيّنّا سابقاً ان هذه الرتب حديثة النشأة

امّا بقية الطوائف الكاثوليكية في الشرق كالموارنة (١ والسريان فانّهم قد ابطلوا بحكم مجامعهم هذه العادة واقتدوا بالكنائس الغربية فلا ترى بينهم اثرًا للاشتراك في التقديس

وممّا تقدّم يمكننا الآن ان ندرك ما ورد مرارًا في قوانين الكنيسة القديمة بخصوص العقابات الكنسيّة والنهي عن مشاركة الاسرار . فان الذي كانت تحرمهُ الكنيسة من اسرارها ليس فقط لم يَسُغ لهُ ان يتناول القربان لكنَّهُ ايضاً كان يُحْظَر عليهِ ان يقرّب التقدمة للهيكل وان كان من اعداد الاكليروس لم يُسمح لهُ بتتميم واجبات رتبتهِ . وبعكس ذلك من كان يُقبل في شركة الكنيسة كان يرخَّص لهُ بان ينتظم في سلك الكهنة ويتلو صلواتهم المقدّسة وينال منهم قبلة السلام ويشاركهم في تناول القربان الواحد والشرب من الكأس الواحدة فيصرّح امام الجمهور اتّفاقَهُ مع الكنيسة جمعاء بالمحبّة ووحدة الايمان كما جاء في سفر اعمال الرسل (٢ : ٤٤—٤٦) : « وكان جميع المؤمنين معاً وكان كلّ شيء مشتركاً بينهم . . . ويلازمون الهيكل كلّ يومٍ بنفسٍ واحدة ويكسرون الخبز . . . »

---

١) قد قلنا في كلامنا على هذه المقالة سابقاً انَّ كهنة الموارنة لا يزالون الى يومنا هذا يشتركون في تقديس ذبيحة واحدة (راجع المشرق ص ٤٣٠) فلا يلبس الحلّة الّا متولي الذبيحة امّا بقيَّة الكهنة فيكتفون بالبطرشيل وهم يقتسمون صلوات التقديس بينهم فالانجيل مثلًا يقرأهُ في الغالب الكاهن الثاني . امّا الكلام الجوهري فيتلونهُ جميعاً ويتناولون من يد المتقدّم . ونظنُّ انَّ اليعاقبة والنساطرة يحافظون الى يومنا على عادة القدّاس الاشتراكي وفقاً لطقوسهم القديمة (المشرق)

أخبار علمية

للاب سبستيان رنزڤال اليسوعي

١ نظّارة معرض باريس

وقفنا في العدد الاخير من « مجلَّة المسائل العلمية » المطبوعة في مدينة لوڤين من اعمال بلجكة على شيء من اخبار تلك النظّارة المدهشة التي باشر بصنعها منذ امدٍ بعيد المسيو غوتيار احد متوظفي مرصد باريس . وهو عازم ان يتمّم هذا العمل الخطير قبل افتتاح المعرض الباريسي سنة ١٩٠٠ . فاحببنا ان نورد لقرّائنا الكرام خلاصة ما انبأتنا بهِ المجلَّة المذكورة لما فيهِ من الفوائد العلمية والصناعية معًا

ان اعظم النظّارات المعروفة الى هذه الغاية انما هما نظارتان موجودتان في اميركة اعني بهما نظّارة مدينة ليك (Lick) من اعمال كاليفورنية ونظارة يَرْكس (Yerkes) من ولاية ويسكنسين (Wisconsin) . وعدسية الاولى قطر دائرتها ٩٣ سنتيمترًا والثانية ١٠٧ س . امَّا طولهما فواحد بالتقريب اي نحو ٢٠ مترًا . ولا خفاء انَّ طولًا كهذا يقتضي لحسن استخدام النظارة آلات عديدة وابنية خاصَّة واسعة الارجاء . وقد اخذ الناس العجب عند نجاز النظّارتين المومأ اليهما ولم يكد يخطر ببال احد من الزوَّار انهُ يمكن تجهيز نظارة اخرى تكون اضخم واطول منهما

الَّا ان نظارة المعرض الباريسي تفوق نظارتَي الاميركان طولًا وعرضًا وتُزْري بهما إزراء الجبَّار بالتنبل . فان طولها ٦٠ مترًا وعرضها متر ونصف وقطر دائرة عدسيَّاتها متر و٢٧ س . وهذه الآلة العجيبة متركبة من ٢٤ قطعة ومؤسَّسة أُفقيًا على عدّة دعائم متينة . وممَّا يجعل بين آلة المسيو غوتيار والنظارات السابقة لعهدهِ بونًا شاسعًا انَّها ستكون ثابتة على محورها . فهذا يخالف ما نشاهدهُ في سائر مراصد العالم حيث تكون النظارات قابلة للتحريك من جهة العرض والطول بالسواء

ولسائلٍ ان يسأل فكيف إذن يمكن رصد الكواكب والنجوم بواسطة آلة راسخة غير قابلة للدوران الى جهات السماء . نقول ان ثبات النظارة في حالة واحدة افقيًا كان ام

عموديًا لا يمنع الفلكيين من أبحاثهم العلمية . ولهم في ذلك طرائق تظفرهم بالمرغوب . منها طريقة العلاَّمة فوكو (Foucault) الذي اخترع مرآة سمَّاها سيداروستات (sidérostat) تقبل صورة الاجرام العلويَّة فتعكسها الى عدسية النظارة . فآثر المسيو غوتيار هذه المرآة على ما سواها لفوائدها الوافرة . لانهُ اذا ثبتت النظارة سهل اتخاذ آلات رصديَّة بسيطة مع سهولة تحريكها ولا حاجة الى آلةٍ تنهض بالراصد الى علوٍ يناسب علوّ عدسية العين عند مراقبة الكواكب

وخلاصة القول ان النظّارة الباريسية ستكون ثابتة أُفقيًا وانما تتحرَّك المرآة بواسطة آلة شبيهة بآلة الساعات . وهي التي تعكس صورة النجوم الى الزجاجة الاولى فيراقبها علماء الهيئة على غاية السهولة والدقَّة

امَّا سبك تلك المرآة الجليلة الفائدة فامرٌ لا يكاد العامَّة يتخيَّلون ما يستوجبهُ من الدقَّة والبراعة . لان عرض دائرتها متران وسمكها ٣٠ س . فيكون اذًا ثقلها ٣٦٠٠ كيلوغرامًا . وهذا ثقل يفوق ثقل جميع المرايا التي سُبكت في معامل المسكونة . وقد عرضت الحكومة الفرنسية عمل تلك المرآة على متولّي معمل القديس غوبين ودفعت لهُ مبلغًا يساوي ٢٠٠,٠٠٠ فرنك . الَّا انَّهُ لم يجاوب الى طلبتها . ثم اقترحت ذلك على غيرهِ من اصحاب المعامل الزجاجية فلم يرضَ احد منهم بسلوك هذه الطريقة المتوعّرة . فاستمرَّ الامر على هذه الحال مدَّة سنتين الى ان رضي المسيو دِبْره (Despret) رئيس معمل جومون بمباشرة هذا المشروع على شرط ان يُدفع لهُ مبلغ يوازي كل النفقات اللازمة لنجاح الاختبار . فقبلت الحكومة شروطهُ وصبَّ ١٢ مرآةً لم تنجح منها سوى مرآة واحدة وهي الاولى وأُهمل الباقي . ثم باشر بصقل المرآة الجديدة وقد استمرَّ على هذا العمل الدقيق ٨ اشهر حتَّى تمَّ في اواخر الشهر المنصرم

وفضلًا عن تلك المرآة التي هي اساسية في استخدام النظارة اعدُّوا عدسية مختصَّة بتصوير الكواكب والنجوم والظواهر العلويَّة . وهي زجاجة نفيسة في غاية الاتقان يمكنها ان ترسم صور الكواكب مع لطف نورها وبُعْدها بسرعة آلات التصوير المألوفة

وكأنّي بالقارئ يقول : فماذا تكون اذن قوَّة هذه النظَّارة المدهشة . أُجيب انَّ ذلك امر تنذهل منهُ العقول . فان صورة القمر في البورة الرئيسة (اي في مركز الاشعَّة الاخصّ) سيبلغ قطر دائرتها ٦٠ سنتيمترًا . وهذا كما لا يخفى يفوق كل ما ابتدعهُ الفلكيُّون سابقًا . واذا

اتخذت عدسية تكبّر الصور النورية عشر مرات فتظهر صورة القمر لعين لراصد ٦٠٠٠ مرَّة اعظم من الصورة الاولى. والحاصل ان المراقب سيرى القمر كانهُ على بعد ٦٥ كيلومترًا (لا على مسافة مترٍ كما زعم البعض). وبناءً على ذلك اذا فُرض ان سفينة من السفن العظيمة التي نراها يوميًّا في مياه البحر المتوسط انتقلت من كرتنا الى وجه القمر فيتمكن الناظر من مشاهدة صورتها في النظارة على كِبَر ميليمترٍ. وقس على ذلك سائر الاجرام التي يبلغ طولها ١٣٠ م. الَّا ان العلماء حسبوا ان قوَّة النظارة الباريسية ستفوق هذا العدد فيمكنها ان تكبّر الصور الى حدّ ١٠,٠٠٠ مرَّة. فتأَمَّل

امَّا ثمن هذه الآلة الفريدة فلا يُعرف بالتدقيق الَّا عند نجاز عملها ويُظنُّ انها تساوي ١,٤٠٠,٠٠٠ فرنك

قد قيل ان باريس هي بابل جديدة. فاذا كان لا يخلو هذا القول من بعض الصحَّة فماذا يكون انذهال الفلكيين البابليين المشهورين في التواريخ القديمة لو نشر الله بقدرتهِ رِممهم لحضروا معمل بابل الحالية ليراقبوا الآثار الجوّية والظواهر العلويَّة بواسطة النظارة الباريسية.....

نسأل الله تعالى ان يفتح لعلماء الهيئة ليس فقط كنوز الاسرار الفلكية الفانية بل ايضًا ابواب الحقائق السماوية الابدية

٢ كرة عظيمة

اخبرت مجلة « الطبيعة » الفرنسية ان انكليزيًّا اسمهُ روديون جنستون عزم على عمل كرة عظيمة تمثّل كرة الارض فبعد تتميم صنعها يعرضها في لندن

سيبلغ قطر دائرة هذه الكرة نحو ٢٥ مترًا و٢٥ س. وبناءً على ذلك فكل كيلومتر حقيقي يكون طولهُ في الكرة ميليمترين. وتسهيلًا لمشاهدة هذا العمل البهيّ سيبني المسيو جنستون شُرفةً واسعة بشكل البرغي يرتقي الزوَّار الى رأسها بواسطة آلة مُرَقّية. فاذا نزلوا بهدوءٍ من ذروة الشرفة يتمكنون من تدقيق النظر في جميع جهات الكرة فيلاحظون تفاصيلها وخصائصها قاطبةً

امَّا المدن المعتبرة فينظرونها على سبعة اشكال متفاوتة من حيث الاتساع فكل مدينة يكون عدد سكانها ٥٠٠٠ نفس سترى على هيئة دائرةٍ بكبر زرّ القميص وكل

مدينة عظيمة كلندن مثلًا ستُرسم على وجه الكرة بصورةٍ قدرها دائرة الجيدي ثم ان الاراضي والابحر والانهار والبحيرات والجبال والسهول والغابات والصحارى والطرق حتى طرق السكك الحديدية فكل ذلك سيعبَّر عنهُ بالوان مختلفة يشبه كل واحد منها لون الشيء المعبَّر عنهُ . امَّا البحور العظيمة كالاوقيانوس فستدلّ الكرةُ على كلٍ من مجاريها البحريَّة وجهات الرياح الاكثر هبوبًا عليها ودرجات حرارتها ومقدار الملح الموجود في مياهها وعمقها وكيفية سطحها ودرجة الضغط الجوي عليها وتقلُّبات الابرة

وجلّ ما يقصد المسيو جنستون من بناء هذه الكرة العجيبة تنشيط الخاصّة والعامَّة على درس الجغرافية ومواصلة المساعي في الابحاث العلمية المؤدية الى اتقان معرفة الكرة الارضيَّة التي جعلها الله تعالى مسكنًا للآدميين ومصنعًا لاشغالهم اليومية وسلّمًا يرتقون بهِ الى الافلاك العلويَّة حيث يكون السكون ثابتًا والفرح دائمًا . فنتمنَّى لهذا العلاَّمة النجاح التامّ في هذا المشروع الخطير .

مقالة

في اهمّيَّة جمع خواصّ الكلام الدارج

وبعض اشارات الى الطريقة الواجب اتخاذها في ذلك

للدكتور مرتين هرتمن مدرّس اللغات الشرقية في برلين

قال المؤلف انَّ هذه المقالة نتيجة ما جرى البحث فيهِ بيننا وبين صديقنا الدكتور جورج كَمْبِفْمَاير الذي جعل جُلّ قصدهِ الوقوف على اللهجات العربية وقد ألقى خطابًا في هذه المسألة امام اعضاء مؤتمر المستشرقين بباريس في السنة الماضية ونشكر جنابهُ على الملاحظات التي ابداها لنا في هذا الصدد فانتفعنا بها

لا يُخفى انّ ألسنة البشر تختلف على اختلاف الازمنة والامكنة ولا يُستثنى اللسان العربيّ من هذا الحكم فترى مثلًا اهل مرَّاكش يتكلَّمون بلغة غير لغة اهل الشام وهلمَّ جرًّا . هذا فضلًا عن اختلاف لهجة اهل البدو والحضَر

امَّا اللغة الشائعة بين العامَّة في ما سلَف من الزمان فلا نكاد نعرف منها الَّا الشيء

النزر لانَّ الكتبة الاقدمين لم يودعوها في بطون الاوراق وكانوا اذا حاولوا الكتابة عمدوا الى لغةٍ صناعية لا تفهمها العامَّة يضمّنونها الفاظًا لغويَّة وتراكيب وضعية واصطلاحات مُبتَدَعة نقلوها بالترجمة عن كتب اجنبية . وربَّما قلَّدوا تعابير اللسان المترجَم عنهُ على طريقة مغايرة لروح اللسان العربي . فكانت نتيجة صنيعهم انَّ ما بقي من اللغة العربية القديمة في كلام الجمهور اخذتهُ يد الضياع ففُقِد منهُ ما شاء الله

هذا ونشكرهُ تعالى على انَّ قسمًا من هذه اللهجة القديمة لا يزال الناس حتى يومنا يتداولونهُ بينهم . فاجتهد بعض المستشرقين في درس هذا اللسان الدارج وجمع خواصّهِ والمقابلة بين فروعهِ المختلفة نخصُّ منهم بالذكر وَتْسَتِين (Wetzstein) وسْتُومّه (Stumme) وسپتّا (Spitta) ولهم في ذلك تآليف حسنة

وان سألتَ تُرى ما الفائدة من معرفة خواصّ كلام العامَّة . اجبتُ انَّ لذلك فوائد عديدة منها انَّها تنبئنا باختلاف لغات القبائل العربية التي تعدّت حدود جزيرة العرب فاستولت على ما حولها من بلاد الروم والعجم . ولم يكن اختلاف هذه اللهجات يسيرًا لاسيَّما قبل ظهور القرآن وانتشار الدين الاسلامي فان الاسلام لم يجمع فقط القبائل برباط الوحدة بل وافق ايضًا بين هذه اللهجات الخاصَّة ووحَّدها . ومع ذلك فقد نقل العلاَّمة السيوطيّ (١ عن ابي حاتم السجستاني انَّ في القرآن آثار سبع لغات وهي لغة قريش وهذيل وتميم والأَزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر . ولا شكَّ انَّ توحيد تلك اللغات كان من اقوى الوسائل لتعزيز الاسلام ونفوذهِ في قسم كبير من العالم . بيد انَّهُ أدَّى الى فقد كثير من خواصّ اللغات المستعملة في الجاهليّة بل أَثَّر في رواية الشعر القديم فان بعض الرواة بدلوا ما رأوهُ مخالفًا لعقائدهم الدينية وربَّما غيَّروا شيئًا من لُغة الشعراء الاقدمين(٢ وزادوا على قصائدهم

١) راجع كتاب الاتقان طبعة مصر ١٢٧٨ ج ١ ص ٥٩

٢) وقد ابقوا في بعض الاحيان ما اعتبروهُ كلهجة غير عربيَّة لضرورة القافية واصلحوا ما امكنهم اصلاحهُ فرووا مثلًا هذا الرجز :

يا ابن الزُّبير طالما عَصَيْكا وطالما عنيْتَنَا إليْكا
لَتُحزَنَنَّ بالذي اتيْكا

(راجع كتاب انساب الاشراف للبلاذريّ (طبع آلوَرْت ص ٤٨) وتاريخ ابن الاثير (٤ : ٢٨٦ طبع تورنبرج) . وقد ذكر هذه الابيات نولدكه في نبذة نشرها في مجلَّة الجمعية

ابياتًا تخلوهم اياها. ولهذا السبب قلَّ ما ترى في الشعر القديم ممَّا يشذّ عن اللغة الاعتياديَّة. وزد على ذلك انَّ كثيرًا من دواوين قبائل البادية (١ التي عُني بجمعها بعض النحاة المتقدّمين درست آثارها ففُقدت. وقليلٌ ما صبر منها على الزمان كديوان الهُذَليين ليس هو بأُنموذج كافٍ لتعريف خواصّ هذه اللغات واكثره قد بلغنا في اللغة العاديَّة المألوفة

هذا واننا نرى لبعض النحويّين القدماء كتبًا جمعوا فيها ما وجدوهُ في الدواوين من الغرائب ووضعوا لذلك تآليف وسمّوها باسم النوادر كمثل كتاب نوادر ابي زيد الذي نشرتهُ حديثًا المطبعة الكاثوليكية

امَّا كلام العامَّة في القرون المتوسّطة فقد بقي لنا منهُ آثار في بعض اساليب القريض تغافل عنها أُدباء المشرق والمغرب فلم يكترث بها الَّا من ندر. لانهم لم يروها اهلًا للحفظ مع ما وجدوهُ بين ايديهم من الكتب « الفصيحة » والتآليف « البليغة العلمية ». على انَّ بعضها مع سذاجة ألفاظها وخلوّها من التصنُّع تفوق كثيرًا تلك القصائد التي تُنعَت « بالدُرَر النفيسة » واذا انتقدها أُولو الذوق السليم واصحاب المعرفة بالكلام وجدوها ركيكة الالفاظ سخيفة المعاني يغلب عليها التصنُّع وتشوّهها السرقات المذمومة

وممَّا بلغنا في اللهجة العاميَّة من الكلام المنظوم الزَّجَل. الَّا انَّهُ لم يقيّد كبقيَّة البحور العربية بتفاعيل صناعية معلومة بل يتصرَّف فيهِ قائلهُ كيف يشاء مع مراعاة الايقاع والنَّغم. وقد حاز قصب السبق في تقصيد الزَّجَل شاعرٌ اندلسيّ ذو قريحة غزيرة يدعى ابا بكر محمَّد بن عبد الملك بن قزمان المتوفى سنة ٥٥٥ للهجرة (١١٦٠م) (٢. ومن عجيب الامور انَّهُ لم يبقَ من ديوانهِ النفيس الَّا نسخة واحدة (٣ مصونة في المتحف الاسيوي في

الالمانيَّة الشرقيَّة (٣٨: ٤١٢) – ولا نشكُّ انَّ من قال « عصيكا واتيكا » بدلًا من « عصيتَ واتيتَ » قال ايضاً « عنَيْكَنَا » الَّا انَّ الرواة غيَّروا حيث لم تمنعهم القافية

١) قد بحث كولدتسيهر المستشرق الشهير عن هذه الدواوين بحثًا مستوفيًا في نُبذت طُبعت في مجلة Journal of the R. As. Society, *April*, 1897 وعنوانها «Notes of the Diwans of the Arabic Tribes »

٢) راجع ذيل القواميس العربيَّة للعلَّامة دوزي (Dozy) في مادَّة « زجل» – وكتاب وصف الكتب الخطيَّة العربيَّة المحفوظة في خزانة كتب المتحف الاسيوي في بطرسبرج للعلَّامة رُوزن ص ٢٤٣

٣) وما هو جدير بالاعتبار انَّ الفضل بحفظ هذه النسخة الوحيدة لاحد السوريين اسمهُ

بطرسبرج مع كثرة ما جُمع في المكاتب الشرقية والغربية من الكتب والدواوين. وقد سعى بطبع هذا الديوان احد المستشرقين الروسيين ورسمهُ بالرسم الفوتغرافي

ولا بُدَّ في ايّامنا من اتخاذ الوسائل المؤدية الى الغاية المطلوبة اعني التعمّق في خواصّ الكلام الدارج مع ما فيهِ من الفوائد التي ألممنـا بذكرها آنفًا. وقد بحث الاوربيّون عن هذه الوسائل بحثًا مدقّقًا واتّخذوها كدستور يرجعون اليهِ في هذا الامر. وهاك الطريقـة التي أَلِفها اليوم اهل المانية لجمع خواصّ اللغات الدارجة. فانَّ الحكومة الالمانية تتولّى على نفقاتها الخاصّة طبع «اطلس لغويّ» تُنشَر فيهِ كلّ الكلمات والعبارات العـامّية وقد نظّمت لذلك لجنةً تقوم بهـذا المشروع فيعرض اعضاؤها الاسئلة على اهل كل مدينة او قرية ممَّن يوثق بعلمهم فلا تلبث ان تتوارد اليهم الاجوبة أُلوفًا أُلوفًا فيجمعونها ويعملون فيها النظر ويسعون بترتيبها ثمَّ يطبعون خُلاصتها وهو مسلكٌ نعمًا يُؤدّي بصاحبهِ الى احسن النتائج ولا بُدَّ من سلوكهِ ايضًا في البحث عن اللهجات العربية

الَّا اننا نعلم كم يحول دون اتمـام هذا المشروع من الموانع في بلاد الشرق اوَّلها ان الشرقيين لا يكترثون لمثل هذه الابحاث وقلَّما يقفون على اهمّيتها التاريخية. وربَّما قال قائل انَّ غاية ما يحصل عليهِ البـاحث من هذه المسائل جمع بعض فقرات نثريَّة لا اعتبار لها. فنجيب انَّ هذه الشَّذَرات اذا ما جمعت برويَّة وعُرضت على مِحَكّ الانتقاد بطريقة علمية صار لها مقام رفيع ورونق غريب بحيث نحصل بواسطتها على اعتبارات عمومية تشخّص لنا على اسلوب بديع صورة تاريخ اللغة العربيـة. واذا لم تدرك هذه الصورةُ كمالَها في باديء الامر فانَّها ولا حرَجَ تتحسَّن مع الايام فتزيد وضوحًا وبهاء الى ان نُصيب قسمًا وافيًا من آداب اللغة العربية القديمة بتتبُّع آثارها المتفرّقة على أَلسنة العامَّة

امَّا المانع الثاني فهو انَّ الكتابة العربية قاصرة عن تصوير بعض الفاظ العامَّة ولا تني حروفها الثمانية والعشرون برسم اصوات (١ تجري في لهجة القوم. وكفى بذلك مثلًا ما ورد

محمد بن ابي بكر القطّان استكتب هذا الديوان لنفسهِ بصَفَـد المحروسة (كما يؤخذ من وجه الصحيفة ٩٦). امّا تاريخ الديوان فليس بواضح الَّا انَّ المرجَّح انَّهُ كُتِب سنة ٦٠٦ هـ

١) لنا الامل ان نفيد القرّاء خلاصة التحقيقات الجارية الآن بين العلماء بشان علم الاصوات وحقيقة النطق بها (La Phonétique)

في هذه المجلّة بخصوص لفظ الجيم وقد كتِب فيها مقالتان عن لفظ هذا الحرف (راجع العددين الثالث والحادي عشر)

فيتَّضح من هذه المباحث انَّ لفظ الجيم لا يزال فيهِ اختلاف عظيم بين من ينطقون بالضاد. والضاد نفسهُ كم طرأت عليهِ من الطوارئ فغلب حيناً لفظ الظاء وحيناً خضع له وربَّما تصرَّف العرب بكلا الحرفين فنطقوا بهما على صورة منافية لكلّ ما نعهده من لفظهما. وقس على ذلك غيرها من الحروف

امَّا الحركات فلا حاجة الى تَعداد اصناف لفظها اذ لا يُخفى على احدٍ انَّ ما يتلفَّظ بهِ العامَّة من الحركات لا ينحصر فيما يُعبَّر بهِ عند النحاة بالفتح والكسر والضمّ فانَّ لكلٍ من هذه الحركات الثلاث طبقاتٍ شتَّى ولكل طبقة درجاتٌ لا تُحصَى. فاعتبر مثلاً الفتحة الواقعة قبل الياء الساكنة نحو « بَيْت وشَيْخ » فان لفظها في فم الدمشقي او الفلاَّح اللبناني او النُّصيري الساكن جبال اللاذقيَّة او المرَّاكشي فيختلف ايَّ اختلاف فتسمع « بات وبُيت او بُات وبَات وبِيت » (١

فنعلم بعد ذلك انَّ دون الحصول على مرغوبنا عوائق كثيرة كادت تخيّب آمال من اجتهد الى اليوم في جمع الفوائد العلميَّة التي ننتظرها من درس لهجات العامَّة لمعرفة اصول اللغة العربية. ومع هذا فانَّنا لا نيأس من نوال المرام لانّنا نعلم انَّ لكلّ داء دواء وامَّا داء فتور الاذهان لاجراء التحقيقات المطلوبة فيزول ان شاء الله بالحثّ والتشويف والاجتهاد في مباراة اصحاب العلم والمغايرة في اكتساب السمعة الطيّبة والشهرة الحسنة. ولا بأس بوضع جوائز ينالُها من أتى بأحسن جواب على الاسئلة المقترحة

ولذلك لا بُدَّ من تشكيل جمعيَّات تجعل هذه التحقيقات اللغويَّة كمحور اشغالها وتنشر نتيجة اعمالها في جرائد معلومة او في مجلاَّتٍ خصوصية تصدر كلَّما حصلت على المادة الكافية. امَّا الخلل المتأتّي عن قلَّة علامات الحروف والحركات لتمثيل الاصوات واللهجة فينبغي سدُّهُ بوضع اشارات اصطلاحيَّة يتَّفق عليها أُولو البحث واعضاء اللجنة وهي تُؤلف من أُناس ذوي ادراك وغزارة فهم يمتازون بالذهن الثاقب وكثرة الاطّلاع على عوائد

١) راجع نبذةً نشرتها في الجزء الرابع عشر من مجلة ZDPV Der Liwa el-Ladkije und die Nahije Urdu»

الاوربيّن واساليبهم في هذه الابحاث ولا بُدَّ من بعض علماء اللغة العربية ممَّن لهم المعرفة التامّة باطباع مواطنيهم

هذا وان قال قائل متى تخرج هذه النوايا الحسنة الى حيز الوجود مع كثرة العَقَبات التي ستعترض هذا المشروع لاسيَّما في بلاد الشرق حيث تجري الاشغال في الغالب بالهدوّ والتأني. أجبنا انَّ الامر يقتضي التروّي فلا بُدَّ لهُ من وقت مُناسب الَّا انَّهُ لا يجوز فيهِ التواني لاسيَّما انهُ من الامور التي يمكن لكثيرين المباشرة بهِ دون مشقَّة كبيرة بشرط ان يكون مجتهدًا مدقّقًا صادقًا في روايتهِ. وهذا الميدان لا يطلب ممن اراد السباق فيهِ استعدادًا خصوصيًّا او تمرينًا طويلًا وانَّما يكفي ان يُجْمَع الكلمات والجُمَل التي يأتي بها العامّة في معانٍ معيَّنة وتُرْسَم بحروف وحركات من شأنها ان تقلّد لفظ الجمهور ما امكن وفي غير ذلك تُتَّخذ العلامات الاعتياديَّة كما ترى في الجدول الآتي الذي اوردناهُ هنا على طريقة المثل:

الفصيح	لهجة بيروت	لهجة القاهرة	لهجة تونس (المدينة)
هذا الوقت	هَلَّق	دِلْوَقت	تَوًّا
هُنا	هَوْن	هَنَهْ	هُونِي
متأخّرًا	لَقّيس	وَخْرِي	مِتْوَخَّر
باكرًا	بَكّير	بَدْرِي	بِكْرِي
كيفَ حالُكَ	كَيفْ حالَكْ	زَيَّكْ	كيفَ حالَكْ
ما هذا	شُوهَيْدَ	دِأَيدِ	أَشْنُو هاذَا
ما اسْمُكَ	شُو إِسْمَك	إِسْمَكْ أَيْه	سِنسَمَكْ
لِمَ ضَرَبْتَهُ	لَيشْ ضَرَبْتو	ضَرَبْتُو لَيهْ	عَلَاش ضَرَبْتُو
مِثل	مِثْل	زَيّ	كِيفْ
أَكتُبُ	بَكْتُبْ	بَكْتِب	نِكْتِبْ
نكتُبُ	مْنِكْتُبْ	بِنِكْتِبْ	نِكِتْبُو

١) بناءً على ملتمسنا قد حرَّر هذا العمود صديقنـا الدكتور ستومه الذي هو ممتاز بمعرفة لهجات افريقية الشمالية

الفصيح	لهجة بيروت	لهجة القاهرة	لهجة تونس (المدينة)
أَوْ	يَا	وِلَّا	وَلَّا
رِجْل	إِجْر	رِجْل	رْزِل
هكذا	هَيْكْ	كِدَ	هـكَّا
لأَجْل	من شأنْ	على شأنْ	عَلَى خاطَرْ
مَتَى	أَيمْتَى	إِمْت	وَقْتَاشْ
بَقِيَ دامَ ظَلّ	دَمّ تَمّ ضل	دَنّ	بْقَا
نَحْنُ	نِحْنْ . نِحْنَا	أحنَ	أَحْنَا
لا أَقْدِرُ	ما فيني	ما فيَّ	ما نَنْرَّمْ شي
هُمْ	هِن	هُمْ . هُمَا	هُومَا
رَجُل	رِجَّالْ	راجِل	رَازِلْ
أَيُّ جِنْسٍ	أَينا جِنْسْ	أَنْهُ جِنْسْ	آنَ زِنْسْ
أَيَّةُ جِهَةٍ	أَينا جِهَة	أَنْهِ جِهَة	آنَ زِيهَة
لا يَضُرُّ	ما بِيسايِل	ما عَلَيْشْ	ما سَالْشْ

فيتَّضح من هذا الجدول ما يوجد من الاختلاف بين لهجات بعض المدن الكبيرة من البلاد العربية. غير انَّ في ذلك نظرًا لانَّ ما يُعزى الى الشام لا يصدق في جميع انحائها فانَّ «شو اسمك» مثلًا وان كانت لهجة شاميَّة الَّا انَّها لا تعمُّ كلَّ بلاد الشام فتسمع اللبناني يقول بدلًا عنها «أيش اسمك» ومثل هذا كثير. وما يستحقّ النظر هو تعيين الحدود التي تجري بها بعض العبارات ولعلَّك تجد بين كلام ضيعة وضيعة اخرى مجاورة لها اختلافًا كليًّا. وبعكس ذلك ربَّما ترى اختلافًا جزئيًّا فقط بين ضيعتين بعيدتين. وما ذاك الَّا لانَّ الضيعتين الأُولَيَين تدخلان في دائرة لهجة واحدة بخلاف الأُخرَيَين (١ وكلُّ ذلك

١) ودونك بعض امثلةٍ من شأنها ان توضح مرادنا نأخذها من لغة بلاد الشام فنقول: انَّهُ لامر مقرَّر ان اهل بعض نواحي لبنان يلفظون الذال المعجمة في كلمة «اذا» دالًا مهملة فيقولون «إدَا». والاغرب انَّ بعضهم يبدلون هذه الذال لامًا فيقولون «إلَا» (وقد نكر البعض ان «إلا» بمعنى «إذا» ثمَّ انَّهم يعبّرون في بعض النواحي عن «حينما» مع المضارع بقولهم «لمَّا» او «لَمَّنْ» – ومنهم من يعبر عن «نحو» بمعنى جهة بقولهِ «يمّ» وغيرهم بكلمة «صَوْب» –

سيتبيَّن جليًا اذا توفرت الموادّ التي لنا الأمل الوطيد بقبولها من كلّ من لهُ رغبةٌ في تحقيق الغاية الجليلة التي نتوخاها واحراز الفوائد التاريخية التي نتمناها

هذا وأَنّنا نخشى من تشتُّت الامر وذهاب المساعي سدًى ان لم يكن سَير العَمَلة على منهاج واحد. فمن ثمَّ لا بُدَّ ان تُحشد الموادّ في نقطة واحدة (١ تكون كخزانة يؤخذ منها ما هو اهل بالنشر

امّا الخطَّة الواجب اتخاذها في جمع أمثلةٍ للهجة من اللهجات فهاك بعض اشارات تدلُّ عليها. واوَّلها يرجع الى اختلاف القوم الذين تؤخذ منهم هذه الالفاظ والتعابير فانَّهُ لا يكفي ان يكتب الباحث كلّ ما سمعهُ في بلدةٍ ما بدون تمييز كأنهُ وقف بذلك على هيئة لهجتها الحقيقية فان اهالي البلدة الواحدة على طبقات مختلفة من حيث الحالة الاجتماعية ومن جهة الأَصل والمنشأ. فلا يُعتبر مثلًا كلام من كان نزيلًا في بلدة ومنشأهُ في بلدة أخرى لانَّ لهجتَهُ لهجة وطنهِ او لهجة مختلطة (٢ وكذلك لا يعبأُ بلهجة بعض المتوظفين الذين

وقد سُمع من بعض اهل الشام «انكو» بمعنى «انتم» – ومن غريب ما روي عن البعض انَّهم يقولون في اسمهِ سبحانهُ وتعالى «أَمَّا». الَّا انَّ هذه المرويَّات لا نعلم قدر امتدادها ولعلَّها محصورة في بعض القرى فقط فغاية مرادنا ان نحصل على الخبر اليقين يفيدنا عنهُ اهل النواحي التي جرى فيها مثل هذه اللهجات

١) ان مؤلف هذه المقالة مستعدّ لقبول كلّ الافادات وحفظ الموادّ ونشرها مع التدقيق في تعريف اسماء الذين ورد منهم شيء من هذه الملاحظات. ومن اراد ان يراسلنا بهذا الخصوص او يفيد شيئًا ما عندهُ فليرسلهُ الينا رأسًا بهذا العنوان

“ Professor M. Hartmann, Charlottenburg—Berlin, Schillerstrasse, 7 ”

او يبلّغ ذلك الينا عن يد الخواجا جرجي افندي سرسق ترجمان قنصلاتو دولة المانية في بيروت

٢) يخرج من ذلك لهجة بعض البلاد حيث كثر النزلاء ونشأت بينهم لهجة خصوصية تَوافَقَ عليها الجميع وتراضوا بها

واحسن شاهد على ذلك لهجة ممالك اميركة الشمالية المتحدة الانكليزية فانهُ لها خصوصيَّات لا توجد في احدى اللهجات الانكليزية التي سواها فثبتت لهجة خاصَّة تركَّبت من لهجاتهم القديمة. ويصدق ذلك في سكان بيروت فان اهاليها الآن سوادهم الاعظم نُزلاء اصلهم من دمشق الشام وقُرى لبنان وغير ذلك من بلاد سورية وكانَّهم اتفقوا على لُغةٍ فيها شيء من الصناعة ومع ذلك غلبت هذه اللغة لغة القوم الاصليين اللهمَّ الَّا في بعض الاحوال ولا شكَّ في ازدياد نفوذها ولا بأس بذلك حيث فيها نقاوة وطلاوة وروح عصر التقدُّم ولا يُنكَر ان بعضهم زادوا في تزيين الكلام وتبهيجهِ فيأتون بنوادر لغوية ونحوية توجب الضحك

تضطرّهم وظيفتهم الى استعمال كلام منقَّح فانَّ القاضي والخطيب والمدرّس كثيرًا ما يتأنقون في حديثهم ويأنفون كلام العامَّة السوقيّ فلا يفيدون شيئًا الامر المرغوب (١ واماَّ لهجة العامَّة فلا بُدَّ ان يُستَنَد في ايرادها الى لهجة الاصاغر والاسافل لاسيَّما الشيوخ والعجائز الذين لم يبارحوا بلدتهم ولا عاشروا الاجانب والنزلاء فبقي كلامهم على ما كان

وما قيل في البلدان يصدق في حارات المدن الكبيرة كدمشق الشأم وبيروت والقاهرة واغرب ما ذُكر في هذا الباب هو انهُ في الزمان السابق (اي قبل السنة الستين) كانت عائلة بيت التيَّان من اشهر العيال المارونية في بيروت قيل ان عدد اعضائها بلغ ثلثمائة نفس وكانت عظيمة الثروة كثيرة النفوذ وهي تسكن وحدها حارةً في وسط المدينة العتيقة وكان اعضاؤها معروفين بالأُلفة وكثرة الاتفاق قلَّما يختلطون بغيرهم الَّا اذا اضطرَّتهم اشغالهم الى ذلك وكانت نساء هذه العائلة واولادها يعيشون زمنًا طويلًا في بيوتهم لا ينظرون شيئًا من العالم فتشكَّلت لهم لغة خصوصيَّة عُرِفوا بها فسمّوها لغة تيَّانية (٢

ومن الاشارات التي نستلفت انظار اهل البحث اليها ان ينظروا الى تعدّد المواد يعني ان لا يكتفوا بجمع كلام من جنسٍ واحد او موضوعٍ واحد ولا يقتصروا على بعض اقسام الكلام التي لا يتمّ معناها بل يختاروا ما تظهر بهِ هيئة الكلام باقسامه المختلفة وهذا باب واسع ولا بُدّ من الامثلة وفي نيَّتنا ان ننشر اسئلة مطبوعة يكتب الباحث جوابها بجانبها تسهيلًا فيعرف بذلك ما فيهِ خطارة واهمية علمية والآن نكتفي بالاشارة العمومية ونلتمس من قرَّاء هذه الاسطر ان لا يُؤخروا الإقدام الى هذا العمل حتى يتسنَّى لنا احضار هذه الاوراق المطبوعة بل ان يبادروهُ بدون ابطاء فيُرسلوا الافادات الى العنوان الذي اشرنا اليهِ سابقًا ولهم الفضل

١) غير انهُ لا يمتنع ان يوجد بين هؤلاء ملَكة طبيعية لادراك خواصّ لهجة القوم وكثيرًا ما يدركون حسنًا ما الفرق بين لهجتهم الخاصة وكلام العامَّة. فانَّ مثل هؤلاء لاسيَّما اذا كانوا من ارباب الدين واصحاب التعقُّل قادرون على انجاز هذا المشروع ويُفضَّلون على غيرهم

٢) حين اقامتنا في بيروت لم نسمع مُفرداتٍ لهذه اللغة فكانت حالة العائلة المذكورة تغيرت مع تغيّر الاحوال وشبّانها وفتياتها كلهم متخرّجون بالآداب والدروس الجديدة ولعلهُ حُفظ شيء من ذلك الكلام القديم عند بعضهم فنرجو الافادة عنهُ لان مثلهُ مَثَلٌ مُهمٌّ لما يكون من التغيرات اللغوية الناشئة عن انحصار القوم في دائرةٍ لا يخرجون عنها

تعليم اصول الشرب

للخواجا ج. عون ابي عرب

هذا موضوعٌ لربما يجلب الضحك والسخرية على الباحث فيهِ. وبداهةً يقال ان الشرب يتعلَّمهُ الرضيع من ثدي امهِ ولا يجهل احد من البشر اصول الشرب او كيفيَّتهُ حتى الحيوانات العُجم فالطبيعة ترشدها اليهِ عند مسيس الحاجة

فتربَّث يا صاح وانا ابيّن لك ان اكثر الناس يجهلون اصول الشرب وقواعدهُ اذ لكل شيء قواعد حتى الشرب. فمنهم من يشرب كثيرًا جدًّا ومنهم قليلًا ومنهم بجرَّاء ذلك يضعفون قويًّا ومنهم يمرضون شديدًا. والحال انهُ لأمرٌ مفيدٌ للغاية معرفة اصول تعليم الشرب بحكمة كما انهُ ضروري معرفة تعليم اصول الاكل

ان اكثر الانزعاجات الطارئة على الانسان زمن الصيف مسبَّبة من الافراط في جرع المبرّدات. ولنتركنَّ الآن البحث عن انواعها العديدة اذ ليس بوسع الكل الوصول اليها باسطين الكلام في كيفية استعمالها على وجه العموم حيث لا غنى للمرء عن بعضها لاسيما الماء وهو من اسباب الحياة

١

هل الاكثار من الشرب يبرد غلة الظمآن ويشفي أُوَامَهُ ام يجري بهِ الى المضرَّة والعطب ومتى وكيف ينقع الظمآن صداهُ منهُ

اعلم انَّ الشرب عمومًا وخيم العقبى اذا كان الرجل عرقانًا وبصوابٍ ينهى عنهُ معلّمو المدارس تلامذتَهم وكذلك يفعل قواد الجيوش بجنودهم. وذلك لمعرفتهم انَّ جرع المشروبات الباردة والجسم يَعرَق يجلب امرًا مضرًّا وبرسامًا مسبطرًّا او نزلة صدر مزعجة. أجل لقد تقرَّر ان جرع الماء البارد كثيرًا ما سبَّب امراضًا قتَّالة ان لم يكن موتًا عاجلًا. ولدى البحث يظهر جليًّا ما يطرأ من العلل الناشئة من شرب الماء باردًا عند ما يكون الجسم عرقانًا

فان البرد الذي ينفذ الجسم يدفع دم الاحشاء على سطح الجلد فتجتمع الحرارة في محيط الشكل ويتصبَّب حينئذٍ العرَق متهيّجًا بطريق المقابلة فيرشح. وعليهِ فليس العرَق الَّا فضلة مائيَّة للدم تندفع من مسامّ الجلد فيشعر الانسان حينئذٍ بالحرارة في وجههِ.

ضع ان شئت قطعة من جليد في فيكَ او خذ قدحًا من الماء الكثير البرودة فترى للوقت العَرَق يتصبَّب على بدنك. فاذا شربت قدحين او ثلاثة تباعًا تظهر لديك النتيجة تمامًا ولعلَّك تشعر ببردٍ بعد دقائق قليلة

وان لم تكن الكميّة المجروعة وافرة جدًّا فالدم بعد فشوّهِ في الجلد وانتشارهِ فيهِ يرجع الى الدخل. وضَعْف حركة خروج الدم ودخولهِ هو بالحقيقة غير مضرّ وغير محذور. ولكن انظر ما عساهُ ان يكون الخطر في خلاف ذلك. فانَّ معدل حرارة الانسان تكون نحوًا من ثمانية وثلاثين درجة. ويزيد أجيج الحرّ في جسمهِ زمنَ الصيف على قدر خسران الحرارة الحادث عن تبخُّر العَرَق. أفلم تختبر مثلًا انّك اذا نقَّطْتَ قليلًا من روح الخمر او من الأيثر (أي روح العرَق مع الزاج) امَّا على اليد وامَّا على الجبهة فتشعر حالًا بانفعال البرد. وما هذا الَّا لأنَّ كل مائع لكي يتبخر يستعير الحرارة من الاجسام المكتنفة بهِ. والعرق بعيد من ان يشذَّ عن هذه القاعدة. فكل غرام يتبخر يبرّد بنوع حسّي سطح البدن. ففي الاصول الطبيعية ان مبدأ العَصَب (الذي بهِ الحسّ والحركة ينتشران في الجسم كله) يُدبّر بخر العرَق وبالتالي خسران الحرارة. فان هذا المبدأ (اي مبدأ العصب) يغصب البدن ان يتبرّد باعتبار الحرارة الخارجية وبذلك يبقى جسمنا من غير تغيير ملازمًا حالةً واحدة من الحرارة البالغة ثمانية وثلاثين درجة كانهُ موقد آلة حسنة التوقيع والترتيب تنظر اليها ابدًا عينُ الوقّاد تبارك الله في اعمالهِ

اما اذا عرَّض الانسان نفسهُ في مجرى الهواء وهو عرقان فبخر العرق لم يكن من ثمَّة ليترتب من مبدإ العصب فقط بل ان الهواء يأخذ من العرَق فيبخرهُ بكميةٍ اكثر ممَّا تقتضيهِ الحال. وينتج من ذلك قِرٌّ غير طبيعي واذا كان شديدًا يسبب بَرْسامًا او نزلة صدر او غيرهما والحال ان النتيجة تكون اكثر تأثيرًا على قدر ما يوجد ماءٌ على سطح الجلد بالعرَق المتكاثر. اذًا اذا شرب احد وهو عرقان والماء ينضح من جسمه بكمية وافرة لكان ذلك اعظم سبب للوقوع في القرّ اذا لم يُؤخذ الاحتياط اللازم

وان الضرر لا يتأتى من كميّة الماء المنجرعة بل ينشأ عن استيلاء الهواء الخارج على الجسم العرقان بعد الشرب. غير انهُ يزول كلّ ضرر اذا تابع الشاربُ المشيَ عوضًا عن ان يقف عديم الحركة لان الحركة الصادرة في هذه الحالة وهذا الوقت تنتج عن جديد حرارةً وعرقًا وبهذه الواسطة يزول كلّ نقص من الحرارة. وبناءً عليهِ يمكن عمومًا للمسافر او غيرهِ ان

يشرب ماء باردًا او جليدًا دون ادنى ضرر وهو عرقان ايضًا على شريطة متابعة السير او الحركة كما عرفت

فممَّا تقدَّم يظهر انَّ جرع المشروبات الباردة عادةً مضرَّة او على الاقلّ غير مستحسنة. وكذلك لا يُستحسن تكرار جرع المشروبات الباردة في وقت الشرب كما في تنزيهات طلبة المدارس مثلًا وسير الجيوش وغيرهم فالاوفق والانسب وجوب منعهـا في اكثر الظروف. لاننا كما قلنا الآن جرع المشروب باردًا يجلب الى خارج البدن ازدحامًا عظيمًا من الحرارة . والحال ان الحرارة والقوّة هما كما لا يخفى على مطالعي علم الطبيعيات الحديثة مترادفان او هما اسمان لمسمًّى واحد. فجلب الحرارة الى خارج البدن ما هو الّا تضعيفهُ. فكلّ قدح ماء مجروع تسلبنا كمية من القوَّة تصدر عن جسمنا تدريجًا من مسامّهِ. ولهذا يشعر من يُكثر الشربَ بعد قطع مسافة قليلة بانَّ ركابهم متقطّعة فيضنكهم التعب

فيجب اذًا على الروساء ان ينبّهوا المرؤسين بان الشرب بزيادة يضعف الجسم لاسيا الاعصاب. فانهـا اقرب كثيرًا لاكتساب الامراض الحالية. وبالإكثار من الشرب يرى الانسان ذاتهُ عرضةً لامراض عديدة ايَّام الصيف

٢

ولزيادة الاقناع بذلك لنـا برهان آخر وهو : ان كثرة الشرب لا تروي فضلًا عن انهـا مضرَّة فاذا زاد الشرب زاد ايضًا العطش. والسبب لذلك بسيط فانَّ الدم مركَّب من مائع (مصل) فيهِ موادّ لطيفة جامدة تدعى كُرَيَات حمراء او دمويَّة وكُرَيَّات بيضاء او مائيَّة وفي كلّ ملمتر مربَّع من الدم ترى خمسة ملايين من الكُرَيات الحمراء بمقـابلة خمسة آلاف من المائية. فعند اشتعـال لظى الحرّ او رقَّة العرق تندفع من مسامّ الجلد فضَلات الدم المائية فيفقد الدم من ثمة جزءًا من اجزائهِ ويحصـل من جرّاء ذلك المٌ يحدث في الحَلق وهو العطش. فيطلب حينئذ الدم حقَّهُ المهضوم ولا يهدأ ثائرهُ حتى يعتاض ما فقد. والحال ان ما يخسر الانسان في يوم شديد الحرّ من العرَق اكثر ممَّا يمكن كسبهُ من المائع المجروع اذ انَّهُ احيانًا يخسر بمدّة ساعة ليبرتين او ثلاثًا (نحو خمساية غرام) من العرَق. وان قال قائل انهُ لا شيء يمنع شرب كميَّة من الماء او غيرها توازن العرق او تزيده. أجبنا ان المعدة لا تستطيع ان تتحمَّل براحة كمية من المائع توازن العرَق الراشح من

الجسم وتقابلهُ . وهَبْ ايضاً انهُ يمكنها ذلك لكن هـذا لا يردُّ للدم ما خسرهُ لان كثرة المشروبات لا سيما الباردة وهي ثقيلة على المعدة لا تستقرّ بها بل يتبخر قسم منها كما يتبخر قدح ماء ملقىً في دست سخن وقسم آخر يمتزج بالبول وهكذا الخسارة من جهة المائع هي اعظم من الكسب . واذ ذاك لا بدّ من وجود بعض النقص عند كل قدح ويزيد النقص بقدر ما تكون كمّية الماء المجروعة باردة . فقولنا اذًا ان العطش يزداد بمناسبة شرب المبرَّد هو امرٌ واضح اذ ان الكمية المجروعة من المائع المحتوى في الدم تذهب دائماً متناقصة . ولهذا فالانسان يزداد عطشاً كلّما يشرب وقد تقرَّر بذلك لماذا يعطِش الجليد وكذلك المشروبات الباردة بعد ان تسكن العطش موقتاً لا تلبث ان تهيجهُ

٣

فيجب اذًا ان نشرب في غير وقت العرَق لئلا نخسر اضعاف ما نكسب ولا يكفينا معرفة هذه الامور معرفة نظرية بل يجب العمل بها لحفظ نظام الصحة . وعليهِ فاذا كنت عرقاناً فلا تشرب حتى ينشف عرقك لئلاَّ تفقد بالعرَق عند اقلّ حركة كل ما شربتهُ وهو احياناً يكون ضرورياً لك ولولا ذلك غادر المشروبُ الدمَ سريعاً دون ان ينتفع هذا بهِ

ثم يقتضي ان لا تشرب بارداً كثيرًا حتى لا يهيّج ردّ فعـل الدم في محيط الشكل السيلانات المائية . ويقتضي اخيرًا ان تأكل قليلًا من الموادّ الجامدة كي تضعّف تهييج البرد لغشاء المعدة وتنقص العرق دائماً . في بلادنا الساحلية التي يكثر فيها غالباً القيظ ترى اكثر الناس يشربون نصف الابريق جرعة واحدة وهم بحالة التعب عرقانين غير مكترثين للخطر العظيم الذي ينشأ عن ذلك . وهذا لا شيء اخطر منهُ كما مرّ . فسبيلنا اذًا ان نشرب إن بالابريق وإن بالقدح جرعة قليلة بعد جرعة عوضاً عن ان نلقي في المعدة كمّية كبيرة من البارد دفعة واحدة لانهُ بهذه الطريقة يجري المائع خفيفاً دون ان يدفع الدمَ الى الجلد وهكذا ترتوي وتنتفع باسهل طريقة

فهذه هي اصول تعليم الشرب الحسنة في فصل الصيف فكم هم قليلون الذين يعرفونها ويقومون بموجبها ولنا برهانٌ على قولنا وهو ضعف الاكثرين في ايّام الصيف فان الخسارة بهم من جهة العرَق بعيدة هي من ان تعوّض او تعدل الكسب من جهـة المشروبات المجروعة . فعبثاً اذًا تطلب إخماد عطشك ان لم تنل من ثمّ زيادةً في تقوية الدم وفي مجمل الكلام كي نشرب شرباً رويًا فلنحذر المشروبات الباردة جدًا ولا نشرب الّا

شربًا جيّدًا اي ببطء ولا يكن ذلك دون اكلٍ الّا نادرًا. فلنهرب من مجرى الهواء والسكون بعد الشرب ونحن عَرْقى واذا اشتدّ بك الظمأ فلاطف الأَلَم وأَنْدِ اللُعاب ولذلك ابتلع حلوًا محمَّضًا او لاعب في فيك يابسًا او حصاة صغيرة ان شئت

وفي مدّة السير والنزهات الطويلة انتظر قبل ان تشرب على الاقلّ ربع ساعة حتى يكون العرَق الناتج عن التعب قد نقص كثيرًا. ثمَّ اشرب وانتظر ايضًا ربع ساعة أُخرى قبل ان تمشي ثانية. وهكذا ترتوي دون خطر ودون نقصان في القوى. والبدن المرطَّب حسنًا يمكنهُ ان يقطع مسافة بعد مسافة وموقعًا بعد آخر دون ان يكلّ وينتهك

فهذه هي نبذة في اصول تعليم شرب الماء في فصل الصيف اهديتها لقرّاء المشرق الفضلاء كي يفقهوها ان كانوا يجهلونها او يتذكروها اذا كانوا ممن يعرفونها مكرّرًا ما قلنا في صدر كلامنا انها نبذة ظاهرة لا يكشف عن اسرار باطنها. فمن طالعها مدقّقًا يفهمها ويعرف ان المرض يتطلّب خاصةً الاعضاء الضعيفة وان الشرب الكثير بغير نظام يضعف الاعضاء ضعفًا شديدًا. ارشدنا الله الى ما فيهِ خيرنا اجمعين

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ولم اجد من مناشير زين الدين ابن علي سوى منشور واحد وهو من الملك الناصر محمَّد ابن قلاوون (١ علامتهُ « الله أملي ». ومن مضمونهِ اعادة زين الدين الى الخدمة الشريفة

١) جاء في حاشية الكتاب للموْلف ما نصّهُ: « ثمَّ من بعد كتابة هذه الاوراق وجدتُ منشورًا لزين الدين بن علي المذكور وهو من الملك الصالح أيُّوب ابن الملك الكامل محمَّد سلطان مصر. علامتهُ « ايُّوب بن محمد بن ابي بكر بن ايُّوب » وتحت العلامة المذكورة « الحمد لله وبهِ توفيقي » وهي بخطّ السلطان المذكور. ومن مضمونهِ انَّهُ يُجري لزين الدين الاقطاع بالناحية الغربية والقبليَّة بجبل بيروت. وهي: القاطية ومزارعها بمكّين ومزارعها شمْلال ومزرعتها من العبليَّة (؟) و بتاتر بكمالها وكفرعميه ومزرعتها وذلك لما بان من حسن خدمتهِ ومناصحتهِ ومشاغرتهِ ونهضتـهِ وكفايتهِ وليسلَم ذلك بقلب منشرح وأَمَل منفسح ويستمرّ على مناصحتهِ وخدمتهِ وحفظ الثغور

مع خاصَّته وطواشيه الخمسة. وهو من جملة ما كان باسمه من املاكه واقطاعه وباسم جمال الدين حجي وولده بحُكم التزامه الموانيّ والثغور والمناظر المعروفة بهم بساحل بيروت. جهاتهُ من الفريديس من صيداء ثلاثة افدنة وشكارة وقطع ارض بالعمروسيّة وحصَّة الملك بخلدا. وما هو من اقطاعه القديم باسمه واسم اولاده كفرعميهْ بتاثر. وما هو باسم جمال الدين يحيي عين عَنوب وعيناب. وتاريخ المنشور (36^v) في الرابع من ذي الحجَّة سنة ثلاث وتسعين وستمائة (١٢٩٤ م). ولم اقف على غير هذا المنشور

ومن مضمون كتاب بِهبَة شكارة والعمروسية من هنقري بن دمونقرب الفرنجي صاحب بيروت (١ وهو انَّهُ قد وهب شكارة بدارها عرارة (٢ ينصبها كرماً بشرط ان لا يبيعها ولا يهبها واذا ما فعل ذلك رجع عن هبته. ومن شروطه مساعدتهُ لصحوبيّته (٣ وان لا يترك في بلاده هاربًا من بلد بيروت الّا ويردَّهُ صاحاً او بغيره وان لا يمكّنهُ في الاقامة ازيد من ثمانية ايَّام ولا يمكن احدًا من بلاده يفسد في بلد بيروت (اعني الساحل لان بلد بيروت كانت جبالهُ في ذلك الوقت للمسلمين وكان الساحل للفرنج) وتاريخ هذا الكتاب سنة الف وخمسمائة واثنتين وتسعين للاسكندر (١٢٨٠ م) (٤ وكاتب هذا

المندوب اليها بالناحية الغربية ويجري على ما بيده من الاملاك المستمرة عليه وعلى والده من قبله بالغرب وهي بَيْصور ومزارعها مجدليا والدوير وثلث عرامون ومزارعها كدغور (كذا) ومزرعتها البيره. تاريخهُ في التاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ستة واربعين وستمائة (٦٤٨م). وهذا المنشور يتقدَّم ذكرهُ على ذكر المنشور الذي من الملك الناصر محمد بن قلاون

١) لم نقف على شيء من ذكره في كتب الفرنج

٢) كذا في الاصل «عراره» ولم نتبين معناها

٣) لا ندري ماذا يراد بالصحوبية

٤) جاء في ذيل الكتاب ما حرفهُ: «حاشية تُذكَر في الاصل لبيان مدَّة هذا التاريخ. نحن في هذا العام في آخر سنة الف وسبعمائة وثماني واربعين من التاريخ الرومي (١٤٣٦م) فيكون مضى على كتابة هذا الكتاب مائة واربع وخمسون سنة شمسية روميَّة اعني مائة وثماني وخمسين سنة هلاليَّة عربيَّة وثمانية اشهر تقريباً. قلتُ وذلك في ثامن سنة من سلطنة الملك الظاهر بيبرس وقبل وفاته بسبع سنين وهذا يدلّ على انَّ سجنهم بعد هذا التاريخ. وقد ذكرنا انَّ الإفراج عنهم كان في سنة وفاة الملك الظاهر فهذا يدلُّ على انَّ سجنهم كان نحو سبع سنين والذي قال انَّ سجنهم كان تسع سنين تكلم بجهل والله اعلم»

(نقول) اوَّلًا انَّهُ يوخذ من هذه الحاشية انَّ المؤلف كان عائشًا في سنة ١٧٤٨ لليونان

الكتاب اسمهُ جُرج بن يعقوب وكانت القطعة والكتاب في رقّ وفي ادناهُ خَتم من شمع احمر يمثّل خيالًا بفرسهِ ورمحهِ وترسهِ ودائر الختم كتابة بالفرنجية في اصل الختم

ووقفتُ على خطّ يد لزين الدين بن علي من مضمونهِ انَّهُ قد جعل لابن عمهِ جمال الدين حجّي من الاقطاع الذي اخذهُ لنفسه ولاولادهِ قرية عين درافيل ومزارعها ومزرعة شمشوم بحيث يُقيم جندًا مع اولادهِ وان اختار يُقيم ولدهُ شمس الدين عبدالله ام غيرهُ . وصدّق اولاد المذكور على خطّ ابيهم . ثمَّ كتب بحتر بن صالح والده تحت خطّ والدهِ واخوتهِ انَّهُ اعطى جمال الدين (37^r) المذكور ايضًا مزرعة مرتعون بكمالها يستعين بها على وقتهِ طالما هي جارية في اقطاعه بغير خدمة يكلّفهُ بها (١ . وفي اسفل الورقة المذكورة خطّ سعد الدين خضر بن محمَّد يقول انَّهُ قد اعطى اخاهُ جمال الدين حجّي المذكور شكاره وقرطيَة التي كانت ملكهُ وكتبها في المنشور باسمهِ يستعملها كلما احتاج اليها . وتاريخ خطّ سعد الدين خضر في عاشر ربيع الاول سنة اربع وتسعين وستمائة (١٢٩٥ م)

قلتُ وزين الدين هذا مشهور في البيت بالسيادة والرئاسة مُدح باشعار كثيرة . وكان شجاعًا يُحبُّ اخبار الحروب . ذكروا عنهُ انَّهُ في مدَّة سجنهِ بمصر كتب سيرة عنتر بخطّهِ . وكان بنو ابي الجيش شديدي البغض لهُ وكانوا يكمنون في قلوبهم الحقد والحسد كما ذكرنا وكان سكناهم عندهُ بعرامون . ومن جملة مكايدهم معهُ انَّ احدهم رأى اسدًا قد تطرّق الى بعض الاماكن القريبة لخضر عند زين الدين بن عليّ وقال لهُ : انَّ دبًا مجاورًا

وهي توافق سنة ١٤٣٦ للمسيح وسنة ٨٤٠ للهجرة . (ثانيًا) وبذلك يصحُّ ما قلناهُ في العدد السابق من المشرق (ص ٧٦٥) عن زمن المؤلف انَّهُ كان في القرن التاسع للهجرة بخلاف قول الدكتور هرتمن الذي زعم انَّهُ كان في القرن العاشر وانَّ عمرهُ كان تسع سنين في سنة ٩٢٦ ﻫ (١٥٢٠م) . (ثالثًا) قد وهم المؤلف بقولهِ انَّ الكتاب المذكور اعلاه المؤرخ في سنة ١٥٩٢ للاسكندر كُتب في السنة الثامنة للملك الظاهر بيبرس لانَّ هذا السلطان تولّى السلطنة سنة ٦٥٨ ﻫ فتكون السنة الثامنة لملكهِ سنة ٦٦٦ ﻫ وهي توافق سنة ١٢٦٧ مسيحيَّة وسنة ١٥٧٩ للاسكندر فيكون المؤلف اذًا غالط بنحو ثلاث عشرة سنة والصواب انَّ هذا الكتاب قد كتب بعد وفاة الملك الظاهر بيبرس

١) قال المؤلف في الحاشية : « وظاهر الحال انَّ جمال الدين حجّي لمَّا استرجع بنو الغرب الاملاك والاقطاع بعد خروجهم في ايام المنصور قلاوون ما تعرَّض الى شيء فجعل المذكورون لهُ هذه الاماكن المذكورة ليستعين بها على ضعف حالهِ »

للمكان الفلاني (يريد مكان الاسد . وكان تمويههُ بالدبّ عن الاسد غرورًا بزين الدين وطمعًا ان يحدث لهُ الاسد حادثًا) . فوجَّه زين الدين ليلًا الى المكان ولم يصحب معهُ احدًا ومعهُ قوسهُ . فاكمن في المكان الذي قيل لهُ عنهُ . فلمَّا مرَّ بهِ الاسد علم انَّهُ مغرور بالقول الذي قيل لهُ ورمى الاسد بسَهْم واحد معتمدًا على بيت القلب فمات الاسد منهُ . وعاد زين الدين الى منزلهِ . وعند الصبح (37^v) ارسل الى من اخبرهُ انَّهُ دبٌّ يقول لهُ : اذهب وائتِ بالدبّ الذي قلتَ عنهُ فانهُ مقتول بالمكان الذي ذكرتهُ . قال ذلك متهكمًا . وتزوَّج زين الدين المذكور صادقة بنت نجم الدين محمَّد بن حجّي بن كرامة ابن بجتر(١ وسنة وفاتهِ نقلًا عن خطّ ناصر الدين الحسين نهار الخميس ثامن عشر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستمائة (١٢٩٦ م)

(واسماء اولادهِ) ناهض الدين بُجتر وشرف الدين عليّ وبدر الدين يوسف . امَّا (عمائرهُ) فاوَّل ما عمَّر الحارة التي عند العين بعرامون وهي اوَّل العمائر العالية المحسَّنة ولم يُبنَ في الغرب بيوت احسن منها . عمَّرها قبل فتوح بيروت . ثم عمَّر القاعة والحمَّام في البستان وبعد ذلك شرع في العمارة برأس عرامون ابتدأ ان يعمّرها كقلعة وجعلها اقبية ونقر البئر في الصخر فلم تكمل حتَّى توفّي ثمّ جعلوها مساكن عمَّرها الله بوجود اهلها (ستاتي البقية)

السفر العجب الى بلاد الذهب *

للاب اميل ريغو اليسوعيّ

الفصل الاوَّل

فاضل

مساء الخير يا فاضل

— اسعد الله مساءك يا يوسف

١) توفيت صادقة زوجة زين الدين بن عليّ المذكور وهي امّ اولادهِ جميعهم نهار الخميس سادس وعشرين صفر سنة ثلاث وسبعمائة (١٣٠٣) . وصادقة المذكورة اخت زوجة سيف الدين غلاب وهي امّ علم الدين الرمطونيّ

* قد عرّبت هذه القصَّة بقلم جناب المعلّم رشيد افندي الشرتونيّ

— كيف حال صحتك ؟

— بخيرٍ كما ترى

— نشكر الله

— لقد أتيتَ لتصرف معنا السهرة فاهلاً بك وسهلاً . تفضَّل واجلس

فجلس يوسف على الحصيرة وخرج فاضل حتى ينبّه والدته لكي تهيّئ القهوة

وكان فاضل شابًّا حسن المنظر لهُ شاربان حالكان مع حاجبين كأنهما القوس وعُنق مستقيم وكتفين عريضتين وساعدين مفتولين وساقين قويتين ولم يكن يجهــل القراءة والكتابة والحساب وقد تعلَّم اللغة الافرنسية وشيئًا من الانكليزية وكان اهل قريتــهِ ينعتونهُ بالعالم . ومع انهُ لم يكن ذا عقلٍ فريد فقد كان من ذوي الخبرة في الاشغال ولا جرم ان هذه الصفة قد ورثها السوريُّون عن اجدادهم الفينيقيين . ومع كلّ هذا فقد كان شديد التحمُّس في الديانة ممارسًا لمقتضَياتها فلم يتأخر طول عمرهِ عن حضور القدَّاس أيَّام الآحاد ولا أهمل الاعتراف والتناول في الاعياد الكبرى من السنة . وقد ربَّتهُ والدتهُ مريم تربيةً حسنةً مسيحية فكان يحبها ويقدّم لها غاية الاكرام

وقد ضمّ فاضل المذكور الى هذه الصفات كلها صفةً يعتبرها اهل الدنيا اعظم الاشياء وانفسها فقد كان معدودًا عندهم انهُ ورث عن المرحوم والده غنًى عظيمًا وكانوا يتحدّثون بذلك فيما بينهم مع ان ظواهر فاضل لم تكن لتدلّ على شيء ممَّا ذهبت اليهِ اوهامهم . والحقيقة انهُ لم يكن ذا ثروة طائلة بل انهُ كان ميسور الحال ينفق عن سَعَة ومن ايسرت حالهُ وقنع بما عندهُ يعيش لعمر الحقّ عيشةً راضية فلا يرهب تقلّبات الدهر ويكون بنجاة من المعايب والرذائل التي تتولَّد عن الميل المتطرّف الى حشد الدرهم

وكان فاضل يفكّر في هذه الامور كلها بينما كان يهيّئ نارجيلته لاجل التدخين بها . فبعد ان بلَّ التنباك وعصرهُ وفركهُ بين راحتَيه وضعهُ على رأسٍ ذي نقوش ثم تنــاول مِلقطًا واتخذ من كانون امامهُ اربع جمرات صغيرة ونضــدها على رأس النارجيلة واخذ يشرب . وغب ان جذب بضعة أنفــاس جلس الى جنب يوسف فقدم لهُ طرف التربيج الطويل وكان قد لواهُ عدَّة ليَّات على القلب فقال :

كيف حالك ؟

— بخير والحمد لله

— صحتك جيدة ؟

— تحت انظارك

ولم يعد يُسمع بعد ذلك سوى بقبقة النارجيلة التي كان دخانها الضارب الى الزرقة يتصاعد الى الجوّ

اما الحجرة التي جلس فيها فاضل ويوسف فلم تكن بالكبيرة ولا الصغيرة وكان سقفها من جسور الحور التي علاها الاسوداد قليلًا وفي جدرانها المبيَّضة ثلاثة شبابيك مطلّة على حقل من التوت وتجاويف مصنوعة لاجل تنضيد الفرشات والمساند واما أرضها فمن الحجريَّة . وكانت الحجرة المذكورة أحسن غرف البيت فكانوا يستعملونها احيانًا للرقاد واحيانًا يمدُّون فيها سُفرة الاكل واوقاتًا يستقبلون فيها الزائرين وفي مساء هذا النهار اختاروها لقضاء السهرة لان اوائل برد الخريف اجبرتهم ان يعدلوا عن الجلوس على السطح حيث كانوا يتسامرون عادة في ايّام الصيف ويتأملون الرقيع المزيّن بالنجوم وينظرون الى القمر وضيائه الساطع . وبينما هم كذلك اذا بيوسف تزحزح قليلًا من مكانه فقال : هذا مارون آتٍ — ثم دخل مارون يتبعهُ رزق الله وابرهيم وعبد الله وجبرائيل

— مساء الخير

— سعدتم مساء

— كيف حال صحتكم ؟

— جيدة بحمد الله

— الشكر للمولى

واذ ذاك التى فاضل على الارض طرف التربيج وذهب ليأتي بنارجيلات أُخرى لزائريهِ وبينما كان مهتمًا بتهيئتها دخلت والدته وبين يديها صينيَّة عليها فناجين القهوة . وكانت امرأة فاضلةً تبلغ من السنّ نحو الخمسين سنة وازيد وقد فجعت بزوجها في مقتبل شبابهِ فاقبلت وقد صارت وحدها على تربية ولدها فاضل المذكور وشقيقتهِ ولم يكن لها من الاولاد غيرهما . وكانت تحبّ فاضل محبة عظيمة ولا تطيق ان يغيب عنها دقيقة واحدة ولهذا كانت تقلق وتضطرب كلّما ذهب الى احدى القرى القريبة ويزيد اضطرابها اذا اتفق لهُ النزول الى بيروت

فلمّا دخلت وقف الجميع فسلّموا عليها واضعين ايديهم على صدورهم كما هي العادة .

فحيتهم بمثل تحيتهم ثم قدَّمت الى كل منهم فنجانًا من القهوة وانتظرت حتى يفرغوا من شربهِ

وبينما كانوا يتناولون القهوة ببطء وهم يتحدثون عن امور عديدة بجمل متقطّعة اخبرهم يوسف ان موسى وردهُ مبلغ عظيم من الدراهم من ولد لهُ مسافر الى اميركة. فما سمع الحاضرون لفظة دراهم حتى شخصت منهم الاحداق واشرأَبَّت الاعناق وكاد ابرهيم ان يكبّ القهوة من فنجانه الذي كان قد تناول نصفه. ثم ان عبدالله اكَّد لهم الخبر وزاد جبرائيل انهُ التقى بموسى المذكور وكان مُشرق الوجه فرأى معهُ من بعيد قطعة من ورق ابيض ولما دنا منهُ رأَى في تلك القطعة حروفًا اجنبية غير انهُ لا هو ولا موسى تمكنّا من قراءتها

واذ ذاك مال الحديث ميلَهُ بالمجتمعين في بيت فاضل واندفعوا في الكلام اندفاعًا واخذوا يتحدثون عن هذه البلاد الاميركية البعيدة التي ترزق قاصديها الغنى وتخوّلهم القناطير من الذهب. ولكن لم يكن احد منهم ليعرف موقعها بل غاية ما يعلمون ان قاصدها يصير غنيًّا وينسون ان المهاجرين اليها كثيرًا ما يخسرون اموالهم بل كثيرًا ما يفقدون كنوزًا اثمن من الصحّة والمال

وكان فاضل قد هاجت الرغبة في قلبهِ للسفر الى حيث سافر الآخرون من قريتهِ. وكان يقول في نفسهِ: انهم ليسوا باحذق مني وقد اصابوا نجاحًا. فلماذا لا انجح انا ايضًا؟

واعلم ان فاضل مع ما كان متزيّنًا بهِ من الخلال الحسنة قد كان فيهِ عيب من اكبر المعايب وهو انهُ يحبّ المال الى حد الافراط. ولم يكن هذا الشاب لينتبه الى هذا الامر حق الانتباه بل كان يسمّيه اقتصادًا وحذرًا ويقول: ان الانسان لا يسوغ لهُ ان يكون مبذّرًا. الى غير ذلك من الاقوال الدالة على حرصهِ الشديد

فلما جرى بحضوره حديث اميركة وذهبها تأجج الشوق في فؤاده وودَّ لو يكون لهُ جناحان حتى يطير اليها. وبعد ان كان قبلًا يرى نفسهُ في سعادة وغبطة اصبح يشاهد منزلهُ حقيرًا ويحدّث نفسهُ انهُ اذا ذهب الى اميركة يعود منها ويبني بيتًا كبيرًا مسقوفًا بالقرميد كبيت جاره بطرس ايوب. وصارت تتمثّل لمخيّلتهِ أسباب كثيرة تحثّهُ على الرحيل منها انَّ تربية دود القزّ أَصبحت لا توفي بتعبها وان الحرير ولا سيما السوري قلّت اثمانه وتصعَّب مبيعه في اوربة

وكان فاضل كما سبق الكلام نائلًا من الثروة ما يزيد على الكفاية حتى انهُ كان يُحسب غنيًا ما بين اهالي قريتهِ الذين هم جميعًا من الفقراء . ولكن متى احبَّ الانسان شيئًا يرى كلّ الاسباب المؤدية اليهِ حسنةً . وبينما كانت كلّ افكارهِ متَّجهةً الى اميركة وأصبح ولا همَّ لهُ سوى السفر اليها واجتناء ذهبها اذ فُتح الباب بغتـةً دون تنبيهٍ سابقٍ ودخل موسى وفي يدهِ ورقة فقال : « أتعرف القراءة . انظر ما ارسلهُ اليَّ ولدي من سـان فرنسيسكو » وحينئذٍ قام الجميع وقوفًا وازدحموا حولهُ واخذوا ينظرون في الورقة ويلمسونها بايديهم . فصاح بهم قائلًا : انهـا بقيمة خمسمائة فرنك وتسمَّى في عرف التجّار « شِك » فما لي الا ان اذهب الى بيروت وأُقدّمها للبنك فاقبض قيمتها على التمام والكمال أفهمتم ؟

قال هذا ووجههُ يتهلّل فرحًا ويفيض جذلًا وبشرًا . فعطف الكل ابصارهم الى الورقة فمـا تمكّن احد من قراءتها الّا فاضل فانَّهُ قرأ في رأسها باحرف غليظة لفظتي « مئة دولار » وامّا البـاقي فكان مكتوبًا بالانكليزيَّة . وحينئذٍ بلغ الاندهاش من الحاضرين اقصى مبالغهِ حتى انهم في ذلك المساء قصروا حديثهم على اميركة معدن الغنى ولمَّا تفرّقوا من السهرة رقد فاضل وهو يفتكر بارض الذهب

فلمَّا طلع الصباح افاق فاضل متقطّب الجبين وتناول ترويقتهُ التي جرت عادتهُ ان يتَّخذها كل يوم من الخبز والزيتون ثم خرج وهو مكتئب ومشغول الفكر . ولحظت ذلك منهُ والدتهُ مريم فعرفت دون صعوبة علَّة ابتئاسهِ واضطراب بالهِ . وكانت تحبّ من صميم قلبها ان يصير ولدها غنيًا ولكن من جهة لم تكن تطيق الصبر على فراقهِ ومن جهة أُخرى ما كانت تستطيع ان تصحبهُ في سفر هكذا طويل حتى انها لو استطاعت لمانعها فاضل كلّ الممانعة ومع ذلك فان وحيدها هذا كان مزمعًا ان يتعرَّض لاخطار كثيرة في اسفارهِ بالبحر وسلوكهِ ببلدان يجهلها (ستأتي البقية)

شذرات

سيارة جديدة

قد اكتشف المسيو شرلوا (Charlois) احد الفلكيين المتولين نظارة مرصد نيس في فرنسة سيارة جديدة الّا انها غاية في الصغر نظمها المكتشف عليها في سلك الكواكب المعدودة في الدرجة الحادية عشرة من حيث الكبر. وقد امتاز مرصدا مدينتي نيس ومرسيلية باكتشافات السيارات ولا غرو فان صفاء السماء في جنوبي فرنسة يُساعد على ذلك. ولو حظي الشرق بمثل هذه المعاهد الفلكية لبرّز في هذا الميدان واصاب بالسَّبق.

نبات الالب في باريس

اخذ الطبيعيّ غستون بونيه (Bonnier) اغراسًا حديثة من نبات باريس فوضعها ليلًا في آنية ضمَّنها جليدًا ذائبًا ثم عرضها في النهار لهواء الجوّ فوجد لها كلّ خواصّ نبات جبال الالپ من حيث الكبر والتركيب كأنَّها غُرست في قمم هذه الجبال التي يبلغ علوّها ثلاثة آلاف متر

كتابة الاسماء الجغرافيَّة في اللغة العربيَّة

استلفت المستشرق الشهير نلّينو معلّم العربية في مكتب اللغات الشرقية في نابولي نظرنا لاصلاح ثلاثة اسماء وردت في المشرق (ص ٥٢٨ و ٥٨٠) على غير صورتها فرُويت هنالك « تلّ امرنا واسنة وبان الملوك » بدلًا عن تلّ « العمارنة واسنا و بيبان الملوك »

قال الكاتب الاديب: « اني استغنم هذه الفرصة لانبّه كثيرين من الشرقيين الذين ينقلون عن اللغات الاوربية الاسماء الجغرافية ولا يتثبّتون صحّة كتابتها فيشوّهونها بسوء النقل واني ان اردت ان اسرد كلّ الاغلاط الواردة في كتب المحدثين المطبوعة في الشرق من هذا القبيل لأدّى بي الكلام الى الاسهاب المملّ. فهاك مثلًا كتابًا طُبع حديثًا في بولاق سنة ١٨٩٣ اسمهُ « كتاب العرب وآدابهم » لجامعَيهِ ادورد ڤانديك وقسطنطين فيليبيدس صدَّرهُ المؤلفان بمختصر جغرافيّ في جزيرة العرب فترى اكثر الاسماء الواردة هنالك مشوَّهة ايَّ تشويه لنقلها ايَّاها عن لغات اجنبية دون مراعاة اصلها فيجعلان مثلًا (ص ٦) جزيرة خوريان « كوريان » ومدينة الكُوَيت « قويط » وجبل العارض « الجبل العريض » والقُصَيم « القسيم » ووادي حمد « وادي الحَمْض » والفَلَق « الفَلْج ». وكذلك شوّها الاسماء

الاتية (ص ١٣ و ١٤): « لينة والحناكيّة وأكير وصَعْدة وتَبالة والمَجمَعة وظُرَما والرَّس وقلعة بيشة ولَحِج وبَرْكا وصُحار وشِنَاص والظاهرة والبُرَيمة والهُفهوف وبكيل والجواسم وكَمَران » فكتبها كما ترى: « لينا وحنكيّة وعكير وزاده وطباله ومجمع ودراما وراس وقلعة بجا ولهيج وبرقي وزهاد وشناس والضاهرة وبريا والهفوف وبقيل والجوازمي وقران » هذا فضلًا عمّا ورد من اغلاط الطبع كخمار بدلًا عن ذمار

أفلا يمكن لمجلتكم الغرّاء ان تستدرك هذه الآفة بوضع معجم لاسماء البلاد ؟

(نقول) انّ السبب الاوّل لوقوع الاغلاط انّ كثيرًا من الاسماء الجغرافية ليس لها ذكر في كتب العرب الّا نادرًا فيسمعها الشرقيون من الاجانب او يقرأونها في كتبهم فلا يطّلعون على صحّة كتابتها. واحسن الوسائط لاصلاح هذه الاغلاط ان يصير اتفاق بين العلماء المستشرقين على نقل الحروف العربية الى لغاتهم على صورة واحدة لاسيما الحروف الحلقيّة كالعين والهمزة والحاء والخاء والقاف فترى كلّ كاتب ينقلها الى لغتهِ على هواهُ فيصوّرها مرةً بحرفٍ واحد ومرّة بحرفين وحينًا بعلامة دون حرف الى آخرهِ مثل ذلك حرف الحاء فقد رأيناها مصوَّرة باللغات الاوربية على هذه الصور KH, CH, HH, Ḥ, H الخ. فكيف يمكن للشرقي ان يعرف ما المراد بكل هذه الصور المختلفة ؟. وقس على ذلك غيرها من الحروف. هذا وربّما نقلها الاجانب فرسموها بحرف عربيّ بيد انّها مغلوطة وهذا كثير فيمن لا يحسنون العربية. فتُنقل عنهم بغلطها. اما وضع معجم عربيّ لاسماء البلدان فذلك غاية ما نتمنّاهُ وان شاء الله سنفرد لذلك قسمًا من هذه المجلّة ل. ش.

النعنع

ليس احد يجهل وجود هذا النبات العطر في اغلب اقطار العالم وما في احسن استعمالهِ من الفوائد الصحيّة والبيتية. والآن قرأنا في احدى المجلّات العلميـة ان اليابانيين يستفيدون من النعنع منذ امد يتوغّل في القدم فيزرعونهُ في حقول واسعة ويستخرجون منهُ عطرًا مائعًا وجامدًا يستخدمونهُ في معالجة انواع الامراض كوجع الاعصاب والسُّعال والزُّكام والإسهال وغيرها من الادواء حتى الجروح ولَذَعات الحشرات والهوامّ. وفي جزائر اليابان لاسيما في ولاية اوزن اكثر من عشرة انواع النعنع. الّا انّ النوع الاغلب الوجود والاستعمال هو نعنع الحقول (Mentha arvensis) ويسمّى باليابانية الحاكّة. واما طريقة زرع النعنع عندهم فعلى غاية السهولة فلا تختلف عن زرع غيره من النبات

المجانس لهُ. ومحصولات هذه المزروعات جديرة بالاعتبار فان حقلًا لا يجاوز سطحهُ عُشرًا من الهكتار يمكن ان يحصد منهُ ٣٠٠ كيلوغرام من الاوراق اليابسة

وهنا لا يسعنا السكوت عن تأسفنا على تهامل الشرقيين عن زرع هذا الزهر المفيد والبرّي منهُ كثير في كلّ انحاء فلسطين ومصر والاناضول وبلاد الشام لاسيما جبل لبنان حتى ذروة الصنّين. ونخصّ بالذكر النعنع الاعتيادي المعروف عند علماء الطبيعيات بنعنع الغابات (Mentha sylvestris *L.*) ولهُ في لبنان اشكال عديدة منها M. stenos-tachya *Boiss.* و M. glabrata *Bois.* و M. petiolata *B.* و M. lavandu-lacea *B.* فتجدها في كلّ طبقة من الاراضي والاتربة لاسيما على ضفّة الانهار والجداول. ومنهُ ايضًا النعنع المسمى المائي (Mentha aquatica *L.*) وهو ينمي بالقرب من السيول وبالخصوص في مجاري الحقول والمروج. وطولهُ اصغر من الاوَّل وزهره على هيئة كرة صغيرة ذو رائحة. واماَّ نعنع الصنّين فعليك ان تطلبهُ في جوار نبع الصنين ونبع اللبن وسائر اماكن لبنان الاعلى وهو رقيق نحيل كسائر نبات الجبال ولون ورقه اخضر خاسف وزهرهُ ابيض ضارب الى الزرقة. وبخلاف الاولين ينبت هذا النعنع في الاراضي اليابسة الكثيرة الحصى ورائحتهُ زكيَّة جدًا لا تكاد تمسّ ورقةً من اوراقهِ او زهرة من ازهارهِ حتى تستنشق رائحة عطرهِ الفائح. وقد سمَّاهُ العلماء (Calamintha origanifolia *Lab.*) لمشابهة هيئة اوراقه لاوراق الصعتر ولهُ فوائد كثيرة لاسيما في امراض الاحشاء والمعدة. الّا ان اهل الشام ولبنان لا يعرفون منفعة هذا النعنع اللهمَّ الَّا بعض الفلَّاحين منهم

وفضلًا عن تلك الانواع الثلاثة قد شاهدنا في بعض انحاء سوريَّة ولبنان لاسيما في البقاع نوعًا آخر اجنبيًا حديث العهد في المشرق وهو المعروف في بلاد اوربة بالنعنع المفلفل (Mentha piperita). قد اعتاد الاوربيون ان يستخرجوا منـهُ كلّ ما يباع باسم (Menthe) ويدعونهُ زيت النعنع وشراب النعنع وروح النعنع الخ ...

وعلى ذوي الاملاك واصحاب المعامل بهذه الاقطار الشرقية ان يفكّروا في وجه استخدام هذا النبات الغزير الدخل فانَّهُ يغني بلادهم عن كلّ واردات اجنبية من هذا القبيل اذا ما زُرع في اراضيها وأُحسنت تربيتهُ. وممَّا لا ريب فيهِ ان عمل روح النعنع او شراب النعنع او زيتهُ الى غير ذلك من ضروب استعمالاتهِ وفنون معالجاتهِ لا صعوبة فيه لمن عرف عمل العرق وغيرهُ من المشروبات س. ر.

الترامو في الولايات المتحدة — يعلم القرّاء ان للولايات المتَّحدة المقام الاعلى في كلّ ما يختصّ بالاختراعات الحديثة. وعليهِ فقد حسبوا طول سلك الترامو الموجودة بها في غرَّة السنة الحاضرة فوجدوا مجموعها يفوق ٢٤,٠٠٠ كيلومتر. منها ١,٠٥٤ بمدينة شيكاغو

بستون	٨٨٠ «
نيويرك	٦٨٣ «
سان لويس	٦٦٦ «
بروكلين	٦٤٨ «
فيلادلفية	٦٤٠ «

وامَّا سائر المدن فطول الترامو فيها اصغر من المدن السابقة الذكر. الَّا ان ذلك ليس بدليل على ان الترامو قليل الانتشار بها. لان امتداد السكك يجب حسابها بالنسبة الى اتساع سطح المدينة لا بالنسبة الى طول الترامو الموجود في غيرها من المدن. فمدينة (Cincinatti) مثلًا لها ٤١٨ كيلومترًا من الترامو مع انها اصغر من المدن المذكورة آنفًا. وكذلك بوفالو التي هي من اصغر مدن الولايات المتَّحدة فان الترامو يبلغ فيها طول ٢٣٤ كيلومترًا

أسئلة وأجوبة

كتب لنا القس جبرائيل . . . من بغداد يهنّئنا على مقالتنا في الزباء. فبعد الثناء قال ما نصّهُ: «انَّ الاوفق والاقرب الى الصحَّة والمعنى ان تفسَّر لفظة تدمر (بالاعجوبة) طبقًا لصيغتها الآرامية اي الكلدانية لان تدمر مجزومة من لفظة ܬܕܡܘܪܬܐ . . . .»

اسم تدمر

(قلنا) اننا لا نجهل ان بعض المؤرّخين سعوا في استخراج معنى لفظة تدمر من الكلمة الآرامية المذكورة ولا ننكر ما في هذا الاشتقاق من ظاهر الصحة. الَّا ان في الامر نظرًا. لان هذا التفسير يقوّض نص الكتاب المقدس حيث قيل ان سليمان الحكيم بنى تدمر في البرّية. فلو كان معنى تدمر (اعجوبة) لوجب التسليم بان بانيها غير سليمان اذ

انها قد صارت اعجوبة قبل عهده . وهذا ممَّا لا يقبلهُ ليس فقط مَن يعزو بناء تدمر الى الملك سليمان بل ايضاً مَن يزعم ان تدمر المذكورة في الاسفار الكريمة انما هي تمر المدينة الصغيرة الكائنة في براري بلاد يهوذا . فالاحرى عندنا ان العلماء لم يأتوا الى هذه الغاية بما يرتاح اليهِ العقل في شأن معنى تدمر . واغرب ما قيل في ذلك ان لفظة تدمر هي هندية كاسمي دمشق ومنبج (راجع Hitzig : Z. D. M. G. VIII. p. 209)

اقدم لغة وخطّ في العالم

ثم سألنا حضرتهُ ١ ما هي اقدم اللغات في العالم ٢ً وما هو اقدم خطّ فيهِ حسب الآراء الحديثة


(نجيب) ١ً ان السؤال الاوَّل لا معنى فيهِ اذا وُقِفَ على ظاهره . لانَّ اقدم اللغات انما هي لغة آدم ابي البشر . وامَّا اذا سأل احد ما هي اقدم اللغات المعروفة وجودها الآن ميتةً كانت ام غير ميتة قلنا ان ذلك ايضاً ممَّا لا جواب عليهِ لان اغلب الألسن القديمة (اعني السامية والحامية والهندية اوربية) يمكن ان نفرض لها اصلًا واحداً لبعض دلائل تشهد على قرابة ما بينهما

٢ً وامَّا الخطّ فلا يُعرف ايضاً ما هو الاقدم . والذين يقولون انَّ الخطّ المصري هو الاقدم لا يقصدون من ذلك سوى نسبة الخط المصري الى الخطوط السامية والاشارة الى ان اغلبها مشتقة من الخطّ الفينيقي الذي استُخرج من الخط المصري المعروف بالهياراتيك (راجع المشرق ص ٥٣٨) . وممَّا لا نزاع فيهِ بين معظم العلماء المحدثين ان الخط في كلّ الامم قد اتى في الابتداء على هيئة هياروغليفية . والحال انَّهُ لا يُعلم ما هو الهياروغليف الاقدم لعدم الدلائل التاريخية المقنعة

تنبيه

قد وقع في العددين الاخيرين اختلاف في رسم ميزان الحرارة فعُدَّ النهار من الظهر الى الظهر وكنَّا سابقاً عددنا من نصف الليل الى نصف الليل وهو غلط يسهل استدراكهُ لمن تبصَّر

قائمة للآثار الجوية من ٣ الى ١٨ آب ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات

المشرق

الهواء الجوّيّ وميزان ضغطهِ (البارومتر)

للاب غدفريد زُموفن اليسوعي مدرّس الطبيعيَّات في كلّية القديس يوسف

١

انَّ اوَّل ما يشعر بهِ المرء من الظواهر الجوّيَّة عنصرٌ يُحدق بهِ أنّى انتقل وكيفما تصرَّف وما ادراك ما ذلك العنصر ألَا وهو الهواء الكُرَوي الذي فيهِ انغمس البشر كما يغوص السمك في الماء. وهذا الجسم اللطيف المَرِن لا يدركهُ البصر وانّما لهُ مفاعيل بيّنة نحسُّ بها آناء الليل واطراف النهار ولا يكاد يخلو يومٌ الَّا ونشكو حرارتهُ او نقشعرّ من بردهِ او نتنسَّم من نفحاتهِ الطيّبة الى غير ذلك من التأثيرات المعروفة. ومن اخصّ معلولاتهِ انّهُ قوام حياة الحيوان وانَّ اضطرابهُ سببُ الرياح وعلّة الانواء والزوابع وهو مُحدث تلك الإعصارات التي ربّما اشتدَّت وطأتُها على بعض البلاد فنسفتها نسفًا وحولّتها الى قاعٍ بلقعٍ.

وليس الهواء كما زعم الاقدمون عنصرا بسيطًا وانّما هو مزيجٌ يتركَّب من عدّة عناصر (راجع المشرق ص ٧٦٤ و ٧٦٥) اخصّها الأُكسيجين والأَزوت وكلا الغازين عارٍ من اللون خُلوٌ من الطعم والرائحة الّا انّهما في ما سوى ذلك يختلفان كلّ الاختلاف. ومن اراد ان يُفرِزهما فليأخذ شمعة موقدة يُدخلها في كلٍّ من الغازين بالمناوبة فاذا غُمِست في الأَزوت انطفأَت بخلاف الاكسيجين فانَّ لهب الشمعة يزداد فيهِ سطوعًا. واذا ادنيتَ من الاكسيجين شمعة منطفئة تدخن ذبالتها رأيتها للحال تتَّقد وتسمع لا تقادها صوتًا شديدًا

ومن الاختبارات التي تصلح لتعريف خواصّ الاكسيجين والازوت ان تعمد الى عصفورين تدخل احدهما تحت قبّة زجاجية تتضمّن كميّة من الاكسيجين والآخر في قبّة تتضمّن الازوت فترى العصفور الاوّل يتطاير فرحًا ويطرب منتعشًا ويبالغ في الصفير والحركة بخلاف الثاني الذي تخورُ قواهُ وتخمد حركتهُ الى ان يموت اختناقًا. فالاكسيجين هو اذن ركن الحياة بل لولاهُ لَما امكن ايقاد نارٍ واشعال ضوء

على انّ الاكسيجين وحدهُ ذو عمل شديد لو تركهُ الباريُ دون الازوت لأثَّر تأثيرًا بالغًا في انسجة الجسم وتواتَرَ تنفُّس الحيوان وازدادت حركة الدم ودورانهُ في الشريانات وفسدت في الانسان بوقت قريب اسباب الحياة. وعليهِ فقد ألان سبحانهُ وتعالى شدّتهُ هذه المفرطة ومزج فيهِ لتعديلهِ قسمًا من الازوت الذي لا تأثير لهُ في اجهزة الحياة

امَّا الكميَّة الداخلة في الهواء من كلا الغازين فهذا مُعدَّلها. يدخل في مئة قسم من الهواء نحو ٧٩ قسمًا من الاكسيجين وعشرون قسمًا من الازوت وشيء من بعض الغازات النادرة المكتشفة حديثًا كالأرغون (Argon) والهيليوم (Hélium). وهذا التركيب لا يختلف اختلافًا يُذكَر سواء تعتبر هواء الجبال او هواء الاودية او هواء الاقاليم الباردة او الحارَّة. فان وُجد في بعضها اختلاف فانَّهُ لا يتجاوز جزءًا واحدًا في الالف

وما خلا هذه الغازات يوجد ايضًا في الجوّ شيء من الحامض الكربوني ينتج في الهواء من تنفُّس البشر والعجماوات ومن حرق الفحم وايقاد الغازات ومن تعفّن بعض الموادّ والموائع وإفراز النبات ليلًا. وهذا الحامض شديد الضرر بل سمٌّ زعاف يختلف قدرهُ باختلاف الاوقات والامكنة. وربَّما ازداد مقدارهُ فبلغ من اربعة اجزاء الى ثمانية في الالف

ولا يخلو الجوّ من كمّية قليلة من الماء المتبخّر واذا كثر هذا البخار تولّدت منهُ الغيوم والامطار كما لا يُخفى

هذا ولا يمكننا ضرب الصفح عمَّا في الهواء من الذرَّات العديدة كهباء اصناف المعادن ونُفايات الارض والجراثيم الحيوانيَّة وكلُّها منبثٌّ في الهواء ينفذ في فمنا بالتنفُّس ويلج في الرئة ويُضني حياتنا نخصُّ منها بالذكر تلك الآليَّات النباتية التي تُعرف بالميكروبات ومنها الوفُ الوفٍ وربوات الوف الوفٍ في الهواء تنفذ في جسم الحيوان فمنها اختمار الموائع وفساد الجِيَف والحُمّيَات واصناف الادواء المعدية. هذا الى عدد لا يُحصى من اشكال الهوامّ التي لا تقع تحت الحواسّ لصغر اجرامها. الّا انّ كثيرًا منها يصارع الانسان مصارعة في كلّ

ساعات حياتهِ وهي لا تزال تحمل عليهِ الحملات الصادقة حتى تأتي على حياتهِ بالموت

٢

ومن المعلوم انَّ الهواء الذي يكتنفنا يستدير بالارض جمعاء ودائرة الهواء حول الارض تُدعى جوًّا والجوّ لاصق بالكرة الارضية اعني انَّهُ يصحبها انَّى سارت في فلكها يشاركها في كافَّة احوالها وحركاتها. والذين ركبوا المناطيد وارتفعوا الى طبقات الجوّ العليا قد وجدوا الهواء كما في الطبقات السُّفلى بيد انَّهُ متخلخل. هذا وهو امرٌ مقرَّر ان للهواء حدودًا ليس وراءها غير الفضاء. وقد قاس الفلكيُّون بالتخمين ارتفاع الهواء فوق سطح الارض فارتأَوا انَّ علوَّهُ لا يتجاوز ستين او سبعين كيلومترًا. اماَّ الزُّرْقة التي تشهدها العين فانَّما هي لون الهواء في تكاثفهِ وامتدادهِ

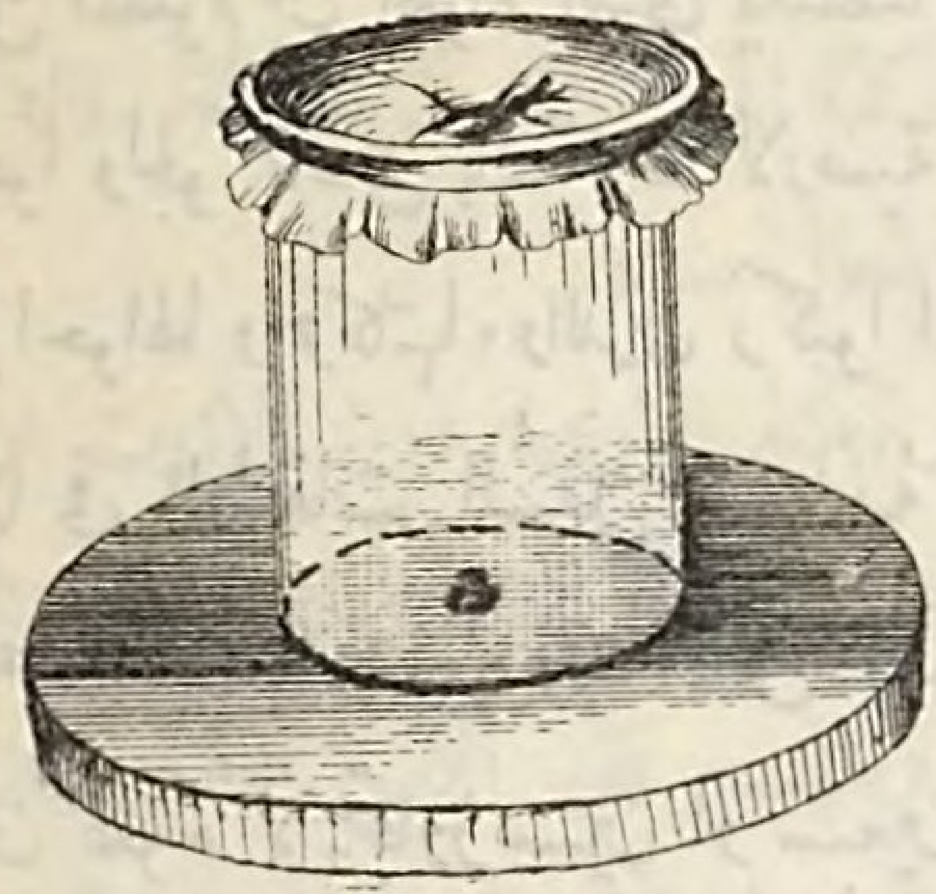
والهواء مع لطفهِ ذو ثقل. تلك قضيَّة خطرت على بال الاقدمين الَّا انَّهم لم يحسنوا الاختبار لتحقيقها. ويُخبر عن ارسطو الفيلسوف انَّهُ اتَّخذ لذلك زقًّا فوزنهُ اوَّلًا فارغًا ثم نفخهُ وكرَّر وزنهُ لعلَّهُ يجد بين حالتَيهِ فرقًا في الثقل فلم يجد فاستنتج ان الهواء لا ثقل لهُ. بيدَ انَّهُ ساء ظنهُ كما سيأتي. واوَّل من بيَّن ذلك العلاَّمة الشهير غليلاي (Galilée) ثم عدَّد في سنة ١٦٤٠ تلميذاهُ الشهيران توريشلّي ودي غَريك الاختبارات لبيان هذه الحقيقة

والبرهان على ذلك ان تأْخذ قارورةً من زجاج تحتوي نحو مقـدار عشرة ليترات في اعلاها حنفيَّة فتزنها والهواء فيهـا. ثم تستخرج بواسطة آلة التفريغ ما فيها من الهواء وتزنها ثانيةً فتجد ان ثقل القارورة قد خفَّ ورجحت كفَّة الميزان التي فيها المثاقيل المعادلة للقارورة. واذا فتحتَ الحنفيَّة دخلهـا الهواء بصفيرٍ شديد وارتفعت الكفَّة الراجحة الى ان تتوازى الكفتّان. فيثبت بذلك انَّ للهواء ثقـلًا. وهذا الثقل في كل ليتر يناسب غرامًا و٢٩٣ ميليغرامًا. اماَّ اختبار ارسطو فكان مخلاً لجهلهِ مبدأ ارشميد وهو انَّ كلّ جسم يخفُّ ثقلهُ اذا وُزن في مائع كالماء او الهواء ويفقد قسمًا من ثقلهِ يساوي ثقل المائع الذي يحلُّ محلَّهُ

ويُبرهَن ايضًا على ثقل الهواء بوزن قارورة من زجاج تتضمَّن كميَّةً منهُ معلومة. ثم تحمى تلك القارورة الى ان يسخن الهواء الذي فيها فيتخلخل ويخفّ فترى ثقل القارورة قد نقص لذلك

ومن الاختبارات الشائعة ان تعمد الى انبوبة متّسعة من زجاج فتربط احد طرفيها بمثانةٍ ربطًا محكمًا وتركَّب طرفَها الثاني فوق فوهة آلة التفريغ فاذا فُرّغ منهـا

الهواء ترى المثانة تنضغط ضغطاً قوياً الى ان تتمزَّق ارباً بصوت شديد لتحامل ثقل الهواء الخارج عليها (راجع الشكل الاوَّل)



الشكل ١. تمزُّق المثانة لضغط الهواء

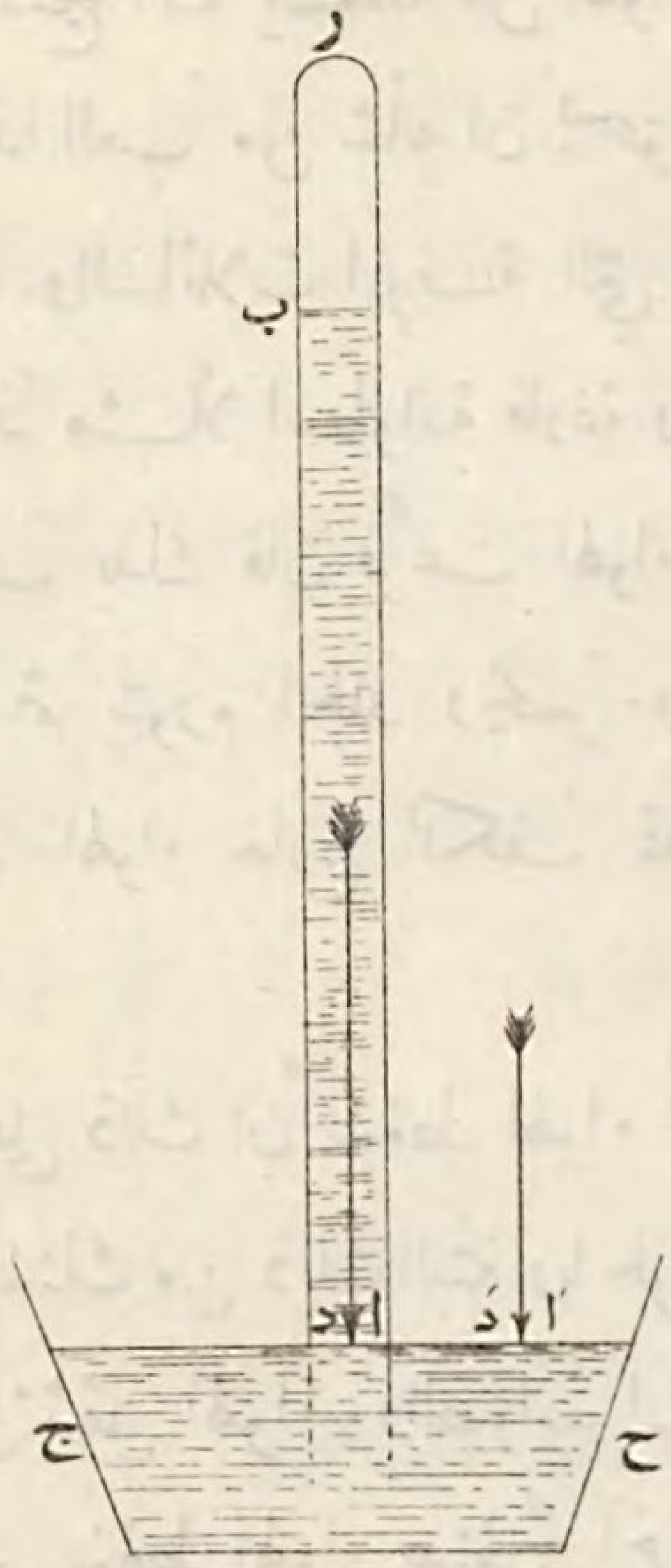
هذا وقد وُضع لمعرفة ثقل الهواء آلة تدعى البارومتر ومعناهُ مقياس الضغط يُعرف بهِ مقدار قوّة ضغط الهواء وضعفهُ وثقلهُ وخفَّتهُ في كل ساعة من النهار لانَّ برودتهِ وحرارتهِ ورطوبتهِ ويبوستهِ يتغيَّر كثيرًا في الكثافة والتخلخل. وفي معرفة احوالهِ هذه منافع لا تُنكر. امَّا مخترع البارومتر فهو توريشلّي تلميذ كُليلاي. وذلك انَّهُ اخذ انبوبًا من زجاج طولهُ نحو متر سُدَّ احدُ طرفيهِ فملأَهُ زئبقًا وسدَّ الطرف الآخر باصبعهِ ثم عكسهُ وغمس هذا الطرف في وعاء مملوء من الزئبق ونزع اصبعهُ فهبط الزئبق في الانبوبة هبوطًا قليلًا وبقي منهُ قسمٌ مرتفع في الانبوبة فاستنتج من ذلك انَّ ثقل الهواء يوازي ثقل عمود الزئبق (انظر الشكل الثاني)

فالبارومتر اذًا يتركَّب اصليًا من انبوبة زجاج طولها ٩٠ سنتيمترًا يُسدّ طرفُها الاعلى ويغوص طرفها الاسفل في وعاء مملوء زئبقًا ويصعد من الزئبق المذكور قسمٌ في الانبوبة الى حدٍ ما يبقى فوقهُ فضاء خُلوٌ من كل سائل يدعى بيتُ المقياس يضيق او يتسع على حسب ثقل الهواء او خفَّتهِ في الجوّ. امَّا طول عمود الزئبق فهو عند اعتدال الهواء نحو ٧٦ سنتيمترًا اعني انَّ ضغط هواء الجوّ وقتئذٍ يعادل عمودًا من الزئبق طولهُ ذراعٌ بنيِّف قليل (وطول الذراع ٧٥ سنتيمترًا)

ومن شروط تجهيز البارومتر ان يبقى بيت المقياس فارغًا من كل آثار الهواء ولذلك لا بُدَّ من تجفيف الانبوبة الزجاجية لئلَّا يلصق بها شيء منهُ. واحسن طريقة لذلك ان يُسخَّن الزئبق فانّ الحرارة تدفع الرطوبة وتزيل ما يلصق من الهواء بجدار الانبوبة. ولا بُدّ ايضًا من مراعاة امور ثلاثة في استعمال البارومتر لتصدق دلالتهُ تمامًا على ضغط الهواء: الأُولى تغيُّر حالة الجوّ من حيث الحرارة والبرودة. الثاني الجاذبية الشعرية اذا كان

قطر عمود الزئبق صغيرًا . والثالث شدّة الثقل

وليبان عمل ضغط الهواء في البارومتر فلنفترض (انظر الشكل ٢) على سطح الزئبق (ج ح) في الوعاء مساحتين متساويتين احداها في خارج الانبوبة (اَ دَ) والاخرى (ا د) في داخلها . فلا بُدَّ من القول انّ ضغطها متساوٍ لوقوعها في علوٍّ واحدٍ من الزئبق الراكد على مقتضى مبدإ السائلات الراكدة لانَّ كلّ نقطة من السائل في طبقةٍ افقيّة واحدة سواء كانت على سطحهِ او في وسطهِ تُضغَط ضغطًا متساويًا . فمن ثمَّ تكون قوّة الضغط على كلا المساحتين واحدة . فان صحَّ ذلك نتج انَّ قوّة ضغط الهواء في (اَ دَ) تساوي لضغط عمود الزئبق



الشكل ٢ . بارومتر الزئبق

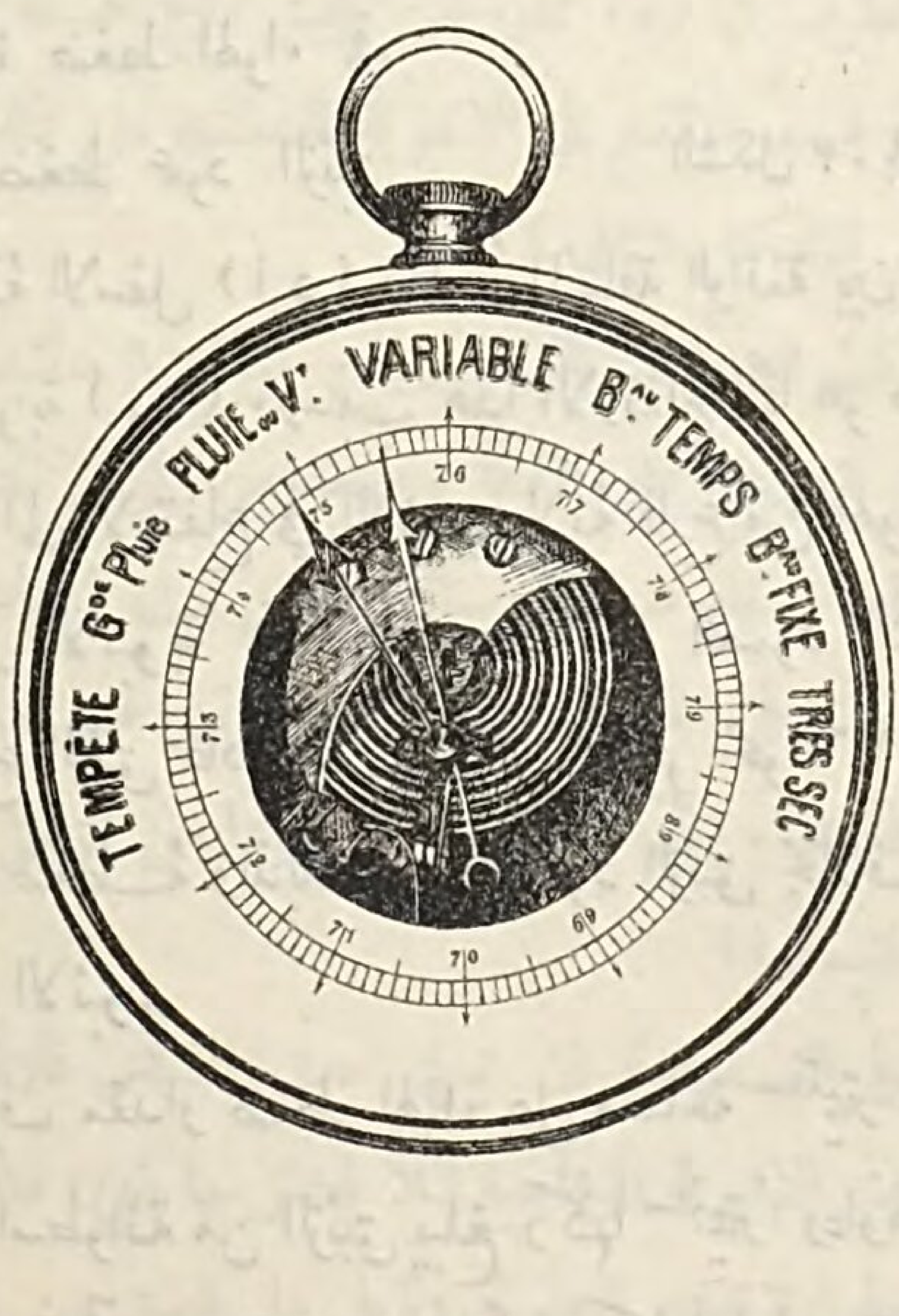
الاسطوانيّ الذي رُكنهُ الاسفل (ا د) وعلوّهُ المسافة الواقعة بين سطح الزئبق في الوعاء (ا د) وسطحهُ في الانبوبة (ب) . وسبب هذا الارتفاع انّما هو ضغط هواء الجوّ للزئبق الذي في الوعاء فيلجئهُ الى الارتفاع في الانبوب لأنَّهُ فارغ من الهواء فلا يلحق الزئبق منهُ ضغط . واذا كسر رأس الانبوبة في (ر) هبط للحال العمود الاسطواني فصار مساويًا لسطح (اَ دَ) وارتفاع الزئبق عادةً عند شاطئ البحر نحو ٧٦ سنتيمترًا . وفي الجبال يتخلخل الهواء ويضعف ضغطهُ ولذلك يهبط عمود الزئبق بخلاف الاودية حيث يكثف الهواء فيرتفع الزئبق في الانبوب

وان شئت ان تعرف مقدار ضغط الهواء على مساحة سنتيمتر من سطح الزئبق فيكفي ان تحسب كم هو ثقل اسطوانة من الزئبق يبلغ ركنها سنتيمترًا وعلوّها ٧٦ سنتيمترًا وتضربها بعدد كثافة الزئبق النوعية فتجد ١٠٣٣ غرامًا او كيلوغرامًا و ٣٣ غرامًا . ويبلغ الضغط في كلّ مترٍ مربعٍ ١٠٣٣٠ كيلوغرامًا . ولمّا كان سطح جسم الانسان المتوسّط القامة

مترًا ونصفًا نتج انَّهُ يضغطهُ من الهواء ثقل يوازي ١٥٦٠٠ كيلوغرامًا اي نحو ستين قنطارًا. وهذا العبءُ من شأنهِ ان يسحق الانسان سحقًا الَّا ان جسمنا ينهض بهِ لما يتضمَّنهُ من الغازات والسائلات المَرِنة التي توازن الضغط الخارجيّ . وهذا ممَّا يمكن تحقيقهُ بالاختبار خُذْ مثلًا اسطوانة فارغة وضع طرفها الاسفل فوق آلة التفريغ وسدَّ طرفها الاعلى بكفّ يدك فان فرَّغت الهواء من الاسطوانة انجذبت يدك والتصقت بفوهة الاسطوانة ثم يتورَّم الجلد ويحمرّ. وما ذلك الَّا فعل الموائع التي في الجسم فلمَّا بطل ضغط الهواء خارج الكفّ تمدّدت الغازات التي في باطن الجلد فانبسطت واتّسعت

وزد على ذلك انَّ ضغط الهواء مُحدق بالجسم من كلّ جهاتهِ فتتعادل كلّ اجزائهِ ولا يحصل ضنك من ذلك البتَّة وبالحري اذا خفّ هذا الضغط قليلًا شعرنا بسقمٍ ووَصَب فنتشكَّى من ثقل الهواء. والصواب انَّ ذلك ناتجٌ عن خفَّةٍ في ضغط الهواء لجسمنا

ولقياس ضغط الهواء صنفٌ آخر من البارومتر لا يدخل في تجهيزهِ مائع من الزئبق



الشكل ٣. البارومتر المعدني

او غيرهِ وهو البارومتر المعدنيّ ينسب اختراعهُ لرجلٍ من علماء الفرنسيين اسمهُ بوردون وحسَّنهُ العلاَّمة ڤيدي الباريسي وهو عبارة عن علبة من النحاس اسطوانية الشكل مسطَّحة يُفرّغ هواؤها وتُسَدّ سدًّا مُحكمًا هرمسيًّا امَّا وجه هذه العلبة الاعلى فهو صفيحة رقيقة من المعدن كثيرة المرونة ذات اخاديد ترتفع او تنخفض على حسب خفّة الهواء او كثافتهِ في الجوّ. فتتّصل هذه الحركة بواسطة المخالِ الى عقرب علبةٍ بزَّانيَّة فيدور العقرب على مينا (cadran) مقسّم الى ملمترات . وبدوران العقرب يمينًا او شمالًا يُعرف تغيُّر ضغط الهواء. ومن خواص هذا البارومتر انَّهُ يسهل نقلهُ في الاسفار (راجع الشكل الثالث)

وفي عدد آخر نبيّن ان شاء الله اخصّ منافع البارومتر (ستأتي البقية)

زينب (الزبَّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزڤال اليسوعي

(تابع لما سبق)

قد قدَّمنا ان آل أُذينة الثاني زوج زينب كانوا ينتمون الى بني السُّمَيْدَع وكان هؤلاء يسكنون بادية الشام في اوائل النصرانية اذ ظهرت قبائل اليمن وتفرّقت ايدي سبإٍ بعد خراب سدّ مأرب وسيل العَرِم فوصل فريق منهم عُرفوا ببني غسَّان الى جهات فلسطين والشأم وحلُّوا فيها وخضعوا للدولة الرومانية فاتخذهم القياصرة عُمَّالًا لهم وكانوا يدينون بالنصرانية (١

وكانت قبيلة اخرى من بني قضاعة تدعى بني سليح سبقتهم في سُكنى البلقاء فانتشروا بالبلاد في اواخر القرن الثاني للمسيح. وفي نفس هذا الوقت قدمت فرقة من بني لخم الى جنوبي فلسطين وامتدوا في غربي بحر لوط. وكان بقي من كلتا القبيلتين بقايا في زمن صاحبة ترجمتنا

وامَّا بلاد العراق والجزيرة فقد ظهر فيها عدَّة قبائل من نسل قضاعة واياد بن نزار

١) راجع في المشرق (عدد ١ و ١٤) مقالة مستملحة للاب لامنس في آثار بني غسَّان

وهم الملقبون بتنوخ وامراؤهم بملوك الطوائف . وبعد ان حلُّوا في تلك البلاد ابتنوا بعض المدن كالانبار والحيرة وحَضَر وغيرها من المدن المشهورة في تواريخ الجاهلية . ومن انحاء الحجاز الى جنوبي الشأم برَّز قوم أُخرَ من بني مضر اعني بهم بني كلب الذين قطنوا بعدئذٍ في جوار دومة الجندل

واماً قبائل العنزة فهم من مضر كبني كلب . وبعد ان حلُّوا مدّةً في الاراضي المجاورة للانبار وخيبر لم يعتموا ان دخلوا بلاد الشأم فسكنوها ولم يغادروها الى يومنا هذا فتراهم يجولون ببراري سوريّة الشماليّة وحوران وضفَّة الفرات . نخص منهم بالذكر السبعة والحديديين والقَدْعان والموالي وهم يشنُّون الغارات على بلاد شمَّر في انحاء الجزيرة (١

ولا خفاء ان معظم هذه القبائل المعتادة لآداب الحرب وفنون الغزو قد ذعنت لملك زينب . فاستأجرت ملكة تدمر الابطال منهم واحسنت استخدامهم في جملة عساكرها لاسيما فرسانهم كما فعل أُذينة قبلها . الّا انَّها استصغرت امرهم في اواخر ملكها فلذلك نقم بعضهم عليها وأبوا ان يدافعوا عن تدمر عند ما زحف اليها القيصر الذي حجب نور زينب وأزال مجدها . وسيأتي الكلام على ذلك في محلّه

١٢

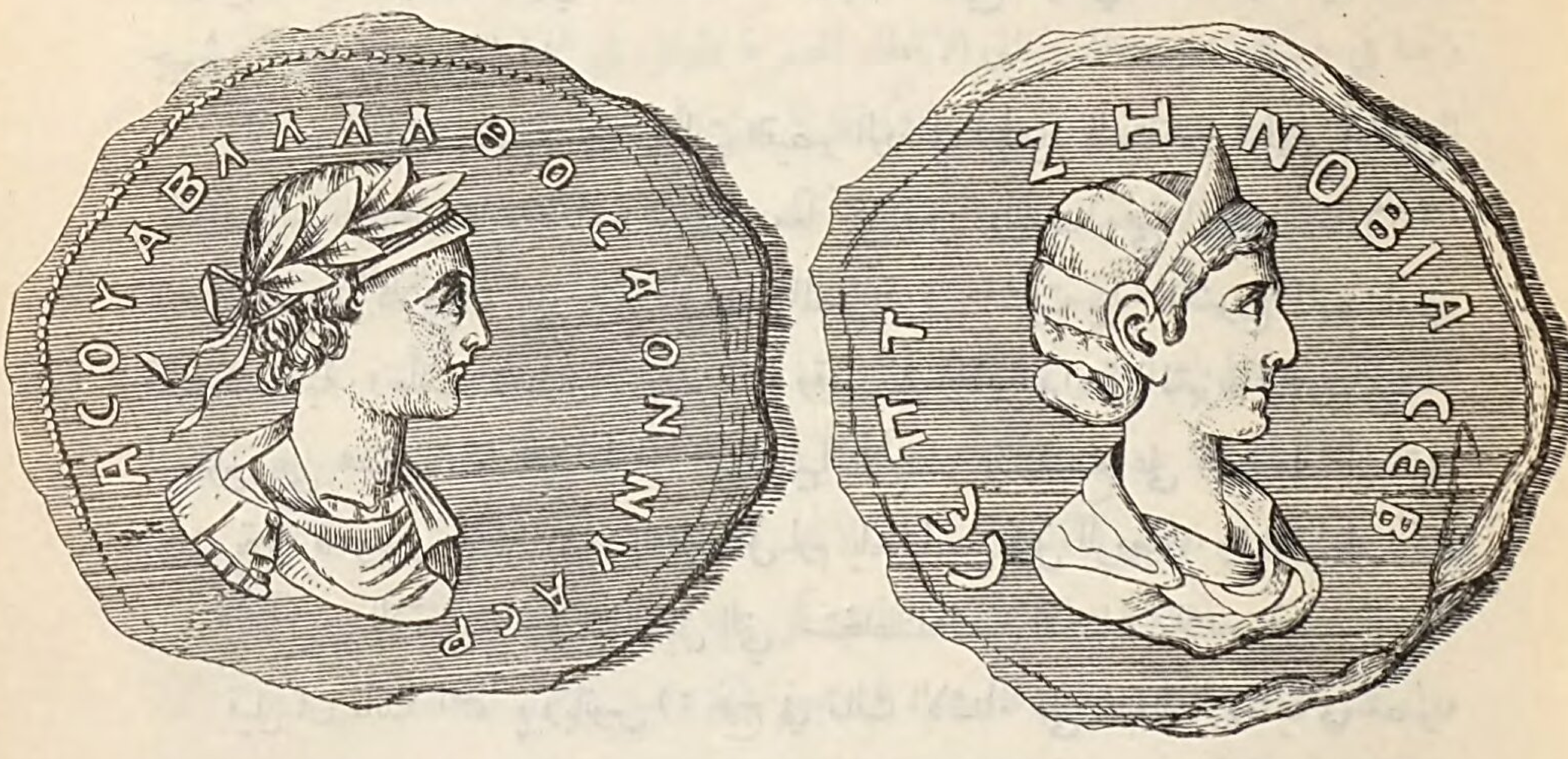
وفي السنة الاولى لملك زينب كنتَ ترى آسية كلها تفتخر بملكة المشرق وتتباهى بشهامتها وجمالها وفضائلها وعظم همَّتها وآدابها السلطانية (٢ . واماً غاليانس قيصر رومة فكان خوَّار العود متساقط الهمَّة يتقلّص ظلّ سلطته بقدر ارتفاع عزّ زينب . وكان قومهُ يجاهرون بملامتهِ ويصفونهُ بالتراخي ودعارة الاخلاق حتى اثَّرت في قلب القيصر هذه المعاتبات وخجل من فرط توانيهِ وشدَّة غفلتهِ عن شؤون الدولة . واوَّل ما فكَّر فيهِ وجزم على فعلهِ تذليل مجد زينب وتقويض قدرتها . ومما حرَّضهُ على ذلك انَّ سلطانة تدمر تجرّدت لفتح بيطينية وكانت من الاقاليم المذعنة لدولة الرومان في آسية الصغرى فخاف غاليانس على سلامة مملكتهِ ووجَّه جيشًا الى المشرق اسرَّ اليهم ان يناجزوها القتال . الّا انَّهُ اخفى قصدهُ وتعلّل بالانتقام من شابور وقاتلي أُذينة

ولكن لم تعتم زينب ان اكتشفت حيلة القيصر وسوء مقصدهِ فبادرت للحال الى

١) راجع برنوقيل ص ١٩ و Sprenger: Z D M G, 1863, و J. A. 1879[1], p. 215

٢) تريبيليوس *Trig. Tyr.* 29

حشد فرسانها وقوّاسيها وركبت فيهم واغرتهم على عساكر الرومان عند مرورهم بسورية الشمالية . فلاوّل مرّة بعد نُصرة أُذينة لدولة الرومان تصادمت المقانب التدمرية والرومانية وتراحفت كتائبهم بجدود فارس واحتدمت بين الصفوف الكثيفة نار حربٍ عوان فغلبت جيوش زينب على الرومان وقُتِل قائدهم هراقليانس وانفلّوا مدبرين (١ . قال شامپاني المؤرّخ الفرنسي يصف نتائج هذه الحرب : « وفي تلك الواقعة انتصرت آسية على رومة . وانقطعت الروابط التي كانت تربط بينهما الى الابد »(٢ . وهذا قول غاية في الصحّة لانهُ بقيت في قلوب القياصرة حزازات حملتهم منذ هذا العهد على هدم سلطنة تدمر وان كانوا في بعض الاوقات يُظهرون لزينب المودّة والمعاهدة



صورة زينب ووَهْبلات مكبَّرة عن مسكوكات قديمة

ولم يلبث غاليانس الّا يسيرًا حتى قُتل (٢٦٨) فخلفهُ أُريليوس كلوديوس . قال المؤرّخون ان اعضاء مجلس الشيوخ عند مبايعتهم للقيصر الجديد صاحوا بصوتٍ واحدٍ : « يا كلوديوس اغسطس نجّنا من زينب وڤيكتورية » وكرَّروا ذلك سبع مرَّات (٣ . الّا انَّ كلوديوس كان وقتئذٍ محدقًا بالاخطار يرى الممالك الرومانية عُرضَة لأصحاب الفتن والثورات

١) تريبيليوس *Gall.* 13 و *Trig. Tyr.* 29

٢) De Champagny : *Les Césars du* 3e *Siècle*, III, p. 64-5.

٣) راجع تريبيليوس *Claud.* 4 و *Trig Tyr.*

تتساورها البرابرة من كل أوب فأغضى لمدَّةٍ طَرْفهُ عن زينب وخرج لمحاربة قبائل الجرمانيين وكانوا عبروا نهر الطونة (Danube) في ثلثمائة وعشرين الف رجل وغاروا على بلاد ميسية وعاثوا فيها حتى لم يكد يبقى فيها لسلطة الرومان من ذكر . فردَّ كلاوديوس كيدهم في نحرهم ثمَّ اسرع وارسل جيشين آخرين يتصدّى احدهما لتريتيقوس وڤيكتورية في انحاء غاليّة ويقطع الثاني دابر أرِيُولُوس الخارجي في مدينة ميلانو

وكان هذا الملك الهُمام لم يزل في غضون هذه الحروب مترصّدًا لزينب يتوقَّع الفرصة ليُصْلِيَها نار القتال كما تشهد بذلك ألوكةٌ كتبها لمجلس شيوخ روميــة وهو سائر لمقاتلة الخوارج قال : « ويَندَى جبيني خجلًا لدى تذكري انَّ جميع قوَّاسيَّ منتظمون في سلك جيوش زينب يخدمونها » (١

الَّا ان سلطانة تدمر لم تحفل بنيَّات القيصر الروماني الجديد فاستأنفت الجهد الحسن وراء صوالح بلادها ونجاح سياسة الرومان معًا كما فعل زوجهــا . ففي اواخر السنة ٢٦٩ عزمت حفيدة كلاوپترة على فتح الاقطار المصريَّة فبــاشرت بهذا المشروع المهمّ باسم قياصرة رومية . وتعلَّلت لاصابة المرغوب بفتنةٍ وقعت في بلاد الفراعنة فانتهزت هذه الفرصة لتستولي على هذه الارض التي طالما طمحت اليها بالابصار وتسترجع على زعمها ملك جدَّتها كلاوپترة . فاخرجت هكذا نفسها عن كل لوم يلحقها من قبل الرومان . واليك الخبر كما ورد في تآليف الاقدمين مع التفاصيل التي استخلصناها من الكتابات التدمرية

قيل ان قائدًا اسمهُ پروباتوس (٢ خرج في تلك الاثناء على الدولة الرومانية في مصر

١) راجع تريبيليوس (*Claud.* 7.) . واما القوَّاسة المشار اليهم في رسالة القيصر فهم على رأي ڤپسقوس (*Aurel.* 11) رجال من بلاد يحدور شمالي جولان وحوران . وهذا رأي صحيح اثبتهُ العلم الحديث اذ قد ورد في الكتابات المكتشفة في رومة والجزائر ان قوَّاسة المشرق ونشَّابتهُ لاسيما التدمريين والرهاويين منهم كانوا يخدمون الدولة الرومانية في عساكرها . وهم من اعلم الناس بفنون صناعتهم . (راجع Revue archéolog., 1859, p. 65 و V. 79)

وامَّا عساكر زينب فكانت متألفة من الجنود الوطنيين اي التدمريين ومن متطوّعي العرب والآراميين ثم جميع الكتائب الرومانية المعسكرة في الاقاليم الشرقية

٢) وقيل پروبوس . والصواب ما ذكرنا ولعلَّ المؤرخين الذين دعوهُ پروبوس خلطوا بين پروبوس القيصر الذي كان قائدًا في ذلك العهد وبين پروباتوس صاحب الفتنة التي نحن بصددها (راجع Sallet : *Die Fürst. v. Palmyra*, p. 44)

فادّعى الملك واستولى على البلاد. فلمّا انتهى هذا الخبر الى زينب امرت قائدها الاوّل زبدا ان يبادر الى مقاومتهِ فركب زبدا في ٧٠,٠٠٠ نفر وزحف الى مصر. وعند دخوله البلاد لقي جيش المصريين وهم نحو ٥٠,٠٠٠ رجل فقاتلهم قتالًا شديدًا كانت الغلبة فيهِ للتدمريين. ثم بعد ان استقرَّ لهُ الامر ضبط احوال الاقطار المصرية وعيَّن لها ٥,٠٠٠ رجل ظنًّا منهُ انّ في هذا العدد القليل كفايةً لحراسة البلاد والحذر من الفِتَن. ثم غادر مصر قافلًا الى تدمر. الّا ان پروباتوس لم يعتم ان جمع شتات قومهِ فنهضوا على التدمريين وعملوا فيهم السيف وطردوهم عن الاوطان

فلمّا علمت زينب ما لحق جندَها بمصر بادرت الى ارسال زبدا مرَّة ثانية. فركب زبدا في عسكره واسرع المسير الى الاقطار المصرية وتوغَّل في البلاد يريد إدراك الثأر من العدوّ بعد هزيمة التدمريين فلم يلبث الّا قليلًا حتى التقى الجمعان والتحمت الحرب فانتصر الخوارج على جيوش زينب. وولّى التدمريون هاربين يقصدون الصحارى ليرجعوا الى اوطانهم. بيد ان پروباتوس قد سبقهم الى طريق بَرْزخ السويس فاحتلَّ ربوةً بمقربة من بابل المصرية (وهي الفسطاط اي مصر العتيقة) وكمن فيها مع قومهِ ينتظر مرور زبدا

وكان في جملة ضبّاط زينب رجل يوناني الاصل اسمهُ تيماجين (١ وهو يعرف طرق مصر حقّ المعرفة لطول اقامتهِ في تلك الانحاء. فاخذ بقيادة جنود زبدا وشجَّعهم على مواصلة الحرب وارشدهم الى المكان الذي كمن فيهِ الخوارج. ففجئهم التدمريون بغتةً من وراء التلّ وشتَّتوا شملهم وقتلوا قائدهم. ثم رجعوا الى داخل البلاد واستولوا على مصر كلها وارسلوا الى ملكتهم مَن يعلمها بخبرهم (٢٦٩—٢٧٠)

فسُرَّت لذلك ملكة تدمر سرورًا عظيمًا وفكَّرت في وجه تأييد سلطتها في هذا الاقليم الجديد. وكان لها في الاسكندريَّة صديق من مدينة سلوقية الشامية يدعى فيرموس وهو رجل قوي البنية صُلْب العصا قد لقَّبهُ الاهلون لذلك بلقب Cyclope وهو الجبّار ذو العين الواحدة المشهور في قصص الوثنيين. وكان فيرموس هذا تاجرًا متربًا قد اصاب من المال قَرْن الكلاِ وهو يدّعي انهُ قادر ان يقوم بنفقات جيش كثيفٍ بما كان يربحُهُ من مجرَّد تجارتهِ للورق والغراء (السراس). فاحرز من ثمَّ صيتًا كبيرًا في بلاد مصر فاحتكر

١) قال زوزيموس ان هذا الرجل هو الذي حرَّض زينب على فتح مصر وكان احد متملّقيها

متجراتها برمتها حتى انَّهُ تمكَّن ذات يوم من احتكار القمح الوافر الذي كان يُبعث سنويًا الى رومة (١. فلم يكن لزينب ان تعثر على رجل اعظم قدرة واقوى صداقة من فيرموس فولّتهُ تدبير القطر المصري (ستأتي البقية)

النفس البشرية

مقالة مختصرة

صنَّفها الاب العارف بالله ابو الفرج المعروف بابن العبري

(تابع لما قبلُ)

الفصل التاسع

في طبع النفس وتعريفهِ

انَّ طبع النفس هو الحياةُ لانَّ النفس حيَّةٌ وحياتُها ليست بغيرها. وكلُّ حيٍّ ليست حياتهُ بغيرهِ فطبعهُ الحياة. والنفس حيَّةٌ لا تموت فطبعها الحياة

الفصل العاشر

في بيان اسم النفس وما دلّ عليهِ واصل اشتقاقهِ

نقول انَّ هذا الامر قد اختلفت فيهِ الآراء ومذاهب العلماء واللُغات. والذي صحَّ عند اهل العلم والمعرفة هو انَّ اسم النفس يراد بهِ الحياة. والدليل على ذلك انَّ النفس بسيطة وطبعها الحياة فوجب ان يكون اسمها مشتقًا من طبعها فيدلّ ايضًا على الحياة (٢

الفصل الحادي عشر

في بيان قوى النفس وحسْن قواها عند زوالها عن القانون اللائق بها

زعمت الفلاسفة انَّ للنفس ثلاث قوى: اولًا القوَّة النطقية. وثانيًا القوَّة الغضبية.

١) قد ذهب العلّامة رينو (J. A. 1863¹, p. 387) الى ان فيرموس والي مصر وصديق زينب هو الذي دوَّن الكتاب المشهور في العلوم الجغرافية المعروف باسم Périple de la mer Erythrée.

٢) إنَّ اسم النفس يختلف على حسب اختلاف اللغات فوضع كلُّ شعب للدلالة عليها اسماء تُشعر ببعض اوصاف النفس لاسيما الحياة

وثالثًا القوّة الشهوانيّة. وكلُّ واحدةٍ من هذه القوى وُضِعَت ما بين طرفَين خسيسَين (١ اعني طرف الزيادة وطرف النقصان. فانَّ النطقية اذا زادت عن قانونها اثّرت الخبث وضرر الناس (٢ واذا نقصت عن قانونها اثّرت البلادة والبلاهة وقانونها اللائق يؤثّر الفلسفة الحسنة. وان رجحت الغضبيّة اثّرت السلاطة والتهوُّر وان نقصت اثّرت الذلّة وان جرت على قانونها اثّرت الشجاعة. وان رجحت القوّة الشهوانية اثّرت الشَّبَق وان نقصت اثّرت الإعنان وان حصلت على قانونها اثّرت العفّة والفلسفة والشجاعة. والعفّة اذا اجتمعت اثّرت العدالة. واذا رجحت العدالة اثّرت الظلم وان نقصت اثّرت الزَّيَغ عن الحقّ وفعله. وفعل العدالة هو ان يوصل كلّ شيء الى مستحقّهِ

الفصل الثاني عشر

في بيان قوى النفس على رأي اهل الشريعة المقدسة

للنفس قوّتان احداهما نطقيّة والاخرى حيوانيّة. ولذلك يقال انّ النفس حيّة ناطقة. فقوّتها الناطقة تنقسم الى العقل والرأي والذهن والفكر والذِكر. وقوّتها الحيوانية تنقسم الى ما هو فيها طبيعيّ وما هو عرضيّ. فالطبيعيّ ان تكون جوهرًا حيًا بسيطًا والعرضي وهو ما يعرض لها من قبل اتحادها بالبدن يُقسم الى القوى الغاذية والنامية والغضبية والشهوانية والحسّ والخيال

الفصل الثالث عشر

في بيان قوى النفس النطقيّة والفرق بينها

اعلم انّ (العقل) يدرك المعاني على التحقيق بلا واسطة ولا تعليم وذلك ظاهر في النفس وخاصّة في انفس الابرار والقديسين. (والرأي) يدرك بواسطة التعليم والتفهيم. وفعل (الذهن) ادراك المعاني. وفعل (الفكر) هو التصرُّف في المعاني واستنباط حقّها من باطلها. وفعل (الذكر) هو الحفظ لما حصل فيهِ من آثار البواقي

الفصل الرابع عشر

في بيان القوى الطبيعيّة والعرَضيّة

القوى الطبيعية هي العقل والرأي والذهن والفكر والذِكر والقوّة الحيّة البسيطة. امّا

---

١) ويروى: حسيّين ٢) ليس في القوّة النطقيّة افراط ومراد المؤلّف سوء استعمال هذه القوّة. وكذا قل عن بقيّة الصفات التي عدّدها هنا ابن العبريّ

القوى العرَضيّة التى للنفس فهي الغاذية والمربّية والغَضَبيّة والشّهْوانيّة والحس والخيال. فان هذه ليست من كيان النفس وانّما هي من مزاج البدن. ولاجل اتحاد النفس بهِ قبلتْها بالعرَض. وذلك انّ البدن مفتقرٌ الى الغــذاء والتربية والحسّ بالحواسّ فتسوسهُ النفس وتدبّرهُ بحواسّهِ. ومن الحواسّ الظاهرة يعرضُ الخيال. ومن قِبَل النفع والضرر الداخلَين عليهِ تعرضُ القوّة الغضبيّة والشهوانيّــة. ولهذا السبب سُمّيَت هذه القوى عارضةً للنفس لأنّها تعرضُ لها بواسطة جسمها

الفصل الخامس عشر

في بيان القوى المختصّة بالنفس وحدها والقوى المختصّة بالجسد وحدهُ والمختصّة بالانسان المجتمع من النفس والبدن معاً

انّ القوى المختصّة بالنفس وحدها هي العقل والذهن والذكر والفكر والرأي والقوّة الحيّة البسيطة. والقوى المختصّة بالبدن وحدهُ القوّة الغاذية والمربّية (١. واماّ المختصّة بالانسان المركّب من النفس والجسد فهي الغضبية والشهوانية والحسّ والخيال

الفصل السادس عشر

في بيان انّ النفس هي ناطقةٌ

انَّ حدّ الناطقِ عند العلماء هو الذي يميّز الامور الصادقة من الكاذبة ويَفهم من غيرهِ ويُفهِم غيرَهُ. والنفس بذاتها فاعلةٌ لذلك فهي اذًا ناطقــة — وكذلك نرى النفس تحرّكُ الجسم حركةً نُطقيّةً اعني انها تمكّنهُ مرّةً من شهواتهِ وتردعهُ عنهــا أُخرى. وتزجرهُ حيناً وتصوّمهُ حيناً آخر وتستعبدهُ وتُتعبهُ في العلم والقراءة والدرس وما أشبه ذلك. وهذه كلها امور تدلّ على الناطق

الفصل السابع عشر

في بيان انّ النفس ذاتيّة الحركة

قد بيّنّا ان الانسان مركّب من النفس والجسد بدون ثالثٍ. والبدن لا يتحرّك بذاتهِ من دون النفس والّا لَزِمَ انّهُ يتحرّك بعد موتهِ وهذا باطلٌ مُنكَر. فحركتهُ اذًا بنفسهِ. واذا كان الامر كذلك وجب القول انّ حركة النفس ذاتية لها وصدق قولنا بأنّها ذاتيّة الحركة

١) يريد بذلك انّ الغذاء والنموّ لا تظهر مفــاعيلهما الّا في الجسم ولو كانت النفس هي مصدر هذه القوى لانّ النفس كما لا يُخفى واحدةٌ في جوهرها كثيرة في قواها

فاذا قيل انَّ الحَيَوان الغير الناطق يتحرَّك ايضاً بذاتهِ فيلزم ان يكون لهُ نفس ناطقة وهو باطل . (قلنا) انَّ حركة الحيوان غير ناطقة ولا فكريَّة وهذه (اي النفس) دائمة الفكر والحركة في حالتي اليقظة والنوم

وقد تبيَّن ايضاً انَّ كيان النفس هو الحياة . والحي هو الفاعل المدرك ومتى سكنت الحركة الخارجية بقيت حركتها الداخلية النطقية المذكورة في ذاتها . وهي التي اشار اليها ارسطاطاليس الحكيم بقولهِ انَّ للانسان نطقَيْن احدهما مُتَّلِدٌ من عقلهِ دائم الحركة والثاني الذي تخدمهُ الآلة الجسمانية مثل الحنجرة وقصبة الرئة وسماء الحَلْق وآلة النفَس واشياء كثيرة حتَّى يتمَّ بها خدمة الصوت . وهذا هو للَّفظ فقط . امَّا ذلك (اي النطق الداخليّ) فهو دائم ذاتيّ لا فتور لهُ

الفصل الثامن عشر

في بيان اقسام الحركة وايّ حركة تصدق على النفس وهي غير جسم

اعلم انَّ اقسام الحركة اربعة يقع منها اثنان في مقولة (الكم) وذلك مثل الحركة الواقعة في الجسم النامي من جهة الزيادة فيعظم مقدارهُ مع التدرُّج وكذا من جهة النقصان يصغر مقدارهُ بالتدرّج . فالاوَّل مثل بدن الطفل والثاني مثل بدن الشيخ والذي فيهِ مرض الدقّ . وان كانت الزيادة بدون الغذاء والتربية فهو التخلُّل مثل الماء . وان كانت الحرارة الى النقصان فهو التكاثف . والزيادة بالغذاء هي النموّ . والنقص بالمرض واليبس مثل الجسم النابت هو الذبول . وتقال الحركة ايضاً في مقولة (الكيف) وهي الاستحالة والغيار مثل الجسم الابيض يسودّ وبالعكس . وتقال الحركة في (المكان) وهي سبعة انواع : فوق واسفل وقدَّام ووراء ويمين وشمال والحركة الدوريَّة هي الوضعيَّة مثل حركة صوت الريح وحركة الفلك

وحركة النفس ليست الَّا التي تقع في الكيف وهي الغيار فانَّها تستحيل من الجهل الى العلم ومن الرذائل الى الفضائل . وامَّا باقي الحركات فلا تصدق الَّا على الاجسام والنفس هي غير جسم كما مرّ

الفصل التاسع عشر

في بيان انَّ النفس مفكِّرة

انَّ ذلك معلوم من استنباط الصنائع والمعارف والابنية والصور والأَشكال فان النفس تصوّرها قبل كونها في ذاتها — ثمّ انّ للنفس تأثيرًا وذلك انَّها تنظر وتختار وتظنّ انَّها فاعلة . فذلك كلهُ يبيّن انَّ النفس مفكّرة وتستخرج ما تشاء فعلَهُ امَّا بالطبع وامَّا بالصناعة وتعرف انَّها تفهم وتعقل المعقول والمحسوس

الفصل العشرون

في بيان انَّ النفس غير ميّتة ولا يطرق الفناء الى جوهرها

وسبب ذلك انَّ النفس بسيطة والبسيط لا ينحلّ الى غيرهِ . لأنَّ الذي ينحلّ فيَبطل ذا تُهُ يلزم ان يكون فيهِ شيء يقبل ذلك الانحلال . وليس في ذات النفس امران مختلفان يطلب احدهُما غير ما يطلبهُ صاحبهُ . بل من شأن النفس أَلَا تفنى وانَّما هي باقية ببقاء علّتها

ولا ينتج ممَّا قيل في النفس انَّها لا تموت وانَّها ليست بجسم وما شاكلهُ كونُ ذلك نقصاً في حقّها لانَّ هذه الصفات سلبيَّة باللفظ فقط وهي في الحقيقة تدلُّ على صفات مُثبَتة . فانَّ قولنا مثلًا انَّ النفس لا تموت هو اثبات الحياة فيها . وقولنا انَّها غير جسم هو اثبات قوامها دون الجسم الذي هو خسيس بالنسبة الى شرف النفس

الفصل الحادي والعشرون

في بيان انَّهُ اذا ورد التقطيع والتوزيع على الجسد لم ينل النفس شيءٌ من ذلك

وبرهان ذلك مبنيٌّ على ما تقدَّم فانَّنا بيّنَّا انَّ النفس غير جسم وغير الجسم لا يُقطَع بتقطيع الجسم فالنفس لا ينالها حينئذٍ ما ينالُ الجسمَ من التقطيع . واذا قيل انّنا نرى عُضو الانسان اذا قُطِع يوجد فيهِ الحركةُ والاختلاج وقتًا ما . (قلنا) انَّ سبب ذلك لامتداد الروح الحيوانيّ في شريانات الاعضاء باسرها . فاذا قُطع العضو يبقى فيهِ اثر الحركة الى ان يفنى منهُ وليس ذلك من النفس الناطقة كما يظنّ البعض

الفصل الثاني والعشرون

في بيان انَّ النفس والعقل واحدٌ (١

يجب ان تعلم انَّ للنفس في بدنها اربع مراتب . (المرتبة الاولى) ويقال لها العقل

١) يريد بذلك انَّ العقل غريزي في النفس وقوَّة من قواها الجوهريَّة

الهيولانيّ وهو عند كون النفس خالية من جميع العلوم والمعارف مثل نفس الطفل (١. (والمرتبة الثانية) يقال لها العقل بالمَلَكة وهو عند حصول المحسوسات التي كانت النفس مستعدَّة لقبولها (٢ وكذا حصول شيء من المعقولات الاوَّلية مثل انَّ الكلّ اعظمُ من الجزء والجسم الواحد لا يكون طبعًا في مكانين في آنٍ واحدٍ. وكذا الامور الموجودة التي يجدها الانسان في نفسهِ مثل القدرة والشهوة والنفور والارادة وغير ذلك. (المرتبة الثالثة) هي ان تحصل لهُ العلوم العقلية وهو لا يقدر على استحضارها وهذا يقال لهُ العقل بالفعل (٣. (والمرتبة الرابعة) هي حصول سائر المعلومات في ذهنهِ وهي حاضرة دائمًا وهذا هو العقل المستفاد وهو اعظم الدرجات الممكنة للانسان(٤

الفصل الثالث والعشرون
في بيان كيفيَّة خِلْقة النفس

انَّ النفس من الجواهر التي خفيت عنَّا صوَرُها فتظهر لنا آثارها. وان كان الامر بهذه الصفة فلا نعلم كيف تكون خِلقة النفس وانَّما نعلم بصحَّة وجودها من الافعال الصادرة عنها. هذا ولا يؤدي كونُنا لا نعلم كيفية خِلْقة النفس الى جهلنا بصورتها (ستأتي البقية)

فوائد لغويَّة

للابوين هنري لامنس اليسوعي وانستاس البغدادي الكرملي

١

حرف العين في الالفاظ المعرَّبة

قدمرَّ في بعض مقالات المشرق (ص ٤٤٣) ملاحظة لحضرة الاب انستاس

---

١) قال الجُرْجاني في كتاب التعريفات: العقل الهيولانيّ هو استعداد مَحضٌ لادراك المعقولات. . . وانَّما نُسِب الى الهَيُولى لانَّ النفس في هذه المرتبة تُشبه الهيولى الخالية في حدّ ذاتها عن الصور كلّها

٢) حدَّد الجرجانيّ العقل بالملكة قال: «هو العلم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريَّات»

٣) حدَّدهُ في التعريفات: «العقل بالفعل هو ان يصيّر النظريَّات مخزونة عند القوَّة العاقلة بتكرار الاكتساب بحيث يحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت من غير تجشُّم كسب جديد لكنها لا يشاهدها بالفعل»

٤) العقل المستفاد كما عرَّفهُ الجرجانيّ هو ان يُحْضِر النظريَّات التي ادركها بحيث لا تغيب عنهُ

الكرملي هذا حرفُها: « انَّ ابدال الهمزة بالعين كثير في العربية وبالاخصّ في المعرَّبات اذ يقولون (عوليس) في (اوليس) و (عربونًا) في (اربون) ونحو ذلك كثير عندهم ». وهذا قول جدير بالاعتبار ايَّدهُ صاحبهُ الفاضل بمثَل « العمروس » الذي اشتقَّهُ من اليونانية ἄμνος وآثرنا اشتقاقهُ من السريانية ܐܡܪܐ. وعلى كل حال فهو قول ثابت احببنا توسيعهُ وبيان حدودهِ لايضاح ما يتضمَّنهُ من الفوائد اللغويَّة اذ لم يسمح ضيق المقام للاب المومأ اليهِ ان يستوفي حقَّهُ ولا يُخفى ان التعريب امرٌ عويص فالوقوف على بعض نواميسهِ الراهنة من شأنهِ ان يُسهّل عَقَباتهِ ويُسفِر ظُلُماتهِ

نقول اوَّلًا ان ابدال الهمزة بالعين لأمر صوابيّ لانَّ كليهما من حروف الحلق كما لا يخفى والشواهد على ذلك في نفس اللغة العربية كثير كأَمَجَ في سيرهِ وعَمَجَ وأَمِدَ عليهِ وعَمِد اي غضب وأزَرَهُ وعَزَرَهُ اي شدَّدهُ الخ

نقول ثانيًا انَّ اكثر ما تُبدَل الهمزة (او ما يقوم مقامها في اللغات الاجنبيّة) الى العين في الالفاظ المعرَّبة. ذلك امرٌ يسهل اثباتهُ بامثال من اسماء النكرة او الاعلام المنقولة من عدَّة لغات كالسريانية والعبرانية واليونانية وهلمَّ جرًّا

امَّا الشواهد على اسماء النكرة فيمكن ان نضيف الى ما ذكرهُ الاب انستاس الالفاظ الآتية: عُنْبُول وهي خشبة يُدَقّ بها في المهراس (ἔμβολος) وعِذْيُوط اي احمق (ἰδιώτης) وعَنْكليس (ἔγχελυς) وعِرْناس لنوع من الأسفاط (ארנם) وعِثْكال او عِثْكُول وهو عِذق النخل (אהכל) الخ. وزد عليها « العنقاء » التي كتب فيها الاب انستاس الفاضل نبذة مستملحة. فان اصل هذه اللفظة ليس بعربيّ على ما اظنّ مهما زعم كتبة العرب في ذلك ورفيق الاب انستاس البصري (راجع المشرق ص ٢٠٠) اذ اشتقُّوا العنقاء من العُنُق فقالوا انَّها دُعيت بذلك لطول عُنقها والصواب ان تقابل هذه الكلمة باللفظتين الترجوميَّة « אנקא » واليونانية « Ὄκγα » وكلاهما على ما قرَّر بعض قدماء اللغويين اليونان من اصل فينيقيّ. هذا وان اللفظة اليونانية « Ὄγκα » لقب من القاب الإلاهة الحكمة مبترقة في طيبة (الاقصر). ولعلّ الفينيقيين الذين بنوا هذه المدينة اتخذوا العنقاء كرمز هذه الإلهة. وما يؤيد هذا الظنّ ان اليونان كانوا يعدُّون نوعًا من كبار البوم كطائر مبترقة يعظمونهُ. لذلك فانّ صحّ هذا القول وجدنا في نقل كلمة العنقاء الى العربية شاهدًا جديدًا على ابدال العين من الهمزة

هذا وقد حاولنا في بعض اعداد المشرق (ص ٣٣٤) بيـان اصل اسم « عِيسَى » فروينا اصلهُ من « عيسو » . وهنا يسوغ ان نذكر طريقةً اخرى لشرح هذا الاسم الكريم على مقتضى ناموس بدل الهمزة بالعين فتكون « عيسى » من السريانية أَمعُه » (وقد جاء ايضًا في العربية إيسوع) بقلب الالف عينًا وسقوط العين الاخيرة . امَّا تغيير الشين السريانية بسين عربية فهو شائع لا ينكرهُ احد (وقد ورد في العربية أيشوع) . وقد بيَّنا في المشرق (ص ٣٣٤) كيف أُبدلت الواو ياء . فان احبَّ القارئ هذا الاشتقاق فلهُ الاستخارة

امَّا الاعلام الاجنبية التي أُبدلت همزتها عينًا فلا تخلو الامثال منها كعَقْر فانَّها تُكتب باليونانية والعبرانية بالالف . وعَسْقَلان من « אשקלון » وكفرعانا من « אגנג وهلمَّ جرًّا

وكان قدماء اللغويين من العرب اشاروا الى هذا التغيير بين الهمزة والعين وكانت بعض القبـائل كقيس وتميم وأسد يُفرطون في هذا الابدال حتى عيَّرهم سواهم بهذه اللغة ودعوها بالعَنْعَنة (راجع درَّة الغوّاص للحريري ص ١٨٣ ومفصَّل الزمخشري ص١٤٩ ومزهر السيوطي ١ : ١٠٩) الَّا انَّهم يزعمون ان هذا الابدال لم يقع عند القبائل المذكورة الَّا في اوَّل الكلمات . وكذا ورد ايضًا في الامثال التي استشهدنا بها آنفًا . لكننا نظنّ انَّهُ يوجد امثال قليلة تبيّن ابدال الهمزة عينًا حتى في وسط الكلمة ولو كانت هذه الالفاظ مستحدثة كالماعون مثلًا فانَّ الارجح انَّهُ مشتقّ من « מאן » وهي لفظة آرامية مختلطة بالفارسية وكالمَعْكروني اخذها العامَّة من الايطالية (maccheroni)

وليس هذا الابدال خاصًّا بسالف الازمنة فانَّنا نرى ذلك في ظهرانَيْ العـامَّة الى يومنا كما ذكرنا في لفظتي « ماعون ومَعكرون » . وكذلك العَرَبة بمعنى العَجَلة (والعامَّة يقولون عربيّة) والمظنون انَّها من التركية « آرَبة » . وعُرْضيّ وهو المُعسكر من التركية « اوردو » . وعَطْشجي الوقَّاد من التركية « آتشجى » . ولعلّ العشّي اي الطبَّاخ من « آشجيّ » او هو تحريف « المُعشّي » من العشاء

فممَّا سبق يمكننا ان نستنتج ان ابدال الهمزة عينًا قاعدةٌ من قواعـد اللفظ ليس شذوذًا جرى في بعض المفردات النادرة . ولسائلٍ ان يسأل وما السبيل الى معرفة علَّة هذا التغيير . وقد سعى بعض المستشرقين ان ينسبوا ابدال الهمزة عينًا الى الحرف التابع للهمزة فلمَّا كان هذا الحرف مفخَّمًا استلزم تفخيم ما قبلهُ وفُخمت الهمزة بالعين

الَّا انَّنا لا نرضى بهذا الشرح على كلّ وجهٍ وان صحَّ في مثل « عَقْر وعَسْقلان » لا

يصحّ في الالفاظ التي ثانيها حرفٌ ليّن « كعمروس وعَثْكال الخ . فلا بدّ اذن من تعيين سبب آخر أصوب واعمّ ألّا وهو رأيٌ ذهب اليهِ الدكتور كرل ڤُلرس في المجلّة الاسيويّة الالمانيــة (ZDMG, XLV, 352) ومرجع قولهِ الى هذا وهو انّهُ في تعريب الالفاظ رُبّما شُدّدت الحروف الليّنة بما يناسبهــا من الحروف الشديدة او المفخّمة فحرف t الفرنجي يعرّب بحرف الطاء والحروف d, k, s تعرّب بالضاد والقاف والصاد كما رأيت في امثالنا السابقة « عقر وعِذْيوط وعُرْضيّ » . وممّا يلحق بهذه الملاحظة ان العجم نقلوا في آخر كثيرٍ من الالفاظ حرف الهاء الليّنة بحرف جَهُور كالجيم او القاف فيقولون مثلًا : « هَليلج وبَليلَج وأَمْلَج » في تعريب « هَلِيلَه وبَلِيلَه وأَمْلَه » (١ . ويقولون « جَلْنَدَق وجُلَاهِق » في تعريب « جَرَنْدَه وجُلاهَه »

فيكون نقل الهمزة الى العين وفقًا لهذا الناموس اللغويّ المذكور . ولا نجهــل انَّ لذلك شذوذًا ما . بيد انّ الشواهد السابقة كافية لتأييد القاعدة التي ذكرناها اعني ان العرب في تعريبهم الالفاظ الاجنبية اذا وجدوا حرفًا اجنبيًا يوافقهُ في العربية حرفان احدهما ليّن والآخر ذو فخامة يفضّلون الثاني على الأوّل . ولعلّ في تسمية العرب « بالناطقين بالضاد » اشارةً الى هذا الناموس اللفظيّ

٢

لفظ السوريين لحرف القاف

انَّ القاف من الاحرف التي كثر في لفظها الاختلاف ولعلّها في ذلك فازت بالسبق على الجيم . ومن غريب ما طرأ عليها انّ قسمًا كبيرًا من اهل الشام خفّفوا صوتها فجعلوها والهمزة لفظًا واحدًا . وهذا لعمري من الامور التي تستدعي البحث والتروّي . ولا يجوز القول انّ السوريين اخذوا ذلك عن السريانية لمّا كانت شائعة بينهم قبل العربية لانّ لفظ القاف في كلا اللغتين واحدٌ

ثمّ اخذنا نتصفّح كتب الصليبيين المصنّفة باللغات الاوربية لعلّنا نجد في كتبهم اثرًا لذلك في نقلهم الى اللغات الاوربية الاعلام الواقع فيها حرف القاف . فكانت نتيجة بحثنا ان لفظ القاف كالهمزة لم يكن بعدُ قد شاع في انحاء الشام قبل القرن الثالث عشر للميلاد

١) وفي نقل العجم حرف الهاء الى الجيم برهان صريح على انّ الجيم كانت تلفظ سابقًا حلقيّة كما يفعل المصريّون لانّ الجيم الشجريّة لا توافق مطلقًا حرف الهاء

لانَّ هؤلاء الكتبة لم يصوّروا القاف بحرف شبيهٍ بالهمزة او ما يقابلها بل تراهم يوردون القاف في هذه الاعلام بالحروف الآتية « k, q, ch, c » وفي اسماء قلائل بحرف «g ». وكلُّ هذا دليل ساطع على انَّهم لم يسمعوا قطّ احدًا يلفظ القاف همزةً اذ لولا ذلك لبقي من هذا اثرٌ ما. وهاك بعض الامثال التي جمعناها من تآليفهم مع صورة هيئتها في الحرف اللاتيني: قَدَس Cades , قبريخا (في بلاد البشارة) Qabrinquen, قدموس Cademois, عَلَيقة Laicas, عين المَشنَق La Mesquie, مَرَقية Maraclée , قُلَيعات Coliath, قيتولة Kaytule , بعَقلين Bahaclin , دير القمر Deir Elchamar , السمكانيّة Zemba-cquié , قلنسوة Kalansawe , عين قانية Ain Quene , كفرعُقاب Kefreachab (١ — امَّا نقل القاف بصورة حرف « g » فلنــا مثل المَرْقَب الذي ورد على هيئة Margat وليس في الاكثار من هذه الامثال صعوبة الَّا انَّ في ما سبق كفاية. وقد اخترتُها من اسماء الاعلام الدالّة على انحاء مختلفة في فلسطين ولبنان وجبال النصيريّة الخ. وقد جاء حرف القاف في اوَّل هذه الاسماء وفي وسطها وفي آخرها. فيمكن اذًا القول قطعًا انَّ لفظ القاف المستحدث في الشام لم يسبق القرن الثالث عشر ولعلَّهُ احدث من ذلك العهد بكثير

٣

لفظ الجيم عند العرب

قد كتبنا في المشرق نبذة (ص ١١٦) عن لفظ الجيم شفعهــا المستشرق الاديب كريمسكي بمقالة اخرى (ص ٤٨٧) لتتمّة فوائد هذا المبحث الجليل. وما كاد نظر القرّاء يقرّ لتلك الطرفة المستطرفة حتى ورد علينا في المسألة ذاتها فصل مطوّل نسج بردتهُ حضرة الاب انستاس البغدادي الكرملي الذي طالما سرَّنا بمقالاتهِ الجامعة بين وفرة المعاني وحسن العبارة. وقد أجّلنا الى هذه الغاية نقل شيء من فوائدها الجمّة أنفةً من العود الى المسائل ذاتها. واذ سنحت لنا اليوم الفرصة احببنا ان نذكر ملخص ما تضمَّنتهُ من الملاحظات الدقيقة في هذه الشأن

وقد قسم الكاتب الاديب نبذتهُ الى خمسة ابواب. في الباب الاوَّل بيَّن ان لفظ الجيم

---

١) قد جاءت هذه الكلمة على صور مختلفة ووجدناها مرّة « Cafarcab » باهمال صوت العين

عند العرب قديمًا كان حلقيًّا (gue) كما يلفظهُ اهل مصر اليوم واورد لذلك ثلاثة ادلّة لا تحتمل نقضًا وهي: اوّلًا ان الجيم قمريَّة ولفظها اليوم هو لفظ الحروف الشمسية. وثانيًا انّ كثيرًا من الالفاظ يُبدل فيها الجيم بالقاف او الكاف او الغين بدون تغيير معنى الالفاظ وذلك لانّ لفظ الجيم كان قديمًا يميل الى هذه الاحرف. ثالثًا ان العرب من الساميين والجيم في الجدية الساميين باجمعهم حلقيةٌ

وقد بحث حضرتهُ في الباب الثاني عن الوقت الذي غيَّر بهِ العرب لفظهم لحرف الجيم. فرجَّح ان ذلك حدث بعد ظهور الاسلام بقليل وانكر وقوعهُ في ايَّام الجاهليَّة. ثم أيَّد رأيهُ بحجّتين احداهما انَّهُ لو كان اهل الجاهلية يلفظون الجيم شجريَّة لنبَّه على ذلك اللغويُّون الاوّلون ولكانوا اثبتوا الجيم في مصفّ الاحرف الشمسية لمَّا عيَّنوا مخارج الحروف. والحال الامر بالعكس. والأُخرى انَّهُ لا يوجد في اللغة قبل الاسلام الفاظ عربية محضة يجتمع فيها القاف او الكاف مع الجيم لصعوبة التلفُّظ بها حلقيَّةً (المزهر ١: ١٣١ وشفاء الغليل ٧). وقد احدثها العرب بعد الاسلام لمَّا اختلطوا بالعجم وجعلوا لفظ الجيم شجريًّا فامكن التلفُّظ بمثل هذه الالفاظ نحو الكُجَّة والكَجْكَجة والقجقجة والكذج والقبج والكاكنج. فانهُ لو لُفظت الجيم في هذه المفردات من الحلق لاقتضى ذلك تكلُّفًا لا يقوى عليهِ اللسان

وفي البـاب الثالث قد بحث الاب انستاس عمَّن اخذ العرب لفظ الجيم الشجريَّة. فجواب حضرتهِ يوافق جوابنا في المشرق (ص١١٩) ويخالف جواب المسيو كريمسكي (الوارد في الصفحة ٤٨٨) وكنَّا ارتأينا ان الجيم الشجريّة ظهرت بنفوذ العجم في عهد الخلفاء لوجود هذا الحرف في لغتهم « وكانوا عند ظهور الاسلام ذوي سطوة عقلية وادبيـة وسياسية لا تُنكر. بل وكانوا الامَّة الثانية على الارض من بعد الرومان فلا عجب اذا اثرت لغتهم في اللغة العربية. كيف لا وقد اخذ العرب عنهم الفاظًا عديدة تُعَدّ بالمئات فلا بدع اذا اخذوا عنهم حرفًا اقتداء بتلفظهم لتلك الكلم المأخوذة عنهم الموجودة فيها الجيم... فمن الالفاظ ذوات الجيم المعربة عن الفارسية قد عمّ لفظ الجيم سائر الالفاظ العربيـة حتى صار هذا اللفظ هو المعوَّل عليهِ »

ثم استنتج الكاتب الفاضل في الباب الرابع من قولهِ هذا انّ لفظ الجيم في عصر الخلفاء يوم بلغت العربية شأوَها كان اللفظ الشجريّ لا الحلقي

امَّا الباب الخامس وهو الاخير من هذه المقالة النفيسة فمدارهُ على موضوع لم نتعرَّض

لهُ في كلامنا عن الجيم وخاض فيهِ المسيو كريمسكي (ص٤٨٩—٤٩١) اعني ايُّ لفظٍ للجيم الشجريَّة هو الاصحّ هل لفظ السوريين ام لفظ العراقيين . فجواب حضرة الاب انستاس ان لفظ العراقيين المناسب للفظ الحرفين الفرنسيين (dj) او حرف (g) الايطاليّ في مثل قولك « giorno » هو اصحّ من لفظ السوريين الذين يلفظون الحرف مليّنًا كحرف (j) الفرنسيّ . وقد بيَّن ذلك بادلَّة مقنعة نسلّم بصحّتها ونستصوبها بالتمام . وهذه خُلاصة قولهِ :

اوَّلًا انَّ اهل العراق احرص على حفظ اللفظ العربيّ في احرف كثيرة من السوريين فانَّهم يلفظون الثاء والذال والضاد والظاء والقاف كما يذكرهُ العرب في كتبهم بخلاف اهل سوريَّة الذين افسدوا لفظ هذه الاحرف . فالاظهر اذًا انَّ السوريين بدلوا ايضًا لفظ الجيم دون العراقيين

ثانيًا ان العجم والترك اضطُرّوا الى نقل اعلام او الفاظ اجنبية يدخل فيها الجيم كما يلفظهُ اهل سوريَّة والفرنسيُّون اعني (j) فوضعوا لذلك حرفًا اصطلاحيًّا هو الزاء المثلَّثة الفوقية (ژ) . امَّا الجيم العاديَّة فتركوا لها حرفها الاصليّ فهذا دليل واضح على لفظهم الجيم « دجيًا » كالعراقيين . ولو لم يكن الَّا هذا الشاهد الوحيد التاريخيّ لبيان صحَّة لفظ العراقيين لكفى بهِ حجَّةً

ثالثًا انَّ صاحب تاج العروس قد استدرك على الفيروزابادي قولهُ في ترجمة لفظة (جَنْكٌ) . قال : « قلتُ امَّا (جنك) الذي ذكرهُ المصنّف فانَّهُ بالكاف العجمية وامَّا جيمهُ فعربية (اي جنكٌ) ومعناهُ الحرب . . ثم عُرِّبت الكاف العربية وامَّا الذي هو بمعنى الآلة فجيمهُ وكافهُ اعجميَّتان (چنكٌ) ويطلق على الدُّفّ الذي يُضرَب بهِ ثُمَّ عُرِّب بالجيم والكاف العربيَّتين » . فتمييز صاحب التاج للجيمين العربية والاعجمية دليل واضح على صحَّة لفظ العراقيين لانّ العجم يلفظون جيم (جَنْكٌ) بمعنى الحرب كما يلفظها العراقيُّون (دْجَنْك) فلمَّا سمَّاها صاحب التاج جيمًا عربية بيَّن بذلك ان لفظ الجيم الصحيحة هو لفظ العراقيين (اي دجيم)

رابعًا قد سبق ان العرب اخذوا لفظ الجيم عن الفرس واهل العراق اقرب لهولاء من اهل سوريَّة فيكون اذًا لفظهم اصحّ من لفظ السوريين

وقد ختم حضرة الاب انستاس هذه النبذة الفريدة بردّ مطوّل على من حاولوا اثبات

صحة لفظ السوريين والحقّ يقال انّ دحضهُ هذا لمزاعم المتنصرين للفظ اهل سوريّة على اهل العراق دحضٌ لا يبقى بعدهُ شبهة ويسوؤنا كون ضيق المقام لا يسمح بذكرهِ . وانما في الحجج السابقة ما يُقنع كلّ من لا يعاند الحقّ

هذا واننا احببنا ان نُثبت هنا ملاحظةً لصاحب المقالة عن لفظ اهل نجد وقبائل ما بين النهرين لحرف الجيم قال : « واني بذاتي قد رأيتُ وسمعتُ كثيرين من عرب اهل نجد في البصرة وهم يُعَدُّون هناك بالالوف المؤلفة وكلهم يلفظون الجيم كالياء المثنّاة التحتيّة فيقولون مثلًا « يوابًا » عوضًا عن « جواب » ويقولون « يرابًا » في « جراب » وهلمَّ جرًّا . واما القبائل النازلة في ما بين النهرين فتلفظ الجيم دجيمًا كالبغادِدة . وهذا ممَّا يستطيع ان يختبرهُ كلُّ بغداديّ بذاتهِ لأنّ هذه القبائل كثيرًا ما تقصد امّ العراق لتشتري لها ما يلزمها من الحاجيَّات كالاسلحة والذخائر . وفي بلوخستان وافغانستان وهندستان والصين مسلمون وكلُّهم اذا تكلَّموا بالعربية او قرأوا القرآن لفظوا الجيم لفظًا عراقيًا او بغداديًا او شجريًا كيفما تريد ان تسمّيها . فيتحصَّل من ذلك ان لفظ الجيم الحلقي ضيّقة النطاق كما ترى »

خلاصة

معتقد النصارى في التوحيد والاتحاد

مقالة لبولس الراهب اسقف صيداء الانطاكي

قد وقفنا على هذه المقالة في بعض كتب المتحف الفاتيكاني في جملة مقالات دينيَّة خطيَّة والكتاب الذي وجدنا فيهِ هذه النبذة المستملحة عددهُ ١١١ بين الكتب العربية المخطوطة وهي مثبتة في الصفحة ٥٥ منهُ . وتاريخ نسخها سنة ١٥٤٣م . ثم حصل لنا بعد ذلك نسختان من هذه المقالة نفسها احداها قديمة تحفظ اليوم في خزانة كتبنا الشرقيَّة والاخرى حديثة . امَّا المؤلف فلا نعرف من ترجمتهِ الَّا النزر القليل . كان راهبًا اصلهُ من انطاكية من طائفة الملكيين واشتهر في القرن الثالث عشر وصار اسقفًا ملكيًا على صيداء . صنَّف عدَّة تصانيف في اللاهوت والفلسفة ودافع عن صحَّة الدين النصراني . وتآليفهُ قد فُقد منها قسم وبقي بعضها الى يومنا سننشر منها ان شاء الله ما تيسَّر لنا عند سنوح الفرصة . وقد وهم السمعاني في قائمة الكتب الفاتيكانيَّة (ص ٢٢٧) اذ جعلهُ من كتبة القرن الخامس عشر . وما يردُّ هذا الزعم انَّ لابن تيميَّة كتابًا يباحث فيهِ صاحب مقالتنا . وقد توفي ابن تيميَّة سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٨ م) ل . ش

رسالة لبولس الرَّاهب اسقف صيداء الانطاكيّ لمَّا ان سألهُ الشيخ ابو السرور التنّيسيُّ الرَّقَّامُ (١ ان يشرح لهُ شرحاً مختصرًا رأْيَ النصارى في التوحيد والاتحاد

« امَّا بعدُ فانَّا معشر النصارى نعتقد في الله تقدَّست اسماؤُهُ وجلّت آلاؤُهُ انَّهُ واحدٌ بالذَّات مثلَّثٌ بالصفات (٢ التي نسمّيها ابًا وابنًا وروحًا قُدُسًا . نُريد بذلك تصحيح القول انَّهُ تعالى شيءٌ حيٌّ ناطقٌ فالشيء الذي هوَ عندنا الذَّاتُ هو الآبُ (٣ والنطقُ الابن والحياة الروح القدس والثلاث الصفات هي الاله الواحد الذي لا يتبعَّضُ ولا يتجزَّأ . فلا هوَ ثلثةٌ بمعنى ما هو واحدٌ اي ليس هو ثلثُ ذواتٍ بل هو ذاتٌ واحدةٌ ولا هو واحدٌ بمعنى ما هو ثلثةٌ اي ليس هو صفةٌ واحدةٌ بل ثلثَ صفاتٍ . وقد نرى الشمس المخلوقة تُوصف بثلث صفاتٍ جوهريَّاتٍ لا مستعاراتٍ فيقال قرصُ الشمس وضوء الشمس وسخونة الشمس . وكلُّ صفةٍ من الثلثِ الصفات حافظةٌ لخاصَّتها بلا اختلاطٍ ولا تفريقٍ ولا تبعيضٍ ولا تجزّئٍ . فالقرص والدٌ للضوء والضَّوء مولودٌ من القرص والسخونة منبعثةٌ من القرص مستقرَّةٌ في الضوء . والثلثُ الصفاتُ شمسٌ واحدةٌ وليست ثلث شموسٍ وان كان قد يقال لكلّ صفةٍ من الثلثِ صفات شمسٌ . لانَّهُ قد يُقال عن القرص انَّ الشمس قد جرت في وسط السماء وعن الضوء انَّ الشمس قد دخلت الى وسط الدار وعن السخونة انَّ الشمس قد أحرقتني . واذا كان هذا المجرى يجري في الشمس المخلوقة ففي خالق الشمس ألطف وافضل

وامَّا رأينا في الاتحاد فنقول ان الابن الازليّ الذي هو النطق تجسَّد انسانًا كاملًا من الروح القدس ومن السيدة مَرْتمريم ٤) بلا انتقال عن اللاَّهوت ولا انفصال عن الذات كما انَّ كلام الانسان المولود من عقلهِ يصير كتابًا فيسيرُ الى بلدةٍ ما فيتخرَّق الكتاب او يُحرَقُ . فمن حيث الوَرَقةِ والمداد يدخل عليهِ التخريق والحريق ومن حيث الكلام غير داخلٍ

١) لم نطَّلع على شيء من اخبار ابي السرور هذا . وفي نسخة يدعى ابا السرقاء

٢) اعلم انَّ في الله عزَّ وجلَّ نوعين من الصفات منها كماليَّة كالقدرة والعلم والقداسة الخ . وهذه الصفات مشتركة بين الاقانيم الثلاثة . ومنها شخصيَّة وهي نسبة الاشخاص الى بعضها كنسبة الاب الى الابن ونسبة كليهما الى الروح القدس وهذه النسب لا تشترك بين الاقانيم الثلاثة ومنها تتوقَّف الاقانيم وهي صفات جوهرية قائمة بذاتها

٣) يريد ان الذات الالهية اي طبيعتهُ تعالى كلها في الآب

٤) هكذا كان يدعو نصارى المشرق العذراء مريم حتَّى الملكيون وقد استعاروا هذه اللفظة من السريانية ܡܪܬܝ ܡܪܝܡ اي السيدة مريم

عليهِ عَرَضٌ بل هو ثابتٌ في العقل الوالد لهُ بلا انفصالٍ والكتاب واحدٌ. كذلك نقول انَّ السيّد المسيح من حيثُ هو كَلِمَةُ الله قديمٌ ازليٌّ ومن حيثُ هو ابن السيّدة مرتمريم هو محدَثٌ زمنيٌّ ففعل المعجزَ بالطَّبيعة الالهيَّة واظهر العجز بالطبيعة البشريَّة. والفعلان للسيّد المسيح الواحد. كما انَّ قطعة الحديد اذا هي أُحميت بالنَّار كانت من حيث النـار تحرق وتضيء ومن حيث الحديد تقبل الشَّجَّ والطّيَّ والقطع من غير وصبٍ يدخلُ على طبيعة النار. والقطعة واحدةٌ جامعةٌ لطبيعتين طبيعةٍ لطيفة غير داخل عليهـا عرَضٌ وطبيعةٍ كثيفة قابلةٍ للاعراض. واما قولنـا «انَّ السَّيّد المسيح الهٌ» فلأَنَّ اللَّطيف اذا اتَّحد بالكثيف غلب اسم اللطيف على الكثيف كما يغلب اسم النار على الحطب فلا يقال نارٌ وحطبٌ بل نارٌ. واذا كان هذا المجرى يجري في اتّحاد المخلوقات ففي الخالق هو أجلّ واعظم. واما الولادة فقد تكون على وجهين منها ولادةٌ كثيفةٌ بمباضعةٍ وتناسل وتقدُّم الاب على الابن وتأَخُّر الابن عن الاب مثل زيدٍ من ابيهِ. ومنها ولادةٌ لطيفةٌ بغير مباضعةٍ ولا تناسلٍ ولا تقدُّم ولا تأَخُّر مثل ولادة العقل للنُّطق وولادة قرص الشَّمس للضوء والى هذا المعنى ننحو في قولنا «ابًا وابنًا». والحمدُ للهِ على ما انعم علينا بهِ من المعرفة بتوحيـد جوهرهِ وتثليث اقانيمهِ التي هي الآب والابن والروح القدس لهُ المجـد والقدرة والتسبحة والكرامة من الآن والى دهر الداهرين. آمين

يا جوهرًا من جوهرٍ في جوهرٍ لا ينقسمْ (١
مَن قـال غيرَ مقالتي في ذي العلى لم يستقمْ

اللغة الشائعة في سوريَّة

قبل الهجرة

مقالة للطيّب الذكر اقليميس داود مطران دمشق على السريان الكاثوليك *

يزعم قومٌ ان اللغة اليونانية كانت لغة سوريَّة على وجه الاطلاق في الازمان السابقـة

---

١) الجوهر هنا بمعنى الذات الشخصيَّة والاقنوم لا بمعنى الطبيعة التي هي واحدة في الله سبحانهُ وتعالى لا تقبل التجزّئ

* وردت هذه المقالة في الجزء الاول من الطبعة الجديدة من كتابهِ الممنون «اللمعة الشهيَّة في نحو اللغة السريانية» (راجع الصفحة ٨٥٨)

لظهور العربية فيها. كأنَّ اللغة اليونانية تملّكت في بلاد الشام منذ استولت دولة السلوقيين خلفاء الاسكندر ذي القرنين اليوناني على هذه البلاد في اواخر القرن الرابع (ق م) وبقيت متغلبة فيها الى ان انقرضت بتسلّط اللغة العربية على البلاد. واصحاب هذا الزعم يوردون لاثبات زعمهم حججاً كثيرةً. منها انَّ كلّ المؤلفين الذين ألّفوا الكتب في تلك البلاد قبل العرب ألّفوا باليونانية. وانَّ المجامع المسيحية عُقِدَت فيها باليونانية. وانَّ الكتابات الحجريَّة الباقية الى اليوم هي باليونانية الى غير ذلك. ونحن نقول انَّ كلّ ذلك لا ينتج منهُ الّا ان اللغة اليونانية كانت شائعة مشهورة في البلاد الشامية لا أنَّها كانت لغة البلاد كلّها ولا انَّها كانت اللغة المتغلّبة. لانَّ اللغة المتغلّبة في بلاد الشام حتى بعد استيلاء السلوقيين عليها كانت السريانية. ولنا على ذلك براهين شتَّى قاطعة

فأوَّلًا نتَّخذ البرهان من الامر المعلوم لدى كلّ خبير وهو انّ العرب لمَّا ملكوا بلاد سوريّة واختلطوا مع اهلها ادخلوا في لغتهم العربيـــة ألفاظاً كثيرة غريبة من لغة اهل سوريَّة متعلّقة بالديانة النصرانية وبغير ذلك وعرَّبوها. والحال انَّ هذه الالفاظ الشامية التي ادخلها العرب في لغتهم ليست يونانية لكن هي سريانية. وهاك جملةً منها: عماذ. قسّيس. شمَّاس. ناقوس. كنيسة. نياحة. ساعور. باعوث. ترشيم. تسبيح. قدَّاس. وغيرها كثير

وامَّا من اللغة اليونانية فلم يدخل في اللغة العربية الَّا الفاظ قليلة وذلك بواسطة اللغة السريانية نفسها. وهي الالفاظ الموجودة في اكثر لغات العالم. منهـــا ما يتعلّق بالأمتعة الجديدة وما اشبه نحو: زنَّار. قسط. اوقيّة. ايقونة. استار. درهم. مينا. فندق. ومنهـــا ما يتعلّق بالديانة النصرانية نحو: انجيل. هرطقة. اسقف. مطران. طقس. طغمة. ومنها ما يتعلّق بالعلوم. وهذه لم تُعرَّب الّا حينما أخذَ العرب في خلافة العبّاسيّين يتفرّغون للعلوم اليونانية على يد علماء السريان. فدخلت في لغتهم الالفاظ الاصطلاحية العلمية التي دخلت في كلّ اللغات المتمدنة نحو: فلسفة. جغرافيًا. سفسطي. دوسنطريًا. باسيليق. اقليم. أثير. وكلّ هذه الالفاظ اليونانية انَّما دخلت في العربية لكونها موجودة في السريانية لانَّك لا تجـد لفظة يونانية في العربية الّا وهي موجودة في السريانيّة. ودخلت في العربية لا كأنَّها يونانية لكن كأنَّها سريانيَّة. لانها لم تدخل في العربية من اليونانية رأساً لكن بواسطة اللغة السريانية كما تقدّم القول. فيجوز لنا ان نعدّها مع الالفاظ التي دخلت من اللغة السريانية الى العربية التي سبق ذكرها

وناهيك انّ العرب يلفظون الكلمات اليونانية المعرّبة كما يلفظها السريان لا كما يلفظها اليونانيون . فيقولون مثلًا : افلاطون . سقراطيس . اقليم . فنـدق . طقس . دوسَنطريًّا . لا : پلاتون . سكراتيس . كليما . بندوخيون . تكسيس . ديسنتريًا . كما يقول اليونانيون . وممّا يستحق الاعتبار انّ العرب سمّوا اليونان بالاسم السريانيّ « ܝܘܢܝܐ » كما سمعوهُ في سوريّة لا بالاسم اليوناني « هِلّينيكُس »

والأمر في الالفاظ اليونانية المعرّبة يشمل ايضًا الالفاظ اللاتينية نحو : دينار . بلاط . قلّاية . طبلة . فسقيّة . والحاصل انّهُ لمّا كان العرب لم يستعيروا الالفاظ الاعجميّـة الّا من لغة الاقوام الذين اختلطوا بهم ولم تحدث استعارة الالفاظ التي كلامنا عنها الّا في الازمان التابعة لظهور النصرانية كما هو واضح يتّضح من ذلك بكل التأكيد انّ الاقوام الذين اختلط بهم العرب في سوريّة في الازمان التابعة لظهور النصرانية كانت لغتهم الشائعة المتغلّبة هي اللغة السريانية

ثم انّ من المقرَّر الذي لا ينكرهُ احد انّ اللغة التي كان اهل الشام يتكلّمون بهـا قبل ان انقرضت باللغة العربيّة لا بُدَّ من انّها تركتْ آثارًا في اللغة العاميَّة التي اخذت مكانها . والحال انّ اللغة العامّية في بلاد الشام ليس فيها ادنى اثر من اللغة اليونانية . لكن تحتوي آثارًا كثيرة من اللغـة السريانية . من ذلك اسكان المتحرّك في اوّل الكلمة وفي مواضع اخرى كقولهم مثلًا : كْبير . صْغير . نْروح . كْبار . بسكون اوائلها . وهذه خاصّة لا توجد الّا في اللغة السريانية . ولغة عامّة دمشق على الخصوص مشهورة باستعمالها اسكانًا خصوصيًا للّسان السريانيّ لا يعرفهُ اهل بقيّـة البلاد التي تتكلّم بالعربية . وهو انّهم يسكّنون الحرف المتحرّك بحركة الاختلاس في وسط الكلمة . وقد ينقلون حركتهُ الى الحرف السابق . فالاوّل نحو : عِلْتي . عَمْتَك . كَسْرِهْ . والثاني نحو : نِخْلِهْ . زِلْقطَه . حُرْمْتَكْ . بدل : عِلّتي . عَمّتك . كَسْرَهْ . نَخلِهْ . زَلقطَه . حُرمَتِكَ . المستعملة في بقيّة البلاد المتكلّمة بالعربية

وممّا يؤكد هذا البرهان أنّ عربية المصريين مثلًا ليس فيها هذه الخلّة اعني اسكان المتحرّك ونقل حركتهِ الى ما قبلهُ . وذلك لانّ المصريين لم يكونوا قبلًا يتكلّمون بالسريانية

ومن الآثار السريانية الباقية الى يومنا هذا في لسان العـامّة بسوريّة قلب الميم الى نون في ضمير المخاطبين وضمير الغائبين نحو : « ابوكنْ وبيتهن » بدل « ابوكم وبيتهم » . وهذه الخلّة هي من خواصّ اللغة السريانية . ومن الغريب انّها لا توجد في عربية

العامَّة الّا في بلاد الشـام وفي النواحي الشمالية من بلاد الجزيرة

وما هو اعظم من ذلك انَّهُ يوجد في اللغة العامّية ببلاد الشام حتى دمشق ألفاظٌ سريانية كثيرة برمّتها لا حظّ لها من العربية · يستعملها الشاميُّون في كلامهم الدارج حتى الملكيُّون الذين ينسبون انفسهم الى اليونانيين وهم لا يعرفون انَّ تلك الالفـاظ هي سريانية · فمن الافعال التي تخطر بالبال : دقر · سكَّر (الباب) · طافَ بمعنى طفا · دَيّق · فقع · دلف · شلح · شمط · شطح · فلش · شقل · ومن الاسماء : الشوب · الشِرْش · الاشكارة · الدقن بمعنى اللحية · الهبلة · الحل · القاتول · القرطب · التاقول · هذه وامثالها هي بقايا من اللغة السريانية التي كانت يومًا لغة العامَّة في دمشق وسائر سوريَّة قبل دخول العربية فيها · بل انَّ اسم سوريَّة نفسهُ هو متَّخذ من السريان لا من اليونانيين لانَّهُ من المعلوم انَّ اليونانيين منذ الاعصار المتأخرة يقولون « سيريا » · واماَّ السريان فيقولون « ܣܘܪܝܐ » سوريًّا

ثمَّ انَّ العرب لمَّا ترجموا الكتاب المقدَّس في الزمان القديم الى لغتهم لم يصوّروا الاسماء الاعلام التي فيهِ بحسب لفظ اليونانيين لكن بحسب لفظ السريان · فقالوا مثلًا : يعقوب · اسحق · يسوع · حوَّاء · يوحنَّا · عَمورة · كما يقول السريان . ولم يقولوا : يا كوب · إساك · ايسوس · آڤا · يوانّيس · غُمرَّا · كما يقول اليونانيون · ولنا هنا ان نبرهن ونقول : ان كانت ترجمة الكتاب المقدَّس العربية قد صارت على كتب اليونانيين كما يزعم قومٌ فما انّ اللغة السريانية كانت لشيوعها قد علَّمت العرب لفظ الأسماء الأعلام · وان كانت قد جرت على الكتب السريانية كما هو الارجح فما اذًا انَّ اللغة السريانية كانت شائعـة في سوريَّة حتى في استعمال الكتاب المقدَّس

ثمَّ انَّ اللغة السريانية قد ابقتْ آثارًا كثيرة جليلة الى اليوم في بلاد سوريَّة ما عدا ما ذكرناهُ · منها :

اوَّلًا أسماء القرى والمدن التي لا تُحصى ولا تُعَدّ نحو : ريشعَينا · عينطورا · ريشْيًا · راشيًا · بيكفيًا · داريًا · مَعَرَّا · بيتيما · وهذه الاماكن هي كلّها من ضواحي دمشق نفسها او قريبة اليها · واماَّ الاسماء العلَميــة اليونانية فهي قليلة جدًّا وهي مقصورة على بعض مدن الساحل او القريبة منهُ اشهرها : انطاكية · اسكندرونة · لاذقية · طرابلس · نابلس · وممَّا يستحقّ الذكر انَّهُ لا يوجد اسم يونانيّ لمكان في دمشق او في جوارها

ثانيًا يوجد الى اليوم اقوامٌ تتكلَّم في اللغة السريانية في سوريَّة وذلك على ابواب

دمشق نفسها وهم اهل معلولة وما يجاورها المشهورون . بل انَّ هؤلاء سريانيتهم افصح من سريانية اثور والجزيرة والعراق . وامَّا اللغة اليونانية فلا يوجد اليوم زاوية في كلّ بلاد سوريَّة يتكلَّم اهلها بها مع ان اللغة الكرديَّة والتركية يوجد اقوام تتكلَّم بهما في البلاد الشاميّة . ونعدل عن ايراد الشواهد المختلفة من كتب السريان التي يتَّضح منها ان اللغة السريانية كانت اللغة العامَّة الدارجة في جبال لبنان وغيرها من بلاد الشام حتى في القرن الثالث عشر

وبهذه البراهين القاطعة وغيرها تسقط كلّ حجج الخصم . لأنهُ من اعتراضاتهم يتحصَّل اكثر ما يكون انَّ اللغة اليونانية كانت في تلك الاعصار التي كلامنا عنها معروفة مشرَّفة في سوريَّة عند العظماء والعلماء مثلما كانت مشرَّفة ومعظَّمة في مدينة رومية وسائر بلاد ايطالية . ولكن لا ينتج من ذلك انَّ اللغة اليونانية كانت اللغة الدارجة المتغلّبة في سوريَّة مثلما لم تكن في ايطالية . والمفهوم ان كلامنا ليس هو عن المدن الكبيرة التي اهلها كانوا في الاصل يونانيين كانطاكية وسلوقية . فانَّنا لا ننكر انَّ اهالي هذه المدن كانوا غالبًا يتكلَّمون باليونانية مثلما كان في ايطالية مدنٌ شتَّى يتكلَّم اهلها باليونانية . امَّا كتب الاعصار الاولى التابعة لظهور دين المسيح التى وصلت الينا فلا يُنكر انَّ التي تخصّ بلاد الشام منها هي باللغة اليونانية . وامَّا في القرون التابعة للقرن الثالث فالكتب السريانية في بلاد الشام هي كثيرة كمصنّفات فيلكسنيس المنبجيّ . واسحق الانطاكي وغيرهما . ومن ذلك نتَّخذ دليلًا قاطعًا على انّ اللغة السريانية كانت شائعة عامّة في بلاد الشام قبل القرن الثالث . لان العقل السليم لا يقبل ان اللغة السريانية دخلت في سوريَّة في القرن الثالث مكان اللغة اليونانية . وامَّا (اسفار العهد الجديد) فبعضها فقد اصلهُ السرياني كما فُقد كتبٌ كثيرة من كُتُب القُدماء . وبعضها انَّما كُتب في اليونانية في الاصل لانَّ الكتَّاب او المكتوب لهم كانوا يونانيين اصلًا . وامَّا (المجامع البيعية) فليس بمؤكَّد انها كلّها عُقدت باليونانية . وامَّا (الكتابات الحجريَّة) فان كان كثيرٌ منها مكتوبًا باليونانية فاكثر من ذلك مكتوبٌ بالسريانية . وها انّ كثيرًا من الكتابات الحجريَّة القديمة في البلاد الشاميَّة هي باللغة اللاتينية . وهل يستنتج عاقل من ذلك ان اللغة الدارجة في هذه البلاد كانت اللاتينية

١) لقدثبت الآن انَّ كتب العهد الجديد كلَّها كُتِبت باليونانيَّة ما خلا انجيل متَّى الرسول الذي كُتب بالسريانية الفلسطينيَّة (المشرق)

ونختم بحثنا هذا باعتبار واحد جليل القدر يُغني عن كلّ حجة. وهو انّ المصنّفين والكتّاب في اللغة السريانية في سوريّة من القرن السادس فصاعدًا هم كثيرو العدد حتى انّهُ يعسر احصاؤُهم. وهاك اسماء طرفٍ يسير منهم. بولا اسقف قَلّينقس (الرقّة). وشمعون القوقيّ. ويوحنّا ابن افتون القنسرينيّ. وزكريّا الملطيّ. ويوحنّا اسقف افسس. وتوما الحرقليّ. وثاوفيل الرهاوي. ويوحنّا اسقف بُصرى في حوران وغيرهم كثيرون. هؤلاء من الذين اشتهروا الى حين ظهور الاسلام فقط. وأمّا الذين ألّفوا في اليونانية في تلك الاعصار ببلاد سوريّة فاذا عدلنا عن الذين اشتهروا في اورشليم التي كانت اضحتْ مدينةً يونانية منذ مبادئ القرن الثاني بعد المسيح وفي دير جبل سينـاء الذي كان ديرًا يونانيًا في كلّ زمان. كسفرونيوس ويوحنّا السلّميّ ويوحنّا الدمشقي وثاودورس ابي قرّة وأنسطاسيوس السيناويّ ويوحنّا مُنخوس فلا نعلم انّهُ عُرف غير هؤلاء من المصنّفين باليونانية في بلاد سوريّة الى يومنا هذا. وان كنّا قد نسينـا واحدًا او اثنين فالعفو من القارئ الكريم. ولذلك فلا غرو انّك تجد في بلاد سوريّة احمالًا كثيرة من الكتب السريانية في البِيَع والاديرة وخزائن البيوت. ولا تجد فيها من الكتب اليونانيّة الّا تَحِلّة القَسَم

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

فصل في ذكر اولاد زين الدين وهم من الطبقة الاولى

ويجب ان نذكر اولاد زين الدين من بعد ذكر ابيهم (١

ذكر الامير شرف الدين علي ابن زين الدين صالح بن عليّ بن بحتر

هو سميّ جدّهِ كان مشهورًا بالجودة وصدق الكلام محمودًا في امورهِ مشكورًا

(١ ورد في ذيل الكتاب ما حرفهُ: « حاشية من الاصل: لما اسّس زين الدين العمارة في راس عرامون جعلها ابا حبّة (نظنّ انهُ يريد حجر الصوّان المحبّب) وَبدنات على هيئة القلاع. وذكروا

في سيرتهِ عرضوا عليه إمارة اخيهِ ناهض الدين بحتر الآتي ذكرهُ ان شاء الله فأبى اخذها وايَّد عزمهُ بالحلف. ثم بادر الى تبرئة ذمَّة اخيه من الديون التي عليهِ وقيل انها كانت سبعين الف درهم فتكون بمعاملة زمانهِ الفين وخمسمائة دينار. ورأيتُ باسم شرف الدين عليّ مصاغات فضَّة وخناجر فضة وآلات حوائص(١ ونحاس وغيره شيئًا كثيرًا يدلُّ ذلك على سيادتهِ وحسن حالهِ بين الناس. ورأيتُ كتابتهُ وذكرهُ في الورق القديم يدلُّ على انهُ كثير المخالطة للدولة (38ʳ). وشرف الدين عليّ كان اكبر اخوتهِ في السن وتأخر بعدهم ولم يبلغ عمرُ احدٍ منهم خمسين سنةً. وفاتهُ نهار الاثنين رابع عشر صفر سنة سبع وسبعمائة (١٣٠٧ م) واسم ولده عزُّ الدين حسين

ذكر اخيهِ الامير ناهض الدين بحتر ابن زين الدين صالح بن عليّ بن بُحتُر

كان ناهض الدين جوادًا كريمًا حسن الشكل وافر الحشمة معروفًا بين الناس بالكبْرة (٢. وتأمَّر على الطبلخانات خارجًا عن الاقطاع القديم المخصوص بالبيت. وذلك انَّ الهاربين من عساكر الملك الناصر محمد بن قلاوون في تاريخ سنة تسع وتسعين وستمائة (١٣٠٠م) تفرَّقوا في البلاد فحصل لهم اذيَّة من المفسدين وخصوصًا من اهل كسروان وجزين. واكثرهم اذيَّة للهاربين اهل كسروان فانهم بلغوا الى ان امسكوا بعض الهاربين وباعوهم للفرنج. واماَّ السَّلب والقتل فكان كثيرًا. وكان ناهض الدين بُحتر اذا مرّ عليهِ احد من الهاربين احسن اليهِ واضافهُ وقام لهُ بما يحتاج اليه. وكذلك فعل علاء الدين عليّ ابن حسن بن صبح(٣ في قرية حديثة فشكرهما الناس وصار لهما ذكر ولبس كلاهما الخلع في

انَّهُ ورد عليهِ امر من السلطنة ليبطلها وانكروا عليهِ فعلهُ. فعمَّر فوق الاقبية حيطان عليَّتين للسكن. واحتجَّ عند السلطان انَّهُ يعمِّر بيوتًا للسكن. فتوفي قبل ان يسقِّف الحيطان. ثمَّ طلع ولدهُ بدر الدين يوسف وسقَّف الحيطان كما هي اليوم ولم اقف على ذكر تاريخ مولد زين الدين عليّ ولكن المشهور عنهُ انَّهُ ولد يتيمًا عند جمال الدين بن حجّي واخيهِ سعد الدين خضر ولدَي محمَّد بن محمَّد بن حجّي فعلى هذا يكون المذكور اصغر سنًّا منهما اذ انَّهما ربَّياهُ. وهذا دليل لامع على انَّ زين الدين بن عليّ يتقصَّر (كذا) عن ايَّام ابيهِ واخوتهِ »

١) الحوائص المناطق

٢) جاء في الحاشية : « وجدتُ مرسومًا من ايبك نائب الشام عن السلطان الملك العادل كتبغا الى متولي بيروت يوصيه بناهض الدين بحتر المذكور ووالدهِ. وهذا المرسوم ممَّا يدل على انَّ ناهض الدين بحتر المذكور نشأ في ايَّام والده وانَّهُ كان معيَّنًا للامرة دون اخوتهِ شرف الدين عليّ وبدر الدين يوسف. وتاريخ المرسوم المذكور سنة اربع وتسعين وستمائة (١٢٩٥م) »

٣) مرَّ ذكرهُ (ص ٢٧٦)

نهار واحد وتولّى كلٌّ منهما إمرة طبلخاناة (١ وذلك بواسطة ملك الامراء جمال الدين آقوش الافرم نائب الشام قاصدًا بذلك محاربة المفسدين (38^v) ثمَّ عاملوا اهل كسروان بما ذكرناهُ (٢

وقد وقفتُ على المنشور الذي يأمر لناهض الدين بحتر بالطبلخاناة وجهاتهُ كثيرة متفرقة جمعوها حتى صارت امرتهُ طبلخاناة . ولولا خوف الاطالة لذكرتُها

ووجدت بخطّ ناصر الدين الحسين انهُ أُعطي الامر لناهض الدين بحتر بالطبلخاناة نهار السبت من شهر صفر سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) وكان لهُ بدمشق يوم مشهود فخلع على الحجَّاب والنقباء ومن حضر اليهِ بالامرة خمس عشرة خلعة كاملة

وكانت وفاتهُ نهار الجمعة قبل المغرب بساعة في الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة سبعمائة (١٣٠١) بدمشق بدار الطيَّار داخل باب الفراديس وحُمل الى عرامون ودفن عند والدهِ بتربتهم . وكان مرضهُ الزنطارية وبقي مرضهُ اثني عشر يومًا . وخلّف دينًا ينيف على سبعين الف درهم فاجتهد اخوهُ علي حتى وفى جميع ما كان عليهِ . واسمُ ولده شمس الدين كرامة لم يخلف بعدهُ سواهُ (٣

ذكر اخيهِ الامير بدر الدين يوسف ابن زين الدين صالح بن عليّ بن بحتر

لم اعرف شيئًا من اخبارهِ . تزوَّج زين الدار بنت سعد الدين خضر بن محمد بن

---

١) الطبلخاناة من الرُّتب العليا في ايَّام ملوك الشراكسة في مصر (راجع ص ٣٢٥) قال المقريزي في كتاب السلوك : وكان اقطاع امير الطبلخاناة يبلغ ثلاثين الف دينار

٢) (راجع ص ٢٧٦) . جاء في هامش الكتاب : « حاشية تذكر في الاصل : وجدتُ مرسومًا من حاحان (كذا) الى ناهض الدين بحتر المذكور . من مضمونهِ ان ناصر الدين بن سعدان من الغربية تقرَّب الى عزّ الدين الوزيريّ والتمس من الرعايا مالاً وطلب للكشف عليهِ . فقيل لهُ طلع الى الجبل فطلبهُ من المجلس ومن اقاربه الامراء فلم يحضروهُ . فقسم بالله ان لم يحضر لياخذ من المجلس ما يتحرَّر عندهُ في الكشف . وتاريخ المرسوم المذكور سنة ست وتسعين وستمائة (١٢٩٧م) في ايَّام سلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين وفي نيابة قبجق على الشام . اما حاحان صاحب المرسوم فربما كان من حكَّام الشام الكبار . واما عزّ الدين الوزيري فربما كان متوليًا بيروت وهذا يدل نحس (كذا) ناصر الدين بن سعدان وجودة ناهض الدين واقاربهِ »

٣) جاء في ذيل الكتاب : « حاشية من الاصل : كنتُ وانا صغير اسمع الناس يقولون انَّ من نساء الامراء بعرامون امرأة ركبت فرسًا فجفل وجرى بها فوقعت وتعلَّقت رجلُها في الركاب فماتت . وشتَّ عنّي مَن هي أتكون زين الدار المذكورة او احدى بنات ناصر الدين الحُسين بن سعد الدين خضر المزوَّجات في عرامون وسيأتي ذكرهنَّ فيما بعد هذا ان شاء الله . ثمَّ ذُكر لي بعد ذلك انَّ التي قتلها الفرس هي امّ ناهض الدين اخت ناصر الدين الحسين والله اعلم

حجّي . وتوفي نهار الجمعة سالخ صفر سنة احدى وسبعمائة (١٣٠١) . اسماء ولدَيهِ عماد الدين موسى وسيف الدين مفرج ووفاة امهما زين الدار المذكورة في ثاني وعشرين شعبان سنة تسع وثلاثين وسبعمائة (١٣٤٠م)

[وقد سمعتُ (١ من غير واحد انَّ بدر الدين يوسف ابن زين الدين المذكور خرج من بيروت فوجد احد اصحابهِ يُعرف بالقاضي التبريزي قد حضر الى عرامون ونزل بالقاعة تحت العين في البستان فنزل بدر الدين عند القاضي المذكور في القاعة وكان عنده ناصر الدين ابو الفتح ابن سعدان ابن ابي الجيش مع جماعة وهم قاعدون في مجلس الشراب فاخذ ناصر الدين ابو الفتح يسقي الجماعة بيدهِ فلمَّا كان الدور لبدر الدين يوسف وضع في القدح سمًّا فعاش بدر الدين اياماً قلائل متوجعاً من ألم السمّ وتداوى فلم ينجع فيهِ الدواء ثمَّ توفي في التاريخ المذكور . وكان بدر الدين يوسف من سادات قومهِ جليل القدر عالي الشان وكان ناصر الدين الحسين ابن سعد الدين خضر كثير المحبة لهُ وكثيرًا ما كان ينزل ينام عنده بعرامون في أُلفة اختـهِ زين الدار زوجة بدر الدين . ويقال انهُ هو الذي عمَّر لها القبو الذي تحت الطبقة وقيل انّ عماد الدين ابن بدر الدين يوسف المذكور عمَّرهُ لزوج بنتهِ وسنذكر عمارة القبو عند ذكرنا لعماد الدين موسى . وكان بدر الدين لمَّا قسم من اخيهِ شرف الدين طلع الى الرأس وسقَّف البيوت في الرأس ثمَّ سكنها اربعين يوماً وتوفي . ثم عمَّر ولدهُ مفرج الطبقة التي فوق القبو الذي عمرهُ ناصر الدين الحسين لاختهِ زين الدار]

ذكر الامير شمس الدين كرامة بن بحتر بن صالح تبعاً لذكر ابيهِ وجدّهِ

كان شابًّا حدث السنّ لم يتزوَّج ولم يخلف ابوهُ ولدًا سواهُ . وكان عمهُ شرف الدين عليّ هو المتكلّم عنهُ بوصاة ابيهِ بحتر المذكور . ورأيتُ بين الاوراق القديمة مراسيم من اقوش الافرم نائب الشام وقصصاً كتبها شرف الدين عليّ تدلُّ على انَّهُ كان المتكلّم عن شمس الدين كرامة ابن اخيهِ . وجهات اقطاعهِ عرامون وبيصور وكفتون وثلث عيناب وثلث عين عنوب وثلث بتـاتر وثُلث كفرعمَّيـه وثلث حصَّـة الملك بخلدا

١) ما ذكرناهُ بين معكفَين قد ورد في الحاشية وقد نبَّه المؤلف انهُ من الاصل فالحقناه بالمتن

وحبرشالا (١ ومرتعون وبركة شطرا (٢ ومن الفريديس فدّان(٣ وكان هذا الاقطاع بامرة عشرة في ذلك الوقت وانّما جُعلت عشرين في ايّام الدرَك . وربّما كانت قبل الفتوح مجهولة العدّة كما كان غيرها من الاملاك والاقطاع . وشمس الدين كرامة لم يعمَر ولم تطل لهُ مدّة . وكانت وفاتهُ نهار السبت سادس شهر محرَّم سنة سبع وسبعمائة (١٣٠٧م) . وانتقل اقطاعهُ بحكم الوفاة الى ناصر الدين ابن الحسين بن الخضر الآتي ذكرهُ ان شاء الله تعالى بعد شمس الدين هذا . واماَّ بقيّة الامراء بعرامون سيأتي ان شاء الله ذكرهم بعد ذكر ناصر الدين الحسين وذكر اخوتهِ والذين تأخّروا من ذريّتهم يتأخر ذكرهم الى موضعهِ كما سنرتّبهُ ان شاء الله تعالى

(39ᵛ) الطبقة الثانية

ولنرجع الآن الى ذكر اولاد سعد الدين خضر ابن نجم الدين محمد ثم نذكر من بعدهم من يتعيَّن ذكرهُ من معاصريهم على ما ينبغي ترتيبهُ ان شاء الله تعالى

ذكر الامير ناصر الدين الحسين ابن سعد الدين خضر ابن نجم الدين محمَّد امير الغرب

كان سيّدًا من السادات المعدودين نال الرُّتبة العاليـة في قومهِ وشيَّد البيت وولي رئاستهُ وسياستهُ . وكانت ايَّامهُ غرر الايَّام وزمانهُ زائد الابتسام عاش في ايَّام الملك الناصر محمد بن قلاوون ونائبهِ بالشام تنكز(٤ . وكان الزمان ساكنًا باهلهِ راقدًا عن الحوادث . وكانت سيرتهُ احسن سيرة من اسداء المعروف واغاثة الملهوف شكرهُ الناس ولحظوهُ بعين الوقار . وكانت كتابتهُ مليحة مع بلاغة وفصاحة . وكان يُحبّ سماع الشعر وحفظهُ . قيل انـهُ كان يحفظ اغلب ديوان شعر المتنبي . وكان يسأل اصحابَهُ عن نُسَخ ديوانهِ القديـمة

١) كذا في الاصل . وقد وردت على صورة أخرى « حير شالا » ولم نجد لكلتيهما ذكرًا

٢) لا نعلم موقعها

٣) قال المؤلف في الحاشية : « وهذا الاقطاع كان اوَّلًا من جملة اقطاع جمال الدين حجّي ابن محمَّد بن حجّي كما ذكرنا

٤) راجع ص ٣٢٦

فيحضرونها لهُ. وقد وُجد بين كتبهِ اربع نُسخ من ديوان هذا الشاعر وهي من اقدم النسخ واعتقها. ونظم الشعر الرقيق ورغب في جمع الكتب وحصّل منها شيئًا كثيرًا اغلبها دواوين شعر وتواريخ. وكان قد اشتهر اسمهُ فقصدهُ الناس ومدحهُ الشعراء. منهم الشريف ابرهيم بن اسمعيل الحسينيّ خمّس لهُ مقصورة ابي بكر بن دريد وجعل التخميس مديحًا في المذكور وفي والدهِ سعد الدين. وللشريف ابرهيم ديوان شعر في مدائحهما وصنّف (40r) ايضًا الشريف المذكور لناصر الدين كتابًا من أثرهِ الكتب واحسنها فُرجةً اتى فيهِ بنوادر ومُلَح ولطائف وكلّ معنًى نفيس سمّاهُ رياض الجنان ورياضة الجَنان

ومنهم شهاب الدين احمد بن الصلاح البعلبكيّ الطبيب المشهور صنّف لهُ مختصرًا في حفظ الصحّة وسمّاهُ تعديل الاسباب الضروريَّة. [ومنهم (١ الشيخ بهاء الدين محمود خطيب بعلبكّ وشيخ البلاد الشامية في الخطّ المنسوب دَرْجًا يحتوي على الاقلام السبعة كتبهُ على ورق حرير وجعلَهُ هديّةً اليهِ]

ومنهم محمد بن علي بن محمد العزّي شاعر السَّلَف. كان لهُ كتابةٌ منسوبة وشعر فائق قد عُدَّ انَّهُ من طبقة صفيّ الدين الحلّي. صنّف العزّي المذكور مقامةً مشتركة بوصف ناصر الدين الحسين واقاربهِ جميعًا جعلها باسم ناصر الدين وذكر نسبتهم اصلًا وفرعًا وجعلها على قواعد النحو واجاد فيها غاية الاجادة. ولهُ في السلف مدائح كثيرة جدًّا سنذكر ان شاء الله تعالى في آخر هذه الترجمة بعض المدائح التي قالها في ناصر الدين وعند ذكر كلّ واحد من اقاربهِ نذكر ما وصفهُ بهِ العزّي في المقامة المذكورة. فمن وصف ناصر الدين ومديحهِ قولهُ:

قومٌ جحاجحةٌ كرامٌ سادةٌ سادوا بنسبتهم الى ابن المُنذرِ
فهمُ الكواكب وابنُ خضرٍ بدرُهم بل شمس أُفقهمِ المنيرِ المُقمرِ

ومن منثورها: «هل في الشام من يشيم غير بروق سحائبهِ. او يروقهُ غير جمال كتبهِ وجميل كتائبهِ. فالجدُّ والجدْوى وَقْفٌ على سيفهِ وقلمهِ. والعفاف والتقوى من طباعهِ وشيمهِ. غالبًا بآرائهِ الغنيّة عن الرايات. بالغًا بآلائهِ (40v) غايات النهاية ونهاية الغايات. مع كتابةٍ كالروض باكرهُ من كفّهِ وسميّ الغمام. وبلاغة تفعل بالعقول ما لا يفعلهُ المُدام». ومنها مدح نؤخر ذكرهُ مع المديح في آخر هذه الترجمة وبالله التوفيق (ستأتي البقية)

---

١) ما اوردناه بين معكفين جاء في هامش الكتاب

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

فصل ثانٍ

التجربة او شيطان المال

وكانت مريم لدى افتكارها بسفر فاضل تقلق وتضطرب وتذهب منها الحيرة كلّ مذهب. فكم شاهدت من الذين هجروا قريتها الى الديار الاميركية وما عادت سمعت عنهم بعد ذلك خبرًا لانهم ماتوا في بلاد الغربة نازحين عن اوطانهم. وكم من الذين عادوا بعد وصولهم الى مرسيلية لانّ بِنْيتهم لم تكن تستطيع ان تتحمَّل المناخ الذي لم تألفهُ. بل كم من الذين بعد ما انتهوا الى نيويرك او الى سان فرنسيسكو رأوا انفسهم عاجزين عن اقلّ عمل لجهلهم طرق الاشغال ولغة البلاد لاسيما وان جميعهم لم يكونوا قد شاهدوا من الدنيا سوى قريتهم فأنفقوا ما تبقَّى معهم من الدراهم القليلة وأُعيدوا الى بلادهم شفقةً ومرحمةً. نعم ان فاضل كان ممكنًا لهُ ان يصيب حظًّا في اميركة ولكن من يضمن لهُ ان لا يخسر فيها ما بين يديهِ من الدراهم اليسيرة. أَو ليس ان المصلحة تستدعي المحافظة على الموجود لان المثل يقول عصفور في اليد خير من اثنين على الشجرة

وبينما كانت والدة فاضل تفتكر في هذه الامور كلها وقد حان الظهر دخل فاضل ليتغدَّى واخذ يتكلم على الورقة او بالحري السفتجة التي وردت الى موسى

امَّا مريم فصرَّحت لابنها بمخاوفها من السفر الى اميركة ولم يكن فاضل مصممًا وقتئذٍ كل التصميم. وبينما هما في الحديث اذ طُرق الباب ودخل موسى فقال: اني نازل غدًا الى بيروت لاقبض الدراهم التي ارسلها لي ابني ومعي في العربة محلّ فارغ فاذا شاء فاضل ان يرافقني فما عليهِ الَّا ان يدفع اجرة طفيفة قدرها خمسة قروش وربما انهُ استطاع ان ينفعني لانهُ يتكلَّم الافرنسية. هذا على اني كثيرًا ما كنت اسمعهُ قبلًا يتشوَّق للنزول الى بيروت لمشترى بعض لوازمهِ

فرأى فاضل عند هذا الخطاب ان الفرصة مناسبة وان الاجدر بهِ ان يغتنمها اذ لا تتهيأ لهُ كل وقت عربة باجرة هكذا يسيرة. وفضلًا عن ذلك فقد كانت لهُ في بيروت

اشغال يحتاج الى قضائها واغراض يشتريها ويعود بها الى قريتهِ فيربح من بيعها ربحاً غير قليل . واخذ يمثّل لذهنه كيف يرافق موسى الى البنك العثماني ويشاهد الذهب فيرجع ويحدّث جيرانهُ واصدقاءَهُ بما رأى

ان جميع هذه الامور حملت فاضل ان يعزم على السفر عزماً اكيداً . فلمَّا كان صباح اليوم التالي بكّر الى السائق ابرهيم فاذا بهِ قد حضَّر العربة فركبها مع موسى وثلاثة آخرين من جيرة المحلّ ثمّ انضمّ اليهم راكب سادس في الطريق بعد ان تحاور مع السائق محاورةً طويلة بخصوص الاجرة . وبينما الخيل تجري مسرعة في الطريق التي هي ذات اكواع كثيرة كان فاضل يهجس في امور مختلفة بل متناقضة فكان يفتكر في اميركة ووسائل كسب المال فيها وفي طول مدَّة السفر الى هذه البلاد النائية وفي حزن والدتهِ وأسفها اذا فاتحها بشيء من ذلك . ولكن كان يوطّن النفس على انهُ سيعود ذا ثروة طائلة وهكذا تتعزَّى والدته على ما ذاقت من مرارة بعده . امَّا غيبتهُ عن الوطن فلا تطول الّا سنة او سنتين او خمس سنين على الكثير . فيذهب ويربح كثيرًا ويعود

ولما انتهت العربة الى الساحل افاق رفقاء فاضل الذين كانوا قد أغفوا جميعاً فنزلوا الى دكّان وتناولوا شيئاً من العَرَق ثم عادوا واخذوا يغنّون وعادت العربة تجري والغبار ينعقد عليها كالسحاب من كل الجوانب . وحالما وصلوا الى بيروت ووقفت العربة في ساحة البرج كان الواجب بحسب العادة ان يتفرَّقوا ويذهب كلّ منهم الى قضاء اشغالهِ ولكنهم اجتمعوا حول موسى ورافقوهُ الى البنك العثماني ومشى فاضل في مقدّمة الجميع وهو اشدّ قلقاً من كلهم

فارتقوا بسرعة السلَّم المؤدية الى البنك ودخلوا الباب فاذا هم في القاعة الكبرى حيث كانوا يسمعون رنين العملة ويشاهدون من خلال الدرابزونات صناديق الذهب . فتقدَّم فاضل الى احد المستخدمين واطلعهُ على الورقة طالباً دفع قيمتها فاحالهُ الى مستخدم ثانٍ وهذا الثاني احالهُ الى ثالث حتى انتهى اخيرًا الى صاحب الصندوق الذي بعد ان اطلّع على الورقة وفحصها عدَّ لهُ خمساً وعشرين ليرة على الرخامة التي في طاقة الدرابزين فبهت الجميع من منظر الذهب البرَّاق وحنوا رؤوسهم واحدقوا بابصارهم يتأملون فيها . امَّا المستخدم فضحك على ما شاهد فيهم من الاندهاش . وكان فاضل واقفاً خلف موسى وودَّ أن يلمس بيديهِ تلك الليرات الصفراء ولكن موسى بعد ان حسبها ثلاث مرَّات ليتأكد عددها أخفاها تحت زنارهِ بحيث يأمن عليها من ايدي

النشّالين ثم تفرق الكل وهم سكوت وقد سحرهم منظر الذهب

وفي مساء النهار عادوا الى ضيعتهم . وكانت امّ فاضل منتظرة في اسفل القرية عند العين التي اعتادت ان تستقي منها وجرّتها على كتفها . ووصلت العربة قبل عادتها وكان السائق طرِباً والخيل تُصعّد بنشاط وسرعة في الطريق الشاقّة المؤدية الى القرية

وما كادت مريم تبصرها حتى هتفت باعلى صوتها قائلة : « الحمد لله على رجوعكم بخير وسلامة » . فاجابوها بعبارات الشكر

وحينئذٍ وقفت العربة ونزل منها فاضل فرافق والدته الى البيت امّا هي فاخذت تستعلمهُ عن اخبار نزولهِ الى بيروت وافتتحت الكلام بقولها :

« لا شكّ انكم صرفتم وقتاً طويلاً واستعملتم وسائل عديدة وذهبتم وجئتم مرّاتٍ قبل ان تتمكّنوا من قبض قيمة الورقة التي كانت بيد موسى »

فقال فاضل بابتهاج : « كلاّ ان موسى قبض قيمة الورقة دون عناء ولم يتكلّف غير التوقيع عليها . وبعد ان دوّن امضاءهُ في اسفلها نقدهُ صرّاف البنك خمسمائة فرنك وقد رأيتها بعيني لاني كنت واقفاً بجانبهِ »

وفي اليومِ الثاني اصبحت تلك الورقة حديث اهل القرية جميعها حتى كانت النساء تتكلّم بشأنها لدى اجتماعهنَّ عند العين لملإ جرارهنّ . وبما ان كل شيء يتجسّم بتداول الالسنة ما لبثت تلك الخمسمائة فرنك بضعة ايامٍ ان صارت خمسمائة ليرة ثم خمسة آلاف ليرة . والغِنَى كما هو معروف يرفع درجة صاحبهِ ويُعلي مقامهُ ويسوّدهُ بين قومهِ ولو لم يكن من اهل السيادة . فلمّا صار موسى معروفاً عند اهل قريتهِ بالثروة اتجهت اليهِ الابصار وحُفّ بما لا مزيد عليهِ من الاجلال والاعتبار مع انهُ كان من قبل خامل الذكر لا يعرف ان يتحدّث عن غير الثور والبقرة وزراعة التوت وما اشبه ذلك من الامور

ومذ ذاك اتّقدت في نفس فاضل رغبة السفر الى العالم الجديد وكادت تحرق حشاهُ فاطلع والدتهُ على مرادهِ كانهُ يريد استئذانها . امّا هي فتردّدت في الجواب لانها كانت تخشى على ولدها ان يُلمّ بهِ خطر من الاخطار ثم قالت : انت تعلم يا ولدي اني لا استطيع مرافقتك فهل يطاوعك قلبك ان تتركني وحيدة في هذه القرية اتقلّب على جمر الحزن لفرقتك

قال فاضل : لكِ عوضٌ في شقيقتي وردة فانها قد ادركت العشرين وما عادت

صغيرةً . ثم ان البريد سريع وسينقل لكِ أخباري من كلّ بلدة اصل اليها ومتى انتهيتُ الى هناك أُرسل الكِ اوراقًا عديدة كالتي وردت الى موسى كل واحدة منها بقيمة خمسمائة فرنك

فابرقت اسرّة مريم برهةً لمّا سمعت امر النقود ثم قالت :

كيف وباي طريقةٍ تحصل الغنى في اميركة

قال : انني ألاقي هناك كثيرًا من الاصدقاء الذين ينتظرونني فيمدّون لي يد المساعدة ويدخلونني في سلك التجارة . وانتِ تعلمين يا أُمي اني لستُ قليل الخِبرَة في أُمور التجارة ولقد طالما ربحت بها هنا ما كان كافيًا ليعدّنا الناس من مياسير الحال . ان من يجهل اميركة يا أُمَّاه لا يعرف شيئًا . ففي اميركة سكك حديدية وتلغرافات والتجارة منتشرة في كل اصقاعها والمصالح عديدة في جميع نواحيها ورواتب المستخدمين وفيرة وليست كرواتب المستخدمين في غير هذه البلاد زهيدة يسيرة لا تكاد تفي بنفقة المأكل والمشرب فان الاميركيين كما لا يخفى يبذلون عن يد سخيّة . وسآخذ معي بعض اشياء من بضائع بلادنا السوريّة وبعض طُرَف من لبنان وبعد ان يتمّ لي بيعُهُ باقرب مدَّة باثمان غالية نظرًا لشغف الاميركيين بهِ اتوجَّه الى مناجم الذهب في كاليفورنية فاشتري قطعةً من الارض وآخذ في التقاط شذوره الثمينة . ومتى صرت غنيًا مثريًا اعود الى لبنان وما ادراكِ اذا لاقيتكِ مساء ذات يوم آتيةً من العين وانت حاملة جرّتكِ فاحلّ نطاقي وأُريكِ القطع الذهبية الوفيرة التي اتيتُ بها من سفري . ووقتئذٍ استريح وأبني بيتًا جميلًا ذا شُرفات من الرخام وسقف من القرميد فتدخلينهُ انتِ اوّلًا وادخل انا بعدكِ ولا يعود فكر السفر يخطر ببالي . ولا يخفى عليك انَّ الذهب جلاَّب الاعتبار فيقبل اهل القرية جميعًا على اكرامنا وتجلّتنا وتزوّج شقيقتنا وردة باغنى شابّ فيهم

وكانت مريم تسمع بسكوت واصغاء يقاطعها احيانًا إشارات دالة على تعجُّبها مما كان يرويهِ فاضل من الامور الغريبة . وحينئذٍ حلّ الطمع محلّ الحبّ الوالدي وتشوَّقت ان ترى لابنها مقامًا رفيعًا في الدنيا حتى تعلو هي ايضًا بعلوّه . وبما ان حبّ المال قد فتن لبّها كما امتلك قلب ابنها طرحت من ذهنها ما كانت مزمعةً ان تقاسيَهُ من ألم الفراق ولوعة النوى . فاجابتهُ قائلةً : « سافر الى اميركة معدن المال » وما فكّرت ان ترخيصها لهُ بالسفر سوف يجرّعها مرارات . فما كل من يسافر يعود واذا اتفق للقليلين ان يعودوا اغنياء فكُن

على يقين انهم اذا كانوا قد ربحوا المال فقد خسروا تلك السذاجة القديمة وحيويَّة الايمان كما قد شوهد ذلك فعلًا

وبما ان والدة فاضل كانت قد رخَّصت لهُ بالسفر اخذت في تهيئة المعدَّات اللازمة فأتت بثلاثة صناديق خشبية مرصَّعة بقطع من العاج على أشكال رائعة فوضعت في الاولى بمساعدة ابنتها وردة كل ملابس فاضل من قمصان وسراويل ومناديل (محارم) وغيرها. وملأت الثانية من الزيتون والبطاطا والزبيب الى غير ذلك من المؤونة. لانَّ فاضل ارتأى حبًّا بالاقتصاد ان لا يشتري في طريقهِ شيئًا بل يستصحب معهُ من المآكل ما يكفيهِ حتى ينتهي الى نيويرك. امّا الصندوقة الثالثة فتركها فارغةً وكان مراد فاضل ان يملأها في بيروت بضائع شرقية

الفصل الثالث

في السفر

وبينما كانت مريم تهيئ معدَّات السفر اخذ فاضل يبيع من املاكهِ الى هذا حقلًا والى الآخر قطعة من غراس التوت والى ذاك كرمًا. أجل ان اهل القرية اقبلوا على المشترى منهُ ولكنهُ لم يتمكن من مبيعهم بالاسعار التي كان يشتهيها ومن اين لهُ ان يتربَّص فرصة أحسن واوفق طالما كان يعتقد انهُ متى انتهى الى اميركة يعوّض الخسارة ببضعة ايَّام. والحقيقة انَّهُ لم يخسر شيئًا ولكن عادة بعض الناس انَّهم يعدّون عدم الربح خسارةً وكان فاضل من هذا الصنف

وحان اخيرًا ميعاد السفر وكان في صباح يومٍ من ايَّام تشرين الثاني اشتدَّ فيهِ المطر وقرس البرد وتعرَّت الطبيعة من زينتها. امَّا فاضل فلم تغمض لهُ عين طول الليل وقام من فراشهِ مضطربًا متزعجًا ولم تكن مريم اوفر منهُ سكينة لانَّ احلامًا غريبة ومريعة كدَّرت ما امكنها اتخاذه من الراحة اليسيرة. كأنَّ تلك الهواجس كانت امائر او مقدَّمات لما هو مزمع ان يحلّ بها من الشر

فبعد ان هيَّأ فاضل ووالدته على نور القنديل معدَّاتهِ الاخيرة للسفر أقام هو وايَّاها ساكتين حتى اقبلت العربة في الظلمة وسُمع طنين جلاجلها. ولمَّا حقَّ اوان الانفصال تفجَّرت الدموع من عيني مريم كانهما ميزابان ولم تعدْ قادرة على إمساكهما. امَّا فاضل

فلبث واقفًا حانيًا رأسهُ وهو لا يتلفّظ بكلمة. ثم طرق الباب ودخل السائق وبيده فانوس. وحينئذٍ قبّلت مريم وحيدها القبلة الاخيرة وتقدّمت ابنتها وردة فعانقت اخاها

وبينما العربة تنزل مسرعة في الجبل وضياء الفجر يلوح شيئًا فشيئًا مكللًا قمم لبنان باشعّتهِ الارجوانية كان فاضل يلتفت الى قريتهِ وبيتهِ ليتزوَّد منهما النظر الاخير. وكأنَّ سحابة من الغمّ والهمّ غشَّت على عينيهِ فاخذ يودّع املاكهُ وحقولهُ ووالدتهُ وشقيقتهُ وهو غائص في بحر من الافكار. وكانت العربة تجدّ في السير فما شعر فاضل الّا وقد انتهى الى بيروت ولما مرّ تجاه البنك العثماني تذكَّر مجيئهُ اليهِ مع موسى وكيف دفع لهُ مبلغ الخمسمائة فرنك وقال في نفسهِ: «لا شك اني متى صرت الى اميركة أربح غنى وافرًا وثروةً عظيمة». وأخذَ يعلّل نفسهُ بهذا الفكر حتى زال عنهُ الغم وذهب الانقباض ولم يعد يفتكر الّا بركوب البحر (ستأتي البقية)

كتب شرقية جديدة

كتاب اللُّمْعة الشهيَّة في نحو اللغة السريانيَّة

تأليف السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق على السريان

طبع في الموصل بمطبعة الاباء الدومنكيين طبعة ثانية منقحة ومزيد عليها

انَّ للطيب الذكر السيد اقليميس يوسف داود تركةً علميَّة قدَّرها حقّ قدرها مشاهيرُ علماء الغرب فضلًا عن ادباء اصقاعنا الشرقيـة. ومن طالع قائمة تآليفهِ الجليلة التي سرد اسماءها جناب الكنت فيليب دي طرّازي في كتابهِ المعنون «القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة» لا يتمالك عن العجب لعلوّ همَّة ذلك السيّد المفضال وسعة معارفهِ في كلّ فنون الادب واصناف العلوم الدينيّة والمدنيَّة الشائعة بين العجم والعرب

هذا وانَّ تأْليفهُ في نحو اللغة السريانية كان اصاب بين بقيـة تصانيفهِ مقامًا خطيرًا شهد لهُ كبار المستشرقين فاضحى لطلبـة اللغات الآرامية منارًا يستضئون بهِ في عويص مسائلهم. ودستورًا يرجعون اليهِ في غامض مشاكلهم. وما مرَّ عليهِ ثماني سنوات حتى نفد

طبعهُ وكان صاحبهُ المثلّث الرحمة منـذ نشرهُ لاوّل مرّة لا يزال يعيد النظر فيهِ وينقّح عباراتهِ ويدفع شُبُهاتهِ ويحسّن ما كان فيهِ صوابًا ويزيد على فصولهِ ابوابًا وهو مع ذلك يؤجّل اعادة طبعهِ لتراكم اشغالهِ حتى عاجلهُ الموت قبل نجاز هذا الاثر المشكور

بيـد انَّ حضرة الاباء الدومنكيين لم يكونوا ليرضوا ان يُحْرَم العلماء فوائدَ هذا الكتاب فجدَّدوا طبعهُ واضافوا اليهِ كلّ ما من شأنهِ ان يزيدهُ نفعًا. وقد اطّلعنا على الجزء الاوَّل منهُ فرأيناهُ حريًا بكل ثناء جديرًا بان تتـداولهُ ايدي اللغويـين والادباء. وهو مصدَّر بمقدَّمة مطوَّلة تستغرق ٢٠٨ صفحات ضمَّنها ابحاثًا مهمَّة في صفات اللغة السريانية كتعريفها وبيان فضلها وفروعها وكتابتها وعلاماتها العددَّية وحركاتها والفاظها المستعارة او المنقولة عنها ومختصر تاريخها والكتب التي وُضعت لضبطها. وقد اخترنا في هذا العدد من المجلّة فصلًا من فصول هذه المقدَّمة ليعرف قرَّاؤنا ما كان عليهِ السيّد اقليميس من العلم السامي وذكاء العقل وكثرة الاطّلاع وحسن الاحتجاج بالبرهان السديد. اماّ القسم النحويّ من هـذا الجزء الاوَّل فهو مقسوم الى ثلاثة كتب يتفرَّع كلّ كتاب الى عدَّة ابواب على مفردات اللغة السريانية كالكتابة والقراءة وتصريف الاسماء والافعال وفي كلّ هذه الابواب اصلاحات وزيادات مهمَّة على الطبعـة الاولى. جازى الله كل خير مؤلف هذا الكتاب. ونتمنَّى ان لا يتأخَّر صدور الجزء الثاني منهُ

Al Kisâi's Schrift über die Sprachfehler des Volkes,

herausgegeben von C. Brockelmann,

كتاب ما تلحن فيهِ العوامّ لابي الحسن بن حمزة الكسائي

الكسائي من ائمَّة اللغة وهو مؤدب هرون الرشيد ومهذّب ولدَيهِ الامين والمأمون وفيهِ قال الرشيد لمّا تولّى دفنهُ في الريّ: اليوم دفنتُ اللغة. ومن عجيب الامور انهُ مع علمهِ لم يترك بعدهُ تآليف لغويَّة تُذكر حتى انَّ ابن خلكان وابا البركات الانباري في تراجم النحويين وابن النديم في الفهرست لم يرووا من تصانيفهِ شيئًا. هذا وانّنـا على يقين انَّ للكسائي مقالاتٍ في اللغة اخنى عليها الدهر ففُقدت. والدليل على ذلك انَّ الكتبة الاقدمين استشهدوا باقوال الكسائي في رواياتهم كما فعلوا بغيرهِ من الائمّة. والكتاب الذي نحن الان في صددهِ دليل جديد على هذا الامر قد وقف عليهِ الدكتور كرل بروكلمان في مجموع تضمَّن عدّة رسالات لغوية وجدهُ في خزانـة كتب برلين فبادر الى نشرهِ

في المجلة الاشوريّة (Zeitch. f. Assyriologie) . والكتاب عبارة عن ست عشرة صفحة جمع فيهِ الكسائي جملة من الالفاظ والتعابير التي يلحن فيها العامّة قد سردها على غير ترتيبٍ واستشهد في تصحيحها بفقرات من القرآن او بابيات من شعر قدماء العرب . وهذه الطبعة مشرقـة الحرف حسنة الضبط شفعها المتولي نشرها بعدّة تذييلات وافادات تزيدها قدرًا

الاستهلاك

لجرجي افندي ديبو

هي مقالة جعلها صاحبها كمقدّمةٍ لكتاب عوَّل على تصنيفهِ ومرادهُ في وضعهـا ان يبيّن تلاعب بعض ارباب الثروة في استهلاك المال والفوائد المركبة على طريقة حسابية مبنية على علم الانساب . فنثني على كاتبها وننتظر نجاز كتابهِ لابداء رأينا في هذا الموضوع . على انّنا لا نجهل ان بعض اصحاب المطامع كثيرو التفنُّن والحِيَل في اختلاس مال الناس يتَّخذون لذلك اساليب ظاهرها حلال وباطنها حرام هداهم الله الى سواء السبيل ل . ش

شتّى

ضرر الماء المقدس

هذا عنوان بعض الاخبار العلمية الواردة في العدد الاخير من المقتطف الصادر في سبتمبر تشرين الاوَّل (١(ص ١١٧) قال فيهِ الدكتوران الشهيران صاحباهُ انهُ « امتحن بعضهم الماء المقدّس الذي يوضع في بعض الكنائس للتبرُّك بهِ فوجد فيهِ انواعًا كثيرة من الميكروبات وفي جملتها الذي يولّد الزكام في الرأس والميكروب الذي يولّد الدفتيريا » فاستغربنا حتى كاد يُخرج بنا الضحك عن حدود السكينة والوقار . فلله درّهما من عالمين نطاسيين خافا على قرّائهما الزكام والدفتيريا فحاولا حبًّا بالانسانية ان يحذّراهم من مسّ الماء المقدَّس كما لم يمسّاهُ منذ تتلمذا لغير الكاثوليك . وكان الاولى بهما ان يسألا ولدًا صغيرًا من اولاد مدارسنا ممَّ يتركَّب هذا الماء فيجيبهما انهُ هو الماء العادي يتلو عليهِ الكاهن صلواتٍ معلومة ويضع فيهِ قليلًا من الملح . فان وُجد اذن فيهِ شيء من

---

١) هكذا ترجم صاحب المقتطف سبتمبر بتشرين الاول وكنّا نظنّ الى اليوم ان سبتمبر هو شهر ايلول

الميكروبات لا ينتج ذلك من كونهِ ماء مقدّس او من الملح المخالف للميكروبات لكن لانّهُ أُخذ من معين او بئر تولّدت فيهِ هذه الميكروبات او أَجن في جُرْن بعض الكنائس لتقادم العهد عليهِ . بيد انّ صاحبي المقتطف لكثرة تفرُّغهما للعلوم السامية ذهلا عن الامور البسيطة وعوائد دينهما السابق فكان مثلهما مثل ذلك الفلكي الذي بالغ في رصد الكواكب فعثرت رجلهُ ووقع في بئر . هذا واننا نعرف ميكروبًا في الماء المقدّس لم يطّلع عليهِ صاحبا المقتطف وهو الميكروب القاتل للابالسة خزاهم الله

لغزان رياضيّان

(اللغز الاوّل) ما لفظةٌ في حساب الجمَّل خارج مجموع حروفها على الحرف الاوَّل يساوي جزءًا من مائة من مربّع ذلك الحرف نفسهِ . وباقي حروفها ما عدا الاوَّل سلسلة حسابية نازلة طرفُها الاخير يساوي فضلها المشترك وعدد حلقاتها يساوي عُشر الحرف الاوَّل الَّا واحدًا ومجموع طرفيها يساوي عشر مرَّات الحرف الاول الخوري ج . رزق مرهج

(اللغز الثاني) صرَّاف اعطى تاجرًا مبلغًا من المال مجهولًا مقدارهُ لكن اذا طُرِحت من هذا المبلغ فائدتُهُ لسنة واحدة يبقى ٤٠٤،٠٤ فالتاجر اخذ هذا المبلغ لأَجل مجهول مقداره بمعدَّل فائدةٍ مجهول مقدارهُ ايضًا لكن يُعرف ان معدل الفائدة اضعاف الاجَل . مثلًا اذا كان المعدل ٥ كانت السنين ٢ $\frac{1}{2}$ وعند حلول الاجل استحقّ للصرَّاف عند التاجر ٤٩٠،٠٧٨٨ . (وقد اقتصرنا على اربع منازل من الكسور العشريَّة لان بها كفاية) . المطلوب اولًا معرفة راس المال . ثانيًا معرفة الاجل . ثالثًا معرفة المعدّل . رابعًا معرفة مجموع الفائدة م . م . من الناصرة (١

وصفةٌ قديمة لداء الثَّعْلَب

قد اطَّلع احد علماء العاديَات المصريَّة اسمهُ مقالِيشر (Macalisher) من كلّية كمبريج على كتابة هيروغليفية يرتقي عهدها الى ايَّام الفراعنة واذا هي وَصْفةٌ وصفها طبيبٌ لملكةٍ مصريّة لتعالج بها داء الثعلب (سقوط الشعر) . وهي على غاية من الغرابة نوردها لقرَّاء المشرق تفكيهًا لخواطرهم :

« خذي قسمًا من شحم رجل كلبٍ وقسمًا من لحم غر وقسمًا من حافر حمارٍ . فامزجيها وادهني بها »

١) وكان جنابهُ سأل عن معنى قولنا (في ص ٦٢٠) « في سابع قسم عمرهِ » نجيب انَّ المراد بذلك « في آخر سابع قسم عمره » كما فهم ذلك الذين حلُّوا اللغز

(قلنا) انَّ هذه الوَصفة على غرابتها لم تكن لتضرَّ تلك الملكة مثل كثير من الادوية الحديثة المعدنية التي ربَّما اثَّرت في نسيج الجسم واصلحت داء فاورثت ادواء كثيرة

الفحم الحجري

انَّ الكمّية التي توقدها مواقد قطارات السكك الحديدية من الفحم الحجري في كل سنة لا يكاد يتخيَّلها العقل. وقد بلغ مقدار كمّية هذا الفحم في احدى السنين الماضية ٣,٧٨٢,٨٥٠ طنًّا في فرنسة وحدها يساوي ذلك نحو ٥٢ مليونًا من الفرنكات. فلو بُني بهذا الفحم هرمٌ كاهرام مصر ابلغ علوهُ ١٥٨ مترًا وركنهُ ٢٧٣ مترًا مربعًا اعني انهُ يتكوَّن من هذا الفحم هرمٌ يفوق اكبر اهرام مصر بكثير وهو هرم شيوپس الذي يبلغ علوهُ ١٣٧ مترًا ولا يتجاوز ركنهُ ٢٤٠ مترًا مربعًا

فان أضفتَ الى ذلك ما يوقد لتسخين مراجل القطارات الحديدية في العالم كلّهِ لبلغ بك الحساب الى نحو ٦٣ مليون طنّ يُمكن ان يُعمَّر بها ٢٦ هرمًا كهرم شيوپس السابق ذكرهُ

وان كان هذا في مواقد السكك الحديدية وحدها فما القول عن المراكب البخارية والمعامل الكبيرة ومنازل الخاصَّة ؟ فاستنتجْ من ذلك ما يمتزج بالجوّ من الحامض الكربونيك القتَّال الذي لولا اوكسجين الهواء لذهب باعمار كلّ بني آدم

تنبيه

قد ادرجنا في العدد الماضي نبذةً في تعليم اصول الشرب لصاحبها جرجس عون ابي خرما. وقد صُحّف اسمهُ بابي عرب. وسبب هذا التصحيف سوء خطّ امضاء الكاتب عرضناهُ على كثيرين فقرأوهُ مثلنا « ابي عرب ». ولمَّا لم نعرف جناب مراسلنا استخبرنا عنهُ في كلّ انحاء بيروت بل ارسلنا الى الدامور للاستعلام عنهُ. ونستغنم هنا الفرصة لنطلب الى مكاتبينا الافاضل ان يكتبوا اسماءهم الكريمة بخطّ جليّ وتنقيط حروفها المعجمة

اصلاح غلط

ورد في الصفحة ٨٠٤ من المجلة في تاريخ بيروت « وهب شكارة بدارها عارة » وقلنا في ذيل الكتاب انَّها جاءت هكذا في الاصل. وبعد التروّي وجدنا انَّ صواب هذه العبارة « وهب شكارةً بِذارُها غرارة » . الشكارة ارضٌ يزرعها الخوليّ في مُلك غيرهِ. والغرارة وزنها اثنا عشر كيلًا

وكتب لنا جناب الامير شكيب افندي ارسلان ما نصهُ: « ورد في العدد الاخير من تاريخ بيروت لصالح بن يحيي ذكر شكارة والعمروسية وقرطية وهي كلّها من اراضي الشويفات الآن فالعمروسية احدى حارات الشويفات الثلاث وشكارة محلّ في الصحراء وقرطية ضبطها (قِرْطَيهْ) وهي قرية دارسة على طريق الصحراء الجنوبي لجهة الرمل »

ونحن نشكر لجناب الامير المذكور عن ملاحظتهِ هذه طالبين اليهِ والى جميع قرّائنا الادباء ان لا يضنّوا علينا بما لديهم من الملاحظات المفيدة ولهم الفضل

أسئلة وأجوبة

س سألنا الخواجا شكري الخوري تحليل ترابٍ اصفر ارسل الينا منهُ مثالًا وطلب لايّ شيءٍ يصلح

المغرة

ج هذا التراب هو المغرة. والمغرة على صنفين منها صفراء وهي تتركّب من موادّ خزفية ومن اوكسيد الحديد. ومنها حمراء يدخلها باروكسيد الحديد (peroxyde de fer) والصلصال (argile) والمغرة الصفراء اذا أُحميت بالنار تحوّلت الى مغرة حمراء. اما فوائدها فالطلاء والدهان والصبغ الاحمر وربّما دُبغت بها الجلود. واذا صُفّيت المغرة اضحت موادّها ألطف فتُتَّخذ للصبغ المُحكم في الاشياء الدقيقة كالاخشاب وغيرها


س سألنا من بغداد حضرة القس جبرائيل قرياقوزه شرح واعراب هذا البيت من نونية البستي الواردة في الجزء الرابع من مجاني الادب (ص ٩٥):

من كان للعقل سلطانٌ عليهِ غدا وما على نفسهِ للحرص سلطانُ

شرح واعراب بيت من نونيّة البستيّ

ج معنى هذا البيت انّ الانسان اذا ساد فيهِ العقل اصبح خلوًا من الحرص لا يستعبدهُ الطمع في مال الدنيا. امّا (اعراب) البيت فانّ (من) اسم شرط مبتدا. (كان) فعل الشرط وهو ناقص. (للعقل) متعلّقة بخبر كان المقدَّر. (وسلطان) اسمها. (وعليهِ) يتعلّق بسلطان والجملة خبر. (غدا) جواب الشرط اسمها مستتر وخبرها محذوف وجوبًا. (وما) الواو حالية وما نافية باطل عملها. (على نفسهِ) جار ومجرور متعلّق بسلطان. (والهاء) مضاف اليهِ. (للحرص) جار ومجرور متعلّق بخبر مقدّم. (وسلطان) مبتدا مؤخَّر. والجملة حالية

قائمة للآثار الجوّيّة   من ١٩ آب الى ٣ ايلول   ١٨٩٨



انَّ الخطَّ الضخم (ـــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

اسواق العرب ايام الجاهلية

لجناب الاديب المحقّق محمود شكري افندي الآلوسيّ احد افاضل علماء المسلمين في بغداد

كان للعرب اسواق يقيمونها في شهور السنة وينتقلون من بعضها الى بعض ويحضرها سائر العرب بما عندهم من المآثر والمفاخر . منها : (دَوْمَةُ الجَنْدَلِ) كانوا ينزلونها اوَّل يوم من ربيع الاوَّل يجتمعون في أسواقها للبيع والشراء والاخذ والعطاء . وكانت المبايعة فيهِ ببيع الحصاة . وهو من بُيوع الجاهلية التي ابطلها الاسلام . وفُسّر بان يقول احد المتبايعَين للآخر : ارمِ هذه الحصاة فعلى ايّ ثوب وقعت فهو لك بدرهم . وفُسّر بان يبيعهُ من ارضهِ قدر ما انتهت اليهِ رمية الحصاة . وفُسّر بان يقبض على كفٍّ من حصًى ويقول : لي بعدد ما خَرَج في القبضة من الشيء المبيع او يبيعهُ سلعة ويقبض على كفّ من الحصى ويقول لي بكل حصاة درهم . وفُسّر بان يمسك احدهما حصاة في يدهِ ويقول : ايَّ وقت سقطت الحصاة وجب البيع . وفُسر بان يتبايعا ويقول احدهما : اذا نبذت اليك الحصاة فقد وجب البيع . وفُسّر بان يعترض القطيع من الغنم فيأخذ حصاة ويقول : ايّ شاة اصابتها فهي لك بكذا . وهذه الصور كلّها فاسدة لما تتضمَّن من اكل المال بالباطل ومن الغرور والخطر الذي هو شبيه بالقمار ولذلك ابطلتها الشريعة . وكان أُكَيدر صاحب دومة الجندل يرعى الناس ويقوم بامرهم اوّل يوم فتقوم سوقهم الى نصف الشهر . وربّما غلب على السوق بنو كلب فيعشوهم ويتولَّى امرهم يومئذٍ بعض رؤساء بني كلب فتقوم سوقهم الى آخر الشهر

ومنها : (سُوقُ هجَرٍ) بفتح الهاء والجيم اسم لجميع ارض البحرين ومنهُ المثل : كمُبْضِع تمرٍ الى هجر . وقول عمر بن الخطّاب رض : عجبت لتاجر هجر . كانهُ اراد لكثرة وبائهِ او لركوب البحر . وسمّي بهذا الاسم بلد باليمن بينهُ وبين عَثْر يوم وليلة . مذكَّر مصروف وقد

يؤنث والنسبة هَجَرِيّ وهَاجَرِيّ . والسوق الموضع الاوّل كانوا ينتقلون اليها في شهر ربيع الآخر فتقوم سوقهم بها . وكان يعشوهم ويتولّى امرهم المنذر بن ساوى احد بني عبد الله ابن دارم

ومنها : (سُوقُ عُمانٍ) كغُراب ذُكر في القاموس انها بلد باليمن . ويُصرف . وكشدَّاد بلد بالشام ولم يذكر الموضع الذي كان سوقاً . وهو في ارض البحرين كانوا يرتحلون من سوق هجر فتقوم بها سوقهم الى اواخر جمادى الاولى

ومنها : (سُوقُ المُشَقَّر) كمعظَّم حصن بالبحرين كان فيهِ سوق للعرب تقوم من اوَّل جمادى الأُخرى وكان بيعهم بالملامسة والايماء والهمهمة خوف الحَلَف والكذب . والهمهمة الكلام الخَفيّ وكلّ صوتٍ معهُ بَحَحٌ . وبيع الملامسة على اوجهٍ وهي ان يُؤتى بثوبٍ مطويٍّ او في ظلمة فيلمسهُ المستام فيقول لهُ صاحب الثوب : بِعتُكَهُ بكذا بشرط ان يقوم لَمسُكَهُ مَقامَ نظرك ولا خيار لك اذا رأيتهُ . الوجه الثاني : ان يجعلا نفس اللمس بيعاً بغير صيغة زائدة . الوجه الثالث : ان يجعلا اللمس شرطاً في قطع خيار المجلس وغيرهِ . وهو ايضاً من البُيوع التي ابطلها الاسلام كبيع المُنابذة . وهو ان يجعلا نفس النبذ بيعاً كما تقدَّم في الملامسة . او ان يجعلا النبذ بيعاً بغير صيغةٍ . او ان يجعلا النبذ قاطعاً للخيار

ومنها : (سُوقُ صُحَارٍ) بضمّ الصاد المهملة تقوم لعَشْرٍ يمضينَ من رجب الفرد خمسة ايّام . ومنها : (سُوق الشِّحْرُ) بفتح ثمّ سكون ساحل البحر بين عمان وعدن تقوم في النصف من شعبان . وكان بيعهم في هذه السوق ايضاً برمي الحصاة وإلقاء الحجارة كما في سوق دومة الجندل

ومنها : (سُوقُ عَدَنِ أَبْيَنَ) كانوا يرتحلون من الشحر فينزلون هذا الموضع . وعدن جزيرة في اليمن اقام بها أَبْيَنُ فنُسِبَت اليهِ فتقوم سوقهم بها الى ايّامٍ من رمضان فتشترى التجارات وانواع الطيب . ومنها : (سوق صَنْعَاءَ) كانوا اذا ارتحلوا من عدن والشحر تقوم سوقهم بصنعاء في النصف من شهر رمضان الى آخرهِ . وصنعاء من اطيب بلاد اليمن . ومنها كان يُجلَب الأُدُم والبُرُود . وكانت تجلب اليها من معافر وهو بلد كان في اليمن . ومنها : (سوق حَضْرَموتَ) كانت تقوم في النصف من ذي القعدة . يحضرها بعض القبائل من العرب والبعض منها يحضر سوقاً اخرى تقوم في هذه الايام ايضاً سيأتي ذكرها

ومنها : (سوق ذِي المَجاز) كانت بناحية عرفة الى جانبها . وعند الازرقي عن

هشام ابن الكلبي انها كانت لهذيل على فرسخ من عرفة . ووهم هنا صاحب الصحاح فانَّهُ قال فيـهِ: ذو المجاز موضع بِمِنًى كان بهِ سوق في الجاهليَّة . لِما رواهُ الطبراني عن مجاهد: انَّهم كانوا لا يبيعون ولا يبتاعون في الجاهلية بعرفة ولا بمِنًى

ومنها: (سُوقُ مَجَنَّةَ) بفتح الميم وكسرها موضع قرب مكة وهو الذي عناهُ بلال رَضَ بقولهِ متشوقًا اليهِ بعد الهجرة:

وهل أرِدنْ يومًا مياهَ مَجَنَّةٍ وهل يبدونْ لي شامةٌ وطفيلُ

كانت تقوم سوقهم فيها قرب ايَّام موسم الحج. ويحضرها كثير من قبائل العرب. ومنها: (سوق حُبَاشَةَ) بضمّ الحاء المهملة وتخفيف الموحدة وبعد الالف شين معجمة. كانت في ديار بارق نحو قَنُونا بفتح القاف وبضم النون الخفيفة وبعد النون الف مقصورة من مكة الى جهة اليمن ولم تكن من مواسم الحج. وانما كانت تُقام في شهر رجب. ومنها: (سُوقُ عُـكَاظَ) بضم المهملة وتخفيف الكاف وآخرهُ ظاء معجمة بالصرف وعدمهِ. قال اللحيانيُّ: الصرف لاهل الحجاز وعدمهُ لغة تميم. وهو موسم معروف للعرب بل كان من اعظم مواسمهم واسواقهم. وهو نخل في وادٍ بين نخلة والطائف وهو الى الطائف اقرب بينهما عشرة اميال. وهو وراء قرنِ المنازل بمرحلة من طريق صنعاء اليمن. وكان المكان الذي يجتمعون فيهِ منهُ يقال لهُ الأَثيْدَاء. وكانت هنـاك صخور يطوفون حولها وكانوا يتبايعون فيها ويتعاكظون ويتفاخرون وَيَتَحَاجَوْنَ. وتُنشد الشعراء ما تَجدَّد لهم وقد كثر ذلك في أشعارهم. كقول حسَّان:

سأنشر ان حييتُ لهم كلامًا يُنشَّر في المجامع من عكاظِ

وفيهـا كان يخطب كل خطيب مصقع. ومنهم قُسُّ بْنُ ساعدة الاياديُّ اذ خطب خطبتهُ الشهيرة هناك وهو على جَمَلِهِ الأَوْرَقِ. وفيها عُلقت القصائد السبع الشهيرة افتخارًا بفصاحتها على من يحضر الموسم من شعراء القبائل الى غير ذلك. وكان كل شريفٍ انما يحضر سوق بلدهِ الَّا سوق عكاظ فانهم كانوا يتوافون بها من كل جهةٍ. فكان يأتيها قُرَيش وهَوازن وسليم والاحابيش وعقيل والمصطلق وطوائف من العرب. ومن كان لهُ أسير سعى في فدائهِ. ومن كانت لهُ حكومةٌ ارتفع الى الذي يقوم بامر الحكومة. وكان الذي يقوم بامر الحكومة في هذه السوق أُناس من بني تميم وكان احدهم الأَقرع بن حابس. ولمَّا كانت هذه السوق مجمع القبائل قال طريفُ بنُ تميمٍ العنبريُّ:

او كُلّما وردت عُكاظَ قبيلةٌ بعثوا اليَّ عريفهم يتوسَّمُ
فتوسَّموني أنني أنا ذٰلِكُم شاكٍ سلاحي في الحوادث مُعلِمُ
تحتي الأغرُّ وفوق جلدي نثرة زغفٌ تردّ السيفَ وهو مثلَّمُ
حولي أُسَيْدُ والهجيم ومازنٌ واذا حَلَلْتُ فحَوْلَ بيتي خَضَّمُ
ولكلّ بكريّ لديَّ عداوة وابو ربيعة شانئ ومحلّمُ

وطريف هذا كان من مشاهير شجعان العرب وفرسانهم. قتل مرّةَ رجلًا من بني شيبان. ثم حضر ذلك الموسم فامعن فيهِ النظر بعض اقارب ذلك المقتول فسألهُ طريف عن السبب فقال: اريد ان اعرفك فلعلّي اصادفك يومًا لاقتلك او تقتلني. فانشد طريف تلك الابيات. وقد صادف ذلك الرجل طريفًا في يوم من ايَّامهم فقتلهُ واخذ منهُ ثأر قريبهِ وكانت بعكاظ وقائع مرّةً بعد مرّةٍ ولذلك يقول دريد بن الصمَّة:

تغيبتُ عن يوميْ عكاظ كليهما وان يكُ يومٌ ثالث اتغيَّبُ
وان يكُ يومٌ رابع لا اكُن بهِ وان يكُ يومٌ خامس التجنَّبُ

وذكر ابو عُبَيدة انَّهُ كان بعكاظ اربعة ايَّام. يوم شَمْطة ويوم العبلاء ويوم شَرْب ويوم الحريرة وهي كلها من عكاظ قال: «فشمطة» من عكاظ هو الموضع الذي نزلت فيهِ قريش وحلفاؤها من بني كنانة بعد يوم نخلة. وهو اوَّل يوم اقتتلوا فيهِ من ايَّام الفجار تجَول على ما تَوَاعَدَتْ عليهِ مع هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم. فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش. ولم يُقتل من قريش احدٌ يذكر واعتزلت بكر بن عبد مناة بن كنانة الى جبل يقال لهُ رَخم فلم يُقتل منهم احدٌ. وقال خداش بن زهير:

فابلغ ان بلغتَ بهِ هشامًا وعبد الله أبلغْ والوليدا
بأنَّا يوم شمطة قد أقمنا عمود الدين انَّ لهُ عمودا

ثمَّ التقى الاحياء المذكورون على رأس الحول من يوم شمطة «بالعبلاء» الى جنب عكاظ فكان لهوازن ايضًا على قريش وكنانة. قال خداش بن زهير:

ألم يبلغكمُ انَّا جدعنا لدى العبلاء خندفَ بالقيادِ
ضربناهم ببطن عكاظ حتى تولَّوا طالعين من النجادِ

ثم التقوا على رأس الحول وهو اليوم الرابع من يوم نخلة «بشَرْبٍ» وشَربٌ من عكاظ. ولم يكن بينهم يوم اعظم منهُ فحافظت قريش وكنانة وقد كان تقدَّم لهوازن عليهم

يومان. وقيّد ابو سفيان وحربٌ ابنا أُميَّة وابو سفيان بن حرب انفسهم. وقالوا لا يبرح منا رجل مكانهُ حتى يموت او يظفر. فانهزمت هوازن وقيس كلها الّا بني نصر فانَّها صبرت مع ثقيف. وذلك ان عكاظ بلدهم لهم فيهِ نخل وأموال فلم يغنوا شيئاً ثم انهزموا وقُتلت هوازن يومئذٍ قتلًا ذريعًا. قال أُميَّة بن اسكر الكنانيّ:

ألا سائل هوازن يوم لاقوا فوارسَ من كنانة مُعلَمينا
لدى شَرْب وقد جاشوا وجشنا فاوعب في النفير بنو ابينا

وقال:

قومي اللذو بعكاظٍ طيّروا شررًا من درس قومك ضربًا بالمصاقيل

ثم التقوا على رأس الحول «بالحُرَيْرة» وهي حرَّة الى جنب عكاظ ممَّا يلي مهبّ جنوبها. فكان لهوازن على قُرَيش وكنانة. وكانت تقوم هذه السوق في قولٍ أوَّلَ ذي القعدة الى عشرين منهُ ثم يتوجّهون الى مكَّة فيقفون بعرفات ويقضون مناسك الحجّ ثم يرجعون الى اوطانهم. وفي قولٍ آخر انَّهم كانوا يقيمون بهِ جميع شوَّال. الى غير ذلك من الاقوال المختلفة ولعلّ ذلك لاختلاف العادة في السنين او لاختلاف القبائل في الاقامة في هذا الموسم. والذي عليهِ صاحبُ قبائل العرب انهم كانوا يقيمون في هذه السوق من نصف ذي القعدة الى آخرهِ فاذا أَهَلَّ ذو الحجَّة اتوا ذا المجاز وهو قريب من عكاظ على ما سبق فتقوم سوقهُ الى التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجَّة سُمّي بيوم التروية لأنَّهم كانوا يرتوون فيهِ من الماء لما بعد. او لأنَّ ابرهيم عليهِ السلام كانَ يتروّى ويتفكَّر في رؤياهُ فيهِ. وفي التاسع عرِفَ وفي العاشر استُعْمِلَ. ثمّ يصيرون الى منى وتقوم (سوق نطاة) بخيبر ونطاة عين او حصن بخيبر. (وسوق حَجْر) بفتح المهملة وسكون الجيم يوم عاشوراء الى آخر المحرَّم. ولم تزل هذه الاسواق قائمة في الإسلام الى ان كان اوَّل ما تُرك منها سوق عكاظ في زمن خروج الخوارج الحروريَّة بمكَّة مع المختار بن عوف سنة تسع وعشرين ومائة فنهبوها فتُرِكَت الى الآن. واتخذت سوقًا بعد الفيل بخمس عشرة سنة. وكان آخر ما ترك من الأسواق المذكورة سوق حُباشة في زمن داود بن عيسى بن موسى العبَّاسيّ في سنة سبع وتسعين ومائة. والله اعلم بحقائق الامور

فائدة في اسواق العرب

الحقها بالمقالة السابقة حضرة الاب انستاس البغدادي الكرملي

كلّ من تكلّم عن اسواق العرب. أغضى عن مسألةٍ ذات شأن وبالٍ وعجب. وهي كيف كان يمكن للناطقين بالضاد بل وباحسن الالفاظ. ان يشهدوا سوق عكاظ. التي تقوم فيها المسابقات والمفاخرات. والمقايضات والمذاكرات. على ساقٍ مسوقة. بين الاكابر والسوقة. وليس فيهم وازعٌ يزَعهم. او رادعٌ يردعهم. مع ما هم عليهِ من الحدّة والاستئثار. وطلب الانتقام بالنار او البتّار. وبالاخصّ لمّا كانت الحرب عندهم لا تضع أوزارَها على مدى السنَة. بل ولا تعرف نَوماً ولا سِنَة. اذ إنها ان لم تكن في هذا البطن او في هذه القبيلة. فهي في ذلك الفخذ او تلك الفصيلة. وان هذه البطون والقبائل. لا تخاف الغوائل. فهي اما متحالفة مع القاتل الظلوم او الجهول. واما متَّفقة مع اهل المقتول. فكيف اذاً يمكن لأصحاب الطرفين ان يجتمعوا سويّةً. بدون ان تجيش في انفسهم تلك العوامل القويّة. الدائمة السؤور فيهم. المتسلّطة كلّ التسلُّط عليهم. كيف مثلاً كان يمكن للبطل المطالب بدم ابيهِ. او ابنهِ او اخيهِ. ان يلاقي عدوهُ في تلك السوق. ويبقى امامهُ كالرجل الموثوق. بدون حِراك. او عِراك. بل ربَّما تعاكظ مَعَهُ. وسَمِعهُ. بل ربَّما ايضاً سمع الثناء على عدوهِ. لما اتاهُ من الاعمال فزاد في عُلُوّهِ وسُمُوّهِ. ولعلّهُ قبل ذلك. فتش على قتلهِ بتهلكة من التهالك. فذهبت اتعابُهُ ادراج الرياح. لا بل جاءت لهُ بالخسائر بدون شيء من الارباح. واليوم يُصادفهُ ولا يتعرَّض لهُ كأنهُ عاجز او جبان. مع ان قتلهُ واجب عليهِ في مدَّة محدودة من الزمان. والّا يُعدّ من اخسّ الطَّغام. او من الاوغاد اللئام. أفكان اذاً يزول دم العرب من عروقهم. في هذا موسمهم

تلك معضلة تبان كانّها أعقد من ذَنب الضبّ. حتى على من أُوتوا النباهة من قرّاء هذه المجلّة من عجم او عرب. مع انّ اهل الجاهليــة. قد وُفقوا الى حلّها بما نثبتهُ من الادلّة الجليَّة:

١ً ان الفرسان كانوا يعتجرون خشية سوء العقبى والشاهد على ذلك ما جاء في حواشي «تهذيب الالفاظ» (الصفحة ١٧١) (١ ما نصُّهُ: «كانت الفرسان في الجاهلية

١) تهذيب الالفاظ هو الكتاب النفيس لابن السكّيت الذي انتهينا من طبعهِ منذ عهد قريب في

عند اجتماع الناس بعكاظ في وقت الحجّ يعتجرون لئلاَّ يُعرف من قد اصاب من الدماء. فاتى (طريف ابن تميم العنبري) سوق عكاظ فرأى قوماً ينظرون بوجههِ وكان من مقدّمي الفرسان فحسر اللثام وقال ابياتاً منها هذا... (راجع ص ٨٦٨)»

٢ً امَّا في انشاد الشعر وارتجالهِ او ما كان من هذا القبيل ففي اغلب الأحيان ما كان يُسمع صوت الخطيب او الشاعر اذا كان ممَّن يخاف الفضيحة بل كان يصل كلامهُ الى القوم بواسطة رجُلٍ يسمّونهُ المبلّغ يقف بجانب الخطيب او الشاعر ويكرّر للحضور ما كان يلقّنهُ ايّاهُ صاحبهُ. غير انَّ هاتين العادتين ما كانتـا تجريان دائماً بل كانتا تخالفان لانهما بذاتهما ما كانتا تمنعان سوء العقبى. فكان للجاهلية واسطة اخرى لمنع استشراء الشرّ وتفاقمهِ وهي التي ذكرها الاصبهاني في كتاب الاغاني (المجلّد الرابع ص ٢٥٥) قال:

٣ً «وكانت العرب اذا قدمت عكاظ دفعت اسلحتها الى ابن جدعان حتى يفرغوا من أسواقهم وحجّهم. ثم يردُّها عليهم اذا ظعنوا وكان سيّدًا حكيمًا مثريًا من المال».اه. وربَّما كان قبل ابن جدعان غيرهُ وغيرهُ جريًا على العادة التي أجروها مجرى السُّنَّة

الاعلام العربية باللغات الاجنبية

لجناب الاديب الامير شكيب ارسلان

نعمًا ما ارتآهُ المستشرق نلّينو (راجع المشرق ص ٨١١) معلّم العربية في مدرسة اللغات الشرقية في نابولي من جهة وضع معجم لاسماء البلاد استدراكاً لآفة التحريف والتشويه الفاشية في نقل اسماء الاماكن. وذلك انَّ بعض هذه الاسماء خصوصًا ما لم يشتهر منها اذا كتبها الفرنجة بلغاتهم وضعوها على شكل يبعد عن اصلهِ لعدم تهيّؤ الاحرف الافرنجية لاستيعاب جميع صور اللفظ العربيّ. ثم قد لا يُتاح للكاتب معرفة اصل هذه الاسماء بالعربية لعدم اطّلاعهِ عليها في كتب العرب او عدم مشافهتهِ جيران تلك المسمَّيات فيلتزم اخذُها عن كتب الافرنج ويردّها الى العربيّ حسبما يظنّ انهُ اصلها او الاقرب لان

مطبعتنا. اما حواشيهِ فهي للشيخ الامام ابي زكريّا يحيى التبريزي شارح الحماسة (المشرق)

يكون اصلها. فاذا اصاب المرمى مرَّةً اخطأ مرارًا واذا جاء ببعض الاسماء المترجمة موافقة لاصلها جاء بالبعض الآخر بينهُ وبين الاصل مسافة ما بين المشرق والمغرب كما في « وادي حَمد » و« وادي الحَمْض » و« قلعة بيشة » و« قلعة بجا » وغير ذلك

وقلَّما سلم من الوقوع في هذا الغلط احد ممَّن عانى صناعة التعريب فهو مزلَّة اقدام المعرّبين خصوصًا الذين يشتغلون منهم بالتاريخ والجغرافية في هذه الايَّام فانَّهم مضطرُّون الى مراجعة كتب الافرنج ولو كان فيما يبحث عن احوال العرب صِرفًا وذلك استزادةً من التمحيص ومبالغةً في التدقيق وتعويلًا على اكتشافات القوم التي عمَّت الاقاصي والاداني. فيعثرون على اسماء اماكن واشخاص مكتوبة بالافرنجية ان لم يساعدهم على معرفة اصلها تبحُّرٌ عندهم في لغة العرب وسعة اطّلاع لهم على تاريخهم وجغرافيتهم جاءوا بترجمتها مقلوبة بعيدة عن اصلها نائية عن حقيقتها مما قد يندمج في طور الرقاعة وينقلب احيانًا الى الضحك اذا كان المترجم قليل الاطلاع. فقد عرفتُ من الدارسين اللهمَّ الذين لا خَلاق لهم من العربية مَن كان يترجم (Averroes) بافروّيز ويقول الفيلسوف العربيّ افرّويز. ولو كان ذا اقلّ الِمامٍ لعلم انَّهم يريدون بهذا اللفظ ابن رشد. ومثل ذلك ما ورد في ترجمة تاريخ للصليبية وهو (سلادينوس) اي صلاح الدين والظاهر ان الحامل للمترجم على هذه الترجمة كونُهُ قرأ اسم صلاح الدين مكتوبًا (Saladin) حسبما يلفظهُ الافرنج فتوهَّم انّ هذا من الاسماء التي تُختَم بحرفَيْ (وس) اتّباعًا للقاعدة اللاتينية وهو فيما يظهر املس من علم التاريخ الاسلاميّ فظنّ انّ الاصل في (سلادين) هو (سلادينوس)

ولم ينحصر هذا الوهم فيمن قلَّ اطّلاعهُ كصاحب (سلادينوس) بل ربَّما وقع فيهِ ارباب الاطّلاع والمعروفون بطول الباع ومنشأ ذلك عدم وصولهم الى اصول تلك الاسماء وغيبة حقائقها عنهم ولقد عاينت من هذه الاسماء شدَّة في رواية « آخر بني سراج » وذيلها لكثرة ما تتناوح الاعلام الاندلسية هناك بين العربية والاسبانيَّة فوفقني الله بعد الامعان الطويل الى تحقيق اكثرها ولكنني لا ازال في ريبة ممّا لم اجد ما يقاربهُ في العربيّ ممّا تنطبق عليهِ علامتهُ الجغرافية لاسيما بعد ان تأمَّلت كثيرًا من الاسماء التي حقَّقتُ انَّها هي هي على ما بين لفظيها العربيّ والافرنجي من البون البعيد

ولقد عرفت دخول هذا الوهم على بعض ذوي القدَم الراسخ في الادب مثل الوزير

الفاضل المرحوم ضياء باشا الشاعر المشهور الذي دلّت تآليفهُ على وفرة علمهِ وغزارة فضلهِ . فممَّا جاء في تاريخهِ للاندلس قولهُ محلّة « البيضائين » عن محلّة « البيازين » احدى محالّ غرناطة . ومنهُ خلطهُ بين « غادس » و « غوادس » فان الاولى ترجمة « قادس » محلّ مشهور والثاني ترجمة « وادي آش » المسمَّى ايضاً وادي الأشات فظنَّ الاثنين شيئًا واحدًا . واخذ يترجم وادي آش بقادس فانقلب المعنى وفُهِم من كلامهِ انَّ قادس ذهبت من اليد قبل غرناطة بقليل وانَّها كانت كرسيًّا لابي عبدالله الزغل لعهد السقوط . والحال خلاف ذلك . وانما التي ذهبت قبل غرناطة بقليل وكانت مركزًا للسلطان المذكور هي وادي آش . ولهُ رحمهُ الله عدا ذلك اغلاط أُخر وقد اوردنا هاتين على سبيل التمثيل

وانجع علاج لهذا الداء تأليف مُعجم للاعلام يجمع اكثر ما يمكن جمعهُ من اسم رجل ومدينة وجبل ونهر وغير ذلك مشارًا الى كلهِ بعلامتهِ في محلهِ لئلاَّ يقع الوهم فيهِ والخلط بينهُ وبين غيرهِ . ولا يستغني مع ذلك الكاتب او المترجم عن علم العربية ومعرفة التاريخ فقد يخلط في ضعفهِ بين العلَم والصفة كما رأيتهُ في احد التواريخ الحديثة وهو الذي كتبهُ صاحبهُ بلغتين وترجم فيهِ القاب احد السلاطين التي منهـا « قسيم امير المؤمنين » فظنهُ من اسماء السلطان المشار اليهِ وحسب انَّ اسمهُ « قاسم » كما يظهر ذلك من الترجمة الافرنجية

وافضل الاعتماد في هذا الامر بعد الكتب على مشافهة اهل الحي والبلاد الجاري البحث عن مسمَّياتها فهم اعلم باسماء بلادهم . وقد كنت في اوائل عهـد المعاناة عرَّبت تاريخًا لبلاد الجزائر واخبار المرحوم الامير عبد القادر فوجدتُ فيهِ كثيرًا من الاعلام من اسماء قبائل واماكن لم ادرِ تمامًا ما حقيقة اصلها فقيَّدتها كلَّها في فهرس معي وعرضتهُ على حضرة العلاَّمة الشريف السيّد محمد مرتضى الحسني الجزائريّ ابن اخي المرحوم الامير عبد القادر واحد علماء المغرب في المشرق . فحقَّق لي الفاظها وهكذا امكنني ردّها الى اصلها لانَّهُ ان امكنت معرفة الاعلام الشهيرة مثل (اوران) بانها (وهران) فكيف تمكن بدون موقّف معرفة (اين مدهى) بانها (عين ماضى) وهلمَّ جرًّا

تمسّ الحاجة اذًا الى معجم تلك صفتـهُ ضنًّا بشأن العلم والعلماء ووفاء مع الكتابة والكتَّاب وتخلُّصًا من اخذ اسمائنا عن لسان الافرنجيّ الذي انتفى منهُ الحاء والخاء والقاف والعين وتمكنت العداوة بينهُ وبين كثير من الحروف

كتاب النبات والشجر للاصمعي

سعى بنشره الدكتور اوغست هفنر

(تابع لما سبق)

[مَا يَنبُتُ في السَّهْلِ]

(وَمِمَّا يَنْبُتُ فِي السَّهْلِ) ٱلعَرْفَجُ [1] ، وَٱلْغَضْرُ [2] وَاحِدَتُهُ ٱلْغَضْرَةُ ، وَٱلنُّعْضُ [3] وَاحِدَتُهُ نُعْضَةٌ ، وَٱلْافَانِي [4] وَاحِدَتُهُ افَانِيَةٌ ، وَٱلسُّطَّاحُ [5] وَاحِدَتُهُ ٱلسُّطَّاحَةُ ، وَٱلْفَنَا وَهُوَ عِنَبُ ٱلثَّعْلَبِ ، وَٱلْحَلَمَةُ [6] فَاذَا يَبِسَتْ فَهِيَ ٱلْحَمَاطَةُ [7] ، وَٱلرَّاءُ [8] وَاحِدَتُهُ رَاءَةٌ وَلَهَا ثَمَرَةٌ بَيْضَاءُ ، وَٱلشُّبْرُمُ [9] ،

---

١) مرَّ ذكرهُ (ص ٧٥٠) ٢) جاء في كتب اللغة ان الغَضرة نبتٌ ولم ترِد ايضاحاً . ولعلَّها هي الغَضْوَرة وهو نبات يشبه الثُّمام وقيل يُشْبه السَّبَط . وفي الاصل: النَضر بالنون وهو تصحيف

٣) قال صاحب اللسان: النُّعْضَة شجر من العِضاه سَهْليّ وقيل هو بالحجاز وقيل ان لهُ شوكاً يُستاك بهِ

٤) وصفهُ ابو حنيفة قال: الأَفانِي من العشب وهي غبراء لها زهرة حمراء وهي طيّبة تكثر ولها كلأ يابس . وقيل الافانِي شيء ينبت كانهُ حمضةٌ يُشبَّه بفراخ القطا حين يشوّك يبدأُ بقلةً ثم يصير شجرة خضراء غبراء . وقيل انَّ الافانِي نبتٌ ما دام رطباً فاذا يبس فهو الحَماط وقيل انهُ هو عنب الثعلب واحدتها افانِيَة (cfr. L. 172)

٥) قال في اللسان: السُّطَّاح نَبْتة سُهْلَيَّة تنسطع على الارض واحدتهُ سُطَّاحة وقيل السُّطاحة شجرة تنبت في الديار في اعطان المياه متسطّحة وهي قليلة وليست فيها منفعة . قال الازهريّ: هي بقلة ترعاها الماشية وتُغسل بورقها الرؤوس

٦) قال ابو حنيفة: هي نبتٌ دون الذراع لها ورقة غليظة وافنان وزهرة كزهرة النعمان الَّا انَّها اكبر واغلظ . قال الازهري: هي الحماطة وقيل بل هي شجرة السَّعْدان وهي من افاضل المرعى (راجع ص ٥١٢)

٧) هو نبات مثل الصِّليان الَّا انَّهُ خَشِن المسّ وقد تقدَّم انهُ هو الأَفانى اذا يَبِس وانَّ الازهري زعم بان الحَلَمة والحماط واحد . والحَماطة ايضاً شجرة الجمَّيز سيأتي ذكرها

٨) قد اختلف الكَتَبة في وصف الرَّاء فقيل انهُ شجر سُهْلي ذو ثمر ابيض وقيل انهُ شُجيرة جبليَّة كانَّها عظامة ولها زهرة بيضاء ليّنة كانَّها القطن . وقيل هو شجر اغبر لهُ ثمر احمر

٩) وصفها في اللسان عن ابي زيد بقولهِ انَّها شجرة شاكَة ولها ثمر نحو النَّخَر وهو الحمص

وَٱلسَّرْحُ(١)، وَٱلْعَرَارُ وَهُوَ بَهَارُ ٱلْبَرِّ(٢) وَأَنْشَدَ:

يَبْضَاءُ ضَحْوَتَهَا وَصَفْـرَاءُ ٱلْعَشِيَّةَ كَٱلْعَرَارَهْ(٣)

(قَالَ أَبُو عَمْرٍو : أَحْسَنُ بَيْتٍ وُصِفَ بِهِ ٱلْأَلْوَانُ هٰـذَا ٱلْبَيْتُ) وَٱلْجَثْجَاثُ(٤) وَهُوَ شَبِيـهٌ بِٱلْقَيْصُومِ(٥)، وَٱلْمَكْرُ(٦)، وَٱلسَّكْبُ(٧)، وَٱلْقَرْنُوَةُ(٨)، وَٱلْحُلَّبُ(٩)، وَٱلْحِلْبِلَابُ(١٠)،

في لونهِ ونِبْتَتِهِ ولها زهرة حمراء. قال ابو حنيفة. انّها تسمو على ساق لها ورق طوال رقاق وهي شديدة الخضرة (B., L., Euphorbia; Lc., Euphorbia pityusa)

١) هذا وصف السَّرْح عن ابن منظور : السَّرْح شجر كبار وعظام طوال لا يُرْعى وانما يُسْتظَلّ فيهِ وينبتُ بنجد في السَّهْل والغَلْظ ولا ينبت في رمل ولا جبـل ولا يأكلهُ المال الَّا قليلًا لهُ ثمر اصفر يقال لهُ الآءَ يُشبه الزيتون. وقيل انَّهُ دون الاَثْل في الطول وورقهُ صغار وهو سبط الافنان

٢) العَرَار نبت طيِّب الرائحة. قال ابن برّي : وهو النرجس البرّي (B., L., Asteriscus graveolens, Buphtalmum graveolens Forsk.)

٣) ويروى : غدوتها. البيت للاعشى يصف بهِ امرأةً تبيضُ صباحًا ببياض الشمس وتصفرُّ عشيَّةً باصفرارها فتُضحي كالعرارة

٤) وفي الاصل الثحاث وهو تصحيف. قال ابو حنيفة : الجثجاث من احرار الشجر وهو اخضر ينبت بالقيظ لهُ زهرة صفراء كانّها زهرة العَرْفجة طيّبة الريح

٥) قيل انَّ القيصوم نبات طيِّب الرائحة من رياحين البرّ وورقهُ هَدب ولهُ نَورة صفراء وهي تنهض على ساقٍ وتطول (Lc., Aurone, Artemisia pontica, A. arborescens, A. abrotanum, [Santolina fragrantissima Forsk.]

٦) المَكر نبتٌ الى الغُبرة يُنبِتُ قَصَدًا في طعمهِ حموضة اذا مُضغ وهو ينبت في السهل والرمل لهُ ورق وليس لهُ زهر ٧) مرَّ ذكرهُ (ص ٦٤٤)

٨) قيل انَّهُ نبات عريض الورق وورقهُ اغبر يشبه الخندقوق. وصفهُ ابو حنيفة عن ابن زيَاد. قال : ومن العُشب القَرْنُوة وهي خضراء غبراء على ساقٍ يضرب ورقها الى الحمرة لها ثمرة كالسُّنْبُلة وهي مرَّة يُدْبغ بها الاساقي. وزاد ابو حنيفـة انَّ لها حبًّا اكبر من الحمّص فاذا جُشَّ خرج اصفر فيُطبَخ كما تطبخ الهريسة فيُؤكل ويُدَّخر للشتاء

٩) جاء في الاصل خُلَّب بالتصحيف. والحُلَّب نبتٌ ينبسط على الارض ويلزق بها حتَّى يكاد يسوخ تأكلهُ الشاء والظباء وعليهِ تَحتَبِل الظباء وهو اخضر تدوم خضرتهُ. لهُ ورق صغار ويُدبَغ بهِ ١٠) صُحِّف في الاصل بجلِبلاب. والحِلِبلاب من النبات الذي تدوم

وَالزَّنَمَةُ (١ ، وَالشُّكَاعَى (٢ ، وَالزُّبَّادُ (٣ ، وَالشُّدَّاءُ (٤ ، وَالضَّغَابِيسُ (٥ وَهُوَ نَبْتٌ ضَعِيفٌ يُشَبَّهُ بِهِ الضَّعِيفُ مِنَ الرِّجَالِ يُقَالُ: رَجُلٌ ضُغْبُوسٌ وَرِجَالٌ ضَغَابِيسُ ، وَالثَّغَارِيرُ (٦ ، وَالصَّبْغَاءُ (٧ بَقْلَةٌ بَيْضَاءُ الثَّمَرِ ، وَالحَصَادُ (٨ نَبْتٌ ، وَالجَدَرُ (٩ ، وَالْيَفَاءُ مِثْلُ النَّقْعِ (١٠ . (وَمِنَ النَّبْتِ)

خضرتهُ في القيظ كالحُلَّب ولهُ ورق اعرض من الكف وهو نبات سُهْلي تسمن عليهُ الظباء والغنم (B., Hedera Helix L)

١) الزَّنَمَة نبات سُهْلي ينبت على شكل زَنَمَة الأُذن لهُ ورق وهو شرّ النبات. امَّا الزُّنْمَة بضّم فسكون فشجرة لا ورق لها كانَّها زنمة الشاة

٢) عن ابي حنيفة انَّ الشُّكاعى من دِقّ النبات وهي دقيقة العيدان صغيرة خضراء والناس يتداوون بها. قال الازهري: رأيتُ الشُّكاعى بالبادية وهي من احرار البقول ذات شوك منبتها مثل منبت الحُلاوى ورقها صغير مثل ورق السَّذَاب وزهرتها حمراء (Lc., Onopordon arabicum Spina arabica)

٣) مرَّ ذكرهُ (٥١٢)

٤) جاء وصفها في لسان العرب انَّها نبتٌ لهُ ورق كانَّهُ ورق الكُراث وقُضبان طوال تدقُّها الناس وهي رَطْبة فيتّخذون بها أَرْشية يسقون بها. وهي طيّبة يأكلها المال واصولها بيض حُلوة لها نَوْر مثل نور الخِطْمِيّ الابيض في اصلها شيء من حمرة يسيرة ينبت في اضعافهِ الطرَّاسيس والضغابيس

٥) قال في اللسان: الضُّغْبوس نبتٌ في اصول الثُّمام يُشبه الهِلْيَوْن يُسْلَق بالخلّ والزَّيت ويؤكل (Lc., Plante épineuse, Asclépias ?). وقال ابو حنيفة: انَّ الضغبوس هو نبات الهلْيَوْن سواء (Asperge)

٦) وفي الاصل: الثغارير. ونظنُّ انَّ الصواب «الثغارير» وهو ضربٌ من البطيخ طيب الرائحة مُعلم بخطوط حمر وصفر

٧) قال ابو حنيفة: الصَّبْغاء شجرة شبيهة بالضَّعة تألفها الظباء بيضاء الثمرة. وعن الاعراب انَّها مثل الثُّمام. (وقال) انَّ الطاقة الغضَّة من الصبغاء حين تطلع الشمس يكون ما يلي الشمس من اعاليها ابيض وما يلي الظلّ اخضر كانَّها شُبِّهت بالنعجة الصبغاء. ويروى: الصبعاء والضبعاء وكلاهما غلط

٨) روي عن الاصمعي انَّ الحصاد نبت لهُ قصب ينبسط في الارض وُرَيقهُ على طرف قَصَبهِ. وقال ابو حنيفة: انَّهُ يُشبهُ السَّبَط

٩) وفي الاصل: الحرر. ونظنُّهُ الجدَر وهو ضرب من الحبوب

١٠) **كذا في الاصل ونظنّهُ مصحَّفاً**

اَلثُّمامُ (١ وَاَلْواحِدَةُ ثُمامةٌ . وَاهلُ نَجدٍ يُسمُّونهُ اَلْجَلِيلَ (٢ اَلْواحِدَةُ جَلِيلَةٌ . قالَ اَلشّاعِرُ :

اَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ اَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوادٍ وَحَوْلِي اِذْخِرٌ وَجَلِيلُ (٣

قالَ اَبو بكرٍ: اَهلُ اَلْعالِيَةِ يُسمُّونَ اَلثُّمامَ اَلشُّبُهانَ (٤ ، وَمِنْهُ اَلضَّعَةُ (٥ ، وَاَلْغَرَفُ (٦ ، وَاَلضَّهْيَأُ (٧ واحِدَتُها ضَهْيَأَةٌ

(وَمِمّا يَنْبُتُ بِاَلْحِجازِ) اَلْاَرْنَبَةُ (٨ ، وَاَلْقَرْمَلَةُ (٩ وَهِيَ شَجَرَةٌ ضَعِيفَةٌ كَثِيرَةُ اَلْماءِ تَنْفَتِحُ اِذا وُطِئَتْ . قالَ اَبُو اَلنَّجْمِ :

يَخُضْنَ مُلّاحًا كَذاوِي اَلْقَرْمَلِ (١٠

(وَرَوى اَبو بكرٍ : يَخبِطْنَ) . وَمَثَلٌ مِنَ اَلْاَمْثالِ : ذَلِيلٌ عاذَ بِقَرْمَلَةٍ ،

---

١) الثُّمام نبتٌ ضعيف لهُ خُوصٌ تُسَدُّ بِهِ خَصاص البيوت وهو انواع فنها الضَّعَة ومنها الغَرَف وهو شبيه بالأسَل وتُتَّخذ منهُ المكانس ويُظَلَّل بهِ المُزاد فيُبَرَّد الماء (Lc., Panicium)

٢) الجليل هو الثُّمام اذا عَظُمَ وجلَّ

٣) البيت لبلال الشاعر . وروى الازرقيّ (ص ١٢٩) : ليلةً بفخٍّ . والإذخر حشيش طيب الريح مرَّ ذكرهُ (ص ٦٤٦)

٤) الشُّبُهان ضَرْبٌ من العضاه وقيل هو الثُّمام او شبيهٌ بهِ (Lc., Paliure)

٥) الضَّعة شجر من الحَمْض

٦) الغَرَف والغَرْف نوعٌ من الثُّمام او هو الثُّمام بعينهِ . قال ابو منصور : والغَرَف الذي بهِ تُدبغ الجلود معروف من شجر البادية

٧) الضَّهْيَأَة شجرة مثل السَّيال وجَناتُهما واحد في سِنْفَةٍ وهي ذات شوك ضعيف ومَنبِتها الاَوْدية والجبال

٨) لم يأتِ في وصفها شيء في كتب اللغة غير انَّها نُعتت بالنبت

٩) القَرْمَلة من دقّ الشجر لا اصل لها ولا شوك . قال ابو حنيفة : القرملة شجرة ترتفع على سُوَيْقَة قصير لا تُستَر ولها زهرة صغيرة شديدة الصفرة وطعمها طعم القُلّام

١٠) يصف بقر وحش يسير بين نبت المُلّاح وهو نوع من الحمض شبَّههُ في يبسهِ بغضّ القرمل

وَٱلْوَشِيجُ (١ نَبْتٌ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ لَهُ اَغْصَانٌ وَوَرَقٌ لَطِيفٌ ، وَٱلْعَيْشُومُ (٢ نَبَاتٌ اِذَا يَبِسَ كَانَ لَهُ فِي ٱلرِّيحِ صَوْتٌ

[فَصْلٌ فِي مَا يَنْبُتُ فِي الرَّمْلِ مِنَ الشَّجَرِ وَغَيْرِهِ]

(وَمِمَّا يَنْبُتُ فِي ٱلرَّمْلِ مِنَ ٱلشَّجَرِ) ٱلْأَلَاءُ (٣ ٱلْوَاحِدُ اَلَاءَةٌ . قَالَ عَبْدُ ٱللّٰهِ بْنُ غَنَمَةَ ٱلضَّبِّيُّ :

فَخَرَّ عَلَى ٱلْأَلَاءَةِ لَمْ يُوَسَّد   كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ

وَٱلْأُمْطِيُّ (٤ وَلَهُ صَمْغَةٌ يَمْضَغُهَا ٱلْعَرَبُ ، وَٱلْغَضَا (٥ ، وَٱلْأَرْطَى (٦ وَلَهَا صَمْغَةٌ تَمْضَغُهَا ٱلْعَرَبُ كَمَا يَمْضَغُونَ ٱلْكُنْدُرَ ، وَٱلْعَلْقَى (٧ شَجَرٌ تَدُومُ خُضْرَتُهُ بِٱلْقَيْظِ ، وَٱلْمُصَاصُ (٨ شَجَرٌ يُتَّخَذُ مِنْهُ ٱلْحِبَالُ ، وَٱلرُّخَامَى (٩ نَبْتٌ

---

١) قال في اللسان : الوشيج شجر الرماح وقيل هو ما نبت من القنا والقصب معترضاً او ملتفاً ٢) العيشوم ما يَبِس من الحُمَّاض . وقيل انَّهُ من الحُلَّة يُشبهُ الثُدَّاء . قال صاحب اللسان : والعيشوم ايضاً نبتٌ دقاق يُشبه الأَسَل تُتَّخذ منهُ الحُصُر المُصبَّغة الدِقاق وقيل انَّ مَنبِتهُ الرمل ويُسمع لهُ صوت مع الريح

٣) الأَلاء والأَلا شجر مرّ المطعم يُشبه الآس ولا يزال اخضر شتاءً وصيفًا وثمرتهُ تُشبه سنبل الذُّرة منبتهُ الاودية والرمل و يستعمل للدباغ

٤) الأُمطيّ هو من نبات الرمل ذو قضبان تمتدّ وتتفرس ولهُ صُمْغ يُدعى كنباته أُمطيًا

٥) قال صاحب اللسان : الغضا من نبات الرمل لهُ هَدب كهدب الأَرطى . والغضا ايضاً شجر من الاثل ذو خشب صلب حسن النار يبقى طويلًا قبل ان ينطفئ يُضرَب بحرارة جمرهِ المثل (*cfr.* E., 268) ٦) الأَرطى شجر عَبْل من شجر الرمل لهُ عروق حمر يُدْبَغ بورقها . قال ابو حنيفة : هو شبيه بالغضا ينبت عصياً من اصل واحد يطول قدر قامة ولهُ نَوْر مثل نور الخلاف ورائحتهُ طيّبة (Lc., ephodra alata ; *cfr.* E. 268)

٧) العُلقى شجرة دائمة الخضرة ذات افنان دقاق طوال وورق لطاف (B., Lc., Osyris)

٨) وصف ابو حنيفة المُصاص بما حرفهُ : هو نبات ينبت خيطانًا دقاقًا غير انَّ لها لينًا ومتانة ربّما خُرِز بها فتُدَق على الفرازيم حتّى تلين . وقال الازهريّ : هو نبتٌ لهُ قشور كثيرة يابسة و يقال لهُ المصاخ وهو الثُدَّاء وهو ثَقُوب جيّد واهل هَراة يسمّونهُ دِلِيزاد

٩) قيل انَّهُ ضرب من الخِلْفَة وهي غبراء الخُضْرة لها زهرة بيضاء قفيَّة ولها عرقٌ ابيض يأكلهُ الوحش كلّهُ لحلاوتهِ وطيبهِ اذا انتُزع حلب لبنًا

فِي ٱلْارْضِ ٱلرِّخْوَةِ لَهَا عُرُوقٌ بِيضٌ تَتْبَعُهَا ٱلثِّيرَانُ تَحْفِرُ عَنْهَا فَتَأْكُلُهَا

(وَمِمَّا لَيْسَ بِشَجَرَةٍ) ٱلسَّبَطُ[١] ، وَٱلنَّصِيُّ[٢] يَكُونُ فِي ٱلسَّهْلِ وَٱلرَّمْلِ فَمَا دَامَ رَطْبًا فَهُوَ نَصِيٌّ فَإِذَا يَبِسَ فَهُوَ حَلِيٌّ فَإِذَا تَحَطَّمَ وَٱسْوَدَّ فَهُوَ ٱلدَّوِيلُ . قَالَ ٱلرَّاعِي :

شَهْرَيْ رَبِيعٍ مَا تَذُوقُ لَبُونُهُمْ ... إِلَّا حُمُوضًا وَخْمَةً وَدَوِيلَا

وَكُلُّ مَا ٱسْوَدَّ وَتَكَسَّرَ فَهُوَ دَوِيلٌ ، وَٱلْغَضْوَرُ[٣] ، وَٱلصِّلِّيَانُ[٤] . وَمِنْ كَلَامِهِمْ : جَذَّهُمْ جَذَّ ٱلصِّلِّيَانَةِ[٥] ، وَٱلْعَسَالِيجُ[٦] نَبَاتٌ بِيضٌ تُشَبَّهُ بِٱلْعُرُوقِ تَنْبُتُ لَهُ خُوصَةٌ ، وَمِنَ ٱلنَّبْتِ ٱلْهَرْدَى[٧] (وَلَا ادْرِي ايُذَكَّرُ امْ يُؤَنَّثُ وَٱلْخَضْرَى[٨] وَٱلْهَرْدَى عِنْدَ ٱلنَّحْوِيِّينَ مُؤَنَّثَانِ وَيَجُوزُ تَذْكِيرُهُمَا)

(ستأتي البقية)

---

١) السَّبَط صنف من الحَلِيّ وقيل انَّهُ نبات كالثيل الّا انَّهُ يطول وينبت في الرمال. ونقل ابو حنيفة عن ابي زياد انَّ السَّبط من الشجر وهو سَلِب طُوالٌ في السمال دقاق العيدان تأكلهُ الابل والغنم وليس لهُ زهرة ولا شوك ولهُ ورق دقاق على قدر الكُرَّاث. ويقال انَّ لهُ حبًّا يستخرجهُ الناس من اكمَّتِهِ بالدقّ ويأكلونهُ خبزًا وطبخًا (L. Arum, Arisarum ; *cfr.* E. 268)

٢) النصيّ ضرب من الطريفة. قال في اللسان: هو نبتٌ معروف ويقال لهُ نصيّ ما دام رطبًا فاذا ابيضّ فهو الطريفة فاذا ضَخُم ويبس فهو الحليّ

٣) وفي الاصل الغصور وهو تصحيف. والغضور نبتٌ يشبه السَّبَط وقيل يُشبه الضَّعَة والثمام

٤) هو ضربٌ من الطريفة اصولهُ على قدر نَبت الحليّ ومنابتُهُ السُّهول والرياض. قال ابو عمرو: الصِلّيان من الجَنْبَة لنَلَطِهِ وبقائِهِ (Lc., Herbe fourragère)

٥) كان العرب يقولون ذلك في الرجل الذي يُقدم على اليمين الكاذبة ولا يبالي تشبيهًا بالعير الذي يكدم الصِلِّيانة بفيهِ فيجتثُّها من اصلها ليرتعيها

٦) جاء في اللسان: العساليج هَنَوات تنبسط على وجه الارض كانَّها عروقٌ وهي خُضرٌ وقيل هو نبتٌ على شاطئ الانهار يثني ويميل من النعمه (L.,B., Leontice, Leontopetalum L)

٧) لم يذكر اصحاب اللغة شيئًا من وصفهِ ٨) لم نجد لها ذكرًا في كتب اللغة

التوراة وجثث الفراعنة المحنَّطة في متحف الجيزة

للاب يوسف اوتفاج اليسوعي

لم يمرّ على متحف الجيزة عشرون سنةً منذ اخذت معاهده تزدان بآثار مصريَّة جمَّة اكتشفها الفرنسيُّون الذين تولَّوا نظارة هذه العاديَّات. وانَّما الفضل العظيم في هذه الاكتشافات يعود خاصَّةً للعلماء المبرّزين مَسْپرو وغريبو ودي مُرْغان ولُورِه. فهم الذين أغنوا المتحف المصريّ بآثر عديدة اصبح مجموعُها لا مثيل لهُ في العالم اجمع كيف لا وهو يحتوي على اجسام اشهر الفراعنة الذين استولوا على مصر. وكانَّ جثثَهم المحنَّطة الملفوفة بالعصابات والمضَّجعة بالنواويس تنطق اليوم بلسان حالها وتُفصح عن احوال الشعوب القديمة فضلًا عن انَّها شاهد صدقٍ عن تاريخ بني اسرائيل وصحَّة الكتب المقدّسة. ونبذتنا هذه انَّما غايتها بيان هذه الفوائد التاريخية. ونحن على يقين انَّ قرَّاء المشرق يرغبون في مثل هذه المقالات التي من شأنها ان تنير العقول وتثبت روح الايمان في القلوب

١

وقبل ان نورد ما يُستفاد من نظر جثث الفراعنة في متحف الجيزة لفهم الاسفار الالهية احببنا ان نلخّص هنا لزيادة الفائدة تاريخ اكتشاف نواويس هؤلاء الملوك

بينا كان العلاَّمة مسپرو متوليًا ادارة التفتيش على العاديَّات المصريَّة في سنة ١٨٨١ اذ استدلّ ببعض الدلائل على انَّ في الصعيد خبايا يستخرج منها عرب تلك النواحي ما شاؤُوا ليرتزقوا ببيعهِ. فجعل يتأثَّرهم ويلتجئ للاطّلاع على سرّهم الى الحيلة مرَّةً والى القوَّة اخرى حتى وقف على مبتغاهُ فادخلوهُ في سرب محفور في الجبل بَعْقربة من دير البحري على ضفَّة النيل الشمالية بازاء الأَقصُر. فلمَّا ولج هذا المخبأ وجدهُ مدفنًا لتسعة وعشرين جثَّة محنَّطة منها جثث ملوك وملكات وامراء وكان في نواويسهم اشياء كثيرة ثمينة دُفِنت معهم كصاغات وجواهر واوعية قديمة وهلمَّ جرًّا

ومدار كلامنا في هذه الخلاصة على جثث ملوك مصر ودونك اسماء هؤلاء الفراعنة على ترتيب ملكهم:

١ سُكينن را (او) رع (١   ٥ تحوتمس الثالث
٢ أحمس الاوَّل   ٦ سِتي الاوَّل
٣ عمينوفيس الاوَّل   ٧ رَعَمسيس الثاني (وهو المشهور عند اليونان بسيسوستريس)
٤ تحوتمس الثاني

وكلّ هذه الجثث السبعة في متحف الجيزة قد عُرِضَت هناك للزوَّار

وفي السنة الجارية تمكَّن المسيو لُورِهْ مُناظر العاديَّات المصرية حالًا من اكتشافٍ آخر ذي خطارة عظيمة اتَّصل اليهِ باعتباراتٍ تستند الى علم الآثار فوقف في وادي باب الملوك او بيبان الملوك في شمالي شرقي دير البحري على مخبأةٍ ثانية تتضمَّن كثيرًا من اجسام الفراعنة (راجع المشرق ص ٥٨١) وصورة هذا المدفن شبيهة بالمدفن السابق ذكرهُ وهذه اسماء الملوك الذين وُجدت جثثهم نرويها على سياق التاريخ:

١ عمينوفيس الثاني   ٦ رعمسيس الثالث
٢ تحوتمس الرابع   ٧ رعمسيس الرابع
٣ عمينوفيس الثالث   ٨ رعمسيس الخامس
٤ سيپتاح   ٩ رعمسيس السادس
٥ سِتي الثاني   ١٠ (عمينوفيس الرابع) او منفتاح

وقد حدث بين علماء الآثار المصريَّة بعض اختــلاف في قراءة اسم الملك العاشر منفتاح. فانَّ اسمهُ كان مكتوبًا على ناووسهِ باللغة المعروفة بالهيراتيَّة اي المقدَّسة لشيوعها بين الكهنة فارتأى المسيو لورهْ في المقالة التي قرأها امام مجمع العلماء المصري (في ١٣ ايَّار سنة ١٨٩٨) انَّ اسم هذا الملك هو خوناتين اي عمينوفيس الرابع (راجع المشرق ص ٥٨٢) الذي عقب عمينوفيس الثالث في الملك بيد انَّهُ يوجد شبهٌ كبير بين هذا الاسم واسم «باء إنْ رع» اي منفتاح في الكتابة الهيراتية فرجَّح المسيو ويليم غروف انَّ القراءة الصحيحة هي باء ان رع وان الملك العاشر هو منفتاح لا عمينوفيس الرابع مستندًا بذلك الى بعض ملاحظات لغويَّة وتاريخية دقيقة تشهد لصاحبها بتوقُّد الفهم وقد صوَّب رأْيَهُ المسيو إرْمان والمسيو مسپرو وغيرهما للاسباب الآتية

اعلم ان اكثر ملوك وامراء الدول الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين قُبروا في مقابر خاصَّة لا تزال مواقعها معروفةً تدلُّ عليها كتابات يرتقي عهدها الى تلك الازمنة. امَّا جثثهم المحنَّطة فقد وُجد اغلبها في مخابئَ لم تكُ في الاصل مدافنهم. ومن الامور الغريبة

١) ويجوز راسكينن . وقرأهُ مسپرو : سكونن رع

انّ اجسامهم وجدت بصحبة اجسام عظماء كهنة عُمون . ولذلك سببٌ خفيٌّ كشفت الآثار القديمة سرَّهُ

بعد ان صار الامر في ثيبة (وهي الاقصر) للدولة العشرين اخذ حبلُها ينتقض وقوَّتها تتضعضع فاعتصبت جماعاتٌ من اللصوص وجعلوا يطوفون البلاد نهبًا وسلبًا وأدَّت بهم الوقاحة الى ان انتهكوا حمى القبور لينتزعوا منها ما أُودعتهُ من الحليّ الثمينة (راجع المشرق ص ٥٨٠) وهذا العمل الذميم قد شهدت بهِ كتابةٌ قديمة وُجدت منذ عهد قريب . فنهض اذ ذاك قومٌ من اصحاب النخوة وهم عظماء كهنة الإله عُمون ونقلوا اجسام الملوك الفراعنة من مدافنهم الاصلية الى مخبأة جمعوا فيها اجسام الكهنة المحنَّطة صونًا لها من ايدي الاوباش المتلصِّصين . وقد قام هؤلاء الكهنة بهذه المبرّة لسببين : اوَّلًا لما كان عليهِ الفراعنة المذكورون من التقى والتعبُّد لإلهم عُمون . وثانيًا شكرًا منهم لاولئك الملوك الذين اجزلوا نحوهم العطايا السنيّة والاوقاف الواسعة

بيد ان عمينوفيس الرابع المدعو خوناتين كان من ألدّ اعداء كهنة عُمون واستبدل دين هذا الاله بعبادة الشمس ونقل حاضرة الملك من ثيبة الى تلّ العمارنة التي تُعرَف اليوم بحجّي قنديل بقرب الملوى وحمل بهِ بغضُهُ لعُمون وسدَنتهِ الى ان ازال اسم هذا الاله من الآثار المصريَّة حيثما وجدهُ . فكيف يقبل العقل ان يكون كهنة عُمون في ايَّام السلالة العشرين اهتمُّوا بجثَّة ملكٍ غلَت في قلبهِ مراجل العداوة نحوهم او كيف وضعوهُ في مدفن احبارهم وهم يعتدّونهُ مارقًا من الدين خارجيًّا . فمن منَّا يتصوَّر مثلًا احد احبار الكنيسة يسعى في إنقاذ جسم بعض المبتدعين كنسطور او لوثار ليودعهما في المقابر المقدّسة . امَّا منفتاح فكان بخلاف الامر احد المتعبّدين للاله عمون فحقَّ على عظماء الكهنة ان ينجُّوا جثّتهُ من الهوان كما نجّوا جثّتَيْ ابيهِ رعمسيس الثاني وجدّهِ سِتي الاوَّل . فهذا برهانٌ وطيد أوضحهُ المسيو غروف ورجَّح بهِ رأيَهُ على رأي المسيو لُوره

وعليهِ فنظنُّ نحن ايضًا انَّ هذه المومياهي جثَّة الملك منفتاح لا عمينوفيس الرابع وقد ملك منفتاح بعد رعمسيس الثاني

٢

انَّ في ما سبق توطئةً للغرض الذي نحن نتوخَّاهُ في هذه المقالة . وهاك مجمل اسماء الملوك السبعة عشر المذكورين على حسب ترتيب جلوسهم على منصَّة الملك . وقد صدّرنا

بنجمة اسماء الملوك الذين وقف على ضريحهم العلاَّمة مسپرو وبصليب الذين اكتشفهم المسيو لوره . وهو لم ينقلهم بعـد من باب الملوك الى الجيزة . امَّا الاسماء التي وُضعت بين هلالين فتدلُّ على فراعنة لم تُكتشَف بعدُ اجسامُهم وستَّة منهم اسماؤهم مجهولة . اشرنا اليهم بخطّ :

* سكينن را (او رع)	(—)
* احمس الاوَّل	(رعمسيس الاوَّل)
* عمينوفيس الاوَّل	* سِتي الاوَّل
(تحوتمس الاوَّل)	* رعمسيس الثاني (سيسوستريس)
* تحوتمس الثاني	+ منفتاح
(حَتْشو پسِيتو الملكة)	(—)
* تحوتمس الثالث	+ سِپْتاح
+ عمينوفيس الثاني	سِتي الثاني
+ تحوتمس الرابع	(—)
+ عمينوفيس الثالث	+ رعمسيس الثالث
(عمينوفيس الرابع)	+ رعمسيس الرابع
(—)	+ رعمسيس الخامس
(—)	+ رعمسيس السادس
(—)	

فاذا تصفَّحنا الآن سفر التكوين وجدنا ذكر مصر وفراعنتها مكرَّرًا في عدَّة فصول غير انَّ التاريخ الذي يهمُّنا في هذه النبذة انَّما هو تاريخ العبرانيين منذ عهد يوسف الى ايَّام خروج ذرّيَّة يعقوب منها ونجاتهم على يد موسى كليم الله

امَّا اخبار يوسف فقد جرت في ايَّام الملوك الرُعاة واصل هؤلاء الفراعنة قبائل عديدة اسيويَّة من الحثيين والكنعانيين وغيرهم كانوا يسكنون في شمالي سوريَّة وشرقيّها . بيد انهم زاحمهم في ارضهم ملوك اقوياء شنّوا عليهم الغـارات فاحتلُّوا بلادهم واجاؤُوهم الى ان يرتادوا لهم بلادًا أُخر . فزحفت هذه القبائل الى الغرب رجاء ان تجد لها ممالك خار عودُها فتجعلها محطًّا لعصا ترحالها او غنيمة باردة لمطامعها . فسار قسمٌ من هذه القبائل الغازية الى جهات مصر وهم يعلمون ما هي عليهِ من خصب التربة وسعة الثروة فانقضُّوا على وادي النيل ولا انقضاض النسور القشاعم وغلبوا ملوكها الاصليين ودفعوهم الى جنوبي البلاد حتى خلا لهم الجوُّ ودان لهم القاصي والداني ورتعوا في مصر السفلى عند سواحل

البحر وامتدَّ ملكهم الى الفيُّوم وكان افتتاحهم لمصر نحو سنة ٢٢٠٠ قبل المسيح. ثمَّ بنوا مدينة هواريس (١ وجعلوا تانيس قاعدةً لملكهم. وهؤلاء الغزاة هم الذين يُدعون بالملوك الرعاة واسمهم الشائع هيكسوس اي رؤساء الغُزاة. ثم اخذوا يأتسون بالمصريين ويقتدون بعوائدهم ويتكلّمون بلغتهم ويستعملون كتابتهم وطال ملكهم في ارض مصر

ففي عهد هؤلاء الملوك الرعاة جرت قصَّة يوسف العجيبة التي ورد ذكرها في سفر التكوين فانَّ دخولهُ مصر مع التجار الاسماعيليين وبيعهُ هناك لفوتيفار ثمَّ تبرئة ساحتهِ من التُّهم وارتقاءهُ الى الجاه المتَّسع والرتبة العليّة عند فرعون كلّ ذلك قد جرى في ايّام احد ملوك الهيكسوس اسمهُ أپوفيس(٢. هذا ما رواهُ قدماء المؤرخين واثبت صحّتهُ ثقات العلماء الباحثين عن العاديّات المصريّة

بيدَ انَّهُ من الراجح ان يوسف بقي متوليًا نظارة مصر بعد وفاة أپوفيس في عهد خلفهِ وقد تضاربت آراء المؤرّخين في تعيين اسمهِ. ومن الامور الحريّة بالاعتبار انَّ التقاليد العربية تدعو الفرعون الذي نصَّب يوسف على مصر «الريّان» وينسبهُ مؤرخو العرب الى العمالقة وربَّما سمّوهُ «فرعون يوسف». فكان هذا التقليد يُعدّ من الاسانيد الباطلة التي لا يُعبأ بها. غير انَّ المحدَثين وجدوا في هذا القول من الصحّة ما لم يكن في حسبانهم. والحقُّ يقال انَّ يوسيفوس المؤرّخ في كتاب العاديات اليهوديّة ذكر في قائمة ملوك الهيكسوس خلفَ ابوفيس ودعاهُ «يانّا» والتصحيف بين هذين الاسمين سَهل سواء صُحّف يانّا بريّان او بالعكس. وما لا ريب فيهِ ان العلاَّمة المحقق ناڤيل وجد سنة ١٨٨٨ في تلّ البسطة (Bubaste) اثرًا قديمًا ورد فيهِ اسم «يان را» كما انَّهُ يوجد في المتحف البريطاني في لُندن تمثال اسدٍ حُفرت عليهِ كتابة جاء فيهِ هذا الاسم نفسهُ «يان را». فالنون والراء في هذه اللفظة من الحروف الليّنة التي كثيرًا ما تُدغم فصار الاسم «يانّا» كما رواهُ يوسيفوس. امَّا رواية العرب «ريّان» فمشتقّة من الاسم المصري وذلك ان لقب «را» او «رع» في الاسماء المصريَّة يجوز تقديمهُ او تأخيرهُ على سواء. فيقال «يان را» او «را يان» والعرب نقلوهُ عن صورتهِ هذه الاخيرة كما ترى فدعوهُ «ريّان»

١) وجدناها معرَّبة بهواريس واواري وافاري (المشرق)

٢) وهو الذي يدعى في تاريخ مسپرو «ابيبي» وكتبهُ البعض «ابابي»

لا يخفى انَّ سفر التكوين ينتهي بخبر وفاة يوسف. ويلي هذا السفر الاوَّل سفر خروج بني اسرائيل من ارض مصر واجتيازهم بحر القُلْزم. الَّا انَّهُ بين عهد يوسف والفرعون ابوفيس الى زمن نجاة بني اسرائيل على يد موسى الكليم اربعمائة وثلاثين سنة كما يؤخذ من سفر الخروج (ف ١٢ع ٤٠)

فيظهر من ثمَّ انَّ بين السفرين (التكوين والخروج) عهدًا طويلًا لم نحصل على تفاصيل اخبار ملوكهِ. فلمَّا لم يجد مصنّف هذين السفرين داعيًا لسَرْد هذه الاخبار التي تخصّ التاريخَ المدنيَّ اكثر منها التاريخَ الديني ضرب عن ذكرها صفحًا. وهذا النقصان التاريخي يُستدَلّ عليهِ من نفس السفرين المذكورين لانَّك ترى بني يعقوب في آخر سفر التكوين راتعين في بحبوحة الهناء يرعون مواشيهم في لرض جاسان المخصبة. وتراهم بعكس ذلك في مُفتتح سفر الخروج في حالة من الضنك والعناء يستعبدهم «فرعون لا يعرف يوسف» ويبهظهم بأحمال تنوء عنها مناكبُهم منها تسخيرهم ببناء مدينتيْ رَعَمْسيس وفيثوم. فأنَّى هذا الاختلاف بين حالتي شعب الله وكيف انقلب العبرانيُّون من اوج السعد الى هوَّة الذلّ والهوان فهذا سرٌّ كان مكنونًا حتى ازالت عنهُ القناع الكتابات المصريَّة واكتشاف جُثث الفراعنة المحنَّطة في دير البحري وباب الملوك

قد ورد في جملة هذه الآثار القديمة ان احد الملوك الوطنيين اسمهُ «سكينن را (١» المتملّك في ثيبة من اعمال الصعيد حاول ان يكسر شوكة الملوك الرُّعاة الغرباء فجاهر بالحرب الملكَ ابوفيس المالك في ايَّام يوسف. فنهض ابوفيس للمدافعة عن ملكهِ وابلى في ذلك بلاءً حسنًا حتى فلَّ شباةَ اعدائهِ وقتل ملكهم سكينن را في باحة الحرب. وهذا امرٌ تشهد عليهِ جثَّةُ الملك سكينن را الموجودة في متحف الجيزة وهي مُثخنة بالجراح التي اصابتهُ في القتال فانَّ فأس العدوّ قد قطعت لهُ خدَّهُ اليُمْنى مع فكّهِ السفلى. ونالتهُ على رأسهِ ضربةٌ اخرى اثَّرت في الجمجمة فشجَّتها وسال منها مخُّ الملك وقد بُلي بضربة ثالثة وهي ضربة رُمْح او مديةٍ نفذت قرب حجاج عينهِ اليُمْنى (٢

---

١) ويجوز را سكينن (راجع ص ٨٨١)

٢) وعليهِ فانَّ ما رواهُ المقتطف في عدده السادس من السنة الجارية (ص ٤٣٩) ليس بسديد حيث عزا الانتصار لراسكينن على ابوفيس والامر بعكس ذلك. ولو زار كاتب هذه المقالة «المحقق» متحف الجيزة لعرف خطأهُ هداه الله (المشرق)

ولم تزل الحرب منتشبةً بين الفريقين مدَّةً دون ان يظفر المصريُّون باخصامهم حتى ضبط عنان الملك احمس الأوَّل احد خلفاء سكينن را وتمكَّن من قطع نظام الرعاة وتعفية آثارهم. ففتح عنوةً عاصمة ملكهم تانيس واستولى بعد حرب عوان على هواريس وكلّ البلاد الشماليَّة. ومن يتفرَّس في موميا هذا الملك بمتحف الجيزة يجد بهِ رجلًا قصير القامة متجعِّد الشعر ذا هيئة تؤذن بالسطوة والبأس. والشدَّة والمراس. وهو منشئ الدولة الثامنة العشرة. وبقيت هذه الحرب على ساقٍ نحو ١٥٠ سنة

وبعد قهر الملوك الرعاة اضحت حالة العبرانيين حرجةً لأنَّهم كانوا في ظلّ حمايتهم. بيد ان الفراعنة الوطنيين ضنًّا منهم على الفلاحة والزراعة لم يطردوا من ارض مصر كلّ شعب الهيكسوس. بل تركوا منهم من لم يخافوا شرَّهم وأذاهم ولا يزال الى يومنا من سلالتهم بقيَّةٌ بين الصيَّادين الذين يرتزقون بمهنتهم على شاطئ بحيرة المنزلة فانَّ هيئتهم وتقاطيع وجههم اشبه شيء بصوَر الملوك الرعاة المحنَّطة مومياهم بالجيزة. لكنَّ هذا الشعب المتخلّف بمصر من الهيكسوس بقي متذلّلًا مُهانًا. وعلى هذا المنوال ساءت احوال العبرانيين وكانوا منذ ايَّام يوسف نموا نموًّا عظيمًا فاستخار كثيرون منهم الاقامة في مصر على العود الى اوطانهم القديمة. وذلك ما يبيّن لنا بنوع جليّ ما لحق بهم من الجنف والامتهان وسوء المعاملة

وقد زاد بلاء العبرانيين بعد وفاة احمس الاوّل لمّا دخل خلفاءهُ روحُ الحميَّة والغزوات لاسيَّما في ايَّام تحوتمس الثالث (راجع الجدول ص٨٨٣). فما جلس هذا الملك على اريكة الفراعنة حتى جيَّش الجيوش وشنّ الغارة على البلاد الاسيويَّة. وفي الكتابة التي امر بحفرها في هيكل الكرنك بعد انتصارهِ قد عدَّد الفتوحات التي فتحها وفيها يُروَى انَّ الاشوريّين والحطّي (الحثّيين) والفنيقيين اذعنوا لسلطانهِ وأدّوا لهُ الجزية. وقد اقام تحوتمس نُصبًا كبيرًا في طريقهِ ببلاد ما بين النهرين دوَّن بها شيئًا كثيرًا من مآثرهِ وبها يفتخر انَّهُ وسَّع حدود مصر وغزا بلاد السودان وغنم بها الغنائم الثمينة من الذهب والعاج والأبنوس وانَّهُ بنى البنايات العظيمة في النوبة وألِفَنْتين وإسنا وامبوس وهرمنتيس ولاسيَّما في ثيبة الكبرى (الاقصر). وكان ملك تحوتمس هذا ٥٤ سنة

الّا ان بين غزوات تحوتمس المذكور غارةً يهمُّنا ذكرها قد اغار بها على قبائل كنعانية متحالفة كسرها كسرة قبيحة وفرّقها ايدي سبا بعد ان فتح عنوةً مدينة مجدُّو واستولى على ما وجد فيها من الذخائر والاسلاب. وفي جدران هيكل الكرنك تجد جدول اسماء هذه

القبائل المغلوبة التي جلاها من اوطانها فقادها الى ثيبة قاعدة ملكهِ . وفي جملة هذه القبائل اسم « يعقوب ايل » و« يوسف ايل »





يوسف ايل Ichep-El يعقوب ايل Jacob-El

وليست هذه الجداول اسماء بعض الافراد كما زعم قومٌ بل هي اسماء قبائل او عشائر كبيرة وقد علّل ذلك المسيو غروف بادلّة قاطعة في رسالة كتبها للمعلم رڤيليو (١ فيكون اذن معنى اسمي « يعقوب ايل ويوسف ايل » ذرّيّة يعقوب ويوسف . ولعلَّ سائلًا يسأل : وما السبب لذكر يعقوب ويوسف دون اسباط بني اسرائيل . فنقول انَّ الزمان الواقع بين تحوتمس الثالث ويوسف لم تكُ بعد مدَّتهُ كافيةً ليصير لهذه الاسباط الاثني عشر اسم خاصّ شائع عند المصريين فاجتزأ الفاتح بذكر اسم يعقوب الذي تفرَّعت منهُ عشرة اسباط واسم يوسف ابي السبطين الآخرين

امَّا صورة هذين الاسمين « يعقوب ايل » و« يوسف ايل » فليس فيها ما يستوجب الانذهال . فان تركيبها تركيب قياسي على مثال اسماء سامية كثيرة تُختم بايل نحو : اسرا-ئيل وجبرا-ئيل ونَثْنا-ئيل وهلمَّ جرًّا وهي اسماء تامَّة اللفظ وربَّما اقتصرها العامة بجذف آخرها اي بجذف الخاتمة (ايل) وهي اسم الجلال وذلك أَنفَةً من ابتذال اسمهِ تعالى عزَّ وجلَّ او حبًّا بالاختصار كما يصنع العامَّة في زماننا فيقولون مثلًا « فضلو وشكري ورزق وعبدو » بدلًا عن « فضل الله وشكر الله ورزق الله وعبد الله »

١) راجع المجلَّة الفرنسية : Revue Egyptol., 4e vol. fasc. 1 et 2

فينتج من ذكر بني يعقوب ويوسف في جملة الاسرى الذين جلاهم تحوتمس من بلادهم انَّ قسماً من العبرانيين كانوا طُردوا من ارض مصر مع شعب الهيكسوس فسكنوا بلاد كنعان وتحالفوا مع الكنعانيين لمقاومة الفرعون فدارت عليهم رحى الحرب وأُتي بهم اسرى مقهورين الى ثيبة . ومنذ ذلك الوقت تثاقل على ظهر بني يعقوب ويوسف وقرُ العبودية الشاقّة فعاملهم المصريُّون معاملةً سيئةً بلا رحمة ولا شفقة . وصاحب سفر الخروج يفتتح كتابهُ بوصف القوم في رقّ عبوديتهم . وفي الملخص الذي قدّمناهُ يجد القارئ اللبيب سياق الاخبار ويفهم ما يوجد بين السفرين من الموافقة وان سكت صاحبهما عن امور كثيرة وقعت في الزمان الفاصل بين آخر تاريخ التكوين واوَّل تاريخ الخروج

٣

وممَّا يخبر في سفر الخروج انَّ الملك المتولي الامر في ذلك العهد اضطرّ العبرانيّين ان يشتغلوا اللبن ويبنوا لهُ المدينتين المعروفتين برعمسيس وفيثوم . وفي تلك الأيام كانت ولادة موسى . ولمَّا بلغ أشدَّهُ قتل مصريًّا اعتسف احد بني جلدتهِ (خروج ٢ : ١٢) فبلغ الخبر الى مسامع فرعون فطلبهُ الملك ليقتلهُ الَّا انَّ موسى كان نجا بنفسهِ عند حميهِ يَترو في بريّة مدين . قال الكتاب الكريم (خر ٢ : ٢٣) : « وكان بعد ايامٍ كثيرة انَّ ملك مصر مات » فامر الله موسى ان يعود الى مصر ليخلّص شعبهُ . فيُستدلّ من هذا الكلام ان نجاة الاسرائيليين جرت في ايَّام خلَف الفرعون السابق لانَّ الربّ قال لنبيّهِ (خر ٤ : ١٩ و٧ : ٧) : « امضِ فارجع الى مصر فانَّهُ قد مات جميع القوم الذين يطلبون نفسك . . وكان موسى اذ ذاك ابن ثمانين سنة »

نقول انَّ هذه الآيات الكريمة لا تنطبق تاريخيًّا سوى على رعمسيس الثاني فان اعمالهُ المرويّة في الآثار القديمة تناسب اتمّ المناسبة ما ورد في سفر الخروج . والدليل الاوَّل على ذلك ما وُجد في الكتابات المصريّة انَّ رعمسيس الثاني هو الذي امر ببناية المدينتين المذكورتين في الاسفار الالهية اعني رعمسيس وفيثوم . ولو لم يكن غير هذا الدليل على مُعاصَرة رعمسيس الثاني والعبرانيين لكفى بذلك برهانًا دامغًا لمراغم الجاحدين

والدليل الثاني على ان رعمسيس هذا هو فرعون موسى الذي هرب منهُ النبيّ انّ هذا الملك كما ورد في الآثار المصريّة جلس على منصّة المُلك ٦٧ سنة وكذلك افصح

الكتاب الكريم عن طول ملك الفرعون لانّ موسى قضى اربعين سنة في ارض مدين قبل ان يعود الى مصر لاجل وفاة طالب قتلهِ

ودونك دليلاً ثالثاً ذا خطارة كبرى لإثبات غايتنا. لمّا كان العلاّمة ماريت بك في تانيس سنة ١٨٦٤ اسعدهُ الحظّ على وجود نُصب جاء فيهِ كتابة تاريخها سنة ٤٠٠ (١ فهذا النُصب يرتقي الى عهد رعمسيس الثاني وهو يمثّل ذلك الفرعون منتصباً امام بعض آلهة مصر يقدّم لهُ التقادم. فحضرة الاب دي كارا اليسوعي العالم الشهير قد بيّن في مجلّة التمدُّن الكاثوليكي (٢ انّ الاله المصوَّر في هذا النُصب انّما هو الاله «سِتْ رَنْهپو» امّا التاريخ الوارد في اوّل الكتاب فجاء على هذه الصورة: «في السنة ٤٠٠ الرابع من مَسُري ملك الصعيد ومصر السفلى | ست آ آ پهتي | ابن الشمس الخ . . .» قال الاب دي كارا: انّ هذه السنة ٤٠٠ تدلّ على تاريخ مقرّر وابتداء هذا التاريخ هو السنة التي بها اتُخذ الاله «سِتْ رَنْهپو» كاله الصعيد ومصر السُفلى معاً. هذا وتعلمنا الآثار المصريّة انّ عبادة هذا الالهُ نشأت في مصر على عهد الملك ابوفيس فرعون يوسف السابق ذكرهُ. فانتشرت بين المصريين عبادتهُ وكان رعمسيس الثاني يجلُّهُ ويكرمهُ حتى اقام لهُ في تلّ البسطة معبدًا. فيلوح اذن من تاريخ هذا النصب انّ بين فرعون يوسف ابوفيس ورعمسيس الثاني ٤٠٠ الى ٤٣٠ سنة. وهذه السنين هي نفس السنوات التي ذكرها الكتاب المقدّس لطول اقامة العبرانيين في مصر (راجع سفر التكوين ١٥: ١٣ وسفر الخروج ١٢: ٤٠) (٣. فيتَّضح جليًا انّ الفرعون المعاصر لموسى هو رعمسيس المذكور

وهنا يليق بنا ان نزيد برهانًا آخر على ما سبق وهو اكتشاف اسم وآثار ابنة فرعون التي نجّت موسى الطفل من الغَرَق. وقد ذكر المشرق (ص ٥٨٦ و٥٨٧) تقليد الربّيين في خصوص اسمها «بت يا» ويظهر ان هذا الاسم هو الذي ورد في الكتاب الاوّل من اخبار الايّام (ف ٤ع١٨) حيث يعدّد السفر الكريم اسماء «بني بِثْيَة بنت فِرْعون».

---

١) وهذا النصْب يُعرف اليوم عند العلماء «بنصب سنة ٤٠٠»

٢) Civilta Cattolica, Octobre, 1887 et seqq.

٣) قد ورد في الاسفار الكريمة اختلاف في عدد سني اقامة بني اسرائيل في مصر. فان سفر الخروج (وكذا غلطية ٣: ١٧) ذكر ٤٣٠ سنة وسفري التكوين والاعمال ٤٠٠ سنة. وقد علّل هذا الاختلاف باسباب شتّى صوابيّة يطول شرحها. والظاهر انّ العدد ٤٠٠ اجماليٌّ لم يُردْ بهِ التدقيق (المشرق)

وفي الترجمة السبعينيــة قد جاء على صورة « Βεϑια » واننا نوافق حضرة الاب جوون فيما كتبهُ عن توحيد اسم « بت يا » و « بت أنتا او انت » الذي ورد في الكتابات المصرية . فان هذه الآثار القديمة تثبت انَّ لرعمسيس ثلاثة اولاد خامونيس ومنفتاح وهذه الابنة بت انتا . وكان ابوها يحبُّها حبًّا شديدًا حتى انَّهُ أشركها بالملك مع اخويها . وقد وُجد قبرهــا في وادي الملكات بازاء الاقصر . فأثبت المسيو غروف في جمعيَّة العلماء المصريين (في ٢٥ ك ١ سنة ١٨٩٥ وفي ٦ اذار سنــة ١٨٩٦) ان « بت يا » و« بت أنتا » اسمان يدلَّان على مسمَّاة واحدة . وأيد رأيهُ بما قرأهُ على ناؤوسٍ من الصوَّان الورديّ المجتَّب استجلبــهُ المسيو غاڤيليو من وادي الملكات وفيهِ اسم الاميرة المذكورة (راجع المشرق ص ٥٨٧) . ومن غريب الاتّفاق ان هذا الناووس يحفظهُ الآن المسيو غاڤيليو في بيتهِ في جزيرة الروضة ليس بعيدًا عن المكان الذي أُلقي فــيهِ موسى على النيل في شمالي هذه الجزيرة على مقتضى الاسانيد القديمة

٤

قد مرَّ انَّ الفرعون الذي في عهدهِ خرج بنو اسرائيل من مصر انَّما هو خلف رعمسيس الثاني . والآثار المصرية تدعو هذا الملك منفتاح وكان الثالث عشر من ابنــاء رعمسيس المذكور . وفي الكتاب الكريم بعض آيات يُشعر ظاهرها بانَّ هذا الفرعون غرق مع جيشهِ في بحر القلزم . الَّا انَّ هذه الاقوال من باب المجاز المُرســل حيث يُعزَى للقائد من الانتصار او الكسرة ما يصحُّ عن الجيش . فــلا يلزم اذن من قول الكتاب انَّ فرعون بنفسهِ قاد الجيش وتعقَّب بني اسرائيل وانَّهُ غرق في البحر . وجثَّتهُ المحنَّطة من جملة ما اكتشفهُ المسيو لُوره في هذه السنة (راجع الجدول السابق ٨٨١)

وقد وجدنا بين الكتابات المصريَّة في متحف الجيزة ما يشير الى خروج بني اسرائيل من مصر اشارةً بيِّنة واضحة . وذلك في النصب المعروف بنُصْب منفتاح اكتشفهُ منذ سنتين المسيو فلندرس پتري بين أطلال هيكل منفتــاح جنوبيّ هيكل رعمسيس المدعوّ (Ramesseum)

وتاريخ هذا النصب السنة الخامسة لملك منفتــاح يصف فيهِ الملك انتصارهُ على شعوب الليبيين . وفي آخر الكتابة بعض اسطر يختلف رسمها عن الاسطر العليا وكاتبها غير كاتب القسم الاوَّل . وفي هذه الاسطر الاخيرة ذكر انتصار منفتاح على يانوم وعلى سوريَة

ورد لاوّل مرَّة اسم اسرائيل كما رُوِي في المشرق (راجع المشرق ص ٥٨٦) في عبارة تؤذن بما في قلب صاحبها من البُغض للعبرانيين وسروره برحيلهم عن ارض مصر. والعبارة المذكورة هي: «انَّ اسرائيل صار عقيماً ولا يعود يأتي بعقبٍ». فانّ هذه الفقرة الواردة في اثر كتابة خُصَّت بمديح فرعون وذكر فتوحاتهِ تدلُّ على انَّ صاحبها يرغب بتعظيم مليكهِ. فانّهُ يعتبر خروج بني اسرائيل من ارض مصر كظفرٍ فاز بهِ المصريُّون على اعدائهم العبرانيين رغماً عمَّا لحق بهم من الخسارة بغرق جيوشهم. ولذلك كتب هذا الكاتب فَرِحاً «انّ اسرائيل صار عقيماً» يلمع بذلك الى تكاثر بني اسرائيل ونموّهم العجيب في ارض مصر سابقاً. وقولهُ «فلا يعود يأتي بعقب» يريد بهِ انّ بنى اسرائيل لا يعودون يجلبون البلايا والضربات على المصريين ولا يدنّسون بلادهم بوجودهم فيها. فهذا رأْينا في هذه الفقرة الاخيرة وليست كما زعم البعض اشارة الى انتصار منفتاح على العبرانيين في ارض كنعان

ولنختم كلامنا باستلفات نظر القرّاء الى اثر مصريّ آخر يُحفَظ اليوم في متحف برلين وهو تمثال عظيم للملك منفتاح يبهر نظر الداخلين لاوّل وهلةٍ. وقد مُثّل مع الملك ابنهُ البكر وكان جعلهُ شريكاً لملكهِ كما يُستدلّ على ذلك بالتاج الملكيّ الذي على رأسهِ ولقبهِ الملكيّ «اباشِپس». وهو يدعى ايضاً في الكتابة المرقومة على التمثال باسم منفتاح كابيهِ. لكنَّهُ قد أُتبع اسمُهُ بوصف «خروما» معناهُ «المبرَّر» او «السعيد» وهو وصف مخصوص بالموتى. قال المسيو لوث (Lauth): «لا يشطُّ في يقينهِ من يرتأي انَّ هذا الامير الشابّ المتوفَّى قبل ابيهِ هو ابن فرعون الذي ورد ذكرهُ في سفر الخروج (٤: ٢٣) حيث يقول الربّ: «قل لفرعون. أطلق عبدي ليعبدني وان أبيتَ ان تُطلِقَهُ فهاءنذا قاتل ابنك البكر» وقد حقَّق الله وعيدهُ بالفعل كما جاء (خروج ١١: ٥): «كذا قال الربّ اني نحو نصف الليل اجتاز في وسط مصر فيموت كلّ بكر في ارض مصر من بكر فرعون الجالس على عرشهِ الى بكر الأَمة التي وراء الرَّحى»

(قُلنا) قد صدق المسيو لوث في قولهِ هذا عن ابن فرعون. ونحن ايضاً نقول انَّهُ لا يشطّ في يقينهِ من يعتقد ما اثبتناهُ سابقاً ان الفرعون الذي ذُكرت اعمالهُ السيئة نحو اسرائيل في بدء سفر الخروج هو هو رعمسيس الثاني اي سيسوستريس الكبير وان الشعب

العبرانيّ تخلّص من رق عبوديّة المصريين في ايّام ابنهِ منفتاح. وكان ذلك نحو سنة ١٣٥٠ قبل المسيح

وبعد نجاة اسرائيل من مخاليب مصر انفصمت العلائق بين شعب الله والفراعنة مدّة سنين عديدة

الهواء الجوّي وميزان ضغطهِ (البارومتر)

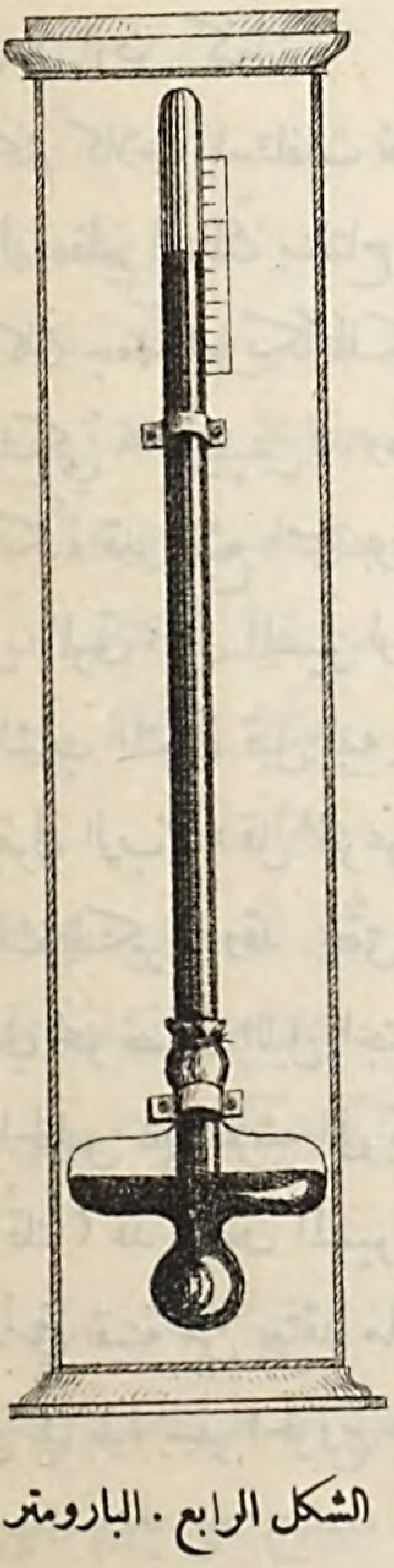
للاب غدفريد زُموفن اليسوعي مدرّس الطبيعيّات في كليّة القديس يوسف

(تتمَّة)

للباوومتر ثلاث فوائد سنبسط الكلام عنها: الاولى قياس ضغط الهواء الجوّي وثقلهِ. الثانية الاستدلال على تغيُّر احوال الجوّ. الثالثة تعريف علوّ الجبال

١ قياس ضغط الهواء الجوّي

اذا ما امعنَّا النظر في حقيقـة البارومتر وجدنا انَّهُ والميزانَ سواءٌ بيد انَّهُ يفضل كلَّ الموازين العاديَّة من حيث الشعور لانهُ يُبدي للعيان التقلُّبات الطارئة على ثقل الهواء ولو كانت نهايةً في الدقَّة. فان لحظتَ مثلًا بارومتر الزئبق وجدتَ انّ ضغط الجوّ على سطح الزئبق في الوعاء سواءٌ ثقل الهواء او خفَّ يناسبُهُ ارتفاع الزئبق او هبوطهُ في خزانة الانبوب المفرَّغة (راجع الشكل الرابع). وكذلك البارومتر المعدني فانَّ ثقل الهواء وخفّتهُ يدلُّ عليهما العقرب بسيرهِ على يمين المينا او شمالها على حسب ما يضغط الهواء الصفيحةَ المعدنية الموصوفة سابقًا او يخفُّ ضغطهُ عنها



الشكل الرابع. البارومتر العاديّ

ثمّ اعلم انَّ من يرصـد البارومتر في مكان واحد مدَّة ايَّام متتابعة لا يلبث ان يلحظ فيـهِ اختلافاتٍ

عديدة في سعتـــهِ ومعدَّل هذا الاختلاف بين معظم ارتفاعهِ ونهاية انخفاضهِ يزداد كلما سرتَ من خطّ الاستواء الى الاقطار القطبية . وهذه الاختلافات على صنفين منها عرَضيّة غير قياسية سببُها امّا الحرارة وامّا الرطوبة او هبوب الرياح . وهذه الطوارئ كثيرًا ما نحسُّ في بلادنا هذه بفاعيلها . ومنها يومية قياسية يمكن رصدها قانونيًّا في ساعاتٍ معلومة من النهار في البـلاد الواقعة تحت خطّ الاستواء . امّا ساعات معظم الاختلافات اليومية او اقلّها فلا يطرأُ عليها تغيير في كل البلاد على اختلاف مناخها وأعراضها اللهمَّ الّا في بعض فصول السنة

١ اختلافات البارومتر العرضيَّة

١ (فعل الحرارة) . لو كانت حرارة الهواء ثابتة لا تختلف في كلّ طبقات الجوّ لَما حدث فيهِ مجرًى وتموُّج ولبقي ضغط الهواء في العلوّ ذاتهِ متساويًا في كلّ انحاء المعمور ولكن الامر بخلاف ذلك فربَّما حمي قسمٌ من الجوّ اكثر من الآخر فيمتدّ هواؤُهُ ويتخلخل ويتصاعد الى طبقات الجوّ العُليا وَفقًا لخفَّتهِ . فيحصل من ثمَّ خفَّة في ضغط الهواء وهبوط في البارومتر . ولو افترضنا ان حرارة الجوّ تبقى ثابتة في بعض انحائهِ وانَّ الجهات التي تجاور هذا الموضع تبردُ لحصل فيهِ ايضًا المفعول ذاتهُ لانَّ هواء ذلك الموضع يتخلخل ويمتـدّ الى الطبقات الباردة . فنخذها اذن قاعدة مطّردة انّ الهواء لا تهبط درجة حرارتهِ هبوطًا ذا شأن في بعض انحاء الكرة الارضيَّة حتى يوازيهُ في طبقة اخرى من الجوّ ارتفاع في الحرارة

٢ (فعل الرطوبة) . وللرطوبة تأثير في ارتفاع البارومتر وذلك ان بخار الماء يمتزج بالهواء فيزيدهُ ثقلًا ولو كان اخفّ من الهواء . فينتج من ذلك زيادة في ضغط الهواء على سطح الزئبق وارتفـاع عمودهِ . ولامتزاج البخار بالهواء مفعول ثانٍ يخالف المفعول الاوَّل وهو انَّهُ يزيد مرونة الهواء فتحدث فيهِ لهذا السبب حركة وينحرف يمينًا وشمالًا فيخفّ بامتدادهِ ضغط الجوّ ويهبط المقياس . فللرطوبة اذًا فعلان فعلٌ عَرَضيّ موقَّت يُصعد الزئبق في البارومتر وفعل نهائيّ يُهبطهُ

٣ (فعل الريح) . انَّ الريح عادةً تخفّف ضغط الهواء وكلّما زادت هبوبًا خفّ ثقل الضغط الجوّي اللهمَّ اذا لم يطرأ طارئٌ آخر يزيد الهواء ثقلًا . امّا سبب هذه الخفَّة عند هبوب الريح فلأنَّ مجراها يُبطل نوعًا ما ضغط طبقات الهواء العليا فيتناقص مجموع

الثقل الجوّي. وعليهِ يصحّ القول ان اشتداد هبوب الريح وسرعة مجراهُ يسببان تخفيفًا في ضغط الهواء. فاذا كان اديم السماء صافيًا وارتفع البارومتر فذلك دليل على انَّهُ لا تهبُّ ريحٌ شديدة في طبقات الجوّ السفلى. امَّا اذا هبط الميزان فهبوطهُ يدلّ على وجود ريحٍ مختلفة الشدّة في تلك الطبقات ولعلّها تنحدر الى حيث يرصد الراصد ميزانَ ضغط الهواء فيُشعَر بها

٢ اختلافات البارومتر القياسيَّة

ما خلا هذه الاختلافات العرضيّة الذي سبق عنهـا الكلام يحدث في البارومتر اختلافات اخرى قياسية يومية وهي ناتجة عن تمدُّد الهواء وتقلُّصـهِ في فصول السنة من جرَّاء سخونة الشمس وتأثيرها في الجوّ. ولا تخلو الاقاليم المعتدلة نفسها من هذه الاختلافات اليومية لكنها تختلط بالاختلافات العرضية المتواترة فالتمييز بينهما ليس بامرٍ سهل

ولكن ثبت بالاختبار انَّ البارومتر يرتفع ويهبط كلّ يومٍ مرَّتين. فيصعد اوَّلًا الى معظم ارتفاعهِ صباحًا من الساعة التاسعة (افرنجية) الى الساعة العاشرة. ثم يهبط شيئًا فشيئًا الى ان يبلغ معظم هبوطهِ بين الساعة الثالثة والخامسة مساء. ثم يعود الى الارتفاع فيبلغ معظمهُ بين الساعة العاشرة والحادية عشرة. ثم يهبط ثانيةً فيتناهى هبوطهُ بين الساعة الثالثة والرابعة. وعليهِ فانَّ للبارومتر معظمَيْ ارتفاعٍ ومعظمَيْ هبوط يُستدَلّ عليهما بصعود الزئبق في المقياس او هبوطهِ. وهذه الاختلافات البارومتريَّة عند خطّ الاستواء اكثر قياسًا منها في غيرها من البلاد. وسعة هذه الحركة تتناقص على قدر ابتعادك من خطّ الاستواء او دائرتي الانقلاب الى ان تبلغ الدرجة ٥٤ عرضًا فلا يبقى لها أثر لان عظم الاختلافات العرضيَّة واشتداد شططها واتساعها تغلب عليها وتحجبها

٢ الاستدلال على تغيُّر احوال الجوّ

قد رأيت في ما سبق انَّ الرطوبة ولا سيَّما وِجْهَـة الريح تسببان اختلافات البارومتر العرضية. ولمَّا كانت علاقة كبيرة بين هاتين العلّتين وصحو الجوّ او اعتكارهِ ربَّما رُصد البارومتر لمعرفة ما تصير اليهِ حالة الجوّ في الايَّام المقبلة أتكون السماء صاحية ام لا

وهنا ملاحظة مهمَّة لا بُدَّ من تكرارها وهو انَّ غاية البارومتر الاولى انما هي معرفة ضغط الهواء وثقلهِ وانَّ ارتفاع الزئبق وهبوطهُ ينتجان عن زيادة هذا الثقل او نقصانه.

فاذا كان التغيُّر الطارئ على حالة الجوّ يتّفق في اغلب الاحيان مع اختلاف ضغط الهواء فليس هذا الاتّفاق امرًا واجبًا لازبًا

فانَّ من رصدوا البارومتر في اوربَّة عاينوا ارتفاع الزئبق في المقياس وقت الصّحو وهبوطهُ في اوقات المطر. وعلّلوا النسبة بين حالة الجوّ ودلائل البارومتر بأن قالوا ان الريح الحارَّة اذا ما هبَّت بعد ريح باردة أتت بكمّية من الهواء المتخلخل وهو اقلّ ثقلًا من الهواء البارد عند تساويهما في المرونة فيهبط لذلك الزئبق. واذا عقبت بخلاف ذلك ريحٌ باردة ريحًا حارَّة ارتفع. والحاصل انَّ المقياس يهبط في اوربَّة اذا عصفت الريح الجنوبية او الريح الجنوبية الغربية ويتصاعد عند هبوب الريح الشمالية او الشمالية الشرقية

والريحان الأُوليان تأتيان في الغالب بالمطر لمرورهما فوق بحر الاوقيانوس الاتلانتيكي فتتشرَّبان لذلك رطوبةً واذا دنتا من بلادٍ باردة تقلَّصت أبخرتهما وانحدرت مطرًا. اما الريحان الأُخريان فهما ناشفتان باردتان تأتيان بالصحو. لكنَّ هذه الاحوال لا تصحُّ الّا في اوربَّة الغربية لما هي عليهِ من الموقع الجغرافي اما غيرها من البلاد فتختلف احوالها على اختلاف موقعها. مثال ذلك انَّ الرياح الحارَّة التي تهبُّ في هولندة الجديدة من جهة البرّ تأتي بالجفاف وتُهبط البارومتر. وترى هذا المقياس يرتفع على ضفَّة نهر البلاتا عند هبوب الريح الشرقية وهي هناك الريح المُمطِرة

ومع ما سبق ذكرهُ قد استند الطبيعيُّون الى أرصاد عديدة قابلوا فيها بين ارتفاع البارومتر وحالة الجوّ واثبتوا انَّ من خواصّ البارومتر تعريفَ الوقت سلفًا من حيث الصحو او المطر وذلك ترجيحًا لا حتمًا. وعليهِ فقد كتبوا عند تقاسيم مقياس البارومتر الفاظًا تدلُّ على حالة الجوّ على الترتيب الآتي فانَّهم يرسمون اوَّلًا لفظة «متقلّب» (variable) عند التقسيم الـ ٧٥٨ مليمترًا من تقاسيم البارومتر ثم يكتبون بعد كلّ تسعة ملِمترات تحت الدرجة المذكورة او فوقها في بارومتر الزئبق وشمالًا او يمينًا في البارومتر المعدني احدى الدلالات الآتية : مطر او ريح (عند التقسيم المرقوم ٧٤٩ مليمترًا) — مطرٌ جَودٌ (٧٤٠ مليمترًا) — عاصفة (٧٣١ م) = صَحو (٧٦٧) — صحو ثابت (٧٧٦ م) — صَحو بجفاف (٧٨٥ م)

لكنَّ هذه الدلالات على تقلبات الجوّ لا تصحُّ الّا في باريس او لبلاد علوُّها كعلوّ باريس او قريبٌ منهُ. ويجوز ان يقال على وجه العموم ان هذه الدلالات تصدق في المحلّ

الذي لاجلهِ نُظِمت دلالات البارومتر وهي لا تصدق في غيرها من البلدان التى يختلف اعراضها وارتفاعها عن ذلك الموضع

ولادراك ما قلنا فلنفترض ان بارومترًا معدنيًا نُقِل من باريس حيث كان عقربهُ يدلُّ على التقسيم اا ٧٦٠ مليمترًا الى ناحيةٍ اخرى علوُّ موقعها ٣٥٠ مترًا فوق علوّ باريس فترى العقرب يدلّ على تقسيمٍ آخر مثلًا ٧٢٥ مليمترًا. واذا كانت السماء رائقةً صافيةً في ذلك الموضع ترى العقرب تحت التقسيم الدالّ على المطر. واذا كان الوقت متقلبًا هبطت الابرة ودلّت على العاصفة. الى غير ذلك من الدلالات الكاذبة المسبّبة عن عدم تروّي الراصدين. ولعلّهم يرون الابرة تدلّ على مطر مستـديم بينما جبينهم ينضح عرَقًا من شدَّة حرارة الشمس الساطعة. وعليهِ فتراهم ينبذون البارومتر ظهريًّا ويلقونهُ حنقًا في زاوية كآلة لا خير فيها ويشتمون مجهّزها وينسبون لمكرهِ وخداعهِ ما يتأَتَّى عن جهلهم وعدم خبرتهم. ولو سخت نفسهم باقتناء بارومتر آخر لما وجدوا دواء لدائهم فهم ابدًا مغرورون بدلالاتهِ يؤدّي بهم غضبهم الى ان يلعنوا البارومتر وواضعهُ والمستشير بهِ

ولقائلٍ ان يقول انَّ ذلك فتقٌ يمكن رتقهُ وخللٌ يسهل اصلاحهُ اذ يكفي ان تُزاح الابرة عن موضعها فتُقدَّم يمينًا او تؤخَّر شمالًا الى ان توافق دلالتها على حالة الجوّ

(قلنا) انَّ في ذلك شططًا ولا يمكن ضبط البارومتر على هذه الطريقة وذلك لانَّ سعة الاختلافات البارومتريَّة ليست هي ثابتةً متساويةً في كلّ الانحاء بل تختلف اختلافًا يُذكر في كلّ بلدةٍ. فاذا اختلفت اعراض البلاد كان اختلاف هذه السعة مهمًّا ويقلُّ هذا الاختلاف اذا اختلفت اطوال البلاد. امَّا ارتفاع البلاد فيكون سببًا قويًّا للاختلاف المذكور. مثال ذلك ان سعة حركة الابرة يبلغ في باريس ٤٠ مليمترًا بين دلالتهـا على العاصفة (٧٣٠ مليمترًا) ودلالتها على الصحو الثابت (٧٧٠م). فاذا اقتربتَ من اسبانية وجدت ان سعة سَيْر الابرة بين الصحو والعاصفة لا يتجاوز الثلاثين مليمترًا. فاذن لو غيَّرتَ موقع الابرة لما صحَّت دلالتُها لانَّ حركتهـا يمينًا او شمالًا لا توافق مطلقًا الدلالاتِ التي وُضعت لاجلها في باريس وتكون ايضًا الدلالات كاذبةً حتى مع هذا التغيير. ومن اراد تصليح آلتهِ يُقتضى عليهِ ان يمحو الالفاظ الدالَّة على حالة الجوّ ويرسمها ثانية ويقرّبها او يبعدها على حسب البلد الذي هو فيهِ. واذا انتقل الى محلّ آخر يُقتضى عليهِ ايضًا تغيير موضع هذه الدلالات في الآلة وهلمَّ جرًّا

ولعلّ القارئ يسألنا أليس اذًا دواءٌ لهذا الداء او لا يمكن الانتفاع بالبارومتر في غير المكان الذي جهّز به

(نجيب) ليس الامر كذلك والبارومتر يصلح حقيقةً لتعريف الوقت المقبل بشرط ان لا يُبالي الراصد بالالفاظ المطبوعة الدالّة على المطر او الصحو الى غير ذلك من الدلالات الكاذبة التي لا تطابق واقع الحال

واعلم انَّ ما يدلُّ على وقوع التقلُّبات في الجوّ ليس هو صعود البارومتر لانَّ هذا التصاعد يتوقَّف خصوصًا على علوّ البلد فوق سطح البحر فبقدر ما ترتقي الى الجبال يزيد مقياس ضغط الهواء هبوطًا. واذا انحدرتَ الى شاطئ البحر او نزلت في سربٍ عميق فترى هذا المقياس مرتفعًا. امَّا الذي يُقتضى رصدُهُ للوقوف على حالة الجوّ انَّما هي حركات الزئبق في هبوطهِ او صعودهِ في مقياس الزئبق او حركات الابرة يمينًا او شمالًا في البارومتر المعدني. والسبب لذلك انَّ هذه الحركات العرضيّة تحصل من مرور طبقات من الهواء الرطب او الناشف على مقربةٍ منّا فوجود هذه مجاري الهواء تُؤذن بقرب وقوع المطر او بالجفاف. فلا بُدَّ اذًا من رصدها لنوال الغاية المبتغاة (١

ومن اراد ان يقف على معرفة قرب تغيير الوقت ينبغي عليهِ فضلًا عن معاينة ارتفاع الزئبق حالًا ان يفحص كيف اختلف قبلًا ارتفاعهُ وكيف علا الزئبق في الانبوب او تحركت الابرة على المينا من حيث البطء او السرعة

فاذا صعد البارومتر او هبط على طريقة بطيئة وقياس ثابت مدَّة يومين او ثلاثة فدلالتهُ على تغيير حالة الجوّ تكون في اغلب الاحيان صادقةً او ذات ارجحية عظيمة. امَّا حركات البارومتر السريعة فاكثر ما تدلّ على قرب تغيُّر في حالة الجوّ فاذا هبط الزئبق سريعًا فالمطر على وشك النزول واذا بالغت سرعتهُ في هبوطهِ فلا مناص من العاصفة والرياح الشديدة. وبقدر ما تكون سرعة هبوط البارومتر تزيد ايضًا شدَّة الاختلافات الجويّة. اما مدَّة دوام حالة الجوّ الممطرة فهي تزيد على قدر ثبات البارومتر وبُطئهِ في هبوطهِ

ولا تظنّ انَّ الصحو قريب اذا رأيت البارومتر يرتفع بسرعة كلّية فانَّ سرعتهُ هذه بالاحرى دليل على انَّ المطر سيعود في اليوم التالي. أجل ان البارومتر في ارتفاعهِ اسرع منهُ في هبوطهِ لكنَّ هذه السرعة تختلف فتكون تارةً ازيد وتارة اقلّ

١) راجع De Parville : *Causeries scientifiques*, 1873

والنتيجة ممَّا سبق انَّ كيفية حركات البارومتر اليومية او السويعية السابقة من شأنها وحدها ان تفيدنا ما سيطرأ على الجوّ من التغيُّرات والتقلُّبات

٣ تعريف علوّ الجبال

قلنا انَّ للبارومتر فائدةً ثالثة وهي تعريفهُ لعلو الجبال . ولا يخفى انَّ علوَّ المحلّ هو ارتفاعهُ عموديًا فوق سطح البحر . هذا وقد سبق انَّ ما يُصعِد الزئبق في المقياس انما هو ثقل الهواء وضغطهُ فاذا صعدت في الجوّ ترى عمود الزئبق يهبط على قدر ارتفاعك وذلك لانهُ يُبطل ثقل طبقات الهواء السفلية فيخفُّ بذلك مجموع ثقل الجوّ وينخفض البارومتر

واعلم انهُ لو كانت كثافة الهواء لا تختلف في كلّ طبقات الجوّ لدلَّنا الحساب بطريقة سهلة على قياس علوّ كلّ مكان بمعاينة قدر هبوط الزئبق في المقياس . لأنَّنا نعرف انَّ الهواء اقلّ كثافةً من الزئبق بنحو ١٠٥٠٠ مرَّة . فاذا وجدنا مثلًا انَّ البارومتر هبط مِلّيمترًا فذلك يدلُّ على ان عمود الهواء الجوّي الموازي لعمود الزئبق قد نقص ١٠٥٠٠ مرَّة اعني يجب ان يُضرَب الملّيمتر بهذا العدد فالحاصل عشرة امتار وخمسة دسيمترات . واذا رأيت انَّ عمود الزئبق هبط ملّيمترين او ثلاثة ملّيمترات او اربعة اضربها بالعدد السابق فتجد ان العلوّ يكون مرَّتين او ثلاث مرَّات او اربع مرَّة عشرة امتار خمسة دسيمترات وهلمَّ جرًّا

ولكن كثافة الهواء تخفُّ بقدر ارتفاعك في الجوّ فلا يصحُّ الحساب السابق الَّا في الاماكن القليلة العلوّ

واذا كانت الخطوط العموديَّة بين موضعين متقاربة فالأَولى ان يُرصد الموضعان في وقت واحد لئلاَّ يقع في الرصد اختلافات عرضية فيقوم راصدان واحد في حضيض الجبل والثاني في قمتهِ فيرصدان المقياس في وقت واحد وبمعاينة الاختلاف الموجود بين ارتفاع عمود الزئبق في الآلتين يمكنهما معرفة علوّ ذلك الموضع

واذا صار الرصد في ساعات مختلفة فينبغي لضبط القياس ان يعود الراصد الى الموضع الذي بدأ فيهِ الرصد ليتحقَّق انَّ ضغط الهواء لم يتغيَّر . فاذا وجدهُ مختلفًا لا بُدَّ من تكرير الرصد ثانيةً

وقد استخرج الفلكيّ الشهير لاپلاس عبارةً جبريَّة عمومية يوقف حلُّها على ارتفاع ايِّ

موضع كان ضبط تامّ لا يكاد يغلط فيهِ مترًا واحدًا وقد اعتنى بعبارتهِ (عمليّتهِ) هذه ألّا يدع شيئًا من الاسباب التي تحدث تغييرًا في كثافة الهواء. والعبارة كما يأتي:

(ك = ١٨٣٩٣ مترًا (١ + ٠,٠٠٢٨٣٧ سهم ٢ ع) (١ + ٢ (حَ + ح) / ١٠٠٠) لوغرثم رَ / ر)

ك = الفرق بين علوّ موضعيّ الرصد

ع = عرض المحلّ

ح ر = حرارة وارتفاع المقام الاسفل

حَ رَ = حرارة وارتفاع المقام الاعلى

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

وقد وجدتُ منشورًا من الملك الاشرف خليل بن قلاوون «باسم ناصر الدين الُحسين وشهاب الدين احمد ابن عمهِ حجّي المستجدّين في الخدمة في الحَلْقة الشاميّة (١)» والجهات المذكورة في المنشور قدرون ورمطون وطردلا وعين كسور (٢ يُرجع بذلك ما كان اخذهُ عثمان في ايّام الملك المنصور قلاوون. وتاريخ المنشور اليوم الثالث من ربيع الاوّل سنة احدى وتسعين وستمائة (١٢٩٢ م). والظاهر لنا انّ هذا اوّل منشور كُتب باسم المذكورين لانهُ قال في المنشور انهما «مستجدّان بالخدمة وخاصّتهما ثلاثة طواشيّة (٣»

وامّا ناصر الدين فقد كُتِب لهُ منشوران بالإمرة وكلاهما من الملك الناصر محمد بن قلاوون. (الاوّل) لمّا اخذ الإمرة عن شمس الدين كرامة بن بحتر بعد وفاتهِ وكانت خاصّتهُ

١) الحلقة الفرقة من الجند يقومون بحراسة السلطان او الامراء الكبار

٢) مرّ ذكر هذه القرى

٣) قال المقريزي في الخطط: الخدّام الملوكيّة يُعْرَفون اليوم في الدولة التركيّة بالطواشية احدهم طواشي وهذه لفظة تركيّة اصلها بلغتهم طابوشي فتلاعبت بها العامة وقالت طواشيّ وهو الخصيّ. (اه). وكانت امرة الطواشيّة من رُتب دولة الجراكسة في مصر

عشرة طواشيّة. وجهات المنشور عرامون ومزارعها وحير شالا (١ وكيفون (٢ وبيصور وثلث عين عنوب وثلث كفرعَميهْ وثلث بتاثر. ومرتعون (٣ ومن الفريديس (٤ فدّان وثلث عين عيناب وثلث قطع ارض من العمروسيّة (٥ وبركة شطرا (٦ ومغدلا (٧ وثلث المُلك بخلدا. تاريخهُ تاسع صفر سنة سبع وسبعمائة (١٣٠٧ م)

امّا (المنشور الثاني) فكُتب سنة دوك (٨ علاء الدين بن معبد وتغيير احوال الاقطاعات فحصل للسلف تعب (41^r) وسَعْي زائد حتى ابقوا اقطاعهم على حالهِ لم يبدلوهُ بغيرهِ كما جرى للناس جميعًا فكُتِبت للسلف مناشير جُدُد باقطاعاتهم القديمة لم يبدلوا منها جهةً واحدة سوى أنهم زادوا عدَّة الجُند وزادوا في غيرهِ الاقطاع. فالمنشور الثاني الذي كتب لناصر الدين يذكر فيهِ تمييز العبرة (٩ وزيادتها فجعلوا خاصَّتهُ اثنين وعشرين طواشيًا وكانوا عشرة قبل الدوك كما ذكرنا. وأمَّا جهات المنشور فلم تتغيَّر. وتاريخهُ في الرابع من جمادى الاولى سنة اربع عشرة وسبعمائة (١٣١٤). وجهات هذا الاقطاع كانت بيد جمال الدين حجي بن نجم الدين محمد. وانقلبت الى زين الدين ابن عليّ ثم الى اولادهِ ثمَّ الى شمس الدين كرامة بن بحتر ولد ولدهِ الذي اخذهُ عنهُ ناصر الدين الحسين. ويجب ان نذكر لمعًا من اخبار اقطاع السَّلَف الى زمن الدوك المذكور. كان السلَف قديمًا واضعين ايديهم عليها وكتِب لهم بها مناشير من الملوك كما ذكرنا (١٠ فما زالوا على ذلك

١) كذا في الاصل «حير شالا» وقد مرَّت كتابتها «حبر شالا» اما صاحب اخبار الاعيان فرواها (ص ٢٣٣) «حير وبشالا»

٢) كيفون من قرى الغرب الاعلى العامرة الى يومنا وهي بالقرب من عيتات

٣) لم نعرف موقعها. وفي كتاب اخبار الاعيان (ص ٢٣٣) كتبها: مرتغون

٤) الفُرَيديس من اقليم العرقوب

٥) سبق انّها من اراضي الشويفات (ص ٢٦٣)

٦) افادنا جناب رشيد افندي الشرتوني انَّ بركة شطرا مزرعة قريبة من بيصور ما بينها و بين مجدليًا

٧) في الاصل «معدلا» والصواب كما روينا (راجع اخبار الاعيان ص ٢٣٣)

٨) الدوك هو تعريف سعة الاراضي وتثمينها (cadastre)

٩) يظهر من سياق المعنى ان العبرة كالاقطاع (apanage) او تخمين الحاصلات وبهذا المعنى وردت في تأريخ المماليك للمقريزي

١٠) جاء في الاصل ما نصُّهُ: «حاشية. قلت وربَّما كان السلف المتقدمون قد وضعوا قديمًا

الى سنة تسع وثمانين (١٢٩٠ م) في ايَّام المنصور قلاوون حيث فُصِّل بنو تغلب من مشغرا (١ على الجبلية بصيداء وبيروت فاخرجوا ما بايديهم من الاملاك والاقطاعات المحلّقة بطرابلس عند فتوحها. ومن جملة ذلك اقطاعات السلَف. وكان الاغلب عليها انَّهم تملَّكوها من عهد بحتر بن عليّ الاوَّل بمحاضر (٢ شرعية مُثبتَة مُنفذَة من قاضٍ الى قاض. والمحاضر موجودة (41^٧) في عهدنا هذا. فلمَّا اخرجها المنصور قلاوون لم يكن لنا عِبْرة ولم يقرَّر عليها عدَّة جند ولا دوك. فلمَّا استرجعوها ايَّام الاشرف خليل بن قلاوون وفي اوائل ايام اخيهِ الناصر محمَّد بن قلاوون جعلوا لها جندًا معلومًا ودركًا ببيروت. واستمرَّ على ذلك الى وقت الدوك سنة ثلاث عشرة وسبعمائة (١٣٢٢م) وهي اوَّل نيابة تنكز في الشام. فلمَّا حضر علاء الدين بن معبد الى بلاد صيداء وبيروت واداكها حصل منهُ جَنَف على الغرب. والدوك يُقتضى منهُ تبديل الاقطاعات ومناقلاتها من مقطعٍ الى آخر فخشي ناصر الدين من ذلك وتوجَّه الى دمشق وسأل ملك الامراء في التوجُّه الى مصر صحبة المتوجّهين بالزول (٣ فاجابهُ الى سؤالهِ

ووقفتُ على كتاب بخطّ ناصر الدين الى ملك الامراء مضمونهُ بعد البسملة الشريفة (٤ : «ان المملوك (٥ الحسين ابن امير الغرب يقبّل الارض وينهي الى مقامكم

ايديهم على البلاد بغير مناشير من قبل سنة عشرين واربعمائة (١٠٢٩م) ولم يتعيَّن لهم مناشير سوى من ايَّام بحتر بن علي الذي بدأنا بذكرهِ وايَّام بنيهِ. وربَّما لم يعرفوا دَرَكًا ولا مثاغرةً ولا عدَّة جندٍ ولم يحرّروا عليهم عبرة اقطاع ولا غيرهُ. ثمَّ في دولة الملك العادل نور الدين جعلوا لهم عدَّة جند كما ذكرنا. وذلك في ايام المنصور قلاوون لمَّا خرجت الاقطاعات فاسترجعها الملك بعدَّة جند ودوك على بيروت. ولمَّا كان الدوك تزايدت العبرة وعدَّة الجند واستقرَّ المُلْك اقطاعًا والله عالم بما خفي وما ظهر وهو على كلّ شيء قدير. ووقفتُ على مراسيم من الملوك المتقدّمين على عهد قلاوون المنصور تتضمَّن انهُ ليس لاحد حقّ في ان يعارض امير الغرب في املاكهِ ولا يغيّر عليهِ عادةً ولا يُحدث عليهم رسمًا سوى ما قرّر عليهم وهو قَدْر قليل لعلهُ قريب سبعمائة درهم تُحمل الى ديوان الشام شبه العشر او حول الاراضي او حكر وكذلك ذكروا في كتب الاملاك وجعلوا على كلّ قرية مبلغًا مقرَّرًا وهو قَدر قليل يحمل الى الديوان المعمور

١) مشغرا من كبار قرى اقليم الشوف البياضي في غربي البقاع

٢) المحضر الصك والسجلّ ٣) كذا في الاصل ولعلَّهُ تصحيف « الدوك » الذي مرَّ شرحهُ

٤) راجع هذا المنشور في تاريخ الاعيان (ص ٢٣٢) وبين النَّصَّين بعض اختلاف كما ترى ٥) لفظة المملوك من الالفاظ المستعملة في الرسائل القديمة ايذانًا بتذلل الكاتب كما يقال في يومنا « العبد والفقير » الخ

ان المملوك واقاربهُ ملتزمون بحفظ ثغر بيروت المحروسة وهم مجتهـدون في خدمة مولانا السلطان خلَّد الله ملكهُ وان غالب اقطاعاتهم التي يضعون الايدي عليها هي من املاكهم الثابتة بالشرع الشريف وهي معهم الآن بعدَّة ثلاثين فارساً وكانت لأُبَّهات (١ المماليك بثلاثة ارماح الى حين أُقطعت املاك الجبلية. ولمَّا رُسِم بكشف البلاد تميَّز فيها الذي كان المماليك يوفرونهُ بسبب الرجال الذين يُساعدونهم على حفظ الثغر. وانَّهُ متى دخلت هذه الاملاك (42^r) في الدوك تهلك المماليك ولا ينتفعون بغيرها لأنَّها مساكنهم وبها رجالهم وعشيرتهم. وسؤالهم من صدقات مولانا ملك الامراء ان يتصدَّق عليهم بمطالعةٍ على يد المملوك الى الابواب الشريفة. ومهما اقتضاهُ رأي مولانا ملك الامراء من إلزامهم بزيادة عدَّة تحملها طاقتهم التزمهُ المماليك وما لهم الَّا الله تعالى ومراحم مولانا ملك الامراء عزَّ نصرهُ أنهي الحالُ والرأيُ اعلى واسمى والحمد لله وحدهُ »

وجواب هذا الكتاب مكتوب في جانب الرسالة السابقة في الهامش وهو: « اذا كملت الاوراق والكشوف ولم يتولَّهـا عائق تُكتَب على يدكم مطالعة بصورة الحال وتتوجَّهون الى الباب الشريف ومهما برز بهِ الامر المطاع يكون الاعتماد عليهِ »

ثمَّ قصد ناصر الدين التوجُّه الى مصر على الساحل. فأَخبر علاء الدين بن معبد نائبَ الشام انَّ امير الغرب توجَّه الى الباب الشريف ليقضي شغلهُ بغير رخصة ملك الامراء. فرسم هذا بابطال توجّه ناصر الدين الى مصر وكتب لهُ مطالعة الى السلطان ذكر فيها قِدَم املاك امراء الغرب فرسم السلطان انَّها تستمرّ بايديهم وانَّ الذي زِيدَ فيها يزاد في عدَّة الجند نظيرهُ. فوجدوهُ النصف فحضرت المناشير بمضاعفة العدَّة وهي اثنان وستون جنديًا (ستأتي البقية)

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل رينو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

وكان ركاب الدرجة الرابعة على الباخرة الافرنسية المدعوة « كونغو » عديدين جدًّا حتى

١) كذا في الاصل ونظنهُ الصواب يريد انَّهم كانوا يتَّخذون هؤلاء الفرسانَ للأبَّهة وشرف الإمرة. وجاء مثل ذلك في تاريخ المقريزي. وقد رُوي في اخبار الاعيان: « وكانت لآبائهم »

كانوا كالبناء المرصوص بعضهم فوق بعض وجميعهم جالسون تحت خيمة من النسيج الغليظ لا تقيهم تغيُّرات الجوّ. فلما نزل فاضل الى الباخرة انخرط في سلكهم وجلس بينهم وكان قد تزوَّد معهُ بعض رؤوس من البندورة الفجّة فاخذ يقطعها بيديهِ ويأكلها مع الخبز. ووقتما اقلعت الباخرة حوَّل نظرهُ الى بيروت فرأى لها من البحر مشهدًا بديعًا يفتن العين كيف لا ودورها البيضاء كانت تبين كصفوف بعضها فوق بعض ونور الشمس الضارب عليها يزيدها جمالًا ورُواءً. ثم تطلَّع الى بعيد فشاهد جبال لبنان والضباب واقفًا على قممها كانهُ يصوغ اكليلًا منيرًا فوق جبالها العالية. وامعن النظر فيها فرأى القرى منبثَّة في جوانبها فاعجبهُ هذا المنظر كثيرًا وقد لمعت لعينيهِ من بعيد قرية غزير وسرَّح الطَّرْف في جونية وأبنيتها الجديدة يعلو فوقها قصر بكركي كرسي البطريركية المارونية ثم بكفيًا وبرمانا وبيت مري وعاليه وغيرها من القرى

وقد مرَّ أنَّ محبة الذهب اعمت بصيرة فاضل فضحَّى من اجلها لذَّة الحياة وسعادة العيشة العائلية وهدوّ الفكر. ولشتَّان بين بيتهِ في القرية على حقارتهِ وبين الباخرة التي كان الركاب فيها بازدحام كلّي وليس منهم من يستطيع ان يتحرك او يتنفس على هواه

ففي بيته كانت لهُ غرفة صغيرة حسنة المنجور ولم يكن الهواء ليدخلها وقت هبوبهِ ولا ينفذ المطر من سقفها لان سطحها كان مرصوصًا جيدًا. امَّا في الباخرة فكانت الريح تتلاعب ايَّما تلاعب بالخيمة التي لجأ تحتها عدد عديد من نساء واولاد وشيوخ وشبَّان. وكان الاولاد يبكون ويصيحون خوفًا من زئير الامواج وقعقعة آلات البخار والأمهات يجمعنَ بعض اسمال ويرقدنَ اطفالهنَّ عليها ناهيك عمَّا تجمَّع في ذاك المحل من الاوساخ والاقذار مدة عشرة ايام وعشر ليال متوالية قضاها الركاب على ظهر السفينة

هذا مع ان الوقت في اواخر تشرين الثاني يكون جيدًا والطقس معتدلاً. فماذا يا ترى كان يحلّ بهم لو سافروا في ايام الشتاء في حين ان المطر يتساقط على تلك الخيمة التي ينفذها الماء وامواج البحر في هياج والريح في زئير. فان فاضلًا رغمًا عمَّا هو متصف بهِ من القوة والعافية قد تندَّى بالعرق البارد واصطكَّت رجلاهُ واصابهُ هدامٌ شديد كاد يخرج قلبهُ من صدره مع ان البحر لم يكن مضطربًا اضطرابًا يُعتدُّ بهِ. ومرَّ في تلك الاثناء احد النوتية فلما سمع شهيقهُ دفعهُ الى طرف المركب

وظلَّ فاضل على هذه الصورة بينما كانت السفينة تواصل مسيرها. ولما وافى الليل

قوي على الانسحاب الى الحصيرة التي كان قد افترشهـا فرقد عليها وهو يتفكر في الفراش الذي كانت تمدُّهُ لهُ والدتهُ كلّ مساء في بيتهِ

ولمّا طلع صباح اليوم التالي رست السفينة تجاه يافا فافاق فاضل متوجعاً متألماً. وبعد هنيهة طلع اليها عدد من اليهود ومعهم كثير من البضائع القدسيَّة واخذوا يعرضونها على المسافرين ليشتروها. وكان مع فاضل ايضاً شيء من هذه البضائع غير انَّهُ كان قد اشتراها من بيروت قاصدًا ان يبيعها في اميركة كأَنَّها صادرة من الارض المقدّسة. فعندها بكتهُ ضميرهُ على الخدعة التي ازمع ان يغشّ بها المسيحيين في العالم الجديد ولكنهُ ما لبث ان اطمأَنّ وصار يحدّث نفسهُ قائلًا اي فرق بين ان تكون البضائع من القدس او من بيروت او ليس ان بيروت قريبة جدًّا من فلسطين بالقياس الى اميركة. وبعد هذا وهذا ألا يسوغ للمرء ان يستعمل الوسائل الكافلة بتحصيل معاشهِ

ولكن يا لشقاء فاضل فانَّهُ كان كلما ابتعد عن بيروت تنطفئ في نفسهِ انوار الشواعر الشريفة والعواطف الحقَّة ولو انهُ نظر وقتئذٍ الى المستقبل نظرة رجل حرّ لكان رجع عمّا هو بصددهِ ولآثر ان يعيش في قريته على ان يتذرَّع الى تحصيل اسباب المعاش بالخديعة

ومرَّ عليهِ ذاك النهار بالضجر والسأم غير انَّهُ لمّا انتهت الباخرة الى بور سعيد واخذت تسير على مهل بين ضفَّتي القناة تمكّن من التجوال على ظهرهـا بسكينة واطمئنان وما مضت مدَّة يسيرة حتى وصلت الى ميـاه الاسكندريَّة وحينئذٍ ساقها مدير السُكَّان في المضيق المؤدي الى الميناء وهناك قبل ان ترسو بل قبل ان يكفّ الدولاب عن الحركة رقي اليها على الحبال جماعة من الحمَّالة خلتهم كقرصان البحر وقتما يهاجمون مركبًا عدوًّا وكان لهم صياح وعياط يشقّ الآذان امّا فاضل فتريّث ريثما هدأَت الحال وعاد النظام الى مجراهُ فركب زورقًا ونزل الى الاسكندريَّة ليتفرَّج في شوارعها ويشاهد بناياتها فأوَّل ما رأى منها شارعان عريضان لم يقع بصرهُ على مثيلين لهما في بيروت

فاخذ يجول فيهما ويتعجب ممَّا ضمّا من المخازن الجميلة التي لم يكن يشبع من التطلع فيها ولذلك كان المارَّة يصدمونهُ في مسيرهِ ولم يكن هو ليرفع نظرهُ منها. ولقـد زاد افتتانهُ وتعاظم عجبهُ ودهشهُ لمّا صار امام القهاوي الكائنة في الساحة المعروفة بساحة رشيد لكونها شبيهة بقصور يتدفق منها الضياء بما فيها من المرائي البلُّوريَّة والصور البديعـة والثُريَّات الانيقة التي تنعكس منها الالوان المختلفة وحينئذٍ بانت لهُ حقارة القهوة المنشأة في

قريتهِ حيث كان يجلس احيانًا ليتناول كأسًا من العرق. وبعد ان تردَّد طويلًا دخل احدى تلك القهاوي وجلس فيها الى جانب احدى الطاولات فما وقعت اعين الجالسين هناك عليهِ حتى عرفوا من هيئته انهُ مبهوت وأخذوا يضحكون عليهِ في سرّهم

وما طال الامر حتى وفد عليهِ خادم حسن اللباس نظيفهُ فقام لهُ فاضل فهمَّ الخادم بالضحك ولكنهُ امسك نفسَهُ وقال: لقد اخطأتَ يا خواجه ولعلَّك قاصد غير هذا المحل وأشار لهُ باصبعهِ الى شارع ضيّق يؤدي الى قهوة يجتمع فيها العتّالة ومن شاكلهم للتدخين بالنارجيلة. فتنحى فاضل وهو ناكس الرأس خجلًا وفهم ان ملابسهُ الخشنة لم تكن لتؤهّلهُ للجلوس بين اصحاب الكُسى الافرنجية. ومن ثمَّ عزم ان يستبدلها في ثاني يوم خالعًا عنهُ آخر اثر يدلّ على اصلهِ اللبناني وهكذا يصير كبقية القوم المتمدّنين ويحق لهُ الجلوس في تلك القهاوي بلا معارضةٍ وما درى انَّها مجلبة لدمار الصحة وفناء الاموال

ولمّا خرج من القهوة ذهب هائمًا على وجههِ وهو حزين القلب كاسف البال واخذ يتنقَّل من شارع الى شارع ومن طريق الى أخرى دون ان يهتدي للرجوع الى المرفإِ. وخاف فوات الوقت فسأل احد المارَّة ان يرشدهُ الى مطلبهِ فاجابهُ الى ما سأل ببشاشةٍ وما زال يمشي امامهُ حتى اوصلهُ الى الرصيف. وحينئذٍ طلع الى الباخرة وكان الجوع قد اثَّر فيهِ فتناول رغيفًا ورأسًا من البندورة واخذ يأكل بنهم وهو يتأمل في تقلّبات الحياة وحوادث الدهر

وصباح الاثنين رفعت السفينة مرساتها وأطلقت بخارها ومخرت العباب سائرةً في وجهتها وانقضى ذاك النهار على ركاب الدرجة الرابعة بصفاء وسرور. ولكن ما طلع صباح الثلثاء حتى جرى حادث مزعج اورثهم مزيد الكدر وهو ان امرأة سورية كانت في جملة الركاب المسافرين الى اميركة طلبًا للرزق قضت نحبها على ظهر الباخرة. وكان فاضل قد شاهدها قبل يوم وفاتها وتحدَّث معها في امور المستقبل فعظم عليهِ مصابها واخذ يتأمل باسفٍ في جثتها وهو حزين على موتها بعيدة عن الاهل والاصحاب الذين لم يكن منهم هناك احد حتى يغمض عينيها لاسيما لما عرف ان البحارة سيدرجونها في كفنها ويزجّونها في البحر ليكون مدفنالها

وبينما كانت الافكار تتجاذبهُ والهواجس تتنازعهُ مرَّ ربّان الباخرة وعلى وجهه امائر الاهتمام وتلاهُ الطبيب فجسَّ تلك الجثة الباردة وبعد فحصها حكم بان علَّة الوفاة كانت

حمى سريعة رافقتها قلّة العناية واتعاب السفر. وأقيم بعض النوتيّة كخفر فمنعوا كلّ مواصلة بين مقدم المركب ومؤخرهِ حتى لايعلم الركاب بما جرى. ثم اقبل الليل وكان شديد الظلمة بما انتشر فيهِ من الضباب الكثيف فخاط النوتية كيساً ضيقاً وادرجوا فيهِ جثة السوريّة المسكينة وحملوها الى حافّة الباخرة فحينئذٍ تقدّم الربّان وكشف النوتيــة رؤوسهم واتفق وجود مرسل افرنسي كان عائداً الى فرنسة فبادر الى المحلّ ليبــارك الجثة وبعد ان تلا بعض الصلوات ورسم اشارة الصليب صفر احد النوتية فوضعت الجثة على لوحة وعُلّقت في الرجل كُرَة من الرُصاص وأُلقيت في مياه البحر التي انفتحت لابتلاعها ثم انغلقت عليها الى الابد

وبعد ان حضر فاضل مع سائر رفقائه الركّاب هذا المشهد المحزن جلس تحت الخيمة وشخص ببصرهِ الى المياه وجعل يغوص في بحار التأملات ويقول في نفسهِ ما يُدريني اذا كنت أُلاقي منيّتي في السفر ويكون حظّي كحظّ هذه المسكينة فتطرح جثتي في المياه فتتقاذفها الامواج وتصير طعاماً للاسماك والحيتان. آه ياليتني لم اركب البحر ولم افارق بيــتي

ثمّ زادت اشجانهُ وخنقتهُ عبراتهُ لمّا خطرت على بالهِ والدتهُ واخذ الخيال يمثّلها لعينيهِ كيف انّها تنتظرهُ مساء كل يوم عند منعطف الطريق وكيف تدخل بيتهــا منقبضة القلب لفراقهِ وكيف تصرخ وتولول وتمزّق ثيابها اذا ما انتهى اليها خبر وفاتهِ فتلوم نفسها على ترخيصها لهُ بالسفر وتندبهُ وتعدّدهُ وتجمع حولها نساء القرية فيعزّينهــا فتأبى ان تتعزّى لخسارة فلذة كبدها

واستمرّ فاضل جالساً على ظهر السفينة حتى نصف الليــل وهو في زفير وشهيق من جراء تذكار والدتهِ

وكانت قد هبّت الريح في بادئ الامر ضعيفةً ثم اشتدّت وعصفت في وسط الظلمة سيوف البرق وقصف الرعد وثارت الامواج واخذت السفينة تصعد جبلًا وتنزل في وادٍ. فحينئــذٍ خاف الركاب خوفاً عظيماً وايقنوا بحلول الأَجل وتضرّعوا الى الله من اعماق القلب ان يصرف عنهم هذه الشدّة وتعاظم عويل النساء وصراخ الاطفال. ومع ذلك كانت الريح تشتدّ هبوباً وامواج البحر غلياناً وفوراناً حتى تمزّقت الخيمة التي كانت تظلّل فاضل ورفقاءهُ وانكسر قسم من الدرابزين فسمع لانكساره صوت هائل

واستمرّت العاصفة يومًا كاملًا فلمّا هدأت قليلًا عاد فاضل الى رشدهِ بعد ان كان الخوف قد بلبل دماغهُ والتفت الى الصندوقة التي كان قد ملأَها بضائع من بيروت فلم يرَها لأنَّها سقطت في البحر بسقوط الدرابزين الذي كانت موضوعة الى جانبهِ. فشكا امرهُ الى الرُّبان فاجابهُ ان الشركات ليست مسؤُولة فيما يقع من الحوادث بالبحر ولقد اخطأتَ في وضع صندوقتك حيث وضعتَها. ففاضت عينا فاضل بالدمع فتركهُ الرُّبان ومضى وهو يهزّ كتفيهِ استهزاء

فلمَّا رأى هذا اللبناني المسكين ان لا دواء لمصابه تجلَّد وقال في نفسهِ لا بُدّ من الصبر على مضض الايام ومن كان صاحب عقل وتمييز يجد من الشدَّة مخرجًا وفي البلاء فرجًا ولكمْ وقع غيري في ما وقعتُ بهِ فلم يقنطوا ولم ييأسوا

ثم تمدّد على ظهر الباخرة بين الصندوقين اللتين بقيتا لهُ ونام تلك الليلة نومًا ثقيلًا ومزعجًا وتكاثرت عليهِ الاحلام فرأى والدتهُ وشقيقتهُ وردة لابستين ثياب الحداد وجالستين وحدهما في البيت وهما تناديانه باسمهِ وتندبانهِ. فبينما هو يهمّ بمجاوبتهما افاق واذا بهِ لم يزل على ظهر السفينة الذاهبة الى بلاد نائية وجهات سحيقة لا يعرفها

ولمَّا طلع صباح السبت بانت سواحل فرنسة بعد ان كانت الباخرة قد دارت حول كورسيكا اجتنابًا للمرور في مضيق بونيفاسيو فاهتزّت افئدة النوتية فرحًا وخفقت تهلّلًا. غير ان فاضل لم يتأثر من ذلك المشهد اصلًا لاسيَّما وان اسامي تلك السواحل مثل كانّ (Cannes) وهيير (Hyères) وطولون كانت غريبة على أُذنيهِ ومع ذلك فحينما اوشكت الباخرة ان تصل شعر بتجدّد الحياة والرجاء في قلبهِ (ستأتي البقية)

شذرات

نبات كالشاي

روى البشير عن الكوكب العثماني انَّ حضرة صاحب الدولة شاكر باشا مفتّش عموم الاناضول واحد الياوران الفخام اكتشف عشبًا رآهُ في ضواحي الاناضول باحدى غابات توقات يُشبه الشاي منظرًا ولهُ خواصّ جمّة فضلًا عن انهُ مقوٍ كثير الاغذاء. فارسل بكميةٍ منهُ الى نظارة الغابات والمعادن الجليلة لاجل تحليلهِ والوقوف على موادهِ حتى اذا

ظهر من نتيجة التحليل فائدة في خواصّهِ ومنفعة في مزاياها يُهتمّ بزرعهِ وتكثيرهِ

تمييز الخمر الصافية

ان اردت ان تمتحن الخمر فتعرف أصافيةٌ هي ام ممزوجة بالماء فخذ أَسَلَةً ناشفة وألقِها على الخمر فان زيد على الخمر ماء غَلُظ جرم الاسلة وامتدَّ والّا فبقيت كما هي

وربّما امتُحنت الخمر بالقاء شيء من ثمر التوت فيها فان طفا التوت فالخمر جيّدة صرفة وان غاصت فانّها مقتولة بالماء

الاسنان الصناعية في قديم الاجيال

قد ظنَّ المحدثون ان تركيب الاسنان الصناعيّة من اجلّ اكتشافات العصر لانّ بها يحافظ المرء على صحَّة معدتهِ ولذلك يقول المثل الاميركيّ « من يفقد سنًا من فكّهِ قد فقد سنةً من عمرهِ ». الّا انّ هذا الفنّ العجيب اعني التعويض عن الاسنان المفقودة كان القدماء قد سبقوا اليهِ اهلَ زماننا. ومن جملة ما وُجد في نواويس الموتى المصريين عددٌ لا يُحصى من الاسنان الصناعية ومن شاهد في متحف الجيزة موميا بعض المصريين يجد فكوكهم منضّدةً بالاضراس الصناعية المجهَّزة بأجهزة الذهب. وكذلك قد اكتشف العلاّمة الايطالي بلزوني في قبور قدماء سكّان ايطالية المعروفين بالإتروسك اسنانًا مصنوعةً من خشب الجمَّيز كان يركّبها حكماء الاسنان في الفم ويمكّنونها بخيوط ذهبيَّة وذلك قبل المسيح بنحو الف سنة

الميكروفونوغراف

يعرف قرّاؤنا الكرام انّ الفونوغراف آلة يُرتَم فيها الصوت فيُخزَن ويُعاد عند الحاجة فيسمعهُ من كان على مقربةٍ من هذه الآلة ومنذ بضعة اشهر قد اصطنع المسيو دوسُّو معلّم الطبيعيـات في كلّية جنيفا آلة اخرى لتقوية صوت الفونوغراف وتعظيمهِ كما يكبّر المُجهر الصور الدقيقة ويعظِّمها. وغاية هذه الآلة اعانة الصمّ على السَّمع. وهي تتركَّب من قسمين فالاوَّل عبارة عن اسطوانةٍ افقية تتحرَّك بلولب كلولب الساعة فوقها طلاء من الشمع يتَّصـل بهِ راقمٌ معدنيّ يحرّكهُ جهازٌ من المغنـاطيس والكهرباء فيخطّ على الاسطوانة اخفَّ الاصوات والحركات. وقد دعا المسيو دوسُّو هذا القسم من الآلة مقيّدًا (enregistreur). امّا القسم الثاني فهو المكرّر (répétiteur) او معيد الصوت يتركَّب من اسطوانة ثانية افقية توضع فوق الاولى التي رُقم عليها الصوت وهي متصلة ببطاريَّة قويَّة من سلفات الزئبق. فاذا سال مجرى الكهرباء انتقل الصوت من الآلة الراقمة الى

غشاء رُكِّبَ فيهِ راقم مستدير الطرَف مع المكروفون المكرّر. فيبلغ الى اذن السامع بواسطة اسلاكٍ تنتهي بقُرَينٍ سَمْعيٍ

حلّ اللغز الاوَّل من اللغزين السابقين

(راجع ص ٨٦١)

قد حلَّهُ بوجه الاجمال جناب ميخائيل افندي المعلّم فكتب « انَّ اللفظة المطلوبة هي المشرق ». واصاحب اللغز حلّ مطوَّل هذه صورتهُ :

« لنفرض ان الحرف الاول هو ك . وان مجموع حلقات السلسلة $\overline{م}$ والطرف الاول $\overline{ب}$ والآخِر $\overline{ت}$ والفضل المشترك $\overline{ف}$ وعدد الحلقات ع . فلنا حسب الشروط $\frac{م + ك}{ك} = \frac{ك}{١٠٠}$ ومن ذلك م $= \frac{ك(ك٢-١٠٠)}{١٠٠}$. ثم ان مجموع السلسلة يساوي م $= \frac{(ب + ت)ء}{٢}$. وبالجبر والتعويض عن الحروف بما يعادلها بالنظر الى ك حسب شروط المسألة لنا: $\frac{ك(ك٢-١٠٠)}{١٠٠} = \frac{(١٠ك \overline{١٠} - ١) \overset{ك}{}}{٢}$. وبالجبر والحل لنا : ك $= ٢٥ \pm \sqrt{٦٢٥-٤٠٠} = ٤٠$ ومن ذلك ينتج :

$$م = \frac{٤٠^٢(٤٠-١٠٠)}{١٠٠} = ٦٠٠$$

$$ع = (\frac{٤٠}{١٠} - ١) = ٣$$

ف $= (\frac{ب - ت}{ء - ١}) = \frac{ب - ت}{٢}$ لان السلسلة نازلة. وبما ان ت = ف فلنا: ت $= \frac{ب - ت}{٢}$. او ب = ٣ ت. وبما ان ب + ت = ١٠ ك = ٤٠٠ حسب شروط المسألة فلنا: ٣ ت

+ ت = ١٠٠ وكذلك ف = ١٠٠ لان ف = ت

فاصول المسألة هي اذًا

ك = ٤٠ = حرف م

طرف اول = ب = ٣ ت = ٣٠٠ حرف ش

حلقة ثانية = ب - ف = ٢٠٠ حرف ر (لان السلسلة نازلة)

طرف آخر = ت = ١٠٠ حرف ق

فاللفظة المطلوبة هي اذًا : « مشرق »

وسنأتي مرَّة أُخرى بحلّ اللغز الثاني . وقد اصلح صاحبهُ قولهُ سابقًا (ص٨٦١ س١٣) « لسنةٍ واحدةٍ » بقولهِ « لسنتين »

طيبة (الاقصر) وطيبة اليونان

قد ورد في الصفحة ٨٣٤ من العدد السابق ان طيبة حيث كان هيكل الإلهة مينرفة هي الاقصر . والصواب ان طيبة هذه من مدن اليونان المعروفة . امَّا طيبة مصر او ثيبة فان معبودها كان الاله عَمون وهي المعروفة بالاقصر

أسئلة وأجوبة

س سألنا بعض كهنة بيروت الافاضل : ١ً في ايّ زمان نقل الموارنة الكتاب المقدَّس الى العربية وهل يُعرف صاحب هذه الترجمة او مصحّحوها وهل نُقلت كلّها الى العربية في وقت واحد او قسمًا بعد آخر . ٢ً ماذا يفهم قدماء العرب بالشاعر المطبوع وهل كانوا يَدعون الشاعر غير المطبوع باسم خصوصيّ ونرجوكم ان تذكروا لنا اسماء بعض الشعراء المطبوعين وهل يُعدّ الاخطل مثلًا من الشعراء المطبوعين

تعريب الموارنة للكتاب المقدَّس

ج ان اوَّل من ترجم الكتاب المقدَّس بتمامهِ الى العربية هو العالم الفاضل سركيس الرزّي مطران دمشق تلبية الى دعاء اساقفة كنيستهِ وكانوا طلبوا ذلك بالحاح الى البابا اوربانوس الثامن . فعهد سيّد الاحبار هذا الامر المهمّ الى المطران سركيس المذكور فباشر بهِ سنة ١٦٢٥ فعرَّبهُ بمساعدة بعض العلماء واللاهوتيين . وقد تمَّ طبع هذه الترجمة في رومية العظمى سنة ١٦٧١ وهي بثلاثة مجلّدات على حقلين تصحبها الترجمة اللاتينية المعروفة بالعامَّة وفي هذه الترجمة اغلاط كثيرة نبَّه على بعضها اصحاب الانتقاد

هذا ولا نشكّ انَّ قبل ذلك كان لدى الموارنة بعض تراجم قديمة عربيَّة من الكتاب المقدَّس يستعينون بها في كنائسهم لاسيَّما الزبور الالهي ولكن لا نظنّ انَّ معرّبيها موارنة

الشاعر المطبوع

ج يفهم قدماء العرب بالشاعر المطبوع من كان يقول الشعر عفوًا بلا عناء كأنَّ شعرهُ تأتي بهِ الطبيعة عن غريزة فيهِ ثابتة لا يحتاج الى إعمال الفكر الطويل في ذلك . وكما

وصفوا الشاعر بالمطبوع فانَّهم نعتوا ايضاً بهذه الصفة الشعر الذي لا تكلُّفَ فيهِ ولا تعمُّل فتجد لهُ النفس هزَّة وجلبة من قوَّة طبعه. وقد وضع ابن الرشيق في كتاب العمدة باباً في هذا الشأن نقلناهُ عنهُ في مقالات علم الادب (الجزء الثانى ص ٣٢١) فليراجع. امَّا عكس المطبوع فهو المصنوع كما يُستدَلّ على ذلك من الكتاب المذكور الَّا انَّهم لم ينعتوا بهِ الَّا الشعر لا صاحبهُ فلا يقولون شاعر مصنوع بل متصنّع او متكلّف. وربما ارادوا بالشعر المصنوع الذي نسبهُ الرواة زوراً الى بعض فحول الشعراء. والشعراء الذين استحقُّوا بين العرب ان يُدعَوا بالمطبوعين كثيرون منهم الاعشى والخنساء في الجاهلية ومنهم بشَّار وابو العتاهية في ايَّام العبَّاسيين ومنهم المتنبيّ في قسم كبير من قصائده وبهاء الدين زهير. امَّا الاخطل فمع علوّ مقامهِ في شعرهِ وتبريزهِ على الفرزدق وجرير في المديح والوصف لم نجد احداً من الاقدمين ينعتهُ بالمطبوع. ولا يبخس ذلك من حقّهِ شيئاً فانَّ الشعر المطبوع مع قلَّة كلفتهِ ربَّما شانتهُ عيوب كالهجنة والركاكة والاسهاب الى غير ذلك من النقائص والخلل

س وسألنا احد الادباء ما هو سبب تقصيف الشَّعر وما هي الوسيلة لمنعهِ

تقصيف الشعر وعلاجهُ

ج انَّ سبب تقصيف الشعر عموماً ضعف في البنية او امراض جلديَّة فتضعف لذلك الغدد التي منها ينبت الشعر ولا تكفي لتغذوهُ غذاء تاماً فيتقصَّف. امَّا علاج هذا الداء فيكون اجمالًا بتقوية الجسم فانَّ كلَّ ما من شأنهِ ان يقوّي الجسم يقوي الشعر ايضاً. وقد وصف الاطباء وصِفات كثيرة لتقوية الشعر كالدَّهن بالذرَّاح او الغَسل بمزيج من ماء كولونية وماء الورد او شُرْب زيت السمك. والأَولى ان يستشير صاحب هذا الداء طبيباً ماهرًا فيصف لهُ دواء مناسباً لاعراض المرض


س سألنا جناب الفاضل الاديب صيرفي زاده رشيد غازي ما هو مرض الرَّبو وما هو احسن وافيد علاج لهُ وكيف تركيبهُ واستعمالهُ حسب الآراء الحديثة

علة الربو

ج الرَّبو علَّة ينشأ عنها عسر التنفُّس يدعوهُ الفرنج (asthme) امَّا اسبابهُ واعراضهُ وكيفية علاجهِ فقد كتب فيها الدكتور دي برون احد اساتذة مكتبنا الطبيّ مقالة مفيدة مطوَّلة في كتابهِ الخلاصة الطبيَّة المطبوع في مطبعتنا سنة ١٨٨٨ (ص ١٩٣ — ٢٠٥) فلتراجع هناك

ل. ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٤ الى ٢٥ ايلول ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

الحنّاء

مقالة لانطون افندي عرب صيدلي مدرسة باريس العُليا سابقًا

١ تاريخ الحناء

الحنّاء نبات عرفهُ القدماء منذ اجيال عديدة كان لهُ في طبّهم شأن خطير. والعبرانيون دعوا الحنّاء الكُفر (הכפר) كما جاء في الاسفار الكريمة. ولعلّ اليونان اخذوا عنهم اسمها اليوناني فدعوها كيبروس (κύπρος) (١ ونقلها الرومان الى لغتهم فسمَّوها سيبروس (cyprus) ولها عند النباتيين اسمٌ اصطلحوا عليهِ بينهم وهو لَوْسونيا (Lausonia)

والحنّاء من نبات الشرق بلا مشاحَّة بيدَ انَّهُ لم يُعرف بلدها الاصليّ ومن المرجَّح انها من نبات جزيرة العرب امتدَّت من ثمَّ الى بقيّة الاقطار. وكانت في اوائل النصرانية شائعةً في بلاد كثيرة. قال بلينيوس الطبيعي (٢: «الحنّاء شجرة في مصر ورقُها كورق العنّاب وحبُّها كالكزبرة... واجودها الصَّنف الذي يجلبهُ التجّار من مدينة قانوب على ضفَّة النيل ودونهُ الصنف العسقلانيّ في اليهوديَّة ثم الصنف القبرسيّ والحنّاء نبات طيّب الرائحة. وقد زعم البعض انَّهُ هو الذي يُدعى في ايطالية باسم ليغسترم (ligustrum)». وقد وصف ايضًا ديوسقوريدس وجالينوس ما كان للحنّاء في زمانهما من الشهرة

وقد شاعت الحنّاء في القرون المتوسطة وامتدّت امتدادًا عظيمًا بامتداد دولة العرب ولاكثر اطبّاء العرب في الحنّاء كلام مطوَّل لاسيَّما ابن سيناء وابن زهر وابن ماسويهِ وابن رضوان وابن البيطار فاطرأوا هذا النبات واستوعبوا ذكر خواصّهِ. وهي اليوم تنبت

١) وكيبروس ايضًا باليونانية اسم جزيرة قبرس لعلَّ اليونان سمَّوا الحنّاء بذلك لانَّها كانت تأتيهم من هذه الجزيرة

٢) راجع كتابهُ في تاريخ الطبيعة (Pline : *Hist. Nat.* XII, ٥١)

في بلاد كثيرة كالهند وجزيرة سيلان وانحاء العرب وفارس ومصر وفي شرقيّ افريقية وشماليها الشرقيّ وفي غربي آسية

٢ وصف الحنّاء وتعريف انواعها

الحنّاء من صنف النبات المعروف عند العلماء بفصيلة الليترارية (Lythrariée). انفع ما فيها اوراقها وهي خضراء اللون قصيرة المنبت بيضية محدّدة تامّة الاطراف. وهذه الاوراق متقابلة طولها بين سنتيمتر وثلاثة سنتيمترات وعرضها سنتيمتر. وازهارها على شكل عنقود بيضاء اللون عطرة الريح. وثمرها مشيمة مستديرة تحتوي بزورًا عديدة. وقد وصفها ابو حنيفة بما حرفهُ قال: «الحنّاء شجر كبار مثل شجر السدر ولهُ فاغية وهي نَوْرهُ. وبزرهُ عناقيد متراصفة. اذا انفتحت اطرافها شبّهتَها بما ينفتح من الكزبرة الّا انّهُ اطيب رائحةً. واذا تحاتَّ نَوْرهُ بقيت لهُ حبّةٌ غبراء صغيرة اصغر من الفلفلة... وفاغية الحنّاء تخرج امثال العناقيد وينفتح نوار صغار فتُجتنى منهُ... وانّما تُطحن الحنّاء من ورقهِ وتنوّر في السنة مرّتين». وروى ابن بيطار عن ديُوسقوريدس وصف الحناء فقال: «انّ ورق شجر الحنّاء شبيه بورق الزيتون غير انّهُ اعرض منهُ وألين واشدّ خضرة ولها زهر ابيض شبيهٌ بالأُشنة طيّب الرائحة وبزر اسود..»

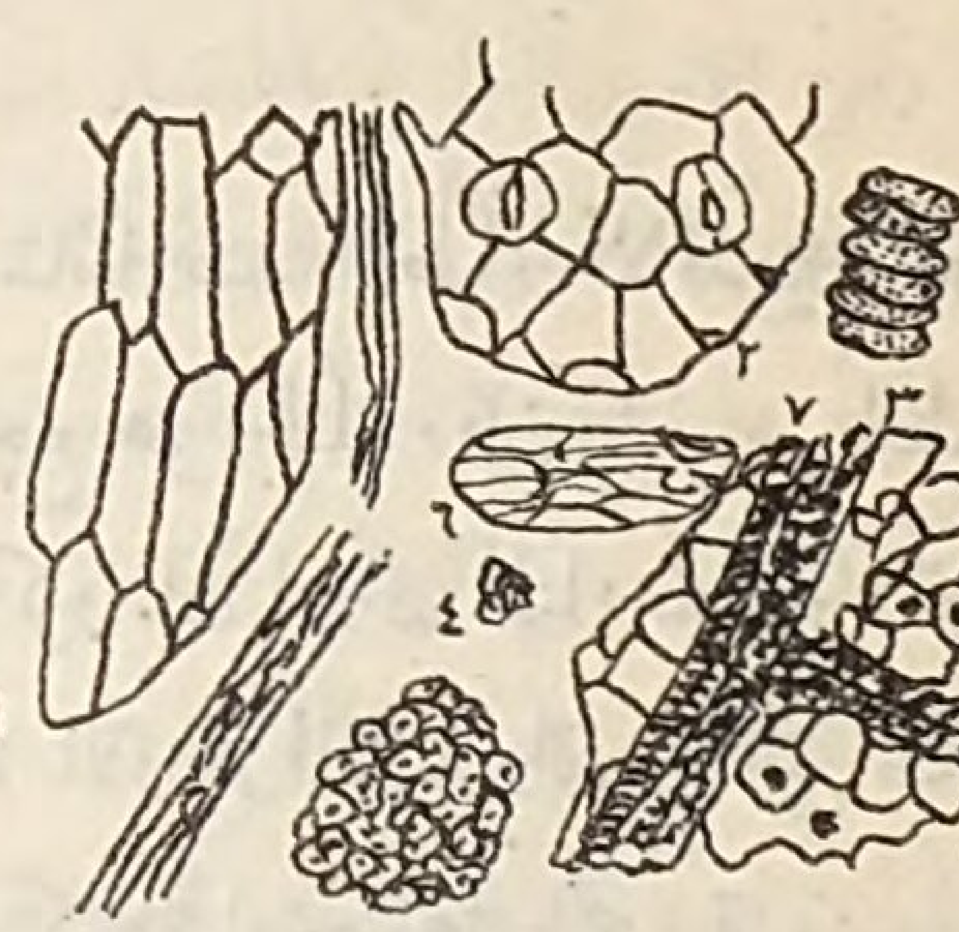
هذا وللحنّاء انواعٌ اشهرها الحنّاء الشائكة (Lausonia spinosa) التي يتّخذ اهل الهند أُصولها لمعالجة امراض الجلد وفيها اشواك صلبة حادّة تنبت في اصل الاوراق. ويقرب من هذا النوع نوع آخر يُعرف بالحنّاء البيضاء (Lausonia alba L.) وهو ذو فروع متقابلة اسطوانية مُشوكة في الغالب واوراقهُ قصيرة

امّا النوع الشائع في بلادنا الشاميّة وفي بلاد العرب والعراق فلا شوك فيهِ فلذلك دعي بالحنّاء العَزْلاء (Lausonia inermis) وهو يُعرف بشذا عطر ازهارهِ وهي الرائحة المشهورة بتمر الحنّاء. وفي هذا النوع كلّ خواصّ الحنّاء المتّخذة في التجارة للصبغ (انظر الشكل ص ٩١٥)

٣ تحليل الحنّاء

اوّل من حلّل الحنّاء تحليلًا كيميًّا مدقّقًا انّما هو الدكتور بَنْكيس سنة ١٨٨١. وقد جدّد الدكتور اهرمان (Eherman) هذا التحليل فوجد فيها آثارًا من موادّ قَلَويّة مع موادّ دهنيّة ونوعًا من الراتينج يذوب في الماء ثمّ شيئًا من الحامض العفصيّ ومادّة ملوّنة

خضراء دعاها عبد العزيز الهروي المادَّة الحنَّائيـة العفصيَّة (Hennotannique) هذا فضلًا عن اقسامٍ من السكَّر والنشا والالبومين النباتية ومواد صمغية وليفيَّة



سَحوق الحناء كما يُرى في المُجهر

١ قشرة ورق الحنَّاء العُليا
٢ القشرة السُّفلَى
٣ و ٤ خلايا الحنَّاء في النسيج النباتيّ
٥ مسامّ الحنَّاء النباتية ٦ ليف الحنَّاء
٧ جُلَيدَة دقيقة موقعها بين عود الحنَّاء والقشرة الخارجة ٨ تَبلُور الحنَّاء



فروع شجرة الحناء بزهرها

والحنَّاء تستعمل على صفة سَحُوقٍ وذلك بان تجفَّف اوراقها وتُدقّ دقًّا منعَّمًا فيحصل من ذلك مسحوق ذو لون اشهل مزعفر ضارب الى الخضرة رائحتهُ شديدةٌ خاصَّة بهِ واذا بقي هذا السَّحوق في الهواء مدَّة احمرّ. واجود انواع الحنَّاء المدقوقة تُجلَب من الحجاز وبغداد ومصر ويفضَّل الصنف المكّي لحسن صبغهِ وهو يبقى زمنًا طويلًا لا يصيبهُ فساد او تغير

امَّا حنَّاء بغداد فليس لهـا من الشهرة ما للحنَّاء المكّيَّة وهي دون هذه من حيث قوَّتها الصابغة وصبرها على الزمان بلا فساد. ولعلَّ هذا الاختلاف بين الصنفين ناتجٌ عن

خواصّ التربة التي تنبت فيها الحنّاء او يصـدر من اختلاف تهيئتها في كلّ بلدٍ . وربّما خُلطت الحنّاء بشيء من الرمل والرمل في الحنّاء المكية اقلّ منهُ في غيرهـا لاسيما الحنّاء المصريّة ولذلك تُؤثر الحنّاء العربية على المصريّة

٤ فوائد الحنّاء

١ (فوائدها الطبيّة) . كان استعمال الحنّاء شائعًا عند الاطبّاء الاقدمين فتراهم يعدّدون في كتبهم ادواء كثيرة يزعمون انّ دواءها الناجع هو الحنّاء . فانّ بلينيوس الطبيعي (ك ٢٣ ع ٤٦) وبعدهُ ديُوسقوريدس وجالينوس ذكروا انّ اوراق الحنّاء تُطبخ وتُضمّد بها الاعضاء المحترقة فتشفيها وانّها تُستعمل في مداواة الاورام الملتهبة والقروح التي تكون في الفم . وقد زاد العرب على اقوال الاقدمين اشياء كثيرة امتحنوها بالتجربة منهـا انّ الحنّاء اذا سُحِقَت وضُمّدَت بها الجبهة مع الخلّ سكّنت الصُداع ومنها انّ الحنّاء تصلح لاوجاع الطحال اذا خُلطت بالادوية الخاصّة بهذا الداء

وممّا ذكرهُ ابن البيطار في الكلّيّات عن ابن رضوان ما نصُّهُ : اخبرني من أثِق بهِ انّهُ شاهد رجلًا تعقّفت اظافير اصابع يديهِ وانّهُ بذل لمن يُبرئهُ شيئًا كثيرًا فلم يجد . فوصفتْ لهُ امرأة ان يشرب عشرة دراهم حنّاء فلم يجسر ان يشربها فنقعها بماء وشربهُ فرجعت اظافيرهُ الى حسنها . وقال انّهُ رأى على المكان اظافيرهُ قد اخذت تنبت من اصولها الى ان تكامل حسنها

وممّا شاع عند العرب من خواصّ الحنّاء انّها تقوّي الشعر وتمنع من سقوطهِ وتُنبتهُ . نقل ابن البيطـار عن بعضهم انّ الحنّاء اذا عُجنت بزيت وقطران وحُملت على الرأس انبتت الشعر وحسّنتهُ . واهل الجزيرة والعراق يتّخذون الى يومنا هذا الحنّاء فيعجنونها مع الزئبق ويدهنون بها رؤوس الاطفال فتقتل ما تولّد فيها من الهوامّ القذرة

٢ (فوائد الحنّاء الخضابية) . لا يخفى ان الشرقيين قد اكثروا على ممرّ الدهور من استعمال الحنّاء في الخضاب طلبًا للزينة والتبهرج . وعلى الخصوص النساء فانّهنّ لم يزلنَ الى اليوم مُولَعات بالتخضُّب بهذا النبات يتّخذنَ لذلك اوراق الحنّاء طريّةً او يسحقنهـا سحقًا ناعمًا ويطلينَ بها ايديهنّ وارجلهنّ . فبُعيد بضعة ساعاتٍ تتمكّن الحنّاء من الجلد فيختضب بلون احمر برتقالي وللنساء في ذلك طرائق يتأنّقن بها ويتفنّنَّ . وكان الاختضاب بالحنّاء في سالف الزمان من شارات الشرف لم يُرخَّص للعبيد باستعمالهِ

على انَّ في الاختضاب بالحناء فوائد صحيَّة فضلًا عن الزخرفة لأَنَّ في الحنَّاء كما سبق مادَّةً عفصيّة قابضة فاذا طُلي بها الجلد تقلَّص وضاقت مسامُّهُ فينقص لذلك رَشْح العرَق وتحلُّبهُ من الجسم وذلك مما يمكّن صاحبهُ من احتمال شدَّة حرارة الهواء

ومن الامور الحريَّة بالاعتبار انّ كثيرًا من نساء بلادنا يتداوينَ بالحناء اذا اصابت ايديهنَّ فلوعٌ او شقوقٌ فترى الغسَّالات يختضبنَ ليستطعنَ احتمال سخونة الماء الحارّ ويتعالجنَ من اذاهُ بعد الغسيل. ولم يقتصر نساء الشرق على استعمال الحنَّاء بل ترى ايضًا فضلًا عنهنَّ كثيرين من الرجال يخضبون شعرهم او لحاهم بالحناء فرارًا من بياض الشيب فتتلوَّن شعورهم بلون الشقرة. وان حاولوا خَضْبهُ بالاسود خلطوا الحنَّاء بشيء من العفص او الشبّ. وربما صبغ العرب شعر خيلهم او ظهور اغنامهم بالحناء استحسانًا للونها. هذا ولا يُنكَر انّ الشعر يقوى اذا صُبغ بالحنَّاء فلا يسقط متناثرًا. وما يزيد الحنَّاء قبولًا لدى من يستعملها انَّها لا تؤثر في تغيير صفات الشعر الطبيعية كغيرها من الاصباغ

٣ (فوائد الحنَّاء الصناعيَّة). للحناء في الصنائع عملٌ مشكور. وكان القدماء يأخذون نَوْر الحنَّاء فيستودعونهُ بين طيّ ثياب الصوف فتطيّبها وتمنع السوس من ان يفسدها. وكانوا يستقطرون من زهرها دهنًا ذا رائحة طيّبة يتعطَّرون بهِ ويطيّبون بهِ الزيوت ويستعملونهُ في تحنيط الموتى

وفي زماننا قد اتخذهُ اهل الصنائع لصبغ الخشب الابيض فآل اختبارهم الى نتيجة مرضية وحصلوا على خشب متلوّن بلون خشب الاكاجو

وجرَّبوهُ ايضًا في صبغ منسوجات الحرير والصوف والقطن فأتت تجاربهم بالمرغوب. ولا بدَّ لذلك ان تنظَّف هذه المنسوجات عن موادّها الدهنيَّة بان تغمس في محلول يتركَّب من كربونات السودا. ثمّ يصبغ بغليّ الحنَّاء. ويثبّت عليها لون الصبغ بغمرها في ماء يحتوي شيئًا من الاملاح التي من شأنها تمكين اللون وتنويعهُ حسب المرام

وكنَّا نودّ ان نختم هذه النبذة بذكر الموادّ التي تُزَيَّف بها الحناء في المتجر الَّا انَّ ذلك يخرجنا عن حدود الاقتصار الذي تحرَّيناهُ. وفي ما سبق كفاية لذوي الالباب النيّرة

لكنَّنا نبدي الامل بان يعتني اصحاب الامر وارباب الفلاحة بزرع هذا النبات المفيد وتوفيرهِ في اقطارنا الشرقية. فانَّ تربة بلادنا تصلح لهُ صلاحًا تامًا فتكون زراعتهُ وسيلة جديدة لتوسيع الثروة بين الاهلين وتحسين اسباب الصناعة. والله المرشد الى الصواب

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزڤال اليسوعي

(تابع لِما قبل)

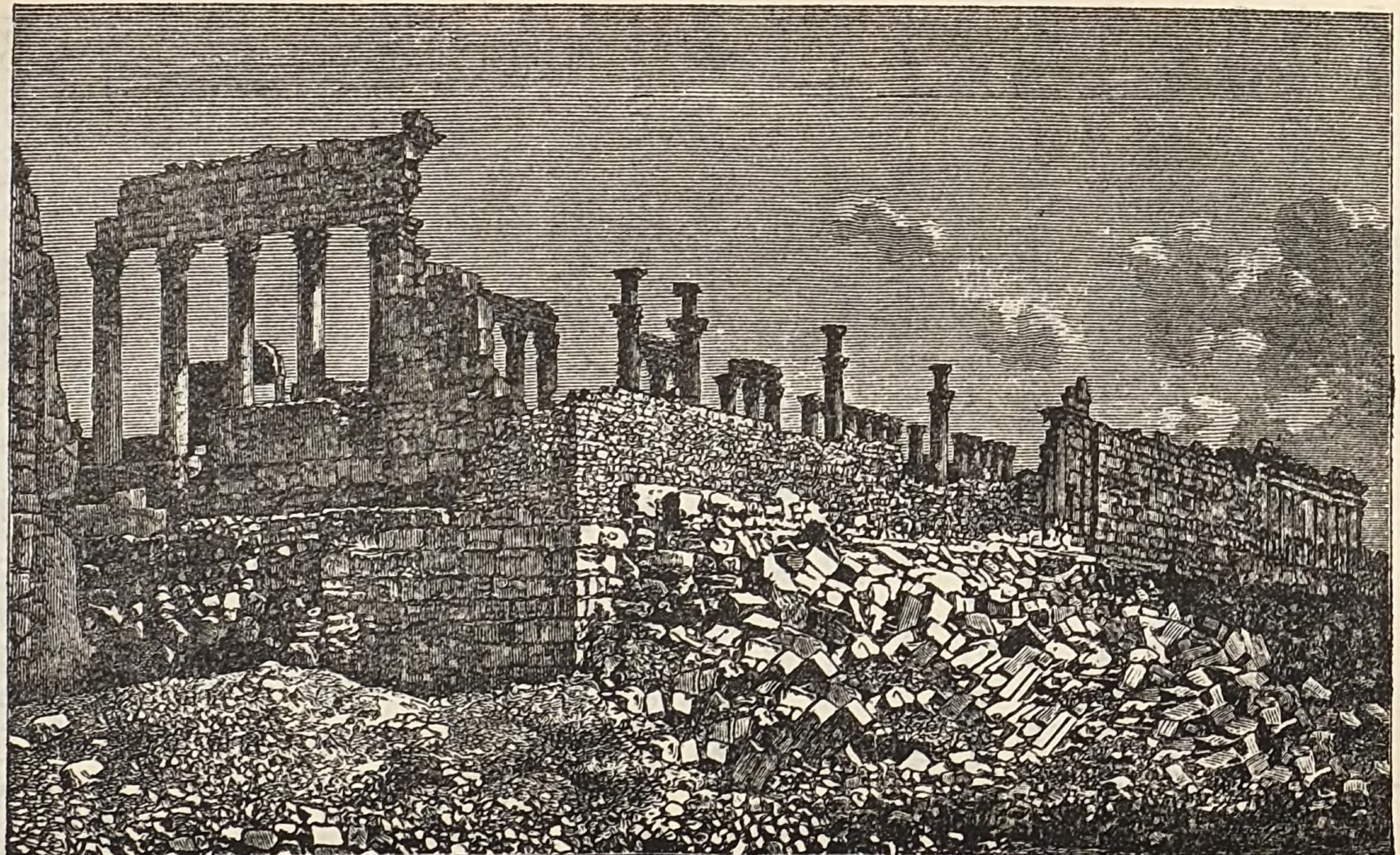
١٣

لا خفاء ان سلطة ملكة تدمر قد امتدَّت امتدادًا عظيمًا بعد ان فتحت جيوشها البلاد المصريَّة فكانت حدود ممالك زينب تنتهي جنوبًا الى ضفَّة النيل وشمالًا الى اقاصي آسية الصغرى وتحدُّها غربًا سواحل البحر المتوسط وشرقًا نهرا الفرات ودجلة (١. وممَّا رقَّى اسمها الى اوج المجد والعزّ انَّها انفذت الرعب القوي في قلوب الملوك الشرقيين على اختلاف طبقاتهم واثبتت لها هيبةً شديدة في انفسهم فلم يتجاسر احد منهم ان يعادي سلطانة تدمر او يمنعها عن فتوحاتها. وهذا قول ليس فيهِ ادنى مبالغة تشهد على صحَّتهِ الاخبار القديمة لاسيما رسالة بعث بها اوريليانس قيصر الى مجمع الشيوخ حين باشر محاربة التدمريين في اواخر ملك زينب (٢

وكانت زينب عالية الهمّة شديدة السياسة قد نهضت باعباء التدبير نهوض حزماء الملوك وفضلائهم فاخذت رعيّتها العظيمة ترتع في مراتع النجاح وبحابح السلام. واوّل ما اعتنت بهِ سلطانة تدمر تزيين عاصمتها بما لا مزيد عليهِ من البهاء والجاه. فاضافت الى الآثار التي ابقاها سلفها من الملوك ابنيةً جليلة وحصونًا عجيبة تشهد على كبر نفسها وتوقُّد قريحتها. وهذا لا يناقض ما قد مرَّ بنا ان معظم الهياكل والابنية المدهشة التي يزورها اليوم المسافرون

١) راجع زوزيموس ١ : ٤٤ و ٥١ . وزوناراس ١٢ : ٢٧ . وتريبيليوس كلوديوس ٢١ . اعلم ان المؤرّخين الاقدمين قد اختلفوا بينهم بعض الاختلاف في وصف حروب زينب ونتائجها المادية . فاخذنا من رواياتهم ما يوافق الكتابات التدمرية وغيرها من الآثار القديمة المكتشفة حديثًا . (راجع .Addison : *Damascus and Palmyra:*, II p. 266 و V : p 33) قبل ان سلطة زينب لم تثبت في شمالي مصر. وعلى كل حال لا ريب ان اوريليانس الذي بويع لهُ بخلافة القياصرة في تلك الاثناء (٢٧٠ م) لم يعتم ان اقرّ لزينب بحق رئاستها على البلاد المصرية قاطبة فضرب في الاسكندرية نقودًا باسم وهبلات ابنها شهادة على هذا الاقرار

٢) راجع رسالة اوريليانس الى مجمع الشيوخ كما دوَّنها المؤرّخ تريبيليوس *Trig. Tyr.* 29



صورة هيكل الشمس في تدمر من جهة الشرق (عن صورة شمسية)

لا يجوز نسبتها الى زينب برمّتها. لانَّ لملكة تدمر من هذه الآثار نصيبًا خلّد اسمها في الخافقين. كيف لا وتسمع اهالي الشام يعزون اليها كل ما فاتهم اصلهُ من الابنية القديمة. ومؤرخو العرب انفسهم قد حفظوا شيئًا من ذكر هذه الاعمال الحسنة اذ اجمعوا القول بانها ابتنت قصرين على ضفّة الفرات

فاذا جرَّدنا رواياتهم من الخرافات التي رويناها عنهم في اوّل مقالتنا لا نجد في كلامهم الَّا ما يوافق الدلائل التاريخية الراهنة. فان زينب قد شيَّدت على ضفَّة الفرات ليس قصرًا فقط بل مدينــة حصينة اطلقت عليها اسمها اليوناني فدعتها زينوبية. وكانت قد قصدت من بنائها تذليل مدينــة ڤولوغيسيّة (Vologesias) المعروفة اليوم باسم كفيل التي شيَّدها احد ملوك بني ارشك في اوائل النصرانية لاستجلاب الارفاق والبضائع من اقاصي الهند والشأم وآسية الصغرى (١. وكانت مدينة زينوبية مشهورة عنــد العرب ايَّام الجاهلية. بيد ان الاعصار لم تُبقِ للخلف من آثارها الَّا بعض الاخربة تُعرف اليوم بزليبية يزورها سيَّاحٌ قليلون يتوجهون الى الفرات من تدمر او من السخنة(٢

ولم تكن زينب لتقتصر على تزيين حاضرتها وبناء بعض الحصون في البلاد المجاورة لها بل افرغت كنانة مجهودها على سعادة جميع رعاياها وخير الاقاليم المذعنة لملكها دون استثناء. واقوى دليل على ذلك عزمها على تعمير البراري الممتدة من تدمر الى دمشق وبعلبك. فترى بالقرب من عين الفيجة ولبوَّة بقــايا قني عظيمة واخربة اخرى لم يكن الغرض من بنائها سوى ما قلنا (٣. الَّا ان ملكة تدمر لم تدم على عرش المشرق مدّة

١) ورد اسم هذه المدينة في الكتابات التدمرية على صورة (الجسيا) وهي المدينة التي سماها الفرس وعرب الجاهلية بَلاَسْكِرد او بَلاَشْكَر او ولاشِجِرْد. وقد ارتأى المستشرق بلو (Blau) (في المجلة ZDMG., 1873, p. 337) انها واقعة في مكانٍ كان يُعرف في القرون المتوسطة (بالوَلَجة). الَّا اننا نفضل رأي العلامة نولدك (ZDMG: 1874, p. 93) الذي قال ان بلاشكرد انما هي مدينة (أُلَّيس) الوارد ذكرها مرارًا في تاريخ الطبري. وعلى كل حال فانّ للمدينة القديمة آثارًا باقية في قرية كفيل الحالية على نهر النهدية وموقعها جنوبي بابل على مسافة اربع ساعات منها. (راجع خارطتنا)

٢) وبازاء زليبية الحالية على ضفة الفرات اليمنى توجد اخربة اخرى باسم حَلَبِيَّة ولعلَّها هي القصر الثاني الذي نسب العرب بناءهُ الى زينب

٣) (راجع ص ٥٩٠)

كافية لتتميم هذا العمل الجليل الفائدة فاخنى الدهر بكلكلهِ على هذه الآثار وطمس محاسنها

واما اعتناؤها بحسن حال الطرق وافتتاح الشوارع الجديدة الرحبة فامرٌ لا مراء فيهِ. فقد اكتشفت علماء العاديَّات عمودين نُصبا للدلالة على مسافة الطريق ميلًا ميلًا عليهما اسم زينب واسم ابنها وهبلات. واوَّل هذين العمودين قريب من الجبيل والجسر الواقع على وادي الفدار والثاني ببرج الريحان شمالي الجبيل (١

وفوق كل ذلك قد ابقت سلطانة تدمر آثارًا اعلى شأنًا واقامت سوق الآداب في عصر غلب عليهِ كسادها. ولو عاش العقلاء الذين ضُربت بهم الامثال وعُدمت لهم النظراء والامثال لتعلّموا منها غوامض الحكمة وتلقّفوا مكارم الاخلاق. فان زينب كانت عاقلة لبيبة قد نشأت في الآداب وتخرجت في العلوم فكانت تعرف علاوةً على لغتها الوطنية اي التدمريَّة كلاًّ من اللغات المصريَّة واليونانية واللاتينية (٢. وكانت قد استقصت مطالعة اخبار الاوَّلين وتواريخ الاقدمين وتبحَّرت في تراجم مشاهير ملوك اليونان كذي القرنين وسلاطين رومة العظام. ويُخبر عنها انَّها بعد التأمل والنظر الطويل في سير الملوك ألَّفت بخطّ يدها كتابًا اختصرت فيهِ تواريخ الامم الشرقية. وممَّا تسنَّمت بهِ ذرى الشهامة وشقَّت غبار مَنْ سلفها على عرش تدمر انَّها صرفت جلّ اهتمامها الى حشد بعض العلماء والبلغاء والنحاة وغيرهم من فضلاء عصرها فجعلتهم أسرى فضلها واجزلت لهم الصلات والعطايا (٣

واوَّل من نُخصُّ منهم بالذكر كَلِيكراتيس الصوري. قال فوپيسكوس المؤرّخ (Aurel. 4) : « انَّهُ كان أعلم الكتبة ومتقدّم المؤرّخين اليونانيين في زمانهِ » فألَّف بعد خراب تدمر ترجمة أوريليانس قيصر الذي كسر صولجان زينب. ومنهم لوپركوس البيروتي اللّغوي والفيلسوف كان مولدهُ في بيروت ايَّام غاليانس قيصر وألَّف على عهد زينب

(١) راجع C. I. G, 4503 b و V: p. 31 و W: 2611

(٢) قيل ان زينب تأدبت في الاسكندرية وان امها كانت مصرية الاصل فلذلك فقهت اللغتين المصرية واليونانية. (راجع Wright: *op. c.*, p. 131) ولعلَّ ذلك حملها على ان تنتسب الى كليوپاترة المصرية. ومع كل ما بذلت زينب من الجهد في تنشيط رعاياها على اقتباس آداب اليونانيين وعلومهم فلا نظنّ انَّها فازت بالمرغوب لان لنجينوس الذي سيأتي ذكرهُ قد شكا لصديقهِ پُرفيريوس قلَّة النسَّاخ اليونانيين في تدمر (راجع پرفيريوس *Vita Plot.* 19)

(٣) راجع تريبيليوس *Trig. Tyr.* 29

التآليف العديدة في النحو والادب والتاريخ والفلسفة (١ ومنهم يُوسانياس الدمشقي الذي دعاهُ مَلالا « افضل المؤرّخين واعلمهم » (٢ ومنهم ايضاً نيكُوماخوس وُلد في احدى مدن سوريّة وقد اشتهر في العلوم التاريخية. قيل انهُ ألّف ايضاً ترجمة اوريليانس قيصر. الّا انَّ ذلك ليس بامر ثابت وعلى كل حال فممّا لا مرية فيهِ ان هذا العالم قد انتقل الى تدمر فاستقرّ فيها مدّةً. ولنا في ترجمته بعض التفاصيل سنوردها في موضعها (٣

١٤

على ان اشهر الكتبة الذين قد حلّت ايادي زينب عليهم انما هو كاسيوس ديونيسيوس لُنجينوس الفيلسوف الذي طار ذكرهُ في الآفاق وأُشير اليه بالبنان لدقّة انتقاده وصفاتهِ النادرة وآدابه الحسنة ومعارفه العديدة فلقّبهُ معاصروهُ لذلك بالمكتبة الحيّة وكنز العلوم. قال اوناپيوس في كتاب تراجم الفلاسفة (الفصل الثاني): وكان لنجينوس ذا عقلٍ نيّر وذوق سليم يميط الحجاب عن محاسن التآليف ويهتك ستر سيئاتها. قيل انهُ عُهد اليهِ انتقاد كتب الاقدمين ففاز على اقرانهِ بالسهم المعلّى في هذا السبيل المتوعّر »

كانت ولادة لنجينوس في مدينة حمص وفقاً لرأي جمهور المؤرّخين ولا يُريبنا شكوك البعض في صحّة ذلك اذ استندوا الى ما جاء في تاريخ ڤوپيسكوس بان لنجينوس لم يعرف السريانية وهي لغة اهل حمص في ذلك العهد. بيد انَّ ڤوپيسكوس لم ينكر اصل لنجينوس وانّما تعجّب من كونهِ قد جهل لسانهُ الوطني. وزد على ذلك برهاناً آخر وهو ان افرونتونيدة والدة لنجينوس كانت من اهالي حمص وكذلك اخوها افرنتون الذي علّم

---

١) راجع سويداس في قاموسه التاريخي. قد ألّف لوپركوس الكتب الآتية: ١ً كتاب النظم ٢ً كتاب الطاووس ٣ً كتاب السرطان البحري ٤ً كتاب الديك ردًّا على افلاطون ٥ً كتاب بناء ارسينوه (المدينة المصرية القديمة المعروفة بشودو او مدينة التمساح) ٦ً كتاب الآداب الاثينية ٧ً كتاب صناعة النحو ٨ً كتاب التوليد في ثلاثة عشر فصلًا. وجميع هذه التآليف قد استولت عليها يد الضياع

٢) راجع Malala : *Chron.* p. 37,119, 248 و Const. Porphyr. : *Them.* I و Δῶρος ... Steph. Byz.,

٣) راجع ڤوپيسكوس ٢٧. والمظنون ان نيكوماخوس هذا هو الذي زوّق ترجمة ايپولونيوس الطياني وتصرّف في نسخة فيلستراتوس (راجع سيدونيوس ٨: الرسالة الثالثة و Vossius : *Hist Græc.* II, 16). ويجوز ان نضيف الى جميع هولاء الكتبة ثيوكليوس اوثيون الساقزي (اي من جزيرة Chio) الذي ابقى لنا كغيره من معاصريه سيرة اوريليانس

الخطابة في اثينة فعُرف بالحمصي (١. ومع ذلك فلا ننكر ان لنجينوس ربَّما غادر بلاد الشام منذ نعومة اظفاره فاصبح من ثمَّ قد نسي لغتهُ الاصلية اي السريانية. فلمَّا ترعرع همَّ بتلقُّن العلوم فتوجه الى قيصرية فلسطين حيث درس الفلسفة على اوريجانوس المعلّم الشهير. ثم سار الى بلاد مصر فاخذ عن مشاهير علمائها الوثنيين كامونيوس سقّاس وپلوتينوس. ثم رحل الى اثينة وتقلَّد فيها تدريس الفلسفة. وفي غضون ذلك الَّف الكتب العديدة التي يذكرها المؤرّخون(٢. غير انَّهُ لسوء الحظ فُقدت في كرور الأيَّام اللهمَّ الَّا كتاب واحد فَرْد يُعدّ من افضل تصانيف الاقدمين واشهرها شرقًا وغربًا اعني بهِ كتاب الايغال (Le Sublime) موضوعهُ بيان المعاني المُدرِكة الغاية القصوى من البلاغة (٣

فلمَّا وصل لنجينوس الى تدمر استقبلتهُ زينب استقبالًا لائقًا بمقامهِ الرفيع بين علماء عصرهِ وجعلتهُ من ندمائها وكانت ترتاح الى مشورتهِ في الامور الادبيـة وتطلب رأيهُ في المباحث الفلسفية والسياسية. والحق يقال ان لنجينوس كان اجدر بمثل هذا الاكرام ممَّن سواهُ لسموّ عقلهِ وعزَّة نفسهِ. فانهُ ليس فقط لم يبغض الديانة المسيحية كما فعل صديقهُ پرفيريوس بل اقرَّها بالفضل واجلّها اجلالًا عظيمًا. قال في كتاب الايغال يصف الاسفار الكريمة لاسيما

١) راجع سويداس لنجينوس

٢) قال پروفيريوس في ترجمة پلوتينوس ان لنجينوس الَّف اربعة تآليف: كتاب الاصول وكتاب حبّ الآثار القديمة وكتاب الغايات وكتاب الاختبار. وقال سويداس انهُ ابقى كتبًا كثيرة في فنون الادب. وقال اوناپيوس في ترجمة پرفيريوس ان الاقدمين قد اخذوا عنهُ عدَّة مقالات مختلفة المواضيع

٣) اعلم ان بعض العلماء من المحدثين قد انكروا نسبة هذا التاليف الجليل الى لنجينوس معتمدين على برهانين: اولهما ان اسم المؤلف لا يظهر صريحًا في النسخ القديمة. والثاني ان القدماء من الكتبة والمؤرّخين لم يذكروا هذه النسبة الَّا نادرًا. وبناء على ذلك فقد زعم البعض ان كتاب الايغال انما هو تصنيف ديونيسيوس الهاليكرناسي. وهذا زعم لا سند لهُ لان اساليب الانشاء في التأليف المذكور غير اساليب ديونيسيوس في باقي تصانيفهِ. وادَّعى آخرون ان كتاب الايغال ينتمي الى پلوترخوس. وهذا قول لا يخلو من ظاهر الصحَّة لان ما اودعهُ پلوترخوس من التآليف يشبه شبهًا كبيرًا الكتاب الذي نحن بصددهِ من حيث الانشاء. (راجع Jules Simon : *Hist. de l'École d'Alexndrie*, II p. 53) الَّا ان جميع براهينهم واهية لا نظنُّها كافية للغرض المقصود. وعندنا ان لنجينوس هو حقيقةً مؤلف هذا الكتاب المشهور الذي قد فتن ملكة تدمر ونبَّه افكارها الى المباحث الادبية الفائقة والامور الدينية العالية

التوراة: «ان هُميروس الشاعر بذل وسعهُ ومجهودهُ ليجعل الناس آلهةً والآلهة اناساً. . . وامَّا موسى الكليم صاحب الشريعة العبرانية فلا اراهُ انساناً بسيطاً بل رجلًا عجيباً انار الله عقلَهُ اذ قد تصوَّر عظمتهُ تعالى وقدرتهُ تصوُّرًا لا مثيل لهُ » (كتاب الايغال الفصل السابع)

هذا ومن المقرَّر ان زينب لم تكن لتردع نديمها وناصحها وكاتبها الحكيم عن رأيه في الشريعة الالهية ولعلّها هي التي القت في قلب لنجينوس محبَّة الكتاب الكريم وقد ارتأى القديس اثناسيوس (١ انَّ ملكة تدمر كانت تدين باليهوديَّة. وقول القديس المذكور جدير بالاعتبار فان عدد اليهود كان قد كثر في عاصمة زينب منذ ابتداء النصرانية لاسيما بعد ان خرَّب تيتوس قيصر اورشليم سنة ٧٠ بعد المسيح. في تلك الاثناء هجر جمٌّ غفير من اليهود اوطانهم وتفرَّقوا في عدَّة مدن اجنبية من المدن المذعنة لدولة الرومان فاقاموا فيها مستعمرات لم يمرّ عليها الَّا القليل من الزمان حتى اخذت تنمي وتنتشر لا سيّما في الاقاليم الشرقية (٢. وقد اتت الكتابات المكتشفة في تدمر مؤيّدةً لذلك تأييدًا لا مردَّ عليهِ اذ قد ورد فيها اسماء عديدة عبرانية بالخط التدمري لا بل بالخط العبراني عينهِ (٣. قال بعض المؤرّخين: ان عدد اليهود في ايَّام زينب قد بلغ نصف جملة اهالي تدمر. وهذا قول لا يخلو من المبالغة لان العرب واليونان وغيرهم من الشعوب المجاورة لتدمر لم يكن عددهم اقلّ من عدد اليهود في حاضرة زينب. وعلى كل حال فلا يُنكر انَّ اليهود قد الَّفوا في تدمر مستعمرة معتبرة وهم يقضون فيها فروض ديانتهم بكل حرّية كسائر السكَّان على اختلاف اديانهم ومللهم

١) راجع القديس اثناسيوس *Epist: ad Solit.* وقد جاء مثل هذا القول في تاريخ مختصر الدول لابن العبري (طبعة الاب صالحاني ص ١٢٩) . راجع ايضاً Milman : *History of the Jews*: III, p. 175

٢) راجع Lévy :*Beitrag. zur Gesch. d. Jud.* 294 و Derenbourg : *Essai sur l'Hist. et la Géogr. de la Palest.*, I p. 22, 224 . وقد اخبر في القرون المتوسطة الرباني بنيامين التودلي انَّهُ وجد في تدمر سنة ١١٧٢ مستعمرة من اليهود يبلغ عددهم ٢٠٠٠ نفس. (راجع El. Reclus : *Géog.* IX, p. 792

٣) (راجع V : 13, 65 و W : 2619)

ومن الواضح ان زينب التي قد رزقها الباري من جودة العقل ما جعلها باقعة زمانها وفريدة دهرها لم ترضَ بديانة الوثنيين ومذاهبهم الباطلة وخرافاتهم الشنيعة واستنكفت من كفر الزنادقة والقائلين بعدم وجود الله تعالى. فكانت من ثمَّ مستعدَّة لقبول الدين الموسوي او على الاقلّ لتعلُّم الشريعة العبرانية التي قد انتشرت انتشارًا عظيمًا في المدن الشرقية منذ ظهور الترجمة اليونانية المعروفة بالسبعينية (ستأتي البقية)

عيد انتقال العذراء

شرحٌ تعليمي وتاريخيّ لهذا العيد

للخوري ميخائيل ألوف

يُفهَم بلفظة انتقال بعث العذراء القديسة بعد موتها وولوجها الى السماء ظافرة بالنفس والجسد وها نحن ذا نبسط الكلام في هذه القضية. اوَّلًا عن حقيقة سرّ هذا الانتقال. ثانيًا نروي ما نُلمُّ بهِ عن ظروفه الزمنيَّة والمكانية. ثالثًا نبيّن تاريخ هذا العيد المرتَّب من الكنيسة احتفالًا بتذكار بعث امّ الله المجيد

١ حقيقة سرّ انتقال العذراء

اما في حقيقة الانتقال فنقول: ان بعث البتول القديسة الجسدي ليس هو عقيدة دينية ولا تعليمًا لاهوتيًا طالما لم نَرَهُ موضوعًا لتحديد خاصّ البتَّة. ومع ذلك لا يُنكر ان الكنيسة سندتهُ وعزَّزتهُ كما روى بارونيوس في شرحه على مجموع تراجم القديسين الروماني في اليوم ١٥ من شهر آب حيث قال: ان كنيسة الله اميل الى القول بان سيّدتنا مريم العذراء انتقلت الى السماء بجسدها ويستبين لنا ذلك بطريقتين مختلفتين وهما كيفية اعتبار الكنيسة لمُجمَل اراء المعلّمين اللاهوتيين ونظام الطقوس (الليتورجيا)

امَّا إجماع آراء المعلّمين المدرسيّين فلا لزوم لنجيء بالبرهان عليهِ طالما لا يخفى على بصيرة من طالع اقوالهم اتفاقُهم في التعليم بالانتقال الجسدي. ومن لزوم ما لا يلزم رواية ما ورد في تآليفهم من الشواهد في هذا الموضوع. وممَّا يجدر بالاعتبار كون اعتقادهم صادرًا عن صدى صوت الكنيسة واعتقادها اذ انَّهم يلقون التعاليم ويدرّسون القضايا اللاهوتية في ظلّها وتحت مراقبتها الدائمة وهي باطلاقها لهم الحرّيَّة في المحاماة عن سرّ الانتقال تمنح

تعليمهم هذا اثباتًا مضمرًا على رؤوس الاشهاد . هذا من قبيل اجماع آراء اللاهوتيين

واماً نظام الطقوس (الليتورجيا) فممَّا يجعل لهذا الاثبات سمةً ظاهرة ايضًا ولا غروَ فان الصلوات الفرضيَّة تعزز بنوع اخصّ انتصار مريم الروحي في السماء وتعلن القدرة التي تدرّعت بها من لدن ابنها . وتشهد على ذلك تقاريظ (ميامر) القدّيسين يوحنا الدمشقي وبرزدوس التي درجها القديس بيوس الخامس في كتاب الفرض على انها تشير الى انّ الكنيسة في احتفالها ببَعْث امّ الله الجسدي لا تمجدها باقلّ مما تمجّد بهِ نفسها القديسة . على ان تسمية العيد بالانتقال يزيد هاتِهِ العقيدة برهانًا ولا يخفى ان كلمة الانتقال قد استُعملَت في الاصل لتشير الى موت احد القديسين وهي تشاكل لفظتي مبارحة وخروج . ولَّما حصرتها الكنيسة بالبتول القديسة ألمعت بذلك الى اعطائها معنًى خاصًا وهكذا صار يُفهم بلفظة انتقال امتياز خاصّ بمريم اي امتياز لا يمكن ان يُعتبر الَّا من حيث بعثها ودخولها الى السماء بالجسد والنفس

واذ انَّ كنيسة الله المقدّسة سندت هذا الاعتقاد وعزَّزتهُ فلزمنا اعتناقهُ واعتبارهُ . ومع ذلك من اباح لنفسهِ القول او التفكير بان جسد مريم قد بقي في القبر فلا يَصِمهُ اللاهوتيون بالارطقة لكنَّهُ يُعتبر راكبًا جسارة عظيمة . قال ملخيور كانو (في كتابه ١٢ والفصل ١٠) ان الزعم بكون العذراء مريم لم تنتقل بجسدها الى السماء لهو ضرب من القِحَة . وكذا ارتأى سوارز وبارونيوس في كتابهِ في تواريخ السنين (صفحة ١٧) . ومن جملة هؤلاء توماسين الذي ارتأى بانهُ لا خداع في قبول الآراء التي تحكم الكنيسة على احتماليتها وإن لم تركن اليها كقواعد . فيُستخلَص مع هذا العالم اللاهوتي ان جسد امّ الله دخل السماء مع نفسها بلا ريب . ولنورد الآن البراهين التي تدعم هاتِهِ العقيدة فنقول :

اننا نرتاح اولًا الى ان نعرف اذا كان يمكن حقيقةً ان يقام على سرّ الانتقال برهان صريح او نصّ صحيح من الكتاب المقدّس . نجيب بالنفي لاننا حقيقةً لا نقدر ان نجد في العهدين القديم والجديد آيةً شأن معناها الحرفيّ ان يثبت امتياز مريم هذا السامي . ولا شكَّ ان اباء الجيل الثامن ومعلّمي الاجيال المتوسطة يطلقون في تقريظاتهم (ميامرهم) كثيرًا من آيات الكتاب المختلفة على انتقال البتول القديسة كقول داود الملك مثلًا : « قم يا رب الى راحتك انت وتابوت قدسك » (مزمور ١٣١ عد ٨) . فان الآباء فسَّروهُ اتباعًا للمترجمين ان سيدنا يسوع المسيح قد ادخل السماء الجسم السعيد الذي منهُ ولد ولادةً

زمنية وكقوله ايضاً: « قامت الملكة عن يمينك بذهب أوفير » (مز ٤٤ عدد ١٠). نرى فيه مريم موشّاةً بحلّة ملوكية مذهّبــة وقائمة على يمين سيّدنا يسوع المسيح وهذه الزينة هي جسمها الطاهر المجيد. اخيرًا آية كتاب الرؤية (فصل ١٢ عد ١): « وظهرت علامة في السماء امرأة ملتحفة بالشمس وتحت قدميها القمر وعلى رأسها اكليل من اثني عشر كوكبًا». فانَّ تلك المرأة السريَّة التي تلد ابنًا بحضرة التنّين (عدد ٥ في ما يلي الآية) هي البتول القديسة والدة المخلّص الذي يجب ان يدوس الحيّــة الجهنّمية. ويستتلي الكتاب قولهُ بعدئذٍ: « ان تلك المرأة أُعطيت جناحي النسر كي تطير الى البرّيّة». في هذه الآية رمزٌ ظاهر الى والدة الله التي غادرت الارض وطارت الى السماء. وبالرغم عن كل ذلك نقول ان تلك الآيات لا تنطبق على انتقال البتول القديسة الّا بالمعنى الرمزي. اعني انها تُذخر الخطباء البيعة وكَتَبتها مادةً للفصاحة ومؤُونةً للبلاغة ولا يمكن مع ذلك اقامتها برهانًا على حقيقةٍ ما او على تأكيدِ حادثٍ ولئن خُيّل لنا انّها في مقام الحجّة الصحيحة. وكلامنا هذا لا يعارض معلّمي الجيل المتوسط الاجلاَّء لانهم هم انفسهم لم يغترّوا بقوَّة الآيات التي اقتطفوها من الكتاب على ان غايتهم من الاستشهاد بها اماطة القناع عن سرّ الانتقال وتمجيدهُ لا اثباتهُ. هذا ما يشير اليهِ سوارز في الجزء الثالث من تآليفهِ حيث يقول: « انَّ الحكم على انتقال مريم البتول ليس هو من الايمان ولا محددًا من الكنيسة ولا آيةً في الكتاب »

وبالفساحة نقول: انَّ هــذا السرّ غريب عن الكتاب الالهي وهو احدى الحقائق المنقولة بالتعليم الشفاهي الذي يبلّغناهُ التقليد. ومنهُ عرفنا ان الاعتقاد بهاتهِ الحقيقة كان في غاية الزوم في اوائل الجيل السابع ومنذئذٍ اتّفق كلٌّ من الكتبة الكنسيين في كتاباتهم والخطباء في منابرهم على اثبات بعث ام الله وارتفاعها الى السماء. وحينئذٍ ابرز كلٌّ من القديسين مودستوس الاورشليمي واندراوس الاقريطشي تقريظهُ في رقاد البتول كما وردت نصوصهم باللغة اليونانية في عيد الانتقال. وفي التاريخ نفسهِ او الاحرى في اواخر الجيل السادس كتب القديس غريغوريوس الكبير كتابهُ في الاسرار وفيهِ تُقرأ العاطفة التي تتلى قبل انجيل اليوم ١٥ من شهر آب: « انهُ لعيد مكرَّمٌ فيهِ كابدت ام الله القديسة الموت الزمني ولم تُقهر منهُ ». وفي اواخر الجيل السادس كتب القديس غريغوريوس رئيس اساقفة تور كتابهُ المعنون بمجد الشهداء وقد قال فيهِ: « انَّ الربّ رفع جسد البتول المقدَّس ونقلهُ بين

السُحُب الى الفردوس». واذا صعدنا درج الاجيال لرأينا في الشرق تقاريظ (ميامر) القديس يوحنا الدمشقي ومواعظ القديسين انسلموس وبرنردوس في الغرب مشحونة بالآيات. وهذا بحث طويل لا محلَّ لاستيفائهِ هنا

هذا وانَّنا لم نرَ في رقاد العذراء وانتقالها مدعاةً للمشاحنات العظمية التي اتفق حدوث مثلها على الحبل بها بلا دنس ولو لم يكن فائزًا بالرأي العام وواجًا في جميع العقول على السواء لانهُ في الجيل التاسع نُشرت باسم القديس ايرونيموس كتابة عنوانها: رسالة لبولس واوسطاثيا فيها من الآيات ما يوقع الريب في بعث البتول القديسة. على اننا لا نجهل ان القديس ايرونيموس لم تكن لهُ يدٌ في الرسالة المذكورة لانهُ كما لا يخفى ليس فقط لم تُكتب منهُ بل لم يمكن ان يكتبها لانَّ نشرها كان في اواخر الجيل الثامن بعد وفاة القدّيس بزمن طويل. ولا عجب في نسبتها اليهِ لان الكذب والخداع انتشرا في ذلك العهد انتشارًا عظيمًا. واسم القديس ايرونيموس في تلك الرسالة اوقع الاضطراب في بعض النفوس فلم يجسر احد على مناقضة اقوالهِ لانها كانت ذات اعتبار في الكنيسة. ومن جملة من عارض هذه القضيّة في تآليفهم الكاتبان اوسور وعادون في معرض كلامهما على الشهداء والحمد لله مثل هؤلاء قليل وليس احد من المعلّمين المدرسيين تزعزع رأيهُ من قبل تلك الرسالة بل اتفقوا جميعًا على الاعتراف بالانتقال. والرسالة المزعومة عُرفت باسم رسالة صفرونيوس الكاذب وقد نسبها مرتياناي البنديكتي الى الراهب صفرونيوس معاصر القديس ايرونيموس. طالع اعمال هذا القديس التي نشرها مرتياناي المرقوم صفحة ٣٣ ومينيا صفحة ١٢٣

وهكذا منذ بداية الجيل السابع ونهاية الجيل السادس يتمثَّل لدينا الاعتقاد بالانتقال الجسدي من كل جهة فنلتقطهُ من اقلام الكتبة وافواه الخطباء وما وراء ذلك التاريخ لا حكم لنا بشيء. بل اكثر ما يُظنّ ان القدّيس غريغوريوس الكبير قد استعار الصلاة التي بدءوها «انهُ لعيد مكرَّم» المذكورة اعلاه من كتاب الاسرار الذي للقديس جلاسيوس الذي اوقفنا تومازي على معرفتهِ. ولئن كان هذا الكتاب لا يتضمَّن اليوم هذه الصلاة فاننا نظنُّ انَّها كانت توجد في كتاب طقوس القديس المذكور وان القديس غريغوريوس نقلها. وعلى هذا النحو نبلغ بعقيدة الانتقال نهاية الجيل الخامس ولا يمكنّا ان نتقدَّم بها اكثر. امَّا في الاربعة الاجيال الاولى فعبثًا يقام التنقيب على شهادةٍ تصدق على سرّ الانتقال اذ لا نجد من ذلك سوى فقرةٍ من كتاب الاسماء الالهية المنسوب الى القديس ديونيسيوس

الاريوباجي وآية من تاريخ اوسابيوس الاستقرأني غير اننا لا نثق بهذا المستند لان كتاب الاسماء الالهية نفسهُ قد كُتب في اواخر الجيل الخامس على ما اجمع عليهِ الجمهور فلا تصحّ نسبتهُ الى تلميذ القديس بولس . فضلًا عن ان هذا الكتاب الذي روى حوادث انفاس مريم الاخيرة لا ينطق بما يشار اليهِ وانما قال عن البتول: ان الرسل شهدوا استئثار عناية الله بها وهم حافُّون بسريرها. وزاد بان قد تمَّت بعدئذٍ اعجوبة باهرة. على أنَّ هذا كلَّهُ لا يثبت الانتقال كما لم توجد تلك الآية في كتاب ديونيسيوس المزعوم لتثبتهُ . امَّا من جهة قول اوسابيوس في تاريخهِ الاستقرأني فقد تضاربت فيهِ الآراء. ومع ذلك لا يمكن الانكار انهُ يوجد فيهِ الماع صريح بالانتقال الجسدي ولكن العلماء يشتبهون بتلك الآية فلا تفوز باعتبارهم . وقس على ذلك العظة المنسوبة الى القديس اوغسطينوس حيثما ترى بَعْث البتول مذاعًا ومبرهنًا عليهِ بالاستقراء الَّا ان هذه العظة مصنوعة ليست للقديس المذكور نُشرت في الجيل الثاني عشر وقد نبذها البندكتيُّون

أَفيلزم اذًا ان نتنج ممَّا تقدَّم ان الاعتقاد بالانتقال لم يظهر قبل الجيل السادس وانهُ كان مجهولًا في الكنيسة لانهُ لم يتيسَّر الوقوف على ادنى اثر منهُ قبل ذاك الزمن؟ انَّ مثل هاتهِ النتيجة فاسدة لان العلامة توماسين اذ تعجب من قلَّة انتشار عبادة مريم في اجيال الكنيسة الاولى قد نسب ذلك لتدبير العناية قائلًا: « لمَّا كانت الكنيسة تخشى من ان التفريط بتكريم مريم يؤدي بالمؤمنين الى التورُّط في عبادة الاصنام شأن الوثنيين الذين عبدوا عددًا وافرًا من والدات الالهة الكاذبة لم تُكثر لذلك من اطراء انتقالها حتى لا يعبدها المسيحيون عبادة لاترية لا تجب الَّا لله وحده . ومن المسلَّم بهِ ان حقائق كثيرة محصاة في مستودَع الوحي تناولت اصلها من الرسل القديسين وقد جازت الاجيال الاولى وهي على نوع ما ملتحفة برداء الرموز ولم يُمَط عنها القناع وتظهر من الخفاء الى الوجود الَّا بعد نهاية الاضطهادات العشر . وقد جرى مثل ذلك في عقيدة الحبل بغير دنس فانها كانت احدى هاته الحقائق التي لم تظهر الَّا في الجيلين السادس والسابع وقد جازت الاجيال الاولى وهي حبَّة حياة مستترة على مثال حبَّة الحنطة التي لم تقع بعدُ في ارض مخصبة لتنبت فيها وتثمر » . فالاعتقاد اذًا بالانتقال هو قديم العهد كقدمية الرسل ولو لم يتحقَّق وجودهُ في الكنيسة الَّا في الجيل السادس ويخال لدينا انهُ لولا ارتقاؤهُ الى عهد الرسل لما تقرَّر في الكنيسة جمعاء في عهد القديس غريغوريوس الكبير. وعليهِ قد وقَّع في المجمع الفاتيكاني

اكثر من ثلثمائة من الآباء على قضايا مختلفة كانت من جملتها حقيقة انتقال العذراء بالجسد فطلبوا من الكنيسة تحديدها (طالع مرتينوس في تعليم المجمع الفاتيكاني وجه ١٠٥). وكان جمهور هؤلاء الاباء موقنين ان اعتقاد الكنيسة هذا يرتقي متدرّجاً جيلاً فجيلاً الى الرسل الذين انفسهم تلقّوا العلم بهِ من الله نفسهِ . . . وفي كل حال لا بُدَّ لنا ان نثبت هنا كلام بوسويت الشهير الذي فاه بهِ على المنبر بغير دنس ثمَّ اطلقهُ على الانتقال اذ قال: « اننا نستطيع ان نحصي هاتِهِ القضية بين القضايا التي من اوَّل وهلة توقع في النفس انذهالاً خارقاً وتحملها على ان تحبها بانشغاف من اول لمحة طرفٍ قبل ان تعرفها» وقال ايضاً: « وبالحقيقة انهُ بين كل اسباب التوفيق واللياقة التي تثبت الحَبَل بلا دَنس ما من علّةٍ الّا وتنطبق على الانتقال ». ولا ننكر انهُ ممّا يجحف بشرف سيدنا يسوع المسيح ان يدع جسد امّهِ الطاهر في القبر عرضة للفساد. هذا واننا نستصوب كلام المؤلف التقي الذي نُسِبت احدى عظاتهِ للقديس اوغسطينوس اذ قال فيها: ان تلك القداسة اجدر بالسماء منها بالارض وخليق بالسماء ان يحتفظ على هذا الكنز النفيس ولا يبقى في التراب ». واذا خُيّل لاحد ان في ذلك اعجوبة يصعب تصديقها فنجيبهُ اتباعاً لبوسويت ان والديّة مريم المجيدة تجعلها في نقطةٍ ممتازة لا تحتمل المشاكلة والتشبيه. فكم من شرائع طبيعية وعمومية استُثنيت هي منها واذا لوحظ مثل هذا الاستثناء العام اي ميلاداً خالياً من وجع ولحماً مجرّداً عن ضعف واهواء معتدلة لا جماح فيها فمن ذا يستطيع ان يصدق بان رقادها يبقى الشيء الوحيد فيها الذي لا يصحبهُ اعجوبة باهرة؟ . . .

٢ في ظروف سرّ الانتقال

ليس لدينا ادنى المام مؤكد بالظروف الزمنية والمكانية التي تمَّ فيها سرّ الانتقال. امّا من جهة السنة التي حدث فيها فبارونيوس عيَّن سنة ٤٨ لكنهُ يستدرك زعمهُ بعدم تعليق أهمية كبرى عليهِ وباعتبارهِ افتراضياً فقط. فعلى هذا الرأي تكون البتول القديسة قد استوفت الاثنتين وسبعين سنة من عمرها. غير اننا نعيد القول بانهُ يمتنع علينا ان نسند رأينا على حساب اكيد واساس راهن

اما من جهة المكان الذي كانت تسكن فيهِ البتول آونة مبارحتها الارض ففيهِ رأيان الواحد يجعل وفاتها وبعثها في افسس والآخر يرجح وقوع هذين الحادثين في اورشليم.

فالاول يستند على رسالة مجمع افسس العامة التي ورد فيها ما يلي في معرض كلام الآباء على المدينة التي اجتمعوا فيها: « حيثما يوحنا الثاولوغوس والبتول القديسة مريم » (طالع مجموع المجامع المجلد ٣٠ صفحة ٥٧٣) . لكن لا يخفى كم هي ملتبسة تلك العبارة لخلوّها من اسناد راهن . وعليه ترى معناها مبهماً لا يستقيم الّا بأن يضاف اليها بعض الالفاظ كأنَّ المجمع يقصد في قوله مثلاً : ان البتول مريم والقديس يوحنا قبرهما في افسس . ولعلّهُ اراد بهذه العبارة ان هاتِهِ المدينة تتضمن كنيسة على اسم مريم البتول ويوحنا الثاولوغوس . على ان تيلمون ينكر التفسير الاول واغلب المعلمين تركوا تيلمون مقتنعاً بهذا الزعم وفهموا الآية بالنوع الثاني . فيتضح اذًا ان الزعم بكون الانتقال تمَّ في افسس لا اساس متين له (١

اما القديسون غريغوريوس اسقف تور واندراوس الاقريطشي ويوحنا الدمشقي فيذهبون الى ان مريم اتمّت انفاسها في اورشليم في الجسمانية من حيث صعدت الى السماء . ويؤخذ من روايتهم انهم اعتمدوا في مذهبهم هذا على كتاب يدعى « كتاب نياح البتول مريم » . وهو تأليف يُنسب لمليتون المحامي الشهير الذي عاش في الجيل الثاني مع ان هذا التأليف لم يُكتب الّا في اواخر الجيل الخامس (طالع مرغرين في مكتبة الاباء في المجلد الثاني والقسم الثاني) . فاذا لم يكن هذا الرأي مدعوماً بحجة راهنة أفيلزم من ذلك ان يُنبذ ظهريًا . كلَّا لانَّ رواية مليتون المزعوم صادرة عن كتابة اقدم ولربما انَّها تكون بالغة الجيل الثاني . ولئن كان هذا الكتاب موصوماً باضاليل مهمَّة ومشجوبًا من البابا جيلاسيوس فانَّهُ يثبت اقلهُ ان الاعتقاد بالانتقال يتصل بالاجيال البعيدة جدًا . على ان البابا بنديكتوس فحص في كتابه في الاعياد كِلَا الرأيين المتقدمين الذين جئنا على ذكر مستندهما فلم يجسر ان يفضل احدهما على الآخر . فغدا فوق امكاننا نحن ايضًا ان نبدي رأيًا قد رفض البابا ابداءهُ . وما نقول فقط هو ان الرأي المرجّح حدوث الانتقال في اورشليم هو بالاجمال اعمّ واكثر قبولًا اليوم

وممَّا تقدَّم يتَّضح ان من المحتمل ان تكون البتول القديسة قد انتقلت ثمَّ بُعثت او

---

١) راجع مع ذلك كتابًا حديثًا افرنسيًا كُتب في هذا الموضوع عنوانهُ Gabrielovich: *Ephèse et Jérusalem, Tombeau de la* Ste *Vierge*, Oudin, Paris, 1897.

ان يكون بعثُها سبق انتقالها تفضيلاً لها على باقي الخلائق بما انها امّ الله . واستيفاء للشرح نقول ايضاً ان موت مريم قد ارتاب بهِ القديس ابيفانيوس ولم يرد ان يجزم ان كانت الملئكة قد ذهبت الى القبر في طلب جسد ملكتهم او بالعكس انهم نقلوها قبل ان تنشب بها مخالب الموت . غير ان بارونيوس لحظ ان اسقف سلامين العظيم قد جُرَّ الى هذا الزعم بقوَّة الجدال غايتهُ ان يروي غليلهُ باذلال الاراطقة الذين كان ديدنهم الحطّ من قدر البتول القديسة ليبقوها في مصفّ باقي النساء . في هاتهِ النقطة غادرت الكنيسة رأي المعلِّم الملفان معاصر الجيل الرابع واثبتت في خدمة قداس عيد الانتقال بان مريم قد خضعت لشريعة الموت العامّة بقولها : « فلتسعف شعبك يا رب صلاة امّ الله التي ولئن عرفنا انها تُوفّيت حسب شريعة اللحم والدم الخ » . وقولها في اكسابستلاري العيد نفسه : « ايّها الرسل اجتمعوا من الاقطار واحضروا هنا في قرية الجسمانية واضجعوا جسدي وانت يا ابني والهي تقبَّل روحي »

امَّا تاريخ عيد الانتقال فقد روى نيكيفوروس (في الكتاب السابع عشر الفصل ٢٨) من تاريخهِ ان الامبراطور موريق رتَّب هذا العيد في الكنيسة الشرقية في ١٥ آب . وفي التاريخ نفسه اي سنة ٦٠٠ رسم البابا القديس غريغوريوس في رومة فريضة الاحتفال بهِ في اليوم والشهر المعينين من موريق في الشرق . وكان يُحتفل بهِ في الغرب قبل القديس غريغوريوس الكبير في ١٨ كانون الثاني . هذا ما استخلصناهُ من السنكسار الايرونيمي ومن كتاب القديس جيلاسيوس في الاسرار وخاصةً من كتاب القديس غريغوريوس اسقف تور في مجد الشهداء كما ترى تفسيرهُ في الصفحة ١٨ لمابيليون

وقد حفظت الكنيسة الانكليكانية عادة الاحتفال بهذا العيد في اليوم المذكور اجيالًا عديدة ولم تتبع فرنسة عادة رومة في تعييده الَّا في عهد الملك لويس الحليم . وفي اواخر الجيل السابع اضاف البابا سرجيوس طوافًا (زيَّاحًا) ليزيد حفلة العيد رونقًا وبهاء . وفي الجيل التاسع جعلهُ البابا لاون الرابع من الاعياد التي يُتلى فرضها سحابة ثمانية ايام وتكون ذات مقدّمة وختام . ونحو ذلك التاريخ افاد البابا نقولاوس في رسالتهِ الى البلغاريين ان المؤمنين كانوا يستعدّون بصوم للعيد المحتفل بهِ في ١٥ آب . وعلى هذا النحو كبر شأنهُ على مدار الاجيال . يشهد على ذلك بارونيوس في تاريخهِ وتيلمون في تفاسيرهِ على اعياد البتول القديسة المجلّد الاوَّل وتوماسين في فقرة وضعها عن الاعياد (في كتابه

الثاني فصل ٢٠) والبابا بنديكتوس الرابع عشر في معرض كلامهِ على اعياد مريم وهير في شروحه على اعياد الكنيسة المقدّسة الخ · اللهمَّ بشفـاعة مريم البتول القديسة والدتك ارحمنا وخلّصنا

رفع الباناجيا المذكور في السواعي الكبير

أُخبر انهُ بعد قيامة مخلّصنا يسوع المسيح وحلول الروح القدس الى حين تفرُّق الرسل القديسين لاجل الكرازة كانوا يجتمعون معًا واذا جلسوا للغداء فبعد الصلاة يتركون بينهم موضعًا خاليًا ويضعون فيهِ وسادةً عليها قطعة من الخبز الذي كانوا يأكلونهُ يدعونها « جزء الرب » و بعد الغداء ينهضون و يصلُّون صلوة الشكر ثم يرفعون تلك القطعة قائلين · « المجد لك يا الهنا المجد لك · المجد للآب والابن والروح القدس » · وكانوا يقولون : « خريسطوس انستي » من الفصح الى الصعود · ومنذ الصعود كانوا يقولون « عظيم اسم الثالوث الاقدس ايها الرب يسوع المسيح أعنّا » · وهكذا كان يفعل كلٌّ منهم حيثما وُجد الى ان اجتمعوا مقبلين بالسحب لاجل انتقال السيّدة والدة الاله · وفي اليوم الثالث من دفنها صنعوا تعزية · وبعد ما نهضوا عن الاكل رفعوا جزء الرب كعادتهم وحينما قالوا : « عظيم اسم الخ » فيا للعجب المستغرب ظهرت لهم العذراء بجسمها الطاهر ملتحفة بسحابةٍ بهجة وملائكة منيرون ظهروا يحفُّون بها في الجوّ قائلة : « السلام لكم وافرحوا لانني معكم مدى الايام » · فاندهش التلاميذ وعلَّوا الصراخ قائلين عوض (ايها الرب يسوع المسيح أعنّا) : « يا والدة الاله الكلّية القداسة عينينا » · ثم ذهبوا الى القبر واذ لم يجدوا جسدها الكلّي قدسهُ تيقنوا حقيقةً انها قامت من بين الاموات حيةً بجسدها بعد ثلثة ايَّام نظير ابنهـا وانتقلت الى السموات مالكة معهُ الى دهر الداهرين

طروبارية باللحن الاول

في ميلادكِ حفظتِ البتولية وصنتِهـا · وفي نياحك ما اهملت العالم وتركتِهِ يا والدة الاله · لأنّكِ انتقلتِ الى الحياة · يا امّ الحياة الدائمة · فبشفـاعاتك انقذي من الموت نفوسنا

النفس البشرية

مقالة مختصرة

صنَّفها المَفْريان العَلَّامة ابو الفرج المعروف بابن العبري

(تابع لما قبلُ)

الفصل الرابع والعشرون

في بيان اتحاد النفس بالجسد

زعم قومٌ انّ الاتحاد مُحالٌ وعلّلوهُ بالامتزاج والاختلاط والفساد وهذا رأيٌ باطل لأنّهُ ليس كلّ شيءٍ يتّحد بشيءٍ آخر يلزم فيه هذه الاحوال. وذلك انَّ النار تتّحد بالذهب وشعاع الشمس يتَّحد بالفضاء. فاذا كان الامر كذلك فكم بالحري انّ النفس وهي غير جسمٍ تتَّحد بالجسم ولا يحصل لها الفساد والتَّبلبل لانهُ من المستحيل ان يتحوَّل الجوهر البسيط الغير الجسم الى صورة جسم. واذا لم يكن هذا التحوُّل فصحَّ الاتحاد دون تغيير وفساد كما يتَّحد النطق بالصوت والنار بالذهب وما اشبه ذلك

الفصل الخامس والعشرون

في بيان الاسباب التي لاجلها يحصل اتحاد النفس بالجسد

يحصل ذلك لأسباب شتَّى نذكر في هذا المُختصَر شيئًا منها: (الوجه الأوَّل) هو انَّهُ لا يكمل فعل النفس الَّا بالآلة البدنية. فانَّها اذا بذلت جوهرها في تحصيل الفضائل ودَفع الرذائل تبلغ الغاية القُصوى والرتبة العالية. وهذه الامور لا يمكن الوصول اليها الَّا بالبدن (١. (الوجه الثاني) انَّ الجسم يكمل بهذا الاتحاد وذلك انَّهُ لا فرق بين جسم

---

١) كما انَّ الجسد يكتسب كمالًا عظيماً باتحادهِ مع النفس كذلك النفس تكمل باتحادها مع الجسد لانَّها لا تبلغ الى معرفة الكائنات الَّا بواسطة حواسّ الجسد فتجرّدها النفس بواسطة العقل بالفعل عن خواصّها الهيولية فتعقلها وتدرك معانيها. امَّا تحصيل الفضائل الذي ذكرهُ المؤلف فانَّ النفس تمارس بعضها في البدن كالعفَّة والقناعة والاماتة الَّا انَّ في ممارسة اكثر الفضائل لا تجد النفس في جسدها إلَّا إعاقةً ومانعاً فاذا انتصرت على هذه الموانع زاد كمالها

الانسان وجسم الثور والفرس الّا باضافتهِ الى هذه النفس . واذا فعلت النفسُ بهِ جميع ما هو مطلوب منها ارتفع عنها هوان البدن بعد القيامة الى عالم الملائكة وتخلد فيهِ دائمًا . وهكذا تأخذ النفسُ جسمًا مساويًا للبهائم فتجعلهُ مستحقًّا لعالم الروحانيين . وبهذه الحالة يُعرَف جلال الباري تعالى الذي ركّب من العالم المعقول والعالم المحسوس عالمًا آخر مجتمعًا من العالمين وهو الانسان تبارك اسم الخالق العليّ العظيم

الفصل السادس والعشرون

في بيان الاسباب التي من اجلها وجب افتراق النفس من الجسد

نقول انّ السبب الاوّل لذلك تجاوُز ابينا آدم عن الامر الالهيّ فاستوجب بعصيانهِ قَبول الحدّ عليهِ . والسبب الثاني هو ان يحصل الجسم على معاد أكمل واجمل من صورتهِ الاولى لانّ هذه الصورة تتشعّث وتنهدم ولا تصلح للثبات والدوام الذي لا نهاية لهُ (١

الفصل السابع والعشرون

في بيان الاعضاء التي بها تتّحد النفس

لا شكّ انّ فعل النفس في جميع الاعضاء هو واحدٌ (٢ ولكن لا بُدّ من ان تختصّ بعض الاعضاء فتكون في عضو من اعضاء الجسد اكثر من غيرهِ (٣ وهذا القول فيهِ رأيان احدهما يقول انّ وجود النفس في الدماغ لانّهُ معدن الحواسّ العشر . والرأي الآخر انّ وجود النفس الخاصّ في القلب الذي هو معدن الحياة والحركة . والرأي الثاني هو الارجح والاصحّ (٤

هذا (٥ وللنفس خواصّ في الجسد الانسانيّ المركّب وهي انّها تبقى روحانيّةً عديمة

١) يريد انّ الله تعالى في يوم البَعْث يكسو اجسامنا بخواصّ وصفات تجعلها شبيهة بالارواح كالبقاء والنور وسرعة الحركة ونفوذ الاجرام الصلبة . ولو ثبت آدم على طاعة الله لحصل عليها ايضاً دون ان ينحلّ جسمهُ بالموت

٢) يريد من حيث وجود النفس واتحادها مع الجسم لا من حيث مفعولها

٣) اي من حيث مفاعيلها الحيوية في بعض الاعضاء الرئيسية فاذا أُصيبت هذه الاعضاء بأذًى كبير فسدت الحياة وحلّ الموت

٤) لا ينكر المؤلف بقولهِ هذا انّ الدماغ كالة تستخدمها النفس لابراز افعالها النطقيّة

٥) في احدى النسختين قد أُفرد فصلٌ خاصّ لبقيّة الباب

الموت والتبلبل. واماَّ خواصّ الجسد فأن يكون جسمانيًا قابلًا للموت والامراض والتقطيع

الفصل الثامن والعشرون

في بيان خواصّ النفس التي بها تنفصل عن سائر الموجودات مع كونها في الجسد

خاصَّتها الاولى من هذا القبيل انَّها مفكّرةٌ تتصرَّف فيما تفعلهُ. الثانية انَّها مع كونها مرتبطة بالجسد تتخيَّل وتتمثَّل الامور البعيدة عنها مثل القريبة. الثالثة انَّها عند نوم الجسد تفتكر فيما تفعلهُ في اليقظة (١. الرابعة انَّها تحزن بحزن الجسد وهي غير مغتمَّة بطبعها. الخامسة انَّها تبغض الإثم وتحبُّ البرارة ولو غُلِبت في اكثر اوقاتها. السادسة انَّها تجد العلوم والصناعات المختلفة

الفصل التاسع والعشرون

في بيان اصل النفس وتولّدها في الجسد

قد (قال قوم) انَّها وُجدت من كيان الله تعالى وجوهرهِ. وهو قول باطل لانهُ عزَّ وجلّ بسيط لا يقبل القسمة ولا يتصوَّر العقل ان يكون الانسان مركَّبًا من الخالق والبدن وهو بهذه الخسائس. (وقال آخرون) انَّ النفس تتولَّد بعضها من بعض. وهذا كاذبٌ لانَّ المتولّد من غيرهِ لا يصدق الَّا على الاجسام وذلك بشروط لا تليق ببساطة النفس. ولو صحَّ ذلك لكان في الملئكة اوضح وهو باطلٌ. (وقال آخرون) انّها تتولَّد من الزرع البشريّ وهو محال لانَّ ذلك جسمٌ والنفس ليست بجسم. ولَّما بطلت هذه الآراء وما يشاكلها ظهر الحقّ وهو انَّ الله تعالى يخلق النفس لا من شيء يسبقها وذلك مثلما اوجد العقول المجرَّدة (٢

الفصل الثلاثون

في بيان ايّ مكان خُلقت فيهِ النفس أَفي داخل البدن ام خارجًا عنهُ

هذا القول فيهِ رأيان: الاوَّل انَّ النفس خُلقت في البدن وقد نكر ذلك حكماء اليونانيين وذكروا انَّها خُلقت خارج البدن (٣ وأتت اليهِ. والرأي الثاني أرجح لانَّ البسيط يليق بالبسيط والنفس بسيطة لائقة بعالم البسيط العاري عن ملابسة الاجسام. فاذًا وجود النفس اي خلقتها خارجًا عن الجسم هو اصدق (٤

١) انَّ ذلك في اغلب الاحيان ينتج عن القوَّة المخيّلة وليس هو فعلًا نطقيًّا محضًا
٢) اي الملائكة ٣) وهو راي افلاطون
٤) نقول ان في هذا القول شططًا. والصواب انَّ الله خلق النفس في البدن لا خارجًا عنهُ.

الفصل الحادي والثلاثون

في بيان اي وقت تُخلق بهِ النفس أبعد خلقة الجسد او قبلهُ او معهُ

قال قومٌ من الاقدمين انَّ النفس خلقةٌ قديمة قبل البدن. وهذا مُحال. لأنَّهُ لا يخلو القول عن احد امرين امَّا ان تكون النفس واحدة وتحلُّ في سائر الابدان واما ان تكون انقسمت قبل الحلول في البدن. والاوَّل مُحال لأنَّهُ يلزم منهُ انَّ ما يعملهُ الواحد يعملهُ الكلّ وهو باطل. والثاني لا صحَّة لهُ ايضًا لانَّ النفس بسيطة وما كان بسيطًا لا تطرأ عليهِ القسمة. وكان يجب مع ذلك ان يكون الخلف بين النفوس بالفصول والعوارض. وكلا القولين باطل لانَّهُ يلزم من الاوَّل انّ النفس تكون مركَّبة من الجنس والفصل مثل بعض الحيوانات. والثاني مُحال لانَّ النفس قبل الاتحاد بالبدن لا تدخل عليها العوارض فبطل من ثمَّ القول بقِدَم النفوس (١

وقال قوم انَّ النفس خُلقت بعد البدن باربعين يومًا وهو زعمٌ باطل لانَّ البدن دون نفسٍ ترَبيهِ يمتنع في حقّهِ التصوُّر والتكوين والانتقال من صورة الى صورة اخرى. فيتعيَّن اذن القول الاخير اعني وجود النفس والجسد معًا. اعني انَّ النفس توجد لمَّا يصلح الجسد للصورة الانسانية باعتدال قوامهِ واستحكام مزاجهِ فيكون مستحقًّا لأن تُضاف النفس اليهِ بالاتحاد

الفصل الثاني والثلاثون

في بيان اين هي النفس هل داخل البدن او خارجًا عنهُ او في المكانين معًا

اعلم انَّ لفظة «اين» تقال على احد عشر نوعًا والنفس مسلوبة عن الجميع لانَّ هذه اللفظة لا تليق بجوهرها البسيط. امَّا الانواع المذكورة فهي مثل الاجزاء في الكلّ

ولو صدق قول المؤلف لوُجدت النفس حينًا ما بلا جسدها وهو قول باطل. والبرهان الذي استند اليهِ المؤلف لتأييد زعمهِ ضعيف واهن ينتج عنهُ انَّ النفس من حيث انَّها لائقة بعالم البسيط لم تُخلق لمساكنة الجسد وملابستهِ وهي نتيجة فاسدة كما يظهر ايضًا من الفصل التالي

١) ويمكن قول ثالث لم يذكرهُ هنا ابن العبري وهو ان تُخلق النفوس متعددة كالملائكة. وهو قول ايضًا لا صحَّة لهُ لانَّهُ لو خُلقت قبل البدن لبقيت فارغةً عن العمل وهو باطل لانَّ الله لم يخلقها لتعيش مجردة عن الجسم كارواح الملائكة بل لترتبط مع الأبدان وتأخذ موادّ فهمها وعملها من الحواسّ. امَّا وجود النفوس بعد الموت منفردةً عن الجسد مدَّةً ما فان ذلك امر قد قضى الله بهِ على البشر عقابًا على خطيئة الابوين الاوَّلين

والكلّ في الاجزاء والجنس في الانواع وعكسهِ وكمثل الزمان والمكان والإناء والصورة في الهيوليّ والتدبير والتكميل والعرض في الجوهر . امّا الاوّل فمثل الاعضاء في البدن . والثاني فمثل البدن في اعضائهِ . والثالث مثل الحيوانية في الانسان والفرس . والرابع مثل الانسانية والفرَسية في الحيوانية . والخامس مثل زمان الطوفان . والسادس مثل الجسم في مكانهِ . والسابع مثل النبات في وعائه . والثامن مثل صورة النار في هَيُولاها . والتاسع مثل مدبّر المدينة . والعاشر مثل مكمّل السفينة . الحادي عشر مثل اللون في الجسم . والنفس عريّة عن جميع هذه الأَمثال ولا يقال في حقّها انّها في الشيء الفلاني لأنّ هذه اللفظة لا تليق الّا بالاجسام . والنفس هي بعيدة عن الامور اللائقة بالاجسام والاعراض وما يشاكلها دائماً . لأنّ علاقة النفس بالبدن علاقة اضافية شوقية ولا يقال اين هي النفس من البدن او من اعضائهِ (١

الفصل الثالث والثلاثون

في البحث عن زرع الرجل أهو حيّ ام ميت أمتنفّس هو ام غير متنفّس

اقول انّ الزرع الذي يصلح للصورة البشريّة هو حيٌّ متنفِّس بالقوَّة . وذلك مثل وجود الاضراس بالطفل واللحية بالحدَث . امّا الزرع الذي يبرز في الحلم او المرض او في غيرهِ فذاك مثل البُصاق والعرَق والدموع وغيرها

الفصل الرابع والثلاثون

في انّ النفس لا تستحيل بالطبع

واعلم انّ النفس لا تستحيل بالطبع ولا يطرأ عليها تبلبل واذا اصابها الغيار انّما يصيب صفاتها دون جوهرها وذاتها . ويبلغ هذا الغيار الغاية القصوى فينتهي امّا الى الرذائل وامّا الى الفضائل . ويمكنهُ الاستحالة من احد الطرفين الى الآخر . ولولا ذلك لكان امتنع عليها تحصيل العلم والعمل اللذين هما المطلوبان منها ولاجلها خُلِقت وارتبطت بالبدن بقدرة العزيز الحكيم تبارك اسمهُ (ستأتي البقية)

١) خلاصة هذا الفصل انّ النفس ليست في البدن كما تكون الاجساد في بعضها او كما تتعلّق الاعراض بالجواهر وانمّا هي بالجسد على صفة الأَرواح فهي كلّها في البدن وكلّها في كلّ اعضاء البدن . وهي مع ذلك متّحدة مع الجسد اتّحاداً جوهريًا لانّها صورة الجسد تعطيهِ الكيان والحياة والحسّ والنمو

غابة الصنوبر في بيروت

للاب لامنس اليسوعيّ

انَّ من يتجوَّل من السيَّاح الغربيين في اقطارنا لم يسعهم السكوت عن محاسن بيروت ولاسيَّما غابة صنوبرها الشهيرة التي جعلها البيروتيُّون مقصدًا يرتادونهُ للنُّزهة وترويح النفس. غير انَّك لا تكاد تجد بينهم كاتبًا الَّا وينسب هذه الغابة للامير الجليل فخر الدين الدرزيّ المعنيّ. وهذه بلا مشاحَّة من جملة الاغلاط العديدة التي طالما عهدناها في كتب اصحاب الرِحَل والاسفار. ولا غروَ لانَّهم يطوون البلاد التي يزورونها بسرعة الطير المُجدّ في سيرهِ فلا يسمح لهم قصر الوقت ان يتثبَّتوا الامور ويتحقّقوها بذواتهم فيعدلون الى نقلها عمَّن سبقهم غثَّةً كانت ام سمينة

وقد أنعمنا النظر في كتب السيَّاح الأوَّلين لعلَّنا نقف على صاحب هذه الرواية الكاذبة ونستدلّ على سبب غلطهِ. فلم نجد احدًا منهم يعزو غابة صنوبر بيروت الى الامير فخر الدين قبل الكاتب الفرنسيّ الشهير الفارس دي أرڤيو (١ وكان المذكور متقلّدًا رتبة القنصل في صيداء فزار بيروت سنة ١٦٦٠ وصنَّف تأليفًا حسنًا اودعهُ أعجب ما حدث لهُ مدَّة اقامتهِ في المشرق. وقد ابدى في هذا التأليف من صحّة الذوق ودقَّة النظر ما جعلهُ عبرةً لخلفهِ. بيد انَّهُ قد وهم كما نظنُّ بنسبتهِ غيضة بيروت للامير فخر الدين. وقد وافق الفارسَ دي ارڤيو رحَّالةٌ انكليزي اسمهُ مندريل (٢ قدم بيروت سنة ١٦٩٧

وبعد هذين الكاتبين قد كرَّر هذا الزعم قومٌ لا يُحصون عدًّا مستندين اليهما او الى من اخذ عنهما. ودليل «بيديكر» الذي يتظاهر بالضبط وصحّة الانتقاد قد نقل الرواية نفسها (٣. وما زادنا عجبًا انَّ مؤلّفًا حديثًا روى الامر ذاتهُ في كتابٍ افرنسيّ اللهجة موضوعهُ جغرافية سوريَّة طُبع في بيروت. فهيَّا بنا نبحث عن صحّة هذه الرواية

---

١) راجع كتابهُ المعنون Mémoires du Chevalier d'Arvieux, II, 333

٢) Maundrell: *Voyage d'Alep à Jérusalem*, Utrecht, 1705

٣) راجع الطبعة الثالثة الالمانية Bædeker : *Reise in Palästina and Syrien*, 1897, 331 وفي هذا الدليل اغلاط أُخرى وردت في اثناء مقالتهِ عن بيروت كقولهِ مثلًا (ص٣١٢) انَّ الاميركان حلّوا بيروت منذ سنة ١٧٢١ وهلمَّ جرًّا

(نقول) ان بعض العلماء قد ارتأوا انَّ اسم مدينة بيروت مشتقٌّ من العبرانية ברות الذي يناسبهُ بالكلدانية وبالسريانية ܒܪܘܬܐ . ومعناهُ الأصلي السَّرو وربَّما دلَّ على الشربين والصنوبر . فان صحَّ هذا الاشتقاق تكون غابة بيروت قديمةً كنفس المدينة . ولا يخفى انَّ بيروت عريقة في القدم تُعدّ من اعتق مدن ساحل فينيقية كما بيَّنهُ الاب لويس شيخو في شروحهِ على تاريخ بيروت لصالح بن يحيي (راجع المشرق ص ٣٦)

ولعلَّ هذا البرهان لا يُرضي بعض القرَّاء لاختلاف آراء العلماء في اصل تسميـة بيروت . فدونك شهاداتٍ أُخرى صريحة لا تدع مجالًا للريب في قدم هذه الغابة

فأوَّل هـذه الادلَّة قد ورد في شعر نُنُّوس احد شعراء اليونان الذين اشتهروا في القرن الرابع للمسيح . فانَّ هذا الشاعر كتب ثماني واربعين قصيدةً وصف بها اخبار الاله بُخُوس فدعاها لذلك القصائد الديونيسيّة (Διονυσιακά) وديونيسيوس اسم بخُوس باليونانية . في قصيدتهِ الثانية والاربعين قد كرَّر مرارًا ذكر غابة صنوبر بيروت وليس في قولهِ التباس(١

وقد بقيت هذه الغابة المذكورة بعد الشاعر نُنُّوس بزمن طويل فان الكاتب والجغرافي الشهير المعروف بالشريف الادريسيّ المتوفَّى سنـة ٥٧٥ هـ (١١٨٠ م) قد وصف غابة بيروت في القرن الثاني عشر في كتابهِ المعنون بنزهة المشتاق في اخبار الآفاق فقال: «ولها (اي بيروت) غيضةٌ من اشجار الصنوبر سَعَتها اثنا عشر ميلًا في التكسير تتَّصل الى تحت لبنان»

وجاء في كتاب معاصرهِ غِلْيلموس الصوريّ انَّ الصليبيين لمَّا حاولوا محاصرة مدينة بيروت عمدوا الى هذه الغابة فقطعوا منها الاخشاب اللازمة لتجهيز المجانيق وادوات الحرب

وروى صاحب تاريخ بيروت صالح بن يحيي (راجع المشرق ص ٢٧٦ و٢٧٧) انَّ الامير الكبير يَلْبُغا العُمَري تقدَّم في سنـة ٧٦٧ هـ (١٣٦٧ م) الى الامير بيدمر الخوارزميّ بالتوجُّه الى بيروت ليعمّر من غابتها مراكب كثيرة . وقد وصف المؤلف المذكور بناء هذه العمارة وما صرف عليها من المال الطائل

وقد رأى غابة بيروت بعد صالح بن يحيي احد الزوَّار الالمانيين سنة ١٤١١ وذكر انَّ سعتها كانت نحو ميلين (٢ . وذلك ممَّا يبيّن انَّ هذه الغابة كانت صغرت كثيرًا غير انَّها لم تزل معروفةً الى ذلك العهد

---

١) Nonnus, *ed. Firmin-Didot, trad. par le C. de Marcellus, p.* 350-353

٢) راجع المجلَّة الفلسطينيَّة Z D P V, XIV, 126

فكيف اذن يزعم المحدثون انَّ فخر الدين هو الذي زرع غابة صنوبر بيروت او جدَّد زرعها وفي ما سبق دلائل كافية على انَّها لم تزل مشهورة ثابتةً في مكانها المعروف. ولعلَّ السبب الذي حمل الكتبة على نسبة هذه الغابة للامير المذكور انَّهُ كان اتَّخذ بيروت كمقامهِ الخاصَّ واهتمَّ بكلِّ ما رآهُ مناسبًا لحضارتها وسعى بتحسينها وزينتها. وكان اسمهُ في ايَّام الفارس دي أرڤيو شائعًا يلهج القوم بذكرهِ ولم يمرَّ على وفاتهِ الَّا بضعة ثلاثين سنة. ولعلَّ البيروتيين نسبوا اليهِ غابتهم شكرًا لافضالهِ عليهم او لانَّهُ يكون سعى في صيانتها وتوسيعها. فروى الكاتب المنوَّه بهِ ما روى دون التدقيق في الخبر. وهنا يحسن بنا ان نختم كلامنا عن غابة بيروت بوصف نعتها بهِ احد مشاهير الكتبة الفرنسيّين منذ نحو ستين سنة وهو الشاعر لامرتين قال:

« ورأيتُ من هذه الغـابة منظرًا يبهر النظر ويخلب اللبَّ. فانَّ جذور شجرها تبلغ بين ستين وثمانين قدمًا تلحق بالجوّ منتصبةً فتمدُّ من علُ افنـانها الباسقة وتظلّل بظلّها الوارف ذلك السهل بسعتهِ. وترى بين الجذور فسحةً من الرمل الناعم تمرُّ في وسطهِ السابلة وتتجارى فيهِ خيل الرهان. وهناك تربة نديَّة تكسوها خضرة تزينها الانوار والزهور البهيّة المنظر... واذا ما استشفَّ الناظر وراء هذه العمد والسواري الطبيعية رأى عن بعد آكامًا من الرمل الاحمر او الابيض الذي يحول دون نظر البحر. ومن الجهة الآخرى يُرى على مدى البصر سهل بغداد (كذا. ومراد الكاتب سهل بعبدا) يجري فيهِ نهر بيروت المنتهي الى خور هو اشبه ببحيرة بديعة وكلُّ هذه المشاهد البهية يحفُّ بها في الأُفق بقاع مخصبة او يشرف عليها جبل لبنان ذو القمم البهية الشاهقة يزين منعطفهُ عددٌ وافر من القرى والضياع الجميلة المنظر. وترى مع ذلك للشمس نورًا ساطعًا يروق العين ويمكنهـا من رؤية أدقّ محاسن لبنان... فلعمر الحقّ انّ هذه الغابة اجمل وابدع ما وقعت عليهِ ابصاري في حياتي جمعاء »

(نقول) انَّ في هذا الوصف غلوًّا ظاهرًا بيد ان اهل بيروت يعذرون الشاعر لامرتين على اطنابهِ في غابتهم بل يشكرون فضلهُ على اطراء محاسن بلدتهم وترويق مفاخرها فحبَّبها لدى الاجانب ونشَّط في قلوبهم الرغبة في زيارتها

البيطرة عند الأعراب

نبذة لحبيب افندي شيحا البغدادي عرَّبها حضرة الاب انستاس الكرملي

(تتمة لما سبق)

٤ً معالجة العفاء (المعروفة عند العامّة بلكّة العين)

للاعراب انواع شتّى لمعالجة العفاء ودونك ما وُصف لنا :

١ً يوضع شيء من الملح التبريزي في قليل من لبن البقر الحليب ثم يُغلَى فيبرَّد ويُنقع فيها ضمادات لتوضع على العين المؤوفة

٢ً يؤخذ كوز جديد من الفخّار ويوضع فيهِ بَوْل جديد ثم يُسدّ سدًّا محكمًا بالطين. ويوضع في تنّور مسجُور الى ان يتبخر منهُ البول فيُكسر حينئذٍ الكوز ويُجمع منهُ ما احترق من هذا المائع فيُسحق سحقًا ناعمًا حتى يُصبح دقيق اللّمس ثمَّ يُنفخ هذا الذّرور في العين بقصبةٍ

٣ً يوضع في تنّور مسجور عجين الى ان ييبس بالتمام فيُسحق سحقًا دقيقًا ثم يُذرّ منهُ في العين

٤ً يُتّخذ مسحوق ممّا يأتي : ٥٠ جزءًا من دقيق الشعير و٧ أجزاء من الملح ثم يُذرّ منهُ في العين كل يومٍ قبصة (بصاد مهملة وهي ما يُتناوَل بأطراف الاصابع)

٥ً يُحرق ممّا يأتي : ١٠ أجزاء من قشر بيض الدجاج الغريض ومثلها من قشر بيض البطّ الغريض تُسحق سحقًا جيدًا ويُخلط معها جزءان من المسك وجزءان من الكافور

٦ً يؤخذ ٥٠ جزءًا من العظام (مهما كان جنسها) و٥ اجزاء من الزَّبَد السحري (os de sèche) و٣ اجزاء من كلّ من المسك والكافور و١٠ أجزاء من قشر بيض النعام ومثلها من قشر بيض البطّ يُسحق الكلّ سويّةً ويُخلط معًا ويؤخذ منها كلّ يومٍ قبصةٌ لتُذرّ في العين

٧ً يؤخذ شيء من الماء الآجن وشيء من ماء القِلى وشيء من رَوْث الحمير مع قليل من المنّ تُخلط معًا ويُقطر منها في العين

٨ً يؤخذ ٣ اجزاء من العفص ومثلها من الكُركم تُنعَّم ويوضع من هذا المركب شيءٌ في العين

٩ً يؤخذ شيءٌ من حبّ القثاء يُدقّق ويتّخذ منهُ على ما مرَّ بك

١٠ً يُيَبَّس في الظلّ بعضٌ من صياصي الديك وتُدقّق فتتخذ بمنزلة كحل

١١ً يجمع كميّات متساوية من عود الندّ ومن الزعفران ومن زبد البحر تُدقّق سويّةً ويُتصرَّف بها على الطريقة المارّ ذكرها

١٢ً يؤخذ خصلة من شعر الانسان وتحرق حرقًا حسنًا في كوز من الفخّار مسدودًا سدًّا محكمًا بالطين ويوضع في تنور مسجور ثم يخرج ويُسحق الشعر ناعمًا فيتخذ ذرورًا

١٣ً ولمعالجة الماء الاسود (وهو داء يُجلّل العين): يؤخذ شيءٌ من قشور النارنج فتُعجن في كميّة كافية من زُبد البقر ويوضع من هذا الدواء على العين مدّة اربعة ايام. ثم تؤخذ كمية متساوية من الزنجبيل والسكّر الاحمر والابيض وتُمزج مع قليل من الزعفران مع حبّتين او ثلاث حبّات من المسك تُعجن سويّةً ثم يوضع شيء من هذا المعجون على العين مدّة خمسة ايام. ثم تكشف العين وتفرك الأُذنان بهذا المعجون ايضًا

١٤ً علاج للدمّاع (وهو انحدار ماء العين من علةٍ او كبرٍ)

يؤخذ شيءٌ من ازهار الخُطميّ وشيءٌ من عروق الحمّاض تُسحق سويّةً وتُعجن بدهن الخنزير ثم يُنْضَح المعجون بشيء من دم قلب الخروف وتُدهن بهِ العين

١٥ علاج العَشاوة

يؤخذ شيءٌ من دم قلب الخروف ويمزج مع شيء من دم الطير والخلّ (السيرج) والتُّرب ثم تُفرك العين بهذا المَرُوخ

٥ً معالجة الخَلفَة (وهي ذهاب شهوة الطعام من المرض)

الخلفة في الخيل على انواعٍ شتى فهي تختلف باختلاف الادواء بل ربما ظنّ البعض انها غير متسبّبة عن مرضٍ فتعالج كما يأتي:

١ً تؤخذ ٥٠٠ جزء من مُذاب اللّيّة و ٧٥ جزءًا من الملح المسحوق. يُصبّ من ذلك شيء في حلق الدابّة ويُقطر منهُ شيء في أنفهِ ويُستحسن اضافة ٤ او ٥ اجزاء

من راوند الصين الى المركّب المذكور وتفرك بهِ قوائمهُ ثم تبخّر الدابة تبخيرًا يابسًا باحراق شيء من الكاغد الازرق لينفذ الدخان الى دماغهِ

٢ً يؤخذ من زُبد البقر ٧٥٠ جزءًا و ١٢٠٠ جزء من السكَّر تمزج معًا ويُعطى منها مدَّة ثلثة ايَّام

٣ً يُحقن الفرس بسائل مركّب من اجزاء متساوية من دهن الخروف والارنب تُذاب سويةً ويُمزج فيها شيء من الخمر

٤ً تؤخذ قبضتان من الحُلبة ومثلها من الكزبرة ومثلهما من خيار شنبر تُغلى معًا الى ان تُطبخ ثم تُقسم الى ثلثة اقسام متساوية ويُعطى منها جزءٌ كل يوم

٥ً يؤخذ شيءٌ من لحم الخروف مع قليلٍ من المحمودة ويُغليان سويةً حتى يتعرَّقَ الماءُ المغليُّ اللحمَ ثم يُزاد عليهِ شيءٌ من الماء ويُشرب منهُ الفرس

٦ً يؤخذ كيلوغرامان من دم الخروف الرطب ويُمزج معهُ ثلثة غرامات من الزعفران ومثلها من المحمودة ويُفرغ الكلّ في حَلْق الفرس. وللاعراب طريقة أُخرى لمعالجة الخَلْفة الناشئة عقيب المرض وهي: تُغلى طائفة من الحشائش الصابونية مع شيءٍ من الثوم ويُرحَض الفرس بهذا الماء. واذا يبِس جسدهُ يُدهن كلُّهُ حتى قوائمهُ وبالاخصّ تُدلك أعصابُهُ بدهان مركب من المُوم وشحم البقر وزيت الزيتون وذلك بمقادير متساوية

امَّا اذا كان لا يعرف للفرس داء بل ياكل مرينًا ولا ينجع بهِ الطعام فالمحتمل انَّهُ مصاب بداء متوطِّن في احشائهِ. والادلَّة على ذلك: حكّ ردفهِ ووركَيهِ او تمرُّط الشعر من جهة عجزهِ او يأخذهُ أكال في ذنبهِ فيحتكّ بالحائط. ويقول الاعراب انَّ فيهِ صفراء مفرطة وعليهِ فيُعالج بما يأتي : كيلوغرام واحد من الحُلبة ونصف كيلوغرام من السمن. يوضع هذا المزيج في الشعير الذي يُطعَمُهُ في مدَّة ثلثة أيَّام

ولذلك ايضًا علاجان ناجعان واليكهما :

١ً يُغلى شعير في قليل من الماء ثم يوضع فيهِ شيءٌ من العود وقليل من الخلّ (السيرج) فيشرب الفرس من هذا المركّب فيمشي بطنُهُ فيشفى

٢ً يُغلى في لترين من الخمر كيلوغرام ونصف كيلوغرام من الحنطة ثم يُجوَّع الفرس مُدَّة ٢٤ ساعة ثم يُفطَّر مدة ثلثة ايَّام من هذا المشروب

٦ً في معالجة الاصابة بالبرد

ان دلائل اصابة الخيل بالبرد هي تطأطوء الرأس ويبوسة الحلق وتدمُّع العين وعجزها في ادارة آذانها وعيونها يمينًا او شمالًا . وتُعالج هذه العلّة بان يوضع الفرس في محلّ مُظلم ويُطعم الحشيش لا غير الى ان يشفى بالتمام

ولذلك وصفة أُخرى ناجعة وهي : ان يؤخذ ٥٠ جزءًا من الاهليلج و ٣٠ من الحِلتيت (الجُوَيْنة) ومثلها من المحمودة ومثلها من الملح الهندي و ٧ اجزاء من الكافور . تُدقّق جميعًا ويُمزج معها ٥٠ جزءًا من المُوم المُذاب لتُعجن بهِ الاجزاء كلها ثم يُعطى هذا العجين للمُصاب من الخيل بالبرد

٧ً معالجة السُعَال

يَكثر السُعال في الخيل ويُعالج بواحد من هذين المركَّبين وهما :

١ً يؤخذ كيلوغرامان من اللبن الحليب مهما كان جنسهُ وكيلوغرام واحد من السكّر و ١٠ غرامات من الكَثيراء تُمزج معًا وتحمى على النار ويُعطى شروبًا للخيل

٢ً يؤخذ كيلوغرام واحد من الخمر ونصف كيلوغرام من شحم البقر تُحمى على النار ويُعطى شروبًا

امّا اذا كان السُعَال ناشئًا عن خُرَّاجة داخليـة فيُنْشَق الفرس ما تصاعد من دُخان اللُّبان (علك بان) بعد ان يُخلط معهُ شيءٌ من المحمودة ويكرّر العمل الى ان تنفجر تلك الخراجة فيتمّ الشفاء

٨ً معالجة المغص في الخيل

المغص على ضروب شتّى وهي على تعددها تنحصر دلائلها في ما يأتي : يَضَّجع الفرس وينهض مرارًا عديدة وينقطع فيهِ البراز ويرمي بنفسهِ في الارض ويتمرَّغ عليها ويلوي عنقهُ ويغمض عينيهِ ويَحْمَى . وعلاجهُ بان يُجعل في عنقهِ حبلٌ ابن الملمس ويمسك طرفي الحبل شخصـان فيضيّقانهِ الى ان يصعب فيهِ التنفُّس . ثم يُضرَب بثوب جلبًا للعرق فاذا عرق يُركبُ مدَّة . وما يُعتّم ان يمشي بطنهُ فيشفى

وللمغص علاجٌ ثانٍ فيتوقّف على ان يُحقن ماءً حارًّا ليقـذف ما في بطنهِ من الفضولات المضرَّة بهِ

هذا ونختم هذا الباب. مذكِّرين أولي الالباب. باننا لم نذكر من عديد معالجات الاوصاب. الّا ما كان منها بمنزلة اللُّباب. آخذين معظمها عن اهل البيطرة من الأعراب. والله اعلم بما فيها من الخطإ والصواب

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

وهذه نسخةُ (١ قائمةٍ كُتبت بعد الرُّوك (٢ من ديوان الجيش مضمونها الذي شهد بهِ الديوان المعمور انَّ الذي تعيَّن باسم من يُذكَر من الامراء الجبلية اولاد امير الغرب عند الروك (42ᵛ) المبارك لاستقبال سنة ثلث عشرة (٣ وسبعمائة المدرك (؟) في شهر سنة اربع عشرة وسبعمائة بمقتضى الاوراق المحضرة من الابواب الشريفة في السنة خارجًا عن الملك والوقف والمواريث الحَشَريَّة (٤ دوننا :

المجلس السامي (٥ الامير ناصر الدين الحسين ابن سعد الدين امير الغرب لخاصّتهِ وعشرين طواشيًا من بيروت : عرامون وحيرشالا (٦ وكيفون وبيصور وثلث عين

---

١) قد وردت هذه النبذة في كتاب اخبار الاعيان (ص ٢٣٢ — ٢٣٥)

٢) الرُّوك بضمّ الراء تحديد الاملاك وتثمينها لتعيين ما يلحقها من الضراتب. وقد مرَّت بالدال (دُوك) وهو تصحيف. يقال راك الارضَ اذا ثمَّنها وهي لفظة قبطيَّة معناها المُلْك العام. وكثيرًا ما وردت في تواريخ كتبة القرن الثالث عشر والرابع عشر كالمقريزي وابي المحاسن

٣) كذا ورد في الاصل ولا يخفى ما في هذه التراكيب من الركاكة والالتباس

٤) قال المقريزي : «المواريث الحَشَريَّة هي التي يستحقُّها بيت المال عند عدم الورَّاث». وقد اقيم في مصر على عهد الدولة التركيَّة ديوان كان يدعى ديوان الحشر (Quatremère : *Hist. des Sultans Mamluks*, II¹, 133)

٥) جاءت هذه العبارة في اخبار الاعيان (ص ٢٣٢) على صورة اخرى فرواها : «بمناظرة المجلس السامي» واردفها بما سبق

٦) راجع ما قلنا سابقًا في اسم هذه القرية (ص٩٠٠)

عنوب وثلث عيناب وشمشوم وثلث كفرعمّيه وثلث بتاثر وبركة شطرا ومرتغون وثلث حصّة الملك بخلدا ومغدلا ومن الفريديس فدّان

الامير عزّ الدين الحسن ابن سعد الدين امير الغرب لخاصّته وخمسة طواشيّه: نصف عاليه ونصف الخريبة وعينتا (١ ونصف الدوير ونصف الصبحيّة (٢ ونصف درب المغيثة وربع قدرون ونصف قطع ارض في قرتَيه وربع طردلا وربع رمطون وربع عين كسور

مجلس الامير عزّ الدين حسين ابن شرف الدين عليّ لخاصّته وعشرة طواشيه: نصف عيتات ونصف دفون ونصف مجدليًّا ونصف شملال ونصف عين عنوب (٣ ونصف سرحمور ونصف عين درافيل وثلث بتاثر وثلث عيناب وثلث قطع ارض في العمروسيّة وثلث حصّة الملك في خلدا وثلث كفرعميه ومن الفريديس فدّان

مجلس الامير سيف الدين مفرج ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين صالح لخاصته وعشرة طواشيّه: نصف عيتات ونصف دفون ونصف مجدليًّا ونصف شملال وثلث عين عنوب (٤ ونصف عين درافيل وثلث بتاثر (43r) ونصف سرحمور وثلث عيناب وثلث قطع ارض في العمروسية وثلث كفرعمّيه وثلث حصّة الملك في خلدا ومن الفريديس فدّان

الامير علم الدين سليمان بن غلاب لخاصّته وخمسة طواشيه: نصف الخريبة وعينتا (٥ ونصف الدوير ونصف الصبحيّة (٦ ومن درب المغيثة النصف وربع قدرون ونصف قطع ارض بقرتَيه وربع طردلا وربع رمطون وربع عين كسور

الامير سيف الدين ابرهيم ابن نجم الدين محمّد بن حجي لخاصته وخمسة طواشيه: ربع بطلّون وربع الطغرانيّة ونصف القُبي ونصف بجوّارة ونصف معيسنون وربع الدوير ونصف مزرعة اقطو (٧

١) كذا في الاصل ورواها في اخبار الاعيان (ص ٢٣٣) : عينا

٢) كتبها صاحب اخبار الاعيان : السباحيّة

٣) وفي اخبار الاعيان : ثلث عين عنوب

٤) لم يذكر عين عنوب في اخبار الاعيان (ص ٢٣٣)

٥) رواها في اخبار الاعيان : عينا

٦) وفي اخبار الاعيان : السباحيّة

٧) وفي اخبار الاعيان (ص ٢٣٤) : وربع اقطو

الامير شمس الدين عبد الله ابن جمال الدين حجي لخاصته واربعة طواشيه: نصف قدرون ونصف رمطون ونصف طردلا ونصف عين كسور

الامير عماد الدين موسى بن مسعود بن ابي الجيش لخاصّته واربعة طواشيه: نصف ادفول (١ ونصف الفسيقين (٢ ونصف شطرا ونصف دير قوبل ونصف عين حجّيه

والمرسوم الكريم اعلاهُ الله تعالى ان لا يتعرَّض الى هذه النواحي ولا لغلّتها وحقوقها الى حين حضور المناشير الشريفة وعملتُ امثالاً لِما رُسم بهِ ليُحمل الامر على حكمها. وكُتِب في ثامن محرَّم سنة اربع عشرة وسبعمائة (١٣١٤ م)

فهذه نسخة القائمة المذكورة والقرى المعيَّنة. وقد كُتب اسم كل قرية واسم مزرعتها تحتها

(اقول) وبعد ذكرنا هذا نذكر لمعًا من اخبار المستقطعين بالشام وأُمرائها (43^٧) وتغيّرات احوالهم. لمَّا كمل كشفُ بلاءِ المملكة الشاميَّة وتحرَّرتْ قواعدُها طُلِب معينُ الدين ابن حشيش (٣ ناظر جيش الشام الى مصر بسبب رُوك الاقطاعات والاخباز (٤ وتوزيعها. وكذلك توجَّه بعدهُ الصاحب شمس الدين عربال (٥ بسبب الروك ايضاً فولّوا ابن الحشيش المذكور نظر الجيش بمصر. وولّوا قطب الدين ابن شيخ السلامية (٦ نظر الجيش بالشام فحضر الى دمشق على خيل البريد في اليوم السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة (١٣١٣م) وعلى يدهِ التقاليد باقطاعات الامراء والمقدَّمين والجند بعد رُوكها على ما يقتضيهِ الحال

وكان الامير سيف الدين قَجليس (٧ قبل حضورهِ الى دمشق توجَّه الى حلب لهذا

---

١) وفي اخبار الاعيان: دفون. وكلاهما واحد

٢) وفي اخبار الاعيان: الفساقين. والفساقين اليوم من قرى الغرب الاسفل بقرب عين كسور. ومنهُ ايضًا عين قوبل

٣) لم نحصل على شيء من اخبارهِ

٤) الاخباز جمع خُبز وهو اقطاع كان يُعطى للامراء او الجند يستثمرونهُ فيعيشون من مدخولهِ. وهذه اللفظة دخيلة وردت في تواريخ الدولة الجركسية في مصر (راجع Quatremère *op. c.*, I², 159-160)

٥) كذا في الاصل بلا نقط ولا ضبط. ولعلَّهُ غبريال

٦) ذكرهُ ابن اياس في كتاب بدائع الزهور ١: ١٧٥) وقال انهُ كان قاضياً وانَّ الملك الناصر محمَّد بن قلاوون ولّاهُ كتابة سرّهِ. ولم يذكر سنة وفاتهِ

٧) دعاهُ ابن اياس «قجليش» وذكرهُ في تاريخ سنة ٧١٣ ﻫ (١٣١٣) وروى ان السلطان

السبب فقضى شغل حلب وعاد الى دمشق في اليوم الذي وصل فيهِ قطب الدين المذكور. وثاني يوم وصولهما جلس ملك الامراء تنكز وجلس قجليس الى جانبهِ وحضر قطب الدين واحضر كيساً مختوماً وفيهِ اقطاعات الامراء. فاخذ كلٌّ منهم تقليدَهُ وقبَّلهُ ووضعهُ على رأسهِ وانصرف الى دارهِ ولم يجسر احدٌ منهم ان يتكلَّم فمنهم من كان اقطاعهُ فوق ما في نفسهِ ومنهم من لم يرضَ بهِ

ثمَّ فُرِّقت مثالات المقدَّمين واجناد الحَلْقة فكان كلُّ مقدَّم يحضر هو وجماعتهُ وقد وُضعت قدَّام ملك الامراء المثالات وهي مغطَّاة بمنديل. فيأخذ قطب الدين بيدهِ من تحت المنديل ويناولهُ واحداً واحداً (44ʳ) من غير قراءة حسب حظ كلّ واحدٍ وبختهِ. فكان يطلع لواحد اقطاع جيّد فوق ما كان يأملهُ بزيادة ولا يطلع لآخر ما يأملهُ. فتضوَّرت جماعة كثيرة من ذلك واحضروا منهم خمسةً او ستَّةً وضربوهم ورسموا بحبسهم فسكت الباقي. وبقيت خراجات ضياع الغوطة والمرج خاصَّةً للسلطان وكذلك الضياع التي هي منازل من دمشق الى العريش. وحصل بذلك الرفق للرعيَّة وبطل النقد والمكيول(١. ذكرتُ هذه القصَّة لما وفَّقهُ الله من استمرار اقطاعات السَّلَف عليهم في مثل هذه الكائنة التي تغيَّرت فيها اغلب احوال المملكة

وامَّا علاء الدين بن معبد الذي نُسب اليهِ الرُّوك فكان من اولاد التجَّار ببعلبك فتقدَّم وترقَّى منزلةً بعد أُخرى الى ان صار معروفاً وتأمَّر على شطر طبلخاناة وهي امرة عشرين. ثم قبل سنة الروك أُعطي نصف إمرة ابن صُبْح وكانت طبلخاناة وبقي امير اربعين وهي طبلخاناة. وكذلك ابن حميد البعلبكيّ كان معاصراً ابن معبد فتوصل بالدولة الى ان وُلّي نظر الجيش بالشام مدَّةً يسيرة (ستأتي البقية)

محمَّد بن قلاوون سلَّمهُ المثالات والمناشير وارسلها على يده الى الشام فسلَّمها الى نائب الشام ففُرّقت على العساكر الشاميَّة. وذكرهُ ايضاً في تاريخ سنة ٣٢١ وقال عنهُ انهُ كان امير محمل في تلك السنة وفيها حجَّت خوند زوجة الملك الناصر

١) جاء في حاشية الكتاب ما نصُّهُ: «وفي سنة سبع وتسعين وستمائة (١٢٩٨م) اتَّفق السلطان الملك المنصور لاجين مع نائبهِ في السلطنة منكوتمر على روك الاقطاعات بالديار المصريَّة. فرِيكت جميع البلاد المصرية وكُتبت مثالات بما استقرَّت عليهِ الحال وفُرّقت على اربابها فقبلوها طوعاً او كرهاً»

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل رينو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

الفصل الرابع

في مرسيلية

وبان عن بعد للبحارة تحت القبَّة الزرقاء تمثال مريم العذراء المنصوب فوق كنيسةٍ بديعة بُنيت باعلى تلّ مشرف على مدينة مرسيلية فهتفوا قائلين « هوذا سيّدة المعونة » ثم رسموا اشارة الصليب على جباههم واقتدى بمثلهم كثير من الركّاب

امَّا فاضل الذي ما خطر لهُ فكر الصلاة منذ خروجهِ من بيتهِ فتلا اذ ذاك السلام الملائكي بصوتٍ متخافت. ثم ظهرت مدينة مرسيليــة في منعطف التلّ الذي تشيَّدت عليهِ كنيسة البتول وكان فاضل ينظر بتعجب واندهاش الى قلاعها القديمة ومنازلها المرتفعة وكنيستها الكاتدرئيَّة ذات القبَّة الذهبية ومرافئها الواسعة. وانسابت الباخرة على مهل امام المنارة فالتفت فاضل الى يمينهِ فرأى السواري متدانية بعضهــا الى بعض كأنَّها غابة من الاشجار في وسط البحر وذلك ان المراكب الشراعية تقصد ذلك المكان لتفريغ مشحوناتها في المرفإ العتيق

امَّا الباخرة فاستمرَّت سائرة بين المراكب الشراعية والزوارق البخاريَّة الى ان رست على مسافة عشرة امتار من الرصيف. وما كادت تقف حتى تسلَّق اليها من النوتية والعتَّالة عدد غفير. وكان فاضل قد لبس ثوبهُ الافرنجي الذي اشتراهُ من بيروت ووضع على رأسهِ برنيطة بدل الطربوش الاحمر. وبما انهُ لم يكن متعوّدًا هذا اللبس ارتبك في مشيته هو وسائر رفقائهِ الذين صنعوا جميعًا مثل صنيعه وبدت منهُ ومنهم حركات اضحكت عليهم كل من شاهدهم

وبينما كان الزحام شديدًا وفاضل لا يعي من كثرة النوتية المتوافدين عليهِ لإنزالهِ الى البرّ اذا باحدهم اخذ الصندوقتين الباقيتين لهُ ووضعهما في قاربهِ وعَلِق يركم فوقهما كثيرًا من صناديق أُخرى لغيرهِ من الركّاب. ولمَّا كان القارب صغيرًا لم يقوَ على حمل ما هو فوق طاقتهِ فغرق في الماء بما فيهِ

اما فاضل الذي كان واقفًا في أعلى السلّم ومتهيّئًا للنزول فصرخ لدى هذا المشهد

صرخةً عظيمةً رنَّ صداها في كلّ أرجاء الباخرة واخذ يندب حظّهُ ويحزن لتحامل الدهر عليهِ

ثم عاد الى ظهر الباخرة مهموماً مغموماً . وبينما هو واقف ناداهُ البحّارة ان يحيد من طريقهم وكانوا يسحبون حبلاً عظيماً ليعدّلوا بهِ حمل السفينة . فرأى وقتئذٍ ان يتبع رفقاءهُ الى المدينة فركب قارباً اوصلهُ الى الجمرك وكان قد استصحب من لبنان قنينة من العرق لاجل مشروبهِ على الطريق فتقاضاهُ مأمورو الجمرك رَسْمَها ولكنَّهُ آثر تركها على ان يدفع شيئاً من الدراهم القليلة الباقية معهُ

ثم انَّهُ خرج من الجمرك الى رصيف جوليات (Quai Juliette) فاستلمهُ السماسرة الذين كانوا بانتظارهِ وساقوهُ مع سائر السوريين الى حيث اعتادوا سوق المهاجرين من ركّاب الطبقة الرابعة

وحينئذٍ تركوا ذاك الرصيف الجميل الذي يتلاعب فيهِ الهواء ودخلوا في طرقات وسخة وشوارع مظلمة كائنة وراء المرفإ . ولا عجب فكما ان للبضائع مستودعات هكذا لبني آدم مستودعات . وهل هؤلاء المهاجرون في نظر السماسرة الذين يُسفّرونهم الى اميركا سوى بضائع حيّة يتجّرون بها . وحاصل القول انهم اوصلوهم الى ساحة مبلطة يعلوها سقف من القرميد وفيها جلسوا على البلاط ليستريحوا من مشاقّ السفر . الّا انَّ فاضلاً لم يدخل هذا الكوخ المظلم حتى صار يتلهّف متحسراً على الزاوية التي قد كان احتلّها على ظهر الباخرة لانهُ هناك كان يشاهد السماء ويستنشق الهواء امّا هنا فالسماء عنهُ محجوبة والهواء الذي يستنشقهُ فاسد متلف للصحة

لكنَّهُ لتعبهِ تمدّد في ناحية من ذلك الكوخ طلباً للراحة ونام نوماً ثقيلاً حتى انهُ لم يستيقظ في اليوم التالي الّا بعد شروق الشمس بساعات . وكان قد حلم في الليل انهُ لم يزل في السفينة فثارت عليها العواصف وعلتها الامواج فقلبتها فغرقت في اليمّ وشعر هو كأنهُ انتقل الى بيته في لبنان وجلس قبالة الشبّاك واخذ يتحدّث مع جيرانهِ يوسف وابرهيم وعبد الله وجبرائيل ويتكلّم مع والدته فطار قلبهُ فرحاً . وبينما هو كذلك اذ أفاق من رقادهِ ورأى نفسهُ متمدّداً على البلاط

ثم انهُ خرج من ذاك المحلّ القاتم ليشاهد النور ولعدم معرفتهِ بطرق تلك المدينة الواسعة تتبّع الطريق التي مشى عليها في الامس وكانت مفروشة بالحصى المحدّدة فما سار

بضع دقائق حتى وصل الى المينا ورأى جماعة يتجوَّلون فيها ويتحدَّثون باصوات عالية. وكان غالبهم من الفعَلة وقد اتوا يوم الاحد للتنزّه بقرب المحلّ الذي يشتغلون فيهِ يوميًّا

ورأى فاضل قومًا آخرين متجمعين على الرصيف بالقرب من مربط السفن فدنا منهم فرأى مُشَعْوِذًا يأتي هناك بعض انواع من الألعاب ليحصِّل بها معاشهُ فوقف مبهوتًا متحيّرًا لانهُ لم يشاهد في قريته شيئًا من ذلك. وقد لحظ هذا الامر منهُ بعض اولئك الناس فكانوا ينظرون اليهِ ضاحكين ومستهزئين بسذاجتهِ. واتفق ان احد الواقفين بجانبهِ كان كلّما أتمّ المشعوذ لعبة يهتف مادحًا قوّتهُ او مستحسنًا خفَّة حركاتهِ او غير ذلك فسألهُ فاضل بعض اسئلة فاجابهُ عليها شارحًا لهُ ما اشكل عليهِ من الالعاب. وحينئذٍ ذهب عن فاضل ما كان يشعر بهِ من الانقباض وحرج الصدر وطاب لهُ ان يتبادل الكلام مع ذلك الشخص المجهول عندهُ وتاه عجبًا وافتخارًا بالتفاتهِ اليهِ مع ما يظهر عليهِ من خطارة الحال ورفعة الشأن وكان يقول في نفسهِ: «حقًّا ان كل ما يقال عن ايناس الافرنسيين ورقَّتهم هو دون الحقيقة»

ثم ان الرجل المجهول التفت بعد هنيهة الى فاضل فقال: ارى انك غريب فهل تشاء ان تخبرني من اين انت

فقال فاضل: من سوريَّة

فقال الرجل: اني اعرف سوريَّة حقّ معرفة وقد زرتها مرارًا لاني وكيل بعض المحلاَّت في ليون ولا تزال نبتاع الحرير منها

فلمّا سمع فاضل هذا الكلام انفتح قلبهُ لانهُ قد طالما تعاطى هناك فلاحة التوت وتربية دود القز ومبيع الفيالج (الشرانق) وخطر لهُ ان يستفهم الرجل عن حالة الحرير فقال: «هل يتصرَّف حرير لبنان بسهولة وما هي اسعارهُ اليوم»

فاجاب الآخر قائلًا: «عليك ان تطلع على اسعارهِ الاخيرة». ومدَّ يدهُ الى جيبهِ متظاهرًا بانهُ يريد ان يخرج بعض الجرائد التي تدوّن حركة السوق ثم قال متأسفًا: «اني نسيتها على مكتبي قبل خروجي من المنزل ولكن ان شئت ان تذهب معي فأُطلعك عليها»

فقال فاضل: عفوًا يا سيدي فقد ثقَّلت عليك

فقال الرجل: لا ثقلة في هذا وتأكد اني أُسرّ جدًّا اذا تمكَّنت من ان أُقدّم لك خدمةً. فلقد جرَّبت الغربة قبلك وامتحنت بنفسي ارتباك المسافر ادى قدومهِ لاول مرَّة الى

بلاد لا يعرفها. وفي ظني انهُ لم يمرّ عليك زمن يُذكر في هذه البلدة

قال فاضل: «كلاَّ فقد وصلت اليها يوم امس لانَّ الباخرة كونغو تأخرت يوماً عن ميعادها». واخذ فاضل يقصّ خبر سفرهِ من اوَّلهِ الى اخرهِ ولكن بعد ان اسهب خاصَّةً في خسارة صناديقهِ

فقال الرجل: «حقًّا انهُ ليشقّ على المرء جدًّا ان يفقد شيئاً من امتعتهِ حالما يصير على وشك النزول الى البرّ. ولا شكّ انَّ بعض النوتية قوم اجلاف غلاظ الرقاب ولو كنت تعرف الذين انزلوا صناديقك لكان من السهل ان ترفع الشكوى عليهم الى رجال الشرطة (البوليس) ليلزموهم بالتعويض عليك. واعلم ان افضل شيء يجب على المسافرين صنيعهُ هو أن لا يتزاحموا على النزول الى البرّ حال وصول الباخرة ومن الامور المهمَّة ايضاً ان لا يضعوا ثقتهم في احدٍ

«ولا ريب انَّك لا تعرف اصلًا مدينة مرسيلية ودورانك فيها يعرضك لسرقة النشَّالين العديدين الذين يسلبون المارَّة بلباقــة غريبة دون أن يشعروا. وفي يوم الاحد الماضي كان احد المهاجرين واقفاً مثلك في هذا الموضع يشاهد الالعاب فقطعوا كيس دراهمه واركنوا الى الفرار وما كاد يدري باستِلابه حتى كانوا قد صاروا بعيدين عن الابصار»

فلمَّا سمع فاضل كلامهُ مدَّ يدهُ حالًا الى منطقتهِ التي كان قد اودع فيها دراهمهُ. أمَّا الرجل فلاحظ هذه الحركة منهُ ثم حوَّل نظرهُ عنهُ سريعاً وغيَّر وجه الحديث قائلًا: «انهُ باقٍ للظهر اربع ساعات يمكنك ان تطوف فيها المدينة وتشاهد آثارها. وفي يوم الاحد كما تعلم لا شغل ولا عمل وقد خرجتُ من الصباح اجول وحدي ولا رفيق لي وما صدَّقت اني رأيتك لأتسلَّى بعشرتك فهلمَّ نذهب»

ثم ان الاثنين انطلقا مسرعين الُخطى أمام صفوف الأَنابر حتى انتهيــا الى رصيف جوليات وكانت عجلات الترامواي واقفة هناك تنتظر ركاباً. فقال الرجل لفاضل: «تعالَ نركب ان شئت ونذهب اوَّلًا الى قصر الماء»

فامتثل فاضل وطلع الى العجلة التي ما لبثت ان تحركت للسفر وسارت مسرعةً وما زالت تقطع الشوارع الفسيحة والساحات والحدائق حتى انتهت الى المرفأ القديم المدعو كانبيير (Cannebière). وقد اندهش فاضل لَمَّا وقعت عيناهُ على دار البورس والقهاوي الفخيمة وما فيها من الطاولات الرخامية

وبعد مضي نصف ساعة تقريباً نزل الاثنان ودخلا دار التحف حيث رأى فاضل ما زادهُ تعجباً واندهالاً مثل هيا كل الحيتان والنعام والزرافة وغيرها. وفيما هو ينظر اليها بما لا مزيد عليهِ من الدهشة قال رفيقهُ: «انَّك تستطيع ان تشاهد كلَّ هذه الحيوانات حيَّـةً»

— وكيف ذلك

— هلمَّ الى جنينة الحيوانات لأُريك الاسود والثورة والافيال والزرافة وسائر الوحوش

(ستاتي البقية)

كتب شرقية جديدة

MATÉRIAUX POUR UN
CORPUS INSCRIPTIONUM ARABICARUM,
par Max Van Berchem
FASC. I ET II, 291 p., *PL. XXXIII, LEROUX, PARIS.*

مجموح الكتابات العربية للمعلم ڤان برَكم

لقد تعدَّدت في هذه السنين الاخيرة الكتب الشرقية المفيدة التي سبقنا اليها علماء اوربَّة. ومن جملة التآليف التي لا يسعنا السكوت عن فضلها المجموع الذي نحن في صددهِ. فان العلاَّمة ڤان برِكم باشر هذا المشروع الجليل اقتداء بجمعية افرنسية اخذت منذ عشرين سنة في نشر الكتابات الساميَّة القديمة كالفينيقية والحميريَّة والنبطية. وقد تيسر لهُ طبع قسمين ضمَّنهما ١٨٨ كتابة عربيَّة ممَّا حُفر على بنايات مصر منذ عهد بني أُميَّة الى ايَّام دولة الشراكسة من المماليك البحريين. واوَّل كتابة افتتح بها مجموعهُ كتابةٌ كوفية تاريخها سنة ٩٦ للهجرة موجودة على مقياس النيل في جزيرة الروضة. وقد أتبع المؤلف كلَّ هذه الآثار الخطِّية بشروح وفوائد تاريخية عديدة وصدَّر كتابهُ بمقدمة بيَّن فيها تقاسيم المجموع الذي اخذ بنشرهِ. وهو مصمّم العزم اذا انتهى من الكتابات التي وجدها في مصر على ان ينشر بالطبع ما امكنهُ من كتابات سورية وما بين النهرين والعراق والجزيرة. وفي آخر كل قسم رسوم فوتوغرافية تمثّل الكتابات المشروحة

فنثني اطيب الثناء على صاحب هذا التأليف ونتمنى لهُ التوفيق في مشروعهِ ونحضُ

كلّ من يعرف شيئاً من هذه الآثار ان يخابرهُ ويطلعهُ عليهِ فيخـدم بذلك العلم خدمةً تُذكر فتُشكر

هدايا

أُرسلت الى ادارة المشرق

١ مقالة للدكتور مرتين هرتمان بالالمانية عن الشيع المهدية في الصحاري الليبيَّـة (Aus dem Religionsleben der Libyschen Wüste)

٢ مقالة افرنسية للاب هنري لامنس في المقابلة بين مناخ سوريَّة وفلسطين سابقاً وفي ايَّامنا Le Climat syro-palestinien autrefois et aujourd'hui

٣ المجلَّة الاسيويَّة الايطالية لسنة ١٨٩٨

٤ مقالة افرنسية في الموسيقى للاب پاريزو البندكتي :

La Musique Orientale, *par Dom J. Parisot O. S. P.*

٥ مقالة افرنسية في كتابة الاعلام الجغرافية الشرقية للمعلّم الفاضل نلّينو مدرّس اللغات الشرقية في نابولي

٦ كتاب الروضة المؤنسة في وصف الاراضي المقدّسة الجزء الاول ترجمة من اللغة الروسية خليل ابرهيم بيدس

٧ فاكهة النديم في تهاني السليم لجرجي افندي مرعي

٨ كتاب الدليل في السبيل لحضرة الاب افرام الديراني مدبّر الرهبانية الحلبيـة المارونية اللبنانية

٩ كتاب مبادئ القراءة الفرنسية لتعليم الطلبـة الشرقيين في مدارس الاباء الفرنسيسيين للاب لاون پوريار الحلبي الفرنسيسي وهو ثلاثة اقسام طبع في القدس الشريف سنة ١٨٩٨

منثورات

الصابون قتّال الميكروب

قد امتحن الدكتور مكس يولي (Yoley) محاولات الصـابون ليعرف مفعولها في

انواع الميكروب فوجد بعد تعديد الاختبارات انَّ لها فعلًا فعَّالًا في قتل كثيرٍ منها لاسيما ميكروب التيفوس . ومن جملة اختباراتهِ انهُ حلَّل عشرة اقسام من الصابون في مئة قسم من الماء في الدرجة الرابعة من ميزان السنتيغراد وادخل فيهِ ميكروب التيفوس فلم يلبث هنيهة يسيرة حتى هلِك ولم يبقَ لهُ اثر . والأَفضل لذلك استعمال الماء باردًا

حفظ جثث الموتى

اتَّصل الدكتور ڤركو (Varcot) الى ان يحفظ جثث الموتى على هيئة تماثيل يمكن نقلها من مكان الى آخر بلا مشقّة

وذلك انَّهُ يغسل باطن الجسم ثم يُنفِذ فيهِ كمّية من الحامض الفينيقي ثم يطلي الجلد بمحلولٍ من نيترات الفضّة فاذا تبخَّر هذا المحلول غمس الجثَّة في مغطس التنحيس او التذهيب ويدهن الوجه بنصف مليمتر من نيترات الفضة وبقيَّة الجسم بمليمتر منهُ . فيبقى الجسم الى ما شاء الله

كتاب طقوس قديمة

ان غبطة السيّد افرام رابولا اغناطيوس الرحماني الذي سُرَّ الشرق الكاثوليكي بارتقائهِ في هذا الاسبوع الى السدَّة البطريركية على السريان قد اكتشف كتابًا خطيًا سريانيًا يُدعى « وصيّة السيد المسيح » يرتقي عهدهُ الى القرن الثامن للميلاد وهو يحتوي على الطقوس القديمة كما كانت جاريةً في بدء النصرانية وفيهِ اشارات كثيرة الى عوائد الكنيسة الاوَّلية ويظنُّ غبطتهُ انَّ اصل الكتاب يرتقي الى القرن الثاني للمسيح وقد باشر البطريرك العلاَّمة بطبعهِ في ليبسيك مع ترجمتهِ باللاتينية

اكتشافات آثار قديمة في اثينة ودلف

قد اكتشفت الجمعية الالمانية لحفر عاديَّات مدينة اثينة هيكل اسكولاب اله الطب عند اليونان . وكان هذا الاثر في سالف الزمان معدودًا من متاحف البنايات وقد سُرَّ العلماء باكتشافهِ لاسيما انهُ وجد محفوظًا حفظًا حسنًا رغمًا عن قدم عهدهِ . وطول هذا البناء ٤١ مترًا و ٢٥ سنتيمترًا في عرض ١٩ مترًا و ٥٠ سنتيمترًا . وفي ضمن هذا الهيكل وُجدت الواحٌ من الرخام وعَمَدٌ فيها كتابات خطيرة . الَّا ان اهل اثينة لم يفرحوا بهذا الاكتشاف كفرحهم باكتشاف آخر ألَا وهو وجود نبع ذي ماء زلال عذب بقرب الهيكل المذكور انفًا يبلغ عهدهُ الى القرن الخامس قبل المسيح ومياه النبع تجري في حوض من الرخام

وقد اكتشفت الجمعيَّة الفرنسيَّة الساعية بكشف عاديَّات مدينة دِلف اثارًا قديمة مهمَّة منها أنصاب وتماثيل مُحكمة ومسكوكات وغير ذلك

حلّ اللغز الثاني الوارد في الصفحة ٨٦١ (راجع ايضًا ص ٩١٠)

قد حلَّ هذا اللغز حضرة الخوري رزق الله مرهج احد اساتذه مدرسة عينطورة قال: لنفرض انَّ رأس المال المجهول هو ك ومعدل الفائدة السنوي ل فيكون الاجل المجهول ايضًا معبَّرًا عنهُ هكذا: $\frac{١}{٢}$ ل حسب الشروط وعليهِ فنستنتج من اصل المسألة هاتين المعادلتين

(١) $\text{ل} = \frac{٥٠\,(\text{ك} - \text{ب})}{\text{ك}}$ والحرف ب هو دلالة على ٤٠٤٫٠٤

(٢) $\text{ل}^{٢} = \frac{٢٠٠\,(\text{ت} - \text{ك})}{\text{ك}}$ الحرف ت عبارة عن ٤٩٠٫٠٧٨٨

واذا رقينا المعادلة الاولى الى القوَّة الثانية وقابلناها مع المعادلة الثانية يكون لنا بعد الجبر وحذف الاضلاع المشتركة من المعادلتين المتساويتين ونقل المجهول الى جهة واحدة مرتبًا حسب قواتهِ النازلة هذه المعادلة الثالثة النهائية:

(٣) $٢٧\,\text{ك}^{٢} - ٢\,(٢٥\,\text{ب} + \text{ت})\,\text{ك} + ٢٥\,\text{ب}^{٢} = ٠$

واذا حللنا هذه المعادلة من الدرجة الثانية يكون لنا:

$$\text{ك} = \frac{٢٥\,\text{ب} + \text{ت}}{٢٧} \pm \frac{١}{٢٧}\sqrt{(٢٥\,\text{ب} + \text{ت})^{٢} - ٢٧ \times ٢٥\,\text{ب}^{٢}}$$

واذا اتممنا العمليَّات المشار اليها في هذه المعادلة يكون لنا الجواب:

$\text{ك} = ٤٤٤,٣٥٦٠٩٧٧$

$\text{ل} = \frac{٥٠\,(\text{ك} - \text{ب})}{\text{ك}} = ٤٫٥٣٦٤٦٢$

$\text{اجل} = \frac{١}{٢}\,\text{ل} = ٢٫٢٦٨٢٣١$

$\text{مجمل فائدة} = \text{ت} - \text{ك} = ٤٥,٧٢٢٧$

هذا ونرجو القرَّاء ان يصلحوا بعض سهو وقع في الطبع بحلّ اللغز الاوَّل (ص ٩٠٩) في سطر ٩ يجب ان يكون $\frac{\text{م} + \text{ك}}{\text{ك}} = \frac{\text{ك}^{٢}}{١٠٠}$. وفي سطر ١١ نُقِلَت العلامة سهوًا. والصواب ان تُكتَب: $١٠\,\text{ك}\,(\frac{\text{ك}}{١٠} - ١)$. وكذا فليصلح السطر ١٣ كما يأتي:

$\text{م} = \frac{٤٠\,(٤٠^{٢} - ١٠٠)}{١٠٠}$ والسطر ١٧ بما صوابهُ: $٣\,\text{ت} + \text{ت} = ٤\,\text{ت} = ٤٠٠$

أَسْئِلَة وَأَجْوِبَة

س سألنا الخواجا يوسف زيادة عن الطريقة الاصولية لمعرفة وقت بزوغ الشمس وغروبها

وقت بزوغ الشمس وغروبها

ج انما يعرف ذلك بمعرفة موقع كلّ بلد اي معرفة طولهِ وعرضهِ بالرصد الفلكيّ ثم تُرْسم زيجات وجداول لكلّ فصول السنة كما ترى في تقويم البشير الذي نطبعهُ سنويًا في مطبعتنا وفيهِ تعريف طلوع الشمس والقمر وغروبهما لكلّ آونة السنة في بيروت

س التمس الخواجا خليل ابرهيم بيدس الاجوبة على هذه الاسئلة: ١ً ملخص ترجمة هوميروس وشيشرون وديموستين ٢ً باي صفة يوصف الجبل اذا كان منحدرًا انحدارًا عموديًا ٣ً ومثلهُ الشاطئ اذا كان على هذه الصفة ٤ً هل ورد في الكتاب المقدَّس اسم « سافيلا » واين موقعهُ ٥ً هل يوجد لفظة عربية لكلمة « Asphalte »

١ ترجمة هوميروس وشيشرون وديموستين

ج لمَّا كان هؤلاء الرجال الثلاثة اشهر من نار على علم وتراجمهم مطوّلة في كلّ كتب التاريخ لا نرى افادةً كبرى في اثبات هذه التراجم في مجلّتنا مع كثرة موادّها وضيق المكان

٢ و ٣ صفة الجبل او الشاطئ اذا انحدر انحدارًا عموديًا

لم نجد لذلك صفة اوفق من ان يُنعتا بالقائم او بالنحيت فيقال « جبل نحيت » او « شاطئ نحيت » كأنَّ صخورهما نُحِتت نحتًا كما يقول الفرنج: rocher à pic او montagne à pic

٤ سهل سافيلا

سافيلا تعريب العبرانية שפלה واليونانية Σεφηλά وكان الاحرى ان يعرَّب بسِفْلة او سافلة. معناهُ بالاصل العبراني السهل مطلقًا او الغور لوقوعهِ عند منحدر جبال فلسطين ولذلك قد عُرِّب في ترجمتنا العربية بلفظة السهل كما ترجمهُ القديس ايرونيموس بلفظة campestria وقد ورد ذكرهُ كثيرًا في الكتاب المقدَّس (مثلًا يشوع ٩: ١) ليدلّ على سهل معلوم موقعهُ جنوبي سهل شارون وشرقيّ البحر المتوسّط يمتدُّ جنوبًا الى نواحي غزَّة وشمالًا الى يافا

٥ تعريب لفظة Asphalte

هو القار اذا كان ينبع نبعاً كما في الموصل او يطفو على وجه المياه كما في بحر لوط ومنهُ صنف معدني يدعى بالحُمَر

س سألنا الخواجا سليم افندي باز عن اصل افتتاح المكاتبات الحديثة الشائعة اليوم في سوريَّة ومصر بقولهم: «جناب كريم الشيم . . . غب افتقاد كريم الخاطر العاطر الخ»

افتتاح المكاتبات الحديثة

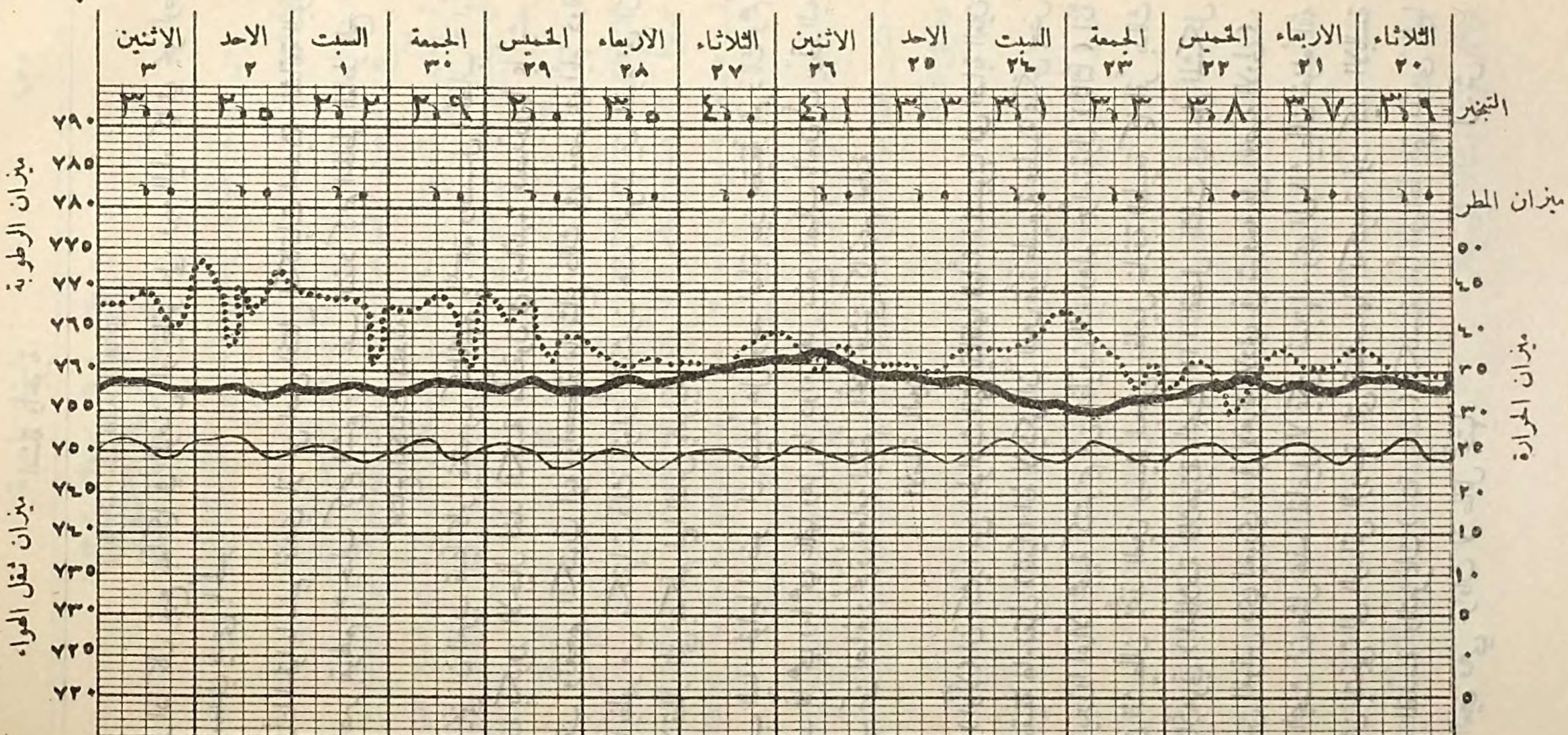
ج لا يخفى ان العرب قديماً كانوا يفتتحون كتاباتهم بالبسملة وفصل الخطاب «اماً بعد». الَّا انَّهُ بكرور الاجيال اخذ الكتبة يتأَنقون في رسائلهم فيصدّرونها بما يُشعر بتذلل الكاتب وتفخيم المكتوب اليهِ. واكثر ما شاع ذلك في مصر في ايَّام دولة الشراكسة كما يظهر من مكاتبات ذلك الزمان فانتشرت هذه العوائد بين القوم الى ان بلغت كلَّ الاقطار التي يتكلَّم فيها الناس بالعربيّة

س طلب الينا الخواجا ا. ضو ان نفيدهُ هل يوجد اصابة عين حقيقةً ام ذلك وهمٌ وان كان يوجد فما هي وما هي عللها وهل لها دواء وهل ينفع المصاب بالعين أن يؤتى اليهِ بشيء من ثوب مَن اصابهُ ويُحرقُ امامهُ ليشتمَّ رائحتهُ فيشفى كما تزعم العامَّة

الاصابة بالعين

ج نقول (اوَّلا) انَّ كثيرًا من الحوادث التي يتناقلها العامَّة فينسبونها الى اصابة العين هي اوهام لا حقيقة لها. نقول (ثانياً) انهُ لا ينكر انَّ للعين قوَّةً طبيعية عظيمة تمكّن بعض الناس من ان يبرزوا اعمالًا عجيبة كتنويم مَن ينظرون اليهِ وهلمَّ جرًّا. نقول (ثالثًا) انهُ ليس بممتنع ان الشيطان يتَّخذ العين وسيلةً لبعض مفاعيل خارقة الطبيعة كما اقرَّ بذلك القديس توما اللاَّهوتي (الخلاصة اللاهوتية البحث ١١٧ الفصل الثالث في حلّ المشكل الثاني) والقديس الفونس دي ليغوري (في لاهوتهِ الادبي في شروحه على الوصية الاولى). فانَّ صحَّ بعد البحث ان مثل هذه المفاعيل لا يمكن نسبتها سوى الى الشيطان خزاهُ الله فعلى المُصاب ان يلتجئ الى الوسائل الروحية التي تستعملها الكنيسة لردّ كيد الابالسة كالصلاة والماء المقدّسة والتعزيمات (التقسيمات) الكنسيَّة. اماَّ الوسائط التي تلتجئ اليها العامَّة لابطال العين فهي خرافات لا طائل تحتها ل. ش

قائمة للآثار الجويّة من ٢٠ ايلول الى ٣ تشرين الاول ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (—) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

نظرٌ عقليّ في لزوم الدين

للاب لويس معلوف اليسوعيّ

هي مقالة اقترحناها على حضرة الكاتب ردًّا على مزاعم بعض الكتبة المصريين الذين لم يستنكفوا من تقويض اركان الدين والحطّ من شأن اربابهِ هداهم الله الى سواء السبيل

انَّ علم الفلسفة النظريَّة يثبت ببراهين دامغة لا مردَّ عليها حقيقتين من اعظم الحقائق وأهمّها شأنًا: الاولى انّ الله موجود دحضًا لترّهات الكفرة. والثانية انّ النفس الانسانية روحٌ غير قابلة الموت عكسًا لما يزعمهُ الماديّون بمذاهبهم الواهنة. ولذلك استندتُ في بدء الكلام الى هذين الركنين المتينين اللذين يسلّم بهما كل عقل صائب لم يتعامَهْ في طغيانهِ ولم يختم الفساد على قلبهِ. وعن كليهما أُجلّ القارئ اللبيب. وها اني اخوض في موضوع الكلام واقول انّ الدين لازم للانسان لزومًا كليًا

١ اخصّ البراهين التي تستند اليها حقيقة لزوم الدين

١ انَّ البراهين التي تستند اليها حقيقة لزوم الدين لاقامة هذه القضيــة وتأييدها لَعديدةٌ أتّخذ اوَّلها من اعتبار ماهيَّة الله وماهيَّــة الانسان

ما الدين الَّا عبارةٌ عن مجموع حقائق وفرائض تقوم على علاقات موجودة بين الله والانسان. والحال ان هذه العلاقات واجبة لازمة. اذًا والحقائق والفرائض القائمة عليهــا الناتجة عنها واجبة ايضًا. فالدين اذن واجبٌ

اقول انَّك ان وجَّهتَ نيّر عقلك وامعنت النظر في صفات البارئ وماهيّتهِ وصفات الانسان وماهيَّتهِ أضحيتَ على يقين من ان مجموع الفرائض والحقائق التي يقضي الدين بها هي واجبة راهنة. اذ ما الله وما الانسان ؟ الله ماهيَّةً وجوهرًا ووجوبًا هو خالق الكون وحافظ البريَّة وربُّ الخلائق كلّها وغايتها القصوى. ذلك لانهُ هو العلّة الاولى وهو الكائن

الاسمى وهو مصدر كل خيرٍ وسعادة. امَّا الانسان فهو من كل وجه وفي ايّ اعتبار اعتبرتهُ صادرٌ عن الله وخليقتهُ وتحت يدهِ ويتعلّق بهِ تعلقًا مُطلقًا لازمًا تعلّق العبد بسيّدهِ والمرؤُوس برئيسهِ والمحفوظ بحافظهِ والمخلوق بخالقهِ. ونسبةُ الانسان هذه الى ربّهِ لا يستطيع الله ذاتهُ أن يُلاشيها او ان ينقلها. نعم انَّهُ تعالى بادئ بدء لم يكن ليضطرَّهُ امرٌ لِيَبدَع ما بَدَعَ بل اختيارًا وتبرُّعًا خلق الخلائق واوجد الانسان. ولكن الآن بما انَّهُ اراد ان يخلق وفعلًا خلق فلا بُدَّ من وجود العلائق والنِسَب التي تقيضها طبائع الاشياء وماهيَّاتها ولاسيَّما ما تقتضيهِ ماهية الناطقات. وعليهِ فمن المحال ألَّا يطلب الله من الانسان مخلوقهِ طاعةً وحبًا وعبادةً لانَّ طاعة الانسان لربّهِ وحبَّهُ وتعبُّدهُ لهُ تلك فروضٌ واجبة تقوم على مُقتَضَيات طبيعة الله وطبيعة الانسان. وهيهات ان يُبطل بارئ البريَّة الحكيم القدُّوس ما تقتضيهِ طبائعُ الكائنات وجواهرُها. فالدين اذًا لازم

ذاك دليل يكفي على موجز عبارتهِ لردّ اقاويل حَمَلة راية الكُفر الذين جرَّهم الجهل او التجاهل الى نكران وجوب الدين وهي حقيقة جلية لا تشكل الّا على من اراد بعقلهِ عسفًا وظلمًا

٢ واليك برهان آخر يتطرّق اليهِ من نظر في الهيئة الاجتماعية بعض النظر. (اقول) انَّ الهيئة الاجتماعية لازمة للانسان. وهي لا قِوامَ لها بدون دين فالدين اذًا واجب. امَّا كون الانسان في عوزٍ الى الهيئة الاجتماعية فذلك لعمرك امرٌ بيّن لا مجال فيهِ للريب والشكّ. لو لم يخلق ربُّكَ الانسان للهيئة الاجتماعية فلِمَ يا ترى حلاَّهُ بقوَّة النُطق والتعبير عمَّا يختلج في فؤَادهِ من العواطف والافكار؟ أما كان ذلك لدون غرض وعاريًا عن كل فائدة. ولربّك حكمةٌ في كلّ ما صنع. ثمَّ انَّ لزوم الهيئة الاجتماعيـة هذا يَظهر من كون الانسان لو تُرِكَ بمعزل عن مجانسيهِ لا سبيل لهُ الى حسن التناسل ولاسيما الى التربية والتهذيب والتعلُّم وتثقيف قواهُ الطبيعية. على انّ تلك القوى تقتضي ذلك كلّهُ. زِدْ انَّ الانسان لو عاش منفردًا لأضحى في عجزٍ كلّي عن ردّ الآفات والامراض الجمَّة والمخاطر المحدقة بهِ من كلّ جهةٍ يوجّه اليها خطواتهِ. اذًا لا مندوحة للانسان من أن يكون في هيئة اجتماعيَّة يؤَازرُ ابناء جنسهِ ويؤازرونَهُ على بلوغ الكمالات ونوال الغايات التي تحثُّهُ طبيعتهُ وقواهُ الباطنة على التوصّل اليها

وقد قلتُ انَّ الهيئة الاجتماعية اللازمة للانسان يستحيل وجودها ان لم تَقُم على دعائم

الدين. ذلك لانَّ لهذه الهيئة حقوقًا وواجبات متبادلة بين أفرادها وتلك الواجبات والحقوق ما من وسيلة فعَّالة ناجعة لعرضها واجرائها المجرى الكافي الحسن الَّا الدين. فلا هيئـة اجتماعية اذًا الَّا بالدين

فليصدّق الانسانُ عقلَهُ ويعتبر ماذا تصير اليهِ مجتمعات البشر اذا ازيلت العقائد الدينيّة من الافهام واغفل القوم وجود الهٍ قدير عليم بصير يُجازي المحسنين ويعاقب من أساء. الى ايّ الوِهاد تتدهور أعضاء تلك الهيئة من المظالم والفواحش والقبائح وايّ حاجز يبقى هناك لِحجزهم عن الشرّ وردعهم عن ابعد ما تتصوَّرهُ المخيَّلات من طرق الفساد. أتقول القوَّة المادّيَّة ؟ انها وحقِّك لتعجز عن تقويم اهواء الانسان والميـل بهِ الى جادَّة الصواب. ولو كانت القوَّة المادّيَّة هي الوسيلة الوحيـدة لإقناع الانسان وحملهِ على اتمام واجباتهِ لَما نالت منهُ الَّا الشيء اليسير او جرَّتهُ الى الدمار في اقرب من لمح البصر

أجل لقد صدق افلاطون كلَّ الصدق اذ قال: «انَّ من دكَّ دعائم الدين فقد دكَّ دعائم كل هيئةٍ اجتماعيَّة انسانية ونقضها نقضًا »

واصاب ڤولتر نفسهُ اذ كتب: «انهُ لو كانت ارباب الرئاسة على وجه البسيطة كفَرةً لا يُذعِنون لدين لكان التقلُّب بين ايدي الابالسة اهون وأيسر من الانقياد لهم »

وخذ التاريخ وقلّب صفحاتهِ ترَ انَّ الممالك والأُمم كانت تتقدّم في المَدنيَّة الصادقة وتنحطّ عنها على حدّ إعلاء شأن الدين فيها او انحطاطهِ

٣ ومـمَّا يؤيّد هذه الحقيقة التي نحن في أمرها كون شعوب الارض في كل آنٍ ومكان قد اذعنوا لها وعملوا بها واستناروا بسناء اشعَّتها

بيَّن لنا علم المنطق أنَّ إجماع الامم واتّفاقهم على الاعتقاد بحقيقة من الحقائق المُهمَّة المنوطة بشأن من شؤُون النظام الاجتماعي او الادبي او الدين ممَّا لا يبعد ان يتلألأَ للعقل صِدقها لجلائها وتيسُّر معرفتها لهو برهان كافٍ لذاتهِ ودليل قاطع على أنَّ تلك الحقيقة راهنة صادقـة يجب التسليم بها. والحال ان لزوم الدين ووجوبهُ لحقيقـةٌ اعتقد بها كلُّ شعوب الارض مشارقها ومغاربها وذلك امرٌ راهنٌ معلوم عند كلّ من لهُ بعض الإلمام بتواريخ الدهور. اليك المشترعين ومن سنّوا السُّنن فانَّهم سندوا جميعًا مصدر ما اشترعوهُ وصوابهُ والزاميتهُ الى حكمة العلي وتدبير الخالق وعدل الربّ المالك ومنهُ كانوا يستمدُّون لمن تعدَّى الشرائع عقابًا مُنكِّلًا ولمن حفظها ومشى على خطَّتها جزاءً حسنًا. اليك

الفلاسفة: فلست تكاد ترى منهم حتى الذين ارتابوا وشكُّوا في بعض الحقائق المهمّة الشأن مَن لم يسلّم بوجود حياةٍ اخرى بعد هذه الحياة وبوجود اله يجب السجود لهُ ولم يعتدّ هذه الحقيقة لازمةً لزوماً كلياً لحفظ الشرائع السياسية والهيئة المدنية ويعتبرها كسورٍ لها منيع لا مناص منهُ ولا استغناء عنهُ. امّا الامم فانّهم كما سبق القول قد اعتقدوا بوجود الهٍ تجب عبادتهُ ويحقّ السجود لهُ سجوداً باطناً وظاهراً وهذا إجماع الامم قد شهد عليهِ كل مؤرّخٍ وجغرافي وفيلسوف بين السَّلَف والخَلَف. ولاتّسع بنا المقال فوق ما قصدنا لو اتيناك باقاويلهم في هذا الشأن. ولو اقتضى الامر لأوردنا لك من شهادات المعاصرين من العلماء ما لا يترك للريب محلاً

٢ يقضي الدين بعبادة الله الباطنة والظاهرة

ظهر لك من البراهين الثلاثة السابقة لاسيما اوّلها انّ الانسان من طبعهِ وجوهره ديّن وانّ الدين لازمٌ لزوماً كلياً. وازيد انّ العبادة التي تقتضيها الدين لا تكفي ان تكون باطنة فقط محصورة في اعمال النفس الإرادية والفَهْمِيَّة. بل يجب ان تكون ايضاً خارجة ظاهرة تتناول بعض الاعمال الحسِّية فتكون مترجمة عن عواطف النفس وتشرك الجسد في تأدية فريضة الاكرام والخضوع لبـارئه. وذلك تُسلّم لنا بهِ ان اعتبرتَ أنَّ الدينَ دين الانسانِ. والانسان من حيثية جوهره مركَّبٌ من نفس وجسد. فوجب التعبُّـد لا على النفس وحدها بل وعلى الجسد ايضاً

وان شئت زيادة ايضاح في ان الدين فرض على الانسان كلّهِ قلت ان ذلك يُستدَلّ عليهِ . (اوّلا) بأنّ العلاقات التي ذكرناها سابقاً بين الله والانسان تُطلق على هذا بكلّيتهِ من حيث نفسهِ وجسدهِ. لانّ الله لم يخلق نفس الانسان بمعزل عن جسدهِ بل نفساً وجسداً بَدعَهُ وكذا قل عن باقي العلاقات بين العبـد والمعبود . (ثانياً) بانّ الانسان من طبعهِ ان يُظهر بعلاماتٍ واشارات ومظاهر خارجيـة جسديّة ما يجول في سريرتهِ من الحبّ والاكرام وغير ذلك من العواطف. بل اقول انّ تلك العواطف وما ضاهاها لا دوام لها في القلب ولا تُعتّم شيئاً فشيئاً على ممرّ الايام ان تضعف وتزول ان لم يكن لها من الاعمال والمظاهر الحسّية الجسديّة ما يجعل الانسان ان ينفعل لها انفعالاً كاملاً مناسباً لطبيعتهِ الروحية الجسدية فيكون لها من ذلك ما يحفظها ويعزّزها. (ثالثاً)

بأنّ الدين كما سبق القول رباط وعلاقة بين اعضاء الهيئة الاجتماعية . والحال انَّهُ لو كان الدين باطنًا فقط لما امكن ان يكون رابطًا اجتماعيًا . وهذا لا يتحقَّق الَّا ان تكون هناك دلائل حسية تنبئ بمضمونات القلوب — والَّا استحال على الهيئة من حيث هي هي ان تؤدّي للخالق وربّ السلطة فريضة العبودية والشكران

ومن هنا ترى شطط بعض السَّفسَطيّين اذ زعموا فيما يزعمون ان الدين حقُّهُ ان لا يتعدَّى خزائنِ القلوب . وكذا يتضح لك انهُ قد اخطأ ايضًا المرمى ذاك الذي ذهب الى ان الاديان يجب ان تنزوي بين جدران الهياكل

٣ دحض حجج المعترضين

على ان المقاومين للحقيقة التي مرَّ اثباتها يعترضون علينا ببعض اعتراضات ربَّما دخلت على عقول القوم لما يجهدون في ترويقها بزخرف الكلام وتمويه بطلانها ووَهنها باسهاب المقال وسرد الادلَّة السفسطية الفارغة . ولعَمْرُكَ انّ حُجَجهم كلَّها لو أُوردَت ببسيط العبارة وموجزها وجُرّدت عن المُعمَّيات لما اشكل على فهمٍ فسادُها . وبالحقيقة انَّها لأوهى من نسيج العنكبوت كما ستصدقنا ان امعنتَ نظرك فيها

١ يقولون مثلًا : ليس الله في عَوَز الى عبادتنا وايّ حاجة لهُ الى صلواتنا وتعبُّدنا . اذ لا داعي هناك يحمل الله على ان يتطلَّب منَّا عبادةً وتديُّنًا

أُجيب اننا نُسلِم بان الله لا عَوَز لهُ الى الانسان والى ما يفعلهُ الانسان او يقولهُ . وما من عالمٍ من علمائنا يذهب الى ان تديُّن الانسان ينفع الله نفعًا ما او يزيدهُ كمالًا من الكمالات . وليست تلك حجّتنا ولا على ذلك الركن اقمنا برهاننا . انما اراد الله الانسان دينًا لانهُ من الواجب وجوبًا مطلقًا كليًا ان تجري المخلوقات على خطّة ما تقتضيهِ جواهرها وطبائعها . وطبيعةُ الانسان الناطقة تقتضي ان يُدرك علاقاتهِ مع ربّهِ فيعترف بها ويخضع متعبّدًا

ولعلَّك تردّ عليَّ وتقول : ان كانت تلك ارادة ربّك فلِمَ يا ترى لا يلاشي اللهُ الكفرة من وجه الارض ولِمَ يدع الفساد ينتشر ويفشو بين الناس . (أُجيب) انَّ هذا الريب يزيلهُ من ذهنك أن تعتبر انَّ الله خلق الانسان حُرًّا وقد تركهُ حرَّ العمل في امر التدين والتعبد كما في سواهُ . حرّ الانسان ان يترك الدين او يمتهنهُ وحرٌّ هو ان يأتي اعمالًا تنهاهُ

عنها ارادةُ العليّ . لكنهُ سيأتي يومٌ وهو لا محالة آتٍ بهِ يحاسبهُ الديَّان عن كل ما اقترفتهُ يداهُ ومال اليهِ قلبهُ وعندئذٍ ينتقم الخالق لما سنَّتهُ ارادتهُ الصمدانية على بني البشر ولا يكون عِقاب الكاذبين باقلّ تمجيدٍ لعدل الباريء ممَّا هو جزاء الصالحين الديّنين لحبّهِ وصلاحهِ وجودهِ . وعليهِ ترى انَّ الله بحكمة صنع الانسان حرًّا وتركهُ حرًّا من حيث الاتّصاف بالدين وعدم الاتّصاف بهِ وليس هناك امرٌ يُجحف بحقوق المالك العليّ

٢ ويعترض المعترضون انَّ عبادة الانسان ناقصةٌ فاذًا غير لائقة بجلال الاله ورفعتهِ زاعمين انَّها تحطُّ من قدر المعبود حطًّا لا يقبلهُ العقل . اذ لو قابلناها بعلوّ الاله وكمالهِ لبانت لنا انَّها لأقرب ان تكون اهانةً من ان تكون اكرامًا

(جوابنا) انَّهُ ليس يحطّ قدر الاله الخالق انَّ الخلائق التي بدعها تجري على سنتها وتعمل بمقتضى طبيعتها وجوهرها . ثم لقد تنازل الله وجبل الانسان على صورتهِ فلمَ يا ترى لا يتنازل ويقبل سجودهُ وعبادتهُ . أيكون لائقًا بالله ان يخلق الانسان وغير لائق بهِ ان الانسان يعرفهُ ويحبهُ ويكرمهُ ؟

٣ ومنهم من يقول : ما الدّين الَّا مجموع اوهام ومعتقدات فارغة استنبطها ارباب السياسة والحكَّام والكَهَنة وسيلةً لبلوغ مآربهم

(اجيب) ان القول بان الدين اخترعهُ ارباب السلطة لزعمٌ فارغ ليس لمن يزعمهُ مستَنَد تاريخي يستند اليهِ ولا استدلال واقعيّ يستدلّ بهِ ويُركن اليهِ مقالهُ . بل ان تصفحت تواريخ الامم تجد انَّ الامر على عكس ما يُلفقونهُ . هذا من حيث واقعيَّة الامر . امَّا اذا اعتبرتَ هذه المسألة اعتبارًا عقليًا فيظهر لك جليًا عدم امكان ما ذكروهُ . اذ لا سياسةَ الَّا في الهيئة الاجتماعية وبعدَ تنظيم هذه الهيئة . فهذه قبل تلك وهي اي الهيئة الاجتماعية تقتضي الدين بل كما سبق القول يكاد يستحيل ان يقوم لها قائم ان لم يكن الدين لها اساسًا وعمادًا . فاقتضاء الدين اذًا قبل اقتضاء السياسة وهو من المحال ان يصدر عنها فانَّ الشي لا يصدر عمَّا يَعقُبهُ ولا يسلّم العقل بامكانيَّة وجود المعلول قبل علّتهِ . وبما انَّ السياسة بعد الدين ولا تسبقهُ في نظر الفهم فلا وجه للقول بانها علّته

٤ وكثر ما يحتجُّ علينا المقاومون بانّ هناك عددًا عديدًا من القوم المتديّنين يرتكبون الخش الفواحش ولا يردُهم دينهم عن تتبُّع طرق الفساد . اذًا لا فائدة للدين في الهيئة الاجتماعية ولا فضل لهُ على الكفر ولعلَّك ترى مَنْ لا دين لهم قد اتّصفوا

بفضائل جمة وأَلِفوا محاسن يَعترف بها المنصفون ويلهج بذكرها الواصفون

نقول انَّ هذه الحجّة ليست من السداد على شيء عند مَنْ قدَّر الحوادث قدرها وأرجع المعلولات الى عللها. أوَ هل فساد بعض القوم المتديّنين وشرّهم ينشأ عن مباشرتهم امور الدين وقيامهم بموجباتهِ ؟ انَّما ذلك لانَّ فعالهم تناقض معتقدَهُم أو لأَنَّهم ليس لهم من الدين الَّا اسْمهُ

امَّا اصحاب الكفر فهم بعكس ذلك فانَّ افعالَهم اذا حَسُنت تُخالف معتقَدَهم كلَّ المخالفة فلو اعتبروا ما هم عليهِ من إنكار وجود اله ديَّان عليم وسلكوا مسالكهم بمقتضى هذا الوهم لأَصبحوا وحقّك شرَّ الملا ولَرُبما فسادهم و إجحافهم بالحقوق على كل ما تتصوَّرُهُ الاوهام. امَّا فضائلهم وتَرْر ما تجدُهُ عندهم من اعمال الصلاح فمصدَرُهُ احد امرين امَّا لاقتباسهم بعض مبادئ دينية يعملون بها ولا يفطنون اليها واماَّ لحبّهم الراحة والسكينة والشرف العالميّ او خوفًا ممَّا تجرُّهُ عليهم مبادئهم ان عملوا بها من العواقب الوخيمة

٥ واليك اخيرًا ما يرتأُونهُ من عدم وجوب العبادة الظاهرة قائلين: انَّما الله روح اذًا يجب عبادتهُ والسجود لهُ بالحقّ والروح فقط. لاسيما وان المسيح ذاتهُ علَّم هذا التعليم اذ قال: «لأَنَّ اللهَ رُوحٌ والذين يَسجُدُون لهُ فبالروح والحقّ يَنبَغِي أَنْ يَسجُدُوا» (يوحنَّا ٤: ٢٤)

اجيب انَّ الله لا شكَّ روح متنزّه عن المادَّة. ولكن أينتج عن ذلك انَّ عبادة الانسان لهُ يكفي ان تكون عبادة روحية ليس للجسم فيها مشترَك ؟ كونُ اللهِ روحًا انما ينتج عنهُ ان عبادة الانسان يجب ألَّا تكون قاصرة على امور جسدية مادّيَّة ظاهرة. بل ينبغي ان تكون ممتزجة بعبادة باطنة روحية تصدر عنها صدور الزهور والثمار عن الشجر. امَّا كلام المسيح السيد فما كان الَّا لتقريع اليهود وتشنيع طريقهم لانهم كانوا يقصرون عبادتهم على بعض مراسيم مادّيَّة ومظاهر خارجة غير مكترثين بتعبُّد القلوب وصدق العواطف. فما كانوا الَّا مُرائين يغشُّون الناس ويطغونهم بما يتباهون بهِ في اعين القوم من شعائر الدين. على ان العبادة الظاهرة اللهمَّ ان كان مصدرها القلب قد حرَّضنا عليها المسيح ربّنا باعمالهِ واقوالهِ وامر بها مرارًا تارةً بمضمون الكلام واخرى بصريحهِ

ولا تقل انَّ الله انما ينظر القلوب فيرى عواطفَها وتعبُّدها وخضوعها لهُ سبحانهُ وتعالى فلا حاجة لهُ الى ادلَّة ظاهرة حسيّة تنبئهُ بها. وعليهِ فلا نفع من العبادة الظاهرة ولا

طائل تحتها . نعم وكل عاقل يقرّ ويسلم بانّ الله عالم الخفيّات وكاشف البواطن ونحن لم نقل بوجوب العبادة الظاهرة استنادًا على انّها لازمة لاطّلاع العليّ العليم على ما انطوت عليهِ الصدور . انما اتخذنا الدليل على وجوبها وضرورتهـا من اعتبار جهة الانسان ولانهُ بكلّيّتهِ خليقة ربّهِ وكلّ ما فيهِ روحاً او جسماً يجب ان يشترك في تسبيح الربّ المبدع المالك . زد انّ العبادة الظاهرة في حدّ ذاتها وبالنظر الى قوى الانسان تساعد على احياء العبادة الباطنة وتعزيزها وتنبّه المرء على القيام بها والمداومة عليها

هذا وكنّا نودّ ان نختم هذه النبذة الوجيزة باثبات شيء ممّا ورد في مصنّفات مشاهير الكتّاب وائمة الشعوب المتمدّنة نظماً ونثرًا لبيان ما نحنُ بصددهِ بل لكنّا ادرجنا اقاويل صريحة لكثيرٍ من زُعماء الكفرة يذعنون للحقّ من حيث لا يدرون او يقرّون جهارًا بشططهم رغمًا عن معاطسهم الّا ان ذلك يؤدي بنا الى الطول المملّ ونكتفي بنقل الكلام الشريف الذي فاه بهِ السيّد الشهير جمال الدين الافغاني في ختام مقالتهِ على الدهريين :

« لو خويت القلوب من الدين لسكنتها شياطين الرذائل وسُدَّت عليها طرُق الفضائل ومن اين لِمُنكر الجزاء أَن يكفَّ نفسهُ عن خيانة او يترفّع بها عن كذب وغدر وتملّق ونفاق . وقد تقرّر ان العلّة الغائية لاعمال الانسان هي نفسهُ كما سبق فان لم يؤمن بثواب وعقاب وحساب وعتاب في يوم بعد يومهِ فما الذي يمنعهُ عن ذمائم الفعـال وخصوصاً اذا تمكّن من اخفاء عملهِ وأمِن من سوء عاقبتهِ في الدنيا او رأى منفعتهُ الحاضرة في ركوب طريق الرذيلة والعدول عن سَنَن الفضيلة وايُّ حامل يحملهُ على المعاونة والمرادفة والمرحمة والمروءة وعلوّ الهمّة وما يشبه ذلك من الاخلاق التي لا غنى للهيئة الاجتماعية عنها . ولئن وُجد في احد الجاحدين شيء من مكارم الاخلاق بمقتضى الغريزة لكان عرضةً للفساد او كان ابتر ناقصاً لفقد ما عدّهُ من سائر صفات الكمال . . .

« فلم تبقَ ريبة ان الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان فلو قام الدين على قواعد الامر الالهي الحق ولم يخالطهُ شيء من اباطيل من يزعمونهُ ولا يعرفونهُ فلا ريب انّهُ يكون سببًا في السعادة التامّة والنعيم الكامل ويذهب بمعتقـديهِ في جوادّ الكمال الصوري والمعنوي ويصعد بهم الى ذروة الفضل الظاهري والباطني ويرفع اعلام المدنية لطلّابها بل يفيض على المتمدنين من ديم الكمال العقليّ والنفسيّ ما يظفرهم بسعادة الدارين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

الفرسان الالمان في سورية

للاب اميدي لوريول اليسوعي

انَّ أَلسنة الجرائد لا تزال منذ اشهر تحدّث القرَّاء عن قدوم جلالة القيصر الالماني الى انحائنا الشرقية فتراها تسترسل في الكلام عن صفـات هذا الرجل العظيم وتطنب في محامدهِ وتلهج في مديحهِ كما أنَّها تصف وصفاً مُسْهباً التهيئاتِ الفاخرة التي تقدَّمت بإجرائها الحضرة العلية الشاهانية حفاوةً بضيفها الكريم

هذا وقد احببنا نحن ايضاً في هذه الفرصة ان نحيي اثرًا قديمًا كان في انشائهِ لالمانية الكاثوليكية في المشرق مجدٌ اثير لنصارى القرون المتوسطة خيرٍ كبير. ألا وهي رهبانيةُ الفرسان الالمانيين (Chevaliers de l'Ordre Teutonique) التي نشأت في فلسطين واتّسعت الى انحاء الشام فصار لها بين رهبانيَات ذلك العهد المقام الحسن. ومقصدنا في هذه اللُّمعة الموجزة ان نشير الى تاريخها مجملًا مع ذكر بعض مآثرها في سوريّة

١ في نشأة رهبانيَّة الفرسان الالمان في سوريَة

نشأت هذه الرهبانيـــة في اواخر القرن الحادي عشر في القدس الشريف وكانت نجمت فيها عدَّة رهبانيَّات أُخرى غايتها اسعاف ذوي البأساء وتمريض اصحاب العاهات على اختلاف اديانهم وطوائفهم وايواء الغرباء المقطوعين والذبّ عن حقوقهم في سلوك طرقهم. وهذه الفئات الدينية لها كلّها الاعمال المبرورة والمآثر المشكورة كفى باسمها إشارةً الى مبرّاتها كفرسان مار يوحنَّا المعروفين ايضاً بفرسان رودس وفرسان مالطـة ويدعوهم العرب بالاسبتلار (Hospitaliers) وكفرسان القديس لعازر المعتنين بخدمة البُرْص وفرسان القبر المقدَّس للمدافعـة عن قبر المسيح. وفرسان القدّيسَيْن قزما ودميانوس لفكّ أَغلال الأَسرى وافتدائهم بالدراهم وكفرسان الهيكل الذين ورد ذكرهم مرارًا في تواريخ العرب وهم يدعونهم بالدواويَّة ويطرئون حمـاستهم. وكانت هذه الرهبانيَّات تعمُّ كلّ طوائف الغرب فتقبل اعضاء من أُمم شتَّى كما انَّها تسعى في سبيل صلاح الجمهور بقطع النظر عن اجناسهم واوطانهم

بيد انهُ لمّا كانت جموع كثيرة من الالمان تهرع لزيارة الاراضي المقدَّسة اخذت تضيق بهم المآوي في اورشليم وهم مع هذا ينطقون بلغةٍ لم يدركها سواهم من الفرنج فاصابهم لذلك بعض العناء في تحصيل معاشهم آونة مَكْثهم في بيت المقدس وأداء فرائضهم الدينية فيها. فاحسَّ بهذا الخرق رجلٌ من اشراف الالمان من آل الثروة كان توطّن بيت المقدس هو وزوجتهُ فتحفَّز لرتقهِ وتلافى الخلل بان خصَّص كميّة وافرة من المال لانشاء مأوًى لا يسكنهُ سوى مواطنيهِ الالمانيين. فما نجز بعـد زمن قليل مشروعُهُ الخطير حتى صار ذلك المقام مقصدًا لعامَّة زوَّار المانية. وكان في ضمن المأوى كنيسة متَّسعة الارجاء دشّنها بطريرك اورشليم ودعاها كنيسة السيّدة مريم الالمانية (١. ولمّا كان موقع هذه الكنيسة على جبل صهيون دُعيت ايضًا بسيّدة جبل صهيون ولقّبت رهبانيَّتهم بفرسان سيدة صهيون. فهذا الاثر القديم هو الذي حمل الالمانيين مؤخرًا على ان يسترخصوا في السكنى على هذا الجبل ليحيوا بذلك ذكر مفاخرهم السابقة

فسمع احبار رومة العظام ببناء مأوى الالمانيين فسُرُّوا لذلك سرورًا عظيمًا ومنحوا الانعامات الخاصّة لذويه. وكان يترأسهُ السيّد الذي انشأهُ وصرف عليهِ مالهُ للقيام بشؤونهِ. ولكن لم يلبث ان أنفد مالهُ تمامًا فاضطُرَّ الى طلب الصدقات من المحسنين فجمع منها جانبًا امكنهُ من القيام بامر الزوَّار اخوتهِ. بل تأثَّر بعض اصحاب الخير من غيرتهِ المضطرمة في سبيل البرّ فتتلمذوا لهُ ونبذوا ملاذّ العالم ليخدموا الفقراء والمرضى على مثـالهِ وابرزوا لذلك نذرًا خصوصيًّا. فعملت سـيرتهم الصالحة في قلوب كثير من اعيان الالمانيين نزلاء فلسطين فزهدوا في العالم ولبسوا الثوب الرهبانيّ وصرفوا مالهم في وجه الله وسبيل الخير

ثمَّ لمّا رأوا انَّ كثيرًا من الالمانيين الذين يتجشَّمون الاسفار الى بلاد فلسطين ربَّما احاقت بهم الاخطار في طريقهم تعهَّد الاخوة على ان يحاموا عنهم ويردّوا غارات المعتدين عليهم. فدُعوا لذلك بفرسان الفئة الالمانية وكان هذا نحو سنة ١١٢٢ مسيحيَّـة. واثبت البابا وان سِلِستين الثاني وأدريان الرابع هذه الرهبانية الجديدة ببراءتين اطلقا فيها اللسان بالثناء على اعضائها

١ راجع تاريخ المشرق ليعقوب دي ڤتري الجزء الاول الفصل ٦٦

٢ في نموّ رهبانيَّة الفرسان الالمان وازدهارها في سوريَّة

فلم تعتِّم رهبانية الفرسان الالمان بعد ما حازتهُ من الحظوى والالتفات لدى الاحبار العظماء ان تمتدّ وتنتشر فاضحت على مثال الحبَّة الانجيلية شجرةً باسقة الافنان وارفة الظلّ طيّبة الاثمار فابتنى اصحابها مستشفَياتٍ واسعة ومآوي رحبة للغرباء في مدن فلسطين وسوريَّة لاسيما في عكة

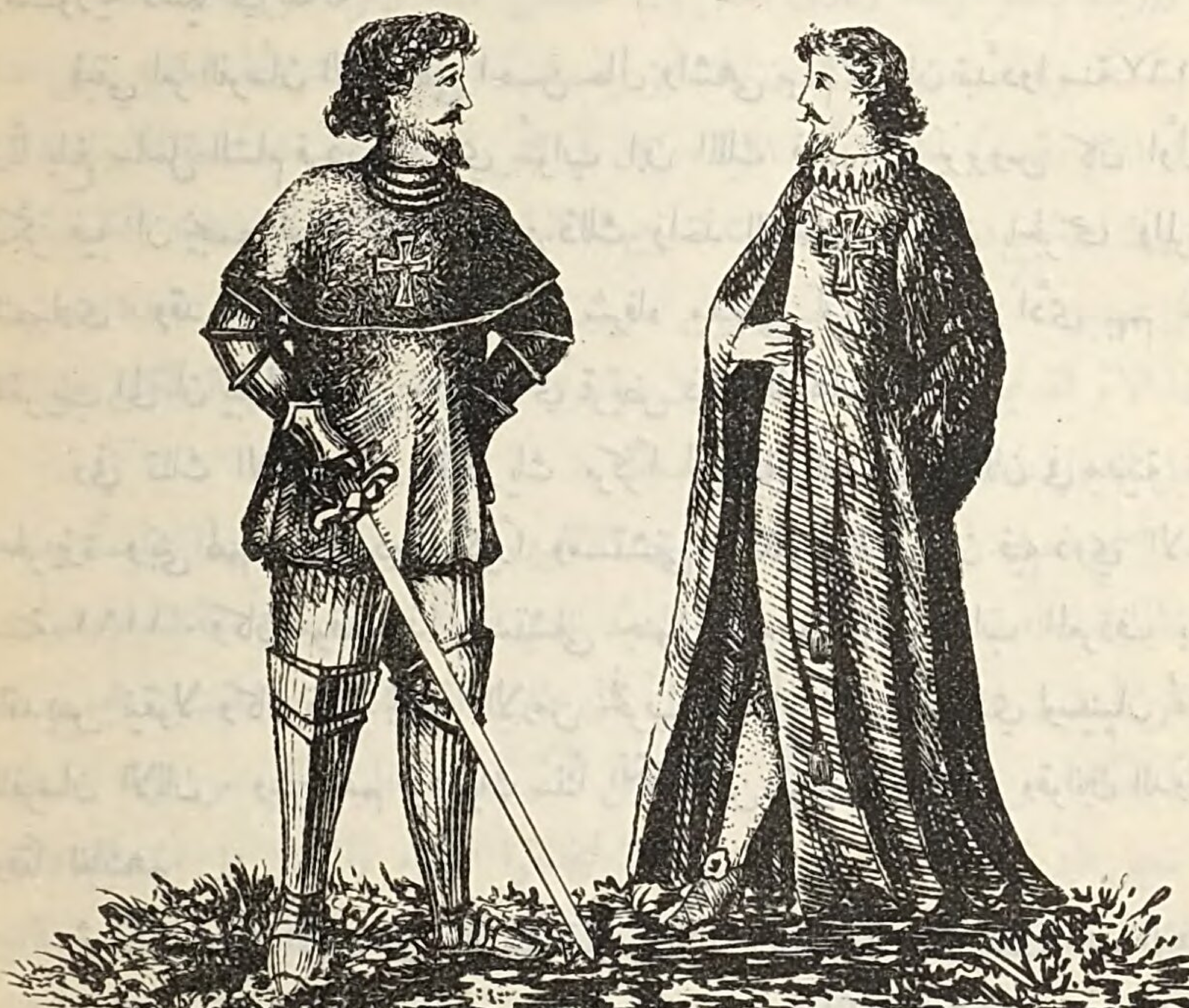
فبقي امر الفرسان الالمان على احسن حال واشهى مرام الى ان تبدَّدوا سنة ١١٦٧ . ولمَّا بلغ ساحل الشام فردريك دي سُواب ابن الملك فردريك بَرْبَروس كان اوَّل ما فكَّر فيهِ ان يجمع امرهم فتمكن من ذلك واخذ الفرسان يهتُّمون بالجرحى والمرضى النصارى . وقد امتاز بينهم رجال من شرفاء مدينتَي لوبيك وبريم ادَّى بهم حبُّهم للقريب الى ان يبذلوا النفس والنفيس في تمريض ذوي العاهات

وفي تلك الاثناء اقام فردريك مركزًا لرهبانية الفرسان الالمان في مدينة عكَّة الحريزة وبنى لهم هنالك ديرًا كبيرًا ومستشفى يسكنونهُ ويمرّضون فيهِ ذوي الاسقام سنة ١١٩١ . وكان موقع هذا المستشفى جنوبي المدينة بقرب الباب المعروف بباب القديس نيقولا وكان قبلًا يخصُّ الارمن فخرب فاعطاهُ الملك غي دي لوسينيان مُلكًا للفرسان الالمان . وسنّ لهم فردريك سننًا انتخبها من قوانين الاسبتلار وقوانين الداويَّة وفقًا لغايتهم

ثم كتب ملك الالمان الى البابا سلستينوس الثالث يطلب اليهِ ان يثبت هذه الرهبانية بسلطتهِ العظمى فاجاب الى طلبتهِ ببراءة ابرزها في ٢ شباط سنة ١١٩٢ وعيَّن للفرسان قانون القديس اوغسطينوس وقسم الرهبان الى ثلاثة اقسام منهم كهنةٌ لا يعتنون الَّا بالروحيَّات ومنهم فرسان من البيوتات الشريفة للمدافعة عن صوالح الزوَّار ومنهم اخوةٌ شأنهم مساعدة الفيئتين الاولين في امورهما. واختار للرهبان كثوبهم الخاصّ شملةً بيضاء يزينها صليبٌ اسود اللون مفضَّض الحاشية

وكان عدد هؤلاء الفرسان باديَ بدء محصورًا لا يتجاوز الاربعين عدًّا لكنهُ بعد زمن قليل أُلغيت هذه السنَّة فاخذت الرهبانية بالازدياد ونما عددها نموًّا كبيرًا حتى انتشرت في انحاء الشام لاسيما سوريَّة الجنوبية . وكان اوَّل من اقيم رئيسًا عامًّا على هذه الرهبانية في عكَّة رجلٌ من فضلاء عصرهِ يُدعى هنري قَلبوت دي بَسْنهَيم وكان وَلُوعًا بصالح جمعيَّتهِ

فحسَّن حالها وقوَّى دعائمها وتبرَّع عليهِ المحسنون بمالٍ وافر واقطعوا رهبانيتهُ الاقطاعات الواسعة ومما نالهُ من الانعامات ان يزيّن اربعة اطراف ثوبهِ بزهرة السَّوْسن(fleur de lis) وهي شعار ملوك فرنسة. وكان من عادة هؤلاء الفرسان ان يجنبوا ثلاثة افراسٍ مطهَّمة ويصحبهم سلاحدار يحمل رمحهم وترسهم



صورة الفرسان الالمان ولبسهم

وقد بلغت هذه الرهبانية اوج عزها في ايَّام رئيسها الكبير هِرمان دي سلزا. وكان هذا من مشاهير قومهِ مزدانًا بصفات عديدة ومزايا فريدة ذا فضل وفضيلة فكلَّفهُ اخوتهُ عِبء الرئاسة سنة ١٢١٠ فنهضَ بهِ اتمَّ النهوض. وقد ذُكرت لهُ مآثر تنبيءُ بما طُبع عليهِ منذ نعومة اظفارهِ من الصلاح والبرّ فبرَّز بين اخوتهِ لا يُشقّ لهُ غبار ولا يوطأ لهُ مضمار مع حمّية دينية لم يُساوهِ فيها احد

وعُني بتوسيع نطاق رهبانيّتهِ ومن جملة ما اقتناهُ لها من الاملاك سنة ١٢٢٠ قرية المَعليّة وهو القصر المعروف بقصر الملك ابتاعهُ من الكنت دي هنبرغ اوثون بسبعة آلاف

من الفضة . وكان لهذا القصر مزارع وقرى يبلغ عددها سبعة وثلاثين مكانًا . وفي سنة ١٢٢٨ استملك قصرًا خربًا يدعى مُنفور (Monfort) فرمَّمهُ واحلَّ فيهِ رهبانهُ وجعلهُ حصنًا منيعًا لا يطمع فيهِ طامع وضع فيهِ سجلاَّت الرهبانية وكنوزها . وهذا الحصن هو الذي يُعرف عند العرب بقلعة قُرَين ذكروهُ مرارًا في تواريخهم وكان موقعهُ على جبل بقرب ساحل بحر الروم جنوبي وادي القرن ليس بعيدًا من صفد . ومن جملة املاكهم في بلاد البشارة كفرياسين وصفد والبصَّة وغير ذلك . ولمَّا صارت الرئاسة الى حنُّو دي سَنْغِرهَوْزن اتَّسعت املاك الرهبانية في جنوبي لبنان فكان لهم في الشوف جزّين والجُدَيدة وتيرون وبكاسين وقيتولة ونيحا والمختارة وكفرنَبْرَخ ودير القمر وكفرفاقود والفريديس وعين زحلتا وبعقلين والدوير واللويزة وديركوشي وقُرْنَيه والمُغيثة والكنيسة وغيرها

٣ في اواخر رهبانية الفرسان الالمان

انَّ احوال هذه الدنيا كما لا يخفى دُوَل يوم لك ويوم عليك . ولمَّا كانت سنة ١٢٧١ اسلم الفرسان الالمان حصنهم القُرَين على الامان ورحلوا الى عكَّة . ولحسن الطالع لم يُفقد شيء من سجلاَّتهم الثمينة التي كانت مودعة في القرين وهي اليوم في مكتبة برلين الملكيَّة

وبقي الفرسان الالمان في عكة الى سنة ١٢٩١ فركب قسمٌ منهم البحر الى قبرس فسكنوها مدَّة . امَّا اكثرهم فأبحروا الى اوربَّة واجتمعوا باخوتهم من الفرسان الذين كانوا توطّنوا منذ نحو خمسين سنة بعض جهات المانية الشمالية الَّا انَّهم وجدوا هناك قومًا من قدماء عَبَدة الاصنام البرابرة من اهل الغزوات الذين طالما هجموا على ممالك النصارى فأسروا ونهبوا . فجاهرهم الفرسانُ القتال سنين طويلة حتى قهروهم وفتحوا بلادهم واتَّخذوها لهم ملكًا يستغلُّون اراضيها ويستثمرون خيراتها

فلم تلبث هذه البلاد تحت حكم هؤلاء الفرسان ان تجاري بقيَّة الاقاليم الالمانية حضارةً ونضارة فعُنوا بفلاحة الارض وشيَّدوا القرى ومدَّنوا المدن الواسعة في جهات ليڤونيه وسواقية والكورلند فزهت بعد حين شجرة الدين وبسقت افنان الآداب والعلوم وانجلت عُقَل الاوهام والجهل عن قوائم العقول . وكان الفضل في ذلك كلهِ لرهبانية الفرسان الالمان

امَّا بقيَّة اخبار هؤلاء الفرسان منذ ذلك العهد الى سنة الغاء رهبانيَّتهم سنة ١٨٠٩ فأمرٌ معروف لا حاجة الى ذكرهِ هنا. وما البقاء الّا للواحد القيُّوم (١

علَّة القرن الاحمر في دود القز

للشاب الاديب سليم افندي اصفر

انَّ هذه العلَّة قديمة العهد في سوريَّة وتعرف فيها باسماء مختلفة لان منهم من يسمّيها علَّة القرن الابيض وغيرهم علَّة الحرطوق والبعض علَّة سكردينو تعريب المُسْكَرْدِين (Muscardine). ولم يكن احدٌ في هذه البلاد قبل السنوات الاخيرة ليخاف منها شرًّا بل كانوا يعدّون ظهورها كعلامة الإقبال ويطمرون الدود المُصاب بها في وسط الاطباق. فلمَّا تكرَّر منهم هذا العمل على سنوات كثيرة بظروف واحوال مُساعدة على سرعة انتشار العُدْوى جاء من اقوى العوامل على سريان المرض واشتداد فتكهِ في الجبال وفي سهول بيروت لاسيَّما في مواسم السنوات الثلاث الاخيرة وخاصَّة في موسم السنة الجارية.

وقد بلغ تفشّيهِ مبلغًا عظيمًا فلم تقتصر الخسارة الى نقصان في وزن الشرانق بل قد رأيتُ بعيني اخصاصًا برمَّتها اتلفتها هذه الآفة المخيفة التي كان مربُّو الدود في اوربَّة يحسبونها قبل ظهور المرض الفلفلي او الرعواني اعظم علَّة تصيب المواسم. ولهذا فان بعض الملّاكين في لبنان ليأسهم من استئصال الداء عدلوا عن تربية الدود وتحمُّل عنائها مؤثرين عليها بيع ورق التوت وكان الواجب على من وصفنا لهم العلاج ان يعمدوا الى استعمالهِ وتجربتهِ بدلًا من ان يتعلَّقوا باذيال اليأس الذي هو مضرٌّ بصوالحهم وصوالح البلاد ولعلَّهم متى اطلعوا على طبيعة المرض ووسائل انتشارهِ وسهولة توقيف سيرهِ تنتعش

١ راجع الكتب الآتية التي اختصرنا عنها مقالتنا: Rey: *Colonies franques en Syrie*; id., *Monuments de l'Architecture militaire des Croisés en Syrie*; Conder: *Survey of W. Palestine, Memoirs*; Rhöricht: *ZDPV*, X, 26, ; *Tabulae Ordinis Teutonici*; Darras: *Hist. Eccl.* XXIV et XXVII, etc.

منهم العزائم ويقبلون بعد انقضاء عذر الجهل عنهم على الاجتهـاد والعمل لطرد العدوّ وابعاده لا يخفى اننا بفضل المباحث المدققة التي عاناها كل من الاستاذين باسي ولودي (Bassi et Lodi) وتأيدت بالتجارب والامتحانات التي اجراها العالم اودوين (Audouin) الافرنسي صرنا نعرف الآن انَّ علة القرن الاحمر تتأتى عن تولُّد نبات حَلَمي او فُطري في الدودة او في الزيز يسمى بوتريتيس باسيانا (Botrytis Bassiana) نسبةً الى الاستاذ باسي الذي هو اوَّل من اثبت ماهيتَّهُ ووصف اضرارهُ سنة ١٧٣٥ على ان هذا النبات الذي طالما فتك بديدان القزّ ينتمي الى طائفة الهيفوميسيت (Hyphomycètes) التي هي نوع من انواع الپيرينوميسيت (Pyrénomycètes) واحدى فصـائل الاسكوميسيت (١ (Ascomycètes)

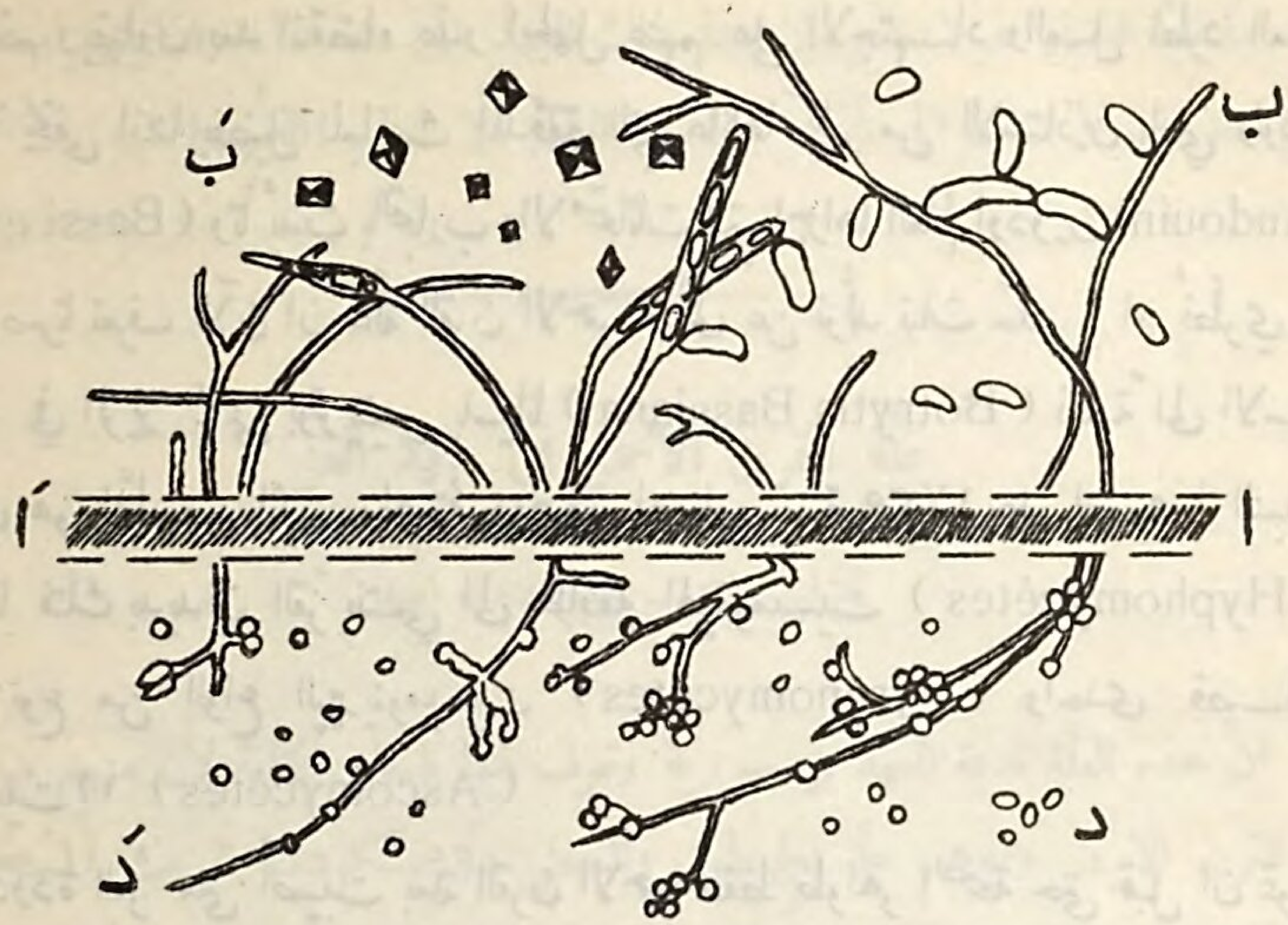
ان دودة القزُ متى أُصيبت بعلَّة القرن الاحمر تحفظ ظواهر الصحة حتى قبل ان تموت ببضع ساعات . ومتى اوشكت ان تتلف تصير رخوةً ومترهّلة اما دمها فيقلّ جدًّا ويصير ذا حموضة غريبة متضمّنًا اشكالًا بلُورية مثمَّنـة الزوايا من الحامض البولي (acide urique)

ثم انَّها تتمدَّد متطاولةً على الجزاز (الجزَّة) دون ان تأتي حركة وبعد مرور عشر ساعات او خمس عشرة ساعة على موتها يصير جسمها جاسيًا سريع الانكسار متهيّئًا بهيئة ما لصق بهِ حتى يتوهم من يراهُ انَّهُ متحجر تحجرًا . ويعلوهُ وقتئذٍ لون وردي خفيف وبعد مرور اربع وعشرين ساعة تتكوَّن عليهِ من كل جهاتهِ غبرة الى البياض . واذا تمكنت الدودة المصابة من غَزْل شرنقتها فلا تلبث ان تموت في داخلها بعد ان تنطوي على نفسها (تتكرنش) وتتصلّب وتجسو حتى ترنّ في الشرنقة كانها حصاة

---

١) اعلم ان الأسكوميسيت هي نباتات فطرية ذات خلايا كبيرة تتضمَّن اربع اربع خلايا أُخرى تعرف عند النباتيين باسم اسكوسبور (Ascospores) وهي تُبرْعم وتؤلّف خليَّةً في كبر الخليَّة الاصليَّـة . وهكذا لا تمضي مدَّة طويلة حتى تتولَّد خلايا عديدة لكنَّ اصل هذه النباتات الفطرية عبارة عن خليَّة بسيطة لا نواة لها . ثم ان الخلايا قد تكون منفردةً وقد تكون مجتمعة في غلاف واحد

واما طائفة « الهيفوميسيت » فهي ادنى فئات النوع المعروف بالپيرينوميسيت تذرّ في اصلهِ نفّاحات صغيرة للتناسل



صورة فُطر المُسكردين (مكبَّر ٥٠٠ مرَّة على اصلهِ)

ا اَ سَمك جلدتهِ – ب بَ الالياف المثمرة والجراثيم الوبائية – د دَ الجذور التي منها تتولَّد الجراثيم

وهذا المرض يصيب الدودة في كلّ اطوارها الَّا انَّهُ يصيبها عادةً في بدء الصومة الرابعة فاذا ظهر فيها قبل الطور فالاحسن ترك تربية الموسم لان الدود التي تتوصَّل الى صنع فيالجها تكون قليلة ولك ان تتأكد حينئذٍ انَّ البيت الذي تربي فيهِ موسمك هو موبوء بما انَّ العلَّة المذكورة لا تتولَّد مطلقًا في امكنة لم يسبق فيها ظهورها

ولقد اخبرني أحد مربّي القزّ في جنوبي لبنان خبرًا يؤيد ما سبق الكلام عليهِ قال انَّهُ شاهَد اثناء تربية موسمهِ عام ١٨٩٥ بعض دودات مصابة بمرض القرن الاحمر فعملًا بالوهم السائد في البلاد استبشر خيرًا وتفاءل باقبال عظيم ولذلك حافظ على الدودات المذكورة ولا محافظة البخيل على درهمه. امَّا في الموسم الثاني عام ١٨٩٦ فتكاثر عدد الدود المصاب بالمرض المذكور وفي عام ١٨٩٧ زاد كثرة ممَّا ادّى الى خسارة الخصّ برمَّتهِ. ولمَّا كان قد باع الجَزاز (الجزّة) الى صديق لهُ في احدى القرى المجاورة لم يلبث ذلك الصديق ان أُصيب موسمهُ في عامنا هذا بمرض القرن الاحمر

فان قيل كيف وباي وسيلة اتَّصلت العدوى الى بيتهِ اجبنا انهُ كان قد اعطى الجزاز علفًا للبقر التي عنده. ثم انهُ عمل من روثها أطباقًا لتربية الدود وهكذا سرت عدوى

المرض الى موسمهِ. فيتضح اذاً مما تقدَّم انَّ القرن الاحمر هو علَّة مُعدية الى حدّ فائق. ولكن لا بُدَّ من الملاحظة ان بعض الدود يقاوم المرض اكثر من سواهُ كما انَّ كميَّة النفَّاحات الفُطريَّة وحالة نموّها ودرجة الحرارة والرطوبة في الهواء تحدث فروقاً في النتائج الحاصلة

ويتفشَّى الداء بانتشار هذه الجراثيم الفطريَّة. وقد وضح ان ألوفاً من بذورها التي يبلغ قطر الواحدة منها ميليمين من الميليمتر تتطاير من خلاياها الاصلية عند ازدهارها وتفتُّحها امَّا بطريقة القناة المَعويَّة مع ما تأكلهُ من ورق التوت او من مسامّ الجسم. وبناء عليهِ فانَّ الدودة المصابة بالقرن الاحمر لا يُخشى منها عدوى رفيقاتها الَّا متى ابيضَّت جثَّتها

وهذا هو السبب الذي يوجب على مربّي دود القزّ ان يبحثوا عن الدود الميت المصاب بالقرن الاحمر ويلاشوها قبل ان يتكامل تولُّد الُجسَيمات الحلَميَّة عليهِ. فانهُ حالما تجد الجراثيم احوالًا موافقةً لنموها تنبت وتُخرج عِرقاً فبعد ان يتمدَّد هذا العِرق بين النُّسُج ولاسيما النسيج الدهني يُحدث في بعض الاماكن انتفاخاتٍ تدرّنية. ثم انهُ تتولَّد عن هذه الانتفاخات عروق أُخرى فتُحدث انتفاخاتٍ جديدة في كل جسم الدودة ما خلا الغدَّة الحريريَّة. وبعد موت الدودة باربع وعشرين ساعةً يُبرز الفُطرُ الى الخارج عروقاً تتكوَّن منها شُجَيرات وتُفسح الشجيرات مجالًا الى الجراثيم شبيهة بالتي كانت بدء المرض. امَّا العروق فتتكوَّن كثيرة جدًّا حتى تغطّي جسم الدودة كلَّهُ وتصير اشبه بجزّة بيضاء. ويذهب مرتاني (Martagne) الى انّ الجراثيم تتولَّد في داخل العروق المثمرة وتخرج من خلال الغشاء

على ان جميع الديدان التي تتولد من الفَراش وكثيرًا غيرها من الحشرات هي معرضة كدودة القزّ للاصابة بمرض القرن الاحمر

وبين انتشار الجراثيم وموت الدود عشرة ايَّام بوجه الاجمال. وعليهِ فاذا كان الدود يطلع الى الشيح قبل هذه المدّة فانهُ ينسج شرنقتهُ ولكن الشرنقة تكون اخفَّ من وزنها المعتاد. والنسبة بين الشرانق المصابة بالقرن الاحمر والشرانق السليمة نسبة واحد الى ثلاثة. وعليهِ فاذا كانت ستمائة شرنقة صحيحة تزن اقَّةً بعد طلوعها الى الشيح باثنى عشر يوماً فانهُ يلزم لمعادلتها بهذا الوزن من الشرانق المصابة بمرض القرن الاحمر ١٨٠٠

شرنقة ممَّا يساوي ثقل الشرانق الناشفة التي توزن بعد عيد الصليب اعني بعد شهرين او شهرين ونصفٍ لتخنيقها

وممَّا تجب ملاحظتهُ انّ الشرانق المصابة بالقرن الاحمر تخرج منها عند التَّسْليك بسبب وفرة خفَّتهـا كمّية كثيرة من السواقط ثم ان هذه الجراثيم القُطْريَّة تعدي ايضًا بالتلقيح فتموت الدودة وقتئذٍ بعد ثلاثة او اربعة ايَّام فقط

وتحفظ جراثيمُ النبـات الحَلَمي لمدة ثلاث سنوات في الاقـل قوَّةَ التولُّد حتى انها لتنبت وتتفرع وتثمر احيانًا على اجسام غير آليّة مثل السكَّر والصمغ والغراء وما شاكلها

علاج علَّة القرن الاحمر

واعلم ان القرن الاحمر داء عياء لا يقبل الشفاء لكنَّهُ يوجد لحسن الحظّ علاج واقٍ منهُ بكل تأكيد وهو التبخير بالحامض الكبريتي الذي من خاصيَّتهِ ان يقتل جراثيم هذا الداء وفروعهُ. فقبل تربية الدود يُحرَق على مدَّة ٤٨ ساعة في المحلّ الذي يكون قد بُيِّض بالكلس وأُغلق اغلاقًا محكمًا على قدر الامكان كيلوغرامان او ثلاثة كيلوغرامات من الكبريت المسحوق مع مئتـين الى ثلاثمائة غرام من البَوْرق وذلك لكل مئتي متر مكعَّب من الهواء. اما اذا كان الدود يُربَّى في الاخصاص فالواجب اجراء مثل هذا التبخير لآلات القزّ بعد وضعها في محلّ تكون قد سُدَّت نوافذهُ سدًّا حسنًا. على انَّهُ اذا اتخذ المرُبون بيتًا جديدًا وآلاتٍ جديدة فيكون ذلك افضل واحسن. وان لم يتيسَّر فلا بُدَّ من الاجتهاد للحصول على ما يقارب ذلك بواسطة التطهير كما سبق الكلام

فاذا شُوهدت مع ذلك اثناء التربية دودة قد أُصيبت بالقرن الاحمر فيجب ان يُحرق كل يوم اثر الاكلة التي تُعطى للدود ٢٥ الى ٣٠ غرامًا من الكبريت المسحوق مع غرامين او ثلاثة من البورق تسهيلًا للالتهاب وذلك في كل مسافة مئة متر مكعب. ولك ان تحرق الكمّية المذكورة امَّا في مقلى فخَّاريَّة اعتياديّة او ان تضعهُ على قطعة من الآجر وتشعلهُ بخيط من الكبريت. ولكن الافضل من هذا كلهِ ان تصبَّ المزيج المذكور على الجمر المتَّقد فتحصل النتيجة طبق المرغوب

ويجب الكفّ عن احراق الكبريت متى بدأ الدود يغزل شرنقتـهُ لانّ الحامض الكبريتي يؤثر في الشرانق فيغيّر جنسيّة الحرير

على ان استعمال الكبريت على الوجه المتقدّم ذكرهُ يجعل الدود بنجاة من القرن الاحمر كما انهُ يبعد عنهُ مرض الذبول في اكثر الاحيان. فانّ اتفق ظهور هذا المرض لعلّة من العلل فلا يكون عموميًّا بل يقتصر على اصابة قسم قليل من الدود فقط

فيتضح مما سبق انهُ بهذه الوسيلة التي يسهل استعمالها على الجميع يستطيع كل احد ان يربي الدود حتى في الاماكن المعرضة غاية التعرّض لداء القرن الاحمر لانّ الذين اصابوا نجاحًا في مواسمهم بهذه الواسطة بعد ان كانوا عدلوا عن تربية الدود هم كثيرون. ولا يخفى ان فائدة التبخير بالكبريت قد اصبحت في هـذه الأيام امرًا محقّقًا لا ريب فيه مطلقًا

امّا التبخير بالكلور فانهُ يأتي بالفائدة نفسها ولك ايضًا ان تستعمل دخان الحطب الاخضر فانّ الدود لا يتأذّى مطلقًا من كل هذه الامور

الّا انّ هذه العلاجات التي وصفناها لا تغني المربّين مما يجب عليهم من العناية بسائر احوال الدود الصحيّة ومن ثمّ يتعيّن عليهم ان ينزعوا الدود المريض وجزازهُ وينقلوا ذلك كلّهُ مع تجنب حصول الغبرة الى محلّ بعيد ويعتنوا بتهوية المحلّ وتعجيل سير الدود بإعطائهِ اكلات خفيفة ومتكاثرة

ولا محلّ للكلام على انتقال مرض القرن الاحمر بالوراثة لان الدودة المصابة بهِ تموت دائمًا قبل انّ تصير فراشةً. وبناء عليهِ فان جرثومة هذا الداء لا تقوى اصلًا على الدخول في البيضة. وبعبارة اخرى نقول ان القرن الاحمر هو دائمًا مرض عرضيّ ولو كان حلميًّا كالداء الفلفلي

ومن الضروري جدًّا لمربّي الدود ان يتضافروا ويتكاتفوا على اتخاذ الوسائل الضرورية لصحة مواسمهم. فانّ تهامُل واحد قد يجرّ العُدْوى الى مواسم قرية برمّتها فالامر اذًا في اعلى درجة من الاهمية. ومن الضروري الالتجاء الى رجال الحكومة متى كانت الصوالح الشخصيّة لا تحمل اصحابها للمحافظة على التدابير الصحيّة الضروريّة في مقاومة آفة المواسم

مَن يموت فجأةً ؟

للدكتور فيليب افندي بركات

ذاكَ سؤالٌ يُلقى على الطبيب مرارًا فيجيب عليهِ مستندًا الى مبادئ علمية وضعها الطبُ واثبتها الاختبار. وربَّما فحص الطبيب شخصًا اقبل عليهِ فيحكم بموتهِ فجأةً لاختلالٍ يراهُ في تركيب اعضائهِ او فسادٍ في عُنْصرهِ. فالطبيب اذًا عالمٌ بمستقبل الانسان بل هو عليمٌ بماضيهِ وحاضرهِ. ألا ترى انَّ الحكومة تكلّفهُ بتحقيق سبب الموت فتعرض على نظرهِ جثَّة المَيْت ليحكم في علَّة مفارقتهِ الحياة. امَّا معرفتهُ بالعلل الحاضرة فذلك امرٌ مقرَّر لا يختلف فيهِ اثنان. ولم اذكر توطئتي هذه عن كبر او غطرسة لكوني طبيبًا حاشا وكلَّا ولا يخفى عليَّ انَّ القرَّاء يطلبون منَّا معاشر الاطبَّاء معارف عظيمة دقيقة تستغرق من العمر اطولهُ ومن العناء والاجتهاد اشدَّهُ واقواهُ. ولذا ألتمس من المطالع المعذرة واراني احقَّ بها من سواي وما كمال العلم الَّا لله فانهُ وحدهُ الموفق الى الصواب

يُطلق في الطبِّ اسم الموت الفجائي على الحوادث التي يأتي فيها الموت بسرعة اي بمدَّة بعض ثوانٍ او ساعات وايضًا بضعة ايَّام لكن بصورة غير منتظرة فيضرب شخصًا كان معافىً او لم يكن فيهِ انزعاج مهمّ بالصحة او بالحري يضرب شخصًا يظهر لغيرهِ بانهُ متمتع بالعافية

وقبل ان نذكر اسباب الموت الفجائي علينا ان نعلم ان بعض الناس اشدّ تعرّضًا من سواهم اليهِ مثل السكّيرين والمسنّين والحديثين في السنّ

١ الموت الفجائي في السكّيرين والمسنّين والاحداث

انهُ لامرٌ معلوم ان الامراض الحادَّة في السكّيرين تتبع طريقًا خدَّاعًا فان عللًا عظيمة خَطِرَةً اذا اصابت فيهم عضوًا لا تؤثر في سائر الجسم اعني ان المرض يسري فيهم بشكل لطيف الظاهر فلا يطّلع على سوء عقباهُ الطبيب الجاهل. وقد رأينا مرارًا اشخاصًا مصابين بامراضٍ حادَّة ماتوا فجأة في الطريق بينما هم ذاهبون للشغل او التنزه واليك مثلًا حديث العهد

قضى رجلٌ عمرهُ اربعون سنة سحابةَ يومهِ يشرب المسكر ثم تنازع اخر النهار مع صاحب الحانة فتضاربا فقادهُ الشرط للسجن لانهُ سكران ولمَّا كان الغد وجدوه ميتاً فظنَّت الحكومة انَّهُ متأثّرٌ من الضرب فامرت بتشريحهِ فتحقَّقت انَّ الذى اماتهُ هو التهاب الرئة الصديدي الناتج عن السكر

وقد ذكر بعض الاطبَّاء حادثةً جرت لاحد رجال الشرطة وُجد ميتاً بعد ان قضى ليلتهُ شربًا وسكرًا مع رفاق لهُ. وكان يزعم ان ملازمة الخمر تخفّف عنهُ وجعًا فيهِ وعند تشريح الجثة وجد الطبيب فيها التهابًا في الكبد وصِفاق البطن سببهُ الافراط في الشرب

ويموت اكثر المسنّين فجأةً لأن اعراض الامراض الحادّة فيهم كأعراضها غير المؤلمة في السكيرين. والعلاَت التي تكون في غيرهم ثقيلة قوية تراها فيهم خفيفةً ضعيفة. مثلاً اذا اصابهم التهاب في الرئة لا يشعرون كغيرهم بنخس شديد في الخاصرة ولا بعُسر تنفُّس كبير ولا بسُعال متواصل كما نشاهد ذلك في الشبَّان. واعلم ان المسنّين لا يقوون على مقاومة الأمراض مثل الشبَّان لسبب تقدّمهم في السنّ وضعف اعضائهم فيموتون من التهاب رئةٍ او التهاب دماغ او من اختلال في الدورة الدمويَّة. وكثيرًا ما حدث الموت الفجائي في المسنّين عند بنائهم على اهلهم. وقد وُجد في حوادث كثيرة موتى في بيوت الخلاعة عند المومسات. وكانت الحكومة تظنُّ بوقوع جريمة قتل فتُضطرَ الى ان تأمر بتشريحهم فلم يجد المشرّحون سببًا لموتهم غير التقدّم في السنّ الذي يورث الضعف في اعضاء الحياة الرئسيّة. وقد احصى احد الاطبَّاء ٣٥ حادثة كان فيها الموت فجائيًا في اشخاص اربى عمرهم على الستين سنة

امَّا الموت الفجائي في الحدثيين بالسنّ فانَّهُ ناتج عن آخر درجة مرضٍ سرى في جسمهم بنظام لكنَّهُ لم يُعرَف لأنَّ امراض الصغار يصعب تشخيصها لسببين الأوَّل عدم اعتناء بعض الوالدين باولادهم والثاني لانَّ الطبيب لا يفهم غالبًا من الصغار الَّا الصراخ فيموتون فجأةً بعد التهاب رئة او نزلةٍ صدريَّة خانقة وهي امراض شائعة في الاطفال تصبح ثقيلة باوجز الاوقات. ويحدث فيهم الموت بغتةً اذا استفرغوا موادَّ من المجاري الهوائية وربَّما كان سبب الموت الفجائي فيهم تشنُّج الزمار لكنهُ لا يقتل غالبًا من اوَّل نوبة بل بعد نوبات تصيبهم دون ان يُنتبَه اليها وكم من مرّةٍ مات الطفل نائمًا في سرير مع والدتهِ او مرضعتهِ اذا انقلبت عليهِ وخنقتهُ خنقًا

٢ اسباب الموت الفجائي

اسبابهُ متعدّدة نذكر اهمّها ونسردهُ بترتيب ليسهل على الذاكرة حفظها:

١ الاسباب الناتجة عن الجهاز التنفسي الدموي

١ً (انسداد المجاري الهوائية). يحصل هذا الانسداد عن لقمة طعام دخلت في الحنجرة او في قصبة الرئة او وقفت في المري، وضغطت بسبب كبرها على قصبة الرئة. وقد شاهدنا حوادث عديدة مثل هذه. وعاينا مؤخرًا ولدًا ميتًا عمرهُ ثلاث سنوات كان فمهُ وحلقومهُ مملوئين بقطع خبز غير تامّة المضغ — ويدخل الطعام ايضًا في المجاري الهوائية بعد الاستفراغ فيحدث الموت بالاختناق فجأةً

٢ً (احتقان الرئة). نرى في التعديلات ورود هذا السبب اكثر من غيرهِ بيد انهُ لا يظهر الاحتقان المذكور بنوع جليّ ليعلّل هو وحدهُ الموت السريع ما لم يكن في الرئة تدرنٌ او في القلب مرضٌ او جاء الاحتقان بعد سبب قوي يرسم التشخيص

٣ً (النزيف الدموي الرئوي). ربّما كانت اسباب الاحتقان هي ذات اسباب النزيف وعلينا ان نذكر خصوصًا النزيف الدموي الذي يحصل في الادوار الاولى من التدرن الذي يكون بعض الاحيان غزيرًا فيسبب الموت فجأةً

٤ً (انفلات جلطة الشريان الرئوي). يظهر هذا الانفلات غالبًا بعد التهاب او تمدّد اوردة الاطراف السفلى او اوردة بيت الرحم. فالجلطة المتكوّنة في تلك الاوردة تنقلب من نفسها بعد حركة عنيفة. وقد شاهدت وانا تلميذ في بيروت فتاةً ميتة من انفلات جلطة رئويّة مصدرها من اوردة الحوض الصغير

٥ً (النزلة الصدريّة الخانقة). هي عبارة عن تكوين كميّة كبيرة من المخاط السائل المزبد يملأ المجاري الهوائية ويُحدث الموت فجأةً في الاطفال خصوصًا وبعض الاحيان في المسنّين

٦ً (انقطاع الحجاب الحاجز). ينقطع الحجاب المذكور بعد حركة عنيفة جدًّا ويحدث الموت الفجائي بسرعة كلّية لانَّ بعض اعضاء البطن تدخل بشدَّة في القفص الصدري وتسبب الاختناق العاجل

٧ً (الغشيان). يَحدث الموتُ الفجائي بالغشيان مرارًا على انّي لا اظنّ انّهُ يطرأ على

شخص كامل الصحّة بل يحلُّ في الاشخاص المصابين بحالة مَرضيةٍ سابقةٍ وخصوصاً بعلّة في الجهاز الدموي . واعلم ان امراض القلب والأَقنية الدمويّة الكبيرة كثيرًا ما تسبب موتًا فجائيًا سريعًا جدًّا يحدث عادةً بعد حركة عنيفة او انفعال نفساني عظيم . وانّا نذكر بين العلل المذكورة أَنورِسما الاورط وتصلّبِ جدران الاقنية وحؤُول القلب الدهني والتهاب بطانة القلب والتحامها بهِ — وقد شرّح طبيب جثّة امرأة عمرها ٥٠ سنة ماتت فجأة في الليل بعد مشاجرة مع زوجها فظنّ الجيران انّها اختنقت لأَنهم سمعوها تصرخ « آه اختنقتُ وخنقتَني » والحال لم يكن على الجثة آثار قهرية بل وجد بالتشريح التحام كامل بين ورقتيْ غلاف القلب وقد عُلم ايضًا ان المرأة المذكورة كانت تصاب بنَوبات عسر تنفُّس والمشاجرة كانت القاضية في تعجيل الموت الفجائي

٨ً (عدم كفاءة الاورط) . هو سبب متواتر للموت الفجائي وكذلك علل الصِّمامات القلبية

٩ً (انقطاع أنورسما الاورط) . يسبّب الموت الفجائي لكن تشخيص هذا المرض وقت الحياة من الامور النادرة

٢ُ الاسباب الناتجة عن الجهاز العصبي

١ً (الفقر الدموي الدماغي) . هو من اسباب الموت الفجائي فان اصفرار الدماغ وعدم وجود دم بين الأَقنية الصغيرة ووجود كمّية كبيرة مَصْلية منهُ في البُطَينات هي حوادث ذكرها الاطباء مرارًا . ولا يُستغرَب ابدًا حدوث الموت الفجائي من فقر دموي دماغي بعد انفعال نفساني . واليك حادثة نشرها احد الاطباء الايطاليان : تشاجر اخٌ مع اخيهِ الاكبر فضربهُ على صدرهِ وقد ضغط الاثنان على صدريهما الى ان فرّقهما بعض الاصحاب . فابتدأ الصغير يسعل ثم وقع على الارض وتقيَّأ ومات . ولم يوجد فيهِ آثار قهريّة خارجية مطلقًا وانّما شاهد الطبيب تصلّبًا قويًا في اغشية الدماغ وفقرًا دمويًا دماغيًا واضحًا جدًّا . وقد نسب الطبيب سبب الموت الى ذاك الفقر الدموي الذي لم يحصل من الضرب لكن من الغضب المستحوذ على المقتول وقد ظهرت علاماتهُ على قول الحاضرين باصفرار فجائي عظيم لاح في وجههِ

٢ً (اختلال الدورة الدماغية الدمويّة) . واسبابها استحالة جلطية وتصلُّب في الاوعية الدمويّة يحدث منها الموت فجأةً دون ان تسبقهُ اعراض تنبئ بهِ

٣ (الاحتقان الدماغي) . يذكر بين الاسباب المتواترة التي عنها ينتج الموت الفجائي مثل داء النقطة والامراض التشنّجيّة والاحتقانات التي تحدث بعض الاحيان في بدء الفالج العمومي ولو لم يسبقهُ علة اخرى

٤ (النزيف الدموي الدماغي) . يسهل على الطبيب معرفة سبب هذا الصنف من الميتات الفجائية بواسطة التشريح وبيان حالتهِ واضح اعني ان الموت فيهِ دائمًا طبيعيٌّ . واليك مثلًا مُهمًّا عن ذلك ذكرهُ احد الاطبّاء الشرعيين . كانت ابنة عاهرة عمرها ٢٢ سنة تصاب من زمن مديد بوجع رأس ونوبات عُسْر تنفُّس واستفراغ وقد تركت معشوقها مدَّة يومَين ثم عادت اليهِ وزاد المرض فيها . فدخلت المستشفى وهي مع ذلك مصرَّةٌ على كتمان سرّها غير انَّهُ كان يصيبها نعاس خفيف يمكّنها من الجواب على اسئلتنا ولم يكن فيها فالج نصفي او عمومي . فلمَّا توفيت ظُنَّ انها ماتت من رضَّة دماغية لكن التشريح اعلن تصلبًا في الكليتين وتجمعًا دمويًّا في نصف الدماغ الايمن وتريفًا غزيرًا حدث منذ ٦ او ٨ ايَّام على الاقلّ قبل الموت

٥ (النزيف الدموي في الاغشية الدماغية) . يحدث في آخر درجة التهاب اغشية الدماغ وهو كثير في السكّيرين فيموتون فجأة من ذاك السبب . ويحدث النزيف الدموي بعد وقعةٍ او ضربةٍ على الرأس وبعد تهيُّج نفساني عظيم . واعلم ان السكير اذا غضب غضبًا شديدًا ربَّما عجّل او سهّل حدوث النزيف الدموي الدماغيّ ومات فجأةً بسببهِ

٦ (اورام الدماغ وخُراجاتهُ) . انَّ الاورام والخراجات المذكورة لا تُبقي في الجسم غالبًا الَّا اختلالًا ضعيفًا وتدع ظاهرهُ سليمًا وهي تقتل مع ذلك فجأة

٧ (التهاب الاغشية الدماغية) . لا يجب ان تستغرب ذكر التهاب الأغشية الدماغية بين اسباب الموت الفجائي . واليك مثلًا نشرهُ الاستاذ بواردل الشهير . ان امرأة عمرها ٣٠ سنة اصطحبت رجلًا في نصف الليل وذهبت معهُ لتستأجر بيتًا وصباح الغد ذهب الرجل وبعد ظهر اليوم نفسهِ وجدَ خادم النزل تلك المرأة نائمة على فراشها لا حراك بها فجاء البوليس مع طبيب وقرَّر ان المرأة مسمومةٌ بدواء مخدِّر وشاهد ايضًا رضَّات على احد ذراعيها . فحُملت الى المستشفى حيث ماتت بعد ٣٦ ساعة دون ان تعي ابدًا وقد كلّفونا تشريحها فوجدنا التهابًا دماغيًا مع كمّيَّة كبيرة من الصديد دون تدرّن امَّا الرضَّات التي وُجدت على الذراع فكانت عرضيَّة

٨ْ (الضربات على الرأس). تجلب بعض الاحيان موتاً سريعاً فجائيًا غير انَّهُ يمكن احتمالها دون انزعاج مدة ايَّام او اسابيع كثيرة. وامثال ذلك غير نادرة فانَّنا قد شاهدناها مرارًا وتحقَّقناها بذاتنا فمن ذلك انَّ ولدًا عمرهُ ١٢ سنة وقع فاصابهُ جرح في رأسهِ وضُمّدَ جرحهُ بقطعة مشمَّع وبقي الولد يلازم المدرسة مدَّة ١٦ يوماً بيد انَّهُ كان يتشكي من وجع رأس مؤلم. ثم مات باثر ذلك فوجدنا بالتشريح تحت جلد الرأس من جهة الاذن اليسرى كسرًا في الجمجمة عمقهُ سنتيمتر ونصف وقشرة الدماغ هناك مصابة قليلاً. امَّا الدماغ فكان مصابًا بالتهاب صديدي — وقد اطَّلعنا على حادث آخر وهو انَّ راعيًا قويّ البِنْية ضُرب بحديدة بين عينيهِ وبعد الخصام عاد الى شغلهِ وبقي فيهِ طول النهار. فبينا كان صباح الغد يسوق ثيرانهُ الى مكان اذ وقع فجأةً ومات بعد دقائق قليلة. وفي تشريحهِ وجد التهاب دماغي صديدي — وهذه حادثة ثالثة حديثة. ضُرب شاب بسكّين فوق اذنهِ اليسرى فنظرهُ طبيب وقرَّر انَّ الجرح يمنعهُ عن الشغل مدَّة عشرة ايَّام ولكن ما مضى عليهِ خمسة ايام حتَّى دخل المستشفى وغاب عن رشدهِ. واصابهُ نصف فالج يميني ومات بعد ثلاثة ايام من جرَّاء التهاب دماغي وربَّما حدث الالتهاب المذكور متأخرًا. وكم من مرَّةٍ بقيت اجسام غريبة كالرصاص وغيرهِ في الدماغ مدة اشهر وسنين دون انزعاج المصاب بها ولكنهُ ما لبث ان حصل منها بعد مدَّة موت فجائي سببهُ التهاب الدماغ

٣ الاسباب الناتجة عن امراض الجهاز الهضميّ

١ْ (قرحة المعدة). ربَّما أَحدثت استفراغًا دمويًّا مميتًا او التهاب الصفاق دون ان يسبقها اعراض اختلال حتى فيبقى المرض غامضاً ولا يظهر الَّا بالموت وقد جمع احد الاطباء عشرين حادثة من هذا النوع

٢ْ (ثقب الامعاء). يحدث ذلك في بعض الاحيان مع وجود الحمَّى التيفوسيَّة او بعد الشفاء منها. ولذلك يحذّر الاطباء المصابين بالحمَّى المذكورة من اكل الطعام اليابس الضخم مخافة هذه العُقبى الوخيمة اعني الموت فجأة بسبب ثقب الامعاء.

٣ْ (امراض الكليتين). ان التهاب الكليتين يجلب نادرًا موتًا فجائيًا. وربَّما بقيت في بعض اشكال هذا الالتهاب الاعراض خفيفة بالظاهر ثم تقوى فجأة وتقتل بسرعة. ويمكن نسبة هذه العوارض الى مرض جديد يختلط بالمرض الاصلي مثل نزيف دموي دماغيّ سببهُ التسمّم بالبول او بالكحول او بالسكَّر ولتحقيق اسباب الموت المذكور لا بُدَّ

من فحص البول كيماويًا ليرى الطبيب أيوجد فيهِ مادَةٌ زلاليَّة او سكَّرية

٤ً (التسمُّم باوكسيد الكربون). هو سبب متواتر للموت الفجائي خصوصًا في بلادنا ايَّام الشتاء. لان عادة بعض الاهالي وضع موقد النار في المخدع والنوم في ذاك المكان. والتسمُّم المذكور يحصل عادةً في الليل والمصاب لا يفيق من نومهِ فيُشاهَد عند الصباح ميتًا في فراشهِ. وربَّما استفاق من نومهِ مذعورًا قلقًا ولا يتمكن من طلب الاستغاثة او فتح المنافذ فيسقط ميتًا. ويمكن حصول الموت فجأة بالغاز المذكور دون ان يوجد في المخدع موقد للنار مثلًا اذا رجعتْ حاصلات الاحتراق فنفذت الى الحجرة آتية من مخادع مجاورة او تخرج الغازات من ثقبٍ او شقٍّ صغيرٍ غير محكم السدّ موجود مثلًا في قسطل الدخان على جدران المخدع. وقد شاهد بعض الاطباء حادثًا غريبًا من هذا الشكل وهو انَّهُ وجد ذات يوم رجلًا ميتًا في مخدعهِ وتحقَّق انهُ مسمَّم باوكسيد الكربون لانَّ شبَّاك مخدعهِ كان قريبًا جدًّا من طرف جملة قساطل مفتوحة. والغازات التي كانت تخرج منها امتدَّت في مخدعه الصغير داخلًا من شبَّاكهِ المفتوح وحين رجوع الرجل المذكور مساءً أقفل شبَّاكهُ قبل نومهِ وبقيت فيهِ الغازات المسمَّة فمات

وكم من مرَّةٍ سمعنا بموت بعض الفقراء الذين ناموا فوق افران الكلس ايَّام الشتاء قصد التدفئة فتسمَّموا باوكسيد الكربون والتسمّم بهِ يحصل في مخدع ليس لهُ منافذ مثلًا حين ينكسر قسطل في الطريق فكثيرًا ما يمرّ الغاز في الارض خصوصًا في الشتاء على مسافة طويلة ثم يتمدّد في المخادع المبنية في الطوابق السفلى ومتى تشرَّبت الارض الغاز المذكور تُفقدهُ رائحتَهُ الخصوصية. وهذا يحدث غالبًا حين يبقى الجليد على الارض اذ لا يتمكَّن الغاز من الطيران رأسًا من الطريق. والحرارة المرتفعة في محلاَّت السكَن تسهّل لهُ الدخول فيها — امَّا العلاَّت التي تحقّق الموت الفجائي بواسطة اوكسيد الكربون فيعرفها الطبيب من فحص الدم بالكواشف الكيميّة وباستعمال المُجهر الطيفي فلا حاجة لتبيانها هنا

الخاتمة

ذكرتُ اسبابًا كثيرًا للموت الفجائي ولكن ربَّ ظروفٍ يحصل فيها ذاك الموت ولا يرى لهُ الطبيب شرحًا ولا سببًا ولو فحص فحصًا مدقّقًا كل اعضاء الميت لانَّ جملة سمومٍ نباتيةٍ تقتل دون ان يبقى لفعلها من اثر في الاعضاء فيُضطرّ الطبيب الى ان يقرّ بعجزهِ. وما كمال العلم الَّا لله وهو وحدهُ الحيّ الذي لا يموت

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزڤال اليسوعي

(تابع لِما قبل)

١٥

اذا ما اعتمدنا على ما تقدّم من كلام القديس اثناسيوس وعوّلنا على الادلّة التاريخية المشفوعة بهِ فسلّمنا ان زينب كانت على الاقلّ مستعدّةً للتدُّين بدين اليهود تُرى أيجوز القول بأنّها تهوَّدت حقيقـةً ومارست فرائض هذه الديانة ما دامت على عرش التدمريين ؟ نجيب كلّا فان الاكتشافات الحديثة تدحض هذا الزعم وتبطلهُ . كيف لا وترى في تدمر حتى في ايّامنا هذه عمودًا من اعمدة الرواق الاكبر مكتوبًا عليهِ باليونانية والتدمرية ان القائدين زبدا وزباي قد نصبا في ذلك المكان تمثالًا لملكتهما الجليلة كما فعلا لزوجها أذينة الثاني (١ ومن المقرّر ان ديانة اليهود تحرّم مثل هذه العادة . فكفى بذلك برهانًا على انّ ملكة تدمر لم تتمذهب بمذهب اليهود كما انّهـا لم تنتسب الى شيع النصارى المتهوّدين (chrétiens judaïsants) (٢ . وممّا يؤيّد صحّة رأينا ان زينب التي ما برحت تفتخر بنسبتها الى اشهر ملكات المشرق لم تكن لو تديّنت بدين اليهود لتُهمِل الانتساب الى باني تدمر سليمان الملك . وكان ذكر سليمان لم يبرح بعـدُ شائعًا بين التدمريين والعرب والآراميين واليهود القاطنين بعاصمتها او المتجوّلين في بادية الشأم

ولسائل ان يسأل فايّ ديانة اذًا اعتنقت سلطانة تدمر وايّ ملّة انتحلت . نقول على وجه الاجمال انّ في الامر غموضًا . وللمؤرّخين في ذلك آراء مختلفة مرجعها الى رأيين فان البعض يفتون بنصرانية زينب والبعض الآخرون وهم الاكثرون يزعمون انّها كانت من جملة الذين يعتقدون وجود الله تعـالى مع انكارهم للوحي . وهو مذهب التوحيد (déisme) . امّا نحن فترجّح رأي الاوّلين لانهُ اقرب الى الصواب ولنا في المسألة بعض

١) V., n° 29 ٢) وهذا رأي المورخين تاودوريتوس ونيقيفور . (Niceph., *Hist.* VI, 47 ;Theodoret: *Hist.* II)

الشواهد التاريخية نسردها لمزيد الايضاح. الَّا انَّنا لا نظنّ ان زينب صارت مسيحية محّضة قبل خراب حاضرتها وجلائها عن الاوطان. فنقول:

ان الكتابات التدمرية التي قرأها المركيز دي ڤوكويه كثيرًا ما تُفتتح ببَعض الفِقَر الدينية لاسيما ما ينتمي منها الى القرن الثاني (١ وهي تشبه صورة الصلوات المسيحية شبهًا عجيبًا مثالها: نقدّم هذا المذبح او هذا القبر «لمن اسمهُ مبارك الى الابد الرؤوف الرحوم». قال العلّامة المومأ اليهِ: كاني بهذه الكلمات تذكر الصلاة النصرانية المعروفة: «ليكن اسم الربّ مباركًا منذ الآن الى الابد». ولا ننكر ان بعض هذه الابتهالات قد كتبتها يد الوثنيين او اليهود الَّا انَّ ذلك لا ينفي كون بعضها من صنع المسيحيين ايضًا (٢

ثم اذا اعتبرتَ انّ في جملة من الكتابات التي ادرجها المركيز المذكور في مجموعهِ صورة اوّل حرف اسم المسيح باليونانية (X) فلا تشكّ انّ المسيحيين كانوا دخلوا تدمر منذ بلجت على العالم شمس النصرانية (٣

هذا ولنا برهان آخر مقنع في انتشار الدين المسيحي في تدمر منذ قرون النصرانية

---

١) راجع V. : nos 75, 76, 78 سنة ١٢٥ و ١٢٩ و ١٣٥ ومرجع عبادة التدمريين الوثنيين الى الهين اي بَل (او بَعل) ويرِحبول و يقال لها «مَلَكبَل وعَجلِبُول» يريدون بها الشمس والقمر فيعبدونها كالهين ذكر وانثى. ومن المعلوم انَّ هيكل تدمر الاعظم شُيّد لعبادة الشمس (راجع V. : nos 93, 128). وهذا موضوع واسع يصدُّنا ضيق المكان عن الاسترسال فيهِ

٢) ولا يبطل حجَّتنا ما قالهُ المستشرق الشهير كلرمون غانو (في المجلَّد الاوَّل من مجموعه العاديات الشرقية) «بانَّ مثل هذه العبارات وثنيَّة» زاعمًا بان الوثنيين قديمًا لم يذكروا في كتاباتهم اسماء آلهتهم ليكتموا عن الامم الاجانب ما يأملونهُ من معبوداتهم من النعم او غيرةً منهم عليها» لانّ العبارات الوثنيَّة في الغالب لا تخلو ممَّا يُشعر بعبادة الاصنام بخلاف العبارات التي ذكرناها وهي متزّهة عن ذلك ومعانيها سامية»

٣) قد حاول المسيو شرودر ان يبرهن ان مدلول هذا الحرف غير ما قلنا وهو يعتمد على كتابة تدمرية تاريخها السنة التاسعة للمسيح ورد فيها كمثل هذه العلامة. بيد ان بين الكتابتين بونًا. لان الحجارة التي اكتشفها دي ڤوكويه قد حُفرت عليها صورة هذا الحرف مرتين وفي موضع غير موضع الكتابة التي ذكرها المسيو شرودر في مقالتهِ (Sitzunb. d. Preus. Akad. d. Wiss. 1884, p. 21). وعلاوة على ذلك انّ العلماء يسلّمون بان المسيحيين قد اتخذوا للدلالة على شعائر دينهم بعض اشارات وعلامات كان سبقهم اليها الوثنيُّون فاستعملوها في معنى آخر. فلا نظن اذًا انَّ حجّة المسيو شرودر كافية لدحض رأي المركيز دي ڤوكويه

الاولى نأخذهُ مماً سبق لنا عن تجارة هذه المدينة وسَعة معاملاتها مع بقية حواضر الشرق فنقول: انَّ تدمر كانت مجازًا لكل القوافل في ذهابها وايابهـا ونقطة مركزيّة بين مدن الفرات والاردن وآسية الصغرى. والحال انَّ النصرانية كانت اشرقت على اكثر هذه المدن حتى اقصاها وابعدها منذ مطالع الدين النصرانيّ. فكم بالاحرى يتحتَّم القول انَّها انارت اهل تدمر باشعَّتها الساطعة

فقولنا انّ تدمر كانت مركزًا لكل قوافل الشرق لا حاجة لبيانهِ اذ يتَّضح صِدقهُ لدى القارئ من مجرَّد النظر الى خارتتنا (الواردة في الصفحة ٤٩٥)

اماً قولنا انَّ النصرانية كانت نفذت في كثير من مدن المشرق فهو امر واقعيّ لا يستطيع انكارهُ الّا مُكابر والحقّ مُدابر. فان تصفَّحنا اوّل تاريخ النصرانية المدوّن في كتاب اعمال الرُّسل نجد هذا الدين منتشرًا منذ نشأتهِ في كل انحاء فلسطين (١ وساحل بحر الروم (٢ وفي انطاكية الكبرى حيث دُعي النصارى باسم المسيحيين (٣ ولم يزل فيها ناميًا حتى كان عدد النصارى ينيف في ايَّام تنصُّر قسطنطين الملك على مئة الفٍ (٤. وكذا قل عن دمشق الشام وذلك بعد صعود المسيح بسنين قليلة (٥. واذا اعتبرنا مدينة الرها مع بُعدها عن مَهد النصرانية في اورشليم وجدنا اهلها مذعنين لسُنن المسيح منذ القرن الاوَّل وذلك مماً اقرّ بهِ العلماء فضلًا عمّا جاء في التقليد. قال العلاّمة دوقال في مقدّمة كتابهِ في نحو اللغة السريانية: «ان مدينة الرها كان الله قد حباها من العمران والتقدُّم ما جعلهـا مستعدَّة احسن استعداد لقبول الديانة الجديدة اي النصرانية فدانت لها هي وملوكها منذ القرن الاول وهذا من اثبت التقاليد (٦». وعلى كلّ حال فانّ النصرانيـة انتشرت في

---

١) راجع كتاب الاعمال ٨: ١,٥–١٤, ٤٠ و ٩: ٣١

٢) اعمال الرسل ٨: ٤٠ و ١١: ١٩ الخ ٣) اعمال ١١: ٢٢–٢٦

٤) راجع دي فوكويه Syrie Centrale, p. 14 ٥) راجع الفصل التاسع من سفر الاعمال

٦) Gram. Syriaq. 1881, p. VI – هذا واننَّا نعلم ان الكاتب نفسهُ ارتأى خلاف هذا الرأي في تاريخ مدينة الرها (J. A. 1891²) الّا ان حججهُ غير مقنعة تنقض قول سَواد المؤرخين الاقدمين. ولا يظنّنَّ القارئ انَّ مستندنا في زعمنا هذا الى قصَّة الملك الابجر ورسائلهِ الى المسيح التي شاع امرها في المشرق. فانَّ لدينا غير ذلك من الادلة مهما قيل عن صدق هذه الرواية او كذبها. وكذلك اننَّا نضرب صفحاً عن تعيين عدد النصارى في مدينـة الرها أ كان في القرن الاول للمسيح وافرًا او قليلًا

القرن الثاني في الرها انتشارًا عظيماً كما اثبت ذلك العلاَّمة ساخَو(١ في معرض كلامهِ على اقدم كتابة وُجدت في الرُّها. وقد وافقهُ على قولهِ الكاتب الشهير رينان الذي يعلم قرّاؤنا ما كان يضمرهُ في قلبهِ من الحزازة والضغن للديانة المسيحية فقال: « انَّ ملوك الرُّها قد جاهروا بمعتقَد النصارى ودانوا لهُ رسمياً قبل ختام القرن الثاني (٢» . امَّا انتشار النصرانية في آسية الصغرى منذ بدء النصرانية فهو مقرّر في كتاب الاعمال حيث يصف صاحبهُ اسفار القديس بولس وتبشيرهُ في عامّة تلك البلاد (٣

فان كان نفوذ النصرانية وعلوّ شأنها مما لا يُنكر في كل الانحاء السابق ذكرها فانّهُ لمن المستحيل ان لا تكون تدمر نالت من خيرات الدّين النصراني نصيباً طيّبًا منذ بزوغ انوار هذا الدين وذلك كما قلنا لاجل موقعها كمركز اوّل لجميع القوافل . فكيف يرضى العقل بانَّ اقاصي بلاد الشرق حظيت بما لم تحظَ بهِ تدمر وانَّها لم تستقِ من ينابيع النصرانية العَذبة التي أروت تلك البلاد الشاسعة لاسيما بعد خراب اورشليم (سنة ٧٠ ب م) اذ تفرّقت نصارى فلسطين في كلّ المدن . وعلى ذلك قول المسيو غوليوم في مجلّة العالمين « انّ النصرانية نفذت مدينة تدمر باعظم سهولة حتى انَّهُ يصعب تعيين الزمن الذي جرى فيهِ هذا الامر » (٤

وهذا البرهان يزيد قوَّةً اذا اعتبرنا القرن الثاني للمسيح لَمَّا زادت النصرانية امتدادًا ونفوذًا وكانت وقتئذٍ تدمر اخذت ترتقي في معارج الفلاح فتستلفت اليها الابصار. كيف لا وكان يمكن النصارى ان يعيشوا في تلك المدينة بمعزل عن الاضطهادات التي لحقت بهم في غيرها من البلاد يقضون فروض ديانتهم بكلّ حرّية ودون نزاع. فلا غرو اذًا ان يكونوا تواردوا الى تدمر ونما فيها عددهم

---

١) راجع *Edessenische Inschrift*. Z D M G, 1882, p. 152

٢) راجع الجريدة الاسيويَّة J. A., 1883[1], p. 251 وريكندورف ZDMG, 1888, p. 409

٣) راجع ايضاً Battifol : *Revue Biblique*, 1895, p. 155 و P. de Smedt : *Revue des Quest. Hist.* 1891, p. 406 . وقد تشهد التواريخ القديمة والمجامع والكتابات المكتشفة جديدًا مثل كتابة القديس أبرَكيوس على امتداد النصرانيَّة في القرون الاولى في جميع بلاد آسية الصغرى (راجع ايضاً P. Allard : *Le Christ. et l'Empire romain*, 1897 p. 70 و V. n° 74)

٤) Revue des deux Mondes, 15 Juil. 1896, p. 386

امّا في القرن الثالث فكان منار الدين النصرانيّ عاليًا في تدمر وانتشرت اضواؤهُ بنوعٍ عجيب لمّا صار الامر الى غاليانوس قيصر وامر على رأس الملاإ ان يُترك النصارى وشأنهم في اقاليم مملكتهِ. فشرعت من ثمّ كنائس المشرق تنمي وتفلح وتظهر في وجه الشمس (١

ولمّا اخذ أذينة الثاني بعنان المُلك وباشر باستنقاذ دولة الرومان من ايدي اعدائهم كانت الاضطهادات قد انتهت في بلاد الشأم ولم يبلبل هذه السلامة الّا بعض تصرُّفات سيّئة نحو النصارى ذكرناها في موضعها (ص: ٦٨٨ الخ). قال المسيو ألارد مؤرّخ الاضطهادات الشهير (٢: «انّ الشعوب المذعنة لسلطة زينب لم تزل في بحابح السلام والنجاح بينما كانت دماء المسيحيين مُهراقة في رومة وجوارها». فوفر عددهم في تدمر على عهد ملكتهم العزيزة

وبناءً على كلّ ما تقدّم نقول ان سلطانة تدمر التي قد استقصت مطالعة الاسفار الكريمة وارتاحت الى النظر بالشريعة الموسويّة لم تكن لتنظر الى شريعة اعلى واكمل منها دون ان تعمل في نفسها تعاليمها السامية فتفضِّل هذه على تلك. فان عقلها لم يكن اقلّ طمعًا في معرفة الحقّ من قلبها في مُلك العالَم كلِّهِ. الّا انّ الاحوال حالت موقّتًا دون وصولها الى ذلك العلم الخطير فاغترّت بمذهب رجُل ذي مُداجاة غواها واضلّها عن سواء السبيل. واليك تفصيل ذلك على وجه الاختصار

١٦

كان في بلاط زينب رجلٌ سميساطيّ الاصل (٣ فاق بشهرتهِ وبُعد صيتهِ سائر العلماء الذين قرّبتهم عندها زُلفى اسمهُ بولس. وكان هذا عالمًا نحريرًا ثاقب العقل يباري الملكة معرفةً وعلمًا وعظمةً وطَوْلًا في مالهِ. فلمّا توسّم القوم فيهِ صفاتٍ حميدة وخصالًا فريدة نادوا بهِ بطريركًا على كرسي انطاكية سنة ٢٦٠ ايّام كان متولّيًا على المشرق أذينة مع زوجتهِ. وكان الناس قاطبةً بين نصارى وعَبَدة اوثان يعظِّمون هذا الاسقف ويحسبونهُ رجلًا

---

١) راجع Allard : *Hist. des Persécut.* III, p., 179

٢) راجع الكتاب المذكور (p., 205

٣) راجع اوسابيوس تاريخ الكنيسة الكتاب السابع عدد ٧,٣٠ – كان البطرك السادس عشر على انطاكية

جريء المُقدَم ذا عزمٍ ودهاء ويتهيّبون سطوتهُ وبأسهُ . امَّا بولس فما عتَّم ان ظهرت اسرار قلبهِ المكنونة فاشهر مقاصدهُ وجاهر برغائبهِ السيئة فافرغ كنانة جهدهِ ولم يأنف ان يتَّخذ السلطة المقدَّسة التي خُوّلها كوسيلة لتحقيق آمالهِ وتنفيذ مطامعهِ فجعل يُنفق هذه الاموال التي كسبها بالنفاق والتعدّيات في لبس ثيابٍ فاخرة ذات اثمانٍ فاحشة . فكنت تراهُ يتزيّن بالحُلى والطرائف شأن الملوك او بالحري شأن ربَّاتِ الحجال ويحذو حذو العالميّين قولًا وفعلًا حتى صار عثرةً للنصارى ولعبدة الاوثان انفسهم . قيل انَّهُ امر الناس في كنيستهِ ان يصفقوا لهُ استحساناً كما يصفَّق للممثّلين في المراسح . وكان خطابهُ ابداً ثناء على نفسهِ او تنديدًا بآباء الكنيسة الاقدمين ولم يقف عند هذا الحدّ من السفاهة بل اتى يوم عيد الفصح بنساء فرتّلنَ في بيعة الله التراتيل العالميَّة وانشدنَ الاناشيد يمدحنهُ ويعظمنهُ

وقد بلغت هذه القبائح الى اقصى غايتها لمَّا استفزَّ الشيطان قلب بولس السميساطي وسوَّل لهُ ان يتَّخذ في خدمتهِ فتاةً من اهل الريبة اسكنها في دارهِ ولعلَّهُ استند في ذلك الى بعض الحجج الواهنة التي من شأنها التمويه على الجمهور (١ . وبعد حين ادَّت بهِ قِحَتهُ الى ان يستصحب ابنتين في عنفوان الشباب كانتا تصحبانهِ حيثما ذهب (٢

فهذا الذئب الخاطف الذي دخل الحظيرة جعل على مثالهِ الاكليريكيين الذين تحت سلطتهِ فاقتصُّوا معالمهُ وتخلَّقوا باخلاقهِ وافسدوا الخراف التي وُكل امرُها اليهم . وما كنَّا لنصدّق خبر هذه الفظائع لو لم يثبتها مجمع انطاكية في رسالتهِ . وربَّما سمح فادي العلم ان تدخل مثل هذه الشكوك في كنيستهِ الطاهرة ليمحص بذلك اولياءهُ القديسين

هذا ولم يألُ بولس جهدًا في ان ينال رضى زينب . وقد ارتأى بعض المؤرّخين اعتمادًا على قول ثيودوريتوس ان الغيرة حملت اسقف انطاكية على اتيان ما أتى ابتغاء ان يكسب الملكة الى الدين المسيحي . لكنَّ هذا الزعم واهنٌ لا صحة لهُ لانَّ قلبًا فاسدًا ملطَّخًا بالرذائل والادناس لا يستطيع ان يضطرم بالايمان والغيرة على مجد الله . والأَولى القول انَّ هذا المبتدع

---

١) كان بعض الاكليريكيين في قرون الكنيسة الاولى استحلُّوا السكنى مع البنات العذارى (agapètes) يزعمون انهم يعيشون معهنَّ عيشةً صالحةً طاهرة ويستندون بذلك الى عادة الرُّسل الاوَّلين الذين كانت تقوم بخدمتهم بعض الاخوات (راجع رسالة القديس بولس الاولى الى اهل قورنتية ٩ : ٥) . فردَّ القديس كبريانوس على مزاعم هؤلاء وبيَّن الاخطار الناجمة عنها . وكذلك سفَّه القديس ايرونيموس هذا الرأي في رسالتهِ ١٨ الى استوخيوم ٢) شمپاني ص ١٣٧

لم يبتغ سوى الحظوة عند زينب لكي يظلّ في كرسيهِ ثابتا ويتمكّن من شهواتهِ الذميمة لا يقمع كبرهُ قامع ولا يردع اهواءَه رادع

وعليهِ لم تكن سيرتهُ الّا تملقًا ومخادعةً ومخاتلةً للملكة التي لم تكُ بعدُ عرفت ديانةَ المسيح حقَّ معرفتها فكان يبيح لها في امر الدين والآداب ما تستبيح ويخفف عن عاتقها ما تستثقلهُ بل كان يُعجَب بزينب اي إعجاب ويتلو تلوهــا ما استطاع ويُظهِر ما تُظهِر من العظمة والتجبر والسلطة والدهاء. وفي صورة الحرم الذي رشقتهُ بهِ الآباء يقال «انهُ كان على شاكلتها ما غلبتهُ الّا بعفّتها» وما فتئ يتملّق سيّدتهُ ويخاتلها حتى قلّدتهُ وظيفة الدوكنار (ducenarius)(١ التي كانت آثر عندهُ من الاسقفية(٢

فهذا المثل الرديُّ الصادر عن اسقف نافذ الكلمة في سوريّة جمعاء هاج لهُ الشرق وماج. وكان من قبل في سنة ٢٦٤ قد التأم في انطاكية مجمعٌ لتزييف تعليم بولس المذكور(٣ فحُرم لاول مرَّة. وملخص هذا التعليم « انَّ المسيح رجلٌ صرفٌ لم يكن لهُ من وجود قبل ظهورهِ في عالمنا. وانهُ من المحال ان يتجسَّد الكلمة الذي لا يساوي الله في الجوهر. اما الاقانيم الثلثة فليست هي الّا صفــات في الحقّ سبحانهُ وتعالى. وقد زيَّن اللهُ عزَّ وجل المسيحَ بنعمٍ فريدة خصَّهُ بها دون غيرهِ فكان الحَبَل بهِ فائق الطبيعــة صنعهُ الروح القدس في احشاء عذراء وفي تلك الســاعة حلَّ فيهِ كلمة الله. فلا حرَج اذن لو دعونا المسيح الهًا او الهًا نظرًا لفضائلهِ السامية التي تقرّبهُ من الله تعالى (٤ ». فلم تلبث

---

١) الدوكنار (ducenarius او ducentarius) كان بادئ بدءٍ ضابطًا يجبي الخراج ويحكم في الدعاوي الطفيفــة وقد دعي بهذا الاسم إمَّا لانَّ راتبهُ كان ٢٠٠,٠٠٠ ستسترس (اي اكثر من ٣٥,٠٠٠ فرنك) او لانهُ كان يجبي لبيت المال اثنين عن كل مائتين ولكن في الجيل الرابع والخامس ترأس الدوكنــار على مجلس شورى القوَّاد العسكريين او على ادارة الشؤون اعني مجلس الولاة ويبين انهُ نال ذلك منذ اواخر الجيل الثالث (راجع Notit. Dignit. p. 823). وبناء عليهِ فكان لبولس في ادارة شؤون سورية منصب من المناصب الاولى بعد رتبة القنصل

٢) تاريخ اوسابيوس ٧ : ٣٠

٣) وممن حضر هذا المجمع فرميليانوس القيصري والقديس غريغوريوس العجائبي واخوهُ اثنودوروس وهيلانوس الطرسوسي وهيماناوس الاورشليمي والشمَّاس اوسابيوس الذي سيمَ بعد مدةٍ مطرانًا على اللاذقية

٤) راجع كتاب الهرطقات للقديس ابيفانيوس ٧٥ : ١ - ٣ ورسالة المجمع في تاريخ اوسابيوس ٧ : ٣٠ وكتاب الهرطقات للقديس اوغسطينوس ٥٤ الخ

هذه الاراجيف ان انتشرت وسرى شرّها في العقول فاجتمع حينئذٍ الاساقفة من بلاد بُنطس وقبادوقية وفلسطين فوجدوا بعد الفحص انَّ تعاليم المبتدع لا تختلف عن تعاليم ارتاماس او ارثامون (١ الذي كان قد حُكم عليهِ قبلاً. فحرموها باتفاق الكلمة

فلمَّا كُشف القناع عن سيّئ آراء بولس سُقِط في يدهِ وتظاهر بالتواضع والقبول للرأي السديد والايمان الصحيح ووعدَ ان يغيّر خطتهُ ويؤمن ايمانًا مستقيمًا ولكن عقيب خمس سنوات رجع الى ضلالهِ وشرّ اعمالهِ او بالاحرى ما زال طول المدَّة ينهج منهاجهُ الاوَّل ناكثًا مواعيدهُ دون ان يصلح سيرتهُ او يصحّح تعليمهُ. فهرع الى انطاكية ثمانون اسقفًا سنة ٢٦٩ لمقاومة هـذا «اللصّ الذي اتلف خراف المسيح إتلافًا» فانتصب في وسط الجماعة الكاهن ملخيون القديس وفنَّد حجج المبتدع الواهنة وافحمهُ امام الجمع بتَعداد ما عُزي اليهِ من الاضاليل والآثام فعُزل بولس عن كرسيهِ واقيم مقامهُ دُمْنوس وكان ابن ديمتريانوس اسقف انطاكية سابقًا. ورغبةً في اشهار هذا الحكم وانفاذهِ بعث الجمع رسالة الى ديونيسيوس اسقف رومة ومكسيموس اسقف اسكندريَّة والى عامَّة الاساقفة والكهنة والشمامسة والكنيسة الكاثوليكية المنبثَّة في كل الاقطار (٢

امَّا زينب فما انكرت على الاساقفة صنعهم ولا سلبتهم حرّيتهم بل تركتهم وشأنهم يحكمون على حميمها وجليسها (٣ واكتفت بان لا تنفذ حكمهم بالقوَّة الجبريَّة. غير ان بولس ابى ان يجحد كفرهُ ويتخلّى عن الاوقاف الكنسية اتكالًا منهُ على حزبهِ العظيم في انطاكية وحسن التفات زينب اليهِ فيما سلف. فلم يبرح هو وانصارهُ في دار الاسقفية متمتعًا بالاوقاف والاموال الى يوم تغلّب اورليانوس على زينب وقهرها في انطاكية سنة ٢٧٢. فمثل اوانئذٍ دُمْنوس امام القيصر وطلب اليهِ كمالكٍ شرعيّ ان تُردَّ لهُ المساكن التي كان احتبسها جورًا وظلمًا ذلك الهرطوقيّ المحروم فاجابهُ اورليانوس الى سؤلهِ قائلًا: «انَّ الوقف

---

١) راجع اوسابيوس الفصل المذكور. كان ارثامون هذا علَّم في رومة تعاليم كاذبة ينفي فيها الوهيَّة السيد المسيح. وكان اوانئذٍ حبر الاحبار القديس زفرينوس

٢) راجع اوسابيوس ٧: ٢٨ – ٣٠ والقديس ابرونيموس الرسالة ٨٤ وفي الرجال العظام ٧١ والقديس اثناسيوس في المجامع – (مَنْسي المجامع المقدّسة المجمع الجديد I) على تاريخ سنة ٢٦٩ Tillemont : *Mémoires*. IV. art. 4 و Bolland : Oct. t. XII, p. 507-509

٣) اوسابيوس الموضع المذكور

الواقع عليهِ الخلاف انما هو مُلك المشتركين مع اساقفة ايطالية واسقف رومة (١

على هذا المنوال سقط بولس رغماً عن الآمال التي وطّدها على زينب غير انهُ كان قد زرع في المشرق جراثيم الشيعة الآريوسية والنسطوريَّة اللّتين مال اليهما وعلّمهما وقد ترك اشياعاً متعصّبين لتعاليمهِ فدُعوا بولسيّين سُمَيساطيين(٢

بعد سرد هذه الاخبار نرى انهُ لامرٌ جدير بالاندهال كيف تركت زينب جليسها بولس واحبَّ الناس اليها يُحرَم ويُحكم عليهِ بالعزل والعقاب دون ان تحاول اضطهاد المسيحيين او معارضتهم في دينهم. وقد اثنى القديس اثناسيوس ثناءً جميلًا عليها لسبب غير هذا وهو عدم تعصُّبها لديانتها الاسرائيلية (على زعمهِ) قال: «ان زينب وان يهوديَّةً لم تهب ابناء ملّتها الكنائس لتكون لهم مجامع او محافل» (٣

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ولنرجع الى ما كنّا فيهِ. واستمرَّت اقطاعات السلَف على ما ذكرناهُ ثم انقسموا ثلاثة ابدال وقد رأيتُ بخطّ ناصر الدين المذكور قائمةً (٤ مضمونها الذي تقرَّر بين المماليك اولاد امير الغرب من الابدال بالثغر المحروس: (البَدَل الاوّل) الفقير الى الله تعالى الحسين بن خضر واخوهُ عزّ الدين حسن وشمس الدين عبدالله ابن عمهِ واصحابهما ما خلا خمسة انفار

١) اوسابيوس ٧ : ١٩،٣٠ . قال شمپاني «ان هذا الرجل الوثني اوصلهُ تمييز عقلهِ الى حلّ مسائل شتّى في الامانة المستقيمة (المحلّ المذكور وجه ١٤٠) – فانظر كيف اورليانوس يذكر اسقف رومة على حدةٍ واماّ اساقفة ايطالية فيذكرهم سويّةً دون تخصيص احدٍ»

٢) راجع اوسابيوس المحل المذكور. ومخائيل كليكاس اخبار القسم الثالث – وقد اجمع المؤرخون على ان بولس هو اول من حرَّف القوانين الرسولية – طالع مقالات دي مجيستري الفصل الثاني (مِيْن)

٣) راجع رسالة القديس اثناسيوس

٤) راجع هذه القائمة في اخبار الاعيان (ص ٢٣٤)

تُضاف الى الامير ناصر الدين ابن سعدان وهم صارم الدين شمول وابن عمهِ نجم الدين كركب سنان وشرف الدين غازي ابو الرجال وشرف الدين ابو العلاء بن شقير وبدر الدين حسن بن سامي. (والبدل الثاني) الامير سيف الدين مفرج والامير عزّ الدين حسين ابن شرف الدين والامير علم الدين سليمان واصحابهما. (والبدل الثالث) الامير ناصر الدين ابن سعدان وولداهُ الامير سيف الدين ابرهيم بن نجم الدين واصحابهُ والامير عماد الدين موسى بن مسعود واصحابهُ والخمسة المضافون اليهم من جماعة المماليك

ثمَّ من مضمون القائمة المذكورة اسماء جماعة المماليك «العشرة الأولى»: شرف الدين ابن قاسم برق. حصن الدين زعازع بن احمد. نجم الدين أيوب. صارم الدين شمول بن نجا من بني ابي الجيش. شهاب الدين داوود بن عبد الله. شمس الدين عبد المجيد بن جار. بدر الدين بدر بن عبد الكريم. ناصر الدين غسَّان بن جلال. جمال الدين رشيد بن معبد. شرف الدين بن يعقوب بن عبد الحقّ العديسيّ. امَّا «المستجدُّون» فهم: حسام الدين ابو الهيجاء بن عيسى العديسيّ. شرف الدين مشرف بن جميل. شهاب الدين احمد بن شمس. شمس الدين محمَّد بن مهنا. شجاع الدين ارسلان بن مسعود. شرف الدين عيسى بن يوسف. بدر الدين حسن بن سامي. شرف الدين عيسى بن غازي المزبودي. نجم الدين كوكب (45r) بن سنان. ناهض الدين عبد المنعم ابو النجم. عزّ الدين حسن بن رفاعة. عزّ الدين بن فضائل بن ابي العلاء المبشري

فقولهُ «العشرة الاولى» يريد عدَّتهُ الاولى قبل الرُّوك وهم مستمرُّون في خدمتهِ. وقولهُ «المستجدُّون» اي الذين استجدَّهم عندهُ في الخدمة بعد الروك فصار المستمرُّون من الاوَّلين عُتقًا والذين بعدهم مستجدّين. امَّا شرف الدين يعقوب بن عبد الحقّ المذكور فهو الذي كتب لناصر الدين مخدومهِ مرآة الزمان والذَّيل عليها. وكتب لهُ ايضًا غيرها عدَّة كتبٍ فكان ما كتبهُ لهُ نيفًا وثلاثين مجلَّدًا كبيرًا ضخم الحجم وقد رأيتها كلَّها

(قلتُ) واذا نظر الناظر الى هذه الأبدال الثلاثة يجد قسمتها على احسن ترتيب واكمل سياسة لانَّ (القسمة الاولى) للامراء في اعتبهِ فزادوا عن الثلاثة خمسة اجناد. وكان يجب ان يُفرَد لها احد الاميرين امَّا عزّ الدين الحسن بن خضر وامَّا شمس الدين عبد الله بن حجي فلم يخرجها ناصر الدين عنهُ وابقاها معهُ لكون عزّ الدين اخاهُ وعبدالله

ابن عمهِ. وجعل عوضاً عن الذي ينفرد منهما خمسة من جندهِ مناسبين لبني ابي الجيش. واماً (القسمة الثانية) فللامراء بعرامون تكملتهم علَمُ الدين الرمطونيّ بالمطابقة لهم. واماً (القسمة الثالثة) فلناصر الدين بن سعدان وولدهِ ومعهم سيف الدين ابرهيم بن محمّد العينابي وكمّلهم ناصر الدين الحسين بخمسة من جندهِ وهي المذكورة. ولينظر الناظر (45v) الى هذه القسمة الثالثة كيف جُعلت. فاماً ناصر الدين بن سعدان فكان من طبعهِ البغض والحسد لناصر الدين الحسين واقاربهِ الامراء بعرامون. واماً سيف الدين ابرهيم فكان ولدهُ نجم الدين محمّد ابن جمال الدين حجّي وقد عقّ اباهُ وعاداهُ اقاربُهُ وصار مبغضاً لديهم. واماً اجناد ناصر الدين الحسين الخمسة فهذه اسماؤهم: شمول بن لجا وهو ابن عم ناصر الدين ابن سعدان. ونجا هو تقيّ الدين نجا المقدَّم ذكرهُ الذي فعل مع السلف تلك الفعائل. ومنهم موسى بن مسعود فكان من بني ابي الجيش ايضاً

وحكي انهُ قيل لناصر الدين الحسين ان ناصر الدين ابن سعدان مرض مرضاً لا ينجو منهُ فقال: في منعاهُ سألبس الاحمر. يُشير بذلك الى ما ذكرناهُ عن ابن سعدان لمّا دسّ السمّ لبدر الدين يوسف ابن زين الدين وكان لمّا بلغهُ خبر موتهِ لبس الاحمر يظهر الاشتفاء بهِ. وكان مع ذلك ابن سعدان المذكور اقلّ بغضاً لامراء الغرب من بقيّة اقاربهِ. وكان لابن سعدان هذا ولدٌ اسمهُ شهاب الدين داوود فمشى على قاعدة تقيّ الدين نجا عمّ ابيهِ ناصر الدين ولم ينجح لهُ قصد(١

وقد وقفتُ على اشهادٍ من مضمونهِ انّ داوود المذكور رجع عن قولهِ وتاب وسلك الطرائق الحميدة والمناهج السديدة وانهُ اقرّ انّ كلّ ما تكلّم بهِ عند النوّاب والامراء في حقّ ناصر الدين الحسين زورٌ وبهتان في طريق الحسد والبغض لاصحّة لهُ

ووقفتُ ايضاً على كتاب من تنكز نائب الشام جواباً لناصر الدين الحسين يقوّي بهِ يد ناصر الدين (46r) على داوود المذكور وانّهُ لم يسمع لكلامهِ بل تحقّق كذبهُ

---

١) قد جاء في حاشية المؤلف ما نصهُ: «وقد وجدت كتاباً لناصر الدين الحسين المذكور جاء في مضمونهُ انّ شهاب الدين داوود ابن ناصر الدين كان رديّ السيرة يمشي على طريقةٍ مذمومة وانهُ واخاهُ سعدان يقصدان ضرر ناصر الدين الحسين واخوتهِ ويقدحان في اعراضهم. وتاريخ هذه الكتابة العُشر الآخر من شهر صفر سنة عشرين وسبعمائة (١٣٢٠ م)»

وعرف شكر الناس لناصر الدين. وكتاب تنكز المذكور والاشهاد السابق كلاهما بتاريخ سنة احدى وعشرين وسبعمائة (١٣٢١م)

وبيت بني ابي الجيش كانوا مشهورين بالبغض والحسد لهذا البيت ولاقاربهم الامراء بعرامون ويتسلّطون عليهم بالكذب والزُّور من غير إساءةٍ سبقت منهم اليهم (١. وقد حُكي انَّ بعض الامراء بعرامون مات مسموماً بيد احد ابناء ابي الجيش (٢ وقد هلك في آخر الامر بنو ابي الجيش وخربت مساكنهم في ايّام هذا البيت. وانَّ العاقبة للمتَّقين

ذكر بعض حوادث جرت في ايّام ناصر الدين

كان عمر ناصر الدين لمَّا قُتِل القطب نحو عشر سنين. ولمَّا فُتحت بيروت على يد الملك الاشرف كان عمرهُ قرب اثنتين وعشرين سنة. وفي ايَّامهِ كان نزول الفرنج على الدامور ليلة الاربعاء من جُمادى الأُولى سنة اثنتين وسبعمائة. وكان في الدامور شمس الدين عبدالله واخوهُ فخر الدين عبد الحميد واسروا اخاهُ شمس الدين عبد الله. وقُتل في تلك الليلة مجاهد ابن ابي الحسن بن يوسف وابن عمّهِ معتب بن ابي المعالى ونفر من اهل ادميث. وبقي شمس الدين عبد الله معهم في الشواني خمسة ايّام (46ᵛ) الى ان باعوهُ بالقرب من قرية خلدا بثلثة آلاف دينار صوريَّة لانهم عرفوهُ وندموا على قتل اخيهِ. ودفع ناصر الدين جانبًا كبيرًا من مالهِ ليفديهُ (ستأتي البقية)

---

١) جاء في ذيل الكتاب ما حرفهُ: «سمعتُ من غير واحد انَّ بعض الامراء الذين سكنوا بعرامون الحارة الجاورة للعين كان يصبح بعض الاحيان فيجد في الطيقان نشَّابًا مغروسًا. وكذا كان يجري في بيت جمال الدين حجّي المعروف الآن ببيت شجاع الدين فكان يُرى النشَّاب مغروساً في الطاق قد رُمي بهِ من جهة الوادي وكان ذلك من بني ابي الجيش. وبغضهم لهذا البيت مشهور»

٢) حاشية للمؤلف: «المعروف انَّ الذي توفي بالسمّ هو بدر الدين يوسف ابن زين الدين ابن عليّ بن بحتر المذكور في الطبقة الاولى. وقيل انَّ الذي دسَّ لهُ السمّ هو ناصر الدين ابو الفتح بن سعدان بن ابي الجيش. وقد تقدَّم ذكر ذلك في حاشيتهِ عند ترجمة بدر الدين المذكور في الطبقة الاولى»

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

قال هذا ودخلا في الجنينة المذكورة. وكان فاضل كلّما شاهد قفصًا يقف متحيّرًا متدلهًا ويصيبهُ من الذهول ما لا يفي بهِ الوصف. وبعد أن زارا جنينة الحيوانات ذهبا الى الپرادو (Prado) ومنهُ الى جنينة بورلّي الواقعة على شاطئ البحر. وكانت ساعة الظهر قد دقَّت قبل ان يعود فاضل الى مقرّه فالتفت رفيقه وقال: «ما اظنّ انّك ذقتَ في عمرك اكلة بولياباس وحيث قد برّح بي الجوع فلا استطيع ان اعود بك الى رصيف جوليات وانا طاوي الحشا على الطوى ولا شك انّ بك مثل ما بي. فتعالَ ندخل هذا المطعم لنتغدّى فيهِ وايّ حرَج على المرء ان يتغدّى مرّةً مع صديقهِ ولو ادّى ذلك الى بعض الإسراف»

وكان فاضل قد جاع فانقاد الى صاحبه كما انقاد لهُ من قبل ولم يكن عالمًا حقيقة الامر ولو انهُ درى انّ تناوُل الطعام في الفنادق يفضي الى بذل الدرهم لتوقَّف عن مجاراة ذاك الصديق المجهول ولكنهُ كان يتصوَّر انهُ يدعوهُ للغداء على حسابهِ. وعلى هذا الفكر دخل بمعيّته الى قاعات فسيحة حسنة الرياش مرتفعة النوافذ مطلّة على البحر قد تزيَّنت جدرانها بالمرائي العديدة وموائدها بالصحف والاواني الفضيّة وسقوفها بالثريّات المتلألئة. فتذكر فاضل حينئذٍ قهاوي الاسكندرية وما جرى لهُ فيها ممّا تقدَّم ذكرهُ فاقترب الى صاحبه كأنّهُ يريد الاختفاء وراءهُ من انظار القوم. ثم انّ الاثنين جلسا الى مائدة صغيرة بجانب احد تلك الشبابيك

وفي الحال جاء احد خدَمة المطعم ليعلم ايّ لون من الوان الطعام يشتهيان. فقال رفيق فاضل: «تأْتينا اوّلًا بشراب يهيّج شهوة الاكل. وبعد هذا تحضر لنا صحفةً من بولياباس وتضيف اليها بعض القناني من نبيذ بوردو لاني عزمت أن أُحسن معاملة ضيفي اليوم. فغاب الخادم هنيهة واحضر لهما قدحين من شراب «پيكون» فتناول الرجل المجهول قدحًا وقال لفاضل: انك تجهل هذا الشراب الذي يُستخرج من قشور البرتقال فهو جيّد جدًّا والاقبال عليهِ عظيم عندنا وفي السنة الماضية تمكّن احد المشتغلين بصنعهِ من ترويج ابنة لهُ واعطاها مليون فرنك نقدًا

— مليون فرنك !

— ليس هذا شيئًا بالنسبة الى غناه العظيم فقد بنى في السنة الفائتة معملًا لهذا الشراب كلّفهُ خمسة ملايين فرنك وهو في الحقيقة اشبه بقصر. وسنمرّ عليهِ في هذا المساء فتشاهد فخامتهُ. وفي كل يوم يُخرج من هذا الشراب كمية وافرة ويبيعها باحسن الاثمان ويربح الارباح الغزيرة — ولكن ما لنا وللكلام الآن هلمَّ نأكل

وكان الخادم قد اتى بصحفة بواياباس فقدَّم الرجل لفاضل كفايتهُ وزيادةً ثم قال لهُ : كيف تجد هذه الاكلة ألم أقل لك انها لذيذة للغاية

امَّا فاضل فلم يهتدِ الى ما يجيب بهِ فان غداءهُ كان يختلف جدًّا عمَّا اعتاد ان يتناولهُ في بيتهِ من المآكل

ثم انَّ الرجل قدَّم لفاضل قنينة من خمر بوردو قائلًا : اشرب من هذه الخمر الجيّدة فانَّها تقوّي المعدة وتزيد شهوة الاكل

قال فاضل : لم تسبق لي عادة بشرب الخمر

— نعم لا اجهل ذلك فمن مجرَّد النظر الى وجهك يعرف كلّ احد أنك لا تشرب غير الماء صرفًا. ولكني أُريد اسقيك الخمر لترى طيبتها وحسن فعلها . فاشرب اذًا هذه الكأس

فرفع فاضل الكأس وشربها. فقال الرجل :

أمَا انها من أحسن الخمر واجودها ? ثم فتح قنينةً أخرى وملأ منها كأس فاضل التي كانت قد فرغت وناولهُ فشرب. وما مضى يسير من الوقت حتى اضطرب دماغ فاضل واصبح كمن لا يعي ولا يُبصر. ثم جيءَ بالقهوة في فناجين كبيرةٍ فزادت تأثير الخمرة في رأسهِ. واخيرًا نهض الاثنان ورِجلا فاضل تكادانِ لا تحملانهِ فامسك رفيقهُ بيدهِ وذهب بهِ الى الجنينة التابعة للمطعم وجلس معهُ على مقعد هناك في محلّ منفرد بعيد عن الابصار وناولهُ سيكارًا فاشعلهُ واخذ كلاهما يدخنان مسرورَين

وما كاد فاضل يتكئ على المقعد حتى انطبقت عيناهُ فمثّل لهُ الخيالُ والدتهُ وعلق يفتكر في مرارة اغترابهِ عنها ويقدّر انها تشخّصهُ دائمًا قبالة عينيها كما انهُ هو يمثّلها دائمًا لذهنه. ولو انَّها رافقتهُ لكان يدخلها الى تلك الجنينة الجميلة المنظر الكثيرة الاشجار والازهار ويُذيقها اطعمة غريبة شهيّة لم تذقها عمرها كلّهُ ويسقيها كاسًا من اطيب النبيذ. ثم

رأى نفسهُ كأنهُ يتحدَّث معها تحت تلك الظلال الوارفة بفرح وسرور دون ان يكدّر احد صفاءهما. ولا يخفى ان التفكر بالوطن والاهل في ايَّام الغربة لهو من اشهى الاشياء للغريب. ومن ثمَّ حسب فاضل تلك الدقيقة من احسن ايَّام حياتهِ

غير انهُ بينما كانت افكارهُ مشتغلةً بهذه الامور انتبه فرأى الظلال قد زادت تكاثفًا والشمس قد مالت عن الأُفق ونظر الى ما حولهُ فلم يرَ احدًا فافتكر ان مُضيفهُ ربَّما يكون قد غاب عنهُ لمدّة يسيرة ثم يرجع بعدها. فانتظر ولكن على غير جدوى فاستخبر عنهُ فلم يَقِفهُ احدٌ على خبرهِ. فهمَّ بالانصراف فطالبوهُ بثمن الغداء فاحتجَّ فلم يقنع احدٌ باحتجاجهِ. فمدَّ يدهُ الى منطقتهِ ليُخرج منها الثمَن المطلوب الَّا انَّهُ لم يجدها . .

وفي اليوم التالي نشرت جرائد مرسيلية في جملة حوادثها المحلّيَّة خبر هذا السلب قائلةً: «ان احد السوريين ممَّن انتهوا مؤخرًا الى مرسيلية قد سُلِب في جنينة روبيون. وذلك ان رجلًا حسن الملبس بعد ان غدَّاهُ غداء فاخرًا واسكرَهُ سلبهُ منطقتهُ وكان فيها مبلغ من الدراهم اتى بهِ ذاك المسكين ليستعين بهِ على تتمَّة سفرهِ الى اميركة. امَّا رجال الشرطة فجادُّون في البحث ولكنَّهم حتى الآن لم يعرفوا السالب»

وطالع الناس هذا الخبر في جملة ما طالعوهُ من الحوادث ولكن دون ان يلتفت اليهِ او يرثي لحالهِ احد. ولا عجب لان حادثًا كهذا من الامور التي تقع كلّ يوم في مدينة مرسيلية وغيرها من المدن الحافلة بالسكَّان

ولنعُد الآن الى فاضل ونشاهد ايَّ حزن حلَّ بهِ على اثر هذا المصاب فنراهُ راجعًا في الليل الى حيث كان رفقاؤهُ يقودهُ اثنان من رجال الشرطة كما يُقاد المجرم. وكان بصرهُ منخفضًا وقلبهُ يكاد يتمزَّق غمًّا. فلمَّا وصل بهِ الشرطيَّان ناديا على رفقائهِ قائلين: «انهُ قد سُلب». ثم تركاهُ وذهبا

وأخذ فاضل يتأمَّل في شقائهِ ويقول: يا لتعساتك يا فاضل ويا لنحس حظِّك كيف ذهبت منك تلك الدراهم التي حصَّلتها بالكدّ والنصَب وعرق الجبين واخفيتها عن كلّ الابصار ولم تكن تخرجها من مخبإها الَّا حتى تعُدَّها او تُضيف اليها غيرها. فكم كنت تقتصد حتى لا تمسَّها وكم كنت تحرم نفسك من اللذائذ حتى تبقيها كما هي فجاءت يدٌ اثيمة فجرَّدتك منها. آه ثم آه لقد عانيتَ الاسفار ومخاطر البحار حتى تصير غنيًا وتكثر ما لديك من الدراهم فخانك الدهر وافقدك كل شيء. قبل ان تصل الى حيث

انتَ قاصد. فما كان ضرَّك لو بقيتَ في بيتك آمنًا مستريحًا دون ان تتغرَّب وتتحمَّل هذه البلوى. كيف وقعتَ مع ما تدَّعيهِ من الحذاقة والفطنة في فخاخ رجل مجهول يزعم كذبًا انهُ وكيل لاهمّ المحلاَّت التجاريَّة في ليون. ترى ماذا يقول يوسف وابرهيم وعبد الله وموسى خاصَّةً اذا ما بلغهم خبرك ألا يستهزئون بغباوتك وتغفُّلك وتصير احدوثة في افواههم وافواه اهل كلّ القرية. وماذا يؤمنك ايضًا أن لا يتَّصل الخبرُ بجرائد بيروت فتدرجَهُ في اعمدتها وتنشرهُ في كلّ انحاء سوريَّة. ثمَّ ماذا عسى ان تقول والدتك التي كانت ترجو منك ان تبعث اليها بالدراهم تباعًا اعتمادًا على مهارتك. ماذا عساها ان تقول اذا عرفت انك قد خسرت كلّ شيء واصبحتَ لا تملك شَرْوَى نقير

وبعد هذه الافكار كلّها خطر لهُ ان يركب البحر عائدًا الى سوريَّة. ولكنهُ كان قد اتَّخذ من الشركة التي تنقل المهاجرين الى اميركا تذكرة سفر ودفع قيمتها فعدولهُ عن السفر معها موجبٌ لخسارة ما دفعهُ فضلًا عن انهُ يضطرّ ايضًا الى دفع اجرة رجوعه فتصير الخسارة مزدوجة. وبعد هذا كله ماذا عساهُ ان يلاقي في سوريَّة سوى الاستهزاء والتهكُّم عليهِ. وكان موعد السفر في ثاني يوم صباحًا فقبل ان يطلع الفجر نهض لفيف المهاجرين فتوجَّهوا الى محطَّة السكة الحديديَّة فتبعهم فاضل معوِّلًا على اللحاق بهم ومعلِّلًا نفسهُ انهُ يخدمهم في اثناء السفر فيجود عليهِ هذا برغيف وآخر برأس من البطاطا المسلوقة وغيرهُ بقبضة من الزبيب وهكذا يتعيَّش حتى يصل الى اميركا (ستاتي البقية)

كتب شرقية جديدة

C. A. Nallino: La Transcription des noms géographiques Arabes, Persans et Turcs: *Le Caire.*

هي مقالة افرنسية ذات ٢٩ صفحة بيَّن فيها صاحبها العلاَّمة نلِّينو ما ينالهُ العلماء المستشرقون من الفوائد الجمَّة باتّباع قاعدة معلومة في نقلهم الاعلام العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة الى اللُّغات الاوربية بحيث يستدلُّ القارئ لاول وهلةٍ على اللفظة الاصليَّة دون اشتباه. وقد اجاد الكاتب المذكور ببيان ضرورة الاتّفاق بين العلماء على هذه الكتابة الواحدة. ولكن نراهُ قد اخلّ بذكرهِ الطريقة المؤدّية الى هذا الاتفاق. فانَّهُ يرتأي انَّ الحروف التي لا شبهَ لها في اللغات الاوربية يحسن بها ان تُكتَب بحرف منقَّط كالحاء

مثلًا (ḥ) والصاد (ṣ) والضاد (ḍ) والطاء (ṭ) والظاء (ẓ). اما بقيّة الحروف كالثاء والخاء والذال والشين التي لها شبهٌ في بعض اصوات اللغات الاوربية فانهُ يفضّل اختيار هذه الاصوات ولو كانت حروفها مزدوجة فتكتب الذال (dh) والثاء (the) والخاء (kh) والشين (sh). نقول انَّ الطريقــة المثلى لذلك اختيار حرف واحد اجنبيّ منقَّط كما وضعتهُ مطابع ليدن وتجري عليهِ مطبعتنا. والسبب ان اختيار حرفين للدلالة على صوت عربيّ ربَّما اوقع القارئ في الضلال. مثال ذلك لفظة « Adham » فيمكن قراءتهـا « أَدْهَم وأَذَم » ولفظة « Atham » يجوز ان تقرأ « أَتْهم وأَثَم » وكذلك « Asham » لا يُعرَف لفظها الصحيح أهو « أَسْهَم » او « أَشَم ». وقس على ذلك كلّ الالفاظ الاجنبية التي يدخلها حرفان للدلالة على حرف شرقيّ مفرد. ولا مناص من هذه الشُّبُهات اللهمَّ الّا بتعيين حروف اعجمية مفردة يكون تنقيطها هو الدليل على اصلها ه. ل.

دائرة المعارف

الجزء العاشر. للادباء سليمان ونجيب ونسيب البستاني طبع في القاهرة سنة ١٨٩٨

لا نظنُّ ان احدًا من قرَّاء المشرق يجهل اسم هذا الكتاب وما يشتمل عليهِ من الموادّ المختلفة والمباحث الشتَّى في كلّ اصناف العلوم البشريَّة. ودوائر المعارف عند الاوربيين كثيرةٌ الّا انَّ لغتنا العربية كانت في حاجة الى مثلهِ لينال الشرقيُّون حظَّهم من الاكتشافات الحديثة وترقّي اصناف العلوم الى ان استفزَّت الحميَّة الوطنيَّة المرحوم المعلّم بطرس البستاني لمباشرة هذا العمل الخطير. وكان انجز منهُ تسعة اجزاء حين اصابتهُ المنيَّة فحالت دون اتمام هذا الاثر المشكور

وهاك قد مرَّت على بروز الجزء التاسع نيف واحدى عشرة سنة وادباء الشرق ينتظرون بفروغ الصبر تتمَّة هذا المشروع الجليل حتى كادوا يقطعون الأَمل من اتمامهِ اذ صدر منذ قليل هذا الجزء العاشر في مصر المحروسة. فما بلغ ديارنا حتي أَسرعنــا الى تصفُّح موادّهِ والتقاط فرائدهِ فاذا هو كاخوتهِ السابقين قد قُدَّ من أَديمهم وشُقَّ من نَبعتهم بل رأينا انهُ يفضل الاجزاء السابقة من وجوهٍ منها انَّ اصحابهُ تمكَّنوا من جمع موادّ اغزر واوسع « واثبتوا ما بلغــهُ عالم العلماء في خلال هذه المدَّة من الحقائق العلمية والاكتشافات التاريخية والاختراعات العصريَّة وما طرأ من الانقلابات الجغرافية ». ومنها ايضاً انَّهم تحاشوا بمزيد

الحرص عن كلّ ما يمسّ التعاليم الدينيّة الصحيحة والمُعتقدات الصوابية . هذا الى غير ذلك من الصفات التي من شأنها ان ترغب القرّاء في اقتناء هذا الكتاب النفيس

على انّنا احببنا ان نعرض للافاضل القائمين بتتمّة هذا التأليف الجليل بعض ملاحظات سنحت لنا في اثناء مطالعتنا لهذا الجزء لا تنديدًا بالكتاب بل لفائدة حسن الانتقاد وذلك على غاية ما يمكن من الايجاز لضيق المكان

واوّل ما نأخذ على اصحاب هذا الجزء عدم التناسب في سعة بعض الموادّ فانّهم ربّما افردوا لما ليس تحتهُ كبير امر مجالًا رحبًا « كشارية وسيلي » مثلًا بخلاف موادّ أُخرى التي لم نرَ لها ذكرًا البتّة « كالصّبر » (للفضيلة) و « شكّة » من اقدم مدن ساحل فينيقية (راجع رسائل تلّ العمارنة) . او ذُكرت باسطر قليلة لا تكاد تفي بالموضوع « كسمعان العامودي » . ويلحق هذا الباب المبالغة في شرح بعض الموادّ ولو كانت مفيدة كمادّة « سودان » مثلًا التي توسّع فيها اصحاب الدائرة توسّعًا مفرطًا (٥٢ عمودًا) . وادرجوا فيها كثيرًا من الحوادث التي هي احرى بتاريخ مطوَّل منها بدائرة معارف

ثانيًا وقد رووا قصصًا كثيرة وحكايات فرّيّة مختلَقة يظهر فيها التلفيق والاصطناع دون ان يبدوا في ذلك رأيهم او يحذّروا عن كذبها قرّاءهم كما ترى في مادّة « سليمان » و « شيرين » و « شيطان » و « سماء » الخ

ثالثًا ولم يحسنوا في ابوابٍ كثيرة التمييز بين غثّ الامور وسمينها فنقلوا عدّة اشياء منافية للحقّ دون تروٍّ كافٍ فيها كما جاء في مادّة « سوسيالسم » وقد عدّوا من الاشتراكيين طائفة الاسّينيّة (Esséniens) وبعض الجمعيّات المسيحيّة في القرون المتوسّطة التي كان من شأنها العيشة المشتركة كعيشة الرهبان . فانّ هذه الفئات كانت تبعد عن مبادئ الاشتراكيين بُعد السماء عن الارض . وكذلك لم يحسنوا تعريف « الشهيد » اذ قالوا « انّهُ هو الذي يختار القتل على ترك دينهِ » فترى أيدعون شهيدًا من يموت في سبيل عبادة الاصنام ؟ وكيف رضي اصحاب الدائرة ان يدعوا بالشهداء قتلى حروب الالبيجيين وغيرهم من الهراطقة المتمرّدين على السلطة ؟ . وفي مادّة « الشمّاسات » ايضًا ما لا صحّة لهُ

رابعًا وقد وجدنا عدّة اعلام في غير موضعها كترجمتي ابن جابر وابن دانيال في شمس « الدين » وابن الوحبي في « شرف الدين » ولا يخطر على بال احد ان يطلبها في حرف الشين . وكذا قل عن « الشاقل » بدلًا عن « ثقل » . لان الشين العبرانية كثيرًا ما تناسب الثاء

خامساً وقد نقلوا كثيرًا من اوصاف المدن بحرفهِ عن ياقوت وقدماء الجغرافيين لم يزيدوا على اقوالهم شيئًا لتعريف حالة هذه المدن في ايَّامنا . فلعلَّ الذي كان صوابًا منذ ستمائة سنة لا يصحُّ اليوم . مثال ذلك « سيراف وسواد وشاطبة وشاش وشام » وهلمَّ جرًّا . وفي بعض هذه الموادّ الجغرافية خلل في تحديد تخومها كما ترى في سوريَّة وكان الأَولى ان يبيّنوا ما طرأ على حدود سوريَّة من الاختلاف في سابق الاعصار . وقد عدّوا من سوريَّة بلاد فلسطين وفي الشرح لم يكد يُذكر شيء عن هذه الناحية . وكذلك قد شُبّه عليهم في مادَّة « سيوَرك » فجعلوا المدينة الواحدة مدينتين

سادساً كنَّا نحبّ ان نعرف من ايّ مصدر أُخذت تراجم الاعلام العربية التي ورد ذكرها في الدائرة . فان تعيين اصلها يزيدنا بها ثقةً

سابعًا لم يتَّبع اصحاب الدائرة خطَّةً واحدة في نقل الالفاظ الفرنسية او الانكليزيَّة فترى حرف الصاد منقولًا على صُوَر شتَّى نحو : s, ss, z, c وحرف ش : c, sh, sch, ch, هذا فضلًا عن اغلاط كثيرة في نقلها نحو : Trimeterre (٣٩٧) عوضًا عن Fumeterre و Oriole (ص ٧٢٢) عوضًا عن Loriot و Somaïsât (ص ٩٣) عوضًا عن Samosate و Sinde (ص ١١١) عوضًا عن Sind و labiatifloraæ (ص ٥٠٧) عوضًا عن labiatiflorée و Syanogen (ص ٢٨٤) عوضًا عن Cyanogène الخ . والله الموفّق الى الصواب

ل . ش

شتى

الكلُوغراف

قد ذكرنا في عدد سابق (ص ١٤١) وصف آلة الكينماتوغراف وتمثيلها لصور الحركات في الفانوس السحري الّا انَّ لهذه الآلة خللًا ينجم عن حركات الصور المتتابعة واهتزازاتها فيحصل من ذلك قلّة جلاء في نظر الصور وعناء لعين الناظر . وقد اخبرت الجريدة الانكليزيَّة الفوتغرافية انَّ المسيو دُنّ (Dunn) اخترع آلة غايتها ازالة هذه الحركات بحيث يرى الناظر الصور متواصلةً كأنَّها صورة واحدة . واسم هذه الآلة الجديدة « كِلُوغراف »

وقد طلب المسيو دُنَ من جمعية انكليزيَّة تُدعى « Eastman Cie » في مدينة روشِسْتر ان تصطنع لآلتهِ ثلث جُلَيدات فوتوغرافية طول كلّ واحدة عشرة اميال اي نحو ستة عشر كيلومترًا وثمن الجُلَيدة الواحدة خمسون الف فرنك فتُلحَم الجليداتُ الثلاث بعضها وتُلوى على بَكَرةٍ ثم تُنشَر وتُدار في المصباح السحريّ. وهذه الجليدات تمثل واقعة حربيَّة جرت لكُرْبيت ماك كري في بوفالو

ويُقتضى لبَسط هذه الجليدات امام الجمهور ثمانون دقيقة ويمرُّ امام اعين الشاخصين ست عشرة صورة في كلّ ثانية. فيكون مجموع الصور المرسومة على الجليدات الثلث ٧٦,٨٠٠ صورة تمثّل الواقعة الحربية بغاية الدقَّة بحيث يظنّ الناظرون انَّها جارية نصب اعينهم بكل ظروفها واهوالها المفجعة

مداواة الوباء البقري

روى البشير انَّ الكڤالير موراندي الايطاليّ الميلاني اكتشف دواءً ناجعًا لعلاج الوباء البقري الذي يظهر في افواه الحيوانات واظلافها بشكل نفَّاخات او بثور. والدواء المذكور في غاية البساطة ورخص الثمن وذلك ان يؤخذ نقيع الصعتر البرّي فيُصبّ على الموضع المصاب بالبثور بعد غسلهِ بالماء وتنظيفهِ جيدًا واذا وُضع منهُ شيء في المياه التي تشربها المواشي وقاها من الداء

اسواق العرب في الجاهليَّة

هي المقالة التي نسج بُرْدتَها حضرة محمود شكري افندي الآلوسي البغدادي فحرَّرناها في العدد التاسع عشر من المشرق. استحسنها القراء فاثنوا على كاتبها. وقد نقلتها مجلَّة الهلال برمّتها في عددها الاخير لتعميم فوائدها بين الادباء

حيرشالا ومرتعون

اشتبه علينا اسما هذين العَلَمين الواردين مرارًا على هذه الصورة في كتاب تاريخ بيروت فافادنا الفاضل الاديب الامير شكيب ارسلان انَّ « حيرشالا ومرتعون » تصحيف « حرف شالا ومرتغون » وان الاولى مزرعة في اراضي قرية كفرمتَّى بجوار مزرعة رمطون. والثانية مزرعة في شرقيّ خلدا وجنوبيّ شرقيّ صحراء الشويفات كانت سابقًا مأهولة وهي الان من املاك سعادة الامير مصطفى ارسلان. فنشكر فضل الكاتب شكرًا طيّبًا

لغز رياضيّ

ما هو العدد المركَّب من ستَّة ارقام آخِرها من جهة الشمال عدد ٤ فان نُقل هذا العدد الى جهة اليمين اصبح العدد الحاصل من هذا التغيير ٢/٣ العدد الاصلي. فالمطلوب تعريف هذا العدد الاصلي باسيل فرًّا من حلب

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة القس جرجي الرزّي من المنصورة هل بقي شيء في المكاتب الشرقيَّة او الاوربية من ترجمة الشاعر السرياني ثاوفيل الرهاوي لقصائد هوميرس الشاعر

ترجمة هوميرس بالسريانية


ج انَّهُ لامر ثابت انَّ ثاوفيل الرهاوي الماروني رئيس منجمي الخليفة المهدي ابي هرون الرشيد «نقل كتابيْ هوميرس على فتح مدينة ايليون (اعني الايلياد والأُوديساي) من اليونانية الى السريانية بغاية ما يمكن من الفصاحة». يشهد بذلك ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٢٠) وفي تاريخهِ السرياني (طبعة الاب بدجان ص ١٢٨). امَّا آثار هذا العمل الجليل فقليلة جدًّا وقد روى حضرة الاب جبرائيل القرداحي بيتين منهُ وجدهما في بعض الكتب الخطّية (كتاب الكنز الثمين ص ٤٠). والمستشرق الشهير بولس لاغرد وقف ايضًا على بعض ابياتٍ متفرّقة في بعض تآليف يعقوب بَرْ شَكُّو اسقف مار متَّى فاثبتها في المجلَّة الانكليزيَّة (Academy) في تشرين الاوَّل سنة ١٨٧١ ص ٤٦٧

س وطلب الينا الخواجا انطون افندي المسابكي ان نبيّن لهُ. أتبقى النفس في جوهرها في حالة الجنون ام لا

جوهر النفس في حالة الجنون

ج انَّ النفس كما لا يخفى جوهر بسيط فلا تقبل الزيادة والنقصان من حيث هي جوهر. وانَّما تتَّصف بصفات عرضيَّة تزينها او تشينها دون ان تُلحق بجوهرها تغييرًا وكذا قل عن حالة النفس في الجنون فانَّ ذلك لا يتأتى عن نقصٍ في جوهرها بل عن خَلَل يطرأ في قواها المشتركة كالمخيّلة والحافظة او في الحواسّ او الدماغ. ومن المعلوم انَّ النفس لا بُدَّ لها من هذه القوى وهي تتَّخذ منها موادّ علومها المفردة فتجرّدها بفعلها عن المادّيات وترقى بها الى حالة الكليَّات ثمَّ تبرز عنها حكمها. وذاك فعل النفس الناطقة بمعزل عن الجسد

قائمة للآثار الجويّة من ٤ الى ١٩ تشرين الاول ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (ــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

رأي المقتطف في العقل البشري

للاب لويس شيخو اليسوعي

ا

صدَر المقتطف في شهر نيسان المنصرم (ص٢٥٢) بعض مقالاتهِ بهذا العنوان «لا عداء في العلم». وهو قولٌ نعمًّا اثبتهُ بمثل العلاَّمة الانكليزي ميقار الذي مع كونهِ «من الكاثوليك الشديدي التمسك بعقائد الكنيسة البابويَّة» لم يأنف بعد وفاة خصمهِ هكسلي «الكافر بكل العقائد الدينية» ان يكتب فيهِ مقالة يُثني بها على صفات قرنهِ الحسنة مع التنديد بمبادئهِ التي طالما ناقضها ميقار جهارًا

(قلنا) انَّنا نحن ايضًا نُسرّ بفِقَرات جيّدة يكتبها اصحاب المقتطف فيستحقُّون بنشرها ثناء الجمهور ويوسّعون بها نطاق المعارف. الَّا انَّنا كثيرًا ما نرى ايضًا بين المقاطيع الواردة في تلك المجلَّة العلميَّة مقالات تناقض المبادئ الصحيحة ولذلك لا يسعنا الَّا تفنيدها لا معاداةً للعلم بل مراعاةً للحقّ والصواب

واذا استقرينا المقالات التي دوّنت في صفحات المقتطف منذ غرَّة هذه السنة لا نكاد نجد عددًا واحدًا يخلو من كلام يستهدف بهِ لعذل المنتقدين ويتصدّى لسهام العائبين لانَّ كثيرًا من هذه النُّبَذ يُستشفّ من ورائها ما يُشعر بمذاهب الدهريين ويُلمّ بمزاعم الماديين ويعضد اوهام الدرونيين كالمقالات التي عنوانها: فلسفة جديدة (ص ١ — ٥) والقتل والعمران (٤١—٤٥) وقراءة الضمير (٦٤) والمذاهب الفلسفية (١٦٩—١٩٤) وتعلُّم الحيوان (٢٤١—٢٤٥) وتولُّد العقول (٢٤٦— ٢٥١) والمراكز العقلية (٤٠٤— ٤٠٦) وهلمَّ جرًّا. هذا الى ما يعرّبونهُ من مقالات الكافر الشهير هربرت سپنسر كآراء

الأوّلين (ص١٨٣—١٨٨) والموت والقيامة (٢٥٧—٢٦٠) والحياة بعد الموت (٣٢٩—٣٣٤) والعالم العتيد (٤١٦—٤٢٢) وتسلُّط الارواح (٥٠٩—٥١٣) والعرافة والسحر (٥٨٥ — ٥٨٩) والمعابد والمذابح والصوم والصــلاة (٧٢٩ — ٧٣٤) . ففي كلّ هذه الكتابات خواطر شتّى تستدعي الردود على مؤلّفيها . بيد انّ ذلك يقتضي اسفارًا مطوّلةً بل كتبًا ضخمة تلجئنا الى ان نكتفي بالبرض عن العدّ وبالنزر عن الكثير . وفي الاسطر التالية نجتزئ بتخطئة ما ورد في المقتطف عن « تولُّد العقول » في عدده الرابع من السنة الجارية (ص ٢٤٦ — ٢٥١) . وقد ضمّن هذه المقالة اشياء كثيرة في العقــل وخواصهِ جاءت عثرةً في سبيل السذّج وخَدشةً لمسامع ذوي النهى فضلًا عن اصحاب الدين

ولئلاً يظنّ بعض القرّاء انّ في حكمنا مغالاةً او انّنا ننسب الى المقتطف ما هو براءٌ منهُ احببنا ان نورد بعض اقوالهِ بحرفها . قال المقتطف (ص ٢٤٦) : « نريد بالعقل مجموع افعال الدماغ والاعصاب سواءٌ شعر بها صاحبها او لم يشعر »

وفي الصفحة التالية يُعيد المقتطف تحديدهُ السابق ثم يقول « انّ جسم كلّ حيوان من الحيوانات العليا والانسان في جملتها مؤلف من حُوَيصلات تقوم بالوظائف المعدّة لها وهي اعمال الجسم ما دام حيًّا وهذه الوظائف موزَّعة عليهــا فبعضها للهضم وبعضها للتنفُّس وبعضها للافراز وبعضها لغير ذلك . وأرقاها كلّها وادقُّها بناءً للشعور والتفكُّر وسائر قوى العقل وهي الدقائق العصبية التي في الدماغ . فالدماغ آلة والعقل وظيفتها وهما يرتقيان معًا وينحطّان معًا »

وكلّ الفرق الذي يراهُ صاحب المقتطف بين الانسان الناطق والحيوان الاعجم هو (و٢٤٩ و ٢٥٠) « انّ الحيوان خاضع للمؤثرات الخارجية خضوعًا مطلقًا فما وافقت افعالهُ والاحوال التي هو فيها عاش واخلف نسلًا وما ضادّت افعالهُ التي هو فيها ضعف وانقرض نسلهُ فيبقى من انواع الحيوان ما تنطبق افعالهُ على الاحوال المحيطة بهِ فتصير افعال عقلهِ (كذا) آلية وهي المسمّاة بالغريزة . . . . . . اما الانسان فارتقت قواهُ العقليّــة وقويت فيهِ قوّة التمييز والارادة فصار جانبٌ كبير من اعمالهِ اراديًا اي نمت في دماغهِ المراكز العصبيّة التي وظيفتها التمييز بين النافع والضارّ واختيار الاوّل والابتعاد عن الثاني ولكنّهُ لم يصل الى ذلك الّا بعد جهاد عنيف مدّة قرون كثيرة » . وقال (ص ٢٥١) : « والعجماوات تعيش وتموت مدفوعة الى اعمالها بقواها الغريزيّة ولا تستعمل قوّة التمييز التي فيها الّا قليلًا »

فهذه الاسطر التي نقلناها بحرفها عن المقتطف كافيةٌ لبيان غرض كاتبها وهي ان صحَّت تقوّض اركان الانسانية وتجعل البشر في طبقة العجماوات لا يفرزهم عنها الّا بعض اختلافات عرضيّة في الكم والكيف. واذا ما صادفت الحيوانات احوالًا تلائمها ولو بعد جهادٍ عنيف مدَّة قرون كثيرة تنمو في دماغها المراكز العصبيّة وتقوى غريزتها ويزيد تمييزها الى ان تصبح شبيهة بالانسان. وليس الانسان نفسهُ على زعم المقتطف الّا حيوانًا وُجد في احوالٍ ملائمة فتجاوز يومًا البرزخ الذي يفصلهُ عن النَّعَم. فهذه هي نتيجة قول المقتطف شاء او أبى تنجم عن قولهِ كالنتيجة من مقدَّماتها وكالثمرة من نَواتها. بل اثبتها صريحًا غير مرَّةٍ في معرض كلامهِ (ص٢٤٦ و٢٤٩) افتأخذنا بعد ذلك لومة لائمٍ ان ناقضنا هذا التعليم الوخيم الذي من شأنهِ هلاك العباد على اختلاف الاديان. وخراب البلاد في كلّ صقعٍ وآن. صان الله شرقنا العزيز من شرّ هذه الترّهات او بالاحرى من عقبى هذا الجنون والهذيان

٢

فهلمَّ نُعمل نظر الفكر في قول المقتطف لنسبرهُ بعيار الرويّة. واوّل ما نأبى التسليم بهِ ذاك التحديد الزائف الذي صدَّر بهِ مقالتهُ عن العقل اذ وصفهُ بكونهِ «مجموع افعال الدماغ والاعصاب» فانهُ وايم الحقّ لبئس التعريف وذلك لانَّ من اوّل شروط التحديد ان يكون «جامعًا مانعًا» جامعًا لكل خواصّ الشيء المحدَّد مانعًا لِما سواهُ. وتحديد المقتطف للعقل مخلٌّ من هذين الوجهين فلا يجمع كلّ خواصّ العقل ولا يفرزهُ عمّا سواهُ

امّا انَّ هذا التحديد لا يجمع كل صفات العقل فلانَّ العقل كما لا يُخفى يدرك الكلّيات فضلًا عن الجزئيّات ويفهم الغائبات ويبدي فيها حكمهُ ثمَّ يأخذ المحسوسات من الحواسّ ويُصلح ما وهمت بهِ في حقّها واشياء كثيرة تختصُّ بالعقل وحدهُ لا تتَّصل اليها البتَّة افعالُ الدماغ والاعصاب لان هذه الافعال كلّها هيولية مادّيّة. ولا يفيد المقتطف قولهُ انهُ يتكلَّم عن مجموع افعال الدماغ لان جمعَها لا يغيّر طبيعتَها

ثمَّ انهُ من المعلوم انَّ النفس بعد افتراقها من الجسد لا تزال حيَّةً وحياة النفس بالعقل والادراك ذاك امرٌ لا ينكرهُ الّا من توغَّل في الكفر ونبذ عنهُ ربقة كل دين. والنفس بعد تجرُّدها عن الجسد لا دماغ لها ولا اعصاب. فاذن ليس العقل مجموع افعال الاعصاب والدماغ كما زعم المقتطف

ومما يبيّن فساد تحديد المقتطف للعقل انَّهُ ليس فقط لا يعرّف كلَّ صفات العقل بل ايضًا لا يميّزه عمَّا سواه . كيف لا وهو يصح ايضًا في البهيمة العجماء نفسها ولها كما للانسان دماغ واعصاب فلمَ لا يكون فيها كما في الانسان مجموعُ هذه الافعال عقلًا . وهذه نتيجةٌ لم يستنكف عنها اصحاب المقتطف بل ربَّما دافعوا عنها في مجلّتهم ولو حاولوا سترها تحت حجاب الكلام المنمّق المزخرف . فتراهم يتكلّمون عن « عقل الحيوان » و « علم الحيوان وتعلُّمه » و « تمييز الحيوان » الى عبارات اخرى لا يمكن اطلاقها على غريزة الحيوان ووهمهِ فقط . وغاية ما يسلِّمون بهِ ان النَّعم والبهائم لم يحصل لها ان تعيش في تربة ملائمة لنموّها لتؤثّر الفواعل الطبيعية في ارتقائها كما حصل للانسان وهو كان مثلها سابقًا . فهذا كما ترى نفس تعليم الدروينيّين الذي طالما تاهَ المقتطف في مهامهِ خرافاتهِ ومجاهل أوهامهِ وفنّدتهُ جريدتنا البشير في اعمدتها بالبراهين الدامغة (١

فشتَّان بين هذا الحدّ الباطل وتحديد الفلاسفة المستقيمي الرأي من مسيحيين ومسلمين ويهود ووثنيين وكلّهم لسان واحد في بيان جوهر العقل وقد حدّوهُ : « قوّة مجرّدة عن المادّة يدرك بها الانسان حقائق الاشياء » . فقولهم انَّ العقل « قوّة » يريدون ان النفس تتمكّن بهِ على بعض اعمالها . وقولهم « انَّهُ مجرَّد عن المادَّة » فمرادهم انَّ العقل ليس كالقوى الهيولية التي هي في المشترك الانساني اعني في النفس والجسد معًا على مثال الخيال والحسّ بل هو غريز في النفس من حيث هي نفس انسانية اي ناطقة مجرَّدة عن الهيولى . امَّا قولهم انّ « النفس تدرك بالعقل حقائق الامور » فلأنَّ العقل بعد ان عرضت عليهِ الحواسّ مادّة عملهِ يجرّدها عن خواصّها المفردة المحسوسة ويُرقيها الى عالم الفكر فتعقل النفس جواهرها الذاتية وتبدي في صفاتها حُكمها اثباتًا او نفيًا وكلُ ذلك يبعد عن أعمال العصب والدماغ بُعدَ السماء عن الارض

١) راجع ايضًا كتابًا جزيل الافادة صنَّفهُ في هذا الموضوع حضرة الاب جرجس فرج النائب البطريركيّ على الموارنة في الاسكندرية . واسم هذا التأليف « اصل الانسان والكائنات » . وللشيخ جمال الدين الافغانيّ رسالة في هذا الصدد شائعة وهي جليلة المعاني بديعة الالفاظ عرَّبها الشيخ المفضال محمَّد عبده المصريّ . وكذلك قد كتب حضرة الشيخ حسين افندي الجسر الطرابلسيّ مقالات حسنة في تفنيد هذا الرأي . ولجناب المعلم ابراهيم افندي الحوراني ردّ ايضًا على مزاعم داروين

٣

فبطل اذن التحديد الذي استند اليهِ اصحاب المقتطف لتعريف العقل وبطلانهِ قد تقوَّض اساس بنائهم المتداعي وتضعضع ركن تعليمهم الزائف . وكان بوسعنا بعد ذلك ان نضع حدًّا لمقالتنا الوجيزة ولكن هلمَّ نفحص مع المقتطف عن وظيفة الدماغ الذي نسب الى مجموع افعالهِ العقلَ والادراكَ فنرى ما في كلامهِ من الصحَّة

زعمتَ اصلحك الله ان العقل ليس الَّا مجموع افعال الدماغ . فليت شعري يا صاح كيف استدللتَ على ذلك . أليس بفحص الدماغ البشري والبحث عن تركيبهِ . والدماغ كما لا يخفى متركّب من مادّة بيضاء رخوة لها ألياف كثيرة عصبيَّة تُحيط بها في تلافيفها العديدة مادّة اخرى سنجابية كقشرة تصونها . واذا فحصنا اصل هاتين المادَّتين وكيف نمتا في رأس الطفل وجدنا انهما كانتا في الاصل حُوَيصلات او خلايا صغيرة جسميَّة لم تزل تنبسط وتشتدّ حتى يتكوّن منها الخ . ذلك فضلًا عن الاعصاب التي تمتدّ في كلّ جهات الدماغ وتنقل اليهِ الحسّ والحركة

هذا غاية ما ينتج عن تشريح الدماغ وعن النظر المدقّق في اقسامهِ المختلفة . فاذا تعمَّقنا في البحث ورأينا أعمال الدماغ وحُوَيصلاتهِ وخلاياهُ واعصابهِ لا نجد فيها جميعًا على اختلاف تركيبها الَّا حركاتٍ شتَّى كالانبساط والانقباض والفعل والانفعال . ولكن نسأل المقتطف اين ذلك من العقل وافعالهِ السامية فانّ بين الحركة والفكر بونًا كليًّا . فحركة الدماغ مادّية والفكر مجرَّد عن المادّة . حركة الدماغ تنقسم في كل جزء من اجزاء الدماغ وحويصلاتهِ والفكر واحد لا يقبل الانقسام . حركة الخلايا الدماغية لا تتجاوز اطراف الدماغ والفكر لا يحصرهُ شيء . فينتقل بسرعة البرق من اقاصي السماء الى اعماق الارض . يقابل الاجناس مع الانواع والانواع مع الافراد الى ما لا نهاية لهُ . يدرك ما لا يقع تحت الحواسّ كوجود الله والفرائض الادبيّة والدين والجزاء والعقاب . هذا الى اختلافات أُخر كثيرة قد عدّدها ابن مسكويهِ في كتاب تهذيب الاخلاق في فصل حسنٍ عنوانهُ انّ النفس ليست جسمًا ولا عرضًا (ص٣–٥ طبعة مصر) نشير على كتبة المقتطف بان يطالعوا هذه المقالة ويتبصروا في معانيها . ولا يضرُّ انَّ كلام ابن مسكويه ليس هو عن الدماغ فانَّ حججهُ تصحّ عن الدماغ كما تصحّ عن كلّ اقسام الجسم . وكنَّا اثبتنا هنا قولهُ لولا الخوف من الاطالة المملّة مع شيوع الكتاب المذكور

ولعلَّ المقتطف يعترض علينا بقولهِ ان الاختبارات العديدة التي اجراها الطبيعيُّون والفيزيولوجيون بيَّنت انَّ العقل يزداد بنموّ الدماغ وينقص بنقصانهِ واذا استُخرج المخ او قسمٌ من الدماغ او قُطع بعض اعصاب المخّ اصاب الانسانَ خللٌ في شعورهِ ومسٌّ في ادراكهِ أفليس ذلك دليل على انَّ العقل قائم باعمال الدماغ

نجيب ان المقتطف لا يميّز بين العقل وبين الآلة التي يستخدمها العقل لعملهِ الخاصّ. لا ننكر انَّ الدماغ لازم للعقل وانَّهُ اذا اصاب الدماغ جرحٌ او اذًى يتأثر العقل من جرَّاء ذلك فلا يجد الى ابراز عملهِ سبيلًا. ولكننا لا نرضى بان يُخلط بين اعمال الدماغ والعقل. ومثَل ذلك مثل الفاعل الذي لا يستغني عن الادوات التي بها يزاول صناعتهُ فان كُسرت او فُقدت فلا يمكنهُ انجاز عملهِ أفيقول احد انَّ ادوات الفاعل والفاعل واحدٌ. وكمثل الملك الذي لا بُدَّ لهُ من خَوَلٍ وخدم يساعدونهُ على اتمام غايتهِ السامية فان خامر اولئك العبيد فتورٌ او عجزوا عن الخدمة اصبح الملك مغلول اليدين قاصرًا عن مهمَّاتهِ الجليلة. ولا يخطر على بال احدٍ ان يقول انَّ الملك والخدم واحد لاحتياج الملك اليهم. فعلى هذا المنوال العقل في الانسان فانَّهُ لا يقدم على عملهِ الشريف الَّا بعد ان يتقدّمهُ عمَّالهُ يمهّدون لهُ الطريق ويُعدّون لهُ الاهبة التي لا مُندَحة لهُ عنها. فان حَسُن عملُ العُمَّال حَسُن ايضًا فعل العقل. والعامل الكبير لذلك هو الدماغ الذي بدونهِ لا يقوى العقل على جليل مهنتهِ

امَّا حجَّة المادّيين المأخوذة من كبر الدماغ وصغرهِ فهي واهنة لا تصحّ في احوال كثيرة. وربَّ حيوان خالٍ من النطق كالفيل والحمار والقرد يفوق دماغهُ كبرًا على دماغ الانسان افيجسر احدٌ ان يفضّل هذه النَّعم البُكم على الانسان. ولا صحَّة ايضًا لاختبارات أُخرى أجروها بوزن ادمغة كثيرين فزعموا انَّ دماغ الناس العائشين في الهمجية اخفّ من دماغ المتمدنين فخبط مسعى المختبرين وخاب املهم ووجدوا ادمغةً لبعض الأَجلاف من سكَّان الصحارى والغابات ارجح من ادمغة مشاهير الرجال المتوغلين في التمدُّن

فمهما جدَّ المادّيون وكدُّوا فقد اخطأُوا المرمى وعادوا بخفَّي حنين اذ لم تصب مشارطهم ومباضعهم في تشريح الدماغ سوى مادَّةٍ شبيهة بالحيوان امَّا العقل فقد طلبوهُ حيث لا وجود لهُ ولو كان في رأسهم ذرَّةٌ منهُ لما حاولوا التفتيش عليهِ كما فعلوا وما طلبوا اثرًا بعد عين

وانتم يا كتبة المقتطف فلا تسوّدوا صفحات مجلَّتكم بتسطير هذه الاباطيل تنقلونها

عن مجلَّات تشرَّبت روح الكفر والزندقة وهي سمٌّ زعاف تنفثونهُ في القلوب وبزورُ مفاسد تبذرونها في النفوس فتنمو الى ان تأتي باثمار امرّ من العلقم. فناشدتكم الله كيف يمكنكم ان تدَّعوا بحفظ الآداب وانارة العقول وترقية الهيئة الاجتماعية بعد ان تزعزعوا بمبادئكم قواعد هذه الآداب وتثيروا في العقول ظلمات المشبهات وتقطعوا روابط تلك الهيئة. فارعوا عن غيّكم هداكم الله الى الصراط المستقيم

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي

تمهيد

انَّ في لبنان عدَّة اماكن وقرى تشتمل على آثار قديمة ذات شأن خطير وهي مع ذلك مجهولة لا يكاد يعرف الاهلون غير اسمها فرأينا ان نحيي ذكرها بهذه المقالة المطوَّلة التي وسمناها « بتسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار » نودعها ما تسنَّى لنا جمعهُ من اخبار تاريخية واوصاف جغرافية ومآثر عاديَّة. وهو مجال لا شكَّ رحبٌ الَّا انَّنا نأمل انَّ القرَّاء لا يسأمون ان يجروا فيهِ معنا أشواطاً فيجدون في كلّ طَلَقٍ ما تقرُّ بهِ عينهم ويرتاح اليهِ جنانهم. كيف لا والمرء مغرًى بمعرفة بلادهِ مُولع بشرف مسقط رأسهِ ومآثر اجدادهِ. وقد حدانا ايضاً الى مباشرة هذا المشروع رغبتُنا في حفظ تلك الآثار قبل ان تستولي عليها يد الدمار (١. ولعلَّ ما نذكرهُ ينشّط ايضاً بعض قرَّائنا الى البحث والتفتيش فيشدُّون باكتشافاتهم أزرنا ونحن نشكر سلفاً كلَّ من يأتينا بفائدة او يُتحفنا بطرفة فيشاركنا على تحقيق الآمال التي ابديناها في مقالة سبقت لنا في المشرق (ص ٢٦١) عنوانها: « هيَّا على درس تاريخنا ». وكنَّا في هذه اللائحة اشرنا الى درس الآثار القديمة وعددناها بين الوسائط الكبرى لمعرفة تاريخ بلادنا. وسيكون مفتتح كلامنا على الجهات الواقعة في شمالي بيروت

١) قد درس كثيرٌ من هذه الرسوم والآثار في مدَّة الخمس والعشرين سنة المنصرمة. وسنعود الى هذا الموضوع ثانيةً

الفصل الاوّل

قسم لبنان الواقع في شمالي بيروت

١ انطلياس

اذا ما خرج المسافر من بيروت سائرًا نحو الشرق اوّل ما يلقاهُ في طريقهِ نهر بيروت. وهو مجرى ماءٍ ربّما اضحى في الشتاء سيلًا جارفًا. واكثر الكتّاب المحدثين يرتأُون انّهُ هو النهر الذي دعاهُ پلينيوس الطبيعيّ نهر ماغوراس وانّهُ كان من انهار الفينيقيين المقدّسة دعوهُ بذلك اشتقاقًا من اسم الاله ماقار وهو اسم زُحل بلغتهم (١. وقد عارض هؤلاء الكتبة غيرُهم فانكروا انّ نهر بيروت هو نهر ماغوراس المذكور (٢ واحتجّوا لذلك بحجج لا يسعنا هنا بَسْطها

واذا اجتزتَ النهر وجدتَ في طريقك او على مقربة من الطريق قرًى ومزارع نظنّها حديثة العَهْد اللهمَّ الّا سنّ الفيل التي ورد ذكرها في تآليف الصليبيين مصفّحةً بسِنسْفيل (Senesfil ٣). ثمَّ تقطع سهلًا مستطيلًا على سيف البحر يؤدي بك الى نهر انطلياس الذي بجواره موقع القرية المدعوَّة بهِ

واسم انطلياس كما لا يخفى معرَّب وقد تضاربت في اصلهِ الآراء فمن العلماء من زعم انّهُ نُسب الى النبيّ الياس واهل القرية يعظِّمون هذا القديس ويكرّمونهُ ايّ اكرام ويقدّمون لكنيستهِ المشيّدة في قريتهم النذور ويأنفون ان يحلفوا باسمهِ واذا حلفوا كرهوا الحنث بأيمانهم فقيل ان الضيعة دُعيت لذلك باسم هذا النبيّ. الّا ان في هذا التفسير شبهةً لانّهُ لا يبيّن معنى اوّل لفظة «انطلياس» ولم يحاول بعدُ احدٌ شرحَها. وجاء في تقليد اهل لبنان انّ انطلياس دُعيت باسم بعض المشاهير او المعبودات ولم يمكنّا تحقيق ذلك

ولعلّ انطلياس مشتقّة من الكلمة اليونانية (Ἀνθήλιος) اي موازٍ للشمس لانّ انطلياس تقابل المغرب بينما تواجهُ بيروت جهةَ الشمال. وهذا الشرح لا يتجاوز حدَّ الحَدْس والرجحان وعلى كلّ حال انّ انطلياس قريةٌ قديمة العهد. يشهد بقدمها ما وجدهُ علماء العاديّات من الآثار الجليلة كعواميد ذوات حجر واحد من الرُخام المحبَّب ونواويس وبقايا بنايات قديمة.

---

١) راجع تاريخ الفينيقيين Movers: *Phœnizier* I, 262 et 666

٢) راجع مجلّة العاديّات Revue Archéologique, 1878, I, 13, *note* 1

٣) راجع Rey: *Colonies franques*, p. 524

فلا شكَّ انَّ العمد يدلُّ على ان ثمَّت كان هيكل للعبادة كما انَّ النواويس المكتشفة تشهد بوجود مدفن قديم وبقايا الابنية تبيِّن وجود القرية القديمة سواء تدعى بانطلياس او باسم آخر مفقود

وموقع انطلياس حسنٌ جدًّا لا بُدَّ انَّهُ استلفت منذ قديم الزمان انظار الاهلين فسكنوهُ وعمَّروهُ ولا نظنُّ انَّ قرَّاءنا نسوا ما كتبهُ في الاعداد السابقة من المشرق (ص ١٠٤) حضرة الاب زُموفن بخصوص محطَّة انطلياس القديمة وما وُجد فيها من الآثار التي تقدَّمت عهد التاريخ. والذي حمل الاقدمين على ايثار انطلياس وتفضيلها على ما سواها انَّما هو نهرها ذو الماء العذب الزلال الذي يولي البقعة المجاورة للضيعة نضارةً وخصبًا

وكانت السكَّة الرومانية الواصلة بين نهر الكلب وبيروت تجدي لسكَّان انطلياس منافع جمة فتسهِّل لهم نَقل كلّ خيرات المدينة. ولا غروَ انَّ الرومان اقاموا هناك نُصُبًا للدلالة على المسافة بين بيروت والقرية التي نحن بصددها وهي مسافة خمسة اميال اي نحو سبعة كيلومترات ونصف

فهذا جلُّ ما نعرفهُ الآن عن انطلياس. وقد زعم البعض انَّ هذه الضيعة هي مدينة لاوُنتوپوليس القديمة (١ وهو رأي واهن لا يمكن اثباتهُ ببرهان صحيح. والصواب انَّ لاونتوپوليس كانت في جنوبيّ بيروت على طريق صيداء.

٢ صربا وجونية

ثم تعبر نهر الكلب الذي كان يدعوهُ الاقدمون ليكوس ومعناهُ الذئب وتسير مدَّةً فتصل الى ضيعةٍ موقعها شماليَّ النهر تدعى صربا وهي منتصبة فوق الصخور المشرفة على خَوْر جونية. وهو شَرْم في البحر يُعدّ من احسن خلجان سوريَّة ولو اراد احدٌ ان يحوّلهُ الى مرسًى لَتهيَّأ لهُ ذلك دون مشقَّة. وليس في كلّ ساحل الشام من غزَّة الى الاسكندرونة مينا طبيعيَّة سواهُ. وهو في جهتهِ الشمالية عميق الغور فلا بأس على السفن اذا القت هناك مراسيها لان هذه الجهة الشمالية آمن من الجهة الجنوبية التي قَعْرُها رملٌ. وخور جونية بمعزل عن الرياح الخطرة الشديدة الهبوب كريح الشمال وريح الجنوب والصبا. ومع كلّ هذه

(١ Revue Archéolog. 1872, I, 172

الخصائص بقيت جونية قريةً لا يُعبأ بها مدَّة اجيـال طويلة ولا عـلة لذلك سوى صعوبة الوصول اليها وانحصار اطرافها بين جبالٍ عالية تُطِلّ عليها شرقًا ومضيقَي نهر الكلب والمعاملتين شمالًا وجنوبًا. وعليهِ لم يمكنها ان تنبسط في السهول المجاورة وتوسّع نطاق أرباضها كغيرها من المدن مثل بيروت وطرابلس وصور وصيداء

ورغمًا عن هذه العوائق قد اخذت جونية منـذ امدٍ قريب تحفل بالسكّان وتزيد اتّساعًا. وقد نالت نصيبًا كبيرًا من الحظّ منذ انشئت السكّة الحديديّة على ساحل البحر الّا انّها تفتقر لترقى في معارج النجاح الى شيئين اعني الى مياه عذبة يجلبها اليها اهلها من احد الينابيع القريبة والى بعض تحسين سَهْل في مرفإها بأن يُجعل لهُ رصيف لنقـل البضائع الى البرّ ونزول الركّاب وتعميق بعض اطراف الخليج. فلو اخرج اهل جونية هذه المشروعات الى حيّز العمل اضحت بلدتهم من ابهج البلاد اشبـه شيء مع صغرها بمرفإِ نابولي المعدود من ابدع منازه الدنيا

هذا ما يختصّ بجور جونية اماَّ البلدة نفسها فقد اشتُقّ اسمها من خليجها فدُعيت بهِ جونية جونًا او خَوْرًا. ولها ذكر في تواريخ القرون المتوسّطة. وكانت في ايّام ياقوت الروميّ من اعمال طرابلس(١. وقال الادريسي(٢ وهو من كتبة القرن الثالث عشر «انّ جونية حصن على البحر واهلهُ نصارى يعاقبة». وذكر لها في محلّ آخر كورةً (٣ وذلك ممَّا يشير بنوع جليّ الى اهمّيتها. وقد ورد ايضًا اسم جونية في تآليف الصليبيين وهم يدعونها جوينة (Juiné). امَّا قدماء الجغرافيين من اليونان والرومان فلم يرووا شيئًا عنها ولا عن صربا التي كانت تُعَدّ من ارباضها متعلّقة بها. ولذلك لم نَرَ نحن ايضًا ان نفصلها عن بعضهما

قال پلينيوس الطبيعيّ: «انَّ بين نهر ليكوس (نهر الكلب) ونهر ادونيس (نهر ابرهيم) مكانًا يُدعى پالِيبِلوس(Palæbyblos)». وزاد عليهِ ايضاحًا اسطرابون الجغرافيّ فقال: «اذا سرت من بِبلوس (جبيل) جنوبًا تلقى في طريقك اوّلًا نهر ادونيس ثم جبل كليمكس (ὄρος Κλῖμαξ) ثم بعدهما پالِيبِلوس واخيرًا نهر ليكوس». فاذا اعتبرنا

١) معجم البلدان (٢: ١٦٠)

٢) راجع طبعة غلدمَيستر ص ١٧ ٣) ص ٢١

كلام اسطرابون لا نجد بين نهرَي الكلب وابرهيم سوى محلّين احرزا لهما في الزمان القديم شهرةً بعدد سكّانهما وهما « برجا » و « جونية صربا » . وما من موقع الأهما يحسن ان يكون مربطًا للسفن . وتعيين المرافئ كما لا يُخفى من شأنهِ ان يبيّن موقع المدن الفينيقية القديمة لحذق الفينيقيين بفنّ الملاحة وتفرّغهم للتجارة (١

واوّل ما يفيدنا اسطرابون انَّ پاليبلوس هذه في جنوبي جبل كليمَكس فاذا تحقّقنا موقع هذا الجبل استدللنا ايضًا على مكان پاليبلوس . ونظنّ انَّ الجبل المذكور هو الجبل المشرف على البحر في شمالي جونية بقرب المعاملتين وهو عبارة عن صخور مرتفعة يمرّ في وسطها طريق الساحل . وتسمية اسطرابون لها بكليمس موافقٌ جدًّا لان كليمكس (Κλῖμαξ) باليونانية معناه المُرْتَقى والدَّرج . وقد آثر بعض العلماء (٢ رأيًا آخر في تعيين جبل كليمكس فقال انَّهُ هو الجبل المشرف على جونية الذي تعلوهُ قريتا حريصة وغسطا . وما فيهِ من المراقي الصعبة اشبهُ شيء بدرج السُّلَّم فدُعي لذلك كليمكس . وكلا الرأيين محتمَل فندع لقرّائنا ان يرجّحوا الواحد على الآخر . وعلى هذين الرأيين لا بُدَّ من القول انَّ پاليبلوس هي صَرْبا لوقوعها في جنوبي جبل كليمكس

ولا غرو ان يكون موقع جونية وصربا استلفت منذ القدم انظار الفينيقيين وهم في حاجة الى نقل بضائعهم بحرًا . وعلاوة على ذلك انَّنا نعلم ان اكثر المدن الفينيقية كانت مبنيَّة في سالف الزمان على نُشُوز او على رؤُوس تشرف على البحر كما ترى في جبيل وصيداء وبيروت وصور وهلمَّ جرًّا . فلا ريب اذن ان صربا وجونية اضحتا قديمًا مقامًا للفينيقيين ومرفأً لسفنهم

وما وُجد في هذه السنين الاخيرة من الآثار القديمة بصربا يؤيّد رأينا . الّا ان البنايات الحديثة قد أفنت كثيرًا من هذه البقايا الجليلة التي وصفها السيّاح منذ بضعة عشر سنين . ومن هذه الآثار مغارة يكرَّم فيها اليوم القديس جرجس ويظهر انَّها كانت سابقًا

١) راجع مجلَّة المباحث (Études, 1861, p. 524) وفيها مقالة ذات شأن في آثار سوريَّة للاب بوركنو اليسوعيّ . الّا انّنا لا نوافق كاتبها في رأيهِ عن پاليبلوس . وسيأتي ذكر هذا المبحث في معرض كلامنا عن برجا

٢) راجع مجلَّة العاديَّات (Revue Archéoleg. 1878, I, 3 et 15)

هيكلًا لعبدة الاصنام. ومنها القبر المعروف بقبر بنت الملك وهو مدفن قديم. ومنها ايضاً قبور ومعاصر قديمة الى غير ذلك من الأخربة الدارسة

ولكن اعظم هذه الآثار قلعة صربا التي لم يبق منها غير قسمها الاسفل وهو عبارة عن حجارة ضخمة تشبه حجارة دير القلعة. وكان سابقاً بجوار تلك العمارة اعمدة ورؤوس اعمدة وبقايا أُخر من هيكل قديم(١ لانَّ هذه القلعة كانت معبدًا للوثنيين ولعلّها كانت مخصَّصةً بعبادة سيرابيس . وقد اشتقَّ الكاتب كولنًا شكّلدي (Ceccaldi) اسم صربا من اسم سيرابيس اله هذا الهيكل. وقد اكتُشِف ايضًا في صربا وجونية على مسكوكات فينيقية وتماثيل وكتابات من جملتها كتابة يونانية في ركن بعض التماثيل كُتب فيها (Ζεὺς ἐπουράνιος) اي «المشتري السماوي»

فيظهر اذن ممَّا تقدَّم انَّ جونية وصربا شُيّدتا في موضع مدينة قديمة يرجَّح انها بالبيبلوس وكان معظمُها فوق الصخور في محلّ صربا وكانت جونية كمرفإٍ لها منذ ايام الفينيقيين

شجرة الفردوس الارضي

لحضرة الاب انستاس ماري دي سنت ايلي الكرملي البغداديّ

ليس الغاية من هذه العجالة ان أُبيّن للادباء هل كانت شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشرّ شجرةً واحدةً او شجرتين تتميّز الواحدة عن الاخرى لاننا نعلم بان المفسّرين قد اختلفوا في ذلك وانقسموا حزبَين كما هو مشهور(٢. ولا الغاية منها ان أُثبت لهم أيًّا من الاشجار كانت شجرة معرفة الخير والشرّ. فان الآراء قد كثرت في هذا الصَدد وكلُّ جماعةٍ تؤيّد رأيها ببراهين تقرُبُ من الصدق او تبعد عنهُ قليلًا او كثيرًا تبعًا لما فيها من قوَّة الاقناع. فمنهم من ادَّعى بانها نبتة الحنطة. وقالت جماعة بانها الكرمة. واثبتت فئة بانها

١) وقد نقل البنَّاؤون كثيرًا من هذه الحجارة فاتخذوها للبنايات المستحدثة كما فعلوا في دير القلعة. وهذا امر لا شكَّ يؤسف عليهِ فاذا داوم الاهلون على خُرْقهم في تحطيم هذه الرسوم لم يبقوا عمَّا قليل في لبنان شيئًا من الآثار القديمة

٢) انَّ الكتاب المقدَّس يميّز صريحًا بين شجرة الحياة وشجرة الخير والشرّ فلا يعبأ برأي من زعم انهما شجرة واحدة (المشرق)

شجرة التين وبيّن قوم بأنها شجرة الكَرَز. وذهبت عصابة الى انها البرتقال الهندي وهو عندنا اسم الشجرة المعروفة عند الافرنج باسم (Pamplemousse). وقد اوضح جمهورٌ لا تُعَـدّ افرادُه ببراهين جليّة نيّرة بأنها شجرة التفّاح

وقد ارتأى فريق من علماء الانكليز الاعلام المحـدثين بان شجرة الفردوس كانت البُرْهَامَة. وهذا الرأي الفاسد الساقط هو الذي أُريد ان افنّدهُ هنا لقيامهِ على شفا جرفٍ هارٍ لا بل قد انهار. وكما ان مجرَّد القول بفساد الشيء الفلاني وسقطهِ لا يكفي لإقناع العاقل فآتي السامع الناقد بالبراهين التي تثبت ذلك وهذا الذي حداني الى كتابة هذه الاسطر الوجيزة. فمن هذه البراهين:

١ً ان ليس للبُرْهَامة ثمرة تستلفت الابصار. أو تستأسر الافكار. او يبهج منظرها العين. او يجذب عطرها اهل الزين والشَّيْن. فانك ان عرفت ما هي البُرْهامة. تعجبت من اناس يتمسكون بهذا الرأي وليس فيهِ من الحقيقة ما يُشبهُ ظلّ الغمامـة. فالبرهامة شجرة من فصيلة الفرَاشيَّات. من قبيلة السِدْرَات (Lotées). ومن ذلك نفهم بان ثمرها يكون في غُلُفٍ او سِنَفَةٍ لا تصلح للأكل ابدًا. بل رُبَّما صلح الزَّقُّوم للاكل بالنسبة الى هذه. فكيف اذًا يعتقد العقلاء بانها كانت شجرة الفردوس وليس فيها شيء يجذب اليها النفوس. أيَظنُّ الانكليز انَّ الاشجار تتحوَّل عن اصلها وجنسها ونوعها كلّ يوم فتكون بيد الطبيعة بمنزلة الأُلعوبة بيد الطفلة تقذفها كل يوم قذفة وتقلبها كل يوم قلبة. فهذا ممَّا لا يُسلّم بهِ اهل النُهى

٢ً ان خبر وجود شجرة الفردوس في العراق لايتعدّى سنة ١٨٦٢ م إنْ في الكُتُب وَمظانّ الأَخبار. وإنْ في انتشارهِ بين ظهرانَيْ اهل هذه الديار. فكيف يُمكن لانسان ان يقول هذا القول. ويتطاول هـذا الطَوْل. أَفيزعم انَّـهُ أُنزل وحيُهُ على قلبهِ وعلى قلب غيرهِ في ساعةٍ واحدة من الزمان. لما في معرفة موطن الفردوس من الامور ذوات البال والشأن. فهذا ممَّا لا يعتقد بهِ اولو العُرْفان

٣ً ان من يقف على كيفية شيوع خبر هذه الشجرة بأنَّها شجرة الفردوس يُضحك من عُقُول بعض السياح الذين يدوّنون الغرائب. بدون ان يتثبّتوا الامور ليطّلعوا على ما فيها من المعايب والشوائب. ويتقصّوا ما فيها من الحقائق الراهنة. او من دقائق الاكاذيب الواهنة. فانَّ العلماء الذين يقولون بهذا الرأي الخالي من كلّ سند مكين. وينزلونهُ منزلة

الحقّ المبين. يزعمون بان من التقاليد الشائعـة بين جمهور العراقيين. من نصارى ويهود ومسلمين. انَّ الفردوس الارضي كان في البقعة المسمَّاة اليوم بالقُرْنة. والحال إنَّ هذا من الاختلاق المحض الذي لا اساس لهُ واليك تحرير الرواية واصلها وسبب نَقلها عن ألسنة اهل العراق. على ما اثبتهُ لي احد الأثبات في هذا الصدد وهو الفاضـل الاديب هنري زڤوبودا (Henri Svoboda) وكان قد شهد نشوء هذا الرأي الى ان بلغ اشدَّهُ وهو الى اليوم الكاتب الأوَّل في احد المراكب الانكليزيَّة في نهر دجلة

« ان شركةً انكليزيَّة وتسمَّى بشركة بواخر الفرات ودجلة الهنديَّة المحدودة المبلغ (The Euphrates and Tigris Indian steam navigation Company Limited) كانت قد حصلت على امتياز تسيير بواخر في هذه الجهات بدُهاءٍ لا يُعرَف إلَّا في الانكليز وليس هنا محلَّ تفصيلهِ. وكان مركباها الأولان: مدينة لندن (City of London) المسمَّى عند اهل بغداد مركب لندن . ودجلة (Tigris). وكان غرَّة سيرهما في وادي السلام سنة ١٨٦٢ م ولمَّا كان الربَّان هولند (Mr Holland) من الخبيرين في احوال نهر الزوراء انتدبتهُ الشركة الانكليزيَّة المذكورة ليكون ربَّانًا في مركب لُندُن. فقبل بذلك لانهُ كان يقبض راتبًا من الحكومة الانكليزيَّة الهنديَّة لتقعُّدهِ (١ واخذ يتسلَّم مشاهرةً من هذه الشركة ايضًا

فبينما كان يومًا فرحًا مترنحًا إثْر مشافهتهِ لبنت العُنْقود. ومحادثتهِ لرَوْنَصِ العلاَّمة التي تشهد بفضلهِ جماعات من الشهود. وكان اهل المركب احاطوا بهِ عقودًا على عُقود. بين وُقُوفٍ وقُعودٍ. اندفع في كلامهِ. ولا اندفاع السيل الركام في تدفّقهِ وازدحامهِ. وذلك عند بلوغهِ المحلّ المعروف بالصَّرَيْفَة عند اهل المضارب. على بُعد ساعةٍ فوق مشهد عزرا (٢ الكاتب. فقال ما معناهُ. مُتَّبعين في ذلك مَبْناهُ: « ألا وايمُ الله قد وصلنا بُقعةً قد شَمَل بها الأُنس. الجنّ والإنس. طيّبة الهواء. ناعمة الثرَى. تنفي عن القلب كل جوًى. تلعب النسيم في رياضها. وتترقَّص الاسماك في حياضها. وتشدو الصوادح في غياضها. وتصفّق

١) يقال تقعَّدهُ اي قام بأمرهِ والحكومة الانكليزيَّة تقوم بامر متوظفيها بدون ان يخدموها بعد ان يكونوا قد بلغوا من العمر عدَّة من السنين

٢) هو مقام يُكرّمهُ اليهود ويزعمون انَّ فيهِ قبر عزرا صاحب السِفْرين المذكورين في التوراة (المشرق)

الاوراق عِند مرُور رَوحِها على زُلالها. وتمايل الاطيار فرحاً على افنان اشجارها او تحت ظِلالها . فترابها عنبر. وحصباؤها جوهر . وهو بين مُعصْفَرٍ ومُزَعْفَرٍ . وشيطان ارضها وَسنان. وملاكها يقظان . فما نحن هنا الّا في فردوس عدن. صورة جنّة الخُلد ذلك الوطن. الذي قد نُفي عنهُ كل وهن ودَرَن»

فتقدَّم منهُ رَولِنصن يتهادى ويتهاذى. وقال لهُ: كيف يا صاح تقول هذا. فهل الك على ذلك. ادلّة تُدعِم بها نضيد مقالك. قال: نعم واليك ايضاح هذا المَزعم. قد قيل في الكتاب الكريم المُنزل على موسى الكليم: «وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الفردوس. ومن هناك ينقسم فتصير اربعة رؤُوس» وهذه الرؤُوس الاربعــة هي فيشون او سيحون وجيحون ودجلة والفرات. فانّك تعلم علم اليقين الخالي من كل شبهة ومظنّــة. بان رؤُوس دجلة والفرات هي عند قُرنَة. واماّ سيحون وجيحون. فليسا إلّا الصُوَيب وشطّ العرب الميمون. لانّ فردوس النعيم لم يكن بُقعةً صغيرة. بل كبــيرة. قال رولنصن واخذ يتقصّى الخبر كل التقصّي: واين شجرة الفردوس. التي لا يمكنك ان تأخذ بها في الدَوس(١. فجعل يلتفت يُمنى ويُسرى خائفاً من أن يُلبَس ثوب الملامة. فرأى دَوحة عمرها ستّون سنة اسمها بُرهامة. قال: هذه هي شجرة الجنّة يا أيها العَلَمُ العلّامة. والحبر البحر الفهّامة.

فما كان من روانصن الّا ونّمق تلك البراهين. معتقداً بانهــا لمذهبه الجديد بمنزلة الاساطين. فاذاع سنتنذٍ رأيهُ في الجرائد والمجلّات. وتبعهُ من الانكليز زرافاتٌ بعد زرافات. لمنزلة رولنصن من العلم اذ يُعدّ من الأثبات الثقات. وزاد على ذلك بان محلّ الفردوس في نواحي القُرنة هو من تقليدات . اصحاب تلك البــلاد على اختلاف المعتقدات. وما زال الخبر في ازدياد وانتشار. حتى اصبح الافرنج يقصدون هذه الديار. ليشهدوا ما فيها من اعظم الآثار. ألا وهي تلك الشجرة الغريبة بين جنس الاشجار. المعروفة بالبرهامة عند العرب. والمسماة عند الانكليز بشجرة الفردوس الارضي لهذا السبب. فاعتبر ذلك أيها العاقل وأمسك نفسك عن الضحك. عمّا وقفت عليهِ من مختلقات الافك. وقل: «اللهمّ نعوذ بك من شرّة اللّسَن. وفضول الهذر. كما نعوذ بك من معرّة اللّكَن. وفضوح الحَصر. اللهمّ آمين»

---

١) يقال اخذ في الدوس اي في تسوية الحيلة وتزيينها — عن الاساس

مزايا لغة العرب

لحضرة الاديب العالم شكري افندي الآلوسي البغدادي

اعلم ان لغة العَرَب لم تزل موضوع البحث عمّا حوتهُ من الاسرار والدقائق التي لم تشتمل عليها لغة اخرى من اللغات حتى أُلف في ذلك كتُب كثيرة قديمًا وحديثًا فاحببتُ ان انبّه على شيءٍ من مزاياها على وجه الاجمال يظهر بهِ انَّهـا حسنةٌ من حسنات القوم فضيلة من فضائلهم. فمن جملة مزايا هذه اللغة الجليلة:

اوّلًا سعة نطاقها فانَّها اتمُّ الالسنة بيانًا وتمييزًا للمعـاني جمعًا وفرقًا بجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل اذا شاء المتكلّمُ الجمع

ثانيًا ثمَّ يُميّز بين كلّ شيئين مُشتَبهين بلفظ آخر مميز مختصر. كما نجدهُ في لغتهم في جنس الحيوان فانهم مثلًا يعبرون عن القدر المشترك من الحيوان بعبارات جامعة ثم يميزون بين انواعه في اسماء كلّ امرٍ من اموره من الاصوات والاولاد والمساكن والاظفار والشعور وغير ذلك من خصائص اللسان العربيّ التي لا يُستراب فيها ممَّا هو مفصَّل في كتب فقه اللغة لابن فارس والثعالبي وغيرهما

ثالثًا مع كثرة موادّها وسعة مَجالها كما ما لا يُخفى على من مارسها لاسيَّما في الاشياء التي تمسُّ حاجة القوم اليها. فقد يكون للشيء الواحد عدَّة اسماء باعتبار تعدُّد صفاتهِ واحوالهِ وبكثرة الالفاظ المترادفة لديهم اتَّسعت لهم دوائر الآداب الشعريَّة. فانَّ للعسل ثمانين اسمًا وللثعبان مئتين وللاسد خمسمائة وللجمل الفًا وكذا السيف وللداهية نحو اربعة آلاف اسم وغير ذلك ممَّا هو مفصَّل في محلّهِ

رابعًا مع ما في اللغة العربية من القواعد الكليّـة والقوانين الكافية لوضع الالفاظ لمعانٍ لم تكن في القرون الخالية والازمنة الماضية ممَّا استُحدث من الفنون والصنائع والآلات التي سمَّاها مُحدّثوها باسماء من لغاتهم. فانَّ من اطَّلع على ما في اللغة العربيـة الاطلاع الكافي امكنهُ ان يأخذ لها اسماء من هذه اللغة بسهولة. فان اكثر تلك الاسماء هو من قبيل اسم المكان او الآلة. وَصوغ اسم المكان والآلة ونحوها في العربية مطَّرد من كل

فعل ثلاثيّ كما ترى كثيرًا من كتب المصريين والسوريين الذين لهم حميَّة على لغتهم وأنفة ان يدنّسوها بغيرها يعبرون عن كل ما استحدث بلفظ عربي مبين

خامسًا وفي اللغة العربية وجهٌ آخر لصوغ الفاظ تسدُّ مسدَّ الالفاظ العجمية التي مسَّت الحاجة اليها وهو باب النحت(١. قال ابن فارس في فقه اللغة: « العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار وذلك كقولهم رجل عَبْشمي منسوب الى اسمين وهما عبد شمس وانشد الخليل:

أقول لها ودمع العين جارٍ أَلَمْ يُحْزِنْكِ حيعَلَةُ المنادي

من قولهم (هَيَّ على كذا) وهذا مذهبنا في انَّ الاشياء الزائدة على ثلاثة احرف اكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد (ضِبَطْر) من « ضَبَطَ وَضَبَرَ » وفي قولهم (صَهْصَلِق) انَّهُ من « صَهَل وصَلَقَ ». وفي (الصِّلْدِم) انَّهُ من « الصَّلد والصَّدم » الى آخر ما قال

سادسًا هذا الى ان اللغة العربية احسنُ اللغات صِيَغًا واساليب واتمّها واكملها نسقًا وتاليفًا مع تسويغ استعمال النحت عند اقتضاء الضرورة

سابعًا ومن مزايا اللغة العربية تناسبُ اللفظ والمعنى طولًا وقصرًا وخفَّة وثقلًا وكثرةً وقلّةً وحركةً وسكونًا وشدَّةً ولينًا فان كان المعنى مُفردًا افردوا لفظهُ وان كان مركّبًا ركّبوا اللفظ وان كان طويلًا طوّلوهُ « كالعَنطَنط والعَشَنَّق » للطويل. فانظر الى طول هذا اللفظ لطول معناهُ. وانظر الى لفظ « بُحْتر » وما فيه من الضمّ والاجتماع لما كان مسمّاهُ القصير المجتمع الخلق. وكذلك « الحديد والحجر والشدَّة والقوَّة » ونحوهما تجد في الفاظها ما يناسب مسمَّياتها. وفي لفظ « الهواء والماء والنار واللين والضعف والرقَّة » من اللطافة والخفَّة ما يناسب مسمَّياتها. وكذلك لفظ « الدوَرَان والثوران والغَلَيَان » وبابُها في لفظها من تَتَابُع الحركة ما يدلّ على تتابع حركة مسمَّاها. وكذلك « الدخَّال والخرَّاج والضرَّاب والأفَّاك » في تكرُّر الحرف المضاعف منها ما يدلّ على تكرُّر المعنى. وكذلك « الغَضَبان والظَمْآن والحَيْرَان » وبابُهُ ممَّا صيغ على هذا البناء الذي يتسع النُّطق بهِ

١) راجع المقالة التابعة في الالفاظ المنحوتة

ويمتلئُ الفم بلفظهِ لامتلاء حامِلِهِ من هذه المعاني فكأنَّ الغَضْبَان هو الممتلئُ غضباً الذي قد اتَّسع غضبُهُ حتى ملأ قلبهُ وجوارحَهُ. وكذلك بقيَّتها

ولا يتَّسع المقام لبسط ذلك كلِّهِ لأنَّهُ ينشأ من جوهر الحرف تارة ومن صفتهِ ومن اقترانهِ بما يناسبهُ ومن تكرُّرهِ ومن حركتهِ وسكونهِ ومن تقديمهِ وتأخيرهِ ومن اثباتهِ وحذفهِ ومن قلبهِ واعلالهِ الى غير ذلك من الموازنة بين الحركات وتعديل الحروف وتوخّي المشاكلة والمخالفة والخفَّة والثقل والفصل والوصل. وهذا باب يقوم مَن تتبَّعهُ بسفر ضخم. والمناسبة بين اللفظ العربيّ ومعناهُ مذهبُ كثيرٍ من أئمة اللغة وأساطين العربية

وعَقَدَ لهُ ابو الفتح ابن جنّيّ باباً في الخصائص وذكرهُ عن سيبويه واستدلَّ عليهِ بانواع من تناسب اللفظ والمعنى ثم قال: «ولقد مكثتُ برهة يَرِدُ عليَّ اللفظ لا اعلم موضوعهُ فآخذ معناهُ من قوَّة لفظه ومناسبة تلك الحروف لذلك المعنى ثم اكشفهُ فآخذهُ كما فهمتهُ او قريباً منهُ». وقال ابو يعقوب السكاكي: «انَّ للحروف في انفسها خواصَّ بها يختلف المعنى كالجهر والهمس والشدَّة والرخاء والتوسط بينها وغير ذلك مستدعية في حقّ المحيط بها علماً ان لا يُسوّي بينها. واذا اخذ في تعيين شيء منها لمعنًى ان لا يهمل التناسب بينهما قضاءً لحقّ الحكمة. مثل ما ترى في «الفَصْم» بالفاء الذي هو حرف رِخو لكسر الشيء من غير ان يبين. «والقَصْم» بالقاف الذي هو حرف شديد لكسر الشيء حتى يبين. «والثَّلْم» بالميم الذي هو حرفٌ ما بَينيٌّ للخلل في الجدار. «والثَّلْب» بالباء الذي هو شديد للخلل في العِرْض. «والزفير» بالفاء الذي هو حرف رِخو لصوت الحمار. «والزئير» بالهمز الذي هو شديد لصوت الأسد وما شاكل ذلك. وان للتركيبات كالفَعَلان والفَعَلى بتحريك العين فيهما مثل «النَزَوان والحَيَدَى» لما في مسمَّاهما من الحركة. وفَعُلَ مثل «شَرُفَ» للافعال الطبيعية اللازمة. وغير ذلك خواصَّ ايضاً فيلزم فيها ما يلزم في الحروف وفي ذلك نوع تأثيرٍ لانفس الكلم في اختصاصها بالمعاني» انتهى. وكان لابي العبَّاس ابن تيميَّة فهم عجيب في هذا الباب كان اذا انبعث فيهِ أتى بكل غرسهِ ورأيت لهُ فصولاً مفيدة في ذلك يطول الكلام بنقلها مع اني اقول:

تألَّقَ البَرْقُ نجديًا فقُلْتُ لَهُ يا أيُّها البَرْقُ إنّي عنكَ مَشْغُولُ

الالفاظ المنحوتة في العربية

للاب لويس شيخو اليسوعي

انّ من يبحث عن اللغات الاوربية ويتثبّت خواصّها وينعم النظر في اركانها الاوّلية التي اشتقّت منها لا يلبث ان يلحظ انّ مجموع اصولها العُنصريَّة قليلٌ لا يتجاوز بضعة مئات من الالفاظ فليت شعري اين ذلك من ثروة اللغات الساميّة التي توفّرت اصولها الثلاثيّة واتّسعت ايّ اتّساع فيعجز الذهن عن ضبط وجوهها واستيعاب معانيها ولذلك جاء في مثل انَّ العربية لا يُحكمها الّا نبيّ

ولكن اذا ما فضلت لُغاتُنا الساميّة لغاتِ الاجانب من قَبيل غناها في الالفاظ الاصلية لا نُدحة لنا في القول ان هذه تغلبها وَفْرةً من وجهٍ آخر نريد بهِ الالفاظ المركّبة والمفردات المنحوتة

وما ادراك ما النَّحت ? النحت في اللغة القطع والتسوية وفي عُرْف النحويين تركيب كلمة من كلمتين وذلك بان تعمد الى لفظتين فتأخذ من اطرافهما حرفًا او اكثر ثمَّ تدمجهما بحيث تصيران كلمةً واحدةً مفردة يترتّب عليها ما يترتَّب على بقيَّة المفردات من حيث الاعراب والتنكير والتعريف والافراد والجمع وهلمَّ جرًّا. مثال ذلك « الصَّهْصَلِق» وهو الشديد من الاصوات قد نُحتَ من « صَهَلَ » و« صَلَقَ » وكلاهما بمعنى صوَّت فحُذف طرَف الاولى من اللفظتين وضُمَّ الباقي الى اللفظة الاخرى. وقد دُعي النحتُ بذلك تشبيهًا بالنجّار الذي ينحت الخشبتين فيجعلهما واحدةً. امَّا الغاية من لَحم الكلمات بعضها فالاختصار او سهولة اللفظ او ايضًا وضع معنًى جديد لا تفي بهِ احدى اللفظتين المنحوتتين وحدها

واذا تصفّحت اللغات القديمة كاليونانية واللاتينية تجد ان الالفاظ المنحوتة تُعدّ فيها بالمئات بل تحصى بالالوف. وهي التي تجدي الكتابة رونقًا وحُسنًا وباختيارها وحسن استعمالها برّز كتَبَة القرون السالفة. فهاك اوميروس مثلًا وهو امام شعراء اليونان فانَّهُ لا يكاد يخلو بيتٌ واحد من قصائدهِ الرَّنانة من الالفاظ المنحوتة وهو يصوغها ببعضها على اسهل طريقةٍ واحسن سَبْك لإيجاد معانٍ طريفة وتصوُّرات مبتكرة وعواطف لينة رقيقة تأخذ بمجامع القلب

وقد ورثت اللغاتُ الحديثة المتفرّعة عن اليونانيـة واللاَّتينية كالفرنسيَّة والايطالية والاسبانية وغيرها هذه الخاَّصة عن امّهات اللغات فهي تتصرَّف في نحت الالفاظ تصرُّفًا عظيمًا كما لا يُخفى على من لهُ المام بهذه الالسنة. وفي اللغات السكسونيَّة كالالمانية والانكليزيَّة قد بلغ عددها الى ما لا نهاية لهُ ولا يبرّز بينهم كاتبٌ او ينبغ شاعر الَّا اذا أحسن نحت هذه الالفاظ وتسنَّى لهُ وَضع كلمات جديدة تسبق اليها قريحتُهُ غيرَهُ من الكتبة. وربَّما نحتوا ثلاثة الفاظ او اربعة فجعلوها كلمةً واحدة مركَّبة المعنى وهذا كثير في اللغة الجرمانية

وبين لغات الشرق التي خُصّت بهذه الصفة ما تفرَّع منها عن اللغات الهنديَّة القديمة لاسيما السنسكريتيَّـة كاللغات الارمنية والهندستانية والفارسية فانَّ فيها كلها الفاظًا عديدة منحوتة لُحمت ببعضها حتى صارت عبارة عن كلمة مفردة قد عُرّب منهـا وخصوصًا عن الفارسية الفاظ كثيرة كالإِبْزيم والابريسم والشاه بلُّوط والنيروز. وقد ورد تعريب بعض هذه الالفاظ في اقدم شعراء العرب كدَهْقان وشطرنج

امَّا اذا انتقلنا الى اللغات الشرقية المعروفة بالساميَّة نسبةً الى سام بن نوح لشيوع هذه الالسنة بين القبائل والامم المنتسبة اليهِ وجدنا انَّها بخلاف اللغات السابق ذكرها لا تأنس بالالفاظ المنحوتة والكلمات المركَّبة

فهاك العبرانية اذا تصفَّحت كتبها اللغويَّة لا تكاد تجـد فيها من هذه المفردات المنحوتة الَّا النزر القليل واكثرها اعلام اضافيَّـة نحو: בנימן (بنيامين) אבימלך (ابيملك) גיהנם (وادي هنم ومنهُ جهنَّم). ومنها الفاظ اضافيَّة نحو: בעל אשה (زوج) בעל הבית (ربُّ البيت). ويشبه مثل هذه الاضافات ما تركَّب عندنا من الفاظ « الاب والام وذي الصاحبية ». ولا نرى انَّ مثل هذه الالفاظ تدخل في باب النحت

وليست السريانية افضل من العبرانيَّة من هذا القبيـل فانَّ اشهر اسمائها المتركّبة لا تتجاوز عشرين لفظةً الشائع منها ما ترى: ܒܪܢܫܐ (انسان. ومنهـا لفظة بَرَنْساء بالعربيَّة بمعنى أحد) وܒܥܠܕܒܒܐ (عدوّ) ܒܥܠܩܪܒܐ وܒܥܠܕܝܢܐ (مقاتل وخصم) وقد بنوا افعالًا منها فقالوا: ܐܬܒܪܢܫ وܐܬܒܥܠܕܒܒ وܐܬܒܥܠܕܝܢ. ومنها ايضًا ܒܪ ܚܐܪܐ (حرّ) وܒܪܬ ܩܠܐ (لفظة) كما نقول بالعربية بنتُ شفة. ومنها ܓܪܡ ܦܝܠܐ (عظم الفيـل اي عاج) وܐܘܪܒܥܢܐ (غنَّام وثلاّب) وܣܝܡܝܕܐ (وضع اليد اي سيامة). والفـاظ اخرى على شكلها. ويصحُّ في هذه الالفاظ ما قلنا عن تركيب الالفاظ العبرانيَّة من اعلام واضافات. هذا وانَّنا لا

نتكلم في بحثنا عن الفاظ كثيرة مركبة نقلها السريان عن اليونانية والفارسية

امّا العربية فقد ارتأى بعض الأئمّة(١ انّ نحت الالفاظ من خواصها وقد ورد في كتاب المزهر للسيوطيّ بابٌ في هذا المعنى (٢ ذكر فيهِ الفاظاً اخذها عن ابن فارس وابن السكّيت والجوهري وابن دحية وغيرهم. وقال في معرض كلامهِ «انّ ابن الخطير الفارسيّ وضع كتاباً في ما جاء من المنحوت في كلام العرب ذكرهُ ياقوت» الّا انهُ (اي السيوطي) لم يقف عليهِ والظاهر انهُ فُقِد. وقد طالعنا نحن ايضاً بعض كتب اللغة ومقالات للادباء المستشرقين فوقفنا على الفاظ اخرى غير المذكورة في السيوطيّ فجمعنا كلَّ ذلك فاذا عددها لا يكاد يُربي على خمسين لفظةً نرويها هنا للافادة ونقسمها اقساماً تبعاً لتركيبها:

١ فمن هذه الالفاظ ما هو عبارة عن جملةٍ نحو: بَأْبَأَ (قال بأبي انت) وجَعْفَدَ (قالَ جُعِلْتُ فداك) وحَوْلَقَ (قال لا حول ولا قوّة الّا بالله) وحَيْعَلَ (قال حيَّ على الصلاة) وحَيْهَلَ وحَيْهَلَ (قال حيَّ هَلَا لشيء) ودَمْعَزَ (قال ادام الله عزَّك) واسترجع (قال انَّا لله وانَّا اليهِ راجعون) وسَمْعَلَ (قال السلام عليكم) وطَلْبَقَ (قال اطال الله بقاءكم) وفَذْلَكَ الحساب (أَجملهُ بقولهِ فذلك كذا) وقَهْبَلَهُ (قال لهُ حيَّاك الله قهبلك اي وجهك). وكَبْتَعَ (قال كبتَ الله عدوّك) وكبَّرَ (قال الله اكبر) ولاشاهُ (صيّرهُ كلاشيء. (٣) ومَشْأَلَ (قال ما شاء الله) ومَشْكَنَ (قال ما شاء الله كان) ووحّدَ وأحّدَ (قال انَّ الله واحد أحد) ووحّد العشرة (اذا صيّرها احد عشر) (٤

٢ ويلحق بالباب السابق الفاظ ختمت باسم الجلالة مختصرًا كالبَسْمَلَة (وهي القول باسم الله) والحَسْبَلَة (حَسبيَ الله) والحَمْدَلة (الحمد لله) والحَوْقَلَة (معناها كالحَوْلَقة) والسَّبْحَلَة (سبحان الله) والهَيْلَلَة (وهو القول بلا اله الّا الله) ومثلها التَّهْليل.

٣ ومنها ما هو عبارة عن اصوات نحو: يَهْيَهَ الإبل وهَأْهَأَها اذا دعاها بيَهْ وهَا

٤ ومنها أعلام نُحتت بها لفظة «بنو» مثل بَلْحَرْث (بنو الحَرْث) وبَلْعجلان

١) راجع الصفحة ١٠٢٥

٢) راجع الجزء الاوّل منهُ الصفحة ٢٣٢

٣) وقد ركّب الفلاسفة الفاظاً مسبوقة بلا دلالة على النفي كاللاشي واللانهاية

٤) راجع تهذيب الالفاظ لابن السكّيت الصفحة ٥٨٨ من طبعتنا. واعلم ان بعض هذه الالفاظ مثل كبّر واسترجع ووحّد ليست هي في الحقيقة الفاظاً منحوتة بل افعالاً يُراد بها جملة

(بنو العجلان) وبَلْعَنبر (بنو العنبر) وبَلْقَين (بنو القَين) وبَلْهُجَيم (بنو الهُجَيم) . ولعلّ تركيب هذه الاسماء لغة بعض القبائل او هو اختصار للّفظ كما ورد في اعلام كثيرة لقرى لبنان جاءت فيها لفظة البيت منحوتة بالباء فقالوا « بعبدا » اي بيت عبدا و « برمّانا » اي بيت رمّانا و « بحَمْدون » اي بيت حمدون . ولعلّ هذا النحت أُخذ من السريانية

٥ ومن هذه الالفاظ المنحوتة مفردات منسوبة اكثرها ايضًا اعلام نحو : تَيْمليّ (نسبة الى تَيْم الله) وعَبْدَريّ وعبدليّ وعَبْشَريّ وعَبْشَمِيّ وعَبْقَسِيّ (نسبة الى عبد الدار وعبد الله وعبد ذي الشَّرا وعبد شمس وعبد القيس) والمَرْقسي (نسبة الى امرئ القيس) وحَنْفَلْتيّ (نسبة الى ابي حنيفة والمعتزلة معًا) وشَفْعَنْتيّ (نسبة الى الشافعيّ والى ابي حنيفة معًا) والطَّبَرْخَزّي (نسبة الى طَبَرِستان وخُوَارزم) . وربّما بنوا من بعض هذه الالفاظ افعالًا فيقولون : « تَبَعْشَم وتَبَعْقَس » اذا انتسب الى عبد شمس و عبد القيس

٦ ومنها ايضًا ما ليس هو بعربيّ مَحض كالدّارَصيني والبَرَنساء . وليس كلامنا على هذه المركّبات وقد دخل منها كثير في اللغة لاسيّما من اليونانية والفارسية والسريانية والتركية وكذلك نضرب هنا صفحًا عن الالفاظ التي تركّبت من قسم عربيّ وقسمٍ اعجميّ كسلاحدار ودُوبَيت وباش كاتب الخ

٧ وقد عدّ ابن فارس في فقه اللغة (١ الالفاظ الزائدة على ثلاثة احرف فاكثر منحوتةً وضرب لذلك مثلَيْ «ضِبَطْر وصِلْدِم» وزعم انّهما مركّبتان الاولى من « ضَبَر وضَبَطَ » والثانية من « صَلَدَ وصَدَمَ » . وضرب غيرُهُ مَثَلَ « الجُلْمُود » فزعم انّهُ من « جَلَدَ وجَمَدَ » . (قلنا) انّنا لا نرى صحّةً لقول ابن فارس السابق وهو يناقض قول غيرهِ من النحويين الذين ارتأوا انّ الافعال المجرّدة الرباعية ترجع الى اصول ثلاثية كقَنْطَرَ مثلًا اصلها « قطَرَ » وجَنْدَلَ اصلها « جَدَلَ » باقحام النون فيهما . وربّما أُقحم غير النون كالراء واللام والميم لأنّها احرف ليّنة نحو قَرْصَبَ اصلهُ قَصَبَ بمعنى قطع . وهذه الحروف تزداد ايضًا في آخر الثلاثيّ نحو : عَبْدَل (وهو العبد) وثَعْلَبَ كثُعَل . والامثال في ذلك كثيرة نبّه عليها ابن دريد في كتاب الاشتقاق واشرنا اليها مرارًا في الشروح التي الحقناها بكتاب تهذيب الالفاظ لابن السكيت . وهذه قاعدة تصحّ في اللغات السريانية والعبرانية بل في سائر

١) راجع المزهر ص ١ : ٢٣٢

اللغات الاوربية . فهذا دليل ساطع على انّ بعض الحروف تُقحم في الالفاظ الاصلية او تزاد عليها لتحسين اللفظ وتقوية المعنى الى غايات اخرى لا يسعنا هنا بسطها

٨ وما يبقى لنا سوى بعض الفاظِ النَّحتُ فيها ظاهر كالماوَرْد والحَبَقُرّ (وهو البَرد اصلهُ حَبُّ قُرّ) والحَصَالُبان (حصَا اللُّبان) والرَّسْمَال (رأس المال) والكُسْرَجوز والكسْرَلَوْز والترهنديّ والشَّقْحْطَب (وهو الكبش ذو القرُون الشبيهة بشقّ الحطَب) غير انّ هذه الالفاظ قليلة واكثر استعمالها في اصطلاح الاطبَّاء او التجّار ومنها ما أُخذ عن العامَّة وكان الاصل فيها الاضافة

(النتيجة) ينتج عن الملاحظات السابقة انّ النحت في العربية كما في اخواتها من اللغات الشرقيَّة محصورٌ في الفاظ قلائل اكثرُها اعلام او عبارات مختصرة لا يجوز بناء قاعدة مطَّردة عليها . وليس هذا قصورًا في اللغة العربية لان اصل وضعها يشمئزّ من هذه الالفاظ المركَّبة على انَّها ليست في حاجة الى هذه التراكيب المنحوتة ولها من المزايا الحسنة ما عدَّدهُ حضرة الكاتب الاديب البارع شكري افندي الالوسي في المقالة السابقة . امتعنا الله بعلوم الادباء امثالهِ وهو حسبنا ونعم الوكيل

زينب (الزبَّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزڤال اليسوعي

(تابع لِما قبل)

١٧

يظهر ممَّا تقدَّم انّ زينب لم تفتقر لتحسُن تنصُّرها الّا الى مرشد امينِ حسن السيرة ومستقيم المعتقَد . ولكن قد فات حين ارشادٍ . فانهُ بينما كانت ملكة تدمر تتفرَّغ للامور الدينيّة وتشتغل بالمسائل العلمية جعل قياصرة رومة يتجهَّزون لمقاتلة من تملَّكت على جميع اقاليمهم الشرقيّة واقامت في صحارى الشام دولةً مستقلَّة تزري قوةً وفخرًا بسلطة الرومان

وقديم عزّهم. كيف لا وقد اوشكت زينب ان تنجز ما عزمت عليهِ منذ ابتداء امرها اي الاستيلاء على رومة وترقية ابنائها على سرير ملوكها

الّا ان الله تعالى جلّت حكمته لم يسمح بتحقيق آمالها فتغيّرت الاحوال في المغرب وملك على الرومان قيصرٌ جديد ذو بأس ومراس جرى بينهُ وبين صاحبة ترجمتنا امور خطيرة تشيب لها الرؤوس واصطلت حرب عوان افضت الى كسرة زينب وأسرها فهذا ما بقي علينا ذكرهُ

كان اسم القيصر المذكور لوكيوس اوريليانس بويع لهُ بالملك بعد موت كلوديوس الثاني سنة ٢٧٠. وكان رجلًا خامل الاصل من احدى قرى بلاد پانونية فنشأ في آداب الحرب يبيت بالمراكز العسكرية ويقطع اوقات الفراغ بملاهي القنص وترويض الجسد. ولما تبوَّأ تخت السلطنة اظهر في كل معاملاتهِ شدَّة جنديّ شظف وخشونة رجل شرس فظّ الطباع. قال ڤوپيسكوس في ترجمة اوريليانوس (ف ٢١) يصف دربته في السياسة: «كان اوريليانوس طبيبًا ماهرًا الّا انَّهُ كان خرقًا في عملهِ يُقسي قلبهُ على المريض». وعلاوةً على ذلك كان اوريليانس وثنيًّا متعصّبًا لا يفرق قطّ بين تعزيز دينهِ ورفعة دولة الرومان. فلما فرغ من امر الخوارج في رومة لم يعتم ان جدَّد اضطهاد النصارى. ثمّ وجّه افكارهُ الى الاقاليم الشرقية فصمَّم على ان يسلب زينب صولجان ملكها

وكانت زينب وابناؤها في تدمر وترييتيقوس في غالية يقرّون للقيصر الجديد بحق الرئاسة او بالاحرى يعتبرونهُ كبعض شركائهم في تدبير الممالك الرومانية كما تشهد على ذلك بعض النقود. بيد ان اوريليانس لم يكن ليرضى بادنى اشتراك في الملك فجاهر في مجلس الشيوخ انهُ زاحفٌ بجيوشهِ الى الاقطار الشرقية. وقبل خروجهِ من رومة تقدّم الى احد قوّادهِ يقال لهُ پروبوس (١ ان يتوجَّه توًّا الى مصر فيطرد عنها التدمريين (في اوائل السنة ٢٧١) (٢. واما هو فأجّل تتميم قصده ريثما يردّ غزوات القوط على ضفَّة الطونة (الدانوب)

وكانت زينب في تلك الغضون تسوس رعيتها العظيمة بالامن والسلام غير مكترثة لمقاصد الرومان. بيد ان التدمريين الوثنيين قد اصبحت قلوبهم في قلق واضطراب كأنَّهم ينتظرون تقلُّبات الدهر وتصاريفهُ. لان جماعة منهم حجّوا قبل ذلك بسنة الى أفقة من اعمال لبنان كي يستفتوا إلهة الجبليين عمَّا يصير اليهِ امرهم. وكان من عادة هولاء المشركين

(١ تولّى پروبوس هذا الملكَ على الرومان بعد اوريليانوس وتاسيتوس (٢ Vopisc. : *Probus*, 9

اذا ما استشاروا الزُهرة ان يرموا في النبع المختصّ بها عطايا من ذهب وفضَّة ونُسُجاً ثمينةٍ . وكانوا يزعمون انّ الهدايا ترسب في غور المياه اذا اصابت لدى الزهرة قبولًا وتطفو فوقها اذا رذلتها الزهرة ورفضتها . فيُخبر انَّ ما قدَّمهُ التدمريّون للإلهة وجدوهُ بعد سنةٍ لمَّا عادوا الى افقــة طائفًا على وجه الماء . فاستنتجوا من ذلك ان الدوائر لا تَنشب ان تدور على مدينتهم (١ . ولا خفاء ان زينب لم تكن تحفل بهذه الخرافات . الَّا انها لم تقدر ان تسكّن خواطر الوثنيين من رعاياها

وفي واقع الامر انَّ الحرب ما لبثت ان قامت على ساق . قال زوزيموس في سيرة اوريليانس (١ : ٤٤ — ٥٠) : « انّ السبب الذي تعلَّل بهِ اوريليانس لمحاربة زينب انَّما كانت غارةً شنَّتها على بلاد بيثينيَّة » . وقد مرَّ بنـــا ان زينب لم تكد تستوي على عرش المشرق حتى سعت في الاستيلاء على هذا الاقليم (راجع ص٨٢٤) الَّا ان غاليانس قيصر كشف نيَّاتها وعاكسها معاكسةً صدَّتها عن الظفر بالمرغوب وان كانت وقتئذٍ متغلّبةً على الرومان لكنَّ سلطانة تدمر لم تبرح تطمع في فتح تلك البلاد لخطارة موقعها في آسية الصغرى

فلمَّا منحها الله اكتاف المصريين ولاحظت ان اوريليانس لم ينكر عليها حقّ نصرتها زاد قلبها حرصاً في التملك على بيثينيّة فامرت جيوشها ان يستغيروا عليها ففعلوا وقهروا اهلها واستَقرَوا البلاد حتى اقصى انحائهـــا فبلغوا خلقيدون بازاء بيزانتيوم (اي القسطنطينية) وضربوا عليها الحصار . الَّا ان سكَّان هذا الاقليم كانوا يكرهون التدمريين فلم يلبثوا الَّا يسيرًا حتى خرجوا عليهم ودعوا اوريليانس لنصرتهم لكنَّ القيصر لم يتهيأ لهُ ان يجاوب للحال الى طلبتهم اذ لم يكن قد انتهى من امر البرابرة . وفي تلك الاثناء مات وَهْبلات في تدمر(٢ فاجلست زينب ابنها تيمَ الله وخيْران على منصَّة القياصرة ومحت صورة اوريليانس عن نقود التدمريين

فلمَّا علم اوريليانس جراءة هذه المرأة تفرّغ من حرب القوط باسرع مدّة وبادر الى

١) V : n° 95, Zozim. : I, 58

٢) راجع W. : p. 605. اعلم ان اخبار الاقدمين والدلائل التاريخية المستنتجة حديثًا من الكتابات والنقود تختلف بعض الاختلاف في رواية هذه الوقائع . فاخذنا عن كل هذه المصادر ما رايناه اقرب الى الصواب . وامَّا وَهْبلات الذي ملك على الارمن في اواخر امر زينب فن المتبادر انهُ لم يكن من ابناء ملكة تدمر

بيزانتيوم فعبر مضيق البُسفور وفجىء التدمريين في بيثينيَة (في اواخر السنة ٢٧١ او اوائل السنة التالية) فطردهم عنها ثمَّ واصل فتوحاته فتغلّب على غلاطيــة وقفادوقية حتى بلغ مدينة انقرة وكان يريد حصارها . الّا ان سكّانها تهيّبوا سطوتهُ وفتحوا لهُ ابواب مدينتهم طالبين منهُ الامان . وكل ذلك جرى في مدّة وشيكة حتى ان زينب لم يسَعْها ان ترسل جيوشها الى مقاومة الرومان قبل توغُّلهم في السورية الشمالية

وقبل ذلك بيسير كان زبدا قائد زينب قد هرع الى مصر ليمدّ الى فيرموس واليها من قِبَل ملكة تدمر يدَ المساعدة ويشدّ أزرهُ بقَهْر العساكر الرومانية التي وجّهها اوريليانس تحت امر پروبس . فنشب قتال شديد بين الفريقين اوشكت فيهِ جيوش زبدا ان تستظهر على الاعداء . الّا ان پروبس استمال جماعةً من المصريين فآزروهُ على التدمريين وكسروهم كسرةً مؤلمةً . فولوا مدبرين تاركين مصر الى الابد (٢٧١)

فلمّا وصل زبدا مع بقايا عسكره الى تدمر كانت زينب تتأهّب لمحاربة اوريليانس وقد ضمّت اليها اطرافها من جميع انحاء ممالكها وجعلتها تحت امر زبدا وزبّاي ثم قسمتها ثلاثة اقسام وجّهتها كلها في وجه الرومان اوّلهــا بطريق حلب والثاني بطريق حمص والثالث بطريق القريتَيْن . وصارت هي تقدمهم ممتطئة جوادهــا لابسةً بزّة الحرب وعلى رأسها البيضة

وكان اوريليانس قد انتهى من فتح قفادوقية وجعــل يحاصر مدينة طِيانَة واهلُها من آمن رعايا زينب واثبتهم في خدمتها . فدافعوا عن اوطانهم مدافعــة الابطال . ولولا خيانــة رجل يدعى هِراكلِمون لما تغلّب عليهم القيصر ولعلّهُ كان تباطأ الى ان تفجأهُ زينب بغتةً . الّا ان الله لم يسمح بمثل ذلك ففتح الرومان مدينة طيانة ثم توقّلوا في جبال توروس يحاربون من ينازعهم ويقهرون من ناواهم ويفتحون مدينــة بعد مدينةٍ حتى قربوا من انطاكية (١

وكانت هذه المدينة في ذلك الزمان من ابهى مدن الشرق يتخلّلها نهر العاصي وتحدق

١) قال بعض المؤرخين ان المكان الذي احتلّهُ اسمهُ عمّ (الخ .. Immos او Imma) وهو على طريق حلب . الّا ان في الامر نظرًا . فلما كان هذا الاسم ورد على صورة تشبه صورة اسم حمص فالاحرى عندنا ان هؤلاء المؤرخين ارادوا بذلك الاشارة الى حمص التي جرت فيهــا حرب عوان بعد القتال الذي التحم في جوار انطاكية . (راجع ;Mommsen V, p. 440 ZDMG, *Nöldeke* : 1885, p. 339)

بها الرياض والحدائق والغابات. وكان شابور لمّا اغار عليها طمس محاسنها لكنها لم تلبث ان تنتعش بعد خمولها على عهد امراء تدمر فدان لهم اهلها دون الرومان. الّا ان حسن التفات زينب الى المبتدع بولس السميساطي أثار فيهم البغض للتدمريين وكانوا منذ شمّرت الحرب عن ساقها يتمنّون للرومان النصرة على عساكر زينب

١٨

فلمّا قربت ملكة تدمر من انطاكية ورأت قدوم اوريليانس اليها امرت قوّادها ان يناشبوهُ القتال وهي لا تشكّ في غلبتها عليهِ. ففي الوقيعة الاولى هجم فرسان تدمر على الكتائب الرومانية وشتتوا شملهم. الّا ان التدمريين كانت تنوء بهم عدّتهم لثقلها وكانت خيولهم ابطأ جريًا من فرسان اوريليانس الذين جمعهم في الجزائر. وكان القيصر رجلًا ذا حِيل ومكايد فامر مقانبَهُ ان يستطردوا للعدوّ فولّوا مُدبرين. وللحال تبعهم زبّاي بفرسانهِ لا يفكّر انهُ عاجز عن ادراكهم. فاغتنم اوريليانس هذه الفرصة وألّب كتائبهُ وكبس أرْجلة التدمريين وهزمهم. فلمّا رأى زبّاي ما وقع باصحابهِ علم خطأهُ فندم على فعلهِ ولكن فات حين ندم فانّ فرسانهُ كانوا قد ابتعدوا عن المعركة ابتعادًا مفرطًا قد اصبحت مطاياهم رازحةً ففجئ الرومانُ التدمريين ثانيةً وكسروهم كسرةً شنيعةً

فجمعت زينب شتات عسكرها والتجأت الى انطاكية مسرعةً. وعند دخول التدمريين تخوّف زبّاي سوءَ تصرُّف الانطاكيين اذا وقفوا على حقيقة الامر فاعلن كذبًا انهُ اسر القيصر وانهُ سيجماهُ الى تدمر مكبّلًا. وفي نفس هذا اليوم خرجت زينب بجيوشها من انطاكية زاحفة الى حمص. وفي الغد تملّك اوريليانس على انطاكية واعطى الاهالي الامان (١

وبينما كانت زينب تستوفض الى حمص وهي تنادي فرسان العرب لمساعدتها (٢ شدّ

١) زوزيموس ١: ٥١ وفو بيسكوس ٢٥. و Chesney II و Addison : II p. 268 p. 427 واخبر قوم من المؤرخين ان التدمريين لم يغادروا حالًا جوار انطاكية بل كمنوا في غابة تُدعى دَفْنه جنوبي المدينة وان الرومان تبعوهم اليها فطردوهم منها بعد قتال عنيف (راجع Mommsen : V, p. 439)

٢) قد قدمنا (ص ٨٢٤) ان زينب كانت قد استصغرت شان بعض قبائل العرب. فلذا لم ينتدب اليها في بدء الحرب سوى القبائل التائهة في جهات الجزيرة والعراق. فلما رأى الاخرون

في اثرها القيصر وفتح في طريقهِ عدَّة مدن على ضفَّة نهر العاصي منهـا أفامية ولاريسة (قلعة سيجر) ورستان . فلمَّا بلغ الى جوار حمص وجد عساكر زينب صفوفاً كثيفة متحفّزين لقتال ثانٍ وهم نحو ٧٠,٠٠٠ نفر من الفرسان والرَّجالة والقوَّاسة . وكانت الساحة التي اختارتها ملكة تدمر للقتال مفازةً عريضة شمالي المدينة تناسب لحركات جندهـا لاسيَّما الفرسان وهم معظم جيشها . وامَّا جنود اوريليانس فكان عددهم اقلّ من التدمريين الَّا انهم رجال مدرَّبون على فنون الحرب يقتحمون المخاطر غير مبالين بالهلكة (١

فتقدَّمت زينب على راس خيلها وأغرتهم على فرسان اوريليانس فوثبوا عليهم بشدَّة عظيمة فولَّى الرومان مُدبِرين وتبعهم اصحـاب زينب يُثخنون فيهم الجراح . فلما راى اوريليانس ما نزل بقومهِ ضاقت الارض في اعينه بما رحبت وجعل يتضرع الى آلهتهِ لاسيَّما الى صنم حمص وهو عبارة عن حجارة سوداء مختصَّة بعبادة الشمس . وفي غضون ذلك تقدَّمت زينب الى جنودها بان يحدقوا بالاعداء لئلاَّ يفلت منهم احد . الَّا ان الحركة التي امرت بها لم تنجح لان فرسان اوريليانس كانوا تناءوا عن مأزق الحرب عنـد فرارهم فلم يتهيَّأ لجيوش زينب ان يحصروهم في حَلْقتهم . لا بل أفضى الامر الى اعتزال فرسان تدمر عن الرجَّالة . فكان ذلك سبب هزيمة التدمريين . فانَّ اوريليانس بادر الى تغيير نقطة القتال فهجم على ارجلة زينب ومزَّقهم كلّ ممزَّق . وعند ذلك كرَّ زبَّاي راجعاً لينقذ اصحابهُ من المكروه الَّا ان الحظّ اسعد الرومان فاجتمعوا صفوفاً لاصقةً وحملوا على مقانب التدمريين فجرى حينئذٍ بين الطرفين من القتـل الذريع والذبح الهائل ما افضى الى تتمَّة نصرة الرومان . فنال زينب الذُّعر والهلع لمَّا شاهدت السهل مفروشاً بجثث انصارها فتركت حمص على جناح السرعة قاصدةً تدمر وهي مصمّمة ان تدافع عن حاضرتها مدافعـة الابطال (٢٧٢) وتبذل دونها النفس والنفيس (٢

ان نير الرومان يكون اثقـل عليهم من نير زينب لبَّوا الى طلبها فاخذوا ينـاوشون الرومان افراداً ودون نظام كعادة اهل الوبر في كل اين وآن

١) قال ڤوپيسكوس (ف٢٢) : انهُ وُجد في جملة العساكر الرومانية فئات من الدَّلماط واهل ميسية و پانونية ورتية والعراق والشام وفلسطين وفينيقية وغيرهم ولم يكن لهم من الاسلحة سوى عِصي وهراوى ضخمة (دبابيس) » . والظاهر ان المؤرخ يريد باهل الشام وفلسطين وفينيقية جماعة من الخوارج واللصوص الذين انتهزوا الفرصة للسلب والغنيمة فتحزبوا للرومان دون التدمريين

٢) ڤوپيسكوس : بروبس ٩

وبينما كانت تجتاب البراري دخل اوريليانس مدينة حمص فاستقبلهُ الاهالي استقبالاً فائقًا كأنّهم تبرَّموا بتدبير تلك السلطانة التي لم تألُ جهدها لترخي خِناقهم وتقطع رِبقة الرومان عن اعناقهم

وجرى في سائر انحاء سورية ما جرى في حمص . فان بروبس بعد ان اختطف البلاد المصرية لم يلبث ان استولى ايضًا على فلسطين وفينيقية دون صعوبة ولا مقاومة من قِبَل الاهلين . وقبض اوريليانس على جميع الاموال والنفائس والاسلحة التي تركها التدمريُّون في حمص وبالخصوص على تلك العَجَلة البهيّة التي اعدَّتها زينب لاولادها يوم يتسنَّى لها ان تدخل بهم ظافرةً رومة عاصمة الدنيا . ثم صار يقدّم فروض عبادتهِ الباطلة الى الحجارة السوداء وينسب اليها ظفرهُ ويشكرها على صنيعها ثم وعد ببناء هيكل عظيم للشمس عند رجوعهِ الى عاصمتهِ . واجمعَ المؤرّخون القولَ بان القيصر فَتَن بهذه المظاهر الوثنية قلوب من كانوا عبَدةً للاصنام بين اهل حمص(١

ومع ذلك لم يُطِل اوريليانس الاقامة في تلك المدينة . فكاني بهِ لم يحسب نفسهُ في الهناء والرومانَ في الأمن والسلام والآلهةَ في رضًى ما دامت زينب متحصّنة في حاضرتها . فازدحف الى تدمر يريد فتحها باسرع مدّةً . قال المؤرخ مومسن الشهير : « ان السفر الى تدمر كان للرومان اصعبَ من مقاتلة زينب » يعني بهِ ان اجتياز جيوش القيصر بادية الشام في فصلٍ تلظَّى وَهجُ حرارتهِ بين قبائل العرب المتلصِّصة كان من الامور التى تقتضي بأسًا وثبوت جنان . فلما وصلوا بازاء تدمر وقد اضنكهم التعب ولفحتهم الشمس فتفرّسوا في قلاع تلك المدينة الحصينة واسوارها وأبراجها نالهم برؤيتها الدهش والحيرة فعرفوا انَّها اعزّ من الأبلق العقوق . وكانت زينب بعد هزيمتها زادت المدينة حصانةً فنصبت المجانيق فوق الاسوار وهيأت جميع الآلات المعدَّة لرمي الزاريق ورشق السهام النارية النفطية . فباشر الرومان حصار تدمر بالغين بالجدّ . واول ما سعوا وراءهُ تقويض الاسوار بالحفر وفتح اللغوم من تحتها الّا ان ارض هذه الانحاء كانت سهلة التفتّت فاوشك الصنّاع ان يهلكوا تحت ردمها وذهبت مساعيهم ادراج الرياح

وفي اثناء ذلك لم ينفك التدمريون يقذفون الاحجار ويرشقون السهام وانواع الرجوم

١) ڤو پيسكوس : (اوريليانس) ٢٥ وزوزيموس ١ : ٠ وغيرها

فيتلفون الاعداء دون ان يلحقهم منهم ادنى مضرّة. وعلى ذلك كتب اوريليانس الى مجلس الشيوخ: «... قد يستضحك مني بعض الناس على محاربتي لامرأةٍ ... فاعلموا ان زينب اذا قاتلت كانت أرجلَ من الرجال ...» (١. فلمّا راى القيصر ان لا فائدة من الاحتياط بالمدينة وان جنوده يهلكون باطلًا واحدًا بعد آخر فكّر في وجه استعطاف خاطر زينب ودعائها الى تسليم حاضرتها لهُ. فبعث اليها برسالة قال فيها ما تعريبهُ:

« من القيصر اوريليانس ملك العالَم الروماني وسلطان المشرق الى زينب واصحابها سلامٌ:

« قد وجب عليكِ ان تفعلي من تلقاء نفسكِ ما ادعوكِ اليهِ بهذه الرسالة. وهو ان تخضعي للرومان وتستسلمي لي. فعلى هذا الشرط ليس الّا تنالين سلامتكِ وتستحقين عفوكِ. فان فعلتِ يسمح لكِ مجمع الشيوخِ الاعلى ان تعيشي انتِ وعيالكِ في مدينة يعينونها لكِ. فسلّمي اذن لبيت مالنا كلّ ما لديكِ من الجواهر والذهب والفضّة والنسج والخيول والجمال. وانا اتعهّد لكِ انّي سأحفظ للتدمريين جميع حقوقهم »

فاجابت زينب: « من زينب سلطانة المشرق الى اوريليانس اغسطوس:

« انَّ ما التمستهُ مني بكتابكَ لم يتجاسر احدٌ قبلك ان يطلبه مني برسالةٍ. أفنسيتَ ان الغلبة بالشجاعة لا بتسويد الصفحات. انك تريد ان استسلم لك. أفتجهل ان كليوبترة قد آثرت الموت على حياة سبقها عار الدَّبرة (٢. فها اني منتظرةٌ عضد الفرس والارمن والعرب لفلّ شباتك وكسر شوكتك. وان كان لصوص الشام قد تغلّبوا عليك وهم منفردون فماذا يكون حالك اذا اجتمعت بجلفائي على مقاتلتك. فلا شكّ انك تذلُّ وتخنع لي فتجرّد نفسكَ عن كبريائها التيَ حملتك على طلب المحال كانك مظفّر منصور في كل اين وآن » (٣ (النهاية في العدد القادم)

---

١) ڤوپيسكوس: ٢٧

٢) لعلَّ شهرة هذه الرسالة وما ذُكِرَ فيها عن موت كليوپترة هو الذي حمل العرب وغيرهم من المؤرخين على قولهم بان زينب في آخر امرها ابتلعت سمًّا كالملكة التي كانت تفتخر بنسبتها اليها

٣) ڤوپيسكوس: اور يليانس ٢٦و ٢٧

كتاب النبات والشجر للاصمعيّ

سعى بنشره الدكتور اوغست هَفْنر

(تابع لما سبق)

[فصل الشجر]

(وَمِنَ ٱلشَّجَرِ) ٱلْعِضَاهُ وَهُوَ كُلُّ شَوْكٍ يَعْظُمُ[١] . وَمِنْ أَعْرَفِ ذٰلِكَ: ٱلطَّلْحُ[٢] ، وَٱلسَّلَمُ[٣] ، وَٱلسَّيَالُ[٤] ، وَٱلْعُرْفُطُ[٥] ، وَٱلشَّبَهُ[٦] ، وَٱلسَّمُرُ[٧] ، وَٱلْكَنَهْبَلُ[٨] ، وَشَكِيرُ ٱلْعِضَاهِ[٩] مَا بَدَا وَرَقُهُ صِغَارًا قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ وَهٰذَا شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ

(وَمِنْ شَجَرِ ٱلْحِجَازِ) ٱلْغَرْقَدُ[١٠] ، وَٱلسِّدْرُ[١١] ، فَمَا كَانَ بَرِّيًّا فَهُوَ ضَالٌ ،

١) يريد انَّ العضاه يُطلق على كل شجرٍ طويل ذي شوك .

٢) قيل ان الطَّلح اعظم العضاه شوكاً لهُ عود صلبٌ وصمغٌ جيّد وشوكهُ احجن طويل منبتهُ في بطون نجد . قال الليث : الطَّلْح شجر مرّ غيلان (Lc., Mimosa Gummifera)

٣) قال ابو حنيفة هو نوع من العِضاه لهُ قضبان طوال وليس لهُ خشب وان عظُم ولهُ شوك دقاق طوال ولهُ بَرَمَة صفراء فيها حبَّة خضراء طيّبة الريح

٤) السَّيَال شجر سَبْط الاغصان لهُ شوك ابيض طويل اذا نزِع خرج منهُ مثل لبن (B., Acacia Seyal Boiss.; L., P., Acacia tortilis)

٥) العُرْفط نوع من العضاه يفترش على الارض لهُ شوكة حديدةٌ ولحاء ويصطنَع من لحائهِ هذا ارشية وهو من المراعي الخبيثة ٦) الشَّبَه والشَّبهان نبات شائك لهُ ورق لطيف احمر

٧) وصفهُ صاحب اللسان بانَّهُ من العضاه وانهُ صغير الورق قصير الشوك جيّد الخشب ولهُ بَرَمَة يأكلها الناس (L. B. Juncus spinosus ; Lc., Mimosa unguis cati)

٨) الكَنَهْبَلُ صنف من الطَّلح قصير الشوك

٩) الشَّكير جمعُهُ شُكُر ما ينبت في اصل الشجر وقيل هو لحاء الشجر

١٠) هو ضربٌ من العضاه قيل انَّهُ العَوْسجة اذا طالت (P., Nihraria L; Lc., Lycium)

١١) السِدْر شجر النبق وهو نوعان منهُ العِبْريّ وهو الذي ينبت على عِبْر النهر ويعظم ولا شوك لهُ ومنهُ الضال وهو السِدْر البرّي ذو الشوك وللسِدْر ورقة مدوَّرة عريضة (L. B., Zizyphus, Spina Christi Wild.: Rhamnus nabeca Forsk., cfr. E. ; Lc., Zizyphus Lotus, (ضال) Rhamnus divaricatus)

وَمَا كَانَ يَنْبُتُ فِي ٱلْأَنْهَارِ فَهُوَ عِبْرِيٌّ ، وَٱلْعَوْسَجُ[١] شَجَرَةُ ٱلْمُصْعِ[٢] . ٱلْوَاحِدَةُ مُصْعَةٌ ، وَٱللَّصَفُ[٣] ٱلْوَاحِدَةُ لَصَفَةٌ وَهُوَ ٱلْكَبَرُ ، وَهُوَ ٱلشَّفَلَّحُ[٤] إِذَا تَفَتَّحَ وَهُوَ ثَمَرُ ٱلْكَبَرِ

(وَمِمَّا يَنْبُتُ فِي جِبَالِ نَجْدٍ) ٱلثَّغَامُ[٥] ، وَٱلْحُمَّاضُ[٦] قَالَ ٱلْجَعْدِيُّ :

فَجَرَى مِنْ مَنْخِرَيْهِ زَبَدٌ مِثْلَ مَا أَثْمَرَ حُمَّاضُ ٱلْجَبَلْ

(قَالَ لَهُ ثَمَرٌ أَبْيَضُ فِي حُمْرَةٍ شَبَّهَ بِهِ ٱلزَّبَدَ مَعَ ٱلدَّمِ) ، وَٱلْبَشَامُ[٧] ، وَٱلْبُطْمُ[٨] وَهُوَ ٱلْحَبَّةُ ٱلْخَضْرَاءُ ، وَٱلشِّرْشِرُ[٩] ، وَٱلْقَتَادُ[١٠] ، وَٱلْحَرْشَفُ[١١] نَبْتٌ خَشِنٌ لَهُ شَوْكٌ ، وَٱلْعِكْرِشُ[١٢] يَنْبُتُ فِي ٱلسِّبَاخِ ،

---

١) العوسج من صغار شجر الشوك لهُ ثمر الحر يقال لهُ المقنّع . لهُ قضبان قصار وورقٌ صغير . وهو ضروب B., L., Lycium europæum L., Lycium arabicum Schweinf. cfr; E. ; Lc., Rhamnus Diosc.)

٢) المُصع ثمرة العَوسج التي تؤكل (Lc., Mespilus cotoneaster)

٣) قيل انَّ اللَّصف هناةٌ رطبة تنبت في اصل شجر الكَبَر كانَّها خيار تؤكل ولها عصارة تجعل في الطعام . وقيل انهُ هو الكَبَر وهو نبات من العضاه لهُ شوك B., L., P., Capparis spinosa Ægyptia B ; P., Sinapis juncea L ; Lc., Câprier)

٤) قال ابن شميل هو ثمر شبه القثّاء يكون على الكَبَر (Lc., Câpre)

٥) جاء في اللسان : انَّهُ نبتٌ على شكل الحليّ وهو اغلظ منهُ واجلُّ عودًا يكون في الجبل ينبتُ اخضر ثمَّ يبيضّ اذا يبس ينبت في نجد وتهامة   ٦) مرَّت ص ٦٤٥

٧) البَشام شجر ذو ساقٍ وأفنانٍ وورقٍ صغار طيِّب الريح يُدَقُّ ورقهُ ويخلط بالحنَّاء للتسويد (L., Balsamus ; Lc., Amyris)

٨) شجر معروف (B., L., Pistacia Palæstina ; Lc., Térébinthe)

٩) عُرِّف في كتب اللغة بانهُ نوعٌ من البقول ليس الَّا

١٠) قال في اللسان : هو شجر شاكٍ صلب لهُ سِنَفَةٌ وجناة كجناة السَّمُر ينبت بنَجْد وتهامة (Lc., Astragale)

١١) الحَرْشف نبت عريض الورق معروف عند الفرنج باسم (Artichaut)

١٢) نبات كالحَرشف في اطراف ورقهِ شوك وقيل انه يشبه الثيّل الَّا انَّهُ اشدّ خشونةً منهُ ينبت في نزوز الارض (B., Festuca cæspitosa L)

وَٱلْعَلَجَانُ[١] ٱلْوَاحِدَةُ عَلَجَانَةٌ ، وَيُقَالُ رَاحَ ٱلشَّجَرُ يَرَاحُ [وَتَرَوَّحَ] اِذَا تَفَطَّرَ بِٱلنَّبْتِ قَبْلَ ٱلشِّتَاءِ . وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ ٱلْوَرْدِ (طويل) :

لَعَلَّكُمُ اَنْ تَصْلُحُوا بَعْدَ مَا اَرَى نَبَاتَ ٱلْعِضَاهِ ٱلْمُورِقِ ٱلْمُتَرَوِّحِ[٢]

فَاِذَا اُلْبِسَ خُضْرَةً وَرَقُهُ قِيلَ تَمَشَّرَ ٱلشَّجَرُ تَمَشُّرًا . وَامْشَرَتِ ٱلْعِضَاهُ اِذَا ظَهَرَ وَرَقُهَا . وَٱلْوَرَقُ ٱلْمَشْرَةُ . (وَيُقَالُ تَمَشَّرَ ٱلرَّجُلُ اِذَا اَكْتَسَى بَعْدَ عُرْيٍ مِنَ ٱلثِّيَابِ) ، وَيُقَالُ خَضَبَتِ ٱلْاَرْضُ خُضُوبًا اِذَا ظَهَرَ نَبْتُهَا عَنْ مَطَرٍ ، وَحَنَطَ ٱلطَّلْحُ [وَاحْنَطَ] اَدْرَكَ ثَمَرُهُ . قَالَ ٱلرَّاجِزُ :

عَبَيْثَرَانٌ[٣] وَيَبِيسٌ قَدْ حَنَطْ

(وَيُرْوَى : « عَبَوْثَرَانٌ » قَالَ اَبُو حَاتِمٍ : وَاَنْشَدَنِي مَعْمَرٌ :

كَاَنَّنِي جَانِي عَبَيْثَرَانُ

(وَقَالَ اَبُو حَاتِمٍ : ٱلنَّاسُ يَقُولُونَ « عَبَوْثِرَانُ » بِكَسْرِ ٱلثَّاءِ وَهُوَ خَطَأٌ) ، وَامْصَعَ ٱلرِّمْثُ اِذَا يَبِسَ وَبَدَتْ فِي ثَمَرِهِ خُضْرَةٌ وَصُفْرَةٌ ، وَيُقَالُ نَضَحَ ٱلشَّجَرُ يَنْضَحُ نَضْحًا اِذَا تَفَطَّرَ لِلتَّوْرِيقِ . قَالَ اَبُو طَالِبٍ [بْنُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ] (خفيف) :

بُورِكَ ٱلْمَيِّتُ ٱلْغَرِيبُ كَمَا بُو رِكَ نَضْحُ ٱلرُّمَّانِ وَٱلزَّيْتُونِ

وَٱلرَّبْلُ[٤] وَجِمَاعُهُ ٱلرُّبُولُ . وَهِيَ ضُرُوبٌ مِنَ ٱلنَّبَاتِ يَظْهَرُ فِيهِ خُضْرَةٌ اِذَا وُجِدَ رِيحُ ٱلشِّتَاءِ وَاَدْبَرَ عَنْهُ ٱلصَّيْفُ مِنْ غَيْرِ مَطَرٍ ، وَٱلْخِلْفَةُ ٱلنَّبَاتُ

١) ويقال العَلَج ايضاً وهو نبت وقيل شجر مُظْلم الخضرة لا ورق لهُ وانمَّا هو قضبان جُرد

٢) ويروى : الثائب المتروّح . يقول لعلَّ حالكم تحسن كما يحسن منظر العضاه بعد يُبسهِ

٣) العَبَوثَران والعَبَيثَران نبات طيّب للاكل لهُ قضبان دقاق وهو ذَفِر الريح طيّبهُ (Lc., Armoise)

٤) الرَّبل ضروب من الشجر يتفطّر ورقُها اذا ادبر الصَّيف وبرد الزمان

يُعقِبُ ورقًا اخضر بعد ورق. قالَ ذُو الرُّمَّةِ (طويل):

مُكُورًا ونَدرًا مِنْ رُخَامَى وَخِلفَةٍ وَمَا اهْتَزَّ مِنْ ثُدَّائِهِ المُتَرَبِّلُ (١

وَمِنَ النَّبَاتِ الرِّبَّةُ (٢ وَالجَمعُ الرِّبَبُ وهُوَ نَبْتٌ تَدُومُ خُضْرَتُهُ ، وَمِنْهُ الحُلَّبُ (٣ ، وَالحِمحِمُ (٤ ، وَالثُّرْمَانُ (٥ ، وَالحُمَّاضُ (٦ ، وَالنُّقْدُ (٧ ، وَالتَّنُّومُ (٨ ، وَالغَمِيرُ أنْ يَيْبَسَ البَقْلُ ثُمَّ يُصِيبُهُ المَطَرُ فَيَنْبُتُ تَحْتَهُ بَقْلٌ أخضَرُ فَذَلِكَ الأخْضَرُ هُوَ الغَمِيرُ قالَ زُهَيرٌ (طويل):

ثَلاثٌ كَأقْوَاسِ السَّرَاءِ وَنَاشِطٌ قَدِ اخضَرَّ مِن يُبْسِ الغَمِيرِ جَحَافِلُه (٩

(وَيُرْوَى: مِنْ لَسٍّ. قالَ: اللَّسُّ أخذُ الرَّاعِيَةِ بِاللِّسَانِ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ النَّبَاتِ)، وَالنَّشْرُ أنْ يَيْبَسَ البَقْلُ ثُمَّ يُصِيبُهُ المَطَرُ فَيَخْضَرُّ بَعْدَ اليُبْسِ فإذا أكَلَتْهُ المَاشِيَةُ أصابَهَا عَنْهُ دَاءٌ يُقَالُ لَهُ السُّهَامُ ، وَاللَّوِيُّ مِنَ البَقْلِ الَّذِي قَدْ يَبِسَ بَعْضَ اليُبْسِ وَفِيهِ نَدَاوَةٌ وَيَكُونُ أيضًا بَعْضُهُ أخضَرَ. يُقَالُ: ألوَى البَقْلُ الوَاءً شَدِيدًا [وَلَوِيَ لَوًى] وَالتُّوتُ الأرضُ. قالَ حُمَيْدٌ (رجز):

---

١) اي رَعَى مُكُورًا. ومكور جمع مَكر وهو نبات مرَّ ذكرهُ (ص ٨٧٥). والنَّدر القليل كالنَّزْر. والرُّخامى ضرب من الخِلفَة مرَّ ذكرها (ص ٨٧٨) ويروى: رُخَامى وِخطْرَةٍ. والثُّدَّاء مرَّ ذكرهُ (ص ٨٧٦)

٢) وقيل انَّ الرِّبَّةَ كلُّ ما اخضرَّ في القيظ او دامت خضرتهُ شتاءً وصيفًا من جميع ضروب النبات وقيل انها شجرة الخرنوب ٣) الحُلَّب مرَّ (ص ٨٧٥)

٤) الحِمْحِم. قال ابو حنيفة: الحِمْحِم والخِمْخِم واحد (راجع ص٦٤٤)

٥) قال في اللسان: الثرمان نبات اخضر في أرومةٍ يُبيدهُ الشتاء ولا خشَب لهُ انما هو مرعى ٦) مرَّ ذكر الحمَّاض (ص ٦٤٥)

٧) النَّقَد والنُّقد وُصف في كتب اللغة بانَّهُ ضربٌ من الشجر دون تعيين

٨) مرَّ وصف التَّنُّوم بين ذُكور النبت ٩) يصف ثلاث أُتُن شبَّههنَّ لضُمْرهنَّ باقواسٍ اتُّخذت من السَّرَاء وهو شجر القسيّ. والناشط الحمار. ويروى: ومِسْحَلٌ. يقول انَّ هذا الحمار في خصب يرعى ما اخضرَّ من النبات وخضرتهُ في جحافلِهِ وهي شفاههُ

حَتَّى إِذَا تَجَلَّتِ ٱللَّوِيَا (١

(قَالَ ابُو بَكْرٍ: تَجلَّبُ. وَٱلتَّجَلُّبُ طَلَبُ ٱلْكَلَإِ)، وَٱلخَلى (مَقْصُورٌ) وَهُوَ ٱلنَّبْتُ ٱلرَّقِيقُ كُلُّهُ مَا دَامَ رَطْبًا، فَاذَا يَبِسَ فَهُوَ حَشِيشٌ. وَلَا يُقَالُ حَشِيشٌ إِلَّا لِلْيَابِسِ، وَمَا كَانَ مِنْ وَرَقٍ لَيْسَ بِعَرِيضٍ إِنَّمَا هُوَ خُوصَةٌ فَهُوَهَدَبٌ وَهُوَ وَرَقُ ٱلْأَرْطَى(٢ وَٱلْأَثْلِ(٣ وَٱلْغَضَا(٤ وَٱلطَّرْفَاءِ(٥ وَٱلْأَثَابِ(٦ وَٱلْآءِ(٧ ٱلْوَاحِدَةُ آءَةٌ. قَالَ زُهَيْرٌ (وافر):

لَهُ بِٱلسِّيِّ تَنُّومٌ وَآءٌ (٨ (ستأتي البقية)

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

وفي ايام ناصر الدين (٩ في اوائل محرَّم سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٦م) كان فتوح

---

١) يذكر اتانًا تطلب المرعى. تجلّاهُ تبيَّنهُ ٢) مرَّ ذكر الارطى

٣) الأَثل شجرٌ كالطرفاء الّا انهُ اعظم منها واجود عودًا تُتّخذ منهُ الأَقداح الصُفْر الجياد والقصاع والجفان ورقهُ هَدَبٌ طوال دقاق ولا شوك لهُ وثمرتهُ حمراء: L., Tamarix articulata ; Lc., Tamarin)

٤) مرَّ ذكر الغضا

٥) قال ابو حنيفة: الطرفاء من العضاه وهُدبهُ مثل هدب الأَثل وليس لهُ خشب وانما يخرج عصيًا سَمْحةً في السماء وقد تتحمَّض بها الابل اذا لم تجد حمضًا غيره ;L., B..Tamarix L., Tamarix articulata ; Lc., Tamarix Μυρίκη)

٦) الاثاب شجر ينبت في بطون الاودية بالبادية وهو وارف الظلّ

٧) لم نجد للآء وصفًا سوى انهُ من الشجر وقيل انَّ الآء ثمر السَّرح

٨) يصف زهير ظليمًا راتعًا في ارضٍ وبها نباتًا التنُّوم والآء

٩) جاء في الحاشية ما نصُّهُ: وفي سنة اثنتي عشرة (كذا) وسبعمائة نزع عن ناصر الدين الحسين واقاربهِ درك ما بين انطلياس وبيروت واستقرَّ دركهم ميناء الحصن وميناء الرميلة. وقد وجدتُ محضرًا كُتب بهذه الكائنة من مضمونهِ ان شواني الفرنج الجارية في بحر المالح حضروا الى ميناء الدامور ليلة الاربعاء خامس جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعمائة فرأوا نارًا لاحت لهم من جهة القرية فتبعوها وكان بالقرية شمس الدين عبدالله واخوه فخر الدين عبد الحميد ولدا

كسروان(١ فقصد الجبل ومعهُ أقاربهُ وجمعهُ. فقُتل منهم الامير نجم الدين محمَّد واخوهُ شهاب الدين احمد ولدا الامير جمال الدين حجي في نهار الخميس خامس شهر محرَّم المذكور بقرية نيبَيْه من كسروان وقُتل معهم من اهل الغرب ثلاثة وعشرون نفرًا. وكانت وقعة نيبيه المذكورة وقعةً رديئة لانَّ اهل كسروان تجمَّعوا وقاتلوا بها وكان هناك مغارة اجتمعوا فيها بعد القتال. وذُكِر ان عدد اهل كسروان بلغ اربعة آلاف راجل فهلك منهم بالسيف خلقٌ كثير والذين سلموا منهم تفرَّقوا في جزِّين وبلادها وفي البقـاع وبلاد بعلبك. ومنحت الدولة لبعضهم الامان. وحصل لناصر الدين انكارٌ من الدولة لانَّ البعض بلَّغوا السلطان عنهُ انَّهُ تعرَّض الى من أُعطي الامان من الكسروانيين في مرورهم على بلد بيروت. وكان الذين نقلوا هذا الخبر الى الدولة نقلوهُ كذبًا وافتراء. وكُتِبت في ذلك محاضر رأيتُ بعضها

وهذه اسماء النوَّاب الذين اجتمعوا على كسروان: الجماليّ اقوش الافرم نائب الشام والسيفي اسنَدْمر نائب طرابلس والشمسي سنقرجاه المنصوري نائب صفـد (٢. وذُكِر انَّ النوَّاب (47r) المذكورين جلسوا على بساط في يوم من ايَّام حرب كسروان ومع كلٍّ من نائبيْ طرابلس وصفد خنجر. وكان ناصر الدين واقفًا عندهم مشدود الوسط بمنطقة وخنجر فاستلَّ النائبان خنجريهما على طريق اللعب والمجون وجعلا يمزحان مع نائب الشام اقوش ويضحكان منهُ لكونهِ بدون خنجر. فهمَّ ناصر الدين ان يعطي لنائب الشام خنجرهُ فمنعهُ من ذلك الاحترام وخشي التجرّي على مثل ذلك لكنهُ ندم بعدئذٍ على تقصيرهِ لانَّ الامر كان في محلّهِ. ثمَّ رجع ناصر الدين الى المكان الذي كان نازلًا بهِ فما كاد يصل اليهِ حتى ارسل نائب الشام يطلب منهُ خنجرهُ فاعطاهُ ايَّاهُ بعد فوات محلّهِ

وفي ايَّام ناصر الدين في عيد الاضحى سنة اربع وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٣) حضرت

جمال الدين ومعهم جماعة يشتغلون بالزراعة في الدامور وهم نيام مطمئنُّون الى اليزك المرتَّب على ميناء الدامور يتولاهُ بنو العدس وبنو السوبَزانيّ فاوقع الفرنج فيهم واخذوا اسرى كلَّ من قدروا عليهِ ومن لم يقدروا عليهِ اجتهدوا في قتلهِ. فكان من عدد المقتولين فخر الدين عبد الحميد ومن المأسورين شمس الدين عبد الله اخوهُ. وتاريخ هذا المحضر في ثاني وعشرين جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعمائة وكتب الطاهر (؟) انَّ هذا المحضر كُتب شهادة على إهمال بني العدس وبني السَوْبزانيّ ليزكهم وتتبُّعًا فيما فرَّطوا بهِ والله اعلم

١) مرَّ ذكر هذه الواقعة في الصفحة ٢٧٥ ٢) مرَّ ذكرهم سابقًا (ص ٢٧٥)

شواني للفرنج الجنويين الى بيروت قاصدين اخذ قَرْقون (١ لطائفة الكثيلان (٢ في ايّام ولاية عزّ الدين البَيْسري (٣ من قبل تنكز نائب الشام. وقصد المسلمون منع الجنويّة من اخذ القرقون فقاتلوهم قتالًا شديدًا لكنهم لم يقووا على منعهم. وقُتل جماعة من الجند والرجال وجُرح بعض الامراء بعرامون ودخل الجنويّة الميناء واخذوا الاعلام السلطانية من البرج وقُتل جماعة في البرّ وانهزم المسلمون فقاتلهم الجنويّة في الازقّة. ويُذكر انّ القتال استمرّ بينهم يومين (٤. ثم طُلب امراء الغرب وتركمانُ كسروان الى دمشق فحصل لهم هناك اهانة واذيّة ما خلا ناصر الدين فانّهُ أُخرج عنهُ لانهُ كان مصادقًا لامير يقال لهُ صاروجا (٥ فارسل (47[٧]) صاروجا زوجتَهُ الى حريم تنكز ليتكلَّمنَ في ناصر الدين ففعلنَ. وكان لتنكز ولدٌ ارسلتهُ امهُ اليهِ ولقَّنتهُ ما يقول فتلطَّف الولد بالامر فنجحت القضيّة ولم يُسجن ناصر الدين بالقلعة الّا ايّامًا قلائل فقال (٦:

قالوا حُبِسْتَ فقلتُ ليسَ بضائري   حبسي وايُّ مُهنَّدٍ لا يُغمَدُ
او ما رأيتَ الليثَ يألف غِيلهُ   كبرًا واوباشُ السباع تَرَوَّدُ (٧
والنار في احجارها مخبوءةٌ   لا تُصطلى اِنْ لم تُثِرْها الأَزْنُدُ
والحبس اذ لم تغشَهُ لجريمةٍ   شنعاء نعم المنزل المتورَّدُ
بيتٌ يُجدِّد للكريم كرامةً   فيزار وهو لا يزورُ ويُحمَدُ

وصاروجا كان منسوبًا الى تنكز وبعد حبس تنكز بمدّةٍ قليلة أُمسك صاروجا واحتاطوا على حواصلهِ وسجنوهُ في القلعة ثم اطلقوهُ سنة احدى واربعين وسبعمائة

١) نظنُ انَّ القرقون كالقَرْقور وهي السفينة الطويلة معرَّب عن اليونانيَّة κέρκουρος
٢) الكثيلان (Catalans) قوم من فرنج الاندلس كانوا محالفين المسلمين
٣) لم نجد لعزّ الدين البيسري ذكرًا في غير هذا التاريخ
٤) ورد ذكر هذه الواقعة في كتاب اخبار الاعيان (ص ٢٣٥)
٥) جاء في حاشية الكتاب: «وبعد اخذ مركب الكثيلان وحركة الجنويَّة الزم نائبُ الشام ناصرَ الدين واقاربَهُ بان يقيموا في بيروت مدَّةً طويلة فاتخذوا فيها حارة الميناء على جانب البحر وابطلوا الكنيسة التي كانوا ينزلونها اوّلًا كما ذكرنا». وصاروجا هذا اصلهُ من دمشق ورُوي اسمهُ بالسين «ساروجا». ولعلَّهُ هو الذي ذكرهُ ابن اياس في بدائع الزهور (١: ١٦٦) في تاريخ سنة ٧٣٢ ﻫ وقال انَّهُ كان نقيب الجيوش وانَّهُ صاحب الجامع الذي عند بركة الرطلي
٦) هذه الابيات قالها عليّ بن جهم الشاعر المشهور لمَّا امر الخليفة المتوكّل بحبسهِ (راجع مجاني الادب ٣: ١٥٣)
٧) ويروى: تَصيدُ

(١٣٤٠ م). وكانت اعبَيْه من جملة اقطاع ساروجا. وحُكي عنهُ انَّهُ عرض على ناصر الدين ان ينزل عن اعبيه الى بيت مال المسلمين فيشتريها ناصر الدين ملكاً من بيت مال المسلمين وانهُ يقرضهُ في ثمنها الف دينار. فلم يوافقهُ ناصر الدين على ذلك. فقال صاروجا: انتَ قد صار لك في اعبَيْه عمائر كثيرة وهي لا تصلح الّا لك فاشترِها. فقال: انّ اقاربي لهم املاك باعبيه فان اشتريتها يطمعون بي وما يعطوني خراج املاكهم واكون قد تكلّفتُ ثمنها بلا فائدة. ولناصر الدين مديح في صاروجا (48r):

اذا رُمتَ من مرّ الحوادث تفريجا ... فلُذْ بالمقرّ الاشرف القَيْل صاروجا(١

هو الصارمُ المشهورُ في قمم العدى ... وبحرُ الندى في السلم والموت والهَيجا

حمى بيضة الاسلام في يوم شَقْحبٍ(٢ ... فكم نهر ماء من دما المُغل ممزوجا

وكم يوم حربٍ قد جلاهُ وكم لهُ ... ايادٍ بفَيض الجود كالغيث مثجوجا

فلا عَدِمَتْهُ دولة ناصريّةٌ ... لها عَلَماً (٣ بالعدل والنصر منسوجا

ولا زال محروس الجناب وبابُهُ ... محطُّ رِحال الحَمْد بالمدح مَحجوجا

(ستأتي البقيّة)

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

الفصل الخامس

من مرسيلية الى نيويرك

فلمّا انتهى المهاجرون الى المحطّة أُدخلوا عشرةً عشرةً في مركبات الطبقة الثالثة وأُجلسوا على مقاعد من خشب. ولو كان فاضل في حالة غير حالته لاندهش من وفرة المركبات والقواطر العظيمة التي يتدفّق منها الدخان اكثر من اتون مضطرم ومسيرها بتلك السرعة الغريبة لانهُ لم يكن رأى قطُّ عجلات كهذه تباري الريح باجنحة من نار الّا ان النكبات التي اصابتهُ جعلت قلبهُ منقبضاً وغير مستعدّ لشيء من ذلك فكان من ثمَّ يلتفت باحتراس ذات اليمين وذات الشمال وهو متخوّف من كل الناس وقابض بيدهِ على الدراهم القليلة التي كانت قد بقيت في جيوبه بعد أن سُلبت منهُ منطقتهُ

---

١) ذكر ابن سباط هذه الابيات في تاريخهِ . وهو يروي : من اثر الحوادث

٢) رواية ابن سباط : حمى جحفل الاسلام في يوم شَحْقب   ٣) في الاصل : جا علمٌ

ثم انَّهُ اعتكر الظلام في تلك الليلة ونفخت الريح الشمالية وقرس الزمهرير فاختار كل واحد من ركَّاب الدرجة الثالثة محلاً وجلس فيهِ بعد ان وضع الى جانبهِ امتعتهُ وأطمارهُ ثم غطَّى وجههُ بمنـديل (فوطة) بالٍ ورقد رغمًا عن شدّة البرد. وكان بعد مدة أن صفرت القاطرة صفيرًا مزعجًا فنبّهت المهاجرين من سباتهم فتبادلوا بعض كليمات ثم استأنفوا الرقاد بينما كان القطار يسير بهم في بلاد يجهلونها وأرض ليس لهم اقلّ إلمام بها. ولما تنفَّس الصباح وانتهوا الى سهول كمارغ (Camargue) اشتـدَّ هبوب الريح الشمالية اشتداداً قويًا فكانت تثير التراب وتتلاعب بهِ في الجوّ. فالتفّ فاضل بثيـابه وجلس مقفقفًا. وكانت الساعات تنقضي وهو كئيب حزين ولا شيء يسلّيهُ ويزيل ما استولى عليهِ من السآمة والضجر. واماً القطار فكان متابعًا سيرهُ الَّا انَّ سرعتهُ قد تراخت لانهُ كان يقف في كلّ قرية يمرّ عليها ولهذا سبقهُ القطار الباريسي الناقل الى نيس وموناكو عددًا عديدًا من الاغنياء وذوي الثروة لترويح النفس في ذينك المحلَّين. وكانت مقـاعد هذا القطار المخصَّص بركوب الاغنياء وثيرة ناعمة بخلاف القطار الذي ركب فيهِ فاضل ورفقاؤهُ فان مقاعدهُ كانت من خشب. على انَّهُ اذا كان الاغنياء يتنعَّمون بالمفروشات النـاعمة فان الفقراء ما زالوا اسعد منهم واحسن حالًا لانهم مع قلّة ذات يدهم خالون من الأوزار التي يتلطخ بها الاغنياء

وبعد ان صرف الركَّاب يومين وليلةً في القطار وقد سئموا من التسلّي بلعب الورق وتعبت جنوبهم من الجلوس على المقاعد الخشبيّة وصـل القطار اخيرًا الى بوردو فنزل المستخدمون وبايديهم المشاعل واخذوا يصرخون « بوردو بوردو ». فأفاق الركاب مندهشين وتطلّعوا في المحطّة فرأوا قناديلها الكهربائية ما زالت متَّقدةً. وكانت الساعة التاسعة وقتئذٍ غير ان المستخدمين ما زالوا يدورون ويصرخون بوردو بوردو حتى نزل الجميع مستصحبين ما لديهم من الامتعة وبعدَ ان مرُّوا ببطء أمام مأموري الجمرك أُدخلوا الى احد الفنادق الحقيرة حيث صرفوا بقية الليل

وفي اليوم التالي سيقوا الى رصيف البحر لانزالهم بهم في سفينة تنقلهم الى اميركة فشاهدوا حوضًا كبيرًا كان قد أُنشىء سنة ١٨٦٩ لاجل رسوّ السفن الكبيرة. ثم أُركبوا بعض القوارب التي أقلّتهم الى سفينة اسمها « مدينة بوردو » من شركة الترنستلنتيك

وكان ركوبهم السفينة في الساعة الثامنة صباحًا وموعد سفرها في الساعة السادسة

مساء . وبناء عليهِ اتَّسع الوقت لفاضل ان يُشبع نظره من مرأى السُّفن الكثيرة المحتشدة في الحوض ومشاهدة ما يحاذي الرصيف من الابنية العظيمة والمخازن الانيقة . وبينما هو متكئ على الدرابزين تذكَّر انهُ لم يبعث الى والدته برسالةٍ تريح افكارها من قبلهِ فتناول من جيبهِ قطعةً من قصب واخرج سكّيناً وأقبل يبريها ثم امسك ورقةً بشمالهِ وجعل يكتب فأخذ البحَّارة يحدقون النظر فيهِ متعجبين من كتابتهِ باداة من القصب لانهم لم يكونوا قد رأوا ذلك قبلًا

وبعد ان سرد بعض عباراتٍ ايضاحاً للحزن الذي اصابهُ بانفصالهِ عن والدته اخبرها بانهُ وصل اوَّلًا الى مرسيلية ومنها ذهب الى بوردو وسيذهب من بوردو الى اميركة وسألها ان تطمئن بالًا من نحوهِ فانَّ صحَّتهُ جيدة ولا ينقصهُ شيء سوى مشاهدتها . وختم الرسالة طالباً من الله حفظها وطول بقائها وملتمساً منها ان تبلغ سلامهُ الى كل سائل عنهُ . ثم انهُ كتب حاشية موعزًا اليها ان لا تصدّق ما يصل اليها من الاخبار الكاذبة عنهُ

ودقَّت وقتئذ ساعة السفر فوقَّع فاضل الرسالة بسرعة وختمها وكان قد أخبرها فيها عمَّا شاء وسكت عمَّا اراد كتمانهُ وقال في نفسهِ انَّهُ اذا بلغتها حكايتهُ في مرسيلية وما جرى لهُ فيها تجزم بلا ريب انَّ الحادثة وقعت لغيره ممن يُسمَّون باسمهِ . وعلى ذلك فان رسالتهُ تصل اليها في الوقت المناسب فتمزق عن افكارها غياهب الوهم ومتى عاد من سفرتهِ ناجحاً غانماً يثأر لنفسه من الذين استهزأوا بهِ وتهكموا عليهِ وهكذا يفهمهم انهُ ليس من السذاجة بالمكانة التي توهَّموها فيهِ

ثم انسابت السفينة بين ضفتي الجيروند (Gironde) حيث يبلغ اتّساع النهر سبعمائة مترٍ وما طالت المدّة حتى انتهت الى وسط البحر المحيط العجَّاج المتلاطم الامواج وما مخرت فيهِ برهةً حتى غابت الارض عن الابصار وما عاد يرى احد سوى سماء وماء وبعد مرور ثمانية أيام التفت الركاب عند شروق الشمس فشاهدوا المصايف والفنادق في « كونسي اسلاند » التي كانت وقتئذٍ مُقفرة بسبب فصل الشتاء مع انَّها كانت في ايَّام الصيف تموج موجاً بجماهير المتنزّهين والمستحمّين . ثم انَّ السفينة دخلت ميناء نيويرك التي تبلغ سعةُ مرفئها مئة كيلومتر وما كادت ترسو فيهِ حتى وفدت باخرة صغيرة فاقلّت المهاجرين سائرة بهم في قناة قليلة الماء الى محلّ يدعى « اليس اسلاند » حيث شُيّدت هناك سقائف اكبر واوسع من السقائف المبنيَّة في مرسيلية تسع نحو عشرة آلاف مهاجر

وسبب ذلك ان الغرباء الذين يغشون الولايات المتَّحدة كلَّ سنة لا يقلُّون عن ثمانمائة الف بمعدَّل الفي نسمة في كل اربع وعشرين ساعة. على ان هـذا السيل البشري المدفوع بالطمع المفرط في الذهب قد اغار على كلّ شيء من صناعة وزراعة وتجـارة فانَّ المهاجر الجديد يزحمهُ المهاجر الذي سبقهُ ويضغطهُ المهاجر الذي يتلوهُ وهكذا يشتدّ العراك للمحافظة على الحياة ويتعدّد الخواء ولكن لا يلبث السيل البشري ان يملأهُ وما من احد يفتكر بمن يسقط الَّا ليبتهج بان سقوط غيرهِ أدَّى الى اتّساع محلّهِ

امَّا الاميريكيون فينظرون باحتقار الى الفقراء الذين يذهبون اليهم ليحصّلوا رزقهم باعراق جباههم ومن جهة أُخرى يخشون ان يكثر الخلق في بلادهم الى حدّ ان تضيق وجوه المعاش بالسكَّان. الَّا انَّهم حتى الآن لم يتَّخذوا الوسائل الجازمة بمنع المهاجرة وقد اقتصروا على ان لا يقبلوا بينهم الَّا الاصحَّاء والاشدَّاء المالكين لمبلغ من المال يكفيهم الى ان يجدوا عملًا يقوم بمعيشتهم

ومن ثمَّ فمتى انتهت السفن الى موانيهم يعمدون الى تفقّد الركّاب لئلَّا يدخل اليهم من لا يريدونهُ. وعملًا بهذه القاعدة نزل المأمورون المعينون الى السفينة «مدينة بوردو» لاجل زيارتها فلمَّا شاهدهم فاضل اخذ يرتعش فرَقًا لاسيَّما لمَّا رأى انهم منعوا بعض رفقائهِ من النزول الى البرّ موجبين عليهم ان يعودوا على الباخرة التي نقلتهم الى حيث اتوا. وطفق يقول في نفسهِ اذا كانوا قد منعوا هؤلاء الرفاق الذين هم احسن مني حالًا فكيف استطيع ان أُفلت منهم

وبينما كان يفكر في هذا كان المأمورون المذكورون قد اوشكوا ان ينتهوا اليهِ فانقبض قلبهُ وخارت عزيمتهُ وكاد ان يسقط فلمَّا وصلوا اليهِ فحصوهُ من رأسهِ الى قدميـهِ وكانوا يقيّدون كلّ ما يتراءى لهم في سجلّ كبير. ثم سألوهُ عن اسمهِ فقال: اسمي فاضل. وعن جنسيّتهِ فقال: انني سوريّ. وعن صنعتهِ فسكت. فظنّ المأمور انَّهُ لم يفهم. فقال: اي شيء كنت تعمـل في سوريَّة قبل ركوبك البحر؟ فاجاب فاضل: كنت افلح التوت واربّي دود القزّ. فقال المأمور: أَلِمثل هـذا جئتَ الى اميركة والى اين تذهب الآن؟ فاجاب فاضل: الى سان فرنسيسكو

— واي شيء تريد ان تتعاطى في سان فرنسيسكو؟

— التجارة

— ألا تعلم انَّ من شاء ان يحصل الاموال في اميركة يجب عليهِ ان يكون عارفاً بشيء آخر غير تربية الدود وفلاحة التوت ؟

— اني انجح في التجارة

فقاطعهُ المأمور قائلاً: هب انك تنجح ولكن هل بيدك دراهم ؟

فتذمَّر فاضل من هذا السؤال قائلاً: امَّا الدراهم فكان معي منها مبلغ ولكن احد النشَّالين سلبنيها في مرسيلية. فقال المأمور بكل برودة وهدوء: اذاً تعود الى مرسيلية

فوقع هذا الكلام على فاضل وقوع السهم فانحنى على قدمي المأمور يتوسَّل ويبتهل فما اجداهُ التذلُّل فتيلاً. فلمَّا قطع الرجاء اخذ ينتف شعرهُ ويلطم خدَّهُ ولكن كلّ هذا ما كان ليرقق قلب الشرطيّ الاميركي عليهِ بل امر احد رفقائهِ فدفعهُ الى احدى زوايا السفينة حيث تجسَّم اليأسُ امام عينيهِ بصورة هائلة فلجأ الى السكوت بدلاً من الصياح واستند بيديهِ الى درابزين السفينة لانَّ رجليهِ ما كانتا تقويان على حملهِ. واخذ يتطلَّع بعين دامعةٍ في بسيط المياه الخضراء بينما كانت القوارب تذهب وتجيءُ لنقل البضائع والركاب. ولشدَّة الحزن لصق حنكاهُ احدهما بالآخر وتقلَّص وجههُ وبقي هناك حيران مبهوتاً دون ان ينطق ببنت شفة. وكان النجَّارة يجيئون ويذهبون ويصدمونهُ صدمات قويَّة وهو واقف في موضعهِ لا يبدي حراكاً. وكان متكئاً ايضاً على الدرابزين بعض رفاقهِ من السوريين الذين لم يؤذن لهم في الدخول الى الارض التي طالما تشوَّقوا اليها

امَّا السفينة «مدينة بوردو» فكانت مزمعةً ان تعود يوم السبت الى مرسيلية باولئك المساكين مرجعةً اياهم الى الموضع الذي سافروا منهُ حيث يكفّرون بالدموع والشقاء عن طمعهم المفرط في تحصيل الغنى. ولكن هل احد من اولئك المهاجرين كان يفتكر في هذه الامور؟ كلاَّ وانما كانوا يلعنون الشرطية الاميركيين واصفيهم بالظلم والقساوة وغلاظة القلب (ستأتي البقية)

شتى

زيارة ملوك هوهنزلرن للاراضي المقدسة

لا يخفى ان جلالة امبراطور المانية الذي شرَّف ديارنا في الاسبوع الماضي هو سليل

دولة الهوهنزُلَّرن ذات المجد الاثير والشرف العالي المنير ويرتقي اصل هذه السلالة الى القرن العاشر للميلاد (١. وقد تفرَّعت في اواخر القرن الثالث عشر الى فرعين فالفرع البكر لم يزل منهُ الى يومنا امراء ذوو رفعة وشأن وكلُّهم يدينون بالدين الكاثوليكي كاجدادهم. ومنهم كان اوَّل ملوك رومانية الامير شرل الاول دي هوهنزلرن الذي تبوَّأ سلطنة الرومان سنة ١٨٦٦. امَّا الفرع الثاني فمنهُ ملوك المانية في زماننا

وقد حجَّ الاراضي المقدَّسة قبل الامبراطور الحاليّ كثيرٌ من امراء واشراف هذه الدولة حتَّى انَّهُ طُبع في المانية كتابٌ مطوَّل في تاريخ زيارة هؤلاء الملوك للقدس الشريف نخصُّ منهم بالذكر الكنت فردريك دي هوهنزلرن الذي شخص الى المشرق نحو سنة ١٣٢٠ وقضى نحبهُ في غضون عودتهِ الى وطنهِ. ومنهم البُرغراف (الامير) ألبرخت المعروف بالجميل (Albrecht der Schoene) الذي قدم الى سوريَّة نحو سنة ١٣٤٠

وكان والد الامبراطور الحالي فردريك غليوم تبرَّك بزيارة القدس الشريف في سنة ١٨٦٩ وهو اذ ذاك وليّ العهد. وفي اثناء زيارتهِ هذه استلم باسم دولتهِ قطعة ارضٍ اهداه ايَّاها السلطان عبد العزيز خان موقعها بمقربة من القبر المقدس في موضع كان يُعرف بالمارستان لم يزل فيهِ اطلال دير قديم بناهُ فرسان القديس يوحنَّا. فصار اذ ذاك حفلة شائقة حضرها كلُّ نزلاء بيت المقدس من الالمان مع فرقة من البحَّارة البروسيانيين وعدد غفير من شرفاء الزوَّار الالمانيين

فمذ ذاك الحين نوت الدولة الالمانية ان تقيم ثمَّت كنيسةً بروتستانية. ولم يُنجز هذا العمل الَّا في هذه السنة فصار تدشين المعبد في ٣١ تشرين الاوَّل كما رواهُ البشير في اعداده الاخيرة. وهذا البناء ذو ثلاثة قناطر طولهُ اربعون مترًا وعرضهُ ٢٣. اما قبة اجراسهِ فلم تنتهِ بعد وسيبلغ ارتفاعها ٤٥ مترًا وقد رسم صورة هندستها الامبراطور بنفسهِ واختارت الامبراطورة آياتٍ من الاسفار المقدَّسة لتُرسم على جرسها الاكبر ه. ل

اكتشاف ناووس فينيقي في فرنسة

انَّ الآثار الفينيقية المكتشفة في سواحل اليونان وابطالية وفرنسة واسبانية في هذا

١) ومن هذه العائلة كان القديس مَينْرَد السائح الناسك المتوفى في القرن العاشر (راجع السنكسار الروماني في ٢١ ك٢)

العصر كانت شاهدًا بيّنًا على نشاط الفينيقيين وتجشمهم الاسفار البعيدة في سبيل التجارة .
فمن جملة هذه الآثار الكتابة الفينيقيَّة التي وُجدت في مرسيلية منذ بضعة اعوام فصار لاكتشافها شأن عظيم بين العلماء . وقد ذكرنا في بعض اعدادنا الماضية (ص ٥٧١) انّ مدينة موناكو احدى مستعمرات الفينيقيين . الّا ان المستشرقين كانوا يظنون ان نطاق نفوذ اهل فينيقية لم يتجاوز سواحل كلّ بلد لكنّ في هذه السنة بينما كان عملة مدينة اڤينيون يحفرون في بعض شوارع بلدتهم التي موقعها بعيد عن ساحل البحر وقفوا على ناووس قديم كُتب على احد جوانبهِ بالفينيقية انّ هذا الناووس ضريح اميرة اسمها لَبِقة .
فجاء هذا الاكتشاف دليلًا ساطعًا على توغُّل الفينيقيين في وسط البلاد الاوربية فضلًا عن سواحلها

اكتشاف عاديَّات في اثينة

كان المؤرخ اليوناني پوسانياس في اواخر القرن الثاني للمسيح وصف في جملة آثار اثينة تمثالاً للمشتري الاولمي نقشهُ المصوّر الشهير فيدياس وكان هذا التمثال من الذهب والعاج يُعَدّ من طرائف الاعمال وعجائب الزمان . اخنى عليهِ الدهر فتلف وكان لهذه الدمية ركنٌ يماثلها حسنًا واحكامًا . فقد اسعد الحظّ جمعية العاديَّات الالمانية في اثينة ان تكتشف هذا الركن مؤخرًا

وقد اطّلعت ايضًا هذه الجمعية على اثر آخر اجلّ واشرف ألا وهي كنيسة مسيحية يرتقي عهدها الى اوائل النصرانيّة وهي على شكل ديماميس رومة كان يجتمع فيها قدماء النصارى لاقامة فرائض الدين في زمن الاضطهادات والمحن . فيثبت هذا الاكتشاف ما ورد في كتاب اعمال الرسل عن انتشار الدين النصرانيّ في عاصمة اليونان

تقدُّم الجراحة

لا يزال فنّ الجراحة في تقدّم دائم فقد اجرى بعض الجرّاحين عمليَّات غاية في الدقّة والخطر افضت الى نجاح تامّ بشفاء من كان مبتلىً بالعاهات والاسقام . ومن جملة ما بلغ الجرّاحون من شفائهِ داء الكُزاز (Tétanos) وكان يُعد من الادواء التي لا ينجع فيها دواء . فهم يفتحون الآن قحف راس المصاب بهِ فيعالجونهُ بمصل اكتُشِف حديثًا يضادّ للكزاز يدعونهُ المصل المُنْفَذ في الجمجمة (sérum intracranien)

التلفون المتكلم

قد اختبر احد عمَّال البوستة الفرنسيَّة اسمهُ جرمان (Germain) آلة تليفونيَّة غايتها نقل الصوت من مسافة بعيـدة فجاء اختبارهُ محققًا لآمالهِ وقد دعا آلتهُ هذه « التليفون المتكلِم » وهي لا تختلف عن التليفون العادي سوى ان الصوت ينتهي من التليفون الى انبوب مخروط الشكل فيخرج منهُ صريحًا جليًا بحيث يسمعهُ السامعون . فبالحقيقة انَّ في الطبيعة كنوزًا مدفونة لم يُكشف منها بعدُ الَّا النزر القليل لكن ذلك يكفي ليضرم في قلوب البشر حبًا نحو ربّ الطبيعة الذي اودع المخلوقات كلَّ هذه القوى العجيبة

البناء بالالومينيوم

يعرف القرَّاء انَّ الالومينيوم معدن ابيض ضارب الى الزرقة يُستخرج من الاراضي الخزَفيَّة واشهر خواصّهِ خفَّتهُ الغريبة فلذلك يُتَّخذ لتجهيز كلّ الآلات التي تقتضي متانةً وخفَّة كالآلات الرصدية . وفي هذه السنة قـد انجز اهلُ مدينة شيكاغو بناء بيتٍ مرتفع شيَّدوهُ بالالومينيوم . وجدران البناء كلُّها ايضًا من المعدن نفسهِ وهي صفحات رقيقة لا يتجاوز سمكها نصف السنتيمتر

نجمٌ مذنَّب

قد اكتشف مناظر المرصد الفلكيّ في مدينة كيل نجمًا مذنَّبًا رصدهُ في البرج المعروف بالتنّين الذي موقعهُ بجوار القطب الشمالي وهو كوكبٌ بهيُّ النور مستدير الشكل يمكن رصدهُ طول الليل

احصاء سكَّان البرازيل

يؤخذ من الاحصاء الاخير الذي قامت بهِ دولة البرازيل انَّ عدد سكَّان هذه البلاد الواسعة يبلغ ١٤,٣٣٣,٩١٥ نفسًا منهم ١٤,١٧٩,٦١٥ كاثوليكيًا و ١٤٣,٦٨٣ بروتستانيًا من شيَع مختلفة و ٣٠٠ مسلمًا والباقي لا يعترفون بدين او هم من الماديّين

حلّ اللغز الرياضي الوارد في العدد الاخير (ص ١٠٠٧)

حلَّهُ واحسن حضرة الخوري جبرائيل رزق مرهج احد اساتذة مدرسة عين طورة قال : يمكنّا ان نفترض العـدد المطلوب مقسومًا الى قسمين الاول مجهول معبر عنه بحرف ك والثاني ‾‾‾‾٠٠٠٠٠ وعليهِ فيمكننا ان نستنتج من اصول المسألة هذه المعادلة من الدرجة الاولى :

$$\frac{٤ + ١٠ ك}{ك + ٤٠٠٠٠٠} = \frac{٢}{٣}$$

واذا اتممنا العمليات المشار اليها في هذه المعادلة بعد الجبر ونقل المجهول الى جهة واحدة يكون لنا: ك = ٢٨٥٧١ ومن ذلك لنا العدد المطلوب اي ٤٢٨٥٧١ كما لا يخفى والامتحان هين

اسئلة واجوبة

س وسأل الاديب د. ز.: ١ً هل الخطّ العبرانيّ هو اقدم الخطوط: ٢ً من هو كاتب اوَّل تاريخ الكون والامم وكيف توصَّل الى معرفة اخبار الازمنة السابقة لعهده بعد مضيّ سنين عديدة عليها

الخطّ العبرانيّ

ج ليس الخط العبرانيّ اقدم الخطوط وقد سبقتهُ خطوط اخرى كثيرة كالمصري والمسماريّ والفينيقيّ (راجع ص ٨١٥)

اقدم تاريخ العالم

انَّ اقدم تاريخ نعرفهُ الآن انَّما هو تاريخ موسى الكليم الوارد في اسفاره الخمسة المعروفة. امَّا موادُّه فقد جمعها اوَّلًا من تقاليد الآباء الاوَّلين. ثانيًا من تواريخ الامم التي عاشرها كالمصريّين وغيرهم. ثالثًا عن كتابات قديمة كخطوط الاشوريّين وقد بلغ اليهِ قسمٌ منها بواسطة ابرهيم وذرّيّتهِ لمَّا قدم من بلاد نينوى. رابعًا بدرسهِ الخاصّ اذ كان مخرَّجًا بكلّ علوم المصريّين. خامسًا واخيرًا بوحي خصوصي منهُ تعالى لما لم يتوصَّل اليهِ بمعرفتهِ الخاصَّة. هذا وقد عصمهُ الله عزّ وجلّ في كلّ ما كتب عن الاغلاط والضلال

سألنا جناب ف. ط. احد أُدباء بيروت: ١ً هل ظهر عند اليعاقبة علماء يستحقُّون الذكر بعد ابن العبري: ٢ً من ايّ سنة لم يقم مفريان عند اليعاقبة وما هو اسم آخر مفارينهم: ٣ً كيف وصل المذهب اليعقوبيّ من نصارى ملبار وفي ايّ سنة: ٤ً في اي سنة رخَّص الحبر الاعظم لنصارى ملبار ان يُنصَب عليهم اساقفة من جنسهم بدلًا عن الاساقفة اللاتين

١ علماء اليعاقبة بعد ابن العبري

ج ختمنا آخر مقالتنا في ترجمة ابن العبري واعماله بقولنا انَّ بعد ابن العبري لم يقم بين اليعاقبة كاتبٌ يُذكر. وقد افتى بمثل هذا الحكم العلاَّمة المستشرق الانكليزي رَيْت في تأليفه عن كتبة السريان فقال «انَّ منار الآداب انطفأ في الكنيسة اليعقوبية بوفاة امامهم ابن العبري» ولكنَّ هذا مما قيل على وجه الاجمال ولا ننكر انهُ صار بعد ذلك لبعض الافراد من شيعة اليعاقبة شهرةٌ بين ابناء جلدتهم كدانيال بن الخطَّاب الماردِيني الذي توفي بعد ابن العبري بقليل واختصر قسمًا من كتبهِ بتعريبها ولهُ كتاب الاصول في اخص حقائق الدين. ومنهم نوح البطريرك اليعقوبي المتوفَّى في اوائل القرن السادس عشر لهُ قصائد في مواضيع شتَّى نظمها بالسريانية وهي الى اليوم محفوظة في المكتبة الواتيكانيَّة ولهُ ايضًا ميامر وخطب عربيَّة. وفي خزانة كتب مكتبتنا كتاب كرشوني حسن اسمهُ مركبة الاسرار العقلية من تأليف المفريان باسيليوس شمعون الطوارنيّ الَّفهُ سنة ٢٠٤٠ لليونان (١٧٢٩م) وجدناهُ في جزيرة بني عمر ووجدنا ايضًا كتبًا اخرى حديثة عند بعض اليعاقبة غير انَّها لا تستحق الذكر. وكذلك في خزانتي كتب الواتيكان ولندرة كتب اخرى ليس لها اهميَّة راجع ايضًا في الكنز الثمين للاب ج. قرداحي اسماء بعض شعراء يعاقبة محدثين (ص ١١٣ و ١٣٠)


٢ المفارين عند اليعاقبة

لا نظنّ انَّ اليعاقبة كفُّوا الى يومنا هذا عن اقامة المفارين وهي رتبة عرَّفناها في اثناء ترجمة ابن العبري. وقد ذكرنا هناك انَّ البطريرك الجليل انطون السمحيري قبل ان يجاهر بالدين الكاثوليكي كان مفريانًا على اليعاقبة. وخلفهُ في رتبتهِ سنة ١٨٢٩ المطران باسيل ابليا (راجع التاريخ الكنسيّ لابن العبري ٣: ٥٦٦). امَّا المفريان الحالي فلا نعرف اسمهُ

٣ و ٤ دخول اليعاقبة في ملبار

دخل اليعاقبة في ملبار سنة ١٦٦٥ وكان اوَّل من دخل تلك البلاد مطران القدس اليعقوبي المدعو غريغوريوس انتهز لذلك فرصة الشقاق الذي كان انتشر وقتئذٍ بين النساطرة والكاثوليك الخاضعين لاساقفة لاتين من المرسلين اليسوعيين فدخل الهند وتسمَّى بمار توما الاوَّل وخلفهُ بعدهُ اساقفة من شيعتهِ لم يزالوا يفرغوا وسعهم في استمالة الشعب الى طقسهم حتى لم يبقَ للنسطورية اثر في تلك البلاد. امَّا ترخيص البابوات لنصارى الهند ان ينصبوا عليهم اساقفة من جنسهم فلم يجرِ قبل هذه السنين الاخيرة ل. ش

قائمة للآثار الجوية من ٢٠ تشرين الاول الى ٤ تشرين الثاني ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزفال اليسوعي

(التتمة)

فلمّا قرأ اوريليانس جواب زينب على ألوكتِهِ أرغى وأزبد ثمَّ اقسم امام قوّادهِ أن لا بُدّ لي من قمع طغيان هذه المرأة. فامر بمواصلة الحصار واكثر من تحميس جنودهِ حتى اغراهم ببذل نفسهم وحبَّب اليهم الموت ولا الرجوع على الاعقاب. الَّا ان اصحاب زينب لم يبالوا بمساعيهم وباتوا وراء حصونهم المتينة آمنين وكثيرًا ما كانوا يشرفون على ابراجهم الشاهقة ليستفزُّوا الاعداء تارةً بالشتائم وتارةً بقذف الرجوم. وممَّا زادهم ثقةً بنفسهم وثباتًا انَّ القيصر عينَهُ أُصيب بسهم عائر كاد يجرّعهُ حَسَوات المنون. فطأمن ذلك من نخوة الرومان واورثهم الفشل. فحاول اوريليانس ثانيةً التلطُّف بسلطانة تدمر فكتب اليها كما فعل سابقًا فلم يُجدِ ذلك نفعًا لأنَّ زينب ردَّت على طلبتهِ قائلةً: لا تسوّم نفسك المُحال فاني لم اخسر من جيشي الَّا انفارًا قليلين وهم جميعهم من ملّتك (١

على انَّ الله جلّ جلالهُ كان قد قدَّر على تدمر ان تسقط يومًا. فبينما كان الرومان يموتون خوًى وعطشًا في تلك البراري القاحلة والرمال الماحلة اذ حان ميقات نصرتهم على التدمريين. كان اوريليانس قد وجَّه الى جميع المدن المجاورة لتدمر حتى الى انحاء لبنان رسلًا يطلبون لهُ المؤونة والمِيَر اللازمة. فاجاب السوريُّون الى دعاء الرسل وكان حقّهم ان يبادروا الى معاضدة مَنْ حلَّت اياديها عليهم. فنقلوا الى عساكر اوريليانس اسباب العيش

(١) راجع .Maï : *Script. Vet. nov. coll.*, II قد مرّ انّ بعض الكتائب الرومانية كانت في عُهْدة ملوك تدمر (ص: ٨٢٦) فتحزَّب قسم منها لزينبٍ مدة حروبها مع اوريليانس

الوفيرة (١ . فصار ذلك علّةً لانتعاش شجاعة الرومان وانحطاط قوى التدمريين . ولسوء حظّ زينب أهملها حلفاؤها من الفرس والارمن والعرب فلم يمدُّوا اليها يد المساعدة . ولعلّ سبب ذلك ما قالهُ بعض المؤرّخين انّ القيصر ردَّ قسماً من هؤلاء الشعوب واستمال القسم الآخر بالالطاف لاسيما قوّاسة الفرس لقلّة مهارة الرومان في استخدام القسيّ . فلمّا رأت زينب ذلك علمت ان قد فات كلُّ امل فاجتمعت بقوّادها تشاورهم لآخر مرّة . ثمّ تسلّلت في بعض الليالي من عاصمتها فامتطت ناقةً واتّجهت نحو الفرات لتستنجد ملك الفرس (٢ ولم تبرح تركض راحلتَها مدّة ليلةٍ ونهار حتى انتهت الى جوار مكانٍ يُعرف اليوم بالدير وهو على ضفّة الفرات قريب من زلبية . وكانت قد ترجّلت عن مطيّتها اذ لاحظت وراءها هبوةً سطعت فحدّقت اليها واذا بفرسانٍ ليسوا من اصحابها فعرفت انهم من الاعداء . فهتفت بصاحب زورقٍ كان هناك تأمرهُ بان يعبر بها النهر . فما اقتربت السفينة وحلّتْ فيها رجل الملكة حتى ادركها الفرسان وانقضّوا عليها وجذبوها الى البرّ ظافرين بغنيمتهم . ثم ركّبوها ناقتها وقفلوا مسرعين الى تدمر وامتثلوا بين ايدي القيصر يقدّمون لهُ سلطانة المشرق مأسورةً

فلمّا رآها اوريليانس اقبل اليها يصيح بصوت عالٍ : صرتِ في قبضتنا يا زينب أفلستِ انتِ التي ادّتْ بكِ الجسارة الى ان تستصغري شأن قيصرٍ روماني » . فاجابت : « نعم اني اقرُّ لك الآن بكونك قيصرًا وقد تغلّبتَ عليَّ . وامّا غاليانس وأوريولس وغيرهما فلستُ انظمهم قطّ في سلك القياصرة . وانمّا بارَتني ڤيكتورية في السلطنة والعزّ فلولا بُعد الاوطان لعرضتُ عليها ان تشاركني في المُلك » . فاثّرت حذاقة زينب في قلب ذلك الجندي الفظّ الطباع وارضاهُ هذا الجواب المملّق . فمنحها الامان رغماً عن جَلَبة قوّادهِ وجنودهِ الذين كانوا يلحّون عليهِ طالبين قتلها . لكن زينب المسكينة بقيت في ايدي عدوّها

١) ڤوپيسكوس : الموضع المذكور ٣١

٢) ولعلَّ زينب خرجت من عاصمتها باحدى القني او السراديب العديدة التي تُرى بقاياها الى اليوم تحت اسوار تدمر وقلاعها . (راجع برنُڤيل : ص ٩٩ وجِبْسُني ٢ : ٤٢٩) . وعلى ذلك رواية مؤرخي العرب التي اوردناها في افتتاح مقالتنا . وامّا ما قالهُ جِبْسون المؤرّخ الانكليزي (في تاريخ لهُ في هبوط المُلك الروماني) بان زينب بردت همّتُها عند ظهور الخطر وانها التجأت الى الفرار حينما اجتمعت جيوش پروبس بعساكر اوريليانس فكلُّ ذلك اقوال لا سَنَد لها الّا في مخيّلة المؤلف

مأسورة . فاضمحلّت سلطتها وكُسفت شمس مجدهـا وذهبت من يدها اموالها وتحوّل كل ذلك الى حسرة وتأسف ومرارة

وعندئذٍ فشل التدمريون وقنطوا من امرهم ففتحوا للقيصر ابواب مدينتهم الجليلة يلتمسون منهُ الامان (في بدء السنة ٢٧٣)

١٩

وبعد ان اعطى اوريليانس اهل تدمر الامان قبض على جميع كنوز زينب واستصفى اموالها . ثم رجع الى حمص يقود الاسرى للبحث عن امرهم وابراز حكمهِ فيهم . قال زوزيموس : « فاستحضر القيصر سلطانة تدمر واشياعها فلمَّا مثلت بين يديهِ جعلت تعتذر اليهِ وتتنصَّل وتدافع عن نفسها مدافعة الداهية حتى قرَّفت كثيرين من اصحابها بانهم اضلّوها بسوء نصائحهم وورّطوها في الغرور . وكان من جملة الذين وشتْ بهم عند القيصر لنجينوس . . . . فحكم عليهِ القيصر من ساعتهِ بالموت بعد ان مثَّل بهِ . فكابد لنجينوس العقاب بشجاعة وصبر جميل حتى انَّهُ عند وفاتهِ كان يعزّي اصدقاءهُ واقاربَهُ . وكذلك نَكَّل بكل من تجرَّمت زينب عليهم » (١

هذا ما زعم زوزيموس . على ان في الامر لنظرًا . لعمري كيف يقبل العقل انّ زينب التي طالما جالست ذلك العالم الشهير تستنصحهُ وتشاورهُ في اغمض اسرار سياستها تغيَّرت عمَّا كانت عليهِ من المودَّة والاكرام حتى تجنَّت عليه ورمتـهُ في لَهوات الموت . وقد روى فوپيسكوس المؤرّخ انّ لنجينوس قُتـل مع جميع الذين حملوا التدمريين على محاربة الرومان . فان سلَّمنا بصحة هذا القول لا نرى من حاجةٍ ان ننسب الى زينب عدم الوفاء لأنصارها وحميم اصدقائها ونحن نعرف ما طُبع عليهِ اوريليانس من خُشنة الطباع وفظاظـة الاخلاق وقلَّة اكتراثهِ للعلم والادب . ولا جرم انَّ ما زادهُ حنقًا على مؤلّف كتاب الايغال الشهير ظنَّهُ بانَّهُ هو الذي املى على زينب الرسالة الاولى التي اوردناها آنفًا (٢

---

١) زوزيموس ١ . وسويداس بردي مثل رواية زوزيموس

٢) قد وهم اوريليانس بظنّهِ هذا لانهُ من المقرَّر (فوپيسكوس ٢٧) ان محرّر تلك الرسالة انما هو نيكوماخوس (راجع ص ٩٢٢) لا لُنجينوس . وقد ترجمها الى اليونانيَّة بعد ان صنَّفتها زينب باللغة الآراميّة . وفي هذا دليل آخر على ان زينب لم تَسْعَ بجليسها . وزعم المسيو رَيْت (ص١٦٢) ان اوريليانس امر بقتل لنجينوس لانهُ اتَّخذ اسم كاسيوس قاتل يوليوس قيصر او اسم افيديوس كاسيوس الذي خرج سنة ١٧٢ على القيصر مركوس اوريليوس فعد ذلك اهانةً لشأن

واماً زينب فلم يحكم عليها اوريليانس بالموت فرارًا من ملامة تلحقهُ اذا امر بقتل امرأة او بالاحرى بغيةً منهُ ان يجلو سلطانة المشرق الى رومة ليعاينها الرومان ويزيد بذلك حفلة دخولهِ للعاصمة رونقًا وابّهة (١. وعليهِ فانهُ كتب الى مجمع الشيوخ يعلمهم بابقائهِ على زينب جزاء لما ابدت سابقًا من الخدم للدولة الرومانية ومدافعتها عن الاقطار الشرقية قاطبة (٢. فغادرت زينب مع عيالها تلك البلاد العزيزة التي ارتقت باعتنائها الى اوج العمران والتقدم وسارت بصحبة الاسرى التدمريين تتعقَّب القيصر الروماني الى عاصمتهِ بطريق آسية الصغرى

وكانّي بتدمر قد قُضي عليها ان تسقط بسقوط سلطانتها. فان اوريليانس كان قد عبر البسفور حيث أغرق عدَّة من اصحاب زينب وشرع يحارب بعض البرابرة في انحاء تراقية اذ اتاهُ نبأ خروج التدمريين. وذلك انّ القيصر عند مغادرتهِ للاقاليم الشرقية كان قد ولَّى على تدمر احد ضبَّاطهِ يقال لهُ سوداريون وعيَّن لهُ ٦٠٠ جندي لحراسة المدينة. فاستقلَّ التدمريُّون عددهم واستثقلوا وطأتهم وحاولوا الاستبداد. ثم ارسلوا بعد ذلك بعدّة وجيزة الى مركلّينوس والي الشام يعرضون عليهِ المُلك. فتظاهر مركلّينوس بالاجابة الى دعائهم لكنهُ وجَّه سرًّا الى القيصر رسولًا يخبرهُ بدسائس التدمريين. ثمَّ لم يزل يماطلهم بالوعد حتى أيسوا من قبولهِ فاختاروا لهم ملكًا آخر من قرابة زينب اسمهُ انطيوخوس (٣. على ان هذا الرجل كان صفرًا من الصفات الملكية والقوّة السياسية فاظهر من الغفلة والخرق ما ادّى برعيتهِ الى التهلكة. وفي اثناء ذلك بلغ اوريليانس خبر عصيان التدمريين فترك البرابرة وشأنهم وقفل راجعًا الى الشام على جناح السرعة وكاد ينتهي الى سوريَّة قبل ان يشعر التدمريُّون بقدومهِ. فزحف الى مدينتهم وفجئ انطيوخوسَ واصحابهُ وافتتح تدمر عنوةً (٢٧٣) واعمل في اهلها السيف اياماً متوالية حتى كلّت ايدي جنوده من القتل والذبح. ثم امر فبُعثرت الابنية وقوّضت الهياكل ودُكّت الاسوار وهُدمت القلاع. فاصبحت تلك المدينة البهيّة قاعًا صفصفًا ضرب عليها الخراب اطنابهُ وانعق الدهرُ فيها غرابهُ

القياصرة. الّا اننا لا نرى في ذلك برهانًا كافيًا

١) فوبيسكوس ٢) تريبيليوس *Trig. Tyr.* 29

٣) راجع فوبيسكوس (سيرة اوريليانس ٣١) وزوزيموس ١ : ٦٠ و ٦١ و W : n° 2629 و Mommsen : V. p. 441

وبعد ان تشفّى اوريليانس من غيظهِ واثّأر من اعدائهِ تقدّم الى جيوشهِ بالرجوع الى رومة للقيام بعيد انتصارهِ (١ . الَّا انَّ الاحوال اضطرَّتهُ قبل ذلك الى مقاومة تتريقوس والخوارج في غالّية . فلمَّا فرغ من قمعهم عاد الى ايطالية مظفَّرًا منصورًا . فاحتُفِل بدخولهِ الى رومة احتفالًا لم يسبقهُ من مثيل . قال المؤرّخون انَّهُ كان يتقدّم موكبهُ عشرون فيلًا وعدّة وحوش داجنة من بلاد مصر وفلسطين تتعقّبها انمارٌ وزرافات وايائل ثم يليها ١٦٠٠ مُصارع وعددٌ غفير ممّن اتوا الى القيصر من بلاد شتَّى ليهنئوهُ بالظفر كالجرمان والعرب والفرس حتى اهل الهند والصين (٢ . وكانت تجري وراء تلك الجوقة اربع عجلات سلطانية الاولى عجلة أُذينة زوج زينب وهي مزيَّنة بالذهب والجواهر . والثانية العجلة التي اهداها هرمز بن شابور الى القيصر تذكارًا لفتحهِ تدمر . والثالثة عجلة زينب التي اعدّتها لتدخل فوقها عاصمة الرومان . لكن ملكة تدمر المسكينة لم تكن على عجلتها بل كانت تسير وراء العجلة الرابعة التي تقلّ القيصر الظافر . وبصحبتها احد ابنائها (وقيل كلاهما) وبعض رعاياها وتتريقوس الخارجي . وكانت ابصار الجموع الكثيفة المحتشدة لرؤية هذا التطواف المذهل متفرّسةً في ملكة تدمر دون غيرها . وهي تجري وسط الموكب راسفةً ومزيَّنة بكل الاحجار الكريمة التي كانت تتحلّى بها فيما مضى من حياتها وفي عنقها طَوق من الذهب المُصمَت وفي يديها اسوار ثمينة فناءت هذه الحليّ بزينب وأثقلتها حتى انَّها اضطُرَّت مرارًا الى ان تتوقَّف عن المسير وتستروح الهواء . ولمَّا لمح احد الحضور وكان عِلجًا فارسيًّا يُضحك الناس انَّها كادت تسقط فيُغشى عليها ساعدها في حَمل الحلقة الذهبية التي طُوّقت بها (٣

ولمَّا تمّ هذا الاحتفال الفاخر عيّن اوريليانس لملكة تدمر مصيفًا جميلًا في تيبور بالقرب من مصيف ادريانس . وعُرف هذا المكان بمصيف زينب في القرون التابعة . ولكن هيهات ان تكون هذه المنازه لترضي السلطانة المعزولة وهي تستذكر الاوطان وتلك العاصمة التي افرغت جلّ مجهودها لتكسوها فخرًا وتلك الجموع والجحافل التي طالما قادتها الى

١) وروى بعض المؤرخين الاقدمين ان المصريين خرجوا ايضًا في تلك الاثناء وملّكوا عليهم فيرموس صديق زينب فبادر اوريليانس الى قهرهم قبل رجوعه الى اوربة . ففجئ الخوارج بغتةً واباد شملهم وقبض على ملكهم ومثّل به (راجع زوزيموس وڤوبيسكوس وغيرهما و Mommsen : V. p. 441)

٢) (راجع رينو J. A. 1863[1], p. 388) . وكان في جملة العرب بعض الاسارى من بني سليح الذين تحزّبوا لزينب حين محاربتها للرومان

٣) راجع شامپاني ص ٢-١٣١

الحروب والغزوات. فليت شعري كيف انخسف نور ذلك النجم الساطع. وانطفأ ضوء ذلك الكوكب اللامع. الذي اشرق على المشرق وبهر حتى اهل المغرب ? وحياة الحقّ لجاز لنا ان نهتف مع اشعيا النبي (٤٧ : ٥) : « اقعدي صامتةً وادخلي في الظلام يا بنت الكلدانيين فانكِ لا تُدعَين سيّدة الممالك من بعدُ »

فاعتزلت زينب مع عائلتها في مصيف تيبور وعاشت فيهِ دهرًا طويلًا منقطعة الى تهذيب اولادها (١ . قال قدماء المؤرّخين انها زوَّجت بناتها باعيانٍ من الرومان (٢ وانَّ ذرّيتها استمرّت حتى القرن الرابع للمسيح (٣ . واضاف بعضهم ان القديس زينوبيوس اسقف مدينة فلورنسة ومعاصر القديس امبروسيوس كان من نسلها ايضًا (٤

وهنا مسألة : هل ماتت زينب مسيحية ? نجيب انَّ ذلك امر دافع عن صحّتهِ الكردينال بارونيوس المؤرّخ الكنسي الشهير واثبتهُ بادلّة (٥ لا يسمح لنا ضيق المكان ان نسردها هنا. وجلّ ما نحبّ ان يلاحظهُ القارئ اللبيب ان قولنا السابق عن نصرانية ملكة تدمر يؤيد هذا الرأي تأييدًا قويًا

٢٠

وامّا تدمر فعبث بها الدهر كسلطانتها العزيزة. فبعد ان هدمها اوريليانس بقيت الى عهد ديوكليتيانس قرية صغيرة (φρούριον) استخدمها الرومان لردّ غزوات اهل الوبر (٦ .

---

١) زعم بعض الرواة (منهم دوبل ص : ١٧٣) ان زينب حِرصًا في البقاء والاطمئنان تظاهرت بالاجابة الى التماس بعض الشيوخ الخوارج الذين عرضوا عليها ان يملكوها على الرومان بعد عزلهم لاوريليانس وانَّها وشت بهم الى القيصر فاذاقهم مرَّ النكال. على اننا كنّا نودّ ان يسند هؤلاء الكَتَبة زعمهم الى رواية مؤرّخ قديم

٢) راجع تريبيليوس *Trig. Tyr.* 20 وزوناراس ١٢ : ٢٧ . وامّا ابنا زينب فقال بعضهم انّهما ماتا في اثناء الاحتفال بنصرة اوريليانس . وروى تريبيليوس بعكس ذلك انّ تيم الله ترعرع وصار بعدئذٍ خطيبًا لاتينيًا مصقعًا . والله اعلم

٣) راجع تريبيليوس (*Trig. Tyr.*, 20) والقديس ايرويموس في تاريخ مشاهير الرجال واوترويوس (Brev. IX, 13)

٤) راجع بارونيوس التواريخ الكنسيَّة سنة ٢٧٤ . وتِلّمون : تاريخ القياصرة ٣ : ٥٣٣ والقديس پروسپر في مجموع مين ٥١ : ٥٧١

٥) (راجع Terzi : *Siria Sacra* (1695) : p. 129)

٦) (راجع Steph. Byzan. s. v. وريكندورف Z D M G : 1888, p. 391

ويُخبر عن ديوكليتيانس قيصر انهُ سعى وراء ترميها فابتنى فيها بعض الابنيــة (١. وتتبَّع ايضًا هناك النصارى واضطهدهم كما فعل في سائر الاقاليم. ففي نفس السنة التي انتصر قسطنطين على العالم الوثني (٣١١) فاز باكليل الاستشهاد كل من القديسات ليبية واختها لاونيدة واوتروپية وهي ابنة اثنتي عشرة سنةً من اشرف عيال تدمر (٢

وفي ايام تاودوسيوس الصغير (٤٠٨—٤٥٠) عُيِّن لحراسة تدمر فرقة من الجند. وكانت قبل ذلك بقليل قد عُدَّت مقاطعةً تابعة لولاية فينيقية لبنان التي كان مركزها مدينة حمص. وذكر لوكيان في الشرق المسيحيّ بعض الاساقفة الذين ساسوا كنيسة تدمر منهم مارينوس الذي حضر المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ ويوحنَّا الاوَّل (٤٥٧) ويوحنـا الثـاني الذي اشتهر في عهد انستاس القيصر (٤٩١—٥١٨). ونفي على عهد خلفهِ يوسطينوس لمدافعتهِ عن المجمع الخلقيدوني وقولهِ بطبيعتين في المسيح (سنة ٥١٨)

ولمَّا تبوَّأ يوسطينيانس تخت السلطنة سنة ٥٢٧ عهد الى بعض وزرائهِ ان يُعيد تدمر الى ما كانت عليهِ من العزّ والبهاء. وامدَّهُ لذلك بالاموال الطائلة. فباشر الوزير هـذا العمل الجليل بنشاط عظيم وجدَّد بناء الاخربة وشيّد ابنية اخرى وجمع مياه الانهار والجداول التي كانت تغور في الرمال باطلًا واحدق المدينـة باسوار لم يطمس الدهرُ آثارَها حتى يومنا (٣

وكان ملوك غسَّان قد احتلُّوا بقعة تدمر فاختار بعضهم تلك المدينة كمنزل جعل فيهِ سكناهُ (٤. ولم تزل تدمر على تلك الحال الى ان فتحها المسلمون سنة ٦٣٤. قال

١) راجع (Mordtmann : *Neue Beiträge z. G. Palmyre*. p. 80)

٢) لوكيان المشرق المسيحي ٢ : ٨٤٥ وترزي الكتاب المذكور ص : ١٢٩ والبولنديُّون في اعمال القديسة فِبرونية. ومن غريب الامر ان مؤلفين كالمسيو مرتان (ص : ٨١ في كتابهِ الآنف الذكر) وموروني Moroni *art.* Palmira يستنتجون من خبر استشهاد تلك القديسات الثـلاث ان النصرانيَّة لم تظهر في تدمر الَّا في القرن الرابع

٣) راجع (Procop. : *Ædific.* II, 11 و Lebeau : *Hist. du Bas-Emp.*, IX, p. 45 وملالا ٢ : ١٥٢ وثيوفان : ٢٦٧ . وعلى راي نولديك (ZDMG : 1885 p. 336) اذا حفرت ارض تدمر ربما وُجدت فيها من كتاباتٍ عديدة تنبئنا بما نجهلهُ من اخبار ذلك الزمان

٤) راجع نولديك : *Die Gassânischen Fürsten*, *p.* 14,47 و Duchesne : *Eglises séparées*, p. 338 - 40

اليعقوبي في تاريخهِ (طبعة ليدن ٢ : ١٥١) : « مرَّ خالد (بن وليد) بتدمر فتحصَّن اهلُها فاحاط بهم ففتحوا لهُ وصالحهم ثم مضى الى حوران » . ولم تزل تدمر منذ الفتح الاسلامي تنتقل من دولة الى اخرى حتى ايَّامنا هذه (١

وفي السنة ١٠٨٩ طرأ عليها زَلزال هائل نسف عدَّة ابنية نسفًا . وقد مرَّ بنا ان الرباني بنيامين التودلي زار تدمر في القرن الثاني عشر فوجد فيها مستعمرة يهودية كبيرة . وتبعهُ اليها كثير من مشاهير العلماء والزوَّار لاسيما من العرب نخصّ منهم بالذكر المتنبّي واليعقوبيّ والمُقدّسي وياقوت وابن بطوطة وابو الفداء . وكان املنا ان نجد في تآليفهم ما يزيدنا معرفة باحوال تدمر وتواريخها فما وقفنا فيها على غير اقاصيص وحكايات لا طائل تحتها

ولمَّا استولى السلطان سليم الاوَّل على بلاد الشام في اوائـل القرن السادس عشر للمسيح لم يرَ في تدمر الَّا بعض الاكواخ بجانب الاخربة العتيقة

وفي اواسط القرن السابع عشر زارها اولًا احد ادباء فرنسة اسمهُ كرنجر (Granger) وقد اعتنى منذ اشهر العلاَّمة الاب شابو بنشر اخبار سفرهِ (٢ . ثم وليـهُ بعض تجَّار من الانكليز القاطنين في حلب (سنة ١٦٧٨) فهجم عليهم اهل البادية وردُّوهم خائبين . لكنَّهم ثبتوا على عزمهم فرحلوا ثانيةً الى تدمر وتمكَّنوا من مشاهدة آثارها المذهلة . وعند رجوعهم كتب احدهم يدعى هاليفكس قصَّة رحلتهم وطبعها في لنـدن (سنة ١٦٩٥) . ولمَّا شكّ العلماء بصدق هذه الرواية يمَّم تدمر السَّيِّدان دَوكِنْس ووُود واقاما فيها مدَّة طويلة فصوَّرا اخربتها تصويرًا بديعًا اخذنا من تآليفهما بعض الصور . لكنّ دوكنس ووُود لم يستنسخا سوى ١٣ كتابةً تدمريَّة . فلم يكن من ثمَّ في مثـل هذا العدد الوجيز كفاية لتوسيع نطاق تواريخ تدمر . وبعد رحلتهم بقرن كامل عزم المركيز دي ڤوكويه على معاينة اخربتها فتجشَّم هذا السفر البعيد سنة ١٨٦٤ وجمع في عاصمة زينب كتابات عديدة الَّف بها ذلك المجموع الرفيع القدر الذي اصبح نقطة علمية يرجع اليها كلّ ما جرى بعدئذٍ من الابحاث الخطيرة والاكتشافات الاثيرة وهو خليق باعتبار كلّ من لهُ بعض المام في اخبار المشرق وقديم عزّهِ وعنهُ اقتبسنا كثيرًا من الفوائد التي ذكرناها . لكنَّ « ارض تدمر ستبعث

(١ من اراد تفاصيل تاريخ تدمر ايَّام الاسلام عليهِ بمراجعة كتاب المسيو غريم (Grimme) عنوانهُ : *Palmyræ sive Tadmur urbis fata quæ fuerint temp. Muslem.*, Münster., 1886

(٢ راجع J. A. 1897², p. 337

لنا الوفا من الكتابات والآثار اذا ما حُفرت بنظام ومواصلة السعي (١ ». هذا ما قالهُ العلاَّمة كلرمون غانو فكفى بهِ اشارة ونصيحة لاهل الغيرة والنشاط ولمحبي العلم والوطن ·

خاتمة

وفي الختام نلتمس من قرّائنا الكرام · ان يعودوا معنا بالنظر الى ما كانت عليهِ تدمر في عهد امرائها العظام · من العزّ والعمران · وما صارت اليهِ بعدئذٍ من الذلّ والهوان · فترى ما سبب هذا التقهقر الوشيك وانحطاط هذه المفاخر · فانَّ في ذلك لعبرة لكل ذوي البصائر · فنقول :

ان سقوط تدمر لا يُعلّل بعلّة اخرى غير طمع اهلها لاسيَّا ملكتهم زينب بالسيادة ورفعة الشأن وقد قيل من رفع نفسهُ عن حدّهِ وضعهُ الناس دون قدرهِ · فكان الله عزّ وجلَّ خصّ زينب بالمنصب الرفيع بين الرومان والفرس لحراسة حدود المملكتين فاحرزت بذلك قصب السبق على اعظم ملكات المسكونة وكما قال بوسويت « انتشر صيتها في الخافقين لكونها قرنت العفَّة بالجمال والعلم بالسطوة » فاحتسبت نفسها قديرة على جمع ملك المشرق والمغرب وطمعت في ما جلب الدمار على ملكها وادخل عاصمتها في خبر كان · وكذلك اهل تدمر انما كانوا تجارًا شأنهم السفر الى الاقطار الشاسعة لاستجلاب خيرات الهند والعرب ونَقلها الى ممالك الرومان فاعمى بصرَهم نجاحُهم وتقدُّمهم في سبل العمران فتكبَّروا وتجبَّروا وترعوا عنهم لباس السفر ليجلسوا على منصّة الملك ويضبطوا عنان السياسة والتدبير · فقلب لهم الدهر ظهر المجن بعد زمن يسير · وأطفأ الله سراجهم المنير · ولمَّا خرجوا على رومة لم يجدوا لهم من مستجار او مجير · فباد شرفهم الخطير · وهبط اسمهم الرفيع الاثير · وما البقاء الَّا للواحد الصمد القدير · لهُ العزّ والسلطان فيرفع الحقير · ويكسر من زهو الكبير · سبحانهُ وتعالى فهو ربُّنا ونعم النصير

(١ (J. A. 1862 p. 123) · ومنذ ثلاث سنين قد ارتحل الى تدمر المهندس برتون احد تلامذة المدرسة التي اقامتها الحكومة الفرنسيَّة في رومة للبحث عن الابنية القديمة عمومًا · وكان غرض هذا الشاب العالم التفتيش عن جميع اخربة تدمر حتى يتمكّن من رسم بناء هيكل الشمس وتصويرهِ بدقَّة ففي اثناء شغلهِ عثر على بعض كتابات جديدة سلَّمها للاب شابو المارّ الذكر فقرأها وباشر نشرها في السنة الجارية تباعًا في المجلَّة الاسيويَّة · ومثل المسيو برتون اكتشف الدكتوران موريتس مناظر المكتبة الخديويّة والدكتور الاب لويس موسيل نزيل كليتنا سابقًا كتابات تدمرية عديدة طُبعت في المانية وڤيانة

الميسر عند العرب

ملخص من كتاب بلوغ الأَرب في معرفة احوال العرب وهو تحت الطبع في بغداد
للعلّامة آلوسي زاده محمود شكري افندي

المَيْسِرُ القمار وهو مصدر ميمي كالمَوعد والمرجع من يَسَر يَيْسِر. يقال يَسَرْتُهُ اذا قمرتهُ واشتقاقهُ اما من اليُسْرِ لأنهُ أَخذ مال الرجل بيُسرٍ وسُهولةٍ من غير كدّ ولا تعب. او من اليَسَار لانهُ سَلْب يساره لِمَا رُوِيَ انَّ الرجل في الجاهليَّة كان يُخاطر على أَهلهِ ومالهِ. او من يَسَروا الشيء اذا اقتسموهُ. وسُمّي المُقامر ياسِرًا لانهُ بسبب ذلك الفعل يُجَزّئ لحم الجزور. قال الواحديّ: من يَسَرَ الشيء اذا وَجَبَ. والياسر الواجب بسبب القِدْح

وصفة الميسر انَّ اهل الثروة والاجواد من العرب كانوا يَيسِرون اي يتقامرون بالقداح فاذا قَمر احدُهم جعل اجزاء الجَزُور لذوي الحاجة واهل المسكنة واستراش الناس وعاشوا. ولذلك كان الميسر من مفاخر العرب. قال قائلهم:

واذا تعذَّرت السواعدُ والتوَت جال المُفَدّي وسطها المضبوحُ
اغلى بِهِ رخو الازار مُعَــذَّل فغــدا يُمارُ لهُ دمٌ مسفوحُ

(يقول اذا تعذَّر اللبن جال القدح واخذ بهِ المُعَذَّل اي الذي يُعَذَّل كثيرًا على الإنفاق سهامًا كثيرة فغدا يُمار لهُ دم الناقة التي قامر عليها). وقال لبيد:

وَجَزُورِ أَيسار دعوتُ لِحَتْفها بمَغالقٍ مُتشابهٍ أَجسامُهــا
ادعو بِهِنَّ لعاقرٍ او مُطْفلٍ بُذلت لجيرانِ الجميع لحامُها
فالضيف والجار الجنيب كأنما هبطا تُبالَةَ مُخصبًا أَهضامُها

(يقول ورُبَّ جزور اصحاب ميسر دعوت ندمائي لنحرها وعقرها بازلام متشابهة الاجرام. وحاصل معنى البيت الثاني انهُ يقول ادعو بالقداح لنحر ناقة عاقر او ناقة مُطفلٍ تُبذَل لحومُها لجميع الجيران اي انما اطلب القداح لانحر مثل هاتين. وذكر العاقر لانها اسمن. وذكر المطفل لانها انفس. ومعنى البيت الثالث ان الاضياف والجيران الغرباء عندي كأنهم

نازلون وادي تبالة وهو من اخصب اودية اليمن في حال كثرة اماكنهِ المطمئنة. شبَّه ضيفهُ وجارهُ في الخصب والسعة بنازل هذا الوادي ايَّام الربيع). وقال آخر يمدح قوماً:

اعداء كُوم الذرى ترغو أجِنَّتُها ... عند المجازر بين الحيّ والحجرِ
لا يفرحون اذا ما فاز فائزُهم ... ولا يضيق عليهم أزْبَة العُسُر
هم الحضارم والايسار ان نُدِبوا ... اذ لا تجيل قداحًا راحتا يسُرِ

(الكوم جمع كوماء وهي الناقة العظيمة السنام وهم اعداؤها لانهم ينحرونها يعني انها تُنحر وهي حوامل فيخرج الجنين حيًا يرغو. وقولهم لا يفرحون اي اذا فازوا لم يفرحوا بذلك ولا يبطرهم الفوز. والأزْبة الشدَّة اي لا يبالون بالغُرْمِ وان كانوا معسرين. والخضارم الاسخياء والواحد خِضْرِم واصل الخِضرِم البحر). والأشعار في ذلك كثيرة لا يستوعبها المقام وكانوا يعيبون من لا يَيسر ويسمُّونهُ البَرَم. قال متمّم بن نويرة يرثي اخاهُ مالكًا:

ولا بَرِمًا تُهدى النّساء لعرسهِ ... اذا القَشعُ من برد الشتاء تقعقعا

فكان الفتيان منهم وذوو اليسار يشترون جزورًا بما بلغت ويدعون الجَزَّار ويسمُّونهُ القُدار (على وزن هُمامٍ) فينحرها ويجعلها عشرة اجزاء. فاذا قُسِّمت الجزور على ما تقدَّم حضر الأيسار وهم القوم المجتمعون على المَيسر (وواحدهم يَسَر) وجيء بالقداح وهي عيدان من نبع قد نُحِتَت ومُلِّسَتْ وجُعِلَتْ سواء في الطول (والنَبعُ شجر للقِسيّ وللسِّهام ينبت في قُلّة الجبل والنابت منهُ في السَّفح اي اصل الجبل يقال لهُ الشّريان وفي الحضيض اي القَرار من الارض وهو المطمئن منها يقال لهُ الشَوْحَط. وقولهم «لو اقتدح بالنبع لاورى نارًا» مثل في جودة الرأي). وكما يقال لها القداح يقال لها الأزلام والأقلام وهي عشرة: الفَذُّ والتوأمُ والرَّقيبُ والحِلسُ والنَّافسُ والمُسبِلُ والمُعلّى والمنيح والسفيح والوغد. وقد نظم اسماءها جمعٌ من اعيان أئمة اهل الادب منهم الامام ابو الحسن علي بن محمد الهمذاني فقال:

يلي الفذَّ منها توأمٌ ثم بعدَهُ ... رقيبٌ وحِلسٌ بعدَهُ ثم نافِسُ
ومُسبِلُها ثم المُعَلّى وهذه الـ ... ـسهامُ التي دارت عليها المجالسُ

وقد نظمها الشيخ ابن الحاجب على ترتيب انصبائها ايضًا فقال:

هيَ فـذٌّ وتوأمٌ ورقيبٌ ... ثم حِلسٌ ونافسٌ ثم مُسبِلْ
والمُعلّى والوَغد ثم منيحٌ ... وسنيحٌ هذه الثلاثة تُهمَلْ
ولكلٍّ مما سواها نصيبٌ ... ضعفهُ ان عددت اولَ اولْ

ونظمها بعضُهم ايضاً فقال :

كلُّ سهامِ الياسرين عشَرهْ فأودِعوهـا صُحُفاً منشَره
لها فروض ولهـا نصيبُ الفَـذُّ والتَـوْأَمُ والرقيبُ
والحِلْس يَتلُوهُنَّ ثم النافسُ وبعدَهُ مُسْبِلُهُنَّ السـادِسُ
ثم المُعَلَّى كاسمِهِ المُعَلَّى صاحبهُ في الياسرينَ الأعلى
والوغْـد والسفيح والمنيح غُفْـل فما فيما يُرى ربيحُ

فللاوَّل وهو الفذُّ سهمٌ ان فاز. وفوزُهُ خروجهُ وعليهِ غُرْمُ سهمٍ ان خاب اي لم يخرج. وكذلك باقيها على الترتيب فيما لهُ وعليهِ الى المعلّى وهو السابع لهُ سبعة وعليهِ سبعة يفرض في كل سهم منها بحسب ما لهُ وعليهِ حزٌّ . وتُـكثَّر هذه السهام بثلاثة أُخرَ أغفالٍ ليس فيها حُزُوز ولا لها علامات ليكون ذلك انفى للتهمة وأبعد من المحاباة وهي المنيح والسفيح والوغد. فاذا حضرت القداح وحضر الأَيسار اخذ كل منهم من القداح على قدرهِ وقدرتهِ وطاقتهِ ورئاستهِ. فمنهم من لا يبلغ حالهُ اكثر من الفذّ فاخذهُ لهُ فان خاب غُرِمَ سهماً ورأى ذلك سهلًا وان فاز اخذ سهماً ورأى ذلك كافياً. ومنهم من يأخذ المعلّى ولا يبالي بالغُرْم ان خاب وينال النصيب الاوفر ان فاز. ومنهم من يأخذ المعلّى وسهماً ان لم يحضر من يتمّم السهام فيأخذ ما فضل من القداح ويقول للايسار قد تمَّمتكم . وفي ذلك يقول متمّم بن نويرة في اخيهِ مالك :

إذا حضر القومُ القداحَ وأُوقِدَت لَهُم نارُ أَيسارٍ كفى مَن تَضَجَّعا

(يقول ان تضجَّع احدٌ من الفتيان ولم يأخذ ما بقي اخـذ هو ما بقي حتى يتممهم . والتضجُّع التكاسل والإعراض عن العمل) . وقال الغنوي :

اذا شهد الأَيسارُ او غاب بعضهم كفى الحيَّ وضَّاحُ الجبين أريبُ

وتُسمَّى القداح مَغَالقَ لأنَّها تغلق الرهن إذا ضَربوا بها على ما سبق. والتجزئة التي يقسمها القُدار هي ان يجعل الكتفين جزئين كلُّ واحد منهما جزءٌ والصدر جزءٌ وهو الزَّوْر. (قال في القاموس : الزَّوْر وسط الصدر او ما ارتفع منهُ الى الكتفين او مُلتقى اطراف عظام الصَّدْر) . والعَضُدان جُزْآن ويقال لهما ابنا مِلاطٍ . والكاهل جزء وهو ابن مِخدَش (وفي القاموس مِخدَش ومُخَدَّش كمِنْبَر ومُحدَّث كاهل البعير) . والمَحاء وهو ما بين السنام الى العجز جزء . والعجز جزء . والفخذان كل واحد منهما جزء . ويزاد على الفخذين خَرَزَات العنق

والطفاطف وهي جمع طَفطَفَة (ويُكسَر) الخاصرة او أطراف الجنب المتَّصلة بالاضلاع او كل لحم مضطرب او الرخص من مَرَاقّ البطن وهو الشيء الناعم. ثم يُقسم على الاجزاء العشرة ما فضل من الجنبين والسنام والكبد ومن قِطَع اللحم حتى تستوي. فان استوت الاجزاء العشرة كلها بقي العظم الذي لا يصلح ان يكون على واحد من الاجزاء فان شاء الجزَّار اخذهُ والَّا كان لاهل الفاقة والفقر من العشيرة. ولا يأخذهُ احد من الايسار لان ذلك عندهم عيب وعار ويسمَّى ذلك العظم الرَّنيم. قال في الصحاح: الرَّيم عظم يبقى بعد ما يُقسم الجزور. وانشد بن السكيت:

وكُنتُم كعَظم الرَّيم لم يدرِ جازرٌ على أيّ بَدْءِ مَقْسِم اللحم يوضعُ

(البَدْءِ والبَدْأة النصيب من الجزور والجمع أَبْدَاء وبُدُوء مثل جفن واجفان وجُفُون قال طرفة بن العبد:

وهمُ أَيسارُ لقمان اذا اغلت الشتوةُ أَبداء الجُزُرْ

وغير يعقوب يروي بدل يوضعُ يُجعَلُ. وقال ابن الاعرابيّ الرَّيم القبر وقال:

اذا مُتُّ فاَعتادي القُبُور وسَلّمي على الرَّيم أُسقيتِ الغمامَ الغَواديا

وابو العلاء ايضاً فسَّر الرَّيم في هذا البيت بالقبر. واظن ان الشاعر اراد العظم الباقي من الجسد مجازاً. وبهِ قال ابو الحسن علي بن احمد السخاوي). ثم يبقى الرأس والقوائم يأخذها الجزار في اجرتهِ وتُسمَّى الثُّنيا وتسمَّى الجُزارة ايضاً. ثم اتَّسعوا في ذلك فسمُّوا الرأس والقوائم جُزارة. قال ذو الرمَّة من قصيدة تسمَّى المذهَّبة في وصف نعامة:

شجب الجُزَارة مثل النيب سائرةٌ من المسوح شوبٌ (؟) شَوْقب جُشُبُ (١

فاذا اخذ كل واحد من الأَيسار قِدْحَهُ رفعوا جميعها الى رجل ويسمونهُ الحُرْضَة. قال في الصحاح: هو الذي يضرب للأَيسار بالقداح ولا يكون الَّا ساقطاً بَرِماً. وفُسّر في القاموس انهُ أمين المقامرين ومن شانهِ المعروف لهُ انهُ لم يأكل قطّ بثمن وانَّهُ يأكلُ عند غيرهِ او يهدي لهُ الأَيسار وان يكون عدلاً

١) كذا في الاصل الذي أُرسل الينا. ونظنّ انَّ الصواب هو ما جاء في نسخة ديوان ذي الرمَّة الخطيَّة التي في مكتبتنا الشرقية وقد رُوي البيت:

شَخْتُ الجُزارة مثل البيت سائرُهُ من المسوح خِدَبٌّ شوقبٌ خَشِبُ

اي انَّ الظليم المذكور هو دقيق القوائم وجسمهُ كثير الشعر كبيت الاعراب وهو اسود كالمسح. والخِدَبّ الضخم. والشوقب الطويل. والخَشِب الجافي (المشرق)

وكانوا اكثر ما يجتمعون على الميسر بالّليل ويوقدون نارًا لذلك. ثم يؤخذ ثوب شديد البياض فيُلَفُّ على يدِ الُحرْضة ويسمّى ذلك الثوب الِمجْول. وانمّا يُجعل ذلك على يدهِ ليغشي بصرهُ فلا يعرف قِدح زيد دون عمرٍو. هذا بعد ان يلفَّ كفَّهُ بقطعة من جراب لئلا يجد مسّ قدحٍ يكون لهُ مع صاحبهِ محاباة فاذا اخذ القداح لم ينظر اليها. وبعضهم يقول يجعلها في الرِّبابة وهي خريطة. ويجلس خلفهُ آخر ويسمّى الرقيب ويسمّى ايضًا رابئ الضُرَباء يقعد خلف ضارب قداح الميسر يرتبئُ لهم فيما يخرج من القداح فيخبرهم بهِ ويعتمدون على قوله فيهِ وهو مأخوذ من ربيئــة القوم وهو طليعتهم. والضُّرباء جمع ضريب ككريم وكرَماء وهو الذي يضرب بالقداح وهو الموكّل بها ويقال لهُ الضارب ايضًا. ثم يجلس الأيسار حولهُ دائرين بهِ ثم يفيض بالقداح فاذا نشز اي ارتفع منهــا قدح اَسْتَلَّهُ الُحرْضَة من غير ان ينظر اليهِ ثم ناولهُ الرقيب فينظر الرقيب لمن هو فيدفعهُ الى صاحبهِ فيأْخذ من اجزاء الجزور على قدر نصيب القدح منها وذلك هو الفوز. فان شاء بعــد ذلك أمسك وان شاء اعاد السهم على خِطار آخر (وهو جمع خَطَر وجمع الجمع خُطْر) وهو السبَقُ يراهن عليهِ وهو ما يوضع بين اهل السباق جمعهُ أسباق واعادة السهم تسمّى التّثنية وهو مراد النابغة بقولهِ:

اني أُتمّم أيســاري وأَمنحُهم مَثْنَى الأَيادي واكسو الجفنة الأُدُما

(قال ابو عبيد: مثنى الايادي الأَنصباء التي كانت تفضل من الجزور في الميسر فكان الرجل الجواد يشتريها فيعطيها. وقال ابو عمر: ومثنى الايادي ان يأْخذ القسم مرّةً بعد مرّة وانشد بيت النابغة وهذا هو المقول عليهِ). فان خرج الفذُّ اخذ صاحبهُ نصيبَهُ ولهُ جزء واحد كما تقدَّم. ثم ضربوا بالقداح الباقية على التسعة الاجزاء الباقية فان خرج التوأم اخذ صاحبهُ جزئين وقعد ان شاء. وضربوا بباقي القداح على السبعة الاجزاء الباقية فان خرج الُمعلّى اخذ صاحبهُ الاجزاء السبعة التي بقيت ووقع الغُرْم اعني ثَمن الجزور على من لم يُخرج سهمهُ وهم اربعةٌ: اصحابُ الرقيب والِحلسِ والنافس والُمسْبل. والجملة هذه القداح ثمانية عشر سهمًــا فيُجزَأُ الثمن على ثمانية عشر جزءًا ويلزم كلَّ صاحب قدح من هذه القداح مثــل ما كان نصيبهُ من اللحم لو فاز قدحهُ. فان لم يخرج الفذّ ولا التوأم وخرج الرقيب اخذ صاحبهُ ثلاثة اجزاء ثم ضربوا ثانية فخرج الُمعلّى اخذ صاحبهُ السبعة الاجزاء الباقية وهي تتمّة الجزور. وكانت الغرامة على من لم يخرج قدحهُ وهم اصحاب القداح الخمسة التي خابت وهي الفذّ والتوأم والحلس والنافس والمسبل ومجموع سهامها ثمانية عشر. فان خرج المعلّى اخذ صاحبهُ

سبعة اجزاء الجزور واحتاجوا الى نحر جزور اخرى لانَّ في القداح التي خابت المسبلَ ولهُ ستة اجزاء ولم يبقَ من اللحم الَّا ثلاثة اجزاء ومن خاب قدحهُ في الجزور الاولى لم يأكل منها شيئاً. وذلك عندهم قبيح يُعاب. فاذا نحروا الجَزور الثانية وضربوا عليها بالقداح فخرج المسبل اخذ صاحبهُ ستة اجزاء منها الثلاثة التي بقيت من الجَزور الاولى ولزمهُ الغرم في الجزور الاولى ولم يلزمهُ في الثانية شيء لان قدحهُ فاز فيها. وصار غرم الجزور الثانية على من لم يخرج قدحهُ على ما سبق من الحساب. وبقي من الجزور الثانية سبعة اجزاء يَضرب عليهِ القداح مَن بقي فان خرج النافس اخذ صاحبهُ خمسة اجزاء ولم يغرم من ثمن الجزور الثانية شيئاً ولزمهُ الغُرْم في الاولى وبقي جزآن من اللحم. وقد بقي من القداح الحِلس ولهُ اربعة اجزاء فاحتاجوا الى نحر اخرى لتتمة الاجزاء الاربعة ولا يأكل من خاب في الجزور الثانية منها شيئاً

فان نحروا الجزور الثالثة وفاز الحلس اخذ صاحبهُ اربعة اجزاء منها جزآن من الثانية وجزآن من الثالثة ولم يُغرم من ثمن الجزور الثانية شيئاً لانهُ قد فاز وكان ثمنها على من خاب قدحُهُ. وبقي من الجزور الثالثة ثمانية اجزاء فيَضرب عليها القداح مَن بقي حتى تخرج قداحهم موافقة لاجزاء الجزور. فان كانت اجزاء اللحم موافقة لاجزاء القداح لم يحتاجوا الى نحر شيء. فان اعادوا فاز قدحهُ مرَّة ثانية فخاب غرم من ثمن الجزور التي خاب قدحهُ فيها على هـذا الحساب. فان فضل من اجزاء اللحم شيء وقد خرجت القداح كلها كانت تلك الفاضلة لاهل الوَبَد من العشيرة وهم اهل الضعف وسوء الحال وشدَّة العيش

والشريعة الاسلامية قد حرَّمت الميسر وكلَّ قمار لما فيهِ من المخاطرة بالمال والتعرّض للفقر واستجلاب العداوات المُفضِيَة الى سفك الدماء وهتك الحرم وغير ذلك من المفاسد التي لا يقابلها ما يترتب على الميسر من المنفعة كمصير الشيء الى الانسان من غير تعب ولا كدّ وما يحصل من السرور والاريحيّة لمن صار لهُ منها سهم صالح. والآية القرآنية ناصَّةٌ على ما فيهِ من المفاسد الدنيويَّة والدينيّة امَّا الدنيويَّة فما يقع في البين من العداوة والبغضاء فقد يقامر الرجل حتى لا يبقى لهُ شيء وتنتهي بهِ المقامرة الى ان يقامر بولدهِ واهلهِ فيؤدي في ذلك الى ان يصير اعدى الاعداء لمن قمرهُ وغلبهُ. وامَّا المفاسد الدينية فهي الصدّ عن العبادات والطاعات وغير ذلك من افعال الخير فان الميسر ان كان اللاَّعب بهِ غالباً انشرحت نفسهُ ومنعهُ حبّ الغلب والقهر والكسب عمَّا ذكر وان كان مغلوباً حصل لهُ من الانقباض والقهر ما يحثهُ على الاحتيال لأن يَصيرُ غالباً فلا يكاد يخطر بقلبه غير ذلك

كتاب النبات والشجر للاصمعي

سعى بنشره الدكتور اوغست هفنر

(تتمة الكتاب)

وَٱلإِعْبَالُ وُقُوعُ وَرَقِ ٱلشَّجَرِ . يُقَالُ : قَدْ أَعْبَلَ ٱلشَّجَرُ . وَٱسْمُ وَرَقِهِ ٱلْعَبَلُ جِمَاعُهُ ٱلْأَعْبَالُ . وَأَعْبَلَتِ ٱلشَّجَرُ أَخْرَجَتِ ٱلْوَرَقَ . وَأَعْبَلَتْ أَيْضًا إِذَا سَقَطَ وَرَقُهَا وَهُوَ مِنَ ٱلْأَضْدَادِ . وَٱلْأَعْبَالُ وَرَقُ ٱلْأَرْطَى خَاصَّةً . قَالَ ذُو ٱلرُّمَّةِ (طويل) :

إِذَا ذَابَتِ ٱلشَّمْسُ ٱتَّقَى صَقَرَاتِهَا بِأَفْنَانِ مَرْبُوعِ ٱلصَّرِيمَةِ مُعْبِلِ[١]

(مُعْبِلٌ لَيْسَ لَهُ ظِلٌّ . وَمُعْبِلٌ مُورِقٌ ظَاهِرُ ٱلْخُوصَةِ هَاهُنَا . أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَتَّقِي ٱلشَّمْسَ بِظِلِّهَا) ، وَٱلْعُنْقُرُ أَصْلُ كُلِّ شَجَرَةٍ أَوْ بَرْدِيَّةٍ[٢] أَوْ عُسْلُوجَةٍ يَخْرُجُ أَبْيَضَ ثُمَّ يَسْتَدِيرُ وَيَتَقَشَّرُ فَيَخْرُجُ لَهُ وَرَقٌ أَخْضَرُ وَإِذَا خَرَجَ قَبْلَ أَنْ تَنْتَشِرَ خُضْرَتُهُ فَهُوَ عُنْقُرٌ . وَٱلْحَفَأُ ٱلْبَرْدِيُّ[٣] (مَقْصُورٌ) . قَالَ سَاعِدَةُ (كامل) :

كَذَوَائِبِ ٱلْحَفَإِ ٱلرَّطِيبِ غَطَا بِهِ غَيْلٌ وَمَدَّ بِجَانِبَيْهِ ٱلطُّحْلُبُ[٤]

(غَطَا بِهِ ٱرْتَفَعَ بِهِ) ، وَٱلْأَبَاءُ[٥] ٱلْقَصَبُ ، وَٱلْغَرِيفُ[٦] آجَامُ ٱلْبَرْدِيِّ ،

---

١) ذابت الشمس اشتدّ حرُّها . وصَقَرَاتها توهُّج حرّها . ومربوع المتوسّط الارتفاع . والصريمة الرملة المنصرمة ذات الاشجار

٢) وقيل هو البرديُّ او اصلُهُ (Lc., Marjolaine)

٣) قيل انَّ الحفأ هو البرديّ الاخضر ما دام في منبتهِ وقيل هو اصلُهُ الابيض الرَّطب الذي يؤكل . والبَرْديّ هو النبات المصري المعروف الذي كان يُتَّخذ قشرهُ للكتابة (Lc., Papyrus,

πάπυρος) ٤) الغَيْل الماء الجاري على وجه الارض . ويروى : الرطيب هضابُهُ . ولعلَّهُ تصحيف

٥) وقيل ايضاً ان الأَبَاءَ أَجمة الحلفاء ٦) وقيل انَّ الغريف كلّ شجر ملتفّ . ويقال الغِرْيَف ايضاً وقيل الغِرْيَف الشجر الخوَّار

وَمِنَ ٱلنَّبْتِ ٱلْفِصْفِصَةُ(١ وَهُوَ ٱلْقَتُّ . وَهُوَ ٱلْقَضْبُ ايضًا قَالَ اَعْشَى قَيْسٍ (طويل) :

اَلَمْ تَرَ انَّ ٱلْأَرْضَ اَصْبَحَ بَطْنُهَا نَخِيلًا وَزَرْعًا نَابِتًا وَفَصَافِصَا

(وَٱلْفِصْفِصَةُ بِٱلْفَارِسِيَّةِ اِسْبَسْتُ فَعُرِّبَ) ، وَٱلصَّفْصَافُ(٢ ٱلْخِلَافُ .

قَالَ ٱلْاَصْمَعِيُّ : حَدَّثَنِي ٱلثِّقَةُ عَنْ رُؤْبَةَ بْنِ ٱلْعَجَّاجِ اَنَّهُ قَالَ : «شَهْرٌ ثَرًى . وَشَهْرٌ تَرَى . وَشَهْرٌ مَرْعًى . وَشَهْرٌ اَسْتَوَى » . وَذٰلِكَ انَّ ٱلْمَطَرَ اِذَا وَقَعَ ٱلْاَوَّلُ مِنْهُ قِيلَ ٱلْاَرْضُ تَمْكُثُ تُرَابًا رَطْبًا فَهُوَ ٱلثَّرَى . ثُمَّ تَنْبُتُ فَتَرَى ٱلنَّبَاتَ فِي شَهْرٍ فَهُوَ قَوْلُهُ : تَرَى . ثُمَّ تَكُونُ فِي ٱلشَّهْرِ ٱلثَّالِثِ مَرْعًى . ثُمَّ يَسْتَوِي ٱلنَّبْتُ فِي ٱلرَّابِعِ وَيَكْتَهِلُ ، وَاذَا يَبِسَ ٱلثَّرَى قِيلَ : بَلَحَ يَبْلَحُ بُلُوحًا . قَالَ اَبُو ٱلنَّجْمِ (رجز) :

حَتَّى اِذَا ٱلْفَحْلُ ٱشْتَهَى ٱلصَّبُوحَا وَبَلَحَ ٱلتُّرْبُ لَهُ بُلُوحَا (٣

وَيُقَالُ: اَخْوَصَ ٱلْعَرْفَجُ يُخْوِصُ اِخْوَاصًا اِذَا اَكْتَسَى وَتَمَّ تَوْرِيقُهُ ، وَٱلْقَفْءُ (مَهْمُوزٌ) ٱلتُّرَابُ يُصِيبُ ٱلْبَقْلَ مِنْ مَطَرٍ شَدِيدٍ يَرْفَعُ ٱلتُّرَابَ اِلَيْهِ اَوْ مِنَ ٱلرِّيحِ يُلْقِي ٱلتُّرَابَ عَلَيْهِ . يُقَالُ : قَفَأَ ٱلنَّبْتُ وَهُوَ مَقْفُوءٌ وَاَرْضٌ مَقْفُوءَةٌ اِذَا حَثَتِ ٱلرِّيحُ ٱلتُّرَابَ عَلَى بَقْلِهَا

وَمِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْمُخَاطَةُ(٤ وَهِيَ ٱلَّتِي تُسَمِّيهَا ٱلْفُرْسُ ٱلسِّبِسْتَانَ لَهَا ثَمَرَةٌ

---

١) الفِصْفِصة الرَّطبة وقيل هي القتُّ او رطبهُ وقد مرَّ ذكرهُ (Lc., Μεδικὴ, Luzerne de Dioscorides)

٢) هو شجر معروف (B., L., Salix Safsaf Forsk., Populus Euphratica ; Lc., Saule.)

٣) ورواية اللسان : وبلح النَّمل لهُ بلوحا اي اعيا النمل من نقل الحبّ

٤) هي التي يعرفها الفرنج باسم Sébestier (B., L., Cordia Mixa L)

لَزِجَةٌ تُوكَلُ، وَمِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلثَّغْرُ وَٱلثَّغْرَةُ(١ شَجَرَةٌ لَهَا شَوْكٌ لَيْسَ بِٱلْقَوِيّ تُعْجِبُ ٱلْإِبِلَ فَتَرْعَاهَا. قَالَ ٱلشَّاعِرُ (طويل):

وَكُحْلٌ بِهَا مِنْ يَابِسِ ٱلثَّغْرِ مُولَعٌ وَمَا ذَاكَ إِلَّا انْ شَآءَهَا خَلِيلُهَا(٢

وَمِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْهَدَسُ(٣ (مُحَرَّكٌ). وَٱلرَّنْدُ(٤ وَهُوَ ٱلْآسُ. قَالَ ٱلشَّاعِرُ (طويل):

أَانْ هَتَفَتْ وَرْقَاءُ فِي رَوْنَقِ ٱلضُّحَى عَلَى فَنَنٍ غَضَّ ٱلنَّبَاتِ مِنَ ٱلرَّنْدِ

وَٱلْعَبِيرُ(٥ وَهُوَ ٱلنَّرْجِسُ. وَٱلسَّمْسَقُ(٦ وَهُوَ ٱلْمَرْزَنْجُوشُ(٧ وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ ٱلْعَبْقَرَ، (قَالَ) وَٱلْفَغْوُ وَٱلْفَاغِيَةُ وَرْدُ كُلِّ مَا كَانَ مِنَ ٱلشَّجَرِ لَهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ وَلَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ ذٰلِكَ، وَٱلْبَغْوَةُ ثَمَرَةٌ تَخْرُجُ غَضَّةً قَبْلَ انْ تَنْعَقِدَ فَهِيَ خَضْرَاءُ صُلْبَةٌ، وَٱلْفَغْمَةُ ٱلنَّفْحَةُ مِنَ ٱلرِّيحِ ٱلطَّيِّبَةِ وَٱلْمُنْتِنَةِ اذا سَدَّتْ انْفَهُ فَقَدْ فَغَمَتْهُ. وَانْشَدَ (رجز):

فَغْمَةُ رَوْضَاتٍ تَرَدَّيْنَ ٱلزَّهَرْ

---

١) قال في اللسان: انّ الثّغرة من خيار العُشْب وهي خضراء وقيل غبراء تضخم حتّى تصير كأنّها زنبيل مكفأً ممّا يركبها من الورق والغصَنة وورقُها على طول الاظافير وعرضها. . . وزهرُها بيضاء تنبت في جلَد الارض . . ولها زغب خشِن. والثّغر ممّا يوضع في العين

٢) الكُحل المال الراعي الكثير. وشآءه سبقه. ويروى: ناءه

٣) الهَدَس هو الآس عند اهل اليمن (B., L., P., Myrtus communis L; Lc., Myrte, Μυρσίνη)

٤) وقيل انّ الرَّند هو الغار (Lc., Laurier). وقيل انّ الرند هو العود الذي يُتبخَّر بهِ. وقيل انّهُ شجر طيّب الرائحة يُستاك بهِ وليس بالكبير ويقال لحبّهِ الغار

٥) وقيل ايضاً: انّ العبير اخلاط من الطيب تجمع بالزعفران وقيل هو الزعفران وحدهُ اما النرجس فهو معروف (Narcisse)

٦) وقيل انّهُ السِمْسِم وقيل الياسمين وقيل الآس (B., L., Origanum majorana L; Lc., Marjolaine)

٧) Lc., Marjolaine Σάμψυχον. وفي الاصل هنا ثلاثة الفاظ وردت على هذه الصورة «المرز الغار بالدريّة» ونظنها مصحفة والصواب: «والمرزه الفار بالفارسية». ومعنى المرزنجوش بالفارسية آذان الفار

وَمِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْعُجْرُمُ(١)، وَٱلتِّينُ(٢)، وَٱلأَرَاكُ(٣). وَثَمَرُهُ ٱلْبَرِيرُ. وَٱلْغَضُّ مِنْهُ ٱلْكَبَاثُ(٤). وَٱلْمُدْرِكُ مِنْهُ ٱلْمَرْدُ، وَٱلإِسْحِلُ(٥) شَجَرٌ يُسْتَنُّ بِهِ، وَٱلْعِشْرِقُ(٦)، وَٱلشِّبْرِقُ(٧)، وَٱلشَّرْيُ(٨) شَجَرُ ٱلْحَنْظَلِ وَثَمَرُهُ ٱلْحَاجُ صِغَارٌ. فَإِذَا ٱصْفَرَّ وَفِيهِ خُضْرَةٌ فَهُوَ ٱلْخُطْبَانُ. فَإِذَا تَمَّتْ صُفْرَتُهُ فَٱلْوَاحِدَةُ مِنْ ثَمَرِهِ صَرَايَةٌ، وَٱلتَّنْضُبُ(٩) شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ قِصَارٌ، وَٱلْحَاجُ(١٠) مِثْلُهُ، وَٱلْمَرْخُ(١١) وَٱلْعَفَارُ(١٢) شَجَرٌ كَثِيرُ ٱلنَّارِ يُتَّخَذُ مِنْهُ ٱلزِّنَادُ. وَمَثَلٌ مِنَ ٱلأَمْثَالِ: فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ وَٱسْتَمْجَدَ ٱلْمَرْخُ وَٱلْعَفَارُ، وَٱلأَثْلُ يُقَالُ مَا نَبَتَ مِنْهُ فِي ٱلْجِبَالِ فَهُوَ نُضَارٌ، وَٱلأَثْأَبُ شَجَرٌ يُشْبِهُ ٱلأَثْلَ، وَٱلطَّرْفَاءُ(١٣) وَاحِدُهَا طَرَفَةٌ، وَٱلْحَلْفَاءُ(١٤) وَاحِدَتُهَا حَلَفَةٌ (يَقُولُ ٱلأَصْمَعِيُّ بِكَسْرِ ٱللَّامِ وَغَيْرُهُ بِفَتْحِهَا)، وَٱلسَّاسَمُ(١٥)،

---

١) هي صنف من شجر العضاه (P., Rhamnus punctata palæstina ; *cfr.* E. 228)

٢) التين معروف (B.. Ficus carica L ; Lc., Figue)

٣) الاراك شجر السّواك معروف لهُ حَمْل كحمل العناقيد (Lc., Salvadora persica)

٤) ما نضج من ثمر الاراك (B. Zollikoferia spinosa Boiss. ; Lc.. Salvadora persica [Cistus arborea Forsk.])

٥) الاسحل شجر يعظم ويغلظ فيُتّخذ منهُ الرحال يشبه الأَثل وهو من شجر المساويك

٦) مرَّ ذكرهُ

٧) قيل انَّ الشِبْرِق شجرة شاكة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم يسمّيها اهل الحجاز الضَّريع (B., L., P., Ononis Antiquorum L)

٨) وقال ابو حنيفة: يقال لمثل ما كان من شجر القثّاء والبطّيخ شَرْيٌ (Lc., Coloquinte, Elaterium)

٩) وزاد في اللسان انَّ التنضب ليس هو من الشجر الشواهق وتألفهُ الحرابي

١٠) قال ابو حنيفة: الحاج ممّا تدوم خضرتهُ وتذهب عروقهُ في الارض مذهبًا بعيدًا ويتداوى بطبيخهِ ولهُ ورق دقاق طوال كأنَّهُ مساوٍ للشوك في الكثرة (راجع الصفحة ١٠٨٠) (Lc., Hedysarum Elhagi)

١١) المَرْخ شجر كثير الوَرْي سريعهُ (B., Leptodenia pyrotechnica)

١٢) العفار من شجر النار كالمرخ (Lc., Arbouse)

١٣) الأثل والاثاب والطرفاء مرَّ ذكرها (ص ١٠٤٣)

١٤) قال الجوهري: الحَلفاء نبتٌ في الماء (B., L., Eragrostris cynosuroïdes ; *cfr.* E. 269 ; Lc., stippa tenacissima, [Arundo epigeios])

١٥) قيل انَّ السَّاسَم هو الآبنوس وقيل انهُ شجر يتَّخذ منهُ السهام (*cfr.* L. 65)

وَٱلْمَيس (١ شَجَرٌ يُتَّخَذُ مِنْهُ ٱلرِّحَالُ ، وَٱلْعُشَرُ (٢ ٱلْوَاحِدَةُ عُشَرَةٌ وَثَمَرُهُ ٱلْخُرْفُعُ (٣ وَلِلْخُرْفُعِ ثَمَرَةٌ إِذَا ٱنْشَقَّتْ عَنْهُ ظَهَرَ مِنْهُ مِثْلُ ٱلْقُطْنِ يُشْبِهُ لُغَامَ ٱلْبَعِيرِ . وَقَالَ ٱبْنُ مُقْبِلٍ (بسيط):

يَعْتَادُ خَيْشُومَهَا مِنْ فَرْطِهَا زَبَدٌ ... كَأَنَّ بِٱلْأَنْفِ مِنْهَا خُرْفُعًا خَشِفَا (٤

وَٱلْخِرْوَعُ (٥ وَٱلْيَنْبُوتُ (٦ وَهُمَا نَاعِمَانِ ، وَٱلْغَافُ (٧ شَجَرٌ بِعُمَانَ ، وَٱلْعَرَادُ (٨ وَٱلْوَاحِدَةُ عَرَادَةٌ ، وَٱلْعِجْلَةُ (٩ نَبْتٌ دُونَ ٱلشَّجَرِ ، وَٱلْعَلَنْدَى (١٠ شَجَرٌ ، وَمِنَ ٱلنَّبْتِ ٱلْعَوْفُ (١١ . قَالَ ٱلنَّابِغَةُ ٱلذُّبْيَانِيُّ :

فَلَا زَالَ حَوْذَانٌ وَعَوْفٌ مُنَوِّرٌ ... سَأُتْبِعُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلُ

(وَمِنْ نَبْتِ جِبَالِ ٱلسَّرَاةِ): ٱلشَّثُّ (١٢ ، وَٱلْعَرْعَرُ (١٣ ، وَهُوَ ٱلسَّرْوُ ، وَٱلطُّبَّاقُ (١٤ ، وَٱلضَّبْرُ (١٥ ، وَهُوَ جَوْزُ ٱلْجَبَلِ يُنَوِّرُ وَلَا يَعْقِدُ ، وَٱلْمَظُّ وَهُوَ

---

١) الميس شجر عظام شبيه في نباتهِ وورقهِ بالغرَب يكون جوفهُ ابيض اذا كان شابًا ثمَّ يسودُّ فيصير كالابنوس اذا تقادم فيغلظ فتتَّخذ منهُ الموائد والرحال (B., L., Celtis australis L; [errentabis]; Lc., Λωεός τὸ δένδρον, Micocoulier)

٢) مرَّ وصف العُشَر

٣) ويجوز الخِرفِع والخُرفُع قال ابن جنّي: هو القُطن وقيل القُطن الذي يفسد في براعيمهِ

٤) ويروى: يضحي على خَطمها . . . خرفعًا ندفًا . الخيشوم اقصى الانف . وفَرطُها نشاطُها . والخشِف اليابس

٥) الخِروع نبت معروف (B., L., Ricinus communis L; Lc., Ricin)

٦) الينبوت هو شجر الخشخاش (B., L., Prosopis Stephaniana; Lc., Anagyris)

٧) الغاف شجر كبار ينبت في الرمل لهُ ثمرٌ حلوٌ جدًّا وثمرهُ عُلُف يقال لهُ الحنبل. وقال ابو زيد: الغاف من العِضاه وهي شجرة نحو القَرَظ شاكة حجازيّة تنبُت في القفاف

٨) العرادة شجرة صلبة العود منقشرة الاغصان لا رائحة لها (cfr. E.268)

٩) لم يأتِ في وصفها شيء يذكر

١٠) قال صاحب اللسان: هو من شجر الرَّمل ليس بحَمْض يهيج لهُ دخان شديد (cfr. E. ibid.)

١١) لم يروِ اهل اللغة عن العوف سوى انَّهُ ضرب من الشجر

١٢) قيل انَّ الشثّ شجر طيّب الريح مرُّ الطعم يُدْبَغ بهِ منبتهُ في جبال الغور وتهامة ونجد

١٣) العرعَر شجر معروف وقيل انهُ السَّاسم ويُقال لهُ الشيزَى . وقيل انهُ السرو (B., L., Juniperus Sabina; Lc., Oxycedrus; Lc. Genèvrier) (L. B., Cypressus Basilicum; Lc,, Cyprès)

١٤) لم نجد للطبَّاق ذكرًا في كتب اللغة (Lc., Conyza, Inula)

١٥) الضَّبر هو الجوز البرّيّ ينوّر ولا يَعقِد

اُلرُّمَّانُ اُلْبَرِّيُّ يَنُورُ وَلَا يَعْقِدُ. وَاُلنَّحلُ يَأْكُلُ اُلْمَظَّ وَيَجُودُ اُلعَسَلُ عَلَيْهِ. وَاُلْقَانُ، وَاُلنَّشَمُ، وَاُلشَّوحَطُ، وَاُلنبعُ وَاُلتَّأْلَبُ، وَاُلْحَمَاطُ، وَاُلسَّرَاءُ[١] (مَمْدُودٌ)، وَاُلصَّوْمُ[٢]، وَاُلْخِشْيَلُ[٣]، وَاُلرَّنَقُ[٤]، وَهُوَ بَهْرَامَجُ اُلْبَرِّ، وَاُلظَّيَّانُ[٥] وَهُوَ يَاسَمِينُ اُلْبَرِّ، وَاُلشُّوعُ[٦] وَهُوَ شَجَرُ اُلْبَانِ. قَالَ أُحَيحَةُ بْنُ اُلْجُلَاحِ (سريع):

مُعْرَوْرِفٌ اَسْبَلَ جَبَّارُهُ بِحَافَتَيْهِ اُلشُّوعُ وَاُلْغِرْيَفُ[٧]

اَلْغِرْيَفُ شَجَرٌ خَوَّارٌ مِثْلُ اُلْغَرَبِ[٨]، وَاُلْخَزَمُ[٩]، وَاُلْعَتَمُ[١٠] وَهُوَ اُلزَّيْتُونُ اُلْبَرِّيُّ. قَالَ اُلْجَعْدِيُّ (منسرح):

تَسْتَنُّ بِاُلضِّرْوِ مِنْ بَرَاقِشَ اَوْ هَيْلَانَ اَوْ نَاضِرٍ مِنَ اُلعُتُمِ[١١]

وَاُلرَّتَمُ[١٢]، وَاُلصَّابُ[١٣] شَجَرٌ بِاُلْغَوْرِ اِذَا قُطِعَ مِنْهُ شَيْءٌ خَرَجَ مِنْهُ لَبَنٌ فَاِذَا اَصَابَ اُلْعَيْنَ حَلَبَهَا

تَمَّ كِتَابُ اُلنَّبَاتِ وَاُلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اُلْعَالَمِينَ

---

١) كلُّ هذه الاشجار تنبت في جبال جزيرة العرب ومنها تُتَّخذ القسيّ ولم يزد النباتيّون في وصفها شرحاً. وقال ابو حنيفة في النَّبْع: انَّهُ شجر اصفر العود رزينهُ ثقيلهُ في اليد واذا تقادمَ احمرَّ ٢) الصَّوْم شجرة تنبت نباتَ الاَثْل ولا تطول كطوله ولا ورق لهُ انما هو هَدَب ولا تنتشر افنانهُ يقال لثمرهِ رؤوس الشياطين يُعني بالشياطين الحيّات

٣) الخِشْيَل من اشجار الجبال قال ابو نصر انهُ يُشْبِهُ الشَّوْحط وينبت مع شجر النَّبْع

٤) قال ابو حنيفة الرَّنَف من شجر الجبال ينضمُّ ورقهُ الى قضبانهِ اذا جاء الليل وينتشر بالنهار. وقيل انهُ بهرامج البرّ (Lc., Saab de Balkh) ٥) هو نبتٌ يشبه النسرين (Lc., Clématite [Jasmin sauvage]) ٦) الشُّوع شجر جبليّ وهو البان (B., L., Moringa aptera ; Lc., Guilandina Moringa L, Βαλανὸς μυριψική)

٧) يصف نخلًا معروفاً اي مُلْتفّاً كثيفاً. واَسْبَل نما وامتدَّ. وجبَّار النخل ما عَظُمَ منهُ

٨) مرَّ ذكر الغِرْيف. والغَرَب شجر معروف (B., L., Populus euphratica ; Lc., Saule ?) ٩) الخَزَم شجرٌ لهُ ليف يُتَّخذ من لحائهِ الحبال. قال ابو حنيفة: انهُ يشبه الدَّوْم

١٠) ويُقال عَتَم وعُتُم (Lc., Phillyrea latifolia) ١١) استنَّ استاك. الضِرْو شجرة الكمكام. البراقش الاراضي المزيَّنة بالزهور. الهَيْلان الرملة. يصف حمار وحشٍ يرعى

١٢) قيل انهُ شجر لهُ زهر كالخيري وحَبٌّ كالعدس (B., L., Retama Rætam ; P. Genista Rætam ; Lc., Genista spartium) ١٣) شجر لهُ عُصارة مرَّة يُضرب بمرارتهِ المثل

من ّ بني اسرائيل

للاب لويس شيخو اليسوعي

جاءنا من احد السادة الفضلاء في الثغر كتابٌ يطلب فيهِ رأينا في منّ بني اسرائيل. ومما قال في أثنائهِ انَّهُ قرأ في مجلة مصريَّة حديثة النشأة كلامًا في هذا المعنى ارسل لنا نصَّهُ واستفتانا عن صحَّتهِ وهذا حرفهُ: «يذكر قرَّاء التوراة الاسرائيلية ما ورد فيها من ان المنّ هبط على بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر الى بلاد فلسطين وقد اختلف العلماء في ماهيّة المنّ المذكور فقال بعضهم: انهُ عصار شجرة الطرفاء تُخرجهُ منها الحشرات. وقال آخرون: بل هو ضربٌ من النبت من نوع البهَق وهو المذهب الاكثر شيوعًا ثمّ قام عالمٌ آخر فقال: انَّ ما يخرج من عصار الطرفاء هو المنّ المقصود في التوراة وينطبق وصفهُ على وصف المنّ السماويّ»

جواب المشرق

نقول انَّنا كنَّا اطّلعنا على هذه النبذة الواردة في اوَّل اعداد مجلَّةٍ لا نحبُّ ذكر اسمها هنا لما نعهد من ادب منشئها وفضلهِ لاسيما وانَّنا نعلم انَّهُ نقلهـا بحرفها عن بعض اعداد المقتطف (السنة ٢١ ص ٢٣٣) دون تروٍّ كافٍ (١ وهو لا يعلم انَّ اصحاب المقتطف كمألوف عادتهم لا يزالون يترقّبون كل الفُرَص لينفثوا في القلوب سمَّ شكوكهم وتعاليمهم الكفريَّة. ولو كانوا سامحهم الله راجعوا بالنظر اسطرًا اخرى اثبتوها سابقًا في مجلّتهم عن المنّ (السنة ١٦ ص ٦٤١) لخجلوا ان يناقضوا ذاتهم بذاتهم ويتقلّبوا هكذا مع الرياح. وقد قضى الله باهل الالحاد والبهتان ان يتلوَّنوا كابي براقش فلا يثبتوا على عماد. ويهيموا في كل واد

فقبل ان نخوض في المسألة التي عُرضت علينا لا بُدَّ من ذكر ما ورد في الاسفار الكريمة عن المنّ الذي اقات بهِ الله بني اسرائيل. جاء في سفر الخروج (١٦: ٤،٥، ١٤ — ٣٢): قال الربُّ ها انا ممطرٌ لكم خبزًا من السماء فيخرج القوم ليلتقطوهُ طعامَ كلّ

١) ما لم يكن هذا من نوع الاتفاق وعلى طريقـة الصُّدفة فانَّ العقول السامية ربَّما توافقت

يوم في يومهِ . . . فاذا كان اليوم السادس فليُعِدُّوا ما يأتون بهِ وليكن ضِعْف ما يلتقطونهُ كلّ يوم . . . وبالغداة كان سقيط الندى واذا على وجه البرّيّة شيءٌ دقيق مكتّل كالجليد على الارض . فلمّا رآه بنو اسرائل قال بعضهم لبعض : مَنهو . لأنهم لم يعلموا ما هو . فقال لهم موسى : هو الخبز الذي اعطاهُ لكم الربُّ مأكلًا . هذا هو الذي امر الربُّ بهِ التقطوا منهُ كل واحدٍ قَدْرَ أكلِهِ عُمِرًا (١ لكلّ نفس . . . فصنع كذلك بنو اسرائيل والتقطوا فمنهم من اكثر ومنهم من اقلّ ثمّ كالوهُ بالعُمِر فالمُكثر لم يفضل لهُ والمُقلّ لم ينقص عنهُ . . . وابقى منهُ اناسٌ الى الغداة فدبَّ اليهِ الدود وأنتن . وكانوا يلتقطونهُ في كلّ غداة . . . فاذا حميت الشمس كان يذوب . ولمَّا كان اليوم السادس التقطوا طعامًا مضاعفًا عُمِرَيْن لكل واحد . . . فتركوهُ الى الغد . فلم يُنتن . . . ولمَّا كان اليوم السابع خرج اناس من الشعب ليلتقطوا فلم يجدوا شيئًا . . . وسمّاهُ آل اسرائيل المنّ وهو كبِزر الكُزْبرة ابيض وطعمهُ كقطائفَ بعَسل » وزاد في سفر العدد (١١ : ٧) انَّ « لون المنّ كان كلون المُقل وكان الشعب يطوفون فيلتقطونهُ ويطحنونَهُ بالرحى او يدقّونهُ في الهاون ويطبخونهُ في القدور ويصنعونهُ مليلًا وكان طعمهُ كطعم قطائف زيتٍ . وكان عند نزول الطلّ على المحلّة ليلًا ينزل المنّ عليهِ » . وورد في سفر يشوع (ف ٥) انَّ « المنّ انقطع عن بني اسرائيل بعد اربعين سنة يوم اكلوا غلّة ارض كنعان » بالجلجال

هذا مُجمل ما اتى عن المنّ في الكتب المنزلة فضلًا عن اشارات عديدة الى هذا القوت السماوي وردت في زبور داود وكتاب الحكمة واسفار العهد الجديد

فنسأل كلّ قرَّائنا الكرام بل كلَّ من يقرّ بصحة التوراة ولا ينبذ ظهريًّا شهادة التأريخ أيمكن تفسير الآيات السابقة على طريقة طبيعية تنفي عملهُ تعالى والمعجزات الباهرة التي اجترحها حبًّا بشعبهِ اسرائيل ولبيان قدرة ذراعهِ عزَّ وجلّ بازاء الامم

بيد انَّ زنادقة عصرنا حاولوا ان ينكروا هذه الخوارق العجيبة ويبخسوا من شأنها فدونك ما وجدوا ليسندوا اليهِ مزعمهم . سمعوا انَّ في بعض انحاء الشرق ضروبًا من الشجر يسيل منها شبه صمغ لهُ بعض الشَّبه بالمنّ الموصوف في الاساطير المقدّسة فرفعوا عقيرتهم وكرّروا على رأس الملأ انَّ طعام العبرانيين في برّيّة سيناء هو هو المنّ الذي يجتنيهِ الشرقيّون

١) العُمِر كيلة وزنها قريب من اربعة ليترات وهي عُشر الإيفة

في بعض البلاد فيتّخذونهُ مأكلًا عند حاجتهم. وليس كلام المقتطف وصاحب الجريدة الناسخة عنهُ غير صدًى لهذه المزاعم الكفريَّة

فلإبطال هذه الحجَّة الواهنة التي ركن اليها المحدون راجعنا كل ما سطَّرهُ الكتبة الاقدمون والرحَّالة المحدثون بخصوص الاشجار التي يُلتقط منها المنّ فوجدنا ان مرجعها الى اربعة اصناف

الاوَّل الحاج (Alhagi Maurorum D.C.). قال ابن البيطار (٢ : ٣) في وصفهِ «انهُ شجر مشوك يُعرف بالشام و بالديار المصريَّة بالعاقول . . . وشوكهُ اخضر وزهرهُ دقيقٌ الى الزُرقة ما هو يخلف مزاود صغارًا فيها بزر شبيهٌ ببزر الحُلْبة واصولهُ عليهِ متشعّبةٌ وفي اوَّل خروجهِ من الارض يكون لهُ ورق حمصيّ الشكل». وقال في مادَّة ترنجبين (١ : ١٣٧): «الترنجبين طلٌّ يقع من السماء وهو ندًى شبيه بالعسل جامد متحبّب وتأويلهُ عسل الندى واكثر ما يقع على شجر الحاج وهو العاقول ينبت بالشام وخراسان ذو ورق اخضر ونوَّارهُ احمر لا يثمر والمختار منهُ ما كان ابيض خراسانيًا». واعلم انَّ الحاج كثير في اواسط آسية وافريقية الَّا ان المنّ لا يُجنى عليهِ سوى في بلاد فارس بجوار هراة وقندهار فينقل منهُ سنويًّا نحو الف كيلو ليباع في بلاد الهند ومنهُ تُعمل صنوف الحُلويات. امَّا في برّيَّة سيناء فانَّ الحاج فيها قليل ومنها نزر زهيد لا يجمعهُ احدٌ ليبيعهُ لقلَّتهِ وبعض اهل البدو يجنونهُ فيأكلونهُ

الصنف الثاني الطَّرفاء وهي نوع من العضاه يدعوها النباتيُّون المحدثون (Tamarix, Tamarisque) وهي اصناف منهـــا طرفاء المنّ (Tamarix mannifera) وطرفاء العفص (Tamarix gallica) وعليهما يُجنى المنّ في شبه جزيرة سيناء. وذلك انَّ صنفًا من الهوامّ يُدعى (Coccus manniparus) يأبر اغصان الطرفاء فيسيـــل منها صمغٌ تذيبهُ الشمس فيقطر في الارض كقطرات الندى. واهل الوبر يجمعونهُ وهو مخلوط باوراق الشجر فينخلونهُ ويدّخرونهُ عندهم في اكياس ثمَّ يادمون بهِ خبزهم. والطرفاء في برّيَّة سيناء اكثر ما تنبتُ في وادي غرندل ووادي فيران ووادي الشيخ. ومع وفرتهـــا اذا جُمع ما يسيل منها من المنّ طول السنة لا يكفي لقوت شعب اسرائيـــل ليوم واحد بل لأكلةٍ واحدة فليت شعري كيف يكفي ليقوتهم مدَّة اربعين سنة

ثم انَّ منّ الطرفاء لا يُجنى في كلّ اشهر السنة بل يُلتقط في شهري تموز وايلول فقط وفي السنين التي يكثر فيها الندى

وزد على ذلك انَّ علماء الكيمياء حلّلوا منّ برّيَّة سيناء فوجدوه لا يصلح وحدهُ لغذاء الانسان ما لم يضاف الى طعام آخر وذلك لانَّ عُنصر الازوت الذي يغـذي الحيوان والانسان قليل جدًّا في المنّ لا يفي بقوام حياتهِ . واكثر ما يتألَّف منهُ المنّ المادَّة السكَّرية

الثالث هو شجر العفص (Chêne de noix de galle) . وهو كثير في بلاد ما بين النهرين يتكوَّن عليهِ المنُّ كما يتكوَّن على الطرفاء ومنهُ صنفٌ ابيض وهو نادر يسيل من الشجر فيجمعهُ الاكراد ويبيعونهُ بثمنٍ غالٍ . وصنفٌ آخر يُجنى مع ورق الشجر فهو لذلك مخضرّ يباع في الاسواق في نيسان وايَّار . وقد اكلنا منهُ مرارًا في وطننا واهل الموصل يصنعون منهُ قطائف لذيذة اهدانا منها حضرات الآباء الدومينكان لمَّا اجتزنا في الموصـل منذ ثلاثة اعوام . وهذا الصَّنف من المنّ كمنّ الطرفاء لا يصلح للغذاء وحدهُ فضلًا عن قلّتهِ في شبه جزيرة سيناء

الرابع البَهَق (lichen esculentus,canona esculenta) . ليس البهق شجرًا بل هو نبات كالطحلب يعلو الصخور واكثرهُ في بلاد الجزائر وصحراء افريقية ومنـهُ شيءٌ في جزيرة العرب والعجم و بلاد ما بين النهرين . ينبت منهُ عند توفُّر الندى ثمرٌ شبه الحمّص اذا كسرتهُ وجدت في داخلهِ كشبه الدقيق طعمهُ شديد الحلاوة واهل الجزائر يدعونهُ وَسَخ الارض (١ . فذهب بعض الزنادقة الى انَّ الاسرائيليين اقتاتوا بثمر البهق هذا في غضون رحلتهم الطويلة . ويردُّ هذا القول نفس الحجج التي اوردناها سابقًا بخصوص منّ الحاج والطرفاء من حيث القلَّة وعدم الصلاح للغذاء

ويمكننا ان نضيف الى هذه الاصناف منّ يُجنى في بلاد صقليّة على شجر الدردار (frêne) لكنَّهُ لا يكاد يستعملهُ اهلها الَّا في تركيب بعض الادوية المُسهلة . وكذلك ربَّما وُجد قليل من المنّ على اشجار غير السابق ذكرها كالزيزفون والبطم

فهذه خلاصة ما وصفهُ النباتيّون وعاينهُ اصحاب الرّحل والاسفار . فلعمري انَّى استطاع الجَحَدة ان يقابلوا بين منّ العبرانيين وما يُعرَف الآن باسم المنّ فيزعموا انَّ كليهما واحدٌ

١) منهم برتلو الكيمويّ الشهير . وهو ممَّن يُعادون الدين واهلهُ

٢) راجع مجلَّة الطبيعة La Nature, 8 *Octobre*, 1898, p. 298

ولو سبروا الامر بعيار العقل وقاسوه بقياس الادراك لما اجترأوا على مثل هذا القول الفاحش وفيهِ من الافراط ما لا يُنكر

ولبيان الفرق بين كلّ منهما احببنا ان نعدّد صفات المنّ الاسرائيليّ التي تفرزهُ عمّا يشبههُ في عهدنا اسمًا لا جسمًا:

١ ظهور المنّ لبني اسرائيل كان بغتةً بعد ان تذمَّروا على موسى وهرون وتلهَّفوا على مآكل مصر وخبزها ولحمها فوعدهم الربّ ان سيعطيهم في الغد خبزًا. فقام بوعدهِ

٢ لمّا رأى العبرانيّون المنّ لاوّل مرّةٍ اخذهم الدهش ولحق بهم الانذهال فلم يعرفوا ما هو. فمن ثمَّ دعوهُ منًّا (מָן) وتأويلهُ: ما هذا. فلو كان المنّ شيئًا طبيعيًا لما تعجّبوا من ذلك ولأدركوا الامر على طريق سهل بمجرَّد نظرهم الى الاشجار او النَّهق التي منها يسيل

٣ ان منّ العبرانيين كان يُسحق ويدقّ ويُجعل منهُ فطائر تُشبع المرء وتسدُّ عوزهُ. وقد سبق انَّ المن المعروف اليوم لا يصلح للغذاء وهو ايضًا لزج لا يمكن دقُّهُ

٤ كان المنّ الاسرائيلي قوتًا للشعب يومًا بيوم فيُنتن اذا اذُّخر للغد والمنُّ الحالي يمكن حفظهُ زمنًا طويلًا ما لم يُعرَض لاشعَّة الشمس ويُنقل للبلاد ليباع وقد رأينا ذلك بالعيان

٥ ثم انَّ من كان يجني من المنّ كمّيّةً اوفر لم يفضل لهُ وكذلك المُقل لم ينقص عنهُ. وهذه معجزة باهرة لا تصدق في المن الحالي

٦ ومن عجيب امر المنَّ الاسرائيلي انَّهُ كان يبقى في يوم السبت لم يدبّ اليهِ الدود لئلاَّ يُضطرّ بنو اسرائيل الى العمل في يوم السَّبت وكان الربُّ انهاهم عنهُ.

٧ ولذلك كان المن لا يهبط في يوم السبت وتلك اعجوبةٌ أخرى لا تُنكَر

٨ انَّ المنَّ اقات بني اسرائيل في كل مراحلهم. فلو كان منُّهم هو منُّ الطرفاء او غيرها من الشجر لاقتضى ان تكون كل شبه جزيرة سينا كروضة غنَّاء لا تنقطع عنها الغابات في طولها وعرضها وما ورد في الاسفار الالهية يصف لنا برّيّة سينا مَحلةً كثيرة الصخور قليلة المياه كما نعهدها اليوم

٩ لو كان المن الطبيعي هو المقيت لبني اسرائيل لاقتضى ان يكون مجتنى كل نهار نحو مليوني كيلو وهذا مما لا يمكن جمعهُ ولو كان عدد اشجار الطرفاء في ذلك الزمان ستمائة الف مرّة اكثر من اليوم

١٠ المنّ انقطع في يوم اكل الاسرائيليون غلّة بلاد كنعان لعدم حاجتهم بعد ذلك الى المنّ

١١ امّا المن الذي وُضع في تابوت العهد فبقي محفوظاً مع عصاة هرون ولوحي الوصايا العشر الى خراب الهيكل

هذه اشهر خواصّ منّ العبرانيين الذي ما فتئ اليهود ان يعدّوا تروله على آبائهم كنعمة خارقة لم يُسبق اليها. وكذلك الانبياء لا يزالون يذكّرون بني اسرائيل بما صنعهُ الله مع اجدادهم من الآيات الباهرة وكلّهم يعتبرون المنّ بين اغربها واعجبها (راجع المزمور ٧٧ والنجيل يوحنّا ف ٦). وان وُجد بعض التشابه بين خواصّ المنّ الطبيعيّ ومنّ بني اسرائيل فانّ وجوه المباينة اكثر واوضح

وقد زعم البعض انّ بني اسرائيل كانوا اذا اكلوا المنّ استطعموا ما شاؤوا واسندوا رأيهم في ذلك الى ما جاء في سفر الحكمة (١٦: ٢٠): «امّا شعبك فاطعمتهم طعام الملائكة وارسلتَ لهم من السماء خبزاً معدّاً بلا تعب يتضمّن كل لذّةٍ ويلائم كلّ ذوق» الّا انّ سواد المفسّرين قد اتّفقوا اليوم على انّ المراد بقولهِ «يتضمّن كلّ لذّة» المبالغة في وصف لذّة المنّ اي انّهُ لذيذٌ جدًّا. وقولـهُ: «يلائم كلّ ذوق» اي يصلح لذوق كل آكليهِ فليس من احد يأبى اكلهُ. هكذا شرح هذه الآية القديس اوغسطينوس نفسهُ في القرن الخامس. وما يؤيّد هذا التفسير انّ بعض بني اسرائيل تشكّوا من عدم وجود طعام آخر غير المنّ (سفر العدد ١١: ٦) فلو كانوا وجدوا فيهِ طعم كلّ المآكل لما كان وجهٌ لتذمّرهم

فلنختم اذًا هذه الاسطر الوجيزة بقولنـا ان سهام الكفرة قد طاشت اذ ارادوا نفي هذه المعجزات الجليلة التي صنعها الله مع شعب اسرائيـل . وانّ بين المنّ الشائع والمنّ العجائبي بوناً عظيماً. قال رَوْلنسن الشهير: ولو افترضنا انّ العلماء يتمكّنون من بيان وَحدة المنّ الحالي والمنّ الاسرائيلي فتكون تغذية شعبٍ يُربي عددهُ على المليونين بمنّ اشجار الطرفاء او غيرها اعجوبةً اعجب من العجائب المذكورة في التوراة. وكذا قال المقتطف نفسهُ في المجلّد السادس عشر (ص ٦٤١) لمّا ردّ على من ارادوا بيان وجود المنّ ببعض الطرائق الطبيعية فقال «وذلك اعجب من خلق المنّ بطريقة الاعجوبة»

النفس البشرية

صنّفها المَفريان العَلّامة ابو الفرج المعروف بابن العبري

(تابع لما قبلُ)

الفصل الخامس والثلاثون

في بيان انّ النفس هي تدبّر الجسد وتسوسهُ

لا يُخفى انّ الجسم آلة للنفس وهي الفاعلة بهِ ويلزم الفاعلَ بالآلة ان يدبّرها ويسوسها فالنفس اذن تدبّر البدن وتسوسهُ. والدليل على ذلك انّ النفس تمنع البدن وتردعهُ مرارًا عديدة عن شهواتهِ في سبيل فوائدها وتأبى العمل بما يرضيهِ وتلزم القانون الذي يضادّ طبيعة الجسد فيظهر بهذا انّها هي السائسة. واما اذا غُلبت النفس بالدواعي البدنية والشهوات الدنيويّة من المآكل والمشارب اللذيذة والملابس البهيّـة وهَويت ذلك فيكون الامر بعكس المطلوب اذ يصير البدن حاكمًا عليها وقاهرًا لها وتلك شرّ الاحوال العيـاذ بالله من عواقبها

واعلم انّ الآلة تُقال على ضربين ضرب صناعي وضرب طبيعيّ فالصناعيّ مثل آلة النجّار فانّها مُباينةٌ لذاتها وهذه تسمّى اداةً. وامّا الطبيعيّ فمثل البـدن والنفس اللذين يتركّب منهما الانسان الواحد ويتمّ حدّهُ بهما معًا. فهذا هو المراد بانّ البدن هو آلة النفس وامّا تدبيرها لهُ فبالحواسّ العشرة: خمسة ظاهرة وهي البصر والسمع والشمّ والذوق واللمس. وخمسة باطنة وهي الحسّ المشترك والخيال والوهم والفكر والذكر. امّا شرح مفاعيل هذه القوى وبيان حدودها وفوائدها فيُطلب من المباحث الطبيعيّة

الفصل السادس والثلاثون

في بيان انهُ ليس يمكن ان يكون انسانٌ غيرَ ناطقٍ

وذلك انّ النطق عبارة عن ان يَفهم الانسانُ ويُفهم المعاني لغيرهِ ولا نجد انسانًا خاليًا من هذه الحالة. والتعبير يكون امّا باللفظ او بالكتـابة او بالاشارة كالاخرس. وأمّا الطير الذي يتكلّم بالفاظٍ فصيحة فيكون قد تعلّمها مرارًا عديدة ومع ذلك فلا يعلم بما ينطق بهِ ولا لهُ قدرة على تعليم غيرهِ شيئًا يعرفهُ

الفصل السابع والثلاثون

في بيان كيفية افعال النفس في البدن

اعلم انّ النفس واحدة بسيطة فيجب من ثمّ ان يكون فعلها واحدًا. لكنّ دواعي بدنها كثيرة فلذلك تختلف افعال النفس فيهِ من قِبَلهِ لا من قبلها. واذا صحّ ذلك فنقول ان اوّل فعل النفس في البدن هو التغذية والتربية والنموّ تُفيدهُ الحسّ والحركة ليدرك الانسان بحواسّهِ الظاهرة ثم تستدرج الى الحواس الباطنة فيتمكّن الانسان ممّا يقصدهُ من استنباط المعاني. وتحت هذا سرّ عظيم تبارك اسمُ مُبدعهِ (١

الفصل الثامن والثلاثون

في بيان اختلاف مزاج الاشخاص البشريّة مع وحدة نوع انفسها

اعلم انّ السبب الاوّل لهذا الاختلاف غلبة الأخلاط بعضها على بعض فتُوجب في الاشخاص امورًا متناقضة. وربّما حصل ذلك لسبب آخر وهو الاعتياد. فترى الذي يقهر نفسهُ يحصل على عادة اللطف والتواضع ويتسارع الى الفضائل والإحسان. وزد على ذلك انّ المزاج يقبل الزيادة والنقصان ولولا ذلك لما افاد التهذيب والعلم والتأديب وكان وجود كلٍّ هذه عبثًا وهو محال

الفصل التاسع والثلاثون

في بيان السبب الذي لاجلهِ تمتنع النفس عن الافعال اللائقة بها في ابدان الاطفال

انّ سبب ذلك ظاهرٌ وهو ضعف الآلة المختصّة بفعلها على ما بيّنّاهُ آنفًا لان عمل النفس يكمل باستعمالها الحواسّ العشرة. وهذه الحواس في الطفل قاصرة عمّا هو المقصود في تحصيلهِ وتكميلهِ

الفصل الاربعون

في الردّ على من زعم انّ النفس ليست ناطقة بالفعل في الطفل

زعم قومٌ انّ النفس ليست ناطقة بالفعل في الطفل وذلك مُحال. لان النفس ناطقة

---

١) مرجع هذا الفصل الى انّ النفس البشرية نباتيّةٌ وحيوانيّة وناطقة معًا فمن حيث انّها نباتيّة وحيوانيّة يستفيد منها البدن النموّ والحسّ والحركة ويتمكّن من كل الافعال التي نراها في النبات والحيوان كالتغذية والوهم والخيال. امّا من حيث انّها ناطقة ففعلها منزّهٌ عن الجسم

بالطبع وكلُّ ما يكون بالطبع لا بُدَّ ان يوجدَ بوجود ذلك الشيء مثل الحرارة للنار والرطوبة للماء . فوجب ايضًا نطق النفس بوجودها . والمانع لها في الطفل من إكمال فعلها ضعف آلتها كما بيَّنَّا آنفًا . وذلك مثل الماهر في صناعة الكتابة فانَّهُ يعجز عن اتمام غرضهِ دون كمال آلتهِ

الفصل الحادي والاربعون

في بيان حال الطفل الذي يُمكن تربيتُهُ دون سائر البشر هل يعرف لغةَ الكلام ام لا

نقول انَّ الذي هو بهذهِ الصفة يُشبهُ شخصًا جالسًا بين اقوامٍ لم يسمع لغتهم فيمتنع عليهِ معرفةُ تلك اللغة . وهكذا تكون حال الطفل المذكور فانهُ يبعث بلسانهِ بعثًا ولا يُعرب عن لغة مقصودة . وسبب ذلك انَّ الالفاظ دالَّة على المعاني المخزونة في النفس وتلك الالفاظ متَّفقٌ عليها في اللغات تفتقر الى معرفة كيفيَّة الاصطلاح عليها . وذلك هو المقصود من اللغة اعني ان يُتحصَّل بها العبارة عمَّا في النفس

الفصل الثاني والاربعون

في بيان انَّ النفس متناهية بكيانها وفعلها

نقول انَّ الجسم بالضرورة هو متناهٍ لانَّهُ مُحاطٌ بغيرهِ ولهُ نهاية وحدود . وامَّا النفس فانَّ تناهيها من قِبَل انَّها حادِثة وكلُّ حادثٍ متناهٍ فالنفس اذن متناهية — ثمَّ انَّ نفس كلِّ واحدٍ من البشر مقصورة على تدبير جسمها . والمقصور على الشيء دون غيرهِ متناهٍ فالنفس اذن متناهية

الفصل الثالث والاربعون

في تبايُن الانفس بعضها عن بعض

انَّ المُباينة بين النفوس على وجهين احدهما بالذات اعني ان يختلف ذات كلِّ نفسٍ عن ذات الاخرى كنفس سقراط مثلًا ونفس افلاطون . والوجه الثاني بالعدد مثل قولنا نفس واحدة وثانية وثالثة ورابعة . وهاتان المباينتان ظاهرتان . — ثمَّ انَّ النفوس بَعْدَ المَعاد تتباين بعضها عن بعض بامرين آخرين وهما المحلّ الروحانيّ (١ والمعاني التي حصلت للنفس من الفضائل والرذائل (٢ فيكون لها على ذلك مباينات اربع بعد المعاد

١) يريد بالمحلّ الروحاني دار النعيم او سُكنى الاشرار في الجحيم

٢) اي انَّ النفوس تتباين ايضًا في العالم الآخر بالصفات الحسنة او المزايا السيّئة التي تكيَّفت بها

الفصل الرابع والاربعون

في بيان انَّ نفس السِقْط مثل النفس التي مكثت مع جسدها زمنًا طويلًا

اعلم انَّ الكيان الجوهري المتعيّن للنفس لم يزد ولم ينقص لانَّهُ ذاتٌ لا عرض. واماَّ عند فراق النفس من الجسد فلا يقال انَّها برزت من العضو الفلاني او من الجهة الفلانية كما يظنّ البعض انَّ النفس تبرز من الفم فانَّ هذه واشباهها لا تليق بالنفس بل بالجسد. واماَّ فراق النفس للجسد فكمثل افتراق حرارة النار من الذهب المُحْمَى ومثل قوَّة الدواء اذا بطلت منهُ ومثل نور الفضاء اذا زال عنهُ

الفصل الخامس والاربعون

في بيان انَّ النفس اذا فارقت الجسم لم يصدق عليها الفساد والهلاك

لقد بيّنَّا انَّ النفس بسيطةٌ وانَّها ذات واحدة وطبعُها الحياة وهي قائمة بذاتها غنيَّة عن موضع توجد فيهِ. وكلٌّ من كان بهذه الصفة فهو باقٍ فاذن النفس باقية بعد الفراق— ونقول ايضًا لو صدق على النفس الفناء لكان ذلك وهي في عذاب الجسد اجدر واحرى لانَّ المُبتلى بانواع الضيق اسرع الى الهلاك منهُ عند الفَكاك. ولمَّا لم يصدق عليها الفناء وهي تقاسي مرارة دواعي البدن امتنع عليها ذلك بعد فراق الجسد. وذلك ما اردنا ان نبيّنهُ (التتمَّة في العدد الآتي)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي

٣ نهر الكلب

انَّ طريق جونية كما ذكرنا في مقالتنا السابقة يقطع نهرًا طالما ورد ذكرهُ في تاريخ سواحل فينيقية وهو نهر الكلب. وليست خطارة هذا النهر بعمق غَوْر مياههِ او طول مسافة سيلهِ لانّ اصلهُ كما لا يُخفى من مغارة في سفح جبل جعيتا تبعد عن البحر ستّة اميال فقط وتختلط مياههُ عند خروجهِ بالمياه المنحدرة من أعالي لبنان من نبعي اللبن

والعسل فيجري من ثم راغيًا مزبدًا حتى ينتهي الى البحر فيصبُّ فيهِ. وانمًا لنهر الكلب شأن في تاريخ الفتوحات العظمى القديمة لانَّ عند مصبّهِ مضيقًا لا بُدَّ من قطعهِ لمن حاول المرور في سواحل سوريَّة ولذلك اضحى هذا المكان في كلّ الازمنة كمأزقٍ بهِ اصطلت نيران الحروب بين الملوك الفاتحين وسكَّان البلد المدافعين عن وطنهم

وقد قدَّمنا ان اسمهُ باليونانية (Λύκος) اي ذئب فعُرِّب بنهر الكلب. ولكن أنَّى لهُ هذه التسمية وما سبب هذا اللقب؟ نجيب انَّ الاقاصيص الشائعة بين العامَّة تروي عن اصل هذا الاسم امورًا غريبة منها انَّ كلبًا هائلًا كالغول كان يحرس هذا الممرّ الحرج فلا يدع احدًا يجتاز ما لم يحلَّ لهُ لغزًا يعرضهُ عليهِ. وهذه الرواية اشبه شيء بحكاية اليونان عن ابي الهول (Sphinx) الذي كان يفترس من لم يستطع الى فكّ احاجيهِ سبيلًا. ومنهم من زعم انَّ النهر دُعي كلبًا لانَّ الوثنيين قديمًا نصبوا هناك صنمًا على هيئة كلبٍ يعبدونهُ ويدَّعون انَّهُ اذا وافاهم العدوّ ينبح الكلب فيحذّرهم من هجماتهِ. ويقولون انَّ بعض الصخور المجاورة للنهر تمثّل جسم هذا الصنم بيد انَّ رأسهُ قُطع فأُلقي في البحر. ولا نظنّ ان في هذه الاحاديث شيئًا من الصحَّة لانَّ العلماء لم يقفوا بعد البحث على اثرٍ للتمثال المذكور فضلًا عن ان الكتبة الاقدمين لم يذكروا شيئًا من امرهِ. والرأي الصواب عندنا انَّ النهر يُسمّى ذئبًا او كلبًا لصخابة صوتهِ عند انصبابهِ في البحر حيث تصطدم مياههُ بالامواج المتلاطمة فيسمع لهُ دويٌّ عظيم (١ ويشبه هذه التسمية اسم الليطاني الذي دعاهُ القدماء نهر الاسد (Λέοντος πόταμος) فعُرِّب بالليطاني وهو الذي يصبُّ في البحر بين صور وصيداء ويسمَّى عند مصبّهِ نهر القاسميَّة

وبالقرب من النهر آثار الطريق الرومانيـة التي نُحتت في وسط الصخور المطلَّة على النهر جنوبًا وقيل انَّ مرقس اوريليوس انطونينوس الملك (٢ بين سنتَيْ ١٧٧ و ١٨٠ وثَّر هذه الطريق ووسَّعها فدعاها باسمهِ « Via Antoniniana »

---

١) راجع Ritter: *Erdekunde XVII*, 92 ولهذا المؤلف تفسير آخر لا حاجة لذكرهِ هنا

٢) قد وهم الشيخ طنُّوس الشدياق (ص ١٦) في اخبار الاعيان في جبل لبنان اذ نسب هذا المشروع لانطونيانس قيصر في سنة ١٤٧ والصواب كما ذكرنا. والشاهد على ذلك كتابتان عند مضيق نهر الكلب يُذكَر في الاولى تمهيدهُ للطريق

اما الجسر فكان سبقهُ الى بنائهِ انطيوخوس الاوّل المعروف بسوتير ملك سوريَّة في سنة ٢٥٠ قبل المسيح ثم هُدم وأُصلح مرارًا (١. والجسر الذي يُعرف اليوم بالجسر القديم هو الذي اقامهُ السلطان سليم خان الاوَّل فاتح الشام كما يُستدَلّ على ذلك بكتابة عربيَّة رُقِمَت في عهدهِ ثمَّ جدَّد بناءَه امير لبنان الشهير بشير الشهابيّ. وقيل انّ الجسر الباقي هو جسرٌ ثانٍ نصبهُ الامير بشير بقرب الجسر الاوَّل بعد هبوطهِ (٢

ومن الاخربة القديمة ما تراهُ على الضفَّة الشمالية من الآثار وهي بقايا قناةٍ عظيمة كان الرومان بنوها لنقل المياه الى السهول الواقعة بين نهر الكلب وجونية وقد اتَّخذها اصحاب الارزاق في ايَّامنا لجلب الماء الى طواحينهم

هذا على انَّ في جوار نهر الكلب آثارًا غير المذكورة آنفًا لها في تاريخ فينيقية اعظمُ شأن. ومن غريب الامور ان كثيرين من الكتبة الى اواسط هذا العصر انكروا وجود هذه العاديَّات (٣ مع انها مكشوفة للعيان يراها كل ابناء السبيل. وانَّما يعود الشرف لاثبات وجودها وبيان اهمّيتها للمرسل الشهير الاب مكسيميليان ريلّو اليسوعي (٤. فنقل رسومها بكلّ دقَّة وبعثها لعلماء اوربَّة ليجدُّوا في شرحها

وهذه الكتابات او الآثار القديمة عبارة عن خمسة عشر اثرًا اربعة منها خطوط اشوريَّة بالقلم المسماريّ وُجدت سنة ١٨٨٢ تحت القناة الرومانية فوق الحضيض باثني عشر مترًا على مقربة الجسر الجديد بميلةٍ قليلة الى الشرق. لكنَّ هذه الكتابات مطموسة لم يُستخلص بعدُ منها فائدةٌ تُذكر

امَّا بقيَّة الآثار فوقعها على ضفَّة النهر الجنوبية وهي احدى عشرة كتابة ما خلا الكتابتين اللاَّتينيَّتين المذكورتين سابقًا

١ فاوَّل هذه الكتابات وردت على صفيحة قديمة كبيرة بالقلم المصري الهيروغليفيّ

---

١) ومن جملة من اصلحوا هذا الجسر سيف الدين ابن الحاج ارقطاي المنصوري سنة ١٢٩٢

٢) راجع اخبار الاعيان ص ١٧

٣) لو جمعنا كلَّ ما كُتب في هذا الخصوص للمدافعة عن وجود كتابات نهر الكلب او انكار ذلك لحصل من هذا المجموع كتاب ضَخم الحجم (راجع مجلَّة العاديَّات سنة ١٨٦١ ص ٦٩) وما يزيدنا عجبًا انَّ العلاَّمة دي سوسي الكاتب الشهير لم يقتنع بوجودها مدَّة سنين كثيرة مع انَّهُ اجتاز بقربها في غضون سفرهِ الى الشرق

٤) Ritter XVII, 534

تتضمَّن تقدمةً للاله « فتاح » المصريّ . وهي الصفيحة التي نُقش عليها ذكر البعثة الفرنسية التي وردت الشام في سنة ١٨٦٠ وهذا الخطّ الفرنسيّ مع حداثة عهدهِ كاد ان يطمس رسمُهُ مع بقاء كتابة مرقس اور يليوس بعد ستة عشر قرناً

٢ والكتابة الثانية بالقلم المسماري موقعها بجانب الطريق كالاولى وهي تمثّل صورة ملك اشوري رافعاً يده

٣ وبقرب هذه صورةٌ اخرى اشوريَّة توارى معظم رسمها فلا يُميَّز منها سوى الرأس

٤ واذا صعدت نحو عشرين متراً فوق الطريق القديمة المشرفة على الطريق الرومانية تجد صورة اخرى اشوريَّة طامسة الاثر

٥ و٦ ثمَّ هناك ايضاً كتابتان يونانيَّتان ذهب الدهر بحروفهما فلا يُرى منهما الّا اليسير . وقد زعم دليل بيديكر (١ انَّ احداهما لاتينيَّة والصواب كما قلنا

٧ وتليهما صورة اخرى اشوريّة

٨ ثمَّ نُصُبٌ مصريّ يمثّل احد الفراعنة منتصباً يقرّب قربانهُ لاله الشمس « راع »

٩ وفي تلك الجهات ايضاً كتابة اشوريَّة مع صورة ملك وكلاهما قد صبر على غابر الدهر

١٠ ثمَّ رقيمٌ مصريّ فيهِ صورة بعض الفراعنة والاله عمُّون

١١ واخيراً صفيحة متقنة الرسم تمثّل ملكاً اشوريًّا ذا لحية طويلة مجعَّدة لابساً رداء سابغ الذيل وعلى رأسهِ تاج ملوك اشور وفي يدهِ اليمنى مِقْصرة يسندها الى صدرهِ

فاقدم هذه الكتابات هي الخطوط المصريَّة التي امر برقمها رعمسيس الثاني فرعون موسى المعروف عند اليونان بسيسوستريس وذلك في آخر القرن الرابع عشر قبل المسيح يصف فيها غاراتهِ وفتوحاتهِ العديدة (راجع المشرق ص ٨٨٨ و ٨٨٩)

امّا الكتابات والصور الاشوريَّة فقد اختلف العلماء في تفسيرها قيل انَّ احداها تمثّل سنحاريب ملك بابل الذي ذكرت التوراة غزوتهُ وسوء منقلبهِ نحو سنة ٧٠١ قبل المسيح . والمظنون انَّ بقيَّة الصفائح تتضمَّن صور الملوك الاشوريين تغلات فلاسر الاوَّل وسلمناصر الثاني واشور بنيبال . وفي كتاباتهم المكتشفة حديثًا في بابل قد بالغوا في وصف

---

١) راجع دليل بيديكر الطبعة الرابعة الالمانية (Baedeker, p. 331)

غزواتهم لاسيما فتوحهم للشام وقهرهم لسواحل فينيقية . فكون اذًا هذه الصفائح دليلًا على مرورهم في هذا المضيق وتذكارًا لغلباتهم

وبقي هذا المضيق في يد ممالك شتّى كثيرة الى ان اجتازهُ انطيوخوس الكبير والجأ جيوش البطالسة ان يفرّوا امامهُ هاربين . وفي تاريخ الصليبيين تكرّر ايضًا ذكر مضيق نهر الكلب ولم يكن للفرنج مناصًا من عبورهِ في سيرهم على ساحل البحر . وممّا يخبر انّ بلدوين الاوّل لمّا سار من انطاكية الى اورشليم ليخلف اخاهُ غدفريد في المُلك كاد يذوق في هذا الممرّ كأس المنيّة لولا حذقهُ وشجاعة فرسانه

وجاء في معجم البلدان لياقوت (٤ : ١٧) انَّهُ كانت قلعة فوق رأس نهر الكلب (١ ولا غرو ان ملوك الشام حصّنوا هذا المركز المنيع لدفع هجمات المعتدين (١

ومن غريب ما ذكرهُ الجغرافيّ اسطرابون ان اهل ارواد كانوا يقطعون نهر الكلب بسفنهم فيصعدون الى داخل البلد . ولعلّهُ شُبّه الامر على اسطرابون لانّ هذا نهر كثير الصخور لا يخلو من العقَبات سوى عند مصبّهِ . وليت شعري ما الفائدة من الصعود في نهر قصير المسافة لا ترى على جانبيهِ ضيعة مأهولة (٢ . ومن المحتمل انّ هذا النهر كان واسع الاطراف عند مصبّهِ فكانت السفن ترسو عندهُ كما في ميناء فتصونها من الرياح الصخور المنتصبة في جهتها الجنوبية . ولا يبعد ايضًا القول ان سفن التجّارة الاقدمين كانت تنقل من ثمّ خشب الارز بعد قطعهِ في قمم الجبال ودفعهِ على وجه المياه الى هذا المكان (٣

ويشرف على نهر الكلب من جانبيهِ قرية بلّونة ودير طاميش والظاهر انّ في مركزيهما كان هيكل للاصنام فتكون بلّونة تصحيف اسم الاله ابلّون (Ἀπόλλων) وطاميش منقولة عن اسم الالهة (Ἄρτεμις) وهي المعروفة ايضًا باسم ديانة . وقد وُجد ايضًا مدافن قديمة قريبًا من عين طورة (ستاتي البقية)

---

١) ويقول ياقوت ايضًا ان هذا الحصن يبعد ستّة اميال عن المرداسيّة على مسافة ثمانية اميال من بيروت . وكذا ورد في نزهة المشتاق للادريسي (ص ١٧ ed. Gildemeister) . فيتّضح من قولهما انّ المرداسيّة بين بيروت ونهر الكلب بيد انّنا نجهل موقع المرداسيّة هذه . ويروى : المزداسيّة

٢) Mission de Phénicie

٣) Russegger: *Reise*, III, 153

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر التجريدة[١] الى الكرك

لمَّا تسلطن السلطان الملك الناصر احمد ابن الملك الناصر بن محمد بن قلاوون في الكرك اقام فيها ايَّامًا في لهوٍ ولعبٍ فانكروا عليهِ امورًا لا تليق بالسلطنة. فاتَّفق اهل الشام على خلعهِ وارسلوا المصريين في ذلك فاجابوهم وسلطنوا اخاهُ الملك الصالح اسماعيل ابن محمد بن قلاوون في شهر محرَّم سنة ثلاث واربعين وسبعمائة (١٣٤٢ م) وتجرَّدت العساكر الى الكرك لحصار السلطان احمد وكان توجَّه العسكر الشامي الى الكرك في نهار الخميس سابع عشر ربيع الاوَّل من السنة المذكورة. وكان ذلك في اواخر ولاية علاء الدين ايدغمش في نيابة الشام[٢]. وفي شهر رجب من هذه السنة تولَّى نيابة الشام سيف الدين طقزدمر[٣] بعد وفاة ايدغمش الذي كان تولَّى في صفر من هذه السنة المذكورة. وبرزت المراسيم (48ᵛ) بتجريد الرجَّالة من المعاملات فجهَّز ناصر الدين الحسين اخاهُ عزَّ الدين الحسن بن خضر الى الكرك وصحبتهُ جمال الدين ابن سيف الدين وعزّ الدين بن عماد الدين وسعد الدين سعيد ابن ناصر الدين ابي الفتح ابن سعدان من بني ابي الجيش وصُحبتُهم جماعة. ولم اقف على تاريخ يوم توجُّههم لكن رأيتُ بخطّ ناصر الدين الحسين ما هذه صورتهُ:

ورد الخبر الذي ألَّم القلوب وجدَّد المكروب نهار الثلثاء تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث واربعين وسبعمائة انَّ الاخ عزّ الدين الحسن تغمَّدهُ الله برحمتهِ ورضوانهِ استشهد

---

١) التجرِّيدة كالتجْردة البعثة الحربية وجماعة الجنود

٢) خدم الامير ايدغمش الملكَ الناصر محمَّد بن قلاوون وتقلَّب في المناصب العالية وصار امير آخور و بقي في رتبته بعد وفاة الناصر الى ان تولى نيابة الشام ومات سنة ٧٤٣ (١٣٤٢م)

٣) كان طقزدمر احد كبار الامراء في ايَّام الملك الناصر محمَّد بن قلاوون جاء ذكرهُ مرارًا في تاريخ مصر لابن اياس وهو باني القنطرة التي على الخليج الحاكمي تولَّى نيابة حلب والشام ثم صار نائب السلطنة في ايَّام الملك المنصور ابن الملك الناصر فلمَّا صار الملك لاخيهِ الاشرف نفاهُ الى دمياط وسجنهُ الملك الكامل شعبان في الكرك . توفي سنة ٧٤٦ ه (١٣٤٥ م)

نهار الثلثاء تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث واربعين وسبعمائة بظاهر الكرك وهو نهار وصوله بن معهُ. فقاتل وقُتل رحمهُ الله. وأُسِر سعد الدين سعيد ابن ناصر الدين ابن سعدان من رفقته وهرب الباقي وتركوهُ يقاتل خلقًا كثيرًا من اهل الكرك وكان المكان وعرًا فلم يقدر ان يركب فرسهُ

ذكر تجريدة ناصر الدين الحسين الى الكرك

برزت المراسيم الى جميع ولايات الاعمال الشاميَّة بتجريد العُشران وغيرهم الى الكرك وعيَّنوا على معاملَتَيْ صيداء وبيروت خمسمائة راجل، على كل منهما ميئتين وخمسين راجلًا. فتوجَّه ناصر الدين الحسين بن معهُ نهار الثلثاء خامس ذي القعـدة (46r) سنة ثلاث واربعين وسبعمائة (١٣٤٣ م) ولاقاهُ رجَّالة الجُرْد صُحْبة مُقدَّمهم الى البقاع نهار الاربعاء ودخلوا دمشق نهار الجُمعة وتوجّهوا منها نهار الثلثاء ثاني عشر ذي القَعْدة وساروا منزلةً بعد منزلةٍ فوصلوا الى الكرك اوَّل ذي الحجة من السنة المذكورة

وكان المقدّم على العساكر رُكن الدين بيبرس الاحمديّ ومسعود الخطريّ وابن قرا سنقر. واما بيبرس الاحمدي فكان المقدَّم الكبير. ووجدوا في القلعـة مع السلطان احمد خلقًا كثيرًا وقد نصبوا على القلعة في اعلاها خمسة مجانيق ومدافع كثيرة. وكان الكركيُّون يظهرون من باب القلعة ويقاتلون احيانًا كثيرة وكان الحصار والزحف مستمرًّا. ونصب المحاصرون على القلعة منجنيقًا يرمي بحجار وزنُها خمسة وثلاثين رطلًا. وكان علاء الدين ابن صبح يأخذ رجَّالة البقاع وصيداء وبيروت ويزحف بهم وناصر الدين الحسين معهُ. وعند آخر الشهر طلب رجالة المعاملات دستورًا فما مكَّنوهم من العود الى بلادهم وكانوا قد فرَّقوا عليهم اغنامًا فابوا اخذها ولم يُفِدهم ذلك وفي بعض الزَّحفات انتصر الكركيّون عليهم وجرح من جماعة ناصر الدين ثلاثة نفر منهم ناصر الدين ابو الفتح ابن معن وسعد الدين سعدان وابرهيم محروق من عاليه وقُتل ابو النجم من العمروسيَّة

وذكروا انَّ غلام سَعْدان المذكور هرب من الطيقان وطلع الى القلعـة فخلع عليهِ السلطان احمد وزفُّوهُ دائر القلعة والناسُ ينظرون اليهِ من الطيقان. وبعد هذه الحوادث رجع الى الاوطان. وكان يحكي عن السلطان (49v) احمد انَّهُ كان شابًا حسن الشكل عَبل البدن وكان يلبس ملبوس العرب ووسَّع اكمامَهُ على زيّ الكركيين وكان يُظهر لهم

انهُ لبس هذا الزيّ محبّةً فيهم. وكان يجلس كل يوم بين شراريف القلعة ويرمي سبع سهامٍ صيغت نصولها من فضّة موشّاة بذهب كانت تدلُّ على قوّة قوسهِ. وكان اذا اراد ان يرمي السّهم رفع يدهُ التي فيها القوس فيسقط كمُّهُ من سعتهِ الى كتفهِ حتى يبان شعر ابطهِ وكان غليظ الذراع ابيض اللون

وحُكي انَّ البعض احضروا لناصر الدين الحسين وهو بالكرك سهمًا من النشّاب المذكور ذي نصل الفضّة المحلّى بالذهب فاذا بهِ نصلٌ عريضٌ ثقيلٌ يدلُّ على قوّة قوسهِ وقد نُقش عليهِ هذان البيتان:

ومن جودنا نرمي العُداةَ باسهُمٍ من الذهب الابريز صيغت نصولها
يداوي بها المجروحُ منها جراحهُ وَيشري بها الاكفان منها قتيلُها

فلمّا قرأها ناصر الدين قال: وأيّ شيءٍ كان احمد من هذين البيتين. وهما للامين بن هرون الرشيد وكان لمّا حضرهُ عبدالله بن طاهر في بغداد بعساكر اخيهِ المأمون صنع نصول النشّاب من خالص الذهب ونقش عليها هذين البيتين

واستمرّ ناصر الدين الحسين بمن معهُ بالكرك الى سابع صفر سنة اربع واربعين وسبعمائة (١٣٤٣ م). وصرف الاحمديُّ على رجّالة بيروت الفًا وتسعمائة درهمٍ نفقةً عن كل يوم (50^{r}) لكلّ راجل درهمٌ (ستأتي البقية)

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

ولما انتصف النهار في اليوم التالي وقرس البرد هبّت زوبعة خفيفة فاضطربت الامواج بعض الاضطراب ولكن ما فتئت البواخر الكبيرة تدخل وتخرج ناقلة المسافرين والبضائع الاوربية او مقلّة الركّاب والمشحونات من العالم الجديد الى اوربة. وكان المعارف والاصحاب يتصافحون بولاء اذا ما التقوا على ظهر السفن او في القوارب. وأما رصيف الشاطئ الذي قامت عندهُ مدينة نيويرك فهو رصيف في غاية الاتّساع والرحابة يتماوج فيهِ الخلق تماوُج البحر الخضمّ

وكان فاضل قد لازم المحلّ الذي دفعتهُ اليهِ يدُ الشرطيّ الاميركي فلم يتقلقل منهُ طول

النهار. فلمّا زحف الليل بعسكره وأسفرت الكواكب من خلال الغيوم وأُنير الرصيف خفَّت الحركة في الميناء وبعد هنيهةٍ ساد السكوت التامّ حتى لم يعُد يُسمع شيء سوى اصوات بعض المجاذيف في قاربٍ كان قد تأخر عن الدخول الى المرفإ

ثمَّ ان هدوء الليل واشتداد قرسة البرد ايقظا فاضلًا من غفلته فعاد اليه الانتباه شيئًا بعد شيء. وثابت اليهِ الهمَّة والشهامة ولولا الظلمة لرأيتَ عينيهِ كالسراجين المتوقدين. واخذ يدور على ظهر الباخرة حيران كانهُ يبحث عمّا ينجّيهِ من كربتهِ. فلما انتهى الى السلّم المعيّنة لنزول الركّاب ورأى بعض رجال الشرطة قائمين على حراستها عاد الى الوراء متذكرًا ما ذاقهُ بالامس من قسوة الاميركيين. وبينما هو يدور شاهد سُلّمًا اخرى فنزل فيها بلا فكر فرأى منها امواج البحر ساطعة تحت ضوء القمر وانوار المدينة منعكسةً اليها فاصابهُ صداع وما كان الّا كلمح البصر حتى سُمع صوت وقوع جسم في المياه ولم يُسمع بعد ذلك شيء.

فبادر النوتي الذي كان قائمًا على الحراسة وتطلّع من كوّة هناك فلم يرَ شيئًا وبعد ان دقّق النظر برهةً من الزمان عاد الى مركزه وهو يدخّن في غليونهِ جازمًا ان الصوت الذي سمعهُ هو صوت عراك اسماك كبيرة اجتمعت حول السفينة لالتهام الاطعمة التي تفضل عن الركاب وتُلقى في البحر. وكان جميع من في السفينة مستغرقين في النوم وغير دارين بفقد احد الركاب. ولكن ماذا عساهُ ان يهمّهم رجلٌ كهذا حقير

ولنعد الى الكلام على المهاجرين الذين نزلوا في «اليس اسلاند» فانهم صرفوا الليل في الحديث بامور المستقبل دون ان يزور الكرى لهم جفنًا ومع انَّهم راقدون في محلّ مزعج على الحضيض وليس عندهم سوى نور ضعيف يتلاعب بهِ الهواء كانوا فرحين بوصولهم الى غاية اتعابهم وانصابهم. وكانوا يقولون في نفوسهم: اليوم في نيويرك وغدًا ان شاء الله في سان فرنسيسكو ومنها الى مناجم الذهب في كاليفورنية او الى تعاطي التجارة في المدن الكبيرة الواقعة على شاطئ الباسيفيكي. وهكذا كانوا يتعلّلون بالربح الجزيل والغنى الطائل والثروة الواسعة فيُقسمون انهم لا يعودون الى بلادهم الّا موسرين. غير انهم في حديثهم كلّهِ ما تلفظوا بكلمة واحدة تشفقًا على الذين مُنعوا قهرًا وجبرًا عن النزول الى البرّ فبالامس كانوا يكالمونهم كاصدقاء جمعتهم التقادير يومًا ثم اصبحوا لا يفتكرون فيهم الّا وهم شامتون بهم وفرحون لمصابهم كأَنهم نجَوا ممَّن حاولوا ان ينازعوهم اسباب الرزق

امَّا شوارع نيويرك المنارة بالوف من المصابيح الكهربائية المتلألئة فكان الناس

يجولون فيها بكثرة كأنهم في عيد. وكانت ابواب الملاهي مزدحمة بالخلق والعربات وعجلات الترامواي الكهربائي او البخاري تذهب وتجيء في كل محلّ وجهة. وما ذاك الّا لان الاميركيين خصّوا الليل بالفرح والتسلية كما خصّوا النهار بالاعمال وليس من محلّ في الدنيا كلها تجري فيهِ هذه القاعدة جريانها في الولايات المتّحدة

امّا اولئك المهاجرون المساكين فلم يفرحهم شيء من ذلك ولا التفتوا اليهِ لأنّهم كانوا يفتكرون في مستقبل امرهم وماذا عسى ان يصيروا اليهِ في غدهم. ومن ثمّ كانوا مغمومين غمّاً عظيماً لانهم لم يكونوا يدرون اي شيء تدّخر لهم الأيّام التالية من الضيقات والمصاعب. ومع هذا كلهِ لم تخطر لهم الديانة على بال ولا التجأُوا الى تعزياتها التي من شأنها تلطيف الضيق وتخفيف المصاب. ولكن من اين للطامعين في نيل الذهب ان يأْتيهم فكر فائق الطبيعة او خاطر تقويّ يذكرهم بالله تعالى. فيا لهم من اشقياء يجعلون نفوسهم ضحيّة للحرص المفرط والطمع المتزايد ولقد طالما اودى الطمع باربابهِ

وبعد هدأة من الليل شوهد في ناحية منفردة من الرصيف رجل يسبح بملابسهِ كان التعَب انهكهُ والبرد برّح بهِ تبريحاً فأجهد نفسهُ وارتقى الى البرّ مُتعلّقاً بحلقاتٍ من الحديد مغروسة في حجارة الرصيف فلمّا وطئَ اليابسة التفت يميناً وشمالاً فلم يرَ احداً فاستبشر خيراً ومشى في وسط الظلمة وهو لا يدري اين يذهب. فان قلتَ من هو هذا السابح ليلاً واستصعبت معرفتهُ اجبناك هو فاضل سجين السفينة « مدينة بوردو ». فان فاضلاً هذا وان كان أخرق في تصرُّفاتهِ غير انّهُ كان يُجيد السباحة جدّاً. وكان في حداثتهِ كثيراً ما ينزل من قريتهِ الى البحر فيعاني السباحة حتى صار أمهر سبّاح بين اهل لبنان وكانت والدتهُ مريم تمانعهُ في ذلك خوفاً عليهِ من الغرق غيرانّهُ كان يتحيّن غفلتها فيذهب الى حيث يقصد

وما انتهى فاضل الى البرّ الّا بعد جهد جهيد ومشقّة عظيمة فانهُ لمّا نزل من السفينة التي كانت قريبة من البرّ رأى انّهُ اذا اتجه الى الرصيف الذي قبالتها يقع في ايدي الخفَر فيعيدونهُ الى حيثُ اتى. فاتّجه من ثمّ الى الطرف الشمالي من سدّ المرفاء. لكنّ المسافة كانت اطول ممّا توهّمهُ لاوّل نظرة حتى شعر عدّة مرّات بان يديهِ قد تيبّستا تعباً وبرداً. لكن جهاد المرء للمحافظة على حياتهِ يوليهِ قوةً جديدة فجدّ في السباحة حتى وصل اخيراً الى البرّ بعد مدّة خمس او ستّ دقائق

ولما وطئَ الرصيف وقف هنيهةً في ضوء القمر يعصر ثيابهُ المتبلّلة ثم انساب وعيناهُ

تتطلَّعان في كل ناحية حتى قطع مسافةً من الطريق. وكان يهمّ ان لا يشعر بهِ احد فلذلك كان يمشي على روُّوس اصابعهِ ويحبس نفَسهُ جهدهُ. ولكن بينما ازمع ان يصل الى طرف الرصيف لمح على مقربةٍ منهُ اثنين من رجال البوليس فتقهقر فاضل بعض خطَوات الى خلف فوجد كوخًا خشبيًا خاليًا فاختبأَ فيهِ اجتنابًا لاشعَّة قنديل كهربائي قريب منهُ واقام ثمَّت ينظر بقلق واضطراب مرور الشُرطِيَّيْن المذكورين اللذين كانا يمشيان على رِسلهما وهما يتحدّثان بشوُّون كثيرة. فلمَّا انتهيا الى جانب الكوخ على مسافة امتار قليلة منهُ كاد قلب فاضل يطير من صدرهِ خوفًا. ثمَّ تقدَما فغطَّى فاضل وجههُ بيدَيهِ وتصاغر وتخيَّل انَّ الانوار الكهربائية تخرقهُ خرقًا وكان قد امتُقع لونهُ وقعقعت اسنانهُ وارتعد جسمهُ

بيد انهُ لحسن حظّ فاضل كان الشرطيَّان مشغولَين بالحديث فمرَّا عليهِ دون ان يبصراهُ. فلمَّا تأكد ابتعادهما عنهُ رفع رأسه متنهّدًا ولكنَّهُ بقي في مكانهُ يرتجف وخاف اذا خرج من الكوخ ان يلتقي بهما مرَّة اخرى او يلتقي بغيرهما من الشرطة وبما ان ثيابهُ كانت متبلّلةً بالماء وهي علامة كافية لمعرفته جزم بأَن يصرف بقيّة الليل في الكوخ المذكور ومتى طلع فجر اليوم التالي يستأنف سلوك الطريق الموُّدية الى المدينة

وكان البرد في تلك الليلة قارسًا والريح نافخةً وصاحبنا المسكين يرتعد من القرّ والخوف معًا ويحسب كلَّ دقيقة سنة وكلَّ ساعة دهرًا. فلمَّا ابيضّ وجه الصباح نهض وهو اقرب الى الموت منهُ الى الحياة ومشى في الطريق التي رآها امامهُ. فكان كلما رأى شخصًا اختفى منهُ حتى لا يراهُ لأَنهُ كان يتوهَّم ان كل النــاس شُرطة وأُرسلوا في طلبهِ. ولهذا اجتنب طريق المرفإِ كما عدل عن طريق المدينة. وبانت لهُ اوّل طريق سلكها جيّدة ولكنها لما كانت توَّدي الى مركز مدينة نيويرك رجع عنها واخذ يدور ويحور كأَنهُ أَرنبٌ روَّعها الصيَّاد. ولما ظنَّ انهُ وصل الى الخلاء اطلق ساقَيهِ للريح الَّا انهُ ما ابعد قليلًا حتى صار الى حديقة ما زالت تُسمَع فيها اصداء الافراح الليلية فطار عقلهُ. وهمَّ بان يجد لهُ منفذًا فجرحتهُ اشواك السياج وأُصيب برضوض عديدة من حجارة الحيطان. وكان منذ امس لم يتناول قوتًا فخارت قواهُ وضعفت عزيمتــهُ وفوق هذا كلهِ لم يكن بين يديهِ شيء من الدراهم حتى يبتاع لهُ رغيفًا ينقذهُ من أَلم الجوع. وبينما هو يواصل السير اذ اصطكَّت ركبتاهُ واصفرّ منهُ الجبين ووقع بغتةً على الحضيض كانهُ قطعــة من حطب ثم انطبقت

عيناهُ وسكت نبضهُ عن الحركة وهكذا بقي طريحًا على الطريق التي صارت لهُ مدفنًا لانهُ لم يكن فيها احد لينقذهُ من مخالب الموت

وكان الفجر وقتئذٍ قد ازداد بياضًا وصارت انوار القناديل الكهربائية اقلّ لمعانًا. واخذت العصافير البائتة في اشجار الحدائق تزقزق وتحرّك اجنحتها المترطبة من ندى الليل

وكان ذلك الصباح صباح يوم احد فسُمعت اصوات جميع الكنائس في نيويرك تدعو المؤمنين الى الصلاة. وبعد برهة اشرقت انوار الشمس منعشة كلّ شيء. اللهمَّ الّا ذاك المهاجر المسكين الذي لبث مضطجعًا على الحضيض دون ان يشاهد طلوع النهار

ألا فابكي يا مريم وانتفي شعركِ غمًّا ويأسًا. اندبي وحيدكِ الذي تصرَّع في ارض الغربة ضحيَّة محبَّة الذهب (ستأتي البقية)

كتب شرقية جديدة

دليل لبنان

وضعتهُ ادارة جريدة لبنان وطبع في بعبدا سنة ١٨٩٨

اطَّلعنا على هذا الدليل فوجدناهُ مع قلّة صفحاتهِ كثير الفوائد صدَّرهُ صاحبهُ باسماء سلاطين آل عثمان العظام وأتبعهُ بالعناوين التي تُكتَب لذوي المقامات الرسمية مشفوعة بالافادات عن رُتَب الدولة العلية ونياشينها. ثم الحق بهِ نظام جبل لبنان مع ذكر اسماء المتصرّفين الذين عُهدت اليهم المتصرفية منذ بدء تشكيلها واسماء ارباب المناصب والمأمورين في مركز المتصرفيَّة وكلّ دوائر النواحي والمقاطعات وما يتعلّق بها. وهو القسم الاهمّ من هذا الدليل ثمّ يلي هذا القسم عدّة افادات عن دوائر الحكومة اللبنانية وسراياتها ومراكز تلغرافات الجبل واسماء مطابعهِ وجرائدهِ ومدارسهِ الداخلية عاميّةً كانت او اكليريكيَّة مع بيان طرق عرباتهِ الى غير ذلك من المتفرّقات التي تجعل هذا الدليل حريًّا بالاعتبار. فنثني على همّة صاحبهِ ونتمنّى لتأليفهِ كلّ رواج. ولنا الامل انَّهُ سيتحسن في السنين القادمة ليضحي دستورًا يُرجَع اليهِ في كلّ امور جبل لبنان

كتاب عجالة البيان

في الاشارة الى ممالك الطبيعة والانسان

تأليف الاب خيرالله اسطفان

تتضمَّن هذه العجالة مباحث خطيرة طالما شغلت افكار نُطُس الحكماء. ومشاهير الفلاسفة العقلاء. فافرغوا في حلّ مُعضلاتها جهدهم و بذلوا مقدرتهم ووُجدهم. والحقَّ يقال انَّ مؤلف هذا الكتاب استقرى ما وضعهُ في هذه المسائل العويصة مشاهير الكتّاب. فاستخلص منهُ اللباب. خدمةً للعلم والوطن وترويضاً للالباب

والكتاب قسمان يشتمل اوَّلهما على بابين يجث فيهما المؤلف عن الاجسام وجرمها وحجمها وكثافتها ثمَّ عن الحياة ومبدئها وخواصّها التي تفرزها عن المادَّة في النبات والحيوان واخيرًا عن الحسّ وما يتعلّق بهِ. امَّا القسم الثاني فمدارهُ على الانسان وما يتعلّق بهِ كشرفهِ نفساً وجسماً وتركيب بِنيَتهِ وحواسّهِ الظاهرة والباطنة ووصف دماغهِ وخواصّ نفسهِ من حيث اصلها ومبدئها وجوهرها البسيط وروحيَّتها وبقائها واتحادها بالجسد والردّ على اعتراضات الملحدين والمادّيين. ثم خاض في مسئلتين مهمَّتين هما التوليد البديهي ومذهب التحويل فبيَّن بالحجج العقليّة والنقليّة بطلانهما. وشفع كتابهُ بملحقٍ ضمّنهُ بحثاً خطيرًا في «حكم العقل على ديانة الانسان». فمن هذا الملخص يستدلُّ القارئ على ما يتضمَّن هذا الكتاب من الفوائد العديدة والمباحث الجليلة. لكنَّنا لا نرضى بصحَّة قول المؤلف في حاشية الصفحة ٢١٩ «انَّ القوى العقلية تكون بالنسبة الى حجم الدماغ وثقلهِ» فهذا زعمٌ يردُّهُ الاختبار (راجع المشرق ص ١٠١٤) مهما ذهب اليهِ بعض المادّيين. وقد قال المؤلف نفسهُ (في الصفحة ١١٨): «امَّا ما يؤخذ من سمات الجمجمة دلالةً وعظم حجم الدماغ علامةً على سموّ المدارك فيصدق مرَّةً ويكذب اثنتين» فبين هذين القولين بون عظيم

فصل الخطاب في الوعظ

للحبر العلّامة السيّد جرمانوس فرحات

مع ثلاث محاورات في علم الخطابة للسيّد فنيلون اسقف كمبراي

ترجمها من الفرنسية جناب اللغويّ الشهير سعيد افندي الخوري الشرتوني

قد اضحى هذا الكتاب اشهر من نارٍ على عَلَم بعد طبعاتهِ الثلاث التي صدرت في

مالطة (سنة ١٨٤٢) وطاميش (سنة ١٨٦٧) وبيروت (سنة ١٨٧٣). الّا انَّ هذه الطبعة الجديدة التي سعى بنشرها جناب الاستاذ الفاضل واللغويّ العالم سعيد افندي الشرتوني تفضل الطبعات السابقة من حيث الضبط والتصحيح ونضارة الحروف واتقان الطبع وهي منشورة في مطبعتنا

وقد شفعها صاحبها صانهُ الله بنبذتين تتضمّن الاولى ما انشأهُ من الخطب في نوادي الادباء وما صنَّفة من المقالات في مجالس الفضلاء. والثانية تشتمل على محاورات اسقف كمبراي المشهور العلاَّمة فنيلون نقلها جنابهُ الى العربية بلغةٍ قريبة المنال رقيقة العبارة رشيقة الالفاظ. فصار هذا المجموع كتابًا جليل الفائدة خليقًا بان تتداولهُ ايدي الاحداث وتستقي من مواردهِ أئمَّة الادباء. ونحنُ نقرن صوتنا بما ورد حضرة الاستاذ المذكور من التهانئ من مشاهير الكتبة والسادة الاساقفة الاجلاَّء بل من قِبَل الكرسي الرسوليّ نفسهِ وهذه في الحقيقة امتيازات وقعت في محلّها من شأنها ان تزيد صاحبها نشاطًا في خدمة الآداب والدين

ل. ش.

منشورات

مؤتمر دوليّ لصيانة الكتب الخطيَّة القديمة

التأم في ٣٠ تشرين الاول مؤتمرٌ دولي في دير سان غال الشهير من اعمال سويسرة غايتهُ اتخاذ الوسائط الفعَّالة للمحافظة على الكتب الخطّية القديمة المُودعة في خزائن الدول الاوربية. واوَّل من سعى بجمع هذا المؤتمر الجليل اعضاء ادارة المكتبة الواتيكانية في رومية دعوا اليهِ مشاهير علماء اوربة فلبَّوا الى دعوتهم من كل اوبٍ. وكان المتقدّم على هذه الجمعيَّة حضرة الاب إهرلي اليسوعي مناظر المكتبة الواتيكانية. فدارت الابحاث على الكتب الخطّية الشهيرة التي تُصان في خزائن الدُّوَل وتعيين اللجنات في كل العواصم لفحص ما فيها من الكتب الثمينة المخطوطة على رقّ غزال او البرديّ وبيان حالتها من العتق وتلافي ما اصابها من الضرر بتوالي الاعصار واتخاذ الوسائل في المستقبل لئلا تعبث بها يد الزمان الى غير ذلك من الابحاث التي تدلّ على كَلَف علماء اوربَّة بهذه الكنوز الادبيَّة

فيا ليت لنا نحن الشرقيين من يقوم باعمالٍ كهذه فلا ريب أنهُ يقدّم للعلم والوطن اجلَ الخدَم فيستحقّ بذلك شكرًا مؤبدًا وذكرًا مخلدًا

اكتشافات في العجم

قد اكتشف العلاّمة الفرنسيّ الشهير المسيو دي مُرغان في مدينة تُستر آثارًا قديمة يبني العلماء على اكتشافها احسن الآمال. وتُستر كما لا يُخفى من اعمال خوزستان في العجم وكانت في سالف الاعصار عاصمةً لملوك ماداي وفارس ويدعوها الكتاب الكريم شُوشن (Suze) وفيها جرت قصَّة استير الملكة مع احشورش. ومن جملة ما بعثرهُ المسيو دي مُرغان من بطن الارض بنايتان عظيمتان وعددٌ وافر من الآجرّ الذي كُتبت عليهِ اعمال ملوك ماداي ومسلّة طويلة رُسم عليها الف وخمسمائة سطر من الخطوط القديمة ونُصبٌ يمثّل عراكًا في الجبال

مطر من الهوامّ في رومانية

من غريب ما نقلتهُ جرائد الاستانة العليَّة مطرٌ من الهوامّ والحشرات حدثت مرَّتين في تموز الماضي فسقط منها عدد لا يحصى في الا١٩ من الشهر في غلاتس وفي الا ٢١ منهُ في بُخارست فشوهدت الارض على مسافة بعيدة مُغطَّاة من انواع الهوامّ والهَمج نقلتها الرياح من بلاد شاسعة فحطَّت بها الامطار في رومانية

تدوين اللغة العاميَّة

اثنت المجلاَّت الاوربية والمصريَّة الثناء الحسن على مقالة حضرة الدكتور الفاضل مرتين هرتمن في درس اللهجات العاميَّة التي ادرجناها اوَّلًا في المشرق (ص ٧٩٠) ثمَّ طُبعت على حدةٍ. ونستغنم نحن ايضًا هذه الفرصة لنتدب الادباء للاهتمام بهذا المقصد الجليل لما يترتب عليهِ من الفوائد الجمَّة لمعرفة احوال الاقدمين

السحر والطلسمات

هو عنوان جواب ضافٍ لمجلّة الهلال (في عددها الثالث الصادر في ١ ت ٢) الى بعض قرَّائها من طنطا وقُصارى جوابها انَّ السّحر لا وجود لهُ وانَّ ما ذُكر في التاريخ من هذا القبيل شعوذةٌ محضةٌ وايَّد قولهُ بشهادة عليّ بن ابي طالب يقول فيها «انَّ الساحر كالكافر وكلاهما في النار». (قلنا) انَّنا نتعجَّب كيف يستطيع صاحب الهلال ان ينكر ما ورد في تاريخ كل الشعوب والاديان. أفنسي حفظهُ الله ما ورد في التوراة عن سحَرة

فرعون وما ورد في الانجيل الشريف عمَّن سكنتهم الابالسة الى امورٍ اخرى كثيرة جرت في كل الدهور لم يمكن شرحها دون الاقرار بصحة السحر وقد كتب البشير سابقاً في ذلك مقالاتٍ مُسهبة ابكم فيها اصحاب المقتطف. ونحن ايضاً في عددنا الثاني (ص ٦٢) دحضنا مزعم جريدة البنانة وبيَّنَّا انَّ كثيرًا ممَّا يُروى عن الطاولات الدائرة لا يمكن ان ينسب الى غير الشيطان خزاهُ الله. فان لم يقنع الهلال بحججنا فترجو من فضلهِ ان يردَّ عليها ويكذّبها امَّا استشهادهُ بقول عليّ بن ابي طالب فباطل لانَّ عليًّا لم ينكر السحر بل يفتي بكفر الساحر وهلاكهِ كما يظهر من كلامهِ ل. ش

بعض شطوط المقتطف

من جملة ما ورد في المقتطف الاخير من الاخبار العلميَّة شذرة في «خسائر اسبانيا» (٨٧٢) شطَّ فيها شططاً فاحشاً. ساقهم اليهِ اعجابهم بالاميركيين ولا غرو فانَّهم تلقَّنوا عن اساتذتهم مبادئ العلوم فلا يزالون ينتهزون كلَّ فرصة ليبدوا لهم ما تكنُّهُ صدورهم من عواطف الشكر والممنونيَّـة وكان الاولى لو راعوا مع ذلك ذمام الحقّ. فقولهم انارَهم الله انَّ اسبانية في اواسط القرن السادس عشر «خسرت املاكها في شمالي افريقية ونابلي وصقليّة وميلان» ليس بسديد بل كلّهُ شطط: ١ً ان اسبانية تملك في عهدنا في شمالي افريقية سبطة ومليلة ومواقع اخرى كثيرة. ٢ً لم يَستولِ النمسيُّون على ميلان الَّا في غرَّة القرن الثامن عشر (سنة ١٧٠٠). ٣ً امَّا نابولي فكان عمَّال ملوك اسبانية وهم امراء من الاسرة الملكيَّة يتولُّون ادارتها الى غاية القرن الثامن عشر. ٤ً لا صحَّة لقول المقتطف انَّ اسبانية خسرت بلجكة سنة ١٦٤٨ والصواب انَّها منحتها الاستقلال تحت حكم الارشيدوق ألبار النمسويّ سنة ١٦٠٨. ٥ً امَّا قولهُ ان اسبانية فقدت جبل طارق في سنة ١٧٠٤ فانَّ صغار المدارس يعلمون بايّ دسائس اتَّصلت الى ذلك انكلترة. ٦ً ولا نعرف ما هذه «ترينيدال» التي ذكر المقتطف انَّ اسبانية فقدتها في سنة ١٧٩٧. ولعلَّهُ يريد جزيرة ترينيداد المشهورة في اميركة الجنوبيَّة. ٧ً امَّا قول المقتطف انَّ اسبانية خسرت جزائر الفيليبين وجزائر ماريانس فيدلُّ على انَّ اصحاب المقتطف ينتظرون بفروغ الصبر ما يرغبونهُ لكن هذا يُظهر جهلهم بالاخبار السياسية والكلّ يعلمون انَّ المخابرات في ذلك لم تنجز الى اليوم. فلله درّ المقتطف ما اغزر علمهُ باخبار الدول وأطول باعهُ في «البحث في تاريخ العمران ونواميسهِ» ه. ل

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة الاب قرياقوس مخنوق الكلداني البغدادي ان نفيدهُ ما نعلم عن اللوح الذي علّقهُ بيلاطوس على الصليب

اللوح الذي علّق فوق صليب المسيح

ج قد ذُكر في الانجيل الشريف انّ بيلاطوس كتب فوق صليب المخلّص ما لفظهُ: « يسوع الناصري ملك اليهود » وذلك بالعبرانية واللاتينية واليونانية . اما اللوح الذي رُقمت عليهِ هذه الالفاظ فهو محفوظ الى اليوم في رومة وقد اسعدنا الحظ بان نشاهدهُ ونتبرّك بهِ في الكنيسة الملكية (باسليقة) المعروفة بالصليب المقدّس الاورشليمي (Sainte Croix de Jérusalem) . والمشهور من امر هذا اللوح ان القديسة هيلانة اكتشفتهُ مع الصليب واهدتهُ لعاصمة الكثلكة . فمذ ذاك الحين لم تزل الملوك والامراء تعظّم هذه الذخيرة المقدّسة وتزيّنها بانواع الحلي والجواهر . ولمّا دخل البرابرة الى رومية ونهبوها فقدت الذخيرة بين اخربة المدينة الى ان وُجدت ثانيةً في سنة ١٤٩٢ وقف عليها الفعلة بينما كانوا يرمّمون بعض كنائس رومية . وكانت الالفاظ المكتوبة على اللوح ظاهرة الّا بعض حروف منها . وامّا صورة الالفاظ فهي كما رواها القديس يوحنّا في انجيلهِ ولفظها بالعبرانية

ישוע נצרי מלך היהודים


س وسألنا احد افاضل البلدة ١ً عن اصل لفظة « كوفيَّة » أهو قديم او حديث وهل الكلمة نسبة الى الكوفة ٢ً ما هو اصل قول العامّة : « اصطِفل » و« ما بيسايل »

الكوفيَّة — اصطفل — ما بيسائل

ج الكوفيَّة والعامّة تقول كَفيَّة لفظة عربية مستحدثة ورد ذكرها في تاريخ المقريزي والكتبة الذين يعاصرونهُ . ولا نظنّ انّها نُسبة الى الكوفة . وعندنا انّ هذه الكلمة معرّبة عن اللغات الاوربية اخذها العرب من الفرنج في ايّام الصليبيين . وقد جاءت في اللاّتينية في القرن السادس للمسيح على صورة cofea وهي في الايطالية والاسبانية على صورتَي scuffia او escofia و cuffia او cofia وفي الفرنسية coiffe يراد بكل ذلك منديل لتغطية الرأس — وقول العامّة « اصطفل » فهو تصحيف « إفتَصل » كما يحرّفون « زوج » بجوز اي افصل امرك والمراد انت وشأنك

امّا قولهم « ما بيسائل » فالمراد بهِ « ما انا بسائل » عن الامر او « ما يُسائل » عنهُ احدٌ

قائمة للآثار الجويَّة من ٥ الى ٢٠ تشرين الثاني ١٨٩٨



انَّ الخطَّ الضخم (▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخط الرفيع المتابع (—) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) — امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

السوريون في البرازيل

لجناب يوسف افندي ضاهر

لمَّا رأينا وفرة عدد السوريّين نزلاء هذه البلاد وكثرة القادمين اليها منهم تِباعًا احببنا بعد طول الاقامة في هذه الديار ان نبسط ببعض الكلمات حالة مواطنينا فيها من حيث تجارتهم ومركزهم الادبي ومنفعتهم للوطن السوري . ونحن قبل الشروع في العمل بين تهيُّب وإحجام لانَّ الموضوع يتقاضى من البحث ما ربَّما كان مجلبة للانتقاد . لكنَّنا اجلالًا لمقام الحقيقة لم نراعِ الانسانية ولم نسرد من الحوادث الَّا ما كان عين الصواب غير مثبتين الَّا ما عرفناهُ بنفسنا ورأيناهُ مرأى العين او اخذناهُ عن اوثق المصادر

التجارة

لم يمضِ على دخول السوريّين ارض البرازيل اكثر من ربع قرن . وكان في مقدَّمة المهاجرين اليها من اللبنانيين بعض اهالي شمالي الجبل مقتفين اثر مَن كان قد سبقهم من اهالي بيت لحم . فبدأ اللبنانيّون كما ابتدأ القُدْسيون ببيع المسابح والصور والصُّلبان وما اشبهها . وانتحل اللبنانيون لقب القُدْسيين عندئذٍ وترى كثيرين اليوم من الباعة المتجوّلين ينتسبون الى الاراضي المقدّسة زاعمين انهم بهذا الانتساب الكاذب يستميلون عاطفة مُضيفيهم المتغلّب عليهم المذهب الكاثوليكي

ومن رأى اليوم حالة التجارة السوريَّة تولَّاهُ العجب من تغيّرها السريع . كيف لا وبائعو المسابح والصور سابقًا قد اصبحوا الآن تجارًا يُركَن الى معاملاتهم . وان خان الدهر بعضهم لا يزال الفريق الباقي منهم منخرطًا في سلك المتاجرين باصناف اكثر البضائع من اقمشة وحلى وغيرها

وفي بادئ الامر كانوا جميعهم متجوّلين في شوارع المدن يبتاعون بضائعهم من بعض التجّار المحليين اذا لم يصطحبوها من فرنسة او ايطالية او بيت لحم. وباتوا على هذه الحال سنين متوالية لا يخطر ببالهم احتذاء حذو التجار المقيمين لاسباب كثيرة اخصّها عدم دُرْبتهم وقلّة عددهم. فلمّا اخذت المهاجرة في الحركة تطاول بعضهم الى اختزان قسم من البضائع الرائجة كي يبيعوها في المساء الى المهاجرين الحديثين دون ان يتركوا التجوُّل نهارًا للمبيع في الشوارع ايضًا. ولما ازداد عدد المهاجرين عمد الاوّلون الى فتح محلّات تجاريَّة تحوي من البضائع ما تعوَّدوا بيعهُ وهم متجوّلون واخذوا في تسليمها الى مواطنيهم كي يبيعها هؤلاء في دورهم امّا في شوارع المدن او في الداخلية

ولا ريب ان المهاجرين الاوَّلين لقوا من المصاعب في البداءة ما حال دون نجاحهم في وقت قليل. وكفى جهلُهم لغة البلاد وعدم وجود من يمدُّ اليهم يد المساعدة في كثير من الامور. وامّا من اتى بعدهم فلم يُلاق ما لاقى الاوّلون من مشاقّ الغربة اذ كان التزاحم على اضافة الوافد الجديد يُفضي احيانًا الى مشاحنات طويلة بين المضيفين. فهكذا كان القادم محفوفًا بالتجلّة والاكرام عند وصولهِ تمتدّ اليهِ ايدي الاسعاف من كل صوب

ثم انَّهُ غنيٌّ عن البيان ان هذه المزاحمة بين المهاجرين الاوّلين لم تكن صادرة عن وطنيّة او مزيَّة حاتميَّة بل انهم كانوا يقصدون بها اكتساب زباين لترويج سِلَعهم ليس الّا

ودام اصحاب المحلّات التجاريَّة على هذا المنوال سنين طويلة يكثرون من مجاملة المهاجرين الحديثين غير باخلين عليهم بانواع العضد والمساعدة من مثل اضافتهم وتسليمهم بضائع للاتّجار بدون كفالة ولا سنَد وحتى بدون معرفة سابقة بين المتعاملين. واما اليوم وقد لحقت الخسارة بالكثيرين من جرّاء هذا التساهل فصار القادم الجديد يؤمّ منزل من يشاء وكثُر عدد الذين لم يتيسّر لهم استدانة بضائع مهما تزلّفوا

والحق يقال انّ التساهل القديم كان مجلبة كثير من الخسائر على التجار المقيمين. فكان البائع المتجوّل مثلًا بعد استلامهِ البضائع يطوف في شوارع العاصمة ايّامًا بمثابة تمرين في لغة البلاد ثم يتوغّل في الداخليــة وراء طلب الرزق وهو خالٍ من الدربة في عوائد الاهلين ولغتهم وطرق مساكنهم. وبعد مقاساتهِ اشهرًا عديدة المتاعب والمشقّات بلا جدوى كان يعود الى العاصمة قبل تحصيل القيمة المطلوبة منهُ للتاجر بائعهِ

هذه كانت بداءة الكثيرين. لكنّ الخسارة ما كانت لتتبعهم مــدَّة طويلة اذ انّ

حالهم كانت تتحسَّن بعد الدربة وتعلُّم لغة البلاد . فكانوا بعد جمع رأس مالهم يعضدون في دورهم تجارة بائعهم بائتمانهم ايَّاهُ على ارباحهم بعد تحويلها الى عملة ذهبيـة ولولا هذا الائتمان لما وُفق التجار الى توسيع دائرة اشغالهم لقلّة رأس مالهم الاصلي ـ لكن الخسارة التي كانت تلحق التاجر من جرَّاء تأخُّر مديونهِ المتجوّل كانت تتبعها اخرى يسبّبها الائتمان نفسهُ . فانَّ سعر الذهب لمَّا اخذ في الصعود وبدأ المؤتمنون في طلب ودائعهم كان التاجر يُضطَرّ الى شراء الذهب باسعار فاحشة ليفي ودائع عُملائهِ وكانت هذه الطريقة الضربة القاضية على تجارة الكثيرين

ومن مدَّة عشر سنوات لم تكن المحلاَّت التجاريَّة المختصَّة بالسوريين في الحاضرة البرازيلية لتربي على الـ ١٥ لكنها تضاعفت بعد مرور سنتين . ونرى ريُو دي جانيرو اليوم مشتملة على اكثر من مائتي محلّ سوري ما عدا ما احتوتهُ باقي المدن البرازيلية وخصوصاً سان باولو

واذا ضربنا صفحاً عن حبّ الكسب لعمومهِ نجد امرين مفسّرين لهـذا الازدياد : الغيرة وحبّ الراحة

وذلك ان البائع المتجوّل اذا تبصّر في حال التاجر المقيم ونَقَّب عن اصلهِ ونشأتهِ وجدهُ نظيرهُ من حيث الابتـداء فان التجار السوريين كانوا كلّهم (والشاذُّون قليلون) باعة متجوّلين . فلهذا يخال للبائع المتجوّل ان مهنة التاجر المقيم في دورهِ سهلة المراس فلا يلبث ان يسلك منهاجَهُ بعد جمع قليل من المال . وقد عرفنا كثيرين لا يتجاوز رأس مالهم مائة ليرة . لكن هذه السهولة بطلت اليوم كما ستراهُ . وما عدا هذه الغيرة كان حبّ الراحة يحوّل المتجولين عن مهنتهم المضنكة فكانوا بكل طيبة خاطر يستعيضون عن حمل صناديقهم دائرين في قفار الداخلية بفتح محلاَّت يأملون منها النجاح كما جرى لمن سبقهم

لكن هذه المزاحمة كثيرًا ما ساءت عاقبتها . ففي بدء اشغالهم تسنَّى للسوريين الشراء بالدين من التجار الوطنيين والاجانب واختصُّوا من محلاَّت هؤلاء محلاً ايطاليًا مدّهم بافراط بما احتاجوا اليهِ من البضائع كي يبيعوها في دورهم الى الباعة المتجوّلين . وكان هذا التساهل في المساعدة سببًا لاقتحام الكثيرين ابواب التجارة . فلم يعد التاجر السوري حاسبًا ما لديهِ من رأس المال للاتجار بل كان يكتفي بما يأتمنهُ عليهِ التجار العظام وهو لا يعبأُ بفاحش اسعار المشترى لانهُ بالخشها كان يبيع مواطنيه المتجولين . الَّا ان هـذا الائتمان لم يدم مدَّة

طويلة لان قلّة رأس مال التجـار السوريين كانت تمنعهم عن اداء حساباتهم في وقت الاستحقاق. ولمّا كانوا لا يستطيعون تحصيل ديونهم بسهولة ايضاً كان هذا التأخير في الدفع والقبض علّة لتقهقر تجارتهم اذ كانوا عندئذٍ يفقدون الثقة التجاريّة. وبعد ان زاول الكثيرون هذه الطريقة مستدينين ممن كان لا يضنُّ عليهم بوسائط الاتجار مثقلًا عاتقهم بالديون وهم عاجزون عن دفعها أدرك الدائن اذ ذاك ان تساهلهُ سيكون داعياً لتأخير اشغالهِ ايضاً. فعـدل عن الاستطالة في الائتمان وخصوصاً لما رأى ان السوريّ ما كان ليكتفي بالشراء منهُ بل كان يدخل ايّ باب وجدهُ مفتوحاً للمشترى بالنسيقة ولولا ودائع عُملائهم المتجوّلين لَما رأينا البعض ثابتين في ساحة الكفاح سنين متوالية

نعم انّ الودائع كانت عضدًا قويًا للتاجر المقيم. لكنّ اصحـابها كانوا يأتون احياناً زرافاتٍ طالبينها دون إمهال وكان التاجر قياماً بواجب الدفع يُضطرّ الى تقليل رأس مالهِ دون ان يقصّر مجـال معاملاتهِ. ومن المعلوم انّ من كان رأسُ مالهِ مائةً من الليرات واستدان الفًا منها وأدان رأس مالهِ وما ادّانهُ لأَجلٍ معيَّن ولم يستوفِ ديونهُ في الاوقات اللازمة لا بُدّ من هبوطهِ وهكذا كان شأن الكثيرين

وممَّا يجدر استلفات انظار اكثر تجارنا هنا اليهِ ادارة الاشغال بوجهٍ عامّ. وبما انّنا اتينـا ذكر عيب من عيوب الادارة وهو التطوّح في توسيع نطاق الاعمال دون تروٍّ ولا مقدرة يجمل بنا الالماع الى باقي النقائص المستوجبة الازالة

عندما شرع السوريون هنا في فتح المحلاّت التجاريّة لم يقتدوا بالاجانب ذوي الدربة والصلاحيّة. فبـدلًا من الحسابات القانونية التي تتقاضاها مهنتهم كانوا لا يزالون مكتفين ببعض ما يخطّونهُ لتدوين حساباتهم او مسلّمين دفاترهم الى كتّاب يجهلون الاصول الحسابية. واذا استثنينا ستة او سبعة من المحلاّت في ريو دي جانيرو وسان پاولو رأينا البـاقية موكولة حساباتها الى قوم يدور مُعظم معرفتهم على تقييد اسم المستدين وحدهُ. وما قولكم ببعض من عرفناهم ممّن أفرطوا في التهاون الى حدّ اكتفائهم برقم بعض الاعداد يستدلّون منها على القيمة المطلوبة لهم من عميلهم دون تقييد اسمهِ لجهلهم الكتابة

ومن كان لهُ اقلّ إلمام بالتجارة عرف ان البائع يبعث الى المشتري بفاتورة المَبيع. لكنّ كثيرين من التجار السوريين هنا لا يَعبأون بالقوائم المُرسلة اليهم من بائعهم الغريب ليس فقط لعدم معرفتهم باللغة المحلّية لقراءة تلك القوائم هم وكتّابهم بل لانهم ميّالون بالطبع

الى التهامل . وهكذا يصعب عليهم فحص البضائع المشتراة على الاقلّ . ولما ادرك بعض المتعاملين مع السوريين من الاجانب هذا التهاون الفظيع في حقوق التجارة عدلوا عن إصحاب بضائعهم بالفَذالك (الفواتير) اقتصادًا لوقتهم

ولعلّ بعض السذجاء محبّي الاعتراض يحاولون الاقناع بان عملاءهم ذوو ذمّة وشرف طباع لا يهمّهم حفظ الفذالك او عدمه . لكن توهُّم السوري بائعَهُ فوق كل دنيئة لا يبرّئهُ من اهمالهِ وكان الاولى بهِ ان يحفظ قوائم عميلهِ ووصولاتهِ كيلا يجري كما جرى اكثر من مرَّة من المنازعات التي كانت تفضي دائمًا الى فوز التاجر الاجنبي على عميلهِ السوريّ لخلو هذا الاخير من اسلحة الدفاع القانونية

هل يا ترى هذا هو النقص الوحيد في حساباتهم ? كلّا . فعلى ما ذكرنا أغفِفْ جهالتهم تمام الجهل حالة تجارتهم اذ ليس لديهم ما في وسعهِ ايقافهم على كُنه الحقيقة بشأن ارباحهم او خسائرهم ولا يعلمون اذا كانوا في ربح او خسارة الّا عند دخول شريك او خروج آخر . وعند اجراء الميزانية (وهذه لا تجري مرَّة في السنة على الاقل كما يحتم قانون التجارة) لا دليل لهم على ما هم مديونون بهِ سوى حسابات بائعهم . وهذه لا تأتي لتُفحَص بل لتكون مقبولة كيفما جاءت

هذا من قبيل الحسابات واما من قبيل المركز التجاري فلم يبلغهُ الكثيرون للاسباب التي ذكرناها . وكان جلّ مبتغانا ان نرى التجار السوريين بعد مرور السنين الطوال باعلى مقام من الذي نراهم عليهِ فان تجارتهم رغمًا عن استعمالها الرساميل الطائلة لا تزال محصورة ضُمْن دائرة ضيّقة اذ يقتصرون على المشترى من التجار الاجانب والمبيع لمواطنيهم ليس الّا . فلا ترى بينهم من يستجلب بضائعهُ رأسًا من المعامل الاوربية وكان هذا الامر ذا مضرَّة بتجارتهم لان البائع المتجوّل اخذ رويدًا رويدًا في التعرّف بالمحلّات الاجنبية والوطنية الكبرى وشرع في المشترى منها نقدًا بالاسعار التي يشتري بها التاجر السوري . فاضرَّت هذه المزاحمةُ ضررًا عظيمًا بالتجار المقيمين لانها ما عدا تقليل ارباحهم سهَّلت على من لديهم نقودٌ أن يعرضوا عن بضاعة مواطنيهم لغلائها مستعيضين عنها ببضاعة الغريب الابخس ثمنًا . وزد على ذلك انّ الكثيرين من الباعة المتجوّلين تعوّدوا ابقاء قسمٍ من حسابات دائنيهم من التجار السوريين ضُمَنائهم للشراء بهِ من التاجر الاجنبي نقدًا . وهكذا يبقى مال التاجر السوري سنين عديدة بين ايدي عميلهِ المتجول يتلاعب بهِ كيفما شاء

ثمَّ لمَّا حصلت الأزمة المالية وضرب الضيق في المعاملات اطنابهُ على الكل بالسواء ارتدع البعض عن تطويل حبل المبيع بالدين. ورغمًا عن هذا التحذُّر لا يزال الكثيرون مالئين دفاترهم من اسماء المديونين حبًا بتكثير مبيعهم. لكن هؤلاء لا يبعد ان يكون حظُّهم حظَّ من سبقهم. وكان الاجدر بهم ان يتَّعظوا بما حلَّ بغيرهم لانَّ التجار السوريين الآن بوجهٍ عامّ يتكلفون المصاريف الباهظة والمصاعب المرَّة لتحصيل ديونهم راكضين وراء مديونيهم في الداخلية وما اكثر العائدين من تطوافهم بخُفَّيْ حنين

هذا ويصعب علينا في هذه الاسطر الوجيزة تعداد كافة المصائب الحائلة دون نموّ تجارتنا السوريَّة هنا لانَّ المُعانين لحرفة الاتّجار يعلمون قبل سواهم ان طرقها كثيرة التشعُّب وقد يضرّ بالواحد ما ينفع الآخر. لكننا في عجالتنا هذه اكتفينا بالالماع الى بعض تفاصيل هي ادنى ان تكون عِلميّة منها عَمَليَّة. فحبّذا لو توصَّل الكلّ الى تحوير بعض العوائد في تجارتهم ليكونوا جميعهم حائزين على الثقة التجاريَّة العامَّة كالتي حصل عليها افرادهم ساعين في توسيع نطاق اشغالهم لا يحصرونها في الدائرة التي رسموها لها حتى الآن

مركز السوريين الادبي

انَّ في معرض كلامنا على التجارة السوريَّة دليلًا على انفراد مواطنينا عن الجماعة البرازيلية بالاشغال والعوائد. ومما يورث العجب انَّ هذا التباعد بعد مرور ما يناهز ربع قرن على حلولنا في هذه الديار لم يزل باقيًا بحيث يستحيل علينا وجدان من يبادلنا المودَّة والاخلاص اذا ما اردنا اتباع الطريق المؤدية اليها

لمَّا تكاثر عدد السوريين وتوفَّرت لديهم موادُّ الرزق من وراء تجارتهم زعموا انهم بغنًى عن مخالطة قوم لا يحسنون لغتهم ويختلفون عنهم بعوائدهم وظنُّوا انّ بانضمامهم الى بعضهم في السُّكنى والمعيشة ضمانةً لراحتهم وتسهيلًا لمحافظتهم على العوائد الإرثيّة. ولكنَّا اوَّل الراضين من هذا الائتلاف لو تحقَّق بغير هذه العوارض رغمًا عن علمنا بكوننا لا نستطيع هذا الاعتزال لان شاننا بين قوم نجاورهم شأن المرء في الهيئة الاجتماعية. فمهما وفرت لدينا اسبابُ الراحة والطمأنينة لا غنى لنا عن اهالي البلاد التي حططنا فيها الرَّحل

ونرى كما يرى كلّ من قاسمنا السكنى في هذه الديار ان غُربتنا لا تعود علينا بالنفع الادبي المتحتم على الكل السعي وراءهُ. فلا يأتي احدنا هفوة دون ان تتناقلها الالسنة كشنعاء لا يُنتظر منَّا سواها. فلو مهَّدنا لهم السبيل بالتقرُّب الينا ليس بالاتّجار فقط لسبروا

غور عوائدنا واستقصوا مبادئنا وما تجرَّأوا على ان يعزوا الينا اكل اللحوم البشريَّة كما فعلوا من مدَّة عشر سنوات

نعم ان السواد الاعظم من الاهالي وخصوصاً سكَّان المدن بدلوا اليوم ظنَّهم القديم واضحت معاملتهم ايَّانا كمعاملة باقي الغرباء تقريباً لكنهم كثيرًا ما يصدّقون مهما شاع عنَّا من السيئات وكم من مرَّة سلقتنا جرائدهم بألسنة حداد ونحن عاجزون عن الدفاع بغير المال الذي ننقدهُ تلك الجرائد الطاعنة او غيرها

فالاحرى بنا اذاً ان نردَّ سهام الكلام بزيادة موافقتنا الوطنيين في عوائدهم واشغالهم ومقاسمتهم افراحهم واتراحهم ولا ندع اعيادهم ومصائبهم تمرُّ ونحن متربّصون عن القيام بما تفرضهُ تلك الظروف متَّخذين الحيادة بجانبنا كأننا لسنا عائشين ما بينهم

وممَّا يزيد اعتزالنا ليس فقط جهلنا لغة البلاد وعوائدها بل تفرّق الكلمة ما بيننا. فمن زار هذه الديار رأى فيها سوريَّةً أخرى من حيث التفريق بين تلك وتلك القرية وبين ذاك وذاك المذهب وبين تلك وتلك العائلة. فلو استفزَّتنا الغيرة الوطنية وجعلنا همَّنا الوئام والأُلفة لعلا شأننا بين مضيفينا وبلغنا الامنية الشريفة التي يستنفد بعضنا وسعهم في ادراكها

الجمعيات الخيرية — القنصل — الكهنة — الجرائد

من مدّة سنتين حفزت النخوة بعض مواطنينا فأسَّسوا جمعيَّة خيريَّة. ولم يمض الَّا قليل من الزمن حتى تألفت جمعية أخرى لكنَّ الاثنتين أقرَّتا بعد قليل على ان تنضمَّا الى بعضهما لتكونا جمعية واحدة يتوفَّر لديها من الوسائل ما يكفي لنيل الغاية التي تتوخيانها. فتمَّ الانضمام ولكن وا اسفاه لم تطل مُدَّتهُ. اذ ان مبادئ التعصُّب ومباينة الآراء قوَّضت ركن ذلك المشروع الخيري والوطني معًا وظلَّت قاعة الجمعية مدّة تُربي على السنة مغلقة الابواب يستوفي صاحبها اجرتَها دون فائدة لاحد سواهُ

فمن مدّة قليلة حملت الغيرة بعض افاضلنا واعادوا رونق الجمعية وعيَّنوا معلّماً سوريًا لتهذيب الاحداث السوريين وتلقينهم مبادئ اللغة العربية. فيكون للسوريين الآن جمعيتان احداهما في ريُو دي جنيرو والاخرى في سان پاولو ما عدا مدرستين. فعسى ان يتملك حبّ الوطن قلوب الجميع حتى نراهم ثابتين في الاحسان لبني جنسهم والتفاني في اعلاء شأن الوطنية

وكان من مقتضيات الحال تعيين وكيل للدولة العلية لحماية رعاياها البالغين في هذه الديار نحوًا من عشرين الفًا وهذا ما تعطَّفت بهِ الحضرة السلطانية مؤخرًا اذ عيَّنت قنصلًا لدولتنا السنيور اوتون ليوناردوس. وهو ابن قنصل اليونان في الحاضرة البرازيلية

واعلم انَّ لكل من الموارنة والروم الكاثوليك والروم الارثوذكس كهنةً يقومون بالواجبات الدينية نحو بني طوائفهم في ريُّو دي جانيرو وسان باولو

امَّا الجرائد العربية فيوجد منها في البرازيل ثلاث وقد مضى على تأسيس اقدمها ثلاث سنوات وهذه الصحف تختلف عن بعضها في المبادئ والتحرير. واسماؤها بحسب القدميَّة: البرازيل. والرقيب. والاصمعي. فحبَّذا لو سعت هذه الجرائد في استمالة اهواء القرَّاء بغير المطاعن على بعضها اذ يسوءُنا نحن الشرقيين ان نرى مُعارضًا لمبادئنا فكيف قادحًا في شخصيَّتنا

نتيجة المهاجرة

يتناول هذا الموضوع كافَّة المهاجرين السوريين الى العالم الجديد. ونحن وان اختصصنا بهذه الاسطر الوجيزة مواطنينا في البرازيل لا نستثني على الاطلاق من هجر الوطن وراء الكسب في باقي اقسام القارة الاميركية وان استوجبت هذه ربَّما غير كلامنا عن هذه الديار

ومن رأى تهافت الالوف العديدة من السوريين على الاصقاع الاميركية حسب ان سوريَة وبالحري لبنان لا يلبث بعد القليل ان يصير اغنى البقع الارضية واعمرها. فكم وكم من الذين لا يبالون باقتحام الاخطار ومعاركة اشدّ المصاعب وراء الحصول على باخرة تبعد بهم عن شاطئ بيروت. وما تلك الضحايا الَّا لانهم واثقون بعودهم القريب حاملين الالوف من الليرات دون تكبُّد مشقَّة. فلا تغترَّنَّ يا صاح لانهُ «ولا بُدَّ دون الشَّهد من إبرَ النحلِ»

وهل تمَّ التفاؤل بنفع الوطن يا تُرى. في ظنّنا ان الجواب السلبي أحقّ من الايجابيّ او هل اضرَّت المهاجرة على كل الاوجه لا لعمري. فانَّا اذا لاحظنا الخصوصيَّات رأينا انّ الكثيرين حازوا غنًى يستحيل عليهم الحصول عليهِ في الوطن. واذا رأينا مهاجرينا منقسمين الى فريقين رُزِق بعضهم وبقي الآخرون محرومين فلا عجب لان السعادة (اذا عددنا المال سعادةً) لا يبلغها الكل بالسواء وما مضرَّة الوطن الَّا بفقدان مَن عادَتهم التقادير

او من اساءوا التدبير في اشغالهم . فهؤلاء يفضّلون الاقامة في بلادٍ تقلّبوا فيها على سرير النعم ومضجع الذلّ على العود الى مسقط رأسهم خاسرين . وان شئت فقل ان المثرين ايضاً يُلحقون المضرّة بالوطن . لان هؤلاء لا يحصلون على شيء من الثروة الّا بالتجارة الواسعة وهذه تصيّرهم مقيّدين بسلاسلها هنا . امّا الفقراء فانّهم يفضّلون الاقامة في هذه الديار لأملهم في المستقبل او خشيةً من ان يقرّعهم اهلهم على عودهم الى الوطن أصفار الايدي فقراء كمن ذي قبل

واذا رأينا البعض عائدين الى الوطن بقسم من الارباح فهؤلاء لا يمضي عليهم طويل من الزمن حتى يرجعوا الى مقرّ ارباحهم لانهم لا يلاقون في الوطن ما لاقوهُ في اميركة . فمن كان ذا حرفة مثلاً قبل مهاجرته يرى من العار عليهِ ان يعود الى معاطاتها . وان اراد الاتجار فلا ربح يكفيه . ونرى الاكثرين ان لم تقل الكلّ لا همّ لهم عند عودتهم الى الوطن الّا تشييد الابنية وشراء املاك غيرهم . فيكون وطن المهاجر بهذه الوسيلة ربح بعض الابنية الحديثة وانتقلت املاكهُ من يد الى يد اخرى بسعر اعلى ليس الّا . ولا تحصل تلك الاملاك على تحسُّن لان اعتناء المهاجر لا يفوق اعتناء صاحبها الاوَّل بها . ولا علم لنا بمتغرّبٍ سعى في استعمال الطرق الحديثة من علمية وعملية يكون قد رآها في اسفاره كي يجدي ملكهُ الجديد تحسّناً ويزيد ثروة الوطن بتوفير ثروتهِ

فالخلاصة ان المهاجرة نفعت بعض الافراد واضرَّت بالكثيرين وبالوطن . فالوطن المسكين حُرِم فريقاً عظيماً من بنيهِ ولم يستعض عنهم على الاقل باموال الراجين . واذا عددت الوَفيات بامراض لا اثر لها في وطننا العزيز وعدم الاكتراث بترويج المحصولات والمصنوعات الوطنية وثقت ان خسارة الوطن هي اعظم ممّا يُظنّ

النفس البشرية

صنّفها المَفْريان العَلّامة ابو الفرج المعروف بابن العبري

(تتمّة المقالة)

الفصل السادس والاربعون

في بيان انّ النفس اذا فارقت الجسد لا تفقد صفاتها المختصّة بذاتها

واعلم انّ صفات النفس المختصّة بذاتها باقيةٌ ببقاء النفس دائمةٌ بدوامها بعد مفارقتها

للجسد. وهذا نتتج عمّا بيّنّا آنفًا انّ العقل والرأي والذهن والفكر والذكر والحيّ والبسيط هي قوى طبيعية للنفس والطبيعيّ دائم بدوام ما هو خاصّ بهِ فإذن تدوم ايضًا هذه القوى بدوام النفس. وذلك ما اردنا بيانهُ

الفصل السابع والاربعون

في بيان انّ تأثير النفس باقٍ بعد فراق الجسد

نزيد بتأثير النفس فعلها وحركتها فنقول: انّ الفعل والحركة ذاتيّان للنفس راكزان في كيانها فلا يُمكن اذًا ان يفارقاها البتّة. ولكن بعد فراق الجسد سيقطع عن النفس سبيلها الى الفعل والتأثير والزيادة في الفضائل والنقص من الرذائل لانّ الآلة التي كانت تفعل بهـا قد بطلت وتعطّلت والصانع لا يتمكّن من تتميم فعلهِ الّا بآلتهِ. وذلك على مثال الكاتب الماهر اذا عُدِمت آلتهُ تعطّلت صناعتـهُ ولم تذهب معرفة الكتابة من نفسهِ. فكذلك النفس وصفاتها (١

الفصل الثامن والاربعون

في بيان انّ النفس اذا فارقت جسدها يزيد فهمها وذكرها

والدليل على ذلك انّ النفس لمّا كانت ممنوّةً بعلائق الجسد ودواعيهِ وصفاتهِ كان لها قدرة على الفهم والذكر فعند انسلاخها عنهُ يلزم ان تزداد هذه القدرة عمّا كانت عليـهِ اوّلًا. ولولا ذلك لكان الفعل مع العائق كمثل الفعل دونهُ وذلك مُحال. فظهر انّ النفس عند عدم العائق تدرك وتفهم وتتذكّر اكثر من ادراكها وفهمها عند وجود العائق

الفصل التاسع والاربعون

في بيان انّ النفس تدرك بجوهرها بعد فراق الجسد

والدليـل على ذلك هو ان النفس بسيطة عريّة عن الهيولى المانع لها عن الادراك. فاذا كان ذلك كذلك وجب ان يصدق في حقّها انّهـا تدرك بجوهرها — ونقول ايضًا انّ النفس لها الادراك بالطبع وكلّ ما كان بالطبع لا يفتر عن فعـلهِ الّا بقاسرٍ يقتسرهُ وقاهر يقهرهُ وذلك ممّا عرض للنفس بمراقبة الجسد وكثرة دواعيهِ واشغالهِ المانعة لها

١) الأحرى ان يقال انّ النفس لم تعد تكتسب اجرًا او تجترح اثمًا لانّ وقت امتحانها قد انتهى يوم انفصالها عن الجسد

من سلوكها وفعلها بالطبع . فاذا زالت مراقبة هذا المانع عادت الى طبعها الاعلى لانّ زوال الموانع يوجب استكمال الافعال ويوفّق الأَرَب والغرض

الفصل الخمسون

في انّ النفس تعرف ذاتها وتعرف ايضاً انّها مخلوقة

قد سبق ان صفات النفس باقية فيها بعد فراق الجسد ومن صفات النفس العلم فلا بُدّ اذن من القول انّ النفس تعرف انّ لها خالقاً وانّها مخلوقة وانّها اتّحدت بالجسد وانتقلت عنهُ كما انّها تعرف اجزاء هذا الجسد المتبدّدة في العناصر وتعرف انّها ستتّحد بهِ ثانية وتعرف الملائكة والجنّ عند خروجها من الجسد وتعرف النفوس الشبيهة بها والمكان الروحانيّ المعدّ لها وتعرف وتشعر بالقرابين والصدقات التي تقرَّب عنها . امّا الامور التي لا تعرفها فهي احوال عالمنا وجميع ما يبعد عنها بالصفة

الفصل الحادي والخمسون

في الردّ على من قال انّ النفس اذا فارقت الجسد تحلّ امّا في الحيونات او في النباتات

نقول انّ ذلك مُحال لانّهُ يوجب ان ليس في الكون حيوانٌ يصحّ حدُّهُ (١ وانّ الذي يأكل لحم الحيوان او يقطع الشجر ويحرق خشبَهُ يصيبُ بذلك الانسان الذي حلَّت نفسُهُ بهذا الحيوان او بهذا النبات ولَساغ ايضاً ان تُسمّى نفس الانسانَ تارةً ناطقة وأُخرى صاهلة او نابحة او ناهقة وحيناً نابتةً ونامية وكل ذلك لا يرضى بهِ عاقل

الفصل الثاني والخمسون

في الردّ على من قال انّ النفس هبطت من عالم الملائكة

زعم البعض انّ النفس خُلقت في عالم الملائكة وانّها لسوء تدبيرها هبطت الى اجسام البشر ومنها الى الحيوان ومنها الى النبات ومنها الى الجماد . وكلُّ هذه الاقوال هَذَيان محض لأنّنا قد بيّنّا آنفاً انّ القول بوجود النفس قبل الاجسام هو باطلٌ — ثم نقول ان كان عالم الملائكة قد اوجب فساد احوال النفوس وفيهِ حصل لها هذه الخسائس حتى انها

١) وذلك لانّ التقمّص يخلط الانواع ببعضها و يجعل الحيوان الناطق بحلولهِ في البهيمة غير ناطقٍ وبحلولهِ في النبات جسماً بلا حسّ

هبطت الى هذا العالم لتتأدَّب فيهِ بآداب الانسان والثور والشجر والجماد ثمّ تعود الى عالمها الاوَّل للزم ان يكون الشرّ في عالم الملائكة والخير في عالم البهائم وهذا اقبح الكذب والمُحال. وذلك ما اردنا ان نبيّنهُ

الفصل الثالث والخمسون

في بيان مستقرّ النفوس بعد فراق الجسد الى حين القيامة الكلّيّة

انّ نفوس الابرار تلج الفردوس الذي خُلق لابينا آدم. وما دونهم بالصلاح يكون بالقرب منهُ على الترتيب (١. واما نفوس الاشرار فتكون في قعر الهاوية الدهماء مع اختلاف الرتب

الفصل الرابع والخمسون

في بيان ما قيل في الكتاب الالهي انّ الانسان خُلق على صورة الله

اعلم انَّ الكتاب الالهي يشير بهذا القول الى النفس الناطقة دون الجسد. والدليل على ذلك من اوجهٍ شتَّى. (اوَّلا) لان النفس ليست جسماً ولا يتسلّط عليها الموت. (ثانيًا) لانَّ البارئ تعالى ينظر الوجود باسرهِ نظرًا فعليًا بالذات والنفس تنظرهُ نظرًا انفعاليًا بالخيال. (ثالثًا) لانّ النفس متسلّطة على المحسوسات كما انّ الله تعالى يتسلَّط على كل المخلوقات والمحسوسات العنصريَّة. (رابعًا) لانَّ النفس تتصرَّف من ذات طبعها بالفكر والتصوُّر. (خامسًا) لان الموجوداتِ الجسمانية تخدم الانسان كما تخدم الخالقَ سائرُ الموجودات الروحانية. (سادسًا) لانَّ الانسان يتصوَّر في نفسهِ صورة شيءٍ لا وجود لهُ ثمَّ يبرزهُ الى الوجود ففيهِ بذلك بعض الشبه بالخالق الذي اوجد البرايا بعد عدمها. (سابعًا) لانَّ الله جعل الانسان مثل نائبهِ في الارض وهو يميّز الخير الجيّد من الشرّ الرديء. (ثامنًا) لانّ الله يفعل المعجزات والخوارق والمبهرات. وهكذا قد بلغ بعض الناس كالانبياء بعون الله ان يفعلوا ذلك في

---

١) قد قلنا في ترجمة ابن العبريّ انَّ من جملة ضلالهِ قولهُ بان النفوس البارَّة لا تدخل السماء ولا تعاين جلال الله عزَّ وجلّ الَّا بعد القيامة الاخيرة. يردّ هذا المزعم اعتقاد كلّ الكنائس الشرقيَّة فانَّ في طقوسها وصلواتها شهاداتٍ عديدة تُثبت كون نفوس الابرار في السماء مع الله. وهذا المُعتقد مبنيّ على آيات وردت في الانجيل وفي رسائل الاناء المصطفى بولس الرسول وفي رؤيا يوحنّا الحبيب (راجع يو ١٢ : ١٧,٢٦ : ٢٤ و ٢ قرنتية ٥ : ٨ ورؤيا ٣ : ٧,٢١ : ٢٩, ١٤ : ١٢)

الارض. (تاسعاً) انّ الله يتصرَّف في الموجودات فهو فيهـا ولم يُدرَك. كذلك النفس تفعل الافاعيـل وتتصرَّف التصرّفات في جسدها وهي لم تُدرَك. (عاشراً) لانّ الله الكلمة كان مزمعاً ان يتجسَّد ويتَّخذ نفساً بشريَّة فلذلك سمَّاها صورتَهُ. (اخيراً) لانّ النفس البشريَّة ذات حياة ونُطق كما ان هذه الصفات هي ذاتيَّة في الباريء تعالى. ولذلك قيل انَّ الانسان يجب عليهِ ان يتشبَّه بالله تعالى بالجود والقداسة والعدل والرحمة والرأفـة واللطف قياماً بقول السيّد المسيح: كونوا رحماء وكاملين مثل ابيكم السماويّ الذي يُشرق شمسهُ على الاخيار والاشرار

الفصل الخامس والخمسون

في بيان المعاد البَدَني والكلام على رأي القدماء واختلافهم في حقيقتهِ

نقول انَّ البعض من النـاس اثبتوا معاد الابدان والبعض نكروهُ. والفريق الذي اثبتهُ يختلفون في صور الابدان واشكالها واعضائها الظاهرة والباطنـة والمختصَّة بالادراك والذكورة والإناثة والالوان والملابس والمآكل والشهوة والغضب والأعراض كاللطافة والكثافة واشباه ذلك. امَّا الفريق الذي نفى ذلك فعلَّلوا جحودهم بثلاثة اسباب: السبب الأوَّل احتجَّ بهِ الذين اعتقدوا بآلهة كثيرة فقالوا انَّهم لا يتَّفقون على اعادة الابدان. والسبب الثاني انَّ البدن لم يُخلق لاجل ذاتهِ بل هو آلة للنفس. والسبب الثالث انَّ اجزاء الجسد تتبدّد في العناصر فلا يمكن عودها الى الصورة الاولى

الفصل السادس والخمسون

في الردّ على المحتجّين بالحجج السابقة

نقول انّ بطلان زعم الذين قالوا بآلهة كثيرة لا يتَّفقون على اعادة الابدان يظهر من سوء معتقدهم بالاله. فانّ الله واحد صَمَد لا اله غيرهُ. ولو كان الهان وجب ان يشتركا بالوجوب والخلق والقدرة والسلطان وان يختلفا بالعدد والالوهيَّة وان يكون كلاهما مركَّب وكل ذلك مُحال

امَّا الذين زعموا ان الجسد خُلق آلةً للنفس لا تحتاج اليهِ فقولهم فاسد ولو كان الجسد كما يقولون لمَّا دخل في حدّ الانسان واجتمع منهُ ومن النفس ماهيـة واحدة ونوع واحد تُعزى الى المتركّب منهما الافعال البشريَّة وقد سبق انّ كليهما يكتسب كمالًا باتحادهما

وكذلك لا صحَّة لقول من زعم انَّهُ لا يمكن اعادة الجسد بعد تبـدّد عناصرهِ الى صورتهِ الاولى. نعم اننا لو نسبنا الجسدَ الى ذاتهِ لما امكن عودهُ الى هذه الصورة ولكن اذا نُسِب الى خالقهِ فليس في هذا الامر مانع لانّ الذي انشأ الجسد من التراب في البدء هو قادر على ان يُعيدهُ ثانياً. وان نكر الجاحدون هذه القضيَّة سألناهم من اي شيء خلق الله جميع الاصول أليس من العدم فلمَ لا يجوز لهُ تعالى ان يعيد الاجساد الى حالها مع وجود اجزائها والوجود افضل من العدم. فان قالوا انّ العدم افضل من الوجود فقولهم كذب بَحْت. وان قالوا انّ الباريء تعالى لا يقدر على بعث الاجساد بعد ان خلقها من العدم فيكون قولهم اقبح من الكذب الاوّل. وهم يشهدون على كذبهم اذ يعترفون بان الله تعالى قادرٌ على خَلق الاشياء من لا شيء. فيظهر بذلك كذب حجَّتهم — ثم نضيف الى ما سبق انَّهُ من العدل والانصاف وفعل الحقّ اعادة الاجساد بحيث انَّها تقبل المُجازاة والمكافأة قبالة ما فعلتهُ من الفضائل والرذائل في هـذا العالم. ولولا ذلك لتساوت اجساد القديسين الاطهار باجساد الاشرار الفاجرين. وهو قول لا يرضى بهِ عاقل

الفصل السابع والخمسون

في بيان انَّ الجسد الذي انحلَّ وانهدم يعود هو بعينهِ وليس غيرهُ

اعلم انَّ الانحلال والعود هما من باب الاضافة يلزم احدُهما الآخر. هذا وانّ العقل يشهد بان الجسد الذي احتمل الشدائد والصعوبات في عمل الصلاح والعبادات هو احق بالعود لينال المُجازاة قبالة عذابهِ وكذا الجسد الذي استمرَّ على شهواتهِ ولذّاتهِ الرديئة القبيحة التي تنكرها الشريعة المقدّسة — ونقول ايضاً انّ هذه الاجساد تعود الى صورتها الاولى وليست هي هوائية كما زعم قومٌ ولا كثيفة بحيث يمتنع عليهـا النفوذ في غيرها بل هي اكثف من الأولى وألطف من الثانية لأنَّ ذلك العالم القدسي لطيف فيلزم لطاقةُ ما يصعد اليهِ وامتناع هيولاهُ الغليظة ليصلح لمؤاخاة العالم اللطيف ومباشرة الاماكن الشريفة. ولذلك نقول ايضاً انَّهُ يتجرَّد من كل الاعراض التي تشينهُ كالامراض والعيوب والشهوات وما شاكلها لان كل ذلك لا يليق بالعالم السماويّ

الفصل الثامن والخمسون

في بيان انَّ رجوع الجسد يكون باعضائهِ

اعني ان الجسد يكون تامّ القامة برأسهِ وعينيهِ وأذنيهِ وانفهِ وفمهِ وصدرهِ ويديهِ

ورجليهِ. ويشهد بذلك انّ هذه الاعضاء بأسرها شاركت النفس الناطقة في سائر افعالها. وزد على ذلك انّ بها تتمّ زينة الجسد. وكذا قُلْ عن الدماغ والقلب والرئة والكبد والامعاء وما اشبه ذلك. واذا كان الامر بهذه الصفة فيلزم ايضاً ان تعود الذكور والاناث بصورتها الحقيقية وذلك لأنّهُ من المُحال ان لا يُفرَق بين النساء والرجال وكلا الفريقين خلقة الله

الفصل التاسع والخمسون

في بيان انّ كافة الاجساد تعود بتمام القوّة وكمال الصورة

الدليل على ذلك انّ القيامة تعيد للاجساد ما سُلِبَتْهُ بخطيئة ابوينا الاوّلين لمّا تجاوزا الاوامر الالهية. وكان آدم وحوّاء قد خُلقا كاملَي الصورة والطباع والأشكال. والمرجَح ان الله خلقهما بكمال السنّ وعمرُهما ثلاثون سنة فتقوم الاجساد كذلك في تمام قوَّتها — ولنا دليل آخر على ذلك وهو انّ السيّد المسيح المخلّص لما اراد تجديد الصورة الانسانية بالصبغة الاردنيَّة اتى الى يوحنَّا ولهُ من العمر الزمني ثلاثون سنة. ونحن نعلم انّ العماد عندنا هو عودنا الى الصورة الآدمية القديمة يحوّلنا كيانَنا الاوّل قبل ان تدخل عليهِ العوارض

الفصل الستُّون

في بيان انَّ الجسد عند رجوعهِ الثاني يكون متَّصفاً بصفات الارواح

والدليل على ذلك انّ الجسد يتجرَّد عن سائر العوارض التي كان موجودًا بها في هذا العالم. وعند زوال هذه العوائق تبرز منهُ افعال كاملة فيخرق الاجسام الكثيفة ويطفو على المياه ويسلك بالفضاء لانّ الاثقال الهيولانيَّة والاعمال الجسمانية تبطل فيهِ. ونقول ايضًا انّ النفس بعد القيامة تصير جلبابًا للبدن ويشرق شعاعُ نورها الذاتيّ على سائر حواسّها الظاهرة والباطنة فيستنير جميعُهُ بنورها المُشرق عليهِ ويصير المرء كلُّهُ بمنزلة المدرك لجميع ما في الوجود على النظام الموجود. ولذلك لا يحتـاج الانسان الى الالفاظ المجسَّمة والكلمات المستعملة بالحروف وآلات الصوت كقصبة الرئة والحنجرة والحلق والشفتين وغير ذلك. وانَّما يكون الخطاب روحانيًا لانَّ الكلّ جليّ للكلّ والجسد غنيٌّ عن الخطاب والجواب. وكذلك يمتنع في حقّ الجسد وجود الشهوة والغضب والخيال والضَّعـة والبغض والعداوة والكبرياء كما انَّهُ يمتنع عنهُ الزيادة والنقصان والكثافة والثقل والطول والقصر والمرض والتقطيع والانحلال والسِمَن والجوع والشبع والسَّير والتعب والاكل والشرب والوقـاع والتناسُل. وانَّما الدواعي التي تعظم عندهُ فهي الرأي والذهن والنطق والذكر. ويبطل

فعل اليدين والرجلين. وكذلك لا ينمو الشعر والاظفار وتبطل المآكل والمشروبات الجسمانيّة والملذّات البدنية. وانّما الملذّات كلُّها تكون روحانيةً. وكذا الملابس لانّ النفس بلطف نورها وجمال صورتها تكسو بدنها بالبهاء الدائم والكمال المؤبّد

الفصل الحادي والستّون

في بيان انّ العالم المزمع المذكور بين اهل العلم انّما هو عالم الافلاك (١

نقول انّ الله تعالى اتقن صُنع عالم الافلاك وابدع صورة جوهرهِ في غاية الكمال والجمال فلا يليق بان يقال انّ الباريّ تعالى يبيد هذا العالم ويخلق غيرهُ لانّ الله عزّ وجلّ لا يعدم شيئًا من اعمالهِ فكم بالحري الاشياء البسيطة مثل النفس والافلاك (٢ والملائكة. وانّما يُنسَب سبحانهُ الى الجود والانعام فلذلك يُديم عالم الافلاك ليرفع اليهِ الابرار والمؤمنين ويُبقي عالم العناصر ليُخلِد فيهِ الخاطئين. ولكن ستبطل الحركات والتأثيرات من العالمين وسبب ذلك عدم الافتقار الى الحوادث الصادرة عن تأثيراتهِ وقد يشهد بذلك اشعياء الماجد بقولهِ عن الباريّ تعالى: خلق سماء جديدةً وارضًا جديدةً

الفصل الثاني والستّون

في بيان المكان الذي تجتمع فيهِ الناس يوم الدين

اذا حانت الساعة التي يظهر فيها السيد المسيح على وجه البسيطة مع ملائكتهِ الاطهار سيجتمع الناس في لمحة البصر في بيت المقدس وتفترق الابرار الى جهة اليمين والاشرار الى جهة الشمال بلا حساب ولا خطاب وانما الحساب يكون للخطأة فقط ويُفرَز التائبون عن الخاطئين المستمرّين في آثامهم ثم يُرفَع الابرارُ الى العالم العقلي ويُترك الاشرارُ في العالم السفليّ ويُبسَط عليهم عنصر النار. وهكذا يكون دوام النعيم وعذاب الجحيم الى ابد الابدين لا نهاية لهُ ابدًا ولا غاية تمنعهُ. امّا الابرار فانهم يشتركون في دوام البقاء بلا فناء وفي المعرفة الكاملة والعلم التامّ بالثالوث المقدّس فيكون ذلك للابرار لذّتهم وتلك للاشرار آفتهم. ولله الحمد عودًا وبدءًا آمين. انتهى كتاب النفس لابي الفرج

١) انّهُ لأمرٌ ثابت انّ الله اعدّ للابرار منزلًا يتجلّى بهِ لهم ويمتّعهم بالافراح السرمديّة ولكن لا يتّفق اللاهوتيُّون في تعيين هذا المكان أهو فلك من الافلاك او منزل آخر يخلقهُ الله فكل ذلك من الامور المجهولة. وما قالهُ ابن العبري في هذا الباب محمول على بعض المزاعم التي ذهب اليها قومٌ من الاقدمين ٢) قد وهم ابن العبري بقولهِ ان الافلاك بسيطة كالنفوس والملائكة وقولهُ هذا من جملة الاراء القديمة التي ثبت اليوم فسادها

تحويل الهواء الى مائع سيَّال

للاب غدفريد زُموفن مدرّس الطبيعيات في كلِيَّة القديس يوسف

قد اعتاد ارباب الطبيعة ان يقسموا الاجسام الى ثلاثة اقسام صُلبة ومائعة او سيالة وغازيَّة او بخاريَّة فالصُّلبة اكثر الاجسام عددًا على وجه الارض. والاجسام السيَّالة دون الصلبة عددًا. امَّا الغازات فهي محصورة العدد قليلةٌ بالنسبة الى الصنفين السابق ذكرهما

ولا يخفى انَّ الاجسام او العناصر يمكنها ان تتكيف بالكيفيَّات الثلاث تِباعًا فتحوَّل من حالة السيول الى الجمود او الى البخار ويُعكس. مثال ذلك الماء فانّهُ عند اعتدال الهواء سيَّالٌ فاذا هبطت حرارتهُ دون الصِفر جمد فتحوَّل الى جليد. واذا أُغلي تبخَّر. وليست الغيوم سوى ابخرة الماء تصاعدت الى الجوّ. فينتج من ذلك ان الاجسام ليست في حالة ثابتة وانَّ العوامل الطبيعية تستطيع ان تحوّلها من حالة الى أُخرى

وممَّا تقرّر بالاختبار انّ هذه التحوُّلات لا تتمُّ الَّا بقوّة الحرارة او بالبرودة. وعليهِ اذا حاولتَ نقل جسم من الاجسام من حالة الجمودة الى حالة السَّيلان فلا بُدّ من ان تُمِدّهُ بكمّية معلومة من الحرارة. واذا اردتَ نَقلَهُ من السَّيلان الى التبخُّر يقتضي لهُ حرارة ازيد وأوفر. وبخلاف ذلك لا بُدّ من نزع قسم من الحرارة عن جسمٍ متبخّر لتجعلَهُ مائعًا سيالًا. والسيَّال لا يُضحي جامدًا الَّا بعد سلبهِ قسمًا آخر من حرارتهِ

تحويل الغازات والهواء الى سوائل

وفي هذه السنين الاخيرة اكثر الطبيعيُّون من البحث في تحويل الاجسام من حالة الى اخرى. وكانوا يُعنون خاصَّةً بتَسْييل الغازات اعني بتحويل بعض الاجسام التي نراها عادةً متبخّرة الى حالة السَّيلان

في سنة ١٨٢١ تمكّن المسيو بوسّي (Bussy) من تسييل غاز النوشادر فجعلهُ لذلك في انبوبةٍ اهبط درجة برودتها الى ٤٠ درجة تحت الصفر

وعالج فراداي (Faraday) بعدَهُ بسنتين غازاتٍ أُخرى كالحامض الكلوريدريك والأُكسيد الازوتي (oxyde azoteux) فجعلهما سيَّالين بقوّة الضغط والبرودة معًا

وبقيت بعض غازات الى سنة ١٨٧٧ لم يستطع احدٌ من الكيمويين ان يسيلها رغمًا عن الوسائل المتخذة لهذه الغاية فعدُّوا هذه الاجسام بين الغازات الثابتة يريدون بذلك انهُ لا يمكن تحويلها من حالة التبخُّر الى حالة السَّيلان وكان من جملتها الأُكسيد الازوتيك والاسيتيلين والهيدروجين والأُكسيجين والازوت والهواء

بيد انهُ في الخامس من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٧٧ بلغ الكيمويّ الشهير كاليتاي (Cailletet) الى ان يجعل غاز الاسيتيلين سيَّالاً. وفي السادس والعشرين منهُ سيَّل غازَ الأُكسيد الازوتيك

وما مرَّ شهر على هذين الاكتشافين حتى اتَّصل في يومٍ واحد ودون تواطُوء الكيمويَّان كاليتاي السابق ذكرهُ في باريس والمسيو پكته (Pictet) في جنيفة الى ان يحوّلا غاز الاكسيجين الى مائع سيَّال. وكان ذلك في ٢٤ كانون الثاني وهو لعمري تاريخ حريٌّ بالذكر لانهُ فتح لعلم الكيميا طريقًا مهيعًا يُفضي بمن يسلكهُ الى اجلّ المنافع واشرف الفوائد. ولم يلبث المسيو كاليتاي ان اكتشف بعد اسبوع الطريقة لتسييل الازوت والهيدروجين والهواء. فكان لهذا الاكتشاف المثلّث احسن وقع في الدوائر العلمية وبهِ خُتمت السنة ١٨٧٧ التي تُعدُّ من ايمن السنين واسعدها في تاريخ الكيمويين. ومذ ذاك الحين اضحى قول قدماء الكيمويين في الغازات الثابتة نسيًا منسيًا او بالحري اصبح اسمًا بلا جسمٍ

هذا وانّ الاسلوب الذي بهِ تمكّن المسيو كاليتاي من تسييل الهواء لم يفِ بالمرام وكان قصارى ما يناله نُقَيطاتٍ وحَببًا صغارًا ليس الّا. فتوسَّل الكيمويُّون بكل الوسائل لتحسين الآلات التي اخترعها كاليتاي او تجهيز غيرها لتوفير الهواء السيَّال. وكان العلماء يرتأُون ان أولى طريقة لزيادة البرودة اللازمة لتسييل الهواء انمَّا هي تبخير الايتيلين (éthylène) في انبوب أُفرغ منهُ الهواء. فأدَّت هذه الطريقة في السنة ١٨٨٣ العالمين ڤروبلفسكي (Wroblewski) وأُلزرڤسكي (Olszrewski) الى تكثير كميَّة الغازات السيَّالة كالاكسجين والازوت واكسيد الكربون بعد ان بلغوا الى الدرجة ١٣٩ تحت الصفر. وفي السنة التالية حسَّن المسيو جِمس دِوار (James Dewar) هذه الجهازات ونال كميّة من الغازات السيالة لم يسبقهُ اليها من سلفهُ

غير ان الاختبارات السابقة بقيت طول هذه المدّة في معاهد العلوم لم تخرج عن حلقة

المدرّسين لصعوبة تركيب ادواتٍ اقتصاديَّة تمكّن ارباب التجارة من تجهيز كميّة وافرة من الهواء السيال

وكان العلماء مع ذلك لم ييأسوا من ايجاد وسيلة تبلّغهم الاماني. ومن جملة ما اخترعوهُ ان يُجيزوا الهواء في ثلاثة آنية تحتوي اجساماً مبرّدة لسرعة تبخّرها تبلّغهُ بالتدريج الى حالة السَّيلان. فكانوا يُجيزونهُ اوَّلاً في وعاء يحتوي الحامض الكربونيك ثم ينقلونهُ الى وعاء آخر يتضمَّن الايتيلين ثم يُنفِذونهُ في إناء ثالثٍ يشتمل على الاكسجين فيخرج من ثمَّ مائعاً سيَّالاً. بيد انَّ هذا الاختراع لم يحظَ بالمرام لارتباك صُنعهِ وكثرة ادواتهِ

وهاك اليوم قد حُلَّ اخيرًا هذا المشكل العويص. وانَّما الفضل في ذلك يعود الى الاستاذ لِنده (Linde) معلّم الطبيعيَّات في كلّية مونيخ فانَّهُ اتّصل الى وَضع ادوات غاية في البساطة ينال بها كميّة وافرة من الهواء السيَّال يمكن استخدامها في حاجات الصناعة. وهو لا يتّخذ لذلك عاملاً سوى الهواء نفسهِ

امَّا الآلة التي اكتشفها لذلك الاستاذ المذكور فقد اصطنعها وفقًا لمبدإ شائع في العلوم الطبيعية وهو « انَّ البخارات والغازات المنضغطة اذا انفجرت وخرجت من بعض النوافذ تنحطُّ درجة حرارتها انحطاطاً يزداد بالنسبة الى نقص كمالها »(١. والهواء معدود بين الغازات غير الكاملة فلذلك يُقتضى لتسييلهِ إهباط درجة حرارتهِ اكثر من سواهُ. وعليهِ فانَّهُ لا يصير سيَّالاً الّا اذا برد مئتي درجةٍ تحت الصفر. فحسب الطبيعيُّون ما يلزم الهواء من الضغط لتهبط حرارتهُ الى هذه الدرجة فوجدوا انَّهُ لا يبرد الَّا بربع درجة في مقابلة ضغط عمودٍ جوّيّ فاستنتجوا انهُ يُقتضى لتبريدهِ الى الدرجة المئتين تحت الصفر ضغطٌ يقابل ثمانمئة عمود جوّي. وهو لعمري ضغطٌ بالغ لا يُتوصَّل اليهِ الَّا بعد العناء العظيم

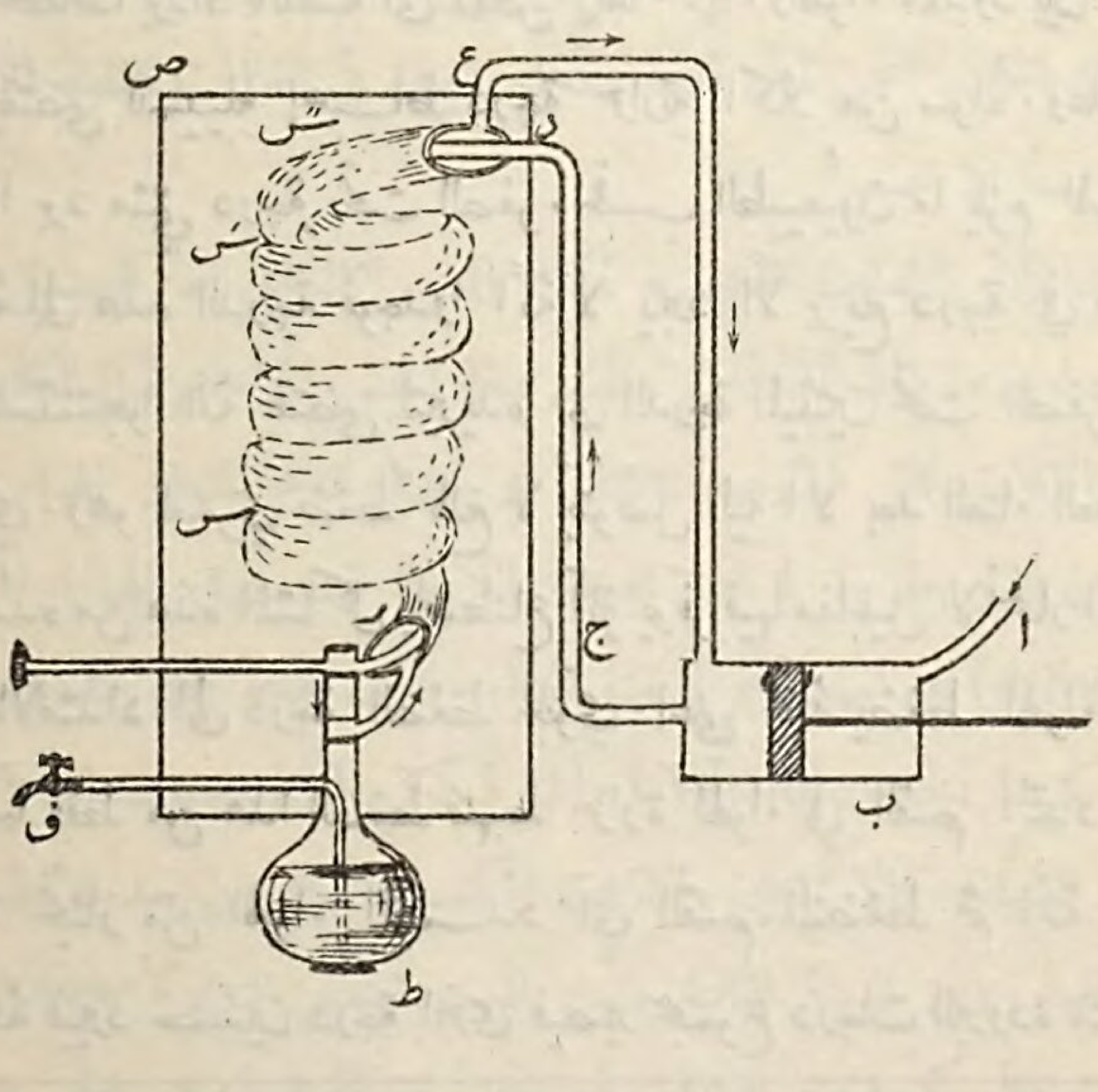
فتخلَّص المسيو لِنده من هذه المشاكل باصطناع آلةٍ يوفّر فيها مفاعيل الانفجار المتواصل ثمَّ يصدّ الهواء عن الامتداد الى درجة الضغط الجوّي. اعني انَّهُ يضغط الهواء ضغطاً شديدًا ثمّ يخفّف قسماً فقط من هذا الضغط فتهبط حرارة الهواء في القسم المتمدّد خمسين درجةً. وهذه البرودة تجتاز من الهواء المتمدّد الى القسم المنضغط ثم انَّهُ يضغطهُ ثانيةً ويُفجر قسماً منهُ فيبرد خمسين درجةً اخرى فيصير مجموع درجات البرودة مئةً وعلى

١) يدعى الغاز كاملاً عند الطبيعيين اذا اجتاز بغتةً من حالتهِ الطبيعيَّة الى حالة السَّيلان. ويدعى غير كامل اذا بَعثَ بأبخرةٍ قبل ان يصير سيَّالاً

هذا المنوال لا يزال يضغط الهواء ويمدّد قسمًا منهُ الى ان يبلغ الى الدرجة المطلوبة لتسييلهِ

وجهاز المسيو لِنده عجيب في بساطتهِ فانَّ آلتهُ تتوقَّف على طلمبة تضغط الهواء وأُنبوب انبيقيّ يتخلخل فيهِ بعد ضغطهِ ويتمدَّد تباعًا بواسطة حنفيَّة

وقد رسمنا الشكل التابع ليسهل على المطالعين فهم المبدإِ الذي اليهِ استند العلاَّمة المذكور في اصطناع آلتهِ. لكنَّنا جرَّدنا هذا الرسم من كل الادوات الثانويَّة التي تدخل في تركيب الآلة. فالهواء يدخل الانبوبةَ (ا) فيمرُّ من ثمَّ الى الطلمبة (ب) حيث يُضغط. فاذا ضغطهُ المدكّ ضغطًا يوازي مئتي عمودٍ جويّ نفذ الى انبوبة الانبيق الباطنة (ج) خارجًا من المنفذ (د). (وقولنا «انبوبة الانبيق الباطنة» لانَّ هناك انبوبتين تنفذ الواحدة في الاخرى). وينتهي الهواء بعد مروره في هذه الانبوبة الى فوهةٍ (ر) تتولَّى فتحها واغلاقها حنفيَّة. فيخرج قسم من الهواء من هذه الحنفيَّة وبخروجهِ يتمدَّد بحيث لا يتجاوز ضغطهُ عشرين عمودًا جويًّا وبامتدادهِ يبرد خمسين درجةً. بينما يبقى القسم الآخر في الانبوب الداخلي مضغوطًا. امَّا ما تفرَّغ من الهواء المبرَّد فانهُ يمرُّ في الانبوب الثاني



صورة آلة المعلّم لنده لتسْييل الهواء

الخارجي صاعدًا منعكسًا (س س َ س ً) . وبصعودهِ يمسُّ الانبوب الداخلي حيث بقي قسمٌ من الهواء المضغوط فيتخلَّى لهُ عن برودتهِ ويعود راجعًا الى الطلمبة مجتازًا بالمنفذ (ع) . والانبوبان المذكوران آنفًا قد لُوِيا اقتصادًا للمكان وأُفرزا من مماسَّة الهواء الخارجيّ بصندوق خشب مبطَّن بالصوف الخشن (ص) . وعلى هذه الطريقة لا يزال الهواء تهبط حرارتهُ شيئًا فشيئًا الى ان يبلغ الدرجة المقتضاة لتسييلهِ فيجري في وعاء مُعدّ لقبولهِ (ط) ويستخرج من هذا الوعاء بمجرَّد فتح الحنفية (ف) لانَّ الضغط في الوعاء اقوى من ضغط الهواء الخارجي

فعلى هذه الطريقة توصَّل المسيو لنده الى تسييل ثلاثة ليترات من الهواء في الساعة باستخدام قوَّةٍ ميكانيكيَّة توازي ثلاثة احصنة (١ . وقد يسعى العلاَّمة المذكور ان يصطنع استنادًا الى المبدإِ نفسهِ آلةً كبيرة للتجارة تبلغ قوَّتها ١٢٠ حصانًا يُمكنهُ ان يَستخلص بها خمسين ليترًا من الهواء السيَّال

وقد أنبأتنا اخبار اميركة ان المسيو تريپلر (Tripler) الاميركيّ ابتدع آلةً تماثل آلة المسيو لنده ويزعم صاحبها انهُ يُسيل ١٥٠ ليترًا من الهواء في الساعة باستخدام قوَّة ٥٠ حصان فقط . لكنَّا لا نعلم ما في هذه الانباء من الصحَّة

وعلى كل حال، انهُ لم يبق ادنى ريب في وجود آلات اقتصاديَّة يُنال بها الهواء السائل بثمن بخس . فصار الليتر منها يباع باقلّ من فرنكين . وهو يصطنع من تسييل ٧٤٨ ليترًا من الهواء الجوّي

خواصّ الهواء السيَّال

ما كاد العلماء يكتشفون الهواء السيَّال حتى اخذ الكيميون والطبيعيون في اوربَّة واميركة يُجرون فيهِ الامتحانات العديدة لمعرفة خواصّهِ الفريدة فانها حقيقةٌ جديرة بالاعتبار

واوَّل هذه الخواصّ ان لون الهواء السيال اذا كان صافيًا ونُظِّف ممَّا يحتويهِ من الحامض الكربونيك والرطوبة يكون ضاربًا الى الزرقة وتصفيتُهُ بان يُجعل قبل ضغطهِ في اسطوانة منظَّفة يُجرَّد فيها عن الاجسام الغريبة التي فيهِ . امَّا اذا ضُغط قبل تصفيتهِ فيكون لونهُ

١) المراد بالحصان هنا الحصان البخاري الذي يمكنهُ رَفع ثِقل ٧٥ كيلوغرامًا الى علو متر في الثانية

كَدِرًا ويصفَّى اذ ذاك بمصفاة من الورق العاديّ غير المغرَّى فيتخلَّص بذلك مما يشوبهُ من ذرَّات ناعمة من الجليد والحامض الكربونيك

ومن خواصّ الهواء السائل انَّهُ اذا أُغلي يفور عند بلوغهِ الدرجة ١٩١ تحت الصفر. واذا تبخَّر في اناء مفرَّغ من الهواء انحطَّت درجة حرارتهِ الى ان يتجمَّد فيصير مثل كُتلة جامدة

ومن المعلوم انَّ الاجسام اذا بلغت برودتها الى درجة معلومة تُحرق كالنار لا بل ان حريقها اوخم عاقبة من النار. فلو وقع منها بعض نقط على يد شخصٍ ما لأَلحقت بها اذًى عظيمًا. ويُخبر عن الكيموي الشهير راوُل پكته انهُ أُصيب بحرق من مسيس جسمٍ عظيم البرودة فتأذَّى من جرَّائهِ ستَّة اشهر ولو كان اصابهُ حرق من النار لتمكَّن من شفائهِ بعد ايَّام قلائل. الَّا انَّ الهواء المُسيَّل مع فرط برودتهِ لا يؤذي فيمكن غمس اليد فيهِ بلا ضرر. وسبب ذلك انَّهُ يتوسَّط بين اليد والهواء السيال ابخرة تمنع المماسَّة التامَّة كما يجري في الماء اذا صُبَّ على حديد او نحاس محمى فتبقى نقطهُ مدّة لا تتبخَّر(١

ومن خواصّ الهواء السيال انَّ فيهِ قوَّة مغناطيسيَّة بالغة. فاذا اخذت مثلًا انبوبًا مملوءًا من هذا المائع وقرَّبتَهُ من مغناطيس مُكهرب انجذب المغناطيس والتصق بالانبوبة. وليس في ذلك ما يستوجب العجب لانَّ الاكسيجين في الهواء السيَّال اكثر منهُ في الهواء الجوّي ولا يخفى انَّ للأُكسيجين قوَّة كهربائية عظيمة

ومن خواصّ الهواء السيَّال ايضًا انَّهُ اذا أُغلي تصاعدت منهُ ابخرة متكاثفة تراها كقِطَع الغمام تتدفَّق من فوق الوعاء المُحمى وتنبسط على الارض

واذا اخذت كُرَةً من الكاوُتشوك المَرِن فالقيتها فوق الهواء السيَّال تراها عائمة لا ترسب في المائع ولكن اذا أُخرجت منهُ تكسَّرت كالزجاج. وكذلك اذا غمست بيضةً في هذا الهواء وابقيتها دقيقةً واحدة تتصلَّب كانَّها الرصاص جسأةً لكنَّها تتفتَّت بادنى ضغطٍ. وكذا الحديد اذا وُضع في مغطس من هذا المائع يخرج وهو قابل التفتُّت والتكسُّر باوَّل صدمةٍ. امَّا النحاس والپلاتين فانَّهما يبقيان مَرِنَين عند نزعهما من مغطس الهواء السيال

وللهواء السيال قوَّة عجيبة في الامتداد اذا ما انفجر او عاد الى حالتهِ الطبيعية. مثال ذلك انك اذا ادخلتَ كَميَّة منهُ في مدفعٍ من الفولاذ وسُدَّت فوهتهُ بصمامٍ معدنيّ

---

١) راجع مجلَّة الطبيعة (La Nature, 12 Juillet, 1898)

لا يلبث المدفع ان يتحطَّم. وذلك لانَّ الهواء الجوّي يشغل مكانًا اوسع من الهواء السيَّال بنحو ٧٤٨ مرَّةً. ومن الاختبارات التي اجراها الكيمويُّون انَّهم غمسوا اسفنجةً في الهواء السيال ثم ادنوها من جمرة نار فتفجَّرت الاسفنجة ورمت بقِطَع ملتهبة الى كل الجهات

والزئبق يجمد بالدرجة الـ ٤١ تحت الصفر اما اذا أُلقي في الهواء السيال فيتجمَّد للحال ويستحيل الى صُبارة جامدة يمكن اتخاذها كمطرقة لدقّ المسامير في الجدران — وكذا الكُحول (l'alcool) فانَّهُ يتجمَّد ايضًا في الهواء السيَّال ويصير كالجليد

امَّا غاز الحامض الكربونيك الذي ينشأ من احتراق الفحم فانهُ يصير سيالًا اذا هبطت درجة حرارتهِ الى ٣٢ تحت الصفر. فاذا أُلقي منهُ شيء في الهواء السيال تراهُ يتجمَّد لساعتهِ ويتكوَّم كالثلج. واذا وُضع شيء منهُ وهو على هذه الحالة فوق منضدة يتبخَّر دون ان يجتاز بحالة السَّيلان. وان اخذت لفافة من التبغ موقدةً وادنيتها من اناء يتضمَّن هواءً سيالًا تحوَّل دخان التبغ الى ثلج ويتجمَّد لحامض الكربونيك الذي ينتج من احتراق ورق السيكارة والتبغ معًا

ومن الامتحانات الغريبة ايضًا ما يُوهم الناظرين انَّ المختبر يصنع ثلجًا فوق النار. وذلك ان يؤخذ فحم متجمّر فيُغمس في وعاء مملوء من الهواء السيال فلا يزال الفحم يتَّقد في الاكسجين ولكن ما ينشأ من الحامض الكربونيك باحتراق الفحم يتعقد ويسيل ثم يتجمَّد ويغطّي الفحمةَ المتَّقدة بغلالة بيضاء من الصقيع

هذه بعض اختبارات اجراها العلماء ولا ريب انَّ المستقبل سيوقفنا على ما هو فوق ذلك من الاسرار الطبيعية التي لا تزال بعد مكنونة. فشكرًا للخالق الذي ضمَّن في اجسام البرايا خواصَّ عجيبة يجدينا اكتشافها منافع جمة من شأنها ان توفر لنا الوسائل لرغد حياتنا وهناء عيشنا .

حفظ العنب

لجناب الشاب الاديب سليم افندي اصفر

ان كان الناس يتسابقون الى اقتناء بواكير الاثمار وينفقون في سبيل الحصول عليها مبالغ وافرة لِنُدْرة وجودها فيصحُّ ايضًا القول انَّ للاثمار المستبقاة بعد اوانها قيمةً كبرى

عند من يتأنقون في المآكل ولذلك تراهم لا يضنُّون بدراهمهم لابتياعها. لكنَّ استبقاء الاثمار في هذه الديار قليل الاستعمال لا يكاد ارباب الفلاحة السوريَّة يفقهون الوسائل التي بها يُحصل على هذه الغاية. ولذلك احببنا ان نفرد مقالةً نبسط فيها الكلام عن حفظ احد هذه الاثمار ألا وهو العنب الذي نعدّهُ من افضل الفواكه واطيبها فضلًا عن انَّ انواعهُ في بلادنا كثيرة كلُّها حسنة فلا جرم انَّ استبقاءهُ على طريقة محكمة يتكفَّل بارباح وافرة لمن يعانونهُ. وذلك لأنَّهُ يسهل انفاقهُ في مدنٍ كبيروت ودمشق ولا يصعب نقلهُ الى مصر لتاخمتها لبلاد الشام

والذرائع المتَّخذة لحفظ العنب في طراءتهِ متعدّدة يمكن ردُّها الى اثنتين اولاهما يستبقى فيها العنب جافَّ العُمشوش والثانية يستمرّ بها مخضرّ العمشوش وفي كلتا الحالتين ينبغي ان تُقطَف العناقيد في تمام نضجها من رأس الجَفنة او من طبقاتها العليا اذا ما كانت مرفوعةً على الدعام وذلك وقت صفاء الجوّ وخلوهِ من الندى. ثمَّ تُجعل العناقيد في حجرةٍ قليلة الضوء خالية من الرطوبة بحيث تكون درجة ميزان رطوبتها بين ٦٧ الى ٧٢ درجة ولا بدّ ان تكون في منحاةٍ عن التقلُّبات الجوّية. ومع برودة المكان ينبغي ألَّا تهبط درجة حرارتهِ دون الصفر ولا بأس اذا تردَّدت فيهِ الحرارةُ ما بين الدرجة الرابعة والثانية عشرة

انَّ (الطريقة الاولى) التي بها يُستبقى العنب جافَّ العمشوش تتمُّ على هذا المنوال بأن تُقطف العناقيد ابّان نضجها التامّ ثمَّ يُجعل بعضُها جنبَ بعض في مَحفَظ الاثمار او في حجرة منظَّفة او ايضًا في عُزيٍ مُقفَلٍ وتسطَّح على اطباق مفروشة بالتبن او الخنشار الناشف منظَّمة فوق بعضها بالتدريج ليتمكّن الناظر من تفقُّدها بسهولة من حين الى آخر. فاذا ما طرأ الفساد على بعض حبوبها فلتُنزَع بعنايةٍ

هذا اذا استبقيتَ العناقيد في السهول والبقاع. امَّا الجبال العالية فلا بُدَّ اذا خُشي فيها من الجمد ان تُدفأ الحجرة التي فيها الاثمار او تُنقل الى محلّ تتَّقي فيهِ عادية البَرْد. بيد انَّ الرطوبة هي شرّ بلايا الاثمار المستحفظة تُفسدها باقرب مدَّةٍ. فان اردتَّ ان تصون العنب من غائلتها ألقِ في المحفظ شيئًا من الموادّ المجفِّفة لرطوبة الهواء الكثيرة الامتصاص للماء نحو كلورور الكلسيوم او حجارة الكلس. فبهذه الوسيلة يُستَبقى العنب على طراءتهِ الى شهر شباط فترى الحبوب نضِرةً رغمًا عن تجفُّف العماشيش. ولكن لا تلبث من بعد هذا الوقت ان تتغضَّن وتذبل فلذلك يجب المبادرة الى اكلها

امَّا (الطريقة الثانية) لاستبقاء العنب فهي كما سبق بان تُحفظ العماشيش مخضرَّةً. وهذا النمط هو الشائع اليوم ومنافعهُ اوفر بيد انَّهُ اكثر كلفةً. ودأبُ الذين يفضّلون هذه الطريقة ان يختاروا اجود العناقيد النامية فوق العرائش ممَّا يرونهُ اشدَّ مقاومةً للتعفُّن. فاذا قطفوها جعلوها في موضع حسن البناء بمعزل عن الرطوبة ذي نوافذ تُغلَق عند الحاجة اغلاقًا محكمًا لانَّ وفرة الهواء وكثرة النور لا يصلحان لاستبقاء الاثمار

ومألوف عادة ارباب الكروم ان يحفظوا عنبهم في مُخدع يتَّخذونهُ في بيوتهم واحسن ما يكون موقعهُ في وَسْط ابنية الدار. امَّا الذين يزاولون هذه الحرفة ليتَّجروا بالاثمار المستبقاة فانهم يُفردون لذلك بنايات خاصَّة

واذا تهيأ لك اختبار الوسائل لحفظ العنب فالاولى اختيار حُجرة تُضاعَف فواصلُها وشبابيكها وابوابُها. فعلى هذا الوجه لا يؤثر الهواء الخارج في الهواء الداخليّ ولا تعمل في هذا عواملُ الرطوبة والتقلُّبات الجويَّة. وقد سبق انَّهُ لا يسوغ ان تزيد حرارة المحفظ على اثنتي عشرة درجة او تهبط الى ما دون الصفر فيكون معدَّلُها بين ستّ درجاتٍ الى ثماني واذا تجاوزت الحرارة هذا الحدّ اختمرت الاثمار فيؤدي بها ذلك الى التعفُّن او اليُبس. بيد انَّ الرطوبة هي ألدُّ اعداء الاثمار المستحفظة وانمَّا يُتَّقى ضررها بوضع اربعة او خمسةٍ من حجارة الكلس المتوسّطة الكبر التي ينبغي استبدالها في كل شهر بمثلها. امَّا تعفُّن الحبوب والعناقيد فانهُ في الغالب مسبَّب عن الرطوبة المذكورة. وافضل طريقة لمقاومتهِ ان يُحرَق في مَحفَظ العنب عند تفشّي المرض نحو ربع فتيلة من فتائل الكبريت المستعملة لتطهير النواجيد (البراميل)

امَّا قَطْف العنب المطلوب استبقاؤهُ فيستلزم ان يُقطَع العنقود مع قسم من زرجونهِ (الزرجون والحَبَلة قضيب الكرم) يكون فيها فوق العنقود وتحتهُ برعومان او ثلاثة. ثمَّ يُنزع عن الزَّرَجون ما فيهِ من الورق تخفيفًا للتبخُّر. وفي اليوم نفسهِ تُنقل العناقيد بحبَلاتها الى المحفظ بمزيد الاحتراس لئلاَّ تترّس الحبوب. ثمَّ تُدخَل اطراف الزراجين الغليظة في قنانٍ ملأى ماء الى عنقها. وملءُ كلّ قنينةٍ عادةً نحوٌ من ١٥٠ غرامًا. ويُصبّ في كلّ قنينة ملعقة صغيرة من مسحوق فحم الخشب دفعًا للفساد. ويُجعَل في كل قنينة من الزرجونتين الى الاربع على قدر ما يسمح بهِ اتّساع فوهتها ثمَّ توضع القناني في ثُلَم مجهَّزة فوق الرفوف بحيث تبقى العناقيد متدلّيةً بالهواء

وفي بادئ الامر يُقتضَى تفقُّد الحفظ عدّة مرارٍ وفحص العنب حتى اذا ظهر الفساد في بعض الحبوب تُقطَع بمقراضٍ صغيرٍ. ويلزم ايضاً صبُّ الماء في القناني التي نقص مقدارها عن المقدار الكافي. فعلى هذا الوجه يستمرُّ العنب على حالتهِ من الطراءة الى غاية نيسان

ولهذه الطريقة الثانية التي وصفناها ذريعةٌ اخرى ادّت الى نتائج حسنة توصّل اليها عام ١٨٩٤ المسيو بِيتي (A. Petit) استاذ المكتب الزراعي في ڤرسايل. وذلك انّ المعلّم المذكور لاحظ ان أبخرة الكحول مانعٌ قويّ لانتشار ما يلصق على وجوه الاثمار من التعفّنات في الاماكن الرطبة. فاذا قطف عناقيد العنب يجعلها في مكان بارد خلوٍ من التقلّبات الجويّة وهو يبسطها على فَرْش من نجارة الخشب في أصوِنَة أُحكم قفلها. ويضع في هذه الأصوِنَة اوعيةً واسعة الفوهة ملأَى من الكحول في الدرجة ٩٦ من الحرارة

والأصونة التي اتخذها المسيو پتي لذلك هي مبنيّة بالآجرّ ذات شكل مكعّب مستطيل يطليها في باطنها بالملاط ويركّب لها في احدى جهاتها باباً من خشب. وسعة كل صوانٍ نحو ١٨٠ دسيمترًا. وهذه الاصونة توضع كما قلنا سابقًا في مكان بارد لا تتجاوز درجة حرارتهِ ١٢ درجة. ويجوز ان يُختار لهذه الغاية ايّ محلّ كان مثل الاقبية والكلارات بشرط ان يكون الموضع باردًا منتظم البرودة

وربَّ سائل يسأَل هل هو سيّان على العنب ان كثرت كميّة الكحول او قلّت فنجيب انّ الاختبار قد اثبت ان لكميّة الكحول مقدارًا اذا زادت عليهِ عرضت العنب لاضرار شتّى. وطريقة المسيو پتي لا تفوز بالغرض المقصود الّا اذا لم يتجاوز الكحول مقدارًا معلومًا فيقي بذلك العنب من التعفّن دون ان يضرّ بطعمها

والمشكل في الامر تحديد قَطْع الاناء المودع فيهِ الكحول. فينبغي بحسب مقتضيات الاحوال اتّخاذ اوعيةٍ متفاوتة الحجم والسَّعَة لأنَّهُ لا بُدَّ ان يختلف سطح الكحول المتبخر على حسب اختلاف الصوان المودع فيهِ العنب واختلاف مادّة جوانبـهِ ونوعيّة اغلاقهِ وقوّة السائل الكحوليّ

بيد انّ معرفة الاحوال التي كان المسيو پتي يبني عليها اختباراتهِ تُغنينا عن البحث الطويل في ما نحن بصددهِ. وكان هذا الاستاذ يُدخل في كل صوانٍ سعتهُ ١٨٠ دسيمترًا مكعبًا مئةَ سنتيمترٍ مكعَّب من الكحول ثم يجدّد هذه الكميّة بعد نحو ٣٠ او ٤٠ يومًا

ومن اراد ان يتّبع هذه الطريقة التي وقف عليها المسيو پتي دون كلفة كبيرة

وعناء عظيم ليدَّخر لشتائهِ كمية من العنب امكنهُ ان يتَّخذ لذلك صندوقًا عاديًا فيصيب بهِ المرام

وفي لبنان قومٌ من اهل الزراعة لهم في حفظ العنب ذريعةٌ بسيطة تمكّنهم من استبقائهِ الى غاية كانون الثاني فانّهم يغلّفوا العناقيد باكياس من الخام . لكنَّ هذه الطريقة فضلًا عن قصورها في حفظ العنب بحالة جيدة لا يمكن استعمالها سوى في دوالي العنب المعرّشة الغير المعرّضة لمهابّ الرياح . ومع هذا فانَّ النتيجة لا تكون مقرَّرة ثابتة . ومنهم من يحفظ العنب في الدبس . ولا نظنُّ انَّ لهذه الطريقة فائدةً حرّيةً بالذكر الَّا انَّنا لم نختبرها بنفسنا والسلام

أسئلة وأجوبة

عيد القدّيسة بربارة في سوريَّة

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

كتب لنا جناب عبد الله بك شرّ ما حرفهُ : اعتاد السوريُّون ان يحيوا ليلة عيد القديسة بربارة باللهو والطرب واكل الاطعمة النفيسة والحلاويات المختصة بهذه الليلة فما هو منشأ هذه العادة وهل هي جارية فقط في سورية ام في سائر البلاد المسيحية ومن اي زمنٍ نشأت في تلك الليلة عادة التكحل الشنيعة المضرّة وهل طواف اولاد المحلّة على البيوت قديم ام حديث وما سبب تجليبهم بالملابس الهزلية والقبعات المختلفة الالوان والحجم

جواب المشرق

قبل الجواب على ما اقترحهُ علينا الكاتب الاديب نرى من المناسب ان نصدّر كلامنا بملخص ترجمة القديسة بربارة التي احتُفل بذكرها في الاسبوع الماضي فانَّ بيان خلاصة سيرتها من شأنه ان يميط القناع عن العوائد الجارية في يوم عيدها فنقول :

انَّ القديسة بربارة من اعظم الشهيدات العذارى اللواتي يفتخر بهنَّ الشرق المسيحي لكنَّها قد أصابها ما اصاب كثيرًا من مشاهير الرجال الذين اختلبوا عقولَ البشر بصفاتهم العديدة ومزاياهم الفريدة وطبّقت اخبارهم اقاصي المعمورة . فلعظم هيبتهم في النفوس ترى الناس يتقوّلون فيهم الاقاويل العجيبة وينسبون اليهم الامور الغريبة حتى لا يكاد اصحاب

النَّقد يفرزون بين اخبارهم الصحيحة وما عُزي اليهم من الاقاصيص المُختلقة الفريَّة . وكذا جرى للقديسة التي نحن بصددها فانَّ ما أبدتهُ من الشهامة والبسالة في مقاساة ضروب العذاب لتذبَّ عن حقوق دينها رغمًا عن صغر سنّها ولُطف بِنيتها وغضارة عيشها عمل في قلوب الجمهور فاستباها . ولذلك انتشر اسمها في الآفاق وتعدّدت فيها الاقاويل

فان بحثنا مثلًا عن وطن القديسة بربارة ترى البعض يقولون ان مولدها في نيقوميدية والبعض في عين شمس (Héliopolis) بمصر وغيرهم في بعلبك وقومٌ يزعم انَّها ولدت في حلب وآخرون انَّها ايطالية ولدت في بلاد تُسكانة . وكذا قُل عن بقيّة تفاصيل اخبارها فانَّك لا تجد كاتبين يتَّفقان في بيان احوالها . فمنهم من يرتأي انَّها نشأت في اوائل القرن الثالث وتأدَّبت على اوريجانس الملفان الشهير واستشهدت على عهد مكسيمينوس الملك (المتوفَّى سنة ٢٣٨) وناقضهم غيرهم فقالوا انَّ القديسة بربارة فازت باكليل الشهيدات في ايّام ديوكليسيان (٢٨٤—٣٠٥) . وكلُّهم يسترسلون في وصف المعجزات التي صنعتها والعذابات التي قاستها قبل ان تظفر بالمُغتصب وتنال جزاء الابرار في جنَّة الخلود

امَّا اذا عرضنا شهادات التاريخ بعضها على بعض وانتقينا فيها ما نراهُ اقرب الى الصواب فيكون لباب ترجمة القديسة بربارة كما يلي انَّها وُلدت في نيكوميدية من ابوين عريقين في الحسب والنسب وكان ابوها ديوسقورس من عَبَدة الاوثان بيد انَّهُ خرَّج ابنتهُ بكل آداب ذلك العصر . ولمَّا كانت بربارة ثاقبة العقل متوقّدة الفهم لم تلبث ان تدرك بطلان عبادة الاصنام وتشمئزّ من فساد اخلاق المتديّنين بهِ واتاح لها الله الاجتماع ببعض ارباب النصرانية فاخذت عنهُ مبادئ الدين القويم وثبَّتها في دينها ما رأتهُ في نصارى ذلك العصر من الثبات على انواع المحن . فلمَّا علم بامرها ابوها تصدَّى ليثنيها عن عزمها والتجأ تارةً الى الوعد وتارةً الى الوعيد وحملت بهِ فظاظة الطباع الى ان يسوقها الى الحاكم مرقيانوس . فحاول الحاكم ان يستعطف خاطرها بضروب اللطف فأبت الَّا الثبات على دينها والاستمساك بعروتهِ الوثقى فاذاقها مرّ النكال فلم تنجع كلُّ هذه الوسائل في قسرها على التوثُّن . فقضى الحاكم اذ ذاك بموتها . وكان ابوها يحضر آلام ابنتهِ والعين جامدة والقلب كالجلمود كانهُ خلع عنه شعائر الانسانية فلما سمع بالحكم على ابنتهِ بالموت لم يأنف ان يطلب الى الوالي بان يتولَّى بنفسهِ قتلها فقطع رأسها بالفأس . الَّا انَّ الله لم يدع هذا الاثم دون عقاب فبينا كان ديوسقوروس راجعًا الى بيتهِ اذ ابرقت السماء وارعدت فاصيب بصاعقةٍ

وساخت بهِ الارض . وكذا جرى لمرقيانس الوالي المغتصب

فلما شاعت اخبار القديسة بربارة في المشرق حتى اقبل المؤمنون على اكرامها من كلّ فجّ ٍ وبنوا على ذكرها الكنائس العديدة في كلّ الانحاء . وفي القرون المتوسّطة نقل الصليبيّون قسماً من ذخائرها الى البندقيّة والى رومة العُظمى فانتشرت في المغرب العبادة نحوها كما في المشرق وشرَّف اللهُ وليّتهُ بالمعجزات الباهرة تأييدًا لهذه العبادة . هذه خلاصة ترجمة القديسة . وعلى هذا الاساس بُنيت جملةٌ من اعتقادات العامّة والعوائد التي عمّت كثيرًا من البلاد

ونصارى الغرب يدعون باسم القديسة بربارة ويلتجئون الى حمايتها في البلايا والاخطار لاسيّما وقت هبوط الصاعقة وفي ساعة الموت لئلّا تفجأهم المنون دون ان يتزوّدوا بالاسرار الاخيرة . وممَّا يروى في سيرة القديس استانسلاوس الراهب اليسوعيّ انهُ استشفع بالقديسة بربارة اذ كان مُدنفاً على الموت وليس لهُ من يُقيتهُ بسرّ القربان الاقدس فلبّت الى دعائهِ وظهرت لهُ مع ملَكين ناولهُ احدهما زاد الملائكة

وكذلك قد يُكرّم هذه الشهيدة في الغرب اصحاب الحِرَف والصناعات الخطرة كالذين يُطلقون المدافع ويزاولون صنع البارود ويشتغلون بالاسلحة ويسبكون المعادن . وكذلك ترى كل من يخاطرون بحياتهم قد اتخذوا القديسة كشفيعة خاصّة لهم كالبنائين والناضحين وغيرهم . وهذا كلهُ مبنيٌّ على قصّة وفاة ابيها ديوسقوروس فجأةً . ولذلك يصوّرها المصورون تارة قائمة منتصبة وفي يدها حقّةُ القربان الاقدس وتارة يمثّلونها بين المدافع والقنابل ومستودعات البارود وربّما رسموا صورة ابيها عند أقدامها مصعوقاً بنار السماء

وممّن يعدّون القديسة بربارة شفيعة لهم الرُّماةُ ومن يلعب بالكُرَة والصولجان وهذا محمول على رواية قديمة تنسب الى الشهيدة المذكورة أنّها نازعت ملك الروم في رَمْي السهام وغلبتْهُ مع حذقهِ لانها كانت اتخذت ذلك كدليل عن صحّة دينها وبطلان عبادتهِ . وهذه الرواية قد اثبتها الخواجا ميخائيل سيوفي في رسالة ادرجها في مجلّة الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٨٨٩

امّا اهل الشرق فكانوا يحتفلون سابقاً بعيد القديسة بربارة بجَلَبةٍ عظيمة . وقد امتاز بينهم في ذلك اهل سوريّة (١ ولاسيما البيروتيّون كما شهد عليهِ صاحب تاريخ بيروت يحيي

١) ولا يزال النصيرية نفسهم يحتفلون بعيد القديسة بربارة كما اخبرنا عنهم الثقة

ابن صالح في اواسط القرن الخامس عشر (راجع المشرق ص ٨٦) . واهل دمشق وحلب يتغنون الى يومنا بأُغنيـــة عاميَّة في مديحها اخترنا منها ما يلي :

القديسة برباره	عند الربّ مختاره	ابوها هالكافر	كان عبّاد حجاره
احضر بنته للديوان	وخاطبها بشان الاديان	قالت لهُ قدّام الاعيان	انا على دين النصارى
قال لها يا بنتي	طيعيني ولا تعنّتي	ارجعي على ما كنتِ	وبطّلي هالجساره
قالت يا اجهل الناس	أفي عقلك وسواس	لو قطّعت مني الراس	لا اعبد الحجاره
فشال الحربة ليرشقها	صارت الحربة سنّاره	جاب الحبلة ليشنقها	صارت الحبلة زنّارا
قال للقوم خذوها	ومن شعرها اسحبوها	وكلّ العذاب عذّبوها	لتغيّر افكارا
مدّوها على الساجات	وغرزوها بالحربات	وقلعوا منها النابات	فراح الكل خساره
قالوا لهُ يا مسكين	دَع بنتك ما بتلين	ولو قطعتها بالسكين	وحميت عليها غضاره
صرخ الاب للسيّاف	اعطيني السيف ولا تخاف	أقتل بنتي بلا خلاف	وتروح بذنبها برباره
قالت البنت يارحمان	يا خالق كل الاكوان	اقبل دمي كالقربان	حبّاً بدين النصارى

ومن عوائد اهل الشام ان يتّخـذوا في مساء عيدها (وتدعى تلك الليلة البِرْبِيّة) حُلويات وقطائف (عوّامات) ويسلقوا قمحًا ويجتمع الاصحاب والاقارب في البيوت ليحيوا تلك الليلة في المسامرات والافراح وربّما اوقدوا الشموع وطاف الاحداث حول المائدة التي وُضعت عليها اصناف المآكل فرحين صارخين . وذكر الدكتور كامل سليمان خوري (راجع المشرق ص ٣٤٧) انّ النساء يتألّبن في حمص عشيّة ذلك العيد ويمدحنَ القديسة بمدائح مخصوصة ويُضئنَ شمعةً يضعنَ فوقها وعاءً معدنيًا فيهِ ماءٌ فيحككنَ ما تجمّع فيـهِ من السّناج (الشحّار) ويتكحّلنَ هنَّ واولادهنَّ والغريب النازل في بيتهنَّ ظنًّا منهنَّ بان مَن تكحل هكذا لا يخشى الرَّمد في تلك السنة . اما في سواحل الشام ولبنان فيجتمع بعض الشبّان ويختارون بينهم واحدًا يسمّونهُ عرندسًا يسوّدون وجههُ ويمسخونهُ بإلباسهِ ثيـابًا هزلية ويطوفون بهِ على البيوت ليمدّهم اصحابها بدُرَيهمات او بعض المطاعم تملّصًا من تحتهم

امّا اصل هذه العوائد والمراد بها فانّنا نظنّ انّها ترتقي الى القرون السالفة اذ كانت النصرانية في عزّها في بلاد الشرق فكان النصارى يجتمعون ليحتفلوا بهذا العيد بقدر طاقتهم من الأبهة والرونق كما كانوا يفعلون في عشية الاعياد الكبرى ثم اتخذوا في افراحهم ما رأوهُ ممثّلًا لاخبار الشهيدة القديسة فدلّوا على استنارتها بنبراس الايمان بالتكحل وعلى مجاهرتها بدينها بايقاد الشموع وعلى ثباتها في دينها وسط العذاب بسَلْق القمح وعلى ظفرها بالافراح السرمدية بالحلويات والقطائف . امّا لبس المسوح والطواف على البيوت في هذه الحالة فلعلّهُ

يراد بهِ تمثيل خَدَم الحاكم واعداء الشهيدة الذين اعتنوا بربارة وطافوا بهـا في ساحات البلدة ليسيموها الهوان قبل قتلها كما يُذكر في اعمال استشهادها

منثورات

حرير جديد

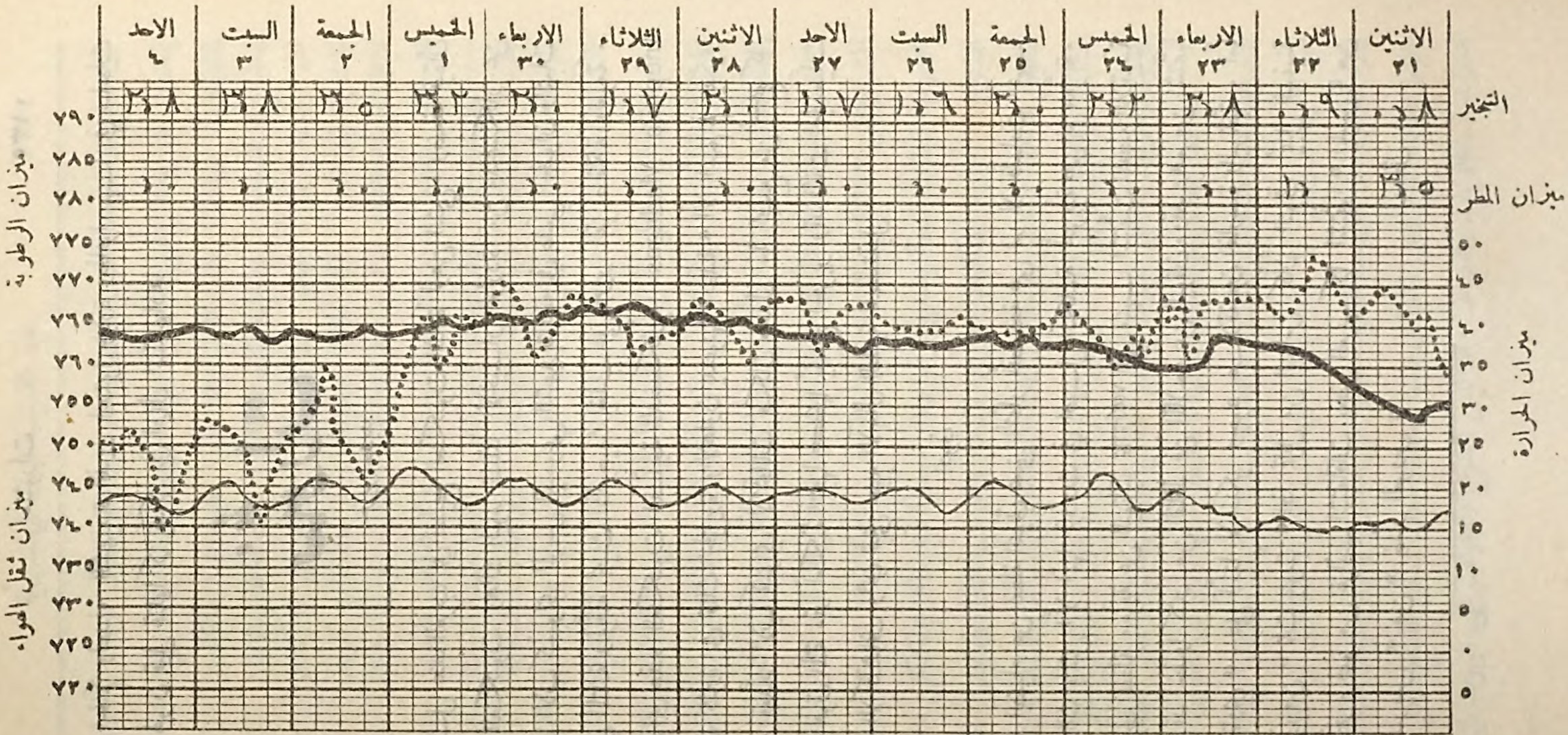
يضرب المثـل عند العرب في نسيج العنكبوت اشارةً لوهن الشيء وضعفهِ فيقال اوهى من نسيج العنكبوت وهاك اليوم تنبئنا الاخبـار الواردة من مدغسكار عن عنكبوت اكتشفها الاب كمبواي المرسل اليسوعي الشهير بتآليفهِ في علمَي الحيوان والنبات ولها نسيج غاية في المتانة والرقَّة بحيث اذا حِيكَ يغلب على حرير القزّ صفاقةً ونعومةً . وقد دعا الاب كمبواي هذه العنكبوت النسَّاجة المدغسكاريّة (nephila Madagas-carensis) وهي كثيرة في تلك الجزيرة والاهلون يدعونها « حَلَبَة » الَّا انَّهم لم يفكّروا بحياكة نسيجها . فعدَّد الاب كمبواي الامتحانات فكان معدَّل ما يجمع من نسيج كل عنكبوت في النهار فوق المئة متر امكنهُ نسجها كما يُنسج الحرير وقد اثنت الجمعيَّات العلميّة على هذا الاكتشاف وهي تبني عليهِ الآمال الطيّبة للمستقبل

النوتي

سُئلت مجلّة الضياء عن لفظة النوتي بمعنى البحّار أفصيحة هي ام لا فأجابت انَّهـا فصيحة واثبتت ذلك بالمثل الَّا انَّها تردَّدت في اصـل الكلمة أعربيَّة هي ام معرَّبة . (فنقول) ان النوتيّ لفظة معرّبة عن اليونانيّة ναύτης التي منهـا اشتقَّت اللفظة اللاتينيّة (nauta) والعرَب قد اخذوا كثيرًا من الفاظ فنّ الملاحة عن اليونان . وقد وهم من اشتقَّها من الفارسيـة « ناوي » . على انَّنا لا ننكر وجود عـلاقة بين الفارسية واليونانيَّة . امَّا اشتقاق لفظة النوتي من « نات ينوتُ » اذا تمايل من النعاس كأنَّ النوتي يُميل السفينة من جانب الى آخر . فهو من غرائب اشتقاقات بعض العرب كما اشتقُّوا « ابليس » من « بلس » و« خندريس » من « خِدْر العروس »

ل . ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢١ تشرين الثاني الى ٤ كانون الاول ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

فهرس اوَّل

يحتوي ملخَّص اعداد المشرق على ترتيبها

للسنة الاولى سنة ١٨٩٨

(العدد ١ : ١ ك ٢) مقدَّمة مع اسداء الشكر لاولي الامر: للاب ل. شيخو (١ – ٤) – مباحثة علميَّة في اهمّ اكتشافات السنة ١٨٩٧: للاب م. كولنجت (٥ – ١٠) – الاخ (فرا) غريفون وجبل لبنان في القرن الخامس عشر: للاب ﻫ. لامنس (١١ – ١٧ البقية في الاعداد ٢: ٥٦ – ٦٢؛ ٣: ١٢٢ – ١٢٨؛ ٤: ١٤٥ – ١٥٠) – وزن قديم لمدينة بيروت: للدكتور ج. روڤيه (١٧ – ٢٠) – الوطنيَّة: للاب ل. شيخو (٢٠ – ٢٤) – كتاب الدارات للاصمعي: للدكتور ا. هفنر (٢٤ – ٣٢) – كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيى (عن نسخة باريز): سعى بنشرهِ الاب ل. شيخو (٣٢ – ٣٨ ثمَّ نُشِر تباعاً في كل الاعداد) – خريدة لبنان (رواية): للاب ﻫ. لامنس (٣٩ – ٤٢ ثم نُشرت تباعًا في الاعداد التالية والتتمَّة في العدد السابع) – كتب جديدة شرقية (٤٣ – ٤٦) – اسئلة واجوبة (٤٧)

(العدد ٢ : ١٥ ك ٢) النيازك ونجم الجوس: للاب س. رنزڤال (٤٩ – ٥٥) – الطاولات الدائرة: ردّ للاب ل. شيخو (٦٢ – ٦٦) – الانتقاد – ماذا ينقصنا: للمعلم ن. حيقه (٦٧ – ٦٩ التتمَّة في العدد ٤: ١٧١ – ١٧٤) – الجدريّ: للدكتور ﻫ. نيكر (٧٠ – ٧٧) – استعمال الفطير والخمير: للاب ا. صالحانيّ (٧٧ – ٨٣ التتمَّة في العدد ٣: ١٠٨ – ١١٥) – شتَّى (٩٢ – ٩٣) – كتب شرقية جديدة (٩٣ – ٩٥) – اسئلة واجوبة (٩٥) – قائمة للاثار الجويَّة: للاب زُموفن ٩٦ وكذا في آخر صفحة من كل الاعداد)

(العدد ٣ : ١ شباط) الظرَّان او الطور الحجريّ في فينيقية: للاب غ. زُموفن (٩٧ – ١٠٧ التتمَّة في العدد ٨: ٣٥٢ – ٣٦٤) – ابيات زهدية للخوري نيقولا الصائغ لم ترد في ديوانهِ: للاب ل. شيخو (١٠٧ – ١٠٨) – لفظ الجيم أَحَلْقِيٌّ هو ام شجريّ: للاب ﻫ. لامنس (١١٦ – ١١٩) – داء السلّ وانتشارهُ في سورية: للدكتور ح. الدرعونيّ (١١٩ – ١٢٢ التتمة في العدد ٤: ١٥٠ – ١٥٤) – كتب شرقية جديدة (١٣٨ – ١٣٩) – اسئلة واجوبة: جنسية المجوس – الكينيمتوغراف – راس السنة الخ (١٤٠ – ١٤٣)

(العدد ٤ : ١٥ شباط) مجلَّة الهلال والنفس البشرية؛ للاب ل. شيخو (١٥٤ – ١٥٨) – المآثر الجغرافية في سنة ١٨٩٧: للاب ﻫ. لامنس (١٥٨ – ١٦٦) – تنسيق المزدرعات: للشاب الاديب س. اصفر (١٧٤ – ١٧٩ التتمة في العدد ٥: ١٩٣ – ١٩٩) – التنوير: للاب م. كولنجت (١٧٩ – ١٨٥ البقية في الاعداد ٦: ٢٤١ – ٢٤٦؛ ١٠: ٤٥٢ – ٤٥٨؛ ١١: ٥٠٠ – ٥٠٥؛ ١٥: ٦٩٤ – ٦٩٨) – كتب شرقية جديدة (١٨٩ – ١٩٠) اسئلة واجوبة (١٩١)

(العدد ٥ : ١ آذار) عنقاء مُغْرِب: للاب انستاس الكرملي وجواب المشرق للاب ا. صالحاني (١٩٩ – ٢٠٥) – الكُحْل: للدكتور ش. الخوري (٢٠٦ – ٢١٠) – آثار قديمة للنصرانية في

فهرس ثانٍ

لمواد المشرق على ترتيب حروف المعجم

ا

د

ذ

ر

ز

س

ص

ض

ط

ق

ك

ل

ن


AL-MACHRIQ

